

ادعيه

١٧٠

۳۰۵ ورقدر

قد وقف من النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم
مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان
ابن السلطان السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا
شرعيا لمن طالع وأنا أكرمه الله تعالى
بالزلفى والحسنى حرره العبد
الفقير أحمد شيخ زاده
المفتش بأوقاف الحرمين
الشريفين
غفر لهما

الحمد لله الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا فتحدّى باقصر سورة
من سوره مصاقع الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به قديرًا وافحم من تصدّى
لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا انهم سُحّروا
تسحيرًا ثم بيّن للناس ما نزّل اليهم حسبما عنّ لهم من مصالحهم ليدّبروا آياته وليتذكر
اولوا الالباب تذكيرًا فكشف قناع الانغلاق عن آيات محكمات هنّ
ام الكتاب واُخر متشابهات هنّ رموز الخطاب تأويلا وتفسيرًا
وابرز غوامض الحقايق ولطايف الدقايق ليتجلّى لهم خفايا الملك والملكوت
وخبايا قدس الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا ومهّد لهم قواعد الاحكام واوضاعها
من نصوص الآيات والماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرًا فمن كان
له قلب او القى السمع وهو شهيد فهو في الدارين حميد وسعيد ومن لم يرفع اليه
رأسه واطفأ نبراسه يعش ذميما ويصلى سعيرًا فيا واجب الوجود ويا فايض
الجود ويا غاية كل مقصود صلّ عليه صلوة توازي غناءه وتجازي عناءه وعلى من
اعانه وقرّر تبيانه تقديرا وافض علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك كراماتهم
وسلّم عليهم وعلينا تسليما كثيرًا وبعد فان اعظم العلوم مقدارًا وارفعها شرفًا ومنارًا
علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية ورأسها ومبنى قواعد الشرع واساسها
لا يليق لتعاطيه والتصدّي للتكلم فيه الا من برع في العلوم الدينية كلها اصولها وفروعها
وفاق في الصناعات العربية والفنون الادبية بانواعها ولطال ما احدّث نفسي
بان اصنّف في هذا الفن كتابًا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء
التابعين ومن دونهم من السلف الصالحين وينطوي على نكت بارعة ولطائف
رائعة استنبطتها انا ومن قبلي من افاضل المتأخرين واماثل المحققين ويعرب عن
وجوه القراءات المشهورة المعزية الى الائمة الثمانية المشهورين والشواذ المروية
عن القراء المعتبرين الا ان قصور بضاعتي يثبطني عن الاقدام ويمنعني عن

عن الانتصاب في هذا المقام حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع
فيما اردته والاتيان بما قصدته ناويا ان اسميه بعد ان اتممه بانوار التنزيل
واسرار التأويل فها انا الآن اشرع وبحسن توفيقه اقول وهو الموفق لكل
خير ومعطي كل سؤل سورة فاتحة الكتاب وتسمى ام القرآن لانها مفتتحه ومبدأه
فكانها اصله ومنشأه ولذلك تسمى اساسا او لانها تشتمل على ما فيه من الثناء
على الله تعالى والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده او على جملة معانيه من الحكم النظرية
والاحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء
ومنازل الاشقياء وسورة الكنز والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر
والدعاء وتعليم المسألة لاشتمالها عليها والصلوة لوجوب قراءتها او استحبابها
فيها والشافية والشفاء لقوله صلى الله عليه وسلم هي شفاء لكل داء والسبع المثاني
لانها سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم من عدّ التسمية آية دون انعمت عليهم ومنهم
من عكس وتثنى في الصلوة او الانزال ان صح انها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة
وبالمدينة لما حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني
وهو مكي بالنص بسم الله الرحمن الرحيم من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما
وابن المبارك والشافعي وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك
والاوزاعي ولم ينص ابو حنيفة رض فيه بشيء فظن انها ليست من السورة عنده وسئل
محمد بن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله تعالى لنا احاديث كثيرة منها ما روى
ابو هريرة رض انه قال صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب سبع آيات اولاهن بسم الله
الرحمن الرحيم وقول ام سلمة رضي الله عنها قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتحة
وعدّ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية ومن اجلهما اختلف في انها
آية برأسها او بما بعدها والاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله تعالى والوفاق على
اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن حتى لم يكتب آمين والباء متعلقة بمحذوف
تقديره بسم الله اقرأ لان الذي يتلوه مقرو وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية
مبدأ له وذلك اولى من ان يضمر ابدأ لعدم ما يطابقه وما يدل عليه او ابتدائي لزيادة
اضمار فيه وتقديم المعمول ههنا اوقع كما في قوله تعالى بسم الله مجريها وقوله تعالى اياك
نعبد لانه اهم وادل على الاختصاص وادخل في التعظيم واوفق للوجود فان اسمه تعالى
مقدم على القراءة كيف وقد جعل آلة لها من حيث ان الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا
ما لم يصدر باسمه تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله
فهو ابتر وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله تعالى اقرأ وهذا وما بعده الى
آخر السورة مقول على السنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويسأل
من فضله وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم

الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينهما وبين لام الابتداء
والاسم عند البصريين من الاسماء التي حذفت اعجازها لكثرة الاستعمال وبنيت اوايلها على
السكون وادخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لان من دابهم ان يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا
على الساكن ويشهد له تصريفهم على اسماء واسامي وسمي وسميت ومجيء سمي كهدى لغة فيه قال والله اسماك
سمى مباركا آثرك الله به ايثاركا والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة
للمسمى وشعار له ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها
همزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم
ومن لغاته سم وسم قال بسم الذي في كل سورة سمه والاسم ان اريد به اللفظ فغير المسمى
لانه من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار ويتعدد
تارة ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك وان اريد به ذات الشيء فهو المسمى لكنه لم يشتهر
بهذا المعنى وقوله تعالى سبح اسم ربك المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته
عن النقائص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب او الاسم
فيه مقحم كما في قول الشاعر الى الحول ثم السلام عليكما وان اريد به الصفة كما هو راي الشيخ ابي
الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى والى ما هو غيره والى ما ليس هو
ولا غيره وانما قال بسم ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة بذكر اسمه او للفرق بين
اليمين والتيمن ولم يكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء
عوضا عنها والله اصله اله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك قيل
يا الله بالقطع الا انه مختص بالمعبود بالحق والاله في الاصل يقع على كل معبود ثم غلب
على المعبود بالحق واشتقاقه من اله الهة والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه تاله واستاله
وقيل من اله اذا تحير لان العقول تتحير في معرفته او من الهت الى فلان اي سكنت اليه
لان القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته او من اله اذا فزع من امر نزل عليه
وآلهه غيره اجاره اذ العائذ يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه او من اله الفصيل اذا ولع
بامه اذ العباد يولعون بالتضرع اليه في الشدايد او من وله اذا تحير وتخبط عقله وكان
اصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضمة في وجوه فقيل اله
كاعاء واشاح ويرده الجمع على آلهة دون اولهة وقيل اصله لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها
اذا احتجب وارتفع لانه تعالى محجوب عن ادراك الابصار ومرتفع على كل شيء وعما لا يليق
به ويشهد له قول الشاعر كحلفة من ابي رباح يسمعها لاهه الكبار وقيل علم لذاته المخصوصة
لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لا بد له من اسم تجري عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه
سواه ولانه لو كان وصفا لم يكن قول لا اله الا الله توحيدا مثل لا اله الا الرحمن فانه لا يمنع
الشركة والاظهر انه وصف في اصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره وصار
كالعلم مثل الثريا والصعق اجري مجراه في اجراء الاوصاف عليه وامتناع الو

الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة اليه لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار امر آخر
حقيقي او غيره غير معقول للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد ذاته
المخصوص لما افاد ظاهر قوله تعالى وهو الله في السموات معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق
هو كون احد اللفظين مشاركا للآخر في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول
المذكورة وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه
وتفخيم لامه اذا انفتح ما قبله او انضم سنة وقيل مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلوة
ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر الا لا بارك الله في سهيل اذا ما الله بارك
في الرجال الرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من
علم والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان ومنه الرحم
لانعطافها على ما فيها واسماء الله تعالى انما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون
المبادي التي تكون انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة
المعنى كما في قطع وقطّع وكبار وكبّار وذلك انما تؤخذ تارة باعتبار الكمية واخرى باعتبار
الكيفية فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه يخص
بالمؤمن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام
واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس يقتضي الترقي من الادنى الى الاعلى
لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به غيره لان معناه المنعم
الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره لان من عداه فهو مستعيض
بلطفه وانعامه يريد به جزيل ثواب او جميل ثناء او مزيل انفة الخسة او حب المال
عن القلب ثم انه كالواسطة في ذلك لان ذات النعم ووجودها والقدرة على ايصالها
الى غير ذلك من خلقه تعالى لا يقدر عليها احد غيره او لان الرحمن لما دل على جلائل النعم واصولها
ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف له او للمحافظة على رؤوس الآي
والاظهر انه غير منصرف وان حظر اختصاصه بالله تعالى ان يكون له مؤنث على فعلى
او فعلانة الحاقا له بالاغلب في بابه وتخصيص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق
لان يستعان به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها
وجليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره الى جانب القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل
سره بذكره والاستمداد به عن غيره الحمد لله الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة
او غيرها والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول
حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا
قال افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا فهو اعم منهما من وجه واخص من وجه
آخر ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في
آداب الجوارح من الاحتمال جعل رأس الشكر والعمدة فيه فقال صلى الله عليه وسلم

الحمد رأس الشكر ما شكر الله من لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر ورفعه
بالابتداء وخبره لله واصله النصب وقد قرئ به وانما عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد
وثباته له دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التي تنصب بافعال مضمرة لا تكاد تستعمل
معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد ان الحمد ما هو او للاستغراق
اذ الحمد في الحقيقة كله له اذ ما من خير الا وهو موليه بوسط او غير وسط كما قال تعالى وما بكم من نعمة
فمن الله وفيه اشعار بانه تعالى حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شانه
باتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة
رب العالمين الرب في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم
وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك
نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا
كقوله تعالى ارجع الى ربك والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع
وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته
تدل على وجوده وانما جمعه ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء
والنون كسائر اوصافهم وقيل اسم وضع لذوي العلم من الملائكة عليهم السلام والثقلين
وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عني به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من
حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما ابدعه في
العالم ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وقرئ رب العالمين
بالنصب على المدح او النداء او بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه دليل على ان الممكنات كما هي
مفتقرة الى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة الى المبقي حال بقائها الرحمن الرحيم كرره للتعليل
على ما سنذكره مالك يوم الدين قراءة عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله تعالى
يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله وقرأ الباقون ملك وهو المختار لانه قراءة
اهل الحرمين ولقوله تعالى لمن الملك اليوم ولما فيه من التعظيم والمالك هو المتصرف في الاعيان
المملوكة كيف يشاء من الملك والملك هو المتصرف بالامر والنهي في المامورين من الملك
وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح او الحال ومالك
بالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدا محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب ويوم الدين
يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا اضاف
اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار ومعناه
ملك الامور يوم الدين على طريقة ونادى اصحاب الجنة او له الملك في هذا اليوم على وجه الاستمرار
لتكون الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة
والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة اما لتعظيمه او لتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه
واجراء هذه الاوصاف على الله تعالى من كونه ربا للعالمين موجدا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها

ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على انه
تعالى الحقيق بالحمد لا احد احق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف
يشعر بعليته له وللاشعار من طريق المفهوم على ان من لم يتصف بتلك الصفات لا يستاهل
لان يحمد فضلا عن ان يعبد ليكون دليلا على ما بعده فالوصف الاول لبيان ما هو الموجب
للحمد وهو الايجاد والتربية والثاني والثالث للدلالة على انه متفضل بذلك مختار فيه
ليس يصدر منه لايجاب بالذات او وجوب عليه قضية لسوابق الاعمال حتى يستحق
به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فانه مما لا يقبل الشركة فيه بوجه ما وتضمين الوعد للحامدين
والوعيد للمعرضين اياك نعبد واياك نستعين ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف
بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات تعلق العلم بمعلوم معين فخوطب بذلك
اي يا من هذا شانه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون ادل على الاختصاص وللترقي
من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود وكان المعلوم صار عيانا والمعقول
مشاهدا والغيبة حضورا بنى اول الكلام على ما هو مبادي حال العارف من الذكر والفكر والتامل
في اسمائه والنظر في آلائه والاستدلال بصنائعه على عظيم شانه وباهر سلطانه ثم قفى بما هو
منتهى امره وهو ان يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها
اللهم اجعلنا من الواصلين الى العين دون السامعين للاثر ومن عادة العرب التفنن في الكلام
والعدول من اسلوب الى آخر تطرية له وتنشيطا للسامع فيعدل من الخطاب الى الغيبة والغيبة
التكلم وبالعكس كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله تعالى والله الذي ارسل
الرياح فتثير سحابا فسقناه وقول امرئ القيس تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الارمد وذلك من نبا جاءني وخبرته عن ابي الاسود
وايا ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان
التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارايتك
وقال الخليل ايا مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين
فاياه وايا الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل هي الضمائر وايا عمدة فانها لما فصلت
عن العوامل تعذر النطق بها مفردة فضم اليها ايا لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ
اياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه
طريق معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة ولذلك لا يستعمل
الا في الخضوع لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهي اما ضرورية او غيرها والضرورية
ما لا يتأتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها
فيها وعند استجماعها يصح ان يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح ان يكلف بالفعل
وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي
او يقرب الفاعل الى الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف

والمراد طلب المعونة في المهمات كلها او في اداء العبادات والضمير المستكن في الفعلين
للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضري صلوة الجماعة اوله ولسائر الموحدين
ادرج عبادته في تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها
ولهذا شرعت الجماعة وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك
قال ابن عباس رضه معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود
والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات ومنه الى العبادة
لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة بينه
وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة جناب القدس
وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الا من حيث انها ملاحظة
له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ما حكى الله تعالى عن حبيبه حين قال لا تحزن ان الله
معنا على ما حكاه عن كليمه حيث قال ان معي ربي سيهدين وكرر الضمير للتنصيص
على انه المستعان به لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة ليوافق رؤس الاي ويعلم منه
ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واقول لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه
اوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين
ليدل على ان العبادة ايضا مما لا يتم ولا تستتب له الا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو
للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون
حروف المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم ما بعدها اهدنا الصراط المستقيم بيان للمعونة
المطلوبة فكانه قال كيف اعينكم فقالوا اهدنا او افراد لما هو المقصود الاعظم والهداية
دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم على التهكم ومنه الهدية
وهوادي الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى واصله ان يعدى باللام او الى فعومل معاملة
اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وهداية الله تعالى تتنوع انواعا لا يحصيها عد لكنها
تنحصر في اجناس مترتبة الاول افاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه
كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة
بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار حيث قال تعالى وهديناه النجدين
وقال تعالى فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال الرسل عليهم
السلام وانزال الكتب واياها عنى بقوله تعالى وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا وقوله
عز وجل ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم والرابع ان يكشف على قلوبهم السرائر
ويريهم الاشياء كما هي بالوحي او الالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله
الانبياء عليهم السلام والاولياء عليهم الرحمة واياه عنى بقوله تعالى اولئك الذين هدى
الله فبهداهم اقتده وقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب اما
زيادة ما منحوه من الهدى او الثبات عليه او حصول المراتب المرتبة عليه فاذا قال العارف

قاله العارف الواصل عنى به ارشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط
غواشي ابداننا لنستضيء بنور قدسك فنريك بنورك والامر والدعاء يتشاركان
لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من سرط الطعام
اذا ابتلعه فكانه يسرط السابلة ولذلك سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب
السين صادا ليطابق الطاء في الاطباق وقد يشم الصاد صوت الزاي ليكون اقرب
الى المبدل منه وقرا ابن كثير برواية قنبل ورويس عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام
والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت في الامام وجمعه سرط ككتب وهو
كالطريق في التذكير والتانيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وقيل ملة الاسلام
صراط الذين انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل من الكل وهو في حكم تكرير العامل من
حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين هو المشهود
عليه بالاستقامة على اكد وجه وابلغه لانه جعل كالتفسير والبيان له فكانه من البين الذي
لا خفاء فيه ان الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين وقيل الذين انعمت عليهم الانبياء
عليهم السلام وقيل اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط
من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان
فاطلقت لما يستلذه من النعمة وهي اللين ونعم الله تعالى وان كانت لا تحصى كما
قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تنحصر في جنسين دنيوي واخروي والاول
قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل
وما يتبعه من القوى كالفهم والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات
العارضة له من الصحة وكمال الاعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها
بالاخلاق السنية والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى
المستحسنة وحصول الجاه والمال والثاني ان يغفر ما فرط منه ويرضى عنه ويبوئه في اعلى عليين
مع الملائكة المقربين عليهم السلام ابد الابدين والمراد هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله
من القسم الآخر فان ما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر غير المغضوب عليهم ولا الضالين
بدل من الذين على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من
الغضب والضلال وذلك انما يصح باحد التاويلين اجراء الموصول مجرى النكرة اذا
لم يقصد به معهود كالمحلى باللام في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني وقولهم اني لامر على الرجل مثلك
فيكرمني او جعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى ما له ضد واحد وهو المنعم عليهم فيتعين
تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال من الضمير المجرور والعامل انعمت
او باضمار اعني او بالاستثناء ان فسر النعم بما يعم القبيلين والغضب ثوران النفس
ارادة الانتقام فاذا اسند الى الله تعالى اريد به المنتهى والغاية على ما مر وعليهم في محل
الرفع لانه نائب مناب الفاعل بخلاف الاول ولا مزيدة لتاكيد ما في غير من معنى النفي

فكأنه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب كما جاز انا زيدا
لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين والضلال العدول
عن الطريق السوي عمدا او خطأ وله عرض عريض والتفاوت ما بين ادناه واقصاه
كثير وقيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى فيهم من لعنه الله وغضب عليه والضالين
النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وقد روي مرفوعا ويتجه ان يقال المغضوب
عليهم العصاة والضالون الجاهلون بالله تعالى لان المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق
لذاته والخير للعمل به فكان المقابل له من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل
فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعلم جاهل ضال
لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد في الهرب
من التقاء الساكنين آمين اسم الفعل الذي هو استجب وعن ابن عباس رض سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه فقال افعل بني على الفتح كاين لالتقاء الساكنين
وجاء مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال امينا وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا وليس
من القران وفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله صلى الله عليه وسلم علمني جبرائيل عليه السلام
آمين عند فراغي من قراءة فاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي كرم الله
وجهه آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده ويقوله الامام ويجهر به في الجهرية لما روي
عن وائل ابن حجر رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قرئ ولا الضالين قال آمين
ورفع به صوته وعن ابي حنيفة رحمه الله انه لا يقوله والمشهور عنه انه يخفيه كما رواه عبد الله بن
مغفل وانس رض والماموم يؤمن معه لقوله عليه السلام اذا قال الامام ولا الضالين
فقولوا امين فان الملائكة عليهم السلام تقول امين فمن وافق تامينه تامين الملائكة
عليهم السلام غفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابي هريرة رض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لأبي الا اخبرك بسورة لم تنزل في التورية والانجيل والقران مثلها قلت بلى يا رسول
الله قال عليه السلام فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته وعن ابن
عباس رض عنهما قال بينا عند رسول الله عم اذ اتاه ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما
لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منهما الا اعطيته
وعن حذيفة اليمان رض ان النبي عليه السلام قال ان القوم ليبعث الله تعالى عليهم العذاب
حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى
فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية وآيتها مائتان وسبع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم وسائر الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها
الحروف التي يتركب منها الكلم لدخولها في حد الاسم واعتوار ما يختص به من التعريف والتنكير
والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل وابو علي وما روي ابن مسعود رض انه عليه السلام
قال من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف

بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه فان تخصيص الحرف
به عرف مجدد بل المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفا وحدانا وهي
مركبة صدرت بها لتكون تاديتها بالمسمى اول ما يقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان الالف
لتعذر الابتداء بها وهي ما لم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه
ومقتضيه لكنها قابلة اياه ومعرضة له اذ لم تناسب مبني الاصل ولذلك قيل ص وق مجموعا
فيهما بين ساكنين ولم تعامل معاملة اين وهؤلاء ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام
وبسائطه التي يتركب منها افتتحت السور بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقران وتنبيها على
ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله تعالى لما عجزوا عن
آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول ما يقرع الاسماع
مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فاما من الامي
الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد
راعى في ذلك ما يعجز عنه الادباء الاريب الفائق في فنه وهو انه اورد في هذه الفواتح اربعة
عشر اسما هي نصف اسامي حروف المعجم ان لم يعد الالف فيها حرفا براسها في تسع وعشرين
سورة بعددها اذا عد فيها الالف مشتملة على انصاف انواعها فذكر من المهموسة وهي
ما يضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها ستشحثك خصفه نصفها الحاء والهاء والصاد
والسين والكاف ومن البواقي المجهورة نصفها يجمعها لن يقطع امر ومن الشديدة الثمانية
المجموعة في اجدت طبقك اربعة يجمعها اقطك ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها حمس
على نصره ومن المطبقة التي هي الصاد والطاء والضاد والظاء نصفها ومن البواقي
المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهي حروف تضطرب عند خروجها ويجمعها قد طبج نصفها
الاقل لقلتها ومن اللينتين الياء لانها اقل ثقلا ومن المستعلية وهي التي يتصعد الصوت
بها في الحنك الاعلى وهي سبعة القاف والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء
نصفها الاقل ومن البواقي المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهي احد عشر على ما ذكره سيبويه
واختاره ابن جني ويجمعها اجد طويت منها الستة الشائعة المشهورة التي يجمعها اهطمين
وقد زاد بعضهم سبعة اخرى وهي اللام في اصيلال والصاد والزاء في صراط وزراط والفاء
في جدف والعين في اعن والثاء في ثروغ الدلو والباء في باسمك حتى صارت ثمانية عشر
وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة واللام والصاد والعين ومما يدغم في مثله ولا يدغم
في المقارب وهي خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء والميم والياء والخاء
والغين والضاد والفاء والظاء والشين والزاء والواو والالف نصفها الاقل ومما يدغم فيهما
وهي الثلثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف والكاف والراء والسين واللام
والنون لما في الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة التي لا تدغم فيما يقاربها ويدغم
فيها مقاربها وهي الميم والزاء والشين والفاء نصفها ولما كانت الحروف الذلقية التي

يعتمد عليها بزلق اللسان وهي ستة يجمعها رب منفل والحلقية التي هي الحاء والخاء والعين
والغين والهاء والهمزة والهاء كثيرة الوقوع في الكلام ذكر ثلثيهما ولما كانت ابنية المزيد
لا تتجاوز عن السباعية ذكر من الزوائد العشرة التي يجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها
تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة
بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدى به
مركب من كلماتهم التي اصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا الى الخمسة وذكر
ثلث مفردات في ثلث سور لانها توجد في الاقسام الثلثة الاسم والفعل والحرف واربع
ثنائيات لانها تكون في الحرف بلا حذف كبل وفي الفعل بحذف كقل وفي الاسم بغير حذف
كمن وبه كدم في تسع سور لوقوعها في كل واحد من الاقسام الثلثة على ثلثة اوجه ففي الاسماء
من واذ وذو وفي الافعال قل وبع وخف وفي الحرف ان ومن ومذ على لغة من جر بها وثلاث
ثلاثيات لمجيئها في الاقسام الثلثة في ثلث عشرة سورة تنبيها على ان اصول الابنية المستعملة
ثلثة عشر عشرة منها الاسماء وثلثة للافعال ورباعيتين وخماسيتين تنبيها على ان لكل منهما
اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم تعد باجمعها في اول
القران لهذه الفائدة مع ما فيه من اعادة التحدي وتكرير التنبيه والمبالغة فيه والمعنى ان هذا المتحدى
به مؤلف من جنس هذه الحروف او المؤلف منها كذا وقيل هي اسماء السور وعليه اطباق الاكثر
سميت بها اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا من الله تعالى لم تتساقط
مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليه بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب
بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ولم يكن القران باسره بيانا وهدى ولما امكن التحدي به
وان كانت مفهمة فاما ان يراد السور التي هي مستهلها على انها القابها او غير ذلك والثاني
باطل لانه اما ان يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب وظاهر انه ليس كذلك او غيره
وهو باطل لان القران نزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربي مبين فلا تحمل على ما ليس في
لغتهم لا يقال لم لا يجوز ان تكون مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع الكلام واستيناف
آخر كما قاله قطرب او اشارة الى كلمات هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر
في قوله قلت لها قفي فقالت لي قاف كما روي ابن عباس رض عنهما انه قال الالف آلاء الله
تعالى واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الر وحم ون مجموعها الرحمن وعنه ان الم معناه انا
الله اعلم ونحو ذلك في ساير الفواتح وعنه ان الالف من الله تعالى واللام من جبرئيل عم
والميم من محمد صلى الله عليه وسلم اي القران منزل من الله تعالى بلسان جبرئيل عم على محمد عليه
الصلوة والسلام او الى مدد اقوام واجال بحساب الجمل كما قال له ابو العالية متمسكا
بما روي انه عليه السلام لما اتاه اليهود تلى عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل في دين
مدته احدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا فهل غيره فقال صلى الله
عليه وسلم المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندري بايها نأخذ فان تلاوته اياها

اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن
عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب تلحقها بالمعربات كالمشكاة والسجيل
والقسطاس او دالة على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث انها بسائط
اسماء الله تعالى ومادة خطابه هذا وان القول بانها اسماء السور يخرجها الى ما ليس في لغة
العرب لان التسمية بثلثة اسماء فصاعدا مستنكرة عندهم ويؤدي الى اتحاد الاسم
والمسمى ويستدعي تأخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم متأخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول
هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستيناف يلزمها وغيرها
من حيث انها فواتح السور ولا يقتضي ذلك ان لا يكون لها معنى في حيزها ولم تستعمل للاختصار
من كلمات معينة في لغتهم اما الشعر فشاذ واما قول ابن عباس فتنبيه على ان هذه الحروف
منبع الاسماء ومبادي الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة الا ترى انه عد كل حرف من كلمات
متباينة لا تفسير وتخصيص بهذه المعاني دون غيرها اذ لا مخصص لفظا ومعنى ولا بحساب
الجمل فتلحق بالمعربات والحديث لا دليل فيه لجواز انه تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها
مقسما بها وان كان غير ممتنع لكنه يحوج الى اضمار الاشياء لا دليل عليها والتسمية بثلثة
اسماء انما تمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة بعلبك فاما اذا نثرت نثر
اسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة
من اسماء حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم من حيث
ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور والوجه الاول اقرب الى التحقيق واوفق للطائف
التنزيل واسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع واحد فانه يعود
بالنقض على ما هو مقصود العلمية وقيل انها اسماء القران لذلك اخبر عنها بالكتاب والقران
وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل عليه ان عليا رض كان يقول يا كهيعص يا حم عسق ولعله
اراد يا منزلهما وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان
وهو وسطها والميم من الشفة وهي اخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد ينبغي ان يكون اول
كلامه واوسطه واخره ذكر الله تعالى وقيل انه سر استأثره الله بعلمه وقد روي عن
الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ما يقرب منه ولعلهم
ارادوا انها اسرار بين الله تعالى ورسوله ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد
الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها اسماء الله تعالى او القران او السور كان لها حظ
من الاعراب اما الرفع على الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم على طريقة
الله تعالى لافعلن بالنصب او غيره كاذكر او الجر على اضمار حرف القسم ويتأتى الاعراب
لفظا والحكاية فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد كحم فانها كهابيل والحكاية ليست الا فيما
ذلك وسيعود اليك ذكره مفصلا ان شاء الله تعالى وان ابقيتها على معانيها فان
قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء او الخبر على ما مر وان جعلتها

مقسماً بها يكون كل كلمة منها منصوباً او مجروراً على اللغتين في الله لافعلن ويكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات او اصواتاً منزلة منزلة حروف التنبيه لم تكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتدأة والمفردات المعدودة ويوقف عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث لا يحتاج الى ما بعدها وليس شيء منها اية عند غير الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص وطه وطسم ويس وحم اية وحم عسق ايتان والبواقي ليست بايات وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه ذلك الكتاب ذلك اشارة الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة او القران فانه لما تكلم به وتقضى او وصل من المرسل الى المرسل اليه اشير اليه بما يشار الى البعيد وتذكيره متى اريد بالم السورة لتذكير الكتاب فانه صفته او خبره الذي هو هو او الى الكتاب فيكون صفته والمراد به الكتاب الموعود انزاله بقوله تعالى انا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً ونحوه او في الكتب المتقدمة وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة او فعال بني للمفعول كاللباس ثم اطلق على المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة لا ريب فيه معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحياً بالغاً حد الاعجاز لا ان احداً لا يرتاب فيه الا ترى الى قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الاية فانه ما ابعد الريب عنهم بل عرفهم الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي والريب في الاصل مصدر رابني الشيء اذا حصل فيك الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة ومنه ريب الزمان لنوائبه هدى للمتقين يهديهم الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالتقى والسرى ومعناه هو الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة في قوله تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي الا لمن اهتدى الى المطلوب واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به والمنتفعون بنصبه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم او كافر وبهذا الاعتبار قال هدى للناس او لانه لا ينتفع بالتامل فيه الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الايات والنظر في المعجزات وتعرف النبوات لانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعاً ما لم تكن الصحة حاصلة واليه اشار بقوله تعالى وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خساراً ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان يعين المراد منه والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الاخرة وله ثلث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف

المتعارف بالتقوى في الشرع وهو المعني بقوله تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته وقد فسر المتقون ههنا على اوجه الثلثة واعلم ان الاية تحتمل اوجهاً من الاعراب ان يكون الم مبتدأ على انه اسم القران او السورة او مقدر بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان اخص من المؤلف مطلقاً والاصل ان الاخص لا يحمل على الاعم لان المراد به المؤلف الكامل في تاليفه البالغ اقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف وذلك خبراً ثانياً او بدلاً والكتاب صفته ولا ريب في المشهورة مبني لتضمنه معنى من منصوب المحل على انه اسم لا النافية للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضتها ولازمة للاسماء لزومها وفي قراءة ابي الشعثاء مرفوع بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم في قوله تعالى لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص نفي الريب به من بين سائر الكتب كما قصد ثمة او صفته وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال او الخبر محذوف كما في لا ضير ولذلك وقف على لا ريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير لا ريب فيه فيه هدى وان يكون ذلك مبتدأ والكتاب خبره على معنى انه الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتاباً او صفته وما بعده خبره والجملة خبر الم والاولى ان يقال انها اربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل العاطف بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال ثم سجل على كماله بنفي الريب عنه ولا ريب فيه ثالثة تشهد على كماله اذ لا كمال اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له مبتدأ جملة رابعة تؤكد كونه حقاً لا يحوم الشك حوله او تستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول وبيانه انه لما نبه اولاً على اعجاز المتحدى من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لا يتشبث الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل واحدة منها نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود مع التعليل وفي الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة تاخير الظرف حذراً عن ايهام الباطل وفي الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكراً للتعظيم وتخصيص الهدى للمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقياً ايجازاً وتفخيماً لشانه الذين يؤمنون بالغيب اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية والتصوير على التصقيل او موضحة ان فسر بما يعم فعل الطاعة وترك المعصية لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب

عن المعاصي غالبا الا ترى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه السلام
الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام او مادحة مسبوقة للمدح بما تضمنه وتخصيص الايمان
بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهار لفضلها على سائر ما يدخل تحت اسم
التقوى او على انه مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني او هم الذين واما مفصول عنه مرفوع
بالابتداء وخبره اولئك على هدى فيكون الوقف على المتقين تاما والايمان في اللغة
عبارة عن التصديق مأخوذ من الامن كان المصدق آمن الصدق من التكذيب والمخالفة
وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا
امن ومنه ما امنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب واما في الشرع
فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث
والجزاء ومجموع ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة
والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فمنافق ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل ففاسق
وفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه
التصديق وحده انه سبحانه تعالى اضاف الايمان الى القلب فقال كتب في قلوبهم الايمان
وقلبه مطمئن بالايمان ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع
لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين امنوا كتب
عليكم القصاص في القتلى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغير فانه
اقرب الى الاصل وهو متعين الارادة في الآية اذ المعدى بالباء هو التصديق وفاقا ثم
اختلف في ان مجرد التصديق بالقلب هل هو كاف لانه المقصود او لا بد من اقتران
انضمام الاقرار به للمتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه تعالى ذم المعاند اكثر من ذم الجاهل
المقصر وللمانع ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار به والغيب مصدر وصف به للمبالغة
كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض والخمصة
التي تلي الكلية غيبا او فيعل خفف كقيل والمراد به الخفي الذي لا يدركه الحس ولا تقتضيه بديهة
العقل وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها
الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الآخر واحواله وهو المراد به في هذه
الآية هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع المفعول به وان جعلته حالا على تقدير
ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين
الذين اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم او عن
المؤمن به لما روي ان ابن مسعود قال والذي لا اله غيره ما امن احد افضل من ايمان
بغيب ثم قرأ هذه الآية وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كمن
يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة
وعلى الثالث للآلة ويقيمون الصلوة اي يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع

ان يقع زيغ في افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها مأخوذ من قامت السوق
اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة قال اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين
حولا قميطا فانه اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه واذا ضيعت كانت
كالكاسد المرغوب عنه او يتشمرون لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر
واقامه اذا جد فيه وتجلد وضده اقعد عن الامر وتقاعد او يؤدونها عبر عن ادائها
بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح والاول
اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى
حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة من الخشوع والاقبال بقلبه
على الله تعالى لا المصلون الذين هم عن صلوتهم ساهون ولذلك ذكر في سياق المدح
والمقيمي الصلوة وفي معرض الذم فويل للمصلين والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة
من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل
اصل صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار هذا اللفظ في
المعنى الثاني مع عدم اشتهاره في الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا
تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد ومما رزقناهم ينفقون الرزق في اللغة الحظ
قال الله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف خصصه بتخصيص الشيء بالحيوان
وتمكينه من الانتفاع به والمعتزلة لما استحالوا من الله ان يمكن من الحرام لانه منع من
الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام الا ترى انه تعالى اسند الرزق
ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال المطلق فان انفاق الحرام لا يوجب المدح
وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله تعالى قل ارايتم ما انزل الله لكم
من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق
والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له
بقوله عليه السلام في حديث عمرو بن قرة لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله
تعالى عليك من رزقه مكان ما احل الله تعالى لك من حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن
المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على
الله رزقها وانفق الشيء وانفده اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت كل ما فاؤه
نون وعينه فاء الا على معنى الذهاب والخروج والظاهر من هذا الانفاق صرف المال في
سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسر بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه
بها لاقترانه بما هو شقيقها وتقديم المفعول للاهتمام به والمحافظة على رؤوس الآي و
ادخال من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف والمنهي عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق
من جميع المعاون التي منحهم الله تعالى من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله صلى الله
عليه وسلم ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم

به من انوار المعرفة يفيضون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك
هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه معطوفون على الذين يؤمنون
بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين دخول اخصين تحت اعم اذ المراد باولئك الذين
امنوا عن شرك وانكار وبهؤلاء مقابلوهم فكانت الآيتان تفصيلا للمتقين وهو
قول ابن عباس او على المتقين فكانه قال هدى للمتقين عن الشرك والذين امنوا
من اهل الكتاب ويحتمل ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط العاطف كما وسط
في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث
الصابح فالغانم فالآيب على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان
بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وكرر
الموصول تنبيها على تغاير القبيلين وتباين السبيلين او طائفة منهم وهم مؤمنوا اهل
الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبرائيل وميكائيل عليهما السلام بعد الملائكة تعظيما
لشانهم وترغيبا لامثالهم والانزال نقل الشيء من اعلى الى اسفل وهو انما يلحق المعاني بتوسط
لحوقه الذوات الحاملة لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل بان يتلقفه الملك من الله
تعالى روحانيا او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به الى الرسل عليهم السلام فيلقنه على الرسول
والمراد بما انزل اليك القرآن باسره والشريعة عن آخرها وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان
بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد او تنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله تعالى
انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب كله منزلا
كله وبما انزل من قبلك التورية والانجيل وغيرهما من الكتب السابقة والايمان بهما جملة
فرض عين وبالاول دون الثاني تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن
على الكفاية لان وجوبه على كل احد يوجب الحرج وفساد المعاش وبالآخرة هم يوقنون اي يوقنون
ايقانا زال معه ما كانوا عليه من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان
النار لن تمسهم الا اياما معدودة واختلافهم في نعيم الجنة اهو من جنس نعيم الدنيا او غيره
وفي دوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض بمن عداهم
من اهل الكتاب وبان اعتقادهم في امر الآخرة غير مطابق ولا صادر عن ايقان
واليقين اتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه ولذلك لا يوصف به علم
الباري ولا العلوم الضرورية والآخرة تانيث الآخر صفة الدار بدليل قوله تعالى
تلك الدار الآخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة والقاء
حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها اجراء لها مجرى
المضمومة في وجوه ووقتت ونظيره لحب المؤقدان الي موسى وجعدة اذا
اضاءهما الوقود اولئك على هدى من ربهم الجملة في محل الرفع ان جعل احد الموصولين
مفصولا عن المتقين خبر له فكانه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك فاجيب

فاجيب بقوله الذين يؤمنون بالغيب الى آخر الآيات والا فاستيناف لا محل
لها وكانه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة او جواب سائل قال ما للموصوفين
بهذه الصفات اختصوا بالهدى ونظيره احسنت الى زيد صديقك القديم حقيق
بالاحسان فان اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة وهو ابلغ
من ان يستانف باعادة الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضى وتلخيصه فان ترتيب
الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب له ومعنى الاستعلاء في على هدى تمثيل تمكنهم من
الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه وقد صرحوا به في قولهم امتطى الجهل
والغوى واقتعد غارب الهوى وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة
النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس في العمل ونكر هدى للتعظيم فكانه
اريد به ضرب لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره ونظيره قول الهذلي فلا وابي الطير المربة بالضحى
على خالد لقد وقعت على لحم واكد تعظيمه بان الله تعالى مانحه والموفق له وقد ادغمت النون
في الراء بغنة وبغير غنة واولئك هم المفلحون كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على ان اتصافهم بتلك
الصفات يقتضي كل واحدة من الاثرتين وان كلا منهما كاف في تميزهم بها عن غيرهم
ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله تعالى اولئك كالانعام
بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهائم شيء واحد فكانت
الجملة الثانية مقررة للاولى فلا يناسب العطف وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد
النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك والمفلح
بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر وهذا التركيب وما شاركه
في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح وتعريف المفلحين للدلالة على ان
المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الآخرة او الاشارة الى ما يعرفه كل احد
من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم تنبيه تامل كيف نبه سبحانه على اختصاص المتقين بنيل
ما لا يناله احد من وجوه شتى بناء الكلام على اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره
وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لاظهار قدرهم والترغيب في اقتفاء اثرهم وقد تشبثت
به الوعيدية في خلود الفساق من اهل القبلة ورد بان المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح
ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح له راسا ان الذين كفروا
لما ذكر خاصة عباده وخالصة اوليائه بصفاتهم التي اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم
باضدادهم العتاة المردة الذين لا ينفعهم الهدى ولا يغني عنهم الآيات والنذر
ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف في قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان
الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض فان الاولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شانه
والاخرى مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم في الضلال وان من الحروف التي شابهت
الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء واعطاء معانيه والمتعدي

خاصة في دخولها على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الاول ورفع الثاني
ايذانا بانه فرع في العمل دخيل فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي بعد باقية
مقتضية للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء الخبرية الرفع مشروط
بالتجرد لتخلفه عنها في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف وفائدتها تاكيد النسبة
وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم وتصدر بها الاجوبة وتذكر في معرض الشك مثل ويسئلونك
عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض وقال موسى يا فرعون اني
رسول رب العالمين قال المبرد قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله
قائم جواب سائل عن قيامه وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول
اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واحبار اليهود
او للجنس متناولا من صمم على الكفر وغيرهم فخص عنهم غير المصرين بما اسند اليه والكفر لغة ستر
النعمة واصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر ولكمام الثمرة كافور وفي الشرع
انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما كفرا لانها تدل
على التكذيب فان من صدق الرسول لا يجترئ عليه ظاهرا لا انها كفر في انفسها واحتجت
المعتزلة بما جاء في القران بلفظ المضي على حدوثه لاستدعائه سابقة مخبر عنه واجيب بانه
مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث الكلام كما في العلم سواء عليهم ءانذرتهم ام
لم تنذرهم خبر ان وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال تعالى تعالوا
الى كلمة سواء بيننا وبينكم رفع بانه خبر ان وما بعده مرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين
كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه او بانه خبر لما بعده بمعنى انذارك وعدمه سيان
عليهم والفعل انما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمام ما وضع له اما لو اطلق واريد به اللفظ
او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه
كقوله تعالى واذا قيل لهم امنوا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير من
ان تراه وانما عدل ههنا عن المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام
عليه لتقرير معنى الاستواء وتاكيده فانهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت
حرف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة والانذار
التخويف اريد به التخويف من عذاب الله تعالى وانما اقتصر عليه دون البشارة لانه اوقع
في القلب واشد تاثيرا في النفس من حيث ان دفع الضرر اهم من جلب النفع فاذا لم ينفع
فيهم كانت البشارة بعدم النفع اولى وقرئ ءانذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية
بين بين وقلبها الفا وهو لحن لان المتحركة لا تقلب الفا ولانه يؤدي الى جمع الساكنين
على غير حده وبتوسيط الف بينهما محققتين وبتوسيطها بين بين وبحذف الاستفهامية
وبحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها لا يؤمنون جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه
الاستواء فلا محل لها من الاعراب او حال مؤكدة او بدل عنه او خبر ان والجملة قبلها اعتراض

اعتراض بما هو علة الحكم والاية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه وتعالى
اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون وامرهم بالايمان فلو امنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان
بانهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث
ان الاحكام لا تستدعي غرضا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع
الشيء او عدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره و
وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول عليه الصلوة والسلام
فضل الابلاغ ولذلك قال سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام
سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الاية اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد
بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم
غشاوة تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء
بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ اخره نظرا الى انه اخر فعل يفعل في احرازه والغشاوة
فعالة من غشاه اذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية
على الحقيقة وانما المراد بهما ان يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي
واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر
الصحيح فيجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كانها
مستوثق منها بالختم وابصارهم لا تجتلي لها الايات المنصوبة في الانفس والافاق كما
تجتليها اعين المستبصرين فتصير كانها غطي عليها وحيل بينها وبين الابصار
وسماها على الاستعارة ختما وتغشية او مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بها
باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية وقد عبر عن
احداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم
وسمعهم وابصارهم وبالاغفال في قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا
وبالاقساء في قوله تعالى وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث ان الممكنات باسرها
مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة مما
اقترفوه بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله تعالى ذلك بانهم امنوا ثم
كفروا فطبع على قلوبهم وردت الاية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم
واضطربت المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التاويل الاول ان القوم لما اعرضوا عن
الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول
عليه الثاني ان المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية
عن الفطن او قلوب مقدر ختم الله عليها ونظيره سال به الوادي اذا هلك وطارت
به العنقاء اذا طالت غيبته الثالث ان ذلك في الحقيقة فعل الشيطان او الكافر
لكن لما كان صدوره عنه باقداره تعالى اياه اسند اليه اسناد الفعل الى المسبب

الرابع ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم
سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم فانه سد
لايمانهم وفيه اشعار على تمادي امرهم في الغي وتناهي انهماكهم في الضلال والبغي الخامس
ان يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا
وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء بهم كقوله تعالى لم يكن الذين
كفروا الآية السادس ان ذلك في الآخرة وانما اخبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن
وقوعه ويشهد له قوله تعالى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما السابع
ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى هذا
المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف الى الله تعالى من طبع واضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف
على قلوبهم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة وللوفاق على الوقف
عليه ولانهما لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم
الذي يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن
فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون ادل على شدة الختم في الموضعين
واستقلال كل منهما بالحكم ووحد السمع للامن عن اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر في اصله
والمصادر لا تجمع او على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع بصر وهو
ادراك العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد
بهما في الآية العضو لانه اشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم
وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان قلب
وانما جاز امالتها مع الصاد لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيه من التكرير
وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه وبالجار والمجرور عند الاخفش ويؤيده العطف
على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير وجعل على ابصارهم غشاوة او على حذف
الجار وايصال الختم بنفسه اليه والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع
والفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة
وعشاوة بالعين الغير المعجمة ولهم عذاب عظيم وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال
بناء ومعنى تقول اعذب عن الشيء ونكل عنه اذا امسك ومنه الماء العذب لانه يقمع
العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا وفراتا ثم اتسع فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن
نكالا اي عقابا يردع الجاني عن المعاودة فهو اعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي
هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير وكما
ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به انه اذا قيس بسائر ما
يجانسه قصر عنه جميعه وحقر بالاضافة اليه ومعنى التنكير في الآية على ابصارهم نوع
غشاوة ليس مما يتعارفه الناس وهو التعامي عن الآيات ولهم من الآلام العظام

العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر
لما افتتح سبحانه وتعالى بشرح حال الكتاب وساق لبيانه ذكر المؤمنين الذين اخلصوا
دينهم لله تعالى وواطأت فيه قلوبهم السنتهم وثنى باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا
وباطنا ولم يلتفتوا لفتة راسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين
وهم الذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة وابغضهم
الى الله تعالى لانهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طول في بيان
خبثهم وجهلهم واستهزائهم وتهكم بافعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الامثال
وانزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقصتهم عن آخرها معطوفة على
قصة المصرين والناس اصله اناس لقولهم انسان وانس واناسي فحذفت الهمزة
حذفها في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وقوله ان المنايا
يطلعن على الاناس الآمنينا شاذ وهو اسم جمع كرجال اذ لم يثبت فعال في ابنية الجمع
مأخوذ من انس لانهم يستأنسون بامثالهم او آنس لانهم ظاهرون مبصرون ولذلك
سموا بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة اذ لا عهد
فكأنه قال ومن الناس ناس يقولون وقيل للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن
موصولة يراد بها ابن ابي واصحابه ونظراؤه فانهم من حيث انهم صمموا على النفاق دخلوا
في عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادات زادوها على الكفر لا يأبى دخولهم تحت
هذا الجنس فان الاجناس انما تتنوع بزيادات يختلف فيها ابعاضها فعلى هذا تكون
الآية تقسيما للقسم الثاني واختصاص الايمان بالله تعالى واليوم الآخر بالذكر تخصيص لما هو
المقصود الاعظم من الايمان وادعاء بانهم اختاروا من جانبيه واحاطوا بقطريه وايذان
بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف فيما يقصدون به كانوا يهودا
النفاق لان القوم وكانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم في
التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة
وغيرها ويرون المؤمنين انهم آمنوا مثل ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم في
كفرهم لان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن
ايمانا كيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي تكرير الباء ادعاء الايمان بكل
واحد على الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول
وللمعنى المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ وللرأي والمذهب مجازا والمراد باليوم
الآخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهي او الى ان يدخل اهل الجنة واهل النار لانه آخر الاوقات
المحدودة وما هم بمؤمنين انكار لما ادعوه ونفي لما انتحلوا اثباته وكان اصله وما
آمنوا ليطابق قولهم في التصريح بشأن الفعل دون الفاعل لكنه عكس تأكيدا ومبالغة
في التكذيب لان اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين ابلغ من نفي الايمان عنهم في ماضي

الزمان ولذلك أكد النفي بالباء واطلق الايمان على معنى انهم ليسوا من الايمان
في شيء ويحتمل ان يقيد بما قيدوا به لانه جوابه والآية تدل على ان من ادعى الايمان وخالف
قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب
عما يوافقه او ينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف مع الكرامية في الثاني فلا تنتهض
حجة عليهم يخادعون الله والذين آمنوا الخدع ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه
من المكروه لتنزله عما هو فيه بصدده من قولهم خدع الضب اذا توارى في جحره وضب
خادع وخدع اذا اوهم الحارش اقباله ثم خرج من باب آخر واصله الاخفاء ومنه
المخدع للخزانة والاخدعان لعرقين خفيين في العنق والمخادعة تكون بين الاثنين
وخداعهم مع الله تعالى ليس على ظاهره لانه لا يخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته
بل المراد مخادعة رسول الله عليه السلام على حذف المضاف او على ان معاملة الرسول
عليه السلام معاملة الله تعالى من حيث انه خليفته كما قال الله تعالى من يطع الرسول
فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واما ان صورة صنيعهم مع الله
تعالى من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنع الله تعالى معهم باجراء احكام المسلمين
عليهم وهم عنده اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال
الرسول والمؤمنين امر الله تعالى في اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل
صنيعهم صورة صنيع المتخادعين ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون لانه بيان ليقولوا
او استئناف بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج في زنة فاعل للمبالغة فان الزنة لما كانت
للمغالبة والفعل متى غولب فيه كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابلة معارض ومبار استصحبت
ذلك ويعضده قراءة من قرأ يخدعون وكان غرضهم في ذلك ان يدفعوا عن انفسهم
ما يطرق به من سواهم من الكفرة وان يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين من الاكرام والاعطاء
وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على اسرارهم ويذيعوها الى منابذيهم الى غير ذلك من الاغراض
والمقاصد وما يخادعون الا انفسهم قراءة نافع وابن كثير وابو عمرو والمعنى ان دائرة الخداع
راجعة اليهم وضررها يحيق بهم او انهم في ذلك خدعوا انفسهم لما غروها بذلك وخدعتهم
انفسهم حيث حدثتهم بالاماني الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه خافية
وقرأ الباقون وما يخدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم
بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحي به وللقلب
لانه محل الروح او متعلقه وللدم لان قوامها به وللماء لفرط حاجتها اليه وللرأي في قولهم
فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث عنها او يشبه ذاتا تأمره وتشير عليه والمراد بالانفس ههنا
ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم وآرائهم وما يشعرون لا يحسون بذلك لتمادي غفلتهم
جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى الا على مؤوف الحواس
والشعور الاحساس ومشاعر الانسان حواسه واصله الشعر ومنه الشعار في قلوبهم مرض

مرض فزادهم الله مرضا المرض حقيقة فيما يعرض البدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص
به ويوجب الخلل في افعاله ومجاز في الاعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء
العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي لانها مانعة عن نيل الفضائل او مؤدية الى
زوال الحيوة الحقيقية الابدية والآية تحتملهما فان قلوبهم كانت متألمة تحرقا على ما فات
عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات امر الرسول عليه السلام واستعلاء شأنه يوما
فيوما وزاد الله تعالى غمهم بما زاد في اعلاء امره واشادة ذكره ونفوسهم كانت مؤوفة بالكفر وسوء
الاعتقاد ومعاداة النبي عليه السلام ونحوها فزاد الله تعالى ذلك بالطبع او بازدياد التكاليف
وتكرير الوحي وتضاعف النصر وكان اسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انه مسبب
من فعله واسنادها الى السورة في قوله تعالى فزادتهم رجسا لكونها سببا ويحتمل ان يراد
بالمرض ما تداخل قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله تعالى
لهم بالملائكة عليهم السلام وقذف الرعب في قلوبهم وبزيادته تضعيفه بما زاد الرسول عم
نصرة على الاعداء وتبسطا في البلاد ولهم عذاب اليم اي مؤلم يقال الم فهو اليم كوجع فهو
وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة قولهم جد جده
بما كانوا يكذبون قرأ عاصم وحمزة والكسائي والمعنى بسبب كذبهم او ببدله جزاء لهم وهو قولهم
آمنا وقرأ الباقون يكذبون من كذبه لانهم كانوا يكذبون الرسول بقلوبهم واذا خلوا
الى شياطينهم او من كذب الذي هو للمبالغة او التكثير مثل بين الشيء وموتت البهائم
او من كذب الوحشي اذا جرى شوطا ووقف ينظر ما وراءه فان المنافق متحير متردد والكذب
هو الخبر عن الشيء على خلاف ما هو به وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب حيث
رتب عليه وما روي ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلث كذبات فالمراد التعريض ولكن
لما شابه الكذب في صورته سمي به واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض عطف على يكذبون
او يقول وما روي عن سلمان رض عنه ان اهل هذه الآية لم يأتوا بعد فلعله اراد به ان اهله
ليس الذين كانوا فقط بل وسيكون من بعد حاله حالهم لان الآية متصلة بما قبلها
بالضمير الذي فيها والفساد خروج الشيء عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل
ضار ونافع وكان من فسادهم في الارض هيج الحروب والفتن بمخادعة المسلمين وممالاة
الكفار عليهم بافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يؤدي الى فساد ما في الارض من الناس
والدواب والحرث ومنه اظهار المعاصي والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرائع
والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقائل هو الله تعالى والرسول
او بعض المؤمنين قالوا انما نحن مصلحون جواب لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة
والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شأننا ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة عن
شوائب الفساد لان انما يفيد قصر ما دخله على ما بعده مثل انما زيد منطلق وانما ينطلق زيد
وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض كما قال

تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون رد لما ادعوه
ابلغ رد للاستيناف به وتصديره بحرفي التاكيد الا المنبهة على تحقيق ما بعدها فان همزة
الاستفهام التي للانكار اذا دخلت على النفي افادت تحقيقا ونظيره اليس ذلك بقادر و
لذلك لا يكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى به القسم واختها اما التي هي من طلايع
القسم وان المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لرد ما في قولهم انما نحن مصلحون
من التعريض للمؤمنين والاستدراك بلا يشعرون واذا قيل لهم آمنوا من تمام النصح
والارشاد فان كمال الايمان بمجموع امرين الاعراض عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله لا تفسدوا
في الارض والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله امنوا كما آمن الناس في حيز النصب
على المصدر وما مصدرية او كافة مثلها في ربما واللام في الناس للجنس والمراد به الكاملون
في الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يجمع
المعاني المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان
ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم ونحوه وقد جمعهما الشاعر في قوله اذ الناس ناس والزمان
زمان او للعهد والمراد به الرسول عليه السلام ومن معه او من آمن من اهل جلدتهم كابن سلام
واصحابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم واستدل
به على قبول توبة الزنديق وان الاقرار باللسان ايمان والا لم يفد التقييد قالوا انؤمن كما
آمن السفهاء الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس او الجنس باسره وهم مندرجون
فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد رأيهم او لتحقير شأنهم فان اكثر المؤمنين كانوا
فقراء ومنهم موالي كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم ان فسر الناس
بعبد الله بن سلام واشياعه والسفه خفة وسخافة رأي يقتضيهما نقصان العقل والحلم
يقابله الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون رد ومبالغة في تجهيلهم فان الجاهل بجهله الجازم
على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما
يعذر وتنفعه الآيات والنذر وانما فصلت الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون
لانه اكثر طباقا لذكر السفه ولان الوقوف على امر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر
الى نظر وتفكر واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك بادنى تفطن وتامل
فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا بيان لمعاملتهم
مع المؤمنين والكفار وما صدرت به القصة مسوقة لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس
بتكرير روي ان ابن ابي واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف
ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر رض وقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم
وشيخ الاسلام وثاني رسول الله عليه السلام في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله
ع م ثم اخذ بيد عمر رض فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه
وماله لرسول الله عليه السلام ثم اخذ بيد علي رض كرم الله وجهه فقال مرحبا بابن عم رسول

رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله عليه السلام فنزلت واللقاء المصادفة
يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه القيته اذا طرحته فانك بطرحه جعلته
بحيث يلقى واذا خلوا الى شياطينهم من خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه او
من خلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية او من خلوت به اذا
سخرت منه وعدي بالى لتضمين معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين
في تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين
والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه
بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة على انه من شاط اذا بطل
ومن اسمائه الباطل قالوا انا معكم اي في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية
والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان
وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة
فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الايمان على المؤمنين من المهاجرين
والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفار انما نحن مستهزؤن تاكيد لما قبله لان المستهزئ
بالشيء المستخف به مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف
فكان الشياطين قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما لكم توافقون المؤمنين
وتدعون الايمان فاجابوا بذلك والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزأت واستهزأت
بمعنى كاجبت واستجبت واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات
على مكانه وناقته تهزأ به اي تسرع وتخف الله يستهزئ بهم يجازيهم على استهزائهم
سمي جزاء الاستهزاء باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما لمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه
مماثلا له في القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم
الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ
اما في الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة
على التمادي في الطغيان واما في الآخرة فبان يفتح لهم وهم في النار بابا الى الجنة فيسرعون
نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا
من الكفار يضحكون وانما استؤنف به ولم يعطف ليدل على ان الله تعالى تولى مجازاتهم
ولم يحوج المؤمنين ان يعارضوهم وان استهزاءهم لا يؤبه به في مقابلة ما يفعل الله بهم
ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم ايماء بان الاستهزاء يحدث حالا فحالا
ويتجدد حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات الله تعالى فيهم كما قال تعالى اولا يرون
انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ويمدهم في طغيانهم يعمهون من مد الجيش وامده
اذا زاده وقواه ومنه مددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد
لا من المد في العمر فانه يعدى باللام كاملي لهم ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة

لما تعذر عليهم اجراء الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم الله تعالى الطافه التي يمنحها المؤمنين
وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسد طرق التوفيق على انفسهم فترايدت بسببه قلوبهم رينا
وظلمة تزايد قلوب المؤمنين انشراحا ونورا او مكن الشياطين اليهم لئلا يتوهم ان اسناد
الفعل اليه على الحقيقة ومصداق ذلك انه لما اسند المد الى الشياطين اطلق الغي وقال
تعالى واخوانهم يمدونهم في الغي او كان اصله يمد لهم بمعنى يملي لهم ويمدهم في اعمارهم كي يتنبهوا
ويطيعوا فما زادوا الا طغيانا وعمها فحذفت اللام وعدي الفعل بنفسه كما في قوله تعالى
واختار موسى قومه او التقدير يمدهم استصلاحا وهم مع ذلك يعمهون في طغيانهم والطغيان
بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد في العتو والغلو في الكفر واصله تجاوز الشيء عن مكانه
قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير في الامر يقال رجل
عامه وعمه وارض عمهاء لا منار بها قال اعمى الهدى بالجاهلين العمه اولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى اختاروها عليه واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من
الاعيان فان كان احد العوضين ناضا تعين من حيث انه لا يطلب لعينه ان يكون
ثمنا وبذله اشتراء والا فاي العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر واخذه
بايع ولذلك عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما في يده محصلا به
غيره سواء كان من المعاني او الاعيان ومنه اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا
الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا ثم اتسع فيه
فاستعمل للرغبة عن الشيء طمعا في غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذي جعل الله تعالى لهم بالفطرة
التي فطر الناس عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا اليها او اختاروا الضلالة واستحبوها
على الهدى فما ربحت تجارتهم ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم اتبعه ما يشاكله
تمثيلا لخسارتهم ونحوه ولما رأيت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري
والتجارة طلب الربح بالبيع والشرى والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمي شفا
واسناده الى التجارة ولاربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل او لمشابهتها اياه من حيث
انها سبب الربح والخسران وما كانوا مهتدين لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة
رأس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين لان رأس مالهم كان الفطرة السليمة
والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق
لهم رأس مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين عن
الربح فاقدين للاصل مثلهم كمثل الذي استوقد نارا لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب
المثل زيادة في التوضيح والتقرير فانه اوقع في القلب واقمع للخصم الالد لانه يريك المتخيل
محققا والمعقول محسوسا ولامر ما اكثر الله تعالى في كتبه الامثال وفشت في كلام الانبياء
عليهم السلام والحكماء والمثل في الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه
ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا ما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه

من التغيير ثم استعير لكل حال او قصة او صفة لها شأن وفيها غرابة مثل قوله تعالى
مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله تعالى ولله المثل الاعلى والمعنى حالهم العجيبة الشأن كحال
من استوقد نارا والذي بمعنى الذين كما في قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا ان جعل
مرجع الضمير في بنورهم وانما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم موضع القائمين لانه غير مقصود
بالوصف بل الجملة التي هي صلته وهو وصلة الى وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم تام
بل هو كالجزء منه فحقه ان لا يجمع كما لا تجمع اخواتها ويستوي فيه الواحد والجمع وليس الذين
جمعه المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة
التي عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذفت ياؤه
ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين او قصد به جنس المستوقدين
او الفوج الذي استوقد والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار
وارتفاع لهبها واشتقاق النار من نار ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا
فلما اضاءت ما حوله اي النار ما حول المستوقد ان جعلتها متعدية والا امكن ان
تكون مسندة الى ما والتأنيث لان ما حوله اشياء واماكن او الى ضمير النار وما موصولة
نصب على الظرف او مزيدة وحوله ظرف وتأليف الحول للدوران وقيل للعام حول
لانه يدور ذهب الله بنورهم جواب لما والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا
انما قال بنورهم ولم يقل بنارهم لانه المراد من ايقادها او استئناف اجيب به
اعتراض سائل يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفت ناره او بدل من جملة
التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في
قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز وامن الالتباس واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان
الكل بفعله او لان الاطفاء حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح او مطر او للمبالغة ولذلك
عدى الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب
السلطان بماله اذا اخذه فيكون المعنى اخذ الله نورهم ~~ولملكه~~ اخذه وامسكه وما اخذ
فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ الى النور فانه لو قيل ذهب الله
بضوئهم احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم
راسا الا ترى كيف قرر ذلك واكده بقوله تعالى وتركهم في ظلمات لا يبصرون
فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بانها ظلمة خالصة
لا يتراءى فيها شبحان وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى
صير فجرى مجرى افعال القلوب كقوله تعالى وتركهم في ظلمات وقول الشاعر فتركته جزر
السباع ينشنه والظلمة ماخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد
البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيمة يوم ترى المؤمنين
والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم او ظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة

العقاب السرمد او ظلمة شديدة كأنها ظلمات متراكمة ومفعول لا يبصرون من قبيل
المطروح المتروك وكان الفعل غير متعد والآية مثل ضربه الله لمن آتاه ضربا من الهدى
فاضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فبقي متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الآية الاولى
ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فانهم اضاعوا ما نطقت به السنتهم من الحق باستبطان
الكفر واظهاره حين خلوا الى شياطينهم ومن آثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة
او ارتد عن دينه بعد ما آمن ومن صح له احوال الارادة فادعى احوال المحبة فاذهب الله
عنه ما اشرق عليه من انوار الارادة او مثل لايمانهم من حيث انه يعود عليهم بحقن الدماء
وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين في المغانم والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة
ولذهاب اثره وانطماس نوره باهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء الله تعالى اياها واذهاب
نورها صم بكم عمي لما سدوا مسامعهم عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم
ويتبصروا الآيات بابصارهم جعلوا كأنما ايفت مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله صم
اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا اصم عن الشيء الذي لا اريده
واسمع خلق الله حين اريد واطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة اذ من شرطها
ان يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول
زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثمة ترى المفلقين السحرة
يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما قال ابو تمام الطائي ويصعد حتى يظن الجهول بان
له حاجة في السماء وههنا وان طوي ذكره بحذف المبتدأ لكنه في حكم المنطوق به ونظيره
اسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر هذا اذا جعلت الضمير
للمنافقين على ان الآية فذلكة التمثيل ونتيجته وان جعلته للمستوقدين فهي على حقيقتها
والمعنى انهم لما اوقدوا نارا فذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات هائلة ادهشتهم
بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم وثلثتها قرئت بالنصب على الحال من
مفعول تركهم والصمم اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر اصم وقناة صماء وصمام
القارورة سمي به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف
فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شأنه
ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة فهم لا يرجعون لا يعودون الى الهدى الذي باعوه
وضيعوه او عن الضلالة التي اشتروها او فهم متحيرون لا يدرون ايتقدمون ام يتأخرون
والى حيث ابتدأوا منه كيف يرجعون والفاء للدلالة على ان اتصافهم بالاحكام السابقة
سبب لتحيرهم واحتباسهم او كصيب من السماء عطف على الذي استوقد اي كمثل ذوي صيب
لقوله تعالى يجعلون اصابعهم واو في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فاطلق
للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما او
كفورا فانها تفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله

او كصيب ومعناه ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سواء في
صحة التشبيه بهما وانت مخير في التمثيل بهما او بايهما شئت والصيب فيعل من الصوب
وهو النزول يقال للمطر والسحاب قال الشماخ واسحم دان صادق الرعد صيب وفي
الآية يحتملهما وتنكيره لانه اريد به نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام
مطبق اي آخذ بآفاق السماء كلها فان كل افق منها يسمى سماء كما ان كل طبقة منها سماء
قال ومن بعد ارض بيننا وسماء امد به ما في صيب من المبالغة من جهة الاصل ومن البناء
ومن التنكير وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهية فيه ظلمات ورعد
وبرق ان اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة
الليل وجعله مكانا للرعد والبرق لانهما في اعلاه ومنحدره ملتبسين به وان اريد به السحاب
فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا لانه معتمد على موصوف
والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور ان سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها
اذا حدتها الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا وكلاهما مصدر
في الاصل ولذلك لم يجمعا يجعلون اصابعهم في آذانهم الضمير لاصحاب الصيب وهو
وان حذف لفظه واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز ان يعول عليه كما عول
في قول حسان يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر
الضمير لان المعنى ماء بردى والجملة استئناف فكأنه لما ذكر ما يؤذن بالشدة والهول
قيل فكيف حالهم مع ذلك فاجيب بها وانما اطلق الاصابع موضع الانامل للمبالغة
من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجلها يجعلون كقولهم سقاه من العيمة و
والصاعقة قصفة رعد هائل معها نار لا تمر بشيء الا اتت عليه من الصعق وهو شدة
الصوت وقد يطلق على كل هائل مسموع او مشاهد ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته
بالاحراق او شدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو ليس بقلب من الصواعق لاستواء
كلا البنائين في التصرف فيقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاعقة وهي
في الاصل اما صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدر كالعافية
والكاذبة حذر الموت نصب على العلة كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره والموت
زوال الحياة وقيل عرض يضادها لقوله تعالى خلق الموت والحياة ورد بان الخلق
بمعنى التقدير والاعدام مقدرة والله محيط بالكافرين لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط
به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية لا محل لها يكاد البرق يخطف ابصارهم
استئناف ثان كأنه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك الصواعق وكاد من افعال
المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لفقد شرطه او
لوجود او لعروض مانع وعسى موضوعة لرجائه فهي خبر محض ولذلك جاءت متصرفة
بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه ان يكون فعلا مضارعا تنبيها على انه المقصود بالقرب

لس غير ان لتوكيد القرب بالدلالة على الحال وقد تدخل عليه حملا لها على عسى كما تحمل عسى عليها
بالحذف عن خبرها لمشاركتهما في اصل معنى المقاربة والخطف الاخذ بسرعة وقرئ يخطف
بكسر الطاء ويخطف على انه يختطف فنقلت فتحة التاء الى الخاء ثم ادغمت في الطاء ويخطف
بكسر الطاء لالتقاء الساكنين واتباع الياء لها ويتخطف كلما اضاء لهم مشوا فيه
واذا اظلم عليهم قاموا استيناف ثالث كانه قيل ما يفعلون في تارتي خفوق البرق
وخفيته فاجيب بذلك واضاء اما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى اخذوه
او لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وكذلك اظلم فانه جاء متعديا منقولا من ظلم
الليل ويشهد له قراءة اظلم على البناء للمفعول وقول ابي تمام يصف نفسه هما اظلما
حالي ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب فانه وان كان من المحدثين لكنه
من علماء العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه وانما قال مع الاضاءة
كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشي فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك
التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء اذا جمد ولو
شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم اي ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم بقصيف
الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد
تكاثر حذفه في شاء واراد حتى لا يكاد يذكر الا في الشيء المستغرب كقوله فلو شئت ان
ابكي دما لبكيته ولو من حروف الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثاني
ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء لازمه وقرئ لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وفائدة هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم
مع قيام ما يقتضيه والتنبيه على ان تاثير الاسباب في مسبباتها مشروط بمشية الله تعالى
وان وجودها مرتبط باسبابها واقع بقدرته وقوله ان الله على كل شيء قدير كالتصريح
به والتقرير له والشيء يختص بالموجود لانه في الاصل مصدر شاء اطلق بمعنى شاء تارة
وح يتناول الباري تعالى كما قال قل اي شيء اكبر شهادة قل الله وبمعنى مشيء اخرى اي مشيء
وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير
الله خالق كل شيء فهما على عمومهما مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشيء ما يصح ان يوجد وهو يعم
الواجب والممكن او ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين
بدليل العقل والقدرة هو التمكن من ايجاد الشيء وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة الانسان
هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي ان شاء
فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء ولذلك قلما يوصف
به غير الباري تعالى واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار
قوته او على مقدار ما تقتضيه مشيته وفيه دليل على ان الحادث حال حدوثه والممكن
حال بقائه مقدوران وان مقدور العبد مقدور الله تعالى لانه شيء وكل شيء مقدور

مقدور والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو ان تشبه كيفية منتزعة
من مجموع تضامت اجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله
تعالى مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها الآية فانه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم
من التورية بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من
الحيرة والشدة بما يكابد من انطفت ناره بعد ايقادها في ظلمة او بحال من اخذته
السماء في ليلة مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما
من قبيل التمثيل المفرد وهو ان تاخذ اشياء فرادى فتشبهها بامثالها كقوله تعالى وما
يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقول امرء القيس
كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي بان تشبه في
الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار وما
انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغير ذلك باضاءة النار ما
حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم وافشاء حالهم وابقائهم في
الخسار الدائم والعذاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفي الثاني انفسهم
باصحاب الصيب وايمانهم المخالط بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث
انه وان كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضررا ونفاقهم حذرا عن
نكايات المؤمنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع في الآذان من
الصواعق حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله تعالى شيئا ولا يخلص مما يريد بهم
من المضار وتحيرهم لشدة الامر وجهلهم بما ياتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق
خفقة انتهزوها فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم فخطوا خطى يسيرة ثم اذا خفي
وفتر لمعانه بقوا متقيدين لا حراك لهم وقيل شبه الايمان والقرآن وسائر ما اوتي الانسان
من المعارف التي هي سبب الحيوة الابدية بالصيب الذي به حيوة الارض وما ارتبكت
بها من الشبه المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات المشكلة بالظلمات وما فيها من
الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الآيات الباهرة بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد
بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد اذنه عنها مع انه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله
والله محيط بالكافرين واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد تطمح اليه ابصارهم
بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم في الامر حين تعرض لهم شبهة
او تعن لهم مصيبة بتوقفهم اذا اظلم عليهم ونبه بقوله تعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم
وابصارهم على انه تعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح ثم انهم
صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوائد الآجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة
التي يجعلونها فانه على ما يشاء قدير يا ايها الناس اعبدوا ربكم لما عدد فرق المكلفين
وذكر خواصهم ومصارف امورهم اقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزا

للسامع وتنشيطا واهتماما بامر العبادة وتفخيما وجبرا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة ويا
حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى بها القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته كقول
الداعي يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه او
للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نائب
مناب فعل واي جعل وصلة الى نداء المعرف باللام فان ادخال يا عليه متعذر
لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فانهما كمثلين واعطي حكم المنادى واجري عليه المقصود
بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه اشعارا بانه المقصود واقحمت بينهما ها التنبيه
تاكيدا وتعويضا عما يستحقه اي من المضاف اليه وانما كثر النداء على هذه الطريقة في
القران لاستقلاله باوجه من التاكيد وكل ما نادى الله له عباده من حيث انها
امور عظام من حقها ان يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون
حقيق بان ينادى له بالاكد الابلغ والجموع واسماؤها المحلاة باللام للعموم من حيث
انها لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتاكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد
الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة بعمومها شائعا ذائعا فالناس يعم الموجودين
وقت النزول لفظا ومن سيوجد لما تواتر من دينه عليه الصلوة والسلام ان مقتضى
خطابه واحكامه شامل للقبيلين ثابت الى قيام الساعة الا ما خصه الدليل وما روي
عن علقمه والحسن ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس اعبدوا فمكي ويا ايها الذين امنوا
فمدني ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المامور
به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب
من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع
فان من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب
الصلوة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه
ومن المومنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب
للعبادة هي الربية الذي خلقكم صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل
التقييد والتوضيح ان خص الخطاب بالمشركين واريد بالرب اعم من الرب
الحقيقي والالهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء
واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس والذين
من قبلكم متناول كل ما يتقدم الانسان بالذات او بالزمان منصوب معطوف
على الضمير المنصوب في خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم به
كما قال ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى نظر وقرئ من قبلكم على اقحام
الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا اباكم

لا ابا لكم تيم الثاني بين الاول وما اضيف اليه لعلكم تتقون حال من الضمير في اعبدوا
كانه قال اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى و
الفلاح المستوجبين لجوار الله تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين
وهو التبري من كل شيء سوى الله الى الله تعالى وان العابد ينبغي ان لا يغتر بعبادته
ويكون ذا خوف ورجاء كما قال الله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا ويرجون
رحمته ويخافون عذابه او من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه خلقكم
ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعي
اليه وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل
للخلق اي خلقكم لكي تتقون كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون و
هو ضعيف اذ لم يثبت في اللغة مثله والاية تدل على ان الطريق الى معرفة الله تعالى
والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد
لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو
كاجير اخذ الاجر قبل العمل الذي جعل لكم الارض فراشا صفة ثانية او مدح
منصوب او مرفوع او مبتدا خبره فلا تجعلوا وجعل من الافعال العامة يجيء على ثلثة
اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله فقد جعلت قلوص بني سهيل من
الاكوار مرتعها قريب وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى جعل
الظلمات والنور وبمعنى صير ويتعدى الى مفعولين كقوله تع جعل لكم الارض
فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول او العقد اخرى ومعنى جعلها فراشا
ان جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في طبعه من الاحاطة بها وصيرها متوسطة
بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهياة لان يقعدوا وينامو عليها كالفراش
المبسوط وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لان كرية شكلها مع عظم حجمها واتساع
جرمها لا تابى الافتراش عليها والسماء بناء قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس
يقع على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمي
به المبني بيتا كان او قبة او خباء ومنه بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا
عليها خباء جديدا وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم عطف
على جعل وخروج الثمار بقدرة الله تعالى ومشيته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب
سببا في اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته بافاضة صورها
وكيفياتها على المادة الممزوجة منهما او ابدع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة
قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد الاشياء كلها بلا اسباب
ومواد كما ابدع نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشائها مدرجا من حال
الى حال صنائع وحكم يجدد فيها لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظم قدرته ليس ذلك

في ايجادها دفعة ومن الاولى للابتداء سواء اريد بالسماء السحاب فان ما علاك
سماء او الفلك فان المطر يبتدئ من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت
عليه الظواهر او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض
الى جو الهواء فتنعقد سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا
به ثمرات واكتناف المنكرين له اعني ماء ورزقا كانه قال وانزلنا من السماء بعض
الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا هو الواقع اذ لم ينزل من السماء
الماء كله ولا اخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول
بمعنى المرزوق كقولك انفقت من الدراهم الفا وانما ساغ الثمرات والموضع
موضع الكثرة لانه اراد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده
قراءة من قرأ من الثمرة على التوحيد او لان الجموع يتعاور بعضها من بعض
كقوله كم تركوا من جنات وعيون وقوله ثلثة قروء او لانها لما كانت
محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم صفة رزقا ان اريد به المرزوق
ومفعوله ان اريد به المصدر كانه قال رزقا اياكم فلا تجعلوا لله اندادا متعلق
باعبدوا على انه نهي معطوف او نفي منصوب باضمار ان جواب له او بلعل
على ان نصب تجعلوا نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب اسباب
السموات فاطلع الحاقا لها بالاشياء الستة لاشتراكها في انها غير موجبة و
المعنى ان تتقوا لا تجعلوا له اندادا او بالذي جعل ان استانفت به على انه
نهي وقع خبرا على تأويل مقول فيه لا تجعلوا والفاء للسببية ادخلت عليه لتضمن
المبتدأ معنى الشرط والمعنى ان من خلقكم حفكم بهذه النعم الجسام والآيات العظام
ينبغي ان لا يشرك به والند المثل المناوي قال جرير اتيما تجعلون الى ندا وما
تيم لذي حسب نديد ومن ند ندودا اذا نفر وناددت الرجل خالفته خص
بالمخالف المماثل في الذات كما خص المساوي للمماثل في القدر وتسمية ما يعبده
المشركون من دون الله اندادا وما زعموا انها تساويه في ذاته وصفاته ولا
انها تخالفه في افعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها آلهة شابهت
حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع
عنهم بأس الله تعالى وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بان
جعلوا اندادا لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن
عمرو بن نفيل اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور تركت
اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير وانتم تعلمون حال من ضمير
فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطروح اي وحالكم انكم من اهل العلم والنظر و
اصابة الرأي فلو تاملتم ادنى تامل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات

للممكنات متفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات او منوي
وهو انها لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله هل من شركائكم من يفعل
من ذلكم من شيء وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم وقصره
عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف واعلم ان مضمون
الآيتين هو الامر بعبادة الله والنهي عن الاشراك به والاشارة الى ما
هو العلة والمقتضي وبيانه انه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية
اشعارا بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق اصولهم
وما يحتاجون اليه في معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة
اعم من المطعوم والرزق اعم من الماكول والمشروب ثم لما كانت هذه امور
التي لا يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته رتب عليها النهي عن الاشراك
به ولعله سبحانه اراد من الآية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام
الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من المعاني والصفات على
طريقة التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض
عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس
وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى
السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فان لكل آية
ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة لما قرر وحدانيته
وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد عليه السلام وهو
القرآن المعجز بفصاحته التي بذت فصاحة كل منطيق وافحامه من طولب
بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم وافراطهم في
المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارضة وعرف ما يتعرف به اعجازه
ويتيقن انه من عند الله كما يدعيه النبي عم وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجما
فنجما بحسب الوقائع على ما ترى عليه اهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكى الله
عنهم فقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فكان الواجب
تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة واضاف العبد الى نفسه
تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه وقرئ عبادنا يريد محمدا عم
وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها ثلث آيات وهي
ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطائفة من القرآن
مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على انواع من العلم احتواء سور المدينة
على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة في المجد
ليس غرابها بمطار لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القاري او لها

مراتب في الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراءة وان جعلت مبدأه
من الهمزة فمن السورة التي هي البقية في تقطيع القران سورا افراد الانواع وتلاحق
الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم
سورة نفس ذلك منه فراذا اعلم انه قطع ميلا او طوى بريدا والحافظ متى حذقها
اعتقد انه اخذ من القران حظا تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم
ذلك عنده وابتهج به الى غير ذلك من الفوايد من مثله صفة سورة اي بسورة
كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او التبيين وزائدة عند الاخفش
اي بسورة مماثلة للقران في البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتداء اي
بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم او
صلة فاتوا والضمير للعبد والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق لقوله فاتوا بسورة
مثله ولسائر ايات التحدي ولان الكلام فيه لا في المنزل عليه فحقه ان لا ينفك
عنه ليتسق الترتيب والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بان ياتوا بمثل ما اتى به واحد
من ابناء جلدتهم ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليات بنحو ما اتى به هذا اخر مثله
ولانه معجز في نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن
على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم امكان
صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلايمه قوله وادعوا شهداءكم من دون الله
فانه امر بان يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر
او القائم بالشهادة او الناصر او الامام وكانه سمي به لانه يحضر النوادي ويبرم
بمحضره الامور اذ التركيب للحضور اما بالذات او بالتصور ومنه قيل للمقتول في
سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او الملائكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان
من الشيء ومنه تدوين الكتب لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا اي خذه من ادنى مكان
منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الشرف ومنه الشيء الدون
ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي امر الى اخر قال الله تعالى لا يتخذ
المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين
الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك دون الله من واق اي اذا تجاوزت
وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى وادعوا الى المعارضة
من حضركم او رجوتم معونته من انسكم وجنكم والهتكم غير الله فانه لا يقدر على ان
ياتي بمثله الا الله او ادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بان ما اتيتم به
مثله ولا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت العاجز عن اقامة الحجة او
شهداءكم اي الذين اتخذتموهم من دونه اولياء او الهة وزعمتم انها تشهد لكم
يوم القيمة او الذين يشهدون لكم بين يدي الله على زعمكم من قول الاعشى تريك

تريك القذى من دونها وهي دونه ليعينوكم وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد في
معارضة القران غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون الله اي من دون اوليائه
يعني فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله فان العاقل
لا يرضى لنفسه ان يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله ان كنتم صادقين
انه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق الاخبار المطابق
وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن دلالة او امارة لانه تعالى كذب المنافقين
في قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا مطابقته ورد بصرف التكذيب الى قولهم
نشهد لان الشهادة اخبار عما علمه وهم ما كانوا عالمين به فان لم تفعلوا ولن تفعلوا
فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة لما بين لهم ما يتعرفون به امر الرسول
عليه السلام وما جاء به وميز لهم الحق من الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة له وهو
انكم اذا اجتهدتم في معارضته وعجزتم جميعا عن الاتيان بما يساويه او يدانيه ظهر
انه معجز والتصديق به واجب فامنوا به واتقوا العذاب المعد لمن كذب
فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل الذي يعم الاتيان به وغيره ايجازا ونزل لازم
الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكني عنه وتهويلا لشان العناد وتصريحا بالوعيد
مع الايجاز وصدر الشرطية بان التي للشك والحال يقتضي اذا الذي للوجوب فان
القائل سبحانه لم يكن شاكا في عجزهم ولذلك نفى اتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء
تهكما بهم او خطابا معهم على حسب ظنهم فان العجز قبل التامل لم يكن محققا عندهم
وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول ولا
نها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع فكانه
قال فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا في نفي المستقبل غير انه ابلغ
وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل في احدى الروايتين عنه وفي الرواية
الاخرى اصله لا ان وعند الفراء لا فابدلت الفها نونا والوقود بالفتح ما يوقد به
النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه وسمعنا من يقول وقدت
بلهه وقد قرئ به والظاهر ان المراد به الاسم وان اريد به المصدر فعلى حذف
مضاف اي وقودها احتراق الناس والحجارة وهي جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل
غير منقاس والمراد بها الاصنام التي نحتوها وقرنوا بها انفسهم وعبدوها طمعا
في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضار بمكانتها ويدل عليه قوله تعالى انكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب
الكانزون بما كنزوه وبنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة في تحسرهم وقيل الذهب
والفضة التي كانوا يكنزونها ويغترون بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا
النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل

وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل شانها وتفاقم لهبها بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها
والكبريت يتقد به كل نار وان ضعفت فان صح هذا من ابن عباس رضي فلعله عنى
به ان الاحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران ولما كانت الآية
مدنية نزلت بعد ما نزل بمكة قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة
وسمعوه بالمدينة صح تعريف النار ووقوع الجملة صلة فانها يجب ان يكون قصة معلومة
اعدت للكافرين هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ اعتدت
من العتاد بمعنى العدة والجملة استيناف او حال باضمار قد من النار لا من الضمير
الذي في وقودها وان جعلته مصدرا للفصل بينهما بالخبر وفي الآيتين ما يدل على النبوة
من وجوه الاول ما فيهما من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع
والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة من سور القران
ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضارة لم يتصدوا لمعارضته
والتجأوا الى جلاء الموطن وبذل المهج والثاني انهما تتضمنان الاخبار عن الغيب على ما
هو به فانهم لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه اكثر من
الذابين عنه في كل عصر والثالث انه قال عم لو شك في امره لما دعاهم الى المعارضة
بهذه المبالغة مخافة ان يعارض فتدحض حجته وقوله اعدت للكافرين دل
على ان النار مخلوقة معدة لهم الآن وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان
لهم جنات عطف على الجملة السابقة والمقصود عطف حال من آمن بالقران
ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الالهية من ان يشفع
الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما ينجي وتثبيطا عن اقتراف ما يردي لا
عطف الفعل نفسه حتى يجب ان يطلب له ما يشاكله من امر او نهي فيعطف عليه
او على فاتقوا لانهم اذا لم يأتوا بما يعارضه بعد التحدي ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك
فمن كفر به استوجب العقاب ومن آمن به استحق الثواب وذلك يستدعي ان يخوف
هؤلاء ويبشر هؤلاء وانما امر الرسول عليه السلام او عالم كل عصر او كل احد يقدر على
البشارة بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشانهم و
ايذانا بانهم احقاء بان يبشروا ويهنئوا بما اعد لهم وقرئ وبشر على البناء للمفعول
عطفا على اعدت فيكون استينافا والبشارة الخبر السار فانه يظهر اثر السرور
في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هو الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده
من بشرني بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرني
عتقوا جميعا واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على طريقة قوله
تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة التي
تجري مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لام بظهر

بظهر الغيب تأتيني وهي من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتأنيثها على تأويل الخصلة
او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم عليهما اشعارا بان
السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان
الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء
باس لا بناء عليه ولذلك قلما ذكرا مفردين وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى
الايمان اذ الاصل ان الشيء لا يعطف على نفسه وما هو داخل فيه ان لهم منصوب
بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله لافعلن والجنة
المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب على الستر سمي به الشجر
المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة كانه يستر ما تحته سترة واحدة قال زهير كان
عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا ثم البستان لما فيه
من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت
بذلك لانه ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من افنان النعم كما قال الله تع فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وجمعها وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره ابن عباس رضي
سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام
وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت
الاعمال والعمال واللام تدل على استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب عليه من الايمان والعمل
الصالح لا لذاته فانه لا يكافئ النعم السابقة فضلا من ان يقتضي ثوابا وجزاء فيما
يستقبل بل بجعل الشارع الله ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط ان يستمر
عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تع ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر
فاولئك حبطت اعمالهم وقوله تعالى لنبيه عم لئن اشركت ليحبطن عملك واشباه
ذلك ولعله سبحانه لم يقيد ههنا استغناء بها تجري من تحتها الانهار اي
من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطيها وعن مسروق
رحمه الله انهار الجنة تجري من غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك
لفلان بستان فيه الماء الجاري او للعهد والمعهود هي الانهار المذكورة في قوله تعالى
انهار من ماء غير آسن الآية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول
ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او
على المجاز او المجاري انفسها واسناد الجري اليها مجاز كما في قوله تعالى اخرجت
الارض اثقالها كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا
صفة ثانية لجنات او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستأنفة كانه قيل ان لهم
جنات وقع في خلد السامع اثمارها مثل ثمار الدنيا ام اجناس اخر فازيح بذلك
وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان

موقع الحال واصل الكلام ومعناه كل حين رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ
من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب
الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن في الحال ويحتمل ان يكون من
ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رأيت منك اسدا وهذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك
مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك لا تعني به العين المشاهدة منه بل النوع المعلوم
المستمر بتعاقب جريانه وان كانت الاشارة الى عينه فالمعنى هذا مثل الذي رزقنا
ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته كقولك ابو يوسف ابو حنيفة من قبل اي
من قبل هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس اليه اول ما رأت
فان الطباع مائلة الى المألوف متنفرة عن غيره وتتبين لها مزيته وكنه النعمة
فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد ظن انه لا يكون الا كذلك او في الجنة لان طعامها
متشابه الصورة كما حكي عن الحسن البصري ان احدهم يؤتى بالصحفة فيأكل
منها باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول الملائكة كل فاللون واحد
والطعم مختلف او كما روي ان النبي عم قال والذي نفس محمد بيده ان الرجل
من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها
فلعلهم اذا رأوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاول اظهر لمحافظته على عموم كلما
فانه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعي لهم الى ذلك فرط استغرا
بهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة
واتوا به متشابها اعتراض يقرر ذلك والضمير على الاول راجع الى ما رزقوا في
الدارين فانه مدلول عليه بقوله تعالى هذا الذي رزقنا من قبل ونظيره قوله تعالى
ان يكون غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق
فان قيل التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا و
الاخرة كما قال ابن عباس رضي الله عنه ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسماء قلت التشابه
بينهما حاصل في الصورة التي هي مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو كاف
في اطلاق التشابه هذا وان للآية محملا اخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في مقابلة
ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها
ويحتمل ان يكون المراد من هذا الذي رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما
في الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله تعالى
ذوقوا ما كنتم تعملون في الوعيد ولهم فيها ازواج مطهرة مما يستقذر من النساء
ويذم من احوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير
يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان
فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال واذا

واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت فالجمع على اللفظ
والافراد على تأويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ابلغ من
طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وليس هو الا الله تعالى والزوج
يقال للذكر والانثى وهو في الاصل لما له قرين من جنسه كزوج الخف فان قيل
فائدة المطعوم هو التغذي ودفع ضر الجوع وفائدة المنكوح التوالد وحفظ
النوع وهي مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها وسائر احوالها
انما تشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى
باسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى تستلزم
جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها وهم فيها خالدون دائمون والخلد
والخلود في الاصل الثبات المديد دام ام لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار
خوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله ما دام حيا خلد ولو كان وضعه
للدوام كان التقييد بالتأبيد في قوله تعالى خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله
حيث لا دوام كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا او مجازا والاصل ينفيهما
بخلاف ما لو وضع للاعم منه واستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان
مثل قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن المراد به الدوام ههنا عند
الجمهور لما يشهد له من الآيات والسنن فان قيل الابدان مركبة من اجزاء
متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانفكاك والانحلال فكيف
يعقل خلودها في الجنان قلت انه تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة بان
يجعل اجزاءها مثلا متقاومة في الكيفية متساوية في القوة لا يقوى شيء منها على
احالة الاخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما نشاهد في بعض
المعادن هذا وان قياس ذلك العالم واحواله على ما نجده ونشاهده من نقص
العقل وضعف البصيرة واعلم انه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا على
المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الثبات
والدوام فان كل نعمة جليلة اذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية
من شوائب الالم بشر المؤمنين بها ومثل ما اعد لهم في الاخرة بابهى ما يستلذ به منها
وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم والسرور ان الله
لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة لما كانت الآيات السابقة متضمنة لانواع
من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وهو ان يكون
على وفق الممثل له من الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف
دون الممثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه
وابرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان

المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه ميل الحس وحب
المحاكاة ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء
واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم
كما مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفهاء
باثارة الزنابير وجاء في كلام العرب اسمع من قراد واطيش من فراشة واعز
من مخ البعوض لا ما قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله تعالى حال المنافقين
بحال المستوقدين واصحاب الصيب وعبادة الاصنام في الوهن والضعف ببيت
العنكبوت وجعلها اقل من الذباب واخس قدرا منه الله اعلى واجل من ان
يضرب الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت وايضا لما ارشدهم الى ما يدل
على ان المتحدى به وحي منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن به بعد ظهور
امره شرع في جواب ما طعنوا به فيه فقال ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا اي
لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يمثل بها لحقارتها والحياء انقباض
النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجراءة على القبائح و
عدم المبالاة بها والخجل الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه
من الحيوة فانه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن افعالها فقيل حيي الرجل
كما قيل نسي وحشي اذا اعتل نساه وحشاه واذا وصف به الباري تعالى كما جاء في الحديث
ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد
يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما ان
المراد من رحمته وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما ونظيره قول
من يصف ابلا اذا ما استحيين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد
وانما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة وتحتمل الآية خاصة ان يكون
مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل اعتماله من ضرب الخاتم واصله
وقع الشيء على آخر وان بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء
الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما وشياعا وتسد
عنها طرق التقييد كقولك اعطني كتابا ما اي كتاب كان او مزيدة للتاكيد كالتي
في قوله تعالى فبما رحمة ولا نعني بالمزيد اللغو الضائع فان القرآن كله هدى وبيان بل ما لم
يوضع لمعنى يراد منه وانما وضعت لان تذكر مع غيرها فتفيد له وثاقة وقوة وهو زيادة
في الهدى غير قادح فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت
عليه لانها نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على انه خبر مبتدأ وعلى
هذا يحتمل ما وجوها اخر ان يكون موصولة حذف صدر صلتها كما حذف في قوله تعالى
تماما على الذي احسن وموصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية على

الوجهين واستفهامية هي المبتدأ كأنه لما رد استبعادهم ضرب الله الامثال قال
بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل بل له ان يمثل بما هو احقر من ذلك
ونظيره فلان لا يبالي بما وهب ما دينار ودينار ان والبعوض فعول من البعض وهو
القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش فما فوقها عطف على بعوضة
او ما ان جعل اسما ومعناه ما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت كانه قصد به
رد ما استنكروه والمعنى انه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوضة فضلا عما هو اكبر منها او
في المعنى الذي جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها فانه عليه السلام
ضربه مثلا للدنيا ونظيره في الاحتمالين ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط
فقالت عائشة رض سمعت رسول الله عم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها
الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما تجاوز الشوكة في الالم
كالخرور او ما زاد عليها في القلة كنخبة النملة لقوله عليه السلام ما اصاب المؤمن
من مكروه فهو كفارة خطاياه حتى نخبة النملة فاما الذين آمنوا فيعلمون انه
الحق من ربهم اما حرف تفصيل يفصل ما اجمل ويؤكد ما به صدر ويتضمن معنى الشرط
ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء
فزيد ذاهب اي هو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء
على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوا الخبر وعوضوا المبتدأ
عن الشرط لفظا وفي تصدير الجملتين به احماد لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم
بليغ للكافرين على قولهم والضمير في انه للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذي
لا يسوغ انكاره يعم الاعيان الثابتة والافعال الصائبة والاقوال الصادقة
من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق محكم النسج واما الذين كفروا فيقولون
كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان
قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان
عليه ماذا اراد الله بهذا مثلا يحتمل الوجهين ان يكون ما استفهامية وذا بمعنى
الذي وما بعده صلته والمجموع خبرها وان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي شيء
منصوب المحل على المفعولية مثل ما اراد الله والاحسن في جوابه الرفع على الاول
والنصب على الثاني ليطابق الجواب السؤال والارادة نزوع النفس وميلها
الى الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبدأ النزوع والاول مع الفعل
والثاني قبله وكلا المعنيين غير متصور اتصاف الباري تعالى به ولذلك اختلف
في معنى ارادته لافعاله انه غير ساه ولا مكره ولافعال غيره امره بها فعلى هذا لم يكن
المعاصي بارادته وقيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو
القادر الى تحصيله والحق انه ترجيح احد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه

بوجه دون وجه او معنى يوجب هذا الترجيح وهي اعم من الاختيار فانه ميل مع تفضيل
وفي هذا استحقار واستهزاء ومثلا نصب على التمييز او الحال كقوله تعالى هذه ناقة الله لكم اية
الاية يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جواب ماذا اي اضلال كثير واهداء كثير وضع الفعل
موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد او بيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل
بان العلم بكونه حقا هدى وبيان وان الجهل بوجه ايراده والانكار لحسن مورده ضلال وفسوق
وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فان المهديين قليلون
بالاضافة الى اهل الضلال كما قال تعالى وقليل من عبادي الشكور ويحتمل ان يكون كثرة الضالين
من حيث العدد وكثرة المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال الشاعر قليل اذا عدوا
كثير اذا شدوا وقال ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا وما
يضل به الا الفاسقين اي الخارجين عن حد الايمان كقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون
من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد قال
رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشرع الخارج عن امر الله بارتكاب
الكبيرة وله درجات ثلث الاولى التغابي وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا اياها والثانية
الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالثة الجحود وهو ان يرتكبها مستصوبا
اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة الايمان عن عنقه ولابس الكفر
وما دام هو في درجة التغابي والانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق
الذي هو مسمى الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما قالوا
الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما
ثالثا نازلا بين منزلتي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض الاحكام وتخصيص
الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق يدل على انه الذي اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال
به وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم بالباطل صرفت وجوه افكارهم عن
حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت به ضلالتهم فانكروه
واستهزؤا به وقرئ يضل على البناء للمفعول والفاسقون بالرفع الذين ينقضون
عهد الله صفة الفاسقين للذم وتقرير الفسق والنقض فسخ التركيب واصله
في طاقات الحبل واستعماله في ابطال العهد من حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه
من ربط احد المتعاهدين بالاخر فان اطلق النقض مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز
وان ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وهو ان العهد حبل في ثبات
الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس
فان فيه تنبيها على انه اسد في شجاعته بحر بالنظر الى افادته والعهد الموثق ووضعه لما
في شانه ان يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع
اليها وللتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد اما العهد الماخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة

القائمة على عباده الدالة على توحيده ووجوب وجوده وصدق رسوله وعليه اول قوله تعالى و
اشهدهم على انفسهم او الماخوذ بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق
بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله واذ
اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونظائره وقيل عهود الله تعالى ثلثة عهد اخذه
على جميع ذرية ادم بان يقروا بربوبيته وعهد اخذه على النبيين بان يقيموا الدين ولا
يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه من بعد ميثاقه الضمير
للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهي الاحكام والمراد به ما وثق الله به من الايات
والكتب او ما وثقوه به من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء
فان ابتداء النقض بعد الميثاق ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل كل قطيعة
لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم
السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير او تعاطي
شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر
هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد
الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له شان وهو الطلب والقصد
يقال شانت شانه اذا قصدت قصده وان يوصل يحتمل النصب والخفض على انه
بدل من ما او ضميره والثاني احسن لفظا ومعنى ويفسدون في الارض بالمنع عن الايمان و
الاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه اولئك هم الخاسرون
الذين خسروا انفسهم باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار
والطعن في الايات بالايمان بها والنظر في حقايقها والاقتباس من انوارها واشتراء
النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب كيف تكفرون بالله استخبار
فيه انكار وتعجب لكفرهم بانكار الحال التي يقع عليها على الطريق البرهاني لان صدوره لا ينفك
عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده
فهو ابلغ واقوى في انكار الكفر من اتكفرون واوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين
كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات ووبخهم
على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون وكنتم
امواتا اي اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة
فاحياكم بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطف بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ
عنه بخلاف البواقي ثم يميتكم عند تقضي اجالكم ثم يحييكم بالنشور يوم نفخ الصور او للسؤال
في القبور ثم اليه ترجعون بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب
فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم
يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل

منزل منزلة علمهم في ازاحة العذر سيما وفي الآية تنبيه على ما يدل على صحتهما وهو انه تعالى لما قدر على احيائهم اولا قدر ان يحييهم ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون عليه من اعادته او مع القبيلين فانه سبحانه لما بين دلائل التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان واوعدهم على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم فان قيل كيف تعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة الى الحيوة الثانية التي هي الحيوة الحقيقية كما قال تعالى وان الدار الآخرة لهي الحيوان كانت من النعم العظيمة مع ان المعدود عليهم هو المعنى المنتزع من القصة باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح ان يقع حالا او مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا اي جهالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحيوة الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحيوة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في القوة النامية لانها من طلائعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضائل كالعقل والعلم والايمان من حيث انها كمالها وغايتها والموت بازائها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة كما قال تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته يقتضي ذلك على الاستعارة وقرأ يعقوب ترجعون بفتح التاء في جميع القرآن هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى فانها خلقهم احياء قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم وتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط او بغير وسط واو دينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف لما يلائمها من لذات الآخرة وآلامها لا على وجه الغرض فان الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد وما يعم كل ما في الارض لا الارض الا اذا اريد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال من الموصول الثاني ثم استوى الى السماء قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوى استولى وملك قال قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق والاول اوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية المترتبة

المترتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية او جهات العلو وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض كقوله ثم كان من الذين آمنوا لا للتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها فانه يدل على تأخر دحو الارض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها الا ان تستأنف بدحاها مقدرا لنصب الارض فعلا آخر دل عليه أأنتم اشد خلقا مثل تعرف الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر فسواهن عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير السماء ان فسرت بالاجرام لانه جمع او في معنى الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا سبع سموات بدل او تفسير فان قيل اليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا تسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس في الآية نفي الزائد مع انه ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق خلاف وهو بكل شيء عليم فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج في صدورهم من ان الابدان بعدما تفتتت وتبددت اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف تجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم اليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلاث مقدمات وقد برهن عليها في هاتين الآيتين اما الاولى فهي ان مواد الابدان قابلة للجمع والحيوة واشار الى البرهان عليها بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحيوة عليها يدل على انها قابلة لها بذاتها وما بالذات يأبى ان يزول ويتغير واما الثانية والثالثة فانه عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها واحيائها فاشار الى وجه اثباتهما بانه تعالى قادر على ابدائهم وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم واحيائهم فانه خلق ما خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك دليل على تناهي علمه وكمال حكمته جلت قدرته ودقت حكمته وقد سكن نافع وابو عمرو والكسائي الهاء من نحو فهو وهو تشبيها له بعضد واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم فان خلق آدم واكرامه وتفضيله على ملائكته بان امرهم بالسجود له انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى ولذلك يجب اضافتهما الى الجمل كحيث في المكان وبنيتا تشبيها بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة ومحلهما النصب ابدا بالظرفية فانهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه واما قوله واذكر اخا عاد اذ انذر قومه ونحوه فعلى تأويل اذكر الحادث اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله في الآية قالوا او اذكر على التأويل المذكور لانه جاء معمولا

له صريحاً في القرآن كثيراً او مضمر دل عليه مضمون الاية المتقدمة مثل وبدا خلقكم اذ قال
وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخلة في حكم الصلة وعن معمر انه مزيد والملائكة جمع
ملأك على الاصل كالشمائل والتاء لتأنيث الجمع وهو مقلوب مألك من الالوكة وهي
الرسالة لانهم وسائط بين الله وبين الناس فهم رسل الله او كالرسل اليهم واختلف
العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر
المسلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل
كانوا يرونهم كذلك وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية
المفارقة للابدان وزعم الحكماء انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة
الى قسمين قسم شانهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم
في محكم تنزيله فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملائكة المقربون
وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الالهي لا يعصون
الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات امراً فمنهم سماوية ومنهم ارضية على
تفصيل اثبته في كتاب الطوالع والمقول لهم الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل
ملائكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم في الارض اولا
فافسدوا فيها فبعث اليهم في جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم في الجزائر والجبال وجاعل
من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة عمل عمله فيهما لانه بمعنى الاستقبال
ومعتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه
والهاء فيه للمبالغة والمراد به آدم عليه السلام لانه كان خليفة الله تعالى في ارضه وكذلك
كل نبي استخلفهم في عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا
لحاجة به تعالى الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي امره بغير وسط
ولذلك لم يستنبئ ملكاً كما قال الله تعالى ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً الا ترى ان الانبياء
عليهم السلام لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار
ارسل اليهم الملائكة ومن كان منهم اعلى رتبة كلمه كما كلم موسى عليه السلام في الميقات ومحمداً صلى الله
عليه وسلم ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما
من التباعد جعل الباري تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا و
يعطي ذاك وخليفة من سكن الارض قبله او هو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف
بعضهم بعضاً وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغنى بذكر ابي القبيلة
في قولهم مضر وهاشم او على تاويل من يخلف او خلقاً يخلف وفائدة قوله هذا للملائكة تعليم
المشاورة وتعظيم شان المجعول بان بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل
خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيان ان الحكمة تقتضي
ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك قالوا

قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض
واصلاحها من يفسد فيها او يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية واستكشاف
عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد والغتها واستخبار عما يرشدهم ويزيح
شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج في صدره وليس باعتراض على الله تعالى ولا طعن
في بني آدم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا
يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار من الله تعالى او تلق من
اللوح او استنباط عما ركز في عقولهم ان العصمة من خواصهم او قياس لاحد الثقلين
على الآخر والسفك والسبك والسفح والشن انواع من الصب فالسفك يقال في
الدم والدمع والسبك في الجواهر المذابة والسفح في الصب عن اعلى والشن في الصب
عن فم القربة ونحوها وكذلك السن وقرئ يسفك على البناء للمفعول فيكون الراجع
الى من سواء جعل موصولا او موصوفا محذوفا اي يسفك الدماء فيهم ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك حال مقررة لجهة الاشكال كقولك اتحسن الى اعدائك وانا الصديق
المحتاج والمعنى اتستخلف عصاة ونحن معصومون احقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار
عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب والتفاخر
وكأنهم علموا ان المجعول خليفة ذو ثلث قوى عليها مدار امره شهوية وغضبية تؤديان
به الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة والطاعة ونظروا اليها مفردة
وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين لا تقتضي الحكمة ايجاده فضلا عن
استخلافه واما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم ما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك
المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل
متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا ان التركيب
يفيد ما يقصر عنه الآحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج
منافع الكائنات من القوة الى الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف واليه اشار تعالى بقوله
قال اني اعلم ما لا تعلمون والتسبيح تبعيد الله عن السوء وكذلك التقديس من سبح
في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدس اذا طهر لان مطهر
الشيء مبعده عن الاقذار وبحمدك في موضع الحال اي ملتبسين بحمدك على ما الهمتنا معرفتك
ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم ونقدس لك نطهر
نفوسنا عن الذنوب لاجلك كأنهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح
وسفك الدماء الذي هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفس عن الآثام وقيل نقدسك
واللام مزيدة وعلم آدم الاسماء كلها اما بخلق علم ضروري بها فيه او القاء في روعه
ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك
يقال علمته فلم يتعلم وآدم اسم اعجمي كآزر وشالخ واشتقاقه من الادمة او الادمة

بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض لما روي عنه عم انه قبض قبضة من جميع الارض
سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك يأتي بنوه اخيافا او من الادم والادمة بمعنى
الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس
والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ
والصفات والافعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا او مفردا مخبرا
عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن باحد الازمنة
الثلثة والمراد في الآية اما الاول او الثاني وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة
متوقف على العلم بالمعاني والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا
لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة
ذوات الاشياء وخواصها واسمائها واصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها
ثم عرضهم على الملائكة الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير اسماء المسميات
فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله واشتعل الراس شيبا
لان العرض للسؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء سيما ان
اريد به الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء او مدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب
ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها
فقال انبئوني باسماء هؤلاء تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف
والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات
وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال والانباء اخبار
فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل واحد منهما ان كنتم صادقين في زعمكم انكم احقاء
بالخلافة لعصمتكم او ان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وان لم
يصرحوا به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق
اليه بغرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعتري الانشاءات قالوا سبحانك
لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان سؤالهم كان استفسارا
ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل الانسان والحكمة في خلقه واظهار لشكر
نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه وسبحان
مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجري علما
للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله سبحان من علقمة الفاخر وتصدير الكلام به اعتذار عن
الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عليه السلام سبحانك تبت
اليك وقال يونس عليه السلام سبحانك اني كنت من الظالمين انك انت العليم الذي لا يخفى
عليه خافية الحكيم المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل وقيل تاكيد للكاف
كما في قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ

يسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة
خبر ان قال يا آدم انبئهم باسمائهم اي اعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء
فيهما فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم
ما تبدون وما كنتم تكتمون استحضار لقوله اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط
ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من امور السموات والارض وما ظهر
لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى
وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد
فيها وما تكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل
ما اظهروا من الطاعة واسر منهم ابليس من المعصية والهمزة للانكار دخلت حرف الجحد
فافادت الاثبات والتقرير واعلم ان هذه الآيات تدل على شرف الانسان ومزية
العلم وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى
الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية
فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له
معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل ينفي ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون
من الله تعالى وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر قوله انك انت العليم
الحكيم وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا
منهم وحملوا عليه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم افضل من هؤلاء الملائكة
لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وانه
تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم لما انبأهم بالاسماء وعلمهم
ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم
به قبل ان يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق ان نصبته
بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة باسرها على القصة الاخرى
وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود في الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر ترى الاكم فيه سجدا
للحوافر وقال وقلن له اسجد لليلى فاسجدا يعني البعير اذا طأطأ رأسه وفي الشرع وضع الجبهة
على قصد العبادة والمأمور به اما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم
قبلة سجودهم تفخيما لشأنه او سببا لوجوبه وكأنه تعالى لما خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات كلها
بل الموجودات باسرها ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر
لهم من الكمالات ووصلة الى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود
تذللا لما رأوا فيه من عظيم قدرته وباهر آياته وشكرا لما انعم عليهم بواسطته فاللام
فيه كاللام في قول حسان اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن والسنن او في

قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس وأما المعنى اللغوي وهو التواضع لآدم تحية وتعظيما له
كسجود اخوة يوسف له او التذلل والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط معاشهم ويتم به كمالهم
والكلام في ان المامورين بالسجود الملائكة كلهم او طائفة منهم ما سبق فسجدوا الا ابليس ابى
واستكبر امتنع عما امر به استكبارا من ان يتخذه وصلة في عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه
بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه والاباء امتناع باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه
اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع وكان من الكافرين اي في علم الله او صار منهم
باستقباحه امر الله اياه بالسجود لآدم اعتقادا بانه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر
بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا لقوله تعالى ما منعك ان
تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده والآية
تدل على ان آدم افضل من الملائكة المامورين بالسجود له ولو وجه وان ابليس كان من الملائكة
والا لم يتناوله امرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد على ذلك قوله تعالى الا ابليس كان من
الجن لجواز ان يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا ولان ابن عباس رضي الله
عنهما روى ان من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولمن زعم انه لم يكن من
الملائكة ان يقال انه كان جنيا نشأ بين اظهر الملائكة وكان مغمورا بالالوف منهم فغلبوا
عليه او الجن ايضا كانوا مامورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه
اذا علم ان الاكابر مامورون بالتذلل لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مامورون
به والضمير في فسجدوا راجع الى القبيلين فكانه قال فسجد المامورون بالسجود الا ابليس وان من
الملائكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس معصومين
والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وانما
يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الانس والجن يشملهما وكان
ابليس من هذا الصنف كما قاله ابن عباس رضه فلذلك صح عليه التغير من حاله والهبوط من
محله كما اشار بقوله عز وجل الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه لا يقال كيف يصح
ذلك والملائكة خلقت من نور والجن من نار لما روت عائشة رضه انه عم خلقت
الملائكة من النور وخلق الجن من مارج من نار لانه كالتمثيل لما ذكرنا فان المراد بالنور الجوهر
المضيء والنار كذلك غير ان ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من
فرط الحرارة والاحراق فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت
عادت الحالة الاولى جذعة ولا تزال تتزايد حتى ينطفى نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا
اشبه بالصواب واوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله تعالى ومن فوائد الآية استقباح
الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر والحث على الائتمار لامره وترك الخوض في سره
وان الامر للوجوب وان الذي علم الله تعالى من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على
الحقيقة اذ العبرة بالخواتم وان كان بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا

الى شيخنا ابي الحسن الاشعري وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة السكنى من السكون
لانها استقرار ولبث وانت تاكيد اكد به المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا
تنبيها على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له والجنة دار الثواب لان اللام للعهد
ولا معهود غيرها ومن زعم انها لم تخلق بعد قال انه بستان كان بارض فلسطين او بين فارس
وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لآدم وحمل الاهباط على الانتقال منه الى ارض الهند كما في
قوله تعالى اهبطوا مصرا وكلا منها رغدا واسعا رافها صفة مصدر محذوف حيث شئتما
اي مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر في التناول من الشجرة المنهي
عنها من بين اشجارها الغائبة للحصر ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فيه مبالغات
تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات التناول مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب
عنه وتنبيها على ان القرب من الشيء يورث داعية وميلا ياخذ بمجامع القلب ويلهيه عما
هو مقتضى العقل والشرع كما روي حبك الشيء يعمي ويصم فينبغي ان لا يحوما حول ما حرم عليهما
مخافة ان يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب
المعاصي او بنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعم فان الفاء تفيد السببية سواء جعلته
للعطف على النهي او الجواب له والشجرة هي الحنطة او الكرمة والتينة او شجرة من اكل منها
احدث والاولى ان لا تعين من غير قاطع كما لم تعين في الآية لعدم توقف ما هو المقصود
عليه وقرئ بكسر الشين وتقربا بكسر التاء وهذي بالياء فازلهما الشيطان عنها اصدر
زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه في قوله تعالى وما فعلته عن امري
او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده قراءة حمزة فازالهما وهما متقاربان في المعنى غير ان
زل يقتضي عثرة مع الزوال وازلاله قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى و
قوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته
اياهما بقوله اني لكما لمن الناصحين واختلف في انه تمثل لهما فقاولهما بذلك او القاه
اليهما على طريق الوسوسة وانه كيف توصل الى ازلالهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم
فقيل انه منع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل
للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة
دابة فدخل ولم يعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت به وقيل ارسل بعض
اتباعه فازلهما والعلم عند الله فاخرجهما مما كانا فيه اي من الكرامة والنعيم وقلنا
اهبطوا خطاب لآدم عم وحواء لقوله تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما
اصل الانس فكانهما الجنس كلهم او هما وابليس اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة
او دخلها مسارقة او من السماء بعضكم لبعض عدو حال استغني فيها عن الواو بالضمير
والمعنى متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله ولكم في الارض مستقر موضع استقرار او
استقرار ومتاع تمتع الى حين يريد به وقت الموت او القيمة فتلقى آدم من ربه

كلمات استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرأ ابن كثير بنصب ادم
ورفع الكلمات على انها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقيل
سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي
انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال يا رب الم تخلقني بيدك
قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى
قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو التأثير
المدرك باحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام والجراحة فتاب عليه رجع عليه بالرحمة
وقبول التوبة وانما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات المتضمنة معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب
والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه واكتفى بذكر ادم لان حوا كانت تبعا له في الحكم
ولذلك طوي ذكر النساء في اكثر القران والسنن انه هو التواب الرجاع على عباده
بالمغفرة والذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا وصف بها العبد كان رجوعا
عن المعصية واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها الرجوع من العقوبة الى المغفرة الرحيم
المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالاحسان مع العفو قلنا اهبطوا
منها جميعا كرر للتأكيد او لاختلاف المقصود فان الاول دل على ان هبوطهم الى دار بلية
يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني اشعر بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن
ضله هلك والتنبيه على ان مخافة الاهباط المقترن باحد هذين وحدها كافية للحازم ان
تعوقه عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسي ولم نجد له عزما وان كل واحد
منهما كفى به نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة الى السماء الدنيا والثاني منها الى
الارض وهو كما ترى وجميعا حال في اللفظ تأكيد في المعنى كأنه قيل اهبطوا انتم اجمعون و
لذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد كقولك جاؤا جميعا فاما يأتينكم مني
هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط
الاول وما مزيدة اكدت به ان ولذلك حسن تأكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب
والمعنى ان يأتينكم مني هدى بانزال او ارسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما جيء بحرف الشك
واتيان الهدى كائن لانه محتمل في نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لانه اراد
بالثاني اعم من الاول وهو ما اتى به الرسل واقتضاه العقل اي فمن تبع ما اتاه مراعيا فيه
ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا من ان يحل بهم مكروه ولا هم يفوت عنهم محبوب
فيحزنوا عليه فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع نفى عنهم العقاب واثبت لهم الثواب
على آكد وجه وابلغه وقرئ هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح والذين كفروا وكذبوا
باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون عطف على فمن تبع الى آخره قسيم له كأنه
قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا بآياته او كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا
فيكون الفعلان متوجهين الى الجار والمجرور والآية في الاصل العلامة الظاهرة وقيل

وقيل للمصنوعات من حيث انها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة من
كلمات القران المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من اي لانها تبين ايا من اي او من
اوى اليه واصلها اية او اوية كتمرة فابدلت عينها الفا على غير قياس او ايية او اوية
كرمكة فاعلت او آئية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد باياتنا الايات المنزلة
او ما يعمها والمعقولة تنبيه وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الانبيا
عليهم السلام من وجوه الاول ان ادم كان نبيا وارتكب المنهي عنه والمرتكب له عاص
والثاني انه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله تعالى الا لعنة الله
على الظالمين والثالث انه تعالى اسند اليه العصيان والغي وقال وعصى ادم ربه
فغوى والرابع انه تعالى لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس
اعترافه بانه خاسر لولا مغفرة الله تعالى اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن
من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس انه لو لم يذنب عليه ما جرى والجواب
من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعي مطالب بالبيان والثاني ان النهي
للتنزيه وانما سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى له فاما اسناد
الغي والعصيان اليه فسيأتي الجواب عنه في موضعه ان شاء الله وانما امر بالتوبة تلافيا
لما فات عنه وجرى عليه ما جرى معاتبة له على ترك الاولى ووفاء بما قاله للملائكة قبل
خلقه والثالث انه فعله ناسيا لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك
التحفظ عن اسباب النسيان ولعله وان حط عن الامة لم يحط عن الانبياء عليهم
السلام لعظم قدرهم كما قال صلى الله عليه وسلم اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء
ثم الامثل فالامثل او ادى فعله الى ما جرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة
كتناول السم على الجهل بشأنه لا يقال انه باطل لقوله تعالى ما نهاكما ربكما وقاسمهما
الآيتان لانه ليس فيهما ما يدل على انه تناوله حين ما قاله ابليس فلعل مقاله اورث
فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى الى ان نسي ذلك وزال
المانع فحمله الطبع عليه والرابع انه عليه السلام اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطأ فيه
فانه ظن ان النهي للتنزيه او الاشارة الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها
وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روي انه عليه السلام اخذ حريرا وذهبا بيده وقال
هذان حرامان على ذكور امتي حل لاناثها وانما جرى عليه ما جرى تعظيما لشأن الخطيئة
ليتجنبها اولاده وفيها دلالة على ان الجنة مخلوقة وانها في جهة عالية وان التوبة
مقبولة وان متبع الهدى مأمون العاقبة وان عذاب النار دائم وان الكافر فيه
مخلد وان غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون واعلم انه سبحانه وتعالى لما
ذكر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا لها وتأكيدا
فانها من حيث انها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك له

ومن حيث ان الاخبار بها على ما هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس
شيأ منها اخبار بالغيب معجز يدل على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان
واصوله وما هو اعظم من ذلك يدل على انه قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابداء
خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نعم الله تعالى عليهم ويوفوا بعهده في
اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا اول من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وما انزل عليه فقال يا بني
اسرائيل اي اولاد يعقوب والابن من البناء لانه مبني ابيه ولذلك ينسب المصنوع
الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه
بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائيل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرايل
بقلب الهمزة ياء اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اي بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد
النعمة بهم لان الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على
الكفران والتسخط وان نظر الى ما انعم الله به عليه حمله حب النعمة على الرضاء والشكر وقيل اراد
بها ما انعم به على آبائهم من الانجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من
ادراك زمن محمد عليه السلام وقرئ اذكروا والاصل اذتكروا ونعمتي باسكان الياء واسقاطها
درجا وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها واوفوا بعهدي بالايمان والطاعة
اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد ولعل الاول مضاف الى
الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وانزال
الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتب الوفاء منا هو
الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله حقن الدم والمال واخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد
بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم وما روي عن ابن
عباس رض اوفوا بعهدي في اتباع محمد عليه السلام اوف بعهدكم في رفع الاصار والاغلال وعن غيره
اوفوا باداء الفرايض وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب واوفوا بالاستقامة
على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف
الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم
من حسن الاثابة وتفصيل العهدين قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولا
دخلنكم جنات وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة واياي فارهبون فيما تأتون
وتذرون وخصوصا في نقض العهد وهو اكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه
مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كأنه قيل
ان كنتم راهبين شيأ فارهبوني والرهبة خوف معه تحرز والاية متضمنة للوعد والوعيد
دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف احدا الا الله و
آمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم افراد الايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود
والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث

من حيث انه نازل حسب ما نعت فيها او مطابق لها في القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد
والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وفيما يخالفها من
جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار في المصالح من حيث ان كل واحدة
منها حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيه صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم في ايام
المتأخر لنزل على وفقه ولذلك قال عم لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي تنبيه على ان
اتباعها لا ينافي الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله ولا تكونوا اول كافر به بان
الواجب ان يكونوا اول من آمن به ولانهم كانوا اهل النظر في معجزاته والعلم بشأنه و
المستفتحين به والمبشرين بزمانه واول كافر به وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق
او فوج او بتأويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة فان قيل كيف
نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركوا العرب قلت المراد به التعريض لا الدلالة
على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او ولا تكونوا اول كافر من اهل الكتاب
او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقران فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي مكة
واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوال من وأل فابدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسي
او ااول من آل فقلبت همزته واوا وادغمت ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا ولا تستبدلوا
بالايمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة
الى ما يفوت عنكم من حظوظ الاخرة بترك الايمان قيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم
وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله عم فاختاروها عليه وقيل كانوا يأخذون
الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه واياي فاتقون بالايمان واتباع الحق والاعراض عن الدنيا
ولما كانت الاية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الاية الثانية فصلت بالرهبة
التي هي مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة التي هي
مبدأ السلوك والخطاب بالثانية لما خص اهل العلم امرهم بالتقوى الذي هو
منتهاه ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل
الشيء مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه
حتى لا يميز بينهما او لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله
وتذكرونه او يكذبونه في تأويله وتكتموا الحق جزم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا
بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من
لم يسمعه او نصب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه
ويعضده انه في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه وتكتمون بمعنى كاتمين وفيه اشعار
بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وانتم تعلمون عالمين بانكم
لابسون كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر واقيموا الصلوة واتوا الزكوة يعني
صلوة المسلمين وزكوتهم فان غيرهما كلا صلوة ولا زكوة امرهم بفروع الاسلام

بعد ما امرهم باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكوة من زكى الزرع اذا نما
فان اخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم او من الطهارة فانها تطهر المال
من الخبث والنفس من البخل واركعوا مع الراكعين اي في جماعتهم فان صلوة الجماعة
تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلوة
بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع
قال الاضبط السعدي لا تذل الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه اتأمرون
الناس بالبر تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر وهو الفضاء الواسع
يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلثة بر في عبادة الله وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة
الاجانب وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس رض انها
نزلت في احبار المدينة كانوا يأمرون سرا من نصحوه باتباع محمد ولا يتبعونه وقيل
كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وانتم تتلون الكتاب مخالفة القول العمل
افلا تعقلون قبح صنيعكم فيصدكم عنه او افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته
والعقل في الاصل الحبس سمي به الادراك الانساني لانه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن
ثم القوة التي بها النفس تدرك هذا الادراك والاية ناعية على من يعظ غيره ولا يعظ
نفسه سوء صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع الاحمق الخالي عن العقل
فان الجامع بينهما تأبى عنه شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال
عليها بالتكميل ليقوم فيقيم لا منع الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المامور
بهما لا يوجب الاخلال بالاخر واستعينوا بالصبر والصلوة متصل بما قبله كانه لما امروا
بما شق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك
والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله تعالى او بالصوم الذي
هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة
والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة
وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار
الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق
وقراءة القران والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل
المآرب وجبر المصائب روي انه عم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد
بها الدعاء وانها اي الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم
شانها واستجماعها ضروبا من الصبر او جملة ما امروا بها ونهوا عنها لكبيرة لثقيلة شاقة
كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين اي المخبتين والخشوع
الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك
يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه

اليه راجعون اي يتوقعون لقاء الله تعالى ونيل ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون
الى الله فيجازيهم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه
العلم في الرجحان اطلق عليه لتضمن معنى التوقع قال اوس بن حجر فارسلته مستيقن
الظن انه مخالط ما بين الشراسيف جائف وانما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم
فان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة في مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها ويستلذ
بسببه متاعبها ومن ثمه قال عم وجعلت قرة عيني في الصلوة يا بني اسرائيل اذ
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم كرره للتاكيد وتذكير التفضيل الذي هو اجل النعم
خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها واني
فضلتكم عطف على نعمتي على العالمين اي عالمي زمانهم يريد به تفضيل ابائهم الذين
كانوا في عصر موسى وبعده قبل ان يغيروا بما منحهم الله تعالى من العلم والايمان والعمل
وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملائكة وهو ضعيف
واتقوا يوما اي ما فيه من الحساب والعذاب لا تجزي نفس عن نفس شيئا لا
تقضي عنها شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدر وقرئ لا تجزئ
من اجزأ عنه اذا اغنى وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا وايراده منكرا مع تنكير
النفسين للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة ليوما والعائد فيها محذوف تقديره
لا تجزي فيه ومن لم يجوز حذف العائد المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار واجري مجرى
المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله ام مال اصابوا ولا يقبل منها شفاعة ولا
يؤخذ منها عدل اي من النفس الثانية العاصية او من الاولى وكانه اريد بالاية نفي
ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او غيره
والاول النصرة والثاني اما ان يكون مجانا او غيره والاول ان يشفع له والثاني اما
باداء ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او بغيره وهو ان يعطي عدلا والشفاعة من الشفع
كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل
البدل واصله التسوية سمي به الفدية لانها سويت بالمفدى ولا هم ينصرون يمنعون
من عذاب الله تعالى والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي
من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد والاناسي والنصرة اخص من المعونة لاختصاصها
بدفع الضر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الاية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر واجيب بانها
مخصوصة بالكفار للايات والاحاديث الواردة في الشفاعة ويؤيده ان الخطاب
معهم والاية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان اباءهم تشفع لهم واذ نجيناكم
من ال فرعون تفصيل لما اجمله في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وعطف على
نعمتي عطف جبرائيل وميكائيل على الملائكة وقرئ انجيتكم واصل ال اهل لان تصغيره
اهيل وخص بالاضافة الى اولي الخطر كالانبياء والملوك وفرعون لقب لمن ملك

العمالقة ككسرى وقيصر لملكي الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وكان
فرعون موسى مصعب بن الريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف عم ريان
وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما
واصل السوم الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب افظعه فانه قبيح بالاضافة
الى سائره والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير
في نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما يذبحون ابناءكم
ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما
فعلوا بهم ذلك لان فرعون راى في المنام او قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب
بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئا وفي ذلكم بلاء محنة ان اشير بذلكم الى صنيعهم
ونعمة ان اشير به الى الانجاء واصله الاختبار لكن لما كان اختبار الله عباده تارة
بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان
الشائع بينهما من ربكم بتسليطهم عليكم او ببعث موسى وتوفيقه لتخليصكم
او بهما عظيم صفة بلاء وفي الاية تنبيه على ان ما يصيب العبد من خير او شر اختبار
من الله تعالى فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين
واذ فرقنا بكم البحر فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك
بسلوككم فيه او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا وقرئ
فرّقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط فانجيناكم
واغرقنا آل فرعون اراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به
وقيل شخصه كما روي ان الحسن كان يقول اللهم صل على آل محمد اي شخصه واستغنى
بذكره عن ذكر اتباعه وانتم تنظرون ذلك او غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق
البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم
بعضا روي انه تعالى امر موسى عم ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون
وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر
فضربه فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا
ولا نعلم ففتح الله تعالى فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون
وراه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واعلم ان هذه الواقعة
من اعظم ما انعم الله به على بني اسرائيل ومن الايات الملجئة الى العلم بوجود الصانع
الحكيم وتصديق موسى عم ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله
جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل في الفطنة والزكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع
من امة محمد عليه السلام مع ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية دقيقة يدركها الاذكياء
واخباره عم عنها من جملة معجزاته على ما مر تقريره واذ وعدنا موسى اربعين ليلة لما

لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى ان يعطيه التورية وضرب له
ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقرا ابن كثير
ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي واعدنا لانه تعالى وعده الوحي ووعده موسى
المجيء للميقات الى الطور ثم اتخذتم العجل الها ومعبودا من بعده من بعد موسى عم
مضيه وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا
اذا درس من بعد ذلك اي الاتخاذ لعلكم تشكرون لكي تشكروا عفوه واذ
آتينا موسى الكتاب والفرقان يعني التورية الجامع بين كونه كتابا وحجة تفرق
بين الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى
او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام والنصر الذي فرق
بينه وبين عدوه لقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر لعلكم تهتدون لكي
تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر في الايات واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم
ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى باريكم فاعزموا على التوبة والرجوع الى من
خلقكم بريئا من التفاوت ومميزا بعضها عن بعض بصور وهيئات مختلفة
واصل التركيب لخلوص الشيء عن غيره اما على سبيل التفصي كقوله برئ المريض من مرضه
والمديون من دينه او الانشاء كقولهم برا الله ادم من الطين
او فتوبوا فاقتلوا انفسكم تماما لتوبتكم بالبخع او قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب
نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر
من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة روي ان الرجل يرى بعضه وقريبه فلم يقدر المضي
لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي
حتى دعا موسى وهارون فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا
والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب ذلكم خير لكم عند باريكم من حيث انه طهرة من
الشرك ووصلة الى الحيوة الابدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم متعلق بمحذوف
ان جعلته من كلام موسى عم لهم تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم او عطف
على محذوف ان جعلته خطابا من الله تعالى على طريقة الالتفات كانه قال ففعلتم
ما امرتم به فتاب عليكم باريكم وذكر الباري وترتيب الامر عليه اشعار بانهم بلغوا
غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقرة التي هي مثل في
الغباوة وان من لم يعرف حق منعمه حقيق بان يسترد منه ولذلك امروا بالقتل
وفك التركيب انه هو التواب الرحيم الذي يكثر توفيق التوبة او قبولها من المذنبين
ويبالغ في الانعام عليهم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك لاجل قولك او لن نقر لك
حتى نرى الله جهرة عيانا وهي في الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة
ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية او الحال من الفاعل او المفعول وقرئ جهرة

بالفتح على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا والقائلون هم السبعون الذين
اختارهم موسى للميقات وقيل عشرة الاف من قومه والمؤمن به ان الله الذى
اعطاك التورية وكلمك او انك نبى فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت
وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى يشبه الاجسام فطلبوا رؤيته رؤية الاجسام فى
الجهات والتحياز المقابلة للرائى وهى محال بل الممكن ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية
وذلك للمؤمنين فى الآخرة والافراد من الانبياء فى بعض الاحوال فى الدنيا قيل جائت
نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما
وليلة وانتم تنظرون ما اصابكم بنفسه او اثره ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب
الصاعقة وقيد البعث لانه قد يكون من اغماء او نوم كقوله تعالى ثم بعثناهم لعلكم تشكرون
نعمة البعث او ما كفرتموه لما رايتم بأس الله تعالى بالصاعقة وظللنا عليكم الغمام
سخر الله لهم السحاب يظللهم من الشمس حين كانوا فى التيه وانزلنا عليكم المن والسلوى
الترنجبين والسمانى قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع ويبعث الجنوب
عليهم السمانى وينزل بالليل عمود نار يسيرون فى ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى كلوا
من طيبات ما رزقناكم على ارادة القول وما ظلمونا فيه اختصار واصله فظلموا بان
كفروا هذه النعم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره واذ قلنا
ادخلوا هذه القرية يعنى بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد التيه فكلوا منها حيث
شئتم رغدا واسعا ونصبه على المصدر او الحال من الواو وادخلوا الباب اى باب
القرية او القبة التى كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حيوة موسى
عليه السلام سجدا متطامنين مخبتين او ساجدين لله تعالى شكرا على اخراجكم من التيه
وقولوا حطة اى مسئلتنا او امرك حطة وهى فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب
على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا اى قولوا هذه الكلمة وقيل
معناه امرنا حطة اى ان نحط فى هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم بسجودكم ودعائكم
وقرئ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول وخطايا اصله خطايئ كخطايع
فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان
فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الياء الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء
وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بهما ما ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا
جعل الامتثال توبة للمسئ وسبب زيادة الثواب للمحسن واخرجه عن صورة الجواب
الى الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعل
لا محالة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم بدلوا بما امروا به من التوبة والاستغفار
طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا فانزلنا على الذين ظلموا كرره مبالغة فى تقبيح
امرهم واشعارا بان الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المامور به موضعه او على انفسهم بان تركوا

بان تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها رجزا من السماء بما كانوا يفسقون
عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز فى الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس
وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روى انه مات به فى ساعة اربعة
وعشرون الفا واذ استسقى موسى لقومه لما عطشوا فى التيه فقلنا اضرب بعصاك
الحجر اللام فيه للعهد على ما روى انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه كانت تنبع من كل
وجه ثلث اعين يسيل كل عين فى جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر
اثنى عشر ميلا او حجرا اهبطه آدم من الجنة ووقع الى شعيب فاعطاه مع العصا او الحجر الذى
فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبراه الله تعالى به عما رموه فاشار اليه جبرئيل بحمله
او للجنس وهذا اظهر فى الحجة قيل لم يامر ان يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف
بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة فيها حمل حجرا فى مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل
فينفجر ويضربه بها اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله
اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تعطك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان
ذراعا فى ذراع والعصا عشرة اذرع فى طول موسى من آس الجنة وله شعبتان تتقدان
فى الظلمة فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا متعلق بمحذوف تقديره فان ضربت فقد
انفجرت او فضرب فانفجرت كما مر فى قوله فتاب عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين و
فتحها وهما لغتان فيه قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التى يشربون منها كلوا
واشربوا على تقدير القول من رزق الله يريد به ما رزقهم من المن والسلوى وماء العيون
وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل مما ينبت منه ولا تعثوا فى الارض مفسدين
لا تعتدوا حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب فى الفساد قد يكون منه ما ليس
بفساد كمقابلة الظالم المعتدى بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام
وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غير انه يغلب فيما يدرك حسا ومن انكر
امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره فى عجائب صنعه فانه لما امكن
ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله
حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض او لجذب الهواء من الجوانب ويصيره ماء
بقوة التبريد ونحو ذلك واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد يريد به ما رزقوا
فى التيه من المن والسلوى وبوحدته انها لا تختلف ولا تتبدل كقولهم طعام مائدة
الامير واحد يريدون انه لا يتغير الوانه ولذلك اجموا او ضرب واحد لانهما معا
طعام اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما الفوه فادع
لنا ربك سله لنا بدعائك اياه يخرج لنا يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب
فادع فان دعوته سبب الاجابة مما تنبت الارض من الاسناد المجازى واقامة
القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها

تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبتته الارض من الخضر
والمراد به اطايبه التي تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل الثوم وقرئ
وقثائها بالضم وهو لغة منه قال الله تعالى او موسى اتستبدلون الذي هو ادنى
اقرب منزلة وادون قدرا واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير
البعد في الشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة وقرئ ادنأ من الدناءة بالذي
هو خير يريد به المن والسلوى فانه خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعي اهبطوا
مصرا انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه
وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اراد به العلم وانما صرفه
للسكون وسطه او على تاويل البلد ويؤيده انه غير منون في مصحف ابن مسعود رض
وقيل اصله مصرائيم فعرب فان لكم ما سالتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة احيطت
بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه والصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم
على كفران النعمة واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة او على التكلف
مخافة ان تضاعف جزيتهم وباؤا بغضب من الله رجعوا به او صاروا احقاء
بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل البوء المساواة ذلك
اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون
بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق بسبب كفرهم بالمعجزات التي من جملتها ما عد
عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر او بالكتب
المنزلة كالانجيل والفرقان واية الرجم والتي فيها نعت محمد عليه السلام من التورية و
قتلهم الانبياء فانهم قتلوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم
ما يعتقدون به جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار
بقوله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي جرهم العصيان والتمادي والاعتداء
فيه الى الكفر بالايات وقتل النبيين فان صغار الذنوب اسباب يؤدي الى ارتكاب
كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب مؤدية الى تحري كبارها وقيل كرر الاشارة
للدلالة على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم
حدود الله وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانما جوزت الاشارة
بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تاويل ما ذكر او تقدم للاختصار ونظيره في الضمير قول رؤبة
يصف بقرة فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق والذي حسن ذلك
ان تثنية المضمرات وجمعها وتانيثها ليست على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع
ان الذين امنوا بالسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد صلى الله عليه وسلم المخلصين منهم
والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم في سلك الكفرة والذين هادوا تهودوا يقال
هاد وتهود اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك

بذلك لما تابوا من عبادة العجل واما معرب يهوذا كانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب
والنصارى جمع نصران كندامى والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم
نصروا المسيح او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران او ناصرة فسموا باسمها او
من اسمها والصابئين قوم بين النصارى والمجوس وقيل دينهم دين نوح وقيل هم
عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن صبا اذا خرج وقرا
نافع وحده بالياء اما لانه خفف الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا من سائر
الاديان الى دينهم او من الحق الى الباطل من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا من كان
منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدا والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من امن
من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في الاسلام دخولا صادقا فلهم اجرهم عند
ربهم الذي وعد لهم على ايمانهم وعملهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون حين يخاف
الكفار ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدا خبره فلهم
اجرهم والجملة خبر ان او بدل من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم والفاء لتضمن المسند اليه معنى
الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطية ورد
بقوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم
واذ اخذنا ميثاقكم باتباع موسى والعمل بالتورية ورفعنا فوقكم الطور حتى اعطيتم
الميثاق روي ان موسى عليه السلام لما جاءهم بالتورية فراوا ما فيها من التكاليف
الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبرائيل بقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا
خذوا على ارادة القول ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه
ادرسوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به لعلكم تتقون
لكي تتقوا المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة ان يتعلق
بالقول المحذوف اي قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم من بعد
ذلك اعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد اخذه فلولا فضل الله عليكم ورحمته
بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلى الله عليه وسلم يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من
الخاسرين المغبونين بالانهماك في المعاصي او بالخبط والضلال في فترة من الرسل
ولو في الاصل لامتناع الشيء لامتناع غيره فاذا دخل على لا افاد اثباتا وهو امتناع الشيء
لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدا خبره واجب الحذف لدلالة الكلام
عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف ولقد علمتم الذين
اعتدوا منكم في السبت اللام موطئة للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود اذا
عظمت يوم السبت واصله القطع امروا بان يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس
منهم في زمن داود عليه السلام واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون
قرية على الساحل يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا

حضر هناك واخرج خرطومه فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول
وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فقلنا لهم كونوا قردة
خاسئين جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد
ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا
وقوله كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا
كذلك كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة فجعلناها
اي المسخة او العقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها
وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت
قصتهم في الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها
او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها وموعظة
للمتقين من قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا
بقرة اول هذه القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فكت عنه وقدمت
عليه لاستقلاله بنوع آخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال
وترك المسارعة الى الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه طمعا
في ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤوا يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة
ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا اي مكان هزؤ او اهله او مهزوءا بنا
او الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرأ حمزة واسمعيل عن
نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا قال اعوذ بالله ان اكون
من الجاهلين لان الهزؤ في مثل ذلك المقام جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمي به على طريقة
البرهان واخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعا له قالوا ادع لنا ربك يبين
لنا ما هي اي ما حالها وصفتها وكان حقه ان يقولوا اي بقرة هي او كيف هي لان
ما يسأل به عن الجنس غالبا لكنهم لما رأوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شيء من جنسه
اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله قال انه يقول انها بقرة لا فارض
ولا بكر لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كانها
فرضت سنها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة عوان نصف قال
نواعم بين ابكار وعون بين ذلك بين ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف
اليه فانه لا يضاف الا الى متعدد وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات
على بقرة يدل على ان المراد بها معينة ويلزمه تأخير البيان عن وقت الخطاب ومن انكر
ذلك زعم ان المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم
ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما
ويؤيد الرأي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه السلام لو ذبحوا اي بقرة ارادوا لاجزأتهم

ولا جزأتهم ولكن شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم عن
المراجعة بقوله فافعلوا ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك
الخير فافعل ما امرت به او امركم بمعنى مأموركم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها
قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع نصوع الصفرة ولذلك تؤكد به
فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفي اسناده الى اللون وهو صفة صفراء لملابسته
بها تأكيد كأنه قيل صفراء شديد الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة السواد
وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر قال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر
اولادها كالزبيب ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته او لان سواد الابل
تعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع تسر الناظرين اي
تعجبهم والسرور اصله لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه من السر قالوا ادع لنا ربك
يبين لنا ما هي تكرير للسؤال الاول واستكشاف زائد وقوله ان البقر تشابه علينا
اعتذار عنه اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا وقرئ ان
الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر ويتشابه بالياء والتاء وتشابه بطرح التاء وادغامها
على التذكير والتأنيث وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه ويشبه
بالتذكير ومتشابهة ومتشبهة وانا ان شاء الله لمهتدون الى المراد ذبحها
او الى القاتل وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم اخر الابد واحتج به اصحابنا
على ان الحوادث بارادة الله تعالى وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط
بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث الارادة واجيب بان التعليق باعتبار
التعلق قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اي لم تذلل للكراب
وسقي الحروث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتأكيد الاولى والفعلان
صفتا ذلول كأنه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك مررت
برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث هو وتسقي من اسقى مسلمة سلمها الله من العيوب او
اهلها من العمل او اخلص لونها من سلم له كذا اذا خلص له لا شية فيها لا لون فيها يخالف لون
جلدها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر قالوا الآن
جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا وقرئ الآن بالمد على الاستفهام وآلان
بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة
فذبحوها وما كادوا يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم او لخوف الفضيحة في ظهور القاتل
او لغلاء ثمنها اذ روي شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استود
عكها لابني حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى
اشتروها بملء جلدها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكاد من افعال المقاربة
وضع لدنو الخبر حصولا فاذا دخل النفي قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه

كسائر الافعال ولا ينافي قوله وما كادوا يفعلون لاختلاف وقتيهما اذ المعنى
انهم ما قاربوا ان يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجأ الى الفعل
واذ قتلتم نفسا خطاب الجمع لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها اختصمتم في شأنها اذ
المتخاصمان يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم بان طرح قتلها كل عن نفسه الى صاحبه واصله
تدارأتم فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون
مظهره لا محالة واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال
ماضية فقلنا اضربوه عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير
على تأويل الشخص او القتيل ببعضها اي بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل
بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب كذلك يحيي الله الموتى يدل على ما حذف وهو
فضربوه فحيي والخطاب مع من حضر حيوة القتيل او نزول الاية ويريكم اياته دلائله
على كمال قدرته لعلكم تعقلون لكي يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر
على احياء الانفس كلها او تعملون على قضيته ولعله تعالى انما لم يحيه ابتداء وشرط فيه ما شرط
لما فيه من التقرب واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على
الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي
بثمنه كما روي عن عمر رضه انه ضحى بنجيبة بثلثمائة دينار وان المؤثر في الحقيقة هو الله
تعالى والاسباب امارات لا اثر لها وان من اراد ان يعرف اعدى عدوه الساعي
في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان تذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال
عنها شره الصبي ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب
الدنيا مسلمة عن دنسها لا شية بها من مقابحها بحيث يصل اثره الى نفسه فتحيى حيوة
طيبة وتعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارئ والنزاع
ثم قست قلوبكم القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر وقساوة القلب
مثل في نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة من بعد ذلك يعني احياء القتيل
او جميع ما عدد من الايات فانها مما توجب لين القلب فهي كالحجارة في قسوتها او اشد
قسوة منها والمعنى انها في القساوة مثل الحجارة او زائد عليها او انها مثلها او مثل ما هو
اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة
الجر بالفتح عطفا على الحجارة وانما لم يقل اقسى لما في اشد من المبالغة والدلالة على اشتداد
القسوتين واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها
شبهها بالحجارة او بما هو اقسى منها وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق
فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتأثر و
تنفعل فان منها ما يتشقق فينبع منه الماء وتتفجر منه الانهار ومنها ما يتردى من اعلى الجبل
انقيادا لما اراد الله به وقلوب هؤلاء لا تتأثر ولا تنفعل عن امره والتفجر التفتح

التفتح بسعة وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ ان على انها المخففة من الثقيلة ويلزمها
اللام الفارقة بينها وبين ان النافية ويهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون وعيد على
ذلك وقرأ ابن كثير ونافع ويعقوب وابو بكر بالياء ضما الى ما بعده والباقون بالتاء
افتطمعون الخطاب لرسول الله والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يصدقوكم او يؤمنوا
لاجل دعوتكم يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة من اسلافهم يسمعون كلام الله
يعني التورية ثم يحرفونه كنعت محمد عم واية الرجم او تأويله فيفسرونه بما يشتهون
وقيل هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور ثم قالوا سمعنا
الله يقول في اخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا
من بعد ما عقلوه اي فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة وهم يعلمون انهم مفترون
مبطلون ومعنى الاية ان احبار هؤلاء ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما طمعكم بسفلتهم
وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا الذين امنوا يعني منافقيهم
قالوا امنا بانكم على الحق ورسولكم هو المبشر به في التورية واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا
اي الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم
في التورية من نعت محمد عم او الذين نافقوا لاعقابهم اظهارا للتصلب في اليهودية
ومنعا لهم عن ابداء ما وجدوا في كتابهم فينافقون الفريقين فالاستفهام على الاول
تقريع وعلى الثاني انكار ونهي ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا
محاجتهم بكتاب الله وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد به انه في كتابه وحكمه وقيل
عند ذكر ربكم او بين يدي رسول ربكم وقيل عند ربكم في القيمة وفيه نظر اذ الاخفاء لا يدفعها
افلا تعقلون اما تمام كلام اللائمين وتقديره افلا تعقلون انهم يحاجونكم به فيحجوكم
او خطاب من الله للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم
وان لا مطمع لكم في ايمانهم اولا يعلمون يعني هؤلاء المنافقين او اللائمين او
كلاهما او اياهم والمحرفين ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن جملتها اسرار
الكفر واعلان الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف الكلام عن مواضعه
ومعانيه ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعوا
التورية ويتحققوا ما فيها او التورية الا اماني استثناء منقطع والاماني جمع امنية
وهي في الاصل ما يقدره الانسان في نفسه من منى اذا قدر ولذلك يطلق على الكذب
وعلى ما يتمنى وما يقرأ والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليدا من المحرفين
او مواعيد فارغة سمعوها منهم من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا وان النار
لن تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا ما يقرؤن قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره
من قوله تمنى كتاب الله اول ليلة تمني داود الزبور على رسل وهو لا يناسب وصفهم
بانهم اميون وان هم الا يظنون ما هم الا قوم يظنون لا علم لهم وقد يطلق الظن

بآراء العلم على كل رأي واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق
لشبهة فويل اي تحسر وهلك ومن قال انه واد او جبل في جهنم فمعناه ان فيها موضعا يتبوأ
فيه من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو في الاصل مصدر لا فعل له وانما ساغ
الابتداء به نكرة لانه دعاء للذين يكتبون الكتاب يعني المحرف ولعله اراد به ما كتبوه
من التأويلات الزائغة بايديهم تأكيد كقولك كتبته بيميني ثم يقولون هذا من عند الله
ليشتروا به ثمنا قليلا كي يحصلوا به عرضا من اعراض الدنيا فانه وان جل قليل بالنسبة
الى ما استوجبوه من العقاب الدائم فويل لهم مما كتبت ايديهم يعني المحرف وويل لهم
مما يكسبون يريد به الرشى وقالوا لن تمسنا النار المس اتصال الشيء بالبشرة بحيث
تتأثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك يقال المسه فلا اجده الا اياما معدودة
محصورة قليلة روي ان بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام عبادة العجل اربعين يوما
وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما
قل اتخذتم عند الله عهدا خبرا او وعدا بما تزعمون وقرأ ابن كثير وحفص باظهار الذال
والباقون بادغامه فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر اي ان اتخذتم عند الله عهدا
فلن يخلف الله عهده وفيه دليل على ان الخلف في خبره محال ام تقولون على الله ما لا تعلمون
ام معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع احدهما
او منقطعة بمعنى بل اتقولون على التقرير والتقريع بلى اثبات لما نفوه من مساس
النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه اعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم و
يختص بجواب النفي من كسب سيئة اي قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة انها قد تقال
فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من الخطأ والكسب
استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة قوله فبشرهم بعذاب اليم واحاطت به
خطيئته اي استولت عليه وشملت جملة احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء
من جوانبه وهذا انما يصح في شان الكافر لان غيره ان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار
لسانه فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب
ذنبا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو اكبر منه حتى
تستولي عليه الذنوب وتأخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا الى المعاصي مستحسنا اياها
معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال الله تعالى
ثم كان عاقبة الذين اساؤوا السوأى ان كذبوا بآيات الله وقرأ نافع خطيئاته وقرئ خطيته
وخطياته على القلب والادغام فيهما فاولئك اصحاب النار ملازموها في الآخرة كما انهم
ملازمون اسبابها في الدنيا هم فيها خالدون دائمون او لابثون لبثا طويلا والآية
كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا التي قبلها والذين آمنوا وعملوا الصالحات
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت عادته سبحانه وتعالى على ان يشفع وعده

مطلب مدة الدنيا سبعة آلاف سنة

وعده بوعيده لترجى رحمته ويخشى عذابه وعطف العمل على الايمان يدل على خروجه من مسماه
واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله اخبار في معنى النهي كقوله تعالى ولا يضار
كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي سارع الى الانتهاء
وهو يخبر عنه ويعضده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على ارادة القول
القول وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما حذف ان رفع كقوله ألا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويدل
عليه قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا عن الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم
دل عليه المعنى كانه قال حلفناهم لا تعبدون وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب
بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء لانهم غيب وبالوالدين احسانا متعلق بمضمر
تقديره وتحسنون او احسنوا وذي القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم
كنديم وندامى وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون وكان الفقر اسكنه وقولوا للناس
حسنا اي قولا حسنا للمبالغة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب حسنا بفتحتين وقرئ حسنا
بضمتين وهو لغة اهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد واقيموا
الصلوة وآتوا الزكوة يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم ثم توليتم على طريق الالتفات ولعل
الخطاب مع الموجودين منهم في عهد رسول الله صلعم ومن قبلهم على التغليب اي اعرضتم عن الميثاق
ورفضتموه الا قليلا منكم يريد به من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن اسلم منهم وانتم
معرضون قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة
الى جهة العرض واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم على
نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء وانما جعل قتل الرجل غيره قتل
نفسه لاتصاله به نسبا او دينا او لانه يوجبه قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك
دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحيوة الابدية فانه القتل في الحقيقة
ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي ثم اقررتم بالميثاق و
اعترفتم بلزومه وانتم تشهدون توكيد كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم
ايها الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا ثم انتم
هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به والشهادة عليه وانتم مبتدأ وهؤلاء
خبره على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك انت ذاك الرجل الذي فعل كذا
نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا وباعتباره
ما يحكى عنهم غيبا وقوله تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم اما حال والعامل
فيها معنى الاشارة او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تأكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذين
والجملة صلته والمجموع هو الخبر وقرئ تقتلون على التكثير تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان
حال من فاعل تخرجون او من مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون من الظهر وقرأ عاصم والكسائي
وحمزة بحذف احدى التائين وقرئ باظهارهما وتظهرون بمعنى تتظهرون وان يأتوكم

اساري تفادوهم روي ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا
عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها واذا اسر احد من الفريقين
جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه ان ياتوكم اسارى في ايدي الشياطين تتصدون لانقاذهم
بالارشاد والوعظ مع تضييعكم انفسكم كقوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم
وقرا حمزة اسرى وهو جمع اسير كجرحى وجريح واسارى جمعه كسكرى وسكارى وقيل ايضا
هو جمع اسير كانه شبه بالكسلان وجمع جمعه وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم
وهو محرم عليكم اخراجهم متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير
للشان او مبهم وتفسيره اخراجهم او راجع الى ما دل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم تاكيد او
بيان افتؤمنون ببعض الكتاب يعني الفداء وتكفرون ببعض يعني حرمة المقاتلة والاجلاء
فما جزاء من يفعل ذلك منكم الاخزي في الحيوة الدنيا كقتل قريظة وسبيهم واجلاء النضير
وضرب الجزية على غيرهم واصل الخزي ذل يستحيي منه ولذلك يستعمل في كل منهما ويوم القيمة
يردون الى اشد العذاب لان عصيانهم اشد وما الله بغافل عما تعملون تاكيد للوعيد
اي الله سبحانه وتعالى بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم وقرا عاصم في رواية المفضل تردون على الخطاب
لقوله منكم وابن كثير ونافع ويعقوب يعملون على ان الضمير لمن اولئك الذين اشتروا الحيوة
الدنيا بالاخرة اثروا الحيوة الدنيا على الاخرة فلا يخفف عنهم العذاب بنقص الجزية في الدنيا
والتعذيب في الاخرة ولا هم ينصرون بدفعهما عنهم ولقد اتينا موسى الكتاب اي التورية
وقفينا من بعده بالرسل اي ارسلنا على اثره كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى يقال قفاه اذا
اتبعه وقفاه به اتبعه من القفا نحو ذنبه من ذنب واتينا عيسى ابن مريم البينات المعجزات
الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وعيسى
بالعبرية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير من الرجال قال
رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزنه مفعل اذ لم يذكر فعيل وايدناه قويناه وقرئ
ايدناه بروح القدس بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق اراد به جبرائيل
عم وقيل روح عيسى عم ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان او لكرامته على الله و
لذلك اضافه الى نفسه او لانه لم تضمه الاصلاب والارحام الطوامث او الانجيل
او اسم الله الاعظم الذي كان يحيي به الموتى وقرا ابن كثير القدس بالاسكان في جميع القران
افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال هوي بالكسر هوى اذا احب
وهوى بالفتح هويا بالضم سقط ووسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم
على تعقيبهم ذاك بهذا وتعجيبا من شانهم ويحتمل ان يكون استينافا والفاء
للعطف على مقدر استكبرتم عن الايمان واتباع الرسل ففريقا كذبتم كموسى وعيسى عم
والفاء للسببية او للتفصيل وفريقا تقتلون كزكريا ويحيى وانما ذكر بلفظ المضارع
على حكاية الحال الماضية استحضارا لها في النفوس فان الامر فظيع ومراعاة للفواصل

اصل او للدلالة على انكم بعد فيه فانكم حول قتل محمد عم لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له
الشاة وقالوا قلوبنا غلف مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها ما جئت به ولا تفقهه
مستعار من الاغلف الذي لم يختن وقيل اصله غلف جمع غلاف فخفف والمعنى انها اوعية
العلم لا تسمع علما الا وعته ولا تعي ما تقول او نحن مستغنون بما فيها من غيره بل لعنهم الله
بكفرهم رد لما قالوه والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم
بكفرهم فابطل استعدادهم او انها لم تاب قبول ما تقوله لخلل فيه بل لان الله خذلهم بكفرهم
كما قال تعالى فاصمهم واعمى ابصارهم او هم كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى العلم والاستغناء
عنك فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة للمبالغة في التقليل وهو ايمانهم
ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة العدم ولما جاءهم كتاب من عند الله يعني القران
مصدق لما معهم من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب لتخصصه بالوصف وجواب
لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اي يستنصرون
على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي اخر الزمان المنعوت في التورية او يفتحون عليهم
ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة والاشعار بان
الفاعل يسال ذلك عن نفسه فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة
فلعنة الله على الكافرين اي عليهم واتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فتكون
اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس ويدخلون فيه بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شيء مميزة لفاعل
بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا او اشتروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم خلصوا
انفسهم من العقاب بما فعلوا ان يكفروا بما انزل الله هو المخصوص بالذم بغيا طلب
لما ليس لهم وحسدا على اللام للجنس ويدخلون دخولا اوليا لان الكلام ان ينزل الله من فضله
يعني الوحي على من يشاء من عباده على من اختاره للرسالة فباؤا بغضب على غضب
للكفر والحسد على من هو افضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد عم بعد عيسى عم او بعد قولهم عزير ابن الله
يكفرهم واذ دون استكبارا الفصل عزير ابن الله وللكافرين عذاب مهين يراد به اذلالهم
لهم بخلاف عذاب العاصي فانه طهرة لذنوبه واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله يعم الكتب
المنزلة باسرها قالوا نؤمن بما انزل علينا اي بالتورية ويكفرون بما وراءه حال عن الضمير
في قالوا ووراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به
وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد وهو
الحق الضمير لما وراءه والمراد به القران مصدقا لما معهم حال مؤكدة تتضمن رد مقالهم
فانهم لما كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان
كنتم مؤمنين اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع ادعاء الايمان بالتورية والتورية لا تسوغه
وانما اسنده اليهم لانه فعل ابائهم وانهم راضون به عازمون عليه وقرا نافع وحده
انبئاء الله بالهمزة في كل القران ولقد جاءكم موسى بالبينات يعني الايات التسع

المخصوص خلوا فيه دخولا اوليا لان الكلام صح
وهو علة بكفروا دون اشتروا للفصل صح
لان ينزل او حسدوه على ان ينزل الله وقرا ابن كثير وابو عمرو بالتخفيف صح

المذكورة في قوله تعالى ولقد اتينا موسى تسع بينات ثم اتخذتم العجل اي الها من بعده
بعد مجيء موسى او ذهابه الى الطور وانتم ظالمون حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته
او بالاخلال بايات الله او اعتراض بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم ومساق الاية ايضا
لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقتهم مع الرسول عم طريقة اسلافهم
مع موسى عم لا لتكرير القصة وكذا ما بعدها واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور
خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا اي قلنا لهم خذوا ما امرتم به في التورية بجد واسمعوا
سماع طاعة قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك واشربوا في قلوبهم العجل تداخلهم
حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب
اعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون في بطونهم نارا بكفرهم
بسبب كفرهم وذلك لانهم كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم
ما سول لهم السامري قل بئسما يامركم به ايمانكم اي بالتورية والمخصوص بالذم محذوف
نحو هذا الامر او ما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة في الايات الثلث الزاما عليهم
ان كنتم مؤمنين تقرير للقدح في دعواهم الايمان بالتورية وتقديره ان كنتم مؤمنين بها لم
يامركم بهذه القبائح ولا يرخص لكم فيها ايمانكم بها او ان كنتم مؤمنين بها فبئس ما امركم به
ايمانكم بها لان المؤمن ينبغي ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يامر به
فاذا لستم بمؤمنين قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة خاصة لكم كما قلتم
لن يدخل الجنة الا من كان هودا ونصبها على الحال من الدار من دون الناس
سايرهم او المسلمين واللام للعهد فتمنوا الموت ان كنتم صادقين لان من ايقن
انه من اهل الجنة اشتاقها واحب التخلص اليها من الدار ذات الشوائب كما قال
علي رض لا ابالي سقطت على الموت او سقط الموت علي وقال عمار رض بصفين
الآن الاقي الاحبة محمدا عم وحزبه وقال حذيفة حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا افلح
من ندم اي على التمني سيما اذا علم انها سالمة له لا يشاركه فيها غيره ولن يتمنوه ابدا
بما قدمت ايديهم من موجبات النار كالكفر بمحمد عم والقران وتحريف التورية
ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان آلة لقدرته بها عامة صنايعه ومنها اكثر
منافعه عبر بها عن النفس تارة والقدرة اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان
كما اخبر لانهم لو تمنوا لنقل واشتهر فان التمني ليس من عمل القلب ليخفى بل هو ان
يقول ليت لي كذا وان كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبي عم لو تمنوا الموت
لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي على وجه الارض والله عليم
بالظالمين تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن هو
لهم ولتجدنهم احرص الناس على حيوة من وجد بمعقله الجاري مجرى علم ومفعولاه
هم واحرص وتنكير حيوة لانه اريد فرد من افرادها وهي الحيوة المتطاولة وقرئ باللام

باللام ومن الذين اشركوا محمول على المعنى وكانه قال احرص من الناس ومن الذين اشركوا
وافرادهم بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد اذ لم يعرفوا الا الحيوة العاجلة والزيادة في التوبيخ
والتقريع فانه لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صائرون
الى النار ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول عليه وان يكون خبر
مبتدا محذوف صفته يود احدهم على انه اريد بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله
اي ومنهم ناس يود احدهم وهو على الاول بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف
لو يعمر الف سنة حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت وكان اصله لو اعمر اجري على الغيبة لقوله يود
كقولك حلف بالله ليفعلن وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر الضمير لاحدهم وان يعمر
فاعل مزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره او لما دل عليه يعمر وان يعمر بدل منه او مبهم
وان يعمر موضحه واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت
النخلة اذا اتت عليه السنون والزحزحة التبعيد والله بصير بما يعملون فيجازيهم قل من كان
عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن صوريا سال رسول الله عم عن من ينزل عليه فقال جبريل فقال
ذاك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر
فبعثنا من يقتله فراه ببابل فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا
فبم تقتلونه وقيل دخل عمر رض مدراس اليهود يوما فسالهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع
محمدا عم على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام
فقال وما منزلتهما من الله قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال
لئن كان كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدو احدهما فهو عدو الله
تعالى ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال عم لقد وافقك ربك يا عمر وفي جبريل
ثمان لغات قرئ بهن اربع في المشهورة جبرئيل كسلسبيل قراءة حمزة والكسائي وجبريل
بكسر الراء وحذف الهمزة قراءة ابن كثير وجبرئل كجحمرش قراءة عاصم وجبريل كقنديل قراءة الباقين
واربع في الشواذ جبرال وجبرائيل وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله
فانه نزله البارز الاول لجبريل والثاني للقران واضماره غير مذكور يدل على فخامة شانه
كانه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكره على قلبك فانه القابل الاول للوحي ومحل
الفهم والحفظ وكان حقه على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله تعالى كانه قال قل ما تكلمت
به باذن الله اي بامره او تيسيره حال من فاعل نزل مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى
للمؤمنين احوال من مفعوله والظاهر ان جواب الشرط فانه نزله والمعنى من عادى
منهم جبريل فقد خلع ربقة الانصاف او كفر بما معه من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله
عليك بالوحي لانه نزل مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب واقيم علته مقامه
او من عاداه فالسبب في عداوته انه نزل عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا او
فهو عدو لي وانا عدوه كما قال من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل

فانّ الله عدو للكافرين اراد بعداوة الله مخالفته عنادا او معاداة المقربين من عباده
وصدّر الكلام بذكره تفخيما لشأنهم كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وافرد الملكين
بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر والتنبيه على ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب
العداوة من الله تعالى وان من عادى احدهم فكأنه عادى الجميع اذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم
على الحقيقة واحد ولان المحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انه تعالى
عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل كفر وقرأ نافع ميكائل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب
وعاصم ميكال كميعاد وقرئ ميكئل وميكئيل وميكاءل ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما
يكفر بها الا الفاسقون اي المتمردون من الكفرة والفسق اذا استعمل في نوع من المعاصي دل على
اعظمه كأنه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا حين قال لرسول الله عم ما جئتنا بشيء نعرفه
وما انزل عليك من آية فنتبعك اوكلما عاهدوا عهدا الهمزة للانكار والواو للعطف
على محذوف تقديره اكفروا بالآيات وكلما عاهدوا وقرئ بسكون الواو على ان التقدير
الا الذين فسقوا اوكلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا نبذه فريق منهم نقضه واصل النبذ
الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون
ردّ لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون او ان من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون به خفاء ولما
جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم كعيسى ومحمد عم نبذ فريق من الذين اوتوا
الكتاب كتاب الله يعني التورية لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ
لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين بالآيات وقيل ما مع الرسول وهو القرآن
وراء ظهورهم مثل لاعراضهم عنه رأسا بالاعراض عما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات
اليه كأنهم لا يعلمون انه كتاب الله يعني ان علمهم به رصين ولكن يتجاهلون عنادا
واعلم انه تعالى دل بالآيتين على ان جل اليهود اربع فرق فرقة آمنوا بالتورية وقاموا بحقوقها
كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله تعالى بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة
جاهروا بنبذ عهودها وتخطي حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله تعالى نبذه فريق منهم
وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا و
نبذوها خفية عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون واتبعوا ما تتلو الشياطين
عطف على نبذ اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي تقرأها او تتبعها الشياطين
من الجن او الانس او منهما على ملك سليمن اي عهده وتتلو حكاية حال ماضية قيل كانوا
يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون
الناس وفشا ذلك في عهد سليمن حتى قيل ان الجن يعلم الغيب وان ملك سليمن تم بهذا
العلم وانه تسخر به الانس والجن والريح له وما كفر سليمن تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن السحر
بالكفر ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما عنه ولكن الشياطين كفروا باستعماله
وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي الشياطين يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا و

واضلالا والجملة حال من الضمير والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب الى الشياطين
مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس
فان التناسب شرط في التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبي عم والولي
واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الآلات والادوية ويريه صاحب
خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز او لما فيه من الدقة لانه في الاصل لما
خفي سببه وما انزل على الملكين عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف
لتغاير الاعتبار او انه نوع اقوى منه او على ما تتلو وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء
من الله للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة وما روي انهما مثلا بشرين وركب فيهما
الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت
الى السماء بما تعلمت منهما فمحكي عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله لا يخفى على
ذوي البصائر وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين
بالكسر وقيل ما انزل نفي معطوف على ما كفر تكذيب لليهود في هذه القصة ببابل
ظرف او حال من الملكين او الضمير في انزل والمشهور انه بابل من سواد الكوفة
هاروت وماروت عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو
كان من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين
بدل البعض وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت وما
يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فمعناه على الاول ما يعلمان
احدا حتى ينصحاه ويقولا له انما ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم
وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به وفيه دليل على
ان تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور وانما المنع من اتباعه والعمل به وعلى
الثاني ما يعلمانه حتى يقولا انا مفتونان فلا تكن مثلنا فيتعلمون منهما الضمير
لما دل عليه من احد ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي من السحر ما يكون سبب
تفريقهما وما هم بضارين به من احد الا باذن الله لانه وغيره من باب غير مؤثر
بالذات بل بامره تعالى وجعله وقرئ بضاري على الاضافة الى احد وجعل الجار
جزءا منه والفصل بالظرف ويتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون به العمل
او لان العلم يجر الى العمل غالبا ولا ينفعهم اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع
في الدارين وفيه ان التحرز عنه اولى ولقد علموا لمن اشتراه اي استبدل ما
تتلو الشياطين بكتاب الله والاظهر ان اللام لام الابتداء علقت علموا
عن العمل ما له في الآخرة من خلاق نصيب ولبئس ما شروا انفسهم يحتمل
المعنيين على ما مر لو كانوا يعلمون يتفكرون فيه قبحه على اليقين او حقيقة ما
يتبعه من العذاب والمثبت لهم اولا على التوكيد القسمي العقل الغريزي

او العمل الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعلمون
بعلمهم فان من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم ولو انهم امنوا بالرسول والكتاب واتقوا
بترك المعاصي كنبذ كتاب الله واتباع السحر لمثوبة من عند الله خير جواب لو واصله
لاثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وركب الباقي جملة اسمية
لتدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب
اليه وتنكير المثوبة لان المعنى لشئ من الثواب خير وقيل لو للتمني والمثوبة كلام مبتداء
وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه لو كانوا
يعلمون ان ثواب الله خير جهلهم لترك التدبر او العمل بالعلم يا ايها الذين امنوا
لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا الرعي حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون
للرسول عم راعنا اي راقبنا وتان بنا فيما تلقننا حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه
وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن او سبه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون
بها وهي راعينا ونهي المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل
التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر الينا او انتظرنا من نظره وقرئ انظرنا من الانظار
اي امهلنا لنحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا
ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم راعينا وتسبب للسب واسمعوا
واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا الى طلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول لا كسماع
اليهود او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه وللكافرين عذاب
اليم يعني الذين تهاونوا بالرسول عم وسبوه ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب
ولا المشركين نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم
يودون لهم الخير والود محبة الشئ مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ومن للتبيين
كما في قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب ان ينزل عليكم من خير
من ربكم مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء وفسر الخير
بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم شئ منه وبالعلم وبالنصرة
ولعل المراد به ما يعم ذلك والله يختص برحمته من يشاء يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره
لا يجب عليه شئ وليس لاحد عليه حق والله ذو الفضل العظيم اشعار بان النبوة
من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف فيه
من حكمته ما ننسخ من اية او ننسها نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون
الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن
الشئ واثباتها في غيره كنسخ الظل من الشمس والنقل ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد
منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الاية بيان انتهاء التعبد
بقراءتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها عن القلوب وما

وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرئ ابن عامر ننسخ من انسخ الشئ
اي نامرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وابن كثير وابو عمرو ننساها اي نوخرها
من النساء وقرئ ننسها اي ننس احدا اياها وننسها اي انت على بناء على البناء
للمفعول او ننسكها باظهار المفعولين نات بخير منها او مثلها اي بما هو خير
للعباد في النفع والثواب او مثلها في الثواب وقراء ابو عمرو بقلب الهمزة الم تعلم
ان الله على كل شئ قدير فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير والاية دلت
على جواز النسخ وتاخير الانزال اذ الاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور المحتملة
وذلك لان الاحكام شرعت والايات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا
من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش
فان النافع في عصر قد يضر في غيره واحتج بها من منع النسخ بلا بدل او بنقل ونسخ الكتاب
بالسنة فان الناسخ هو المأتي به بدلا والسنة ليست كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون
عدم الحكم او الاثقل اصلح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة مما اتى به الله وليس المراد بالخير
والمثل ما يكون كذلك في اللفظ والمعتزلة على حدوث القران فان التغير والتفاوت
من لوازمه واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القائم بالذات القديم
الم تعلم خطاب للنبي عم والمراد هو وامته لقوله وما لكم وانما افرده لانه اعلمهم ومبداء
علمهم ان الله له ملك السموات والارض يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو
كالدليل على قوله ان الله على كل شئ قدير ادع على جواز النسخ ولذلك ترك العاطف
وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وانما هو الذي يملك اموركم ويجريها على ما
يصلحكم والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون
اجنبيا عن المنصور ام تريدون ان تسالوا رسولكم كما سئل موسى من قبل
ام معادلة للهمزة في الم تعلم اي الم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء
كلها يامر وينهى كما اراد ام تعلمون وتقترحون بالسوال كما اقترحت اليهود على موسى
او منقطعة والمراد ان يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح عليه قيل نزلت في اهل
الكتاب حين سالوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل في المشركين لما قالوا
لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ومن يتبدل الكفر بالايمان
فقد ضل سواء السبيل ومن ترك الثقة بالايات البينات وشك فيها
واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الايمان ومعنى الاية
لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويودي بكم الضلال الى البعد عن المقصد و
تبدل الكفر بالايمان وقرئ يبدل من ابدل ود كثير من اهل الكتاب يعني
احبارهم لو يردونكم فان لو تنوب عن ان في المعنى دون اللفظ من بعد ايمانكم
كفارا مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين حسدا علة ود من عند انفسهم يجوز

ان يتعلق بود اى تمنوا ذلك من عند انفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين والميل
مع الحق او بحسد اى حسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم من بعد ما تبين
لهم الحق بالمعجزات والنعوت المذكورة فى التورية فاعفوا واصفحوا العفو
ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه حتى يأتى الله بامره الذى هو الاذن
فى قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة واجلاء بنى النضير وعن ابن عباس انه
منسوخ باية السيف وفيه نظر اذ الامر غير مطلق ان الله على كل شئ قدير فيقدر
على الانتقام منهم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة عطف على فاعفوا كانه امرهم
بالصبر والمخالفة والالتجاء الى الله بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم من خير كصلوة
وصدقة وقرئ تقدموا من اقدم تجدوه عند الله اى ثوابه ان الله بما تعملون
بصير لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا وقالوا عطف على ودوا
الضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان هودا
او نصارى لف بين قولى الفريقين كما فى قوله وقالوا كونوا هودا او نصارى
ثقة بفهم السامع وهود جمع هائد كعائذ وعوذ وتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر
لاعتبار اللفظ والمعنى تلك امانيهم اشارة الى الامانى المذكورة وهى ان لا
ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى
ما فى الاية على حذف المضاف اى امثال تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض والامنية
افعولة من التمنى كالاضحوكة والاعجوبة قل هاتوا برهانكم على اختصاصكم بدخول الجنة
ان كنتم صادقين فى دعواكم فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت بلى اثبات
لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله اخلص له نفسه او قصده
واصله العضو وهو محسن فى عمله فله اجره الذى وعد له على عمله عند ربه ثابتا
عنده لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت
موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن
الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون فى الاخرة وقالت اليهود ليست النصارى
على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ اى امر يصح ويعتد به نزلت لما
قدم وفد نجران على رسول الله عم واتاهم احبار اليهود فتناظروا وتقاولوا
بذلك وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اى قالوا
ذلك وهم من اهل العلم والكتاب كذلك اى مثل ذلك قال الذين من قبلهم
مثل قولهم كعبدة الاصنام والمعطلة وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال فان
قيل لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين بعد النسخ ليس بشئ قلت لم يقصدوا
ذلك وانما قصد به كل فريق ابطال دين الاخر من اصله والكفر بنبيه وكتابه مع

مع ان ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به فالله يحكم بينهم بين الفريقين
يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل
حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد الله عام
لكل من خرب مسجدا او سعى فى تعطيل مكان مرشح للصلوة وان نزل فى الروم لما
غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا اهله او المشركين لما منعوا رسول الله
عم ان يدخلوا المسجد الحرام عام الحديبية ان يذكر فيها اسمه ثانى مفعولى منع وسعى
فى خرابها بالهدم او التعطيل اولئك اى المانعون ما كان لهم ان يدخلوها الا
خائفين ما كان ينبغى لهم ان يدخلوها الا بخشية وخشوع فضلا عن ان يجترؤا على
تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا
بهم فضلا ان يمنعوهم منها او ما كان لهم فى علم الله وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين
بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز وعده وقيل معناه النهى عن تمكينهم
من الدخول فى المسجد واختلف الائمة فيه فجوزه ابو حنيفة ومنع مالك وفرق
الشافعى بين المسجد الحرام وغيره لهم فى الدنيا خزى قتل وسبى او ذلة بضرب الجزية
ولهم فى الاخرة عذاب عظيم بكفرهم وظلمهم ولله المشرق والمغرب يريد
بهما ناحيتى الارض اى له الارض كلها لا يختص به مكان دون مكان فان منعتم ان تصلوا
فى المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا فاينما تولوا ففى اى
مكان فعلتم التولية شطر القبلة فثم وجه الله اى جهته التى امر بها فان امكان
التولية لا يختص بمسجد او مكان او فثم ذاته اى عالم مطلع بما يفعل فيه ان الله
واسع باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم
واعمالهم فى الاماكن كلها وعن ابن عمر انها نزلت فى صلوة المسافر على الراحلة
وقيل فى قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطأهم
وعلى هذا لو اخطأ المجتهد ثم تبين له الخطاء لم يلزمه التدارك وقيل هى توطئة
لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود ان يكون فى حيز وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا
نزلت لما قال اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب
الملائكة بنات الله وعطفه على قالت اليهود او منع او مفهوم قوله ومن اظلم
وقرأ ابن عامر بغير واو سبحانه تنزيه له عن ذلك فانه يقتضى التشبيه والحاجة
وسرعة الفناء الا يرى الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت
باقية ما دام العالم لم تتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا
او طبعا بل له ما فى السموات والارض رد لما قالوه واستدلال على فساده
والمعنى انه خالق ما فى السموات والارض الذى من جملته الملائكة وعزير والمسيح
كل له قانتون منقادون لا يمتنعون على مشيته وتكوينه وكل ما كان

بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد لان من حق الولد ان
يجانس والده وانما جاء بما الذي لغير اولي العلم وقال قانتون على تغليب اولي العلم تحقير
لشانهم وتنوين كل عوض من المضاف اليه اي كل ما فيها ويجوز ان يراد كل من جعلوه
ولدا له مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة والاية مشعرة
على فساد ما قالوه من ثلثة اوجه واحتج بها الفقهاء على ان من ملك ولده عتق
عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضي تنافيهما بديع السموات
والارض مبدعهما ونظيره السميع في قوله امن ريحانة الداعي السميع او بديع سمواته وارضه
من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال
مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال
فلا يكون والدا والابداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع
الذي هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغير وفي زمان غالبا وقرئ
بديع مجرورا على البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح واذا قضى امرا اي اراد شيئا
واصل القضاء اتمام الشيء قولا كقوله تعالى وقضى ربك وفعلا كقوله تعالى فقضاهن
سبع سموات واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجبه
فانما يقول له كن فيكون من كان التامة اي احدث فيحدث وليس المراد به
حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة المامور
المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء الى حجة خامسة وهو ان اتخاذ الولد
مما يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى يستغني عن ذلك وقرا ابن عامر فيكون بفتح
النون واعلم ان السبب في هذه الضلالة ان ارباب الشرائع المتقدمة كانوا
يطلقون على الله تعالى باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب
الاصغر والله سبحانه وتعالى هو الاب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة
فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد
وقال الذين لا يعلمون اي جهلة المشركين او المتجاهلون من اهل الكتاب
لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة او يوحي الينا بانك رسوله
او تاتينا اية حجة على صدقك والاول استكبار والثاني جحود ان ما اتاهم ايات
الله استهانة به وعنادا كذلك قال الذين من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم
فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء تشابهت
قلوبهم قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد وقرئ بتشديد الشين
قد بينا الايات لقوم يوقنون اي يطلبون اليقين او يوقنون الحقائق
لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء في الايات
او لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا وعنادا انا ارسلناك بالحق ملتبسا

ملتبسا مؤيدا به بشيرا ونذيرا فلا عليك ان اصروا او كابروا ولا تسال عن اصحاب
الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرا نافع ويعقوب لا تسال على انه نهي
للرسول عليه السلام عن السؤال عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة الكفار كانها لفظاعتها
لا تقدر ان تخبر عنها او السامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتاجج
من النار ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم مبالغة في اقناط
الرسول عليه السلام عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته
ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله عنهم ولذلك قال قل تعليما للجواب ان هدى
الله هو الهدى اي هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما تدعون
اليه ولئن اتبعت اهواءهم اراءهم الزائغة والملة ما شرع الله لعباده على لسان
انبيائه من امللت الكتاب اذا امليته والهوى راي يتبع الشهوة بعد الذي
جاءك من العلم اي الوحي او الدين المعلوم صحته ما لك من الله من ولي ولا نصير
يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن الذين اتيناهم الكتاب يريد به مؤمني
اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر في معناه
والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر على ان المراد بالموصول مؤمنوا
اهل الكتاب اولئك يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به بالتحريف و
الكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس
عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون لما صدر
قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر عن اضاعتها والخوف من الساعة
واهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة في النصح وايذانا بانه فذلكة القصة
والمقصود من القصة واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات كلفه باوامر ونواه والابتلاء
في الاصل التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل
العواقب ظن ترادفهما والضمير لابراهيم عليه السلام وحسن لتقدمه لفظا وان تاخر رتبة لان
الشرط احد التقدمين والكلمات قد تطلق على المعاني فلذلك فسرت بالخصال
الثلثين المحمودة المذكورة في قوله تعالى التائبون العابدون وقوله ان المسلمين
الى اخر الايتين وقوله قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون كما فسرت
بها في قوله فتلقى ادم من ربه كلمات وبالعشر التي هي من سنته وبمناسك الحج وبالكواكب
والقمرين وذبح الولد والنار والهجرة على انه تعالى عامله المختبر بهن وبما تضمنه الايات
التي بعدها وقرئ ابراهيم ربه على انه دعا ربه بكلمات مثل ارني كيف تحيي الموتى اجعل هذا
البلد امنا ليرى هل يجيبه وقرا ابن عامر ابراهام فاتمهن فاداهن كملا وقام
بهن حق القيام لقوله تعالى وابراهيم الذي وفى وفي القراءة الاخيرة الضمير لربه اي اعطاه

جميع ما دعاه قال اني جاعلك للناس اماما استيناف ان اضمرت ناصب اذ كانه
قيل فماذا قال له ربه حين اتمهن فاجيب بذلك او بيان لقوله ابتلى فيكون الكلمات
ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وان نصبه بقال فالمجموع
جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من الجعل الذي له مفعولان والامام اسم من يؤتم
به وامامته عامة موبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته مامورا باتباعه
قال ومن ذريتي عطف على الكاف اي وبعض ذريتي كما تقول وزيدا في جواب
ساكرمك والذرية نسل الرجل فعلية او فعولة قلبت راؤها الثالثة ياء
كما في تقضيت من الذر بمعنى التفريق او فعولة او فعيلة قلبت همزتها ياء من الذرء
بمعنى الخلق وقرئ ذريتي بالكسر وهي لغة قال لا ينال عهدي الظالمين اجابة
الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لانها امانة
من الله تعالى وعهد والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه دليل
على عصمة الانبياء عليهم السلام من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح
للامامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نلته واذ جعلنا
البيت اي الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا مثابة للناس مرجعا يثوب
اليه اعيان الزوار او امثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماده وقرئ
مثابات لانه مثابة كل احد وامنا موضع امن لا يتعرض لاهله كقوله تعالى
حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم او من يؤمن حاجه من عذاب الاخرة من
حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يواخذ الجاني الملتجي اليه حتى يخرج وهو مذهب
ابي حنيفة واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى على ارادة القول او عطف على المقدر
عاملا لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره توبوا اليه واتخذوا على ان الخطاب
لامة محمد عم وهو امر استحباب ومقام ابراهيم الحجر وهو موضعه اليوم روي
انه عم اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر
بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد الامر بركعتي الطواف لما روى
جابر انه عم لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرا و
اتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وللشافعي في وجوبها قولان وقيل مقام ابراهيم
الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى
وقرا نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس
مقامه الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل
امرناهما ان طهرا بيتي بان طهرا ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن العهد معنى القول
يريد طهراه من الاوثان والانجاس وما لا يليق به او اخلصاه للطائفين
حوله والعاكفين المقيمين عنده او المعتكفين فيه والركع السجود اي المصلين

المصلين جمع راكع وساجد واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا يريد البلد او المكان
بلدا امنا ذا امن كقوله في عيشة راضية او امنا اهله كقولك ليل نائم وارزق
اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر بدل من اهله بدل البعض للتخصيص
قال ومن كفر عطف على من امن والمعنى وارزق من كفر قاس ابراهيم عليه السلام
الرزق على الامامة فنبه سبحانه وتعالى ان الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر
بخلاف الامامة والتقدم في الدين او مبتدا تضمن معنى الشرط فامتعه قليلا خبره
والكفر وان لم يكن سبب التمتع لكنه سبب تقليله بان يجعله مقصورا بحظوظ
الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ثم اضطره الى عذاب
النار اي الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقليلا نصب على
المصدر او الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء ابراهيم وفي قال ضميره
وقرا ابن عامر فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة
من يكسر حروف المضارعة واطره بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفر
يدغم فيها ما يجاورها دون العكس وبئس المصير اي المخصوص بالذم محذوف وهو
العذاب واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت حكاية حال ماضية والقواعد
جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز
من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة
الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها سافات البناء فان كل ساق
قاعدة ما يوضع فوقه وبرفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه
ودعاء الناس الى حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم لشانها واسمعيل كان
يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين
او على التناوب ربنا تقبل منا اي يقولان ربنا وقد قرئ به والجملة حال منهما
انك انت السميع لدعائنا العليم بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين
لك من اسلم وجهه او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة
في الاخلاص والاذعان او الثبات عليه وقرئ مسلمين على ان المراد انفسهما وهاجر
او ان التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك اي واجعل بعض ذريتنا
وانما خصا الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع وخصا
بعضهم لما اعلما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص
والاقبال الكلي على الله تعالى فانه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت
الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد عم ويجوز ان يكون من للتبيين كقوله وعد الله الذين
امنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما في قوله تعالى خلق
سبع سموات ومن الارض مثلهن وارنا من راى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم

لم يتجاوز مفعولين ومناسكنا متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل غاية
العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرأ ابن كثير والسوسي
عن ابي عمرو ويعقوب ارنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة
الهمزة الساقطة دليل عليها وقرأ الدوري عن ابي عمرو بالاختلاس وتب علينا
استتابة لذريتهما او عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالا هضما لانفسهما وارشاد
الذريتهما انك انت التواب الرحيم لمن تاب ربنا وابعث فيهم في الامة
المسلمة رسولا منهم ولم يبعث من ذريتهما غير محمد عم فهو المخاطب به دعوتهما
كما قال عم انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلوا عليهم آياتك
يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة ويعلمهم الكتاب القرآن
والحكمة ما تكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام ويزكيهم عن الشرك والمعاصي
انك انت العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم له ومن يرغب عن
ملة ابراهيم استبعاد وانكار لان يكون احد يرغب عن ملته الواضحة الغراء اي لا يرغب
احد عن ملته الا من سفه نفسه الا من استمهنها واذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب
سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص
الناس وقيل اصله سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رأيه والم رأسه وقول
جرير ونأخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام او سفه في نفسه فنصب
بنزع الخافض والمستثنى في محل الرفع على المختار بدلا من الضمير في يرغب لانه في معنى
النفي ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين حجة وبيان
لذلك فان من كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة و
الصلاح يوم القيمة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه
اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت
لرب العالمين ظرف لاصطفيناه وتعليل له او منصوب باضمار اذكر
كأنه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح المستحق للامامة و
التقدم وانه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السر حين دعاه
ربه واخطر بباله دلائله المؤدية الى المعرفة الداعية الى الاسلام روي انها
نزلت لما دعا عبد الله سلام ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فاسلم سلمة
وابى مهاجر ووصى بها ابراهيم بنيه التوصية هي التقدم الى الغير بفعل فيه
صلاح وقربة يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كأن الموصي يصل فعله
بفعل الوصي والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت على تأويل الكلمة وقرأ نافع وابن
عامر اوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابراهيم اي ووصى هو ايضا بها
بنيه وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه ابراهيم يا بني على اضمار القول عند

عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه ونظيره رجلان من ضبة
اخبرانا انا رأينا بالكسر وبنوا ابراهيم عم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين
ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنو يعقوب عم اثنا عشر روبين
ولاوا ويهوذا وشسموحور وبولون ودال ونفتولى وكوذا واوشير وبنيامين
ويوسف ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان
لقوله تعالى فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره النهي عن الموت على خلاف
حال الاسلام والمقصود هو النهي عن ان يكونوا على تلك الحال اذا ماتوا والامر
بالثبات على الاسلام كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة
على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل بهم ونظيره في الامر
مت وانت شهيد وروي ان اليهود قالوا لرسول الله الست تعلم ان يعقوب
اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت
ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت
وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه او متصلة بمحذوف تقديره اكنتم
شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شهدتم ذلك وانما علمتموه من الوحي
وقرئ حضر بالكسر اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر ما تعبدون من بعدي اي شيء
تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات
عليهما وما يسأل به عن كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل عن
تعينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب قالوا نعبد الهك واله
آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق المتفق على وجوده والوهيته ووجوب عبادته
وعد اسمعيل من آبائه تغليبا للاب والجد او لانه كالاب لقوله عم الرجل صنو ابيه
كما قال في العباس هذا بقية آبائي وقرئ اله ابيك على انه جمع بالواو والنون كما قال
ولما تبين اصواتنا بكين وفديننا بالابينا او مفرد وابراهيم وحده عطف بيان
الها واحدا بدل من اله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد
ونفي التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور والتأكيد او نصب
على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان
يكون اعتراضا تلك امة قد خلت يعني ابراهيم ويعقوب وبنوهما والامة
في الاصل المقصود وسمي بها الجماعة لان الفرق تؤمها لها ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل اجر عمله
والمعنى ان انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم
كما قال عم لا يأتيني الناس باعمالهم وتأتوني بانسابكم ولا تسألون عما كانوا
يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم وقالوا كونوا هودا
او نصارى الضمير الغائب لاهل الكتاب واو للتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين

القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا
جواب الامر قل بل ملة ابراهيم اي بل تكون ملة ابراهيم اي اهل ملته او بل نتبع
ملة ابراهيم وقرئ بالرفع اي ملته ملتنا او عكسه او نحن ملته بمعنى نحن اهل ملته
حنيفا مائلا عن الباطل الى الحق حال من المضاف او المضاف اليه كقوله تعالى
ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب
وغيرهم فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون قولوا امنا بالله الخطاب للمؤمنين
لقوله فان امنوا بمثل ما امنتم به وما انزل الينا القران قدم ذكره لانه اول
بالاضافة الينا او سبب للايمان بغيره وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط الصحف وهي وان نزلت على ابراهيم لكنهم لما كانوا متعبدين
بتفصيلها داخلين تحت احكامها فهي ايضا منزلة اليهم كما ان القران منزل الينا
والاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب او ابناءه وذراريهم
فانهم حفدة ابراهيم واسحق وما اوتي موسى وعيسى التورية والانجيل افردهما بالحكم بابلغ
لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما وما اوتي النبيون
جملة المذكورين منهم وغير المذكورين من ربهم منزلا عليهم من ربهم لا نفرق بين احد
منهم كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه في سياق النفي عام فساغ ان
يضاف اليه بين ونحن له اي لله مسلمون مذعنون مخلصون فان امنوا
بمثل ما امنتم به المسلمون ولا دين فقد اهتدوا من باب التعجيز والتبكيت
كقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما امن به المسلمون ولا دين
كدين الاسلام وقيل الباء للالة دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق
يهدي الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطرق او مزيدة
للتاكيد كقوله تعالى جزاء سيئة سيئة مثلها والمعنى فان امنوا بالله ايمانا مثل
ايمانكم به او المثل مقحم كما في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه ويشهد له
قراءة بما امنتم به او بالذي امنتم به فان تولوا فانما هم في شقاق اي ان اعرضوا عن
الايمان او عما تقولون لهم فما هم الا في شقاق الحق وهو المناواة والمخالفة
فان كل واحد من المتخالفين في شق غير شق الاخر فسيكفيكهم الله تسلية وتسكين
للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصرة على من ناواهم وهو السميع العليم اما من تمام
الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة او وعيد للمعرضين
بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه صبغة الله اي صبغنا
الله صبغته وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان
الصبغة حلية المصبوغ او هدانا هدايته وارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان
تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم

قلوبهم تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم
في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحقق نصرانيتهم ونصبها
على انه مصدر مؤكد لقوله امنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابراهيم
ومن احسن من الله صبغة لا صبغة احسن من صبغته ونحن له عابدون
تعريض بهم اي لا نشرك به كشرككم وهو عطف على امنا وذلك يقتضي دخول قوله صبغة
الله في مفعول قولوا ومن نصبها على الاغراء او البدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا
او اتبعوا ملة ابراهيم وقولوا امنا بدل اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب
قل اتحاجوننا اتجادلوننا في الله في شانه واصطفائه نبيا من العرب دونكم
روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت
وهو ربنا وربكم لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من
عباده ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كانه الزمهم على
كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله على من يشاء
والكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص
فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون موحدون
نخلصه بالايمان والطاعة دونكم ام تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط كانوا هودا او نصارى ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر
وحمزة والكسائي بالتاء يحتمل ان يكون معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين
تاتون المحاجة او ادعاء اليهودية او النصرانية على الانبياء قل انتم اعلم ام الله
وقد نفى الامرين عن ابراهيم بقوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه
بقوله وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه
في الدين وفاقا ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعني شهادة الله لابراهيم
عم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم
كتموا هذه الشهادة او منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله
لمحمد عم بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما في قوله براءة من الله وما الله بغافل
عما تعملون وعيد لهم وقرئ بالياء تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولا تسألون
عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار بالاباء
والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفي الاية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم
وقيل المراد بالامة في الاول الانبياء عليهم السلام وفي الثاني اسلاف اليهود والنصارى
سيقول السفهاء من الناس الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض
عن النظر يريد به المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة
تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد الجواب ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم

الجزء

التي كانوا عليها يعني بيت المقدس والقبلة في الاصل الحال التي عليها الانسان من الاستقبال
فصارت عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلوة قل لله المشرق والمغرب لا يختص به
مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام امره
لا لخصوص المكان يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه
المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى وكذلك اشارة الى مفهوم
الاية المتقدمة اي كما جعلناكم مهديين الى صراط المستقيم او جعلنا قبلتكم افضل
القبل جعلناكم امة وسطا اي خيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو
في الاصل اسم المكان الذي تستوي اليه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال
المحمودة لوقوعها بين طرفي افراد وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة
بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث كساير الاسماء التي يوصف بها واستدل به على ان الاجماع حجة
اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم لتكونوا شهداء على
الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا علة للجعل اي لتعلموا بالتامل فيما نصب
لكم من الحجج وانزل عليكم من الكتاب انه تعالى ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح السبل
وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات
والاعراض عن الايات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم
وبعدكم روي ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله ببينة
التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد عم فيشهدون
فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق
على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد عم فيسال عن حال امته فيشهد بعدالتهم
وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول كالرقيب المهيمن على امته
عدي بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم
وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اي الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فانه عم
كان يصلي اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تالفا لليهود او الصخرة
لقول ابن عباس كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه
فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان
تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس الا لنعلم من يتبع الرسول
ممن ينقلب على عقبيه الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك في الصلوة اليها ممن
يرتد عن دينك الفا لقبلة ابائه او لنعلم الان من يتبع الرسول ممن لا يتبعه
وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول معناه ما رددناك الى التي كنت
عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه

ايمانه فان قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما قلت هذا
واشباهه باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا
به موجودا وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه اسند الى نفسه لانهم خواصه او لنميز
الثابت عن المتزلزل كقوله ليميز الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع
التمييز المسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على البناء للمفعول والعلم اما بمعنى
المعرفة او معلق لما في من من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني ممن ينقلب
اي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب وان كانت لكبيرة ان هي
المخففة من الثقيلة واللام هي الفاصلة وقال الكوفيون هي النافية
واللام بمعنى الا والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة
والردة او التحولة او للقبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فيكون كان زائدة الا على
الذين هدى الله الى حكمة الاحكام الثابتين على الايمان والاتباع وما كان الله
ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلوتكم اليها
لما روي انه عم لما وجه الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل
من اخواننا فنزلت ان الله بالناس لرؤف رحيم فلا يضيع اجورهم ولا يدع
صلاحهم ولعله قدم الرؤف وهو ابلغ محافظة على الفواصل وقرا الحرميان
وابن عامر وحفص لرؤف بالمد والباقون بالقصر قد نرى تقلب
وجهك في السماء تردد وجهك في جهة السماء بالوحي فكان رسول الله عم يقع
في روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم واقدم القبلتين
وادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال ادبه صلى الله
عم حيث انتظر ولم يسال فلنولينك قبلة فلنمكننك من استقبالها
من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلي جهتها ترضاها
تحبها وتتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت مشية الله وحكمته فول وجهك
اصرف وجهك شطر المسجد الحرام نحوه وقيل الشطر في الاصل لما انفصل عن
الشيء من شطر اذا انفصل ودار شطور اي منفصلة عن الدور ثم استعمل
لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام اي محرم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة
ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه عم كان في المدينة والبعيد
يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب روي انه
عم قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة في رجب
بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين
من الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء
صفوفهم فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول

عم بالخطاب تعظيما له وايجابا للرغبة ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتاكيدا لامر القبلة و
تحضيضا للامة على المتابعة وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق
من ربهم جملة لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن
كتبهم انه يصلي الى القبلتين والضمير للتحويل او التوجه وما الله بغافل عما تعملون
وعد ووعيد للفريقين ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية برهان
وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم ما تبعوا قبلتك جواب القسم
المضمر وساد مسد جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها
بحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم
فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجوا ان يكون صاحبنا الذي ننتظره
تغريرا له وطمعا في رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان
ومخالفة الحق وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة
والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب
كل حزب فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك
من العلم على سبيل الفرض والتقدير اي ولئن اتبعتهم مثلا بعد ما بان لك الحق
وجاءك فيه الوحي انك اذا لمن الظالمين واكد تهديده وبالغ فيه من سبعة
اوجه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى
واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبياء الذين اتيناهم الكتاب يعني
علماءهم يعرفونه الضمير لرسول الله عم وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام
عليه وقيل للعلم او القران او التحويل كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول اي
يعرفونه باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر رض انه سأل
عبد الله بن سلام عن رسول الله عم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني
لست اشك في محمد عم انه نبي واما ولدي فلعل والدته خانت وان فريقا منهم
ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص لمن عاند واستثناء لمن آمن الحق من ربك
كلام مستأنف والحق اما مبتدأ وخبره من ربك واللام للعهد والاشارة الى ما
عليه الرسول او الحق الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله
تعالى كالذي انت عليه لا ما لم يثبت كالذي عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدأ
محذوف اي هو الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل
من الاول او مفعول يعلمون فلا تكونن من الممترين الشاكين في انه من ربك
او في كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد به نهي الرسول عم عن الشك فيه غير متوقع
منه وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظرا
او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل وجهة

وجهة ولكل امة او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة والتنوين بدل الاضافة
هو موليها احد المفعولين محذوف اي هو موليها وجهه او الله تعالى موليها اياه وقرئ
لكل وجهة بالاضافة والمعنى ولكل وجهة الله موليها واللام مزيدة للتاكيد جبر الضعف
العامل وقرأ ابن عامر مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها فاستبقوا الخيرات من امر
القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفضلات من الجهات وهي المسامتة
للكعبة اين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا اي في اي موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع
الاجزاء ومتفرقها يحشركم الله الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل
الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المتقابلة يأت بكم الله جميعا
ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الاماتة
والاحياء والجمع ومن حيث خرجت ومن اي مكان خرجت للسفر فول وجهك
شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه اي وان هذا الامر للحق من ربك وما الله بغافل
عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا
وجوهكم شطره كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى ذكر للتحويل ثلث علل تعظيم الرسول عم
بابتغاء مرضاته وجري العادة الالهية على ان يولي كل اهل ملة وصاحب دعوة وجهة
يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما نبينه وقرن بكل علة مدلولها كما يقرن
المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها شان والنسخ من
مظان الفتنة والشبهة فبالحري ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى
لئلا يكون للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة
تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التورية قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا
في قبلتنا والمشركين بانه يدعي ملة ابرهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم
استثناء من الناس اي لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين منهم فانهم يقولون
ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى ملة آبائه ويوشك ان
يرجع الى دينهم وسمي هذه حجة لقوله حجتهم داحضة لانهم يسوقونه مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج
وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة رأسا كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول
من قراع الكتائب للعلم بان الظالم لا حجة له وقرئ الا الذين ظلموا على انه استئناف بحرف التنبيه
فلا تخشوهم فلا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم واخشوني فلا تخالفوا ما امرتكم به ولاتم
نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة محذوف اي وامرتكم لاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم
او عطف على علة مقدرة مثل واخشوني لاحفظكم عنهم ولاتم نعمتي عليكم او لئلا يكون وفي
الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رض تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا
فيكم رسولا منكم متصل بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الاخرة كما اتممتها بارسال
رسول منكم او بما بعده اي كما ذكرتكم بالارسال فاذكروني يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم

على ما تبصرون به اركبا وقدمه باعتبار القصد واخره في دعوة ابراهيم باعتبار الفعل ويعلمكم
الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون بالفكر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحي وكرر
الفعل ليدل على انه جنس آخر فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت
به عليكم ولا تكفرون بجحد النعم وعصيان الامر يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر عن
المعاصي وحظوظ النفس والصلوة التي هي ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة
رب العالمين ان الله مع الصابرين بالنصر واجابة الدعوة ولا تقولوا لمن يقتل في
سبيل الله اموات اي هم اموات بل احياء اي بل هم احياء ولكن لا تشعرون ما حالهم
وهو تنبيه على ان حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوان وانما هي امر لا يدرك
بالعقل بل بالوحي وعن الحسن ان الشهداء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم
الروح والفرح كما تعرض النار على فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع والاية نزلت في
شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة
لما يحس من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت
الايات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله تعالى ومزيد
البهجة والكرامة ولنبلونكم ولنصيبنكم اصابة من يختبر لاحوالكم هل تصبرون على البلاء
وتستسلمون للقضاء بشيء من الخوف والجوع اي بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة الى ما
وقاهم عنه ليخفف عليهم ويريهم ان رحمته لا تفارقهم او بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم
في الاخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص من الاموال والانفس
والثمرات عطف على شيء او الخوف وعن الشافعي الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان
والنقص من الاموال الزكوة والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت
الاولاد وعن النبي عم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي
فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي
فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد
وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب
للرسول عم او لمن يتأتى منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من مكروه
لقوله عم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل به و
بالقلب بان يتصور ما خلق لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه ليرى ما
ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون على نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلوة في الاصل الدعاء ومن الله التزكية
والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان وعن النبي
عليه السلام من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا
يرضاه اولئك هم المهتدون للحق والصواب حيث استرجعوا وسلموا لقضاء الله

الله ان الصفا والمروة هما علما جبلين بمكة من شعائر الله من اعلام مناسكه
جمع شعيرة وهي العلامة فمن حج البيت او اعتمر الحج القصد والاعتمار الزيارة فغلبا
شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين فلا جناح عليه ان يطوف
بهما كان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما
فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك
فنزلت والاجماع على انه مشروع في الحج والعمرة وانما الخلاف في وجوبه فعن احمد انه سنة
وبه قال انس وابن عباس لقوله تعالى فلا جناح فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف
لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه وعن ابي حنيفة
انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعي انه ركن لقوله عم اسعوا فان الله
كتب عليكم السعي ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما
فرض الله عليه من حج او عمرة او طواف او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا
نصب على انه صفة مصدر محذوف او بحذف الجار وايصال الفعل اليه او بتعدية
الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب يطوع واصله يتطوع
فادغم مثل يطوف فان الله شاكر عليم مثيب على الطاعة لا تخفى عليه ان الذين
يكتمون كاحبار اليهود ما انزلنا من البينات كالايات الشاهدة على امر محمد عم
والهدى وما يهدي الى وجوب اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه للناس لخصناه
في الكتاب في التورية اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون اي الذين يتأتى
منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان وسائر ما يجب
ان يتاب عنه واصلحوا ما افسدوا بالتدارك وبينوا ما بينه الله في كتابهم لتتم توبتهم
وقيل ما احدثوه من التورية ليمحوا سمة الكفر عن انفسهم ويقتدي بهم اضرابهم فاولئك
اتوب عليهم بالقبول والمغفرة وانا التواب الرحيم المبالغ في قبول التوبة
وافاضة الرحمة ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اي ومن لم يتب من الكاتمين
حتى مات اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين استقر عليهم لعن الله
ومن يعتد بلعنه من خلقه وقيل الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملائكة
والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد
وعمرو او فاعلا لفعل مقدر نحو ويلعنهم الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة او النار
واضمارها قبل الذكر تفخيما لشأنها وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعن عليها لا
يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون لا يمهلون او لا ينتظرون ليعتذروا
او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم اله واحد خطاب عام اي المستحق منكم العبادة واحد
لا شريك له يصح ان يعبد ويسمى الها لا اله الا هو تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم
ان في الوجود الها ولكن لا يستحق منهم العبادة الرحمن الرحيم كالحجة عليها فانه لما كان

مولى النعم كلها اصولها وفروعها وما سواه اما نعمة او منعم عليه لم يستحق العبادة احد
غيره وهما خبران اخران لقوله الهكم او لمبتدأ محذوف قيل لما سمع المشركون تعجبوا و
قالوا ان كنت صادقا فأت باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق
السموات والارض وانما جمع السموات وافرد الارض لانها طبقات متفاصلة
بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين واختلاف الليل والنهار تعاقبهما
كقوله تعالى جعل الليل والنهار خلفة والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس
اي بنفعهم والقصد به الى الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه
سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب
لان منشأهما البحر في غالب الامر وتأنيث الفلك لانه بمعنى السفينة وقرئ بضمتين
على الاصل او الجمع وضمة الواحد عند المحققين وما انزل الله من السماء من ماء من
الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو
فاحيا به الارض بعد موتها بالنبات وبث فيها من كل دابة عطف على انزل
كأنه استدل بنزول المطر وتكون به وبث الحيوانات في الارض او على احيى فان
الدواب ينمون بالخطب ويعيشون بالحيوة والبث النشر والتفريق وتصريف
الرياح في مهابها واحوالها وقرأ حمزة والكسائي على الافراد والسحاب المسخر بين
السماء والارض لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي احدهما بامر الله وقيل مسخر
للرياح تقلبه في الجو بمشية الله واشتقاقه من السحب لان بعضه يجر بعضا لايات
لقوم يعقلون يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم وعنه عم ويل
لمن قرأ هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الايات على وجود
الاله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة
وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا
ان لا تتحرك السموات او بعضها كالارض وان تتحرك بعكس حركاتها وبحيث تصير
المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لا يكون لها اوج وحضيض اصلا او على هذا
الوجه لبساطتها وتساوي اجزائها فلا بد لها من موجود قادر حكيم يوجدها على ما
تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيته متعاليا عن معارضة غيره اذ لو كان معه اله يقدر
على ما يقدر عليه فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع مؤثرين
على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الاخر المنافي لالهيته
وان اختلفت لزم التمانع والتطارد كما اشار اليه بقوله تعالى لو كان فيهما
الهة الا الله لفسدتا وفي الاية تنبيه على شرف علم الكلام واهله وحث على البحث
والنظر فيه ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا من الاصنام وقيل من
الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم لقوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين

من الذين اتبعوا ولعل المراد اعم منهما وهو ما يشغله عن الله يحبونهم يعظمونهم
ويطيعونهم كحب الله كتعظيمه والميل الى طاعته اي يسوون بينه وبينهم في المحبة
والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه
اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه
ومحبته للعبد ارادة اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي والذين امنوا
اشد حبا لله لانه لا ينقطع محبتهم لله بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة
موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن الهتهم الى الله عند الشدائد
ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره ولو يرى الذين ظلموا ولو يعلم هؤلاء
الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون العذاب اذا عاينوه يوم القيمة واجرى
المستقبل مجرى الماضي لتحققه كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ان القوة لله جميعا
ساد مسد مفعولي يرى وجواب لو محذوف اي لو يعلمون ان القدرة لله
جميعا اذا عاينوا العذاب لندموا اشد الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان
محذوفان والتقدير لو يرى الذين ظلموا اندادهم لا تنفع لعلموا ان القوة لله كلها
لا ينفع ولا يضر غيره وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب ولو ترى على انه خطاب
للنبي عم اي ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما وابن عامر اذ يرون على البناء
للمفعول ويعقوب ان بالكسر وكذا وان الله شديد العذاب على الاستيناف
او اضمار القول اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اي
اذ تبرأ المتبعون من الاتباع وقرئ بالعكس اي تبرأ الاتباع من الرؤساء وراوا
العذاب اي رائين له والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرأ وتقطعت
بهم الاسباب يحتمل العطف على تبرأ او راوا والحال والاول اظهر والاسباب
الوصل التي كانت بينهم من الاتباع والاتفاق على الدين والاغراض الداعية
الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر وقرئ تقطعت على البناء للمفعول
وقال الذين لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء
اي ليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله
اعمالهم حسرات عليهم ندامات وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان من الرؤية القلب
والا فحال وما هم بخارجين من النار اصله وما يخرجون فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة
في الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع الى الدنيا يا ايها الذين امنوا كلوا مما في
الارض حلالا نزلت في قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس وحلالا مفعول
كلوا او صفة مصدر محذوف او حال مما في الارض ومن للتبعيض اذ لا يؤكل كل ما في الارض
طيبا يستطيبه الشرع او الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل على الاول ولا تتبعوا خطوات
الشياطين لا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرأ نافع

وابو عمرو وحمزة بتسكين الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي
الخاطي وقرئ بضمتين وقلب الواو همزة جعلت ضمة الطاء كأنها عليها وبفتحتين
على انه جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة عند ذوي
البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه وليا في قوله اولياؤهم
الطاغوت انما يامركم بالسوء والفحشاء بيان لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته
واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشأنهم والسوء والفحشاء
ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل
به وفحشاء باستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء ما تجاوز الحد في القبح من
الكبائر وقيل الاول ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا
تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل على المنع
من اتباع الظن رأسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظن مستند الى مدرك شرعي فوجوبه
قطعي والظن في طريقه كما بيناه في الكتب الاصولية واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله
الضمير للناس وعدل عن الخطاب عنهم للنداء على ضلالهم كأنه التفت الى العقلاء وقال لهم
انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا ما وجدناهم عليه نزلت
في المشركين امروا باتباع القران وسائر ما انزل الله من الحجج والايات فجنحوا الى التقليد
وفي طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا
لانهم كانوا خيرا منا واعلم وعلى هذا فيعم ما انزل الله التورية لانها ايضا تدعوا الى الاسلام
اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون الواو للحال او العطف والهمزة للرد
والتعجب وجواب لو محذوف اي لو كان اباؤهم جهلة لا يتفكرون في امر الدين ولا
يهتدون الى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد
واما اتباع الغير في الدين اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء والمجتهدين في الاحكام فهو في الحقيقة
ليس بتقليد بل اتباع لما انزل الله ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء
ونداء على حذف مضاف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او مثل الذين
كفروا كمثل بهائم الذي ينعق والمعنى ان الكفرة لانهماكهم في التقليد لا يلقون اذهانهم الى ما
يتلى عليهم ولا يتاملون فيما يقرأ معهم فهم في ذلك كالبهائم التي ينعق عليها فتسمع
الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه وقيل هو تمثيلهم في اتباع
اباءهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته او تمثيلهم
في دعاءهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو التصويت على البهائم وهذا يغني عن الاضمار ولكن
لا يساعده قوله الا دعاء ونداء لان الاصنام لا تسمع الا ان يجعل ذلك من باب
التمثيل المركب صم بكم عمي رفع على الذم فهم لا يعقلون اي بالفعل للاخلال بالنظر
يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم لما وسع الامر على الناس كافة

كافة واباح لهم ما في الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا طيبات
ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال واشكروا لله على ما رزقكم واحل لكم ان كنتم
اياه تعبدون فان عبادته لا تتم الا بالشكر وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اني والانس
والجن في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم عليكم
الميتة اكلها والانتفاع بها وهي التي ماتت من غير ذكوة والحديث الحق بها
ما ابين من حي والسمك والجراد اخرجهما العرف عنها او استثناء الشرع والحرمة
المضافة الى العين تفيد عرفا حرمة التصرف فيها مطلقا الا ما خصه الدليل كالتصرف
في المدبوغ والدم ولحم الخنزير انما خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يؤكل من الحيوان
وسائر اجزائه كالتابع له وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم
والاهلال اصله رؤية الهلال يقال اهل الهلال واهللته لكن لما جرت العادة ان يرفع الصوت
بالتكبير اذا رؤي سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره فمن اضطر
غير باغ بالاستيثار على مضطر اخر ولا عاد سد الرمق او الجوعة وقيل غير باغ على الوالي
ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي
وقول احمد فلا اثم عليه في تناوله ان الله غفور لما فعل رحيم بالرخصة فيه فان
قيل انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما
استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار كأنه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء
ما لم تضطروا اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا
قليلا عوضا حقيرا اولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار اما في الحال لانهم اكلوا
ما يتلبس بالنار لكونه عقوبة عليه فكأنه اكل النار كقوله اكلت دما ان لم ارعك
بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر يعني الدية او في المآل اي لا يأكلون يوم القيمة
الا النار ومعنى في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل في بعض بطنه كقوله كلوا في بعض
بطنكم تعفوا ولا يكلمهم الله يوم القيمة عبارة عن غضبه عليهم وتعريض
بحرمانهم حال مقابليهم في الكرامة والزلفى من الله ولا يزكيهم لا يثني عليهم و
لهم عذاب اليم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى في الدنيا والعذاب
بالمغفرة في الاخرة بكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية فما اصبرهم على النار
تعجب من حالهم في الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة وما تامة مرفوعة بالابتداء
وتخصيصها كتخصيص قولهم شر اهر ذا ناب او استفهامية وما بعدها الخبر او موصولة
وما بعدها صلتها والخبر محذوف ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اي ذلك
العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب او الكتمان
وان الذين اختلفوا في الكتاب اللام فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله

وكفرهم ببعض او للعهد والاشارة اما الى التورية واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج
المستقيم في تاويلها او خلفوا خلاف ما انزل الله مكانه اى حرفوا ما فيها واما الى القران
واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول وكلام علمه بشر واساطير الاولين لفى شقاق بعيد
لفى خلاف بعيد عن الحق ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب
البر كل طائفة ان البر هو التوجه الى قبلته فرد الله عليهم وقال ليس البر ما انتم عليه
فانه منسوخ ولكن البر ما بينه المؤمنون وقيل عام لهم وللمسلمين اى ليس البر مقصورا
بامر القبلة او ليس البر العظيم الذي يحسن ان تذهلوا بشانه عن غيره وقرا حمزة
وحفص البر بالنصب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة و
الكتاب والنبيين اى ولكن البر الذي ينبغي ان يهتم به بر من آمن او لكن ذا البر
من آمن ويؤيده قراءة ولكن البار والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب
الجنس والقران وقرا نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف ورفع البر وآتى المال على حبه
اى على حب المال كما قال عم لما سئل اى الصدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح
تامل العيش وتخشى الفقر وقيل الضمير لله او للمصدر والجار والمجرور في موضع الحال
ذوي القربى واليتامى يريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم ذوي القربى
لان ايتاءهم اثنتان صدقة وصلة كما قال عم والمساكين جمع المسكين وهو الذي
اسكنته الخلة واصله دائم السكون كالمسكير للدائم السكر وابن السبيل المسافر
سمي به لملازمته السبيل كالقاطع ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل يرعف به
والسائلين الذين الجاهم الحاجة الى السوال وقال عم للسائل حق وان جاء على
فرسه وفي الرقاب وفي تخليصها بمعاونة المكاتبين او فك الاسارى او ابتياع
الرقاب لعتقها واقام الصلوة المفروضة وآتى الزكوة يحتمل ان يكون المقصود
منه ومن قوله وآتى المال الزكوة المفروضة ولكن الغرض من الاول بيان مصارفها و
بالثاني اداؤها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات او حقوقا
في المال سوى الزكوة وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة والموفون بعهدهم
اذا عاهدوا عطف على من آمن والصابرين في البأساء والضراء نصبه على المدح
ولم يعطف لفضل الصبر على سائر الاعمال وعن الازهري البأساء في الاموال كالفقر
والضراء في الانفس كالمرض وحين البأس وقت مجاهدة العدو اولئك
الذين صدقوا في الدين واتباع الحق طلب البر واولئك هم المتقون عن الكفر
وسائر الرذائل والاية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية باسرها دالة عليها
صريحا او ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلثة اشياء صحة الاعتقاد وحسن
المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير الى الاول بقوله من آمن الى والنبيين والى

الثاني بقوله وآتى المال الى وفي الرقاب والى الثالث بقوله واقام الصلوة الى
اخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا
بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار بقوله عم من عمل بهذه الآية فقد
استكمل الايمان يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد
بالعبد والانثى بالانثى كان في الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان
لاحدهما طول على الآخر فاقسموا ليقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام
تحاكموا الى رسول الله عم فنزلت وامرهم ان يتباوؤا ولا تدل على ان لا يقتل الحر بالعبد
والذكر بالانثى كما لا تدل على عكسه فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص
الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما منع مالك والشافعي قتل الحر بالعبد سواء كان عبده
او عبد غيره لما روي عن علي رض ان رجلا قتل عبده فجلده الرسول عم ونفاه سنة ولم يقده
به وروي عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد ولان ابا بكر و
عمر رض كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وللقياس على الاطراف
ومن سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما في التورية فلا
ينسخ ما في القران واحتجت الحنفية به على ان مقتضى العمد القود وهو ضعيف اذ الواجب
على التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس
نسخا لوجوبه وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص بالنصب وكذا كل فعل جاء
في القران فمن عفي له من اخيه شيء اى شيء من العفو لان عفا لازم وفائدته الاشعار
بان بعض العفو كالعفو التام في اسقاط القصاص وقيل عفى بمعنى ترك وشيء
مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفى الشيء بمعنى تركه بل اعفاه وعفا يعدى بعن الى الجاني
والى الذنب قال الله تعالى عفى الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا عدي به الى الذنب
عدي الى الجاني باللام وعليه ما في الاية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه
يعني ولي الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق له
ويعطف عليه فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان اى فليكن اتباع او فالامر اتباع
والمراد به وصية العافي بان يطالب الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه بان
يؤديها باحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية احد مقتضى العمد
والا لما رتب الامر باداءها على مطلق العفو وللشافعي في المسئلة قولان ذلك اى
الحكم المذكور في العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع قيل كتب
على اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخير هذه الامة بينهما وبين الدية
تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم على حسب مراتبهم فمن اعتدى بعد ذلك قتل بعد العفو
واخذ الدية فله عذاب اليم في الآخرة وقيل في الدنيا بان يقتل لا محالة لقوله عليه
السلام لا اعافي احدا قتل بعد اخذه الدية ولكم في القصاص حيوة كلام في غاية

الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص ونكر الحيوة
ليدل على ان في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحيوة عظيما وذلك لان العلم به يردع القاتل
عن القتل فيكون سبب حيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد
فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحيوتهم
وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بها الحيوة الاخروية فان القاتل اذا
اقتص منه في الدنيا لم يواخذ به في الاخرة ولكم في القصاص يحتمل ان يكونا خبرين لحيوة وان
يكون احدهما خبرا والاخر صلة له او حالا عن الظرف المستكن فيه وقرئ في القصص اي فيما
قص عليكم من حكم القتل حيوة او في القران حيوة للقلوب يا اولي الالباب ذوي
العقول الكاملة ناداهم للتامل في حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس
لعلكم تتقون في المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له او عن القصاص فتكفوا
عن القتل كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اي حضر اسبابه فظهر اماراته ان
ترك خيرا مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله
سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وعن عائشة
ان رجلا اراد ان يوصي فسالته كم مالك فقال ثلثة الاف فقالت كم عيالك قال
اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك الوصية
للوالدين والاقربين مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل او على تاويل ان يوصي او الايصاء
ولذلك ذكر الراجع في قوله تعالى فمن بدله والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه
عليها وقيل مبتدا خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كقوله من يفعل
الحسنات الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم في بدء
الاسلام فنسخ باية المواريث وبقوله عليه الصلوة والسلام ان الله تعالى اعطى كل ذي
حق حقه الا لا وصية لوارث وفيه نظر لان اية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث
انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الاحاد وتلقي الامة له بالقبول لا يلحقه
بالتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين
بقوله يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله تعالى عليهم بالمعروف
بالعدل فلا يفضل الغني ولا يتجاوز الثلث حقا على المتقين مصدر مؤكد اي
حق ذلك حقا فمن بدله غيره من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه وصل اليه
وتحقق عنده فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المغير والتبديل الا على
مبدله لانه الذي حاف وخالف الشرع ان الله سميع عليم وعيد للمبدل بغير حق
فمن خاف من موص اي توقع وعلم من قولهم اخاف ان ترسل السماء جنفا ميلا
بالخطاء في الوصية او اثما تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم باجرائهم على نهج
الشرع فلا اثم عليه في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول ان الله

ان الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس
ما يؤثم يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم يعني الانبياء
عم والامم من لدن ادم وفيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على النفس والصوم
في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس وفي الشرع الامساك عن المفطرات فانها معظم ما
تشتهيه الانفس لعلكم تتقون المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدؤها كما
قال عم فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او الاخلال باداءه لاصالته وقدمه اياما
معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال
هيلا ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه
والمراد بها رمضان او ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء وثلثة ايام
من كل شهر او بما كتب على الظرفية او على انه مفعول ثان لكتب عليكم على السعة وقيل معناه
صومكم كصومهم في عدد الايام لما روي ان رمضان كتب على النصارى فوقع في برد او حر
شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة للتحويل وقيل زادوا ذلك لموتان
اصابهم فمن كان منكم مريضا مرضا يضره الصوم ويعسر معه او على سفر او راكب سفر
وفيه ايماء بان من سافر اثناء اليوم لم يفطر فعدة من ايام اخر اي فعليه صوم عدة
ايام المرض او السفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه
للعلم بها وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب
واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة رضي الله عنه وعلى الذين يطيقونه وعلى
المطيقين للصيام ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند
فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم ذلك في اول الامر لما امروا بالصوم فاشتد
عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرا نافع وابن عامر برواية ذكوان باضافة الفدية
الى الطعام وجمع المساكين وقرا ابن عامر برواية هشام فدية طعام مساكين بغير
اضافة الفدية الى الطعام والباقون بغير اضافة وتوحيد مسكين وقرئ يطوقونه
اي يكلفونه او يقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة او القلادة ويتطوقونه
اي يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بالادغام ويطيقونه ويتطيقونه على ان اصلهما
يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل بمعنى يتطوقونه وعلى هذه القراءات يحتمل معنى ثانيا وهو
الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز في الافطار والفدية فتكون
ثابتا وقد اول به القراءة المشهورة اي يصومونه جهدهم وطاقتهم فمن تطوع خيرا
فزاد في الفدية وقرا حمزة والكسائي يطوع اي يتطوع فهو خير له وان تصوموا
ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم او المرخصون في الافطار ليندرج
تحته المريض والمسافر خير لكم من الفدية او تطوع الخير او منهما ومن التاخير
للقضاء ان كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف

دل عليه ما قبله اي اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير
لكم من ذلك شهر رمضان مبتداء خبره ما بعده او خبر مبتداء محذوف تقديره ذلكم
شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اي كتب عليكم الصيام صيام
شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول وان تصوموا وفيه
ضعف او بدل من اياما معدودات ورمضان مصدر رمض اذا احترق فاضيف
اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون كما منع داية في ابن
داية علما للغراب للعلمية والتانيث وقوله عليه السلام من صام رمضان فعلى حذف
المضاف لامن الالتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش
او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه ايام رمض الحر حينما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة
القديمة الذي انزل فيه القران اي ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض او انزل في شانه
القران وهو قوله تعالى كتب عليكم الصيام وعن النبي صلى الله وسلم نزلت صحف
ابرهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلث
عشرة والقران لاربع وعشرين والموصول بصلته خبر المبتداء او صفته والخبر فمن
شهد والفاء لوصف المبتداء بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه
سبب اختصاصه بوجوب الصوم فيه هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان
حالان من القران اي انزل وهو هداية للناس باعجازه وايات واضحات مما يهدي
الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فمن شهد منكم الشهر
فليصمه فمن حضر في الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه
لكن وضع المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم ونصب على الظرف وحذف الجار ونصب
الضمير الثاني على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك
شهدت الجمعة اي صلوتها فيكون ومن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر
مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شهد الشهر ولعل تكريره لذلك او لئلا
يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر اي يريد ان ييسر عليكم
ولا يعسر فلذلك اباح الفطر للسفر والمرض ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هديكم
ولعلكم تشكرون علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق اي وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد
بصوم الشهر والمرخص بالقضاء ومراعاة عدة ما افطر فيه والترخيص لتكملوا العدة
الى اخرها على سبيل اللف فان قوله ولتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا
الله علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير او
لافعال لكل فعله او معطوفة على مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعملون ولتكملوا
ويجوز ان يعطف على اليسر اي ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا نور الله
والمعنى بالتكبير تعظيم يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدر والخبر الى الذي

والخبر اي الذي هديكم اليه وعن عاصم ولتكملوا بالتشديد واذا سالك عبادي عني
فاني قريب اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم
واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب دعوة الداعي
اذا دعان تقرير للقرب ووعد للداعي بالاجابة فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان
والطاعة كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم وليؤمنوا بي امر بالثبات والمداومة
عليه لعلهم يرشدون راجين اصابة الرشد وهو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين
وكسرها واعلم انه تعالى لما امرهم بصوم الشهر ومراعات العدة وحثهم على القيام
بوظايف التكبير والشكر عقبه بهذه الاية الدالة على انه خبير باحوالهم سميع لاقوالهم
مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم بين احكام الصوم فقال
احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روي ان المسلمين كانوا اذا امسوا
احل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء الاخرة او يرقدوا ثم ان
عمر رضي الله عنه باشر بعد العشاء فندم واتى النبي عليه السلام واعتذر اليه
فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت التي تصح منها صيامها والرفث
كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه
وعدي بالى لتضمنه معنى الافضاء وايثاره ههنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة وقرئ
الرفوث هن لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف يبين سبب الاحلال
وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما
كان الرجل والمراة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس قال الجعدي اذا
ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا او لان كل واحد منهما يستر حال صاحبه
ويمنعه عن الفجور علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص
حظها من الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب فتاب عليكم
لما تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم ومحا عنكم اثره فالان باشروهن لما نسخ عنكم التحريم
وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقران والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة وكني به عن الجماع
وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدره لكم واثبته في اللوح من الولد والمعنى ان المباشر
ينبغي ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل
النهي عن العزل وقيل عن غير الماتي والتقدير واتبعوا المحل الذي كتبه الله تعالى لكم وكلوا
واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر
المعترض في الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان
الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا من الاستعارة
الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روي انها نزلت

ولم يتبين لهم من الفجر فعمد رجال الى خيطين ابيض واسود ولا يزالون ياكلون ويشربون
حتى يتبينا لهم فنزلت ان صح فلعله كان قبل دخول رمضان وتاخير البيان الى وقت
الحاجة جائز او اكتفى اولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم
وفي تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على جواز تاخير الغسل اليه وصحة صوم المصبح جنبا
ثم اتموا الصيام الى الليل بيان آخر وقته واخراج الليل عنه فينفي صوم الوصال
ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث
في المسجد بقصد القربة والمراد بالمباشرة الوطء وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج
الى امراته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد
ولا يختص بمسجد دون مسجد وان الوطء يحرم فيه ويفسده لان النهي في العبادات يوجب
الفساد تلك حدود الله اي الاحكام التي ذكرت فلا تقربوها نهى ان يقرب الحد الحاجز
الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلا ان يتخطى كما قال عليه السلام ان لكل
ملك حمى الله تعالى محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله
فلا تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه كذلك مثل ذلك التبيين
يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون مخالفة الاوامر والنواهي ولا تاكلوا اموالكم بينكم
بالباطل اي ولا ياكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله وبين نصب على الظرف
او الحال من الاموال وتدلوا بها الى الحكام عطف على المنهي او نصب باضمار ان والادلاء
الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال
الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة او ملتبسين بالاثم
وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب المعصية مع العلم بها اقبح روي ان عبدان
الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة من ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرا عليه السلام ان الذين يشترون
بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عبدان فنزلت وهي
دليل على ان حكم القاضي لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله عليه السلام انما انا بشر وانتم تختصمون
الي ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له
بشيء من حق اخيه فانما اقضي له قطعة من نار يسالونك عن الاهلة سأله معاذ بن
جبل رضي الله عنه وثعلبة بن غنم الانصاري فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط
ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس والحج
فانهم سالوا عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله تعالى ان يجيب بان الحكمة
الظاهرة في ذلك ان يكون معالم للناس يوقتون بها امورهم ومعالم للعبادات
الموقتة يعرف بها اوقاتها وخصوصا الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء و
المواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة

المطلقة امتداد حركة الفلك من مبداها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت
الزمان المفروض لامر وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها وورش وحفص
بضم الباء والباقون بالكسر ولكن البر من اتقى قرا نافع وابن عامر بتخفيف
لكن ورفع البر كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه
وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراءه ويعدون ذلك برا فبين لهم
انه ليس ببر وانما البر بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم
سالوا عن الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت الحج وهذا ايضا من افعالهم في الحج ذكره
للاستطراد او انهم لما سالوا عما لا يعنونه ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال
عما يعنونه ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما سالوه تنبيها على ان اللائق
بهم ان يسالوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او ان المراد به التنبيه على تعكيسهم السؤال
وتمثيلهم بحال من ترك باب البيت ودخل من ورائه والمعنى وليس البر ان تعكسوا
في مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله واتوا البيوت من ابوابها
اذ ليس العدول برا او باشروا الامور من وجوهها واتقوا الله في تغيير احكامه ولا
الاعتراض على افعاله لعلكم تفلحون لكي تظفروا بالهدى والبر وقاتلوا في سبيل الله
جاهدوا لاعلاء كلمته واعزاز دينه الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك قبل ان
امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم
القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهابنة والنساء
او الكفرة كلهم فانهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيد الاول ما روي ان المشركين
صدوا رسول الله عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام
فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام
وكرهوا ذلك فنزلت ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال المعاهد
او المفاجاة به من غير دعوة او المثلة او قتل من نهيتم عن قتله ان الله لا يحب المعتدين
لا يريد بهم الخير واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم واصل
الثقف الحذق في ادراك الشيء علما كان او عملا فهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك
استعمل فيها قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود واخرجوهم
من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح والفتنة اشد
من القتل اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل
لدوام تعبها وتالم النفس بها وقيل معناه شركهم في الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من
قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه لا تفاتحوهم بالقتال
وهتك حرمة المسجد الحرام فان قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم ثمة فانهم الذين
هتكوا حرمته وقرا حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم والمعنى

يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو اسد كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك جزاؤهم
يفعل بهم مثل ما فعلوا فان انتهوا عن القتال والكفر فان الله غفور رحيم يغفر لهم
ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك ويكون الدين لله خالصا له
ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين
اي فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم
وسمي جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او انكم
ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الامر عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء
الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة واتفق
خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا ان يقاتلوهم لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذاك وهتكه
بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص احتجاج عليه اي كل حرمة وهو ما يجب ان
يحافظ عليها يجري فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله
وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم كما قال تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة التقرير واتقوا الله في الانتصار ولا تعتدوا الى
ما لم يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين المؤمنين فيحرسهم ويصلح شانهم وانفقوا
في سبيل الله ولا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف
وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك يقوي العدو
ويسلطهم على اهلاككم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب الانصاري انه قال لما اعز الله
الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك
وحب المال فانه يؤدي الى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل
انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء وعدي بالى لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة
والمراد بالايدي الانفس والتهلكة والهلاك والهلك واحد فهي مصدر كالتضرة والتسرة
اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم او لا تلقوا
بايديكم انفسكم اليها فحذف المفعول واحسنوا اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على المحاويج
ان الله يحب المحسنين واتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه
الله وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة واقيموا الحج والعمرة لله وما روي جابر
رضي الله انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا ولكن ان تعتمر خير لك معارض
بما روي ان رجلا قال لعمر رضي الله عنه اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت
بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال انه فسر وجدانهما مكتوبين بقوله
اهللت بهما فجاز ان يكون الوجوب بسبب اهلاله لانه رتب الاهلال على الوجدان
وذلك يدل على انه سبب الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من
دويرة اهلك او ان تفرد لكل منهما سفرا او ان تجرده لهما لا تشوبهما بغرض دنيوي

دنيوي او ان تكون النفقة حلالا فان احصرتم منعتم يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه
عن المضي مثل صده واصده والمراد حصر العدو عند مالك والشافعي رحمهما الله لقوله
فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس رضي الله عنه لا حصر الا حصر العدو
وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة رض لما روي عنه عليه السلام
من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل وهو ضعيف مأول بما اذا شرط الاحلال
به لقوله عليه السلام لضباعة بنت الزبير رضي حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث
حبستني فما استيسر من الهدي فعليكم ما استيسر او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما
استيسر والمعنى ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة او بقرة
او شاة حيث احصر عند الاكثر لانه عليه السلام ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل و
عند ابي حنيفة رح يبعث به ويجعل للمبعوث بيده يوم امار فاذا جاء اليوم و
ظن انه ذبح تحلل لقوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلوا حتى تعلموا
ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون
بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما واقتصاره على الهدي جمع
هدية كمطي في مطية فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق او به اذى من رأسه كجراحة وقمل
ففدية فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية
واما قدرها فقد روي انه عليه السلام قال لكعب ابن عجرة لعلك اذاك هوامك
قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين
او انسك شاة والفرق ثلثة اصوع فاذا امنتم الاحصار او كنتم في حال امن
وسعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله بالعمرة قبل
الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات
الاحرام الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي فعليه دم استيسره بسبب التمتع
فهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا يأكل منه وقال ابو حنيفة رح انه دم نسك
فهو كالاضحية فمن لم يجد اي الهدي فصيام ثلثة ايام في الحج في ايام الاشتغال
به بعد الاحرام وقبل التحلل وقال ابو حنيفة رح في اشهره بين الاحرامين والاحب
ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز يوم النحر وايام التشريق عند
الاكثر وسبعة اذا رجعتم الى اهليكم وهو احد قولي الشافعي او نفرتم وفرغتم من
اعماله وهو قوله الثاني ومذهب ابي حنيفة رح وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام
تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس
الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لا يحسنوا
الحساب وان المراد بالسبعة هو العدد دون الكثرة فانه يطلق لها كاملة صفة
مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به ينتهي

الاحاد وتتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي ذلك اشارة الى الحكم
المذكور عندنا والتمتع عند ابي حنيفة رحه اذ لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عنده
فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان من الحرم
على مسافة القصر عندنا وان كان على اقل فهو مقيم الحرم او في حكمه ومن مسكنه وراء
الميقات عنده واهل الحل عند طاوس وغير المكي عند مالك واتقوا الله في المحافظة
على اوامره ونواهيه وخصوصا في الحج واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه
كي يصدكم العلم به عن العصيان الحج اشهر اي وقته كقولك البرد شهران معلومات
معروفات وهي شوال وذو القعدة وتسع ذي الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند ابي حنيفة رحه
وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف على ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله
ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية
ذي الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهرين
وبعض الشهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد فمن
فرض فيهن الحج فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن عندنا وبالتلبية او سوق الهدي عند ابي
حنيفة رحه وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعي وان من احرم بالحج لزمه الاتمام فلا رفث
فلا جماع او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشرع بالسباب وارتكاب
المحظورات ولا جدال ولا مراء مع الخدم والرفقة في الحج في ايامه نفي الثلثة على قصد النهي
للمبالغة والدلالة على انها حقيقة بان لا تكون وما كانت منها مستقبحة في انفسها ففي
الحج اقبح كلبس الحرير في الصلوة والتطريب بقراءة القران لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة
وقرا ابن كثير وابو عمرو الاولين بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث
بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر
العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفة وما
تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه
وتزودوا فان خير الزاد التقوى وتزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت
في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس
فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس واتقون يا اولي
الالباب فان قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون
المقصود بها هو الله تعالى فيتبرؤوا عن كل شيء سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب
الهوى فلذلك خص اولي الالباب بهذا الخطاب ليس عليكم جناح ان تبتغوا
في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة وقيل
كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها مواسم الحج وكانت معايشهم
منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات دفعتم منها بكثرة

بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف
في دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية
والتانيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع
اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا
ليس كذلك او لان التانيث اما ان يكون بالتاء المذكورة وهي ليست تاء تانيث
وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح
تقديرها لان المذكورة تمنعه من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت
وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عم فلما ابصره عرفه او لان جبرائيل عليه السلام
كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال قد عرفت او لان ادم وحواء عليهما السلام التقيا فيه
فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة في ذلك وهي من الاسماء
المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف وفيه دليل وجوب الوقوف بها لان الافاضة
لا تكون الا بعده وهي مامور بها لقوله تعالى ثم افيضوا او مقدمة للذكر المامور به وفيه
نظر اذ الذكر غير واجب والامر به غير مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل
بصلوة العشائين عند المشعر الحرام جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل
ما بين مازمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روى جابر رضي الله عنه انه عليه السلام
لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم
يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى
عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي
محسر واذكروه كما هديكم كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هديكم هداية حسنة الى المناسك
وغيرها وما مصدرية او كافة وان كنتم من قبله اي الهدى لمن الضالين الجاهلين بالايمان
والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله تعالى وان
نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة لا من المزدلفة
والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك
احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة
اليها والخطاب عام وقرئ الناسي اي بالكسر اي الناسي يريد ادم عليه السلام من
قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم
في تغيير المناسك ونحوه ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه
فاذا قضيتم مناسككم فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم
اباءكم فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر ابائكم في المفاخرة وكانت العرب
اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر ابائهم ومحاسن
ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى او

واذكروا الله ذكرا كذكر اباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه على ضعف
بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا واما منصوب بالعطف على اباءكم وذكرا من فعل
المذكور وبمعنى او كذكركم اشد مذكورا من اباءكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا
اشد ذكرا لله منكم لاباءكم فمن الناس من يقول تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب
بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار والارشاد
اليه ربنا اتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا وماله في الاخرة من خلاق
نصيب وحظ لان همه مقصور بالدنيا او من طلب خلاق ومنهم من يقول ربنا
اتنا في الدنيا حسنة يعني الصحة والكفاف وتوفيق الخير وفي الاخرة حسنة يعني
الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وقول علي كرم الله وجهه الحسنة
في الدنيا المرأة الصالحة وفي الاخرة الحوراء وعذاب النار معناه احفظنا من الشهوات
والذنوب المؤدية الى النار امثلة للمراد بها اولئك اشارة الى الفريق الثاني وقيل اليهما
لهم نصيب مما كسبوا اي من جنسه وهو جزاؤه او من اجله لقوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا
او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه فسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والله سريع الحساب
يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة او يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب
الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات واذكروا الله في ايام معدودات
كبروه ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام التشريق فمن
تعجل فمن استعجل النفر في يومين يوم القر والذي بعده اي فمن نفر في ثاني ايام التشريق بعد
رمي عندنا وقبل طلوع الفجر عنده فلا اثم عليه باستعجاله ومن تاخر فلا اثم عليه فمن تاخر في
النفر حتى رمي اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة رح يجوز تقديم رميه على الزوال
ومعنى نفي الاثم بالتعجل والتاخر التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل
ومنهم من اثم المتاخر لمن اتقى اي الذي ذكر من التخيير او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج
على الحقيقة والمنتفع به ما يهمه يهمه منهما واتقوا الله في مجامع اموركم ليعبا بكم واعلموا انكم
اليه تحشرون للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم المتفرق ومن الناس من يعجبك
قوله يروقك ويعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض الانسان لجهله بسبب المتعجب منه
في الحيوة الدنيا متعلق بالقول اي ما يقوله في امور الدنيا واسباب المعاش او في
معنى الدنيا فانها مراده من ادعاء المحبة واظهار الايمان او بيعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا
حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الاخرة لما يعتريه من الدهشة والحبسة او لانه لا يؤذن له
في الكلام ويشهد الله على ما في قلبه يحلف ويستشهد الله تعالى على ان ما في قلبه موافق
لكلامه وهو الد الخصام شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة
ويجوز ان يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل نزلت
في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله

عليه وسلم ويدعي الاسلام وقيل في المنافقين كلهم واذا تولى ادبر و
انصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك
الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم
او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله تعالى بشومه القطر فيهلك
الحرث والنسل والله لا يحب الفساد لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه واذا
قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي يؤمر باتقائه
لجاجا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم كفته جزاء وعذابا
وجهنم علم لدار العقاب وهو في الاصل مرادف للنار وقيل معرب ولبئس المهاد
جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ
للجنب ومن الناس من يشري نفسه يبيعها يبذلها في الجهاد او يأمر بالمعروف وينهى عن
المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضات الله طلبا لرضاه وقيل انها نزلت في صهيب بن
سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت
معكم ولا يضركم ان كنت عليكم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوه منه واتى المدينة
والله رؤف بالعباد حيث ارشدهم الى مثل هذا الشراء وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب
الغزاة والشهداء يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة السلم بالكسر والفتح
الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق في الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع
والكسائي وكسره الباقون وكافة اسم للجملة لانها تكف الاجزاء عن التفرق حال من
الضمير او السلم لانها تؤنث كالحرب قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك
من انفاسها جرع والمعنى استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب
للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني
اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها او في شرائع
الله تعالى كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا
خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان
زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات الايات والحجج الشاهدة
على انه الحق فاعلموا ان الله عزيز لا يعجزه الانتقام حكيم لا ينتقم الا بحق هل ينظرون
استفهام في معنى النفي ولذلك جاء بعده الا ان يأتيهم الله اي يأتيهم امره وبأسه كقوله
او يأتي امر ربك فجاءهم بأسنا او يأتيهم الله ببأسه فحذف المأتي به للدلالة عليه بقوله
تعالى ان الله عزيز حكيم في ظلل جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما اظلك وقرئ ظلال
كقلال من الغمام السحاب الابيض وانما يأتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة فاذا
جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب فكيف
اذا جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة فانهم الواسطة في اتيان امره او الاتون على

على الحقيقة بباسه وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر اتم امر اهلاكهم وفرغ منه
وضع الماضي موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة
والى الله ترجع الامور قراه ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم على انه من الرجع وقرا الباقون
على البناء للفاعل بالتانيث غير يعقوب على انه من الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير وبناء
المفعول سل بني اسرائيل امر للرسول صلى الله عليه او لكل احد والمراد بهذا السؤال
تقريعهم كم اتيناهم من اية بينة معجزة ظاهرة او اية في الكتب شاهدة على الحق والصواب
على ايدي الانبياء وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او
الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر واية مميزها ومن للفصل ومن يبدل نعمة الله
اي اياته فانها سبب الهدى الذي هو اجل النعم بجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس
او بالتحريف والتاويل الزائغ من بعد ما جاءته من بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها
وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ما عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل
فان الله شديد العقاب فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جريمة زين
للذين كفروا الحيوة الدنيا حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا
عليها واعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله تعالى اذ ما من شيء الا وهو فاعله
ويدل عليه قراءة زين على البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلق
الله تعالى فيها من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين
امنوا يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب رضي الله عنهم اي يسترذلونهم ويستهزؤن
بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء كانهم جعلوا مبدأ السخرية مبدأة
منهم والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة لانهم في عليين وهم في اسفل السافلين او لانهم
في كرامة وهم في مذلة او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا
وانما قال والذين اتقوا بعد قوله من الذين امنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاءهم
للتقوى والله يرزق من يشاء في الدارين بغير حساب بغير تقدير فيوسع
في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق
فيما بين ادم وادريس او نوح او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة والكفر في
فترة ادريس او نوح فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين اي اختلفوا فبعث
الله وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذي علمته من عدد
الانبياء مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور في القران
باسم العلم ثمانية وعشرون وانزل معهم الكتاب يريد به الجنس ولا يريد به انه انزل
مع كل واحد كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم وانما كانوا ياخذون
بكتب من قبلهم بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق شاهدا به ليحكم بين الناس اي
الله تعالى او النبي المبعوث او كتابه فيما اختلفوا فيه اي في الحق الذي اختلفوا فيه

فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه في الحق او الكتاب الا الذين اوتوه
اي الكتاب المنزل لازالة الخلاف اي عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف
سببا لاستحكامه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم
على الدنيا فهدى الذين امنوا اختلفوا فيه اي للحق الذي اختلفوا فيه من اختلف
من الحق بيان لما اختلفوا فيه باذنه بامره او بارادته ولطفه والله يهدي
من يشاء الى صراط مستقيم لا يضل سالكه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة خاطب به
النبي والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجيء الايات تشجيعا لهم على
الثبات مع مخالفيهم وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها للانكار ولما ياتكم ولم ياتكم واصل
لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك جعل مقابل قد مثل الذين خلوا من قبلكم
حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم الباساء والضراء بيان له على الاستيناف وزلزلوا وازعجوا
ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد حتى يقول الرسول والذين امنوا معه لتناهي الشدة
واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر وقرأ نافع يقول بالرفع على انها حكاية حال ماضية
كقولك مرض حتى لا يرجونه متى نصر الله استبطاء له لتاخره الا ان نصر الله قريب
استيناف على ارادة القول اي فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر
وفيه اشارة الى ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات
ومكابدة الشدائد والرياضات كما قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت
النار بالشهوات يسئلونك ماذا ينفقون عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عمرو بن الجموح
الانصاري كان هما ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها
فنزلت قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن
السبيل سئل عن المنفق فاجيب ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة
باعتباره ولانه كان في سؤال عمرو وان لم يكن مذكورا في الاية واقتصر في بيان
المنفق على ما تضمنه قوله ما انفقتم من خير وما تفعلوا من خير في معنى الشرط فان الله
به عليم جوابه اي ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه وليس في الاية ما ينافيه
فرض الزكوة لينسخ به كتب عليكم القتال وهو كره لكم شاق عليكم مكروه طبعا وهو
مصدر نعت به للمبالغة او فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح على انه لغة فيه كالضعف والضعف
او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله حملته امه كرها
ووضعته كرها وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع
يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم
وهو جميع ما نهوا عنه فان النفس تحبه وتهواه وهو يفضي بها الى الردى وانما
ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت ينعكس الامر عليها والله يعلم ما هو خير لكم
وانتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل على ان الاحكام تتبع المصالح الراجحة وان

وان لم يعرف عنها يسألونك عن الشهر الحرام روى انه عليه السلام بعث عبد الله
بن جحش على سرية في جمادى الاخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو ابن
عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة
الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادى الاخرة فقالت
قريش استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم
وشق على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم
العير والاسارى وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم الغنيمة وهو اول غنيمة في الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه
في ذلك تشنيعا وتعييرا اصحاب السرية قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وقرئ
عن قتال بتكرير العامل قل قتال فيه كبير اي ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ
بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ
الخاص بالعام وفيه خلاف والاولى منع دلالة الاية على حرمة القتال في الشهر الحرام
مطلقا فان قتالا فيه نكرة في حيز مثبت فلا يعم وصد صرف ومنع عن سبيل الله
اي الاسلام او ما يوصل العبد الى الله تعالى من الطاعات وكفر به اي بالله تعالى
والمسجد الحرام على ارادة المضاف اي وصد المسجد الحرام كقول ابي دواد اكل امرئ تحسبين
امرأ ونار توقد بالليل نارا ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله تعالى
وكفر به على وصد مانع منه اذ لا يتقدم العطف على الموصول على العطف على الصلة
ولا على الهاء في به فان العطف على الضمير المجرور انما يكون باعادة الجار واخراج اهله منه
اهل المسجد وهم النبي والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن
وهو خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة من كبائر قريش وافعل مما يستوي فيه
الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة اكبر من القتل اي وما يرتكبونه من الاخراج
والشرك افظع مما ارتكبوه من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن
دينكم اخبار عن دوام عداوة الكفار وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى
للتعليل كقولك اعبد الله حتى ادخل الجنة لقوله ان استطاعوا وهو استبعاد
لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على قرنه ان ظفرت بي فلا تبق علي وايذان بانهم
لا يردونهم ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم
قيد الردة بالموت عليها في احباط الاعمال كما هو مذهب الشافعي رح والمراد بها
الاعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح وهو لغة فيه في الدنيا لسقوط
لبطلان ما تخيلوه وفوات ما للاسلام من الفوائد الدنيوية والاخرة بسقوط الثواب
واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة ان الذين امنوا نزلت
ايضا في السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر والذين هاجروا

هاجروا وجاهدوا في سبيل الله كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد كانهما مستقلان
في تحقيق الرجاء اولئك يرجون رحمت الله ثوابه اثبت لهم الرجاء اشعارا
بان العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم والله
غفور لما فعلوا خطاء وقلة احتياط رحيم باجزال الاجر والثواب يسألونك
عن الخمر والميسر روي انه نزل بمكة قوله تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون
منه سكرا فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا رضي الله عنهما في نفر من الصحابة
قالوا افتنا يا رسول الله في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الاية فشربها قوم
وتركها اخرون ثم دعا عبد الرحمن ابن عوف رض ناسا منهم فشربوا فسكروا فام
احدهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد ابن ابي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فانشد
سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحى بعير فشجه فشكى الى رسول الله
عليه وسلم فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى
قوله فهل انتم منتهون فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يا رب والخمر في الاصل
مصدر خمره اذا ستره سمي بها عصير العنب والتمر اذا اشتد وغلا كانه يخمر العقل
كما سمي سكرا لانه يسكره اي يحجزه وهي حرام مطلقا وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء
وقال ابو حنيفة نقيع التمر والزبيب اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل
شربه ما دون السكر والميسر ايضا مصدر كالموعد سمي به القمار لانه اخذ مال الغير بيسر
او سلب يساره والمعنى يسألونك عن تعاطيهما لقوله قل فيهما اي في تعاطيهما
اثم كبير حيث انه يؤدي الى الانتكاب عن المامور وارتكاب المحظور وقرأ حمزة
والكسائي كثير بالثاء ومنافع للناس من كسب المال والطرب والالتذاذ و
مصادقة الفتيان وفي الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفير المروة وتقوية الطبيعة
واثمهما اكبر من نفعهما اي المفاسد التي تنشأ منهما اعظم من المنافع المتوقعة
منهما ولهذا قيل انها المحرمة للخمر فان المفسدة اذا ترجحت على المصلحة اقتضت
تحريم الفعل والاظهر انه ليس كذلك لما مر ويسألونك ماذا ينفقون قيل
سائله ايضا عمرو ابن الجموح سأل اولا عن المنفق والمصرف ثم سأل عن كيفية
الانفاق قل العفو العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض السهلة وهو ان
ينفق ما تيسر له بذله ولا يبلغ منه الجهد قال خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا
تنطقي في سورتي حين اغضب وروي ان رجلا اتى النبي عم ببيضة من ذهب
اصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه حتى كرر مرارا فقال عم هاتها مغضبا فاخذها فحذفها حذفا لو اصابه لشجه ثم قال ياتي احدكم بماله كله يتصدق
به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى وقرأ ابو عمرو برفع الواو
كذلك يبين لكم الايات اي مثل ما بين ان العفو اصلح من الجهد او ما ذكر

من الاحكام والكاف في موضع النصب صفة لمصدر محذوف اي تبيينا مثل هذا
التبيين وانما وحد العلامة والمخاطب جمع على تاويل القبيل والجمع لعلكم تتفكرون
في الدلائل والاحكام في الدنيا والآخرة في امور الدارين فتاخذون بالاصلح والانفع
منها وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم ويسألونك عن اليتامى لما نزلت ان الذين
يأكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك
عليهم فذكر لرسول الله عليه السلام فنزلت قل اصلاح لهم خير اي لاصلاحهم او اصلاح
اموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم حث على المخالطة اي انهم اخوانكم في الدين
ومن حق الاخ ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح
وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد واصلاح اي يعلم امره فيجازيه عليه ولو شاء الله
لاعنتكم اي ولو شاء الله تعالى اعناتكم لاعنتكم اي ما يشق عليكم من العنت وهي المشقة
ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب يقدر على الاعنات حكيم يحكم ما تقتضيه
الحكمة وتتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اي ولا تتزوجوهن وقرئ
بالضم اي ولا تزوجوهن من المسلمين والمشركات تعم الكتابيات لان اهل الكتاب
مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن
الله الى قوله تعالى سبحانه عما يشركون ولكنها خصت عنها بقوله تعالى والمحصنات
من الذين اوتوا الكتاب روي انه عليه السلام بعث مرثد الغنوي الى مكة ليخرج
منها اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان يهواها في الجاهلية فقالت الا تخلو فقال
ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي فقال نعم ولكن استأمر
رسول الله فاستأمره فنزلت ولامة مؤمنة خير من مشركة اي ولامرأة مؤمنة
حرة كانت او مملوكة فان الناس عبيد الله تعالى واماؤه ولو اعجبتكم بحسنها وشمائلها
والواو للحال ولو بمعنى ان وهو كثير ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا تزوجوا منهم المؤمنات
حتى يؤمنوا وهو على عمومه ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم تعليل للنهي عن
مواصلتهم وترغيب في مواصلة المؤمنين اولئك اشارة الى المذكورين من المشركين
والمشركات يدعون الى النار اي الكفر المؤدي الى النار فلا تليق موالاتهم ومصاهرتهم
والله اي اولياؤه يعني المؤمنين حذف المضاف المضاف اليه مقامه تفخيما لشانهم
يدعو الى الجنة والمغفرة اي الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة
باذنه بتوفيق الله تعالى وتيسيره او بقضائه وارادته ويبين آياته للناس لعلهم
يتذكرون لكي يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز في العقول من
ميل الخير ومخالفة الهوى ويسألونك عن المحيض روي ان اهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا
الحيض ولم يواكلوها كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سأل ابو الدحداح في
نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجيء والمبيت ولعله سبحانه وتعالى

وتعالى انما ذكر يسألونك بغير واو ثلاثا ثم بها ثلاثا لان السؤالات الاولى كانت في اوقات
متفرقة والثلاثة الاخيرة كانت في وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع قل
هو اذى اي الحيض مستقذر يؤذي من يقربه نفرة منه فاعتزلوا النساء في المحيض
فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عليه السلام انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن
ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط
النصارى فانهم كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض وانما وصفه بانه اذى ورتب
الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه العلة ولا تقربوهن حتى يطهرن تاكيد للحكم وبيان لغايته
وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائي وعاصم
في رواية ابن عياش يطهرن اي يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما قوله تعالى فاذا
تطهرن فأتوهن فانه يقتضي تأخر جواز الاتيان عن الغسل وقال ابو حنيفة ان طهرت
لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل من حيث امركم الله اي المأتى الذي امركم الله به وحلله
لكم ان الله يحب التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن
الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان في غير المأتى نساؤكم مواضع حرث لكم شبههن
بها تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف بالبذور فأتوا حرثكم اي فأتوهن كما تأتون
المحارث وهو كالبيان لقوله فأتوهن من حيث امركم الله انى شئتم اي من اي جهة
شئتم روي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته من دبرها في قبلها كان ولدها احول
فذكر ذلك لرسول الله فنزلت وقدموا لانفسكم ما يدخر لكم الثواب وقيل هو
طلب الولد وقيل التسمية على الوطء واتقوا الله بالاجتناب عن معاصيه واعلموا
انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين الكاملين في الايمان بالكرامة
والنعيم الدائم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل
امره منهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس
نزلت في الصديق رضي الله عنه لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة رضي الله
عنها او في عبد الله بن رواحة حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح
بينه وبين اخته والعرضة بمعنى المفعول كالقبضة يطلق لما يعرض دون الشيء
وللمعرض للامر ومعنى الآية على الاول ولا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع
الخير فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها لقوله صلى الله عليه وسلم لابن سمرة اذا
حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر يمينك وان مع
صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز ان
يكون للتعليل ويتعلق ان بالفعل او بعرضة اي ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا
لاجل ايمانكم به وعلى الثاني ولا تجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك
ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة النهي اي انهاكم عنه ارادة

حرث لكم صح

تبرّكم وتقويكم واصلاحكم بين الناس فان الحالف مجترئ على الله تعالى والمجترئ عليه لا يكون
برّا متقيا ولا موثوقا به في اصلاح ذات البين والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم لا يؤاخذكم
الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما
لا عقد معه كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا بمعناه كقول العرب لا والله وبلى والله
لمجرد التاكيد لقوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا
كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطأت
فيها قلوبكم السنتكم وقال ابو حنيفة رح اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب
والمعنى لا يعاقبكم بما اخطأتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيها والله
غفور حيث لم يؤاخذكم باللغو حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد تربصا للتوبة
للذين يؤلون من نسائهم اي يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته
بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدي بمن تربص اربعة اشهر مبتدأ ما قبله
خبره او فاعل الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف
على الاتساع اي للمولي حق التلبث في هذه المدة يطالب بفيء ولا طلاق ولذلك
قال الشافعي رح لا ايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ويؤيده فان فاءوا اي رجعوا في اليمين بالحنث
فان الله غفور رحيم للمولي اثم حنثه اذا كفر او ما توخى بالايلاء من ضرار المرأة ونحوه
بالفيئة التي كالتوبة وان عزموا الطلاق وان صمموا قصده فان الله سميع لطلاقهم
عليم بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة رحمه الله الايلاء في اربعة اشهر فما دونه وحكمه
المولي فان فاء في المدة بالوطء ان قدر والوعد ان عجز صح الفيء ولزم الواطئ ان يكفر
والا بانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة باحد الامرين فان ابى عنهما
طلق عليه الحاكم والمطلقات يريد بها المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت
الايات والاخبار ان حكم غيرهن خلاف ما ذكر يتربصن خبر بمعنى الامر وتغيير العبارة
للتاكيد والاشعار بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله وكان المخاطب قصد ان
يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك في الدعاء رحمك الله وبناؤه على المبتدأ يزيده فضل
تاكيد بانفسهن تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس النساء طوامح الى
الرجال فامرت بان يقمعنها ويحملنها على التربص ثلثة قروء نصب على الظرف
والمفعول به اي يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض لقوله عليه السلام
دعي الصلوة ايام اقرائك وللطهر الفاصل بين حيضتين كقول الاعشى لما
ضاع من قروء نسائكا واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به في الاية لانه
الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قاله الحنفية لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اي
وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون في الحيض واما قوله عليه السلام طلاق الامة
تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان في قصة ابن عمر رضي الله

رضي الله عنه مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء امسك بعد وان شاء
طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله تعالى ان يطلق لها النساء وكان القياس
ان يذكر بصيغة القلة التي هي الاقراء ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من البنائين
مكان الآخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها
ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الولد والحيض استعجالا في العدة وابطالا
لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها مقبول في ذلك ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ليس
المراد منه تقييد نفي الحل بل التنبيه على انه ينافي الايمان وان المؤمن لا يجترئ
عليه ولا ينبغي ان يفعل وبعولتهن اي ازواج المطلقات احق بردهن الى النكاح
والرجعة اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للآية التي تتلوها فالضمير اخص من المرجوع
اليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء لتانيث
الجمع كالعمومة والخؤولة او مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به او اقيم مقام المضاف
المحذوف اي واهل بعولتهن وافعل ههنا بمعنى الفاعل في ذلك اي في زمان التربص
ان ارادوا اصلاحا بالرجعة لا اضرار المرأة وليس المراد منه شريطة قصد الاصلاح للرجعة
بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف اي ولهن
حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لا في الجنس
وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضل فيه لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن
المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او شرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن
شاركوهن في غرض الزواج وخصوا بفضيلة الرعاية والانفاق والله عزيز يقدر
على الانتقام ممن خالف الاحكام حكيم شرعها لحكم ومصالح الطلاق مرتان اي التطليق
الرجعي اثنتان لما روي انه عليه السلام سئل اين الثالثة فقال صلى الله عليه وسلم او تسريح
باحسان وقيل معناه التطليق الشرعي تطليقة على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع
بين الطلقتين والثلاث بدعة فامساك بمعروف بالمراجعة وحسن المعاشرة
وهو يؤيد المعنى الاول او تسريح باحسان بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها حتى تبين
وعلى المعنى الاخير حكم مبتدأ وتخيير مطلق عقب به تعليمهم كيفية التطليق ولا يحل لكم ان
تاخذوا مما آتيتموهن شيئا اي من الصدقات روي ان جميلة بنت (اخت) عبد ابن
ابي بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله وعليه وسلم
وقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع رأسي ورأسه شيء والله ما اعيبه في دين ولا خلق ولكني
اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرأيته اقبل في عدة
فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت بحديقة اصدقها
والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الآمرون بهما عند
الترافع وقيل انه خطاب الازواج وما بعده خطاب الحكام وهو يشوش النظم على القراءة

المشهورة الا ان يخافا اي الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن الا
يقيما حدود الله بترك اقامة احكامه من مواجب الزوجية وقرا حمزة ويعقوب
يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما
بتاء الخطاب فان خفتم ايها الحكام الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت
به على الرجل في اخذ ما افتدت به نفسها واختلعت وعلى المراة في اعطائه تلك حدود الله
اشارة الى ما حد من الاحكام فلا تعتدوها اي فلا تتعدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله
فاولئك هم الظالمون تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد واعلم ان ظاهر الاية
تدل على ان الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق الزوج اليها فضلا عن الزايد
ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ايما امراة سالت زوجها طلاقا في غير باس فحرام
عليها رايحة الجنة وما روي انه عليه وسلم قال لجميلة اتردين عليه حديقته فقالت
اردها وازيد عليها فقال صلى الله عليه وسلم اما الزايد فلا والجمهور استكرهوه فان المنع
عن العقد لا يدل على فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه سماه افتداء واختلف في انه
اذا جرى بغير لفظ الطلاق فسخ او طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله فان طلقها
فان تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين ان يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر
انه طلاق لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله فان طلقها متعلق
بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على ان
الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من
بعد من بعد ذلك الطلاق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى
كل منهما كالتزوج وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور
على انه لا بد من الاصابة لما روي ان امراة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وانما معه مثل هدبة
الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة فقالت
نعم قال صلى الله عليه وسلم لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فالاية مطلقة
قيدتها السنة ويحتمل ان يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ
الزوج والحكمة في هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلثا والرغبة
فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوزه ابو حنيفة رحمه الله مع الكراهية
وقد لعن رسول الله عليه السلام المحلل والمحلل له فان طلقها الزوج الثاني فلا جناح
عليهما ان يتراجعا ان يرجع كل من المراة والزوج الاول الى الاخر بالزواج ان ظنا
ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما انهما يقيمان حدود الله تعالى وشرع من
حقوق الزوجية وتفسير الظن ههنا بالعلم غير سديد لان عواقب الامور غيب تظن ولا
تعلم ولانه لا يقال علمت ان يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم

في العلم وتلك حدود الله اي الاحكام المذكورة يبينها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بمقتضى العلم
واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي اخر عدتهن والاجل يطلق للمدة ولمنتهاها
فيقال لعمر الانسان وللموت الذي به ينتهي قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى
اجله والبلوغ هو الوصول الى الشيء وقد يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد في الاية
ليصح ان يترتب عليه فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ لا امساك بعد
انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن حتى تنقضي عدتهن من غير تطويل
وهو اعادة الحكم في بعض صوره للاهتمام به ولا تمسكوهن ضرارا ولا تراجعوهن ارادة
الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الاجل ثم يراجعها ليطول العدة
عليها ونهي عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة او الحال بمعنى مضارين
لتعتدوا لتظلموهن بالتطويل او الالجاء الى الافتداء واللام متعلقة بالضرار اذ المراد تقييده
ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا ايات الله هزوا
بالاعراض عنها والتهاون في العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ
كانه نهي عن الهزء واراد به الامر بضده وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق و
يقول كنت العب فنزلت وعنه عليه السلام ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق
والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية وبعثة محمد صلى الله
وسلم بالشكر والقيام بحقوقها وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة القران والسنة
افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما يعظكم به بما انزل عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله بكل
شيء عليم تاكيد وتهديد واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن وعن
الشافعي رح دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن
المخاطب به الاولياء لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جملا
ان ترجع الى زوجها الاول بالاستيناف فيكون دليلا على ان المراة لا تزوج نفسها اذ لو
تمكنت منه لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض باسناد النكاح اليهن لانه بسبب توقفه
على اذنهن وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضي العدة ولا يتركونهن يتزوجن
عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم النساء وقيل الاولياء والازواج وقيل الناس
كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين
له والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشبت بيضتها فلم تخرج
اذا تراضوا بينهم اي الخطاب والنساء وهو ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن
بالمعروف بما يعرفه الشرع ويستحسنه المروة حال من الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف
اي تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن التزويج من غير كفؤ غير منهي عنه
ذلك اشارة الى ما مضى ذكره والخطاب للجميع على تاويل القبيل او كل واحد او ان الكاف
لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين او للرسول صلى الله
عليه وسلم على طريقة قوله يا ايها النبي اذا طلقتم للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا

لايكاد يتصوره كل احد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر لانه المتعظ به والمنتفع
ذلك اي العمل بمقتضى ما ذكر ازكى لكم وانفع واطهر من دنس الآثام والله يعلم ما فيه
من النفع والصلاح وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن
امر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب فيخص بما اذا لم يرتضع الصبي
الا من امه او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستيجار والوالدات تعم المطلقات
وغيرهن وقيل تختص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين اكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح
فيه لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان للمتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة
او متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له وفيه
دليل على ان اقصى مدة الرضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه وعلى
المولود له اي الذي يولد له يعني الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة
للاشارة الى المعنى المقتضي لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن
اجرة لهن واختلف في استيجار الام فجوزه الشافعي ومنعه ابو حنيفة ما دامت زوجة
او معتدة نكاح بالمعروف حسب ما يراه الحاكم ويفي به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها
تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف ودليل على انه لا يكلف العبد بما لا يطيقه
وذلك لا يمنع امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له وتقريب
اي ولا يكلف كل منهما الآخر ما ليس في وسعه ولا يضاره بسبب الولد وقرأ ابن كثير
وابو عمرو ويعقوب لا تضار بالرفع بدلا من قوله لا تكلف واصله على القراءتين لا تضارر
بالكسر على البناء للفاعل او الفتح للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء
من صلته اي لا يضر الوالدان بالولد فيفرط في تعهده ويقصر فيما ينبغي له وقرئ لا تضار بالسكون
مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد
اليها تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه
والاشفاق عليه فلا ينبغي ان يضرا به او يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف
على قوله وعلى المولود له رزقهن وما بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث
الاب وهو الصبي اي مؤن المرضعة من ماله اذا مات الاب وقيل الباقي من الابوين
من قوله واجعله الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعي اذ لا نفقة عنده
فيما عدا الولاد وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابي ليلى وقيل وارثه المحرم منه
وهو مذهب ابي حنيفة رح وقيل عصباته وبه قال ابو زيد وذلك اشارة الى ما وجب
على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور اي فصالا
صادرا عن التراضي منهما والتشاور بينهما قبل الحولين والتشاور والمشاورة والمشورة
والمشورة استخراج الرأي من شرت العسل اذا استخرجته فلا جناح عليهما في ذلك وانما اعتبر
تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذارا ان يقدم احدهما ما يضر به لغرض وان اردتم

اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي تسترضعوا المراضع اولادكم يقال ارضعت المرأة الطفل
واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجته واستنجحته اياها فحذف المفعول الاول للاستغناء
عنه فلا جناح عليكم فيه واطلاقه يدل على ان للزوج ان يسترضع للولد ويمنع الزوجة
من الارضاع اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم
الى الصلوة وقرأ ابن كثير ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اي ما آتاكم
الله تعالى واقدركم عليه من الاجرة بالمعروف صلة سلمتم اي بالوجه المتعارف المستحسن
شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع
بل لسلوك ما هو الاولى والاصلح للطفل واتقوا الله مبالغة في المحافظة على ما شرع في امر
الاطفال والمراضع واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد والذين يتوفون
منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اي وازواج الذين او والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ
يتوفون بفتح الياء اي يستوفون آجالهم وتأنيث العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور
والايام ولذلك لا يستعملون التذكير في مثله قط ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون صمت
عشرا ويشهد له قوله ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل المقتضي لهذا التقدير ان الجنين
في غالب الامر يتحرك لثلاثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين
وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما يضعف حركته في المبادي فلا يحس بها وعموم اللفظ
يقتضي تساوي المسلمة والكتابية كما قاله الشافعي والحرة والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها
لكن القياس اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله تعالى واولات
الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن علي وابن عباس انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا
فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة والمسلمون جميعا
فيما فعلن في انفسهن من التعريض للخطاب وسائر ما حرم عليها للعدة بالمعروف
بالوجه الذي لا ينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكره فعليهم ان يكفوهن فان قصروا
فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فيجازيكم عليه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة
النساء التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل
جئتك لاسلم عليك والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل
النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف والخطبة بالكسر والضم اسم الحالة غير ان المضمومة
خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المرأة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة
وتعريض خطبتها ان يقول لها انك جميلة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك
او اكننتم في انفسكم او اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم
ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ
ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اي

فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا او جماعا عبر بالسر عن الوطي لانه سبب فيه وقيل
معناه لا تواعدوهن في السر على ان المعنى بالمواعدة في السر المواعدة بما يستهجن الا ان تقولوا
قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى منه محذوف اي لا تواعدوهن مواعدة
الا مواعدة معروفة او الا مواعدة بقول وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لاداته
الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة
وجواز تعريضها ان كانت معتدة وفاة واختلف في معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه
ولا تعزموا عقدة النكاح ذكر العزم مبالغة في النهي عن العقد اي ولا تعزموا عقد عقدة النكاح
وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح فان اصل العزم القطع حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهي
ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموه واعلموا
ان الله غفور لمن عزم ولم يفعل خشية من الله تعالى حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم
لا تبعة من مهر وقيل من وزر لانه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر
النهي عن الطلاق وظن فيه حرجا فنفي ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اي تجامعوهن او تفرضوا
لهن فريضة الا ان تفرضوا او حتى تفرضوا او تفرضوا تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة
بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لا تبعة على
المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولكن سمي لها فلها نصف المسمى فمنطوق
الاية ينفي الوجوب في الصورة الاولى ومفهومها يقتضي الوجوب على الجملة في الاخريين ومتعوهن
والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى رأي الحاكم ويؤيده قوله
على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اي على كل من الذي له سعة والمقتر الضيق الحال ما يطيقه
ويليق به ويدل عليه قوله عليه الصلوة والسلام لانصاري طلق امرأة المفوضة قبل ان
يمسها متعها بقلنسوتك وقال ابو حنيفة هي درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل مهر
مثلها من ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الاية يقتضي تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة
التي لم يمسها الزوج والحق بها الشافعي رح في احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم
على المفهوم وقرأ حمزة والكسائي وحفص وابن كثير وابن ذكوان بفتح الدال متاعا تمتيعا بالمعروف
بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروة حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على
المحسنين الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع
وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن
وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها فلهن
او فالواجب نصف ما فرضتم لهن وهو دليل على ان الجناح المنفي ثمه تبعة المهر وان لا متعة
مع التشطير لانه قسيمها الا ان يعفون اي المطلقات فلا يأخذن شيئا والصيغة
تحتمل التذكير والتأنيث والفرق ان الواو في الاول ضمير والنون علامة الرفع وفي الثاني
لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني ولذلك لم يؤثر فيه ان ههنا ونصب المعطوف

المعطوف عليه او يعفو الذي بيده عقدة النكاح اي الزوج المالك لعقده وحله
عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كاملا وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج
غير مشطر بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية وقيل الولي الذي يلي عقد نكاحهن
وذلك اذا كانت المرأة صغيرة وهو قول قديم للشافعي رح وان تعفوا اقرب للتقوى
يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الاخر عبارة عن الزيادة على الحق
وتسميتها عفوا اما على المشاكلة واما لانهم يسوقون المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق
قبل المسيس استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير بن مطعم
انه تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولا تنسوا
الفضل بينكم اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ان الله بما تعملون بصير
لا يضيع تفضلكم واحسانكم حافظوا على الصلوات بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل
الامر بها في تضاعيف احكام الاولاد والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشأنهم عنها و
والصلوة الوسطى بينها او الفضلى منها خصوصا وهي صلوة العصر لقوله عليه السلام
يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وفضلها
لكثرة اشتغال الناس في وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلوة الظهر لانها في وسط النهار
وكانت اشق الصلوات عليهم فكانت افضل العبادات احمزها وقيل صلوة الفجر
لانها بين صلوتي النهار والليل والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة
وقيل المغرب لانها المتوسطة بالعدد ووتر النهار وقيل العشاء لانها بين جهريتين
واقعتين طرفي الليل وعن عائشة رضه انه عليه السلام كان يقرأ والصلوة الوسطى وصلوة
العصر فتكون صلوة من الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادها بالفضل وقرئ
بالنصب على الاختصاص وقوموا لله في الصلوة قانتين ذاكرين له في القيام والقنوت
الذكر فيه وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح فان خفتم من عدو او غيره
فرجالا او ركبانا فصلوا راجلين او راكبين ورجال جمع راجل او رجل بمعناه كقائم
وقيام وفيه دليل على وجوب الصلوة حال المسايفة واليه ذهب الشافعي وقال
ابو حنيفة لا يصلي حال المشي والمسايفة ما لم يكن الوقوف فاذا امنتم وزال خوفكم فاذكروا
الله صلوا صلوة الامن او اشكروه على الامن كما علمكم ذكرا مثل ما علمكم من الشرائع وكيفية
الصلوة حالتي الخوف والامن او شكرا يوازيه وما مصدرية او موصولة ما لم تكونوا تعلمون
مفعول علمكم والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم قرأها
بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم
يوصون وصية او ليوصوا وصية او كتب الله عليهم وصية او الزم الذين يتوفون
وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكانه و
قرأ الباقون بالرفع على تقدير وصية الذين يتوفون او وحكمهم وصية او

والذين يتوفون اهل وصية او كتب عليهم وصية او عليهم وصية وقرئ متاع بدلها متاعا
اى الحول نصب بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية او بمتاع على قراءة من قرأ لانه بمعنى
التمتع غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم
اى غير مخرجات والمعنى انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم
بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى والنفقة وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله
اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان متقدما فى التلاوة فهو متاخر فى النزول وسقطت
النفقة بتوريثها الربع او الثمن والسكنى لها بعدُ ثابتة عندنا خلافا لابى حنيفة رح
فان خرجن عن منزل الازواج فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن فى انفسهن كالتطيب
وترك الحداد من معروف مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن
الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها
والله عزيز ينتقم ممن خالفه منهم حكيم راعى مصالحهم وللمطلقات متاع بالمعروف
حقا على المتقين اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعدما اوجبها لواحدة منهن وافراد
بعض العام بالحكم لا يخصصه الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها
ابن جبير لكل مطلقة واول غيره بما يعم التمتع الواجب والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة
العدة ويجوز ان يكون اللام للعهد والتكرير للتاكيد او لتكرر القصة كذلك اشارة
الى ما سبق من احكام الطلاق والعدة يبين الله لكم اياته وعد بانه سيبين لعباده
من الدلائل لاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون لعلكم تفهمونها
فتستعملون العقل فيها الم تر تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب
التواريخ وقد يخاطب به من لم ير ولم يسمع فانه صار مثلا فى التعجب الى الذين خرجوا من ديارهم
يريد اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله تع
ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا ان لا مفر من قضاء الله عز وجل وقدره او قوما من بنى
اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله تعالى ثمانية ايام ثم احياهم وهم
الوف اى الوف كثيرة وقيل عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون وقيل متالفون جمع
الف او آلف كقاعد وقعود والواو للحال حذر الموت مفعول له فقال لهم الله
موتوا اى قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من
غير علة بامر الله تعالى ومشيئته وقيل ناداهم به ملك وانما اسند الى الله تعالى تخويفا
وتهويلا او لانه المحيى والمميت على الحقيقة ثم احياهم قيل مر حزقيل على اهل داوردان
وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى اليه ناد فيهم ان
قوموا باذن الله فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت
وفائدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام
للقضاء ان الله لذو فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم

عليكم حالهم لتستبصروا ولكن اكثر الناس لا يشكرون اى لا يشكرونه كما ينبغى ويجوز ان يراد
بالشكر الاعتبار والاستبصار وقاتلوا فى سبيل الله لما بين ان الفرار عن الموت
غير مخلص وان المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففى سبيل الله والا
لهم الغنيمة والنصر والثواب واعلموا ان الله سميع لما يقوله المتخلف والسابق عليم بما يضمرانه
وهو من وراء الجزاء من ذا الذى يقرض الله من استفهامية مرفوعة الموضع بالابتداء وذا
خبره والذى صفة ذا او بدله واقراض الله تعالى مثل لتقديم العمل الذى به يطلب ثوابه قرضا
حسنا اقراضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض
الحسن المجاهدة والانفاق فى سبيل الله فيضاعفه له فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة
المغالبة للمبالغة وقرأ عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذى
يقرض الله فى معنى ايقرض الله احد وقرأ ابن كثير يضعفه بالرفع وابن عامر ويعقوب
بالنصب اضعافا كثيرة لا يقدرها الا الله تعالى وقيل الواحد سبعمائة واضعافا
جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثانى لتضمن المضاعفة معنى
التصيير او المصدر على ان الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع والله يقبض ويبسط يقتر على بعض
ويوسع على بعض حسبما اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم واليه
ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم الم تر الى الملا من بنى اسرائيل الملا جماعة يجتمعون للتشاور
ولا واحد له كالقوم ومن للتبعيض من بعد موسى اى بعد وفاته ومن للابتداء اذ قالوا
لنبى لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله اقم لنا
اميرا ننهض معه للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن رايه وجزم نقاتل على الجواب
وقرئ بالرفع على انه حال ابعثه لنا مقدرين القتال ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا
على الجواب والوصف لملكا قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا فصل بين
عسى وخبره بالشرط والمعنى اتوقع جبنكم عن القتال ان كتب عليكم فادخل هل على فعل
التوقع مستفهما عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا قالوا وما لنا الا نقاتل فى سبيل الله
وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اى عرض لنا فى ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه
ويحث من الاخراج عن الاوطان والافراد من الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه
من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وظهروا على بنى اسرائيل
فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربعمائة واربعين فلما
كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم ثلثمائة وثلثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم
بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم فى ترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت
ملكا طالوت علم عبرى كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه
روى ان النبى عليه السلام لما دعا الله تعالى ان يملكهم اتى بعصا يقاس بها من يملك
عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا انى يكون له الملك علينا ومن اين يكون له ذلك

ويتاهل ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال والحال انا احق منه بالملك
وراثة ومكنة وانه فقير لا مال له يعتضد به وانما قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا
او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت النبوة في اولاد
لاوى بن يعقوب والملك في اولاد يهوذا وكان فيهم من السبطين خلق قال ان الله اصطفاه
عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم لما استبعدوا
تملكه لفقره وسقوط نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه ليتمكن به من معرفة الامور
السياسية وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا في القلوب واقوى على مقاومة العدو
ومكابدة الحروب ولا ما ذكرتم وقد زاده الله فيهما وكان الرجل القائم يمد يده فينال رأسه
وثالثا بانه تعالى مالك الملك على الاطلاق فله ان يؤتيه من يشاء ورابعا بانه واسع الفضل
يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسب وغيره وقال لهم نبيهم لما طلبوا منه
حجة على انه سبحانه وتعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت الصندوق
فعلوت من التوب فانه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس بفاعول لقلة نحو سلس وقلق
ومن قرأه بالهاء فلعله ابدله منه كما ابدل من تاء التأنيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة يريد به
صندوق التورية وكان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين
فيه سكينة من ربكم الضمير للاتيان اي في اتيانه سكون لكم وطمانينة او للتابوت
اي مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التورية وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فتسكن
نفوس بني اسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها رأس
وذنب كرأس الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه
فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء من آدم الى محمد صلوات الله
عليهم وقيل التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه مصير
قلبه مقر العلم والوقار بعد ان لم يكن وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون رضاض
الالواح وعصا موسى وثيابه وعمامة هرون وآلهما ابناؤهما او انفسهما والآل مقحم
لتفخيم شانهما او ابناء بني اسرائيل لانهم ابناء عمهما تحمله الملائكة قيل رفعه الله تعالى بعد
موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان بعد موسى من انبيائهم يستفتحون
به حتى افسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان في ارض جالوت الى ان ملك الله طالوت
فاصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مداين فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين
فساقتهما الملائكة الى طالوت ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين يحتمل ان يكون
من تمام كلام النبي صلى الله عليه وسلم وان يكون ابتداء خطاب من الله تعالى فلما فصل
طالوت بالجنود انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه ولكن
لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم روي انه قال لهم لا يخرج معي الا الشاب النشيط
الفارغ فاجتمع عليه مما اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة

مفازة فسألوا ان يجري الله تعالى لهم نهرا قال ان الله مبتليكم بنهر معاملكم معاملة المختبر
بما اقترحتموه فمن شرب منه فليس مني فليس من اشياعي او ليس بمتحد معي ومن لم يطعمه
فانه مني اي من لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ماكولا او مشروبا قال وان شئت
لم اطعم نقاخا ولا بردا وانما علم ذلك بالوحي ان كان نبيا كما قيل او باخبار النبي
الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب وانما قدمت عليه الجملة
الثانية للعناية بها كما قدم والصابئون على الخبر في قوله تعالى ان الذين هادوا والمعنى
الرخصة في القليل دون الكثير فشربوا منه الا قليلا منهم اي كرعوا فيه اذ الاصل
في الشرب منه ان لا يكون بوسط وتعميم الاول ليتصل الاستثناء او افرطوا في الشرب الا
قليلا منهم وقرئ بالرفع حملا على المعنى فان قوله فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا
ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وقيل ثلاثة آلاف وقيل الفا روي ان من اقتصر على الغرفة كفته
لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضي
وهكذا الدنيا لقاصد الآخرة فلما جاوزه هو والذين امنوا معه اي القليل الذين لم يخالفوه
قالوا اي بعضهم لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم قال
الذين يظنون انهم ملاقوا الله اي قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا
ثوابه او علموا انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله تعالى وقيل هم القليل الذين
ثبتوا معه والضمير في قالوا للكثير المنخذلين عنه اعتذارا في التخلف وتخذيلا للقليل وكانهم
تقاولوا به والنهر بينهما كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله بحكمه وتيسيره وكم
يحتمل الخبر والاستفهام ومن مبينة او مزيدة والفئة الفرقة من الناس من فأوت رأسه
اذا شققته او من فاء اذا رجع فوزنها فعة او فلة والله مع الصابرين بالنصر والاثابة
ولما برزوا لجالوت وجنوده اي ظهروا لهم ودنوا منهم قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت
اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين التجأوا الى الله تعالى بالدعاء وفيه ترتيب بليغ
اذ سألوا اولا افراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض
الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو المترتب عليهما غالبا فهزموهم باذن الله فكسروهم
بنصره او مصاحبين لنصره اياهم اجابة لدعائهم وقتل داود جالوت قيل كان
ايشى في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى
الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد كلمته في الطريق ثلثة احجار وقالت
له انك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته وآتيه
الله الملك اي ملك بني اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك والحكمة النبوة وعلمه
مما يشاء كالسرد وكلام الدواب والطير ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين اي ولولا انه تعالى يدفع بعض
الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا في الا

حجية

في الارض لفسدت الارض بشومه تلك آيات الله اشارة الى ما قص من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها عليك بالحق بالوجه المطابق الذي لا يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ وانك لمن المرسلين لما اخبرت بها من غير تعرف واستماع تلك الرسل اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها في السورة او المعلومة للرسول او جماعة الرسل واللام للاستغراق فضلنا بعضهم على بعض بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره منهم من كلم الله تفصيل له وهو موسى عليه السلام وقيل موسى ومحمد عليهما السلام كلم الله موسى ليلة الحيرة وفي الطور ومحمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما بون بعيد وقرئ كلم الله وكالم الله بالنصب فانه كلم الله كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه ورفع درجات بان فضله على غيره من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة وهو محمد فانه خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شانه العلم المتعين لهذا الوصف المستغني عن التعيين وقيل ابراهيم خصصه بالخلة التي هي اعلى المراتب وقيل ادريس لقوله تعالى ورفعناه مكانا عليا وقيل اولو العزم من الرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره ولو شاء الله هدى الناس جميعا ما اقتتل الذين من بعدهم اي من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحة لاختلافهم في الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن بتوفيقه التزام دين الانبياء تفضلا ومنهم من كفر لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والآية دليل على ان الانبياء متفاوتة الاقدام وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيد الله تعالى تابعة لمشيئته خيرا كان او شرا ايمانا كان او كفرا يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم ما اوجبت عليكم انفاقه من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم عليه اخلاؤكم او يسامحوكم به ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم في حط ما في ذممكم وانما رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم لانها في تقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو ويعقوب على الاصل والكافرون هم الظالمون يريد والتاركون للزكوة هم الذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر مكان من لم يحج وايذانا بان ترك الزكوة من صفات الكفار كقوله وويل للمشركين

اية الكرسي

للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة الله لا اله الا هو مبتدا وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة خلاف في انه هل يضمر للا خبر مثل في الوجود او يصح ان يوجد الحي القيوم الذي يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوة والامكان القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه وقرئ القيام والقيم لا تاخذه سنة ولا نوم السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم والنوم حال يعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس راسا وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفي للتشبيه وتاكيد لكونه حيا قيوما فان من اخذه نعاس او نوم كان مؤوف الحيوة قاصرا في الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجمل التي بعده له ما في السموات وما في الارض تقرير لقيوميته واحتجاج على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله له ما السموات والارض وما فيهن من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء شانه وانه لا احد يساويه او يدانيه يستقل بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا ان يعاوقه عنادا ومناصبة يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الآخرة او عكسه او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات وما في الارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا الذي من الملائكة والانبياء ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء ان يعلموا وعطفه على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات والارض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسي في الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه او ملكه ماخوذ من كرسي العالم والملك وقيل جسم بين يدي العرش ولذلك سمي كرسيا محيط بالسموات السبع لقوله عليه السلام ما السموات السبع والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الاصل اسم لما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرس وهو الملبد ولا يؤوده ولا يثقله ماخوذ من الاود وهو الاعوجاج حفظهما اي حفظه السموات والارض فحذف الفاعل واضافة المصدر الى المفعول وهو العلي المتعالي عن الانداد والاشباه العظيم المستحقر بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الآية مشتملة على امهات المسائل الالهية فانها دالة على انه تعالى موجود واحد في الالهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز

والحلول مبرأ عن التغير والفتور لا يناسب الاشباح ولا يعتريه ما يعتري الارواح مالك الملك
والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده الا من اذن له
عالم الاشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة كل ما يصح ان يقدر عليه
لا يؤوده شيء ولا يشغله شأن متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط به فهم ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم ان اعظم اية في القران اية الكرسي من قرأها بعث الله ملكا يكتب من حسناته
ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال عليه السلام من قرأ اية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة
لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه
امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله لا اكراه في الدين اذ الاكراه في الحقيقة
الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه ولكن قد تبين الرشد من الغي تميز الايمان من الكفر
بالايات الواضحة ودلت الدلائل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي
يؤدي الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز
بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين
وهو اما عام منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب
لما روي ان انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما
فابيا فاختصموا الى رسول الله صلعم فنزلت فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد من دون
الله او صد عن عبادة الله تع فعلوت من الطغيان قلب عينه ولامه ويؤمن بالله بالتوحيد وتصديق
الرسول فقد استمسك بالعروة الوثقى طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق
وهي مستعارة لمتمسك المحق من النظر الصحيح والرأي القويم لا انفصام لها لا انقطاع لها يقال
فصمته فانفصم اذا كسرته والله سميع بالاقوال عليم بالنيات ولعله تهديد على النفاق الله ولي الذين
امنوا محبهم او متولي امرهم والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت في علمه انه يؤمن يخرجهم بهدايته وتوفيقه من الظلمات
ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية الى الكفر الى النور الى الهدى الموصل الى
الايمان والجملة خبر بعد خبر او حال من المستكن في الولي او الموصول او منهما او استيناف مبين او مقرر للولاية والذين
كفروا اولياؤهم الطاغوت اي الشياطين او المضلات من الهوى والشيطان وغيرهما يخرجونهم من النور
الى الظلمات من النور الذي منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك والشهوات او من نور
البينات الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج
الى الطاغوت باعتبار السبب لا يأبى تعلق قدرته تع وارادته به اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
وعيد وتهديد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشانهم الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه تعجب
من محاجة نمرود وحماقته ان اتاه الله الملك لان اتاه اي ابطره ايتاء الملك وحمله على المحاجة او حاج لاجله
شكرا له على طريقة العكس كقولك عاديتني لاني احسنت اليك او وقت ان اتاه الله الملك وهو حجة على من منع
ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة اذ قال ابراهيم ظرف لحاج او بدل من ان اتاه الله على الوجه الثاني ربي الذي
يحيي ويميت بخلق الحيوة والموت في الاجساد وقرأ حمزة رب بحذف الياء قال انا احيي واميت بالعفو عن القتل والقتل وقرأ

وقرأ نافع انا بالالف قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب
اعرض ابراهيم عن الاعتراض على معارضته الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا
التمويه دفعا للمشاغبة وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفي الى مثال جلي من مقدوراته
التي يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة الى اخرى ولعل نمرود زعم انه يقدر ان يفعل الله فنقضه
ابراهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته او اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابراهيم الاصنام
سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعوا اليه وحاجه فيه فبهت الذي كفر
فصار مبهوتا وقرئ فبهت اي فغلب ابراهيم الكافر والله لا يهدي القوم الظالمين الذين
ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق
الجنة يوم القيمة او كالذي مر على قرية تقديره او ارأيت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه
وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف مدعي
الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى الذي حاج او الذي مر وقيل انه عطف
محمول على المعنى كانه قيل الم تر كالذي حاج او كالذي مر وقيل انه من كلام ابراهيم ذكره جوابا
لمعارضته وتقديره او ان كنت تحيي فاحي كاحياء الله الذي مر وهو عزير بن شرخيا
او الخضر او كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية بيت المقدس حين خربه بخت
نصر وقيل القرية التي خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القري وهو الجمع وهي
خاوية على عروشها خالية ساقطة حيطانها على سقوفها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها
اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما لقدرة المحيي ان كان القائل مؤمنا
واستبعادا ان كان القائل كافرا وانى في موضع نصب على الظرف بمعنى متى او على الحال
بمعنى كيف فاماته الله مائة عام فالبثه ميتا مائة عام او اماته الله فلبث ميتا مائة عام ثم
بعثه بالاحياء قال كم لبثت القائل هو الله تعالى وساغ ان يكلمه وان كان كافرا لانه امن
بعد البعث او شارف الايمان وقيل ملك او نبي قال لبثت يوما او بعض يوم كقول الظان
وقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم
التفت فرأى بقية منها فقال او بعض يوم على الاضراب قال بل لبثت مائة عام فانظر
الى طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والهاء اصلية
ان قدر لام السنة هاء وهاء سكت ان قدرت واوا وقيل اصله لم يتسنن من الحمأ
المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضي البازي وانما افرد الضمير لان
الطعام والشراب كالجنس الواحد وقيل كان طعامه تينا او عنبا وشرابه عصيرا او لبنا
وكان الكل على حاله وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه او انظر اليه عالما في مكانه
كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف كما حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول على الحال
واوفق لما بعده ولنجعلك اية للناس اي وفعلنا ذلك لنجعلك اية روي انه
اتى قومه على حماره وقال انا عزير فكذبوه فقرأ التورية من الحفظ ولم يحفظها احد قبله

فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع الى منزله كان شابا واولاده شيوخا فاذا
حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام يعني عظام الحمار او الاموات الذين
تعجب من احيائهم كيف ننشزها كيف نحييها او نرفع بعضها الى بعض ونركبه عليه وكيف
منصوب بننشزها والجملة حال من العظام اي انظر اليها محياة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
ويعقوب ننشرها من انشر الله الموتى وقرئ ننشرها من نشر بمعنى انشر ثم نكسوها لحما فلما
تبين له فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده وتقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال
اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه او ما قبله اي فلما تبين له ما
اشكل عليه وقرأ حمزة والكسائي قال اعلم على الامر والآمر مخاطبه او نفسه خاطبها به على طريقة
التبكيت واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى انما سأل ذلك ليصير علمه عيانا
وقيل لما قال نمرود انا احيي واميت قال له ان احياءه الله تعالى برد الروح الى بدنها
فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى تقرير آخر ثم سأل ربه تعالى بربه
ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل عنه مرة اخرى قال اولم تؤمن باني قادر على الاحياء
باعادة التركيب والحيوة قال له ذلك وقد علم انه اغرق الناس في الايمان ليجيب بما اجاب
فيعلم السامعون غرضه قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اي بلى آمنت ولكن سألت
لازيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان الى الوحي والاستدلال قال فخذ اربعة من الطير
قيل طاووسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمام وفيه ايماء الى ان احياء
النفس بالحيوة الابدية انما يتأتى باماتة حب الشهوات والزخارف الذي هو صفة
الطاووس والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الامل المتصف بهما الغراب
والترفع والمسارعة الى الهوى الموسومة بهما الحمامة وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان
واجمع لخواص الحيوان والطير مصدر سمي به او جمع كصحب فصرهن اليك فاملهن واضممهن
اليك لتتأملها وتعرف شأنها لئلا يلتبس عليك بعد الاحياء وقرأ حمزة ويعقوب
فصرهن بالكسر وهما لغتان قال ولكن اطراف الرماح تصورها وقال وفرع يصير الجيد وحف كانه على
الليت قنوان الكروم الدوالح وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها مشددة الراء من صره يصره
اذا جمعه وفصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم جزئهن
وفرق اجزاءهن على الجبال التي بحضرتك قيل كانت اربعة وقيل سبعة وقرأ ابو بكر جزءا
بضم الزاي حيث وقع ثم ادعهن قل لهن تعالين باذن الله تعالى يأتينك سعيا
ساعيات مسرعات طيرانا او مشيا روي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها
فيمسك رؤسها ويخلط سائر اجزائها ويوزعها على الجبال ثم يناديهن ففعل ذلك
فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن وفيه اشارة
الى ان من اراد احياء نفسه بالحياة الابدية فعليه ان يقبل على القوى البدنية فيقتلها
ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن بداعية

بداعية العقل او الشرع وكفى لك شاهدا على فضل ابراهيم عليه السلام ويمن الضراعة في الدعاء
وحسن الادب في السؤال انه تعالى اراه ما اراد ان يريه في الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا
بعد ما اماته مائة عام واعلم ان الله عزيز لا يعجز عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة في كل ما
يفعله ويذره مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة اي مثل نفقتهم كمثل
حبة او مثلهم كمثل باذر حبة على حذف مضاف انبتت سبع سنابل في كل سنبلة
مائة حبة اسناد الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب كما يسند الى الارض والماء
والمنبت على الحقيقة هو الله والمعنى انه يخرج منها ساق يتشعب منها سبع شعب لكل
فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه وقد يكون في الذرة والدخن وفي البر في الاراضي المغلة
والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء بفضله وعلى حسب حال المنفق من اخلاصه
وتعبه ومن اجله تفاوتت الاعمال في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما
يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق وقدر انفاقه الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله
ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى نزلت في عثمان رضي الله عنه فانه جهز جيش العسرة
بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه فانه اتى النبي
صلى الله عليه وسلم باربعة آلاف درهم صدقة والمن ان يعتد باحسانه على من احسن
اليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه وثم للتفاوت بين الانفاق وترك
المن والاذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لعله لم يدخل الفاء فيه
وقد تضمن ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم
اذا فعلوا قول معروف رد جميل ومغفرة وتجاوز عن السائل الحاحه او نيل المغفرة من
الله بالرد الجميل او عفو من السائل بان يعذره ويغتفر رده خير من صدقة يتبعها اذى خبر
عنهما وانما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة والله غني عن الانفاق بمن
وايذاء حليم عن معاجلة من يمن ويؤذي بالعقوبة يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى لا تحبطوا اجرها بكل واحد منهما كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن
بالله واليوم الآخر كابطال المنافق الذي يرائي بانفاقه لا يريد به رضا الله تعالى ولا
ثواب الآخرة او مماثلين الذي ينفق رئاء والكاف في محل النصب على المصدر
او الحال ورئاء نصب على المفعول له او الحال بمعنى مرائيا او المصدر او الحال ورئاء فمثله
فمثل المرائي في انفاقه كمثل صفوان كمثل حجر املس عليه تراب فاصابه وابل اي مطر عظيم
القطر فتركه صلدا املس نقيا من التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون
بما فعلوا رئاء ولا يجدون ثوابه والضمير للذي ينفق باعتبار المعنى لان المراد به الجنس او الجمع
كما في قوله ان الذي حانت بفلج دماؤهم والله لا يهدي القوم الكافرين الى الخير والرشاد
وفيه تعريض بان الرئاء والمن والاذى على الانفاق من صفة الكفار ولا بد فيه ان يجتنب
عنها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم وتثبيتا

بعض انفسهم على الايمان فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل
ماله وروحه ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدأ من اصل انفسهم وفيه تنبيه
على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال كمثل جنة بربوة اى ومثل
نفقة هؤلاء فى الزكاء كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره يكون احسن منظرا وازكى ثمرا
وقرأ ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح وقرئ بالكسر وثلثتها لغات فيها اصابها وابل مطر
عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بالسكون للتخفيف ضعفين
مثلى ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل كما اريد بالزوج الواحد فى قوله من كل
زوجين اثنين وقيل اربعة امثاله ونصبه على الحال اى مضاعفا فان لم يصبها وابل
فطل اى فيصيبها او فالذى يصيبها طل او فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع
مكانها وهو المطر الصغير القطر والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله تعالى لا تضيع بحال
وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم اليها من احواله ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله
بالجنة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين فى زلفاهم بالوابل والطل والله بما
تعملون بصير تحذير عن الرياء وترغيب فى الاخلاص ايود احدكم الهمزة فيه للانكار
ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات جعل الجنة
منهما مع ما فيها من سائر الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها كل الثمرات
ليدل على احتوائها على سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون المراد بالثمرات المنافع واصابه
الكبر اى كبر السن فان الفاقة والعالة فى الشيخوخة اصعب والواو للحال او للعطف حملا
على المعنى وكانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء صغار
لا قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت عطف على اصابه او تكون باعتبار
المعنى والاعصار ريح عاصف تنعكس من الارض الى السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال
من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها كرياء وايذاء فى الحسرة والاسف اذا كان يوم
القيمة واشتد حاجته اليها وجدها محبطة بحال من هذا شانه واشبههم به من جال بسره فى عالم
الملكوت وترقى بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى ما سوى
الحق وجعل سعيه هباء منثورا كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون فيها
فتعتبرون بها يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من حلاله او جياده ومما
اخرجنا لكم من الارض اى ومن طيبات ما اخرجنا من الحبوب والثمر والمعادن فحذف
المضاف لتقدم ذكره ولا تيمموا الخبيث منه ولا تقصدوا الردئ منه اى من المال او مما اخرجنا
وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقرئ ولا تاممموا ولا تيمموا بضم التاء تنفقون
حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق به منه ويكون الضمير للخبيث والجملة حالا منه
ولستم بآخذيه اى وحالكم انكم لا تاخذونه فى حقوقكم لرداءته الا ان تغمضوا فيه الا ان تتسامحوا
فيه مجاز من اغمض بصره اذا غضه وقرئ تغمضوا اى تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين

وعن ابن عباس رضى الله عنهما كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا
ان الله غنى عن انفاقكم وانما يامركم به لانتفاعكم حميد بقبوله واثابته الشيطان يعدكم
الفقر فى الانفاق والوعد فى الاصل شائع فى الخير والشر وقرئ الفقر بالضم والسكون
وبضمتين وفتحتين ويامركم بالفحشاء ويغريكم على البخل والعرب تسمى البخيل فاحشا وقيل
المعاصى والله يعدكم مغفرة منه اى يعدكم فى الانفاق مغفرة ذنوبكم وفضلا خلفا
افضل مما انفقتم فى الدنيا او فى الآخرة والله واسع اى واسع الفضل لمن انفق عليم
بانفاقه يؤتى الحكمة تحقيق العلم واتقان العمل من يشاء مفعول اول اخر للاهتمام
بالمفعول الثانى ومن يؤت الحكمة بناؤه للمفعول لانه المقصود وقرأ يعقوب بالكسر
اى ومن يؤته الله فقد اوتى خيرا كثيرا اى اى خير كثير اذ خير له خير الدارين وما يذكر وما يتعظ
بما قص من الآيات او ما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع الله تعالى فى قلبه من العلوم
بالقوة الا اولوا الالباب ذوو العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى
متابعة الهوى وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا وعلانية فى حق او باطل او نذرتم
من نذر بشرط او بغير شرط فى طاعة او معصية فان الله يعلمه فيجازيكم عليه وما للظالمين
الذين ينفقون فى المعاصى وينذرون فيها او يمنعون الصدقات ولا يوفون بالنذور
من انصار من ينصرهم من الله ويمنعهم من العقاب ان تبدوا الصدقات فنعما هى
فنعم شيئا ابداؤها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بفتح النون وكسر العين على الاصل
وقرأ ابو عمرو وابو بكر وقالون بكسر النون وسكون العين وروى عنهم بكسر النون واخفاء
حركة العين وهو اقيس وان تخفوها وتؤتوها الفقراء اى تعطوها مع الاخفاء
فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم وهذا فى التطوع ولمن لم يعرف بالمال فان ابداء الفرض لغيره
افضل لنفى التهمة عن ابن عباس رضى الله عنهما صدقة السر فى التطوع تفضل علانيتها
سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا
ويكفر عنكم من سيئاتكم قرأ ابن عامر وعاصم فى رواية حفص بالياء اى والله يكفر او الاخفاء
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم فى رواية ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعا على انه
جملة فعلية مبتدأة او اسمية معطوفة على ما بعد الفاء اى ونحن نكفر وقرأ نافع
وحمزة والكسائى به مجزوما معطوفا على محل الفاء وما بعده وقرئ بالتاء مرفوعا
ومجزوما والفعل للصدقات والله بما تعملون خبير ترغيب فى الاسرار ليس
عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعل الناس مهديين وانما عليك الارشاد
والحث على المحاسن والنهى عن القبائح كالمن والاذى وانفاق الخبيث ولكن
الله يهدى من يشاء صريح بان الهداية من الله تعالى وبمشيئته وانها تخص بقوم
دون قوم وما تنفقوا من خير من نفقة معروفة فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع
به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال و

وكأنه قال وما تنفقوا من خير فلانفسكم غير منفقين الا ابتغاء وجه الله تعالى وطلب
ثوابه او عطف على ما قبله اي وليس نفقتكم الا ابتغاء وجهه فما لكم تمنون بها وتنفقون
الخبيث وقيل نفي في معنى النهي وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فهو
تاكيد للشرطية السابقة او ما يخلف المنفق استجابة لقوله عليه السلام اللهم اجعل لمنفق
خلفا ولممسك تلفا روي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع في اليهود
وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوهم فنزلت وهذا في غير الواجب اما الواجب
فلا يجوز صرفه الى الكافر وانتم لا تظلمون اي لا تنقصون ثواب نفقتكم للفقراء متعلق بمحذوف
اي اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في سبيل الله
احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض ذهابا فيها للكسب وقيل هم اهل
الصفة كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم
بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل
بحالهم اغنياء من التعفف من اجل تعففهم عن السؤال تعرفهم بسيماهم من الضعف
ورثاثة الحال والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد لا يسألون الناس الحافا الحاحا
وهو ان يلازم المسؤول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده والمعنى انهم لا
يسألون وان سألوا عن ضرورة لم يلحوا وقيل هو نفي للامرين كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره
ونصبه على المصدر فانه كنوع من السؤال او على الحال وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب
في الانفاق وخصوصا على هؤلاء الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية
اي يعمون الاوقات والاحوال بالخير نزلت في ابي بكر رضي الله عنه تصدق باربعين الف دينار
عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل في علي رضي الله تعالى عنه
لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سرا ودرهم علانية وقيل
في ربط الخيل في سبيل الله والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
خبر الذين ينفقون والفاء للسببية وقيل للعطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين ولذلك
جوز الوقف على وعلانية الذين يأكلون الربوا اي الاخذون له وانما ذكر الاكل لانه اعظم
منافع المال ولان الربوا شائع في المطعومات وهو زيادة في الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم
او نقد بنقد الى اجل او في العوض بان يباع احدهما باكثر من جنسه وانما كتب بالواو كالصلوة
للتفخيم على لغة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم
الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان
يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء من المس اي الجنون
وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق
بلا يقومون من المس الذي بهم بسبب اكل الربوا او بيقوم او بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم
كالمصروعين لا لاختلال عقلهم ولكن لان الله اربى في بطونهم ما اكلوه من الربوا فاثقلهم

فاثقلهم ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اي ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا
والبيع في سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وكان الاصل انما الربوا
مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كانهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فان من
اعطى درهمين بدرهم ضيع درهما ومن اشترى سلعة تساوي درهما بدرهمين فلعل مساس
الحاجة اليها او توقع رواجها يجبر هذا الغبن واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم وابطال
للقياس لمعارضته النص فمن جاءه موعظة من ربه فمن بلغه وعظ من الله تعالى وزجر كالنهي
عن الربوا فانتهى فاتعظ وتبع النهي فله ما سلف تقدم اخذه التحريم ولا يسترد منه وما في موضع
الرفع بالظرف ان جعل من موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية على رأي سيبويه اذ الظرف
غير معتمد على ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية
وقيل يحكم في شأنه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد الى تحليل الربوا اذ الكلام فيه فاولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون لانهم كفروا به يمحق الله الربوا يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل
فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه وعنه ان الله يقبل
الصدقة فيربيها كما يربي احدكم مهره وعنه ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب اي
لا يرضى ولا يحب محبته للتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك في ارتكابه
ان الذين امنوا بالله تعالى ورسله عم وبما جاءهم منه وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة
واتوا الزكوة عطفهما على ما يعمهما على سائر الاعمال لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم من آت
ولا هم يحزنون على فائت يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا واتركوا
بقايا ما شرطتم على الناس من الربوا ان كنتم مؤمنين بقلوبكم فان دليله امتثال ما امرتم به
روي انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت
فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله اي فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرأ
حمزة وعاصم في رواية ابن عياش فآذنوا اي فاعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع
فانه من طرق العلم وتنكيره وذلك يقتضي ان يقاتل المربي بعد الاستتابة حتى يفيء الى
امر الله كالباغي لا يقتضي كفره روي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله
ورسوله وان تبتم من الارتباء واعتقاد حله فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون باخذ
الزيادة ولا تظلمون بالمطل والنقصان وان كان ذو عسرة وان وقع غريم ذو عسرة
وقرئ ذا عسرة اي وان كان الغريم ذا عسرة فنظرة فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن
نظرة وهي الانظار وقرئ فناظره على الخبر اي فالمستحق ناظره بمعنى منتظره او صاحب نظرته
على طريق النسب او على الامر اي فسامحه بالنظرة الى ميسرة يسار وقرأ نافع وحمزة بضم
السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة
كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وان تصدقوا بالابراء وقرأ عاصم بتخفيف الصاد
خير لكم اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تأخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد

بالتصدق الانظار لقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة
ان كنتم تعلمون ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله يوم القيمة
او يوم الموت فتاهبوا لمصيركم اليه وقرأ ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم ثم توفى
كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف
عقاب وعن ابن عباس رض انها اخر اية نزل بها جبرائيل عليه السلام وقال ضعها
في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا و
عشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات يا ايها الذين
امنوا اذا تداينتم بدين اذا داين بعضكم بعضا تقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا
او اخذا وفائدة ذكر الدين ان لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه الى المؤجل والحال
وانه الباعث على الكتبة ويكون مرجع ضمير فاكتبوه الى اجل مسمى معلوم بالايام والاشهر لا بالحصاد
وقدوم الحاج فاكتبوه لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على انه استحباب وعن ابن عباس
رض ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف وليكتب بينكم كاتب بالعدل
من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص وهو في الحقيقة امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه
دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع ولا ياب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب
ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله من كتبة الوثائق او لا ياب ان ينفع الناس بكتابته كما
نفعه الله بتعليمها كقوله واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة
امر بها بعد النهي عن الاباء عنها تاكيدا ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر فيكون النهي عن الامتناع
منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق وليكن المملي من عليه الحق لانه المقر
المشهود عليه والاملال والاملاء واحد وليتق الله ربه اي المملي او الكاتب ولا يبخس ولا ينقص
منه شيئا اي من الحق او مما املى عليه فان كان الذي عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا
او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس
او جهل باللغة فليملل وليه بالعدل اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا
او مختل عقل او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة في الاقرار
ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم او الوكيل واستشهدوا شهيدين واطلبوا
ان يشهد على الدين شاهدان من رجالكم من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط
اسلام الشهود واليه ذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة رح تسمع شهادة الكفار
بعضهم على بعض فان لم يكونا رجلين فان لم يكن الشاهدان رجلين فرجل وامراتان
فليشهدوا فليستشهد رجل وامراتان وهذا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود
والقصاص عند ابي حنيفة رح ممن ترضون من الشهداء لعلمكم بعدالتهم ان تضل
احديهما فتذكر احديهما الاخرى علة اعتبار العدد اي لاجل ان احديهما ان ضلت
الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة في الحقيقة التذكير ولكن لما كان

كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وكأنه
قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن وقلة
ضبطهن وقرأ حمزة ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب
فتذكر من الاذكار ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او التحمل وسموا شهداء
تنزيلا لما شارف منزلة الواقع وما مزيدة ولا تسأموا ان تكتبوه ولا تملوا من كثرة مدا
يناتكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى بالسأم عن الكسل لانه صفة المنافق
ولذلك قال عليه السلام لا يقول المؤمن كسلت صغيرا او كبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا او مختصرا كان
الكتاب او مشبعا الى اجله الى وقت حلوله الذي اقربه المديون ذلكم اشارة
الى ان تكتبوه اقسط عند الله اكثر قسطا واقوم للشهادة واثبت لها واعون على اقامتها
وهما مبنيان من اقسط واقام على غير قياس او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وانما صحت
الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده وادنى الا ترتابوا واقرب في ان لا تشكوا في جنس
الدين وقدره واجله والشهود ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم
فليس عليكم جناح الا تكتبوها استثناء عن الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بعين
او دين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد اي الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا باس ان لا
تكتبوا لبعده من التنازع والنسيان ونصب عاصم تجارة على انه الخبر والاسم مضمر تقديره
الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب
اشنعا ورفعها الباقون على انه الاسم والخبر تديرونها او على كان التامة واشهدوا
اذا تبايعتم هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر التي في هذه الاية للاستحباب عند اكثر
الائمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد
يحتمل البنائين ويدل عليه انه قرئ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة و
التحريف والتغيير في الكتبة والشهادة او النهي عن الضرار بهما مثل ان يعجلا عن مهم ويكلفا
الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان وان تفعلوا
الضرار او ما نهيتم عنه فانه فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا الله في مخالفة
امره ونهيه ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم كرر لفظة الله في الجمل
الثلث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم
لشانه ولانه ادخل في التعظيم من الكناية وان كنتم على سفر اي مسافرين ولم تجدوا كاتبا فرهان
مقبوضة فالذي يستوثق به رهان او فعليكم رهان او فليؤخذ رهان وليس هذا التعليق
لاشتراط السفر في الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك لانه عليه السلام رهن درعه في المدينة
من يهودي بعشرين صاعا من شعير اخذه لاهله بل للتوثيق بالارتهان مقام التوثق بالكتب
في السفر الذي هو مظنة اعوازه والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك وقرأ ابن كثير وابو
عمرو فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف

فان امن بعضكم بعضا اى بعض الدائنين بعض المديونين واستغنى بامانته عن الارتهان
فليؤد الذى اؤتمن امانته اى دينه سماه امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ الذى
تمن بقلب الهمزة ياء والذتمن بادغام الياء فى التاء وهو خطاء لان المنقلبة عن الهمزة
فى حكمها لا تدغم وليتق الله ربه فى الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات ولا تكتموا الشهادة
ايها الشهود او المديونون والشهادة شهادتهم على انفسهم ومن يكتمها فانه اثم قلبه اى يأثم
قلبه او قلبه يأثم والجملة خبران واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان يقترفه ونظيره العين
زانية والاذن زانية او للمبالغة فانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال وكانه قيل تمكن
الاثم فى نفسه واخذ اشرف اجزائه وفاق سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه
والله بما تعملون عليم تهديد لله ما فى السموات وما فى الارض خلقا وملكا وان تبدوا ما
فى انفسكم او تخفوه يعنى ما فيها من السوء والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب يحاسبكم
به الله يوم القيمة وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض فيغفر لمن يشاء مغفرته
ويعذب من يشاء تعذيبه وهو صريح فى نفى وجوب التعذيب وقد رفعهما ابن عامر وعاصم
ويعقوب على الاستيناف وجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط ومن جزم بغير فاء
جعلهما بدلا عنه بدل البعض من الكل او الاشتمال كقوله متى تاتنا تلمم بنا فى ديارنا تجد حطبا
جزلا ونارا تاججا وادغام الراء فى اللام لحن اذ الراء لا تدغم الا فى مثلها والله على كل شئ قدير
فيقدر على الاحياء والمحاسبة امن الرسول بما انزل اليه من ربه شهادة وتنصيص من الله
تعالى على صحة ايمانه والاعتداد به وانه جازم فى امره غير شاك فيه والمؤمنون كل امن بالله وملائكته
وكتبه ورسله لا يخلو من ان يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذى ينوب
عنه التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنين او يجعل مبتدأ فيكون الضمير للمؤمنين وباعتباره
يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدأ ويكون افراد الرسول عليه السلام بالحكم اما لتعظيمه او لان ايمانه
عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال وقرأ حمزة والكسائى وكتابه يعنى القران
او الجنس والفرق بينه وبين الجمع انه شائع فى وحدان الجنس والجمع فى جموعه ولذلك قيل
الكتاب اكثر من الكتب لا نفرق بين احد من رسله اى يقولون لا نفرق وقرأ يعقوب
لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معناه كقوله تعالى وكل اتوه
داخرين واحد فى معنى الجمع لوقوعه فى سياق النفى كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك
دخل عليه بين والمراد نفى الفرق بالتصديق والتكذيب وقالوا سمعنا اجبنا واطعنا
امرك غفرانك ربنا اغفر غفرانك او نطلب غفرانك واليك المصير المرجع بعد الموت
وهو اقرار منهم بالبعث لا يكلف الله نفسا الا وسعها الا ما يسعه قدرتها فضلا ورحمة
او ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر وهو
يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال ويدل على امتناعه لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت
من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر

بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب فكانت اجد فى تحصيله
واعمل بخلاف الخير ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا اى لا تؤاخذنا بما ادى بنا
الى نسيان او خطاء من تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا يمتنع المؤاخذة بهما عقلا
فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها يؤدى الى الهلاك وان كان خطاء فتعاطى
الذنوب لا يبعد ان يفضى الى العقاب وان لم يكن له عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه
رحمة وفضلا فيجوز ان يدعو الانسان به استدامة واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم
قوله عليه السلام رفع عن امتى الخطاء والنسيان ربنا ولا تحمل علينا اصرا عباء ثقيلا
يأصر صاحبه اى يحبسه فى مكانه يريد به التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة
كما حملته على الذين من قبلنا حملا مثل حملك اياه من قبلنا او مثل الذى حملته اياهم
فيكون صفة لاصرا والمراد ما كلف به بنى اسرائيل من قتل الانفس وقطع النجاسة وخمسين صلوة
فى اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكوة او ما اصابهم من الشدائد والمحن ربنا ولا تحملنا
ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة او من التكاليف التى لا تفى بها الطاقة البشرية وهو
يدل على جواز التكليف بما لا يطاق والا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل
الى مفعول ثان واعف عنا وامح ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة
وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا انت مولانا سيدنا فانصرنا على القوم
الكافرين فان من حق المولى ان ينصر مواليه على الاعداء والمراد به عامة الكفرة روى انه عليه
السلام لما دعا بهذه الدعوات قيل له فعلت وعنه عليه السلام انزل الله ايتين من
كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفى سنة من قرأهما بعد العشاء الاخرة
اجزتاه عن قيام الليل وعنه عليه السلام من قرأ الايتين من اخر سورة البقرة فى ليلة
كفتاه وهو يرد قول من استكره ان يقال سورة البقرة وقال ينبغى ان يقال السورة التى
يذكر فيها البقرة كما قال عليه السلام السورة التى يذكر فيها البقرة فسطاط القران فتعلموها فان
تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة سورة
ال عمران مدنية وايها مائتان بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو انما فتح الميم فى
المشهورة وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها لتدل على انها فى حكم
الثابت لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم فى حكم الوقف كقولهم واحد اثنان
لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور فى باب الوقف ولذلك لم يحرك فى لام وقرئ بالكسر
بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرأ ابو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها
على الاصل الحى القيوم روى انه عليه السلام قال ان اسم الله الاعظم فى ثلث سور فى البقرة
الله لا اله الا هو الحى القيوم وفى ال عمران الله لا اله الا هو الحى القيوم وفى طه وعنت الوجوه
للحى القيوم نزل عليك الكتاب القران نجوما بالحق بالعدل او بالصدق فى اخباره
او بالحجج المحققة انه من عند الله تعالى وهو فى موضع الحال مصدقا لما بين يديه من الكتب

وانزل التورية والانجيل جملة على موسى وعيسى عليهما السلام واشتقاقهما من الوري والنجل
ووزنهما بتفعلة وافعيل تعسف لانهما اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح
الهمزة وهو ليس من ابنية العربية من قبل من قبل تنزيل القران هدى للناس على العموم
ان قلنا انا متعبدون بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما وانزل الفرقان يريد به
جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلاثة
ليعم ما عداها كانه قال وانزل سائر ما يفرق به بين الحق والباطل او الزبور او
القران وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه
يشاركهما في كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق بين المحق والمبطل او المعجزات
ان الذين كفروا بايات الله من كتبه المنزلة او غيرها لهم عذاب شديد بسبب كفرهم
والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب ذو انتقام لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة
المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى
ما هو العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه
شيء في الارض ولا في السماء اي شيء كائن في العالم كليا كان او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر عنه بالسماء
والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وانما قدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود
بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء
اي من الصور المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال على انه عالم باتقان فعله في خلق
الجنين وتصويره وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ لا يعلم غيره جملة
ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز الحكيم اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته قيل هذا حجاج على
من زعم ان عيسى كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت
السورة من اولها الى نيف وثمانين اية تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم هو الذي انزل
عليك الكتاب منه ايات محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاجمال هن ام الكتاب
اصله يرد اليها غيرها والقياس امهات فافرد على تاويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة اية واحدة
واخر متشابهات محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر
فيها فضل العلماء او يزداد حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها
استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات
معالي الدرجات واما قوله تعالى الر كتاب احكمت اياته فمعناها انها حفظت من فساد المعنى
وركاكة اللفظ وقوله كتابا متشابها فمعناه انه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ و
اخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الاخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه
ان القياس ان يعرف ولم يعرف لا انه في معنى المعرف او عن آخر من فاما الذين في قلوبهم زيغ
عدول عن الحق كالمبتدعة فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بظاهره او بتاويل باطل
ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم

المحكم بالمتشابه وابتغاء تاويله وطلب ان ياولوه على ما يشتهونه ويحتمل ان يكون الداعي
الى الاتباع مجموع الطلبتين او كل واحد منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثاني
يلائم الجاهل وما يعلم تاويله الذي يجب ان يحمل عليه الا الله والراسخون في العلم اي الذين
ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استاثر الله تعالى بعلمه كمدة
بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على
ان ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد يقولون امنا به استيناف موضح لحال
الراسخين او حال منهم او خبر ان جعلته مبتدأ كل من عند ربنا اي كل من المتشابه والمحكم
من عنده وما يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة
الى ما استعدوا به للاهتداء الى تاويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس واتصال الاية بما
قبلها من حيث انها في تصوير الروح بالعلم وتربيته وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته
او انها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما انه جواب
قولهم لا اب له غير الله فتعين ان يكون جوابا بانه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من
نطفة اب ومن غيرها وبانه صوره في الرحم والمصور لا يكون اب المصور ربنا لا تزغ قلوبنا
من مقال الراسخين وقيل استيناف والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه
بتاويل لا ترتضيه قال صلى الله عليه وسلم قلب ابن ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان
شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد
اذ هديتنا الى الحق او الايمان بالقسمين وبعد نصب على الظرف واذ في موضع الجر باضافته
اليه وقيل انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك رحمة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك
او توفيقا للثبات على الحق او مغفرة الذنوب انك انت الوهاب لكل سؤال وفيه دليل
على ان الهدى والضلال من الله تعالى وانه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شيء
ربنا انك جامع الناس ليوم لحساب يوم او لجزائه لا ريب فيه في وقوع اليوم وما فيه من
الحشر والجزاء نبهوا به على ان معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالاخرة فانها المقصد
والمال ان الله لا يخلف الميعاد فان الالهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود لون
الخطاب واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو
لدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ان الذين كفروا عام في الكفرة
وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركو العرب لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا اي من رحمته او طاعته على معنى البدلية او من عذابه واولئك هم وقود
النار حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها كداب ال فرعون متصل بما قبله اي لن
تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم كما توقد باولئك او استيناف مرفوع
المحل وتقديره داب هؤلاء كداب هم في الكفر والعذاب وهو مصدر داب في العمل اذا
كدح فيه فنقل الى معنى الشان والذين من قبلهم عطف على ال فرعون وقيل استيناف

كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم حال باضمار قد او استئناف بتفسير حالهم او خبر ان
ابتداءت بالذين من قبلهم والله شديد العقاب تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف
للكفرة قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم اي قل لمشركي مكة ستغلبون
يعني يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه السلام جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم
ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا
لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بني النضير
وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرأ حمزة والكسائي
بالياء فيهما على ان الامر بان يحكي لهم ما اخبره من وعيدهم بلفظه وبئس المهاد
تمام ما يقال لهم او استئناف وتقدير بئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم
قد كان لكم آية الخطاب لقريش او لليهود وقيل للمؤمنين في فئتين التقتا يوم بدر
فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم يرى المشركون المؤمنين
مثلي عدد المشركين وكان قريب الف او مثلي عدد المسلمين وكانوا ثلاثمائة
وبضعة عشر وذلك كان بعد ما قللهم في اعينهم حتى اجترؤا عليهم وتوجهوا اليهم
فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا مددا من الله تعالى للمؤمنين او يرى المؤمنون
المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا بالنصر الذي وعدهم الله تعالى به في قوله
وان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وقراءة نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بهما على البناء
للمفعول اي يريهم الله او يريكم ذلك بقدرته وفئة تقاتل واخرى كافرة بالجر على البدل من فئتين
والنصب على الاختصاص او الحال من فاعل التقتا رأي العين رؤية ظاهرة معاينة والله
يؤيد بنصره من يشاء نصره كما ايد اهل بدر ان في ذلك اي التقليل والتكثير او غلبة القليل عديم
العدة على الكثير الشاكي السلاح وكون الواقعة آية ايضا يحتملها ويحتمل وقوع الامر على ما اخبر به الرسول
صلى الله عليه لعبرة لاولي الابصار لعظة لذوي البصائر وقيل لمن ابصرهم زين للناس حب
الشهوات اي المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء على انهم انهمكوا في محبتها حتى احبوا
شهوتها كقوله تعالى احببت حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعي ولعله
زينه ابتلاء او لانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله تعالى
او لانه من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الآية في معرض الذم وفرق
الجبائي بين المباح والمحرم من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
والخيل المسومة والانعام والحرث بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة الف
دينار وقيل ملء مسك ثور واختلف في انه فعلال او فنعال والمقنطرة مأخوذة منه للتأكيد
كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة
وسومها او المطهمة والانعام الابل والبقر والغنم ذلك متاع الحيوة الدنيا اشارة
الى ما ذكر والله عنده حسن المآب اي المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية

الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية قل اؤنبئكم بخير من ذلكم يريد به تقرير ان ثواب
الله خير من مستلذات الدنيا للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها استئناف لبيان ما هو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات
على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير وازواج مطهرة مما يستقذر من النساء
ورضوان من الله قرأ عاصم بضم الراء وهما لغتان والله بصير بالعباد اي باعمالهم
فيثيب المحسن ويعاقب المسيء او باحوال الذين اتقوا فلذلك اعد لهم جنات وقد نبه
بهذه الآية على نعمه فادناها متاع الدنيا واعلاها رضوان الله لقوله ورضوان من الله اكبر
واوسطها الجنة ونعيمها الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب
النار صفة للمتقين او للعباد او مدح منصوب او مرفوع وفي ترتيب السؤال على
مجرد الايمان دليل على انه كاف في استحقاق المغفرة او الاستعداد لها الصابرين
والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار حصر مقامات السالك
على احسن ترتيب فان معاملته مع الله تعالى اما توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس
وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملها واما بالبدن وهو
اما قولي وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة واما
بالمال وهو الانفاق في سبيل الخير واما الطلب فهو الاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب
بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحدة منها وكمالهم فيها او
لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة لان العبادة
حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع سيما للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون الى
السحر ثم يستغفرون ويدعون شهد الله انه لا اله الا هو بين وحدانيته بنصب
الدلائل الدالة عليها وانزال الآيات الناطقة بها والملائكة بالاقرار واولوا العلم
بالايمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد قائما
بالقسط مقيما للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله تعالى وانما جاز افراده
بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة
او من هو والعامل معنى الجملة اي تفرد قائما او احقه لانها حال مؤكدة او على المدح او
الصفة للمنفي وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة
او حالا عن الضمير وقرئ القائم بالقسط على البدل من هو او الخبر لمحذوف لا اله الا هو
كرره للتأكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليبني عليه
قوله العزيز الحكيم فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم
بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير او الصفة لفاعل شهد وقد روي في فضلها
انه صلى الله عليه وسلم قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله ان لعبدي هذا
عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وهي دليل على فضل علم

اصول الدين وشرف اهله ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة مؤكدة للاولى
اى لا دين مرضى عند الله تعالى سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذى جاء به
محمد صلى الله عليه وسلم وقرا الكسائى بالفتح على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام
بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وان بالفتح على
وقوع الفعل على الثانى واعتراض ما بينهما الاسلام او اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى
لتضمنه معناهما وما اختلف الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى او من ارباب
الكتب المتقدمة فى دين الله تعالى فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه آخرون مطلقا او فى
التوحيد فثلث النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده
وقيل هم النصارى اختلفوا فى امر عيسى الا من بعد ما جاءهم العلم اى بعد ما علموا حقيقة الامر
او تمكنوا من العلم بها بالآيات والحجج بغيا بينهم حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة
وخفاء فى الامر ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب وعيد لمن كفر منهم فان
حاجوك فى الدين وجادلوك فيه بعد ما اقمت الحجج فقل اسلمت وجهى لله اخلصت
نفسى وجملتى له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذى قامت به الحجج ودعت اليه الآيات
والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس
ومن اتبعن عطف على التاء وحسن للفصل او مفعول معه وقل للذين اوتوا الكتاب
والاميين الذين لا كتاب لهم كمشركى العرب ءاسلمتم كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة
ام انتم بعد على كفركم ونظيره قوله فهل انتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة او المعاندة
فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال وان تولوا
فانما عليك البلاغ اى فلم يضروك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت والله
بصير بالعباد وعد ووعيد ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين
بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم
هم اهل الكتاب الذين فى عصره قتل اولوهم الانبياء ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا
قتل النبى والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله فى سورة البقرة وقرا حمزة ويقاتلون
الذين وقد منع سيبويه ادخال الفاء فى خبر ان كليت ولعل ولذلك قيل الخبر
اولئك الذين حبطت اعمالهم فى الدنيا والآخرة كقولك زيد فافهم رجل صالح
والفرق انه لا يغير معنى الابتداء بخلافهما وما لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب
الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اى التورية او جنس الكتب السماوية
ومن للتبعيض او للبيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير يدعون
الى كتاب الله ليحكم بينهم الداعى محمد صلى الله عليه وسلم وكتاب الله تعالى القرآن او
التورية لما روى انه عليه السلام دخل مدراسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد
على اى دين انت فقال على دين ابراهيم عليه السلام فقال له ان ابراهيم كان يهوديا

كان يهوديا فقال هلموا الى التورية فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقيل نزلت
فى الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل على ان
الادلة السمعية حجة فى الاصول ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم مع علمهم بان
الرجوع اليه واجب وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق
وانما ساغ لتخصيصه بالصفة ذلك اشارة الى التولى والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا
النار الا اياما معدودات بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد
الزائغ والطمع الفارغ وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون من ان النار لن تمسهم الا
اياما قلائل او ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم او انه تعالى وعد يعقوب عليه
السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه
استعظام لما يحيق بهم فى الآخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما روى ان اول
راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى
النار ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط
وان المؤمن لا يخلد فى النار لان توفية ايمانه وعمله لا يكون فى النار ولا قبل
دخولها فاذن هى بعد الخلاص وهم لا يظلمون الضمير لكل نفس على المعنى لانه فى معنى كل
انسان قل اللهم الميم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم
كدخولها عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل اصله يا الله امنا بخير
فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته مالك الملك يتصرف فيه
فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع
الوصفية تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء تعطى منها ما تشاء من
تشاء وتسترد فالملك الاول عام والآخران بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة
ونزعها نقلها من قوم الى قوم وتعز من تشاء وتذل من تشاء فى الدنيا او فى الآخرة
او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان بيدك الخير انك على كل شئ قدير ذكر الخير
وحده لانه المقضى بالذات والشر المقضى بالعرض اذ لا يوجد شر جزئى ما لم يتضمن خيرا
كليا او لمراعاة الادب فى الخطاب او لان الكلام وقع فيه اذ روى انه عليه السلام
لما خط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة
لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء
فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكأنه
مصباح فى جوف بيت مظلم فكبر معه المسلمون وقال اضاءت لى منها قصور الحيرة كانها انياب
الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لى منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب
الثالثة فقال اضاءت لى قصور صنعاء واخبرنى جبرائيل عليه السلام ان امتى ظاهرة
على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من

من يشرب قصور الحيرة ومداين كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت
ونبه على ان الشر ايضا بيده بقوله انك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار
في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب عقب ذلك
ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار او خال والموت والحيوة وبسعة فضله دلالة
على ان من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج الدخول
في مضيق وايلاج الليل والنهار ادخل احدهما في الآخر بالتعقيب او الزيادة والنقص
واخراج الحي من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها واماتتها او انشاء الحيوان
من النطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن لا يتخذ المؤمنون الكافرين
اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة وصداقة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا
في الله او عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية من دون المؤمنين
اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن
يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء فليس من الله في شيء من ولايته في شيء يصح ان
يسمى ولاية فان موالاة المتعادين لا يجتمعان قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك
ليس النوك عنك بعازب الا ان تتقوا منهم تقية الا ان تخافوا من جهتهم
ما يجب اتقاؤه او اتقاء والفعل معدى بمن لانه في معنى تحذروا او تخافوا وقرأ يعقوب
تقية منع عن موالاتهم ظاهرا او باطنا في الاوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار
الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله
نفسه والى الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه وهو تهديد
عظيم مشعر بتناهي المنهي في القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب يصدر منه
فلا يؤبه دونه مما يحذر عن الكفرة قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله اي انه
يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها او تبدوها ويعلم ما في السموات وما في
الارض فيعلم سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما
نهيتم عنه والاية بيان لقوله ويحذركم الله نفسه وكانه قال ويحذركم نفسه لانها متصفة بعلم
ذاتي محيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات باسرها فلا تجسروا على
عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها يوم تجد كل نفس
ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم منصوب
بتود اي تتمنى كل نفس يوم تجد صحائف اعمالها او جزاء اعمالها من الخير والشر حاضرة لو ان
بينها وبين ذلك وهوله امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير في عملت من سوء
وتجد مقصور على ما عملت من خير ولا يكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وهي على
هذا يصح ان يكون شرطية ولكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانه حكاية كائن واوفق للقراءة المشهورة
ويحذركم الله نفسه كرر للتاكيد والتذكير والله رؤوف بالعباد اشارة الى انه

الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم او انه لذو مغفرة وذو عقاب
فيرجى رحمته ويخشى عذابه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال
ادركته فيه بحيث يحملها على ما يقربه اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله وان كل
ما يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من الله تعالى وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله
وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة
وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في عبادته والحرص على مطاوعته
يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم جواب للامر اي يرض عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز
عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق
الاستعارة او المقابلة والله غفور رحيم لمن يتحبب اليه بطاعته واتباع نبيه روي
انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا
انما نعبد المسيح حبا لله وقيل في اقوام زعموا على عهده صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله
تعالى فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا
يحتمل المضي والمضارعة بمعنى فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين لا يرضى عنهم ولا
يثني عليهم وانما لم يقل لا يحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولي كفر وانه من هذه
الحيثية ينفي محبة الله وان محبته مخصوصة بالمؤمنين ان الله اصطفى ادم ونوحا
وال ابرهيم وال عمران على العالمين بالرسالة والخصايص الروحانية والجسمانية
ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسل وبين انها الجالبة
لمحبة الله تعالى عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم
على الملائكة عليهم السلام وال ابرهيم اسمعيل واسحق واولادهما عليهم السلام وقد دخل
فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم وال عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر بن
قاهث بن لاوي بن يعقوب او عيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن اجاد
بن ابيغازار بن ابي يوز بن رتب بائل بن سالبان بن يوحنا بن اوشا بن اموذر
بن ميشكن بن حارفا بن اجاد بن يونا بن عزريا بن يوزام بن ساقط بن ايشا بن ابنا بن
راجعيم بن سليمان بن داود بن ايشي بن عويد بن سلمون بن ياعر بن نحشون بن عمياد
بن رام بن حضروم بن فارض بن يهودا بن يعقوب وكان بين العمرانين الف
وثمانون مائة سنة ذرية بعضها من بعض حال او بدل من الآلين او منهما ومن نوح
اي انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض في الدين والذرية
الولد تقع على الواحد والجمع فعلية من الذر او فعولة من الذرء ابدلت همزتها ياء ثم
قلبت الواو ياء وادغمت والله سميع عليم باقوال الناس واعمالهم فيصطفي من كان مستقيم
القول والعمل او سميع بقول امراة عمران عليم بنيتها اذ قالت امرات عمران رب اني
نذرت لك ما في بطني فينتصب به اذ وقيل نصبه باضمار اذكر وهذه حنة بنت

فاتوذا حدة عيسى عليه السلام وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من هرون
فظن ان المراد زوجته ويرده كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته
ايشاع وكان يحيى وعيسى عليهما السلام ابني خالة من الاب روي انها كانت عاقرا عجوزا
فبينا هي في ظل شجرة اذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك
علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم
وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا في عهدهم للغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير او
طلبت ذكرا محررا معتقا لخدمته لا اشغله بشيء او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال
فتقبل مني ما نذرته انك انت السميع العليم بقولي ونيتي فلما وضعتها قالت رب اني
وضعتها انثى الضمير لما في بطنها وتانيثه لانه كان انثى وجاز انتصاب انثى حالا عنه لان تانيثها
علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد او على تأويل مؤنث كالنفس والحبلة وانما
قالته تحسرا او تحزنا الى ربها لانها كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره
والله اعلم بما وضعت اي بالشيء الذي وضعت وهو استيناف من الله تعالى تعظيما
لموضوعها وتجهيلا لها بشأنها وقرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعت
على انه من كلامها تسلية لنفسها اي ولعل لله فيه سرا او الانثى كان خيرا وقرئ وضعت
على خطاب الله تعالى لها وليس الذكر كالانثى بيان لقوله تعالى والله اعلم اي وليس الذكر
الذي طلبت كالانثى التي وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها بمعنى وليس
الذكر والانثى سيين فيما نذرت فتكون اللام للجنس واني سميتها مريم عطف على ما قبلها
من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لان يعصمها ويصلحها
حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على ان الاسم
والمسمى والتسمية امور متغايرة واني اعيذها بك اجيرها بحفظك وذريتها من الشيطان
الرجيم المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي عليه السلام ما من مولود يولد الا
والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه الا مريم وابنها عليهما السلام ومعناه
ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها عليه السلام فان
الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول
حسن بوجه حسن تقبل به النذائر وهو اقامتها مقام الذكر وتسلمها عقيب ولادتها
قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روي ان حنة لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد
ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت
امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت رؤس بني اسرائيل وملوكهم فقال زكريا
عليه السلام انا احق بها عندي خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا
الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفى قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا
على تقدير مضاف اي بذي قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضى وتعجل

وتعجل اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز
عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها وكفلها زكريا شدد الفاء حمزة والكسائي وعاصم
وقصروا زكريا غير عاصم في رواية ابن عياش رض على ان الفاعل هو الله تعالى وزكريا
مفعول كافلا لها وضامنا لمصالحها وخفف الباقون ومدوا زكريا مرفوعا كلما دخل
عليها زكريا المحراب اي الغرفة التي بنيت لها او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها سمي
لانه محل محاربة الشيطان كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وجد عندها
رزقا جواب كلما وناصبه روي انه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة
ابواب وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس قال يا مريم انى لك هذا
من اين لك هذا الرزق الاتي في غير اوانه والابواب معلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة
للاولياء وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه قالت هو من عند الله فلا
تستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى عليه السلام ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها
من الجنة ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق
تفضلا به وهو يحتمل ان يكون من كلامها وان يكون من كلام الله تعالى روي ان فاطمة رض
اهدت لرسول الله عليه السلام رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت
عن الطبق فاذا هو مملو خبزا فقال لها انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق
من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع
عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته وبقي الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها
هنالك دعا زكريا ربه في ذلك المكان او الوقت اذ يستعار هنا وثمه وحيث للزمان
لما رأى كرامة مريم ومنزلتها من الله تعالى قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة كما وهبتها
لحنة العجوز العاقر وقيل لما رأى الفواكه في غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ
وقال هب لي من لدنك لانه لم يكن على الوجوه المعتادة او بالاسباب المعهودة انك
سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة اي من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادي كان
جبرائيل عليه السلام وحده وقرأ حمزة والكسائي فناداه بالامالة والتذكير وهو قائم
يصلي في المحراب اي قائما يصلي صفة قائم او خبر او حال اخر او حال عن الضمير في قائم
ان الله يبشرك بيحيى اي بان الله تعالى وقرأ حمزة وابن عامر بالكسر على ارادة
القول او لان النداء نوع منه وقرأ حمزة والكسائي يبشرك بيحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا
فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل مصدقا بكلمة من الله اي بعيسى عليه السلام سمي بذلك
لانه وجد بامره تعالى دون اب فشابه البدعيات التي هي عالم الامر او بكتاب الله تعالى
كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس
كلهم في انه ما هم بمعصية وحصورا مبالغا في حبس النفس عن الشهوات والملاهي روي
انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين

ناشيا منهم او كائنا من عداد من لم يات صغيرة ولا كبيرة قال رب انى يكون لى غلام وقد
بلغنى الكبر ادركنى كبر السن واثر فى وكان له تسع وتسعون سنة ولامراته ثمان وتسعون
وامراتى عاقر لا تلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد قال كذلك الله يفعل ما يشاء
اى يفعل ما يشاء من العجايب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر او كما انت عليه وزوجك
من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد او كذلك الله مبتدا وخبر اى الله على مثل هذه
الصفة ويفعل ما يشاء بيان له او كذلك خبر محذوف اى الامر كذلك والله يفعل ما يشاء
بيان له قال رب اجعل لى اية علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح
مشقة الانتظار قال ايتك الا تكلم الناس ثلثة ايام ان لا تقدر على تكليم الناس
ثلث وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله تعالى وشكره قضاء
لحق النعمة وكانه قال ايتك ان تحبس لسانك الا من الشكر واحسن الجواب ما اشتق
عن السوال الا رمزا اشارة بنحو يد او راس واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء
منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل على الضمير وقرئ رمزا كخدم جمع رامز ورمزا كرسل
جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله متى ما تلقنى فردين ترجف روانف
اليتيك واذكر ربك كثيرا فى ايام الحبسة وهو موكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الامر
بالكثرة يدل على انه لا يفيد التكرار وسبح بالعشى من الزوال الى الغروب وقيل من العصر
او الغروب الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ بالفتح جمع بكر كسحر
واسحار واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفيك وطهرك واصطفيك على نساء
العالمين كلموها شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كانت معجزة زكريا او ارهاصا
لنبوة عيسى عليه السلام فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امراة لقوله وما ارسلنا قبلك
الا رجالا وقيل الهموها والاصطفاء الاول تقبلها من امها ولم يقبل قبلها انثى وتفريغها للعبادة
واغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر من النساء والثانى هدايتها وارسال
الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير اب وتبرئتها مما قذفته اليهود وانطاق
الطفل وجعلها وابنها اية للعالمين يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين
امرت بالصلوة فى الجماعة بذكر اركانها مبالغة فى المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه
كذلك فى شريعتهم او للتنبيه على ان الواو لا يوجب الترتيب او ليقترن اركعى بالراكعين
للايذان بان من ليس فى صلوتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة
كقوله امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة لقوله وادبار السجود و
بالركوع الخشوع والاخبات ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اى ما ذكرنا من القصص
من الغيوب التى لم تعرفها الا بالوحى وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم اقداحهم للاقتراع
وقيل اقترعوا باقلامهم التى كانوا يكتبون بها التورية تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل
التهكم بمنكريه فان طريق معرفة الوقايع المشاهدة والسماع وعدم السماع معلوم لا شبهة

فيه عندهم فبقى ان يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل ايهم يكفل مريم متعلق
بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اى يلقونها ليعلموا او يقولوا ايهم يكفل مريم وما كنت
لديهم اذ يختصمون تنافسا فى كفالتها اذ قالت الملائكة بدل من اذ قالت الاولى وما
بينهما اعتراض او من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة فى زمان متسع
كقولك لقيته سنة كذا يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم المسيح
لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك
وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة او بما طهره من الذنوب
او مسح الارض ولم يقم فى موضع او مسحه جبرائيل عليه السلام ومن العيس وهو بياض
يعلوه حمرة تكلف لا طائل تحته وابن مريم لما كانت صفة تميز تميز الاسماء نظمت فى سلكها
ولا ينافى تعدد الخبر افراد المبتدا فانه اسم جنس مضاف فيحتمل ان يراد به الذى يعرف به
ويميز عن غيره هذه الثلاثة فان الاسم علامة المسمى والمميز له ممن سواه ويجوز ان يكون
عيسى خبر مبتدا محذوف وابن مريم صفته وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على انه
تولد من غير اب اذ الاولاد تنسب الى الاباء ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب وجيها
فى الدنيا والاخرة حال مقدرة من كلمة وهى وان كانت نكرة لكنها وتذكيرها للمعنى و
الوجاهة فى الدنيا النبوة وفى الاخرة الشفاعة ومن المقربين من الله تعالى وقيل
اشارة الى علو درجته فى الجنة او رفعه الى السماء وصحبة الملائكة ويكلم الناس فى المهد و
كهلا اى ويكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمى به
ما يمهد للصبى من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة
المتنافية ارشاد الى انه بمعزل عن الالوهية ومن الصالحين حال ثالث من كلمة او
ضميرها الذى فى يكلم قالت رب انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر تعجب او استبعاد
عادى او استفهام انه يكون بتزوج او غيره قال كذلك الله يخلق ما يشاء القائل جبرائيل
عليه السلام او الله تعالى جل جلاله وجبرائيل عليه السلام حكى لها قوله تعالى اذا قضى امرا
فانما يقول له كن فيكون اشارة الى انه كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب
ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل كلام
مبتدا ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زواج
او عطف على يبشرك او وجيها والكتاب الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان
لفضلهما وقرا نافع وعاصم يعلمه بالياء ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئتكم باية من ربكم
منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول ارسلت رسولا بانى قد جئتكم او بالعطف
على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق فكانه قال وناطقا بانى قد جئتكم وتخصيص بنى اسرائيل
لخصوص او للرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير نصب بدل
انى قد جئتكم او جر بدل من اية او رفع على هى انى اخلق لكم والمعنى اقدر لكم واصور شيئا مثل

مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك المماثل فيكون طيرا باذن الله
فيصير حيا طيارا بامر الله تعالى نبه به وابرئ الاكمه والابرص الذي ولد اعمى او الممسوح العين
روي انه ربما كان يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى
وما يداوي الا بالدعاء واحيي الموتى باذن الله كرر باذن الله دفعا لوهم الالوهية فان
الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم بالمغيبات
من احوالكم التي لا تشكون فيها ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين موفقين للايمان
فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق غير معاندين ومصدقا لما بين يدي
من التورية عطف على رسولا على الوجهين او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اي وجئتكم
مصدقا ولاحل لكم مقدر باضمار فعل او مردود على قوله باني قد جئتكم باية او معطوف على معنى
مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب قلبك بعض الذي حرم عليكم اي في شريعة
موسى عليه السلام كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت وهو
يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى عليه السلام ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتورية
كما لا يعود نسخ القران بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ في الحقيقة
بيان وتخصيص في الازمان وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي
وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم اي جئتكم باية اخرى الهمنيها ربكم وهي قولي ان الله
ربي وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارقة بين النبي والساحر او
جئتكم باية على ان الله ربي وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه
تكرير لقوله قد جئتكم باية من ربكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثاني
لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات
القاهرة والايات الباهرة فاتقوا الله في المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم شرع
في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال
القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال
القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم
قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره
قوله عليه السلام قل امنت بالله ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر تحقق كفرهم
عنده تحقق ما يدرك بالحواس قال من انصاري الى الله ملتجئا الى الله او ذاهبا
او ضاما اليه ويجوز ان يتعلق الجار بانصاري مضمنا معنى الاضافة اي من الذين
يضيفون انفسهم الى الله في نصري وقيل الى ههنا بمعنى مع او في او اللام قال الحواريون
حواري الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص
الوانهن سمي به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم وقيل كانوا ملوكا
يلبسون البيض استنصر بهم عيسى من اليهود وقيل قصارون الثياب اي يبيضونها

اي يبيضونها نحن انصار الله اي انصار دينه امنا بالله واشهد بانا مسلمون اي
لتشهد لنا يوم القيمة حين يشهد الرسل لقومهم وعليهم ربنا امنا بما انزلت
واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اي مع الشاهدين بوحدانيتك او مع الانبياء
الذين يشهدون لاتباعهم او امة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم شهداء على الناس ومكروا
اي الذين احس منهم الكفر من اليهود بان وكلوا عليه من يقتله غيلة ومكر الله حين
رفع عيسى والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة
يجلب بها غيره الى مضرة لا يسند الى الله تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج
والله خير الماكرين اقواهم مكرا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب اذ قال
الله يا عيسى ظرف لمكر الله او خير الماكرين او لمضمر مثل وقع ذلك اني متوفيك اي
مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك
من الارض من توفيت مالي او متوفيك نائما اذ روي انه رفع نائما او مميتك
عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات
ثم رفعه الى السماء واليه ذهب النصارى ورافعك الي الى محل كرامتي ومقر ملائكتي
عليهم السلام ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم او قصدهم وجاعل
الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة يعلونهم بالحجة والسيف
في غالب الامر ومتبعوه من امن بنبوته من المسلمين والنصارى والى الان لم يسمع
غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة ثم الي مرجعكم الضمير لعيسى عليه السلام ومن
تبعه كفر به وغلب المخاطب على الغائبين فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين
فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين واما
الذين امنوا وعملوا الصالحات فنوفيهم اجورهم تفسير للحكم وتفصيل له وقرا حفص
فيوفيهم بالياء والله لا يحب الظالمين تقرير لذلك ذلك اشارة الى ما سبق من نبا
عيسى وغيره وهو مبتدا وخبره نتلوه عليك من الايات وقوله من الايات حال من الهاء
ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه حالا على ان العامل معنى الاشارة وان يكونا خبرين وان
ينتصب بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع عن تطرق الخلل
اليه يريد به القران وقيل اللوح ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم ان شانه الغريب
كشان ادم عليه السلام خلقه من تراب جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له الشبه وهو انه
خلق بلا اب كما خلق ادم من التراب بلا اب وام شبه حاله بما هو اغرب
افحاما للخصم وقطعا لمواد الشبه والمعنى خلق قالبه من التراب ثم قال له كن اي
انشاه بشرا كقوله ثم انشاناه خلقا اخر او قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز
ان يكون ثم لتراخي الخبر لا المخبر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر محذوف
اي هو الحق وقيل الحق مبتدا ومن ربك خبره اي الحق المذكور من الله تعالى فلا تكن من

من الممترين خطاب للنبي عليه السلام على طريقة التهييج لزيادة الثبات او لكل سامع فمن
حاجك من النصارى فيه في عيسى عليه السلام من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات
الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا بالرأي والعزم ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا و
نساءكم وانفسنا وانفسكم اي يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى
المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم
ثم نبتهل اي نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصله الترك
من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف فيه بيان
روي انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم
ما ترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل في امر صاحبكم والله ما باهل
قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فاتوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسن آخذا بيد الحسين وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها
صلوات الله عليهم اجمعين وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقفهم يا معشر
النصارى اني لارى وجوها لو سألوا الله تعالى ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها
فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا لرسول الله وبذلوا له الجزية الفي حلة حمراء وثلثين
درعا من حديد فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو تباهلوا وخنازير ولاضطرم
عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله تعالى نجران واهله حتى الطير على الشجر وهو دليل
على نبوته وفضل من اتى بهم من اهل بيته ان هذا اي ما قص من نبأ عيسى ومريم لهو
القصص الحق بجملته خبر ان او هو فصل يفيد ان ما ذكره في شأن عيسى عليه السلام
ومريم حق دون ما ذكروه وما بعده خبره واللام دخلت لانه اقرب الى المبتدأ من الخبر
واصلها ان تدخل المبتدأ وما من اله الا الله صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق
تاكيدا للرد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم لا احد سواه يساويه
في القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه في الالوهية فان تولوا فان الله عليم
بالمفسدين وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولي عن الحجج والاعراض
عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المؤدي الى فساد النفس العالم قل يا اهل
الكتاب يعم اهل الكتابين وقيل يريد به وفد نجران او يهود المدينة تعالوا
الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب وتفسيرها ما بعدها ان لا نعبد
الا الله ان نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره
شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا
اربابا من دون الله ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار
فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روي انه لما نزلت
اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم

نعبدهم يا رسول الله قال أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال
نعم قال هو ذاك فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون
اي لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت
به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر الى ما راعى في هذه القصة من المبالغة
في الارشاد وحسن التدريج في الحجاج بين اولا احوال عيسى عليه السلام وما تعاور
عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما رأى
عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا وانقادوا بعض
الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم الى ما
وافق عليه عيسى عليه السلام والانجيل وساير الانبياء عليهم السلام والكتب ثم لما
لم يجد ذلك ايضا عليهم وعلم ان الايات والنذر لا تغني عنهم اعرض عن ذلك
وقال اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت
التورية والانجيل الا من بعده تنازعت اليهود والنصارى في ابرهيم وزعم
كل فريق انه منهم وترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى ان اليهودية
والنصرانية حدثت بنزول التورية والانجيل على موسى وعيسى عليهما السلام
وكان ابراهيم قبل موسى بالف سنة وعيسى بالفين فكيف يكون عليهما افلا
تعقلون فتدعون المحال ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما
ليس لكم به علم ها حرف تنبيه نبهوا بها عن حالهم التي غفلوا عنها وانتم مبتدأ وهؤلاء
خبره وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولى اي انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم جادلتم
فيما لكم به علم مما وجدتموه في التورية والانجيل عنادا وتدعون وروده فيه فلم
تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر في كتابكم من دين ابرهيم عليه السلام وقيل هؤلاء بمعنى
الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله أانتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة
هاء وقرأ نافع وابو عمرو ها انتم حيث وقع بالمد غير همز وورش اقل مدا وقنبل بالهمزة والبزي
بقصر المد على اصله والله يعلم ما حاججتم فيه وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون به ما كان
ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان ولكن كان حنيفا مائلا عن
العقايد الزايغة مسلما منقادا لله تعالى وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لا
لاشترك الالزام وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح
ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابرهيم ان اولى الناس بابرهيم ان اخصهم به
واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه من امته وهذا النبي والذين امنوا
لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه
وبالجر عطفا على ابرهيم والله ولي المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم ودت
طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا

الى اليهودية ولو يعني ان وما يضلون الا انفسهم وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود
وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم او ما يضلون الا امثالهم وما يشعرون وزره
واختصاص ضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله بما نطقت به
التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانتم تشهدون انها
ايات الله تعالى او بالقران وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تعلمون بالمعجزات
انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بالتحريف وابراز الباطل في
صورته او بالتقصير في التميز بينهما وقرئ تلبّسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء
اي تلتبسون الحق مع الباطل كقوله كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق نبوة محمد عليه
السلام ونعته وانتم تعلمون عالمين بما تكتمونه وقالت طائفة من اهل الكتاب
امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار اي اظهروا الايمان بالقران اول النهار
واكفروا اخره لعلهم يرجعون واكفروا به اخره لعلهم يشكون في دينهم ظنا بانكم رجعتم
لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما
لما حولت القبلة امنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار
ثم صلوا الى الصخرة اخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا وقيل اثنا عشر من احبار
خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا اخره نظرنا في كتابنا وشاورنا
علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد في التورية لعل اصحابه يشكون ولا تؤمنوا
الا لمن تبع دينكم ولا تقروا عن تصديق قلب الا لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه
النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله يهدي من
يشاء الى الايمان ويثبته عليه ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اي دبرتم
ذلك وقلتم لان يؤتى احد والمعنى ان الحسد حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اي ولا تظهروا
ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم
ولا الى المشركين لئلا يدعون الى الاسلام وقوله تعالى قل ان الهدى هدى الله اعتراض
يدل على ان كيدهم لا يجدي بطائل او خبر ان على ان هدى الله بدل من الهدى وقراءة ابن
كثير أان يؤتى على الاستفهام للتقريع يؤيد الوجه الاول اي لان يؤتى احد دبرتم وقرئ
ان على انها النافية فيكون من كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا
لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين
وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى الجمع
اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته
من يشاء والله ذو الفضل العظيم رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة ومن اهل
الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه قريشي
الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص

كفنحاص ابن عازوراء استودعه قريشي آخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير
النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة
الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك قائما على رأسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي والترافع
واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله لا يؤده بانهم قالوا بسبب
قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي لا يتطرق علينا عتاب وذم في شأن من ليسوا
من اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم ويقولون على الله الكذب بادعائهم
ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون ذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم
في التورية حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط
حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه انه قال عند نزولها
كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر
والفاجر بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل من اوفى بعهده واتقى فان الله
يحب المتقين استيناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن او لله
تعالى وعموم المتقين ناب الراجع من الجزاء الى من واشعر بان التقوى ملاك الامر وهو
يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي ان الذين يشترون
يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات وايمانهم
وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا اولئك
لا خلاق لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم او بشيء اصلا وان الملائكة عليهم السلام
يسئلون منهم يوم القيمة او لا ينتفعون بكلمات الله تعالى واياته والظاهر انه كناية
عن غضبه عليهم ولا ينظر اليهم يوم القيمة فان من سخط على غيره واستهان به اعرض
عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما ان من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه
ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم على ما فعلوه قيل انها نزلت في احبار حرفوا
التورية وبدلوا نعت الرسول عليه الصلوة والسلام وحكم الامانات وغيرها واخذوا
على ذلك رشوة وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم
يشترها به وقيل في ترافع كان بين اشعث بن قيس ويهودي في بئر او ارض وتوجه
الحلف على اليهودي وان منهم لفريقا يعني المحرفين ككعب ومالك وحيي يلوون السنتهم
بالكتاب يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب
وقرئ يلون على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن
قبلها لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله
يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير ايضا للمسلمين ويقولون هو من عند الله وما
هو من عند الله تأكيد لقوله وما هو من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان لانهم يزعمون
ذلك تصريحا لا تعريضا اي ليس هو نازلا من عند الله وهذا لا يقتضي ان لا يكون فعل
العبد فعل الله تعالى ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون تأكيد وتسجيل عليهم

بالكذب على الله والتعمد فيه ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول
للناس كونوا عبادا لي من دون الله تكذيب ورد على عبدة عيسى عليه السلام وقيل ان
ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال عليه السلام
ان نعبد غير الله وان نأمر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل
قال يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان
يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا ربانيين
ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون
كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون
بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم
معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين
وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى درس وكرم بمعنى كريم ويجوز
ان يكون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما تدرسونه على الناس ولا
يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا نصبه ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب عطفا
على ثم يقول ويكون لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله تعالى ما كان لبشر اي ما كان لبشر
ان يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا او غير
مزيدة على معنى انه ليس له ان يأمر بعبادته ولا يأمر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو
ادنى من العبادة ورفعه الباقون على الاستيناف ويحتمل الحال ايأمركم بالكفر انكار والضمير
فيه للبشر وقيل لله تعالى بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان الخطاب للمسلمين
وهم المستأذنون لان يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب
وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قيل انه على ظاهره واذا كان
هذا حكم الانبياء كان الامم به اولى وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين
واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافته الى الفاعل
والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين
على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل او سماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن
اولى بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم لانا اهل كتاب والنبيون كانوا منا واللام في
لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن
ساد مسد جواب القسم والشرط ويحتمل الخبرية وقرأ حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية
اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم مجيء رسول مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن
به ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له
وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم او لمن اجل ما آتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف
احدى الميمات الثلاث استثقالا قال اأقررتم واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي
سمي به لانه يؤصر اي يشد وقرئ بالضم وهو اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو

وهو ما يشد به قالوا اقررنا قال فاشهدوا اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار
وقيل الخطاب فيه للملائكة وانا معكم من الشاهدين وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم
شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم فمن تولى بعد ذلك بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار
والشهادة فاولئك هم الفاسقون المتمردون من الكفرة افغير دين الله يبغون
عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار او محذوف تقديره أيتولون
فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة
عند ابي عمرو وعاصم في رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين على تقدير
وقل لهم وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها اي طائعين بالنظر واتباع
الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق
والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم
لا يقدرون ان يمتنعوا عما قضي عليهم واليه ترجعون وقرأ حفص ويعقوب
بالياء على ان الضمير لمن قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم امر للرسول
صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن كما هو منزل عليه منزل
عليهم بتوسط تبليغه اليهم وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم او
بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له والنزول كما يعدى بالى لانه ينتهي
الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل عليه السلام على سائر الرسل لانه المعروف
له والعيار عليه لا نفرق بين احد منهم بالتصديق والتكذيب ونحن له مسلمون منقادون
او مخلصون في عبادته ومن يبتغ غير الاسلام دينا اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله
تعالى فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض
عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي
فطر الناس عليها واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب
انه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره ولعل الدين ايضا للاعمال كيف يهدي الله
قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم
الله تعالى فان الحائد عن الحق بعدما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل
نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا يقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى
الفعل ونظيره فاصدق واكن حال باضمار قد من كفروا وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار
باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم
بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه اولئك
جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين يدل بمنطوقه على جواز لعنهم و
بمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى ما

مايؤسون عن الرحمة راسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او العموم فان الكافر
ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها في اللعنة
او العقوبة او النار وانهم لم يجر ذكرها لدلالة الكلام عليهما لا يخفف عنهم العذاب
ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد واصلحوا ما افسدوا
ويجوز ان لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح فان الله غفور يقبل توبته رحيم
يتفضل عليه قيل انها نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى
قومه ان يسلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالاية فرجع الى المدينة فتاب
ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى عليه السلام والانجيل بعد الايمان
بموسى عليه السلام والتورية ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقران او كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم
بعد ما امنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان
ونقض الميثاق وكقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون
او نرجع اليه وننافقه باظهار التوبة لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون او لا يتوبون الا اذا
اشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها او لان توبتهم لا تكون الا نفاقا
لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم تدخل الفاء فيه واولئك هم الضالون الثابتون
على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا
لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية ادخل الفاء ههنا للاشعار به وملء الشيء
ما يملاه وذهبا نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء او الخبر لمحذوف ولو افتدى به محمول
على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر
تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب
في الاخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه
والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد اولئك لهم عذاب اليم مبالغة
في التحذير واقناط لان من لا يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من ناصرين في دفع العذاب
ومن مزيدة للاستغراق لن تنالوا البر اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي هو كمال الخير او لن تنالوا
بر الله الذي هو الرحمة والرضى والجنة حتى تنفقوا مما تحبون اي من المال او ما يعمه وغيره كبذل الجاه
في معاونة الناس والبدن في طاعة الله تعالى والمهجة في سبيله روي انها لما نزلت جاء ابو
طلحة رض فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحى فضعها حيث اراك الله فقال بخ بخ ذاك
مال رابح او رايح واني ارى ان تجعلها في الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبه فقال
هذا في سبيل الله فحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة فقال زيد انما اردت ان
اتصدق به فقال عليه السلام ان الله تعالى قد قبلها منك يدل على ان انفاق احب المال
على اقرب الاوقات افضل وان الاية تعم الانفاق الواجب والمستحب وقرئ بعض ما
تحبون وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين وما تنفقوا من شيء من اي شيء
محبوب او غيره ومن للبيان فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه كل الطعام اي المطعومات

المطعومات والمراد اكلها كان حلا لبني اسرائيل حلالا لهم وهو مصدر نعت به ولذلك
يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال الله تعالى لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل
يعقوب عليه السلام على نفسه كلحوم الابل والبانها قيل كان به عرق النسا فنذر ان
شفي لم ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك احب اليه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة
الاطباء واحتج به من جوز للنبي ان يجتهد وللمانع ان يقول ذلك باذن من الله تعالى
فهو كتحريمه ابتداء من قبل ان تنزل التورية اي من قبل انزالها مشتملة على تحريم ما حرم عليهم
بظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وذلك رد على اليهود في دعوى البراءة مما نعى عليهم في قوله
فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر
الايتين بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن
بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفي منع النسخ والطعن
في دعوى الرسول موافقة ابرهيم بتحليله لحوم الابل والبانها قل فاتوا بالتورية فاتلوها
ان كنتم صادقين امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم
ما لم يكن محرما روي انه صلى الله عليه وسلم لما قال لهم بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية وفيه
دليل على نبوته فمن افترى على الله الكذب ابتدعه على الله تعالى بزعمه انه حرم ذلك قبل
نزول التورية على بني اسرائيل ومن قبلهم من بعد ذلك من بعد ما لزمته الحجة فاولئك
هم الظالمون الذين لا ينصفون انفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح قل صدق الله
تعريض بكذبهم اي ثبت ان الله تعالى صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة
ابرهيم حنيفا اي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابرهيم عليه السلام او مثل ملته حتى
تتخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية و
الزمتكم تحريم طيبات احلها لابرهيم ومن تبعه وما كان من المشركين فيه اشارة الى ان
اتباعه واجب في التوحيد الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن الافراط والتفريط
وتعريض بشرك اليهود ان اول بيت وضع للناس اي وضع للعبادة وجعل متعبدا
لهم والواضع هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل للذي ببكة للبيت
الذي ببكة وهي لغة في مكة كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم ولازب ولازم وقيل
هي موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة
روي انه صلى الله عليه وسلم سئل عن اول بيت فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم
بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه ابرهيم عليه السلام ثم هدم فبناه قوم من
جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل هو اول بيت بناه ادم عليه السلام فانطمس في الطوفان
ثم بناه ابراهيم عليه السلام وقيل كان في موضعه قبل بيت يقال له الضراح تطوف به الملائكة
فلما اهبط ادم امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان الى السماء الرابعة يطوف
ملائكة السموات وهو لا يلائم ظاهر الاية وقيل المراد انه اول بيت بالشرف لا بالزمان

مباركاً كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن في الظرف وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه ايات عجيبة كما قال فيه ايات بينات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار وان ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء قهره كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام ابرهيم مبتدا محذوف خبره اي منها مقام ابرهيم او بدل من ايات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على ان المراد بالايات اثر القدم في الصخرة الصماء وغوصه فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الالانة من بين الصخار وابقاؤه دون سائر اثار الانبياء عليهم السلام وحفظه مع كثرة اعدائه الوف سنة ويؤيده ان قرئ اية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بناء الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه ومن دخله كان امنا جملة ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام ابرهيم لانه في معنى امن من دخله اي ومنها امن من دخله او فيه ايات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله اقتصر بذكرهما من الايات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة لان فيهما غنية عن غيرهما في الدارين بقاء الاثر مدى الدهر والامن من العذاب يوم القيامة قال صلى الله عليه وسلم في احد الحرمين بعث يوم القيمة امنا وعند ابي حنيفة رح من لزمه القتل بردة او قصاص او غيرهما لم يتعرض له ولكن الجئ الى الخروج ولله على الناس حج البيت قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرا حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص حج بالكسر وهو لغة نجد من استطاع اليه سبيلا بدل من الناس مخصص له وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعي رحمه الله انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال مالك رحمه الله انها بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق وقال ابو حنيفة رحمه الله انها بمجموع الامرين والضمير في اليه للبيت او الحج وكل ما اتى الى الشيء فهو سبيله ومن كفر فان الله غني عن العالمين وضع كفر موضع لم يحج تاكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وقد اكد امر في هذه الاية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه في صورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه حق واجب لله تعالى في رقاب الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه ثانيا فانه كايضاح بعد ابهام وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فانه في هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين بدل عنه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله تعالى

تعالى روي انه لما نزل صدر الاية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزلت ومن كفر قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله اي باياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد عم فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح وانهم وان زعموا انهم مؤمنون بالتورية والانجيل هم كافرون بهما والله شهيد على ما تعملون والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من امن كرر الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع ونفي العذر لهم واشعارا بان كل واحد من الامرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المامور بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه تبغونها عوجا حال من الواو اي باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيها عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوهما او بان تحرشوا بين المؤمنين ليختلف كلمتهم ويختل امر دينهم وانتم شهداء انها سبيل الله تعالى والصد عنها ضلال واضلال او انتم عدول عند اهل ملتكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم ولما كان المنكر في الاية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد على ما تعملون ولما كان في هذه الاية صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال تعالى وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين نزلت في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه تالفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك لللاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد ان اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم وانما خاطبهم الله بنفسه بعد ما امر الرسول بان يخاطب اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله تعالى ويكلمهم وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله انكار وتعجب لكفرهم في حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه او يلتجئ اليه في مجامع اموره فقد هدي الى صراط مستقيم فقد اهتدى لا محالة يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها وهو

استفراغ الوسع في القيام بالمواجب والاجتناب عن المحارم كقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم
وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان
ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازات عليها وفي هذا الامر تاكيد للنهي عن طاعة
اهل الكتاب واصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما في تؤدة وتخمة والياء الفا
ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت
فان النهي عن المقيد بحال او غيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد اخرى وقد يتوجه نحو
المجموع دونهما وكذلك النفي واعتصموا بحبل الله بدينه الاسلام او بكتابه لقوله صلى الله
عليه وسلم القران حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب للنجاة
عن الردى كما ان التمسك بالحبل سبب للسلامة عن التردي وللوثوق به والاعتماد عليه
الاعتصام ترشيحا للمجاز جميعا مجتمعين عليه ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع
الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او ولا تتفرقوا تفرقكم الجاهلي يحارب بعضكم بعضا او ولا تذكروا
ما يوجب التفرق ويزيل الالفة واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية والتوفيق
للاسلام المؤدي الى التالف وزوال الغل اذ كنتم اعداء في الجاهلية متقاتلين
فالف بين قلوبكم بالاسلام فاصبحتم بنعمته اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة
في الله تعالى وقيل كان الاوس والخزرج اخوين فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت
الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفاءه الله تعالى بالاسلام والف بينهم برسوله
وكنتم على شفا حفرة من النار مشفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت
في تلك الحال لوقعتم في النار فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا
وتانيثه لتانيث ما اضيف اليه او لانه بمعنى الشفة فان الشفا والشفة طرفها
كالجانب والجانبة واصله شفو فقلبت الواو في المذكر وحذفت في المؤنث مثل ذلك
التبيين يبين الله لكم اياته دلائله لعلكم تهتدون ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم
فيه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر من
للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب
الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن عن القيام بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم
ليدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوه راسا اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم
وهكذا كل ما هو فرض كفاية او للتبيين بمعنى وكونوا امة يامرون كقوله كنتم خير امة اخرجت
للناس تامرون بالمعروف والدعاء الى الخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي
وعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان بفضله
واولئك هم المفلحون المخصوصون بكمال الفلاح روي انه صلى الله عليه وسلم سئل من خير
الناس فقال امرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله تعالى واوصلهم للرحم والامر
بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يؤمر به والنهي عن المنكر واجب كله

كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والاظهر ان العاصي يجب ان ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه
تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب الاخر ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا
كاليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد والتنزيه واحوال الاخرة على ما عرفت من بعد ما
جاءهم البينات الايات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهي فيه
مخصوص بالتفرق في الاصول دون الفروع لقوله صلى الله عليه وسلم اختلاف امتي رحمة
ولقوله صلى الله عليه وسلم من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطا فله اجر واحد
واولئك لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم يوم تبيض
وجوه وتسود وجوه نصب بما في لهم من معنى الفعل او باضمار اذكر وبياض الوجه وسواده
كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه
والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك
فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال لهم اكفرتم والهمزة
للتوبيخ والتعجب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار كفروا بعد ما اقروا حين اشهدهم على انفسهم
او تمكنوا من الايمان بالنظر في الدلائل والايات فذوقوا العذاب امر اهانة بما كنتم
تكفرون بسبب كفركم او جزاء لكفركم واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله يعني
الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره في
طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم لكن قصد
ان يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم هم فيها خالدون اخرجه مخرج
الاستيناف للتاكيد كانه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون تلك ايات
الله الواردة في وعده ووعيده نتلوها عليك بالحق ملتبسة بالحق لا شبهة فيها وما الله
يريد ظلما للعالمين اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شيء
فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق كما قال الله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض
والى الله ترجع الامور فيجازي كلا بما وعد له واوعد كنتم خير امة دل على خيريتهم فيما مضى ولم
يدل على انقطاع طرا كقوله وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم في علم الله او في اللوح او فيما
بين الامم المتقدمين اخرجت للناس اظهرت لهم تامرون بالمعروف وتنهون عن
المنكر استيناف بين به كونهم خير امة او خبر ثان لكنتم وتؤمنون بالله يتضمن الايمان
بكل ما يجب ان يؤمن به لان الايمان به انما يحق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما امر ان يؤمن
به وانما اخره وحقه ان يقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف ونهوا
عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه واستدل بهذه الاية على ان الاجماع حجة
لانها تقتضي كونهم امرين بكل معروف وناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق
فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك ولو امن اهل الكتاب ايمانا كما ينبغي

لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه
واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر وهذه الجملة والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد
لن يضروكم الا اذى ضررا يسيرا كطعن وتهديد وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم
بقتل واسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون احد ينصرهم عليكم او يدفع باسكم عنهم نفى اضرارهم
سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال كانت الدبرة لهم اخبر بانه يكون
عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا على ان ثم للتراخي في المرتبة فيكون
عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية من المغيبات التي وافقها الواقع اذ كان كذلك
حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر ضربت عليهم الذلة هدر النفس والمال
والاهل او ذل التمسك بالباطل والجزية اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله وحبل
من الناس استثناء من اعم عام الاحوال اي ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا
معتصمين او متلبسين بذمة الله تعالى او كتابه الذي اتاهم وذمة المسلمين او بدينه
الاسلام واتباع سبيل المؤمنين وباؤا بغضب من الله رجعوا به مستوجبين له
وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم احاطة البيت المضروب على اهله واليهود في غالب
الامر فقراء ومساكين ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب
بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق بسبب كفرهم بالآيات
وقتلهم الانبياء ذلك اي الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم
واعتدائهم حدود الله فان الاصرار على الصغائر يفضي الى الكبائر والاستمرار عليها
يؤدي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة في الدنيا واستيجاب الغضب في الآخرة
كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون
بالفروع ايضا ليسوا سواء في المساوي والضمير لاهل الكتاب من اهل الكتاب امة
قائمة استئناف لبيان نفي الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود
فقام وهم الذين اسلموا منهم يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يتلون القرآن
في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ في المدح وقيل المراد
صلاة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روي انه صلى الله عليه وسلم اخرها ثم خرج
فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة
غيركم يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون
في الخيرات صفات اخر لامة وصفهم بخصائص ما ليست في اليهود فانهم منحرفون عن الحق
غير متعبدين بالليل مشركون بالله تعالى ملحدون في صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف
صفته مداهنون في الاحتساب متباطئون عن الخير واولئك من الصالحين اي
الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله تعالى واستحقوا رضاه
وثناه وما تفعلوا من خير فلن تكفروه فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمي ذلك

ذلك كفرانا كما سمي توفية الثواب شكرا وتعديته الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان
وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالياء فيهما والله عليم بالمتقين بشارة لهم واشعار بان
التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو اهل التقوى ان الذين كفروا
لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من العذاب او من الغناء فيكون
مصدرا واولئك اصحاب النار ملازموها هم فيها خالدون مثل ما ينفقون ما ينفق
الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة والمنافقون رياء وخوفا في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح
فيها صر برد شديد والشائع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو في الاصل مصدر نعت
به او نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك برد بارد اصابت حرث قوم ظلموا
انفسهم بالكفر والمعاصي فاهلكته عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط اشد والمراد تشبيه
ما انفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستاصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا
والآخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث
ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون
اي ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها
او ما ظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة
وقرئ ولكن اي ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدر ضمير الشأن لانه لا يحذف الا
في الشعر كقوله ولكن من يبصر جفونك يعشق يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة
وليجة وهو الذي يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار
قال عليه السلام الانصار شعار والناس دثار من دونكم من دون المسلمين وهو
متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف وهو صفة بطانة كائنة من دونكم لا يألونكم خبالا
لا يقصرون لكم في الفساد والالو التقصير واصله ان يعدى بالحرف ثم عدي الى
المفعولين كقولهم لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع او النقص ودوا ما عنتم تمنوا
عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية قد بدت البغضاء من افواههم
اي في كلامهم لانهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم وما تخفي صدورهم اكبر مما بدا لان
بدوه ليس عن روية واختيار قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص
وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون ما بين لكم والجمل الاربع جاءت
مستأنفات على التعليل ويجوز ان يكون الثلث الاول صفات لبطانة ها انتم اولاء
تحبونهم اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم وهو خبر
ثان او خبر لاولاء والجملة خبر انتم كقولك انت زيد تحبه او صلته او حال والعامل فيها معنى
الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا وتؤمنون
بالكتاب كله بجنس الكتب كلها وهو حال من لا يحبونكم والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون
بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم

في حقكم واذا لقوكم قالوا آمنا نفاقا وتغريرا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ من اجله
تاسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ
وزيادته بتضاعف قوة الاسلام حتى يهلكوا به ان الله عليم بذات الصدور فيعلم ما في
صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اي وقل لهم ان الله عليم
بما هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك
ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بالاخفى من ضمائرهم ان تمسسكم
حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم
من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة والمس مستعار للاصابة وان تصبروا
على عداوتهم او على مشاق التكليف وتتقوا موالاتهم او ما حرم الله عليكم لا يضركم كيدهم
شيئا بفضل الله وحفظ الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد في الامر المتدرب
بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريئا على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مد وقرأ ابن
كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره ان الله بما يعملون قرأ
بالياء شهل اي من الصبر والتقوى وغيرهما محيط اي محيط علمه فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ
بالتاء اي بما تعملون في عداوتكم عليم فيعاقبهم عليه واذ غدوت اي واذكر اذ غدوت من
اهلك من حجرة عائشة رضي الله عنها تبوئ المؤمنين تنزلهم او تسوي وتهيئ لهم ويؤيده القراءة
باللام مقاعد للقتال مواقف واماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع
كقوله تعالى في مقعد صدق وقوله تعالى قبل ان تقوم من مقامك والله سميع لاقوالكم
عليم بنياتكم روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة
فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وقد دعا عبد الله بن ابي ولم يدعه قبل
فقال هو واكثر الانصار اقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو
قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم ان اقاموا
بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين
واشار بعضهم الى الخروج فقال صلى الله عليه وسلم رايت في منامي بقرة مذبوحة حولي فاولتها
خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة
فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر واكرمهم الله
تعالى بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لامته فلما راوا ذلك
ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يا رسول الله ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته
فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلوة الجمعة واصبح بشعب احد يوم السبت ونزل في عدوة
الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى صفهم وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا
بالنبل لا ياتونا من ورائنا اذ همت متعلق بقوله سميع عليم او بدل من واذ غدوت طائفتان
منكم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر ان تفشلا ان تجبنا

ان تجبنا وتضعفا روي انه عليه السلام خرج في زهاء الف رجل ووعدهم النصر ان صبروا فلما
بلغوا الشوط انخزل ابن ابي في ثلثمائة فقال علام نقتل انفسنا واولادنا
فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري وقال انشدكم الله تعالى في نبيكم وانفسكم فقال ابن ابي لو نعلم
قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله تعالى فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
والظاهر انها ما كانت عزيمة لقوله تعالى والله وليهما اي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة
ويجوز ان يراد والله ناصرهما فما لهما تفشلان وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي فليتوكلوا
عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر ولقد نصركم الله ببدر تذكير ببعض
ما افادهم التوكل وبدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى به وانتم اذلة حال من الضمير
وانما قال اذلة ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم بضعف الحال وقلة المراكب والسلاح
فاتقوا الله في الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون ما انعم عليكم بتقويكم من نصره او لعلكم
ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه اذ تقول للمؤمنين
ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من اذ غدوت على ان قوله لهم يوم احد وكان مع اشتراط
الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا امر الرسول صلى الله عليه
وسلم لم تنزل الملائكة عليهم السلام الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة منزلين
انكار ان لا يكفيهم ذلك وانما جيء بلن اشعارا بانهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم
وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم قيل امدهم الله تعالى يوم بدر اولا بالف من الملائكة ثم
صاروا ثلثة الاف ثم صاروا خمسة الاف وقرأ ابن عامر منزلين بالتشديد للتكثير او
للتدريج بلى ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم الله ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى
حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال تعالى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم اي المشركون
من فورهم هذا من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير
للسرعة ثم اطلق للحال التي لا ريث فيها ولا تراخي والمعنى ان ياتوكم في الحال يمددكم ربكم بخمسة
الاف من الملائكة في حال اتيانهم بلا تراخ ولا تاخير مسومين معلمين من التسويم الذي هو
اظهار سيما الشيء لقوله عليه السلام لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت او مرسلين
من التسويم بمعنى الاسامة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو وما جعله
الله وما جعل امدادكم بالملائكة الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم به
ولتسكن اليه من الخوف وما النصر الا من عند الله لا من العدة والعدد وهو تنبيه على انه
لا حاجة في نصرهم الى مدد وانما امدهم ووعد لهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث ان
نظر العامة الى الاسباب اكثر وحث على ان لا يبالوا بمن تاخر عنهم العزيز الذي لا يغالب
في اقضيته الحكيم الذي ينصر ويخذل بوسط وبغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع طرفا
من الذين كفروا متعلق بنصركم او وما النصر ان كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم
بقتل بعض واسر اخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين من صناديدهم او يكبتهم

او يخزيهم والكبت شدة غيظ او وهن يقع في القلب واو للتنويع دون الترديد فينقلبوا
خائبين فينهزموا منقطعي الامال ليس لك من الامر شيء اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم
عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم
ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شيء وانما انت مامور لانذارهم وجهادهم
ويحتمل ان يكون معطوفا على الامر او شيء باضمار ان اي ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم
او تعذيبهم شيء او ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وان يكون او بمعنى الا ان اي ليس لك
من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتسر به او يعذبهم فتتشفى منهم وروي ان عتبة بن ابي
وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه
نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه بان فيهم من يؤمن
فانهم ظالمون قد استحقوا التعذيب بظلمهم ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا فله
الامر كله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء صريح في نفي وجوب والتقييد بالتوبة وعدمها
كالمنافي له والله غفور رحيم لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم يا ايها الذين امنوا لا
تأكلوا الربوا اضعافا مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع
اذ كان الرجل منهم يربي الى اجل ثم يزيد فيه زيادة اخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال
المديون وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه
لعلكم تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار التي اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم
وتعاطي افعالهم وفيه تنبيه على ان النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة
واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا
في الطاعة ولعل وعسى في امثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل خبرا له وسارعوا
بادروا واقبلوا الى مغفرة من ربكم الى ما يستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرا
نافع وابن عامر سارعوا بلا واو وجنة عرضها السموات والارض اي عرضها كعرضهما
وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة على طريقة التمثيل لانه دون الطول وعن ابن
عباس رضي الله عنهما كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض اعدت
للمتقين هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم
الذين ينفقون صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب او مرفوع في السراء
والضراء في حال الرخاء والشدة او الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة
اي لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير والكاظمين الغيظ
الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة كظمت القربة اذا ملأتها وشددت
راسها عن النبي صلى الله من كظم الغيظ وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا
والعافين عن الناس التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته وعن النبي عليه السلام
ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب

المحسنين يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد فيكون الاشارة اليهم والذين
اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اذنبوا اي ذنب
كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس
ما ليس كذلك ذكروا الله تذكروا وعيده او حكمه او حقه العظيم فاستغفروا لذنوبهم بالندم
والتوبة ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين
والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول
التوبة ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله صلى الله عليه وسلم
ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون حال من يصروا اي ولم يصروا
على قبيح فعلهم عالمين به اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها خبر للذين ان ابتدأت به وجملة مستأنفة مبينة لما قبلها
ان عطفته على المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين
والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين جزاء
لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل على ان ما لهم ادون مما للمتقين
الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الاية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلين
انه فصل ايتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله وذلك لانهم حافظوا
على حدود الشرع وتخطوا الى التخصص بمكارمه وفصل اية هؤلاء بقوله ونعم اجر
العاملين لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه وكم بين
المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة
والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات
قد خلت من قبلكم سنن وقائع سنها الله تعالى في الامم المكذبة كقوله تعالى
وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال ما عاين الناس من فضل
كفضلكم ولا ارى مثله في سالف السنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة
المكذبين لتعتبروا بما ترون من اثار هلاكهم هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين
اشارة الى قوله تعالى قد خلت او مفهوم قوله فانظروا اي انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو
زيادة بصيرة وموعظة للمتقين او الى ما لخص من امر المتقين والتائبين وقوله قد خلت
اعتراض للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القران ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية لهم
عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم
وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم شانا فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة
وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر
مما اصابوا منكم اليوم او وانتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة
ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي اي لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق

على الله عزّ وجلّ او بالاعلون ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قرأ حمزة والكسائي
وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو
بالفتح الجراح وبالضم المها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم
لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل
كلا المسّين كانا يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول وتلك
الايام نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله
فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاودة يقال داولت
الشيء بينهم فتداولوه والايام يحتمل الوصف والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات
النصر والغلبة وليعلم الله الذين آمنوا عطف على علة محذوفة اي نداولها ليكون كيت
وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المؤمن فيه من المصالح
ما لا يعلم او الفعل المعلل محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على
حرف فعلنا ذلك والقصد في امثاله ونقائضه ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل
الى اثبات المعلوم ونفيه على طريقة البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو
العلم بالشيء موجودا ويتخذ منكم شهداء ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احد
او يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد والله
لا يحب الظالمين الذين يضمرون خلاف ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض وفيه
تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء
للمؤمنين وليمحص الله الذين آمنوا ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة
عليهم ويمحق الكافرين ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشيء قليلا قليلا ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة بل احسبتم ومعناه الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما تجاهدوا
وفيه دليل على انه فرض كفاية والفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ
يعلمَ بفتح الميم على ان اصله يعلمنْ فحذفت النون ويعلم الصابرين نصب باضمار ان
على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على ان الواو للحال كانه قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون
ولقد كنتم تمنون الموت اي الحرب فانها من اسباب الموت او الموت بالشهادة
والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج من قبل ان
تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته فقد رأيتموه وانتم تنظرون اي فقد رأيتموه
معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا
لها ثم جبنوا وانهزموا عنها او على تمني الشهادة فان في تمنيها تمني غلبة الكفار وما محمد الا رسول
قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل افان مات او قتل انقلبتم
على اعقابكم انكار لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت او قتل بعد

بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة للانكار ان
يجعلوا خلو الرسل عليهم السلام قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته روي انه
لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب
عنه مصعب بن عمير وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه
قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ
الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول عم يدعو الى عباد الله فانحاز
اليه ثلثون من اصحابه رض وحموه حتى كشفوا عنه المشركون وتفرق الباقون وقال بعضهم
ليت ابن ابي يأخذ امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل
ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك رض يا قوم ان كان
قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعده فقاتلوا على ما
قاتل عليه قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقولون وابرأ منه اليك وشد بسيفه
فقاتل حتى قتل فنزلت ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بارتداده بل يضر
نفسه وسيجزي الله الشاكرين على نعمة الاسلام بالثبات عليه كانس واضرابه وما
كان لنفس ان تموت الا باذن الله الا بمشية الله تعالى او باذنه لملك الموت في قبض
روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى في علمه تعالى وقضائه لا يستأخرون ساعة ولا
يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال
ووعد للرسول صلى الله عليه وسلم بالحفظ وتأخير الاجل كتابا مصدر مؤكد اذ المعنى
كتب الموت كتابا مؤجلا صفة له اي موقتا لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد ثواب
الدنيا نؤته منها تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم احد فان المسلمين حملوا على المشركين
وهزموهم واخذوا ينهبون فلما رأى الرماة ذلك اقبلوا على النهب وخلوا عليهم
من ورائهم فهزموهم ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي
الشاكرين الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وكأين اصله اي دخلت
الكاف عليها فصارت بمعنى كم والنون تنوين اثبتت في الخط على غير قياس وقرأ
ابن كثير وكائن ككاعن ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملي في لعمري
فصار كيأن ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت
من طائي من نبي بيان قاتل معه ربيون كثير ربانيون علماء اتقياء او عابدون لربهم
وقيل جماعات والربي منسوب الى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
ويعقوب قتل واسناده الى ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه ويؤيد الاول
انه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغييرات النسب
كالكسر فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم من قتل
النبي او بعضهم وما ضعفوا عن العدو او في الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو

واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع
الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب من نفسه ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض باصابهم
عند الارجاف بقتله عليه والله يحب الصابرين فينصرهم ويعظم قدرهم وما كان
قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على
القوم الكافرين اي وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين الا هذا
القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم هضما لها واضافة لما اصابهم الى
سوء اعمالهم لها والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت في مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون
عن خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا لان ان قالوا اعرف
لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث فآتيهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة
والله يحب المحسنين فاتاهم بسبب الاستغفار واللجاء الى الله الغنيمة والعز وحسن
الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الآخرة وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد
به عنده يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا
خاسرين نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو
كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا الى ابي سفيان واشياعه وتستامنوهم يردوكم
الى دينهم وقيل عام في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم بل الله مولاكم
ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين فاستغنوا
به عن ولاية غيره ونصره سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب يريد ما قذف في قلوبهم
من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد
موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم ان شاء الله وقيل لما
رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستأصلوهم فالقى الله
الرعب في قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائي ويعقوب بالضم على الاصل في كل القران بما
اشركوا بالله بسبب اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا اي آلهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل
عليهم به سلطانا وهو كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر واصل السلطنة القوة ومنه
السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين
اي مثواهم فوضع الظاهر موضع الضمير للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله وعده
اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين
لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون
على آثارهم اذ تحسونهم باذنه تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه حتى اذا فشلتم جبنتم
وضعف رايكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل وتنازعتم في الامر يعني
اختلاف الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم فما موقفنا ههنا وقال آخرون
لا نخالف امر الرسول فثبت مكانه اميرهم في نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب

للنهب وهو المعني بقوله وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام
العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز
للغنيمة ومنكم من يريد الآخرة وهم الثابتون محافظة على امر الرسول صلى الله عليه وسلم
ثم صرفكم عنهم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم ليبتليكم على المصائب ويمتحن ثباتكم على
الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمكم على المخالفة والله ذو فضل على
المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو او في الاحوال كلها سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء عليهم
ايضا رحمة اذ تصعدون متعلق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكر والاصعاد الذهاب
والابعاد في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة ولا تلوون على احد لا يقف احد لاحد
ولا ينتظره والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر
فله الجنة في اخراكم في ساقتكم او جماعتكم الاخرى فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم
عطف على صرفكم والمعنى فجازاكم الله تعالى عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام
بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم او فجازاكم غما
بسبب غم اذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر في الشدائد ولا
تحزنوا فيما بعد على نفع فائت وضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من
الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فاثابكم للرسول
عليه الصلوة والسلام اي فاساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية
لكم كيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة والله خبير بما تعملون عالم
باعمالكم وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا انزل الله تعالى عليكم
الامن حتى اخذكم النعاس وعن ابي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف
يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه والامنة الامن نصب على المفعول ونعاسا
بدل منها او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة او مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى
ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن
يغشى طائفة (منكم اي النعاس هم) هم المنافقون وقرأ حمزة والكسائي بالتاء ردا على الامنة والطائفة
المؤمنون حقا وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم اوقعتهم انفسهم في الهموم
او ما يهمهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية صفة
اخرى لطائفة او حال او استئناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على
المصدر اي يظنون بالله تعالى غير الظن الحق الذي يحق ان يظن وظن الجاهلية بدله
وهو الظن المختص بالملة الجاهلية يقولون اي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
بدل من يظنون هل لنا من الامر من شيء هل لنا مما امر الله تعالى ووعد من النصر
والظفر نصيب قط وقيل اخبر ابن ابي بقتل بني الخزرج فقال ذلك والمعنى انا
منعنا تدبير انفسنا وتصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شيء قل ان

ان الامر كله لله اى الغلبة الحقيقية لله تعالى ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون
او القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض وقرا ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع
على الابتداء يخفون فى انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون اى يقولون مظهرين
انهم مسترشدون طالبون للنصر مبطنين الانكار والتكذيب يقولون اى فى انفسهم
او اذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل من يخفون او استيناف على وجه البيان له لو كان
لنا من الامر شىء كما وعد محمد عليه الصلوة والسلام او زعم ان الامر كله لله تعالى ولاوليائه
او لو كان لنا اختيار وتدبير ولم نبرح كما كان رأى ابن ابى وغيره ما قتلنا ههنا لما غلبنا
ولما قتل من قتل منا فى هذه المعركة قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل
الى مضاجعهم اى لخرج الذين قدر الله تعالى عليهم القتل وكتب فى اللوح المحفوظ الى مصارعهم
ولم ينفع الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد فانه قدر الامور ودبرها فى سابق قضائه لا
معقب لحكمه وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمتحن ما فى صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص
والنفاق وهو علة فعل محذوف اى وفعل ذلك ليبتلى او عطف على محذوف اى لبرز
لنفاذ القضاء او لمصالح جمة وللابتلاء او على قوله تعالى لكيلا تحزنوا وليمحص ما فى قلوبكم
وليكشفه ويميزه او يخلصه من الوساوس والله عليم بذات الصدور بخفياتها قبل
اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غنى عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمرين المؤمنين
واظهار حال المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان
ببعض ما كسبوا يعنى ان الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب فى انهزامهم ان
الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبا بترك المركز والحرص على الغنيمة
او الحيوة بمخالفة النبى صلى الله عليه وسلم فمنعوا التاييد وقوة القلب وقيل استزلال
الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فان المعاصى تجر بعضها
بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم وكرهوا القتل قبل اخلاص
التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب
حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كى يتوب يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعنى
المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم وفيهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم فى النسب او المذهب
اذا ضربوا فى الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا
لكنه جاء على حكاية الحال الماضية او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى لو كانوا عندنا
ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به ليجعل الله
ذلك حسرة فى قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها فى ليكون لهم عدوا
وحزنا او لا تكونوا اى لا تكونوا مثلهم فى النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة
فى قلوبهم خاصة وذلك اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهى
اى لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة فى قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم

ومضادتهم مما يغمهم والله يحيى ويميت رد لقولهم اى هو المؤثر فى الحيات والممات لا
الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيى المسافر والغازى ويميت المقيم والقاعد والله
بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرا ابن كثير وحمزة والكسائى بالياء
على انه وعيد للذين كفروا ولئن قتلتم فى سبيل الله او متم اى متم فى سبيله وقرا نافع
وحمزة والكسائى بكسر الميم من مات يمات لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم
وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر والغزاء ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل
وان وقع ذلك فى سبيل الله تعالى فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما
تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وقرا حفص بالياء ولئن متم او قتلتم
على اى وجه اتفق هلاككم لالى الله تحشرون لالى معبودكم الذى توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه
لا الى غيره لا محالة تحشرون فيوفى جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرا نافع وحمزة والكسائى
متم بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم اى فبرحمة وما مزيدة للتاكيد والدلالة على ان
لينه لهم ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم
بعد ان خالفوه ولو كنت فظا سيئ الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من
حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم
فيما لله تعالى وشاورهم فى الامر اى فى امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه
استظهارا برأيهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة فاذا عزمت فاذا
وطنت نفسك على شىء بعد الشورى فتوكل على الله فى امضاء امرك على ما هو اصلح لك
فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم اى فاذا عزمت لك على شىء وعينته لك
فتوكل على ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم الى الصلاح ان
ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد
فمن ذا الذى ينصركم من بعده من بعد خذلانه او من بعد الله تعالى بمعنى اذا جاوزتموه فلا
فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضى للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله تعالى وتحذير عما
يستجلب خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر
سواه وآمنوا به وما كان لنبى ان يغل وما صح لنبى ان يخون فى الغنائم فان النبوة تنافى
الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه فى خفية والمراد منه اما براءة
الرسول عليه السلام عما اتهم به اذ روى ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين
لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها او ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة
وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم
واما المبالغة فى النهى للرسول عليه السلام على ما روى انه بعث طلائع فغنم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين
غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائى ويعقوب ان

ان يغل على البناء للمفعول والمعنى وما صح له ان يوجد غالا وان ينسب الى الغلال ومن يغلل
يات بما غل يوم القيمة يات بالذى غله يحمله على عنقه كما جاء فى الحديث او بما احتمل من
وباله واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت تعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله ان يقال
ثم يوفى ما كسبت لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل
كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم
ولا يزاد على عقاب عاصيهم افمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء رجع بسخط من الله
بسبب المعاصى ومأويه جهنم وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف
الحالة الاولى ولا كذلك المرجع هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت
فى الثواب والعقاب او هم ذوو درجات والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها
صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعث عامة لزيادة انتفاعهم
بها وفرا ولمن من الله على انه خبر محذوف مثل منه او بعثه اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من
نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونون واقفين على حاله فى الصدق
والامانة مفتخرين به وقرئ من انفسهم اى من اشرفهم لانه عليه السلام كان من اشرف قبائل
العرب وبطونهم يتلو عليهم اياته اى القران بعد ما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحى ويزكيهم
يطهرهم من دنس الطباع وسوء العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة القران والسنة
وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين ان هى المخففة واللام هى الفارقة والمعنى وان الشان كانوا
من قبل بعثة الرسول فى ضلال ظاهر اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا الهمزة
للتقريع والتقرير والواو عاطفة للجملة على ما سبق من قصة احد او على محذوف مثل افعلتم كذا
وقلتم ولما ظرفه المضاف الى اصابتكم اى حين اصابتكم مصيبة وهى قتل سبعين منكم يوم
احد والحال انكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من اين هذا اصابنا
وقد وعدنا الله النصر قل هو من عند انفسكم اى مما اقترفته انفسكم من مخالفة الامر بترك
المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة او اختيار الخروج من المدينة وعن على
رضى الله عنه باختيارهم الفداء يوم بدر ان الله على كل شئ قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان
يصيب بكم ويصيب منكم وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم
احد فباذن الله فهو كائن بقضائه وتخلية الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه وليعلم
المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر
هؤلاء وقيل لهم عطف على نافقوا داخل فى الصلة او كلام مبتدأ تعالوا قاتلوا فى سبيل الله
او ادفعوا تقسيم الامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للاخرة او للدفع عن الانفس والاموال وقيل
معناه قاتلوا الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع العدو
ويكسر منه قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن
ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم وانما قالوه

لقد من الله على المؤمنين انعم على من آمن
مع الرسول صلى الله عليه وسلم صح

قالوه دغلا واستهزاء هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانخزالهم وكلامهم هذا فانها اول
امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان
انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم
يظهرون خلاف ما يضمرون لا يواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه
تاكيد وتصوير لنفاقهم والله اعلم بما يكتمون من النفاق وما يخلو به بعضهم الى بعض
فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بامارات الذين قالوا رفع بدلا من
واو يكتمون او نصب على الذم او الوصف للذين نافقوا او جر بدلا من الضمير فى بافواههم
او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم اى لاجلهم يريد من قتل يوم احد من
اقاربهم او من جنسهم وقعدوا حال مقدرة بقد اى قالوا قاعدين عن القتال لو اطاعونا
فى القعود ما قتلوا كما لم نقتل قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين اى
ان كنتم صادقين انكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم
الموت واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن عن القتل فان اسباب الموت
كثيرة وكما ان القتال يكون سببا للهلاك والقعود سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس
ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا نزلت فى شهداء احد وقيل فى شهداء
بدر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد وقرئ بالياء على اسناده
الى ضمير الرسول عليه السلام او من يحسب او الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه
فى الاصل مبتدأ وجائز الحذف عند القرينة وقرا ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين
بل احياء اى بل هم احياء وقرئ بالنصب على بل احسبهم احياء عند ربهم ذوو زلفى منه
يرزقون من الجنة وهو تاكيد لكونهم احياء فرحين بما اتاهم الله من فضله وهو شرف
الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والقرب من الله تعالى والتمتع بنعيم الجنة ويستبشرون
يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اى باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم
من خلفهم اى الذين من خلفهم زمانا او رتبة الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من
الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين من امر الاخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين
وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حيوة لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات
محبوب والاية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى
بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتالمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى فى آل
فرعون النار يعرضون عليها الاية وما روى ابن عباس رضى الله عنه انه عليه السلام قال
ارواح الشهداء فى اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوى الى قناديل
معلقة فى ظل العرش ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم
القيمة وانما وصفوا به فى الحال لتحققه ودنوه او احياء بالذكر او بالايمان وفيها حث على الجهاد
وترغيب فى الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واحماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه

وبشرى للمؤمنين بالفلاح يستبشرون كرره للتوكيد وليتعلق به ما هو بيان لقوله الا خوف و
يجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل
زيادة عليه كقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم وان الله
لا يضيع اجر المؤمنين من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرأ الكسائي بالكسر على انه استئناف
معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة واجوره مضيعة
الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة للمؤمنين او نصب على المدح
او مبتدأ خبره للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر
الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون روي ان ابا
سفيان واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فندب اصحابه للخروج في طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا
بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من
المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله تعالى الرعب
في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب الذي استقبلهم
من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلق عليه الناس لانه من جنسه كما يقال فلان يركب
الخيل وما له الا فرس واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه ان الناس قد
جمعوا لكم فاخشوهم يعني ابا سفيان واصحابه روي انه نادى عند انصرافه من احد يا محمد
موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله فلما كان القابل خرج
في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فانزل الله تعالى الرعب في قلبه وبدا له ان يرجع فمر به ركب
من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل
لقي نعيم ابن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد
المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريدا فترون ان تخرجوا
وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج
في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل فزادهم ايمانا الضمير المستكن
للمفعول او المصدر قال او لفاعله ان اريد به نعيم وحده والبارز للمقول لهم والمعنى انهم
لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله تعالى وازداد ايمانهم واظهروا
حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده
قول ابن عمر قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة
وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة من جملة الايمان وكذا ان لم يجعل
فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التأمل وتناصر الحجج وقالوا حسبنا الله محسبنا و
كافينا من احسبه اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا
في قولك هذا رجل حسبك ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر

من بدر بنعمة من الله عافية وثبات على الايمان وزيادة فيه وفضل ربح في التجارة فانهم
لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا لم يمسسهم سوء من جراحة وكيد عدو واتبعوا
رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخير الدارين بجراءتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد
تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين
واظهار الجراءة على العدو وبالحفظ عن كل ما يسوءهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا
بنعمة منه وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رأيه حيث حرم نفسه ما فازوا به انما ذلكم الشيطان
يريد به المثبط نعيما او ابا سفيان والشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته او صفته
وما بعده خبر ويجوز ان تكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان
يعني ابليس يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع الرسول او يخوفكم اولياءه الذين هم ابو
سفيان واصحابه فلا تخافوهم الضمير للناس الثاني على الاول والى الاولياء على الثاني وخافون
في مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله
تعالى على خوف الناس ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا حرصا عليه
وهم المنافقون من المتخلفين او قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان
يضروك ويعينوا عليك لقوله انهم لن يضروا الله شيئا اي لن يضروا اولياء الله
بمسارعتهم في الكفر وانما يضرون بها انفسهم وشيئا يحتمل المفعول والمصدر
يريد الله الا يجعل لهم حظا في الآخرة نصيبا من الثواب في الآخرة وهو يدل على تمادي
طغيانهم على الكفر وفي ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم الراحمين
ان لا يكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم الى الكفر لانه تعالى لم يرد لهم حظا في الآخرة
ولهم عذاب عظيم مع الحرمان عن الثواب ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن
يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم تكرير للتأكيد او تعميم للكفر بعد تخصيص من نافق
من المتخلفين او ارتد من الاعراب ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم
خطاب للرسول عليه السلام او لكل من يحسب والذين مفعول وانما نملي لهم بدل
منه وانما اقتصر على مفعول واحد لان التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين
كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او المفعول الثاني على تقدير مضاف مثل ولا تحسبن
حال الذين كفروا او اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء
خير لانفسهم وما مصدرية فكان حقها ان تفصل في الخط ولكنها وقعت متصلة في الامام
فاتبع وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب بالياء على ان الذين
فاعل وان مع ما في حيزه مفعول وفتح سينه في جميع القرآن ابن عامر وحمزة وعاصم والاملاء
الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشأنهم من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف
شاء انما نملي لهم ليزدادوا اثما استئناف بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة واللام لام
الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح وبكسر الاولى ولا يحسبن بالياء

على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة والدخول في الايمان
وانما نملي لهم خير اعتراض معناه ان املاءنا خير لهم ان انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم
عذاب مهين على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين
ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب الخطاب لعامة المخلصين
والمنافقين في عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق
من المخلص بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا
الخلص والمخلصون منكم كبذل الاموال والانفس في سبيل الله تعالى ليختبر به بواطنكم ويستدل به
على عقائدكم وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء وما كان
الله ليؤتي احدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر وايمان ولكنه يجتبي لرسالته
من يشاء فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل عليها وقرا حمزة والكسائي
يميز من ميز فامنوا بالله ورسله بصفة الاخلاص او بان تعلموه وحده مطلعا على الغيب
وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله تعالى ولا يقولون الا ما اوحي اليهم
روي ان الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وعن
السدي رحمه الله عليه انه صلى الله عليه وسلم قال عرضت علي امتي واعلمت من يؤمن بي
ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم انه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا
فنزلت وان تؤمنوا حق الايمان وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره
ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم القراءات فيه ما سبق
ومن قرا بالتاء قدر مضافا ليطابق مفعولاه اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون
هو خيرا لهم وكذا من قرا بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول او من يحسب وان جعله
الموصول كان المفعول الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه اي ولا يحسبن البخلاء
بخلهم هو خيرا لهم بل هو اي البخل شر لهم لاستجلاب العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا
به يوم القيمة بيان لذلك والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وعنه صلى الله
عليه وسلم ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله الا جعل الله له شجاعا في عنقه يوم القيمة ولله
ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله
ولا ينفقونه في سبيله او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله بهلاكهم و
يبقى عليهم الحسرة والعقوبة والله بما تعملون من المنع والاعطاء خبير فيجازيكم وقرا
نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات وهو ابلغ في الوعيد
لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قاله اليهود لما سمعوا من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا وروي انه عليه السلام كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني
قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا
حسنا فقال فنحاص بن عازوراء ان الله فقير حين سال القرض فلطمه ابو بكر رضي الله

عنه وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله عليه السلام
وجحد ما قاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب عليه سنكتب ما
قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق اي سنكتبه في صحائف الكتبة او سنحفظه في علمنا ولا نهمله لانه كلمة
عظيمة اذ هو كفر بالله تعالى واستهزاء بالقران والرسول ولذلك نظمه مع قتل الانبياء
عليهم السلام وفيه تنبيه على انه ليس اول جريمة ارتكبوه وان من اجترا على قتل الانبياء
عليهم السلام لم يستبعد منه امثال هذا القول ونقول ذوقوا عذاب الحريق اي وننتقم
منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات في الوعيد والذوق ادراك
الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك سائر المحسوسات والحالات وذكره هاهنا لان
العذاب مرتب على قولهم الناشي عن البخل والتهالك على المال وغالب حاجة الانسان
اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال
ذلك اشارة الى العذاب بما قدمت ايديكم من قتل الانبياء وقولهم هذا وسائر
معاصيهم عبر بالايدي عن الانفس لان اكثر اعمالها بهن وان الله ليس بظلام للعبيد
عطف على ما قدمت وسببية للعذاب من حيث ان نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي
اثابة المحسن ومعاقبة المسيء الذين قالوا هم كعب بن الاشرف ومالك وحيي وفنحاص
ووهب بن يهوذا ان الله عهد الينا امرنا في التورية واوصانا الا نؤمن لرسول
حتى يأتينا بقربان تاكله النار بان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بهذه المعجزة الخاصة التي كانت
لانبياء بني اسرائيل عليهم السلام وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبي عليه السلام فيدعو
فتنزل نار سماوية فتاكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان
اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات شرع في ذلك
قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين تكذيب
والزام بان رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات اخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه
فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن الايمان
لاجله فما لهم لم يؤمنوا بمن جاء به في معجزات اخر واجترؤا على قتله فان كذبوك فقد كذب رسل
من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير تسلية للرسول من تكذيب قومه واليهود
والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشيء اذا حسنته والكتاب
في عرف القران ما يتضمن الشرائع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة
القران وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته وقرا ابن عامر وبالزبر وهشام
وبالكتاب باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات كل نفس ذائقة الموت
وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله
ولا ذاكر الله الا قليلا وانما توفون اجوركم تعطون جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا تاما
وافيا يوم القيمة يوم قيامكم عن القبور ولفظ التوفية يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور

ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن زحزح
عن النار بعد عنها والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز
بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي عليه السلام من احب ان يزحزح عن النار
ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه
وما الحيوة الدنيا اي لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهها بالمتاع الذي يدلس به على
المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن اثرها على الاخرة فاما من طلب بها الاخرة فهي له متاع
بلاغ والغرور مصدر او جمع غار لتبلون اي والله لتختبرن في اموالكم بتكليف الانفاق وما يصيبها
من الافات وانفسكم بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والامراض
والمتاعب ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا
من هجاء الرسول والطعن في الدين واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعها
ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها وان تصبروا
على ذلك وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك يعني الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات
الامور التي يجب العزم عليها او مما عزم الله تعالى عليه اي امر به وبالغ فيه والعزم في الاصل ثبات
الرأي على الشيء نحو امضائه واذ اخذ الله اي اذكر وقت اخذه ميثاق الذين اوتوا الكتاب
يريد به العلماء لتبيننه للناس ولا تكتمونه حكاية لمخاطبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية
ابن عياش بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم الذي ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق
الذين والضمير للكتاب فنبذوه اي الميثاق وراء ظهورهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ
وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب عينيه والقاؤه بين
عينيه واشتروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا واعراضها فبئس ما يشترون
يختارون لانفسهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن علي
رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا لا تحسبن الذين
يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب الخطاب للرسول
ومن فتح الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الاول الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله
فلا تحسبنهم تاكيد والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان
يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة من العذاب اي
فائزين بالنجاة منه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان
الذين فاعل ومفعولا لا تحسبن محذوفان يدل عليهما مفعولا مؤكده فكانه قيل ولا يحسبن
الذين يفرحون بما اتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة او المفعول الاول محذوف وقوله
فلا يحسبنهم تاكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول ولهم عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم روي
انه صلى الله عليه وسلم سال اليهود من شيء مما في التورية فاخبروه بخلاف ما كان فيها واروه
انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم

بانهم رأوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت في المنافقين فانهم يفرحون بمنافقتهم
ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذي لم يفعلوا على الحقيقة ولله ملك السموات والارض
فهو يملك امرهم والله على كل شيء قدير فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير
ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب
لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوي العقول المجلوة الخالصة عن
شوائب الحس والوهم كما سبق في سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلاثة في هذه الاية
لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملته فانه اما ان يكون في ذات الشيء كتغير
الليل والنهار او جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها الذين يذكرون الله قياما وقعودا
وعلى جنوبهم اي يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين وعنه
صلى الله عليه وسلم من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى وقيل معناه
يصلون على الهيات الثلاث حسب طاقتهم لقوله صلى الله عليه وسلم لعمران ابن حصين
رض صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء فهو حجة للشافعي
رحمه الله في ان المريض يصلي مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه ويتفكرون في خلق
السموات والارض استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عليه السلام لا عبادة
كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه صلى الله عليه وسلم بينما رجل مستلق
على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي
فنظر الله اليه فغفر له هذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله ربنا ما خلقت هذا
باطلا على ارادة القول اي يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه او الخلق على انه
اريد به المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما في معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا ضائعا
من غير حكمة بل خلقته لحكمة عظيمة من جملتها ان يكون مبدأ لوجود الانسان لمعاشه ودليلا
يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحيوة الابدية والسعادة السرمدية في جوارك
سبحانك تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار للاخلال
بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء هي الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات
والارض حملهم على الاستعاذة ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته فقد اخزيته غاية
الاخزاء ونظيره قولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ منه
تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب الروحاني افظع وما
للظالمين من انصار اراد بهم المدخلين ووضع المضمر موضع المظهر للدلالة على ان ظلمهم
تسبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة
لان النصرة دفع بقهر ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان اوقع الفعل على المسمع وحذف
المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في ايقاعه على نفس المسموع وفي تنكير المنادي

واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل القران والنداء والدعاء
ونحوهما يعدى بالى واللام لتضمنهما معنى الانتهاء والاختصاص ان امنوا بربكم فامنا اى امنوا
بان امنوا فامتثلنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبائرنا فانها ذات تبعة وكفر عنا سيئاتنا
صغائرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر وتوفنا مع الابرار مخصوصين
بصحبتهم معدودين فى زمرتهم وفيه تنبيه على انهم يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله
احب الله لقاءه والابرار جمع بر او بار كارباب واصحاب ربنا واتنا ما وعدتنا على
رسلك اى ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما اظهر امتثاله لما امر به سال ما وعد
عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون من الموعدين لسوء عاقبة او قصور فى الامتثال
او تعبدا واستكانة ويجوز ان يتعلق على بمحذوف تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك
او محمولا عليهم وقيل معناه على السنة رسلك ولا تخزنا يوم القيامة بان تعصمنا عما يقتضيه
انك لا تخلف الميعاد باثابة المؤمن واجابة الداعى وعن ابن عباس رضى الله عنهما الميعاد
البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة فى الابتهال والدلالة على استقلال المطالب
وعلو شانه وفى الاثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف فاستجاب
لهم ربهم اى طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه وباللام انى لا اضيع عمل عامل منكم
اى بانى لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول من ذكر او انثى بيان عامل بعضكم من بعض
لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لانهما من اصل واحد او الاتصال والاتحاد او للاجتماع
والاتفاق فى الدين وهى جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال
روى ان ام سلمة قالت يا رسول الله انى اسمع الله يذكر الرجال فى الهجرة ولا يذكر النساء
فنزلت فالذين هاجروا الى اخره تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح
والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك او الاوطان والعشائر للدين واخرجوا من ديارهم
واوذوا فى سبيلى بسبب ايمانهم بالله تعالى ومن اجله وقاتلوا الكفار وقتلوا فى الجهاد وقرا
حمزة والكسائى بالعكس لان الواو لا يوجب ترتيبا والثانى افضل او لان المراد لما قتل منهم
قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير لاكفرن عنهم سيئاتهم
لامحونها ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عند الله اى اثيبنهم بذلك
اثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد والله عنده حسن الثواب على الطاعات
قادر عليه لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد
امته او تثبيته على ما كان عليه كقوله تعالى فلا تطع المكذبين او لكل احد والنهى فى المعنى للمخاطب
وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة
والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم فى مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم روى ان بعض المؤمنين
كانوا يرون المشركين فى رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا
من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل خبر مبتدا محذوف اى ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته

مدته فى جنب ما اعد الله تعالى للمؤمنين قال عليه السلام ما الدنيا فى الاخرة الا مثل ما يجعل
احدكم اصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع ثم مأويهم جهنم وبئس المهاد اى ما مهدوا لانفسهم
لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله
النزل ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال ابو الشعر الضبى وكنا اذا الجبار بالجيش
ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيها
الظرف وقيل انه مصدر مؤكد والتقدير انزلوها نزلا وما عند الله لكثرته ودوامه خير
للابرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله
نزلت فى ابن سلام واصحابه وقيل فى اربعين من نجران واثنين وثلاثين من الحبشة
وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل فى اصحمة النجاشى لما نعاه جبرائيل الى النبى صلى
الله عليه وسلم فخرج فصلى عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج نصرانى وانما دخلت
اللام على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم من القران وما انزل اليهم
من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون بايات
الله ثمنا قليلا كما يفعله المحرفون من احبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم ما خص بهم
من الاجر ووعدوه فى قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ان الله سريع الحساب
لعلمه بالاعمال وما يستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التامل والاحتياط والمراد ان الاجر الموعود
سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعى سرعة الجزاء يا ايها الذين امنوا اصبروا على
مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد وصابروا وغالبوا اعداء الله تعالى بالصبر على شدائد
الحرب واعدى عدوكم فى الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته ورابطوا
ابدانكم وخيولكم فى الثغور مترصدين للغزو وانفسكم على الطاعات كما قال عليه السلام من الرباط
انتظار الصلوة بعد الصلوة وعنه من رابط يوما وليلة فى سبيل الله كان كعدل صيام شهر
وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة واتقوا الله لعلكم تفلحون فاتقوه بالتبرى
عما سواه لكى تفلحوا غاية الفلاح او اتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلث المرتبة
التى هى الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس فى رفض العادات ومرابطة السر على
جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة عن النبى صلى الله
عليه وسلم من قرا السورة التى يذكر فيها ال عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب
الشمس سورة النساء مدنية وهى مائة وخمس وسبعون اية بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها
الناس خطاب يعم بنى ادم اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة هى ادم عليه السلام
وخلق منها زوجها عطف على خلقكم اى خلقكم من شخص واحد وخلق منه امكم حواء عليها السلام
من ضلع من اضلاعها او محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير
لخلقهم من نفس واحدة وبث منهما رجالا كثيرا ونساء بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر
من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال

بالكثرة عن وصف النساء اذ الحكمة تقتضي ان يكون اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب
الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها
ان تخشى والنعمة الباهرة التي توجب طاعة موليها او لان المراد به تمهيد للامر بالتقوى
فيما يتصل بحقوق اهل منزله وبني جنسه على ما دلت عليه الايات التي بعدها وقرئ وخالق
وباث على حذف مبتدا تقديره وهو خالق وباث واتقوا الله الذي تسألون به
اي يسأل بعضكم بعضا فيقول اسألك بالله تعالى واصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية
في السين وقرا حمزة وعاصم والكسائي بطرحها والارحام بالنصب عطف على محل الجار
والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا او على الله اي اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها
ولا تقطعوها وقرا حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة وقرئ
بالرفع على انه مبتدا محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اي مما يتقى او يتساءل به وقد نبه
سبحانه اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه وعنه الرحم معلقة بالعرش تقول
من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله تعالى ان الله كان عليكم رقيبا حافظا مطلعا
وآتوا اليتامى اموالهم اي اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه من اليتم وهو
الانفراد ومنه الدرة اليتيمة اما على انه لما جرى مجرى الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتائم
ثم قلب فقيل يتامى او على انه جمع يتمى كاسرى لانه من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى
كاسرى واسارى والاشتقاق يقتضي وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف خصصه
بمن لم يبلغ ووروده في الآية اما للبلغ على الاصل او الاتساع لقرب عهدهم بالصغر
حثا على ان يدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم ان اونس منهم الرشد
ولذلك امر بابتلائهم صغارا او لغير البلغ والحكم مقيد فكانه قال وآتوهم اذا بلغوا ويؤيد
الاول ما روي ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال
منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله تعالى ورسوله نعوذ بالله من الحوب
الكبير ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام من اموالهم بالحلال من اموالكم او
الامر الخبيث وهو اختزال اموالهم بالامر الطيب الذي هو حفظها وقيل ولا تاخذوا الرفيع
من اموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم
ولا تاكلوها مضمومة الى اموالكم لا تنفقوهما ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو
فيما زاد على قدر اجره لقوله تعالى فليأكل بالمعروف انه الضمير للاكل كان حوبا كبيرا
ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا وان
خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء اي ان خفتم ان لا تعدلوا
في يتامى النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب من غيرهن اذ كان الرجل يجد يتيمة ذات
مال وجمال فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن
او ان خفتم ان لا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ان لا تعدلوا بين النساء

بين النساء فانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه لان المتحرج من الذنب ينبغي ان يتحرج الذنوب
كلها على ما روي انه تعالى لما عظم امر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير
النساء واضاعتهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون
من الزنا فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا في امر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم وانما
عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة او اجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره او ما ملكت
ايمانكم وقرئ تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة اي ان خفتم ان تجوروا مثنى وثلاث
ورباع معدولة عن اعداد مكررة هي ثنتين ثنتين وثلث ثلث واربع اربع وهي غير
منصرفة للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان كانت اصولها لم تبن لها وقيل
لتكرير العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب
ومعناها الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين
كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلثة ثلثة ولو افردت كان المعنى تجويز
الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت باو لذهب تجويز الاختلاف في العدد
فان خفتم الا تعدلوا بين هذه الاعداد ايضا فواحدة فاختاروا او فانكحوا واحدة
وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل فعل محذوف او خبره تقديره فتكفيكم واحدة
او فالمقنع واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى بين الواحدة من الازواج والعدد من السراري
لخفة مؤنهن وعدم وجوب القسم بينهن ذلك اي التقليل منهن او اختيار الواحدة
او التسري ادنى ان لا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم
اذا جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام المسماة وفسر بان لا تكثر عيالكم على انه من عال
الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قراءة
ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج وان اريد الاولاد
فلان التسري مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة
بالاضافة الى التزوج الاربع وآتوا النساء صدقاتهن مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون
الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمها على التوحيد
وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة نحلة عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه
عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم الآية لا الى
موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لانها في معنى الايتاء او الحال من الواو او الصدقات
اي آتوهن صدقاتهن ناحلين او منحولة وقيل المعنى نحلة من الله تعالى وتفضلا منه عليهن
فتكون حالا من الصدقات وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا اذا دان به على انه مفعول له
او حال من الصدقات اي دينا من الله شرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم
كانوا ياخذون مهور مولياتهم فان طبن لكم عن شيء منه نفسا الضمير للصداق حملا على المعنى
او يجري مجرى اسم الاشارة كقول رؤبة كانه في الجلد توليع البهق اردت كان ذاك وقيل

للانبياء ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى فان وهبن لكم من الصداق عن
طيب نفس لكن جعل العمدة طيب نفس للمبالغة وعداه بعن لتضمن معنى التجافي والتجاوز
وقال الله تعالى منه بعثا للنفس على تقليل الموهوب فكلوه هنيئا مريئا فخذوه وانفقوه
حلالا بلا تبعة والهنيء والمريء صفتان من هنوء الطعام ومرء اذا ساغ من غير غص اقيمتا
مقام مصدريهما او وصف بهما المصدر او جعلتا حالا من الضمير وقيل الهنيء ما يلذه الانسان
والمريء ما يحمد عاقبته روي ان ناسا كانوا ابناء يتمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق
اليها فنزلت ولا تؤتوا السفهاء اموالكم نهي للاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم
فيضيعوها وانما اضاف المال الى الاولياء لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للايات
المتقدمة والمتأخرة وقيل نهي لكل احد ان يعمد الى ما خوله الله تعالى من المال فيعطي امرأته واولاده
ثم ينظر الى ايديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على انفسهم وهو
اوفق لقوله التي جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون وعلى الاول يؤول بانها
التي من جنس ما جعل الله لكم قياما سمي ما به القيام قياما للمبالغة وقرأ نافع وابن عامر قيما بمعناه
كعوذ بمعنى عياذ وقواما وهو ما يقام به وارزقوهم فيها واكسوهم واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم
بان تتجروا فيها وتحصلوا من منافعها ما يحتاجون اليها وقولوا لهم قولا معروفا عدة جميلة
تطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع او العقل بالحسن والمنكر ما انكره احدهما لقبحه
وابتلوا اليتامى اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والتهدي الى ضبط المال
وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد وعند ابي حنيفة رحمه الله بان يدفع
اليه ما يتصرف فيه حتى اذا بلغوا النكاح حتى اذا بلغوا حد البلوغ بان يحتلم او يستكمل خمس
عشرة سنة عندنا لقوله عليه السلام اذا استكمل المولود خمس عشرة سنة كتب ماله وعليه
واقيمت عليه الحدود وثمانية عشر عند ابي حنيفة رحمه الله وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ
لانه يصلح للنكاح عنده فان آنستم منهم رشدا فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ احستم
بمعنى احسستم فادفعوا اليهم اموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ ونظم الآية ان الشرطية جواب
اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء وكأنه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم
واستحقاقهم دفع اموالهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لا يدفع اليهم ما لم يؤنس
منهم الرشد وقال ابو حنيفة رحمه الله اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة
في تغير الاحوال اذ الطفل يتميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع اليه المال وان لم يؤنس منه الرشد
ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم
ومن كان غنيا فليستعفف من اكلها ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف بقدر حاجته
واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر بان الولي له حق في مال الصبي
وعنه عليه السلام ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افآكل من ماله قال عليه الصلوة والتحية
بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وايراد هذا التقسيم بعد قوله تعالى ولا تأكلوها

ولا تأكلوها يدل على انه نهي للاولياء ان يأخذوا ويتفقوا على انفسهم اموال اليتامى فاذا دفعتم
اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم بانهم قبضوها فانه انفى للتهمة وابعد من الخصومة ووجوب
الضمان فظاهره يدل على ان القيم لا يصدق دعواه الا بالبينة وهو المختار عندنا ومذهب
مالك خلافا لابي حنيفة رحمه الله وكفى بالله حسيبا محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم ولا تتجاوزوا
ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان
والاقربون يريد بهم المتوارثين بالقرابة مما قل منه او كثر بدل مما ترك باعادة العامل
نصيبا مفروضا نصب على انه مصدر مؤكد كقوله تعالى فريضة من الله او حال اذ المعنى ثبت
لهم مفروضا نصيب او على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على
ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه روي ان اوس بن صامت الانصاري
خلف زوجته ام كحة وثلث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه
عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث
من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت ام كحة الى رسول الله في مسجد الفضيخ فشكت
اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله تعالى فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال
اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين فنزل يوصيكم الله فاعطى ام كحة
الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم وهو دليل على جواز تأخير البيان عن الخطاب
واذا حضر القسمة اولو القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين فارزقوهم منه
فاعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب للبلغ
من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك او ما دل عليه القسمة
وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم و
وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله
تعالى ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم
او للحاضرين المريض عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم
شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يضر بهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من
حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم
بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا
في الوصية ولو بما في حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو
شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة
الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده
وتهديد للمخالف بحال اولاده فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى التي
هي غاية الخشية بعد ما امرهم بها مراعاة للمبتدأ والمنتهى اذ لا ينفع الاول دون الثاني
ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب او للمريض

ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضري
القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا وان يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى مجاوزة الثلث
وتضييع الورثة ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما ظالمين او على وجه الظلم انما
يأكلون في بطونهم ملء بطونهم نارا ما يجر الى النار ويؤول اليها وعن ابي بردة انه عليه السلام
قال يبعث الله قوما من قبورهم تتأجج افواههم نارا فقيل من هم فقال الم تر ان الله
يقول ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا
سيدخلون نارا اي نار وقرأ ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففا وقرئ به مشددا
تقول صلى النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته وصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى
مفعول من سعرت النار اذا الهبتها يوصيكم الله يأمركم الله ويعهد اليكم في اولادكم في شأن
ميراثهم وهو اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين اي يعد ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان
فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان فضله والتنبيه
على ان التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية وقد اشتركا في الجهة والمعنى للذكر منهم
فحذف للعلم به فان كن نساء اي ان كان الاولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر فانث الضمير
باعتبار الخبر او على تأويل المولودات فوق اثنتين خبر ثان او صفة لنساء اي نساء زائدات
على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك المتوفى منكم ويدل عليه المعنى وان كانت واحدة فلها النصف
اي ان كانت المولودة واحدة وقرأ نافع بالرفع على كان التامة واختلف في الثنتين فقال
ابن عباس رضي الله عنهما حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما
حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان
اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك
بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث
مع اخيها فبالحري ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض
لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك ولابويه اي ولابوي الميت لكل واحد منهما
بدل منه بتكرير العامل وفائدة التنصيص على استحقاق كل واحد منهما والتفصيل بعد الاجمال
تأكيد السدس مما ترك ان كان له للميت ولد ذكر او انثى غير ان الاب يأخذ السدس
مع الانثى بالفرضية وما بقي من ذوي الفروض ايضا بالعصوبة فان لم يكن له ولد وورثه ابواه
فحسب فلامه الثلث مما ترك وانما لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه
فقط وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب وكأنه قال فلهما ما ترك اثلاثا وعلى هذا ينبغي
ان يكون لها حيث معهما احد الزوجين ثلث ما بقي من فرضه كما قال الجمهور لا ثلث المال
كما قال ابن عباس رضي الله عنهما فانه يفضي الى تفضيل الانثى على الذكر المساوي لها في الجهة
والقرب وهو خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة فلامه السدس باطلاقه يدل على ان
الاخوة يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب وعن ابن عباس رضي

رضي الله عنهما انهم يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد
اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان من الاخوة والاخوات وقال ابن عباس رضي الله
عنهما لا يحجب الام من الثلث ما دون الثلاثة ولا الاخوات الخلص اخذا بالظاهر وقرأ
حمزة والكسائي فلإمه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التي قبلها من بعد وصية يوصي بها
او دين متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها اي هذه الانصباء للورثة من
بعد ما كان من وصية او دين وانما قال باو التي للاباحة دون الواو للدلالة على انهما
متساويان في الوجوب مقدمان على القسمة مجموعين ومنفردين وقدم الوصية على الدين
وهي متأخرة في الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين
انما يكون على الندور وقرأ ابن كثير وابن عامر يوصى على البناء للمفعول اباؤكم وابناؤكم لا
تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اي لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم في عاجلكم
وآجلكم فتحروا فيهم ما وصاكم الله به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روي ان احد المتوالدين
اذا كان ارفع درجة من الآخر في الجنة سأل ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته او من مورثيكم منهم
او من اوصى منهم فعرضكم للثواب بامضاء وصيته او من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد
لامر القسمة او تنفيذ الوصية فريضة من الله مصدر مؤكد او مصدر يوصيكم الله لانه في معنى يأمركم
ويفرض عليكم ان الله كان عليما بالمصالح والرتب حكيما فيما قضى وقدر ولكم نصف ما ترك
ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اي ولد وارث من بطنها
او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم من بعد وصية
يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما
تركتم من بعد وصية توصون بها او دين فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمرأة كما في النسب
وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى عنه الا اولاد الام والمعتق
ويستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن وان كان رجل اي الميت يورث اي يورث
منه من ورث صفة رجل كلالة خبر كان او يورث خبره وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم
يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان
الرجل الوارث ويورث من اورث وكلالة من ليس بوالد ولا ولد وقرئ يورث على
البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة تحتمل المعاني الثلاثة وعلى الاول خبر او حال وعلى الثاني
مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهي في الاصل مصدر بمعنى الكلال قال الاعشى فآليت لا ارثي
لها من كلالة فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية لانها كالة بالاضافة اليها ثم وصف بها المورث
والوارث بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي او امرأة عطف على رجل وله اي وللرجل
واكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه اخ او اخت اي من الام ويدل عليه
قراءة ابي وسعد بن مالك وله اخ او اخت من الام وانه ذكر في آخر السورة ان للاختين
الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام وان ما قدر ههنا فرض الام فيناسب ان يكون

لاولاد بها فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث
سوى بين الذكر والانثى في القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة ومفهوم الاية انهم لا يرثون
ذلك مع الام والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن فخص فيه بالاجماع من بعد وصية
يوصى بها او دين غير مضار اى غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث او قصد المضارة بالوصية
دون القربة والاقرار بدين لا يلزمه وهو حال من فاعل يوصى المذكور في هذه القراءة والمدلول
عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول في قراءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم وصية
من الله مصدر مؤكد او منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده ان قرئ غير مضار وصية
بالاضافة اى لا يضار وصية من الله تعالى وهو الثلث فما دونه بالزيادة او وصية منه
بالاولاد بالاسراف في الوصية والاقرار الكاذب والله عليم بالمضار وغيره حليم
لا يعاجل بعقوبته تلك اشارة الى الاحكام التي تقدمت في امر اليتامى والوصايا
والمواريث حدود الله شرائعه التي هي كالحدود المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها
ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز
العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين
توحيد الضمير في يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرا نافع وابن عامر ندخله بالنون
وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا
وليسا صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير من هما له واللاتي
يأتين الفاحشة من نسائكم اى يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها
اذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها فاستشهدوا عليهن اربعة
منكم فاطلبوا ممن قذفهن اربعة من رجال المؤمنين يستشهدوا عليهن فان شهدوا
فامسكوهن في البيوت فاحبسوهن في البيوت واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفاهن
الموت يستوفى ارواحهن الموت او يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن
في اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد به التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن
كيلا يجرى عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله
الزانية والزاني او يجعل الله لهن سبيلا كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغني
عن السفاح واللذان يأتيانها منكم يعني الزانية والزاني فآذوهما بالتوبيخ والتقريع
وقيل بالتعيير والجلد فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما فاقطعوا عنهما الايذاء او اعرضوا
عنهما بالاغماض والستر ان الله كان توابا رحيما علة الامر بالاعراض وترك المذمة
وقيل هذه الاية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة الزناة الاذى ثم الحبس ثم الجلد
وقيل الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين والزانية والزاني في الزناة انما التوبة
على الله اى ان قبول التوبة كالمحتوم على الله تعالى بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل
توبته للذين يعملون السوء بجهالة ملتبسين بها سفها فان ارتكاب الذنب سفه

وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع من جهالته ثم يتوبون من قريب
من زمان قريب اى قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله عليه السلام
ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحيوة قريب كقوله تعالى قل متاع الدنيا
قليل او قبل ان يشرب في قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض اى
يتوبون في اى جزء من الزمان القريب الذي هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت او يزين
السوء فاولئك يتوب الله عليهم وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة
على الله وكان الله عليما فهو يعلم باخلاصهم في التوبة حكيما والحكيم لا يعاقب التائب وليست
التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الان ولا الذين
يموتون وهم كفار سوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين
من مات على الكفر في نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة وكانه قال وتوبة
هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين
يعملون السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون الكفار
اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما تأكيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب اعده لهم لا يعجزه
عذابهم متى شاء والاعتداد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال
الاولى تاء يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات وله
عصبة القى ثوبه على امرأته وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها
غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدى بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل
لا يحل لكم ان تأخذوهن على سبيل الارث فتزوجوهن كارهات لذلك او مكرهات عليه
وقرأ حمزة والكسائى كرها بالضم في مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه
ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن عطف على ان ترثوا ولا لتأكيد النفي اى ولا
تمنعوهن من التزوج واصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل
الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن
بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل الا ان
يأتين بفاحشة مبينة كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء من اعم
عام الظرف او المفعول له تقديره لا تعضلوهن للافتداء الا وقت ان يأتين بفاحشة
او لا تعضلوهن لعلة الا ان يأتين بفاحشة وقرأ ابن كثير وابو بكر بفاحشة مبينة ههنا
وفي الاحزاب والطلاق بفتح الياء والباقون بكسرها فيهن وعاشروهن بالمعروف
بالانصاف في الفعل والاجمال في القول فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا
ويجعل الله فيه خيرا كثيرا اى فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره ما هو اصلح دينا
واكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه وليكن نظركم الى ما هو اصلح للدين وادنى الى الخير وعسى في الاصل
علة الجزاء فاقيم مقامه والمعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا

وهو خير لكم وان اردتم استبدال زوج مكان زوج تطليق امرأة وتزوج اخرى وآتيتم
احديهن اي احدى الزوجات جمع الضمير لانه اراد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا فلا
تاخذوا منه شيئا اي من القنطار اتأخذونه بهتانا واثما مبينا استفهام انكار وتوبيخ اي اتأخذونه
باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما في قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب
بهتانهم واقترافهم المآثم وقيل كان الرجل منهم اذا اراد جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها
الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي
يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر ههنا بالظلم وكيف
تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض انكار لاسترداد المهر والحال انه وصل اليها بالملامسة ودخل
بها وتقرر المهر واخذن منكم ميثاقا غليظا عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة او ما اوثق
الله تعالى عليهم في شانهن بقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه النبي
عليه السلام بقوله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم ولا
تنكحوا التي نكحها اباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول
من المصدر من النساء بيان ما نكح على الوجهين الا ما قد سلف استثناء من المعنى اللازم للنهي
وكانه قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح اباؤكم الا ما قد سلف او من اللفظ للمبالغة في التحريم
والتعميم كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى ولا تنكحوا حلائل
ابائكم الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوه وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف فانه
لا مواخذة عليه لا انه مقرر انه كان فاحشة ومقتا علة للنهي اي ان نكاحهن كان فاحشة عند
الله تعالى ما رخص فيه لامة من الامم ممقوتا عند ذوي المروات ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة
ابيه المقتي وساء سبيلا سبيل من يراه ويفعله حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم
وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ليس المراد تحريم ذاتهن بل تحريم نكاحهن لانه معظم ما يقصد
منهن ولانه المتبادر الى الفهم كتحريم الاكل من قوله حرمت عليكم الميتة ولان ما قبله وما بعده في النكاح
وامهاتكم تعم من ولدتك او ولدت من ولدك وان علت وبناتكم يتناول من ولدتها
او ولدت من ولدها وان سفلت واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلثة وكذلك الباقيات
والعمة كل انثى ولدها من ولد ذكرا والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى ولدتك قريبا او بعيدا
وبنات الاخ والاخت يتناول القربى والبعدى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم
من الرضاعة نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما والمراضعة اختا
وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذي در عليه اللبن قال
عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب واستثناء اخت ابن الرجل وام اخيه
من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما في النسب بالمصاهرة دون النسب
وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ذكر اولا محرمات
النسب ثم الرضاعة لان لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض

عارض لمصلحة الزوج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من آخر سمي به لانه يربه
كما يرب ولده في غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقه التاء لانه صار اسما واللاتي
بصلتها صفة لها مقيدة للفظ والحكم بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها بالامهات
ايضا لان من اذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية فان علقتها بالامهات لم يجز ذلك
بل وجب ان يكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور الادباء
اللهم الا اذا جعلتها للاتصال كقوله فاني لست منك ولست مني على معنى ان امهات
النساء وبناتهن متصلات بهن لكن الرسول صلى الله عليه وسلم فرق بينهما فقال
في رجل تزوج امرأة وطلقها قبل ان يدخل بها انه لا باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان
يتزوج امها واليه ذهب عامة العلماء غير انه روي عن علي رضي الله عنه تقييد التحريم فيهما
ولا يجوز ان يكون الموصول الثاني صفة للنساء ين لان عاملها مختلف وفائدة قوله
تعالى في حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن وهن في
احتضانكم او بصدده قوي الشبه بينها وبين اولادكم وصارت احقاء بان تجروها مجراهم
لا تقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روي عن علي رضي الله عنه جعله شرطا
والامهات والربائب تتناول لان القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن اي دخلتم معهن
الستر وهي كناية عن الجماع ويؤثر فيه اللمس بزنا كالوطي بشبهة او ملك يمين وعند ابي
حنيفة رحمه الله لمس المنكوحة ونحوه كالدخول فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم
تصريح بعد اشعار دفعا للقياس وحلائل ابنائكم زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها
او لحلولها مع الزوج الذين من اصلابكم احتراز عن المتبنين لا عن ابناء الولد وان تجمعوا
بين الاختين في موضع الرفع عطف على المحرمات والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح
فان المحرمات المعدودة كما هي محرمة في النكاح فهي محرمة في ملك اليمين ولذلك قال عثمان
وعلي رضي الله عنهما حرمتهما آية واحلتهما آية يعنيان هذه الاية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح
علي رضي الله عنه التحريم وعثمان رضي الله عنه التحليل وقول علي رضي الله عنه اظهر لان اية التحليل
مخصوصة في غير ذلك ولقوله عليه السلام ما اجتمع الحلال والحرام الا غلب الحرام الا ما قد سلف
استثناء عن لازم المعنى او منقطع معناه لكن ما قد سلف مغفور لقوله ان الله كان غفورا
رحيما والمحصنات من النساء ذوات الازواج احصنهن التزويج او الازواج وقرأ الكسائي
بكسر الصاد لانهن احصن فروجهن الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانهم من اللاتي سبين
ولهن ازواج كفار فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبي لقول ابي سعيد رضي الله عنه اصبنا
سبايا يوم اوطاس ولهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبي عليه السلام فنزلت
الاية فاستحللناهن واياه عنى الفرزدق بقوله وذات حليل انكحتها رماحنا حلال لمن
يبني بها لم تطلق وقال ابو حنيفة رحمه الله عليه لو سبي الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل
للسابي واطلاق الاية والحديث حجة عليه كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي كتب الله

عليكم تحريم هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اى هذه فرائض الله عليكم وكتب الله
بلفظ الفعل واحل لكم عطف على الفعل المضمر الذى نصب كتاب الله وقرا حمزة والكسائى
وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على حرمت ما وراء ذلكم ما سوى المحرمات
الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما فى معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع
بين المرأة وعمتها وخالتها ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين مفعول له والمعنى احل
لكم ما وراء ذلكم ارادة ان تبتغوا النساء باموالكم بالصرف فى مهورهن او اثمانهن فى حال
كونكم محصنين غير مسافحين او بدل من ما وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على ان
المهر لا بد ان يكون مالا ولا حجة فيه والاحصان العفة فانها تحصين للنفس عن اللوم
والعقاب والسفاح الزنا من السفح وهو صب المنى فانه الغرض منه فما استمتعتم به
منهن فمن تمتعتم به من المنكوحات او فما استمتعتم به من هن من جماع او عقد عليهن فآتوهن
اجورهن مهورهن فان المهر فى مقابلة الاستمتاع فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او
صفة مصدر محذوف اى ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من
بعد الفريضة فيما يزاد على المسمى او يحط عنه بالتراضى او فيما تراضيا به من نفقة او مقام
او فراق وقيل نزلت الآية فى المتعة التى كانت ثلاثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخت
كما روى انه صلى الله عليه وسلم اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس انى كنت امرتكم بالاستمتاع
من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وهى النكاح الموقت بوقت معلوم
سمى بها اذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمراة وتمتيعها بما يعطى وجوزها ابن عباس رضى الله
عنهما ثم رجع عنه ان الله كان عليما بالمصالح حكيما فيما شرع من الاحكام ومن لم يستطع
منكم طولا غنى واعتلاء واصله الفضل والزيادة ان ينكح المحصنات المؤمنات فى موضع
النصب بطولا او بفعل مقدر صفة له اى ومن لم يستطع منكم ان يعتلى به نكاح المحصنات
او لم يستطع غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعنى الحرائر لقوله تعالى فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم
المؤمنات يعنى الاماء المؤمنات وظاهر الآية حجة الشافعى رحمه الله فى تحريم نكاح الامة
على من ملك ما يجعله صداق حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا واول ابو حنيفة طول المحصنات
بان يملك فراشهن على ان النكاح هو الوطى وحمل قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل كما
حمل عليه فى قوله المحصنات المؤمنات ومن اصحابنا من حمله ايضا على التقييد وجوز نكاح الامة
لمن قدر على الحرة الكتابية دون المؤمنة حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور فى نكاح الامة
رق الولد وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج وقرا الكسائى المحصنات بكسر الصاد فى كل القرآن
الا قوله والمحصنات من النساء لانهن احصن فروجهن والله اعلم بايمانكم فاكتفوا بظاهر الايمان
فانه العالم بالسرائر وبتفاضل ما بينكم فى الايمان فرب امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا
فضل الايمان لا فضل النسب والمراد تأنيسهم بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيده
بعضكم من بعض انتم وارقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم عليه السلام ودينكم الاسلام فانكحو

فانكحوهن باذن اهلهن يريد اربابهن واعتبار اذنهم مطلقا لا اشعار له على ان لهن
ان يباشرن العقد بانفسهن حتى يحتج به الحنفية وآتوهن اجورهن اى ادوا
اليهن مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى مواليهن فحذف المضاف
للعلم بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدى اليه وقال مالك المهر للامة ذهابا
الى الظاهر بالمعروف بغير مطل واضرار ونقصان محصنات عفائف غير مسافحات
غير مجاهرات بالسفاح ولا متخذات اخدان اخلاء فى السر فاذا احصن بالتزويج وقرا
ابو بكر وحمزة والكسائى بفتح الهمزة والصاد والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد فان اتين
بفاحشة زنا فعليهن نصف ما على المحصنات يعنى الحرائر من العذاب من الحد لقوله
تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه
لا يرجم لان الرجم لا يتنصف ذلك اى نكاح الاماء لمن خشى العنت منكم لمن خاف الوقوع
فى الزنا وهو فى الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من
مواقعة الاثم بافحش القبائح وقيل المراد به الحد وهذا شرط آخر لنكاح الاماء وان تصبروا خير لكم اى
وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم قال عليه السلام الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه
والله غفور لمن لم يصبر رحيم بان رخص له يريد الله ليبين لكم ما تعبدكم به من الحلال
والحرام او ما خفى عليكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وليبين مفعول يريد واللام زيدت
لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما فى قول كما فى قول قيس بن سعد اردت لكيما يعلم
الناس انه سراويل قيس والوفود شهود وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له اى
يريد الحق لاجله ويهديكم سنن الذين من قبلكم مناهج من تقدمكم من اهل الرشد
لتسلكوا طريقهم ويتوب عليكم ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يمنعكم عن المعاصى ويحثكم
على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم والله عليم بها حكيم فى وضعها والله يريد ان يتوب
عليكم كرره للتأكيد والمقابلة ويريد الذين يتبعون الشهوات يعنى الفجرة فان اتباع الشهوات
الائتمار لها واما المتعاطى لما سوغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له فى الحقيقة لا لها وقيل
المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت ان تميلوا
عن الحق ميلا بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات عظيما بالاضافة
الى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل لها يريد الله ان يخفف عنكم فلذلك شرع لكم
الشرعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم فى المضائق كاحلال نكاح الامة وخلق الانسان
ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ويحتمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضى الله عنه ثمان
آيات فى سورة النساء هى خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلث
وان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال
ذرة ومن يعمل سوءا ما يفعل الله بعذابكم يا ايها الذين امنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم
بالباطل بما لم يبحه الشرع كالغصب والربوا والقمار الا ان تكون تجارة عن تراض

منكم استثناء منقطع اى ولكن كون تجارة عن تراض غير منهى عنه او اقصدوا كون تجارة وعن
تراض صفة لتجارة اى تجارة صادرة عن تراضى المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه
التى بها يحل تناول مال الغير لانها اغلب وارفق لذوى المروات ويجوز ان يراد بها الانتقال
مطلقا وقيل المقصود بالنهى المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله تعالى وبالتجارة صرفه
فيما يرضاه وقرا الكوفيون تجارة بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم اى الا
ان تكون التجارة او الجهة تجارة ولا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله جهلة الهند
وبالقاء النفس الى التهلكة ويؤيده ما روى ان عمرو بن العاص تأوله فى التيمم لخوف البرد
فلم ينكر عليه النبى عليه السلام او بارتكاب ما يؤدى الى قتلها او باقتراف ما يذللها ويرديها
فانه القتل الحقيقى للنفس وقيل المراد بالانفس من كان من اهل دينهم فان المؤمنين كنفس
واحدة جمع فى التوصية بين حفظ النفس والمال الذى هو شقيقها من حيث انه سبب
قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفى فضائلها رأفة بهم ورحمة كما اشار
بقوله تعالى ان الله كان بكم رحيما اى امر ما امر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم معناه انه
كان بكم يا امة محمد رحيما لما امر بنى اسرائيل بقتل الانفس ونهيكم عنه ومن يفعل ذلك اشارة
الى القتل او ما سبق من المحرمات عدوانا وظلما افراطا فى التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه
وقيل اراد بالعدوان التعدى على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب فسوف
نصليه نارا ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه
شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله تعالى او لذلك من حيث انه سبب الصلى
وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف عنه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون
عنه كبائر الذنوب التى نهاكم الله تعالى ورسوله عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر
عنكم سيئاتكم نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم اختلف فى الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل
ذنب رتب الشارع عليه حدا او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبى عليه
السلام انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التى حرم الله وقذف المحصنة واكل مال
اليتيم والربوا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضى الله عنهما الكبائر
الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وقيل اراد به هنا انواع الشرك لقوله تعالى ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما
فوقها وما تحتها فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وما بينهما وسائط
يصدق عليها الامران فمن عن له امران منها ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك
فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر ولعل هذا
مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الا ترى انه تعالى وتقدس عاتب نبيه فى كثير من
خطراته التى لم تعد على غيره خطيئة فضلا ان يؤاخذه عليها وندخلكم مدخلا كريما الجنة
وما وعد من الثواب او ادخالا مع كرامة وقرا نافع بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان و

المكان والمصدر ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض من الامور الدنيوية كالجاه والمال
فلعل عدمه خير والمقتضى للمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتعادى معربة عن عدم الرضا بما
قسم الله تعالى له وانه تشهى لحصول الشئ له من غير طلب وهو مذموم لان تمنى ما لم يقدر له معارضة
لحكمة القدر وتمنى ما قدر له بكسب بطالة وتضييع حظ وتمنى ما قدر له بغير كسب ضائع
ومحال للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن بيان لذلك اى لكل
من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل
لا بالحسد والتمنى كما قال عليه السلام ليس الايمان بالتمنى وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل
الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة
والنقص كالمكتسب له واسألوا الله من فضله اى لا تتمنوا ما للناس واسألوا
الله مثله من خزائنه التى لا تنفد وهو يدل على ان المنهى هو الحسد او لا تتمنوا واسألوا
الله من فضله بما يقربه ويسوقه اليكم ان الله كان بكل شئ عليما فهو يعلم ما يستحقه كل
انسان فيفضل عن علم وتبيان روى ان ام سلمة قالت يا رسول الله يغزو الرجال
ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت ولكل جعلنا موالى مما ترك
الوالدان والاقربون اى ولكل تركة جعلنا وراثا يلونها ويحرزونها ومما ترك بيان
لكل مع الفصل بالعامل او ولكل ميت جعلنا وراثا مما ترك على ان من صلة موالى
لانه فى معنى الوراث وفى ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استيناف مفسر
للموالى وفيه خروج الاولاد فان الاقربون لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين او و
لكل قوم جعلناهم موالى حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالى صفة
كل والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدا وخبر والذين عقدت ايمانكم
الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله تعالى واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض وعن ابى حنيفة رحمه الله لو اسلم رجل على يدى رجل وتعاقدا على ان
يتعاقلا ويتوارثا صح وورث او الازواج على ان العقد عقد النكاح وهو مبتدا
ضمن معنى الشرط وخبره فآتوهم نصيبهم او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك
زيدا فاضربه او معطوف على الوالدان وقوله تعالى فآتوا جملة مسببة عن الجملة المتقدمة
مؤكدة لها والضمير للموالى وقرا الكوفيون عقدت بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم
فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف فى القراءة الاخرى ان
الله كان على كل شئ شهيدا تهديد على منع نصيبهم الرجال قوامون على النساء يقومون
عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين موهبى وكسبى بما فضل الله بعضهم
على بعض بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة
فى الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر
والشهادة فى مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوهما والتعصيب وزيادة

السهم في الميراث والاستبداد بالفراق وبما انفقوا من اموالهم في نكاحهن كالمهر
والنفقة روي ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت
زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله عليه السلام فشكى فقال عليه السلام
لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير فالصالحات
قانتات مطيعات لله تعالى قائمات بحقوق الازواج حافظات للغيب بمواجب
الغيب اي يحفظن في غيبة الازواج ما يجب حفظه في النفس والمال وعنه عليه السلام خير
النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك
في مالها ونفسها وتلا الاية وقيل لاسرارهم بما حفظ الله بحفظ الله تعالى اياهن بالامر
على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او بالذي حفظه الله لهن عليهم
من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب
على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذي حفظ
حق الله وطاعته تعالى وهو التعفف والشفقة على الرجال واللاتي تخافون نشوزهن
عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز فعظوهن واهجروهن في المضاجع
في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحاف او لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل
المضاجع المبائت اي لا تبايتوهن واضربوهن يعني ضربا غير مبرح ولا شائن و
الامور الثلاثة مترتبة ينبغي ان يدرج فيها فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا
بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن
فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه
فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه على علو شانه وكبرياء سلطانه يتجاوز
عن سيئاتكم ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم او انه يتعالى ويتكبر ان يظلم
احدا او ينقص حقه وان خفتم شقاق بينهما خلافا بين المرأة وزوجها اضمرهما
وان لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما لاجرائه مجرى
المفعول به كقوله يا سارق الليلة او الفاعل كقوله نهارك صائم فابعثوا
حكما من اهله وحكما من اهلها فابعثوا ايها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبين
الامر او اصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله وآخر من اهلها
فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب.
فلو نصبا الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات واستدل به
على جواز التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح ذات البين او لتبين الامر ولا يليان
الجمع والتفريق الا باذن الزوجين وقال مالك لهما ان يتخالعا ان وجدا الصلاح
فيه ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما الضمير الاول للحكمين والثاني للزوجين
اي ان قصدا الاصلاح اوقع الله تعالى بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين

الزوجين وقيل كلاهما للحكمين اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما و
يحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان ارادا الاصلاح يوفق الله تعالى بينهما الالفة
والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه ان الله كان عليما خبيرا
بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا
صنما او غيره او شيئا من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما
وبذي القربى وبصاحب القرابة واليتامى والمساكين والجار ذي القربى الذي قرب
جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص
تعظيما لحقه والجار الجنب البعيد او الذي لا قرابة له وعنه عليه السلام الجيران ثلثة
فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق
الاسلام وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب والصاحب بالجنب
الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل المرأة
وابن السبيل المسافر والضيف وما ملكت ايمانكم العبيد والاماء ان الله لا يحب من
كان مختالا متكبرا يانف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم
الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل بدل من قوله من كان او نصب على الذم
او رفع عليه اي هم الذين او مبتدا وخبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا به
ويامرون الناس بالبخل به وقرا حمزة والكسائي بالبخل بفتح الحرفين وهي لغة ويكتمون
ما آتاهم الله من فضله الغنى والعلم حقاء بكل ملامة واعتدنا للكافرين عذابا مهينا
وضع الظاهر فيه موضع المضمر اشعارا بان من هذا شانه فهو كافر لنعمة الله تعالى ومن
كان كافرا لنعمة الله تعالى فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والاية نزلت
في طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار تنصحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم
الفقر وقيل في الذين كتموا صفة محمد عليه السلام والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس
عطف على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم في الذم والوعيد لان البخل والسرف
الذي هو الانفاق لا على ما ينبغي من حيث انهما طرفا افراط وتفريط سواء في القبح واستجلاب
الذم او مبتدا خبره محذوف مدلول عليه بقوله تعالى ومن يكن الشيطان ولا يؤمنون
بالله ولا باليوم الآخر ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركوا مكة وقيل المنافقون
ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا تنبيه على ان الشيطان قرنهم فحملهم على ذلك
وزينه لهم كقوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين في النار وماذا عليهم
لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله اي وما الذي عليهم او اي تبعة تحيق
بهم بالايمان والانفاق في سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد
في الشيء على خلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم الى العلم
بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغي ان

يجب اليه اختياطا فكيف اذا تضمن النافع وانما قدم الايمان ههنا واخره في الاية الاخرى
لان القصد بذكره الى التخصيص ههنا والتعليل ثمه وكان الله بهم عليما وعيدلهم ان الله
لا يظلم مثقال ذرة لا ينقص من الاجر ولا يزيد في العقاب اصغر شئ كالذرة وهي النملة
الصغيرة ويقال لكل جزء من اجزاء الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفي ذكره ايماء الى انه
وان صغر قدره عظم جزاؤه وان تك حسنة وان يكن مثقال الذرة حسنة وانث
الضمير لتانيث الخبر او لاضافة المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها
بحروف العلة وقرا ابن كثير ونافع حسنة بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف
ثوابها وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعّفها وكلاهما بمعنى ويؤت من لدنه
ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا على ما وعد في مقابلة العمل اجرا عظيما
عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه تابع للاجر مزيد عليه فكيف اذا جئنا من كل امة
فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم من امة بشهيد يعني نبيهم يشهد
على فساد عقايدهم وقبح اعمالهم والعامل في الظرف مضمون المبتدا والخبر وجئنا بك
يا محمد على هؤلاء شهيدا تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك بعقايدهم واستجماع
شرعك مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الى
المؤمنين لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ
يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض بيان لحالهم حينئذ اي يود الذين
جمعوا بين الكفر وعصيان الامر او الكفرة والعصاة في ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى
بهم الارض كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء ولا يكتمون الله
حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان
تسوى بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون الله حديثا ويكذبون بقولهم والله ربنا ما كنا
مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد
الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرا نافع وابن عامر تسّوى على ان اصله
تتسوى فادغم التاء في السين وحمزة والكسائي تَسَوى على حذف التاء الثانية يقال
سويته فتسوى يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا
ما تقولون اي لا تقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر حتى تنتبهوا وتعلموا
ما تقولون في صلوتكم روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع مادبة ودعا نفرا من الصحابة
حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب فتقدم
احدهم ليصلي بهم فقرا اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلوة مواضعها وهي
المساجد وليس المراد منه نهي السكران عن قربان الصلوة وانما المراد النهي عن الافراط
في الشرب والسكر من السكر وهو السد وقرئ سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع
كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى وسكرى كحبلى على انه صفة للجماعة ولا جنبا عطف

عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة في موضع النصب على الحال والجنب الذي اصابه الجنابة
يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه يجري مجرى المصدر الا عابري سبيل متعلق
بقوله تعالى ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اي لا تقربوا الصلوة جنبا في عامة الاحوال
الا في السفر وذلك اذا لم يجد الماء ويتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم او صفة لقوله تعالى
جنبا اي جنبا غير عابري سبيل وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر الصلوة
بمواضعها فسر عابري سبيل بالمجتازين فيها وجوّز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي
رحمه الله وقال ابو حنيفة رحمه الله لا يجوز له المرور في المسجد الا اذا كان فيه الماء او الطريق
حتى تغتسلوا غاية النهي عن القربان حال الجنابة وفي الاية تنبيه على ان المصلي ينبغي ان
يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه وان كنتم مرضى مرضا تخافون
معه عن استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد او مرضا يمنعه عن الوصول اليه او على سفر
لا تجدون فيه او جاء احد منكم من الغائط فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين
واصل الغائط المطمئن من الارض او لامستم النساء او ماسستم بشرتهن ببشرتكم
وبه استدل الشافعي على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل او جامعتموهن وقرا حمزة والكسائي
لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة فلم تجدوا ماء فلم تتمكنوا من استعماله
اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المترخص بالتيمم اما محدث او جنب والحال
المقتضية له في غالب الامر مرض او سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث
لما لم يجر ذكره ذكر اسبابه ما يحدث بالذات وما يحدث بالعرض واستغنى عن تفصيل احواله
بتفصيل حال الجنب وبيان العذر مجملا وكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر او محدثين
جئتم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم و
ايديكم اي فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده
على حجر صلد ومسح اجزاه وقال اصحابنا لا بد من ان يعلق باليد شئ من التراب لقوله تعالى
في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي من بعضه وجعل من لابتداء الغاية تعسف اذ
لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم للعضو الى المنكب وما روي انه عليه السلام تيمم
ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان المراد ههنا وايديكم الى المرافق ان
الله كان عفوا غفورا فلذلك يسر الامر عليكم ورخص لكم الم تر الى الذين اوتوا من رؤية
البصر اي الم تنظر اليهم او القلب وعدي بالى لتضمين معنى الانتهاء نصيبا من الكتاب
حظا يسيرا من علم التورية لان المراد احبار اليهود يشترون الضلالة يختارونها
على الهدى او يستبدلونها به بعد تمكنهم منه او حصوله لهم بانكار نبوة محمد عليه السلام وقيل
ياخذون الرشى ويحرفون التورية ويريدون ان تضلوا ايها المؤمنون السبيل سبيل
الحق والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم فاحذروهم
وكفى بالله وليا يلي اموركم وكفى بالله نصيرا يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء

يراد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي من الذين هادوا بيان
للذين اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراضا او بيان لاعدائكم او صلة لنصيرا
اي ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم منهم او خبر محذوف صفته يحرفون الكلم عن مواضعه
اي ومن الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اي يميلونها عن مواضعها التي وضعه الله تعالى فيها
بازالته عنها واثبات غيره فيها او يأولونه على ما يشتهون فيميلونه عما انزل الله تعالى فيه
وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة ويقولون سمعنا قولك
وعصينا امرك واسمع غير مسمع اي مدعوا عليك بلا سمعت بصم او موت او اسمع
غير مجاب الى ما تدعوا اليه او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك
لان اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به او اسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه
وانما قالوه نفاقا وراعنا انظرنا نكلمك او نفهم كلامك ليا بالسنتهم فتلا بها وصرفا
للكلام الى ما يشبه السب حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير
مسمع موضع لا اسمعت مكروها اي فتلا بها وضما لما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما يضمرون
من السب والتحقير نفاقا وطعنا في الدين استهزاء به وسخرية ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا
واسمع وانظرنا ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه لكان خيرا لهم واقوم لكان قولهم ذلك
خيرا لهم واعدل وانما يجب حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه
ولكن لعنهم الله بكفرهم ولكن خذلهم وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا
قليلا الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الايات والرسل ويجوز ان يراد
بالقلة العدم كقوله قليل التشكي للمهم يصيبه او الا قليلا منهم امنوا او سيؤمنون
يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها
على ادبارها من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة ادبارها يعني الاقفاء او ننكسها
الى ورائها في الدنيا او في الاخرة واصل الطمس ازالة الاعلام المائلة وقد يطلق الطمس في ازالة الصورة
ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان نغير وجوها فنسلب وجاهتها واقبالها
ونكسوها الصغار والادبار او نردها الى حيث جاءت منه وهي اذرعات الشام يعني اجلاء
بني النضير ويقرب منه قول من قال ان المراد بالوجوه الرؤساء او من قبل ان نطمس وجوها بان
نعمي الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع فنردها عن الهداية الى
الضلال او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت ونخزيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب السبت او نمسخهم
مثل مسخهم او نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود عليه السلام والضمير لاصحاب الوجوه
او للذين على طريقة الالتفات او للوجوه ان اريد به الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل
على ان المراد به ليس مسخ الصورة في الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال انه بعد
مترقب او كان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم وقد امن منهم طائفة وكان امر الله بايقاع شيء
او وعيده او ما حكم به وقضاه مفعولا نافذا او كائنا فيقع لا محالة ما اوعدتم به ان لم

ان لم تؤمنوا ان الله لا يغفر ان يشرك به لانه بت الحكم على خلود عذابه وان ذنبه لا
ينمحي عنه اثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره ويغفر ما دون ذلك اي ما دون الشرك صغيرا
كان او كبيرا لمن يشاء تفضلا عليه واحسانا وعقله المعتزلة الفعلين على معنى ان الله
لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه
تقييد بلا دليل اذ ليس عموم ايات الوعيد بالمحافظة اولى منه ونقض لمذهبهم فان تعليق
الامر بالمشيئة ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها فالاية كما هي حجة عليهم
فهي حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب شرك وان صاحبه خالد في النار ومن
يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ارتكب ما يستحقر دونه الاثام وهو اشارة الى المعنى
الفارق بينه وبين سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل
وكذلك الاختلاق الم تر الى الذين يزكون انفسهم يعني اهل الكتاب قالوا نحن ابناء
الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤا باطفالهم الى رسول الله عليه السلام فقالوا هل على
هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا
بالليل كفر عنا بالنهار وفي معناهم من زكى نفسه واثنى عليها بل الله يزكي من يشاء تنبيه على
ان تزكيته هو المعتد به دون تزكية غيره فانه العالم بما ينطوي عليه الانسان من حسن
وقبيح وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين واصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا او قولا
ولا يظلمون بالذم او العقاب على تزكيتهم انفسهم بغير حق فتيلا ادنى ظلم واصغره وهو الخيط
الذي في شق النواة يضرب به المثل في الحقارة انظر كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم
انهم ابناء الله تعالى وازكياء عنده وكفى به بزعمهم هذا او بالافتراء اثما مبينا لا يخفى
كونه مأثما من بين اثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون
بالجبت والطاغوت نزلت في يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى
عند الله تعالى مما يدعوا اليه محمد عليه السلام وقيل في حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف
في جمع اليهود خرجوا الى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله عليه السلام فقالوا
انتم اهل الكتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لالهتنا حتى نطمئن
اليكم ففعلوا والجبت في الاصل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله سبحانه وتعالى
وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل
من معبود او غيره ويقولون للذين كفروا لاجلهم وفيهم هؤلاء اشارة اليهم اهدى
من الذين امنوا سبيلا اقوم دينا وارشد طريقا اولئك الذين لعنهم الله ومن
يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب عنه بشفاعة او غيرها ام لهم نصيب من الملك
ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود
من ان الملك سيصير اليهم فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اي لو كان لهم نصيب من الملك
فاذا لا يؤتون احدا ما يوازي نقيرا وهو النقرة في ظهر النواة وهذا هو الاغراق في بيان

شحهم فانهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا اذلاء متفاقرين ويجوز ان
يكون المعنى انكار انهم اوتوا نصيبا من الملك على الكناية وانهم لا يؤتون الناس شيئا
واذا اذا وقع بعد الواو والفا لا لتشريك مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ
فاذا لا يؤتوا على النصب ام يحسدون الناس بل يحسدون رسول الله عليه السلام واصحابه
او العرب او الناس جميعا لان من حسد على النبوة فكانما حسد الناس كلهم كمالهم
ورشدهم وبخهم وانكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل وكان بينهما
تلازما وتجاذبا على ما آتيهم الله من فضله يعني النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل
النبي الموعود منهم فقد آتينا آل ابرهيم الذين هم اسلاف محمد عليه السلام وابناء عمه
الكتاب والحكمة النبوة وآتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد ان يؤتيه الله تعالى مثل ما آتاهم
فمنهم من اليهود من آمن به بمحمد صلى الله عليه وسلم او بما ذكر من حديث آل ابرهيم عليه
السلام ومنهم من صد عنه اعرض عنه ولم يؤمن به وقيل معناه فمن آل ابرهيم من آمن
به ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك توهين امره فكذا لا يوهن كفر هؤلاء امرك وكفى
بجهنم سعيرا نارا مسعورة يعذبون بها اي ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد لهم
من سعير جهنم ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان والتقرير لذلك
كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى كقولك
بدلت الخاتم قرطا او بان يزال عنه اثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب كما قال
ليذوقوا العذاب اي ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلد آخر والعذاب في الحقيقة
للنفس العاصية المدركة لا لآلة ادراكها فلا محذور ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريد
حكيما يعاقب على وفق حكمته والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لان
الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض لهم فيها ازواج مطهرة من الحيض والنفاس وجميع اقذار
الدنيا وندخلهم ظلا ظليلا فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة
التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل لتاكيده كقولهم شمس شامس وليل اليل
ويوم ايوم ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها خطاب يعم المكلفين والامانات
وان نزلت يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة وابى ان يدفع
المفتاح ليدخل فيها وقال لو علمت انه رسول الله عليه السلام لم امنعه فلوى علي رضي الله
عنه يده واخذ منه وفتح فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله
العباس رضي الله عنه ان يعطيه المفتاح له السقاية والسدانة فامر الله تعالى ان يرده
اليه فامر عليا رضي الله عنه ان يرده ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحي
بان السدانة في اولاده ابدا واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل اي وان تحكموا
بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة

وضيفة الولاة قيل الخطاب لهم ان الله نعما يعظكم به اي نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء
الذي يعظكم به فما منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف
على كلا التقديرين وهو المامور به من اداء الامانات والعدل في الحكومات ان الله كان
سميعا بصيرا باقوالكم واحكامكم وما تفعلون في الامانات يا ايها الذين آمنوا اطيعوا
الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم يريد بهم امراء المسلمين في عهد الرسول وبعده ويندرج
فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر الناس بطاعتهم بعد ما امرهم بالعدل تنبيها على ان
وجوب طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى
اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فان تنازعتم فان اختلفتم انتم واولوا الامر منكم
في شيء من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد في حكمه بخلاف
المرؤوس الا ان يقال الخطاب لاولي الامر على طريقة الالتفات فردوه فراجعوا فيه الى الله
الى كتابه والرسول بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة الى سنته بعده واستدل به منكرو القياس
وقالوا انه اوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة دون القياس واجيب بان رد
المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك
الامر به بعد الامر بطاعة الله تعالى وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يدل على ان
الاحكام ثلاثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة بالرد اليهما على وجه القياس ان كنتم
تؤمنون بالله واليوم الآخر فان الايمان يوجب ذلك ذلك اي الرد خير لكم واحسن
تاويلا عاقبة او احسن تاويلا من تاويلكم بلا رد الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل
اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت عن ابن عباس رضي الله
عنه ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق
الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله عليه السلام فحكم لليهودي فلم يرض
المنافق بقضائه وقال نتحاكم الى عمر رضي الله عنه فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله
عليه السلام فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق اكذلك فقال نعم فقال
مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد
قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله تعالى ورسوله فنزلت وقال جبريل عليه السلام
ان عمر رضي الله فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن
الاشرف وفي معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله سمي بذلك لفرط طغيانه او لتشبهه
بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه كما قال وقد
امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا وقرئ ان يكفروا بها على
ان الطاغوت جمع كقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم واذا قيل لهم تعالوا الى ما
انزل الله والى الرسول وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم
اللام لواو الضمير رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا وهو مصدر او اسم

للمصدر الذي هو الصد والفرق بينه وبين الصدّ انه غير محسوس والصد محسوس ويصدون
في موقع الحال فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة كقتل عمر رضي الله المنافق او النقمة
من الله تعالى بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك وعدم الرضا بحكمك ثم جاؤك حين
يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون
بالله حال ان اردنا الا احسانا وتوفيقا ما اردنا بذلك الا الفصل بالوجه الاحسن
والتوفيق بين الخصمين ولم يرد مخالفتك وقيل جاء اصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا
ما اردنا بالتحاكم الى عمر رضي الله عنه الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه
اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب
من العقاب فاعرض عنهم اي عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم او عن قبول معذرتهم وعظهم
بلسانك وكفهم عما هم عليه وقل لهم في انفسهم اي في معنى انفسهم او خاليا بهم فان النصح
في السر انجع قولا بليغا يبلغ المراد منهم ويؤثر فيهم امره بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم
والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء عليهم السلام صلوات
الله عليهم اجمعين وتعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا في انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان
معمول الصفة لا يتقدم الموصوف والقول البليغ في الاصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود
به وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله بسبب اذنه في طاعته وامره المبعوث اليهم
بان يطيعوه وكانه احتج بذلك على ان الذي لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كان كافرا
مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسول لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض
بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم
بالنفاق او التحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به ار جاؤك
فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص واستغفر لهم الرسول واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم
شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشانه وتنبيها على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار
التائب وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع في كبائر الذنوب لوجدوا الله
توابا رحيما لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان توابا
حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه فلا وربك اي فوربك ولا مزيدة لتاكيد القسم
لا لتظاهر لا في قوله تعالى لا يؤمنون لانها تزاد ايضا في الاثبات كقوله تعالى لا اقسم
بهذا البلد حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت به او من حكمك او شكا من اجله
فان الشاك في ضيق من امره ويسلموا تسليما وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم و
باطنهم ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم تعرضوا بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل
بنو اسرائيل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا في معنى امرنا او اخرجوا من دياركم
خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل وقرا ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا بكسر النون

النون على اصل التحريك او اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو ولا تنسوا الفضل
وقرا عاصم وحمزة بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل
ما فعلوه الا قليل منهم الا اناس قليل وهم المخلصون لما بين ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا حق
التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا او لاحد
مصدري الفعلين وقرا ابن عامر بالنصب على الاستثناء او على الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا
ما يوعظون به من متابعة الرسول ومطاوعته طوعا ورغبة لكان خيرا لهم في عاجلهم واجلهم
واشد تثبيتا في دينهم لانه اشد لتحصيل العلم ونفي الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم ونصبه
على التمييز والاية ايضا مما نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل انها والتي قبلها نزلتا في حاطب
بن ابي بلتعة خاصم زبيرا في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل
الماء الى جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم احبس
الماء الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما
جواب لسؤال مقدر كانه قيل وما يكون لهم بعد التثبت فقال واذا لو تثبتوا لاتيناهم لان
اذا جواب وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح
عليهم ابواب الغيب قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله
والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة
اكرم الخلائق واعظمهم قدرا من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان
للذين حال منه او من ضميره قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث كافة
الناس على ان لا يتاخروا عنهم وهم الانبياء عليهم السلام الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون
حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر
في الحجج والايات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا
على الاشياء واخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار
الحق حتى بذلوا مهجهم في اعلاء كلمة الله تعالى ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم في طاعته
واموالهم في مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله تعالى وهؤلاء اما ان
يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين في مقام الاستدلال والبرهان والاولون
اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشيء قريبا وهم الانبياء ام
لا فيكونون كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون والاخرون اما ان يكون
بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون وحسن اولئك رفيقا
في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز او الحال ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق
او لانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روي ان ثوبان مولى رسول الله عليه السلام
اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فساله عن حاله فقال ما بي من وجع غير اني اذا لم ارك

اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فخفت
ان لا اراك هناك لانى عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت فى منزل
دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت ذلك اشارة الى ما
للمطيعين من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم او الى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم
الفضل صفته من الله خبره او الفضل خبره ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة
وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه او بمقادير الفضل واستحقاق اهله يا ايها الذين آمنوا
خذوا حذركم تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر والحذر كالاثر والاثر وقيل ما يحذر
به كالحزم والسلاح فانفروا فاخرجوا الى الجهات ثبات جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبت
على فلان تثبية اذا ذكرت متفرق محاسنه ويجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه او انفروا
جميعا مجتمعين كوكبة واحدة والآية وان نزلت فى الحرب لكن يقتضى اطلاق لفظها وجوب
المبادرة الى الخيرات كلها كيفما امكن قبل الفوات وان منكم لمن ليبطئن الخطاب لعسكر
رسول الله عليه السلام المؤمنين منهم والمنافقين والمبطؤن منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا
عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ وهو لازم او ثبطوا غيرهم كما ثبط ابن ابى ناسا يوم احد
من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل واللام الاولى للابتداء دخلت اسم ان للفصل
بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن
فى ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن فان اصابتكم مصيبة كقتل
وهزيمة قال اى المبطئ قد انعم الله على اذ لم اكن معهم شهيدا حاضرا فيصيبنى ما اصابهم
ولئن اصابكم فضل من الله كفتح وغنيمة ليقولن اكده تنبيها على فرط تحسرهم وقرئ
بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من كان لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل
ومفعوله وهو يا ليتنى كنت معهم فافوز فوزا عظيما للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان
قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وانما يريد ان يكون معكم لمجرد المال او حال عن الضمير
فى ليقولن او داخل فى المقول اى يقول المبطئ لمن ثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين
تضريبا وحسدا كان لم يكن بينكم وبين محمد مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز
يا ليتنى كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولى وهو ضعيف اذ لا يفصل ابعاض الجملة
بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكان مخففة من الثقيلة واسمه ضمير الشان وهو محذوف
وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتأنيث لفظ المودة
والمنادى فى يا ليتنى محذوف اى يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع فافوز نصب على جواب
التمنى وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز فى ذلك الوقت او العطف على كنت فليقاتل فى
سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة اى الذين يبيعونها بها والمعنى ان بطأ
هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم فى طلب الآخرة او الذين
يشرونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطؤن والمعنى حثهم على ترك ما حكى عنهم ومن

يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وعد له الاجر العظيم
غلب او غلب ترغيبا فى القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله على اذ لم اكن معهم شهيدا
وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد ينبغى ان يثبت فى المعركة حتى يعز نفسه
بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء
الحق واعزاز الدين وما لكم مبتدا وخبر لا تقاتلون فى سبيل الله حال والعامل فيها ما فى
الظرف من معنى الفعل والمستضعفين عطف على اسم الله تعالى اى وفى سبيل المستضعفين
وهو تخليصهم عن الاسر وصونهم عن العدو او على سبيل بحذف المضاف اى وفى خلاص المستضعفين
ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله تعالى يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من
ايدى الكفار اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين
وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما
ذكر الولدان مبالغة فى الحث وتنبيها على تناهى ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان
وان دعوتهم اجيب بسبب مشاركتهم فى الدعاء حتى تشاركوا فى استنزال الرحمة واستدفاع
البلية وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع وليد الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه
القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا فاستجاب
الله تعالى دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقى منهم خير ولى وناصر
ففتح مكة على نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد
فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما
اسند اليه فان اسم الفاعل او المفعول اذا اجرى على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث
على حسب ما عمل فيه الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله فيما يصلون به الى الله والذين
كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فيما يبلغ بهم الى الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان
لما ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله ان كيد
الشيطان كان ضعيفا اى ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله تعالى للكافرين ضعيف
لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شئ واوهنه الم تر الى الذين قيل لهم
كفوا ايديكم اى عن القتال واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واشتغلوا بما امرتم به فلما
كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله يخشون الكفار ان يقتلوهم
كما يخشون الله ان ينزل عليهم بأسه واذا للمفاجاة جواب لما وفريق مبتدا وصفته يخشون
خبره كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول ووقع موقع المصدر او الحال من فاعل يخشون
اى يخشون الناس مثل اهل خشية الله تعالى منه او اشد خشية عطف عليه ان جعلته مصدرا فلان
افعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله تعالى
اى كخشية الله او كخشية اشد خشية منه على الفرض اللهم الا ان يجعل الخشية ذات خشية كقولهم
جد جده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله تعالى او خشية اشد خشية من خشية الله

تعالى وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة
الكف عن القتال حذرا عن الموت ويحتمل انهم ما تفوهوا به ولكن قالوه في انفسهم
فحكى الله تعالى عنهم قل متاع الدنيا قليل سريع التقضي والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا
ولا تنقصون ادنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من آجالكم المقدرة وقرأ ابن كثير وحمزة
والكسائي ولا يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم الموت قرئ بالرفع على حذف
الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على انه كلام مبتدأ واينما متصل بلا
تظلمون اي اينما تكونوا لا تظلمون فتيلا ولو كنتم في بروج مشيدة في قصور او في حصون
مرتفعة والبروج في الاصل بيوت على اطراف القصر من تبرجت المرأة اذا اظهرت وقرئ
مشيدة وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر
اذا رفعه وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه
من عندك كما يقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية تقعان على النعمة والبلية
وهما المراد في الآية اي ان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله وان تصبهم بلية كقحط اضافوها
اليك وقالوا ان هي الا بشؤمك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها
وغلت اسعارها قل كل من عند الله يبسط ويقبض حسب ارادته فمال هؤلاء القوم
لا يكادون يفقهون حديثا يوعظون به وهو القرآن فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه
لعلموا ان الكل من عند الله او حديثا ما كبهائم لا افهام لهم او حادثا من صروف الزمان
فيتفكروا فيها فيعلموا ان الباسط القابض هو الله تعالى ما اصابك يا انسان من حسنة
من نعمة فمن الله تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود
فكيف يقتضي غيره ولذلك قال عليه السلام ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله تعالى قيل ولا انت
قال ولا انا وما اصابك من سيئة من بلية فمن نفسك لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصي
وهو لا ينافي قوله قل كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة احسان
وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا
نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله تعالى اكثر
والآيتان كما ترى لا حجة فيهما لنا وللمعتزلة وارسلناك للناس رسولا حال قصد بها التاكيد
ان علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها اي رسولا للناس جميعا كقوله وما ارسلناك
الا كافة للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وكفى بالله شهيدا
على رسالتك بنصب المعجزات من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه في الحقيقة مبلغ
والآمر هو الله روي انه عليه السلام قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع
الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت
النصارى عيسى فنزلت ومن تولى عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم
اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف ويقولون

ويقولون اذا امرتهم بامر طاعة اي امرنا طاعة او منا طاعة واصلها النصب على المصدر ورفعها
للدلالة على الثبات فاذا برزوا من عندك خرجوا بيت طائفة منهم غير الذي تقول اي زورت خلاف
ما قلت لها او ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل
او من بيت الشعر او من بيت المبني لانه يسوى ويدبر وقرأ ابو عمرو وحمزة بيت طائفة بالادغام لقربهما
في المخرج والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائفهم للمجازاة او في جملة ما يوحى اليك لتطلع على اسرارهم فاعرض عنهم
قلل المبالاة بهم او تجاف عنهم وتوكل على الله في الامور كلها سيما في شأنهم وكفى بالله وكيلا يكفيك معرتهم
وينتقم فلا يتدبرون القرآن يتأملون في معانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبر النظر في ادبار الشيء
ولو كان من عند غير الله اي ولو كان من كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من تناقض المعنى
وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل ومطابقة
بعض اخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض احكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان
القوة البشرية ولعل ذكره ههنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض في الحكم بل
لاختلاف الاحوال في الحكم والمصالح واذا جاءهم امر من الامن او الخوف مما يوجب الامن او الخوف
اذاعوا به افشوه كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عم او اخبرهم
الرسول بما اوحي اليه من وعد بالظفر وتخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم وكانت اذاعتهم مفسدة
والباء مزيدة او لتضمن الاذاعة معنى التحديث ولو ردوه ولو ردوا ذلك الخبر الى الرسول والى
اولي الامر منهم الى رأيه ورأي كبار الصحابة البصراء بالامور او الامراء لعلمه على اي وجه يذكر الذين
يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره بتجاربهم وانظارهم وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين
فيذيعونها فيعود وبالا على المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم حتى يسمعوه منهم وتعرفوا انه
هل يذاع لعلم ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي يستخرجون علمه من جهتهم واصل
الاستنباط اخراج النبط وهو الماء الذي يخرج من البئر اول ما يحفر ولولا فضل الله عليكم ورحمته بارسال الرسول
وانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان بالكفر والضلال الا قليلا منكم تفضل الله تعالى عليه بعقل راجح
اهتدى به الى الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل
او الا اتباعا قليلا على الندور فقاتل في سبيل الله ان تثبطوا وتركوك وحدك لا تكلف
الا نفسك الا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك
احد فان الله ناصرك لا الجنود روي انه عليه السلام دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج فكرهه
بعضهم فنزلت فخرج صلى الله عم وما معه الا سبعون لم يلو على احد وقرئ لا تكلف بالجزم ولا نكلف
بالنون على بناء الفاعل اي لا نكلفك الا فعل نفسك لا انا لا نكلف احدا الا نفسك لقوله وحرض
المؤمنين على القتال اذ ما عليك في شأنهم الا التحريض عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا يعني
قريشا وقد فعل بان القى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا والله اشد بأسا من قريش واشد تنكيلا
تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة حسنة راعى بها حق مسلم ودفع
بها عنه ضرا او جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله تعالى ومنها الدعاء لمسلم قال عم من دعا لاخيه بظهر

العيب استجب له وقال الملك ولك مثل ذلك يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها
ومن يشفع شفاعة سيئة يريد بها محرما يكن له كفل منها نصيب من وزرها مساو لها في القدر وكان الله على كل شيء
مقيتا مقتدرا من اقات على الشيء اذا قدر قال وذي ضغن كففت الضغن عنه وكنت على اسائته مقيتا او شهيدا
حافظا واشتقاقه من القوت فانه يقوي البدن ويحفظه واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها الجمهور على انه
في السلام ويدل على وجوب الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قالها المسلم زاد
وبركاته وهي النهاية واما برد مثله لما روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عم عليك فقال وعليك السلام
مشروع فلا يرد في الخطبة وقراءة القرآن في الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها ومنه قيل او للترديد
بين ان يحيي المسلم ببعض التحية وبين ان يحيي بتمامها والتحية في الاصل مصدر حياك الله
على الاخبار من الحيوة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلام وقيل المراد
بالتحية العطية واجب الثواب او الرد على المتهب وهو قول قديم للشافعي ان الله كان على كل شيء حسيبا
يحاسبك على التحية وغيرها الله لا اله الا هو مبتداء وخبر او الله مبتداء والخبر ليجمعنكم الى يوم القيمة اي الله
والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيمة او مفضين اليه او في يوم القيمة ولا اله الا هو اعتراض والقيام
والقيمة كالطلاب والطلابة وهي قيام الناس من القبور او للحساب لا ريب فيه في اليوم
او في الجمع فهو حال من اليوم او صفة للمصدر ومن اصدق من الله حديثا انكار ان يكون احد اكثر
صدقا فانه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله تعالى محال فما لكم في المنافقين
فئتين فما لكم تفرقتم في امر المنافقين فئتين اي فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم حال وذلك ان ناسا
منهم استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو واجتووا المدينة فلما خرجوا
لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين المسلمون في اسلامهم وقيل نزلت
في المتخلفين يوم احد وفي يوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها
لكم او عاملها ما لكم تقول ما لك قائما وفي المنافقين حال من فئتين اي متفرقين فيهم او من الضمير
اي فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين والله اركسهم بما كسبوا ردهم
الى حكم الكفرة او نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشيء مقلوبا اتريدون
ان تهدوا من اضل الله ان تجعلوه من المهتدين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا
الى الهدى ودوا لو تكفرون كما كفروا تمنوا ان تكفروا ككفرهم فتكونون سواء فتكونون
سواء معهم سواء في الضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني
لجاز فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا وتحققوا
ايمانهم بهجرة هي لله ورسوله لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه فان تولوا
عن الايمان المظاهر بالهجرة او عن اظهار الايمان فخذوهم فاقتلوهم حيث وجدتموهم
كسائر الكفرة ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اي جانبوهم راسا ولا تقبلوا منهم ولاية
ونصرة الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم
اي الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم وتفارقوا محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل الاسلميون

الاسلميون فانه عليه السلام وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان
لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجاء اليه فله من الجوار مثل ما له وقيل بنو بكر بن زيد بن
مناة او جاؤكم عطف على الصلة اي او الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قوم
استثناء عن المامور باخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين او اتى
الرسول وكف عن قتال الفريقين او على الصفة قوم وكانه قيل الا الذين يصلون الى
قوم معاهدين او قوم كافين عن القتال لكم وعليكم والاول اظهر لقوله فان اعتزلوكم
وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة لقوم او بيان ليصلون او استيناف
حصرت صدورهم حال باضمار قد ويدل عليه ان قرئ حصرة صدورهم وحصرت
او بيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف اي جاؤكم قوما حصرت صدورهم وهم بنو مدلج جاؤا
رسول الله عليه السلام غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا
قومهم اي عن ان او لان او كراهة ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم بان قوى
قلوبهم وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم
فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما
اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم هم
اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار الدينة واظهروا الاسلام ليامنوا المسلمين
فلما رجعوا كفروا كلما ردوا الى الفتنة دعوا الى الكفر او الى قتال المسلمين اركسوا فيها
عادوا اليها وقلبوا فيها اقبح قلب فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم وينبذوا اليكم
العهد ويكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم فان مجرد
الكف لا يوجب نفي التعرض واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة في
التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم او تسلطا ظاهرا حيث
اذن لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له وليس من شانه ان يقتل مؤمنا بغير حق الا خطاء
فانه على عرضته ونصبه على الحال او المفعول له اي لا يقتله في شيء من الاحوال الا حال الخطاء
او لا يقتله لعلة الا للخطاء او على انه صفة مصدر محذوف اي الا قتلا خطاء وقيل
ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع اي لكن ان قتله خطاء فجزاؤه ما يذكر والخطاء
ما لا يضامه القصد الى الفعل او الشخص او لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به
محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير المكلف وقرئ خطاء
بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والاية نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي
جهل من الام لقي حارث بن زيد في طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله
ومن قتل مؤمنا خطاء فتحرير رقبة اي فعليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق
والحر كالعتيق للكريم من الشيء ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمي به لان الكرم في
الاحرار والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها بالراس مؤمنة محكوم باسلامها وان كانت

صغيرة ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول ضحاك بن
سفيان الكلابي كتب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرني ان اورث امرأة اشيم
الضبابي من عقل زوجها وهي على العاقلة فان لم تكن فعلى بيت المال فان لم يكن ففي ماله
الا ان يصدقوا يتصدقوا عليه بالدية سمي العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله
وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او بمسلمة اي تجب الدية عليه
او يسلمها الى اهله الا حال تصدقهم عليه او زمانه فهو في محل النصب على الحال من القاتل او الاهل
او الظرف فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة اي ان كان المؤمن
المقتول من قوم كفار بين او في تضاعيفهم ولم يعلم ايمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية
لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم لانهم محاربون وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة
الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم كفرة معاهدين او اهل الذمة فحكمه حكم المسلم
في وجوب الكفارة والدية ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا او كان له وارث مسلم فمن
لم يجد رقبة بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فصيام شهرين متتابعين فعليه او فالواجب
عليه صيام شهرين توبة نصب على المفعول له اي شرع ذلك له توبة من تاب الله عليه
اذا قبل توبته او على المصدر اي وتاب الله عليكم توبة او حال بحذف مضاف اي فعليه
صيام شهرين ذا توبة من الله صفتها وكان الله عليما بحاله حكيما فيما امر به ومن
يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما
لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس رضي الله عنه لا تقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله
اراد به التشديد اذ روي عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله تعالى واني
لغفار لمن تاب وآمن ونحوه وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره
ويؤيده انه نزل في مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله فامرهم
رسول الله عليه بان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة
مرتدا او المراد بالخلود المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة على ان عصاة المسلمين
لا يدوم عذابهم يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله سافرتم وذهبتم للغزو فتبينوا
فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا ولا تقولوا لمن
القى اليكم السلام لمن حياكم بتحية الاسلام وقرأ نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير الالف
اي الاستسلام والانقياد وفسر به السلام ايضا لست مؤمنا وانما فعلت ذلك
متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح اي مبذولا له الامان تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون
ماله الذي هو حطام سريع النفاد وهو حال من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على
العجلة وترك التثبت فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم عن قتل امثاله لماله كذلك كنتم
من قبل اي اول ما دخلتم في الاسلام تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنت بها دماءكم واموالكم
من غير ان يعلم مواطاة قلوبكم السنتكم فمن الله عليكم بالاشتهار بالايمان والاستقامة في

في الدين فتبينوا وافعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم
دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون عند الله تعالى من قتل امرئ مسلم وتكريره
تأكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم ان الله كان بما تعملون خبيرا عالما به
وبالغرض منه فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه روي ان سرية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم غزت اهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة باسلامه فلما رأى الخيل الجأ غنمه الى
عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام
عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت في المقداد مر برجل في غنيمة فاراد
قتله فقال لا اله الا الله محمد رسول الله فقتله وقال ود لو فر باهله وماله وفيه دليل على
صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطئ وان خطأه مغتفر لا يستوي القاعدون عن الحرب
من المؤمنين في موضع الحال من القاعدين او من الضمير الذي فيه غير اولي الضرر بالرفع صفة
للقاعدين لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بالنصب
على الحال او الاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه وعن زيد بن ثابت انها
نزلت ولم يكن فيها غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا اعمى فغشي رسول الله صلى
الله عليه وسلم في مجلسه الوحي فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه
فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله
باموالهم وانفسهم اي لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدته تذكير ما بينهما
من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته فضل الله
المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة جملة موضحة لما نفي الاستواء فيه والقاعدين
على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع الخافض اي بدرجة او على المصدر لانه تضمن
معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه او الحال بمعنى ذوي درجة وكلا من القاعدين
والمجاهدين وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهي الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما
التفاوت في زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب وفضل الله المجاهدين على القاعدين
اجرا عظيما نصب على المصدر لان فضل بمعنى اجر او المفعول الثاني له لتضمنه معنى الاعطاء
كانه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة
كل واحد منهما بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته
اسواطا واجرا على الحال عنها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر
باضمار فعلهما كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا
فيه وقيل الاول ما خولهم في الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثاني ما جعل لهم في الآخرة
وقيل المراد بالدرجة الاولى ارتفاع منزلتهم عند الله تعالى وبالدرجات منازلهم في الجنة
وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون الثاني هم الذين اذن في التخلف اكتفاء
بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه

السلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وكان الله غفورا لما عسى يفرط منهم رحيما بما وعدهم
ان الذين توفىهم الملائكة يحتمل الماضي والمضارع وقرئ توفتهم وتوفيهم على مضارع وفيت
بمعنى ان الله تعالى توفى الملائكة انفسهم فيتوفونها اى يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي
انفسهم في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت في ناس من مكة اسلموا
ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة قالوا اى الملائكة توبيخا لهم فيم كنتم اى في اى
شئ كنتم من امر دينكم قالوا كنا مستضعفين في الارض اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم
وعجزهم عن الهجرة او عن اظهار الدين واعلاء كلمته قالوا اى الملائكة تكذيبا لهم او تبكيتا
الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الى قطر اخر كما فعل المهاجرون الى المدينة و
الحبشة فاولئك مأويهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان
والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد او الخبر و
قالوا والعائد محذوف اى قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها مستنتجة منها وساءت
مصيرا مصيرهم او جهنم وفي الاية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من
اقامة دينه وعن النبي عليه السلام من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض
استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابرهيم ونبيه محمد عليه السلام الا المستضعفين
من الرجال والنساء والولدان استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره
والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة
في الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا او قدروا على الهجرة فلا محيص
لهم عنها وان قوامهم تجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت لا يستطيعون حيلة ولا
يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه او حال عنه او عن المستكن فيه
واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما يتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة
الطريق بنفسه او بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو
ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يأمن ويترصد الفرصة ويعلق
بها قلبه وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا متحولا
عن الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اى يفارقهم على رغم انوفهم ايضا
من الرغام وسعة في الرزق واظهار الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم
يدركه الموت وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر محذوف اى ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار
ان كقوله ولحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما الوقوع
والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله تعالى ثبوت الامر الواجب والاية نزلت
في جندب ابن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت
فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم ان هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايع عليه
رسولك فمات واذا ضربتم في الارض سافرتم فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة

من الصلوة بتنصيف ركعاتها ونفي الجناح فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه
عليه السلام اتم في السفر وان عائشة رضي الله عنها اعتمرت مع رسول الله عليه السلام
وقالت يا رسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة
واوجبه ابو حنيفة رحمه الله لقول عمر رضي الله عنه صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان
نبيكم ولقول عائشة رضي الله عنها اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين فاقرت
في السفر وزيدت في الحضر وظاهرهما يخالف الاية فان صحا فالاول مأول بانه كالتام
في الصحة والاجزاء والثاني لا ينفي جواز الزيادة فلا حاجة الى تأويل الاية فانهم الفوا الاربع
وكان مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتي السفر قصر ونقصان فسمي الاتيان بهما قصرا على ظنهم
ونفي الجناح فيه لتطيب به انفسهم واقل سفر يقصر فيه اربعة برد عندنا وستة عند ابي
حنيفة رضي الله عنه وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن الصلوة صفة محذوف اى شيئا
من الصلوة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش ان خفتم ان يفتنكم
الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا شرطية باعتبار الغالب في ذلك الوقت
ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر في قوله تعالى فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما
فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على جوازه ايضا في حال الامن وقرئ من الصلوة
ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم وهو القتال والتعرض بما يكره واذا كنت
فيهم فاقمت لهم الصلوة تعلق بمفهومه من خص صلوة الخوف بحضرة الرسول لفضل الجماعة
وعامة الفقهاء على انه تعالى اعلم الرسول كيفيتها ليأتم به الائمة بعده وانهم نواب
عنه فيكون حضورهم كحضوره فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم
احدهما معك يصلون وتقوم الطائفة الاخرى تجاه العدو وليأخذوا اسلحتهم
اى المصلون حزما وقيل الضمير للطائفة الاخرى وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم فاذا سجدوا
يعني المصلين فليكونوا اى غير المصلين من ورائكم يحرسونكم يعني النبي ومن يصلي معه
فغلب المخاطب على الغائب ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة
فليصلوا معك ظاهره على ان الامام يصلي مرتين بكل طائفة مرة كما فعله عليه السلام
ببطن النخل وان اريد به ان يصلي بكل ركعة ان كانت الصلوة ركعتين فكيفيته
ان يصلي بالاولى ركعة وينتظر قائما حتى يتموا صلوتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدو
وتأتي الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلوتهم ويسلم بهم كما
فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع وقال ابو حنيفة رضي الله عنه يصلي
بالاولى ركعة ثم تذهب هذه وتقف بازاء العدو وتأتي الاخرى فيصلي معه ركعة
وتتم صلوته ثم تعود الى وجه العدو وتأتي الاولى فتؤدي الركعة الثانية بغير قراءة
وتتم صلوتها ثم تأتي الاخرى فتؤدي الركعة بقراءة وتتم صلوتها وليأخذوا حذرهم
واسلحتهم جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازي فجمع بينه وبين الاسلحة في وجوب الاخذ

ونظيره قوله والذين تبوؤا الدار والايمان ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم
وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة تمنوا ان ينالوا منكم غرة في صلوتكم فيشدون عليكم
شدة واحدة وهو بيان ما لاجله امروا باخذ السلاح ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من
مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم رخصة لهم في وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مرض
او مطر وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب وخذوا حذركم امرهم
مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدو ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا وعد للمؤمنين
بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم ليقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة
عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا في الامور على مراسم التيقظ والتدبر فيتوكلوا على الله
فاذا قضيتم الصلوة اديتم وفرغتم عنها منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فدوموا
على الذكر في جميع الاحوال او اذا اردتم اداء الصلوة واشتد الخوف فصلوها كيف ما امكن
قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم مثخنين فاذا اطمأننتم سكنت
قلوبكم من الخوف فاقيموا الصلوة فعدلوا واحفظوا اركانها وشرائطها واتوا بها تامة
ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا فرضا محدود الاوقات لا يجوز اخراجها عن
اوقاتها في شيء من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلوة وانها واجبة الاداء حال
المسايفة والاضطراب في المعركة وتعليل الامر بالاتيان بها كيف ما امكن وقال ابو حنيفة
رضي الله عنه لا يصلي المحارب حتى يطمئن ولا تهنوا ولا تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب
الكفار بالقتال ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون
الزام لهم وتقريع على التواني فيه بان ضرر القتال داير بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون
من الله تعالى بسبب من اظهار الدين واستحقاق الثواب ما لا يرجو عدوهم فينبغي ان يكونوا
ارغب منهم في الحرب واصبر عليها وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تألمون
ويكون قوله فانهم يألمون علة للنهي عن الوهن لاجله والاية نزلت في بدر الصغرى وكان
الله عليما باعمالكم وضمائركم حكيما فيما يامر وينهى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم
بين الناس نزلت في طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان
في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخباها عند زيد بن السمين اليهودي
فالتمست الدرع عند طعمة فلم يوجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق
حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت
بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان
لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله عليه السلام ان يفعل بما اراك
الله بما عرفك واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلاثة مفاعيل
ولا تكن للخائنين اي لاجلهم والذب عنهم خصيما للبراء واستغفر الله مما هممت به ان الله
كان غفورا رحيما لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يخونونها فان

وبال خيانتهم يعود عليها او جعل عليها او جعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلما
عليها والضمير لطعمة وامثاله او له ولقومه فانهم شاركوه في الاثم حين شهدوا على برائته
وخاصموا عنه ان الله لا يحب من كان خوانا مبالغا في الخيانة مصرا عليها اثيما منهمكا
فيه روي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بها ليسرق اهله فسقط الحائط عليه
فقتله يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا ولا يستخفون من الله ولا
يستحيون منه وهو احق بان يستحيى ويخاف منه وهو معهم ولا يخفى عليه سرهم فلا طريق
معه الا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون ما لا يرضى من القول
من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله بما يعملون محيطا لا يفوت
عنه شيء ها انتم هؤلاء مبتدأ وخبر جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا جملة مبينة لوقوع اولاء
خبرا او صلة عند من يجعله موصولا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا
محاميا يحميهم من عذاب الله تعالى ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره او يظلم نفسه بما يختص
به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك وبالظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة
ثم يستغفر الله بالتوبة يجد الله غفورا لذنوبه رحيما متفضلا عليه وفيه حث لطعمة
وقومه على التوبة والاستغفار ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه فلا يتعداه وباله
لقوله تعالى وان اسأتم فلها وكان الله عليما حكيما فهو عالم بفعله حكيم في مجازاته ومن
يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة
زيدا ووحد الضمير لمكان او فقد احتمل بهتانا واثما مبينا بسبب رمي البريء وتبرئة النفس
الخاطئة ولذلك سوى بينهما وان كان مقترف احدهما دون مقترف الآخر ولولا فضل
عليك ورحمته باعلام ما هم عليه بالوحي والضمير للرسول عليه السلام وجمعه للتعظيم او له
او للامة فان عصمة الرسول عليه الصلوة والسلام واطلاعه على الاحوال لطف في حقهم لهمت
طائفة منهم اي من بني ظفر ان يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب
لولا وليس القصد فيه الى نفي همهم بل الى نفي تأثيره فيه وما يضلون الا انفسهم لانه ما ازالك
عن الحق وعاد وباله عليهم وما يضرونك من شيء فان الله عصمك وما خطر ببالك كان
اعتمادا منك على ظاهر الامر لا ميلا في الحكم ومن شيء في موضع النصب على المصدر اي شيئا
من الضرر وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور
او من امور الدنيا والاحكام وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة
لا خير في كثير من نجويهم من متناجيهم لقوله تعالى واذ هم نجوى او من تناجيهم فقوله الا من امر
بصدقة او معروف على حذف مضاف اي الا نجوى من امر او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر
بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل وفسر ههنا بالقرض واغاثة
الملهوف وصدقة التطوع وسائر ما فسر به او اصلاح بين الناس او اصلاح ذات
بين ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما وقرأ ابو عمرو

الله

وحمزة يؤتيه بالياء بنى الكلام على الامر ورتب الجزاء على الفعل ليدل على انه لما دخل الامر زمرة
الخيرين كان الفاعل ادخل فيه وان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الامر من حيث
انه وصلة اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضات الله لان الاعمال بالنيات
وان من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق بها من الله تعالى اجرا ووصف الاجر بالعظم تنبيها على
حقارة ما فات في جنبه من اعراض الدنيا ومن يشاقق الرسول يخالفه من الشق فان
كلا من المتخالفين في شق غير شق الآخر من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على
المعجزات ويتبع غير سبيل المؤمنين غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل نوله ما تولى نجعله واليا
لما تولى من الضلال ونخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وندخله فيها وقرئ بفتح النون
من صلاه وساءت مصيرا جهنم والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد
الشديد على المشاقة واتباع غير المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او احدهما او الجمع بينهما
والثاني باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لان
المشاقة محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم
واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام
فيه في مرصاد الافهام الى مبادي الاحكام ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن
يشاء كرره للتأكيد او لقصة طعمة وقيل جاء شيخ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وامنت به ولم
اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جرأة وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا
واني لنادم تائب فما ترى حالي عند الله تعالى فنزلت ومن يشرك بالله فقد
ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب
والاستقامة وانما ذكر في الآية الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة اهل الكتاب
ومنشأ شركهم كان نوع افتراء وهو دعوى التبني على الله تعالى ان يدعون من دونه الا
اناثا يعني اللات والعزى ومناة ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني
فلان وذلك اما لتأنيث اسمائها كما قال وما ذكر فان يسمي شديدا للأزم ليس له
ضروس فانه عنى القراد وهو ما كان صغيرا سمي قرادا فاذا كبر حلمة او لانها كانت جمادات
والجمادات يؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله ذكرها بهذا الاسم
تنبيها على انهم يعبدون ما يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون
فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد بالملائكة
عليهم السلام لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى وقرئ انثى على
التوحيد وانثا على انه جمع انيث كخبث وخبيث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع
وثن كاسد واسد واسد وانثا بهما على قلب الواو لضمتها همزة وان يدعون
وان يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا لانه الذي امرهم بعبادتها واغراهم

واغراهم عليها فكان طاعته في ذلك عبادة له والمارد والمريد الذي لا يعلق بخير واصل
التركيب للملابسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد وشجرة مرداء التي تناثر ورقها لعنه
الله صفة ثانية للشيطان وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا عطف عليه
اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله تعالى وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس
وقد برهن سبحانه وتعالى اولا على ان الشرك ضلال في الغاية على سبيل التعليل بان ما
يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة
فان الآله ينبغي ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان وهي
افظع الضلال لثلاثة اوجه الاول انه مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشيء من الخير والهدى
فيكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثاني انه ملعون لضلاله فلا تستجلب مطاوعته
سوى الضلال واللعن والثالث انه في غاية العداوة والسعي في اهلاكهم وموالاة من هذا
شأنه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا قدر لي وفرض من
قولهم فرض له في العطاء ولاضلنهم عن الحق ولامنينهم الاماني الباطلة كطول الحياة وان
لا بعث ولا عقاب ولامرنهم فليبتكن آذان الانعام يشقونها لتحريم ما احل الله
تعالى وهي عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحائر والسوائب واشارة الى تحريم
كل ما احل ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل او القوة ولآمرنهم فليغيرن خلق الله عن وجهه
صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر
واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله التي هي الاسلام واستعمال
الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من الله زلفى وعموم اللفظ
يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة والجمل الاربع حكاية عما ذكره
الشيطان نطقا او اتاه فعلا ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بايثاره ما يدعوه
اليه على ما امره الله به ومجاوزته عن طاعة الله الى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا اذ ضيع رأس ماله
وبدل مكانه من الجنة بمكان من النار يعدهم ما لا ينجز ويمنيهم ما لا ينالون وما
يعدهم الشيطان الا غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة
او بلسان اوليائه اولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا معدلا ومهربا من حاص يحيص
اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل ايضا فيما قبله والذين
امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا
اي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التي قبلها وعد و
الثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينتصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم
لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة
والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه و
والمبالغة في تأكيده ترغيبا للعباد في تحصيله ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب اي ليس ما وعد الله

تعالى من الثواب ينال بامانيكم ايها المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانما ينال بالايمان
والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل روي ان
المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن
اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب
المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم اي ليس الامر باماني المشركين
وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا
ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا
النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك وقال من يعمل سوءا يجز به عاجلا او آجلا لما روي
انه لما نزلت قال ابو بكر رضي الله عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول فقال عليه السلام اما تحزن
اما تمرض اما يصيبك اللأواء قال بلى يا رسول الله قال هو ذلك ولا يجد له من دون الله
وليا ولا نصيرا ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب
عنه ومن يعمل من الصالحات بعضها او شيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس
مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان او من الصالحات
اي كائنة من ذكر او انثى وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب
المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا بنقص
شيء من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحري ان لا يزاد عقاب العاصي لان المجازي
ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر عن عاصم
يدخلون على البناء للمفعول ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله
تعالى لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وفي هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك
منتهى ما تبلغه القوة البشرية وهو محسن آت بالحسنات تارك للسيئات واتبع
ملة ابرهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها حنيفا مائلا عن ساير الاديان وهو
حال من المتبع او الملة او ابرهيم واتخذ الله ابرهيم خليلا اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه
كرامة الخليل عند خليله وانما اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح والخلة
من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد
خلل الآخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الخصال والجملة استئناف
جيء بها للترغيب في اتباع ملته والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر روي ان
ابرهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال
خليله لو كان ابرهيم عليه السلام والتحية يريد لنفسه لفعلت ولكن يريده للاضياف
وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء فملؤا منها الغراير حياء من الناس
فلما اخبروا ابرهيم ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة
منها فاخرجت حوارى واختبزت فاستيقظ ابرهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين

من اين هذا لكم فقالت من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه
الله خليلا ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا يختار منهما ما يشاء ومن
يشاء وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض
وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال وكان الله بكل شيء محيطا احاطة علم وقدرة وكان
عالما باعمالهم فيجازيهم على خيرها وشرها ويستفتونك في النساء في ميراثهن اذ سبب
نزوله ان عيينة بن حصين اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف
والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه السلام
كذلك امرت قل الله يفتيكم فيهن يبين لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم وما يتلى عليكم في
الكتاب عطف على اسم الله تعالى او ضميره المستكن في يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا
الى الله تعالى والى ما في القرآن من قوله يوصيكم الله ونحوه باعتبارين مختلفين ونظيره اغناني زيد
وعطاؤه او استئناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب
خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز ان ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم او يخفض على القسم
كانه قيل واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى
في يتامى النساء صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اي يتلى عليكم في شأنهن والا فبدل
من فيهن او صلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول
كلمتك اليوم في زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ ييامى على انه
ايامى فقلبت همزته ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اي فرض لهن من الميراث وترغبون
ان تنكحوهن في ان تنكحوهن او عن ان تنكحوهن فان اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن
ان كن جميلات ويأكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن طمعا في ميراثهن والواو يحتمل
الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها جريانه
في صغرها والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا
يورثونهم كما لا يورثون النساء وان تقوموا لليتامى بالقسط ايضا عطف عليه اي ويفتيكم
او ما يتلى في ان تقوموا هذا اذا جعلت في يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلا فالوجه
نصبها عطفا على موضع فيهن ويجوز ان ينصب وان تقوموا باضمار فعل اي ويأمركم
ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصفة
في شأنهم وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما وعد لمن آثر الخير في ذلك وان امرأة
خافت من بعلها توقعت منه لما ظهر لها من المخايل وامرأة فاعل فعل يفسره الظاهر
نشوزا تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها او اعراضا بان يقل
مجالستها ومحادثتها فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا ان يتصالحا بان تحط له بعض
المهر او القسم او تهب له شيئا تستميله به وقرأ الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين
وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرف او حال منه او على المصدر كما

في القراءة الاولى والمفعول بينهما او هو محذوف وقرئ يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح والصلح
خير من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة ويجوز ان لا يراد به التفضيل بل بيان انه من الخيور
كما ان الخصومة من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله واحضرت الانفس الشح ولذلك اغتفر
عدم تجانسهما والاول للترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى احضار
الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد المرأة تسمح بالاعراض عنها والتقصير في حقها
ولا الرجل تسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي اذا كرهها او احب غيرها وان تحسنوا
في العشرة وتتقوا النشوز والاعراض ونقص الحق فان الله كان بما تعملون من الاحسان
والخصومة خبيرا عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم
عليها الذي هو في الحقيقة جواب الشرط اقامة السبب مقام المسبب ولن تستطيعوا
ان تعدلوا بين النساء لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان
رسول الله عليه السلام يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني
فيما تملك ولا املك ولو حرصتم على تحري ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع
والجور على المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها كالمعلقة التي ليست ذات
بعل ولا مطلقة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كانت له امرأتان يميل مع احديهما جاء يوم
القيامة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا فيما يستقبل
فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ما مضى من ميلكم وان يتفرقا وقرئ وان يتفارقا اي وان
يفارق كل منهما صاحبه يغن الله كلا منهما عن الآخر ببدل او سلو من سعته غناه و
قدرته وكان الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا في افعاله واحكامه ولله ما في السموات
وما في الارض تنبيه على كمال سعته وقدرته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
يعني اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا ومساق
الآية لتاكيد الامر بالاخلاص واياكم عطف على الذين ان اتقوا الله بان اتقوا الله ويجوز
ان يكون ان مفسرة لان التوصية في معنى القول وان تكفروا فان لله ما في السموات
وما في الارض على ارادة القول اي وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم
ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقويكم وانما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله وكان الله
غنيا عن الخلق وعبادتهم حميدا في ذاته حمد او لم يحمد ولله ما في السموات وما في الارض ذكره
ثالثا للدلالة على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما افاض عليها
من الوجود وانواع الخصائص والكمالات على كونه حميدا وكفى بالله وكيلا راجع الى قوله يغن الله
كلا من سعته فانه توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك ان يشأ يذهبكم ايها الناس
يفنكم ومفعول يشأ محذوف دل عليه الجواب ويأت بآخرين ويوجد قوما آخرين مكانكم
او خلقا آخرين مكان الانس وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة
لا يعجزه مراد وهذا ايضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر به وخالف امره وقيل هو خطاب

خطاب لمن عادى رسول الله عليه السلام من العرب ومعناه معنى قوله وان تتولوا يستبدل
قوما غيركم لما روي انه لما نزل ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ظهر سلمان
وقال انهم قوم هذا من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يجاهد للغنيمة فعند الله
ثواب الدنيا والآخرة فماله يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا
حسنة وفي الآخرة حسنة او ليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لله تعالى
لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة ما هي في جنبه كلا شيء او فعند الله تعالى ثواب الدارين
فيعطي كلا ما يريده كقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له الآية وكان الله سميعا بصيرا عارفا
بالاغراض فيجازي كلا بحسب قصده يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط
مواظبين على العدل مجتهدين في اقامته شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله
وهو خبر ثان او حال ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا
عليها لان الشهادة بيان للحق سواء كان عليه او على غيره او الوالدين والاقربين
ولو على والديكم واقاربكم ان يكن اي المشهود عليه او كل واحد منه ومن المشهود له غنيا
او فقيرا فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة او لا تجوروا فيها ميلا او ترحما فالله اولى بهما
بالغني والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما او لهما صلاحا لما شرعها وهو علة
الجواب اقيمت مقامه والضمير في بهما راجع الى ما دل عليه المذكور وهو جنس الغني والفقير
لا اليه والا لوحد ويشهد عليه انه قرئ فالله اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا
لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان تعدلوا من العدل وان تلووا السنتكم عن شهادة
الحق او حكومة العدل وقرأ ابن عامر وحمزة وان تلوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة
او تعرضوا عن ادائها فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها الذين امنوا
خطاب للمسلمين او المنافقين او لمؤمني اهل الكتاب اذ روي ان ابن سلام
واصحابه قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتورية وعزير ونكفر
بما سواه فنزلت آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله و
الكتاب الذي انزل من قبل اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه او آمنوا به بقلوبكم
كما آمنتم بالسنتكم او آمنوا ايمانا عاما يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان
والكتاب الاول القرآن والثاني الجنس وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر نزل وانزل
على البناء للمفعول ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر اي ومن يكفر بشيء
من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه ان الذين
آمنوا يعني اليهود آمنوا بموسى عليه السلام ثم كفروا حين عبدوا العجل ثم ازدادوا كفرا
بمحمد صلى الله عليه السلام او قوما تكرر منهم الارتداد ثم اصروا على الكفر وازدادوا تماديا
في الغي لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر
ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لا انهم لو اخلصوا

ثم امنوا بعد عوده ثم كفروا بعيسى صح

الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان في امثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن
الله مريدا ليغفر لهم بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما يدل على ان الآية في المنافقين
وهم قد آمنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا كفرا بالاصرار على النفاق وافساد
الامر على المؤمنين ووضع بشر مكان انذر تهكما بهم الذين يتخذون الكافرين اولياء من
دون المؤمنين في محل النصب او الرفع على الذم بمعنى اريد الذين او هم الذين ايبتغون
عندهم العزة ايتعززون بموالاتهم فان العزة لله جميعا لا يتعزز الا من اعزه
وقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين لا يؤبه بعزة غيرهم بالاضافة
اليه وقد نزل عليكم في الكتاب يعني القرآن وقرأ عاصم ويعقوب وقرأ الباقون
نزل على البناء للمفعول والقائم مقام فاعله ان اذا سمعتم آيات الله وهي المخففة
والمعنى انه اذا سمعتم يكفر بها ويستهزأ بها حالان من الآيات جيء بهما لتقييد النهي
عن المجالسة في قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره الذي هو جزاء الشرط
بما اذا كان من يجالسه هازئا معاندا غير مرجو ويؤيده الغاية وهذا تذكار لما نزل عليهم
بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا الآية والضمير في معهم للكفرة المدلول
عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها انكم اذا مثلهم في الاثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم
والانكار عليهم او الكفر ان رضيتم بذلك او لان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن
من الاحبار كانوا منافقين ويدل عليه ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا
يعني القاعدين والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر
بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح
على البناء لاضافته الى مبني كقوله تعالى مثل ما انكم تنطقون الذين يتربصون بكم ينتظرون
وقوع امر بكم وهو بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين والكافرين او ذم مرفوع
او منصوب او مبتدأ خبره فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم مظاهرين لكم
فاسهموا لنا فيما غنمتم وان كان للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال قالوا الم
نستحوذ عليكم اي قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ
الاستيلاء وكان القياس ان يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجيئت على الاصل
ونمنعكم من المؤمنين بان خذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم
فاشركونا فيما اصبتم وانما سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم
فانه مقصور على امر دنيوي سريع الزوال فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله
للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ او في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به اصحابنا
في فساد شرى الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه لا ينفي
ان يكون اذا عاد الى الايمان قبل مضي العدة ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم سبق
الكلام فيه اول سورة البقرة واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل

على الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما جمعا كسلان يراؤون الناس ليخالوهم مؤمنين والمراءاة
مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري من يرائيه عمله وهو يريه
استحسانه ولا يذكرون الله الا قليلا اذ المرائي لا يفعل الا بحضرة من يرائيه وهو اقل
احواله او لان ذكرهم باللسان قليل بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلوة
وقيل الذكر فيها فانهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال من واو
يراؤون كقوله ولا يذكرون اي يرائيهم غير ذاكرين مذبذبين او واو يذكرون او منصوب
على الذم والمعنى مرددين بين الايمان والكفر من الذبذبة وهو جعل الشيء مضطربا واصله
الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او يتذبذبون كقولهم
صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال غير المعجمة بمعنى اخذ تارة في دبة وتارة في دبة وهي الطريقة
لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا منسوبين الى المؤمنين ولا الى الكافرين او لا صائرين الى احد
الفريقين بالكلية ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الحق والصواب ونظيره قوله
تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء
من دون المؤمنين فانه صنيع المنافقين ودينهم فلا تتشبهوا بهم اتريدون ان تجعلوا لله
عليكم سلطانا مبينا حجة بينة فان موالاتهم دليل على النفاق او سلطانا يسلط عليكم
عقابه ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهو الطبقة التي في قعر جهنم وانما
كان كذلك لانهم اخبث الكفرة اذ ضموا الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين
واما قوله عليه السلام ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من
اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان ونحوه فمن باب التنبيه
والتغليظ وانما سميت طبقاتها السبع دركات لانها متداركة متتابعة بعضها
فوق بعض وقرأ الكوفيون بالسكون وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك اوجه لانه يجمع
على ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم منه الا الذين تابوا عن النفاق واصلحوا ما افسدوا من
اسرارهم واحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله وثقوا به وتمسكوا بدينه واخلصوا
دينهم لله لا يريدون بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين ومن عدادهم في الدارين
وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما فيساهمونهم فيه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم
وآمنتم ايتشفى به غيظا او يدفع به ضررا او يستجلب به نفعا وهو الغني المتعالي عن النفع والضر
وانما يعاقب المصر بكفره لان اصراره عليه كسوء مزاج يؤدي الى مرض فاذا زال بالايمان
والشكر ونقى عنه نفسه تخلص من تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة اولا
فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به وكان الله شاكرا مثيبا يقبل
اليسير ويعطي الجزيل عليما بحق شكركم وايمانكم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم
الا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه روي ان رجلا ضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم
فعوتب عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعا

اى لكن الظالم يفعل ما يحبه الله وكان الله سميعا لكلام المظلوم عليما بالظالم ان تبدوا
خيرا طاعة وبرا او تخفوه او تفعلوه سرا او تعفوا عن سوء لكم المواخذة عليه وهو المقصود
وذكر ابداء الخير واخفائه تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله فان الله كان عفوا
قديرا اى يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فانتم اولى بذلك وهو حث
المظلوم على العفو بعد ما رخص له فى الانتصار حملا على مكارم الاخلاق ان الذين يكفرون
بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسله
ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم ويريدون
ان يتخذوا بين ذلك سبيلا طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحق
لا يختلف فان الايمان بالله انما يتم بالايمان برسله عليهم السلام وتصديقهم فيما
بلغوا عنه تفصيلا او اجمالا فالكافر ببعض ذلك كالكافر فى الضلال كما قال جل جلاله
فماذا بعد الحق الا الضلال اولئك هم الكافرون هم الكاملون فى الكفر لا عبرة بايمانهم
هذا حقا مصدر مؤكد لغيره او حق حقا او صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين
كفروا كفرا حقا اى يقينا محققا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين امنوا
بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اضدادهم ومقابلوهم وانما دخل بين على احد
وهو يقتضى متعددا لعمومه من حيث انه وقع فى سياق النفى اولئك سوف
نؤتيهم اجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف لتوكيد الوعد والدلالة على انه كائن
لا محالة وان تاخر وقرا حفص عن عاصم وقالون عن يعقوب بالياء على تلوين
الخطاب وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما عليهم بتضعيف حسناتهم يسئلك
اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت فى احبار اليهود فقالوا ان كنت
صادقا فاتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى عليه السلام وقيل كتابا محررا بخط سماوى
على الواح كما كانت التورية او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا باعياننا بانك
رسول الله تعالى فقد سألوا موسى اكبر من ذلك جواب شرط مقدر اى ان استكبرت
ما سألوه منك فقد سألوا موسى اكبر منه وهذا السؤال وان كان من ابائهم اسند
اليهم لانهم كانوا اخذين بمذهبهم تابعين لهديهم والمعنى ان عرقهم راسخ فى ذلك وان ما
اقترحوا عليك ليس باول جهالاتهم وخيالاتهم فقالوا ارنا الله جهرة عيانا اى ارناه نره
جهرة او مجاهرين معاينين له فاخذتهم الصاعقة نار جاءت من السماء فاهلكتهم بظلمهم
بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل فى تلك الحالة التى كانوا عليها وذلك لا
يقتضى امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات هذه الجناية
الثانية التى اقترفها ايضا اوائلهم والبينات المعجزات ولا يجوز حملها على التورية
اذ لم تأتهم بعد فعفونا عن ذلك واتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم
حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم

بميثاق بسبب ميثاقهم ليقبلوه وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا على لسان موسى عليه السلام
والطور مطل عليهم وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت على لسان داود عليه السلام ويحتمل
ان يراد على لسان موسى عليه السلام وحين ظلل الجبل عليهم فانه شرع السبت ولكن
كان الاعتداء فيه والمسخ به فى زمن داود عليه وقرا ورش عن نافع لا تعدوا على ان اصله
لا تعتدوا فادغمت التاء فى الدال واخذنا منهم ميثاقا غليظا على ذلك وهو قولهم
سمعنا واطعنا فبما نقضهم ميثاقهم اى فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم
وما مزيدة للتاكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز ان تتعلق بحرمنا عليهم
طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف عليه الى قوله فبظلم لا بما دل عليه قوله
بل طبع الله عليها مثل لا يؤمنون لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة وقولهم
المعطوف على المجرور فلا يعمل فى جاره وكفرهم بايات الله بالقران او بما فى كتابهم وقتلهم
الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف اوعية للعلوم او فى اكنة مما تدعونا اليه بل طبع الله
عليها بكفرهم فجعلها محجوبة عن العلم او خذلها ومنعها التوفيق للتدبر فى الايات والتذكر
بالمواعظة فلا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام او ايمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه
وبكفرهم بعيسى عليه السلام وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب الطبع او على قوله
فبما نقضهم ويجوز ان يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون تكرير ذكر
الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم السلام وقولهم على مريم
بهتانا عظيما يعنى نسبتها الى الزنا وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله اى بزعمه
ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظيره ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون وان يكون
استينافا من الله تعالى بمدحه او وضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح وما قتلوه وما
صلبوه ولكن شبه لهم روى ان رهطا من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله تعالى
قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله تعالى بانه يرفعه الى السماء فقال
لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم انا فالقى
الله تعالى عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافقه فخرج ليدل عليه فالقى الله تعالى
عليه شبهه فاخذ وصلب وقيل دخل طيطانوس اليهودى بيتا كان هو فيه فلم يجده
والقى الله تعالى عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق
التى لا تستبعد فى زمان النبوة وانما ذمهم الله تعالى بما دل عليه الكلام من جراءتهم على الله عز
وجل وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به لا لقولهم هذا على حسب
حسبانهم وشبه مسند الى الجار والمجرور وكانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى عليه السلام
والمقتول او فى الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى
ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثمة مقتولا وان الذين اختلفوا فيه فى شان عيسى
عليه السلام فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود

انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال
بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى السماء
انه رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه لفي
تردد والشك كما يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم
ولذلك اكده بقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اي ولكنهم يتبعون
الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس جزما
كان او غيره فيتصل الاستثناء وما قتلوه يقينا قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا
المسيح او متيقنين وقيل معناه ما علموه يقينا كقوله كذاك تخبر عنها العالمات بها وقد
قتلت بعلمي ذلكم يقينا من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه بل رفعه
الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغلب على ما يريده
حكيما فيما دبر لعيسى ع م وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اي وان من اهل
الكتاب احد الا ليؤمنن به فجملة وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثاني والاول
لعيسى عليه السلام والمعنى ما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله و
رسوله قبل ان يموت ولو حين ان تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيد ذلك ان قرئ
الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان احدا في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة
الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى عليه السلام والمعنى انه
اذا نزل من السماء امن به اهل الملك جميعا روي انه ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه
ولا يبقى احد من اهل الكتاب الا ليؤمنن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام وتقع
الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان
بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه
ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه
ابن الله فبظلم من الذين هادوا اي فبأي ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم يعني
ما ذكر في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا
كثيرا او صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه كان الربوا محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه
دليل على دلالة النهي على التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة
واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما دون من تاب وامن لكن الراسخون في العلم منهم كعبد الله
بن سلام واصحابه والمؤمنون اي منهم او من المهاجرين والانصار يؤمنون بما انزل
اليك وما انزل من قبلك خبر المبتدا والمقيمين الصلوة نصب على المدح ان جعل
يؤمنون الخبر لاولئك او عطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء اي يؤمنون بالكتب
والانبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون او الضمير في يؤمنون او على انه مبتدا والخبر
اولئك سنؤتيهم والمؤتون الزكوة رفعه لاحد الاوجه المذكورة والمؤمنون بالله

بالله واليوم الاخر قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع لانه
المقصود بالاية اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح
وقرا حمزة بالياء انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده جواب لاهل
الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان امره في الوحي
كسائر الانبياء عليهم السلام واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان خصهم بالذكر مع اشتمال
النبيين عليهم تعظيما لهم فان ابرهيم اول اولي العزم منهم وعيسى اخرهم والباقين
اشرف الانبياء ومشاهيرهم واتينا داود زبورا وقرا حمزة زبورا بالضم وهو جمع
بمعنى المزبور ورسلا نصب بمضمر دل عليه اوحينا اليك كارسلنا رسلا او فسره قد
قد قصصناهم عليك من قبل اي من قبل هذه السورة او هذا اليوم ورسلا لم نقصصهم
عليك وكلم الله موسى تكليما وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم وقد فضل الله
محمدا صلى الله عليه وسلم بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم رسلا مبشرين ومنذرين
نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال ويكون رسلا موطئا لما بعده كقولك
مررت بزيد رجلا صالحا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا لولا ارسلت
الينا رسولا فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء عليهم السلام الى الناس
ضرورة لقصور الكل عن ادراك جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة
بارسلنا او بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله والاخر
حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها او صفة وكان الله عزيزا لا يغلب
فيما يريده حكيما فيما دبر من امر النبوة وخص كل نبي بنوع من الوحي والاعجاز لكن الله يشهد
استدراك عن مفهوم ما قبله وكانه لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء
واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد او انهم
انكروه ولكن الله يثبته ويقرره بما انزل اليك من القران المعجز الدال على نبوتك روي
انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك فنزلت انزله بعلمه انزله متلبسا بعلمه
الخاص به وهو العلم بتاليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ او بحال من يستعد النبوة ويستا
هل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم فالجار
والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث حال من المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها
والملائكة يشهدون ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم يودون ان يعلموا صحة دعوى النبوة
على وجه يستغني عن النظر والتامل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان الى العلم
بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا
بها كما عرفت الملائكة وشهدوا عليها وكفى بالله شهيدا اي وكفى بما اقام من الحجج على صحة
نبوتك عن الاستشهاد بغيره ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا

ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اعرق فى الضلال وابعد من الانقلاع
عنه ان الذين كفروا وظلموا محمدا بانكار نبوته او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم
او باعم من ذلك وتدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر
والظلم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا لجرى حكمه السابق
ووعده المحتوم على ان من مات على كفره فهو خالد فى النار وخالدين لحال مقدرة وكان ذلك
على الله يسيرا لا يصعب عليه ولا يستعظمه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم لما قرر
امر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة و
الزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد فآمنوا خيرا لكم اى ايمانا خيرا لكم او ائتوا امرا خيرا لكم
مما انتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون لان كان لا يحذف مع اسمه الا فيما
لا بد منه لانه يؤدى الى حذف الشرط وجوابه وان تكفروا فان لله ما فى السموات والارض
يعنى وان تكفروا فهو غنى عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبه على غناه بقوله تعالى لله
ما فى السموات والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه وكان الله عليما باحوالهم حكيما
فيما دبر لهم يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم الخطاب للفريقين غلت اليهود فى حط عيسى عم
حتى رموه بانه ولد لغير رشدة والنصارى فى رفعه حتى اتخذوه الها وقيل للنصارى خاصة
فانه اوفق لقوله تعالى ولا تقولوا على الله الا الحق يعنى تنزيهه عن الصاحبة والولد انما
المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القيها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها وروح منه
وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجرى مجرى الاصل والمادة له وقيل سمى روحا لانه كان يحيى
الاموات او القلوب فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة اى الآلهة ثلاثة الله و
المسيح ومريم ويشهد عليه قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله
او الله ثلاثة ان صح انهم يقولون الله ثلاثة اقانيم الاب والابن وروح القدس
ويريدون بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحيوة انتهوا عن التثليث
خيرا لكم نصبه لما سبق انما الله اله واحد اى واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه
ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد فانه يكون لمن يعادله مثل ويتطرق
اليه فناء له ما فى السموات وما فى الارض ملكا وخلقا لا يماثله شىء من ذلك فيتخذه ولدا
وكفى بالله وكيلا تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه
قائم بحفظ الاشياء كاف فى ذلك مستغن عمن يخلفه او يعينه لن يستنكف المسيح لن يأنف
من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك كيلا يرى اثره عليك ان يكون عبدا لله من ان
يكون عبدا له فان عبوديته شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف فى عبوديته
غيره روى ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن
صاحبكم قالوا عيسى عم قال واى شىء اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون
عبد الله قالوا بلى فنزلت ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح اى ولا يستنكف الملائكة

الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا لله واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء وقال
مساقه لرد النصارى فى رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضى ان يكون المعطوف
اعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه
وجوابه ان الآية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها
بالنصارى فلعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح
الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤس وان اراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة
وهم الكروبيون الذين حول العرش او من اعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الانبياء
وذلك لا يستلزم فضل احد الجنسين على الآخر مطلقا والنزاع فيه ومن يستنكف عن
عبادته ويستكبر ويترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه
وانما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون بالاستحقاق فسيحشرهم اليه
جميعا فيجازيهم فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله
واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله
وليا ولا نصيرا تفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها من فحوى الكلام وكانه قال فسيحشرهم
اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة فان اثابة مقابليهم والاحسان تعذيب لهم
بالغم والحسرة يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا عنى بالبرهان
المعجزات وبالنور القرآن اى جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة
وقيل البرهان الدين او رسول الله او القرآن فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به
فسيدخلهم فى رحمة منه ثواب قدره بازاء رحمة منه لا قضاء لحق واجب وفضل
احسان زائد عليه ويهديهم اليه الى الله وقيل الى الموعود صراطا مستقيما هو الاسلام
والطاعة فى الدنيا وطريق الجنة فى الآخرة يستفتونك اى فى الكلالة حذفت لدلالة
الجواب عليها روى ان جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال انى كلالة فكيف اصنع فى مالى فنزلت وهى آخر ما نزل فى الاحكام قل الله
يفتيكم فى الكلالة سبق تفسيرها فى اول السورة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت
فلها نصف ما ترك ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر ليس له ولد صفة له او حال من
المستكن فى هلك والواو فى وله يحتمل الحال والعطف والمراد بالاخت الاخت من الابوين
او الاب لانه جعل اخوها عصبة وابن الام لا يكون عصبة والولد على ظاهره فان
الاخت وان ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس رضى الله عنه لكنها
لا ترث النصف وهو يرثها اى والمرء يرث اخته ان كان الامر بالعكس
ان لم يكن لها ولد ذكرا كان او انثى ان اريد بيرثها يرث جميع مالها والا فالمراد به
الذكر اذ البنت لا تحجب الاخ والآية كما لم تدل على سقوط الاخوة بغير الولد لم تدل
على عدم سقوطهم به وقد دلت السنة على انهم لا يرثون مع الاب وكذا مفهوم قوله

الله يفتيكم في الكلالة ان فسرت بالميت فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن
يرثها بالاخوة وتثنية محمولة على المعنى وفائدة الاخبار عنه باثنتين التثنية على ان الحكم باعتبار
العدد دون الصغر والكبر وغيرهما وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين
اصله وان كانوا اخوة واخوات فغلب المذكر يبين الله لكم ان تضلوا اي يبين الله
لكم ضلالكم الذي من شانكم اذا خليتم وطباعكم لتتحرزوا عنه وتتحروا خلافه او يبين لكم
الحق والصواب كراهة ان تضلوا وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين
والله بكل شيء عليم فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي من
الاخرة كمن اشترى محررا وبرئ من المشرك وكان في مشية الله من الذين يتجاوز عنهم
سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلث وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء
والعقد الموثوق قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه
الكربا واصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم
العقود التي عقدها الله تعالى على عباده والزمها اياهم من التكاليف وما يعقدون
بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن ان حملنا
الامر على المشترك بين الوجوب والندب احلت لكم بهيمة الانعام تفصيل
للعقود والبهيمة كل حي لا يميز وقيل كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان
كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة الانعام وهي الازواج الثمانية والحق بها الظباء
وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الانعام في الاجترار وعدم الانياب
واضافتها الى الانعام لملابسة الشبه الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم كقوله حرمت
عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم اية تحريمه غير محلي الصيد حال من الضمير في لكم وقيل من واو اوفوا
وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول وانتم حرم حال عما
استكن في محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم ان الله يحكم ما يريد من تحليل وتحريم يا ايها الذين
امنوا لا تحلوا شعائر الله يعني مناسك الحج جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا سمي
به اعمال الحج ومواقفه لانها علامات الحاج واعلام النسك وقيل دين الله لقوله ومن
يعظم شعائر الله اي دينه وقيل فرائضه التي حدها لعباده ولا الشهر الحرام بالقتال فيه
او بالنسئ ولا الهدي ما اهدي الى الكعبة جمع هدية كجدي في جمع جدية السرج ولا القلائد
اي ذوات القلائد من الهدي وعطفها على الهدي للاختصاص فانها اشرف الهدي او
القلائد انفسها والنهي عن احلالها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي ونظيره ولا يبدين
زينتهن والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل او لحاء شجر او غيرهما ليعلم به انه
هدي فلا يتعرض له ولا امين البيت الحرام قاصدين لزيارته يبتغون فضلا من ربهم

سورة المائدة

من ربهم ورضوانا ان يثيبهم ويرضى عنهم والجملة في موضع الحال من المستكن في امين وليست
صفة له لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار تعرض من
هذا شانه والتنبيه على المانع له وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم
اذ روي ان الاية نزلت عام القضية في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا
لهم بسبب انه كان فيهم الحطيم شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة وعلى
هذا فالاية منسوخة وقرئ وتبتغون على خطاب المؤمنين واذا حللتم فاصطادوا
اذن في الاصطياد بعد زوال الاحرام ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا من الامر الاتي
بعد الحظر على الاباحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف
جدا واحللتم فقال حل المحرم واحل ولا يجرمنكم ولا يحملنكم او لا يكسبنكم شنان قوم شدة
بغضهم وعداوتهم وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل وقرا ابن عامر واسمعيل
عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو ايضا مصدر كليان او نعت
بمعنى بغيض قوم وفعلان في النعت اكثر ان صدوكم عن المسجد الحرام لان صدوكم عنه عام
الحديبية وقرا ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة على انه شرط معترض اغنى جوابه لا يجرمنكم
ان تعتدوا بالانتقام ثاني مفعولي يجرمنكم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب ومن
قرا يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا من المتعدي الى مفعول واحد بالهمزة الى مفعولين
وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى
ولا تعاونوا على الاثم والعدوان للتشفي والانتقام واتقوا الله ان الله شديد
العقاب فانتقامه اشد حرمت عليكم الميتة بيان ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح
من غير تذكية والدم اي الدم المسفوح لقوله او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه
في الامعاء ويشوونها ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله به كقولهم
باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي ماتت بالخنق والموقوذة المضروبة بنحو
خشب او حجر حتى يموت من وقذته اذا ضربته والمتردية اي التي تردت من علو
او في بئر فماتت والنطيحة التي نطحتها اخرى فماتت والتاء فيها للنقل وما اكل السبع
اي وما اكل منه السبع فمات وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطادته
لم يحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكوته وفيه حيوة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء
مخصوص بما اكل السبع والذكوة في الشرع بقطع الحلقوم والمري بمحدد وما ذبح على النصب
واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون
ذلك قربة وقيل هي الاصنام وعلى بمعنى اللام او على اصلها بتقدير وما ذبح مسمى على
الاصنام وقيل هو جمع واحده نصاب وان تستقسموا بالازلام اي وحرم عليكم
الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب
على احدها امرني ربي وعلى الاخر نهاني ربي والثالث غفل فان خرج الامر مضوا على

ذلك وان خرج الناهي تجنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب
معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء
المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام وكونه
فسقا لانه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافتراء على الله
تعالى ان اريد بربي الله وجهالة وشرك ان اريد به الصنم او المبشر المحرم الى تناول
ما حرم عليهم اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الحاضر وما يتصل به من الازمنة الآتية
وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع يئس الذين
كفروا من دينكم اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها او من ان
يغلبوكم عليه فلا تخشوهم ان يظهروا عليكم واخشون واخلصوا الخشية لي اليوم
اكملت لكم دينكم بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد
والتوقيف على اصول الشرايع وقوانين الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بالهداية والتوفيق
او باكمال الدين او بفتح مكة وهدم منار الجاهلية ورضيت لكم الاسلام اخترته لكم
دينا من بين الاديان وهو الدين عند الله تعالى لا غير فمن اضطر متصل بذكر المحرمات
وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة
الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي والمعنى فمن اضطر الى تناول شيء من
هذه المحرمات في مخمصة مجاعة غير متجانف لاثم غير مايل له ومنحرف اليه بان ياكلها
تلذذا او مجاوزا حد الرخصة لقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يواخذه باكله
يسألونك ماذا احل لهم لما تضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة وقد سبق الكلام
في ماذا وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسألونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين
سائغ في امثاله والمسؤل ما احل لهم من المطاعم كانهم لما تلي عليهم ما حرم عليهم سألوا عما احل
لهم قل احل لكم الطيبات ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تتنفر عنه ومن مفهومه حرم
مستخبثات العرب او ما لم يدل نص ولا قياس على حرمته وما علمتم من الجوارح عطف
على الطيبات ان جعلت ما موصولة على تقدير وصيد ما علمتم وجملة شرطية ان جعلت
شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على اهلها من سباع ذوات الاربع
والطير مكلبين معلمين اياه الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد
مشتق من الكلب لان التاديب يكون فيه اكثر او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله
عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه على الحال من علمتم وفائدتها
المبالغة في التعليم تعلمونهن حال ثانية او استيناف مما علمكم الله من الحيل وطرق
التاديب فان العلم به الهام من الله تعالى او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه
تعالى او مما علمكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وينزجر بزجره وينصرف
بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا ياكل منه فكلوا مما امسكن عليكم وهو ما لم ياكل منه

ياكل منه لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك على نفسه
واليه ذهب الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك في سباع الطير لان تاديبها
الى هذا الحد متعذر وقال اخرون لا يشترط مطلقا واذكروا اسم الله عليه الضمير
لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله او لما امسكن بمعنى سموا عليه اذا ادركتم
ذكوته واتقوا الله في محرماته ان الله سريع الحساب فيواخذكم بما جل ودق
اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم يتناول الذبايح
وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى علي رضي الله عنه
نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر
ولا يلحق بهم المجوس في ذلك وان الحق بهم في التقرير على الجزية لقوله عليه السلام
سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا اكلي ذبائحهم وطعامكم حل لهم
فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات من
المؤمنات اي الحرائر العفائف وتخصيصهن بعث على ما هو الاولى والمحصنات
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وان كن حربيات وقال ابن عباس رضي الله
عنهما لا تحل الحربيات اذا اتيتموهن اجورهن مهورهن وتقييد الحل باتيانها
لتاكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد باتيانها التزامها محصنين اعفاء
بالنكاح غير مسافحين مجاهرين بالزنا ولا متخذي اخدان مسرين به والخدن الصديق
يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين يريد
بالايمان شرايع الاسلام وبالكفر به انكاره والامتناع عنه يا ايها الذين امنوا اذا قمتم
الى الصلوة اي اذا اردتم القيام كقوله فاذا قرأت القران فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل
بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة ينبغي ان يبادر اليها بحيث لا ينفك
الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلوة لان التوجه الى الشيء والقيام اليه قصد له
وظاهر الاية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافه لما روي
انه عليه السلام صلى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه
فقال عمدا فعلته فقيل مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلوة محدثين وقيل الامر
فيه للندب وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عليه السلام المائدة من اخر
القران نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم امرار الماء عليه ولا حاجة
الى الدلك خلافا لمالك وايديكم الى المرافق الجمهور على دخول المرفقين في المغسول
ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله ويزدكم قوة الى قوتكم او متعلق بمحذوف تقديره وايديكم
مضافة الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق معنى التحديد ولا لذكره مزيد فائدة لان مطلق اليد
يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها
عليه وانما تعلم من خارج ولم يكن في الاية وكان الايدي متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا

وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية تقتضي خروجها والا لم يكن غاية كقوله فنظرة الى ميسرة
وقوله اتموا الصيام الى الليل لكن لم تتميز الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب ادخالها احتياطا
وامسحوا برؤسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل
وبالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل والصقوا
المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله
واغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في قدر الواجب فاوجب الشافعي اقل ما يقع عليه الاسم
اخذا باليقين وابو حنيفة مسح ربع الرأس لانه عليه السلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع
ومالك مسح كله اخذا بالاحتياط وارجلكم الى الكعبين نصبه نافع وابن عامر وحفص
والكسائي ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول
اكثر الائمة والتحديد بقوله الى الكعبين اذ المسح لم يحد وجره الباقون عطفا على الجوار
ونظيره كثير في القران والشعر كقوله تعالى عذاب يوم اليم وحور عين بالجر في قراءة حمزة
والكسائي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك وفائدته التنبيه على انه ينبغي
ان يقتصد في صب الماء عليها وتغسل غسلا يقرب من المسح وفي الفصل بينه وبين اخويه
ايماء الى وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا فاطهروا
فاغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء
فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه سبق تفسيره ولعل تكريره
ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج اي ما يريد الامر
بالطهارة للصلوة او الامر بالتيمم تضييقا عليكم ولكن يريد ليطهركم لينظفكم او
ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم
التطهر بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما
يريد الله ان يجعل عليكم من حرج حتى يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف
لان ان لا تقدر بعد اللام المزيدة وليتم نعمته عليكم ليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم
ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدارين او ليتم برخصته انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون
نعمته والاية مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب
وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتهما مايع
وجامد وموجبهما حدث اصغر واكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود
عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام لتذكركم المنعم وترغبكم
في شكره وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا يعني الميثاق الذي اخذه
على المسلمين حين بايعهم رسول الله على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره والميثاق
ليلة العقبة او بيعة الرضوان واتقوا الله في انساء نعمته ونقض ميثاقه ان الله عليم بذات
الصدور اي بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم يا ايها الذين امنوا كونوا

كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا عدى بعلى
لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم
بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما في قلوبكم اعدلوا
هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب للتقوى صرح لهم الامر بالعدل وبين انه بمكان
من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا العدل مع الكفار
فما ظنك بالعدل مع المؤمنين واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون فيجازيكم به وتكرير
هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود
او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء نائرة الغيظ وعد الله الذين امنوا وعملوا
الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم انما حذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله لهم
مغفرة فانه استيناف يبينه وقيل الجملة في موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول
فكانه قال وعدهم هذا القول والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم
هذا من عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين حال الاخر وفاء بحق الدعوة وفيه
مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم
روي ان المشركين راوا رسول الله والصحابة بعسفان قاموا الى الظهر معا فلما صلوا
ندموا الا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله تعالى كيدهم
بان انزل صلاة الخوف والاية اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ما روي انه عليه السلام
اتى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطا
يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه
وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله تعالى يده فنزل
جبرائيل عليه السلام فاخبره فخرج وقيل نزل رسول الله منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس
عنه فجاء اعرابي فسل سيفه فقال من يمنعك مني فقال الله فاسقطه جبرائيل من يده واخذه الرسول
وقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فنزلت
اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش
وبسط اليه لسانه اذا شتمه فكف ايديهم عنكم منعها ان تمد اليكم ورد مضرتها عنكم واتقوا الله
وعلى الله فليتوكل المؤمنون فانه الكافي لايصال الخير ودفع الشر ولقد اخذ الله
ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال
قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما امروا به روي ان بني اسرائيل
لما فرغوا عن فرعون واستقروا بمصر امرهم الله بالمسير الى اريحا من ارض الشام وكان
يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا
من فيها فاني ناصركم وامر موسى ان ياخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به
فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث

النقباء يتحسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم فرأوا اجراما عظيمة وبأسا شديدا
فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوقنا من سبط يهوذا ويوشع
بن نون من سبط افرائيم بن يوسف وقال الله اني معكم بالنصرة لئن اقمتم الصلوة
وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم اي نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب ومنه التعزير
واقرضتم الله قرضا حسنا بالانفاق في سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول
لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب للقسم المدلول عليه باللام في لئن ساد مسد جواب الشرط
ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك بعد ذلك الشرط المؤكد
المعلق به الوعد العظيم منكم فقد ضل سواء السبيل ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر معه
بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة فبما نقضهم
ميثاقهم لعناهم طردناهم من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم
قاسية لا تنفعل عن الآيات والنذر وقرأ حمزة والكسائي قسية وهي مبالغة قاسية
او بمعنى رديئة من قولهم درهم قسي اذا كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة فان المغشوش فيه
يبس وصلابة وقرئ قسية باتباع القاف السين يحرفون الكلم عن مواضعه استئناف
لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله والافتراء عليه ويجوز ان يكون حالا
من مفعول لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير له فيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا وافيا
مما ذكروا به من التورية او من اتباع محمد عليه السلام والمعنى انهم حرفوا التورية وتركوا
حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوا وقيل معناه انهم حرفوها فزلت بشؤمه اشياء
منها عن حفظهم لما روي عن ابن مسعود قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه
الآية ولا تزال تطلع على خائنة منهم خيانة او خائن والهاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة
والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم لم يخونوا
وهم الذين آمنوا وقيل الاستثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية فاعف عنهم
واصفح ان تابوا وآمنوا او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ بآية السيف
ان الله يحب المحسنين تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر
الخائن احسان فضلا عن العفو عن غيره ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم
اي واخذنا من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا
انا نصارى قوم اخذنا وانما قال قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا انفسهم بذلك
ادعاء لنصرة الله فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا فالزمنا من غري بالشيء اذا لصق
به بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة بين فرق النصارى وهم نسطورية
ويعقوبية وملكانية او بينهم وبين اليهود وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون
بالجزاء والعقاب يا اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى ووحد الكتاب
لانه للجنس قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كنعت محمد وآية

محمد وآية الرجم في التورية وبشارة عيسى باحمد في الانجيل ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يخبر به
اذا لم يضطر اليه امر ديني او عن كثير منكم فلا يؤاخذه بجرمه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين
يعني القرآن فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الاعجاز
وقيل يريد بالنور محمدا عليه السلام يهدي به الله وحد الضمير لان المراد بهما واحد او لانهما في حكم
الواحد من اتبع رضوانه من اتبع رضاه بالايمان منهم سبل السلام طرق السلامة من العذاب
او سبيل الله ويخرجهم من الظلمات الى النور من انواع الكفر الى الاسلام باذنه بارادته
او بتوفيقه ويهديهم الى صراط مستقيم طريق هو اقرب الطرق الى الله ومؤد اليه لا محالة لقد كفر الذين
قالوا ان الله هو المسيح بن مريم هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به احد منهم ولكن
لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم
قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته
وارادته شيئا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعا احتج بذلك
على فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان
كذلك فهو بمعزل عن الالوهية ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق
ما يشاء والله على كل شيء قدير ازاحة لما عرض لهم من الشبهة في امره والمعنى انه تعالى
قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل كما خلق السموات والارض ومن اصل يخلق
ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كآدم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من
ذكر وحده كحواء او من انثى وحدها كعيسى او منهما كسائر الناس وقالت اليهود والنصارى
نحن ابناء الله اي نحن ابناء رسول الله واحباؤه واشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل
لاشياع ابن الزبير الخبيبون او مقربون عنده قرب الاولاد من والدهم وقد سبق لنحو
ذلك مزيد بيان في سورة آل عمران قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي فان صح ما زعمتم
فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا
بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم انه سيعذبكم بالنار اياما معدودة بل انتم بشر
ممن خلق ممن خلقه الله يغفر لمن يشاء وهم من آمن به وبرسله ويعذب من يشاء
وهم من كفر والمعنى انه تعالى يعاملكم معاملة سائر الناس لا مزية لكم عليهم ولله ملك السموات
والارض وما بينهما كلها سواء في كونه خلقا وملكا له واليه المصير فيجازي المحسن باحسانه
باسائة يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم اي الدين وحذف لظهوره
او ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول على معنى يبذل لكم البيان
والجملة في موضع الحال اي جاءكم رسولنا مبينا لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم
اي جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي او بيبين حال من الضمير فيه
ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير كراهة ان تقولوا ذلك وتعتذروا به
فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا بما جاءنا فقد جاءكم والله

على كل شيء قدير فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى فانه كان بينهما الف
وسبعمائة سنة والف نبي وعلى الارسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد كان بينهما
ستمائة او خمسمائة وتسع وستون سنة واربعة انبياء ثلاثة من بني اسرائيل وواحد
من العرب خالد بن سنان العبسي وفي الآية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمست
آثار الوحي وكانوا احوج ما يكونون اليه واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله
عليكم اذ جعل فيكم انبياء فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث في امة ما بعث في بني
اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا اي وجعل منكم او فيكم وقد تكاثر فيهم الملوك
تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى وقيل لما كانوا مملوكين
في ايدي القبط فانقذهم الله وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم سماهم ملوكا وآتاكم
ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوهما
مما آتاهم وقيل المراد بالعالمين عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة ارض
بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله
وقيل دمشق وقيل فلسطين وبعض الاردن وقيل الشام التي كتب الله لكم قسمها لكم او كتب
في اللوح المحفوظ انها تكون مسكنا لكم ولكن ان آمنتم واطعتم لقوله لهم بعد ما عصوا فانها محرمة
عليهم ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة وقيل لما سمعوا حالهم
من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا الى مصر او
ولا ترتدوا في دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله فتنقلبوا خاسرين ثواب الدارين
ويجوز في فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب على الجواب قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين
متغلبين لا يتأتى مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذي يجبر الناس
على ما يريده وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة
بهم لنا قال رجلان كالب ويوشع من الذين يخافون اي يخافون الله ويتقونه
وقيل كانا رجلين من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى فعلى هذا الواو لبني اسرائيل والراجع
الى الموصول محذوف اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له انه قرئ الذين يخافون
بالضم اي المخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخوفون من الله
بالتذكير او يخوفهم الوعيد انعم الله عليهما بالايمان والتثبت وهو صفة ثانية لرجلين
او اعتراض ادخلوا عليهم الباب باب قريتهم اي باغتوهم وضاغطوهم
في المضيق وامنعوهم من الاصحار فاذا دخلتموه فانكم غالبون لتعسر الكر
عليهم في المضائق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لا قلوب فيها ويجوز ان يكون علمهما
بذلك من اخبار موسى وقوله كتب الله لكم او مما علماه من عادته تعالى ونصر رسله
وما عهدا من صنعه لموسى في قهر اعدائه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين اي مؤمنين
ومصدقين لوعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا نفوا دخولهم على التاكيد

على التاكيد والتابيد ما داموا فيها بدل من ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك
فقاتلا انا هاهنا قاعدون قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل
تقديره اذهب انت وربك يعينك قال رب اني لا املك الا نفسي واخي قاله شكوى
بثه وحزنه الى الله لما خالفه قومه وأيس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هارون والرجلان
المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه ويجوز ان يراد باخي من
يواخيني في الدين فيدخلان فيه ويحتمل نصبه عطفا على نفسي او على اسم ان ورفعه عطفا
على الضمير في لا املك او على ان واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير في نفسي فافرق
بيننا وبين القوم الفاسقين بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقونه او بالتبعيد
بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم
لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم اربعين سنة يتيهون في الارض
عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله كتب الله
لكم ويؤيد ذلك ما روي ان موسى عليه السلام سار بعد بمن بقي من بني اسرائيل ففتح
اريحاء واقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل انه قبض في التيه ولما احتضر اخبرهم بان يوشع
بعده نبي وان الله امره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام
كله لبني اسرائيل واما يتيهون اي يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم
مطلقا وقد قيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها بل هلكوا
في التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم روي انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ
يسيرون من الصباح الى المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس
وعمود من نور يطلع بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر
الذي يحملونه والاكثر على ان موسى وهارون كانا معهم في التيه الا انه كان ذلك روحا
لهما وزيادة في درجتهما وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه مات هارون وموسى بعده بسنة
ثم دخل يوشع اريحاء بعد ثلاثة اشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع
ولا تاس على القوم الفاسقين خطاب به موسى لما ندم على الدعاء عليهم وبين انهم احقاء
بذلك لفسقهم واتل عليهم نبأ ابني آدم قابيل وهابيل اوحى الله تعالى الى آدم ان يزوج
كل واحد منهما توأمة الآخر فسخط منه قابيل لان توأمته كانت اجمل فقال لهما آدم قربا قربانا
فمن ايكما قبل تزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا
وفعل ما فعل وقيل لم يرد بهما ابني آدم لصلبه وانهما رجلان من بني اسرائيل
ولذلك قال كتبنا على بني اسرائيل بالحق صفة مصدر محذوف اي تلاوة ملتبسة
بالحق او حال من الضمير في اتل او من نبأ اي ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب
الاولين اذ قربا قربانا ظرف للنبأ او حال منه او بدل على حذف المضاف
اي اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به الى الله تعالى

من ذبحه او غيرها كما ان الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى وهو في الاصل مصدر ولذلك
لم يثن وقيل تقديره اذ قرب كل واحد منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب
ارذل قمح عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب جملا سمينا فتقبل من احدهما ولم يتقبل
من الآخر لانه سخط حكم الله ولم يخلص النية في قربانه وقصد الى اخس ما عنده قال
لاقتلنك توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك قال انما يتقبل
الله من المتقين في جوابه اي انما اتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني
وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغي ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار
المحسود محظوظا لا في ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة لا تقبل الا من
مؤمن متق لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني
اخاف الله رب العالمين قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له
خوفا من الله لان الدفع لم يبح بعد او تحريا لما هو الافضل قال النبي عليه السلام كن عبد الله
المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وانما قال ما انا بباسط في جواب لئن بسطت للتبري
عن هذا الفعل الشنيع رأسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد النفي
بالباء اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين
تعليل ثان للامتناع عن المعارضة البادي ما لم يعتد المظلوم وقيل معنى باثمي باثم قتلي وباثمك
اثم قتلك الذي لم يتقبل من اجله قربانك وكلاهما في موضع الحال اي ترجع ملتبسا بالاثمين
حاملا لهما ولعله لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان
لا محالة واقعا فاريد ان يكون لك لا لي فالمراد بالذات ان لا يكون له لا ان يكون لاخيه ويجوز
ان يكون المراد بالاثم عقوبته وارادة عقاب العاصي جائزة فطوعت له نفسه قتل اخيه
فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى
فعل او على ان قتل اخيه كأنه دعاه الى الاقدام عليه فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك
حفظت لزيد ماله فقتله فاصبح من الخاسرين دينا ودنيا اذ بقي مدة عمره مطرودا ومحزونا
قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم
فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه روي انه لما قتله تحير
في امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان اول ميت من بني آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل
احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة والضمير في ليريه لله او للغراب
وكيف حال من الضمير في يواري فالجملة ثاني مفعولي يرى والمراد بسوءة اخيه جسده الميت
فانه مما يستقبح ان يرى قال يا ويلتى كلمة جزع وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى
يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة اعجزت ان اكون مثل هذا
الغراب فاواري سوءة اخي لا اهتدي اليه وقوله فاواري عطف على اكون وليس جواب
الاستفهام اذ ليس المعنى لو عجزت لواريت وقرئ بالسكون على فانا اواري او على تسكين

المنصوب تخفيفا فاصبح من النادمين على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته
سنة او اكثر على ما قيل وتلمذه للغراب واسوداد لونه وتبري ابويه منه اذ روي انه لما قتله
اسود جسده فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود
جسدك وتبرأ عنه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر بما فعله
من اجله من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل بسببه قضينا عليهم واجل في الاصل مصدر
اجل شرا اذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كقولهم من جراك فعلته اي من ان جررته
اي جنيته ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اي ابتداء الكتب
وانشاؤه من اجل ذلك انه من قتل نفسا بغير نفس اي بغير قتل نفس يوجب القصاص
او فساد في الارض او بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق فكانما قتل الناس
جميعا من حيث انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه او من حيث
ان قتل الواحد والجميع سواء في استجلاب غضب الله والعذاب العظيم ومن احياها فكانما
احيا الناس جميعا اي ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو او منع عن القتل او استنقاذ
من بعض اسباب الهلكة فكانما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل
النفس واحيائها في القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا في المحاماة عليها ولقد
جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون اي بعد ما كتبنا عليهم
هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالآيات الواضحة
تأكيدا للامر وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون في الارض بالقتل ولا يبالون
به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد عن حد الاعتدال في الامر انما جزاء
الذين يحاربون الله ورسوله اي يحاربون اولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم
محاربتهما تعظيما واصل الحرب السلب والمراد به هنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوص
وان كانت في مصر ويسعون في الارض فسادا اي مفسدين ويجوز نصبه على العلة
او المصدر لان سعيهم كان فسادا فكأنه قيل ويفسدون في الارض فسادا ان يقتلوا
اي قصاصا من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا اي يصلبوا مع القتل
ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف في انه يقتل ويصلب او يترك حيا
ويطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم
اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا او ينفوا من الارض اي ينفوا من بلد الى بلد بحيث
لا يتمكنون من القرار في موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة رحمه الله النفي
بالحبس واو في الآية على هذا للتفصيل وقيل انه للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات
في كل قاطع ذلك لهم خزي في الدنيا ذل وفضيحة ولهم في الآخرة عذاب عظيم
لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا استثناء مخصوص بما هو حق الله ويدل عليه قوله
من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم اما القتل قصاصا فالى الاولياء

يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد القدرة
لا تسقط الحد وان اسقطت العذاب وان الآية في قطاع المسلمين لان توبة المشرك
تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا
اليه الوسيلة اي ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك
المعاصي من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة و
جاهدوا في سبيله بمحاربة اعدائه الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون بالوصول
الى الله والفوز بكرامته ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض من صنوف الاموال
جميعا ومثله معه ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم القيامة
واللام متعلقة بمحذوف تستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض وتوحيد
الضمير في به والمذكور شيئان اما لاجرائه مجرى اسم الاشارة في نحو قوله تعالى عوان
بين ذلك او لان الواو في ومثله بمعنى مع ما تقبل منهم جواب لو ولو بما في حيزه
خبر ان والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه ولهم
عذاب اليم تصريح بالمقصود وكذلك قوله يريدون ان يخرجوا من النار
وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم وقرئ يخرجوا من اخرج وانما قال وما هم
بخارجين بدل وما يخرجون للمبالغة والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جملتان
عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وجملة
عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى والذي سرق والتي
سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار في امثاله لان الانشاء لا يقع خبرا الا
باضمار وتاويل والسرقة اخذ مال الغير خفية وانما توجب القطع اذا كانت
في حرز والمأخوذ ربع دينار او ما يساويه لقوله عليه السلام القطع في ربع دينار
فصاعدا وللعلماء خلاف في ذلك لاحاديث وردت فيه وقد استقصيت
الكلام فيه في شرح المصابيح والمراد بالايدي الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما
ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية
المضاف اليه واليد اسم لتمام العضو ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب
والجمهور على انه الرسغ لانه عليه السلام اتي بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء بما كسبا
نكالا من الله منصوبان على المفعول له او المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا والله عزيز
حكيم فمن تاب من السراق من بعد ظلمه اي سرقته واصلح امره بالتفصي عن التبعات
والعزم على ان لا يعود اليها فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم يقبل توبته
فلا يعذبه في الآخرة اما القطع فلا يسقط بها عند الاكثرين لان فيه حق المسروق
منه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض الخطاب للنبي او لكل احد
يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير قدم التعذيب على المغفرة

على المغفرة اتباعا على ترتيب ما سبق او لان استحقاق التعذيب مقدم او لان المراد به
القطع وهو في الدنيا يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر
اي صنيع الذين يقعون في الكفر سريعا اي في اظهاره اذا وجدوا منه فرصة
من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم اي من المنافقين والباء متعلقة
بقالوا لا بآمنا والواو تحتمل الحال والعطف ومن الذين هادوا عطف على الذين
قالوا سماعون للكذب خبر مبتدا محذوف اي هم سماعون والضمير للفريقين
او للذين يسارعون ويجوز ان يكون مبتدا ومن الذين خبره اي ومن اليهود
قوم سماعون واللام في للكذب اما مزيدة للتاكيد او لتضمين السماع معنى القبول
اي قابلون لما تفتريه الاحبار او للعلة والمفعول محذوف اي سماعون كلامك
ليكذبوا عليك فيها سماعون لقوم آخرين لم ياتوك اي لجمع آخر من اليهود
لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا او افراطا في البغضاء والمعنى على الوجهين
اي مصغون لهم قابلون كلامهم او سماعون منك لاجلهم وللانهاء اليهم ويجوز
ان تتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثاني مكرر للتاكيد اي سماعون ليكذبوا لقوم آخرين
يحرفون الكلم عن مواضعه اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها اما لفظا باهماله او تغيير
وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده والجملة صفة اخرى لقوم او صفة لسماعون
او حال من الضمير فيه او استيناف لا موضع له او في موضع الرفع خبر لمحذوف اي هم يحرفون وكذلك
يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه اي ان اوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به وان لم تؤتوه
بل افتاكم محمد بخلافه فاحذروا اي فاحذروا قبول ما افتاكم به روي ان شريفا من خيبر زنى
بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله
عنه وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه
فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم وقال له انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر
لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه
هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب
فامر رسول الله عليه السلام بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته ضلالته او فضيحته
فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها اولئك الذين لم يرد الله
ان يطهر قلوبهم من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة لهم في الدنيا خزي هوان
بالجزية والخوف من المؤمنين ولهم في الآخرة عذاب عظيم وهو الخلود في النار والضمير للذين
هادوا ان استانفت بقوله ومن الذين والا فللفريقين سماعون للكذب كرره
للتاكيد اكالون للسحت اي الحرام كالرشى من سحته اذا استاصله لانه مسحوت البركة
وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب في المواضع الثلثة بضمتين وهما لغتان
كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر فان جاؤك فاحكم بينهم

أو أعرض عنهم تخيير لرسول الله عليه السلام إذا تحاكموا إليه بين الحكم والإعراض ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان
إلى القاضي لم يجب عليه الحكم وهو قول الشافعي والأصح وجوبه إذا كان المترافعان أو أحدهما ذميا لأنا
التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم منهم والآية ليست في أهل الذمة وعند أبي حنيفة رحمه الله يجب مطلقا
وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا بأن يعادوك لإعراضك عنهم فإن الله يعصمك من الناس
وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذي أمر الله به إن الله يحب المقسطين فيحفظهم
ويعظم شأنهم وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به
والحال أن الحكم منصوص عليه في الكتاب الذي عندهم وتنبيه على أنهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة
الحق وإقامة الشرع وإنما طلبوا به ما يكون أهون عليهم وإن لم يكن حكم الله في زعمهم وفيها حكم الله
حال من التوراة إن رفعتها بالظرف وإن جعلتها مبتدأ فمن ضميرها المستكن فيه وتأنيثها
لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم لفظا كموماة ودوداة ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون
عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب وما أولئك
بالمؤمنين بكتابهم لإعراضهم عنه أولا وعما يوافقه ثانيا أو بك وبه إنا أنزلنا التوراة
فيها هدى يهدي إلى الحق ونور يكشف ما استبهم من الأحكام يحكم بها النبيون يعني أنبياء
بني إسرائيل أو موسى ومن بعده إن قلنا شرعنا ما لم ينسخ وبهذه الآية تمسك القائل به
الذين أسلموا صفة أجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها بشأن المسلمين وتعريضا
باليهود وأنهم بمعزل عن دين الأنبياء واقتفاء هديهم للذين هادوا متعلق بأنزل أو بيحكم
أي يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل على أن النبيين أنبياؤهم والربانيون والأحبار زهادهم وعلماؤهم
السالكون طريقة أنبيائهم عطف على النبيين بما استحفظوا من كتاب الله بسبب أمر الله
إياهم بأن يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع إلى ما محذوف ومن للتبيين وكانوا
عليه شهداء رقباء لا يتركون أن يغيروا أو شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن
صوريا فلا تخشوا الناس واخشون نهي للحكام أن يخشوا غير الله في حكومتهم
ويداهنوا فيها خشية ظالم أو مراقبة كبير ولا تشتروا بآياتي ولا تستبدلوا بأحكامي التي
أنزلتها ثمنا قليلا هو الرشوة والجاه ومن لم يحكم بما أنزل الله مستهينا به ومنكرا له
فأولئك هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم بأن حكموا بغيره ولذلك وصفهم
بقوله الظالمون والفاسقون فكفرهم لإنكاره وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج
عنه ويجوز أن يكون كل واحدة من الصفات الثلاث باعتبار حال انضمت إلى الامتناع
عن الحكم به ملائمة لها ولطائفة كما قيل هذه في المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون
في اليهود والفاسقون في النصارى وكتبنا عليهم وفرضنا على اليهود فيها في التوراة
أن النفس بالنفس أي أن النفس تقتل بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف
والأذن بالأذن والسن بالسن رفعها الكسائي على أنها جمل معطوفة على أن وما
في حيزها باعتبار المعنى فكأنه قيل كتب عليهم النفس بالنفس والعين بالعين فإن الكتبة والقراءة

والقراءة يقعان على الجمل كالقول أو جملة مستأنفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة بالعين
والأنف مجدوعة بالأنف والأذن مصلومة بالأذن والسن مقلوعة بالسن أو على أن
المرفوع منها معطوف على المستكن في قوله بالنفس وإنما ساغ لأنه في الأصل
مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور حال مبينة للمعنى والجروح قصاص أي ذات قصاص
وقرأ الكسائي أيضا وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر على أنه إجمال للحكم بعد التفصيل
فمن تصدق من المستحقين به بالقصاص أي فمن عفا عنه فهو فالتصدق كفارة له
للمتصدق يكفر الله به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له أي فالمتصدق
كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء ومن لم يحكم بما أنزل الله من القصاص
وغيره فأولئك هم الظالمون وقفينا أي واتبعناهم على آثارهم فحذف المفعول
لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيون بعيسى ابن مريم مفعول ثان عدي إليه الفعل
بالباء مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى
ونور في موضع النصب بالحال مصدقا لما بين يديه من التوراة عطف عليه وكذا قوله
وهدى وموعظة للمتقين ويجوز نصبهما على المفعول لهما عطفا على محذوف تعليقا به
وعطف وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه عليه في قراءة حمزة وعلى الأول اللام متعلقة
بمحذوف أي وآتيناه ليحكم وقرئ وأن ليحكم على أن أن موصولة بالأمر كقوله أمرتك
بأن قم أي وأمرنا بأن ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون عن حكمه
أو عن الإيمان إن كان مستهينا به والآية تدل على أن الإنجيل مشتمل على الأحكام وأن
اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عليه السلام فإنه كان مستقلا بالشرع وحملها على وليحكموا
بما أنزل الله فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة خلاف الظاهر وأنزلنا إليك
الكتاب بالحق أي القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب من جنس الكتب المنزلة
فاللام الأولى للعهد والثانية للجنس ومهيمنا عليه ورقيبا على سائر الكتب يحفظه من التغيير
ويشهد لها بالصحة والثبات وقرئ على بنية المفعول أي هومن عليه وحوفظ
من التحريف والحافظ له هو الله تعالى أو الحفاظ له في كل عصر فاحكم بينهم بما أنزل الله
أي بما أنزل إليك ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق بالانحراف عنه إلى ما يشتهونه
فعن صلة لا تتبع لتضمنه معنى لا تنحرف أو حال من فاعله أي لا تتبع أهواءهم مائلا عما
جاءك لكل جعلنا منكم أيها الناس شرعة شريعة وهي الطريق إلى الماء شبه بها
الدين لأنه طريق إلى ما هو سبب الحياة الأبدية وقرئ بفتح الشين ومنهاجا
وطريقا واضحا في الدين من نهج الأمر إذا وضح واستدل به على أنا غير متعبدين بالشرائع
المتقدمة ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة جماعة متفقة على دين في جميع الأعصار
من غير نسخ وتحويل ومفعول لو شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله
اجتماعكم على الإسلام لأجبركم عليه ولكن ليبلوكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة المناسبة

لكل عصر وقرئ بالتاء والياء بما فيه صلاحكم فبين لكم اي لتعلموا بها قد عنيتم لها معتقدين ان اختلافها مقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون عن الحق وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم الى الله مرجعكم جميعا استيناف فيه تعليل للامر بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر وان احكم بينهم بما انزل الله عطف على الكتاب اي انزلنا اليك الكتاب والحكم او على الحق اي انزلناه بالحق وبان احكم ويجوز ان يكون جملة بتقدير وامرنا ان احكم ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك اي ان يضلوك ويصرفوك عنه وان بصلته بدل من هم بدل الاشتمال اي احذرهم فتنتهم او مفعول له اي احذرهم مخافة ان يفتنوك روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله عليه السلام فنزلت فان تولوا عن الحكم المنزل وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني ذنب التولي عن حكم الله فعبر عنه بذلك تنبيها على ان لهم ذنوبا كثيرة وهذا مع عظمه واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما في التنكير ونظيره قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها وان كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون في الكفر معتدون فيه افحكم الجاهلية يبغون الذي هو الميل والمداهنة في الحكم والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى وقيل نزلت في بني قريظة والنضير طلبوا رسول الله عليه السلام بان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه في الصلة في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا واستضعف ذلك في غير الشعر وقرئ افحكم الجاهلية يبغون اي يبغون حاكما كحكام الجاهلية يحكم بحسب شهيتهم وقرأ ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون اي عندهم واللام للبيان كما في قوله هيت لك اي هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء بانظارهم فيعلمون ان لا احسن حكما من الله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب بعضهم اولياء بعض ايماء الى علة النهي اي فانهم متفقون على خلافكم يوالي بعضهم بعضا لاتحادهم في الدين واجماعهم على مضادتكم ومن يتولهم منكم فانه منهم اي ومن والاهم منكم فانه من جملتهم وهذا للتشديد في وجوب مجانبتهم كما قال عليه السلام لا تتراءى ناراهما او لان المتوالي لهم كانوا منافقين ان الله لا يهدي القوم الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفار او المؤمنين بموالاة اعدائهم فترى الذين في قلوبهم مرض يعني ابن ابي واضرابه يسارعون فيهم اي في موالاتهم ومعاونتهم

ومعاونتهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة يعتذرون بانهم يخافون ان يصيبهم دائرة من الدوائر بان ينقلب الامر ويكون الدولة للكفار روي ان عبادة بن الصامت قال لرسول الله عليه السلام ان لي موالي من اليهود كثيرا عددهم واني ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال ابن ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالي فنزلت فعسى الله ان يأتي بالفتح لرسول الله على اعدائه واظهار المسلمين او امر من عنده يقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء او الامر باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيصبحوا اي هؤلاء المنافقين على ما اسروا في انفسهم نادمين على ما استبطنوه من الكفر والشك في امر الرسول فضلا عما اظهروه مما اشعر على نفاقهم ويقول الذين امنوا بالرفع قرأه عاصم وحمزة والكسائي على انه كلام مبتدأ ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ وبالنصب قرأه ابو عمرو ويعقوب عطفا على ان يأتي باعتبار المعنى وكانه قال عسى ان يأتي الله بالفتح ويقول الذين امنوا او يجعله بدلا من اسم الله داخلا في اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث او على الفتح بمعنى عسى الله ان يأتي بالفتح وبقول المؤمنين فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان به اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما من الله عليهم من الاخلاص او يقولون لليهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وجهد الايمان اغلظها وهو في الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله يجتهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة او على المصدر لانه بمعنى اقسموا حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين اما من جملة المقول او من قول الله تعالى شهادة لهم بحبوط اعمالهم وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم وما اخسرهم يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه قرأه على الاصل نافع وابن عامر وهو كذلك في الامام والباقون بالادغام وهذا من الكائنات التي اخبر الله عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب في اواخر عهد رسول الله ثلث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم ذو الحمار الاسود العنسي تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله عليه السلام من غدها واخبر الرسول في تلك الليلة فسر المسلمون واتى الخبر في اخر ربيع الاول وبنو حنيفة اصحاب مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله عليه السلام من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله تعالى يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر بجند المسلمين وقتله وحشي قاتل حمزة وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله عليه السلام خالدا فهرب بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وفي عهد ابو بكر سبع فزارة قوم عيينة بن حصين وغطفان قوم قرة بن سلمة وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة

وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجت مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن قيس
وبنو بكر بن وايل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله امرهم على يده وفي امرة عمر رضي الله
عنه غسان قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الشام فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه
قيل هم اليمن لما روي انه عليه السلام اشار الى ابي موسى الاشعري وقال قوم هذا وقيل
الفرس لانه عليه السلام سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه وقيل
الذين جاهدوا يوم القادسية الفان من النخع وخمسة الاف من كندة وبجيلة وثلثة الاف
من افناء الناس والراجع الى من محذوف تقديره فسوف يأتي الله بقوم مكانهم ومحبة الله
للعباد ارادة الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب في الآخرة ومحبة العباد له
ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه اذلة على المؤمنين عاطفين عليهم متذللين لهم جمع
ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل واستعماله مع على اما لتضمين معنى العطف والحنو والتنبيه على انهم
مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم او للمقابلة اعزة على الكافرين شداد
متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال يجاهدون في سبيل الله صفة
اخرى لقوم او حال من الضمير في اعزة ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى انهم
الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه او حال بمعنى انهم يجاهدون وحالهم
خلاف المنافقين فانهم يخرجون في جيش المسلمين خائفين ملامة اوليائهم من اليهود
فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان
ذلك اشارة الى ما تقدم من الاوصاف فضل الله يؤتيه من يشاء يمنحه ويوفق له
والله واسع كثير الفضل عليم بمن هو اهله انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا لما نهى
عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها وانما قال وليكم للتنبيه على ان الولاية لله تعالى
على الاصالة ولرسوله وللمؤمنين على التبع الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة
صفة للذين آمنوا فانه جرى مجرى الاسم او بدل منه ويجوز نصبه ورفعه على المدح وهم راكعون
متخشعون في صلوتهم وزكوتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون الزكوة اي يؤتون الزكوة
في حال ركوعهم في الصلوة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه فانها نزلت في علي رضي الله
عنه حين ساله سائل وهو راكع في صلوته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة على امامته
زاعمين ان المراد بالولي المتولي للامور والمستحق للتصرف فيهم والظاهر ما ذكرناه مع ان
حمل الجمع على الواحد ايضا خلاف الظاهر وان صح انه نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع ليرغب
الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل في الصلوة
لا يبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكوة ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا
ومن يتخذهم اولياء فان حزب الله هم الغالبون اي فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر
موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه وكانه قيل ومن يتولى هؤلاء فهم حزب الله هم الغالبون
وتنويها بذكرهم وتعظيما لشانهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا لمن يوالي غير هؤلاء

غير هؤلاء بانه حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم يا ايها الذين آمنوا
لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار
اولياء نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان
رجال من المسلمين يوادونهما وقد رتب النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا
ولعبا ايماء على العلة وتنبيها على ان من هذا شانه بعيد من الموالاة جدير بالمعاداة و
فصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم ابو عمرو والكسائي
ويعقوب والكفار وان عم اهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف
كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على ان النهي عن موالاة من ليس على الحق راسا
سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن
كالمشركين واتقوا الله بترك المناهي ان كنتم مؤمنين لان الايمان حقا
يقتضي ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها
هزوا ولعبا اي اتخذوا الصلوة والمناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلوة
وروي ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله
قال حرق الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطاير منها شرارة
في البيت فاحرقه واهله ذلك بانهم قوم لا يعقلون فان السفه يؤدي الى الجهل بالحق
والهزء به والعقل يمنع منه قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا هل تنكرون وتعيبون
يقال نقم منه كذا اذا انكره وانتقم اذا كافاه وقرئ تنقمون بفتح القاف وهو لغة
الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل الايمان بالكتب المنزلة كلها
وان اكثركم فاسقون عطف على ان آمنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو
المخالفة اي ما تنكرون منا الا المخالفة حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون منه وكان
الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون فحذف المضاف او على ما اي وما تنقمون منا الا الايمان
بالله وبما انزل وبان اكثركم او على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا ان آمنا لقلة
انصافكم وفسقكم او نصب باضمار فعل دل عليه هل تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم
فاسقون او رفع على الابتداء والخبر محذوف اي فسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن
حب الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف والاية خطاب ليهود سالوا رسول الله
عليه السلام عمن يؤمن به فقال اؤمن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا
حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم شرا من دينكم قل هل انبئكم بشر من ذلك اي من
ذلك المنقوم مثوبة عند الله جزاء ثابتا عند الله والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة
بالشر ووضعت ههنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها
على التمييز عن بشر من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير بدل من بشر
على حذف مضاف اي بشر من اهل ذلك من لعنه الله او بشر من ذلك دين من لعنه الله

او خبر محذوف اي هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهما
كهم في المعاصي بعد وضوح الايات ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم
خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت مسخت شبانهم
قردة ومشايخهم خنازير وعبد الطاغوت عطف على صلة من وكذا عبد الطاغوت
على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعبُدَ بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا
اي فيهم او بينهم ومن قرأ وعابد الطاغوت او عبد على انه نعت كفطن ويقظ او عبدة
او عبد الطاغوت على انه جمع كخدم او ان اصله عبدة فحذفت التاء للاضافة عطفه
على القردة ومن قرأ وعبد الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد العجل وقيل الكهنة وكل من
اطاعوه في معصية الله وقرأ حمزة وعبد الطاغوت بضم الباء وجر التاء والباقون
بفتح الباء ونصب التاء اولئك اي الملعونون شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون
ابلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا واضل عن سواء السبيل قصد الطريق
المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود والمراد من صيغتي التفضيل الزيادة مطلقا
لا بالاضافة الى المؤمنين في الشرارة والضلال واذا جاؤكم قالوا امنا نزلت
في يهود نافقوا رسول الله عليه السلام او في عامة المنافقين وقد دخلوا بالكفر
وهم قد خرجوا به اي يخرجون من عندك كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك و
الجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد
وان دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا لما فيها من التوقع
ان امارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول يظنه ولذلك قال والله اعلم
بما كانوا يكتمون اي من الكفر وفيه وعيد لهم وترى كثيرا منهم اي من اليهود والمنافقين
يسارعون في الاثم اي الحرام وقيل الكذب لقوله عن قولهم الاثم والعدوان الظلم
او مجاوزة الحد في المعاصي وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم واكلهم
السحت اي الحرام خصه بالذكر للمبالغة لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئا عملوه
لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت تحضيض لعلمائهم
على النهي عن ذلك فان لولا اذا دخل الماضي افاد التوبيخ واذا دخل المستقبل افاد التحضيض
لبئس ما كانوا يصنعون ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان
بعد تدرب فيه وترو وتحري اجادة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح
من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان
جديرا بابلغ الذم وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو ممسك يقتر بالرزق وغل
اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل او بسط ولذلك
يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه
ووهاده ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه انه فقير كقوله وقد

وقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا
دعاء عليهم بالبخل والنكد او بالفقر والمسكنة او بغل الايدي حقيقة يغللون اسارى
في الدنيا ومسحبين الى النار في الاخرة فيكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الاصل
كقولك سبني سب الله دابره بل يداه مبسوطتان ثنى اليد مبالغة في الرد ونفي البخل عنه
واثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخي من ماله ان يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا
والاخرة وعلى ما يعطي للاستدراج وما يعطي للاكرام ينفق كيف يشاء تاكيد لذلك
اي هو مختار في انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته لا على تعاقب
سعة وضيق في ذات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانها مضاف
اليها ولا من اليدين اذ لا ضمير لهما لذلك والاية نزلت في فنحاص بن عازوراء فانه
قال ذلك لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا عليه السلام واشرك
فيه الاخرون لانهم رضوا بقوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا
اي هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا بما يسمعون من القران كما يزداد
المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء والقينا بينهم العداوة والبغضاء
الى يوم القيامة فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق اقوالهم كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها
الله كلما ارادوا حرب الرسول واثارة شر عليه ردهم الله بان اوقع بينهم منازعة كف بها
عنه شرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التورية سلط الله
عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطروس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس
ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب صلة اوقدوا او صفة نارا ويسعون في الارض
فسادا اي للفساد وهو اجتهادهم في الكيد واثارة الحروب والفتن وهتك المحارم
والله لا يحب المفسدين فلا يجازيهم الا شرا ولو ان اهل الكتاب امنوا بمحمد وما جاء به
واتقوا ما عددنا من معاصيهم ونحوه لكفرنا عنهم سيئاتهم التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها
ولادخلناهم جنات النعيم ولجعلناهم داخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة
ذنوبهم وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو انهم
اقاموا التورية والانجيل باذاعة ما فيهما ومن القيام باحكامهما وما انزل اليهم من ربهم
يعني سائر الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان بها كالمنزل اليهم والقران
لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات من السماء
والارض او بكثرة ثمرة الاشجار وغلة الزروع او يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنونها
من رأس الشجرة ويلتقطون ما تساقط على الارض بين بذلك ان ما كف عنهم لشؤم كفرهم
ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم امنوا واقاموا ما امروا به لوسع عليهم وجعل خير الدارين
لهم منهم امة مقتصدة عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين امنوا بمحمد عليه السلام وقيل
مقتصدة متوسطة في عداوته وكثير منهم ساء ما يعملون اي بئس ما يعملونه وفيه

معنى التعجب اى ما اسوء عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط فى العداوة
يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك جميع ما انزل اليك غير مراقب احدا ولا
خايف مكروها وان لم تفعل وان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته
فما اديت شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع ما ادى منها كترك بعض اركان الصلوة
فان غرض الدعوة ينتقض به او فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله فكانما قتل الناس
جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء فى الشناعة واستجلاب العقاب
والله يعصمك من الناس عدة وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض الاعادى وازاحة
لمعاذيره ان الله لا يهدى القوم الكافرين لا يمكنهم مما يريدون بك وعن النبى عليه السلام
بعثنى الله برسالته فضقت بها ذرعا واوحى الله ان لم تبلغ رسالاتى عذبتك وضمن لى
العصمة فقويت وعن انس كان رسول الله عليه يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة
ادم فقال انصرفوا يا ايها الناس فقد عصمنى الله من الناس وظاهر الآية يوجب تبليغ
كل ما انزل ولعل المراد تبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه
فان من الاسرار الالهية ما يحرم افشاؤه قل يا اهل الكتاب لستم على شىء اى دين
يعتد به ويصح ان يسمى شيئا لانه باطل حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم
ومن اقامتها الايمان بمحمد والاذعان لحكمه فان الكتب الالهية باسرها امرة بالايمان
لمن صدقه المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة اصولها وما لم ينسخ من فروعها
وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم الكافرين
فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا
يتخطاهم وفى المؤمنين مندوحة لك عنهم ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون
والنصارى سبق تفسيره فى سورة البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف
والنية به التاخير عما فى حيز ان والتقدير ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى
حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله فانى وقيار بها لغريب وقوله والا فاعلموا انا
وانتم بغاة ما بقينا فى شقاق وهو كاعتراض دل به على انه لما كان الصابئون مع ظهور
ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم
اولى بذلك ويجوز ان يكون والنصارى معطوفا عليه ومن امن خبرهما وخبر ان مقدر
دل عليه ما بعده كقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراى مختلف ولا يجوز
عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدا
وخبر ان معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير فى هادوا لعدم التاكيد والفصل ولانه يوجب
كون الصابئين هودا وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها فى موضع الرفع بالابتداء وقيل
الصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما يجوز بالياء يجوز بالواو من امن بالله واليوم
الاخر وعمل صالحا فى محل الرفع بالابتداء وخبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والجملة

والجملة خبر ان او خبر المبتدا كما مر والراجع محذوف اى من امن منهم او النصب على البدل من اسم ان
وما عطف عليه وقرئ والصابيون وهو الظاهر والصابون بقلب الهمزة ياء والصابون
بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا او من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم
يتبعوا شرعا ولا عقلا لقد اخذنا ميثاق بنى اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا
ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم من
الشرائع ومشاق التكاليف فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب الشرط والجملة صفة رسلا
والراجع محذوف اى رسل منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استيناف
وانما جىء بيقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا
للقتل وتنبيها على ان ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤس الآى وحسبوا
ان لا تكون فتنة اى وحسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل الانبياء
وتكذيبهم وقرا حمزة وابو عمرو والكسائى ويعقوب لا تكون بالرفع على ان ان
هى المخففة من الثقيلة واصله انه لا تكون وادخال فعل الحسبان عليها وهى للتحقيق
تنزيل له منزلة العلم لتمكنه فى قلوبهم وان وان بما فى حيزها سادة مسد مفعوليه
فعموا عن الدين والدلايل والهدى وصموا عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا
العجل ثم تاب الله عليهم اى لم تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة اخرى
وقرئ بالضم فيهما على ان الله تعالى عماهم وصمهم اى رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة
الفاشية اعمى واصم كثير منهم بدل من الضمير او فاعل والواو علامة الجمع كقولهم اكلونى
البراغيث او خبر مبتدا محذوف اى العمى والصم كثير منهم وقيل مبتدا والجملة قبله خبره وهو
ضعيف لان تقديم الخبر فى مثله ممتنع والله بصير بما يعملون فيجازيهم وفق اعمالهم لقد
كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله
ربى وربكم اى انى عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقى وخالقكم انه من يشرك بالله
فى عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال فقد حرم الله عليه الجنة يمنع من دخولها
كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين وماواه النار فانها المعدة للمشركين
وما للظالمين من انصار اى وما لهم احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع المضمر
تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون تمام كلام
عيسى وان يكون من كلام الله تنبيها على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى وتقربا اليه وهو معاديهم
بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة اى احد ثلثة
وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلثة وما سبق قول
اليعقوبية القائلين بالاتحاد وما من اله الا اله واحد وما فى الوجود ذات واجب
مستحق للعبادة من حيث انه مبدا جميع الموجودات الا اله واحد موصوف بالوحدانية
متعال عن الشركة ومن مزيدة للاستغراق وان لم ينتهوا عما يقولون ولم يوحدوا

ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم اي ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر او ليمسن الذين كفروا
من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكرارا للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان العذاب
على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه ولذلك عقبه بقوله افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه
اي الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والاقوال الزائغة ويستغفرون بالتوحيد
والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد والله غفور رحيم يغفر لهم
ويمنحهم من فضله ان تابوا وفي هذا الاستفهام تعجب من اصرارهم ما المسيح بن مريم
الا رسول قد خلت من قبله الرسل ما هو الا رسول كالرسل قبله خصه الله بآيات
كما خصهم بها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصى وجعلها حية تسعى على يد موسى وهو
اعجب وان خلقه من غير اب فقد خلق آدم من غير اب وام وهو اغرب وامه صديقة
كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق او تصدقن الانبياء كانا يأكلان الطعام
ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين اولا اقصى ما لهما من الكمال ودل على انه لا يوجب
لهما الوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما في مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينافي الربوبية
ويقتضي ان يكونا من عداد المركبات الكائنة الفاسدة ثم عجب ممن يدعي الربوبية
لهما مع امثال هذه الدلالة الظاهرة فقال انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى
يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله وثم لتفاوت ما بين العجبين اي
ان بياننا للآيات عجب واعراضهم عنها اعجب قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك
ضرا ولا نفعا يعني عيسى وهو وان ملك ذلك بتمليك الله اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك
مثل ما يضر الله به من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا
الى ما هو عليه في ذاته توطئة لنفي القدرة عنه رأسا وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة
تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر لان التحرز عنه اهم من تحري النفع
والله هو السميع العليم بالاقوال والعقائد فيجازي عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر
قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق اي غلوا باطلا فترفعوا عيسى الى ان تدعوا له
الالهية او تضعوه فتستحقوا انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة ولا تتبعوا
اهواء قوم قد ضلوا من قبل يعني اسلافهم وائمتهم الذين ضلوا قبل مبعث محمد عليه السلام
في شريعتهم واضلوا كثيرا ممن شايعهم على بدعهم وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل
عن قصد السبيل الذي هو الاسلام بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة
الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين
كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم اي لعنهم الله في الزبور والانجيل
على لسانهما وقيل اهل ايلة لما اعتدوا في السبت لعنهم داود فمسخهم الله قردة واصحاب
المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ذلك
بما عصوا وكانوا يعتدون اي ذلك اللعن الشنيع المقتضي للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم

واعتدائهم ما حرم الله عليهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اي لا ينهى بعضهم بعضا
عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله وتهيئوا له او لا ينتهون
عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع لبئس ما كانوا يفعلون تعجيب
في سوء فعلهم مؤكد بالقسم ترى كثيرا منهم من اهل الكتاب يتولون الذين كفروا
يوالون المشركين بغضا لرسول الله والمؤمنين لبئس ما قدمت لهم انفسهم اي لبئس شيئا
قدموه ليردوا عليه يوم القيامة ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون هو المخصوص
بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود في العذاب او علة الذم والمخصوص محذوف اي
لبئس شيئا ذلك لانه كسبهم السخط والخلود ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي يعني نبيهم وان
كانت الآية في المنافقين فالمراد نبينا وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء اذ الايمان يمنع
ذلك ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن دينهم او متمردون في نفاقهم لتجدن
اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا لشدة شكيمتهم
وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وركونهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق
وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين
قالوا انا نصارى للين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم
بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون
عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع و
الاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمودة وان كانت في كافر واذا سمعوا
ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع عطف على لا يستكبرون وهو بيان
لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تأبيهم والفيض انصباب
عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة او جعلت اعينهم تفيض من فرط البكاء كانها
تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا
او للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله
يقولون ربنا آمنا بذلك او بمحمد عليه السلام فاكتبنا مع الشاهدين
مع من الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او من امته الذين هم شهداء على الامم يوم القيامة
وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين
استفهام انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام الداعي وهو الطمع في الانخراط
مع الصالحين والدخول مداخلهم او جواب سائل قال لم آمنتم ولا نؤمن حال من الضمير
والعامل ما في اللام من معنى الفعل اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين بالله اي بوحدانيته
فانهم كانوا مثلثين او بكتابه ورسوله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره
توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف والواو للحال اي ونحن نطمع
والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها او نؤمن فاثابهم الله بما قالوا اي من اعتقاد

من قولك هذا قول فلان اي معتقده جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
وذلك جزاء المحسنين الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور
والايات الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله بكتابه
فقراه ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين فامر جعفرا
ان يقرأ عليهم القران فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقران وقيل نزلت في ثلاثين
او سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله عليه السلام فقرأ عليهم سورة يس فبكوا وامنوا
والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب بايات الله
على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض
المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل
الله لكم اي ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث
على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهي عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد الله
بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا
حدود ما احل الله لكم الى ما حرم عليكم فتكون الاية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل
ما حرم داعية الى القصد بينهما روي ان رسول الله عليه السلام وصف القيامة لاصحابه
يوما وبالغ في انذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على
ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك
ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض
ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله عليه السلام فقال لهم اني لم اومر بذلك
ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم
وافطر واكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت
وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اي كلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون
حلالا مفعول كلوا ومما رزقكم حال منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان يكون من ابتدائية
متعلقة بكلوا ويجوز ان يكون مفعولا وحلالا حالا من الموصول او العائد المحذوف
او صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال
فائدة زائدة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم
اللغو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله واليه ذهب
الشافعي رحمه الله وقيل الحلف على ما يظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب
ابو حنيفة رحمه الله وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه ولكن
يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن
يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرأ حمزة والكسائي
وابن عياش عن عاصم عقدتم بالتخفيف وابن عامر برواية ابن ذكوان عاقدتم

عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل فكفارته فكفارة نكثه اي الفعلة التي تذهب اثمه وتستره
واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله
عليه السلام من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت الذي
هو خير اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم من اقصده في النوع
او القدر وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند الحنفية ومحله النصب لانه
صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط ما
تطعمون او الرفع على البدل من اطعام واهلون كارضون وقرئ اهاليكم بسكون
الياء على لغة من يسكنها في الاحوال الثلث كالالف وهو جمع اهل كالليالي
في جمع ليل والاراضي في جمع ارض وقيل جمع اهلاة او كسوتهم عطف على اطعام
او من اوسط ان جعل بدلا وهو ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص
او رداء او ازار وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة في قدوة او كاسوتهم
بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان لم
تطعموهم الاوسط والكاف في محل الرفع وتقديره او اطعامهم كاسوتهم او تحرير رقبة
او اعتاق انسان وشرط الشافعي رحمه الله فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب
احدى الخصال الثلث مطلقا وتخيير المكلف في التعيين فمن لم يجد اي واحدا منها
فصيام ثلثة ايام فكفارته صيام ثلثة ايام وشرط ابو حنيفة رحمه الله فيه التتابع لانه
قرئ ثلثة ايام متتابعات والشواذ ليس بحجة عندنا اذ لم تثبت كتابا ولم ترو سنة
ذلك اي المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم وحنثتم واحفظوا ايمانكم
بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر او بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها
خير او بان تكفروها اذا حنثتم كذلك اي مثل ذلك البيان يبين الله لكم اياته اعلام
شرائعه لعلكم تشكرون نعمة التعليم او نعمة الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين
يسهل لكم المخرج منه يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب اي الاصنام
التي نصبت للعبادة والازلام سبق تفسيرها في اول السورة رجس قذر تعاف
عنه العقول وافرد لانه خبر الخمر وخبر المعطوفات محذوف او لمضاف محذوف كانه
قال انما تعاطي الخمر والميسر من عمل الشيطان لانه مسبب من تسويله وتزيينه
فاجتنبوه الضمير للرجس او لما ذكر او للتعاطي لعلكم تفلحون لكي تفلحوا بالاجتناب
عنه واعلم انه تعالى اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الاية بان صدر الجملة بانما وقرنهما
بالاصنام والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال
بهما شر بحت او غالب وامر بالاجتناب عنهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر
ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقال
انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم

عن ذكر الله وعن الصلوة وانما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها على انهما
المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة
لقوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلوة من الذكر بالافراد للتعظيم
والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه وبين
الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف
وقال فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر في المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت
واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امر به واحذروا عما نهيا عنه او مخالفتهما فان توليتم
فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين اي فاعلموا انكم لم تضروا الرسول بتوليكم فانما عليه البلاغ
والاداء وانما ضررتم به انفسكم ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا
مما لم يحرم عليهم لقوله اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات اي اتقوا المحرم وثبتوا
على الايمان والاعمال الصالحة ثم اتقوا ما حرم عليهم كالخمر وامنوا بتحريمه ثم اتقوا ثم استمروا
وثبتوا على اتقاء المعاصي واحسنوا وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روي انه لما
نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر
وياكلون الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرير باعتبار الاوقات الثلثة
او باعتبار الحالات الثلث استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه
او بينه وبين الناس وبينه وبين الله ولذلك بدل الايمان بالاحسان في الكرة الثالثة
اشارة الى ما قال عليه السلام في تفسيره او باعتبار المراتب الثلاث المبدا والوسط
والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات
تحرزا عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا
لها عن دنس الطبيعة والله يحب المحسنين فلا يؤاخذهم بشيء وفيه ان من فعل
ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله
بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم نزلت في عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد كانت
الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم
وهم محرمون والتقليل والتحقير في شيء للتنبيه على انه ليس من العظائم التي تدحض الاقدام
كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند ما هو اشد منه
ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر لقوة ايمانه ممن
لا يخاف لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره او تعلق العلم
فمن اعتدى بعد ذلك بعد ذلك الابتلاء بالصيد فله عذاب اليم فالوعيد
لاحق به فان من لا يملك جاشه في مثل ذلك ولا يراعي حكم الله فيه فكيف به فيما يكون
النفس اميل اليه واحرص عليه يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اي محرمون
جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكوة للتعميم واراد بالصيد ما

بالصيد ما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله عليه السلام خمس يقتلن في الحل
والحرم الحداة والغراب والعقرب والفارة والكلب العقور وفي رواية اخرى
الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز القتل كل موذ واختلف في ان هذا النهي
هل يلغي حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثني او لا فيكون كالشاة المغصوبة
اذا ذبحها الغاصب ومن قتله منكم متعمدا ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قتل ما
يقتله والاكثر على ان ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطي واحد
في ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان الاية نزلت فيمن تعمد اذ
روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت
فجزاء مثل ما قتل من النعم برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين ويعقوب بمعنى فعليه
او فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فان
متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها وانما يكون صفته وقرا الباقون
على اضافة المصدر الى المفعول واقحام مثل كما في قولهم مثلي لا يقول كذا والمعنى فعليه ان يجزي
مثل ما قتله وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصبهما على فليجز جزاء او فعليه ان يجزي جزاء يماثل
ما قتل او فجزاؤه مثل ما قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي
والقيمة عند ابي حنيفة وقال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت ثمن هدي تخير
بين ان يهدي ما قيمته قيمته وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف
صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان
لم تبلغ تخير بين الاطعام والصوم واللفظ للاول اوفق يحكم به ذوا عدل منكم
صفة اخرى ويحتمل ان يكون حالا من ضميره في خبره او منه اذا خصصته او وصفته
او رفعته بخبر مقدر لمن وكما ان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد يحتاج المماثلة
في الخلقة والهيئة اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس
او الامام هديا حال من الهاء في به او من جزاء وان نون لتخصصه بالصفة او
بدل عن مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه بالغ الكعبة وصف به هديا لان
اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثمة فقال ابو حنيفة
يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء او كفارة عطف على جزاء ان رفعته وان
نصبته فخبر محذوف طعام مساكين عطف بيان او بدل منه او خبر محذوف اي هي
طعام وقرا نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم
فضة والمعنى عند الشافعي او ان يكفر باطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي
من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين مدا او عدل ذلك صياما او ما
ساواه من الصوم عن اطعام كل مسكين يوما وهو في الاصل مصدر اطلق
للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ما عدل بالشيء في المقدار كعدل الحمل وذلك

اشارة الى الطعام او الصوم وصياما تمييز للعدل ليذوق وبال امره متعلق
بالمحذوف اى فعليه الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبة هتكه
لحرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله واصل الوبل الثقل ومنه الطعام
الوبيل عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما فى الجاهلية او قبل التحريم او فى هذه المرة
ومن عاد الى مثل هذا فينتقم الله منه فهو ينتقم الله منه وليس فيه ما يمنع الكفارة على العائد
كما حكى عن ابن عباس وشريح والله عزيز ذو انتقام ممن اصر على عصيانه احل لكم صيد
البحر ما صيد منه مما لا يعيش الا فى الماء وهو حلال كله لقوله عليه السلام فى البحر هو الطهور
ماؤه والحل ميتته وقال ابو حنيفة لا يحل منه الا السمك وقيل يحل السمك وما يؤكل نظيره
فى البر وطعامه ما قذفه او نضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه اكله متاعا لكم
تمتيعا لكم نصب على الغرض وللسيارة اى ولسيارتكم تتزودونه قديدا
وحرم عليكم صيد البر اى ما صيد فيه او الصيد فيه فعلى الاول يحرم على المحرم ايضا
ما صاده الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله عليه السلام لحم الصيد حلال
لكم ما لم تصطادوه او يصد لكم ما دمتم حرما اى محرمين وقرئ بكسر الدال من دام
يدام واتقوا الله الذى اليه تحشرون جعل الله الكعبة صيرها وانما سمى البيت
كعبة لتكعبه البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح او المفعول الثانى قياما
للناس انتعاشا لهم اى سبب انتعاشهم فى امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف
ويأمن فيه الضعيف ويربح به التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار او ما يقوم به امر دينهم
ودنياهم وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل كالشبع اعل عينه كما اعلت
فى فعله ونصبه على المصدر او الحال والشهر الحرام والهدى والقلائد سبق تفسيرها
والمراد بالشهر الذى يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرنائه وقيل الجنس
ذلك اشارة الى الجعل او الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره لتعلموا ان
الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها
وجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه وان الله بكل شئ
عليم تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق اعلموا ان الله شديد العقاب
وان الله غفور رحيم وعيد ووعد لمن انتهك محارمه ولمن حافظ عليها او لمن اصر
عليه ولمن انقطع عنه ما على الرسول الا البلاغ تشديد فى ايجاب القيام بما امر اى
الرسول اتى بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذر فى التفريط والله يعلم ما تبدون
وما تكتمون من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة قل لا يستوى الخبيث والطيب
حكم عام فى نفى المساواة عند الله بين الردئ من الاشخاص والاعمال والاموال
وجيدها رغب به فى صالح الاعمال وحلال المال ولو اعجبك كثرة الخبيث فان
العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير

الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال فاتقوا الله يا اولى الالباب اى فاتقوه فى تحرى
الخبيث وان كثر وآثروا الطيب وان قل لعلكم تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح
روى انها نزلت فى حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا
مشركين يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا
عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء والمعنى لا تسألوا
رسول الله عليه السلام عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم وان تسألوا عنها فى زمان الوحى تظهر
لكم وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه
واشياء اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت لفعاء وقيل افعلاء حذفت
لامه جمع لشئ على ان اصله شيئ كهين او شيئ كصديق فخفف وقيل افعال جمع له من غير
تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه عفا الله عنها صفة اخرى اى عن اشياء
عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ روى انه لما نزلت ولله على الناس حج البيت
قال سراقة ابن مالك اكل عام فاعرض عنه رسول الله عليه السلام حتى اعاد ثلاثا
فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركونى ما تركتكم فنزلت
او استئناف اى عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور
حليم لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس انه عليه السلام
كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسأل
عن شئ الا اجبت فقال رجل اين ابى فقال فى النار وقال آخر من ابى فقال حذافة
وكان يدعى لغيره فنزلت قد سألها قوم الضمير للمسألة التى دل عليها لا تسألوا
ولذلك لم يعد بعن او لاشياء بحذف الجار من قبلكم متعلق بسألها وليس صفة
لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة الجثة ولا حالا منها ولا خبرا عنها ثم اصبحوا
بها كافرين اى بسببها حيث لم يأتمروا بما سألوا او جحدوا ما جعل الله من بحيرة
ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم
اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اى شقوها وخلوا سبيلها
فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتى سائبة ويجعلها
كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهى لهم وان ولدت ذكرا
فهو لآلهتهم وان ولدتهما وصلت الانثى اخاها فلا يذبح لها الذكر واذا نتجت
من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره
ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ولذلك تعدى الى مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة
ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب بتحريم ذلك ونسبته اليه واكثرهم
لا يعقلون اى الحلال من الحرام والمبيح من المحرم او الامر من الناهى ولكنهم يقلدون كبارهم
وفيه ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن منعهم حب الرياسة وتقليد الآباء

ان يعثر فوابه او الامن ولكنهم يقلدون كبارهم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله
والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم في التقليد
وان لا سند لهم سواه اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو
للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحال اى احسبهم ما وجدوا عليه
اباؤهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى ان الاقتداء انما يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك
لا يعرف الا بالحجة فلا يكفي التقليد يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم اى احفظوها
والزموا اصلاحها والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم وقرى بالرفع
على الابتداء لا يضركم من ضل اذا اهتديتم لا يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء
ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه السلام من راى منكرا واستطاع ان يغيره بيده
فليغيره بيده فان لم يستطع فبقلبه والاية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة
ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباءك فنزلت ولا يضركم
يحتمل الرفع على انه مستانف ويؤيده ان قرى ولا يضيركم والجزم على الجواب والنهي
لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة وينصره قراءة من قرا لا يضركم
بالفتح ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم
بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره يا ايها
الذين امنوا شهادة بينكم اى فيما امرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد
والاشتهاد في الوصية واضافتها الى الظرف على الاتساع وقرى شهادة بالنصب
والتنوين على ليقم شهادة اثنان اذا حضر احدكم الموت اذا شارفه وظهرت
اماراته وهو ظرف للشهادة حين الوصية بدل منه وفي ابداله تنبيه على ان الوصية
مما ينبغي ان لا يتهاون فيه او ظرف حضر اثنان فاعل شهادة ويجوز ان يكون
خبرها على حذف المضاف ذوا عدل منكم اى من اقاربكم او من المسلمين وهما صفتان
لاثنان او اخران من غيركم عطف على اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة جعله منسوخا
فان شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا ان انتم ضربتم في الارض اى سافرتم فيها فاصابتكم
مصيبة الموت اى قاربتم الاجل تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما صفة لاخران والشرط
بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله او اخران من غيركم اعتراض فايدته الدلالة على انه ينبغي
ان يشهد اثنان منكم فان تعذر كما في السفر فمن غيركم او استيناف كانه قيل كيف
نعمل ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما من بعد الصلوة صلوة العصر
لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل اى صلوة
فيقسمان بالله ان ارتبتم ان ارتاب الوارث منكم لا نشتري به ثمنا
مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى
لا نستبدل بالقسم او بالله عرضا من الدنيا اى لا نحلف بالله كاذبا لطمع ولو كان

ولو كان ذا قربى ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه ايضا محذوف اى لا نشتري
ولا نكتم شهادة الله اى الشهادة التي امر باقامتها وعن الشعبي انه وقف على
شهادة ثم ابتداء الله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام
منه وروى عنه بغير مد كقوله الله لافعلن انا اذا لمن الاثمين اى ان كتمنا
وقرى لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها
فان عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما اى فعلا ما اوجب اثما كتحريف
فاخران فشاهدان اخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم
من الذين جنى عليهم وهم الورثة وقرا حفص على البناء للفاعل وهو الاوليان
الاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر محذوف
اى هما الاوليان او خبر اخران او مبتدا خبره اخران او بدل منهما او من
الضمير في يقومان وقرا حمزة ويعقوب وابو بكر عن عاصم الاولين على انه
صفة للذين او بدل منه اى من الاولين الذين استحق عليهم وقرى الاولين على التثنية وانتصابه
على المدح والاولان واعرابه اعراب الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا
احق من شهادتهما اصدق منها واولى بان تقبل وما اعتدينا وما تجاوزنا فيها
الحق انا اذا لمن الظالمين الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين انفسهم ان
اعتدينا ومعنى الايتين ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغي ان يشهد عدلين من ذوي
نسبه او دينه على وصيته او يوصي اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان في سفر
فاخران من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتياب اقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ
في الوقت فان اطلع على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف اخران من اولياء الميت
والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض
بينة بيمين الوارث وان كانا وصيين فرد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة
الوصيين فان تصديق الوصي باليمين لامانته او لتغير الدعوى اذ روى ان
تميما الداري وعدي بن بدي خرجا الى الشام للتجارة وكانا نصرانيين ومعهما
بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون
ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى
اهله ومات ففتشاه واخذا منه اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب
فغيباه فاصاب اهله الصحيفة وطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله
فنزلت يا ايها الذين امنوا الاية فحلفهما رسول الله عليه السلام بعد صلوة عند المنبر
وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء في ايديهما فاتاهم بنو سهم في ذلك فقالا قد اشتريناه
منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله عليه السلام
فنزلت ان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي رفاعة السهميان

وخلفا ولعل تخصيص العدد لخصوص الواقعة ذلك اى الحكم الذى تقدم او تحليف الشاهد
ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها على نحو ما حملوها من غير تحريف وخيانة فيها او يخافوا
ان ترد ايمان بعد ايمانهم ان ترد اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة
واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم يعم الشهود كلهم واتقوا الله واسمعوا ما توصون
به سمع اجابة والله لا يهدى القوم الفاسقين فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما
فاسقين والله لا يهدى القوم الفاسقين اى يهديهم الى حجة او الى طريق الجنة [illegible]
يوم يجمع الله الرسل ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال او مفعول
واسمعوا على حذف المضاف اى واسمعوا خبر يوم جمعه او منصوب باضمار اذكر فيقول
اى للرسل ماذا اجبتم اى اجابة اجبتم على ان ماذا فى موضع المصدر او باى شى اجبتم
فحذف الجار وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما ان سؤال الموءودة لتوبيخ الوائد ولذلك قالوا
لا علم لنا اى لا علم لنا بما انت تعلمه انك انت علام الغيوب فتعلم ما نعلم
مما اجابونا واظهروا لنا وما لم نعلم مما اضمروا فى قلوبهم وفيه التشكى عنهم ورد الامر الى
علمه تعالى بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم لنا الى جنب علمك او لا علم لنا
بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله
انك انت اى انك الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام نصب على الاختصاص
او النداء وقرئ ابو بكر وحمزة الغيوب بكسر الغين حيث وقع اذ قال الله يا عيسى
بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك بدل من يوم يجمع وهو على طريقة ونادى
اصحاب الجنة والمعنى انه تعالى نادى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسول عن اجابتهم
وتعديد ما اظهر عليهم من الايات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا اخرون
فاتخذوهم الهة او نصب باضمار اذكر اذ ايدتك قويتك وهو ظرف لنعمتى
او حال منه وقرئ آيدتك بروح القدس بجبرائيل عليه السلام او بالكلام
الذى يحيى به الدين والنفس الحيوة الابدية وتطهر من الاثام ويؤيده قوله تكلم
الناس فى المهد وكهلا اى كائنا فى المهد وكهلا والمعنى تكلمهم فى الطفولة والكهولة
على سواء والمعنى الحاق حاله فى الطفولية بحال الكهولية فى كمال العقل والتكلم وبه
استدل فانه رفع قبل ان اكتهل واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية
والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى وتبرئ
الاكمه والابرص باذنى واذ تخرج الموتى باذنى سبق تفسيره فى سورة ال عمران وقرا
نافع ويعقوب طائرا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر فقال واذ كففت بنى اسرائيل
عنك يعنى اليهود حين هموا بقتله اذ جئتهم بالبينات ظرف لكففت فقال الذين
كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين اى ما هذا الذى جئت به الا سحر وقرا حمزة والكسائى
الا ساحر فالاشارة الى عيسى عليه السلام واذ اوحيت الى الحواريين اى امرتهم

اى امرتهم على السنة رسلى ان امنوا بى وبرسولى يجوز ان يكون ان مصدرية وان
يكون مفسرة قالوا امنا واشهد باننا مسلمون مخلصون اذ قال الحواريون
يا عيسى بن مريم منصوب باذكر او ظرف لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص
مع قولهم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء لم يكن بعد عن تحقيق
واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة بناء على ما يقتضيه الحكمة والارادة لا على ما
يقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك اى هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع
كاستجاب بمعنى اجاب وقرا الكسائى هل تستطيع ربك اى سؤال ربك والمعنى
هل تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من ماد الماء اذا تحرك
او من ماده اذا اعطاه كانها تميد من تقدم اليه ونظيرها قولهم شجرة مطعمة قال اتقوا الله
من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين بكمال قدرته وصحة نبوتى او صدقتم
فى ادعاء الايمان قالوا نريد ان ناكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال
وهو ان يتمتعوا بالاكل منها وتطمئن قلوبنا بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال
بكمال قدرته ونعلم ان قد صدقتنا فى ادعاء النبوة او ان الله يجيب دعوتنا
ونكون عليها من الشاهدين اذا استشهدتنا او من الشاهدين للعين دون
السامعين للخبر قال عيسى بن مريم لما راى ان لهم غرضا صحيحا فى ذلك او انهم
لا يقلعون عنه واراد الزامهم الحجة بكمالها اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء
تكون لنا عيدا اى يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك
سمى يوم العيد عيدا وقرئ تكن على جواب الامر لاولنا واخرنا بدل من لنا باعادة
العامل اى عيدا للمتقدمين منا والمتاخرين روى انها نزلت يوم الاحد ولذلك
اتخذه النصارى عيدا وقيل ياكل منها اولنا واخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة
او الطائفة وآية عطف على عيدا منك صفة لها اى اية كائنة منك على كمال
قدرتك وصحة نبوتى وارزقنا المائدة والشكر عليها وانت خير الرازقين
خير من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض قال الله انى منزلها عليكم
اجابة الى سؤالكم وقرا نافع وابن عامر وعاصم منزلها بالتشديد فمن يكفر بعد منكم
فانى اعذبه عذابا اى تعذيبا ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة لا اعذبه الضمير
للمصدر او للعذاب ان اريد به ما يعذب به على حذف حرف الجر احدا من العالمين
اى من عالمى زمانهم او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل
ذلك غيرهم روى انها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى
سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين
اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام فتوضا وصلى وبكى ثم كشف
المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل

وسمك وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة
ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس
قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا ام من طعام الاخرة فقال ليس منهما
ولكنه اخترعه الله بقدرته كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا
يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت
ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا
وقيل كانت تأتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار
يأكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل منها فقير الا غني مدة عمره
ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام ان اجعل مائدتي في
الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلثمئة
وثمانون رجلا وقيل لما وعد الله انزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لا نريد فلم تنزل
وعن مجاهد ان هذا مثل ضربه الله لمقترحي المعجزات وعن بعض الصوفية المائدة ههنا
عبارة عن حقايق المعارف فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا
فلعل الحال انهم رغبوا في حقايق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى عليه السلام
ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا
عن السؤال والحوا فيه فسأل لاجل اقتراحهم فبين الله تعالى ان انزاله سهل
ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ما هو اعلى من مقامه لعله
لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا واذ قال الله يا عيسى بن مريم ءانت قلت
للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم
ومن دون الله صفة الهين او صلة اتخذوني ومعنى دون اما المغايرة فيكون
فيه تنبيه على ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما فكأنه
عبدهما ولم يعبده او القصور فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق
العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل الى عبادة الله تعالى وكأنه قيل اتخذوني
وامي الهين متوصلين بنا الى الله قال سبحانك اي انزهك تنزيها من ان
يكون لك شريك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ما ينبغي لي ان اقول
قولا لا يحق لي ان اقوله ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك
تعلم ما اخفيه في نفسي كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله في نفسك
للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين
باعتبار مفهومه ومنطوقه ما قلت لهم الا ما امرتني به تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم
ما يدل عليه ان اعبدوا الله ربي وربكم عطف بيان للضمير في به او بدل منه وليس
من شرط البدل جواز طرح المبدل مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع او خبر

او خبر مضمر او مفعول مثل هو او اعني ولا يجوز ابداله مما امرتني به فان المصدر لا يكون مفعول
القول ولا ان يكون ان مفسرة لان الامر مسند الى الله وهو لا يقول اعبدوا الله ربي
وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكى بعده الا ان يأول القول بالامر فكأنه قيل ما امرتهم
الا ما امرتني به ان اعبدوا الله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم اي رقيبا عليهم
امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان فلما توفيتني
بالرفع الى السماء كقوله اني متوفيك ورافعك والتوفي اخذ الشيء وافيا والموت
نوع منه قال الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها كنت انت الرقيب
عليهم المراقب لاحوالهم فتمنع من اردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل
والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الايات وانت على كل شيء شهيد مطلع
عليه مراقب له ان تعذبهم فانهم عبادك اي ان تعذبهم فانك تعذب عبادك
ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم
عبادك وقد عبدوا غيرك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فلا عجز ولا
استقباح فانك القادر القوي على الثواب والعقاب الذي لا يثيب ولا يعاقب
الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان
غفرت ففضل وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمنع الترديد
والتعليق بان قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقرأ نافع يوم بالنصب
على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذي مر
من كلام عيسى عليه السلام واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن بني على الفتح لاضافته الى
الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق الصدق في الدنيا
فان النافع ما كان حال التكليف لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم بيان النفع ولله ملك
السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير تنبيه على كذب النصارى
وفساد دعواهم في المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال ما فيهن
اتباعا لهم غير اولي العقل في غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة العبودية
واهانة بهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق متناولا للاجناس
كلها فهو اولى بارادة العموم عن النبي عليه السلام من قرأ سورة المائدة اعطي من الاجر
عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني
يتنفس في الدنيا

سورة الانعام مكية غير ست ايات او ثلاث قوله قل تعالوا وهي مائة وخمس وستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والارض اخبر بانه تعالى حقيق
بالحمد ونبه على انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمد او لم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم
يعدلون وجمع السموات دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات

متفاوتة الآثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها
وجعل الظلمات والنور انشأهما والفرق بين جعل وخلق الذي له مفعول واحد
ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة
بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وجمع الظلمات لكثرة اسبابها
والاجرام الحاملة لها او لان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد
والضلال متعدد وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض
يضاد النور احتج بهذه الآية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى
لا يتعلق به الجعل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عطف على قوله الحمد لله على معنى
ان الله حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون
نعمته ويكون بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه
ان يحمد عليها ولا يكفر او على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم
يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء
على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اي يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس
الفعل وعلى الثاني متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان
اي يسوونها به هو الذي خلقكم من طين اي ابتدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى
وان آدم الذي هو اصل البشر خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف ثم قضى اجلا
اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيامة وقيل الاول ما بين الخلق والموت
والثاني ما بين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق لآخر المدة يطلق لجملتها وقيل
الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول لمن مضى والثاني لمن بقي ولمن يأتي واجل نكرة
خصصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستئناف به لتعظيمه ولذلك نكر
ووصف بانه مسمى اي مثبت معين لا يقبل التغيير واخبر عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه
بعلم ولا قدرة ولانه المقصود بيانه ثم انتم تمترون استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت
انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى آجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها
وابداع الحيوة فيها وابقائها ما يشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها
ثانيا فالآية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشك واصله
المري وهو استخراج اللبن من الضرع وهو الله الضمير لله والله خبره في السموات وفي الارض
متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله وهو الذي في السماء
اله وفي الارض اله او بقوله يعلم سركم وجهركم والجملة خبر ثان او هي الخبر والله بدل
ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم اذا كنت خارجه
والصيد فيه او ظرف مستقر وقع خبرا المعنى انه تعالى لكمال علمه بما فيهما كانه ويعلم سركم
وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لان صلته لا تتقدم ويعلم ما تكسبون

ما تكسبون من خير او شر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من
احوال الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح وما تأتيهم من آية من آيات ربهم من الاولى مزيدة
للاستغراق والثانية للتبعيض اي ما يظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات
او آية من آيات القرآن الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه
فقد كذبوا بالحق لما جاءهم يعني القرآن وهو كاللازم لما قبله كانه قيل انهم لما كانوا
معرضين عن الآيات كلها كذبوا به لما جاءهم او كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا
عن القرآن وكذبوا به وهو اعظم الآيات فكيف لا يعرضون عن غيرها ولذلك
رتب عليه بالفاء فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن اي سيظهر لهم ما كانوا
به يستهزؤن عند نزول العذاب بهم في الدنيا او الآخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع
امره الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن اي من اهل زمان والقرن مدة اغلب اعمار الناس
وهي سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبي او فائق في العلم قلت
المدة او كثرت واشتقاقه من قرنت مكناهم في الارض جعلنا لهم فيها مكانا
وقررناهم او اعطيناهم من القوى والآلات ما تمكنوا فيها من انواع التصرف فيها
ما لم نمكن لكم ما لم نجعل لكم من السعة وطول المقام يا اهل مكة او ما لم نعطكم من القوة
والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب وارسلنا السماء عليهم اي المطر
او السحاب او المظلة فان مبدأ المطر منها مدرارا مغزارا وجعلنا الانهار
تجري من تحتهم فعاشوا في الخصب والريف بين الانهار والثمار فاهلكناهم بذنوبهم
اي لم يغن ذلك عنهم شيئا وانشأنا واحدثنا من بعدهم قرنا آخرين
بدلا منهم والمعنى انه تعالى كما قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم
آخرين يعمر بهم بلاده قادر ان يفعل ذلك بكم ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس
مكتوبا في ورق فلمسوه بايديهم فمسوه وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا
يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار حيث لا مانع
وتقييده بالايدي لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للفحص كقوله وانا لمسنا السماء لقال
الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا وقالوا لولا انزل عليه ملك
هلا انزل معه ملك يكلمنا انه نبي كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا
ولو انزلنا ملكا لقضي الامر جواب لقولهم وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه
والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق اهلاكهم فان سنة الله جرت
بذلك فيمن قبلهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين ولو جعلناه ملكا لجعلناه
رجلا جواب ثان ان جعل الهاء للمطلوب وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح
ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون لو شاء ربنا لانزل
ملائكة والمعنى ولو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينوه او الرسول ملكا لمثلناه رجلا

وللبسنا عليهم ما يلبسون

كما مثل جبرئيل في صورة دحية فان القوة البشرية لا تقوى على روية الملك في صورته
وانما راهم كذلك الافراد من الانبياء بقوتهم القدسية وللبسنا عليهم ما يلبسون
جواب محذوف اي ولو جعلناه رجلا للبسنا اي لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم
فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقرى لبسنا بلا لام ولبسنا بالتشديد للمبالغة
ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله عليه السلام على ما يرى من قومه
فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن فاحاط بهم الذي كانوا يستهزؤن
به حيث اهلكوا لاجله او فنزل بهم وبال استهزائهم قل سيروا في الارض ثم انظروا
كيف كان عاقبة المكذبين كيف اهلكهم الله بعذاب الاستيصال كي تعتبروا
والفرق بينه وبين قوله قل سيروا في الارض فانظروا ان السير ثمة لاجل النظر
ولا كذلك ههنا ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب النظر في
آثار الهالكين قل لمن ما في السموات والارض خلقا وملكا وهو سوال تبكيت قل لله
تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم ان يذكروا غيره كتب
على نفسه الرحمة التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن ذلك الهداية
الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر ليجمعنكم الى يوم
القيمة استيناف وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اي ليجمعنكم في القبور
مبعوثين الى يوم القيامة فيجازيكم اي يحشركم او في يوم القيامة والى بمعنى في او قيل بدل
من الرحمة بدل البعض فان من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم لا ريب فيه في اليوم
او الجمع الذين خسروا انفسهم بتضييع راس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل
السليم وموضع الذين نصب على الذم او رفع على الخبر اي وانتم الذين او على الابتداء والخبر
فهم لا يؤمنون والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال العقل
باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر
والامتناع عن الايمان وله عطف على الله ما سكن في الليل والنهار من السكنى
وتعديته بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا والمعنى ما اشتملا عليه او من السكون
اي ما سكن فيهما او تحرك فاكتفى باحد الضدين عن الاخر وهو السميع لكل مسموع
العليم بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم
وافعالهم قل اغير الله اتخذ وليا انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولي فلذلك
قدم واولي الهمزة والمراد بالولي المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك فاطر السموات
والارض مبدعهما وعن ابن عباس ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان يختصمان
في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وجره على الصفة لله فانه بمعنى الماضي ولذلك
قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب على المدح وهو يطعم ولا يطعم يرزق ولا يرزق
وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على انه

على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة
الحيوانية وبناؤهما للفاعل على ان الثاني من اطعم بمعنى استطعم او على انه يطعم تارة
ولا يطعم اخرى كقوله يقبض ويبسط قل اني امرت ان اكون اول من اسلم
لان النبي سابق امته في الدارين ولا تكونن من المشركين وقيل لي ولا تكونن
ويجوز عطفه على قل قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم
مبالغة اخرى في قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب
والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة من يصرف
عنه يومئذ اي يصرف العذاب عنه وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم
يصرف على ان الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره والمفعول به محذوف او يومئذ بحذف المضاف
فقد رحمه نجاه وانعم عليه وذلك الفوز المبين اي الصرف او الرحمة وان يمسسك
الله بضر ببلية كمرض وفقر فلا كاشف له فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك
بخير بنعمة كصحة وغنى فهو على كل شيء قدير فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر
غيره على دفعه كقوله فلا راد لفضله وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه
بالغلبة والقدرة وهو الحكيم في امره وتدبيره الخبير بالعباد وخفايا احوالهم
قل اي شيء اكبر شهادة نزل حين قال قريش يا محمد لقد سالنا عنك اليهود
والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك
رسول الله والشيء يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه في سورة البقرة قل الله
اي الله اكبر شهادة ثم ابتدا شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد ويجوز ان يكون الله
شهيد هو الجواب لانه تعالى اذا كان الشهيد كان اكبر شهادة واوحي الي هذا
القران لانذركم به اي بالقران واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة ومن بلغ
عطف على ضمير المخاطبين اي لانذركم به يا اهل مكة وساير من بلغه من الاسود والاحمر
او من الثقلين او لانذركم ايها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيامة وهو دليل
على ان احكام القران تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وانه لا يؤاخذ بها
من لم تبلغه ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد
قل لا اشهد بما تشهدون قل انما هو اله واحد اي بل اشهد ان لا اله الا هو
وانني بريء مما تشركون يعني الاصنام الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه
يعرفون رسول الله بحليته المذكورة في التورية والانجيل كما يعرفون ابناءهم بحلاهم
الذين خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين فهم لا يؤمنون لتضييعهم
ما به يكتسب الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كقولهم الملائكة بنات
الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله او كذب باياته كان كذبوا القران والمعجزات
وسموها سحرا وانما ذكر او وهم قد جمعوا بين الامرين تنبيها على ان كلا منهما وحده

بالغ غاية الافراط فى الظلم على النفس انه الضمير للشان لا يفلح الظالمين فضلا عمن لا احد
اظلم منه ويوم نحشرهم جميعا منصوب بمضمر تهويلا للامر ثم نقول للذين اشركوا
اين شركاؤكم اى آلهتكم التى جعلتموها شركاء الله وقرا يعقوب يحشر ويقول
بالياء الذين كنتم تزعمون اى تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من
الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها فى الساعة التى
علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم فكانهم غيب عنهم
ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا اى كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التى توهموا
ان يتخلصوا بها من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه
كذب او لانهم قصدوا به الخلاص وقرا ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء
وفتنتهم بالرفع على انها الاسم ونافع وابو عمرو وابو بكر عنه بالتاء والنصب على ان الاسم
ان قالوا والتاء تانيث للخبر كقولهم من كانت امك والباقون بالياء والنصب
والله ربنا ما كنا مشركين يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفع من فرط الحيرة
والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا
مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم اى بنفى
الشرك عنها وحمله على كذبهم فى الدنيا تعسف يخل بالنظم ونظير ذلك قوله
يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرا حمزة والكسائى ربنا بالنصب
على النداء او المدح وضل عنهم ما كانوا يفترون من الشركاء ومنهم من يستمع اليك
حين تتلو القرآن والمراد ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وابو جهل واضرابهم
اجتمعوا فسمعوا رسول الله يقرا فقالوا للنضر ما يقول فقال والذى جعلها بيته ما ادرى
ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم وجعلنا
على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان وهو ما يستر الشئ ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه
وفى آذانهم وقرا يمنع من استماعه وقد مر تحقيق ذلك فى اول سورة البقرة وان يروا
كل آية لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم حتى اذا جاؤك يجادلونك
اى بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم جاؤك يجادلونك وحتى هى التى تقع بعدها الجمل
لا عمل لها والجملة اذا وجوابه وهو يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين
فانه جعل اصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك حال
لمجيئهم ويجوز ان يكون الجارة واذا جاؤك فى موضع الجر ويجادلونك جواب ويقول
تفسير له والاساطير الاباطيل جمع اسطورة او اسطارة او اسطار جمع سطر واصله
السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه اى ينهون الناس عن القرآن والرسول والايمان به
وينأون عنه بانفسهم او ينهون عن التعرض لرسول الله وينأون عنه فلا يؤمنون
به كابى طالب وان يهلكون وما يهلكون بذلك الا انفسهم وما يشعرون

وما يشعرون ان ضرره لا يتعداهم الى غيرهم ولو ترى اذ وقفوا على النار جوابه محذوف
اى تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها او يطلعون عليها او يدخلونها فيعرفون
مقدار عذابها لرايت امرا شنيعا وقرى وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا
فقالوا يا ليتنا نرد تمنيا للرجوع الى الدنيا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين
استئناف كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دعنى ولا اعود اى انا لا اعود تركتنى او لم
تتركنى او عطف على نرد او حال من الضمير فيه فيكون فى حكم التمنى وقوله وانهم لكاذبون راجع
الى ما تضمنه التمنى من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص على الجواب باضمار ان بعد
الواو اجراء لها مجرى الفاء وقرا ابن عامر برفع الاول على العطف ونصب الثانى على الجواب
بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمنى والمعنى انه
ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم او قبائح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا
لآمنوا ولو ردوا اى الى الدنيا بعد الوقوف والظهور لعادوا لما نهوا عنه من الكفر
والمعاصى وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم وقالوا عطف على لعادوا او على انهم
لكاذبون او على نهوا او استئناف بذكر ما قالوه فى الدنيا ان هى الا حياتنا الدنيا
الضمير للحياة وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ
وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزائه او عرفوه حق التعريف قال أليس هذا بالحق
كانه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب والاشارة
الى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب قالوا بلى وربنا اقرار مؤكد باليمين
لانجلاء الامر غاية الجلاء قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او
ببدله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب
المقيم ولقاء الله البعث وما يتبعه حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لكذبوا لا لخسر لان
خسرانهم لا غاية له بغتة فجاءة ونصبها على الحال او المصدر فانها نوع من المجئ قالوا
يا حسرتنا اى تعالى فهذا اوانك على ما فرطنا قصرنا فيها فى الحياة الدنيا اضمرت
وان لم يجر ذكرها للعلم بها او فى الساعة يعنى فى شانها والايمان بها وهم يحملون اوزارهم
على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه
وزرهم وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو اى وما اعمالها الا لعب ولهو يلهى الناس
ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم ان هى الا
حياتنا الدنيا وللدار الآخرة خير للذين يتقون لدوامها وخلوص منافعها
ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس من اعمال المتقين لعب ولهو
وقرا ابن عامر ولدار الآخرة افلا يعقلون اى الامرين خير وقرا نافع وابن عامر
وحفص ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين به او تغليب الحاضرين على الغائبين
قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما فى قوله

ولكنه قد يسلك المماتأية والمعاداة فيه لذلك وقرئ ليحزنك من احزن فانهم لا يكذبونك
في الحقيقة وقرأ نافع والكسائي لا يكذبونك من اكذبه اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب
ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولكنهم يجحدون آيات الله ويكذبونها
فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم ظلموا في جحودهم او جحدوا لتمرنهم على الظلم والباء
لتضمن الجحود معنى التكذيب روي ان ابا جهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا
لصادق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية
لرسول الله عليه السلام وفيه دليل على ان قوله لا يكذبونك ليس بنفي تكذيبه
مطلقا فصبروا على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم فتأس بهم واصبر
حتى اتاهم نصرنا فيه ايماء بوعد النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات الله
لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآيات ولقد
جاءك من نبأ المرسلين اي من قصصهم وما كابدوا من قومهم وان كان كبر عليك
عظم وشق اعراضهم عنك وعن الايمان بما جئت به فان استطعت ان تبتغي
نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بآية منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض
فتطلع لهم آية او مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها آية وفي الارض صفة لنفقا
وفي السماء صفة لسلما ويجوز ان يكونا متعلقين بتبتغي او حالين من المستكن
وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الاول والمقصود
بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر ان يأتيهم بآية من تحت الارض
او من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي ولو شاء
الله جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان حتى يؤمنوا ولكن لم يتعلق به مشيئته فلا تتهالك
عليه والمعتزلة اولوه بانه لو شاء لجمعهم على الهدى بان تأتيهم بآية ملجئة ولكن
لم يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين بالحرص على ما لا يكون والجزع
في مواطن الصبر فان ذلك من دأب الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون انما يجيب
الذين يسمعون بفهم وتأمل كقوله او ألقى السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى الذين
لا يسمعون والموتى يبعثهم الله فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان ثم اليه يرجعون
للجزاء وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه اي آية مما اقترحوا او آية اخرى سوى ما
انزل من الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا قل ان الله قادر على ان
ينزل آية مما اقترحوه او آية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل او آية ان جحدوها هلكوا
ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على انزالها وان انزالها يستجلب عليهم
البلاء وان لهم فيما انزل مندوحة عن غيره وقرأ ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد
وما من دابة في الارض تدب على وجهها ولا طائر وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل
يطير بجناحيه في الهواء وصفه قطعا لمجاز السرعة ونحوها الا امم امثالكم محفوظة

محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال
قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل آية وجمع
الامم للحمل على المعنى ما فرطنا في الكتاب من شيء يعني اللوح المحفوظ فانه مشتمل
على ما يجري في العالم من جليل ودقيق لم يهمل فيه امر حيوان ولا جماد او القرآن فانه
قد دون فيه ما يحتاج اليه من امر الدين مفصلا او مجملا ومن مزيدة وشيء في موضع
المصدر لا المفعول به فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدي بفي الى الكتاب وقرئ
ما فرطنا بالتخفيف ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها فينصف بعضها من بعض
كما روي انه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس حشرها موتها والذين كذبوا
بآياتنا صم لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته
سماعا تتأثر به نفوسهم وبكم لا ينطقون بالحق في الظلمات خبر ثالث اي
خابطون في ظلمات الكفر او في ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز
ان يكون حالا من المستكن في الخبر من يشأ الله يضلله من يشأ الله اضلاله يضلله
وهو دليل واضح لنا على رد المعتزلة ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم بان يرشده
الى الهدى ويحمله عليه قل أرأيتكم استفهام تعجيب والكاف حرف خطاب اكد به الضمير
للتأكيد لا محل لها من الاعراب لانك تقول أرأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت
الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت الفعل الى ثلاثة مفاعيل وللزم في الآية
ان يقال أرأيتموكم بل الفعل معلق او المفعول محذوف تقديره أرأيتكم آلهتكم
تنفعكم اذ تدعونها ان اتاكم عذاب الله كما اتى من قبلكم او اتتكم الساعة
وهولها ويدل عليه أغير الله تدعون وهو تبكيت لهم ان كنتم صادقين ان الاصنام
آلهة وجوابه محذوف اي فادعوه بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم في مواضع
وتقديم المفعول لافادة التخصيص فيكشف ما تدعون اليه ما تدعونه الى كشفه
ان شاء ان يتفضل عليهم ولا يشاء في الآخرة وتنسون ما تشركون
وتتركون آلهتكم في ذلك الوقت لما ركز في العقول على انه القادر على كشف الضر
دون غيره او تنسونه من شدة الامر وهوله ولقد ارسلنا الى امم من قبلك
اي قبلك ومن زائدة فاخذناهم اي فكفروا وكذبوا المرسلين فاخذناهم
بالبأساء بالشدة والفقر والضراء الضر والآفات وهما صيغتا تأنيث
لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم
بأسنا تضرعوا معناه نفي تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم ولكن
قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون استدراك على المعنى وبيان
للصارف لهم عن التضرع وانه لا مانع لهم الا قساوة قلوبهم باعمالهم التي زينها الشيطان
لهم فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء ولم يتعظوا به فتحنا عليهم ابواب

كل شيء من انواع النعم مراوحة عليهم بين نوبتي الضراء والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء
الزاما للحجة وازاحة للعلة او مكرا بهم لما روي انه عليه السلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة
وقرا ابن عامر فتحنا بالتشديد في جميع القران ووافقه يعقوب فيما عدا هذا والذي
في الاعراف حتى اذا فرحوا اعجبوا بما اوتوا من النعم ولم يزيدوا على البطر والاشتغال
بالنعمة عن المنعم والقيام بحقه اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون متحسرون آيسون فقطع
دابر القوم الذين ظلموا اي اخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه
والحمد لله رب العالمين على اهلاكهم فان اهلاك الكفار والعصاة من حيث انه
تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم واعمالهم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها قل ارايتم
ان اخذ الله سمعكم وابصاركم اصمكم واعماكم وختم على قلوبكم بان يغطي عليها ما يزول
به عقلكم وفهمكم من اله غير الله يأتيكم به اي بذلك او بما اخذ وختم عليه او باحد هذه
المذكورات انظر كيف نصرف الآيات نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية
وتارة من جهة الترهيب والترغيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين
ثم هم يصدفون يعرضون عنها وثم لاستبعاد الاعراض بعد تصريف الآيات وظهورها
قل ارايتكم عذاب الله بغتة من غير مقدمة او جهرة تتقدمها امارة تؤذن بحلوله
وقيل ليلا او نهارا وقرئ بغتة وجهرة هل يهلك اي ما يهلك به هلاك سخط
وتعذيب الا القوم الظالمون ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ يهلك
بفتح الياء وما نرسل المرسلين الا مبشرين المؤمنين بالجنة ومنذرين الكافرين
بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم فمن آمن واصلح ما يجب اصلاحه على ما
شرع لهم فلا خوف عليهم من العذاب ولا هم يحزنون بفوت الثواب
والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب جعل العذاب ماسا لهم كانه الطالب
للوصول اليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم
عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندي خزائن الله مقدوراته او خزائن
رزقه ولا اعلم الغيب ما لم يوح الي ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول ولا
اقول لكم اني ملك اي اني من جنس الملائكة او اقدر على ما يقدرون عليه ان اتبع
الا ما يوحى الي تبرأ عن دعوى الالوهية والملكية وادعى النبوة التي هي من كمالات البشر
ردا لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدعاه قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال
والمهتدي او الجاهل والعالم او مدعي المستحيل كالالوهية والملكية ومدعي المستقيم كالنبوة
افلا تتفكرون فتهتدوا او فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل او فتعلمون ان اتباع
الوحي مما لا محيص عنه وانذر به الضمير لما يوحى الي الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم
هم المؤمنون المفرطون في العمل او المجوزون للحشر مؤمنا كان او كافرا مقرا به او مترددا
فيه فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته ليس لهم من دونه

من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا فان المخوف هو الحشر على هذه الحال
لعلهم يتقون لكي يتقوا ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي بعد ما امره
بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام هؤلاء وتقريبهم وان لا يطردهم ترضية لقريش
روي انهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب
وخباب وسلمان جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد المؤمنين
قالوا فاقمهم عنا اذا جئناك قال نعم وروي ان عمر رضي الله عنه قال له لو فعلت
حتى تنظر الى ماذا يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلي رضي الله عنه ليكتب فنزلت
والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل صلوة الصبح والعصر وقرا ابن عامر بالغدوة
يريدون وجهه حال من يدعون اي يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص
تنبيها على انه ملاك الامر ورتب النهي عليه اشعارا بانه يقتضي اكرامهم وينافي ابعادهم
ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء اي ليس عليك حساب
ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله اعظم من ايمان من تطردهم بسؤالهم طمعا في ايمانهم
لو امنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين
وان كان لهم باطن غير مرضي كما ذكره المشركون وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم
لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم وقيل ما عليك
من حساب رزقهم اي من فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا يؤاخذ عليك بحسابهم
ولا هم بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه فتطردهم فتبعدهم
وهو جواب النفي فتكون من الظالمين جواب النهي وجوز عطفه على فتطردهم
على وجه التسبيب وفيه نظر وكذلك فتنا بعضهم ببعض ومثل ذلك الفتن
وهو اختلاف احوال الناس في امور الدنيا فتنا اي ابتلينا بعضهم ببعض
في امر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء على اشراف قريش بالسبق الى الايمان
ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي اهؤلاء من انعم الله عليهم بالهداية
والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن الاكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء
وهو انكار لان يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير كقولهم لو كان
خيرا ما سبقونا اليه واللام للعاقبة او للتعليل على ان فتنا متضمن معنى خذلنا
أليس الله باعلم بالشاكرين بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه وبمن لا يقع منه
فيخذله واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم
على نفسه الرحمة الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان
بالقران واتباع الحجج بعد ما وصفهم بالمواظبة على العبادة وامره بان يبدأ
بالتسليم او تبليغ سلام الله اليهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وفضله بعد النهي
عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي ان

يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة
وقيل ان قوما جاؤوا الى النبي عليه السلام فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيأ
فانصرفوا فنزلت انه من عمل منكم سوءا استيناف بتفسير الرحمة وقرا نافع وابن عامر
وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها بجهالة في موضع الحال اي من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة
ما يتبعه من المضار والمفاسد كعمر فيما اشار اليه او ملتبسا بفعل الجهلة فان ارتكاب
ما يؤدي الى الضرر من افعال اهل السفه والجهل ثم تاب من بعده بعد العمل او السوء واصلح
بالتدارك والعزم على ان لا يعود اليه فانه غفور رحيم فتحه من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدا
او خبر اي فامره او فله غفرانه وكذلك ومثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الآيات
آيات القران في صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين ولتستبين سبيل
المجرمين قرا نافع بالتاء ونصب السبيل على معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلا منهم
بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب وحفص عن
عاصم برفعه على معنى ولتبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل فانه يذكر
ويؤنث ويجوز ان يعطف على علة مقدرة اي نفصل الآيات ليظهر الحق وليستبين
قل اني نهيت صرفت وزجرت بما نصب لي من الادلة وانزل علي من الآيات في امر التوحيد
ان اعبد الذين تدعون من دون الله عن عبادة ما تعبدون من دون الله او ما تدعونها
آلهة اي تسمونها قل لا اتبع اهواءكم تاكيد لقطع اطماعهم واشارة الى موجب النهي
وعلة الامتناع من متابعتهم واستجهال لهم وبيان المبدا ضلالهم وان ما هم عليه هوى
وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة ولا يقلد قد ضللت اذا اي ان اتبعت
اهواءكم فقد ضللت وما انا من المهتدين اي في شيء من الهدى حتى اكون من عدادهم
وفيه تعريض بانهم كذلك قل اني على بينة تنبيه على ما يجب اتباعه بعد ما بين ما لا يجوز
اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التي تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القران والوحي
او الحجج العقلية او ما يعمها من ربي من معرفته وانه لا معبود سواه ويجوز ان يكون صفة
لبينة وكذبتم به الضمير لربي اي كذبتم به حيث اشركتم به غيره او للبينة باعتبار المعنى ما عندي
ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا
بعذاب اليم ان الحكم الا لله في تعجيل العذاب وتاخيره يقضي الحق اي القضاء الحق
او يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها فيما يقضي من تعجيل وتاخير واصل القضاء
الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانه منع الباطل وقرا ابن كثير ونافع وعاصم
يقص من قص الاثر او قص الخبر وهو خير الفاصلين القاضين قل لو ان عندي
اي في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم
عاجلا غضبا لربي وانقطع ما بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين في معنى الاستدراك
كانه قال ولكن الامر الى الله وهو اعلم بمن ينبغي ان يؤخذ وبمن ينبغي ان يمهل منهم

منهم وعنده مفاتح الغيب خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن او ما يتوصل به الى المغيبات
مستعار من المفاتح الذي هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويؤيده انه قرئ مفاتيح والمعنى
انه المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها الا هو فيعلم اوقاتها وما في تعجيلها وتاخيرها
من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء
قبل وقوعها ويعلم ما في البر والبحر عطف للاخبار عن تعلق علمه بالمشاهدات
على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات له وما تسقط من ورقة الا يعلمها مبالغة
في احاطة علمه بالجزئيات ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس معطوفات
على ورقة وقوله الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على
ان الكتاب المبين علم الله او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئت بالرفع
للعطف على محل من ورقة او رفعها على الابتداء والخبر الا في كتاب مبين
وهو الذي يتوفاكم بالليل ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفي من الموت
للنوم لما بينهما من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز فان اصله قبض
الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه خص الليل بالنوم والنهار بالكسب
جريا على المعتاد ثم يبعثكم يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفي فيه في النهار
ليقضى اجل مسمى ليبلغ المتيقظ اخر اجله المسمى له في الدنيا ثم اليه مرجعكم بالموت
ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وقيل الآية خطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون
كالجيف وكاسبون للاثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في
شأن ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى
الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب
ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ملائكة
تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب
عليه وتعرض على رؤوس الاشهاد كان ازجر من المعاصي وان العبد اذا وثق بلطف
سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين عليه
حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا ملك الموت واعوانه وقرا حمزة توفاه
بالف ممالة وهم لا يفرطون بالتواني والتاخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون
ما حد لهم بزيادة او نقصان ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه مولاهم الذي يتولى
امرهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ
لا حكم لغيره وهو اسرع الحاسبين يحاسب الخلائق في مقدار حلب شاة
لا يشغله حساب عن حساب قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر من شدائدهما
استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما في الهول وابطال الابصار فقيل لليوم
الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق في البحر

وقرأ يعقوب ينجيكم بالتخفيف والمعنى واحد تدعونه تضرعا وخفية معلنين ومسرين
او اعلانا واسرارا وقرأ ابو بكر خفية بالكسر لئن انجينا من هذه لنكونن من الشاكرين
على ارادة القول اى يقولون لئن انجيتنا وفي الكوفيون لئن انجانا ليوافق قوله
تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة قل الله ينجيكم منها شدده الكوفيون وخففه بالعهد وانما
وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على ان من اشرك في عبادة الله فكأنه
لم يعبده رأسا قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما فعل بقوم نوح
ولوط واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون
وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم او يلبسكم
يخلطكم شيعا فرقا متحزبين على اهواء شتى فينشب القتال بينكم قال وكتيبة
لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي ويذيق بعضكم بأس بعض
يقاتل بعضكم بعضا انظر كيف نصرف الآيات بالوعد والوعيد لعلهم يفقهون
وكذب به قومك اى بالعذاب او بالقرآن وهو الحق الواقع لا محالة او الصدق
قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الى امركم فامنعكم من التكذيب او اجازيكم
انما انا منذر والله الحفيظ لكل نبأ خبر يريد انباء العذاب والايعاد به مستقر
وقت استقرار ووقوع وسوف تعلمون عند وقوعه في الدنيا او في الآخرة واذا
رأيت الذين يخوضون في آياتنا بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها فاعرض
عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره اعاد الضمير على معنى الآيات لانها
القرآن واما ينسينك الشيطان بان يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهي وقرأ
ابن عامر ينسينك بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكره مع القوم
الظالمين اى معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء
موضع التصديق والاستعظام وما على الذين يتقون وما يلزم المتقين من الذين
يجالسونهم من حسابهم من شيء مما يحاسبون عليه من قبائح اعمالهم واقوالهم
ولكن ذكرى ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح
ويظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى و
لا يجوز عطفه على محل من شيء لان من حسابهم يأباه ولا على شيء لذلك ولان من
لا تزاد في الاثبات لعلهم يتقون يجتنبون ذلك حياء او كراهة لمساءتهم
ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولا تنثلم
بمجالستهم روي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم
نستطع ان نجلس في المسجد ونطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا
ولهوا اى امر دينهم على التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا واجلا كعبادة
الصنم وتحريم البحائر والسوائب او اتخذوا دينهم الذي كلفوه لعبا ولهوا حيث

الباقون ومن كل كرب غم سواها ثم انتم تشركون تعودون الى الشرك ولا توفون صح

حيث سخروا به او جعلوا عيدهم الذي جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب
والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا
لهم كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا باية السيف حمله على الامر
بالكف عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم الحيوة الدنيا حتى انكروا البعث
وذكر به اى بالقرآن ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلاك
وترهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته
لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اى حرام ليس
لها من دون الله ولي ولا شفيع يدفع عنها العذاب وان تعدل كل عدل
وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدى وههنا الفداء وكل
نصب على المصدر لا يؤخذ منها الفعل مسند الى منها لا الى ضميره بخلاف قوله
ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدى به اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا اى سلموا
الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة لهم شراب من حميم وعذاب
اليم بما كانوا يكفرون تأكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلي يتجرجر
في بطونهم ونار تشتعل بابدانهم بسبب كفرهم قل اندعوا انعبد من دون الله
ما لا ينفعنا ولا يضرنا ما لا يقدر على نفعنا وضرنا ونرد على اعقابنا ونرجع الى
الشرك بعد اذ هدانا الله فانقذنا منه ورزقنا الاسلام كالذي استهوته
الشياطين كالذي ذهبت به مردة الجن في المهامه استفعال من هوى يهوي
اذا ذهب وقرأ حمزة استهواه بالف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل
نرد اى مشبهين الذي استهوته او على المصدر اى ردا مثل رد الذي استهوته
في الارض حيران متحيرا ضالا عن الطريق له اصحاب لهذا المستوى رفقة
يدعونه الى الهدى اى يهدونه الطريق المستقيم او الى طريق المستقيم وسماه هدى
تسمية للمفعول بالمصدر ائتنا يقولون له ائتنا قل ان هدى الله الذي هو الاسلام
هو الهدى وحده وما عداه ضلال وامرنا لنسلم لرب العالمين من جملة المقول
عطف على ان هدى الله واللام لتعليل الامر اى امرنا بذلك لنسلم وقيل هي بمعنى
الباء وقيل هي زائدة وان اقيموا الصلوة واتقوه عطف على لنسلم اى للاسلام
ولاقامة الصلوة او على موقعه كانه قيل وامرنا بان نسلم وان اقيموا روي ان عبد الرحمن
بن ابي بكر دعا اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول بهذا القول
اجابة عن الصديق تعظيما لشأنه واظهارا للاتحاد الذي كان بينهما وهو
الذي اليه تحشرون يوم القيمة وهو الذي خلق السموات والارض بالحق
قائما بالحق والحكمة ويوم يقول كن فيكون قوله الحق جملة اسمية قدم فيها الخبر اى قوله

الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات والارضين وقوله
الحق نافذ في الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او على الهاء
في واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدا وخبره او فاعل يكون على معنى وحين
يقول لقوله الحق اي لقضائه كن فيكون والمراد به حين يكون الاشياء ويحدثها او حين
تقوم القيمة فيكون التكوين حشر الاموات واحياءها وله الملك يوم ينفخ في الصور
كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اي هو عالم
الغيب وهو الحكيم الخبير كالفذلكة للاية واذ قال ابرهيم لابيه آزر هو عطف بيان
لابيه وفي كتب التواريخ ان اسمه تارخ فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل
العلم تارخ وازر وصف معناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمي حمل على موازنه
او نعت مشتق من الازر او الوزر والاقرب انه علم اعجمي على فاعل كعابر وشالخ
وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل
المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده اي اتعبد آزر ثم قال اتتخذ اصناما
الهة تفسيرا وتقريرا ويدل عليه انه قرئ اازرا تتخذ اصناما بفتح همزة ازر وكسرها
وهو اسم صنم وقرا يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على انه علم اني اريك وقومك
في ضلال عن الحق مبين ظاهر الضلالة وكذلك نري ابرهيم ومثل هذا التبصير
نبصره وهو حكاية حال ماضية وقرئ يري بالياء ورفع الملكوت ومعناه يبصره
دلايل الربوبية ملكوت السموات والارض ربوبيتها وملكها وقيل عجايبها و
بدايعها والملكوت اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة وليكون من الموقنين
اي ليستدل وليكون او وفعلنا ذلك ليكون فلما جن عليه الليل راى كوكبا
قال هذا ربي تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابرهيم وكذلك نري
اعتراض فان اباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم
على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستره
بظلامه والكوكب كان الزهرة او المشتري وقوله هذا ربي على سبيل الوضع فان
المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالافساد او على وجه النظر
والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته او اول اوان بلوغه فلما افل اي غاب
قال لا احب الافلين فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب بالاستتار
يقتضي الامكان والحدوث وينافي الالوهية فلما راى القمر بازغا مبتديا في الطلوع
قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين
استعجزه نفسه واستعان بربه في درك الحق فانه لا يهتدي اليه الا بتوفيقه ارشادا
لقومه وتنبيها لهم على ان القمر ايضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية وان من اتخذه الها
فهو ضال فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربي ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة

وصيانة للرب عن شبهة التانيث هذا اكبر كبره استدلالا واظهارا لشبهة الخصم
فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون من الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث
يحدثها ومخصص يخصصها بما يختص به ثم لما تبرا عنها توجه الى موجدها الذي دلت
هذه الممكنات عليه فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
حنيفا وما انا من المشركين وانما احتج بالافول دون البزوغ مع انه ايضا انتقال
لتعدد دلالته ولانه راى الكوكب الذي يعبدونه في وسط السماء حين حاول
الاستدلال وحاجه قومه وخاصموه في التوحيد قال اتحاجوني في الله في وحدانيته
وقرا نافع وابن عامر بتخفيف النون وقد هدان الى توحيده ولا اخاف ما تشركون به
اي لا اخاف معبوداتكم في وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع الا ان يشاء ربي شيئا
ان يصيبني بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه الهتهم وتهديد لهم بعذاب الله
وسع ربي كل شيء علما كانه علة الاستثناء اي احاط به علما فلا يبعد ان يكون
في علمه ان يحيق بي مكروه من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد
والقادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم ولا يتعلق به ضر ولا تخافون انكم اشركتم
بالله وهو حقيق بان يخاف منه كل الخوف لانه اشراك المصنوع بالصانع وتسوية
بين المقدور العاجز بالقادر الضار النافع ما لم ينزل به عليكم سلطانا ما لم ينزل
باشراكه كتابا ولم ينصب عليه دليلا فاي الفريقين احق بالامن اي الموحدون او
المشركون وانما لم يقل اينا انا ام انتم احترازا من تزكية نفسه ان كنتم تعلمون
ما يحق ان يخاف منه الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم
مهتدون استيناف منه او من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم ههنا
الشرك روي ان الاية لما نزلت شق ذلك على الصحابة قالوا اينا لم يظلم نفسه
فقال عليه السلام ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمن لابنه يا بني لا تشرك بالله
ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان تصدق بوجود الصانع الحكيم وتخلط
بهذا التصديق الاشراك به وقيل المعصية وتلك اشارة الى ما احتج به ابرهيم
عليه السلام على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون او من قوله
اتحاجوني في الله حجتنا اتيناها ابرهيم ارشدناه اليها وعلمناه اياها على قومه
اتحاجوني متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك وبمحذوف ان جعل بدله اي اتيناها
ابرهيم حجة على قومه نرفع درجات من نشاء في العلم والحكمة وقرا الكوفيون
ويعقوب بالتنوين ان ربك حكيم في رفعه وخفضه عليم بحال من يرفعه واستعداده
له ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا اي كلا منهما ونوحا هدينا من قبل
من قبل ابرهيم عد هداه نعمة على ابرهيم من حيث انه ابوه وشرف الوالد يتعدى
الى الولد ومن ذريته الضمير لابرهيم اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس

ولوطا ليس من ذرية ابرهيم اختص الكلام بالمعدودين في تلك الاية والتي بعدها
والمذكورون في الاية الثالثة عطف على نوحا داود وسليمان وايوب
ايوب بن اموص من اسباط عيصا بن اسحق ويوسف وموسى وهرون
وكذلك نجزي المحسنين اي ونجزي المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابرهيم برفع درجاته
وكثرة اولاده والنبوة فيهم وزكريا ويحيى وعيسى هو ابن مريم وفي ذكره دليل
على ان الذرية يتناول اولاد البنت والياس قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان
مخصوصا بمن في الاية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخي موسى كل من الصالحين
الكاملين في الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي واسمعيل واليسع
هو اليسع اخطوب وقرا حمزة والكسائي والليسع وعلى القراتين علم اعجمي ادخل
عليه اللام كما ادخل اليزيد في قوله رايت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء
الخلافة كاهله ويونس هو يونس بن متى ولوطا هو هاران بن اخي ابرهيم
وكلا فضلنا على العالمين بالنبوة وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق
ومن ابائهم وذرياتهم واخوانهم عطف على كلا او نوحا اي فضلنا كلا منهم او هدينا
هولاء وبعض ابائهم وذرياتهم واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا
واجتبيناهم عطف على فضلنا او هدينا وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير
لبيان ما هدوا اليه ذلك هدى الله اشارة الى ما دانوا به يهدي به من يشاء
من عباده دليل على انه متفضل بالهداية ولو اشركوا اي اشرك هولاء الانبياء
مع فضلهم وعلو شانهم لحبط عنهم ما كانوا يعملون لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم
لسقوط ثوابها اولئك الذين اتيناهم الكتاب يريد به الجنس والحكم
الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والنبوة الرسالة فان يكفر بها اي بهذه الثلثة
هولاء يعني قريشا فقد وكلنا بها اي بمراعاتها قوما ليسوا بها بكافرين وهم
الانبياء المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار واصحاب النبي او كل من امن
به او الفرس وقيل الملائكة اولئك الذين هدى الله يريد الانبياء المتقدم
ذكرهم فبهداهم اقتده فاختص طريقتهم بالاقتداء والمراد بهداهم ما توافقوا
عليه من التوحيد واصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا
الى الكل ولا يمكن التاسي بهم جميعا فليس فيه دليل على انه عليه السلم متعبد بشرع
من قبله والهاء في اقتده للوقف ومن اثبتها في الدرج ساكنة كابن كثير ونافع
وابي عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف واشبعها ابن عامر على انها كناية
المصدر قل لا اسئلكم عليه اي على التبليغ او القران اجرا جعلا من جهتكم
كما لم يسال من قبلي من النبيين وهذا من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه ان هو اي
التبليغ او القران او الغرض الا ذكرى للعالمين تذكير وعظة لهم وما قدروا الله

الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة والانعام على العباد اذ قالوا ما انزل
الله على بشر من شيء حين انكروا الوحي وبعثة الرسل وذلك من عظايم رحمته
وجلايل نعمته او في السخط على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة
والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القران بدليل نقض
كلامهم والزامهم بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى
للناس وقرا الجمهور تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا بالتاء وانما قراء
بالياء ابن كثير وابو عمرو حملا على قالوا وما قدروا وتضمن ذلك توبيخهم على سوء
حملهم للتورية وذمهم على تجزيتها بابداء بعض انتخبوه وكتبوه في ورقات متفرقة
واخفاء بعض لا يشتهونه روي ان مالك بن الصيف قاله لما غضبه الرسول
بقوله انشدك بالذي انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر
السمين فانت الحبر السمين وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التورية لانه كان
من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب
لكنا اهدى منهم وعلمتم على لسان محمد ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم زيادة على ما
في التورية وبيانا لما التبس عليكم وعلى ابائكم الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا
القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن
امن من قريش قل الله اي انزله الله او الله انزله امره بان يجيب عنهم اشعارا
بان الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون
على الجواب ثم ذرهم في خوضهم في اباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة
يلعبون حال من هم الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون او حال من المفعول
او فاعل يلعبون او من هم الثاني والظرف متصل بالاول وهذا كتاب انزلناه
مبارك كثير الفائدة والنفع مصدق الذي بين يديه يعني التورية او الكتب
التي قبله ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات ولتنذر
او علة محذوف اي ولتنذر اهل ام القرى انزلنا وانما سميت مكة بذلك
لانها قبلة اهل القرى ومحجهم ومجتمعهم واعظم القرى شانا وقيل لان الارض
دحيت من تحتها او لانها مكان اول بيت وضع للناس وقرا ابو بكر عن عاصم
بالياء اي لينذر الكتاب ومن حولها اهل الشرق والغرب والذين يؤمنون
بالاخرة يؤمنون به وهم على صلوتهم يحافظون فان من صدق بالاخرة خاف
العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب والضمير
يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلوة لانها عماد الدين وعلم الايمان
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسي
او اختلق عليه احكاما كعمرو بن لحي ومتابعيه او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء

كعبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة
من طين فلما بلغ قوله ثم انشاناه خلقا اخر قال عبد الله تبارك الله احسن الخالقين
تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله
وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال
ومن قال سانزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى
اذ الظالمون حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه اي لو ترى الظالمين في غمرات الموت
شدائده من غمره الماء اذا غشيه والملائكة باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضي الملظ
او بالعذاب اخرجوا انفسكم اي يقولون لهم اخرجوها الينا من اجسادكم تغليظا و
تعنيفا عليهم او اخرجوا انفسكم اي يقولون لهم اخرجوها الينا من العذاب وخلصوها من ايدينا
اليوم يريد به وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية له تجزون
عذاب الهون اي الهوان يريد به العذاب المتضمن لشدة واهانة واضافته الى الهون
لعراقته وتمكنه فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق كادعاء الولد والشريك له ودعوى
النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن اياته تستكبرون فلا تتاملون فيها ولا تؤمنون
ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وساير ما اثرتموه
من الدنيا او عن الاعوان والاوثان التي زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف
للتانيث ككسالى وقرئ فرادا كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم
اول مرة بدل منه اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية ان جوز التعدد
فيها او حال من الضمير في فرادى اي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة
مصدر جئتمونا اي مجيئا كخلقنا لكم وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا
فشغلتم به عن الاخرة وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيئا ولم تحتملوا نقيرا وما نرى
معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اي شركاء لله في ربوبيتكم واستحقاق
عبادتكم لقد تقطع بينكم اي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل
للوصل والفصل وقيل هو الظرف اسند اليه الفعل على الاتساع والمعنى وقع التقطع
بينكم وتشهد له قراءة نافع والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل
لدلالة ما قبله عليه او اقيم مقام موصوفه واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به
وضل عنكم ضاع وبطل ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء
ان الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق الذي
في الحنطة والنواة يخرج الحي من الميت يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله ومخرج الميت من الحي ومخرج ذلك من الحيوان
والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فان قوله يخرج الحي واقع موقع
البيان له ذلكم الله اي ذلكم المحيي المميت هو الذي يحق له العبادة فانى تؤفكون
تصرفون عنه الى غيره فالق الاصباح شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض النهار

النهار او شاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذي يليه والاصباح في الاصل مصدر اصبح
اذا دخل في الصبح سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح وجاعل
الليل سكنا يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمان اليه
استيناسا به او يسكن فيه الخلق لقوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لا به فانه في معنى
الماضي ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق
بمعنى فلق ولذلك قرئ به او به على ان المراد منه جعل مستمر في الازمنة المختلفة وعلى هذا
يجوز ان يكون والشمس والقمر عطفا على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والاحسن
نصبهما بجعل مقدرا وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي مجعولان حسبانا اي
على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات ويكونان علم الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح
كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان ذلك اشارة
الى جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسيرهما
على الوجه المخصوص العليم بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما وهو الذي جعل لكم
النجوم خلقها لكم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها
اليهما للملابسة او في مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد
لبعض منافعها بالذكر بعد ما اجملها بقوله قد فصلنا الايات بيناها فصلا فصلا لقوم
يعلمون فانهم المنتفعون به وهو الذي انشاكم من نفس واحدة هو ادم عليه السلام
فمستقر ومستودع اي فلكم استقرار في الاصلاب او فوق الارض واستيداع في الارحام
او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع وقرا ابن كثير والبصريان بكسر القاف
على انه اسم الفاعل والمستودع مفعول اي فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار منا
دون الاستيداع قد فصلنا الايات لقوم يفقهون ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها ظاهر
ومع ذكر تخليق بني ادم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة
دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر وهو الذي انزل من السماء ماء من السحاب
او من جانب السماء فاخرجنا على تلوين الخطاب به بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف
من النبات والمعنى اظهار القدرة في انبات الانواع المفننة بماء واحد كما في قوله يسقى
بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات او الماء خضرا
شيئا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب نخرج منه
من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل ومن النخل من طلعها قنوان اي واخرجنا من النخل
نخلا من طلعها قنوان او من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع
قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف كذيب وذوبان وبفتحها على انه اسم جمع
اذ ليس فعلان من ابنية الجمع دانية قريبة من المتناول او ملتفة قريب بعضها
من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها وجنات

من اعناب عطف على نبات كل شيء وقرئ بالرفع على الابتداء اي ولكم او ثم جنات
او من الكرم جنات ولا يجوز عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل والزيتون
والرمان ايضا عطف على نبات او نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين
عندهم مشتبها وغير متشابه حال من الرمان او من الجميع اي بعض ذلك متشابه في الهيئة
والقدر واللون والطعم انظروا الى ثمره اي ثمر كل واحد من ذلك وقرأ حمزة والكسائي
بضم الثاء وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب او ثمار ككتاب وكتب اذا اثمر اذا اخرج ثمره
كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به وينعه والى حال نضجه او الى نضيجه كيف يعود ضخما ذا
نفع ولذة وهو في الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ
بالضم وهو لغة ويانعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون اي لآيات على وجود القادر
الحكيم وتوحيده كان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المتفننة من اصل واحد ونقلها
من حال الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما يقتضيه حكمته مما يمكن
من احوالها ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه او ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك
به والرد عليه فقال وجعلوا لله شركاء الجن اي الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة
بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم او الشياطين لانهم اطاعوهم كما
يطاع الله او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع
والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأي الثنوية ومفعولا جعلوا لله شركاء والجن
بدل من شركاء او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء او حال منه وقرئ الجن بالرفع
كأنه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين وخلقهم حال بتقدير قد والمعنى و
قد علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق وقرئ وخلقهم عطفا
على الجن اي وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اي جعلوا له اختلاقهم للافك
حيث نسبوه اليه وخرقوا له افتعلوا وافتروا له وقرأ نافع بتشديد الراء للتكثير
وقرئ وحرفوا اي وزوروا بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله بغير علم من غير ان
يعلموا حقيقة ما قالوا ويروا عليه دليلا وهو في موضع الحال من الواو او المصدر
اي خرقا بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون وهو ان له شريكا او ولدا
بديع السموات والارض من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها او الى الظرف
كقولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام
فيه ورفعه على الخبر والمبتدأ محذوف او على الابتداء وخبره انى يكون له ولد اي من
اين او كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد وقرئ بالياء
للفصل او لان الاسم ضمير الله او ضمير الشأن وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم
لا يخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفي الآية استدلال

على نفي الولد من وجوه الاول انه من مبدعاته السموات والارضون وهي
مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو اولى بان
يتعالى عنها والثاني ان المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين والله
تعالى منزه عن المجانسة والثالث ان الولد كفو الوالد ولا كفو له لوجهين الاول
ان كل ما عداه مخلوقه فلا يكافيه والثاني انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك
غيره بالاجماع ذلكم اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ
الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا
او صفة والبعض خبرا فاعبدوه حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه
الصفات استحق العبادة وهو على كل شيء وكيل اي وهو مع تلك الصفات
متولي اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم
فيجازيكم عليها لا تدركه الابصار لا تحيط به الابصار جمع بصر وهو حاسة النظر وقد يقال
للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف
لانه ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفي في الآية عاما في الاوقات فلعله
مخصوص ببعض الحالات ولا في الاشخاص فانه في قوة قولنا لا كل بصر يدركه
مع ان النفي لا يوجب الامتناع وهو يدرك الابصار يحيط علمه بها وهو اللطيف الخبير
فيدرك ما لا تدركه الابصار كالابصار ويجوز ان يكون من باب اللف اي لا تدركه
الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا
من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها قد جاءكم بصائر من ربكم
البصائر جمع بصيرة وهي للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلي لها الحق
وتبصرها فمن ابصر اي ابصر الحق وآمن به فلنفسه ابصر لان نفعه لها ومن عمي
عن الحق وضل فعليها وباله وما انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر والله هو الحفيظ
عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول عليه السلام وكذلك
نصرف الآيات ومثل ذلك التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة
من الصرف وهو نقل الشيء من حال الى حال وليقولوا درست اي وليقولوا درست
صرفنا واللام لام العاقبة والدرس القراءة والتعلم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دارست
اي دارست اهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست من الدروس
اي قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم اساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء
مبالغة في درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست
بمعنى درست او دارست اليهود محمدا وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة
ودرسن اي عفون ودرس اي درس محمد عليه السلام ودارسات اي قديمات
او ذات درس كقوله في عيشة راضية ولنبينه اللام على اصله لان التبيين مقصود

التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر
لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به اتبع ما اوحي اليك من ربك بالتدين به لا اله الا هو
اعتراض اكد به ايجاب الاتباع او حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا في الالوهية واعرض عن المشركين
ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى آرائهم ومن جعله منسوخا باية السيف حمل الاعراض على ما يعم
الكف عنهم ولو شاء الله توحيدهم وعدم اشراكهم ما اشركوا وهو دليل على انه تعالى
لا يريد ايمان الكافر وان مراده واجب الوقوع وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا
وما انت عليهم بوكيل تقوم بامورهم ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله
اي لا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح فيسبوا الله عدوا تجاوزا
عن الحق الى الباطل بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به وقرأ يعقوب
عدوا يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعداء وعدوانا روي انه عليه السلام كان يطعن
في آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك فنزلت وقيل كان
المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله وفيه دليل على ان الطاعة
اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر كذلك زينا
لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز تخصيص
العمل بالشر وكل امة بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه به تزيين سب الله لهم ثم الى ربهم مرجعهم
فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة والمجازاة عليه واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر في موقع
الحال والداعي لهم الى هذا القسم والتأكيد فيه التحكم على الرسول عليه السلام في طلب الآيات
واستحقار ما راوا منها لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الآيات
عند الله هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شيء منها بقدرتي وارادتي وما يشعركم
وما يدريكم استفهام انكار انها ان الآية المقترحة اذا جاءت لا يؤمنون اي لا
تدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب مبالغة في نفي المسبب وفيه تنبيه على انه تعالى انما
لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل ان بمعنى لعل
اذ قرئ لعلها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر عن عاصم ويعقوب انها بالكسر
كانه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون
مجيء الآية طمعا في ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرأ ابن عامر وحمزة لا تؤمنون
بالتاء وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم فيكون انكارا لهم على حلفهم اي وما يشعرهم
ان قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات
فيؤمنون بها ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون اي وما يشعركم
انا حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون
بها كما لم يؤمنوا به اي بما انزل من الآيات اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون و
ندعهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ تقلب وتذرهم على الغيبة ويقلب

ويقلب على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى
وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما اقترحوا فقالوا لولا انزل علينا الملائكة فأتوا بآبائنا او
تأتي بالله والملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل اي كفلاء بما بشروا به وانذروا او
جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى جماعات او مصدر بمعنى مقابلة كقبلا وهو قراءة نافع وابن
عامر وهو على الوجهين حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه ما كانوا ليؤمنوا لما سبق عليهم القضاء
بالكفر الا ان يشاء الله استثناء من اعم الاحوال اي لا يؤمنون في حال الا حال مشيئة الله تعالى
ايمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة ولكن اكثرهم يجهلون انهم لو اوتوا بكل آية
لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم مع
ان مطلق الجهل يعمهم او ولكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون
نزول الآية طمعا في ايمانهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا اي كما جعلنا لك عدوا
جعلنا لكل نبي سبقك عدوا وهو دليل على ان عداوة الكفار للانبياء بفعل الله وخلقه شياطين
الانس والجن مردة الفريقين وهو بدل من عدوا او اول مفعولي جعلنا وعدوا مفعوله الثاني
ولكل متعلق به او حال منه يوحي بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس
او بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض زخرف القول الاباطيل المموهة من زخرفه اذا
زينه غرورا مفعول له او مصدر في موضع الحال ولو شاء ربك ايمانهم ما فعلوه اي
ما فعلوا ذلك يعني معاداة الانبياء وايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء
او الزخارف او الغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة فذرهم وما يفترون وكفرهم
ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على غرورا ان جعل علة او متعلق
بمحذوف اي وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا
اللام لام العاقبة او لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون او لام الامر وضعفه اظهر والصغو الميل
والضمير لما له الضمير في فعلوه وليرضوه لانفسهم وليقترفوا وليكتسبوا ما هم مقترفون
من الآثام افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل لهم يا محمد افغير الله اطلب من يحكم
بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول ابتغي وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما
ابلغ من حاكم ولذلك لا يوصف به غير العادل وهو الذي انزل اليكم الكتاب القرآن
المعجز مفصلا مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس وفيه تنبيه على ان القرآن
باعجازه وتقريره مغن عن سائر الآيات والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه
منزل من ربك بالحق تأكيد لدلالة الاعجاز على ان القرآن حق منزل من عند الله بعلم اهل
الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع انه عليه السلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم
وانما وصف جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بادنى تأمل وقيل
المراد مؤمنوا اهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن
من الممترين في انهم يعلمون ذلك او في انه منزل لجحود اكثرهم وكفرهم به فيكون من باب

التهييج كقوله ولا تكونن من المشركين او خطاب الرسول لخطاب الامة وقيل الخطاب
لكل واحد على معنى ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي لاحد ان يمترى فيه وتمت كلمة
ربك بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا
في الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له لا مبدل لكلماته لا احد يبدل
شيئا منها بما هو اصدق واعدل او لا احد يقدر ان يحرفها شايعا ذايعا كما فعل بالتورية
على ان المراد بها كلمات القران فيكون ضمانا لها من الله بالحفظ كقوله وانا له لحافظون
او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل احكامها وقرا الكوفيون ويعقوب كلمة
ربك اي ما تكلم به او القران وهو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون فلا يهملهم
وان تطع اكثر من في الارض اي اكثر الناس يريد الكفار او الجهال او اتباع الهوى وقيل
الارض مكة يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه فان الضال في غالب الامر
لا يامر الا بما فيه ضلال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق او جهالاتهم
وآراؤهم الفاسدة فان الظن يطلق على ما يقابل العلم وان هم الا يخرصون يكذبون على الله
فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاصنام والاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة
وتحريم البحاير او يقدرون انهم على شيء وحقيقته فيما يقال عن ظن وتخمين ان ربك
هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي اعلم بالفريقين ومن موصولة او
موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه اعلم لا به فان افعل لا ينصب الظاهر في مثل ذلك
او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ من يضل
اي يضله الله فيكون منصوبة بالفعل المقدر او مجرورة باضافة اعلم اليه اي اعلم المضلين
من قوله من يضلل الله تعالى او من اضللته اذا وجدته ضالا والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته
بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله
عليه مسبب عن انكار اتباع المضلين يحرمون الحلال ويحلون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر
اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف انفه ان كنتم باياته مؤمنين فان
الايمان بها يقتضي استباحة ما احله الله واجتناب ما حرمه وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله
عليه واي غرض لكم في ان تتحرجوا عن اكله وما يمنعكم عنه وقد فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم
بقوله حرمت عليكم الميتة وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول
ونافع ويعقوب وحفص حرم على البناء للفاعل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم
فانه ايضا حلال حال الضرورة وان كثيرا ليضلون بتحليل الحرام وتحريم الحلال قرا الكوفيون
بضم الياء والباقون بالفتح باهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تعلق بدليل يفيد العلم
ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر
الاثم وباطنه ما يعلن وما يسر او ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ
الاخدان ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكسبون ولا تاكلوا

ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا او نسيانا واليه
ذهب داود وعن احمد مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه السلام ذبيحة المسلم
حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان واوله بالميتة او بما
ذكر غير اسم الله عليه لقوله وانه لفسق فان الفسق ما اهل لغير الله به والضمير لما ويجوز ان يكون
للاكل الذي دل عليه لا تاكلوا وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم
من الكفار ليجادلوكم بقولهم تاكلون ما قتلتم انتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله
وهو يؤيد التاويل بالميتة وان اطعتموهم في استحلال ما حرم انكم لمشركون فان من ترك
طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط
بلفظ الماضي اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس مثل به من هداه
الله وانقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والايات يتامل بها في الاشياء فيميز بين
الحق والباطل والمحق والمبطل وقرا نافع ويعقوب ميتا على الاصل كمن مثله صفته وهو مبتدأ
خبره في الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله
للفصل وهو مثل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها بحال كذلك كما زين للمؤمنين ايمانهم
زين للكافرين ما كانوا يعملون والاية نزلت في حمزة وابي جهل وقيل في عمر او عمار
وابي جهل وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها اي كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا
فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني او في كل قرية اكابر
ومجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه ان فسر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف
جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع
الناس والمكر بهم وما يمكرون الا بانفسهم لان وباله يحيق بهم وما يشعرون لان
ذلك واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعني كفار قريش
لما روي ان ابا جهل قال زاحمنا بني عبد مناف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي
يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فنزلت الله اعلم حيث يجعل
رسالاته استئناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب والمال وانما هي بفضائل
نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده ويجتبي لرسالته من علم انه يصلح لها وهو
اعلم بالمكان الذي فيه يضعها وقرا ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته سيصيب الذين
اجرموا صغار ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيامة وقيل تقديره من عند الله
وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او جزاء على مكرهم فمن يرد الله
ان يهديه يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام فيتسع له
ويفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهياة لحلوله فيها مصفاة
عما يمنعه وينافيه واليه اشار عليه السلام حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله
في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك امارة يعرف بها فقال

نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله
ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان
وقرا ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر اي شديد الضيق
والباقون بالفتح وصفا بالمصدر كانما يصعد في السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره
بمن يزاول ما لا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على ان الايمان
يمتنع منه كما يمتنع منه الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا
في الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرا ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم
يصاعد بمعنى يتصاعد كذلك اي كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله الرجس
على الذين لا يؤمنون يجعل العذاب او الخذلان عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل
وهذا اشارة الى البيان الذي جاء به القرآن او الى الاسلام او الى ما سبق من التوفيق
والخذلان صراط ربك الطريق الذي ارتضاه او عادته وطريقه الذي اقتضته حكمته
مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا او مقيدة
والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون فيعلمون ان القادر
هو الله وان كل ما يحدث من خير او شر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم باحوال العباد
حكيم عادل فيما يفعل بهم لهم دار السلام دار الله اضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها
او دار السلامة من المكاره او دار تحيتهم فيها سلام عند ربهم في ضمانه او ذخيرة
لهم عنده لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم مواليهم او ناصرهم بما كانوا يعملون
بسبب اعمالهم او متوليهم بجزائها فيتولى ايصاله اليهم ويوم يحشرهم جميعا
نصب باضمار اذكر او نقول والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرا حفص عن عاصم
وروح عن يعقوب بالياء يا معشر الجن يعني الشياطين قد استكثرتم من الانس
اي من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير
من الجنود وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم ربنا استمتع بعضنا ببعض
اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها والجن بالانس
بان اطاعوهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف
واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي
اجلت لنا اي البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى
وتكذيب البعث وتحسر على حالهم قال النار مثواكم منزلكم او ذات مثواكم
خالدين فيها حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا او معنى الاضافة ان جعل مكانا
الا ما شاء الله الا الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الا ما
شاء الله قبل الدخول كانه قيل النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم ان ربك حكيم
في افعاله عليم باعمال الثقلين واحوالهم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا

بعضا نكل بعضهم الى بعض او نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم اولياء بعض وقرناءهم في العذاب
كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس الم
يأتكم رسل منكم الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك ونظيره
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان واللؤلؤ والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق
بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل
اليهم لقوله ولوا الى قومهم منذرين يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا
يعني يوم القيمة قالوا جوابا شهدنا على انفسنا بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم
بالكفر واستيجاب العذاب وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين
ذم لهم على سوء نظرهم وخطاء رأيهم فانهم اغتروا بالحيوة الدنيوية واللذات المخدجة واعرضوا
عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام
للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر
مبتدأ محذوف اي الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون
تعليل للحكم وان مصدرية او مخففة من الثقيلة اي الامر ذلك لانتفاء كون ربك او لانه
ان الشان لم يكن ربك مهلك اهل القرى بسبب ظلم فعلوه او ملتبسين بظلم او ظالما وهم
غافلون لم ينبهوا برسول او بدل من ذلك ولكل من المكلفين درجات مراتب مما عملوا
من اعمالهم او من جزائها او من اجلها وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل او قدر ما يستحق
به من الثواب والعقاب وقرا ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة وربك الغني
عن العباد والعبادة ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه
على ان ما سبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتأسيس لما بعده وهو قوله
ان يشأ يذهبكم اي ما به اليكم حاجة ان يشأ يذهبكم ايها العصاة ويستخلف
من بعدكم ما يشاء من الخلق كما انشأكم من ذرية قوم آخرين قرنا بعد قرن لكنه ابقاكم
ترحما عليكم ان ما توعدون من البعث واحواله لآت لكائن لا محالة وما انتم بمعجزين
طالبكم به قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة
اذا تمكن ابلغ التمكن او على ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام
ومقامة وقرا ابو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع في كل القرآن وهو امر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم
وعداوتكم اني عامل ما كتب علي من المصابرة والثبات على الاسلام والتهديد بصيغة الامر
مبالغة في الوعيد كان المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يفضي به اليه وتسجيل بان المهدد
لا يأتي منه الا الشر كالمأمور به الذي لا يقدر ان يتقصى عنه فسوف تعلمون من تكون له
عاقبة الدار ان جعل من استفهامية بمعنى اينا تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله لها
هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية فالنصب بتعلمون
اي فسوف تعرفون الذي يكون له العاقبة وفيه مع الانذار انصاف في المقال وحسن الادب

وتنبيه على وثوق المنذر بانه محق وقرا حمزة والكسائي يكون بالياء لان التانيث العاقبة
غير حقيقي انه لا يفلح الظالمون وضع الظالمين موضع الكافرين لانه اعم واكثر فائدة
وجعلوا اي مشركوا العرب لله مما ذرا خلق من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله
بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى
شركائهم روي انهم كانوا يعينون شيئا من حرث ونتاج لله ويصرفونه الى الضيفان والمساكين
وشيئا منها لالهتهم وينفقون على سدنتها ويذبحون عندها ثم ان راوا ما عينوا لله
ازكى بدلوه بما لالهتهم وان راوا ما لالهتهم ازكى تركوه لها حبا لالهتهم وفي قوله
مما ذرا تنبيه على فرط جهالتهم فانهم اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه
عليه بان جعلوا الزاكي له وفي قوله بزعمهم تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يامرهم
الله به وقرا الكسائي بالضم في الموضعين وهو لغة فيه وقد جاء فيه الكسر ايضا كالود والود
ساء ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك ومثل ذلك التزيين في قسمة القربات
زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بالواد ونحرهم لالهتهم شركاؤهم من الجن
او من السدنة وهو فاعل زين وقرا ابن عامر زين على البناء للمفعول الذي هو
القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله
وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله فزججتها بمزجة زج القلوص
ابي مزادة وقري بالبناء للمفعول وجر اولادهم ورفع شركاؤهم باضمار فعل
دل عليه زين ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم
ما كانوا عليه من دين اسمعيل او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل
ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء الله
ما فعلوه ما فعل المشركون ما زين لهم او الشركاء التزيين او الفريقان جميع ذلك
فذرهم وما يفترون افتراءهم او ما يفترونه من الافك وقالوا هذه اشارة
الى ما جعل للالهة انعام وحرث حجر حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي
فيه الواحد والكثير والذكر والانثى وقري حجر بالضم وحرج اي مضيق لا يطعمها
الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء بزعمهم من غير حجة
وانعام حرمت ظهورها يعني البحاير والسوائب والحوامي وانعام لا يذكرون
اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام عليها وقيل لا يحجون على ظهورها
افتراء عليه نصب على المصدر لان ما قالوه تقول على الله والجار متعلق بقالوا
او بمحذوف هو صفة له او على الحال او المفعول له والجار متعلق به او بالمحذوف
سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه او بدله وقالوا ما في بطون هذه الانعام
يعنون اجنة البحاير والسوائب خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا حلال
للذكور خالصة دون الاناث ان ولد حيا لقوله وان يكن ميتة فهم فيه شركاء

شركاء فالذكور والاناث فيه سواء وتانيث الخالصة للمبالغة فان ما في معنى الاجنة ولذلك
وافق عاصم في رواية ابي بكر ابن عامر في تكن وخالفه وهو وابن كثير في ميتة فنصب كغيرهم
او التاء للمبالغة كما في رواية الشعر او هو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقري بالنصب
على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في ذكورنا ولا
من الذكور لانها لا تتقدم على العامل المعنوي ولا على صاحبه المجرور وقري خالص بالرفع
والنصب وخالصه بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدا ثان والمراد
به ما كان حيا والتذكير في فيه لان المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب الذكر سيجزيهم
وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحريم والتحليل من قوله وتصف السنتهم
الكذب انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها يريد به العرب الذين
كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبي والفقر وقرا ابن كثير وابن عامر قتلوا بالتشديد
لمعنى التكثير سفها بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بان الله رازق اولادهم لا هم ويجوز نصبه
على الحال او المصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحاير ونحوها افتراء على الله يحتمل المذكور
في مثله قد ضلوا وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب وهو الذي انشا جنات
من الكروم معروشات مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات ملقيات على وجه
الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات ما نبت في
البراري والجبال والنخل والزرع مختلفا اكله ثمره الذي يؤكل في الهيئة والكيفية
والضمير للزرع والباقي مقيس عليه او للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه
او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد منهما ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند
الانشاء والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه يتشابه بعض افرادهما في اللون
والطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان
لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله
واتوا حقه يوم حصاده يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكوة المقدرة
فانها فرضت بالمدينة والاية مكية وقيل الزكوة والاية مدنية والامر بايتائها
يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك
لا بالتنقية وقرا ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه
ولا تسرفوا في التصدق كقوله ولا تبسطها كل البسط انه لا يحب المسرفين
لا يرتضي فعلهم ومن الانعام حمولة وفرشا عطف على جنات اي وانشا من الانعام
ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله كلوا
ما احل لكم منه ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم
انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا او مفعول
كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما او فعل دل عليه او حال بمعنى مختلفة او متعددة

والزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول من الضأن اثنين
زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضأن
اسم جنس كالابل وجمعه ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة
فيه ومن المعز اثنين التيس والعنز وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب
بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ المعزى قل آلذكرين ذكر
الضأن وذكر المعز حرم ام الانثيين ام انثييهما ونصب الذكرين والانثيين بحرم
اما اشتملت عليه ارحام الانثيين او ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان او انثى نبئوني
بعلم بامر معلوم يدل على ان الله حرم شيئا من ذلك ان كنتم صادقين في دعوى التحريم
عليه ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت
عليه ارحام الانثيين كما سبق والمعنى انكار ان الله حرم من الاجناس الاربعة ذكرا
او انثى او ما تحمل اناثها ردا عليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة
واولادها كيف كانت تارة زاعمين ان الله حرمها ام كنتم شهداء بل اكنتم حاضرين
شاهدين اذ وصاكم الله بهذا حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق
لكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحي المؤسس لذلك
ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا اجد فيما اوحي الي
اي في القرآن او فيما اوحي الي مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحي لا بالهوى
محرما طعاما محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الا ان يكون الطعام ميتة وقرأ
ابن كثير وحمزة بالتاء لتأنيث الخبر وقرأ ابن عامر بالتاء ورفع ميتة على ان يكون
كان هي التامة وقوله او دما مسفوحا عطف على ان مع ما في حيزه اي الا وجود
ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال او لحم خنزير
فانه رجس فان الخنزير او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث مخبث او فسقا
عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل اهل لغير الله به صفة له موضحة وانما سمي
ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له من اهل
وهو عطف على يكون والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته
الضرورة الى تناول شيء من ذلك غير باغ على مضطر الى مثله ولا عاد قدر الضرورة
فان ربك غفور رحيم لا يؤاخذه والآية محكمة لانها تدل على انه لم يجد فيما اوحي الى تلك
الغاية محرما غير هذه وذلك لا ينافي ورود التحريم في شيء آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ
الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء غيرها الا مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذي ظفر اي كل ما له اصبع كالابل والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي
الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم ومن البقر والغنم حرمنا عليهم

عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما
الا ما علقت بظهورهما او الحوايا او ما اشتمل على الامعاء جمع حاوية او حاوياء
كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفائن وقيل هو عطف على شحومهما
واو بمعنى الواو او ما اختلط بعظم هو شحم الالية لاتصالها بالعصعص ذلك
التحريم او الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون في الاخبار او الوعد والوعيد
فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بامهاله فانه
لا يهمل ولا يرد بأسه على القوم المجرمين حين ينزل او ذو رحمة واسعة للمطيعين و
وذو بأس شديد للمجرمين فاقام مقامه ولا يرد بأسه لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم
مع الدلالة على انه لازب بهم لا يمكن رده عنهم سيقول الذين اشركوا اخبار عن مستقبل
ووقوع مخبره يدل على اعجازه لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء اي
لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء كقوله فلو شاء لهداكم اجمعين لما فعلنا نحن
ولا آباؤنا ارادوا بذلك انهم على الحق المشروع المرضي عند الله لا الاعتذار من ارتكاب
هذه القبائح بارادة الله اياها منهم حتى ينتهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله
كذلك كذب الذين من قبلهم اي مثل هذا التكذيب لك في ان الله منع من الشرك
ولم يحرم ما حرموه كذب من قبلهم الرسل وعطف آباؤنا على الضمير في اشركنا من غير تأكيد
للفصل بلا حتى ذاقوا بأسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم
من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا فتظهروه لنا ان تتبعون الا
الظن وان انتم الا تخرصون تكذبون على الله وفيه دليل على المنع من اتباع الظن
سيما في الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع اذ الآية فيه قل فلله الحجة البالغة
البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات او بلغ بها صاحبها
صحة دعواه وهي بمعنى القصد كانها تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلو شاء لهداكم
اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلال آخرين قل هلم
شهداءكم احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف عند اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع
عند بني تميم واصله عند البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون
في اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل ام فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام
وهو بعيد لان هل لا تدخل الامر ويكون متعديا كما في الآية ولازما كقوله هلم الينا
الذين يشهدون ان الله حرم هذا يعني قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر
بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة
ووصفهم بما يقتضي العهد بهم فان شهدوا فلا تشهد معهم فلا تصدقهم فيه وبين
لهم فساده فان تسليمه موافقة لهم في الشهادة الباطلة ولا تتبع اهواء الذين
كذبوا بآياتنا من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان مكذب الآيات متبع الهوى

لا غير وان منبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها والذين لا يؤمنون بالاخرة كعبدة الاوثان
وهم بربهم يعدلون يجعلون له عديلا قل تعالوا امر من التعالي واصله ان يقوله
من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه للتعميم اتل اقرأ ما حرم ربكم منصوب
باتل وما يحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز ان يكون استفهامية منصوبة بحرم والجملة
مفعول اتل لانه بمعنى اقل اي اي شيء حرم ربكم عليكم متعلقة بحرم او اتل ان لا تشركوا به شيئا
اي لا تشركوا به ليصح عطف الامر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم
باعتبار الاوامر يرجع الى اضدادها ومن جعل ان ناصبة فمحلها النصب بعليكم على انه للاغراء
او بالبدل من ما او من عائده المحذوف على ان لا زائدة او الجر بتقدير اللام او الرفع على
تقدير المتعلق ان لا تشركوا او المحرم ان لا تشركوا شيئا يحتمل المصدر والمفعول
وبالوالدين احسانا اي واحسنوا بهم احسانا وضعه موضع النهي عن الاساءة اليهما للمبالغة والدلالة
على ان ترك الاساءة في شانهما غير كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا اولادكم من املاق من اجل فقر ومن
خشيته لقوله خشية املاق نحن نرزقكم واياهم منع لموجبية ما كانوا يفعلون لاجله واحتجاج عليه
ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب او الزنا ما ظهر منها وما بطن بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم
وباطنه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن ذلكم اشارة
الى ما ذكر مفصلا وصيكم به بحفظه لعلكم تعقلون ترشدون فان كمال العقل هو الرشد ولا تقربوا
مال اليتيم الا بالتي هي احسن الا بالفعلة التي هي احسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره حتى يبلغ اشده حتى يصير
بالغا وهو جمع شدة كنعمة وانعم او شد ككفر واكفر وقيل مفرد كآنك واوفوا الكيل والميزان
بالقسط بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر
معناه ان ايفاء الحق عسر فعليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم في حكومة ونحوها فاعدلوا
فيه ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له او عليه من ذوي قرابتكم وبعهد الله اوفوا يعني ما عهد اليكم
من ملازمة العدل وتادية احكام الشرع ذلكم وصيكم به لعلكم تذكرون تتعظون به وقرأ
حمزة وحفص والكسائي بتخفيف الذال حيث وقع اذا كان بالتاء والباقون بالتشديد وان
هذا صراطي مستقيما الاشارة فيه الى ما ذكر في السورة فانها باسرها في اثبات التوحيد
والنبوة وبيان الشريعة وقرأ حمزة والكسائي ان بالكسر على الاستئناف وابن عامر ويعقوب
بالفتح والتخفيف والباقون به مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله فاتبعوه وقرأ ابن عامر
صراطي بفتح الياء وقرئ وهذا صراطي وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل
الاديان المختلفة او الطرق التابعة للهوى فان مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد
لاختلاف الطبائع والعادات فتفرق بكم وتزيلكم عن سبيله الذي هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان
ذلكم الاتباع وصيكم به لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن الحق ثم آتينا موسى الكتاب
عطف على وصيكم وثم للتراخي في الاخبار او للتفاوت في الرتبة كانه قيل ذلكم وصاكم به قديما
وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة على الذي احسن على من

على من احسن القيام به ويؤيده ان قرئ على الذين احسنوا او على الذي احسن تبليغه وهو موسى او
تماما على ما احسنه اي اجاده من العلم والشرائع اي زيادة على علمه اتماما له وقرئ بالرفع على انه خبر
مبتدأ محذوف اي على الذي هو احسن او على الوجه الذي هو احسن ما يكون عليه الكتب
وتفصيلا لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما
يحتمل العلة والحال والمصدر وهدى ورحمة لعلهم لعل بني اسرائيل بلقاء ربهم يؤمنون
اي بلقائه للجزاء وهذا كتاب يعني القران انزلناه مبارك كثير النفع فاتبعوه
واتقوا لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه ان تقولوا كراهة ان تقولوا
علة لانزلناه انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى ولعل الاختصاص
في انما لان الباقي المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم وان كنا ان هي المخففة
ولذلك دخلت اللام الفارقة على خبر كان اي وانه كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين
لا ندري ما هي او لا نعرف مثلها او تقولوا عطف على الاول لو انا انزل علينا الكتاب
لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص
والاشعار والخطب على انا اميون فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة تعرفونها وهدى
ورحمة لمن تامل فيه وعمل به فمن اظلم ممن كذب بآيات الله بعد ان عرف صحتها او تمكن
من معرفتها وصدف اعرض او صد عنها فضل واضل سنجزي الذين يصدفون
عن آياتنا سوء العذاب شدته بما كانوا يصدفون باعراضهم او صدهم هل ينظرون
اي ما ينتظرون يعني اهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم
لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين الا ان تأتيهم الملائكة ملائكة الموت او العذاب
وقرأ حمزة والكسائي بالياء او يأتي ربك اي امره بالعذاب او كل آية يعني آيات القيمة
او الهلاك الكلي لقوله او يأتي بعض آيات ربك يعني اشراط الساعة
وعن حذيفة والبراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله
عليه السلام فقال ما تذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر
آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال
وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن يوم يأتي
بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها كالمحتضر اذ صار الامر عيانا والايمان برهاني
وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان الى ضمير المؤنث لم تكن آمنت من قبل صفة نفسا
او كسبت في ايمانها خيرا عطف على آمنت والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة
ايمانها او مقدمة ايمانها غير كاسبة في ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتبر
تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع باحد الامرين على
معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف على لم تكن بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها
الذي احدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا قل انتظروا انا منتظرون وعيد لهم اي انتظروا

اثنا بأحد الثلاثة فانا منتظرون له وجه لنا الفوز وعليكم الويل ان الذين
فرقوا دينهم بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض او افترقوا فيه فقال عليه السلام افترقت
اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى
على اثنتين وسبعين فرقة كلهم في النار الا واحدة وتفترق امتي على ثلث وسبعين
كلها في الهاوية الا واحدة وقرأ حمزة والكسائي فارقوا اي باينوا وكانوا شيعا فرقا
يشيع كل فرقة اماما لست منهم في شيء اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم او من عقابهم
او انت بريء منهم وقيل هو نهي عن التعرض لهم وهو منسوخ باية السيف انما امرهم الى الله يتولى
جزاءهم عد [illegible] يفعلون بالعقاب ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون بالعقاب من جاء
بالحسنة فله عشر امثالها اي عشر حسنات امثالها فضلا من الله وقرأ يعقوب عشر بالتنوين
وامثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين
وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد ومن جاء بالسيئة
فلا يجزى الا مثلها قضية للعدل وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل
انني هداني ربي الى صراط مستقيم بالوحي والارشاد الى ما نصب من الحجج دينا بدل من محل
الى صراط اذ المعنى هداني صراطا كقوله ويهديكم صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه
الملفوظ قيما فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من القائم باعتبار الزنة والمستقيم
باعتبار الصيغة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي قيما على انه مصدر نعت به وكان
قياسه قوما كالعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام ملة ابرهيم عطف بيان لدينا حنيفا
حال من ابرهيم وما كان من المشركين عطف عليه قل ان صلاتي ونسكي عبادتي كلها او قرباني
او حجي ومحياي ومماتي وما انا عليه في حياتي واموت عليه من الايمان والطاعة او طاعات الحيوة
والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير او الحيوة والممات انفسهما وقرأ نافع محياي
باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا
اشرك فيها غيره وبذلك القول او الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام
كل نبي متقدم على اسلام امته قل اغير الله ابغي ربا فاشركه في عبادته وهو جواب عن دعائهم
له الى عبادة آلهتهم وهو رب كل شيء حال في موضع العلة للانكار والدليل له اي وكل
ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية ولا تكسب كل نفس الا عليها فلا ينفعني في ابتغاء
رب غيره ما انتم عليه من ذلك ولا تزر وازرة وزر اخرى جواب عن قولهم اتبعوا
سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيامة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون
بتبيين الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل وهو الذي جعلكم خلائف الارض يخلف
بعضكم بعضا او خلفاء الله في ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام او خلفاء
الامم السالفة على ان الخطاب للمؤمنين ورفع بعضكم فوق بعض درجات في
الشرف والغنى ليبلوكم فيما آتاكم من الجاه والمال ان ربك سريع العقاب ما هو آت

ما هو آت قريب او لانه يسرع اذا اراده وانه لغفور رحيم وصف العقاب ولم يضفه
الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام
المؤكدة تنبيها على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل
العقوبة مسامح فيها عن رسول الله عليه السلام انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة
يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى عليه
واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

سورة الاعراف مكية الا ثمان آيات من قوله واسألهم الى قوله واذ نتقنا الجبل وقيل الا قوله واعرض عن الجاهلين وآيها مائتان وخمس

بسم الله الرحمن الرحيم • المص سبق الكلام في مثله • كتاب خبر مبتدأ محذوف اي هو كتاب
او خبر المص والمراد به السورة او القرآن • انزل اليك صفته فلا يكن في صدرك حرج منه شك فانه
الشك حرج الصدر او ضيق قلب من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او تقصر في القيام بحقه وتوجيه النهي
اليه للمبالغة كقولهم لا ارينك ههنا والفاء يحتمل العطف والجواب وكأنه قيل اذا انزل اليك لتنذر فلا يحرج
صدرك منه لتنذر به متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن انه من عند الله جسر على الانذار وكذا اذا لم يخفهم
او علم انه موفق للقيام بتبليغه وذكرى للمؤمنين يحتمل النصب باضمار فعلها اي لتنذر ولتذكر
ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل لتنذر والرفع عطفا على كتاب او خبر المحذوف
اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يعم القرآن والسنة لقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى
ولا تتبعوا من دونه اولياء يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير في من دونه لما انزل اي
لا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا
او زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتأكيد القلة
وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم
تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب بعد مع النبي عليه السلام وكم من قرية
وكثير من القرى اهلكناها اردنا اهلاكها او اهلكناها بالخذلان فجاءها فجاء اهلها
بأسنا عذابنا بياتا بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال او هم قائلون عطف
عليه اي قائلين نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت واو الحال استثقالا لاجتماع حرفي
عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه غير فصيح وفي التعبير بهما مبالغة
في غفلتهم وامنهم من العذاب ولذلك خص الوقتين ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون
مجيء العذاب فيهما افظع فما كان دعواهم اي دعاؤهم واستغاثتهم او ما كانوا يدعونه من دينهم
اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا
عليه فلنسألن الذين ارسل اليهم عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل ولنسألن المرسلين
عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفي في قوله ولا يسأل عن ذنوبهم
المجرمون سؤال الاستعلام او الاول في موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة

فلنقصن عليهم على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل
اليهم ما كانوا عليه بعلم عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم وما كنا غائبين عنهم
فيخفى علينا شيء من احوالهم والوزن اي القضاء او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور
على ان صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا
للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فتعترف بها السنتهم وتشهد بها جوارحهم ويؤيده ما
روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له
بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات
وثقلت البطاقة وقيل توزن الاشخاص لما روي عنه عليه السلام انه ليأتي العظيم السمين
يوم القيمة لا يزن عند الله تعالى جناح بعوضة يومئذ خبر المبتدا الذي هو الوزن الحق صفته
او خبر محذوف ومعناه العدل السوي فمن ثقلت موازينه حسناته او ما يوزن به
حسناته وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فهو جمع موزون او ميزان
فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه فاولئك
الذين خسروا انفسهم بتضييع الفطرة السليمة التي فطرت عليها واقتراف ما عرضها
للعذاب بما كانوا باياتنا يظلمون فيكذبون بدل التصديق ولقد مكناكم في الارض اي مكناكم
من سكناها وزرعها والتصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش اسبابا يعيشون بها جمع
معيشة وعن ابن عامر انه همزه تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف قليلا ما تشكرون
فيما صنعت اليكم ولقد خلقناكم ثم صورناكم اي خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه
نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره او ابتدانا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا
آدم ثم صورناه ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وقيل ثم لتاخر الاخبار فسجدوا
الا ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد لآدم قال ما منعك ان لا تسجد اي ان تسجد
ولا صلة مثلها في لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذي دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه ترك
السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر الى خلافه فكانه قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد اذ امرتك دليل على
ان مطلق الامر للوجوب والفور قال انا خير منه جواب من حيث المعنى استانف به استبعادا
لان يكون مثله مامورا بالسجود لمثله كانه قال المانع اني خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول
فكيف يحسن ان يؤمر به فهو الذي سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين اولا
خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لفضله عليه وقد غلط في ذلك بان رأى الفضل كله باعتبار العنصر
وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي
بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية
وهو ملاكه ولذلك امر الملائكة بسجوده لما بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص ليست لغيره والآية
دليل الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين
والشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب قال فاهبط منها من السماء او الجنة فما يكون لك فما يصح

فما يصح لك ان تتكبر فيها وتعصي فانها مكان الخاشع المطيع وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده واهبطه
لتكبره لا لمجرد عصيانه فما يكون لك فما يصح ان تتكبر فيها وتعصي قال عليه السلام من تواضع لله رفعه الله ومن
تكبر وضعه الله فاخرج انك من الصاغرين ممن اهانه الله لتكبره قال انظرني الى يوم يبعثون امهلني
الى يوم القيامة فلا تمتني او لا تعجل عقوبتي قال انك من المنظرين يقتضي الاجابة الى ما سأله ظاهرا لكنه
محمول على ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى او وقت يعلم الله انتهاء اجله
فيه وفي اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته قال فبما اغويتني اي بعد ان امهلتني
لاجتهدن في اغوائهم باي طريق يمكنني بسبب اغوائك اياي بواسطتهم تسمية او حملا على الغي او تكليفا
لما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا بأقعدن فان اللام تصد عنه وقيل الباء للقسم
لاقعدن لهم ترصدا بهم كما يقعد القطاع للسابلة صراطك المستقيم طريق الاسلام ونصبه على الظرف
كقوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل تقديره على صراطك كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن ثم لآتينهم
من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من جميع الجهات الاربع مثل قصده اياهم
بالتسويل والاضلال من اي وجه يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم
ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش وعن
ابن عباس رضي الله عنهما من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة
حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون التحرز عنه ومن خلفهم
من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا
ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه
منهما متوجه اليهم والى الآخرين بحرف المجاوزة فان الآتي منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم ونظيره
قولهم جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين مطيعين وانما قاله ظنا لقوله ولقد صدق عليهم
ابليس ظنه لما راى فيهم مبدا الشر متعددا ومبدا الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة قال اخرج منها
مذؤما مذموما من ذأمه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في مسؤول او مكولا من ذام يذيمه ذيما
مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه لأملأن جهنم منكم اجمعين وهو ساد
مسد جواب الشرط وقرئ لمن بكسر اللام على انه خبر لأملأن على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة
لاخرج ولاملأن جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب ويا آدم اي قلنا يا آدم
اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي وهو الاصل
لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم وتكونا يحتمل الجزم
على العطف والنصب على الجواب فوسوس لهما الشيطان اي فعل الوسوسة لاجلهما وهو في الاصل
الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلي وسوسة وقد سبق في البقرة كيفية وسوسته
ليبدي لهما ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد ايضا بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف
عورتهما ولذلك عبر عنها بالسوأة وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة
قبيح مستهجن في الطباع ما ووري عنهما من سوآتهما ما غطي عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما

ولا احدهما من الاخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة في المشهور كما قلبت في اويصل تصغير واصل لان
الثانية مدة وقرئ سواتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو
الساكنة فيها وقال ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين الا كراهة ان تكونا
او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة واستدل به على فضل الملائكة على الانبياء
وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما ايضا
ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك لا يدل على فضلهم
مطلقا وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين اي اقسم لهما على ذلك واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة
وقيل قاسماه بالقبول وقيل اقسما عليه بالله انه لمن الناصحين فاقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة
فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه به على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة
فان التدلية والادلاء ارسال الشيء من اعلى الى اسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا
لا يحلف بالله كاذبا او ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما فلما وجدا طعمها آخذين
في الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما عوراتهما واختلف في
ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او حلة او ظفرا وطفقا
يخصفان اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ورق
التين وقرئ يخصفان من اخصف اي يخصفان انفسهما ويخصفان من خصف ويخصفان
واصله يختصفان وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان
لكما عدو مبين عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق
النهي للتحريم قالا ربنا ظلمنا انفسنا اضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج عن الجنة وان لم تغفر
لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين دليل على ان الصغائر معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة
لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين في
استعظام الصغير من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات قال اهبطوا الخطاب لادم وحواء
وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء ابدا واخبر عما قال لهم متفرقا
بعضكم لبعض عدو في موضع الحال اي متعادين ولكم في الارض مستقر استقرار او موضع استقرار
ومتاع وتمتع الى حين الى تقضي آجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون للجزاء
وقرأ حمزة والكسائي وابن ذكوان ومنها تخرجون يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا اي خلقناه
لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة ونظيره وانزل لكم من الانعام وقوله وانزلنا الحديد يواري
سوآتكم التي قصد الشيطان ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق روي ان العرب كانوا يطوفون
بالبيت العتيق عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله تعالى فيها فنزلت ولعله
ذكر قصة آدم تقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من الشيطان
وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل
مالا ومنه ترّيش الرجل اذا تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس

ولباس التقوى خشية الله تعالى وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه
بالابتداء وخبره ذلك خير او خير وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ
نافع وابن عامر والكسائي ولباس بالنصب عطفا على لباسا ذلك اي انزال اللباس من آيات
الله الدالة على فضله ورحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح
يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان لا يمحننكم بان يمنعكم دخول الجنة باغوائكم كما اخرج ابويكم من الجنة
كما محن ابويكم بان اخرجهما منها والنهي في اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به
ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب
انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم تعليل للنهي وتاكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم
ايانا من حيث لا نراهم في الجملة لا يقتضي امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين
اولياء للذين لا يؤمنون بما اوجدنا بينهم من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم
وحملهم على ما سولوا لهم والآية مقصود القصة وفذلكة الحكاية واذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية
في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها
اعتذروا واحتجوا بامرين تقليد الآباء والافتراء على الله تعالى واعرض عن الاول لظهور
فساده ورد الثاني بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء لان عادته جرت على الامر بمحاسن
الافعال والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه آجلا عقلي
فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين
مترتبين كانه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل ومن اين اخذ آباؤكم
فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين يمتنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا
اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله تعالى قل امر ربي بالقسط
بالعدل وهو الوسط من كل امر المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا
الى عبادته مستقيمين اليها غير عادلين الى غيرها او اقيموها نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت
سجود او مكانه وهو الصلوة او في اي مسجد حضرتكم الصلوة ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم
وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة فان اليه مصيركم كما بداكم كما انشاكم
ابتداء تعودون باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا لامكانها
والقدرة عليها وقيل كما بداكم من التراب تعودون اليه وقيل كما بداكم حفاة عراة
غرلا تعودون وقيل كما بداكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم للايمان
وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده اي
وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانهم او تحقيق
لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق
الذم وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم ثيابكم لمواراة عورتكم
عند كل مسجد لطواف او صلوة ومن السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته للصلوة وفيه دليل

على وجوب ستر العورة في الصلوة وكلوا واشربوا ما طاب لكم روي ان بني عامر في ايام حجهم
لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت
ولا تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدي الى الحرام او بافراط الطعام والشره عليه وعن ابن عباس
كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد جمع الله تعالى
الطب في نصف اية فقال وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي فعلهم
قل من حرم زينة الله من الثياب وسائر ما يتجمل به التي اخرج لعباده من النبات كالقطن
والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق المستلذات
من المآكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان
الاستفهام في من للانكار قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم
فيها فتبع خالصة يوم القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرا نافع بالرفع
على انها خبر بعد خبر كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون اي كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر
الاحكام لهم قل انما حرم ربي الفواحش ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن
جهرها وسرها والاثم وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر والبغي الظلم او الكبر افرده
بالذكر للمبالغة بغير الحق متعلق بالبغي مؤكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم
بالمشركين وتنبيه على ان تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون بالالحاد
في صفاته والافتراء عليه كقولهم الله امرنا بها ولكل امة اجل مدة او وقت لنزول العذاب بهم
وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم انقرضت مدتهم او حان وقتهم لا يستاخرون ساعة
ولا يستقدمون اي لا يتاخرون ولا يتقدمون اقصر وقت او لا يطلبون التاخر والتقدم
لشدة الهول يا بني ادم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي شرط ذكره بحرف الشك
للتنبيه على ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب كما ظنه اهل التعليم وضمت اليها ما لتاكيد معنى الشرط
ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين
كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والمعنى فمن اتقى التكذيب
واصلح عمله منكم والذين كذبوا باياتنا منكم وادخال الفاء في الخبر الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد
والمسامحة في الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته ممن تقول على الله ما لم يقله
او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من الارزاق والاجال وقيل
الكتاب اللوح اي مما اثبت لهم فيه حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم اي يتوفون ارواحهم
وهو حال من الرسل وحتى غاية نيلهم وهي التي يبتدا بعدها الكلام قالوا جواب اذا اين ما كنتم
تدعون من دون الله اي الالهة التي كنتم تعبدونها وما وصلت باين في خط المصحف
وحقها الفصل لانها موصولة قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين
اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه قال ادخلوا اي قال الله لهم يوم القيمة او احد
من الملائكة الخزنة في امم قد خلت من قبلكم اي كائنين في جملة امم مصاحبين لهم من الجن والانس

والانس يعني كفار الامم الماضية من النوعين في النار متعلق بادخلوا كلما دخلت امة اي
في النار لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا
في النار قالت اخراهم دخولا او منزلة وهم الاتباع لاولاهم اي لاجل اولاهم اذ الخطاب
مع الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فاتهم عذابا ضعفا
من النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فبكفرهم وتضليلهم
واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون ما لكم او ما لكل فريق وقرا عاصم
بالياء على الانفصال وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم
على جواب الله لاخراهم ورتبوه عليه اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم
متساوون في الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون
من قول القادة او من قول الفريقين ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اي عن الايمان
بها لا تفتح لهم ابواب السماء لادعيتهم واعمالهم او لارواحهم كما تفتح لاعمال المؤمنين وارواحهم لتتصل بالملائكة
والتاء في تفتح لتانيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرا ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائي به وبالياء
لان التانيث غير حقيقي والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على ان
الفعل للايات وبالياء على ان الفعل لله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط
اي حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة و
ذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب
والجمل كالحبل وهي الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفي سم المخيط
وهو والخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين
لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش اغطية والتنوين فيه للبدل عن الاعلال عند سيبويه
وللصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف وكذلك نجزي الظالمين عبر عنهم بالمجرمين
تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الايات اتصفوا بهذه الصفات الذميمة
وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام والذين
امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
على عادته تعالى في ان يشفع الوعد بالوعيد ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدا
وخبره للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف نفس ونزعنا
ما في صدورهم من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد
وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم
الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا لما جزاؤه هذا
وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لولا هداية الله تعالى وتوفيقه واللام لتوكيد النفي
وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرا ابن عامر ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى
لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا و

وتبجحا بان ما علموه بقضيتا في الدنيا صار لهم عين اليقين في الاخرة ونودوا ان تلكم الجنة اذا راوها من بعيد
او بعد دخولها والمنادى له بالذات اورثتموها بما كنتم تعملون اي اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال
من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم وان في المواقع الخمسة هي المخففة او المفسرة لان
المناداة والتاذين من القول ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا
حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وانما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسرا لهم وانما
لم يقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا وعده بهم كالبعث
والحساب ونعيم اهل الجنة لاهلها قالوا نعم وقرأ الكسائي بكسر العين وهما لغتان فاذن مؤذن قيل
هو صاحب الصور بينهم بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين وقرا ابن كثير برواية البزي
وابن عامر وحمزة والكسائي ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة القول
او اجراء اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة للظالمين مقررة او ذم مرفوع او منصوب
ويبغونها عوجا زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم تكن منتصبة وبالفتح
في المنتصبة كالحائط والرمح وهم بالاخرة كافرون وبينهما حجاب اي بين الفريقين لقوله فضرب
بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احدهما الى الاخرى وعلى الاعراف وعلى اعراف
الحجاب اي اعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف
ما ارتفع من الشيء فانه يكون لظهوره اعرف من غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون
بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء او خيار
المؤمنين وعلماؤهم او ملائكة يرون في صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة والنار بسيماهم
بعلامتهم التي اعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة
او من وسم على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة ونادوا
اصحاب الجنة ان سلام عليكم اي اذا نظروا اليهم سلموا عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون حال من الواو وعلى الوجه
الاول في النار ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم من رؤساء الكفرة قالوا ما اغنى
عنكم جمعكم كثرتكم او جمعكم المال وما كنتم تستكبرون عن الحق او على الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة
اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة
الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة لا خوف
عليكم ولا انتم تحزنون اي فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو اوفق للوجوه الاخر وقيل
لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم
ما قالوا وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله او بعض
الملائكة اهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستيناف وتقديره دخلوا الجنة
مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا اي صبوه وهو
دليل على ان الجنة فوق النار من الماء او مما رزقكم الله من سائر الاشربة ليلايم الافاضة او من الطعام
كقوله علفتها تبنا وماء باردا قالوا ان الله حرمهما على الكافرين منعهما عنهم منع المحرم

او من اصحاب على الوجه الثاني واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي في النار صح

المحرم على المكلف الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت واللهو
صرف الهم بما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به وغرتهم الحيوة الدنيا
فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم في النار كما نسوا لقاء يومهم هذا فلم يخطروه ببالهم
ولم يستعدوا له وما كانوا باياتنا يجحدون وكما كانوا منكرين انها من عند الله ولقد جئناهم
بكتاب فصلناه بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة على علم عالمين
بوجه تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه تعالى عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول
وقرئ فضلناه اي على سائر الكتب عالمين بانه حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون
حال من الهاء هل ينظرون هل ينتظرون الا تاويله الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور
ما نطق به من الوعد والوعيد يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسي
قد جاءت رسل ربنا بالحق اي قد تبين انهم جاؤا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا
لنا اليوم او نرد او هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان او بمعنى
الى ان فعلى الاول المسؤل احد الامرين وعلى الثاني ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين
او لامر واحد وهو الرد فنعمل غير الذي كنا نعمل جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن
نعمل قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم في الكفر وضل عنهم ما كانوا يفترون بطل عنهم فلم ينفعهم
ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي في ستة اوقات كقوله
ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان المتعارف في اليوم زمان طلوع الشمس
الى غروبها ولم تكن حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ايجادها دفعة دليل الاختيار
واعتبار للنظار وحث على التاني في الامور ثم استوى على العرش استوى امره او استولى
وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة بلا كيف والمعنى انه تعالى استوى على العرش
على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به
لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشي الليل
النهار يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشي الليل النهار بنصب الليل
ورفع النهار وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد للدلالة على التكرير
يطلبه حثيثا يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث وهو صفة
مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره
بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال وقرا ابن عامر كلها بالرفع
على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر فانه الموجد والمتصرف تبارك الله رب العالمين
تعالى بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الآية والله اعلم ان الكفرة كانوا
متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله لانه الذي له الخلق والامر فانه تعالى خلق
العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله
فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصورة

المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الآثار والافعال واشار اليه
بقوله خلق الارض فى يومين اى ما فى جهة السفل فى يومين ثم انشا انواع المواليد الثلاثة بتركيب
موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله وخلق الارض فى يومين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك
فيها وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام اى مع اليومين الاولين لقوله فى سورة السجدة الله الذى
خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه
لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكرار الليالى والايام
ثم صرح بما هو فذلكة التقدير ونتيجته فقال الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم
بان يدعوه متذللين مخلصين فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية اى ذوى تضرع وخفية
فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين المجاوزين ما امروا به فى الدعاء وغيره
نبه به على ان الداعى ينبغى ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء
وقيل هو الصياح فى الدعاء والاسهاب فيه وعن النبى صلى الله عليه وسلم سيكون قوم
يعتدون فى الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم انى اسئلك الجنة وما قرب اليها من قول
وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين
ولا تفسدوا فى الارض بالكفر والمعاصى بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع الاحكام
وادعوه خوفا وطمعا ذوى خوف من الرد لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع فى
اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته ان رحمة الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع و
تنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف اى
امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذى هو بمعنى مفعول او الذى هو مصدر كالنقيض او للفرق بين
القريب من النسب والقريب من غيره وهو الذى يرسل الرياح وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى
الريح على الوحدة نشرا جمع نشور بمعنى ناشر وقرأ ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع
وحمزة والكسائى نشرا بفتح النون حيث وقع على انه مصدر فى موضع الحال بمعنى ناشرات
او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا وهو تخفيف بشر جمع بشير
وقد قرئ به وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات او للبشارة وبشرى
بين يدى رحمته يعنى المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور
تفرقه حتى اذا اقلت اى حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشئ يستقله
سحابا ثقالا بالماء جمعه لان السحاب بمعنى السحائب سقناه اى السحاب وافراد الضمير
باعتبار اللفظ لبلد ميت لاجله او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء
بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح وكذلك فاخرجنا به ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء
واذا كان للبلد فالباء للالصاق فى الاول وللظرفية فى الثانى واذا كان لغيره فهى للتسبيب
من كل الثمرات من كل انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة فيه الى اخراج الثمرات
او الى احياء البلد الميت اى كما نحييه باحداث القوة النامية فيه ونطريتها بانواع النبات

والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى موادّ ابدانها
بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس لعلكم تذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك
قدر على هذا والبلد الطيب الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيته وتيسيره
عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه فى مقابلة والذى خبث كالحرة
والسبخة لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال وتقدير الكلام والبلد الذى خبث
لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يخرج
اى يخرجه البلد فيكون الا نكدا مفعولا ونكدا على المصدر اى ذا نكد ونكدا بالاسكان
للتخفيف كذلك نصرف الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله ويتفكرون
فيها ويعتبرون بها والآية مثل لمن يتدبر الآيات وينتفع بها ولمن لم يرفع بها راسا ولم
يتاثر بها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه جواب قسم محذوف ولا تكاد تطلق هذه اللام
الا مع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح بن لمك بن
متوشلخ بن ادريس اول نبى بعد بعده وهو ابن خمسين سنة واربعين فقال يا قوم
اعبدوا الله اى اعبدوه وحده لقوله ما لكم من اله غيره وقرأ الكسائى غيره بالكسر على اللفظ وقرئ
بالنصب على الاستثناء انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعى
الى عبادته واليوم يوم القيمة او يوم نزول الطوفان قال الملأ من قومه اى الاشراف فانهم
يملؤن العيون رواء انا لنريك فى ضلال زوال عن الحق مبين بين قال يا قوم ليس بى ضلالة
اى شئ من الضلال بالغ فى النفى كما بالغوا فى الاثبات وعرض لهم به ولكنى رسول من رب العالمين
استدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه على هدى كانه قال ولكنى على هدى فى الغاية لانى رسول
من الله ابلغكم رسالات ربى وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون صفات لرسول او استيناف
ومساقها على الوجهين لبيان كونه رسولا وقرأ ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالة لاختلاف
اوقاتها او لتنوع معانيها كالعقائد والمواعظ والاحكام او لان المراد بها ما اوحى اليه
والى الانبياء قبله كصحف شيث وادريس وزيادة اللام فى لكم للدلالة على امحاض النصح
لهم اوفى اعلم من الله تقرير لما اوعدهم به فان معناه اعلم من قدرته وشدة بطشه او من
جهته بالوحى اشياء لا علم لكم بها اوعجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اى اكذبتم
وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم ذكر من ربكم رسالة او موعظة على رجل على لسان رجل
منكم من جملتكم او من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله
لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين لينذركم عاقبة الكفر والمعاصى ولتتقوا منهما
بسبب الانذار ولعلكم ترحمون بالتقوى وفائدة حرف الترجى التنبيه على ان التقوى غير موجب والترحم من الله تفضل وان المتقى ينبغى ان
لا يعتمد على تقواه ولا يامن من عذاب الله فكذبوه فانجيناه والذين معه وهم من آمن به و
كانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة
ممن آمن به فى الفلك متعلق بمعه او بانجينا او حال من الموصول او الضمير فى معه واغرقنا

الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين واصله عميين مخفف وقرئ عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات والى عاد اخاهم عطف على نوحا الى قومه هودا عطف بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن نوح وقيل هود بن شالح بن ارفخشد بن سام بن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لقوله واعرف بحاله وارغب في اقتفائه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره استئناف به ولم يعطف كانه جواب سائل قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك جوابهم افلا تتقون عذاب الله وكان قومه كانوا اقرب من قوم نوح ولذلك قال قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنريك في سفاهة متمكنا في خفة عقل وراسخا فيها حيث فارقت دين قومك اذ كان من اشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم سبق تفسيره وفي اجابة الانبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض عن مقابلتهم بكمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي في مساكنهم او في الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى شحر عمان خوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم بانعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة وقوة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون وهو تعميم بعد تخصيص لكي يفضي بكم ذكر النعم الى شكرها المودي الى الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما اشرك به آباؤهم انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه ومعنى المجيء في اجئتنا اما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه او من السماء على التهكم او القصد على المجاز كقولهم ذهب يسبني فاتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله افلا تتقون ان كنت من الصادقين فيه قال قد وقع عليكم من ربكم قد وجب وحق عليكم او نزل عليكم على ان المتوقع كالواقع رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب ارادة انتقام اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان في اشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى الالهية لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال آية او نصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم ان الاصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد الاطلاق الى من لا يؤبه بقوله اظهارا لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به على ان الاسم هو المسمى وان اللغات توقيفية اذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال بانها اسماء مخترعة لم ينزل الله بها سلطانا وضعفهما ظاهر فانتظروا لما وضح الحق وانتم مصرون على العناد نزول العذاب اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه في الدين برحمة منا عليهم

عليهم وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا اي استأصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض بمن آمن منهم وتنبيه على ان الفارق بين من نجا وبين من هلك هو الايمان روي انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله القطر عنهم ثلاث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد في سبعين من اعيانهم وكان اذ ذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما رأى ذهولهم باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيى ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا لا يبينون الكلاما حتى غنتا به فازعجهم ذلك فقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله تعالى سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه عنا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله تعالى سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا والى ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتأويل الحي او باعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى اخاهم صالحا صالح بن عبيد بن آسف بن ماسخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي وقوله هذه ناقة الله لكم آية استئناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هي له آية ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية واضافة الناقة الى الله لتعظيمها ولانها جاءت من عند الله بلا وسائط واسباب معهودة ولذلك كانت آية فذروها تأكل في ارض الله العشب ولا تمسوها بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة في الامر وازاحة للعذر فيأخذكم عذاب اليم جواب للنهي واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض ارض الحجر تتخذون من سهولها قصورا اي تبنون في سهولها او من سهولة الارض بما تعملون منها كاللبن والآجر وتنحتون الجبال بيوتا وقرئ وتنحتون بالفتح وتنحاتون بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة او المفعول على ان التقدير بيوتا من الجبال او تنحتون بمعنى تتخذون فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا عن الايمان من قومه للذين استضعفوا اي للذين استضعفوهم واستذلوهم

لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين
أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوه على الاستهزاء قالوا انا بما ارسل به مؤمنون عدلوا به
عن الجواب السوي الذي هو نعم تنبيها على ان ارساله اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذوي
رأي وانما الكلام فيمن آمن به ومن كفر فلذلك قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون
على المقابلة ووضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما فعقروا الناقة
فنحروها اسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة او لانه كان برضاهم وعتوا عن امر ربهم واستكبروا
عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح بقوله فذروها وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين
فاخذتهم الرجفة الزلزلة فاصبحوا في دارهم جاثمين خامدين ميتين روي انهم بعد عاد عمروا
بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا تفي بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في خصب
وسعة فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله تعالى اليهم صالحا من اشرافهم
فانذرهم فسألوه آية فقال اية آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك وندعو
آلهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة
منفردة يقال لها الكاثبة وقال له اخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك
فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة
تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت
ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع في جماعة ومنع الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم
ورباب بن صمعر كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع رأسها من البئر حتى
تشرب كل ماء فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤا حتى تمتلي اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت
تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق
ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها
جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا
عليه وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة
واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله
الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة
من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت
لكم ولكن لا تحبون الناصحين ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين ولعله
خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله عليه السلام اهل قليب بدر وقال انا وجدنا ما وعدنا
ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم ولوطا اي وارسلنا
لوطا اذ قال لقومه وقت قوله لهم او واذكر لوطا واذ بدل منه اتأتون الفاحشة توبيخ
وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح ما سبقكم بها من احد من العالمين ما فعلها
قبلكم احد قط والباء للتعدية ومن الاولى لتأكيد النفي والاستغراق والثانية

والثانية للتبعيض والجملة استئناف مقرر للانكار كأنه وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها
فانه اسوأ انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بيان لقوله اتأتون الفاحشة
وهو ابلغ في الانكار والتوبيخ وقرأ نافع وحفص انكم على الاخبار المستأنف وشهوة مفعول
له او مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي
ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الوطر بل انتم قوم مسرفون
اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التي ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد
الاسراف في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف مثل لا عذر
لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم
اي ما جاؤا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصحه بالامر باخراجه فيمن معه من المؤمنين من قريتهم
والاستهزاء بهم فقالوا انهم اناس يتطهرون اي من الفواحش فانجيناه واهله اي
من آمن به الا امرأته واهله فانها كانت تسر الكفر كانت من الغابرين من الذين بقوا في
ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين
بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين روي ان لوط بن
هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه ابرهيم الى الشام نزل بالاردن فارسله الله الى اهل سدوم
ليدعوهم الى الله وينهاهم عما اخترعوا من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا
وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم والى مدين اخاهم شعيبا اي و
ارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابرهيم شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال
له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة
من ربكم يريد المعجزة التي كانت له وليس في القرآن انها ما هي وما روي من محاربة عصا موسى
عليه السلام التنين وولادة الغنم التي دفعها اليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من اولادها ووقوع
عصا آدم عليه السلام في يده في المرات السبع متأخرة عن هذه المقالة ويحتمل ان يكون
كرامة لموسى او ارهاصا لنبوته فاوفوا الكيل اي آلة الكيل على الاضمار او اطلاق الكيل
على المكيال كالعيش على المعاش لقوله والميزان كما قال في سورة هود اوفوا المكيال و
الميزان ويجوز ان يكون مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم وانما
قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وكانوا مكاسين لا يدعون
شيئا الا مكسوه ولا تفسدوا في الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح امرها
او اهلها الانبياء واتباعهم بالشرائع او اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة في بل مكر الليل
والنهار ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية
اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال ولا تقعدوا بكل صراط
توعدون بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب
الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا رأوا احدا يسعى في شيء منها منعوه وقيل كانوا

يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتننك عن دينك ويدعون
لمن آمن وقيل كانوا يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله يعني الذي قعدوا عليه
فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا
عليه والايعاد بالله تعالى من آمن به اي بالله او بكل صراط على الاول ومن مفعول تصدون
على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه
في موقع الحال من الضمير في تقعدوا وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او
وصفها للناس بانها معوجة واذكروا اذ كنتم قليلا عددكم فكثركم بالبركة في النسل او المال
وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم قبلكم واعتبروا بهم وان كان طائفة منكم
آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا فتربصوا حتى يحكم الله بيننا اي
بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين
اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب
والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد الامرين اما
اخراجكم من القرية او عودكم في الكفر وشعيب لم يكن في ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز
عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك
اجري الجواب في قوله قال اولو كنا كارهين اي كيف نعود فيها ونحن كارهون
لها او اتعيدوننا في حال كراهتنا قد افترينا على الله كذبا قد اختلقنا عليه ان عدنا
في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل
لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقريبه من الحال اي قد افترينا الآن
ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم ان لله ندا وانه قد تبين لنا ان ما كنا
عليه باطل وما انتم عليه حق وقيل انه جواب قسم وتقديره والله لقد افترينا وما يكون لنا
وما يصح لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل
على ان الكفر بمشيئته وقيل اراد به حسم طمعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون وسع ربنا كل
شيء علما اي احاط علمه بكل شيء مما كان ومما يكون منا ومنكم على الله توكلنا في ان يثبتنا
على الايمان ويخلصنا من الاشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق احكم بيننا والفتاح
القاضي والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل
من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا
من قومه لئن اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم ضلالته بهداكم
او لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم
الموطأ باللام فاخذتهم الرجفة الزلزلة وفي سورة الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها كانت
من مباديها فاصبحوا في ديارهم جاثمين اي في مدينتهم الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره
كان لم يغنوا فيها اي استؤصلوا كان لم يقيموا بها والمغنى المنزل الذين كذبوا شعيبا

شعيبا كانوا هم الخاسرين دينا ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون
في الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستأنف بالجملتين واتى بهما
اسميتين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قاله تأسفا
بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه فقال فكيف آسى على قوم كافرين ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم
ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ
والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ فكيف
ايسى بامالتين وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء
بالبؤس والضر لعلهم يضرعون كي يتضرعوا ويتذللوا ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة
اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين
حتى عفوا كثروا عددا وعددا يقال عفا النبات اذا كثر ومنه اعفاء اللحى وقالوا قد مس
آباءنا الضراء والسراء كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره واعتقادا بانه من عادة الدهر يعاقب
في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا منه مثل ما مسنا فاخذناهم بغتة
فجاءة وهم لا يشعرون بنزول العذاب ولو ان اهل القرى يعني القرى المدلول عليها بقوله
وما ارسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها آمنوا واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم لفتحنا
عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد
المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتحنا بالتشديد ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بما كانوا
يكسبون من الكفر والمعاصي افامن اهل القرى عطف على قوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون
وما بينهما اعتراض والمعنى ابعد ذلك امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا تبييتا او وقت
بيات او مبيتا او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى
التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز او المستتر في بياتا او امن اهل القرى
وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر او بالسكون على الترديد ان يأتيهم بأسنا ضحى ضحوة النهار
وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون
بما لا ينفعهم افامنوا مكر الله تقرير لقوله افامن اهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج
العبد واخذه من حيث لا يحتسب فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون الذين خسروا
بالكفر وترك النظر والاعتبار اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها اي يخلفون
من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدي يهد باللام لانه بمعنى يبين ان لو نشاء اصبناهم
بذنوبهم ان الشأن لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وهو فاعل
يهد ومن قرأه بالنون جعله مفعولا ونطبع على قلوبهم عطف على ما دل عليه اولم يهد اي
يغفلون عن الهداية او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه
بمعنى وطبعنا لانه في سياق جواب لو لافضائه الى نفي الطبع عنهم وهم لا يسمعون سماع
تفهم واعتبار تلك القرى يعني قرى الامم المار ذكرهم نقص عليك من انبائها

حال ان جعل القرى خبر تلك وتكون افادته بالتقييد بها وخبران جعلت صفة ويجوز
ان يكونا خبرين ومن للتبعيض اي نقص بعض انبائها ولها انباء غيرها لا نقصها
ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بها بما كذبوا
من قبل بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب او فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به
اولا حين جاءتهم الرسل ولم يؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة واللام
لتاكيد النفي والدلالة على انهم ما صلحوا للايمان لمنافاته لحالهم في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم
كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين فلا تلين شكيمتهم بالآيات والنذر وما وجدنا
لاكثرهم لاكثر الناس والآية اعتراض او لاكثر الامم المذكورين من عهد فان اكثرهم نقضوا
ما عهد الله اليهم في الايمان والتقوى بانزال الآيات ونصب الحجج او ما عهدوا اليه حين كانوا
في ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وان وجدنا اكثرهم اي علمناهم
لفاسقين من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول ان المخففة واللام الفارقة وذلك لا يجوز
الا في المبتدا والخبر والافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفي واللام بمعنى الا ثم بعثنا
من بعدهم موسى الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم بآياتنا يعني المعجزات
الى فرعون وملائه فظلموا بها بان كفروا بها مكان الايمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى
وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لملك فارس وكان اسمه
قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال
موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين اليك وقوله حقيق على ان لا اقول على الله
الا الحق لعله جواب لتكذيبه اياه في دعوى الرسالة وانما لم يذكره لدلالة قوله فظلموا بها
عليه وكان اصله حقيق علي ان لا اقول كما قرأ نافع فقلب لامن الالباس كقوله وتشقى الرماح
بالضياطرة الحمر او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى انه حق
واجب على القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص
او وضع على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت عن القوس وجئت على حال حسنة
ويؤيده قراءة ابي بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل
فخلهم حتى يرجعوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن ابائهم وكان استعبدهم واستخدمهم
في الاعمال قال ان كنت جئت بآية من عند من ارسلك فأت بها ان كنت من الصادقين
فاحضرها عندي ليثبت بها صدقك في الدعوى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر
امره لا يشك في انه ثعبان وهي الحية العظيمة روي انه لما القاها صار ثعبانا اشعر فاغرا فاه
بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر توجه نحو فرعون
فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا وصاح
فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذه وانا اومن بك وارسل معك بني
اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع يده من جيبه او من تحت ابطه فاذا هي بيضاء للناظرين

وللناظرين اي بيضاء بياضا خارجا عن العادة تجتمع عليه النظارة او بيضاء للنظار
لا انها كانت بيضاء في جبلتها روي انه كان آدم شديد الادمة فادخل يده في جيبه
او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس قال
الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم قيل قاله هو واشراف قومه على سبيل
التشاور في امره فحكي عنه في سورة الشعراء وعنهم ههنا يريد ان يخرجكم من ارضكم
فماذا تامرون تشيرون في ان يفعل قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين
ياتوك بكل ساحر عليم كانه اتفقت عليه آراؤهم فاشاروا به الى فرعون والارجاء التاخير
اي اخر امره واصل ارجئه كما قرأ ابو عمرو وابو بكر ويعقوب من ارجات وكذلك ارجئهو على
قراءة ابن كثير على الاصل في الضمير وارجهي من ارجيت كما قرأ نافع في رواية ورش واسمعيل والكسائي
واما قراءته في رواية قالون ارجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها وقراءة حمزة وحفص
ارجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل ارجه كابل في الاسكان واما قراءة ابن عامر
ارجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فان الهاء لا تكسر الا اذا كان قبلها كسرة
او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب ياء اجريت مجراها وقرأ حمزة والكسائي
بكل سحار فيه وفي يونس ويؤيده اتفاقهم عليه في الشعراء وجاء السحرة فرعون بعد ما
ارسل الشرط في طلبهم قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين استئناف كانه
جواب سائل قال ما قالوا اذ جاءوا وقرأ ابن كثير ونافع وحفص ان لنا على الاخبار و
ايجاب الاجر كانهم قالوا لابد لنا من اجر والتنكير للتعظيم قال نعم اي ان لكم اجرا
وانكم لمن المقربين عطف على ما سد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم قالوا
يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين خيروا موسى مراعاة للادب واظهارا
للجلادة ولكن كانت رغبتهم في ان يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ
وتعريف الخبر وتوسيط الفصل او تاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك قال بل
القوا كرما وتسامحا او ازدراء بهم ووثوقا على شانه فلما القوا سحروا اعين الناس
بان خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم
طلبوا رهبتهم وجاءوا بسحر عظيم في فنه روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كانها
حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى ان الق عصاك
فالقاها فصارت حية فاذا هي تلقف ما يافكون اي ما يزورونه من الافك وهو الصرف
وقلب الشيء عن وجهه ويجوز ان يكون ما مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي
انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا
وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم اخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقالت السحرة
لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق فثبت لظهور امره وبطل ما كانوا
يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين صاروا اذلاء

مبهورين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه والقي السحرة ساجدين جعلهم
ملقين على وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك او ان الله الهمهم
ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين اراد بهم كسر موسى وينقلب الامر عليه او مبالغة في سرعة
خرورهم وشدته قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهارون ابدلوا الثاني من الاول
لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون قال فرعون امنتم به بالله او بموسى والاستفهام فيه للانكار
وقرا حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرا
حفص امنتم به على الاخبار وقرا قنبل قال فرعون وامنتم يبدل في حال الوصل من همزة الاستفهام
واوا مفتوحة ويمد بعدها مدة في تقدير الفين وقرا في طه على الخبر بهمزة والف وقرا في الشعراء
على الاستفهام بهمزة ومدة مطولة في تقدير الفين وقرا الباقون بتحقيق الهمزة الاولى وتليين
الثانية قبل ان اذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه اي ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم وموسى
في المدينة في مصر قبل ان تخرجوا للميعاد لتخرجوا منها اهلها يعني القبط وتخلص لكم ولبني
اسرائيل فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله لاقطعن ايديكم
وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم
قيل انه اول من سن ذلك فشرعه الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله و
رسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته قالوا انا الى ربنا منقلبون بالموت لا محالة
فلا نبالي بوعيدك او انا منقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه
شغفا على لقاء الله او مصيرنا ومصيركم الى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا وما تنكر منا الا ان امنا
بايات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتاتى لنا العدول عنه طلبا
لمرضاتك ثم فزعوا الى الله فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء
او صب علينا ما يطهرنا من الاثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين
على الاسلام قيل انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم لقوله انتما ومن اتبعكما الغالبون
وقال الملا من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض بتغيير الناس عليك
ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك عطف على يفسدوا او جواب الاستفهام بالواو كقول
الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء على معنى ايكون منك ترك موسى
ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على تذر او استئناف او حال وقرئ بالسكون
كانه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تعالى فاصدق واكن والهتك معبوداتك قيل كان
يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال
انا ربكم الاعلى وقرئ والاهتك اي عبادتك قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم
كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم
المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرا ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم
قاهرون غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا

واصبروا لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم ان الارض لله يورثها من يشاء
من عباده تسلية لهم وتقرير للامر بالاستعانة بالله والتثبت في الامر والعاقبة للمتقين
وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة
بالنصب عطفا على اسم ان واللام في الارض تحتمل العهد والجنس قالوا اي بنو اسرائيل
اوذينا من قبل ان تاتينا بالرسالة بقتل الابناء ومن بعد ما جئتنا باعادته قال عسى ربكم
ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض تصريحا بما كنى عنه اولا لما راى انهم لم يتسلوا بذلك
ولعله اتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم وقد روي ان مصر
انما فتح لهم في زمن داود عليه السلام فينظر كيف تعملون فيرى ما تعملون من شكر
وكفران وطاعة وعصيان ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين
بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويورخ
به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا قحطوا ونقص من الثمرات بكثرة العاهات
لعلهم يذكرون لكي ينتبهوا على ان ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا او ترق قلوبهم
بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والسعة قالوا لنا
هذه لاجلنا ونحن مستحقوها وان تصبهم سيئة جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه
يتشاءموا بهم ويقولون ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا اغراق في وصفهم بالغباوة
والقساوة فان الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما
بعد مشاهدة الايات وهي لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها عتوا وانهماكا في الغي وانما
عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات
ونكر السيئة واتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد بها الا بالتبع الا انما
طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته او سبب شؤمهم
عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التي ساقت اليهم ما يسوءهم وقرئ انما طيرهم
وهو اسم الجمع وقيل هو جمع ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ما يصيبهم من الله تعالى او من
شؤم اعمالهم وقالوا مهما اصلها ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة للتاكيد ثم قلبت
الفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذي يصوت به الكاف وما الجزائية
ومحلها الرفع على الابتداء او النصب بفعل يفسره تاتنا به اي ايما شيء تحضرنا تاتنا به
من اية بيان لمهما وانما سموها اية على زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا لتسحرنا
بها فما نحن لك بمؤمنين اي لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا والضمير في به وبها لما ذكره قبل
التبيين باعتبار اللفظ وانث بعده باعتبار المعنى فارسلنا عليهم الطوفان ما طاف
بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد
والقمل قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والضفادع والدم
روي انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يقدر احد ان يخرج من بيته ودخل الماء

بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بني اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم تدخل فيها
قطرة وركد على اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا
لموسى عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم
من الزرع والكلاء ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم
ثم اخذت تاكل الابواب والسقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء
واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله
عليهم القمل فاكل ما ابقاه وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه
فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف
ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي
وافواههم عند التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا
العهد ثم ارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي مع الاسرائيلي
على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلي فيصير دما
في فيه وقيل سلط عليهم الرعاف آيات نصب على الحال مفصلات مبينات لا تشكل
على عاقل انها آيات الله ونقمته عليهم او منفصلات لامتحان احوالهم اذ كان بين كل آيتين
منها شهر وكان امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل ان موسى عليه السلام لبث فيهم بعد ما
غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا عن الايمان وكانوا قوما مجرمين
ولما وقع عليهم الرجز يعني العذاب المفصل او الطاعون ارسل الله عليهم بعد ذلك قالوا
يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهده اليك
ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك في آياتك وهي صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع
الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا
الى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك او قسم مجاب بقوله لئن كشفت عنا الرجز
لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت
عنا الرجز لنؤمنن ولنرسلن فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من
الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه او مهلكون وهو الغرق او الموت وقيل الى اجل
عينوه لايمانهم اذا هم ينكثون جواب لما اي فلما كشفنا عنهم فاجؤوا النكث
من غير توقف وتامل فيه فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم في اليم اي
البحر الذي لا يدرك قعره وقيل لجته بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين اي كان
اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها
وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
بالاستعباد وذبح الابناء من مستضعفيهم مشارق الارض ومغاربها يعني ارض
الشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها التي باركنا

باركنا فيها بالخصب وسعة العيش وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل ومضت
عليهم واتصلت بالانجاز عدته اياهم بالنصرة والتمكين وهو قوله ونريد ان نمن الى قوله
ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد بما صبروا بسبب صبرهم على الشدائد
ودمرنا وخربنا ما كان يصنع فرعون وقومه من القصور والعمارات وما كانوا
يعرشون من الجنات او ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرأ ابن عامر
وابو بكر يعرشون بالضم وهذا آخر قصة فرعون وقومه وجاوزنا ببني اسرائيل
البحر وما بعده ذكر ما احدثه بنو اسرائيل من الامور الشنيعة بعد ان من الله عليهم بالنعم
الجسام واراهم من الآيات العظام تسلية لرسول الله مما رأى منهم وايقاظا للمؤمنين
حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم روي ان موسى عبر بهم يوم عاشوراء
بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا فاتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنام
لهم يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك اول شأن العجل والقوم كانوا
من العمالقة الذين امر موسى بقتالهم وقيل من لخم وقرأ حمزة والكسائي يعكفون
بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده كما لهم آلهة يعبدونها وما كافة
للكاف قال انكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق واكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما
راوا من الآيات الكبرى عن العقل ان هؤلاء اشارة الى القوم متبر مكسر مدمر
ما هم فيه يعني ان الله يهدم دينهم الذي هم عليه ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا وباطل
مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها وان قصدوا بها التقرب الى الله وانما بالغ في هذا
الكلام بايقاع هؤلاء اسم ان والاخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم
الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرا لان للتنبيه على ان الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وان
الاحباط الكلي لازب لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا قال اغير الله ابغيكم الها اطلب
لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء
مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم من امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا ان
يشركوا به اخس شيء من مخلوقاته واذ انجيناكم من آل فرعون واذكروا صنيعه معكم
في هذا الوقت وقرأ ابن عامر انجاكم يسومونكم سوء العذاب استئناف لبيان ما
انجاكم او حال من المخاطبين او من آل فرعون او منهما يقتلون ابناءكم ويستحيون
نساءكم بدل منه مبين وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفي الانجاء او العذاب نعمة او محنة
عظيمة وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ذا القعدة وقرأ ابو عمرو ويعقوب ووعدنا
واتممناها بعشر من ذي الحجة فتم ميقات ربه اربعين ليلة بالغا اربعين روي انه وعد
بني اسرائيل بمصر ان ياتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما ياتون وما يذرون
فلما هلك سال ربه فامره بصوم ثلاثين فلما اتم انكر خلوف فيه فتسوك فقالت
الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله ان يزيد عليها

عشرا وقيل امره بان يتخلى ثلثين بالصوم والعبادة ثم انزل عليه التورية في العشر وكلمه فيها
وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ما يجب ان يصلح من امورهم
او كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع سبيل من سلك الافساد ولا تطع من
دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص اي اختص
مجيئه بميقاتنا وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملائكة وفيما روي ان موسى كان يسمع ذلك
الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم ليس من جنس سماع كلام المحدثين قال رب ارني
انظر اليك ارني نفسك بان تمكنني من رؤيتك او تتجلى لي فانظر اليك واراك وهو دليل
على ان رؤيته تعالى جائزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال خصوصا ما يقتضي الجهل بالله
ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن ارى ولن اريك ولن تنظر الي تنبيها على انه قاصر
عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي لم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا
ارنا الله جهرة خطأ اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم
حين قالوا اجعل لنا الها ولا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال
بالجواب على استحالتها اشد خطأ اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على ان لا يراه ابدا وان لا يراه
غيره اصلا فضلا من ان يدل على استحالته ودعوى الضرورة فيه مكابرة او جهالة بحقيقة الرؤية
قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني استدراك يريد ان
يبين به انه لا يطيقه وفي تعليق الرؤية بالاستقرار ايضا دليل الجواز ضرورة ان المعلق على الممكن
ممكن والجبل قيل جبل زبير فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل
اعطى له حيوة ورؤية حتى رآه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك
والشق وقرأ حمزة والكسائي دكاء اي ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ
دكا اي قطعا دكا جمع دكاء وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما رأى فلما افاق قال
تعظيما لما رأى سبحانك تبت اليك من الجرأة والاقدام على السؤال بغير اذن وانا اول
المؤمنين مر تفسيره وقيل معناه وانا اول من آمن بانك لا ترى في الدنيا قال يا موسى
اني اصطفيتك اخترتك على الناس اي الموجودين في زمانك وهرون وان كان
نبيا كان مامورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع برسالاتي يعني اسفار التورية وقرأ
ابن كثير ونافع برسالتي وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ ما اتيتك اعطيتك من الرسالة
وكن من الشاكرين على النعم فيه روي ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء التورية يوم النحر
وكتبنا له في الالواح من كل شيء مما يحتاجون اليه من امر الدين موعظة وتفصيلا لكل شيء
بدل من الجار والمجرور اي كتبنا كل شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف في ان الالواح
كانت عشرة او سبعة وكانت من زمرد او زبرجد او ياقوت احمر او صخرة صماء لينها الله
لموسى فقطعها بيده او شققها باصابعه وكان فيها التورية او غيرها فخذها على اضمار القول
عطفا على كتبنا او بدل من قوله فخذ ما اتيتك والهاء للالواح او لكل شيء فانه بمعنى الاشياء

الاشياء او للرسالات بقوة بجد وعزيمة وأمر قومك يأخذوا باحسنها اي بأحسن
ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار والاقتصاص على طريقة الندب والحث على
الافضل كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم او بواجباتها فان الواجب احسن من غيره ويجوز
ان يراد بالاحسن البالغ في الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو المأمور به كقولهم الصيف احر
من الشتاء سأريكم دار الفاسقين دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها
او منازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا او دارهم في الاخرة وهي جهنم وقرئ سأوريكم
بمعنى سأبين لكم من اوريت الزند وسأورثكم ويؤيده قوله واورثنا القوم
سأصرف عن آياتي المنصوبة في الآفاق والانفس الذين يتكبرون في الارض بالطبع
على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا
كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم بغير الحق صلة يتكبرون اي يتكبرون بما ليس
بحق وهو دينهم الباطل او حال من فاعله وان يروا كل آية منزلة او معجزة لا يؤمنوا بها لعنادهم
او اختلال عقلهم بسبب انهماكهم في الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الاول وان يروا سبيل
الرشد لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرأ حمزة والكسائي الرشد بفتحتين
وقرئ الرشاد وثلثتها لغات كالسقم والسقم والسقام وان يروا سبيل الغي يتخذوه
سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين اي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم
وعدم تدبرهم للآيات ويجوز ان ينصب ذلك على المصدر اي سأصرف ذلك الصرف بسببهما
والذين كذبوا باياتنا ولقاء الآخرة ولقائهم الدار الآخرة او ما وعده الله في الآخرة حبطت
اعمالهم لا ينتفعون بها هل يجزون الا ما كانوا يعملون الا جزاء اعمالهم واتخذ قوم موسى
من بعده من بعد ذهابه للميقات من حليهم التي استعاروا من القبط حين هموا بالخروج
من مصر واضافتها اليهم لانها كانت في ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلي كثدي وثدي
وقرأ حمزة والكسائي بالكسر بالاتباع كدلي ويعقوب على الافراد عجلا جسدا بدنا ذا لحم ودم
او جسدا من الذهب خاليا عن الروح ونصبه على البدل له خوار صوت البقر روي ان السامري
لما صاغ العجل القى في فمه من تراب اثر فرس جبريل فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل
الريح جوفه ويصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذهم
اياه الها وقرئ جؤار اي صياح الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا تقريع على فرط ضلالتهم
واخلالهم بالنظر والمعنى الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا ارشاد كآحاد
البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى والقدر اتخذوه تكرير للذم اي اتخذوه
الها وكانوا ظالمين واضعين الاشياء في غير موضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم
ولما سقط في ايديهم كناية عن اشتداد ندمهم فان النادم المتحسر يعض يده غما فيصير يده
مسقوطا فيها وقرئ سقط على بناء الفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه سقط الندم
في انفسهم ورأوا وعلموا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التورية

ويغفر لنا بالتجاوز عن الخطيئة لنكونن من الخاسرين وقرأهما حمزة والكسائي بالتاء وربنا بالنصب
على النداء ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا شديد الغضب وقيل حزينا قال بئسما
خلفتموني من بعدي فعلتم بعدي حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامي
فلم تكفوا العبدة والخطاب لهرون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن
في بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم
ومعنى من بعدي من بعد انطلاقي او من بعد ما رأيتم مني من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف
عما ينافيه اعجلتم امر ربكم اتركتموه غير تام كانه ضمن عجل معنى سبق فعدي تعديته او اعجلتم
وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم
والقى الالواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين روي ان التورية كانت
سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفع ستة اسباعها وكان فيها تفصيل
كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام واخذ براس اخيه بشعر راسه يجره اليه توهما
بانه قصر في كفهم وهرون اكبر منه بثلث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل
قال ابن ام ذكر الام ليرققه عليه وكانا من اب وام وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم
هنا وفي طه ابن ام بالكسر واصلها يا ابن امي فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى
المضاف الى الياء والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله وتشبيها بخمسة عشر ان القوم
استضعفوني وكادوا يقتلونني ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت وسعي في كفهم
حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الاعداء فلا تفعل بي ما يشمتون
بي لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او نسبة التقصير
قال رب اغفر لي ما صنعت باخي ولاخي ان فرط في كفهم ضمه اليه نفسه في الاستغفار ترضية
له ودفعا للشماتة عنه وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام علينا وانت ارحم الراحمين فارحم
بنا منا على انفسنا ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وهو ما امرهم به من قتل
انفسهم وذلة في الحيوة الدنيا وهي خروجهم من ديارهم وقيل الجزية وكذلك نجزي المفترين
على الله ولا فرية اعظم من فريتهم ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا السيئات
من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات وامنوا واشتغلوا بالايمان وما هو
مقتضاه من الاعمال الصالحة ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم وان عظم
الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر كجرائم بني اسرائيل ولما سكت سكن وقد روي به عن موسى
الغضب باعتذار هرون او بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث انه جعل الغضب
الحامل له على ما فعل كالامر به والمغري عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ سكت
على ان المسكت هو الله او اخوه او الذين تابوا اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها
وفيما نسخ فيها اي كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح
المنكسرة هدى بيان للحق ورحمة ارشاد الى الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون

يرهبون دخلت اللام المفعول لضعف الفعل بالتاخير او حذف المفعول واللام للتعليل
والتقدير يرهبون معاصي الله لربهم واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل
اليه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة روي انه تعالى امره ان ياتيه في سبعين من
بني اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا
فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا
من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسى يامره وينهيه
ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي
الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي تمني
هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى ما رأى او بسبب اخر او عني به انك قدرت على اهلاكهم
قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكهم وباغراقهم في البحر وغيرها فترحمت عليهم بالانقاذ منها
فان ترحمت عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك اتهلكنا بما فعل السفهاء منا من العناد
والتجاسر على طلب الروية فكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل
والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا
حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكا ودعا
فكشفها الله عنهم ان هي الا فتنتك ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الروية
او اوجدت في العجل خوارا فزاغوا به تضل بها من تشاء ضلاله بالتجاوز عن حده او باتباع
المخايل وتهدي من تشاء هداه فيقوى بها ايمانه انت ولينا القائم بامرنا فاغفر لنا
بمغفرة ما قارفنا وارحمنا وانت خير الغافرين تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب لنا
في هذه الدنيا حسنة حسن معيشة وتوفيق طاعة وفي الاخرة الجنة انا هدنا اليك
تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده اذا اماله ويحتمل ان يكون
مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى املنا انفسنا او املنا اليك ويجوز ان يكون المضموم
ايضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض قال عذابي اصيب به من اشاء
تعذيبه ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره فساكتبها
فساثبتها في الاخرة او فاكتبها كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين يتقون الكفر
والمعاصي ويؤتون الزكوة خصها بالذكر لانافتها ولانها كانت اشق عليهم والذين هم
باياتنا يؤمنون فلا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول النبي مبتدأ خبره يامرهم
او خبر مبتدأ تقديره هم الذين او بدل من الذين يتقون بدل البعض او الكل والمراد من امن
منهم بمحمد عليه السلام وانما سماه رسولا بالاضافة الى الله ونبيا بالاضافة الى العباد
الامي الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احدى معجزاته
الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل اسما وصفة يامرهم بالمعروف وينهاهم
عن المنكر ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير

اوكالرشوة والربوا ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ويخفف عليهم ما كلفوا به من التكاليف
الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطاء وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة واصل
الاصر الثقل الذي ياصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله فالذين امنوا به وعزروه وعظموه بالتقوية وقرئ
بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اي مع نبوته يعني القران
وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر امره مظهر غيره او لانه كاشف الحقايق مظهر لها ويجوز
ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي عليه السلام فيكون اشارة
الى اتباع الكتاب والسنة اولئك هم المفلحون الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الاية
جواب دعاء موسى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم الخطاب عام وكان رسول الله
مبعوثا الى كافة الثقلين وساير الرسل الى اقوامهم جميعا حال من اليكم الذي له ملك
السموات والارض صفة لله وان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف اليه لانه كالمتقدم عليه او مدح
منصوب او مرفوع او مبتدا خبره لا اله الا هو وهو على الوجوه الاول بيان لما قبله فان من ملك
العالم كان هو الاله لا غيره وفي يحيي ويميت مزيد لاختصاصه بالالوهية فامنوا بالله ورسوله
النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته ما انزل عليه وعلى ساير الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته
على ارادة الجنس او القران او عيسى عليه السلام تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه
وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع له واتبعوه
لعلكم تهتدون جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام
شرعه فهو بعد في خطط الضلالة ومن قوم موسى يعني بني اسرائيل امة يهدون بالحق يهدون
الناس محقين او بكلمة الحق وبه وبالحق يعدلون بينهم في الحكم والمراد بها الثابتون على الايمان
القائلون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر اضدادهم على ما هو عادة القران تنبيها على ان تعارض
الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنوا اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين
رآهم رسول الله عليه السلام ليلة المعراج فامنوا به وقطعناهم وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم
عن بعض اثنتي عشرة مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صير او حال وتانيثه للحمل على الامة
او القطعة اسباطا بدل منه ولذلك جمع او تمييز له على ان كل واحدة من اثنتي عشرة اسباط فكانه قيل
اثنتي عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين واسكانها امما على الاول بدل بعد بدل او نعت اسباطا وعلى
الثاني بدل من اسباطا واوحينا الى موسى اذ استسقيه قومه في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست
اي فضرب فانبجست وحذفه للايماء على ان موسى لم يتوقف في الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثرا
يتوقف عليه الفعل في ذاته منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس كل سبط مشربهم وظللنا
عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات
ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون سبق تفسيره في سورة البقرة واذ قيل لهم
اسكنوا هذه القرية باضمار اذكروا القرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة
وادخلوا الباب سجدا مثل ما في البقرة معنى غير ان قوله فكلوا فيها بالفاء افاد تسبب سكناهم

سكناهم للاكل منها ولم يتعرض له ههنا اكتفاء بذكره ثم او بدلالة الحال عليه واما تقديم قولوا
على وادخلوا فلا اثر له في المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما نغفر لكم خطيئاتكم
سنزيد المحسنين وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج الثاني مخرج الاستيناف
للدلالة على انه تفضل محض ليس في مقابلة ما امروا به وقرا نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء
والبناء للمفعول وخطيئاتكم بالجمع والرفع غير ابن عامر فانه وحد وقرا ابو عمرو خطاياكم
فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون
مضى تفسيره فيها واسئلهم للتقرير والتقريع بتقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم
التي لا تعلم الا بتعليم او وحي ليكون ذلك معجزة عليهم عن القرية عن خبرها وما وقع باهلها التي
كانت حاضرة البحر قريبة منه وهي ايلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية
اذ يعدون في السبت يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف لكانت او
حاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون
او بدل بعد بدل وقرئ يعدون واصله يعتدون ويعدون من الاعداد اي يعدون الات
الصيد يوم السبت وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة يوم سبتهم شرعا يوم تعظيمهم امر السبت
مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم اليوم والاضافة لاختصاصهم
باحكام فيه ويؤيد الاول ان قرئ يوم اسباتهم وقوله ويوم لا يسبتون لا تاتيهم وقرئ لا يسبتون
من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت وشرعا حال من الحيتان
ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا اذا دنا واشرف كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون
مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وقيل ذلك متصل بما قبله اي لا تاتيهم مثل اتيانهم يوم
السبت والباء متعلق بيعدون واذ قالت عطف على اذ يعدون امة منهم جماعة من اهل القرية
يعني صلحاءهم الذين اجتهدوا في موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم مخترمهم
او معذبهم عذابا شديدا في الاخرة لتماديهم في العصيان قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينفع فيهم
او سؤالا عن علة الوعظ ونفعه وكانه تقاول بينهم او قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعوا منهم
وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم قالوا معذرة الى ربكم
جواب للسؤال اي موعظتنا انهاء عذر الى الله حتى لا ننسب الى تفريط في النهي عن المنكر وقرا
حفص معذرة بالنصب على المصدر او العلة اي اعتذرنا به معذرة او وعظناهم به معذرة
ولعلهم يتقون اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك فلما نسوا اي تركوا ترك الناسي ما ذكروا به
ما ذكرهم به صلحاؤهم انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة
امر الله بعذاب بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس باسا اذا اشتد وقرا ابو بكر بيئس على فيعل
كضيغم وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمزة على انه بئس كحذر كما قرئ مخففا عينه بنقل
حركتها الى الفاء ككبد في كبد ونافع بيس على قلب الهمزة ياء كما قلب في ذيب او على انه فعل الذم
وصف به فجعل اسما وقرئ بيس كريس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيس على التخفيف كهين

وبائيس بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله
وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين كقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن
فيكون والظاهر يقتضي ان الله عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوز ان يكون
الاية الثانية تقريرا وتفصيلا للاولى روي ان الناهين لما ايسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم
فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا ان لهم شانا
فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسباءهم ولكن القرود تعرفهم فجعلت تاتي انسباءهم وتشم
ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم واذ تأذن ربك
اي اعلم تفعل من الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد او عزم لان العازم على الشيء يؤذن نفسه بفعله واجري
مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم الى يوم القيامة
والمعنى اذ اوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب كالاذلال وضرب
الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام بختنصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم
وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا عليه السلام ففعل
ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى اخر الدهر ان ربك لسريع العقاب عاقبهم في الدنيا
وانه لغفور رحيم لمن تاب وامن وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر
منهم تتمة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وامما مفعول ثان او حال منهم الصالحون صفة او
بدل منه وهم الذين امنوا بالمدينة ونظراؤهم ومنهم دون ذلك تقديره ومنهم ناس دون ذلك
اي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم
لعلهم يرجعون ينتبهون فيرجعون عما كانوا عليه فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف
بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شايع في الشر والخلف
بالفتح في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله ورثوا الكتاب التورية من اسلافهم يقرؤنها
ويقفون على ما فيها يأخذون عرض هذا الادنى حطام هذا الشيء الادنى يعني الدنيا وهو من الدنو
او الدناءة وهو ما كانوا يأخذون من الرشى في الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة حال من الواو ويقولون
سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسندا الى الجار والمجرور
او مصدر يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة مصرين على الذنب
عائدين الى مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي في الكتاب ان لا يقولوا على الله
الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اي بان لا يقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم
التوبة والدلالة على انه افتراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ
من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض والدار الاخرة خير للذين يتقون مما يأخذ هؤلاء
افلا يعقلون فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا الادنى المؤدي الى العقاب بالنعيم المخلد وقرأ نافع
وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة
عطف على الذين يتقون وقوله افلا يعقلون اعتراض او مبتدأ خبره انا لا نضيع اجر المصلحين

اجر المصلحين على تقدير منهم او وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع
وقرأ ابو بكر يمسكون بالتخفيف وافراد الاقامة لانافتها على ساير انواع التمسكات واذ نتقنا
الجبل فوقهم اي قلعناه ورفعناه فوقهم واصل النتق الجذب كأنه ظلة سقيفة وهي كل ما اظلك
وظنوا وتيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا يوعدون به
وانما اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع
الله الطور فوقهم وقيل ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا على اضمار القول اي وقلنا خذوا
او قائلين خذوا ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو
واذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون قبائح الاعمال ورذايل الاخلاق واذ اخذ ربك
من بني ادم من ظهورهم ذريتهم اي اخرج من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن ومن
ظهورهم بدل من بني ادم بدل البعض وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم واشهدهم
على انفسهم الست بربكم اي ونصب لهم دلايل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار
بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منزلة الاشهاد
والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا ان تقولوا اي كراهة ان تقولوا
يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه بدليل او تقولوا عطف على ان تقولوا وقرأ
ابو عمرو كليهما بالياء لان اول الكلام على الغيبة انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم
فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا افتهلكنا بما فعل المبطلون
يعني اباءهم المبطلين بتأسيس الشرك وقيل لما خلق الله ادم اخرج من ظهره ذرية كالذر واحياهم
وجعل لهم العقل والنطق والهمهم ذلك لحديث رواه عمر رضي الله عنه وقد حققت الكلام فيه في شرح
كتاب المصابيح والمقصود من ايراد هذا الكلام ههنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعد ما الزمهم
بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال
كما قال وكذلك نفصل الايات ولعلهم يرجعون اي عن التقليد واتباع الباطل واتل عليهم
اي على اليهود نبأ الذي اتيناه اياتنا هو احد علماء بني اسرائيل او امية بن ابي الصلت كان قد قرأ
الكتب وعلم ان الله مرسل رسولا في ذلك الزمان ورجا ان يكون هو فلما بعث محمد عليه السلام حسده
وكفر به او بلعم بن باعوراء من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الايات
بان كفر بها واعرض عنها فاتبعه الشيطان حتى لحقه وقيل استتبعه فكان من الغاوين فصار
من الضالين روي ان قومه سألوه ان يدعو على موسى عليه السلام ومن معه فقال كيف ادعو على من معه
الملائكة فالحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا في التيه ولو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار من العلماء
بها بسبب تلك الايات وملازمتها ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا او الى السفالة
واتبع هواه في ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الايات وانما علق رفعه بمشية الله
ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشية سبب لفعله الموجب لرفعه وان عدمه دليل
عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقي هو المشية وان ما نشاهده من الاسباب

وسايط معتبرة في حصول المسمى حيث اناط المشية تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه
اعرض عنها فاوقع موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وان حب الدنيا
راس كل خطيئة فمثله فصفته التي هي مثل في الخسة كمثل الكلب كصفته في اخس احواله وهو ان
تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي يلهث دايما سواء حمل عليه بالزجر والطرد او ترك ولم يتعرض له
بخلاف ساير الحيوانات لضعف فواده واللهث ادلاع اللسان من النفس الشديد والشرطية في
موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة
للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب ذلك مثل
القوم الذين كذبوا باياتنا فاقصص القصص المذكورة على اليهود فانها نحو قصصهم لعلهم يتفكرون
تفكرا يودي بهم الى الاتعاظ ساء مثلا القوم اي مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم على حذف
المخصوص بالذم الذين كذبوا باياتنا بعد قيام الحجة وعلمهم بها وانفسهم كانوا يظلمون
اما ان يكون داخلا في الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم
انفسهم او منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها ولذلك
قدم المفعول من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون تصريح
بان الهدى والضلال من الله وان هداية الله تعالى تختص ببعض دون بعض وانها مستلزمة
للاهتداء والافراد في الاول والجمع في الثاني لاعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد
لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاقتصار في الاخبار عمن هداه الله بالمهتدي تعظيم
لشان الاهتداء وتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم
للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها ولقد ذرانا خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والانس يعني
المصرين على الكفر في علمه تعالى وتعلقهم لهم قلوب لا يفقهون بها اذ لا يلقونها الى معرفة الحق
والنظر في دلائله ولهم اعين لا يبصرون بها اي ما خلق الله نظر اعتبار ولهم اذان لا يسمعون
بها الآيات والمواعظ سماع تامل وتذكر اولئك كالانعام في عدم الفقه والابصار للاعتبار
والاستماع للتدبر او في ان مشاعرهم وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها
بل هم اضل فانها تدرك ما يمكن لها ان تدرك من المنافع والمضار وتجتهد في جذبها
ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار اولئك
هم الغافلون الكاملون في الغفلة ولله الاسماء الحسنى لانها دالة على معان هي احسن
المعاني والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين
يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الزايغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه اذ ربما يوهم معنى
فاسدا كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه او لا تبالوا بانكارهم ما يسمى به نفسه كقولهم ما نعرف
الا رحمن اليمامة او وذروهم والحادهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها منها
كاللات من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه او اعرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال
سيجزون ما كانوا يعملون وقرا حمزة يلحدون بالفتح يقال لحد والحد اذا مال عن القصد وممن

وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون ذكر ذلك بعد ما بين انه خلق للنار ضالين
ملحدين على الحق للدلالة على انه خلق ايضا للجنة امة هادين بالحق عادلين في الامر واستدل به
على صحة الاجماع لان المراد منه ان في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله عليه السلام لا يزال من امتي
طائفة على الحق الى ان ياتي امر الله اذ لو اختص بعهد الرسول او غيره لم يكن لذكره فايدة فانه معلوم
والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم الى الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج
الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة من حيث لا يعلمون ما نريد بهم وذلك ان
يتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله بهم فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغي حتى يحق عليهم كلمة العذاب
واملي لهم وامهلهم عطف على سنستدرجهم ان كيدي متين ان اخذي شديد وانما سماه كيدا
لان ظاهره احسان وباطنه خذلان اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا من جنة جنون روي انه
عليه السلام علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم باس الله فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون
بات يهوت الى الصباح فنزلت ان هو الا نذير مبين موضح انذاره بحيث لا يخفى
على ناظر اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء مما يقع عليه
اسم الشيء من الاجناس التي لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شان
مالكها ومتولي امرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم اليه وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت
وان مصدرية او مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان وكذا اسم يكون والمعنى اولم ينظروا في اقتراب
آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل مغافصة الموت ونزول العذاب
فباي حديث بعده اي بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان كانه
اخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله
عسى ان يكون كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الايمان بالقران وماذا
ينتظرون بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به فباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا به وقوله
من يضلل الله فلا هادي له كالتقرير والتعليل له ويذرهم في طغيانهم بالرفع على الاستيناف
وقرا ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله ومن يضلل الله وقرا حمزة والكسائي به وبالجزم
عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل لا يهده احد غيره ويذرهم يعمهون حال من هم يسالونك
عن الساعة اي عن القيامة وهو من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة
حسابها او لانها على طولها عند الله كساعة ايان مرساها متى ارساؤها اي اثباتها ورسو الشيء
ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى السفينة واشتقاق ايان من اي لان معناه اي
وقت وهو من اويت لان البعض آو الى الكل قل انما علمها عند ربي استاثر به ولم يطلع عليه
ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجليها لوقتها لا يظهر امرها في وقتها الا هو والمعنى ان الخفاء
بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها واللام للتاقيت كاللام في قوله اقم الصلوة لدلوك الشمس
ثقلت في السموات والارض عظمت على اهلها من الملائكة والثقلين لهولها وكانه اشارة
الى الحكمة في اخفائها لا تاتيكم الا بغتة فجاة على غفلة كما قال عليه السلام ان الساعة تهيج بالناس

والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه
ويرفعه يسألونك كأنك حفي عنها عالم بها فعيل من حفي عن الشيء اذا سأل عنه فان من بالغ في
السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك عدي بعن وقيل هي صلة يسألونك وقيل هو
من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريش قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك
عنها كأنك حفي تتحفى بهم فتخصهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه كأنك حفي بالسؤال عنها تحبه
اي انك تكرهه لانه من الغيب الذي استأثر الله بعلمه من حفي بالشيء اذا فرح قل انما علمها عند الله
كرره لتكرير يسألونك لما نيط به من هذه الزيادة وللمبالغة ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ان علمها عند الله لم يؤته احدا من خلقه قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا جلب نفع ولا دفع ضر
وهو اظهار للعبودية والتبري عن ادعاء العلم بالغيوب الا ما شاء الله من ذلك فيلهمني اياه ويوفقني له
ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ولو كنت اعلمه لخالفت حالي ما هي عليه
من استكثار المنافع واجتناب المضار حتى لا يمسني سوء ان انا الا نذير وبشير وما انا الا عبد
مرسل للانذار والبشارة لقوم يؤمنون فانهم منتفعون ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير ومتعلق
النذير محذوف هو الذي خلقكم من نفس واحدة هو آدم وجعل منها من جسدها من ضلع من اضلاعها
او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا زوجها حواء ليسكن اليها ليأنس بها او يطمئن اليها
اطمئنان الشيء الى جزئه او جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب فلما تغشاها اي جامعها حملت
حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى منه الحوامل غالبا من الاذى او محمولا خفيفا وهي النطفة
فمرت به فاستمرت به اي قامت وقعدت وقرئ فمرت بالتخفيف وفاستمرت وفارت
من المور وهو المجيء والذهاب او من المرية اي فظنت الحمل وارتابت به فلما اثقلت صارت
ذات ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ على البناء للمفعول اي اثقلها حملها دعوا الله ربهما لئن
آتيتنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه لنكونن من الشاكرين لك هذه النعمة المجددة فلما آتاهما
صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما اي جعل اولادهما له شركاء فيما آتى اولادهما فسموه عبد العزى
وعبد مناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويدل عليه قوله فتعالى الله عما يشركون
ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون يعني الاصنام وقيل لما حملت حواء اتاها ابليس في صورة رجل فقال
لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرت
لآدم فهما منه ثم عاد اليها وقال اني من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهل
عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا في الملائكة فتقبلت فلما ولدت سمته عبد الحارث
وامثال ذلك لا يليق بالانبياء ويحتمل ان يكون الخطاب في خلقكم لآل قصي من قريش فانهم خلقوا
من نفس قصي وكان له زوج من جنسها عربية قرشية وطلبا من الله الولد فاعطاهما اربعة
بنين فسماهم عبد مناف وعبد الشمس وعبد قصي وعبد الدار ويكون الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما
المقتدين بهما وقرأ نافع وابو بكر شركا اي شركة بان اشركا فيه غيره او ذوي شرك وهم الشركاء
وهم ضمير الاصنام جيء به على تسميتهم اياها آلهة ولا يستطيعون لهم نصرا اي لعبدتهم ولا انفسهم ينصرون

ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها وان تدعوهم اي المشركين الى الهدى
الى الاسلام لا يتبعوكم وقرأ نافع بالتخفيف وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام
اي ان تدعوهم الى ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله سواء عليكم
ادعوتموهم ام انتم صامتون وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة في عدم افادة الدعاء من حيث
انه مسوى بالثبات على الصمات او لانهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم فكأنه قيل سواء
عليكم احداثكم دعاءهم او استمراركم على الصمات عن دعائهم ان الذين تدعون من دون
الله اي تعبدونهم وتسمونهم آلهة عباد امثالكم من حيث انها مملوكة مسخرة فادعوهم
فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين انهم آلهة ويحتمل انهم لما نحتوها بصور الاناسي قال لهم
ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق
بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد
يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها وقرئ ان الذين
بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون
بالضم ههنا وفي القصص والدخان قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي
ثم كيدون فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكروه انتم وشركاؤكم فلا تنظرون ولا تمهلون
فاني لا ابالي بكم لوثوقي على ولاية الله تعالى وحفظه ان وليي الله الذي نزل الكتاب اي القرآن
وهو يتولى الصالحين اي ومن عادته تعالى ان يتولى الصالحين من عباده فضلا عن انبيائه
والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون من تمام التعليل
لعدم مبالاته بهم وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون
يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا بالصورة من ينظر الى من يواجهه خذ العفو اي خذ ما عفا
لك من افعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد او خذ العفو
عن المذنبين او الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكوة وأمر بالعرف
المعروف المستحسن من الافعال واعرض عن الجاهلين فلا تمارهم ولا تكافئهم بمثل افعالهم وهذه
الآية جامعة لمكارم الاخلاق امرة للرسول باستجماعها واما ينزغنك من الشيطان نزغ
ينخسنك منه نخس اي وسوسة تحملك على خلاف ما امرت به كاعتراء غضب وفكر والنزغ
والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته للناس اغراء لهم على المعاصي وازعاجا بغرز السائق ما يسوقه
فاستعذ بالله انه سميع يسمع استعاذتك عليم يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع باقوال
من آذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومتابعة الشيطان ان الذين
اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كأنها طافت
بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرأ ابن كثير وابو عمرو
والكسائي ويعقوب طيف على انه مصدر او تخفيف طيف كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس
ولذلك جمع ضميره تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطاء ومكايده

الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه فيها والآية تأكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله واخوانهم يمدونهم
اى واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين فى الغى بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم
من امد ويمادونهم كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال
ثم لا يقصرون لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اى لا يكفون
عن الغى ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون
الخبر جاريا على ما هو له واذا لم تأتهم بآية من القران او مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها هلا جمعتها
تقولا من نفسك كسائر ما تقرأ او هلا طلبتها من الله قل انما اتبع ما يوحى الى من ربى لست
بمختلق للآيات ولست بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا القران بصائر للقلوب بها
تبصر الحق وتدرك الصواب وهدى ورحمة لقوم يؤمنون سبق تفسيره واذا قرئ القران
فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون نزلت فى الصلوة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع
قراءة الامام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضى وجوبهما حيث يقرأ القران مطلقا وعامة العلماء
على استحبابهما خارج الصلوة واحتج به من لا يرى القراءة على المأموم وهو ضعيف واذكر ربك
فى نفسك عام فى الاذكار من القراءة والدعاء وغيرهما او امر للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ
الامام عن قراءته كما هو مذهب الشافعى تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول
ومتكلما كلاما فوق السر ودون الجهر فانه ادخل فى الخشوع والاخلاص بالغدو والآصال
باوقات الغدو والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اذا دخل فى الاصيل مطابق
للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله ان الذين عند ربك يعنى ملائكة الملأ الاعلى
لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وينزهونه وله يسجدون ويخصونه بالعبادة والتذلل
ولا يشركون به غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبى
عليه السلام اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى فيقول يا ويله امر بالسجود فسجد
فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلى النار وعنه عليه السلام من قرأ سورة الاعراف جعل الله
يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة

سورة الانفال مدنية وآيها ست وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الانفال اى
الغنائم يعنى حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله وفضل كما سمى به ما يشرطه الامام لمقتحم
خطر عطية له وزيادة على سهمه قل الانفال لله والرسول اى امرها مختص بهما يقسمها الرسول
على ما كان يأمره الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين فى غنائم بدر انها كيف تقسم المهاجرون
منهم او الانصار وقيل شرط رسول الله لمن كان له غناء ان ينفله وتسارع شبانهم حتى قتلوا
سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين
كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله بينهم على السواء
ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفى بما وعد وهو قول الشافعى وعن سعد بن ابى وقاص لما كان يوم بدر
قتل اخى عمير وقتلت سعد بن العاص واخذت سيفه فاتيت به رسول الله عليه السلام واستوهبته

منه فقال ليس هذا لى ولا لك اطرحه فى القبض فطرحته وبى ما لا يعلمه الله من قتل اخى
واخذ سلبى فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لى رسول الله سألتنى السيف
وليس لى وانه قد صار لى فاذهب فخذه وقرئ يسألونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها
على اللام وادغام نون عن فيها ويسألونك الانفال اى يسألك الشبان ما شرطت لهم
فاتقوا الله فى الاختلاف والمشاجرة واصلحوا ذات بينكم الحال التى بينكم بالمواساة
والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم امره الى الله والرسول واطيعوا الله ورسوله فيه ان كنتم
مؤمنين فان الايمان يقتضى ذلك او ان كنتم كاملى الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلثة طاعة الاوامر
والاتقاء عن المعاصى واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان انما المؤمنون اى الكاملون فى الايمان
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل
هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله تعالى فينزع عنه خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح
وهى لغة وفرقت اى خافت واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا لزيادة المؤمن به او لاطمئنان
النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة
وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه وعلى ربهم يتوكلون يفوضون اليه امورهم ولا يخشون
ولا يرجون الا اياه الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون
حقا لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل
ومحاسن افعال الجوارح التى هى العيار عليها الصلوة والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف
او مصدر مؤكد هو عبد الله حقا لهم درجات عند ربهم كرامة وعلو منزلة وقيل درجات
الجنة يرتقونها باعمالهم ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم اعد لهم فى الجنة لا ينقطع عدده ولا
ينتهى امده كما اخرجك ربك من بيتك بالحق خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال فى كراهتهم
اياها كحال اخراجك للحرب فى كراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر فى قوله لله والرسول اى
الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك
يعنى المدينة لانها مهاجره ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم وان فريقا من المؤمنين لكارهون
فى موضع الحال اى اخرجك فى حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها
تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل
وعمرو بن هشام فاخبر جبرئيل عليه السلام رسول الله عليه السلام فاخبر المسلمين فاعجبهم
تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق
الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن
تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت قبل ذلك بثلاث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا
نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت فى مكة الا اصابه شئ منها
فحدثت بها العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما يرضى رجالهم ان يتنبؤوا حتى
تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب

يجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله عليه السلام بوادي ذفران فنزل عليه جبرئيل عليه السلام بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انا خرجنا للعير فردد عليهم وقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله فقام ابو بكر وعمر فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون لكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم برآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ وقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله تعالى قد وعدني احدى الطائفتين والله لكاني انظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه السلام لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله يجادلونك في الحق في ايثارك الجهاد باظهار الحق لايثارهم تلقي العير عليه بعدما تبين انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول عليه السلام كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون اي يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم اذ روي انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم كان لفرط فزعهم ورعبهم واذ يعدكم الله احدى الطائفتين على اضمار اذكروا واحدى ثاني مفعولي يعدكم وقد ابدل عنها انها لكم بدل الاشتمال وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم يعني العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقات النفير لكثرة عددهم وعددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله ان يحق الحق اي يثبته ويعليه بكلماته الموحى بها في هذه الحال او باوامره للملائكة بالامداد وقرئ بكلمته ويقطع دابر الكافرين ويستاصلهم والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين ليحق الحق ويبطل الباطل اي فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي الى

اي حمل الرسول عليه السلام على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها ولو كره المجرمون ذلك اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق او على اضمار اذكر واستغاثتهم انهم لما علموا ان لا محيص من القتال اخذوا يقولون اي رب انصرنا على عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر انه عليه السلام نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم اني ممدكم باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ ابو عمرو بالكسر على ارادة القول او اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول بالف من الملائكة مردفين متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعضا او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه وقرأ نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال اي متبعين او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها واصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقاء ساكنين فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بآلاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل عليها وما جعله الله اي الامداد الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوها وسائط لا تاثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تيأسوا منه بفقدها اذ يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل او بجعل او باضمار اذكر وقرأ نافع بالتخفيف من اغشيته الشيء اذا غشيته اياه والفاعل على القرائتين هو الله وقرأ ابن كثير وابو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع امنة منه امنا من الله وهو مفعول له باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم النعاس متضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فيكون فعل المغشي وان تجعل على القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه او لانه كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكانه حصلت له امنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود وقرئ امنة كرحمة وهي لغة وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به من الحدث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان يعني الجنابة لانه من تخييله او وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روي انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا

الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت
الوسوسة وليربط على قلوبكم بالوثوق على لطف الله بهم ويثبت به الاقدام اي بالمطر حتى لا تسوخ
في الرمل او بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة اذ يوحي ربك بدل ثالث او متعلق
بيثبت الى الملائكة اني معكم في اعانتهم وهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على ارادة القول
او اجراء الوحي مجراه فثبتوا الذين امنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم
فيكون قوله سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله اني معكم
فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على
تغيير الخطاب او على ان قوله سالقي الى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون
المؤمنين به كانه قال قولوا لهم قولي هذا فاضربوا فوق الاعناق اعاليها التي هي المذابح
والرؤوس واضربوا منهم كل بنان اصابع اي حزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم ذلك
اشارة الى الضرب او الامر به والخطاب للرسول او لكل احد من المخاطبين قبل بانهم
شاقوا الله ورسوله بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعاديين
في شق خلاف الآخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب ومن يشاقق الله
ورسوله فان الله شديد العقاب تقرير للتعليل او وعيد بما اعد لهم في الآخرة
بعدما حاق بهم في الدنيا ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات ومحله
الرفع اي الامر ذلكم او ذلكم واقع او نصب بفعل دل عليه فذوقوه او غيره مثل باشروا
او عليكم ليكون الفاء عاطفة وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم او نصب
على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه
موضع الضمير للدلالة على ان الكفر سبب العذاب الآجل او الجمع بينهما وقرئ وان
بالكسر على الاستيناف يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث
ترى لكثرتهم كانهم يزحفون وهو مصدر زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا
سمي به وجمع على زحوف فلا تولوهم الادبار بالانهزام فضلا ان يكونوا مثلكم او اقل منكم
والاظهر انها محكمة لكنها مخصوصة بقوله وحرض المؤمنين على القتال ويجوز ان ينتصب زحفا
حالا من الفاعل والمفعول اي اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا
او من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر الفا
ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكايد الحرب
او متحيزا الى فئة او منحازا الى فئة اخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم
من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر انه كان في سرية بعثهم رسول الله ففروا الى المدينة
قلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب
متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل له او الاستثناء من المولين اي الا رجلا متحرفا او متحيزا
ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز فقد باء بغضب

بغضب من الله ومأويه جهنم وبئس المصير هذا اذا لم يزد العدو على الضعف لقوله الآن
خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر او الحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم
بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم روي انه لما
طلعت قريش من العقنقل قال عليه السلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون
رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني فاتاه جبريل وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم
بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه
فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما
انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت واسرت فنزلت والفاء جواب شرط
محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت يا محمد
رميا توصلها الى اعينهم ولم تقدر عليه اذ رميت اي اتيت بصورة الرمي ولكن الله
رمى اتى بما هو غاية الرمي فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم
وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود منه وقيل معناه ما رميت
بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم وقيل انه نزل في طعنة طعن
بها ابي بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات او رمية سهم رماه يوم
حنين نحو الحصن فاصاب كنانة بن ابي الحقيق على فراشه والجمهور على الاول وقرا ابن عامر
وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده في الموضعين وليبلي المؤمنون منه بلاء
حسنا ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات ان الله سميع لاستغاثتهم
ودعائهم عليم بنياتهم واحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن او القتل والرمي ومحله الرفع
اي المقصود او الامر ذلكم وقوله وان الله موهن كيد الكافرين معطوف عليه اي
المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرا ابن كثير ونافع
وابو عمرو موهن بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف ان تستفتحوا
فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج
تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين
وان تنتهوا عن الكفر ومعاداة الرسول فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين
وان تعودوا المحاربة نعد لنصرته ولن تغني ولن تدفع عنكم فئتكم جماعتكم شيئا
من الاغناء او المضار ولو كثرت فئتكم وان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة
وقرا نافع وابن عامر وحفص وان بالفتح على ولان الله مع المؤمنين كان ذلك
وقيل الآية خطاب المؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن
التكاسل في القتال والرغبة عما يستأثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد
عليكم بالانكار او تهييج العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع
الكاملين ايمانهم ويؤكد ذلك يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه

اى ولا تتولوا عن الرسول فان المراد من الآية الامر بطاعته والنهى عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله
للتوطئة والتنبيه على ان طاعة الله فى طاعة الرسول لقوله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله
وقيل الضمير للجهاد او للامر الذى دل عليه الطاعة وانتم تسمعون القران والمواعظ سماع فهم وتصديق
ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة والمنافقين الذين ادعوا السماع وهم لا يسمعون
سماعا ينتفعون به فكانهم لا يسمعون راسا ان شر الدواب عند الله شر ما يدب على الارض
او شر البهائم الصم عن الحق البكم الذين لا يعقلون اياه عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها
لابطالهم ما ميزوا به وفضلوا لاجله ولو علم الله فيهم خيرا سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالآيات
لاسمعهم سماع تفهم ولو اسمعهم وقد علم ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به او ارتدوا بعد التصديق
والقبول وهم معرضون لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبى احى لنا قصيا فانه كان شيخا
مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصى يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله
وللرسول بالطاعة اذا دعاكم وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول روى
انه عليه السلام مر على ابى وهو يصلى فدعاه فعجل فى صلوته ثم جاء فقال عليه السلام ما منعك
عن اجابتى قال كنت اصلى قال الم تخبر فيما اوحى الى استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا
لان اجابته لا تقطع الصلوة فان الصلوة ايضا اجابة وقيل ان دعاءه كان لامر لا يحتمل التاخير
وللمصلى ان يقطع الصلوة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول لما يحييكم من العلوم الدينية
فانها حيوة القلب والجهل موته قال لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن او مما
يورثكم الحيوة الابدية فى النعيم الدائم من العقائد والاعمال او من الجهاد فانه سبب بقائكم
اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله
يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد لقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه
على انه مطلع على مكنونات القلوب مما عسى يغفل عنه صاحبها او حث وبين خلله بالموت
او غيره او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين
الكفران اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وقرى بين المر بالتشديد
على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه
وانه اليه تحشرون فيجازيكم باعمالكم واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر والمداهنة فى الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع
والتكاسل فى الجهاد ان قوله لا تصيبن اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين
منكم وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة ولكن لما تضمن معنى النهى
ساغ فيه كقوله ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفى وفيه شذوذ لان النون
لا تدخل المنفى فى غير القسم او النهى على ارادة القول كقوله حتى اذا جن الظلام واختلط جاؤوا
بمذق هل رايت الذئب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه
ومن فى منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخير للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح

اقبح من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون فى الارض
ارض مكة يستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء فى ايدى
فارس والروم تخافون ان يتخطفكم الناس كفار قريش او من عداهم فانهم كانوا جميعا
معادين مضادين لهم فآواكم الى المدينة او جعل لكم ماوى تتحصنون به عن اعاديكم وايدكم بنصره
على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم
لعلكم تشكرون هذه النعم يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول بتعطيل الفرائض
والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول فى المغانم روى انه عليه السلام حاصر بنى
قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم بنى النضير على ان يسيروا الى اخوانهم
باذرعات واريحا من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل
الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله فى ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل
على حكم سعد بن معاذ فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماى حتى علمت
انى قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية فى المسجد وقال والله لا اذوق طعاما
ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله على فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله
عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله
هو الذى يحلنى فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتى ان اهجر دار قومى التى اصبت فيها الذنب
وان انخلع من مالى فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تتصدق به واصل الخون النقص كما ان
اصل الوفاء التمام واستعماله فى ضد الامانة لتضمنه اياه وتخونوا اماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم
بالعطف على الاول او منصوب على الجواب بالواو وانتم تعلمون انكم تخونون او وانتم علماء
تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم سبب الوقوع فى الاثم والعقاب
او محنة من الله ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كابى لبابة وان الله عنده اجر عظيم لمن اثر
رضى الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما يؤديكم اليه يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله
يجعل لكم فرقانا هداية فى قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل
باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة عما تحذرون فى الدارين
او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اى الصبح ويكفر
عنكم سيئاتكم ويسترها ويغفر لكم بالتجاوز والعفو عنها وقيل السيئات الصغائر والذنوب
الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تاخر لانها فى اهل بدر وقد غفرهما الله لهم والله ذو الفضل
العظيم تنبيه على ان ما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد
اذا وعد عبده انعاما على عمل واذ يمكر بك الذين كفروا تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة
ليشكر نعمة الله فى خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك ليثبتوك
بالوثاق او الحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرى ليثبتوك
بالتشديد وليبيتوك من البيات وليقيدوك او يقتلوك بسيوفهم او يخرجوك من مكة

وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومتابعتهم فرقوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين
في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن
تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رايي ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون
اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بيس الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم
فقال هشام بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بيس الراي
يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا
فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبايل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا
العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رايه فاتى جبريل عليه السلام واخبره بالخبر وامره بالهجرة
فبيت عليا على مضجعه وخرج مع ابي بكر الى الغار ويمكرون ويمكر الله برد مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه
او بمعاملة الماكرين معهم بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا
والله خير الماكرين اذ لا يوبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذا مما يحسن للمزاوجة ولا يجوز
اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا
مثل هذا هو قول نضر بن الحارث واسناده الى الجمع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان
قاصهم وقيل هو قول الذين ايتمروا في امره عليه السلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو
استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف
فلم يعارضوا سورة مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان ان
هذا الا اساطير الاولين ما سطره الاولون من القصص واذ قالوا اللهم ان كان هذا
هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ايتنا بعذاب اليم هذا ايضا من كلام
ذلك القايل ابلغ في الجحود روي انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي
عليه السلام ويلك انه كلام الله فقال ذلك والمعنى ان كان القران حقا منزلا فامطر الحجارة
علينا عقوبة على انكاره او ايتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين
والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على انه هو مبتدأ غير فصل وفايدة التعريف
فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي عليه السلام وهو تنزيله لا الحق
مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير الاولين وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون بيان لما كان الموجب
لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب
استيصال والنبي عليه السلام بين اظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم
اما استغفار من بقي فيهم من المومنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا
لم يعذبوا كقوله تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم
الله وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام
وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله والمومنين الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية

الحديبية وما كانوا اولياءه مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون
نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون
من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضميران لله ولكن اكثرهم لا يعلمون
ان لا ولاية لهم عليه كانه نبه بالاكثر ان منهم من يعلم ويعاند او اراد به الكل كما يراد بالقلة
العدم وما كان صلوتهم عند البيت اي دعاؤهم او ما يسمونه صلوة او ما يضعون
موضعها الا مكاء صفيرا فعال من مكا يمكوا اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكاء وتصدية
تصفيقا تفعلة من الصد او من الصدد على ابدال حرف التضعيف بالياء وقرئ صلوتهم
بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم للعذاب او عدم ولايتهم
للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلوته روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء
مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا
اراد النبي عليه السلام ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا فذوقوا
العذاب يعني القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الاخرة واللام يحتمل ان يكون للعهد
والمعهود ايتنا بعذاب بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا ان الذين كفروا ينفقون
اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا
من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم جزرا او في ابي سفيان استاجر ليوم احد الفين من العرب
سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيب
قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد
بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم
في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد
ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني لبيان
عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها
تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون اخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا
قبل ذلك والذين كفروا اي الذين ثبتوا على الكفر منهم اذ اسلم بعضهم الى جهنم يحشرون
يساقون ليميز الله الخبيث من الطيب الكافر من المومن او الفساد من الصلاح واللام
متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله مما انفقه
المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرا حمزة والكسائي ويعقوب
ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجمعه ويضم
بعضه على بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه
كانزين فيجعله في جهنم كله اولئك اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث
او الى المنفقين هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم
قل للذين كفروا يعني ابا سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم ان ينتهوا عن معاداة

الرسول عليه السلام بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف
على خطابهم وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين تحزبوا على الانبياء
بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم حتى تكون فتنة لا يوجد فيهم شرك
ويكون الدين كله لله وتضمحل عنهم الاديان الباطلة فان انتهوا عن الكفر فان الله بما يعملون بصير
فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى فان الله بما تعملون
من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير يجازيكم ويكون تعليقه
بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم للتسبب وان تولوا
ولم ينتهوا فاعلموا ان الله موليكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه
ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم اي الذي اخذتموه من الكفار قهرا من شيء مما يقع
عليه اسم الشيء حتى الخيط فان لله خمسه مبتدأ خبره محذوف اي فثابت ان لله خمسه وقرئ فان
بالكسر والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم
الخمس على الخمسة المعطوفين وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فان لله خمسه
يصرف الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باق غير ان سهم الرسول عليه السلام يصرف الى ما كان يصرفه
اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان وقيل الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة سقط سهمه
وسهم ذوي القربى بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية وعن مالك رضي الله عنه الامر فيه مفوض
الى راي الامام يصرفه الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية الى ظاهر الآية وقال يقسم ستة اقسام ويصرف
سهم الله الى الكعبة لما روي انه عليه السلام كان ياخذ قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل
سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول وذو القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما روي
انه عليه السلام قسم سهم ذوي القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر
فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارايت اخواننا من بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن
وهم بمنزلة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا في اسلام وشبك بين اصابعه وقيل
بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش والغني والفقير سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل
وقيل الخمس كله لهم والمراد باليتامى والمساكين من كان منهم والعطف للتخصيص والآية نزلت ببدر
وقيل كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا
من الهجرة ان كنتم آمنتم بالله متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اي ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا
انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم واقتنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملي اذا امر به
لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل وما انزلنا على عبدنا
محمد عليه السلام من الآيات والملائكة والنصر وقرئ عبدنا بضمتين اي الرسول والمؤمنين يوم الفرقان
يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان المسلمون والكفار والله على كل
شيء قدير فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل من يوم الفرقان
والعدوة بالحركات الثلاث شط الوادي وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير

وابي عمرو ويعقوب وهم بالعدوة القصوى البعدى من المدينة تانيث الاقصى
وكان قياسه قلب الواو كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو
اكثر استعمالا من القصيا والركب اي العير او قوادها اسفل منكم في مكان اسفل من مكانكم
يعني الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها
الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم
على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شان المسلمين والتياث
امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ
فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله
ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اي لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم
انتم في الميعاد هيبة منهم وياسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا
من الله خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضي الله
امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه وقوله ليهلك من هلك
عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل منه او متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة
عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من
الآيات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك
والحيوة للكفر والاسلام والمراد بمن هلك ومن حي المشارف للهلاك والحيوة او من هذا
حاله في علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب من حيي
بفك الادغام للحمل على المستقبل وان الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن
وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله
في منامك قليلا مقدر باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم المصالح
اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا
على عدوهم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم ولتنازعتم في الامر امر القتال وتفرقت آراؤكم
بين الثبات والفرار ولكن الله سلم انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم
بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها وما يغير احوالها واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا
الضميران مفعولا يري وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال
ابن مسعود لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول
عليه السلام ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه اكلة جزور وقللهم
في اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم
لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم آيات تلك الوقعة
فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى
هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله تعالى الابصار عن ابصار بعض دون بعض

مع التساوي في الشروط ليقضي الله امراً كان مفعولاً كرره لاختلاف الفعل المعلل به
او لان المراد بالامر ثم الالتقاء على الوجه المحكي وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك
وحزبه والى الله ترجع الامور يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة حاربتم جماعة ولم يصفها
لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار وهو مما غلب في القتال فاثبتوا للقائهم واذكروا الله
كثيراً في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون تظفرون
بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شي عن ذكر الله وان يلتجي
اليه عند الشدايد ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقاً بان لطفه لا ينفك عنه في شي
من الاحوال واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا باختلاف الاراء كما فعلتم ببدر او احد فتفشلوا
جواب النهي وقيل عطف عليه ولذلك قرئ وتذهب ريحكم بالجزم والريح مستعارة للدولة
من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة
فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد
بالدبور واصبروا ان الله مع الصابرين بالكلاءة والنصر ولا تكونوا كالذين خرجوا من
ديارهم يعني اهل مكة حين خرجوا لحماية العير بطراً فخراً واشراً ورئاء الناس ليثنوا عليهم
بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة وافاهم رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد
سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله حتى نقدم بدراً ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان
ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كاس المنايا وناحت عليهم النوايح فنهى
المؤمنين ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين وامرهم بان يكونوا اهل تقوى واخلاص
من حيث ان النهي عن الشي امر بضده ويصدون عن سبيل الله معطوف على بطراً
ان جعل مصدراً في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولاً له لكن على تاويل المصدر والله
بما يعملون محيط فيجازيكم عليه واذ زين لهم الشيطان مقدر باذكر اعمالهم في معاداة الرسول
وغيرها وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم مقالة نفسانية والمعنى انه القى
في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم
اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل الدينين
ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته والا لانتصب كقولك لا ضارباً زيداً عندنا فلما
تراءت الفئتان اي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد ما
خيل اليهم انه مجيرهم سبب هلاكهم وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله
اي تبرأ منهم وخاف عليهم وايس من حالهم لما راى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت
قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس
بصورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما راى
الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال له الى اين اتخذلنا في هذه
الحالة فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا

مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم
فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف الله اني اخافه
ان يصيبني بمكروه من الملائكة او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ راى فيه ما لم ير قبله
والاول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر والله شديد العقاب يجوز ان يكون من كلامه وان
يكون مستانفاً اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض والذين لم يطمئنوا الى الايمان
بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين
غر هؤلاء دينهم يعنون المؤمنين فانهم حين تعرضوا لما لا يدي لهم به خرجوا وهم ثلثمائة وبضعة
عشر الى زهاء الف ومن يتوكل على الله جواب لهم فان الله عزيز غالب لا يذل من استجار به
وان قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن ادراكه ولو ترى ولو رايت
فان لو تجعل المضارع ماضياً عكس ان اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ببدر واذ ظرف ترى
والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة او حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة
ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله تعالى وهو مبتدا خبره يضربون وجوههم والجملة
حال من الذين كفروا واستغني فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم او من الملائكة او منهما
لاشتماله على الضميرين وادبارهم ظهورهم واستاههم ولعل المراد تعميم الضرب اي يضربون
ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا عذاب الحريق عطف على يضربون باضمار القول اي ويقولون
ذوقوا بشارة لهم بعذاب الاخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار
منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله ذلك الضرب والعذاب بما قدمت ايديكم
بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك وان الله ليس بظلام للعبيد عطف عليه
للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم لا ان لا يعذبهم
بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعاً ولا عقلاً حتى ينتهض نفي الظلم سبباً
للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد كداب آل فرعون اي داب هؤلاء مثل داب
آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الذي دابوا فيه اي داموا عليه والذين من قبلهم من قبل آل
فرعون كفروا بايات الله تفسير لدابهم فاخذهم الله بذنوبهم كما اخذ هؤلاء ان الله قوي
شديد العقاب لا يغلبه في دفعه شي ذلك اشارة الى ما حل بهم بان الله بسبب ان الله
لم يك مغيراً نعمة انعمها على قوم مبدلاً اياها بالنقمة حتى يغيروا ما بانفسهم يبدلوا ما بهم من الحال
الى حال اسوا كتغيير قريش حالهم في صلة الرحم والكف عن تعرض الايات والرسل بمعاداة
الرسول ومن تبعه منهم والسعي في اراقة دمائهم والتكذيب بالايات والاستهزاء بها الى غير ذلك
مما احدثوه بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير ما انعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل ما هو المفهوم
له وهو جري عادته تعالى على تغييره متى يغيروا حالهم واصل لم يك يكن فحذف الحركة
للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفاً وان الله سميع
لما يقولون عليم بما يفعلون كداب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بايات ربهم

فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا ال فرعون تكرير للتاكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله
بايات ربهم وبيان ما اخذ به ال فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثاني لتشبيه التغير في النعمة
بسبب تغييرهم ما بانفسهم وكل من الفرق المكذبة او من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين
انفسهم بالكفر والمعاصي ان شر الدواب عند الله الذين كفروا اصروا على الكفر ورسخوا فيه فهم
لا يؤمنون فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بانهم لا يؤمنون والفاء للعطف
والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه يستدعي تحقق المعطوف وقوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون
عهدهم في كل مرة بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان او التخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول
الله ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالئوهم عليه
يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم ومن لتضمين المعاهدة معنى الاخذ
والمراد بالمرة مرة المعاهدة او المحاربة وهم لا يتقون سبة الغدر ومغبته او لا يتقون الله
تعالى فيه او نصره للمؤمنين وتسلطه عليهم فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب فشرد
بهم ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم من خلفهم من وراءهم من الكفرة والتشريد
تفريق على اضطراب وقرئ فشرذ بالذال المعجمة وكانه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد
فانه اذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء لعلهم يذكرون لعل المشردين يتعظون
واما تخافن من قوم معاهدين خيانة نقض عهد بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم
عهدهم على سواء على عدل وطريق قصد في العداوة ولا تناجزهم الحرب فانه يكون خيانة منك
او على سواء في الخوف او العلم بنقض العهد وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الاول اي ثابتا
على طريق سوي او منه او من المنبوذ اليهم او منهما على غيره وقوله ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر
بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريق الاستئناف ولا تحسبن خطاب
للنبي عليه السلام وقوله الذين كفروا سبقوا مفعولاه وقرا ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على ان
الفاعل ضمير احد او من خلفهم او الذين كفروا والمفعول الاول انفسهم فحذف للتكرار او على تقدير
ان سبقوا وهو ضعيف لان ان المصدرية كالموصول فلا تحذف او على ايقاع الفعل على انهم لا يعجزون
بالفتح على قراءة ابن عامر وان لا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين اي مفلتين والاظهر انه تعليل
للنهي اي لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون الله ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم
وكذا ان كسرت الا انه تعليل على سبيل الاستئناف ولعل الاية ازاحة لما يحذر به من
نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين واعدوا ايها المؤمنين
لهم لناقضي العهد او للكفار ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة بن
عامر سمعته عليه السلام يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ولعله عليه السلام خصه بالذكر
لانه اقواه ومن رباط الخيل اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فعال بمعنى مفعول او مصدر سمي به
يقال ربط ربطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل
بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة

على الملائكة ترهبون به تخوفون به وعن يعقوب ترهبون بالتشديد والضمير لما استطعتم او للاعداد
عدو الله وعدوكم يعني كفار مكة واخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل
المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم باعيانهم الله يعلمهم يعرفهم وما تنفقوا
من شيء في سبيل الله يوف اليكم جزاؤه وانتم لا تظلمون بتضييع العمل او نقص الثواب
وان جنحوا مالوا ومنه الجناح وقد يعدى باللام والى للسلم للصلح والاستسلام وقرا ابو بكر
بالكسر فاجنح لها وعاهد معهم وتانيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال السلم تاخذ منها
ما رضيت به والحرب تكفيك من انفاسها جرع وقرئ فاجنح بالضم وتوكل على الله
ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم انه هو السميع لاقوالهم
العليم بنياتهم والاية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها
اية السيف وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله فان محسبك الله وكافيك
قال جرير اني وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا هو الذي ايدك
بنصره وبالمؤمنين جميعا والف بين قلوبهم مع ما فيهم من العصبية والضغينة في ادنى
شيء والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد ياتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة
وهذا من معجزاته عليه السلام وبيانه لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم
اي تناهى عداوتهم الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من الاموال لم يقدر
على الالفة والاصلاح ولكن الله الف بينهم بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب
يقلبها كيف يشاء انه عزيز تام القدرة والغلبة لا يعصي عليه ما يريده حكيم يعلم انه كيف
ينبغي ان يفعل ما يريده وقيل الاية في الاوس والخزرج كان بينهم احن لا امد لها ووقائع
هلكت فيها ساداتهم فانساهم الله ذلك والف بينهم بالاسلام حتى تصافوا وصاروا
انصارا يا ايها النبي حسبك الله كافيك ومن اتبعك من المؤمنين اما في محل النصب
على المفعول معه كقوله اذا كانت الهيجاء واشتجر القنا فحسبك والضحاك سيف مهند او الجر
عطفا على المكني عند الكوفيين او الرفع عطفا على اسم الله اي كفاك الله عز وجل والمؤمنون
والاية نزلت بالبيداء في غزوة بدر وقيل اسلم مع النبي عليه السلام ثلاثة وثلاثون رجلا
وست نسوة ثم اسلم عمر رضي الله عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه نزلت
في اسلامه يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال بالغ في حثهم عليه واصله الحرض وهو
ان ينهكه المرض حتى يشفي على الموت وقرئ حرص من الحرص ان يكن منكم عشرون صابرون
يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا شرط في معنى الامر
بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله وتاييده وقرا ابن
كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء في الايتين ووافقهم البصريان في وان يكن منكم مائة
بانهم قوم لا يفقهون بسبب انهم جهلة بالله واليوم الاخر لا يثبتون ثبات المؤمنين
رجاء الثواب وعوالي الدرجات قتلوا او قتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان والخذلان

الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم
الف يغلبوا الفين باذن الله لما اوجب الله على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل
ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا
خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد
والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو
قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين والله مع الصابرين بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون
ما كان لنبي وقرئ للنبي على العهد ان يكون له اسرى وقرأ البصري بالتاء حتى يثخن في الارض
يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه
المرض اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا حطامها
باخذكم الفداء والله يريد الآخرة يريد لكم ثواب الآخرة او سبب نيل الآخرة من اعزاز دينه
وقمع اعدائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف كقوله اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد
بالليل نارا والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما
امر بالاثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت
الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي انه عليه السلام اتي يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم
العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل الله
يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر اضرب رقابهم فانهم ائمة الكفر وان الله
اغناك عن الفداء مكني من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم
فلم يهو ذلك رسول الله عليه السلام وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من
اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم
قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا فخير الصحابة فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول الله عليه السلام فاذا هو
وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك
في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والآية دليل على ان الانبياء عليهم
مجتهدون وانه قد يكون خطأ ولكن لا يقرون عليه لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله
سبق اثباته في اللوح وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما
بما لم يصرح لهم بالنهي عنه او ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم لمسكم لنالكم فيما اخذتم من الفداء عذاب
عظيم روي انه عليه السلام قال لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا
اشار بالاثخان فكلوا مما غنمتم من الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم
فنزلت والفاء للتسبب والسبب محذوف تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا وبنحوه تشبث
من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا
وفائدته ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة او حرمتها على الاولين ولذلك وصفه

وصفه بقوله طيبا واتقوا الله في مخالفته ان الله غفور غفر لكم ذنبكم رحيم اباح لكم ما اخذتم
يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى وقرأ ابو عمرو من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم
خيرا ايمانا واخلاصا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء روي انها نزلت في العباس كلفه
رسول الله عليه السلام ان يفدي نفسه وابني اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث
يا محمد تركتني قريش ما بقيت فقال فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك
وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله
وعبيد الله والفضل وقثم فقال وما يدريك قال اخبرني به ربي تعالى قال فاشهد انك صادق
وان لا اله الا الله وانك رسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد
الليل قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب
في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة
من ربكم يعني الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا يعني الاسرى خيانتك
نقض ما عاهدوك فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل من قبل فامكن
منهم اي فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة فسيمكنك منهم والله عليم حكيم
ان الذين آمنوا وهاجروا اوطانهم وهم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله ولرسوله
وجاهدوا باموالهم فصرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم في سبيل الله
بمباشرة القتال والذين آووا ونصروا هم الانصار آووا المهاجرين الى ديارهم و
نصروهم على اعدائهم اولئك بعضهم اولياء بعض في الميراث وكان المهاجرون والانصار
يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى
ببعض او بالنصرة والمظاهرة والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا
اي من توليهم في الميراث وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة
والامارة كانه بتوليه صاحبه يزاول عملا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب
عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فانه لا ينقض عهدهم
لنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض في الميراث
او الموازرة وهو بمفهومه يدل على منع التوارث او الموازرة بينهم وبين المسلمين الا تفعلوه
ان لا تفعلوا ما امرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع العلائق
بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض تحصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الايمان وظهور الكفر
وفساد كبير في الدين وقرئ كثير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين
آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان الكاملين
في الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق
ووعد لهم الموعد الكريم فقال لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه ثم الحق بهم في الامرين
من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم

فاولئك منكم اى من جملتكم ايها المهاجرون والانصار واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض
فى التوارث من الاجانب فى كتاب الله فى حكمه او فى اللوح او فى القران واستدل به على توريث
ذوى الارحام ان الله بكل شىء عليم من المواريث والحكمة فى اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة
اولا واعتبار القرابة ثانيا عن النبى عليه السلام من قراة سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة
وشاهد انه برى من النفاق واعطى عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش
وحملته يستغفرون له ايام حيوته سورة براءة مدنية وقيل الا ايتين من قوله لقد جاءكم رسول
وهى اخر ما نزلت ولها اسماء اخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمثيرة والحافرة
والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين
والقشقشة من النفاق وهى التبرء منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها
وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم وآيها مائة وثلثون وقيل مائة وتسع وعشرون
وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان وقيل كان النبى عليه السلام
اذا نزلت عليه سورة او اية بين موضعها وتوفى ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه
قصة الانفال وتناسبها لان فى الانفال ذكر العهود وفى براءة نبذها فضمت اليها وقيل لما
اختلفت الصحابة انهما سورة واحدة هى سابعة السبع الطوال او سورتان تركت بينهما
فرجة ولم يكتب بسم الله براءة من الله ورسوله اى هذه براءة من ابتدائية متعلقة بمحذوف
تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز ان يكون براءة مبتدا لتخصصها بصفتها والخبر
الى الذين عاهدتم من المشركين وقرى بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله
بريا من العهد الذى عاهدتم به المشركين وانما علقت البراءة بالله وبرسوله والمعاهدة
بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة
باذن الله واتفاق الرسول فانهما بريا منها وذلك انهم عاهدوا مشركى العرب
فنكثوا الا ناسا منهم بنى ضمرة وبنى كنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين
اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤا فقال فسيحوا فى الارض اربعة اشهر شوال وذو القعدة
وذو الحجة والمحرم لانها نزلت فى شوال وقيل هى عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول
وعشر من ربيع الاخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روى انها لما نزلت ارسل رسول الله
عليه السلام عليا راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم وكان قد بعث ابا بكر اميرا
على الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابى بكر فقال لا يؤدى عنى الا رجل منى فلما دنا على رضى الله
عنه سمع ابو بكر رضى الله عنه الرغاء فوقف فقال هذا رغاء ناقة رسول الله فلما لحقه قال امير
او مامور فلما كان يوم التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام على يوم النحر
عند جمرة العقبة فقال ايها الناس انى رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ
عليهم ثلثين او اربعين اية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام
مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذى عهد

ذى عهد عهده ولعل قوله لا يؤدى عنى الا رجل منى ليس على العموم فانه عليه السلام بعث لان يؤدى
عنه كثيرا لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب ان يتولى العهد ونقضه على
القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه فى بعض الروايات لا ينبغى لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلى
واعلموا انكم غير معجزى الله لا تفوتونه وان امهلكم وان الله مخزى الكافرين بالقتل والاسر
فى الدنيا والعذاب فى الاخرة واذان من الله ورسوله الى الناس اى اعلام فعال بمعنى الافعال
كالامان والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين يوم الحج الاكبر يوم العيد لان فيه تمام الحج و
معظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روى انه عليه السلام وقف يوم النحر عند الجمرات
فى حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلام الحج عرفة ووصف الحج
بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع فى ذلك اليوم من اعماله فانه اكثر من باقى
الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده اعياد اهل الكتاب
او لانه ظهر عز المسلمين وذل المشركين ان الله بان الله برئ من المشركين اى من عهودهم
ورسوله عطف على المستكن فى برئ او على محل ان واسمها فى قراءة من كسرها اجراء للاذان مجرى
القول وقرى بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله
براءة من الله اخبار بثبوت البراءة وهذا اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه
بالناس ولم يخص بالمعاهدين فان تبتم من الكفر والغدر فهو فالتوب خير لكم وان توليتم
عن التوبة او ثبتم على التولى عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير معجزى الله لا تفوتونه طلبا ولا
تعجزونه هربا فى الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب اليم فى الاخرة الا الذين عاهدتم من المشركين
استثناء من المشركين او استدراك وكانه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين
ولكن الذين عاهدوا منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط العهد ولم ينكثوا او لم يقتلوا منكم
ولم يضروكم قط ولم يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم الى تمام
مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم
من باب التقوى فاذا انسلخ انقضى واصل الانسلاخ خروج الشىء مما لابسه من سلخ الشاة
الاشهر الحرم التى ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم
مخالف للاجماع فانه يقتضى بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعد نسخها فاقتلوا المشركين
الناكثين حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم
واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر لئلا يبسطوا فى البلاد وانتصابه
على الظرف فان تابوا عن الشرك بالايمان واقاموا الصلوة واتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم
وايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشىء من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلوة
ومانع الزكوة لا يخلى سبيله ان الله غفور رحيم تعليل للامر اى فخلوهم لان الله غفور رحيم
غفر لهم ما سلف ووعد لهم الثواب بالتوبة وان احد من المشركين المامور بالتعرض لهم
استجارك استامنك وطلب منك جوارك فاجره فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره

ويطّلع على حقيقة الامر ثم ابلغه مأمنه موضع امنه ان لم يسلم واحد رفع بفعل يفسّره ما بعده لا بالابتداء لان
ان من عوامل الفعل ذلك الامن او الامر بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم
اليه فلا بد من امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون كيف يكون للمشركين عهد عند الله
وعند رسوله استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة
صدورهم او لان يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وعلى الاخرين حال من العهد
وللمشركين ان لم يكن خبرا فتبيين الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون قبل ومحله
النصب على الاستثناء او الجر على البدل او الرفع على ان الاستثناء منقطع اى ولكن الذين
عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اى فتربصوا امرهم فان استقاموا
على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله فاتموا اليهم عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما تحتمل الشرطية
والمصدرية ان الله يحب المتقين سبق بيانه كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد او بقاء حكمه
مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله وخبّرتماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا
هضبة وقليب اى فكيف مات وان يظهروا عليكم اى وحالهم انهم ان يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم
لا يراعوا فيكم الا حلفا وقيل قرابة قال حسان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام
وقيل ربوبية ولعله اشتق للحلف من الال وهو الجؤار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم
وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية وقيل
اشتقاقه من ال الشيء اذا حدده او من ال البرق اذا لمع وقيل انه عبري بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبرال
وجبرئيل ولا ذمة عهدا او حقا يعاب على اغفاله يرضونكم بافواههم استيناف لبيان حالهم
المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم
بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء
بالعهد في الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه وتابى قلوبهم
ما تتفوه به افواههم واكثرهم فاسقون متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروة تردعهم وتخصيص الاكثر
لما في بعض الكفرة من التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر احدوثة السوء اشتروا بايات الله
استبدلوا بالقران ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله
دينه الموصل اليه او سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على ان اشتراءهم اداهم الى الصد
انهم ساء ما كانوا يعملون عملهم هذا او ما دل عليه قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة فهو
تفسير لا تكرير وقيل الاول عام في المنافقين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود او الاعراب
الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم واولئك هم المعتدون في الشرارة فان تابوا عن الكفر
واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل
الايات لقوم يعلمون اعتراض للحث على تامل ما فصل من احكام المعاهدين او خصال
التائبين وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان او الوفاء
بالعهود وطعنوا في دينكم بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اى فقاتلوهم

فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوي الرياسة
والتقدم بالكفر احقاء بالقتل وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم
اهم وهم احق به او للمنع من مراقبتهم وقرا عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وروح عن يعقوب
ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء لحن انهم لا ايمان لهم على الحقيقة والا لما
طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمي اذا طعن في الاسلام فقد نكث عهده واستشهد
به الحنفية على ان يمين الكافر ليست يمينا وهو ضعيف لان المراد نفي الوثوق عليها لا انها ليست
بايمان لقوله وان نكثوا ايمانهم وقرا ابن عامر لا ايمان بمعنى لا امان او لا اسلام وتشبث
به من لم يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار عن قوم
معينين او ليس لهم ايمان فيراقبوا لاجله لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا اى ليكن غرضكم
في المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين الا تقاتلون
قوما تحريض على القتال لان الهمزة دخلت على النفي للانكار فافادت المبالغة في الفعل
نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع الرسول عليه السلام والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا
بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول حين تشاوروا في امره بدار الندوة على ما مر ذكره
في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه من المدينة
وهم بدؤكم اول مرة بالمعاداة والمقاتلة لانه عليه السلام بداهم بالدعوة والزام الحجة
بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم ان تعارضوهم
وتصادموهم اتخشونهم اتتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم فالله احق ان
تخشوه فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره ان كنتم مؤمنين فان قضية الايمان ان لا يخشى
الا منه قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعد عليه يعذبهم الله
بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم وعد لهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم
ويشف صدور قوم مؤمنين يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبا قدموا مكة
فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله فقال ابشروا فان الفرج
قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد اوفى الله بما وعدهم والاية من المعجزات
ويتوب الله على من يشاء ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا
وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب
لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم اخرين والله عليم بما كان وبما سيكون حكيم لا يفعل
ولا يحكم الا على وفق الحكمة ام حسبتم خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين
وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان ان تتركوا ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم واراد نفي المعلوم
للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا عطف
على جاهدوا داخل في الصلة من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة

يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما في لما من معنى التوقع منبهة على ان تبين ذلك متوقع
والله خبير بما تعملون يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله
ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا مساجد الله شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام
وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة
ابن كثير وابي عمرو ويعقوب بالتوحيد شاهدين على انفسهم بالكفر باظهار الشرك
وتكذيب الرسول عليه السلام وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين
متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره روي انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك
وقطيعة الرحم واغلظ له علي رضي الله عنه في القول فقال تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا
انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت اولئك حبطت اعمالهم
التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك وفي النار هم خالدون لاجله انما يعمر مساجد الله
من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة وآتى الزكوة اي انما يستقيم عمارتها لهؤلاء
الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج
وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها عما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبي
عليه السلام قال الله ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر
في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول لما علم ان الايمان
بالله قرينه وتمامه الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلوة وآتى الزكوة عليه ولم يخش الا الله
اي في ابواب الدين فان الخشية عن المحاذير جبلية لا يكاد الرجل يتمالك عنها فعسى
اولئك ان يكونوا من المهتدين ذكره بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء
والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان
اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم
ويتكلوا عليها اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في
سبيل الله السقاية والعمارة مصدر سقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لا بد من اضمار
تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج كمن آمن او اجعلتم سقاية الحاج كايمان من آمن ويؤيد
الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار ان يشبه المشركون واعمالهم
المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون عند الله وبين
عدم تساويهم بقوله والله لا يهدي القوم الظالمين اي الكفرة ظلمة بالشرك
ومعاداة الرسول منهمكون في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم
للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين
الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله
اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات او من اهل السقاية والعمارة عندكم
واولئك هم الفائزون بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم يبشرهم ربهم برحمة منه

برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها في الجنات نعيم مقيم دائم وقرأ حمزة يبشرهم
بالتخفيف وتنكير المبشر به اشعار بانه وراء التعيين والتعريف خالدين فيها ابدا اكد
الخلود بالتابيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم يستحقر دونه ما
استوجبوه لاجله او نعم الدنيا يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء نزلت
في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا اباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت
تجاراتنا وبقينا ضايعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة
والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله ان استحبوا الكفر
على الايمان ان اختاروه وحرصوا عليه ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون بوضعهم
الموالاة في غير محلها قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم اقرباؤكم
ماخوذ من العشرة وقيل من العشرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة
وقرأ ابو بكر وعشيراتكم وقرئ عشائركم واموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون
كسادها فوات وقت نفاقها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد
في سبيله الحب الاختياري دون الطبيعي فانه لا يدخل تحت التكليف والتحفظ عنه فتربصوا
حتى يأتي الله بامره جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة او آجلة وقيل فتح مكة والله لا يهدي
القوم الفاسقين لا يرشدهم وفي الآية تشديد عظيم وقل من يتخلص عنه لقد نصركم الله في
مواطن كثيرة يعني مواطن الحرب وهي مواقعها ويوم حنين وموطن يوم حنين ويجوز ان يقدر
ايام مواطن او يفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين رضي الله عنه ولا يمنع ابدال قوله اذ اعجبتكم
كثرتكم منه ان يعطف على موضع في مواطن فانه لا يقتضي تشاركهما فيما اضيف المعطوف حتى يقتضي
كثرتهم واعجابها اياهم في جميع المواطن وحنين بين مكة والطائف حارب فيه رسول الله عليه السلام
والمسلمون وكانوا اثني عشر الفا العشرة الذين حضروا فتح مكة والفان انضموا اليهم من الطلقاء
هوازن وثقيف وكانوا اربعة آلاف فلما التقوا قال النبي عليه السلام او ابو بكر او غيره من
المسلمين لن تغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فادرك المسلمين
اعجابهم واعتمادهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله عليه السلام في مركزه ليس معه الا عمه
العباس آخذا بلجامه وابن عمه ابو سفيان بن الحارث وناهيك بهذا شهادة على تناهي
شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب
سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع
المشركين فقال عليه السلام هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا
ورب الكعبة فانهزموا فلم تغن عنكم اي الكثرة شيئا من الاغناء او من امر العدو وضاقت عليكم
الارض بما رحبت برحبها اي بسعتها لا تجدون فيها مفرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب
او لا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار ظهوركم مدبرين منهزمين والادبار الذهاب
الى خلف خلاف الاقبال ثم انزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى

المؤمنين الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول عليه السلام
ولم يفروا وانزل جنودا لم تروها باعينكم يعني الملائكة وكانوا خمسة الآف او ثمانية او ستة عشر
على اختلاف الاقوال وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك جزاء الكافرين اي
ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق
للاسلام والله غفور رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روي ان ناسا منهم جاؤا رسول الله
عليه السلام واسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد سبي اهلونا واولادنا
واخذت اموالنا وقد سبي يومئذ ستة الاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال
اختاروا اما سبايكم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله وقال
ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا
فمن كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا
حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال عليه السلام اني لا ادري لعل
فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قد رضوا يا ايها الذين امنوا انما
المشركون نجس لخبث باطنهم او لانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس
او لانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل
على ان ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس رض ان اعيانهم نجسة كالكلاب
والخنازير وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو كخفيف كبد في كبد واكثر ما جاء تابعا لرجس
فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وانما نهي عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرام
وقيل المراد به منع الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة رح وقاس مالك
ساير المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع بعد عامهم
هذا يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة حجة الوداع وان خفتم عيلة فقرا بسبب منعهم من الحرام
وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والارزاق فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه
او تفضله بوجه اخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل تبالة وجرش
فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ
عائلة على انها مصدر كالعاقبة او حال ان شاء قيده بالمشية لتنقطع الآمال الى الله ولينبه
على انه متفضل في ذلك فان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام
ان الله عليم باحوالكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر
اي لا يؤمنون بهما على ما ينبغي كما بينا في اول البقرة فان ايمانهم كلا ايمان ولا يحرمون ما حرم
الله ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذي يزعمون اتباعه والمعنى
انهم يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذي هو
ناسخ الاديان ومبطلها من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتى يعطوا
الجزية ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه عن يد حال من الضمير اي عن يد

اي عن يد مواتية بمعنى منقادين او عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدي غيرهم
ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك قيل لا يؤخذ من الفقير او عن يد قاهرة
عليهم بمعنى عاجزين اذلاء او من الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى يد او عن انعام عليهم
فان ابقائهم بالجزية نعمة عظيمة وهم صاغرون اذلاء وعن ابن عباس رض يؤخذ الجزية من
الذمي ويوجأ عنقه ومفهوم الاية يقتضي تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده ان عمر رض
لم يكن ياخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف انه عليه السلام وآله اخذها من مجوس
هجر وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب فالحقوا بالكتابيين
واما ساير الكفرة فلا يؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابي حنيفة رحمه يؤخذ منهم الا من مشركي العرب
لما روى الزهري انه عليه السلام وآله صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعند
مالك يؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها في كل سنة دينار سواء فيه الغني والفقير وقال ابو حنيفة
على الغني ثمانية واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شيء
على الفقير الغير الكسوب وقالت اليهود عزير ابن الله انما قال بعضهم من متقدميهم او ممن كانوا
بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بخت نصر من يحفظ التورية وهو لما
احياه الله بعد مائة عام املى عليهم التورية حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا انه ابن الله
والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية قرئت عليهم ولم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب
وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب عزير بالتنوين على انه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه
في القراءة الاخرى اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف او لالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف
اللين او لان الابن وصف والخبر محذوف مثل معبودنا او صاحبنا وهو مزيف لانه يؤدي
الى تسليم نسب وانكار الخبر المقدر وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم
وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص
واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك قولهم بافواههم اما تاكيد لنسبة هذا القول اليهم
ونفي للتجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في
الافواه ولا يوجد مفهومه في الاعيان يضاهئون قول الذين كفروا اي يضاهي قولهم قول
الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه من قبل اي من قبلهم والمراد قدماؤهم
على معنى ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله او اليهود على ان الضمير
للنصارى والمضاهات المشابهة والهمزة لغة فيه وقد قرأ به عاصم ومنه قولهم امرأة ضهياء
على فعيل للتي شابهت الرجال في انها لا تحيض قاتلهم الله دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله
الله تعالى هلك او تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق الى الباطل
اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احل الله وتحليل
ما حرم الله او بالسجود والمسيح ابن مريم بان جعلوا ابنا الله تعالى وما امروا اي وما امر
المتخذون اربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ الا ليعبدوا ليطيعوا الها واحدا

وهو الله تعالى واما طاعة الرسل وسائر من امر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الله لا اله الا هو صفة ثانية او استيناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون تنزيه له عن ان يكون له شريك يريدون ان يطفئوا يخمدوا نور الله حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد او القران او نبوة محمد عم بافواههم بشركهم او بتكذيبهم ويابى الله لا يرضى الا ان يتم نوره باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام وقيل انه تمثيل لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد عم واله بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث في الافاق يريد الله ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه في معنى النفي ولو كره الكافرون محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله كالبيان لقوله ويابى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرر ولو كره المشركون غير انه وضع المشركين موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله تعالى والضمير في ليظهره للدين الحق او للرسول عليه السلام واللام في الدين للجنس اي سائر الاديان فينسخها او على اهلها فيخذلهم يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل ياخذونها بالرشى في الاحكام سمى اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم منه ويصدون عن سبيل الله دينه والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله يجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والظن بها وان يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر رض لرسول الله عم وقال ان الله لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وقوله عليه السلام ما ادي زكوته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله تعالى ان ينفق منه واما قوله من ترك صفراء او بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد منها ما لا يؤدي حقها لقوله عليه السلام فيما اورده الشيخان مرويا عن ابي هريرة ما من صاحب فضة ولا ذهب لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفائح من نار فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره فبشرهم بعذاب اليم هو الكي بها يوم يحمى عليها في نار جهنم اي توقد النار ذات حمي شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء بالنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود وانتقل من صيغة التانيث الى صيغة التذكير وانما قال عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضه اربعة الاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز والاموال فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان حكم الذهب اولى بهذا الحكم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف

الدين

الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخره وجنباه هذا ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم لمنفعتها وكان عين مضارها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون اي وبال ما كنزتم او ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون ان عدة الشهور اي مبلغ عددها عند الله معمول عدة لانها مصدر اثنا عشر شهرا في كتاب الله في اللوح المحفوظ او في حكمه وهو صفة لاثني عشر وقوله يوم خلق السموات والارض متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر مذ خلق الله الاجرام والازمنة منها اربعة حرم واحد فرد وهو رجب وثلثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ذلك الدين القيم اي تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القيم دين ابرهيم واسمعيل والعرب ورثوه منهما فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم والاشهر الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ما روي انه عم حاصر الطائف وغزا هوازن وحنين في شوال وذي القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا وهي مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان الله مع المتقين بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقويهم انما النسيء اي تاخير حرمة الشهر الى شهر اخر كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا اخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع برواية ورش انما النسي بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسي بحذفها والنساء والنسيء والنسء وثلثتها مصادر نساه اذا اخره زيادة في الكفر لانه تحريم ما احل الله تعالى وتحليل ما حرمه فهو كفر اخر ضموه الى كفرهم يضل به الذين كفروا اضلالا زائدا وقرا حمزة والكسائي وحفص يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل على ان الفعل لله تعالى يحلونه عاما يحلون النسيء من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا اخر ويحرمونه عاما فيتركونه على حرمته قيل اول من احدث ذلك جنادة بن عوف الكناني كان يقوم على جمل في الموسم فينادي ان الهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادي في القابل ان الهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال او حال ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله بمواطاة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو الله والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا والله لا يهدي القوم الكافرين هداية موصلة الى الاهتداء يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم وقرئ تثاقلتم على الاصل واثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ الى الارض متعلق به كانه تباطاتم متضمن معنى الاخلاد والميل فعدي بالى وكان ذلك في غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطائف

في وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ارضيتم بالحيوة الدنيا و
غرورها من الاخرة بدل الاخرة ونعيمها فما متاع الحيوة الدنيا في التمتع بها في الاخرة في جنب الاخرة
الا قليل مستحقر الا تنفروا الى ما استنفرتم اليه يعذبكم عذابا اليما بالاهلاك بسبب فظيع
كقحط وظهور عدو ويستبدل قوما غيركم ويستبدل بكم اخرين مطيعين كاهل اليمن
وابناء فارس ولا تضروه شيئا اذ لا يقدح تثاقلكم في نصر دينه شيئا فانه الغني عن كل شيء
وفي كل امر وقيل الضمير للرسول عم اي ولا تضروه فان الله وعد له بالنصر والعصمة ووعده حق
والله على كل شيء قدير فيقدر على التبديل وتغير الاسباب والنصرة بلا مدد كما قال تعالى
الا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم تنصروه فسينصره الله كما نصره الله تعالى اذ اخرجه الذين
كفروا ثاني اثنين ولم يكن معه الا رجل واحد فحذف الجزاء واقيم ما هو كالدليل عليه مقامه
او ان لم تنصروه فقد اوجب الله تعالى له النصر حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله
في غيره واسناد الاخراج الى الكفرة لان همهم باخراجه او قتله تسبب لاذن الله تعالى له
بالخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الاعراب
ونصبه على الحال اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار
نقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلثا اذ يقول بدل ثان
او ظرف لثاني لصاحبه وهو ابو بكر لا تحزن ان الله معنا بالعصمة والمعونة روي ان
المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله عليه السلام فقال عم ما ظنك
باثنين الله تعالى ثالثهما فاعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما
دخلا الغار بعث الله تعالى حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه
فانزل الله سكينته امنته التي يسكن عندها القلوب عليه على النبي عم او على صاحبه
وهو الاظهر لانه كان منزعجا وايده بجنود لم تروها يعني الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار او ليعينوه
على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فيكون الجملة معطوفة على قوله تع نصره الله
وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة الكفرة وكلمة الله هي العليا يعني
التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول عم عن ايدي الكفار
الى المدينة فانه المبدء له او بتأييده اياه بالملائكة في هذه المواطن او بحفظه ونصره له حيث حضر
وقرأ يعقوب كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار
بان كلمة الله تعالى عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك
وسط الفصل والله عزيز حكيم في امره وتدبيره انفروا خفافا لنشاطكم له وثقالا عنه
لمشقته عليكم او لقلة عيالكم وبكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا من السلاح
او صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله عم اعلي ان انفر قال نعم
حتى نزل على الاعمى حرج وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله بما امكن لكم منهما كليهما
او احدهما ذلكم خير لكم من تركه ان كنتم تعلمون الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير و

انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ اخبار الله تعالى به صدق فبادروا اليه لو كان عرضا
قريبا اي لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا قريبا سهل المأخذ وسفرا قاصدا متوسطا
لاتبعوك لوافقوك ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة التي تقطع بمشقة وقرئ
بكسر العين والشين وسيحلفون بالله اي المتخلفون اذا رجعت من تبوك
متعذرين لو استطعنا يقولون لو كان لنا استطاعة العدة او البدن وقرئ لو استطعنا
بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة لخرجنا معكم ساد مسد جواب
القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه يهلكون انفسهم بايقاعها
في العذاب وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع النفس في الهلاك او حال
من فاعله والله يعلم انهم لكاذبون في ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج عفا الله
عنك كناية من خطائه في الاذن فان العفو من روادفه لم اذنت لهم بيان لما كني عنه
بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاي شيء اذنت لهم في القعود حين استأذنوك واعتلوا
بالاكاذيب وهلا توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار وتعلم الكاذبين فيه قيل انما
فعل رسول الله عم شيئين لم يؤمر بهما اخذه للفداء واذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما
لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي ليس من
عادة المؤمنين ان يستأذنوك في ان يجاهدوا فان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يتوقفون
على الاذن فيه فضلا ان يستأذنوك في التخلف عنه او ان يستأذنوك في التخلف كراهة
ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه انما يستأذنك
في التخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر تخصيص الايمان بالله واليوم الآخر
في الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما وارتابت
قلوبهم فهم في ريبهم يترددون يتحيرون ولو ارادوا الخروج لاعدوا له للخروج عدة اهبة وقرئ
عده بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وعده بكسر العين
باضافة وغيرها ولكن كره الله انبعاثهم استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج كانه
قال ما خرجوا ولكن تثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم اي نهوضهم للخروج فثبطهم فحبسهم بالجبن
والكسل وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج في قلوبهم او وسوسة
الشيطان بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم او اذن الرسول عم لهم والقاعدين يحتمل
المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم لو خرجوا فيكم ما زادوكم بخروجهم شيئا الا خبالا
فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار
اعم العام الذي وقع عنه الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك
لانه لا يكون مفرغا ولا وضعوا خلالكم ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب والهزيمة
والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع يبغونكم الفتنة يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف
فيما بينكم او الرعب في قلوبكم والجملة حال من الضمير في اوضعوا وفيكم سماعون لهم ضعفة

يسمعون قولهم ويطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم والله عليم بالظالمين
فيعلم ضمايرهم وما ياتى منهم لقد ابتغوا الفتنة تشتيت امرك وتفريق اصحابك من قبل
يعنى يوم احد فان ابن ابى واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرج الرسول عم الى ذى جدة
اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد وقلبوا لك الامور دبروا لك المكايد والحيل
ودوروا الآراء فى ابطال امرك حتى جاء الحق النصر والتاييد الالهى وظهر امر الله علا دينه
وهم كارهون اى على رغم منهم والايتان لتسلية الرسول والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما
ثبطهم الله تعالى لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة
اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول عم بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه ومنهم
من يقول ائذن لى فى العقود ولا تفتنى ولا توقعنى فى الفتنة اى العصيان والمخالفة بان تاذن
لى وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف اذنه اولم ياذن او فى الفتنة بسبب ضياع المال والعيال
اذ لا كافل لهم بعدى او فى الفتنة بنساء الروم لما روى ان جد بن قيس قال قد علمت الانصار
انى مولع بالنساء ولا تفتنى ببنات الاصفر ولكنى اعينك بمالى فاتركنى الا فى الفتنة سقطوا
اى ان الفتنة هى التى سقطوا فيها وهى فتنة التخلف وظهور النفاق لا ما احترزوا عنه وان جهنم
لمحيطة بالكافرين جامعة لهم يوم القيمة او الآن او لاحاطة اسبابها ان تصبك حسنة من
حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم لفرط حسدهم وان تصبك فى بعضها مصيبة كسر او شدة كما
اصاب يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل تبجحوا بانصرافهم واستحمدوا الآرائهم فى التخلف
ويتولوا عن محدثهم بذلك ومجتمعهم له او عن الرسول عم وهم فرحون مسرورون قل لن
يصيبنا الا ما كتب الله لنا الا ما اختصنا باثباته وايجابه من النصرة او الشهادة او ما كتب
لاجلنا فى اللوح لا يتغير لموافقتكم ولا مخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهو من فيعل لا من فعل لانه
من بنات الواو لقولهم صاحب السهم يصوب فاشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشئ
فيما قصد به وقيل من الصوب هو مولانا ناصرنا ومتولى امرنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان
حقهم ان لا يتوكلوا على غيره قل هل تربصون بنا تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين الا احدى
العاقبتين كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم ايضا احدى السوئيين
ان يصيبكم الله بعذاب من عنده بقارعة من السماء او بايدينا او بعذاب بايدينا وهو
القتل على الكفر فتربصوا ما هو عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا او كرها
لن يتقبل منكم امر فى معنى الخبر اى لن يتقبل منكم نفقتكم انفقتم طوعا او كرها وفائدته المبالغة
فى تساوى الانفاقين فى عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم
وهو جواب قوله جد بن قيس واعينك بمالى ونفى التقبل يحتمل الامرين ان لا يوخذ منهم وان
لا يثابوا عليه وقوله انكم كنتم قوما فاسقين تعليل له على سبيل الاستيناف وما بعده بيان وتقرير له
وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله اى وما منعهم قبول نفقاتهم
الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائى ان يقبل بالياء لان تانيث النفقات غير حقيقى وقرئ يقبل

ان يقبل بالياء لان تانيث النفقات غير حقيقى وقرئ يقبل على ان الفعل لله تعالى ولا ياتون
الصلوة الا وهم كسالى متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بهما ثوابا
ولا يخافون على تركهما عقابا فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان ذلك استدراج ووبال
لهم كما قال انما يريد الله ان يعذبهم فى الحيوة الدنيا بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها
من المتاعب وما يرون فيها من الشدايد والمصايب وتزهق انفسهم وهم كافرون
فيموتون كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر فى العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واصل
الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم منكم لكفر قلوبهم
ولكنهم قوم يفرقون يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية
لو يجدون ملجأ اى حصنا يلجؤن اليه او مغارات غيرانا او مدخلا نفقا يتجرون فيه مفتعل
من الدخول وقرأ يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مدخلا من ادخل اى مكانا يدخلون فيه
انفسهم ومتدخلا ومندخلا من تدخل واندخل لولوا اليه لاقبلوا نحوه وهم يجمحون يسرعون
اسراعا لا يردهم شئ كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك يعيبك
وقرأ ابن كثير يلامزك ويعقوب يلمزك بالضم فى الصدقات فى قسمها فان اعطوا
منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون قيل نزلت فى ابى الجواظ المنافق قال الا
ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم فى رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل فى ابن ذى الخويصرة
راس الخوارج كان رسول الله عم يقسم غنايم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة
بتوفير الغنايم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل واذا
للمفاجأة نائب مناب الفاء الجزائية ولو انهم رضوا ما آتيهم الله ورسوله ما اعطاهم الرسول
عم من الغنيمة والصدقة وذكر الله تعالى للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول عم كان
بامره وقالوا حسبنا الله كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله صدقة او غنيمة اخرى
ورسوله فيؤتينا اكثر مما آتانا انا الى الله راغبون فى ان يغنينا من فضله والاية باسرها
فى حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات
تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول فقال تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين
اى الزكوة لهؤلاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على ان المراد باللام بيان انهم فى قسم الزكوة
دون الغنايم والفقير من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كانه اصيب
فقاره والمسكين من له مال او كسب لا يكفيه من السكون كان العجز اسكنه
ويدل عليه قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين وانه عم سال المسكنة وتعوذ
من الفقر وقيل بالعكس لقوله تعالى او مسكينا ذا متربة والعاملين عليها اى الساعين
فى تحصيلها وجمعها والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستالف قلوبهم
او اشراف يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد اعطى رسول الله عم عيينة
بن حصين والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك اشراف يتالفون

على ان يسلموا فانه عم كان يعطيهم والاصح انه كان يعطيهم من خمس الخمس الذى كان خاص
ماله وقد عد منهم من يالف قلبه بشئ منها على قتال الكفار ومانع الزكوة وقيل كان سهم المؤلفة
لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله واكثر اهله سقط وفى الرقاب وللصرف فى فك الرقاب
بان يعاون المكاتب بشئ منها على اداء النجوم وقيل بان يبتاع الرقاب فتعتق وبه قال مالك
واحمد او بان يفدى الاسارى والعدول عن اللام الى فى للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب
وقيل للايذان بانهم احق بها والغارمين اى المديونين لانفسهم فى غير معصية اذا لم يكن لهم
وفاء او لاصلاح ذات البين وان كانوا اغنياء لقوله عم لا تحل الصدقة لغنى الا لخمسة لغاز
فى سبيل الله او لغارم او لرجل اشتراها بماله او رجل له جار مسكين فتصدق على المسكين
فاهدى المسكين للغنى او لعامل عليها وفى سبيل الله وللصرف فى الجهاد بالانفاق على المتطوعة
وابتياع الكراع والسلاح وقيل وفى بناء القناطر والمصانع وابن السبيل المسافر المنقطع
عن ماله فريضة من الله مصدر لما دل عليه الآية اى فرض لهم الصدقات فريضة او حال
من الضمير المستكن فى للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة والله عليم حكيم يضع الاشياء فى مواضعها
وظاهر الآية يقتضى تخصيص استحقاق الزكوة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف
وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك واليه ذهب الشافعى وعن عمر وحذيفة
وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين رحمهم الله عليهم جواز صرفها الى صنف واحد وبه
قال الائمة الثلثة واختاره بعض اصحابنا وبه كان يفتى شيخى ووالدى على ان الآية بيان ان
الصدقة لا تخرج منهم لا ايجاب قسمها عليهم ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو اذن يسمع
كل ما يقال له ويصدقه سمى بالجارحة للمبالغة كانه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمى الجاسوس
عينا لذلك او اشتق له فعل من اذن اذنا اذا استمع كانف وشلل روى انهم قالوا محمد اذن سامعة
نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول قل اذن خير لكم تصديق لهم بانه اذن ولكن لا على الوجه
الذى ذموا به بل من حيث انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله يؤمن بالله يصدق به
لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين
ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان الامان ورحمة اى وهو رحمة للذين آمنوا منكم لمن اظهر الايمان
حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما
عليكم وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئ بالنصب بفعل دل عليه اذن خير اى يأذن لكم
رحمة وقرأ نافع اذن بالتخفيف فيهما وقيل اذن خير على ان خير صفة له او خبر ثان والذين يؤذون
رسول الله لهم عذاب اليم بايذائه يحلفون بالله لكم على معاذيرهم فيما قالوا او تخلفوا ليرضوكم
لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين والله ورسوله احق ان يرضوه احق بالارضاء بالطاعة و
الوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضائين او لان الكلام فى ايذاء الرسول وارضائه او لان التقدير
والله احق ان يرضوه والرسول كذلك ان كانوا مؤمنين صدقا الم يعلموا انه ان الشأن
وقرئ بالتاء من يحادد الله ورسوله يشاقق الله مفاعلة من الحد فان له نار جهنم خالدا فيها

فيها على حذف الخبر اى فحق ان له او على تكرير ان للتأكيد ويحتمل ان يكون معطوفا على انه
ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك وقرئ فان بالكسر ذلك الخزى
العظيم يعنى الهلاك الدائم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم على المؤمنين سورة تنبئهم
بما فى قلوبهم وتهتك عليهم استارهم ويجوز ان يكون الضماير للمنافقين فان النازل
فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقروء ومحتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم ايضا فى كفرهم
وانهم لم يكونوا على بت فى امر الرسول عليه السلام بشئ وقيل انه خبر فى معنى الامر وقيل كانوا يقولونه فيما
بينهم استهزاء لقوله قل استهزءوا ان الله مخرج مبرز او مظهر ما تحذرون اى ما تحذرونه
من انزال السورة فيكم او ما تحذرون اظهاره من مساويكم ولئن سألتهم ليقولن
انما كنا نخوض ونلعب روى ان ركب المنافقين مروا على الرسول فى غزوة تبوك فقالوا
انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاخبر الله
به نبيه عليه السلام فدعاهم فقال قلتم كذا فقالوا لا والله ما كنا فى شئ من امرك وامر اصحابك
ولكن كنا فى شئ مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل ابالله وآياته ورسوله
كنتم تستهزءون توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به والزاما للحجة عليهم ولا يعباء
باعتذارهم لكاذب لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم فانها معلومة الكذب
قد كفرتم قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول والطعن فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان
ان يعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء نعذب
طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق او مقدمين على الايذاء والاستهزاء وقرأ عاصم
بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله ان تعف بالتاء والبناء على المفعول
ذهابا الى المعنى كانه قال ان ترحم طائفة المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض
اى متشابهة فى النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشئ الواحد وقيل انه تكذيبهم فى حلفهم
بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال
المؤمنين وهو قوله يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصى وينهون عن المعروف عن الايمان
والطاعة ويقبضون ايديهم عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكر الله
وتركوا طاعته فنسيهم فتركهم من لطفه وفضله ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون
فى التمرد والفسوق عن دائرة الخير وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم
خالدين فيها مقدرين الخلود هى حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ولعنهم الله
ابعدهم من رحمته واهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع والمراد به وعدا او ما يقاسونه من تعب
النفاق كالذين اى انتم مثل الذين او فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم كانوا اشد
منكم قوة واكثر اموالا واولادا بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم
نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلاق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم
كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات

الفانية والتهائهم بها عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيد الذم
المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء اثرهم وخضتم ودخلتم في الباطل كالذى خاضوا كالذى
خاضوا او كالفوج الذى خاضوا او كالخوض الذى خاضوا اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة
لم يستحقوا عليها في الدارين ثوابا واولئك هم الخاسرون الذين خسروا الدنيا والآخرة الم يأتهم
نبأ الذين من قبلهم قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة
وقوم ابرهيم اهلك نمرود ببعوض واهلك اصحابه واصحاب مدين واهل مدين وهم
قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة والمؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت بهم اى انقلبت
فصارت عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين
وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم يعنى الكل بالبينات فما كان
الله ليظلمهم اى لم يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم ولكن كانوا انفسهم
يظلمون حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب والمؤمنون والمؤمنات بعضهم
اولياء بعض في مقابلة قوله والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله في ساير
الامور اولئك سيرحمهم الله لا محالة فان السين مؤكدة للوقوع ان الله عزيز غالب على
كل شئ لا يمتنع عليه ما يريده حكيم يضع الاشياء مواضعها وعد الله المؤمنين والمؤمنات
جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة تستطيبها النفس او يطيب فيها
العيش وفى الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر في جنات عدن اقامة
وخلود وعنه عليه م عدن دار الله التى لم ترها عين ولم يخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون
والصديقون والشهداء يقول الله طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون
الى تعدد الموعود لكل واحد او للجميع على سبيل التوزيع او الى تغاير وصفه فكأنه وصفه اولا بانه
من جنس ما هو ابهى الاماكن التى يعرفونها لتميل اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف
بطيب العيش معرى عن شوائب الكدرات التى لا تخلو عن شئ منها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهى
الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء
ولا تغير ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال ورضوان من الله اكبر لانه المبدأ لكل سعادة
وكرامة والمؤدى الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه عليه م ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل
رضيتم فيقولون ومالنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل
من ذلك قالوا واى شئ افضل من ذلك قال احل عليكم رضوانى فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اى
الرضوان او جميع ما تقدم هو الفوز العظيم الذى يستحقر دونه الدنيا وما فيها يا ايها النبى جاهد الكفار
بالسيف والمنافقين بالزام الحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا تحابهم ومأويهم جهنم
وبئس المصير مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا روى انه عليه م اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه
القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا

حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله عليه م فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب
الجلاس وحسنت توبته ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم واظهروا الكفر بعد اظهار
الاسلام وهموا بما لم ينالوا من فتك الرسول عليه م وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه
من تبوك ان يدفعوه عن راحلته الى الوادى اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر
بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف
الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم يا اعداء الله فهربوا واخرجوا واخراج المؤمنين من المدينة
او بان يتوجوا عبد الله بن ابى وان لم يرض رسول الله عليه م وما نقموا وما انكروا او ما وجدوا
ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج
في ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله عليه م اثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول
الله عليه م بديته اثنى عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او العلل
فان يتوبوا يك خيرا لهم هو الذى حمل الجلاس على التوبة والضمير في يك للتوب وان يتولوا
بالاصرار على النفاق يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة بالقتل والنار وما لهم في الارض
من ولى ولا نصير فينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن
ولنكونن من الصالحين نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبى عليه م وقال ادع الله
ان يرزقنى مالا فقال عليه م يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال
والذى بعثك بالحق لئن رزقنى مالا لاعطين كل ذى حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت
كما ينمى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول
الله عليه م فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لاخذ
الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه الكتاب
الذى فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية فارجعا حتى ارى رأيى
فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال عليه م ان الله منعنى ان اقبل منك فجعل التراب
يحثو على رأسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعنى فقبض رسول الله عليه م فجاء بها
الى ابى بكر فلم يقبلها ثم جاء ثم جاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان عن الخلفاء
الراشدين فلما اتاهم من فضله بخلوا به منعوا حق الله تعالى منه وتولوا عن طاعة الله
وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض عنها فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اى فجعل الله
عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى
فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم يلقونه يلقون الله بالموت او يلقون
عملهم اى جزاءه وهو يوم القيمة بما اخلفوا الله ما وعدوه بسبب اخلافهم ما وعدوه
من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد متضمن
للكذب مستقبح من الوجهين او المقال مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد الم يعلموا اى
المنافقون او من عاهد الله وقرئ بالتاء على الالتفات ان الله يعلم سرهم ما اسروه

في انفسهم من النفاق او العزم على الاخلاف ونجويهم وما يتناجون به فيما بينهم من الطعن
او تسمية الزكوة جزية وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه ذلك الذين يلمزون ذم مرفوع
او منصوب او بدل من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين من
من المؤمنين في الصدقات روي انه عليه السلام حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف
باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي
اربعة فقال رسول الله عليه السلام بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله
له حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم وتصدق عاصم بن عدي
بمائة وسق تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير الماء على
صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله عليه السلام ان ينثره على
الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء ولقد كان
الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات
فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في الامر
اذا بالغ فيه فيسخرون منهم يستهزؤن بهم سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم كقوله الله
يستهزئ بهم ولهم عذاب اليم على كفرهم استغفر لهم او لا تستغفر لهم يريد به التساوي
بين الامرين في عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن
يغفر الله لهم روي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سال رسول الله
في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت فقال عليه السلام لازيدن على السبعين فنزلت
سواء عليهم استغفرت لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عليه السلام فهم من السبعين العدد
المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له ان المراد به
التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير
لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكانه العدد باسره ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله
اشارة الى ان الياس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك
بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها والله لا يهدي القوم الفاسقين المتمردين
في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد
الى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول في استغفاره
وهو عدم يأسه عن ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم
لقوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد
ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله بقعودهم عن الغزو
وخلفه يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه
على العلة او الحال وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله ايثارا للدعة
والخفض على طاعة الله فيه وفيه تعريض للمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه ببذل

الاموال والمهج وقالوا لا تنفروا في الحر اي قاله بعضهم لبعض او قالوه للمؤمنين تثبيطا
قل نار جهنم اشد حرا وقد آثرتموها بهذه المخالفة لو كانوا يفقهون ان مآبهم اليها او انها كيف
هي ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون
اخبار عما يؤول اليه حالهم في الدنيا والآخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز
ان يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم فان رجعك الله
الى طائفة منهم فان ردك الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعني منافقيهم فان كلهم لم يكونوا
منافقين او من بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر رجلا فاستأذنوك للخروج الى غزوة
اخرى بعد تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا اخبار في معنى النهي للمبالغة
انكم رضيتم بالقعود اول مرة تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على
تخلفهم واول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين اي المتخلفين لعدم لياقتهم
للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين ولا تصل على احد منهم مات
ابدا روي ان ابن ابي دعا رسول الله في مرضه فلما دخل عليه ساله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره
الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل
صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهى عن الصلوة عليه لان الضنة بالقميص
كان مخلا بالكرم ولانه كان مكافاة لالباسه العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد من الصلوة
الدعاء للميت والاستغفار له وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي على قوله
مات ابدا يعني الموت على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكانه لم يحي ولا تقم
على قبره ولا تقف عند قبره للدفن او الزيارة انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون
تعليل للنهي او لتابيد الموت ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم
بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون تكرير للتاكيد والامر حقيق به فان الابصار
طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز ان تكون هذه في فريق غير الاول
واذا انزلت سورة من القرآن ويجوز ان يراد بها بعضها ان آمنوا بالله بان آمنوا
ويجوز ان تكون ان المفسرة وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولو الطول منهم ذوو الفضل
والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين قعدوا لعذر رضوا بان يكونوا مع الخوالف
مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذي لا خير فيه وطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون
ما في الجهاد وموافقة الرسول عليه السلام من السعادة وما في التخلف عنه من الشقاوة لكن الرسول
والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد
من هو خير منهم واولئك لهم الخيرات منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة
في الآخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة تخفيف خيرة واولئك
هم المفلحون الفائزون بالمطالب اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من الخيرات الاخروية وجاء المعذرون من الاعراب

ليؤذن لهم يعني اسدا وغطفان استاذنوا في التخلف متعذرين بالجهد وكثرة العيال
وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت طي على اهالينا ومواشينا والمعذر
اما من عذر في الامر اذا قصر فيه موهما ان له عذرا ولا عذر له او من اعتذر اذا مهد العذر بادغام
التاء في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع
لكن لم يقرأ بهما وقرأ يعقوب معذرين من اعذر اذا اجتهد في العذر وقرئ المعذرون بتشديد
العين والذال على انه من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين وقد اختلف
في انهم كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون قوله تعالى وقعد الذين كذبوا الله ورسوله
في غيرهم وهم منافقوا الاعراب كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان وان كانوا هم الاولين
فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب او من المعذرين فان منهم من
اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والنار ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى
والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة حرج اثم
في التأخر اذا نصحوا لله ورسوله بالايمان والطاعة في السر والعلانية كما يفعل الموالي الناصح
او بما قدروا عليه فعلا او قولا يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح ما على المحسنين
من سبيل اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير
للدلالة على انهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين لذلك والله غفور رحيم
لهم او للمسيء فكيف للمحسن ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على الضعفاء او على
المحسنين وهم البكاؤن سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله
بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن معقل وعلية بن زيد اتوا
رسول الله عليه السلام وقالوا انذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة
نغزوا معك فقال لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد
والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف في
اتوك باضمار قد تولوا جواب اذا واعينهم تفيض تسيل من الدمع اي دمعا فان من
للبيان وهي مع المجرور في محل النصب على التمييز وهو ابلغ من يفيض دمعها لانه يدل
على ان العين صارت دمعا فياضا حزنا نصب على العلة او الحال او المصدر لفعل
دل عليه ما قبله الا يجدوا اي لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون في مغزاهم
انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستاذنونك وهم اغنياء واجدون للاهبة رضوا
بان يكونوا مع الخوالف استيناف لبيان ما هو السبب لاستيذانهم من غير عذر وهو
رضاهم بالدناءة والانتظام في جملة الخوالف ايثارا للدعة وطبع الله على قلوبهم حتى
غفلوا عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون مغبته يعتذرون اليكم في التخلف اذا رجعتم
اليهم من هذا السفر قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لانه لن نؤمن لكم لن نصدقكم
لانه قد نبأنا الله من اخباركم اعلمنا بالوحي الى نبيه بعض اخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر

من الشر والفساد وسيرى الله عملكم ورسوله اتتوبون عن الكفر ام تثبتون عليه وكانه
استتابة وامهال للتوبة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اي اليه فوضع الوصف موضع الضمير
للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شيء من ضمائرهم واعمالهم فينبئكم
بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم
فلا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم ولا توبخوهم انهم رجس لا ينفع فيهم التانيب فان المقصود
منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير فهو علة للاعراض وترك المعاتبة
وماويهم جهنم من تمام التعليل وكانه قال انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا
والاخرة او تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون
يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة يحلفون لكم لترضوا عنهم بحلفهم فتستديموا عليهم
ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اي فان رضاكم
لا يستلزم وحدكم لا ينفعكم اذا كانوا في سخط الله وبصدد عقابه او ان امكنهم ان يلبسوا
عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا على الله فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من الآية النهي
عن الرضاء عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم الاعراب
اهل البدو واشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم
وقلة استماعهم للكتاب والسنة واجدر ان لا يعلموا واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله
على رسوله من الشرائع فرائضها وسننها والله عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر حكيم
فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ومن الاعراب من يتخذ يعد ما ينفق يصرفه في
سبيل الله ويتصدق به مغرما غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجوا عليه ثوابه
وانما ينفق رياء او تقية ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص
من الانفاق عليهم دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصونه او الاخبار عن وقوع
ما يتربصون عليهم والدائرة في الاصل مصدر او اسم فاعل من دار يدور وسمي بها عقبة الزمان
والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق والله سميع لما يقولون
عند الانفاق عليم بما يضمرون ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق
قربات سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ وعند الله صفتها او ظرف ليتخذ
وصلوات الرسول وسبب صلواته لانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك
سن للمصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما قال
عليه السلام اللهم صل على آل ابي اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره الا انها قربة لهم شهادة
من الله لهم بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستيناف مع حرف التنبيه وان المحققة
للنسبة والضمير لنفقتهم سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم والسين
لتحقيقه وقوله ان الله غفور رحيم لتقريره قيل الاولى في اسد وغطفان وبني تميم والثانية
في عبد الله ذي البجادين وقومه والسابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا

الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة
الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم
ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون والذين اتبعوهم باحسان
اللاحقون بالسابقين من القبيلتين او من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة رضي الله
عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا من النعمة الدينية والدنيوية واعد
لهم جنات تجري تحتها الانهار وقرأ ابن كثير من تحتها كما هو في ساير المواضع خالدين فيها
ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم ممن حول بلدتكم يعني المدينة من الاعراب منافقون
وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن
حولكم او خبر لمحذوف صفته مردوا على النفاق ونظيره في حذف الموصوف واقامة الصفة
مقامه قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينها وبينه
بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدأ لبيان تمرنهم وتمهرهم في النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم
باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم في تحامي مواقع التهم الى حد اخفى عليك حالهم
مع كمال فطنتك وصدق فراستك نحن نعلمهم ونطلع على اسرارهم ان قدروا ان
يلبسوا عليك لم يقدروا ان يلبسوا علينا سنعذبهم مرتين بالفضيحة والقتل او باحدهما
وعذاب القبر او باخذ الزكوة ونهك الابدان ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب
النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم ولم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة
من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول
الله عليه السلام فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر له انهم
اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت
فاطلقهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا خلطوا العمل الصالح الذي هو اظهار الندم و
الاعتراف بالذنب بآخر سيء هو التخلف وموافقة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء
كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما او للدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالآخر
عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل توبتهم وهي مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم
ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه خذ من اموالهم صدقة روي انهم
لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا
فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم عن الذنوب او حب المال
المودي بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر وتزكيهم
بها وتنمي بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء
والاستغفار لهم ان صلواتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم وتطمئن قلوبهم وجمعها
لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد والله سميع باعترافهم عليم
بندامتهم ألم يعلموا الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد

والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد به التحضيض عليهما ان الله هو يقبل التوبة
عن عباده اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقات يقبلها
قبول من يأخذ شيئا ليؤدي بدله وان الله هو التواب الرحيم وان من شأنه
قبول توبة التائبين والتفضل عليهم وقل اعملوا ما شئتم فسيرى الله عملكم فانه لا يخفى
عليه خيرا كان او شرا ورسوله والمؤمنون فانه تعالى لا يخفى عنهم كما رأيتم وبين لكم وستردون
الى عالم الغيب والشهادة بالموت فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وآخرون من
المتخلفين مرجون مؤخرون اي موقوف امرهم من ارجأته اذا اخرته وقرأ نافع وحمزة
والكسائي وحفص مرجون بالواو وهما لغتان لامر الله في شأنهم اما يعذبهم ان اصروا
على النفاق واما يتوب عليهم ان تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على ان كلا الامرين بارادة
الله تعالى والله عليم باحوالهم حكيم فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم والمراد بهؤلاء
كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله عليه السلام اصحابه
ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى الله
فرحمهم الله والذين اتخذوا مسجدا عطف على وآخرون مرجون او مبتدأ خبره محذوف
اي وفيمن وصفنا الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص وقرأ نافع وابن عامر
بغير واو ضرارا مضارة للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا
رسول الله عليه السلام ان يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا
مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه ابن عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما اتموه اتوا
رسول الله عليه السلام فقالوا انا قد بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية
فصل فيه حتى نتخذه مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم
ومعن بن عدي وعامر بن السكن والوحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم
اهله فاهدموه واحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة وكفرا وتقوية للكفر الذي يضمرونه
وتفريقا بين المؤمنين يريد الذين كانوا يجتمعون للصلوة في مسجد قباء وارصادا ترقبا
لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني الراهب فانه قال لرسول الله عليه السلام يوم احد
لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين انهزم مع هوازن
وهرب الى الشام ليأتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله عليه السلام ومات بقنسرين
وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام ومن قبل
متعلق بحارب او باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف لما روي
انه بني قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله عليه السلام ان يأتيه فقال انا على جناح
سفر واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت وليحلفن ان اردنا
الا الحسنى ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلوة والذكر و
التوسعة على المصلين والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم لا تقم فيه ابدا للصلوة

لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد قباء اسسه رسول الله عليه السلام وصلى فيه ايام مقامه
بقباء من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة او مسجد رسول الله عليه السلام لقول ابي سعيد سال
رسول الله عنه فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده ومن يعم الزمان والمكان كقوله
لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن دهر احق ان تقوم فيه اولى بان تصلي فيه فيه رجال يحبون
ان يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها
والله يحب المطهرين يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول
الله عليه السلام ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال
امؤمنون انتم فسكتوا فاعادها فقال عمر انهم مؤمنون وانا معهم فقال عليه السلام اترضون
بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام
مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي
تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع
الاحجار الماء فتلا رجال يحبون ان يتطهروا افمن اسس بنيانه بنيان دينه على تقوى من الله
ورضوان خير على قاعدة محكمة هي التقوى من الله تعالى وطلب مرضاته بالطاعة ام من اسس
بنيانه على شفا جرف هار على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها فانهار به في نار جهنم فادى به
لخوره وقلة استمساكه الى السقوط في النار وانما وضع شفا الجرف وهو ما جرفه الوادي الهائر
في مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره به
في النار ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيها على ان تاسيس ذلك على امر يحفظه عن النار ويوصله
الى رضوان الله تعالى ومقتضياته التي الجنة ادناها وتاسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع
في النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لا محالة وقرا نافع وابن عامر اسس على البناء للمفعول
وقرئ اساس بنيانه واس بنيانه على الاضافة واسس واساس واساس بالكسر وثلاثتها
جمع اس وتقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق لا للتانيث كتترى وقرا ابن عامر وحمزة
وابو بكر جرف بالتخفيف والله لا يهدي القوم الظالمين الى ما فيه صلاح ونجاة لا يزال بنيانهم
الذي بنوا بناؤهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول وليس بجمع ولذلك قد يدخله التاء
ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ريبة في قلوبهم اي شكا ونفاقا والمعنى ان بناهم هذا لا يزال
سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول عليه السلام رسخ ذلك
في قلوبهم وازداد بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك
والاضمار وهو في غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطيع ما هو كائن
بالقتل او في القبر او في النار وقيل التقطيع بالتوبة ندما واسفا وقرا يعقوب الى بحرف الانتهاء
وتقطع بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع
قلوبهم على خطاب الرسول عليه السلام او كل مخاطب ولو قطعت على البناء للفاعل وقطعت
على البناء للمفعول والله عليم بنياتهم حكيم فيما امر بهدم بنائهم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم

انفسهم واموالهم بان لهم الجنة تمثيل لاثابة الله تعالى اياهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم في سبيله
يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون استئناف ببيان ما لاجله الشرى وقيل
يقاتلون في معنى الامر وقرا حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت ان الواو لا توجب
الترتيب وان فعل البعض قد يسند الى الكل وعدا عليه حقا مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى
فانه في معنى الوعد في التوراة والانجيل والقران مذكورا فيهما كما اثبت في القران ومن اوفى
بعهده من الله مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه حقا فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا
به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظائم المطالب كما قال وذلك هو الفوز العظيم التائبون
رفع على المدح اي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز ان يكون مبتدا خبره
محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى
او خبره ما بعده اي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا
على المدح او جرا صفة للمؤمنين العابدون الذين عبدوا الله مخلصين له الحامدون لنعمائه
او لما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون لقوله عليه السلام سياحة امتي الصوم شبه
بها من حيث انه يعوق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا
الملك والملكوت او السائحون للجهاد او لطلب العلم الراكعون الساجدون في الصلوة
الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف
فيه للدلالة على انه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كانه قال الجامعون بين الوصفين وفي
قوله تعالى والحافظون لحدود الله فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع للتنبيه على ان ما قبله مفصل
الفضائل وهذا مجملها وقيل انه للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة
هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد اخر معطوف عليه ولذلك تسمى واو الثمانية وبشر المؤمنين
يعني به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع الضمير للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم
الى ذلك وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم
بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين
روي انه عليه السلام قال لابي طالب لما حضره الوفاة قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال
لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا
فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن
لي وانزل علي الايتين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا
على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب توفيقهم للايمان وبه دفع النقض
باستغفار ابراهيم لابيه الكافر فقال وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها
اياه وعدها ابراهيم اباه بقوله لاستغفرن لك اي لاطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه
يجب ما قبله وتدل عليه قراءة من قرا اباه او وعدها ابراهيم ابوه وهي الوعد بالايمان فلما تبين
له انه عدو لله بان مات على الكفر او اوحي فيه بانه لن يؤمن تبرا منه قطع استغفاره

ان ابراهيم لاواه لكثير التأوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه حليم صبور على الاذى والجملة لبيان
ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه وما كان الله ليضل قوما اى ليسميهم ضلالا ويؤاخذهم مؤاخذتهم
بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين لهم ما يتقون حتى يبين لهم حظر ما يجب اتقاؤه وكانه بيان
عذر الرسول عليه السلام فى قوله لعمه او لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه فى قوم
مضوا على الامر الاول فى القبلة والخمر ونحو ذلك وفى الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف ان الله
بكل شىء عليم فيعلم امرهم فى الحالين ان الله له ملك السموات والارض يحيى ويميت وما لكم
من دون الله من ولى ولا نصير لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان كانوا اولى قربى وتضمن
ذلك وجوب التبرؤ عنهم رأسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولى امره والغالب عليه
ولا يتأتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا بشراشرهم اليه ويتبرؤوا عما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود
فيما يأتون ويذرون سواه لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار من اذن المنافقين
فى التخلف او براهم عن علقة الذنوب كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
وقيل هو بعث على التوبة والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبى عليه السلام والمهاجرون
والانصار لقوله وتوبوا الى الله جميعا اذ ما من احد الا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقى اليه
توبة من تلك النقيصة واظهار لفضلها بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده الذين اتبعوه
فى ساعة العسرة فى وقتها وهى حالهم فى غزوة تبوك كانوا فى عسرة الظهر يعتقب
العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ
من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او اتباع الرسول عليه السلام
وفى كاد ضمير الشأن او ضمير القوم والعائد عليه الضمير فى منهم وقرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء
لان تأنيث القلوب غير حقيقى وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعنى المتخلفين
ثم تاب عليهم تكرير للتأكيد وتنبيه على انه يتاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة او المراد
انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة وتاب على الثلاثة كعب بن
مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع الذين خلفوا تخلفوا عن الغزو او خلف
امرهم فانهم المرجؤون حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت اى برحبها لاعراض
الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من فرط الوحشة
والغم بحيث لا يسعها انس وسرور وظنوا وعلموا ان لا ملجأ من الله من سخطه الا اليه
الا الى استغفاره ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليعدوا
فى جملة التائبين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله
هو التواب لمن تاب ولو عاد فى اليوم مائة مرة الرحيم المتفضل عليه بالنعم يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه وكونوا مع الصادقين فى ايمانهم وعهودهم او فى دين الله
نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين اى فى توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة
واضرابهم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله نهى عبر

نهى عبر عنه بصيغة النفى للمبالغة ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه لا يصونوا عما لم يصن
نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده من الاهوال روى ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكانت له امرأة
حسناء فرشت له فى الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال
ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله فى الضح والريح ما هذا بخير
فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله عليه السلام طرفه الى الطريق
فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله عليه السلام واستغفر له
وفى لا يرغبوا يجوز النصب والجزم ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان من النهى عن التخلف
او وجوب المتابعة بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ شىء من العطش ولا نصب تعب ولا
مخمصة مجاعة فى سبيل الله ولا يطؤون ولا يدوسون موطئا مكانا يغيظ الكفار يغضبهم وطؤه
ولا ينالون من عدو نيلا كالقتل والاسر والنهب الا كتب لهم به عمل صالح الا استوجبوا به الثواب
وذلك مما يوجب المتابعة ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم وهو تعليل لكتب
وتنبيه على ان الجهاد احسان اما فى الكفار فلانه سعى فى تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوى للمجنون
واما فى حق المؤمنين فلانه صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو
علاقة ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان فى جيش العسرة ولا يقطعون واديا فى مسيرهم وهو كل
منعرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض الا كتب لهم اثبت لهم
ذلك ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا يعملون جزاء احسن اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم
وما كان المؤمنون لينفروا كافة وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم
لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة فهلا نفر من كل جماعة
كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة ليتفقهوا فى الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق
تحصيلها ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة
ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من فروض
الكفاية وانه ينبغى ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط فى البلاد
لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الاحاد
حجة لان عموم كل فرقة يقتضى ان ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر
فرقتها كى يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار ما لم يتواتر لم يفد ذلك وقد اشبعت القول
فيه تقريرا واعتراضا فى كتاب المرصاد وقد قيل للآية معنى آخر وهو انه لما نزل فى المتخلفين ما نزل
سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد
ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذى هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل
والمقصود من البعثة فيكون الضمير فى ليتفقهوا ولينذروا لبواقى الفرق بعد الطوائف
النافرة للغزو وفى رجعوا للطوائف اى ولينذر البواقى قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما
حصلوا ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال

الاقرب منهم فالاقرب كما امر رسول الله عليه السلام اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق
بالشفقة والاستصلاح وقيل هم اليهود حوالى المدينة كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم
كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة وليجدوا فيكم غلظة شدة وصبرا على القتال
وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع المتقين بالحراسة والاعانة
واذا ما انزلت سورة فمنهم فمن المنافقين من يقول انكارا واستهزاء ايكم زادته هذه السورة
ايمانا وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا بزيادة
العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم وهم يستبشرون بنزولها
لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم واما الذين في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا
الى رجسهم كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا
عليه اولا يرون يعني المنافقين وقرئ بالتاء انهم يفتنون يبتلون باصناف البليات
او بالجهاد مع رسول الله فيعاينون ما يظهر عليه من الايات في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون
لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون واذا ما انزلت سورة نظر
بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية او غيظا لما فيها من عيوبهم هل يريكم من احد
اي يقولون هل يريكم احد ان قمتم من حضرة الرسول عليه السلام فان لم يرهم احد قاموا وان يرهم احد
اقاموا ثم انصرفوا عن حضرته مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الايمان وهو يحتمل الاخبار والدعاء
بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم او عدم تدبرهم لقد جاءكم رسول من انفسكم
من جنسكم عربي مثلكم وقرئ من انفسكم اي من اشرفكم عزيز عليه شديد شاق عليه ما عنتم عنتكم
ولقاؤكم المكروه حريص عليكم اي على ايمانكم وصلاح شانكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف
رحيم قدم الابلغ منهما وهو الرؤوف لان الرافة شدة الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا
عن الايمان بك فقل حسبي الله فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو كالدليل
عليه عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم الملك العظيم
او الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابي رضي الله
عنه ان اخر ما نزل هاتان الايتان وعن النبي عليه السلام ما نزل القران علي الا اية اية وحرفا حرفا
ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الر فخمها ابن كثير ونافع وحفص وقرأ ورش بين اللفظين واما لها الباقون اجراء
لالف الراء مجرى المنقلبة من الياء تلك ايات الكتاب الحكيم اشارة الى ما تضمنته
السورة او القران من الاي والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله
على الحكم او لانه كلام حكيم او محكم اياته لم ينسخ شيء منها اكان للناس عجبا استفهام انكار
للتعجب وعجبا خبر كان واسمه ان اوحينا وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس او على ان
كان تامة وان اوحينا بدل من عجب واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم فيوجهون

فيوجهون نحوه انكارهم واستهزاءهم الى رجل منهم من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم
قيل كانوا يقولون العجب ان الله تعالى لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وهو
من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة هذا وانه عليه السلام
لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا في المال وخفة الحال اعون شيء في هذا الباب ولذلك
كان اكثر الانبياء عليهم السلام قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه تعالى بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره
في سورة الانعام ان انذر الناس ان هي المفسرة او المخففة من الثقيلة فتكون في موضع مفعول
اوحينا وبشر الذين امنوا عمم الانذار اذ قلما من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه وخصص البشارة
اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به ان لهم بان لهم قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة
سميت قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها
والتنبيه على انهم انما ينالونها بصدق القول والنية قال الكافرون ان هذا يعنون الكتاب
وما جاء به الرسول لسحر مبين وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول
وفيه اعتراف بانهم صادفوا من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرئ
ما هذا الا سحر مبين ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض التي هي اصول الممكنات في ستة
ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به
كلمته ويهيئ بتحريكه اسبابها وتنزلها منه والتدبير النظر في ادبار الامور لتجيء محمودة العاقبة
ما من شفيع الا من بعد اذنه تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم ان الهتهم تشفع لهم
عند الله تعالى وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له ذلكم الله اي الموصوف بتلك الصفات
المقتضية للالوهية والربوبية ربكم لا غير اذ لا يشركه احد في شيء من ذلك فاعبدوه وحدوه
بالعبادة افلا تذكرون تتفكرون ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لا
ما تعبدونه اليه مرجعكم جميعا بالموت والنشور لا الى غيره فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر
مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله حقا مصدر اخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله
تعالى انه يبدؤ الخلق ثم يعيده بعد بدئه واهلاكه ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط
اي بعدله او بعدلهم وقيامهم على العدل في امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك
ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلة قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون
فان معناه ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم
للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة
والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه
واما عقاب الكفرة فكانه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم والاية كالتعليل
لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الله المكلفين على
اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لا محالة ويؤيده قراءة من قرأ انه يبدؤ بالفتح اي لانه ويجوز ان يكون
منصوبا او مرفوعا بما نصب وعد الله تعالى او بما نصب حقا هو الذي جعل الشمس ضياء

اي ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو
وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين في كل القرآن على القلب بتقديم اللام على العين والقمر نورا
اي ذا نور او سمي نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور
وقد نبه سبحانه وتعالى بذلك على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب
منها وقدره منازل الضمير لكل واحد اي قدر مسير كل واحد منهما منازل او قدره ذا منازل او للقمر
وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله
لتعلموا عدد السنين والحساب وحساب الاوقات من الاشهر والايام في معاملاتكم وتصرفاتكم
ما خلق الله ذلك الا بالحق الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة يفصل الآيات لقوم
يعلمون فانهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء ان في اختلاف
الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض من انواع الكائنات لآيات على وجود الصانع
ووحدته وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر ان الذين لا يرجون
لقاءنا لا يتوقعون لانكارهم للبعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها ورضوا بالحيوة الدنيا من الآخرة
لغفلتهم عنها واطمأنوا بها وسكنوا اليها مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها او سكنوا فيها سكون
من لا يزعج عنها والذين هم عن آياتنا غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف
اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا والانهماك
في الشهوات بحيث لا تخطر الآخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث
ولم ير الا الحيوة الدنيا وبالآخرين من الهاه حب العاجل عن التأمل في الآجل والاعداد له اولئك
مأواهم النار بما كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
يهديهم ربهم بايمانهم بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدي الى الجنة او لادراك الحقائق كما قال
عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم او لما يريدونه في الجنة ومفهوم الترتيب وان دل على ان
سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان
بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة والرديف له تجري من تحتهم الانهار استئناف او خبر ثان
او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله في جنات النعيم خبر او حال آخر منه او من
الانهار او متعلق بتجري او بيهدي دعواهم فيها اي دعاؤهم سبحانك اللهم اللهم انا نسبحك
تسبيحا وتحيتهم ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم فيها سلام وآخر دعواهم وآخر دعائهم
ان الحمد لله رب العالمين اي ان يقولوا ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله
تعالى وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز
باصناف الكرامات او الله تعالى فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام وان هي المخففة من الثقيلة وقد
قرئ بها وبنصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر ولو يسرعه اليهم استعجالهم بالخير وضع موضع
تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم في الخير حتى كأن استعجالهم به تعجيل لهم او بان المراد شر
استعجلوه كقولهم فامطر علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير

للخير حين استعجلوه استعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه لقضي اليهم اجلهم
لاميتوا واهلكوا وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا
فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية
كأنه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضي فنذرهم امهالا لهم واستدراجا واذا مس الانسان الضر دعانا لازالته
مخلصا فيه لجنبه ملقى لجنبه اي مضطجعا او قاعدا او قائما وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الاحوال
او لاصناف المضار فلما كشفنا عنه ضره مر مضى على طريقته واستمر على كفره او مر عن موقف الدعاء
لا يرجع اليه كأن لم يدعنا كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن كما قال ونحر مشرق اللون
كأن ثدياه حقان الى ضر مسه الى كشف ضر كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين
ما كانوا يعملون من الانهماك في الشهوات والاعراض عن العبادات ولقد اهلكنا القرون
من قبلكم يا اهل مكة لما ظلموا حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي وجاءتهم
رسلهم بالبينات بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد او عطف على ظلموا وما كانوا ليؤمنوا
وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم
واللام لتأكيد النفي كذلك مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه
بحيث تحقق انه لا فائدة في امهالهم نجزي القوم المجرمين نجزي كل مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع المضمر
للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم استخلفناكم
فيها بعد القرون التي اهلكناها استخلاف من يختبر لننظر كيف تعملون اتعملون خيرا او شرا
فنعاملكم على مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما قبله وفائدته
الدلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها ولذلك يحسن
الفعل تارة ويقبح اخرى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا يعني
المشركين ائت بقرآن غير هذا بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب
والعقاب بعد الموت او ما نكرهه من معايب آلهتنا او بدله بان تجعل مكان الآية المشتملة
على ذلك آية اخرى ولعلهم سألوا ذلك كي يسعفهم اليه فيلزموه قل ما يكون لي ما يصح لي
ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل
لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقرآن آخر ان اتبع الا ما يوحى الي تعليل لما يكون فان المتبع
لغيره في امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد
لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه
عصيانا فقال اني اخاف ان عصيت ربي اي بالتبديل عذاب يوم عظيم وفيه ايماء بانهم
استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا ادراكم به
ولا اعلمكم به على لساني وعن ابن كثير ولأدراكم بلام التأكيد اي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولأعلمكم به
على لسان غيري والمعنى انه الحق الذي لا محيص عنه لو لم ارسل به لارسل به غيري وقرئ ولا ادرأتكم
بالهمزة فيها على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة او على انه من الدرء بمعنى الدفع ولا

جعلتكم بتلاوته خصماء تدرونني بالجدال والمعنى ان الامر بمشية الله تعالى لا بمشيتي حتى اجعله
على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله فقد لبثت فيكم عمرا مقدار عمر اربعين سنة من قبله من قبل القرآن
لا اتلوه ولا اعلم فانه اشارة الى ان القرآن معجز خارق للعادة فان عاش بين اظهرهم اربعين سنة
لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بزت فصاحته
فصاحة كل منطيق وعلا كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص
الاولين واحاديث الاخرين على ما هي عليه علم انه معلم به من الله تعالى افلا تعقلون اي افلا تستعملون
عقولكم بالتدبر والتفكر لتعلموا انه ليس الا من الله تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا تفاد مما اضافوه
اليه كناية او تظليم للمشركين بافترائهم على الله تعالى في قولهم انه لذو شريك وذو ولد او كذب
باياته فكفر بها انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم لانه جماد لا يقدر
على نفع ولا ضر والمعبود ينبغي ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر ويقولون
هؤلاء الاوثان شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا او في الاخرة ان يكن بعث
وكانهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة
ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع لهم عنده قل اتنبئون الله اتخبرونه بما لا يعلم
وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم او هؤلاء شفعاؤنا عنده وما لا يعلم العالم بجميع المعلومات
لا يكون له تحقق في السموات ولا في الارض حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفي منبهة
على ان ما يعبدون من دون الله اما سماوي او ارضي ولا شيء من الموجودات فيهما الا
وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق ان يشرك به سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم
او عن الشركاء الذين يشركونهم به وما كان الناس الا امة واحدة موحدين على الفطرة
او متفقين على الحق وذلك في عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان
او على الضلال في فترة من الرسل فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل او ببعثة الرسل
فتبعهم طائفة واصرت اخرى ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخير الحكم بينهم او العذاب
الفاصل بينهم الى يوم القيمة فانه يوم الفصل والجزاء لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون باهلاك
المبطل وابقاء المحق ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه اي من الآيات التي اقترحوها فقل انما
الغيب لله هو المختص بعلمه فلعله يعلم في انزال الآيات المقترحة من مفاسد تصرف عن
انزالها فانتظروا النزول لما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم بجحودكم ما نزل
عليه من الآيات العظام واقتراحكم غيره واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء
مستهم كقحط ومرض اذا لهم مكر في آياتنا بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط اهل
مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يقدحون في آيات الله
ويكيدون رسوله قل الله اسرع مكرا منكم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على
سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجاة الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من
الله تعالى اما الاستدراج او الجزاء على المكر ان رسلنا يكتبون ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه

وتنبيه على ان ما تدبروا في اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى على الله تعالى وعن يعقوب
يمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم يحملكم على السير ويمكنكم منه وقرأ ابن عامر ينشركم بالنون
والشين من النشر في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك في السفن وجرين بهم بمن فيها
عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانه تذكرة لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم بريح
طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب اذا والضمير للفلك او للريح
الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات عصف شديدة الهبوب وجاءهم الموج
من كل مكان يجيء الموج منه وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا او سدت عليهم مسالك الخلاص
كما احاط به العدو دعوا الله مخلصين له الدين من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال
المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل الاشتمال لان دعاءهم من لوازم
ظنهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول او مفعول دعوا لانه من
جملة القول فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض فاجأوا الفساد فيها
وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة
واحراق زروعهم وقلع اشجارهم فانها افساد بحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم
فان وباله عليكم او انه على امثالكم وابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا منفعة الحيوة الدنيا
لا تبقى عاقبتها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر محذوف تقديره ذلك متاع الحيوة
الدنيا وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اي يتمتعون متاع الحيوة الدنيا
او مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحيوة
الدنيا محذور او ضلال او مفعول فعل دل عليه البغي وعلى انفسكم خبر ثم الينا مرجعكم في
القيامة فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة في سرعة
تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه من السماء فاختلط به
نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما ياكل الناس والانعام من الزروع
والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت تزينت باصناف النبات
واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب والزين فتزينت بها
وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت من غير اعلال
كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون
عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا ضرب زرعها ما يجتاحه ليلا او نهارا
فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن كان لم يغن زرعها
اي لم ينبت والمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل بالامس
فيما قبيله وهو مثل في الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات
فجاءة وذهابه حطاما بعد ما كان غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه
قد سلم من الجوائح لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب كذلك نفصل

الآيات لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون به والله يدعو الى دار السلام دار السلامة من التقضي
والآفة او دار الله وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك او دار يسلم الله والملائكة فيها على
من يدخلها والمراد الجنة ويهدي من يشاء بالتوفيق الى صراط مستقيم هو طريقها وذلك الاسلام
والتدرع بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشية دليل على ان الامر غير الارادة
وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة
تفضلا لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة
ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله تعالى ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة هو اللقاء
ولا يرهق وجوههم ولا يغشا قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل
النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات
جزاء سيئة بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز في الدار زيد والحجرة عمرو
والذين مبتدأ والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة
بمثلها اي ان يجازي سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة هي الفضل
او التضعيف او كانما اغشيت او اولئك اصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدأ
خبره محذوف اي فجزاء سيئة بمثلها واقع او مثلها على زيادة الباء او تقدير بمثلها وترهقهم
ذلة وقرئ بالياء ما لهم من الله من عاصم ما من احد يعصمهم من سخط الله تعالى او من جهة الله تعالى
ومن عنده كما يكون للمؤمنين كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما لفرط سوادها
وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل في قطعا وهو موصوف
بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرا ابن كثير
والكسائي ويعقوب قطعا بالسكون وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون مما يحتج به الوعيدية ان الآية في الكفار لاشتمال السيئات
على الشرك والكفر ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم
قسيمه ويوم نحشرهم جميعا يعني الفريقين جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم الزموا مكانكم
حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تاكيد للضمير المنتقل اليه من عامله وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب
على المفعول معه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم وقال شركاؤهم
ما كنتم ايانا تعبدون مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم فانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم
لانها الآمرة بالاشراك لا ما اشركوا به وقيل ينطق الله الاصنام فتشافههم بذلك مكان
الشفاعة التي توقعوا منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين فكفى بالله شهيدا
بيننا وبينكم فانه العالم بكنه الحال ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي
الفارقة هنالك في ذلك المقام تبلو كل نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت من عمل فتعاين
نفعه وضره وقرا حمزة والكسائي تتلو من التلاوة اي تقرا ذكر ما قدمت او من التلو اي تتبع

تتبع عمله فيقوده الى الجنة او الى النار وقرئ نبلوا بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها
اي نفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها
ويجوز ان يراد به نصيب بالبلاء اي العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون
ما منصوبة بنزع الخافض وردوا الى الله الى جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم ومتولي
امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد وضل عنهم
وضاع عنهم ما كانوا يفترون من ان الهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها آلهة قل من يرزقكم
من السماء والارض اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من
كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض
امن يملك السمع والابصار ام من يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها
وسرعة انفعالهما من ادنى شيء ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي اي ومن يحيي ويميت او من
ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص
فسيقولون الله اذ لا يقدرون من المكابرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه فقل افلا تتقون
انفسكم عقابه بشرككم اياه ما لا يشاركه في شيء من ذلك فذلكم الله ربكم الحق اي المتولي لهذه
الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذي انشاكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم
فماذا بعد الحق الا الضلال استفهام انكار اي ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذي هو
عبادة الله وقع في الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال كذلك حقت كلمة ربك
اي كما حقت الربوبية لله تعالى او ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت
كلمة الله تعالى وحكمه على الذين فسقوا تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون
بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم من يبدا الخلق
ثم يعيده جعل الاعادة كالابداء في الزام بها لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها ولذلك
امر الرسول عليه السلام بان ينوب عنهم في الجواب فقال قل الله يبدا الخلق ثم يعيده
لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها فانى تؤفكون تصرفون عن قصد السبيل قل هل من
شركائكم من يهدي الى الحق بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر ويهدي
كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم
يتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدى بها ما اسنده الى الله قل الله يهدي
للحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع ام من لا يهدي ام الذي لا يهتدي الا ان يهدى من
قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى او لا يهتدي غيره الا ان يهديه الله وهذا حال اشراف شركائهم
كالملائكة والمسيح وعزير وقرا ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر لا يهدي بفتح الهاء
وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدي فادغم وفتحت
الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر يهدي باتباع الياء الهاء
وقرا ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين لان المدغم في حكم المتحرك

وعن نافع مثله وقرئ الا ان يهدى على المبالغة فما لكم كيف تحكمون بما يقتضي صريح العقل
بطلانه وما يتبع اكثرهم فيما يعتقدون الا ظنا مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة
كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع
او من ينتمي منهم الى تميز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف ان الظن لا يغني من الحق من العلم والاعتقاد
الحق شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم
في الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز ان الله عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم
للظن واعراضهم عن البرهان وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله افتراء من الخلق
ولكن تصديق الذي بين يديه مطابق لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها ولا يكون
كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه بانه خبر لكان مقدرا او علة
لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الذي وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق
الذي وتفصيل الكتاب وتفصيل ما حقق واثبت من العقائد والشرائع لا ريب فيه
منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من الكتاب
فانه مفعول في المعنى وان يكون استينافا من رب العالمين خبر اخر تقديره كائنا من رب
العالمين او متعلق بتصديق او بتفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما ويجوز
ان يكون حالا من الكتاب او الضمير في فيه ومساق الاية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان
ما يجب اتباعه والبرهان عليه ام يقولون بل ايقولون افتريه محمد عليه السلام ومعنى الهمزة
فيه الانكار قل فاتوا بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي
في العربية والفصاحة واشد تمرنا في النظم والعبارة وادعوا من استطعتم ومع ذلك
فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به من دون الله سوى الله فانه وحده قادر على ذلك
ان كنتم صادقين انه اختلقه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه بالقران
اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا اياته ويحيطوا بالعلم بشانه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر
البعث والجزاء وساير ما يخالف دينهم ولما ياتهم تاويله ولم يقفوا بعد على تاويله ولم يبلغ
اذهانهم معانيه او لم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق ام كذب
والمعنى ان القران معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجؤا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه
ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالاخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدي فرازوا قواهم في معارضته
فتضائلت دونها او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب
تمردا وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين
فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم ومن المكذبين من يؤمن به من يصدق به في نفسه
ويعلم انه حق ولكن يعاند او من سيؤمن به ويتوب عن كفره ومنهم من لا يؤمن به في نفسه
لفرط غباوته وقلة تدبره او فيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك اعلم بالمفسدين
بالمعاندين او بالمصرين وان كذبوك فان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لي

فقل لي عملي ولكم عملكم فتبرأ منهم فقد اعذرت والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا
انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام
الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ باية السيف ومنهم من يستمعون اليك اذا قرات
القران وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون كالاصم الذي لا يسمع اصلا افانت تسمع الصم
تقدر على اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع
الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا يوصف به البهائم وهو لا يتاتى الا باستعمال العقل
السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مؤوفة بمعارضة الوهم ومشايعة الالف والتقليد تعذر
افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة ولم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام
الناعق ومنهم من ينظر اليك ويعاينون دلائل نبوتك ولكن لا يصدقون افانت تهدي
العمي تقدر على هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود
من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى
المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق والاية كالتعليل للامر بالتبري والاعراض عنهم ان الله
لا يظلم الناس شيئا بسلب حواسهم وعقولهم ولكن الناس انفسهم يظلمون بافسادها
وتفويت منافعها عليهم وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس مسلوب الاختيار بالكلية
كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيمة من العذاب عدل
من الله تعالى لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا
الا ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا او القبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية
في موقع الحال اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة ليوم والعائد محذوف
اي يحشر كانهم لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وهذا
اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهو حال اخرى مقدرة او بيان لقوله
كان لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم يحشرهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء
الله شهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير في يتعارفون على ارادة
القول وما كانوا مهتدين لطرق استعمال الات المعاون في تحصيل المعارف فاكتسبوا
بها جهالات ادت بهم الى الردى والعذاب الدائم واما نرينك نبصرنك بعض الذي
نعدهم من العذاب في حيوتك كما اراه يوم بدر او نتوفينك قبل ان نريك فالينا مرجعهم
فنريكه في الاخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون
مجاز عليه ذكر الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم او مؤد شهادته
على افعالهم يوم القيمة ولكل امة من الامم الماضية رسول يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق
فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضي بينهم بين الرسول ومكذبيه بالقسط بالعدل
فانجي الرسول واهلك المكذبون وهم لا يظلمون وقيل معناه لكل امة يوم القيمة رسول
تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم بانجاء المؤمنين وعقاب

الكفار لقوله تعالى وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد استبعادا
له واستهزاء به ان كنتم صادقين خطاب منهم للنبي والمؤمنين قل لا املك لنفسي ضرا
ولا نفعا فكيف املك لكم فاستعجل في جلب العذاب اليكم الا ما شاء الله ان املكه او ولكن
ما شاء الله من ذلك كائن لكل امة اجل مضروب لهلاكهم اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون لا يتأخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم
قل ارأيتم ان اتاكم عذابه الذي تستعجلونه بياتا وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا
حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ماذا يستعجل منه المجرمون اي شيء من العذاب يستعجلونه
وكله مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق بارأيتم لانه بمعنى اخبروني والمجرمون وضع موضع الضمير
للدلالة على انهم لجرمهم ينبغي ان يفزعوا من مجيء الوعيد لا ان يستعجلوه وجواب الشرط محذوف
وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطأه ويجوز ان يكون الجواب ماذا كقولك ان اتيتك
ماذا تعطيني وتكون الجملة متعلقة بارأيتم او قوله اثم اذا ما وقع آمنتم به بمعنى ان اتاكم عذابه
آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام
على ثم لانكار التأخير آلآن على ارادة القول اي قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب
الآن آمنتم به وعن نافع الان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقد كنتم به تستعجلون
تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر ذوقوا عذاب الخلد المؤلم
على الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي ويستنبئونك ويستخبرونك
احق هو ما تقول من الوعد او ادعاء النبوة تقوله بجد ام باطل تهزل به قاله حيي بن اخطب لما قدم مكة
والاظهر ان الاستفهام فيه على اصله لقوله ويستنبئونك وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ آلحق هو فان فيه
تعريضا بانه باطل واحق مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر مقدم والجملة في موضع النصب بيستنبئونك
قل اي وربي انه لحق ان العذاب لكائن او ما ادعيته لثابت وقيل كلا الضميرين للقرآن واي بمعنى نعم
وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه في التصديق فيقال اي والله ولا يقال اي وحده وما انتم
بمعجزين فائتين العذاب ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك والتعدي على الغير ما في الارض من
خزائنها واموالها لافتدت به لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه واسروا الندامة
لما رأوا العذاب لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا
وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها او لانه يقال سر الشيء لخالصته
من حيث انها تخفى ويضن بها وقيل اظهروها من قولهم سر الشيء واسره اذا اظهره وقضي بينهم
بالقسط وهم لا يظلمون ليس تكريرا لان الاول قضاء بين الانبياء عليهم السلام ومكذبيهم
والثاني مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم
لدلالة الظلم عليهم الا ان لله ما في السموات والارض تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب
الا ان وعد الله حق ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه ولكن اكثرهم
لا يعلمون لانهم لا يعلمون لقصور عقلهم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا هو يحيي ويميت في الدنيا

في الدنيا فهو يقدر عليهما في الاخرى لان القادر لذاته لا يزول قدرته والمادة القابلة
بالذات للحيوة والموت قابلة لهما ابدا واليه ترجعون بالموت والنشور يا ايها الناس
قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين اي قد جاءكم
كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها والمرغبة في المحاسن
والزاجرة عن المقابح والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد
وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث انزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال
الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان
والتنكير فيها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته بانزال القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره
قوله فبذلك فليفرحوا فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا
او فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التأكيد والبيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص
الفضل والرحمة بالفرح او بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك اشارة الى مصدره اي فبمجيئها
فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فبهما ليفرحوا او للربط بما قبلها والدلالة
على ان مجيء الكتاب الجامع بين الصفات موجب للفرح وتكريرها للتأكيد كقوله واذا
هلكت فعند ذلك فاجزعي وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض وقد روي
مرفوعا ويؤيده انه قرئ فافرحوا هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا فانها الى الزوال وهو خبر ذلك
وقرأ ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فلتفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعونه ايها المخاطبون
قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق جعل الرزق منزلا لانه مقدر في السماء محصل باسباب
منها وما في موضع النصب بانزل او بارأيتم فانه بمعنى اخبروني ولكم دل على ان المراد منه ما حل
ولذلك وبخ على التبعيض فقال فجعلتم منه حراما وحلالا مثل هذه انعام وحرث حجر ما
في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل الله اذن لكم في التحريم والتحليل
فتقولون ذلك بحكمه ام على الله تفترون في نسبة ذلك اليه ويجوز ان تكون المنفصلة متصلة
بارأيتم وقل مكرر للتأكيد وان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها
تقرير لافترائهم على الله وما ظن الذين يفترون على الله الكذب اي شيء ظنهم يوم القيمة ايحسبون
ان لا يجازوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضي لانه كائن وفي ابهام
الوعيد تهديد عظيم ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال
الرسل وانزال الكتب ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة وما تكون في شأن ولا تكون في امر
واصله الهمز من شأنت شأنه اذا قصدت قصده والضمير في وما تتلو منه له لان تلاوة
القرآن معظم شأن الرسول عليه السلام او لان القراءة تكون لشأن فيكون التقدير من اجله
ومفعول تتلو من قرآن على ان من تبعيضية او مزيدة لتأكيد النفي او للقرآن واضمار قبل الذكر
ثم بيانه تفخيم له او لله ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو رأسهم ولذلك
ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عمم ما يتناول الجليل والحقير الا كنا عليكم شهودا رقباء

مطلعين عليه اذ تفيضون فيه تخوضون فيه وتندفعون وما يعزب عن ربك وما يبعد عنه
ولا يغيب عن علمه وقرأ الكسائي بكسر الزاء من مثقال ذرة موازن نملة صغيرة او هباء في الارض
ولا في السماء اي في الوجود والامكان فان العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا
بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود منه هو البرهان على احاطة علمه بها ولا اصغر
من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية واصغر اسمها وفي كتاب
خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل
الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب
اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم
من لحوق مكروه ولا هم يحزنون بفوات مأمول والاية مجمل فسره قوله الذين امنوا وكانوا
يتقون وقيل الذين امنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم اياه لهم البشرى في الحيوة الدنيا وهو
بشرية المتقين في كتابه وعلى لسان نبيه وما يريهم من الرويا الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفات
وبشرى الملائكة عند النزع وفي الاخرة بتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة
بيان لتوليه لهم ومحل الذين امنوا النصب او الرفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء
وخبره لهم البشرى لا تبديل لكلمات الله لا تغير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده ذلك اشارة
الى كونهم مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به
وتعظيم شانه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله ولا يحزنك قولهم اشراكهم
وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى ان العزة لله جميعا استئناف
بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم لان الغلبة لله تعالى
جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم هو السميع لاقوالهم العليم بعزماتهم
فيكافيهم عليها الا ان لله من في السموات ومن في الارض من الملائكة والثقلين واذا كان
هؤلاء الذين هم اشرف الممكنات عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبية فما لا يعقل منها احق
ان لا يكون له ندا وشريكا فهو كالدليل على قوله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء
اي شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان يكون شركاء مفعول يدعون
ومفعول يتبع محذوف دل عليه ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون يقينا وانما يتبعون
ظنهم انها شركاء ويجوز ان يكون ما استفهامية منصوبة بيتبع او موصولة معطوفة على من وقرى
تدعون بالتاء والمعنى اي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين اي انهم لا يتبعون
الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشا رايهم وان هم
الا يخرصون يكذبون فيما ينسبون الى الله تعالى او يحزرون ويقدرون انها شركاء تقديرا
باطلا هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على كمال قدرته وعظم نعمته المتوحد
هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف

الظرف المجرد والظرف الذي هو سبب ان في ذلك لايات لقوم يسمعون سماع تدبر
واعتبار قالوا اتخذ الله ولدا اي تبناه سبحانه تنزيه له عن التبني فانه لا يصح الا ممن يتصور له
الولد وتعجب عن كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لتنزيهه عن التبني فان اتخاذ الولد مسبب
عن الحاجة له ما في السموات وما في الارض تقرير لغناه ان عندكم من سلطان بهذا
نفي لمعارض ما اقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق
بسلطان او نعت له او بعندكم كانه قيل ان عندكم في هذا سلطان اتقولون
على الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول
لا دليل عليه فهو جهالة وان العقايد لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ قل ان الذين
يفترون على الله الكذب باتخاذ الولد واضافة الشريك اليه لا يفلحون لا ينجون من النار
ولا يفوزون بالجنة متاع في الدنيا خبر مبتدا محذوف اي افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون
به رياستهم في الكفر او حياتهم او تقلبهم متاع او مبتدا خبره محذوف اي لهم تمتع في الدنيا
ثم الينا مرجعهم بالموت فيلقون الشقاء المؤبد ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا
يكفرون بسبب كفرهم واتل عليهم نبا نوح خبره مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان
كبر عليكم عظم عليكم وشق مقامي نفسي كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كوني و
اقامتي بينكم مدة مديدة او قيامي على الدعوة وتذكيري اياكم بايات الله فعلى الله
توكلت وثقت به فاجمعوا امركم فاعزموا عليه وشركاءكم اي مع شركاءكم ويؤيده
القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير ان يؤكد للفصل وقيل انه عطف على امركم
بحذف المضاف اي وامر شركاءكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا
شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم او الاجماع على قصده والسعي في اهلاكه
على اي وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم ثم لا يكن امركم في قصدي عليكم غمة مستورا واجعلوه
ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره او ثم لا يكن حالكم عليكم غما اذا اهلكتموني وتخلصتم من ثقل مقامي
وتذكيري ثم اقضوا الي ادوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي وقرئ ثم افضوا بالفاء اي انتهوا
الي بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضاء ولا تنظرون ولا تمهلون فان توليتم اعرضتم
عن تذكيري فما سالتكم من اجر يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم اياي لاجله او يفوتني لتوليكم
ان اجري ما ثوابي على الدعوة والتذكير الا على الله لا تعلق له بكم يثيبني به امنتم او توليتم وامرت
ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره فكذبوه فاصروا على تكذيبه
بعد ما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب
فنجيناه من الغرق ومن معه في الفلك وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين
به واغرقنا الذين كذبوا باياتنا بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما
جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول وتسلية له ثم بعثنا ارسلنا من بعده من بعد نوح
رسلا الى قومهم كل رسول الى قومه فجاؤهم بالبينات المعجزات الواضحة المبينة لدعواهم

فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله تعالى اياهم بما
كذبوا به من قبل اي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل كذلك نطبع
على قلوب المعتدين بخذلانهم لانهماكهم في الضلال واتباع المألوف وفي امثال ذلك
دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد وقد عرفت تحقيق ذلك ثم بعثنا
من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل موسى وهرون الى فرعون وملئه باياتنا بالايات التسع
فاستكبروا عن اتباعها وكانوا قوما مجرمين معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة
ربهم واجترؤا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه بتظاهر المعجزات القاهرة المزاحة
للشك قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر او فائق في فنه واضح فيما بين
اخوانه قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف المحكي القول لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز ان يكون
أسحر هذا لانهم بتوا القول بل هو استيناف بانكار ما قالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه
للتقرير والمحكي مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى اتقولون للحق تعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة
كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغنى عن المفعول ولا يفلح الساحرون من تمام كلام موسى عليه السلام للدلالة
على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر
او من تمام قولهم ان جعل أسحر هذا محكيا كانهم قالوا اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون
قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما وجدنا عليه اباءنا من عبادة الاصنام
وتكون لكما الكبرياء في الارض الملك فيها سمي بها لاتصاف الملوك بالكبرياء او التكبر على الناس
باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما به وقال فرعون ائتوني بكل ساحر
وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار عليم حاذق فيه فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم
ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر اي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا
وقرأ ابو عمرو آلسحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها والسحر بدل منه او خبر مبتدأ
محذوف تقديره اهو السحر او مبتدأ خبره محذوف اي السحر هو ويجوز ان ينتصب ما بالفعل
يفسره ما بعده تقديره اي شيء اتيتم ان الله سيبطله سيمحقه او سيظهر بطلانه ان الله
لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له
ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك فما
آمن لموسى في مبدأ امره الا ذرية من قومه الا اولاد من اولاد قومه بني اسرائيل دعاهم
فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من
شبانهم آمنوا به او مؤمن من آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته
على خوف من فرعون وملائهم اي مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير
العظماء او على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم ان يفتنهم
ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه او مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملأ
كان بسببه وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها وانه لمن المسرفين في الكبر

والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء وقال موسى لما راى تخوف المؤمنين به
يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا فثقوا به واعتمدوا عليه ان كنتم مسلمين مستسلمين
لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان
وجوب التوكل فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع التخليط ونظيره
ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت فقالوا على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك
اجيبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم علينا فيفتنونا
ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم وشؤم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل الدعاء
تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا لتجاب دعوته واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا اي
اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا يسكنون فيها او يرجعون اليها للعبادة واجعلوا
انتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة
وكان موسى يصلي اليها واقيموا الصلوة فيها امروا بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة
فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وانما ثنى الضمير
اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل
البيوت مساجد والصلوة مما ينبغي ان يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة في الاصل
وظيفة صاحب الشريعة وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاءه زينة ما يتزين
به من اللباس والمراكب ونحوهما واموالا في الحيوة الدنيا وانواعا من المال ربنا
ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون
غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة باتيت ويحتمل ان يكون
للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا للضلال
فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تأكيدا وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم
وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على اموالهم اهلكها والطمس المحو وقرئ اطمس بالضم واشدد
على قلوبهم اي واقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب
الاليم جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض قال
قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون لانه كان يؤمن فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من
الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن ولكن في وقته روي انه مكث فيهم بعد
الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون طريق الجهلة في الاستعجال
او عدم الوثوق والاطمئنان بوعد الله تعالى وعن ابن عامر ولا تتبعان بالنون الخفيفة
وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي جوزناهم
في البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل كضعف
وضاعف فاتبعهم فادركهم يقال تبعته حتى اتبعته فرعون وجنوده بغيا وعدوا باغين
وعادين او للبغي والعدو وقرئ وعدوا حتى اذا ادركه الغرق لحقه قال آمنت انه اي بانه

لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين وقرأ حمزة والكسائي انه بالكسر على اضمار
القول او الاستيناف لابد ونفي الآمنت فنكب عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين
لا يقبل الآن أتؤمن الآن وقد أيست من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد عصيت قبل
قبل ذلك مدة عمرك وكنت من المفسدين الضالين المضلين عن الايمان فاليوم
ننجيك ننبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة
من الارض ليراك بنوا اسرائيل وقرأ يعقوب ننجيك من انجى وقرئ ننحيك بالحاء
اي نلقيك بناحية الساحل ببدنك في موضع الحال اي ببدنك عاريا عن الروح او كاملا
مستويا او عريانا من غير لباس او بدرعك وكان له درع من ذهب يعرف بها وقرئ
بابدانك اي باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كأنه كان مظاهرا بينها
لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك علامة وهم بنوا اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته
ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه
مطروحا على ممرهم من الساحل او لمن يأتي بعدك من القرون اذا سمعوا مآل كفرك ممن شاهدك
عبرة ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشأن
وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك اي لخالقك
آية كسائر الآيات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف
تزويرك واماطة الشبهة في امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه
ايضا محتمل على المشهور وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها
ولا يعتبرون بها ولقد بوأنا انزلنا بني اسرائيل مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا
وهو الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات من اللذائذ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم
فما اختلفوا في امر دينهم الا من بعد ما قرأوا التورية وعلموا احكامها او في امر محمد عليه السلام
الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا
فيه يختلفون فيميز المحق عن المبطل بالانجاء والاهلاك فان كنت في شك مما انزلنا
اليك من القصص على سبيل الفرض والتقدير فسئل الذين يقرؤن الكتاب
من قبلك فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما القينا اليك والمراد تحقيق ذلك
والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان القرآن مصدق لما فيها او وصف اهل الكتاب
بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل اليه او تهييج الرسول عليه السلام وزيادة تثبيته لا امكان
وقوع الشك له ولذلك قال عليه السلام لا اشك ولا اسئل وقيل الخطاب للنبي عليه السلام
والمراد امته او لكل من يسمع اي ان كنت ايها السامع في شك مما نزلنا على لسان
نبينا اليك وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع
الى اهل العلم لقد جاءك الحق من ربك واضحا لا مدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة
فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ولا تكونن من الذين كذبوا

بآيات الله فتكون من الخاسرين ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع
عنه كقوله تعالى فلا تكونن ظهيرا للكافرين ان الذين حقت عليهم ثبتت عليهم كلمة ربك
بانهم يموتون على الكفر ويخلدون في العذاب لا يؤمنون اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض
قضاؤه ولو جاءتهم كل آية فان السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادة الله تعالى به
مفقود حتى يروا العذاب الاليم وح لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون فلولا كانت قرية
آمنت فهلا كانت قرية من القرى التي اهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر
اليها كما اخر فرعون فنفعها ايمانها بان يقبله الله تعالى منها ويكشف العذاب عنها الا قوم
يونس لكن قوم يونس لما آمنوا اول ما رأوا امارة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله كشفنا
عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ويجوز ان يكون الجملة في معنى النفي حرف التخصيص معناه فيكون
الاستثناء متصلا لان المراد من القرى اهاليها كانه قال ما آمن اهل قرية من القرى العاصية
فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل ومتعناهم الى حين الى آجالهم
روي ان يونس عليه السلام بعث الى اهل نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم
بالعذاب الى ثلث وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد اغامت السماء غيما اسود ذا دخان
شديد فهبط حتى غشي مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا
المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة
وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا التوبة واظهروا الايمان
وتضرعوا الى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ولو شاء ربك
لآمن من في الارض كلهم بحيث لا يشذ منهم احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه
وهو دليل على القدرية في انه تعالى لم يشأ ايمانهم اجمعين وان من شاء ايمانه يؤمن لا محالة
والتقييد بمشيئة الالجاء خلاف الظاهر أفانت تكره الناس بما لم يشأ الله منهم حتى يكونوا
مؤمنين وترتيب الاكراه على المشية بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام للانكار وتقديم
الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشية مستحيل فلا يمكن تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن
الحث والتحريض عليه اذ روي انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت
ولذلك قرره بقوله وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله الا بارادته والطافه
وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى الله ويجعل الرجس العذاب او الخذلان فانه
سببه وقرئ بالزاء وقرأ ابو بكر ونجعل بالنون على الذين لا يعقلون لا يستعملون
عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد
الاول قوله قل انظروا اي تفكروا ماذا في السموات والارض من عجائب صنعه ليدلكم
على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل وما تغني
الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون في علم الله تعالى وحكمه وما نافية او استفهامية في
موضع النصب فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقائعهم ونزول

بأس الله بهم او لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقايعهم قل فانتظروا انى معكم
من المنتظرين لذلك او فانتظروا هلاكى انى معكم من المنتظرين هلاككم ثم ننجى رسلنا و
والذين امنوا عطف على محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك الامم
ثم ننجى رسلنا ومن امن بهم على حكاية الحال الماضية كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين كذلك
الانجاء او الانجا ننجى محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض
ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من ذلك قل يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ان كنتم
فى شك من دينى وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذى
يتوفيكم فهذا خلاصة دينى اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين
الانصاف لتعلموا صحتها وهو انى لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذى
هو يوجدكم ويتوفيكم وانما خص التوفى بالذكر للتهديد وامرت ان اكون من المؤمنين
بما دل عليه العقل ونطق به الوحى وحذف الجار من ان يجوز ان يكون من المطرد مع ان
وان يكون من غيره كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به وان اقم وجهك للدين
عطف على ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما فى الغرض لان
المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر لتدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر
منها والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة فى الدين والاستداد فيه باداء الفرايض والانتهاء
عن القبايح او فى الصلوة باستقبال القبلة حنيفا حال من الدين او الوجه ولا تكونن
من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك بنفسه ان دعوته او خذلته
فان فعلت فانك اذا من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر
عن تبعة الدعاء وان يمسسك الله بضر وان يصبك به فلا كاشف له يرفعه الا هو وانه
وان يردك بخير فلا راد فلا دافع لفضله الذى ارادك به ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس
مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما مسهم لا بالقصد
الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق
لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده يصيب به بالخير من يشاء من عباده وهو
الغفور الرحيم فتعرضوا الرحمة بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية قل يا ايها الناس
قد جاءكم الحق من ربكم رسوله او القران ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان والمتابعة
فانما يهتدى لنفسه لان نفعه لها ومن ضل بالكفر بهما فانما يضل عليها لان وبال
الضلال عليها وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الى امركم وانما انا بشير ونذير واتبع
ما يوحى اليك بالامتثال والتبليغ واصبر على دعوتهم وتحمل اذيتهم حتى يحكم الله بالنصرة
او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطاء فى حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه
على الظواهر عن النبى من قرأ سورة يونس اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق
بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود مكية وهى مائة وثلث وعشرون آية

آية بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب مبتدأ وخبر او كتاب خبر محذوف احكمت اياته
نظمت نظما محكما لا يعتريه اختلال من جهة اللفظ والمعنى او منعت من الفساد والنسخ
فان المراد ايات السورة وليس فيها منسوخ او احكمت بالحجج والدلايل او جعلت حكيمة
منقول من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية ثم فصلت
بالفوايد والاحكام والمواعظ والاخبار او بجعلها سورا او بانزال نجما نجما او فصل فيها
ولخص ما يحتاج اليه وقرى ثم فصلت اى فرقت بين الحق والباطل واحكمت اياته ثم فصلت
على البناء للمتكلم للتفاوت فى الحكم او للتراخى فى الاخبار من لدن حكيم خبير صفة اخرى لكتاب
او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت او فصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على اكمل ما ينبغى
باعتبار ما ظهر امره وما خفى الا تعبدوا الا الله لان لا تعبدوا وقيل ان مفسرة لان فى تفصيل
الايات معنى القول ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ للاغراء على التوحيد او الامر بالتبرى عن عبادة
الغير كانه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه او اتركوه تركا اننى لكم منه من الله نذير
وبشير بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد وان استغفروا ربكم عطف على
ان لا تعبدوا ثم توبوا اليه ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لا بد له من رجوع
وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان يكون ثم لتفاوت ما بين
الامرين يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم فى امن ودعة الى اجل مسمى هو اخر اعماركم المقدرة او لا
يهلككم بعذاب الاستيصال والارزاق والاجال وان كانت متعلقة بالاعمال لكنها مسماة
بالاضافة الى كل احد فلا تتغير ويؤت كل ذى فضل فضله ويعط كل ذى فضل فى دينه جزاء فضله
فى الدنيا وفى الاخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين وان تولوا وان تتولوا فانى اخاف
عليكم عذاب يوم كبير يوم القيمة وقيل يوم الشدايد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرى
وان تولوا من ولى الى الله مرجعكم رجوعكم فى ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس وهو على كل شى
قدير فيقدر على تعذيبهم اشد عذاب وكانه تقرير لكبر اليوم الا انهم يثنون صدورهم يثنونها
عن الحق وينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبى او يولون ظهورهم وقرى يثنونى
بالتاء والياء من اثنونى وهو بناء المبالغة وتثنون اصله تثنونن من الثن وهو الكلاء
الضعيف اراد به ضعف قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثنى وتثنئن من اثنان كابياض
بالهمزة ليستخفوا منه من الله بسرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه قيل انها نزلت
فى طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة
محمد كيف يعلم وقيل نزلت فى المنافقين وفيه نظر اذ الاية مكية والنفاق حدث بالمدينة
الا حين يستغشون ثيابهم الا حين يأوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم يعلم ما
يسرون فى قلوبهم وما يعلنون بافواههم يستوى فى علمه تعالى سرهم وعلنهم فكيف
يخفى عليه ما عسى يظهرونه انه عليم بذات الصدور بالاسرار ذات الصدور او بالقلوب
واحوالها وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة

وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه ويعلم مستقرها ومستودعها اماكنها
في الحيوة والممات او الاصلاب والارحام او مساكنها في الارض حين وجدت بالفعل
ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة كل كل واحد من الدواب واحوالها
في كتاب مبين مذكور في اللوح المحفوظ وكانه اريد بالاية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما
بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد
وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي خلقهما وما فيهما كما مر بيانه في الاعراف
او ما في جهتي العلو والسفل وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل
والذات دون السفليات وكان عرشه على الماء قبل خلقهما لم يكن حايل بينهما
لا انه كان موضوعا على متن الماء واستدل به على امكان الخلاء وان الماء اول حادث
بعد العرش من اجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك ليبلوكم
ايكم احسن عملا متعلق بخلق اي خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم
كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما تحتاج اليه اعمالكم
ودلايل وامارات تستدلون بها وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى
لما فيه من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار
الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبيح للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض
على الترقي دايما في مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك
قال النبي عليه السلام ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله والمعنى
ايكم اكمل علما وعملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا
ان هذا الا سحر مبين اي ما البعث او القول به او القران المتضمن لذكره الا كالسحر في الخديعة
والبطلان وقرا حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القايل وقرئ انكم بالفتح على تضمين
قلت معنى ذكرت وان يكون ان بمعنى علّ اي ولئن قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا
بعثكم ولا تبتوا بانكاره لعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في انكاره ولئن اخرنا عنهم العذاب
الموعود الى امة معدودة الى جماعة من الاوقات قليلة ليقولن استهزاء ما يحبسه ما يمنعه
من الوقوع الا يوم ياتيهم كيوم بدر ليس مصروفا عنهم ليس العذاب مرفوعا عنهم ويوم منصوب
بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها وحاق بهم واحاط بهم وضع
الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد ما كانوا به يستهزؤن اي العذاب
الذي كانوا به يستعجلون فوضع يستهزؤن موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء
ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه
ثم سلبنا تلك النعمة منه انه ليؤس قطوع رجاءه من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته به
كفور مبالغ في كفران ما سلف له من النعمة ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد
سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى ليقولن ذهب السيئات اي

اي المصائب التي ساءتني انه لفرح بطر بالنعم مغتر بها فخور على الناس مشغول عن الشكر
والقيام بحقها وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجده الانسان في الدنيا من النعم والمحن
كالانموذج لما يجده في الاخرة وانه يقع في الكفران والبطر بادنى شيء لان الذوق ادراك الطعم
والمس مبتدا الوصول الا الذين صبروا على الضراء ايمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا
الصالحات شكرا لالائه سابقها ولاحقها اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير اقله
الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام افاد الاستغراق
ومن حمله على الكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا فلعلك تارك بعض ما يوحى
اليك تترك تبليغ بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف راي المشركين مخافة ردهم
واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف
عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والتقية في التبليغ ههنا وضائق به صدرك وعارض
لك احيانا ضيق صدر بان تتلوه عليهم مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز ينفعه
في الاستتباع كالملوك او جاء معه ملك يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره ان يقولوا
انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك ولا عليك ردوا او اقترحوا
فما بالك يضيق به صدرك والله على كل شيء وكيل فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل
بهم جزاء اقوالهم وافعالهم ام يقولون افتراه ام منقطعة والهاء لما يوحى قل فاتوا بعشر
سور مثله في البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل الامر
عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد مفتريات مختلقات من عند
انفسكم ان صح اني اختلقته من عند نفسي فانكم عرب فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما اقدر
عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم وادعوا من استطعتم
من دون الله الى المعاونة على المعارضة ان كنتم صادقين انه مفترى فالم يستجيبوا لكم
باتيان ما دعوتم اليه وجمع الضمير اما للتعظيم الرسول او لان المؤمنين ايضا كانوا يتحدونهم
وكان امر الرسول متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل امر الا ما خصه الدليل
وللتنبيه على ان التحدي مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك
رتب عليه قوله فاعلموا انما انزل بعلم الله ملتبسا بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر عليه سواه
وان لا اله الا هو واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره
ولظهور عجز الهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه باعجازه عليه وفيه تهديد و
اقناط من ان يجيرهم من باس الله الهتهم فهل انتم مسلمون ثابتون على الاسلام راسخون
فيه مخلصون اذا تحقق عندكم اعجازه مطلقا ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين والضمير
في لم يستجيبوا لمن استطعتم اي فان لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم
القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله وانه منزل من عنده وان ما دعاكم
اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام

ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر من كان يريد
الحيوة الدنيا وزينتها باحسانه وبره نوف اليهم اعمالهم فيها نوصل اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا
من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء اي يوف الله
وبالتاء توف على البناء للمفعول ونوفي بالتخفيف وبالرفع لان الشرط ماض كقوله وان
اتاه كريم يوم مسغبة يقول لا غايب مالي ولا حرم وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون شيئا من
اجورهم والآية في اهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم اولئك الذين
ليس لهم في الاخرة الا النار مطلقا في مقابلة ما عملوا لانهم استوفوا ما يقتضيه صور اعمالهم
الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم السيئة وحبط ما صنعوا فيها لانه لم يبق له ثواب
في الاخرة او لم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص
ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا وباطل في نفسه ما كانوا يعملون
لانه لم يعمل على ما ينبغي وكان كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه مفعول
يعملون وما ابهامية او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من فيّ زور كلام وبطل على الفعل
افمن كان على بينة من ربه برهان من الله تعالى يدل على الحق والصواب فيما ياتيه ويذره
والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شانه هؤلاء المقصرين هممهم وافكارهم على الدنيا
وان يقارب بينهم في المنزلة وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر وتقديره افمن كان على بينة
كمن كان يريد الحيوة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي عليه السلام وقيل
مؤمنوا اهل الكتاب ويتلوه ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل شاهد منه
شاهد من الله يشهد بصحته وهو القران ومن قبله ومن قبل القران كتاب موسى يعني
التورية فانها ايضا تتلوه في التصديق او البينة هو القران ويتلوه من التلاوة و
والشاهد جبرئيل عليه السلام او لسان الرسول عليه السلام على ان الضمير له او من التلو
والشاهد ملك يحفظه والضمير في يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى
جملة مبتداء وقرئ كتاب بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه اي القران شاهد ممن كان
على بينة دلالة على انه حق كقوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل ويقرأ من قبل
القران التورية اماما كتابا مؤتما به في الدين ورحمة على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز
بخير الدارين اولئك اشارة الى من كان على بينة يؤمنون به بالقران ومن يكفر به
من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله فالنار موعده يردها لا محالة
فلا تك في مرية منه من الموعد او القران وقرئ مرية بالضم وهما الشك انه الحق من ربك
ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لقلة نظرهم واختلال فكرهم ومن اظلم ممن افترى على الله
كذبا كان اسند اليه ما لم ينزله او نفى عنه ما انزله اولئك يعرضون على ربهم في الموقف
بان يحبسوا وتعرض اعمالهم ويقول الاشهاد من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع
شاهد كاصحاب او شهيد كاشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين

على الظالمين تهويل عظيم مما يحيق بهم حين ظلمهم بالكذب على الله تعالى الذين يصدون عن سبيل الله
عن دينه ويبغونها عوجا يصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان
يعوجوا بالردة وهم بالاخرة هم كافرون والحال انهم كافرون بالاخرة وتكرير هم لتاكيد كفرهم
واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا معجزين الله في الدنيا ان
يعاقبهم وما كان لهم من دون الله من اولياء يمنعونهم من العقاب ولكنه اخر عقابهم الى هذا
اليوم ليكون اشد وادوم يضاعف لهم العذاب استيناف وقرا ابن كثير وابن
عامر ويعقوب يضعف بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم
له وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن ايات الله وكانه العلة لمضاعفة العذاب وقيل
هو بيان ما نفاه من ولاية الالهة بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء فان ما لا يسمع ولا يبصر
لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض اولئك الذين خسروا انفسهم
باشتراء عبادة الالهة بعبادة الله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها
او خسروا بما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم انهم
في الاخرة هم الاخسرون لا احد ابين واكثر خسرانا منهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
واخبتوا الى ربهم اطمانوا اليه وخشعوا له من الخبت وهي الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة
هم فيها خالدون دائمون مثل الفريقين الكافر والمؤمن كالاعمى والاصم والبصير والسميع يجوز
ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن ايات الله تعالى وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله
تعالى وتابيه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لان امره بالضد فيكون كل منهما
مشبها باثنين باعتبار وصفين او تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين
ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالايب فهذا من باب اللف
والطباق هل يستويان هل يستوي الفريقان مثلا تمثيلا او صفة او حالا افلا تذكرون بضرب الامثال
والتامل فيها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم باني لكم وقرا نافع وعاصم وابن عامر وحمزة
بالكسر على ارادة القول نذير مبين ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص ان لا تعبدوا
الا الله بدل من اني لكم او مفعول مبين ويجوز ان يكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او نذير
اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم مؤلم وهو في الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب
وزمانه على طريقة جد جده ونهارك صائم للمبالغة فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نريك
الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة وما نريك اتبعك الا الذين
هم اراذلنا اخساؤنا جمع ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر او ارذل جمع رذل
بادي الرأي ظاهر الرأي من غير تعمق من البدو او اول الرأي من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار
ما قبلها وقرأ ابو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف اي وقت حدوث
بادي الرأي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا
من الحيوة الدنيا كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل وما نرى لكم لك ولمتبعيك

علينا من فضل تؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة بل نظنكم كاذبين اياك في دعوى النبوة
واياهم في دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين قال يا قوم ارأيتم اخبروني ان
كنت على بينة من ربي حجة شاهدة بصحة دعواي واتاني رحمة من عنده بايتاء البينة او النبوة
فعميت عليكم فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان البينة في نفسها هي الرحمة او لان خفاءها
يوجب خفاء النبوة او على تقدير فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار او لانه لكل واحدة منهما وقرأ
حمزة والكسائي وحفص فعميت اي اخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله تعالى انلزمكموها انكرهكم
على الاهتداء بها وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتأملون فيها وحيث اجتمع ضميران
وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز في الثاني الفصل والوصل ويا قوم لا اسألكم
عليه على التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر مالا جعلا ان اجري الا على الله فانه المأمول
منه وما انا بطارد الذين آمنوا جواب لهم حين سألوا طردهم انهم ملاقوا ربهم فيخاصمون
طاردهم عنده او انهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم ولكني اريكم قوما تجهلون بلقاء ربكم
او باقدارهم او في التماس طردهم او تتسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل ويا قوم من ينصرني
من الله بدفع انتقامه ان طردتهم وهم بتلك الصفة والمثابة افلا تذكرون لتعرفوا ان
التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب ولا اقول لكم عندي خزائن الله رزقه
وامواله حتى جحدتم فضلي ولا اعلم الغيب عطف على عندي خزائن الله اي لا اقول لكم
انا اعلم الغيب حتى تكذبوني استبعادا او حتى اعلم ان هؤلاء اتبعوني بادي الرأي
من غير بصيرة ولا عقد قلب وعلى الثاني يجوز عطفه على اقول ولا اقول اني ملك حتى تقولوا
ما انت الا بشر مثلنا ولا اقول للذين تزدري اعينكم ولا اقول في شأن من استرذلتموهم
لفقرهم لن يؤتيهم الله خيرا فان ما اعد الله لهم في الآخرة خير مما آتاكم في الدنيا الله اعلم بما في انفسهم
اني اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه
قلبت تاؤه دالا لتجانس الزاي في الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة على انهم استرذلوهم
بادي الرؤية من غير روية وبما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تأمل في معانيهم
وكمالاتهم قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا فاطلته او اتيت بانواعه
فأتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين في الدعوى او الوعيد فان مناظرتك
لا تؤثر فينا قال انما يأتيكم به الله ان شاء عاجلا او آجلا وما انتم بمعجزين بدفع العذاب
او الهرب منه ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم شرط ودليل جواب والجملة دليل
جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم وتقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم
فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي ولذلك نقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت
الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا ان جدال الكلام
بلا طائل هو دليل على ان ارادة الله تعالى يصح تعلقها بالاغواء وانه خلاف مراده تعالى
محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك هو ربكم خالقكم والمتصرف

والمتصرف فيكم وفق ارادته واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتريه قل ان
افتريته فعلي اجرامي وباله وقرئ اجرامي على الجمع وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم في اسناد
الافتراء الي واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون
اقنطه الله من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء واصنع الفلك باعيننا
ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذي به يحفظ الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة
في الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل ووحينا اليك كيف تصنعها ولا تخاطبني في الذين ظلموا
فلا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل
الى كفه ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزؤا به لعمله
السفينة فانه كان يعملها في برية بعيدة من الماء اوان عزته فكانوا يضحكون فيه ويقولون له صرت
نجارا بعدما كنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون اذا اخذكم الغرق في الدنيا
والحرق في الآخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه يعني
اياهم وبالعذاب الغرق ويحل عليه وينزل او يحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه
عذاب مقيم دائم وهي عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما
حال من الضمير فيه او حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام وفار التنور نبع الماء فيه وارتفع كالقدر
بفورها والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها
او في الهند او بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض او اشرف موضع فيها
قلنا احمل فيها في السفينة من كل من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها زوجين اثنين ذكرا وانثى
هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين اي من كل صنف ذكر
وصنف انثى واهلك عطف على زوجين او اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم الا من سبق
عليه القول بانه من المغرقين والمراد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين ومن آمن والمؤمنين
من غيرهم وما آمن معه الا قليل قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام
وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم روي انه عليه السلام
اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلاثين
وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحوش وفي اوسطها الانس وفي اعلاها الطير وقال
اركبوا فيها اي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها في الماء كالمركوب في الارض بسم الله
مجريها ومرسيها متصل باركبوا حال من الواو اي اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت
اجرائها وارسائها او مكانهما على ان المجرى والمرسى للوقت او المكان او المصدر والمضاف محذوف
كقولهم خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما ببسم الله على ان المراد بهما المصدر
او جملة من مبتدأ وخبر اي اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبر او صلة والخبر محذوف وهي اما جملة مقتضبة
لا تعلق لها بما قبلها او حال مقدرة من الواو والهاء وروي انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله
فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله ثم اسم السلام

عليكما وقرأ حمزة والكسائي وعاصم برواية حفص مجريها بالفتح من جري وقرئ مرسيها ايضا من رسا
وكلاهما يحتمل الثلاثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله تعالى ان ربي لغفور رحيم
اي لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم وهي تجري بهم متصل بمحذوف دل عليه اركبوا اي
فركبوا مسمين وهي تجري وهم فيها في موج كالجبال في موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند
اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض
وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا
وان صح فلعل ذلك قبل التطبيق ونادى نوح ابنه كنعان وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير
لامرأته وكان ربيبه وقيل كان لغير رشدة لقوله تعالى فخانتاهما وهو خطأ اذ الانبياء عليهم السلام
عصمت من ذلك والمراد بالخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف
وكان في معزل عزل فيه نفسه عن ابيه او عن دينه مفعل للمكان من عزله اذا ابعده يا بني اركب معنا في السفينة
والجمهور كسروا الياء ليدل على ياء الاضافة المحذوفة في جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقف عليها في لقمان
في الموضع الاول باتفاق الرواة وفي الثالث في رواية قنبل وعاصم فانه فتح منها اقتصارا على الفتح
من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلف الرواية عنه في سائر المواضع وقد ادغم الباء في الميم ابو عمرو
والكسائي وحفص لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين في الدين او الانعزال قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء
ان يغرقني قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او الا مكان من رحمهم الله تعالى وهم
المؤمنون رد بذلك ان يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم اللائذ به الا معتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل
لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله تعالى في عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من رحمه الله يعصمه
وحال بينهما الموج بين نوح وابنه او بين ابنه والجبل فكان من المغرقين فصار من المهلكين بالماء وقيل
يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي نوديا بما ينادى به اولو العلم وامرا بما يؤمرون تمثيلا لكمال قدرته
وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالآمر المطاع الذي يأمر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة
من عظمته وخشية من اليم عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك وغيض الماء نقص وقضي الامر
وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين واستوت واستقرت السفينة على الجودي
جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمد روي انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر
المحرم فصام ذلك اليوم وصار سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا
وبعدا اذا بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية
في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي عن الاخلال
وايراد الاخبار على البناء للمفعول للدلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين في نفسه مستغن عن ذكره
اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لا يقدر عليها سوى الواحد القهار ونادى
نوح ربه واراد نداءه بدليل عطف قوله فقال رب ان ابني من اهلي فانه النداء وان وعدك
الحق وان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه خلف وقد وعدت ان تنجي اهلي فما حاله او فما له لم ينج
ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه وانت احكم الحاكمين لانك اعلم الحكام واعدلهم او لانك اكثر حكمة

حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع قال يا نوح انه ليس من اهلك لقطع الولاية
بين المؤمنين والكافرين واشار اليه بقوله انه عمل غير صالح فانه تعليل لنفي كونه من اهله واصله
انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة ترتع ما رتعت
حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما
وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرأ الكسائي ويعقوب انه عمل عملا غير صالح فلا تسألن
ما ليس لك به علم ما لا تعلم اصواب هو ام ليس كذلك وانما سمي نداءه سؤالا لتضمن ذكر الموعد
بنجاة اهله استنجازه في شأن ولده واستفسار المانع للانجاز في حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه
بقوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين لان الاستثناء من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال
واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر عليه وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون
الشديدة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون على ان اصله تسألنني فحذفت نون الوقاية
لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع اثباتها
في الوصل قال رب اني اعوذ بك ان اسألك فيما يستقبل ما ليس لي به علم ما لا علم لي بصحته والا تغفر لي
وان لم تغفر لي ما فرط مني من السؤال وترحمني بالتوبة والتفضل علي اكن من الخاسرين اعمالا قيل
يا نوح اهبط بسلام منا انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا او مسلما عليك وبركات
عليك ومباركا عليك او زيادات في نسلك حتى تصير آدم ثانيا وقرئ اهبط بالضم
وبركة على التوحيد وهي الخير النامي وعلى امم ممن معك وعلى امم هم الذين معك سموا امما لتحزبهم
او لتشعب الامم منهم او وعلى امم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون لقوله وامم سنمتعهم
اي وممن معك امم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم منا عذاب اليم في الآخرة والمراد بهم الكفار
من ذرية من معه وقيل قوم هود وصالح ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم تلك اشارة
الى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها من انباء الغيب اي بعضها نوحيها اليك خبر ثان
والضمير لها اي موحاة اليك او حال من الانباء او هو الخبر ومن انباء متعلق به او حال من الهاء
ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا خبر آخر اي مجهولة عندك وعند قومك من قبل
ايحائنا اليك او حال من الهاء في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك بها
وفي ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف بواحد منهم
فاصبر على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح ان العاقبة في الدنيا بالظفر وفي الآخرة
بالفوز للمتقين عن الشرك والمعاصي والى عاد اخاهم عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف
بيان قال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره وقرئ بالجر حملا على المجرور وحده ان انتم
الا مفترون على الله تعالى باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء يا قوم لا اسألكم عليه اجرا
ان اجري الا على الذي فطرني خاطب كل رسول به قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها لا
تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل
والصواب من الخطأ ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اطلبوا مغفرة الله تعالى بالايمان ثم توسلوا

اليه بالتوبة وايضا التبري عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة فيما عنده يرسل السماء
عليكم مدرارا كثير الدر ويزدكم قوة الى قوتكم ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة
القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله تعالى عنهم القطر واعقم ارحام
نسائهم ثلث سنين فوعدهم هود عليه السلام على الايمان والتوبة بكثرة الامطار وتضاعف
القوة بالتناسل ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على اجرامكم
قالوا يا هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم
بما جاءهم من المعجزات وما نحن بتاركي آلهتنا بتاركي عبادتهم عن قولك صادرين عن قولك
حال من الضمير في بتاركي وما نحن لك بمؤمنين اقناط له من الاجابة والتصديق
ان نقول الا اعتراك ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك من عراه يعروه اذا اصابه
بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات
والجملة مفعول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ قال اني اشهد الله واشهدوا
اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اجاب به عن مقالتهم الحمقاء
بان اشهد الله على برائته من آلهتهم وفراغه عن اضرارهم تأكيدا لذلك وتثبيتا له وامرهم بان
يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد في اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا
فيه ورأوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه لم يبق لهم شبهة ان آلهتهم
التي هي جماد لا تضر ولا تنفع لا تتمكن من اضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة
الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله
تعالى وتثبطهم عن اضراره ليس الا لعصمته اياه ولذلك عقبه بقوله اني توكلت على الله ربي
وربكم تقريرا له والمعنى انكم وان بذلتم غاية وسعكم لم تضروني فاني متوكل على الله واثق بكلائه
وهو مالكي ومالككم لا يحيق بي ما لم يرده ولا تقدرون على ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله ما من دابة
الا هو آخذ بناصيتها اي الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصي
تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم اي انه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته
ظالم فان تولوا فان تتولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم فقد اديت ما علي من الابلاغ
والزام الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما
غيركم استئناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما آخرين في ديارهم واموالهم
او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع وكأنه قيل وان تتولوا يعذرني
ويستخلف ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر ومن جزم يستخلف اسقط النون منه
ان ربي على كل شيء حفيظ رقيب فلا تخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ مستول
عليه فلا يمكن ان يضره شيء ولما جاء امرنا عذابنا او امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين
آمنوا معه برحمة منا وكانوا اربعة آلاف ونجيناهم من عذاب غليظ تكرير لبيان ما نجاهم
عنه وهو السموم كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم او المراد به تنجيتهم

تنجيتهم من عذاب الآخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون
في الآخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة
الى قبورهم وآثارهم جحدوا بآيات ربهم كفروا بها وعصوا رسله لانهم عصوا رسولهم ومن عصى
رسولا فكانما عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول واتبعوا امر كل جبار عنيد يعني كبرائهم
الطاغين وعنيد من عند عندا وعنودا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان
وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اي
جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم في العذاب الا ان عادا كفروا ربهم جحدوه او
كفروا النعمة او كفروا به فحذف الجار الا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم
كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بما حكي عنهم وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار
بحالهم قوم هود عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم من عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم
للبعد بما جرى بينهم وبين هود والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
هو انشأكم من الارض هو كونكم منها لا غيره فانه خلق آدم ومواد النطف التي خلق نسله
منها من التراب واستعمركم فيها عمركم فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل
هو من العمرى بمعنى اعمركم دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها
مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب قريب الرحمة مجيب لداعيه
قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون
لنا سيدا او مستشارا في الامور او ان توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع
رجاؤنا عنك اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا على حكاية الحال الماضية واننا لفي شك مما
تدعونا اليه من التوحيد والتبري عن الاوثان مريب موقع في الريبة من اراب به او ذي ريبة
على الاسناد المجازي من اراب في الامر قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي بيان
وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين وآتاني منه رحمة نبوة فمن ينصرني من الله فمن
يمنعني من عذابه ان عصيته في تبليغ رسالته عن الاشراك به فما تزيدونني اذن باستتباعكم
اياي غير تخسير غير ان تخسروني بابطال ما منحني الله به والتعرض لعذابه او فما تزيدونني بما تقولون
لي غير ان انسبكم الى الخسران ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية انتصاب آية على الحال وعاملها
معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها فذروها تأكل في ارض الله ترع نباتها
وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء الا يسيرا وهو ثلثة ايام فعقروها فقال تمتعوا في داركم
عيشوا في منازلكم او في داركم الدنيا ثلثة ايام الاربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون ذلك
وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه
سليما وعامرا او غير مكذوب على المجاز وكأن الواعد قال له اني بك فان وفي به صدقه والا
كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا
معه برحمة منا ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم

فيأخذكم عذاب قريب عاجل لا يستأخر عن مسكم لها بسوء صح

وفضيحتهم يوم القيمة وعن نافع يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه هنا
وفي المعارج في قوله تعالى من عذاب يومئذ ان ربك هو القوي العزيز القادر على كل شيء
والغالب عليه واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين قد سبق تفسير ذلك
في سورة الاعراف كان لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم نونه ابو بكر هنا وفي النجم والكسائي
في جميع القران وابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو وفي قوله الا بعدا لثمود ذهابا الى الحي
او الاب الاكبر ولقد جاءت رسلنا ابرهيم يعني الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلثة جبرئيل
وميكائيل واسرافيل بالبشرى ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط قالوا سلاما سلمنا
عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما قال سلام اي امركم سلام او جوابي
سلام او وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرا حمزة والكسائي سلم وكذلك
في الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فما
ابطاء مجيئه به او فما ابطاء في المجيء به او فما تاخر عنه والجار مقدر او محذوف والحنيذ المشوي بالرضف
وقيل الذي يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال لقوله بعجل سمين فلما راى ايديهم
لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم نكرهم واوجس منهم خيفة انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا
به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك وقيل الاضمار قالوا له لما احسوا منه اثر
الخوف لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه ايدينا
لانا لا ناكل وامراته قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم او على رؤسهم للخدمة فضحكت سرورا
بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد او باصابة رايها فانها كانت تقول لابرهيم عليه السلام
اضمم اليك لوطا فاني اعلم ان العذاب ينزل بهذا القوم وقيل فضحكت فحاضت قال وعهدي
بسلمى ضاحكا في لبانة ولم يعد حقا ثديها ان تحلما ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح
الحاء فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره
ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب وقيل انه معطوف على موضع باسحق
او على لفظ اسحق وفتحته للجر فانه غير منصرف ورد للفصل بينه وبين ما عطف عليه بالظرف
وقرا الباقون بالرفع على انه مبتدا خبره الظرف اي ويعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولد الولد
ولعله سمي به لانه بعد الولد وعلى هذا يكون اضافته الى اسحق ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل من
حيث انه وراء ابرهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما في
الحكاية بعد ان ولدا فسميا به وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها ولانها
كانت عقيمة حريصة على الولد قالت يا ويلتا يا عجبا واصله في الشر فاطلق في كل امر فظيع
وقرئ بالياء على الاصل االد وانا عجوز ابنة تسعين او تسع وتسعين وهذا بعلي زوجي واصله
القائم بالامر شيخا ابن مائة او مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل فيها معنى اسم الاشارة
وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اي هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل ان هذا لشيء
عجيب يعني الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك قالوا

قالوا اتعجبين من امر الله رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت منكرين عليها فان خوارق العادات
باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع
ولا حقيق بان يستغربه عاقل فضلا عمن نشات وشابت في ملاحظة الآيات واهل البيت
نصب على المدح او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة انه حميد فاعل ما يستوجب
به الحمد مجيد كثير الخير والاحسان فلما ذهب عن ابرهيم الروع اي ما اوجس من الخيفة واطمان قلبه بعرفانهم
وجاءته البشرى بدل الروع يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا في شانهم ومجادلته اياهم قوله
ان فيها لوطا وهو اما جواب لما جيء به مضارعا على حكاية الحال او لانه في سياق الجواب بمعنى الماضي
كجواب لو او دليل جوابه المحذوف مثل اجترا على خطابنا او شرع في جدالنا او متعلق به اقيم
مقامه مثل اخذ او اقبل يجادلنا ان ابرهيم لحليم غير عجول على الانتقام من المسيء اليه اواه كثير التاوه
من الذنوب والتاسف على الناس منيب راجع الى الله تعالى والمقصود من ذلك
بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترحمه يا ابرهيم على ارادة القول اي قالت
الملائكة يا ابرهيم اعرض عن هذا الجدال انه قد جاء امر ربك قدره بمقتضى قضائه الازلي
بعذابهم وهو اعلم بحالهم وانهم اتيهم عذاب غير مردود غير مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك
ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم لانهم جاؤا في صورة غلمان فظن انهم اناس
فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم وضاق بهم ذرعا وضاق بمكانهم صدره
وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقال هذا يوم
عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون اليه كانهم يدفعون
دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات
الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين قال يا قوم هؤلاء
بناتي فدا بهن اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن من قبل
لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع طار او مبالغة في تناهي خبث
ما يرومونه حتى ان ذلك اهون منه او اظهار الشدة امتعاضه من ذلك كي يرقوا له وقيل
المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبي ابو امته من حيث الشفقة والتربية وفي حرف ابن
مسعود وازواجه امهاتهم وهو اب لهم هن اطهر لكم انظف فعلا او اقل فحشا كقولك
الميتة اطيب من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر بالنصب على ان هن خبر بناتي كقولك
هذا اخي هو لا فصل فانه لا يقع بين الحال وصاحبها فاتقوا الله بترك الفواحش او بايثار
هن عليهم ولا تخزون ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية بمعنى الحياء في ضيفي
في شانهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه اليس منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق ويرعوي
عن القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق من حاجة وانك لتعلم ما نريد وهو اتيان
الذكران قال لو ان لي بكم قوة لو قويت بنفسي على دفعكم او اوي الى ركن شديد الى قوي
اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في شدته وعن النبي عليه السلام رحم الله اخي لوطا كان ياوي

الى ركن شديد وقرئ او آوي بالنصب باضمار ان كانه قال لو ان لي بكم قوة او اوياً
وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم روي انه اغلق بابه دون اضيافه واخذ
يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب
قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهون
عليك ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبرائيل بجناحه وجوههم فطمس اعينهم
واعماهم فخرجوا يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط سحرة فاسر باهلك بالقطع من الاسراء
وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث جاء في القرآن من السرى بقطع من الليل بطائفة منه
ولا يلتفت منكم احد ولا يتخلف او لا ينظر احد الى ورائه والنهي في اللفظ لاحد وفي المعنى
للوط الا امرأتك استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ فاسر باهلك
بقطع من الليل الا امرأتك وهذا انما يصح بتأويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر
بالنظر الى الوراء في الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير ونافع وابي عمرو بالرفع على البدل
من احد ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين في انه خلفها مع قومها او اخرجها فلما سمعت
صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها لان القواطع لا يصح
حملها على المعاني المتناقضة والاولى جعل الاستثناء في القراءتين على قوله تعالى لا يلتفت
مثله في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل ولا بعد ان يكون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم
من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله
انه مصيبها ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح كانه علة
الامر بالاسراء أليس الصبح بقريب جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب فلما جاء امرنا
عذابنا او امرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله جعلنا عاليها سافلها فانه
جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها اي الملائكة المأمورون به فاسنده الى نفسه من حيث انه المسبب
تعظيما للامر فانه روي ان جبرائيل عليه السلام ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع
اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وامطرنا عليها على المدن او على شذاذها حجارة
من سجيل من طين متحجر لقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل انه من اسجله اذا ارسله
او ادر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل او من مثل العطية في الادرار او من السجل اي مما كتب الله
ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت نونه لاما منضود نضد معدا لعذابهم او نضد
في الارسال يتتابع بعضه بعضا كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض والصق به مسومة معلمة
للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيماء تتميز به عن حجارة الارض او باسم من يرمى به عند ربك
في خزائنه وما هي من الظالمين ببعيد فانهم بظلمهم حقيق بان يمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه السلام
انه سأل جبرائيل فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة
الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في اسفارهم الى الشام وتذكير
البعيد على تأويل الحجر او المكان والى مدين اخاهم شعيبا اراد اولاد مدين بن ابراهيم او اهل

يسومونكم سوء العذاب ه اربعونكم

الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال ويذبحون ابناءكم ويستحيون
نساءكم احوال من آل فرعون او من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة
البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثمة ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو اما
جنس العذاب او استعبادهم واستعمالهم في الاعمال الشاقة وفي ذلكم من حيث انه
باقدار الله اياهم وامهالهم فيه بلاء من ربكم عظيم ابتلاء منه ويجوز ان يكون الاشارة
الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة واذ تأذن ربكم ايضا من كلام موسى عليه السلام وتأذن
بمعنى آذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة لئن
شكرتم يا بني اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح
لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ان عذابي لشديد فلعلي اعذبكم على الكفران عذابا
شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مقول
قول محذوف او مفعول تأذن على انه يجري مجرى قال لانه ضرب منه وقال موسى
ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا من الثقلين فان الله لغني عن شكركم حميد مستحق
للحمد في ذاته محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمته ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفران
الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد ألم يأتكم نبأ الذين
من قبلكم قوم نوح من كلام موسى او كلام مبتدأ من الله وعاد وثمود والذين من بعدهم
لا يعلمهم الا الله جملة وقعت اعتراضا او الذين من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم
اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود رضي الله
كذب النسابون جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم فعضوها غيظا
مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه او استهزاء
عليه كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم باطباق الافواه او اشاروا بها
الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها على ان لا جواب لهم سواه او ردوها
في افواه الانبياء يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي
اي ردوا ايادي الانبياء التي هي مواعظهم وما اوحي اليهم من الحكم والشرائع في افواههم
لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردوها الى حيث جاءت منه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به
على زعمكم وانا لفي شك مما تدعوننا اليه من الايمان وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع في الريبة
او ذي ريبة وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى شيء قالت رسلهم أفي الله شك ادخلت
همزة الانكار على الظرف لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك اي انما ندعوكم الى الله تعالى
وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه واشاروا الى ذلك بقوله
فاطر السموات والارض وهو صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف يدعوكم الى الايمان
ببعثه ايانا ليغفر لكم او يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرني على اقامة المفعول له
مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه فان الاسلام يجبه دون المظالم

الذرات جمع ذرة وهي اصغر النمل

وعاد وثمود م

البعض

وقيل جيء بمن في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القران تفرقة بين الخطابين
ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الايمان وحيث
جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول
الخروج عن المظالم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه الله تعالى وجعله اخر اعماركم قالوا ان انتم
الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر
رسلا لبعث من جنس افضل تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا بهذه الدعوة
فاتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية او على صحة ادعائكم النبوة
كانهم لم يعتبروا ما جاؤا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم اية اخرى تعنتا ولجاجا قالت
لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده سلموا مشاركتهم
في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة
عطائية وان ترجح بعض الجائزات على بعض بمشية الله تعالى وما كان لنا ان ناتيكم
بسلطان الا باذن الله اي ليس الينا الاتيان بالايات ولا تستبد به استطاعتنا
حتى ناتي بما اقترحتموه وانما هو امر يتعلق بمشية الله تعالى فيخص كل نبي بنوع من الايات
وعلى الله فليتوكل المؤمنون فلنتوكل عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر للاشعار
بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا الا ترى قوله وما لنا الا نتوكل
على الله اي اي عذر لنا في ان لا نتوكل وقد هدانا سبلنا التي بها نعرفه ونعلم ان الامور
كلها بيده وقرا ابو عمرو بالتخفيف ههنا وفي العنكبوت ولنصبرن على ما اذيتمونا جواب
قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم وعلى الله فليتوكل
المتوكلون فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم وقال الذين
كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا حلفوا على ان يكون احد الامرين اما
اخراجهم للرسول او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز
ان يكون الخطاب لكل رسول ولمن امن معه فغلبوا الجماعة على الواحد فاوحى اليهم ربهم
اي الى رسلهم لنهلكن الظالمين على اضمار القول او اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه ولنسكننكم
الارض من بعدهم اي ارضهم وديارهم كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقولك
اقسم زيد ليخرجن ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين
لمن خاف مقامي موقفي وهو موقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيمة او قيامي
عليه وحفظي لاعماله وقيل المقام مقحم وخاف وعيدي اي وعيدي بالعذاب او عذابي الموعود
للكفار واستفتحوا سالوا من الله الفتح على اعدائهم او القضاء بينهم وبين اعدائهم من الفتاحة
كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فاوحى والضمير للانبياء وقيل
للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم سالوه ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر

حكومت

الامر عطف على لنهلكن وخاب كل جبار عنيد ففتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل جبار
عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او
من القبيلين كان اوقع من ورائه جهنم اي من بين يديه فانه مرصد لها واقف على شفيرها
في الدنيا مبعوث اليها في الاخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى
من ماء عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى صديد عطف بيان
لماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه وهو صفة لماء او حال من الضمير
في يسقى ولا يكاد يسيغه ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه
والتسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس ويأتيه الموت من كل مكان اي
اسبابه من الشدائد فيحيط به من جميع الجوانب وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول
شعره وابهام رجله وما هو بميت فيستريح ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اي يستقبل
في كل وقت عذابا اشد مما هو عليه وقيل هو الخلود في النار وقيل حبس الانفاس وقيل الاية منقطعة
عن قصة الرسل نازلة في اهل مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر في سنيهم التي ارسل الله عليهم بدعوة رسوله
فخيب رجاءهم فلم يسقهم ووعدهم ان يسقيهم في جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار مثل الذين كفروا
بربهم مبتدا خبره محذوف اي فيما يتلى عليكم صفتهم التي هي مثل في الغرابة او قوله اعمالهم كرماد وهي على
الاول جملة مستانفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر اشتدت به الريح حملته واسرعت
الذهاب به وقرا نافع الرياح في يوم عاصف العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقوله
نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب
ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها لبنائها على غير اساس من معرفة الله والتوجه بها اليه او اعمالهم
للاصنام برماد طيرته الريح العاصف لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على شيء لحبوطه
فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل ذلك اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم محسنون
هو الضلال البعيد فانه الغاية في البعد عن طريق الحق الم تر خطاب للنبي عليه السلام والمراد به امته
وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين ان الله خلق السموات والارض بالحق بالحكمة والوجه الذي
يحق ان يخلق عليه وقرا حمزة والكسائي خالق السموات ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد
يعدمكم ويخلق خلقا اخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والارض استدلالا به عليه
فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطباع قادر ان
يبدلهم بخلق اخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه
قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شانه كان حقيقا بان يؤمن به
ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء وبرزوا لله جميعا اي يبرزون من قبورهم
يوم القيمة لامر الله ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون
انها تخفى على الله فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه
فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأي وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم

الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم
انا كنا لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب
او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف فهل انتم مغنون عنا دافعون عنا من عذاب
الله من شيء من الاولى للبيان والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اى بعض الشيء الذي هو عذاب
الله والاعراب ما سبق ويحتمل ان يكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اى فهل انتم مغنون
بعض الغناء بعض العذاب قالوا اى الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا
بهم لو هدانا الله للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم اى اخترنا لكم ما
اخترنا لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضناه
لكم لكن سد دوننا طريق الخلاص سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر
ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول وهو يحتمل ان يكون مكانا
كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ما
روى انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون
كذلك ثم يقولون سواء علينا وقال الشيطان لما قضي الامر احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة
واهل النار النار خطيبا في الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق من حقه ان ينجز
او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب
وان كانا فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه وما كان
لي عليكم من سلطان تسلط فالجأكم الى الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم اليها بتسويلي
وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثناء
منقطعا فاستجبتم لي اسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوسوستي فان من صرح العداوة لا يلام
بامثال ذلك ولوموا انفسكم حيث اطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت
المعتزلة بامثاله على استقلال العبد بافعاله وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفي لصحتها ان يكون
لقدرة العبد مدخل في فعله وهو الكسب الذي يقوله اصحابنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب
وما انتم بمصرخي بمغيثي وقرأ حمزة بكسر الياء على الاصل في التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض
في مثله لما فيه اجتماع يائين وثلث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها
الف فبالحرى ان لا تكسر وقبلها ياء او على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء
والكاف في ضربته واعطيتكه وحذف الياء اكتفاء بالكسر اني كفرت بما اشركتمون من قبل
ما اما مصدرية ومن متعلقة باشركتمون اى كفرت اليوم باشراككم اياى من قبل هذا اليوم اى في
الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم او موصولة بمعنى من نحو ما
في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اى كفرت بالذي اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم
اياى فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت امره بالسجود لادم
واشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلام

تتمة كلامه او ابتداء كلام من الله تعالى وفي حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم
حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم باذن الله وامره والمدخلون هم الملائكة
وقرئ ادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلق بقوله تحيتهم فيها سلام اى تحييهم الملائكة
بالسلام باذن ربهم الم تر كيف ضرب الله مثلا كيف اعتمده ووضعه كلمة طيبة كشجرة
طيبة اى جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان يكون كلمة
بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدأ محذوف اى هي كشجرة وان يكون اول مفعولي ضرب
اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء اصلها ثابت في الارض ضارب
بعروقه فيها وفرعها واعلاها في السماء ويجوز ان يريد وفروعها اى افنانها على الاكتفاء
بلفظ الجنس لاكتساب الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك
قيل انه اقوى ولعل الثاني ابلغ تؤتي اكلها تعطي ثمرها كل حين اوقته الله لاثمارها باذن ربها
بارادة خالقها وتكوينه ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها
زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني وادناء لها من الحس ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة كمثل شجرة
خبيثة اجتثت استؤصلت واخذت جثتها بالكلية من فوق الارض لان عروقها
قريبة منه ما لها من قرار استقرار واختلف في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة
بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله والدعاء الى الكفر
وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعا الى صلاح
والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروى ذلك
مرفوعا وبشجرة في الجنة والخبيثة بالحنظلة والكشوث ولعل المراد بهما ايضا ما يعم ذلك يثبت الله
الذين امنوا بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم في الحيوة الدنيا فلا يزالون
اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمعون والذين فتنهم اصحاب الاخدود
وفي الاخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف ولا تدهشهم اهوال القيمة
وروى انه ذكر قبض ارواح المؤمنين فقال يعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه
في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام
ونبيي محمد عليه الصلوة والسلام فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك
قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين ظلموا انفسهم
بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن ويفعل الله
ما يشاء من تثبيت بعض واضلال اخرين من غير اعتراض عليه الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله
كفرا اى شكر نعمته كفرا بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت
منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله واسكنهم حرمه وجعلهم
قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد عليه السلام فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين

النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي رضي الله عنهما هم الافجران من قريش بنوا المغيرة وبنوا امية واما بنوا المغيرة فكفيتموهم يوم بدر

واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اولاد ... مسلوبين واما بنوا امية فمتعوا الى حين واحلوا
قومهم الذين شايعوهم في الكفر دار البوار دار الهلاك بحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها
يصلونها حال منها او من القوم اي داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسر لفعل مقدر ناصب
لجهنم وبئس القرار اي بئس المقر جهنم وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله الذي هو التوحيد
وقرا ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح اليا وليس الضلال والاضلال غرضهم
في اتخاذ الانداد ولكن لما كان نتيجته جعل كالغرض قل تمتعوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان
فانها من قبيل الشهوات التي تمتع بها وفي التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب
لافضائه الى المهدد به وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله فان مصيركم
الى النار وان المخاطب لانهماكه فيه كالمامور به من امر مطاع قل لعبادي الذين آمنوا خصهم
بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لحقوق العبودية ومقول قل محذوف يدل عليه
جوابه اي قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلوة يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم فيكون
ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له
ويجوز ان يقدر بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن في قوله محمد
تفد نفسك كل نفس اذا خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا
مقامين مقامهما وهو ضعيف لانه لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب
بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا سرا وعلانية منتصبان على المصدر اي انفاق سر وعلانية
او على الحال اي ذوي سر وعلانية او على الظرف اي وقتي سر وعلانية والاحب اعلان الواجب
واخفاء المتطوع به من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفتدي
به نفسه ولا خلال ولا مخالة فيشفع له خليل او من قبل يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما
ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفي العام
الله الذي خلق السموات والارض مبتدا وخبره وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات
رزقا لكم تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له حال منه
ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة او المصدر لان اخرج في معنى
رزق وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره بمشيئته الى حيث توجهتم وسخر لكم الانهار فجعلها
معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها وسخر لكم الشمس والقمر
دائبين يدأبان في سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحان من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان
لسباتكم ومعاشكم وآتاكم من كل ما سألتموه اي بعض جميع ما سألتموه يعني من كل شيء سألتموه
شيئا فان الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله ولعل المراد بما سألتموه ما كان حقيقا
بان يسئل لاحتياج الناس اليه سئل او لم يسئل وما يحتمل ان يكون موصولة وموصوفة
ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين اي وآتاكم من كل شيء
ما احتجتم اليه وسألتموه بلسان الحال اي وآتاكم من كل شيء غير سائليه وان تعدوا نعمة الله

وانفقوا م

ان يأتي م

اصلاح م

ويجوز ان يكون ما نافية في موضع الحال م

نعمة الله لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عد انواعها فضلا عن افرادها فانها غير متناهية وفيه
دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها
او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان كفار شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو
ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد بلد مكة آمنا
ذا امن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسؤول في الاول ازالة الخوف
عنه وتصييره آمنا وفي الثاني جعله من البلاد الآمنة واجنبني وبني بعدني واياهم ان نعبد
الاصنام واجعلنا منها في جانب وقرئ واجنبني وهما لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون
جنبني شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بتوفيق الله وحفظه اياهم وهو بظاهره لا يتناول
احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل لم تعبد الصنم محتجا به وانما كانت
لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو
بمنزلته رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فلذلك سالت منك
العصمة واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية
كقوله وغرتهم الحيوة الدنيا فمن تبعني على ديني فانه مني اي بعضي لا ينفك عني في امر
الدين ومن عصاني فانك غفور رحيم تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل
على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعد فرق بينه وبين غيره ربنا
اني اسكنت من ذريتي اي بعض ذريتي او ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهم اسمعيل
ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم بواد غير ذي زرع يعني وادي مكة فانها حجرية
لا تنبت عند بيتك المحرم الذي حرمت التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممتنعا
تهابه الجبابرة او منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا اي اعتق منه ودعا بهذا
الدعاء اول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان او ما سيؤول اليه روي ان هاجر كانت
لسارة فوهبتها من ابرهيم عليه السلام فولدت منه اسمعيل فغارت عليهما فناشدته
ان يخرجهما من عندها الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم راوا ثمة طيورا
فقالوا لا طير الا على الماء فقصدوه فراوهما وعندهما عين فقالوا اشركينا في مائك نشركك
في البانا ففعلت ربنا ليقيموا الصلوة اللام لام كي وهي متعلقة باسكنت اي
ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلاة عند بيتك
المحرم وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصود بالذات من اسكانهم ثمة والمقصود
من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الدعاء لهم باقامة الصلوة كانه طلب منهم
الاقامة وسال الله ان يوفقهم لها فاجعل افئدة من الناس ومن للتبعيض ولذلك
قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم وتحجت اليهود والنصارى
او للابتداء كقولك القلب مني سقيم اي افئدة ناس وقرئ آفدة على القلب
كآدر في ادؤر وان يكون اسم ... وقرئ آفدة وهو يحتمل ان يكون مقلوب افئدة كآدر في ادؤر وان يكون اسم

فمن تبعني م

فانه مني م

ومن عصاني م

هاجر جهام م

اي افئدة من افئدة الناس م

فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اى جماعة يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة للتخفيف وان
كان الوجه فيه بين بين ويجوز ان يكون من افد تهوى اليهم تسرع اليهم شوقا ووِدادًا
وقرئ تهوى على البناء للمفعول من هوى اليه غيره وتهوى من هوى يهوى اذا احب
وتعديته بالى لتضمن معنى النزوع وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا لا نبات فيه
لعلهم يشكرون تلك النعمة فاجاب الله دعاءه فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شىء
حتى توجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم واحد ربنا انك تعلم ما نخفى
وما نعلن اى تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا
بانفسنا فلا حاجة الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك واستعجالا
لنيل ما عندك وقيل ما نخفى من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير
النداء للمبالغة فى التضرع واللجاء الى الله وما يخفى على الله من شىء فى الارض ولا فى السماء
لانه العالم بعلم ذاتى يستوى نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق الحمد لله الذى وهب لى
على الكبر اى وهب لى وانا كبير آيس من الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيه
اسمعيل واسحق روى انه ولد له اسمعيل وله تسع وتسعون سنة واسحق لمائة وثنتى عشرة
سنة ان ربى لسميع الدعاء اى لمجيبه من قولك سمع الملك كلامى اذا اعتد به من ابنية المبالغة
العاملة عمل فعل اضيف الى مفعوله او فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله على المجاز وفيه
اشعار بانه دعا ربه وسأل منه الولد فاجابه ووهب سؤله حين ما وقع اليأس منه
ليكون من اجل النعم واجلاها رب اجعلنى مقيم الصلوة معدلا لها مواظبا عليها
ومن ذريتى عطف على المنصوب فى اجعلنى والتبعيض لعلمه باعلام الله او استقراء عادته
فى الامم الماضية انه يكون فى ذريته كفار ربنا وتقبل دعاء اى وتقبل عبادتى ربنا اغفر لى
ولوالدى وقرئ ولابوى وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل اراد به آدم وحواء وللمؤمنين
يوم يقوم الحساب يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق
او يقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه قيامهم مجازا ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل
الظالمون خطاب لرسول الله عليه السلام والمراد به تثبيته على ما كان عليه من انه مطلع على
احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعد بانه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة او لكل من توهم
غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم انما يؤخرهم
يؤخر عذابهم وعن ابى عمرو بالنون ليوم تشخص فيه الابصار اى تشخص ابصارهم فلا تقر
فى اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعى او مقبلين بابصارهم لا يطرفون
هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشىء مقنعى رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم
بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف او لا ترجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم
هواء خلاء اى خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحمق والجبان قلبه هواء
اى لا رأى فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء وقيل خالية عن الخير خاوية

من آلائه

وهو ص

واستجب دعائى ص

خاوية عن الحق وانذر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب يعنى يوم القيمة او يوم الموت
فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول ثان لانذر فيقول الذين ظلموا بالشرك والتكذيب
ربنا اخرنا الى اجل قريب اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان
قريب او اخر آجالنا وابقنا مقدار ما نؤمن بك نجب دعوتك ونتبع الرسل
جواب الامر ونظيره لولا اخرتنى الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين اولم تكونوا
اقسمتم من قبل ما لكم من زوال على ارادة القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب
على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون فى الدنيا لا تزالون بالموت
ولعلهم اقسموا بطرا وغرورا او دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل
اقسموا انهم لا ينتقلون الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لا يزالون عن تلك الحالة الى حالة
اخرى كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وسكنتم فى مساكن
الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصى كعاد وثمود واصل سكن ان يعدى بفى كقر
وغنى واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء فيجرى مجراه كقوله سكنت الدار وتبين لكم كيف
فعلنا بهم بما تشاهدونه فى منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم
وضربنا لكم الامثال من احوالهم اى بينا لكم انكم مثلهم فى الكفر واستحقاق العذاب او صفات
ما فعلوا وفعل بهم التى هى فى الغرابة كالامثال المضروبة وقد مكروا مكرهم المستفرغ فيه
جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل وعند الله مكرهم ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم
عليه او عنده ما يمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالا له وان كان مكرهم فى العظم والشدة لتزول
منه الجبال مسوى لازالة الجبال ومعدا لذلك وقيل ان فيه نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما
كان الله ليعذبهم على ان الجبال مثل لامر النبى عليه السلام ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى
انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله وشرائعه وقرأ
الكسائى لتزول بالفتح والرفع على انها المخففة واللام هى الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم
وقرئ بالفتح والنصب على لغة من فتح لام كى وقرئ وان كاد مكرهم فلا تحسبن الله
مخلف وعده رسله مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلى واصله مخلف
رسله وعده فقدم المفعول الثانى ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف
الميعاد واذا لم يخلف وعده احدا فكيف يخلف رسله ان الله عزيز غالب لا يماكر
قادر لا يدافع ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض غير الارض بدل
من يوم يأتيهم او ظرف للانتقام او مقدر باذكر او لا يخلف وعده ولا يجوز
ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده والسموات عطف على الارض
وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون فى الذات كقولك بدلت الدراهم
بالدنانير وعليه بدلناهم جلودا غيرها وفى الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها
وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات والآية تحتملهما وعن على رضى الله

وتجيب دعوتك ص

اتاه ص

قوله تعالى ص

ليذوقوا العذاب ص

يبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود رضي الله عنه يحشر الناس
على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي تلك الارض وانما
تغير صفاتها ويدل عليه ما روى ابو هريرة رضي الله عنه انه عليه السلام قال تبدل الارض غير الارض
فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم على الوجه
الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثاني ان يجعل الله
الارض جهنم والسموات الجنة على ما اشعر به قوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله
ان كتاب الفجار لفي سجين وبرزوا من اجداثهم لله الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته
وتوصيفه بالوصفين للدلالة على ان الامر في غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار
وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد
والاعمال كقوله واذا النفوس زوجت او قرنوا مع الشياطين او مع ما اكتسبوا من العقائد
الزائغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان
يكون تمثيلا لمواخذتهم على ما اقترحته في الاصفاد متعلق بمقرنين او حال من ضميره والصفد القيد
وقيل الغل قال سلامة بن جندل وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد وبعظم
ساق واصله الشد سرابيلهم قمصانهم من قطران وجاء قطران لغتين فيه وهو ما يتحلب
من الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن تشتعل فيه النار
بسرعة به تطلى جلود اهل النار حتى يكون طلاوه لهم كالقميص ليجتمع عليهم لذع القطران
ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار في جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين
كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات
الردية والهيئات الوحشية فيجلب اليها انواعا من الغموم والآلام وعن يعقوب
قطران والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي حره والجملة حال ثانية او حال
من الضمير في مقرنين وتغشى وجوههم النار اي وتتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم
يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة
عن المعرفة مملوة بالجهالات ونظيره قوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقوله تعالى
يوم يسحبون في النار على وجوههم ليجزي الله كل نفس ما كسبت اي يفعل بهم ذلك ليجزي
كل نفس مجرمة مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين معاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون
لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا ان الله سريع الحساب لانه لا يشغله
حساب عن حساب هذا اشارة الى القران او الى السورة او الى ما فيه من العظة والتذكير
او ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله بلاغ للناس كفاية لهم في الموعظة ولينذروا به
عطف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا به او بانزل او تلى وقرئ بفتح الياء من نذر به
اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد بالنظر والتامل فيما فيه من الايات

[هامش: ما كسبت او كل نفس مجرمة او صح]

[هامش: بهذا البلاغ فيكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان يتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا صح]

من الايات الدالة عليه او المنبهة على ما يدل عليه وليذكر اولوا الالباب فيرتدعوا عما يرديهم
ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم انه سبحانه ذكر لهذا البلاغ ثلث فوائد هي الغاية والحكمة في انزال
الكتب تكميل الرسل للناس واستكمال القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد واستصلاح
القوة العملية التي هي التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين بها وعن النبي عليه السلام
من قرا سورة ابرهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد
صدق رسول الله وصدق حبيب الله

سورة الحجر وهي تسع وتسعون اية مكية حروفها اثنان وسبعمائة واحدى وسبعون وكلامها ستمائة واربع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك ايات الكتاب وقران مبين الاشارة الى ايات
السورة والكتاب هو السورة وكذا القران وتنكيره للتفخيم اي ايات الجامع لكونه كتابا
كاملا وقرانا يبين الرشد من الغي بيانا غريبا ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين
حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر او حلول الموت او يوم القيمة وقرا نافع
وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربما بالفتح والتخفيف وفيه ثمان لغات ضم الراء وفتحها مع
التخفيف والتشديد وبتاء التانيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل
وحقه ان يدخل الماضي لكن لما كان المترقب في اخبار الله تعالى كالماضي في تحققه اجري مجراه
وقيل ما نكرة موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال ومعنى التقليل
فيه الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف
وهم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم اهوال القيمة فان كانت منهم افاقة في بعض
الاوقات قالوا ذلك والغيبة في حكاية ودادهم كالغيبة في قولك حلف بالله ليفعلن
ذرهم ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم ويلههم الامل ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة
الاحوال عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه
والغرض اقناط الرسول من ارعوائهم وايذانه بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال
بالاباطيل وفيه الزام للحجة وتحذير عن ايثار التنعم وما يؤدي اليه طول الامل وما اهلكنا
من قرية الا ولها كتاب معلوم اجل مقدر كتب في اللوح المحفوظ والمستثنى جملة حالية
واقعة صفة لقرية والاصل ان لا يدخلها الواو كقوله الا لها منذرون ولكن لما شابهت
صورة الحال ادخلت عليها تاكيدا للصوقها بالموصوف ما تسبق من امة اجلها وما
يستاخرون اي وما يستاخرون عنه وتذكير ضمير امة فيه للحمل على المعنى وقالوا يا ايها الذي
نزل عليه الذكر نادوا به النبي عليه السلام على التهكم الا ترى الى ما نادوه له وهو قوله انك
لمجنون ونظير ذلك قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك
لتقول قول المجانين حين تدعي ان الله نزل عليك الذكر اي القران لو ما تاتينا بالملائكة
ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين احدهما امتناع الشيء لوجود غيره والاخر التخصيص
بالملائكة ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا انزل عليه ملك فيكون معه

[هامش: ونعمهم صح]

[هامش: صورتها صح]

نذيرا وللعقاب على تكذيبنا لك كما اتت الامم المكذبة قبل ان كنت من الصادقين
في دعواك ما ننزل الملائكة بالياء المسند الى ضمير اسم الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص
بالنون وابو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل الا بالحق
الا تنزيلا ملتبسا بالحق بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة في ان يأتيكم بصور
تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا في معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من
سبقت كلمتنا له بالايمان وقيل الحق الوحي او العذاب وما كانوا اذا منظرين اذا جواب
لهم وجزاء لشرط مقدر اي ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين انا نحن نزلنا الذكر رد
لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه وقرره بقوله وانا له لحافظون اي من التحريف
والزيادة والنقص بان جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر لا يخفى تغيير نظمه على اهل الدين
او نفي تطرق الخلل اليه في الدوام بضمان الحفظ كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزل اليه
وقيل الضمير في له للنبي عليه السلام ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين في فرقهم
جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع وهو
الحطب الصغار يوقد به الكبار والمعنى نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم
وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي عليه السلام
وما للحال لا تدخل الا مضارعا بمعنى الحال او ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية
كذلك نسلكه ندخله في قلوب المجرمين والسلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط في
المخيط والرمح في المطعون والضمير للاستهزاء وفيه دليل على انه تعالى يوجد الباطل
في قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الاخر في قوله لا يؤمنون به له وهو حال من هذا
الضمير والمعنى مثل هذا السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن
به او بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضماير
توافقها في المرجوع ولا يتعين ان يكون الجملة حالا من المجرمين ولا ينافي كونها مفسرة
للمعنى الاول بل تقويه وقد خلت سنة الاولين اي سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك
الكفر في قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة ولو فتحنا
عليهم على هؤلاء المقترحين بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون اليها ويرونها
عجائبها طول نهارهم مستوضحين لما يرون او تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم
لقالوا من غلوهم في العناد وتشكيكهم في الحق انما سكرت ابصارنا سدت
من الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او حيرت من السكر
ويدل عليه قراءة من قرأ سكرت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه
عند ظهور غيره من الايات وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على ان ما يرونه لا حقيقة
له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر ولقد جعلنا في السماء بروجا اثني عشر مختلفة
الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء وزيناها بالاشكال

(هامش: من الضمير لجواز ان يكون حالا)

بالاشكال والهيئات البهية للناظرين المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد
صانعها وحفظناها من كل شيطان رجيم فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها
ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها الا من استرق السمع بدل من كل شيطان واستراق
السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة
في الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس انهم لا يحجبون
عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد عليه السلام منعوا
من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر
وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن من استرق السمع فاتبعه فتبعه ولحقه شهاب مبين
ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق على الكوكب والسنان
لما فيهما من البريق والارض مددناها بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت
وانبتنا فيها في الارض او فيها وفي الجبال من كل شيء موزون مقدر بمقدار معين تقتضيه
حكمته او مستحسن مناسب من قولهم كلام موزون او ما يوزن ويقدر او له وزن في
ابواب النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها من المطاعم والملابس
وقرئ بالهمزة على التشبيه بشمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش او محل
لكم ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائر من يظنون انهم يرزقونهم ظنا
كاذبا فان الله يرزقهم واياهم وفذلكة الاية الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار
وشكل معينين مختلفة الاجزاء في الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان المختلفة
خلقة وشكلا وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد في الالوهية
والامتنان على العباد بما انعم عليهم في ذلك ليعبدوه ويوحدوه ثم بالغ في ذلك فقال
وان من شيء الا عندنا خزائنه اي وما من شيء الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه على اضعاف
ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره او شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة التي لا يحوج
اخراجها الى كلفة واجتهاد وما ننزله من بقاع القدرة الا بقدر معلوم تعلقت به المشية
فان تخصيص بعضها بالايجاد في بعض الاوقات مشتملا على بعض الصفات والحالات
لا بد له من مخصص حكيم وارسلنا الرياح لواقح حوامل شبه الريح التي جاءت بخير من
انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم او ملقحات للشجر
والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله ومختبط مما تطيح الطوائح وقرئ وارسلنا الريح
على تأويل الجنس فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين
قادرين متمكنين من اخراجه نفى عنهم ما اثبته لنفسه او حافظين في العيون والابار
وذلك ايضا يدل على مدبر حكيم كما يدل حركة الهواء في بعض الاوقات من بعض الجهات
على وجه ينتفع به الناس فان طبيعة الماء تقتضي الغور فوقوفه دون حد لا بد له من سبب
مخصص وانا لنحن نحيي بايجاد الحيوة في بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها

(هامش: كانوا)
(هامش: حذه الحكمة)
(هامش: الغدران جمع غدير)

وقد اول الحيوة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ونحن الوارثون
الباقون اذا مات الخلائق كلها ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين
من استقدم ولادة وموتا ومن استأخر او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج
بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة او تأخر لا يخفى علينا شيء من احوالكم
وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل فازدحموا عليه فنزلت
وقيل ان امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله عليه السلام فتقدم بعض القوم
لئلا ينظر اليها وتأخر بعض ليبصرها فنزلت وان ربك هو يحشرهم لا محالة للجزاء
وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر والمتولي لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد
والتنبيه على ان ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على
صحة الحكم كما صرح به بقوله انه حكيم باهر الحكمة متقن في افعاله عليم وسع علمه كل شيء ولقد
خلقنا الانسان من صلصال اي طين يابس يصلصل اي يصوت اذا نقر وقيل
هو من صلصل اذا انتن تضعيف صل من حمأ طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة
صلصال اي كائن من حمأ مسنون مصور من سنة الوجه او مصبوب لييبس ويتصور كالجواهر
المذابة تصب في القوالب من السن وهو الصب كانه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان
اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه
او منتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فان ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى سنينا والجان
ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس
لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل
يفسره خلقناه من قبل من قبل خلق الانسان من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ
في المسام ولا يمتنع خلق الحيوة في الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد
المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي الغالب فيها الجزء الارضي
وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق الآية كما هو للدلالة
على كمال قدرة الله وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف
عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء واذ قال ربك واذكر وقت قوله
للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته عدلت خلقته
وهيأته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي حتى جرى آثاره في تجاويف اعضائه
فحيي واصل النفخ اجراء الريح في تجويف جسم آخر ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف
المنبعث من القلب وتفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملا لها في تجاويف الشرايين
الى اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا واضافة الروح الى نفسه لما مر في النساء فقعوا له
فاسقطوا له ساجدين امر من وقع يقع فسجد الملائكة كلهم اجمعون اكد بتأكيدين للمبالغة
في التعميم ومنع التخصيص وقيل اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين

مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان كذلك كان الثاني حالا لا تأكيدا الا ابليس ان جعل
منقطعا اتصل به قوله ابى ان يكون مع الساجدين اي ولكن ابليس ابى وان جعل
متصلا كان استئنافا على انه جواب سائل قال هلا سجد قال يا ابليس ما لك اي
غرض لك في ان لا تكون مع الساجدين لآدم قال لم اكن لاسجد لبشر اللام لتأكيد
النفي اي لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد لبشر جسماني كثيف وانا ملك روحاني خلقته
من صلصال من حمأ مسنون وهو اخس العناصر وخلقتني من نار وهي اشرفها استنقص
آدم بحسب النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف قال فاخرج منها
من السماء او الجنة او زمر الملائكة فانك رجيم مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم
بالحجر او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته وان عليك
اللعنة هذا الطرد والابعاد الى يوم الدين فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام
التكليف ومنه زمان الجزاء وما في قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى
اخر ينسى عنده هذه وقيل انما حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس او لانه يعذب
فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل قال رب فانظرني فاخرني والفاء متعلقة بمحذوف
دل عليه فاخرج منها فانك رجيم الى يوم يبعثون اراد ان يجد فسحة في الاغواء او نجاة عن الموت
اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول دون الثاني قال فانك من المنظرين
الى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه اجلك عند الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور
ويجوز ان المراد بالايام الثلثة يوم القيمة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات
فعبر عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفت وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف
واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت
فلعله يموت اول اليوم ويبعث الخلائق في تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة
لم تدل على علو منصب ابليس لان خطاب الله له على سبيل الاهانة والاذلال قال
رب بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجوابه لازينن لهم في الارض والمعنى اقسم
باغوائك اياي لازينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور لقوله اخلد الى الارض
وفي انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء
بالنسبة الى الغي او التسبب له بامره اياه بالسجود لآدم عليه السلام او بالاضلال عن طريق الجنة
واعتذروا عن امهال الله له وهو سبب زيادة غيه وتسليطه له على اغواء بني آدم عليه السلام
بان الله تعالى علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر وانهم يصيرون الى النار امهل او لم يمهل
وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوي
الالباب ولاغوينهم اجمعين ولاحملنهم اجمعين على الغواية الا عبادك منهم المخلصين
الذين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرأ ابن كثير وابن
عامر وابو عمرو بالكسر في كل القرآن اي الذين اخلصوا نفوسهم لله قال هذا صراط علي حق

على أن أراعيه مستقيم لا انحراف عنه والإشارة إلى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من إغوائه أو الإخلاص على معنى أنه طريق يؤدي الوصول إلي من غير اعوجاج وضلال وقرئ علي من علو الشرف إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين تصديق لإبليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولأن المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم أو تكذيب له فيما أوهم أن له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فإن منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الأول يدفع قول من شرط أن يكون المستثنى أقل من الباقي لإفضائه إلى تناقض الاستثناءين وإن جهنم لموعدهم لموعد الغاوين أو المتبعين أجمعين تأكيد للضمير أو حال والعامل فيها الموعد إن جعلته مصدرا على تقدير المضاف ومعنى الإضافة إن جعلته اسم مكان فإنه لا يعمل لها سبعة أبواب يدخلون منها لكثرتهم أو طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات في الركون إلى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية أو لأن أهلها سبع فرق لكل باب منهم من الأتباع جزء مقسوم أفرز له فأعلاها للموحدين العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرئ جزؤ بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة وإلقاء حركتها على الزاي ثم الوقف عليه بالتشديد ثم إجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه أو من المستكن في الظرف لا في مقسوم لأن الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها إن المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فإن غيرها مكفرة في جنات وعيون لكل واحد جنة وعين أو لكل عدة منها لقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن الآية وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص وهشام وعيون والعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين ادخلوها على إرادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على أنه ماض فلا يكسر التنوين بسلام سالمين أو مسلما عليكم آمنين من الآفة والزوال ونزعنا في الدنيا بما ألف بين قلوبهم أو في الجنة بتطييب نفوسهم ما في صدورهم من غل من حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه أرجو أن أكون وعثمان وطلحة والزبير منهم أو من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب إخوانا حال من ضمير في جنات أو فاعل ادخلوها أو الضمير في آمنين أو الضمير المضاف إليه والعامل فيها معنى الإضافة وكذا قوله على سرر متقابلين ويجوز أن يكونا صفتين لإخوانا أو حالين من ضميره لأنه بمعنى متصافين وأن يكون متقابلين حالا من المستقر في على سرر لا يمسهم فيها نصب استئناف أو حال بعد حال من الضمير في متقابلين وما هم منها بمخرجين فإن تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل على أنه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب بأسرها

ابو بكر

بأسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتأكيده وفي عطف ونبئهم عن ضيف إبراهيم على نبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون به إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما أي نسلم عليك سلاما أو سلمنا سلاما قال إنا منكم وجلون خائفون وذلك لأنهم دخلوا بغير إذن وبغير وقت أو لأنهم امتنعوا من الأكل والوجل اضطراب النفس لتوقع ما تكره قالوا لا توجل وقرئ لا تأجل ولا توجل من أوجله بمعنى أوجله إنا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فإن المبشر لا يخاف منه وقرأ حمزة نبشرك من البشر بغلام عليم هو إسحاق لقوله فبشرناه بإسحاق قال أبشرتموني على أن مسني الكبر تعجب من أن يولد له مع مس الكبر إياه أو إنكار لأن يبشر به في مثل هذه الحال وكذلك قوله فبم تبشرون فإن البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة في كل القرآن على إدغام نون الجمع في نون الوقاية ونافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بإبقاء نون الوقاية على الياء قالوا بشرناك بالحق بما يكون لا محالة أو باليقين الذي لا لبس فيه أو بطريقة هي حق وهو قول الله وأمره فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك فإنه تعالى قادر على أن يخلق بشرا من غير أبوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب إبراهيم باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون وقرأ أبو عمرو والكسائي يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح قال فما خطبكم أيها المرسلون أي فما شأنكم الذي أرسلتم لأجله سوى البشارة ولعله علم أن كمال المقصود ليس البشارة لأنهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج إلى العدد ولذلك اكتفى بالواحد في بشارة زكريا ومريم أو لأنهم بشروه في تضاعيف الحال لإزالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدؤوا بها قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين يعني قوم لوط إلا آل لوط إن كان استثناء من قوم كان منقطعا إذ القوم مقيدة بالإجرام وإن كان استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلا والقوم والإرسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى إنا أرسلنا إلى قوم أجرم كلهم إلا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجي آل لوط ويدل عليه إنا لمنجوهم أجمعين أي مما يعذب به القوم وهو استئناف إذا اتصل الاستثناء متصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن إذا انقطع وعلى هذا جاز أن يكون قوله إلا امرأته استثناء متصلا من آل لوط أو من ضميرهم وعلى الأول لا يكون إلا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم إلا أن يجعل إنا لمنجوهم اعتراضا وقرأ حمزة والكسائي لمنجوهم مخففا قدرنا إنها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ أبو بكر عن عاصم قدرنا هنا وفي النمل بالتخفيف

ولا توجل من وجله

عليم اذا بلغ

أي فبأي أعجوبة تبشروني أو فبأي شيء تبشرون

حذف النون مطلقا سعدي

أي رد المستثنى والمستثنى منه لان آل لوط متعلق بارسلنا او مجرمين والا امرأته متعلق بمنجوهم

وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا
اجري مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول واصله جعل الشي على مقدار غيره واسنادهم
اياه الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص فلما جاء ال لوط المرسلون
قال انكم قوم منكرون تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة ان تطرقوني بشر قالوا بل جئناك
بما كانوا فيه يمترون اي جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما يسرك ويشفي لك
من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه واتيناك بالحق باليقين
من عذابهم فيما اخبرناك به فاسر باهلك فاذهب بهم في الليل وقرا الحجازيان بوصل الالف
من السرى وهما بمعنى وقرى فسر من السير بقطع من الليل في طائفة من الليل وقيل في اخره قال
افتح الباب وانظر هل في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم
وتطلع على حالهم ولا يلتفت منكم احد لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيب
ما اصابهم ولا ينصرف احدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات
ليوطنوا انفسهم على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله تعالى بالمضي اليه
وهو الشام او مصر فعدى وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع
وقضينا اليه اي اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدى بالى ذلك الامر مبهم تفسيره
ان دابر هؤلاء مقطوع ومحله النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم للامر وتعظيم وقرئ
بالكسر على الاستيناف والمعنى انهم يستاصلون عن اخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين
داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر
هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء وجاء اهل المدينة سدوم يستبشرون باضياف لوط طمعا
منهم قال هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسئ الى ضيفه فقد اسئ اليه واتقوا الله
في ركوب الفاحشة ولا تخزون ولا تذلوني بسبب من الخزي وهو الهوان ولا تخجلون
فيهم من الخزاية وهو الحياء قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا او تمنع بيننا
وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان لوط يمنعهم منه بقدر وسعه او عن ضيافة الناس
وانزالهم قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت
في سورة هود ان كنتم فاعلين قضاء الوطر او ما اقول لكم لعمرك قسم بحياة المخاطب
وهو النبي عليه السلام وقيل لوط قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهو لغة
في العمر يختص بالقسم لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور على السنتهم انهم لفي سكرتهم
لفي غوايتهم او شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطائهم والصواب الذي
يشار به اليهم يعمهون يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض
فاخذتهم الصيحة يعني صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبرائيل مشرقين داخلين في وقت شروق
الشمس فجعلنا عاليها عالي المدينة او عالي قومهم سافلها فصارت منقلبة بهم وامطرنا
عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب من السجيل وقد تقدم مزيد بيان لهذه

لهذه القصة في سورة هود عليه السلام ان في ذلك لايات للمتوسمين للمتفكرين المتفرسين
الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشي بسمته وانها وان المدينة او القرى لبسبيل
مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون اثارها ان في ذلك لايات للمؤمنين بالله وبرسله
وان كان اصحاب الايكة لظالمين هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة فبعثه الله
اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجر المتكاثف فانتقمنا منهم بالاهلاك وانهما يعني
سدوم والايكة وقيل مدين فانه مبعوثا اليهما فكان ذكر احدهما منبها على الاخر لبامام مبين
لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به اللوح ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعني
ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز ان يراد بالمرسلين
صالحا ومن معه من المؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام يسكنونها واتيناهم اياتنا
فكانوا عنها معرضين يعني ايات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته كالناقة وسقبها وشربها
ودرها او ما نصب لهم من الادلة وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا امنين من الانهدام ونقب
اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لفرط غفلتهم او حسبانهم ان الجبال
تحميهم منه فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة
واستكثار الاموال والعدد وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا
بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء
وازاحة فسادهم من الارض وان الساعة لاتية فينتقم الله لك فيها ممن كذلك فاصفح
الصفح الجميل ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ باية السيف
ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم العليم بحالك وحالهم
فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم
اصلح وفي مصحف عثمان وابي رضي الله عنه وهو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص
بالكثير ولقد اتيناك سبعا سبع ايات وهو الفاتحة وقيل سبع سور طوال وسابعتها
الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل كيف
والحواميم السبع وقيل صحائف وهي الاسباع من المثاني والقران العظيم بيان للسبع والمثاني
من التثنية او الثناء فان كل ذلك مثني تكرر قراءته او الفاظه او قصصه ومواعظه او مثني عليه
بالبلاغة والاعجاز ومثن على الله بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني
القران او كتب الله كلها فيكون من للتبعيض والقران العظيم ان اريد بالسبع الايات
والسورة فمن عطف الكل على البعض والعام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف
احد الوصفين على الاخر لا تمدن عينيك ولا تطمح ببصرك طموح راغب الى ما متعنا به
ازواجا منهم اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات
مفض الى دوام كمال اللذات وفي حديث ابي بكر رض من اوتي القران فراى ان احدا
اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا روي انه عليه السلام وافى باذرعات

سبع قوافل اليهود بني قريظة والنضير فيها انواع الطيب والجواهر وساير الامتعة
فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وانفقناها في سبيل الله تعالى
فقال لهم قد اعطيتم سبع ايات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا
وقيل انهم المتمتعون به واخفض جناحك للمؤمنين وتواضع لهم وارفق بهم وقل اني
انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا كما
انزلنا على المقتسمين مثل العذاب الذي انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم
مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس
عن الايمان بالرسول فاهلكهم الله تعالى يوم بدر والرهط الذين اقتسموا اي تقاسموا
على ان يبيتوا صالحا عليه السلام وقيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه قوله ولقد
اتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون الذين جعلوا القران عضين حيث
قالوا عنادا بعضه حق موافق للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى
شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين او اهل الكتاب امنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض
على ان القران ما يقرؤنه من كتبهم فيكون تسلية لرسول الله عليه السلام وقوله لا تمدن
الى اخره اعتراضا وعضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها
اعضاء وقيل فعلة من عضهته اذا بهته وفي الحديث لعن رسول الله العاضهة والمستعضهة
وعن عكرمة العضة السحر وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته عطف
من التقسيم والنسبة الى السحر فيجازيهم عليه وقيل عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي فاصدع
بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او افرق بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز
وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اي بما تؤمر به من الشرايع واعرض عن المشركين
ولا تلتفت الى ما يقولون انا كفيناك المستهزئين بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من
اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وايل وعدي بن قيس والاسود بن عبد
يغوث والاسود بن المطلب بالغون في ايذاء النبي عليه السلام والاستهزاء به فقال جبرايل
لرسول الله امرت ان اكفيكهم فاوما الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم
فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فمات والى اخمص العاص فدخلت
فيها شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف عدي فامتخط قيحا
فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه الشجرة
ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عين الاسود ابن المطلب فعمي الذين يجعلون مع الله
الها اخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم في الدارين ولقد نعلم انك يضيق صدرك
بما يقولون من الشرك والطعن في القران والاستهزاء بك فسبح بحمد ربك فافزع الى الله
فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون حامدا له
على ان هداك للحق وكن من الساجدين من المصلين وعنه عليه السلام انه كان اذا حزبه امر فزع

امر فزع الى الصلوة واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اي الموت فانه متيقن لحاقه
كل حي مخلوق والمعنى فاعبده ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله عليه السلام
من قرا سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين
بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم سورة النحل وهي مائة وثماني وعشرون اية مكية غير ثلث
ايات نزلت في حمزة ابن المطلب رضي الله عنه قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل
ما عوقبتم به الى اخر السورة وحروفها سبعة الاف وسبعمائة وسبعة وكلماتها الف
وثمانمائة واحدى واربعين بسم الله الرحمن الرحيم اتى امر الله فلا تستعجلوه كانوا
يستعجلون ما اوعدهم الرسول عليه السلام من قيام الساعة او اهلاك الله اياهم كما
فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما يقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا
منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتي المتحقق من حيث انه واجب الوقوع
فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه سبحانه وتعالى عما يشركون تبرا وجل
عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرا حمزة والكسائي بالتاء على وفق ما قبله من
الخطاب او على ان الخطاب للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روي انه لما نزلت اقتربت الساعة
قال الكفار فيما بينهم امسكوا عن بعض ما تعملون فلما تاخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اتى
امر الله فوثب النبي عليه السلام ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه ينزل الملائكة بالروح بالوحي او القران فانه يقوم في الدين
مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذي به علم الرسول ما تحقق
موعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرا ابو بكر تنزل على
المضارع المبني للمفعول من التنزيل من امره بامره ومن اجله على من يشاء من عباده ان تخذه
رسولا ان انذروا بان انذروا اي اعلموا من نذرت بكذا اذا اعلمته انه لا اله الا انا فاتقون
ان الشان لا اله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الكفر والمعاصي بانه لا اله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم لما هو المقصود وان مفسرة لان الروح
بمعنى الوحي الدال على القول او مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض
او مخففة من الثقيلة والاية تدل على ان نزول الوحي بواسطة الملائكة وان حاصله التنبيه
على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو اقصى كمالات القوة
العملية وان النبوة عطائية والايات التي بعدها دليل على وحدانيته من حيث انها تدل
على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر
على ذلك فيلزم التمانع خلق السموات والارض بالحق اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع
وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته تعالى عما يشركون منها او مما يفتقر في وجوده
او بقائه اليها ومما لا يقدر على خلقها وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام خلق
الانسان من نطفة جماد لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل
فاذا هو خصيم منطيق مجادل مبين للحجة او خصيم مكافح لخالقه قايل من يحيي العظام وهي
رميم روي ان ابي ابن خلف اتى النبي عليه السلام بعظم رميم وقال يا محمد اترى ان الله

قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء

اختصاصه بالعلم به وقرا ابن كثير وابو عمرو وينزل من انزل وعن يعقوب مثله

يحيى هذا بعد ما قدرتم فنزلت والانعام البقر والابل والغنم وانتصابها بمضمر يفسره خلقها
لكم او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق لاجله وما بعده تفصيل له فيها دفء ما يدفأ
به فيقي البرد ومنافع نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها ومنها
تأكلون اي تأكل ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤوس الآي او لان
الاكل منها هو المعتاد والمعتمد عليه في المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل
التداوي او التفكه ولكم فيها جمال زينة حين تريحون تردونها من مراعيها بالعشي وحين
تسرحون تخرجونها بالغداة الى المراعي فان الافنية تتزين بها في الوقتين ويجل اهلها في اعين الناظرين
اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملأى البطون حافلة الضروع ثم تأوي
الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصف له بمعنى تريحون فيه
وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه اذا لم تكن فضلا ان تحملوها على ظهوركم
اياه الا بشق الانفس الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل مصدر شق الامر عليه
واصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كأنه ذهب نصف قوته بالتعب ان ربكم لرؤف رحيم
حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام
لتركبوها وزينة اي لتركبوها ولتتزينوا بها زينة وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم
لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب واما
التزين بها فحصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها او
مصدرا في موضع الحال من احد الضميرين اي متزينين او متزينا بها واستدل به على حرمة لحومها
ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا
ويدل عليه ان الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر
ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التي يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا او غير ضروري
اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له في الخلائق ما لا علم لنا به وان يراد به ما خلق في الجنة
والنار مما لم يخطر على قلب بشر وعلى الله قصد السبيل بيان مستقيم الطريق الموصل الى
الحق او اقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا او عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة
يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي يقصده السالك لا يميل عنه
والمراد من السبيل الجنس ولذلك اضاف اليه القصد وقال ومنها جائر حائد عن القصد او عن الله
او تغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله ان يبين طرق الضلالة او لان المقصود بيان سبيل
وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر اي عن القصد ولو شاء
لهداكم اجمعين اي ولو شاء هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة
للاهتداء هو الذي انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء لكم منه شراب
ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه
ولا بأس به لان مياه العيون والآبار منه لقوله فسلكه ينابيع في الارض وقوله فاسكناه

في الارض ومنه شجر ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي يرعاه المواشي وقيل كل ما ينبت
على الارض شجر قال يعلفها اللحم اذا عز الشجر والخيل في اطعامها اللحم ضرر فيه تسيمون ترعون من
سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض
ينبت لكم به الزرع وقرأ ابو بكر بالنون على التفخيم والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل
الثمرات وبعض كلها اذ لم ينبت في الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم الزرع والتصريح
بالاجناس الثلاثة وترتيبها ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته
فان من تأمل ان الحبة تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج ساق
الشجر وينشق اسفلها فيخرج منه عروق ثم ينمو ويخرج منه الاوراق والازهار والاكمام والثمار
ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال والطبائع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع السفلية
والتأثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة
الاضداد والانداد ولعل فصل الآية به لذلك وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم
بان هيأها لمنافعكم مسخرات بامره حال من الجميع اي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله خلقها
ودبرها كيف شاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره او لحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى
ان يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم
فلا ريب في انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد
مختص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل او مصدر ميمي جمع لاختلاف الانواع
وقرأ حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر
الشمس والقمر ايضا ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون جمع الآية وذكر العقل لانها تدل انواعا
من الدلالة ظاهرة لذوي العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات وما ذرأ
لكم في الارض عطف على الليل اي وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات مختلفا الوانه
اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا ان في ذلك لآية لقوم يذكرون ان اختلافها
في الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم وهو الذي سخر البحر جعله بحيث
تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص لتأكلوا منه لحما طريا هو السمك
ووصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم يسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته
في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق وتمسك به مالك والثوري على ان من حلف لا يأكل
لحما حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق
الا ترى ان الله سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب دابة بركوبه وتستخرجوا
منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان اي تلبسها نساؤكم فاسند اليهم لانهن من جملتهم
ولانهن يتزين بها لاجلهم وترى الفلك مواخر فيه جواري فيه تشقه بحيزومها من المخر
وهو شق الماء وقيل صوت جري الفلك ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها
للتجارة ولعلكم تشكرون اي تعرفون نعم الله تعالى فتقومون بحقها ولعل تخصيصه

بتعقيب الشكر لانه اقوى في باب الانعام من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع
وتحصيل المعايش والقى في الارض رواسي اي جبالا رواسي ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم
وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة حقيقية بسيطة
الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او ان تتحرك بادنى سبب
للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز
فصارت كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت
الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا وجعل فيها انهارا لان
القى فيه معناه وسبلا لعلكم تهتدون الى مقاصدكم او الى معرفة الله وعلامات معالم يستدل
بها السابلة من جبل ومنهل وريح ونحو ذلك وبالنجم هم يهتدون بالليل في البراري والبحار
والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة وبالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان
وبنات نعش والجدي ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيري الاسفار للتجارة مشهورين
بالاهتداء في مسايرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير
للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم
لهم واوجب عليهم افمن يخلق كمن لا يخلق انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال
قدرته وتناهي حكمته والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته
ما لا يقدر على خلق شيء من ذلك بل على ايجاد شيء ما وكان حق الكلام افمن لا يخلق كمن يخلق
لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيها بها
والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولو العلم منهم او الاصنام واجراها مجرى
اولي العلم لانهم سموها آلهة ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة
فكانه قيل ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده افلا تذكرون
فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذي يحضر عنده بادنى تذكر والتفات
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع
ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على ان وراء ما عدد نعما لا تنحصر
وان حق عبادته غير مقدور ان الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكرها رحيم لا يقطعها
لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من عقائدكم
واعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم والذين يدعون من دون الله اي والالهة
الذين تعبدونهم من دونه وقرا ابو بكر يدعون بالياء وقرا حفص ثلاثتها بالياء لا يخلقون شيئا
لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين انهم لا يخلقون شيئا لينتج انهم لا يشاركونه ثم
اكد ذلك بان اثبت لهم صفات تنافي الالوهية فقال وهم يخلقون لانها ذوات
ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله ينبغي ان يكون واجب الوجود اموات هم اموات
لا تعتريهم الحيوة او اموات حالا او مآلا غير احياء بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغي

ان يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان يبعثون ولا يعلمون
وقت بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون وقت جزاء على عبادتهم والاله ينبغي ان يكون
عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف
الهكم اله واحد تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون
بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالاخرة فان المؤمن بها يكون طالبا
للدليل متاملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا
بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المألوف فانه ينافي النظر والاستدلال والاستكبار
عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله والاول هو العمدة في الباب ولذلك
رتب عليه ثبوت الاخرين لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم
وهو في موضع الرفع بجرم وهو مصدر او فعل انه لا يحب المستكبرين فضلا عن الذين استكبروا
عن توحيده او اتباع الرسول عليه السلام واذا قيل لهم القائل بعضهم على التهكم او الوافدون
عليهم او المسلمون ماذا انزل ربكم اي ما تدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين وانما سموه
منزلا على التهكم او على الفرض اي تقدير انه منزل فهو اساطير الاولين لا تحقيق فيه والقائلون
له قيل هم المقتسمون قالوا اساطير الاولين ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة اي قالوا ذلك اضلالا
للناس فحملوا اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال ومن اوزار الذين
يضلونهم وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب بغير علم حال من المفعول
اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدتها الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم
ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه فعلهم
قد مكر الذين من قبلهم اي سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله فاتى الله بنيانهم من
القواعد فاتاها امره من جهة العمد التي بنوا عليها بان ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم
وصار سبب هلاكهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا
يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه
خمسة الاف ذراع ليترصد امر السماء فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ثم يوم
القيمة يخزيهم يذلهم او يعذبهم بالنار لقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول
اين شركاءي اضاف الى نفسه استهزاء او حكاية لاضافتهم زيادة في توبيخهم الذين كنتم
تشاقون فيهم تعادون المؤمنين في شانهم وقرا نافع بكسر النون بمعنى تشاقونني
فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله قال الذين اوتوا العلم اي الانبياء والعلماء
الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او الملائكة ان الخزي اليوم
والذلة والعذاب والسوء على الكافرين وفائدة قولهم اظهار الشماتة وزيادة الاهانة
وحكايته لان يكون لطفا لمن سمعه الذين تتوفيهم الملائكة وقرا حمزة بالياء وقرئ بادغام
التاء في التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلثة ظالمي انفسهم بان عرضوها للعذاب

المخلد فألقوا السلم فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت ما كنا نعمل من سوء قائلين ما كنا
نعمل من سوء كفر وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد به القول على الاستسلام
بلى اي فتجيبهم الملائكة بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا
الى اخر الآية استئناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيمة وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب
يومئذ ما كنا نعمل من سوء بانا لم نكن في زعمنا واعتقادنا عاملين سوءا واحتمل ان يكون
الراد عليهم هو الله تعالى او اولوا العلم فادخلوا ابواب جهنم كل صنف بابها المعد له
وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين
اتقوا يعني المؤمنين ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اي انزل خيرا وفي نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا
في الجواب واطبقوا على السؤال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روي ان احياء
العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبي عليه السلام فاذا جاء الوافد المقتسمين
قالوا له ما قالوا واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة
مكافأة في الدنيا ولدار الآخرة خير اي ولثوابهم في الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على
قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انه منتصب بقالوا ولنعم
دار المتقين دار الآخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدأ محذوف
ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن من انواع
المشتهيات وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده الا في الجنة كذلك
يجزي الله المتقين مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول الذين تتوفاهم الملائكة طيبين
طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم وقيل فرحين ببشارة
الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس يقولون
سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون حين تبعثون فانها معدة لكم
على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ هل ينظرون ما ينتظر الكفار
المار ذكرهم الا ان تأتيهم الملائكة لقبض ارواحهم وقرأ حمزة والكسائي بالياء او يأتي امر ربك
القيمة او العذاب المستأصل كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين
من قبلهم فاصابهم ما اصابوا وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم
ومعاصيهم المؤدية اليه فاصابهم سيئات ما عملوا اي جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف
او تسمية الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فاحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل الا في
الشر وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا
من دونه من شيء انما قالوا ذلك استهزاء ومنعا للبعثة والتكليف متمسكين بان ما شاء الله
يجب وما لم يشأ يمتنع فما الفائدة فيهما او انكارا لقبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر ونحوها
محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا اذ لم
يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب من الشبهتين كذلك فعل الذين من قبلهم

من قبلهم فاشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله فهل على الرسل الا البلاغ المبين الا
البلاغ الموضح للحق وهو ان لم يؤثر في هدى من شاء الله هداه لكنه يؤدي اليه على سبيل
التوسط وما شاء الله وقوعه انما يجب وقوعه لا مطلقا بل باسباب قدرها له ثم بين ان البعثة
امر جرت به السنة الالهية في الامم كلها سببا لهدى من اراد اهتداءه وزيادة لضلال من اراد
ضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج السوي ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله ولقد بعثنا
في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت يأمر بعبادة الله واجتناب الطاغوت
فمنهم من هدى الله وفقهم للايمان بارشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة اذ لم يوفقهم
ولم يرد هدايتهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على تحقق الضلالة
وثباته بفعل الله وارادته من حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح به في الآية الاخرى فسيروا في الارض
يا معشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون
ان تحرص يا محمد على هداهم فان الله لا يهدي من يضل من يريد ضلاله وهو المعنى بمن حقت عليه
الضلالة وقرأ غير الكوفيين لا يهدى على بناء المفعول وهو ابلغ وما لهم من ناصرين
من ينصرهم بدفع العذاب عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت عطف على
وقال الذين اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت
على فساده ولقد رد الله عليهم ابلغ رد فقال بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لنفسه وهو ما دل
عليه بلى فان يبعث موعد من الله تعالى عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده او لان البعث
مقتضى حكمته حقا صفة اخرى للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون اما لعدم
علمهم بانه من مواجب الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها واما لقصور نظرهم بالمالوف فيتوهمون
امتناعه ثم انه تعالى بين الامر فقال ليبين لهم اي يبعثهم ليبين لهم الذي يختلفون
فيه وهو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب
الداعي الى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل
بالثواب والعقاب ثم قال انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
وهو بيان امكانه وتقريره ان تكوين الله بمحض قدرته ومشيئته لا توقف له على سبق المواد والمدد
والحدوث والا لزم التسلسل فكما امكن تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال
امكن تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائي فيكون عطفا على نقول او جوابا
للامر والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله عليه السلام واصحابه المهاجرون
ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم المدينة او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة
رسول الله عليه السلام وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل وسهيل
وقوله في الله اي في حقه ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا حسنة مباءة حسنة وهي المدينة او تبوئة
حسنة ولاجر الآخرة اكبر مما تعجل لهم في الدنيا وعن عمر انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين
عطاء قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة

افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا
على الشدائد كاذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون
منقطعين الى الله مفوضين اليه الامر كله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم رد لقول
قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اي جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة
الا بشرا يوحي اليه على السنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الانعام فان شككتم
فاسئلوا اهل الذكر اهل الكتاب او علماء الاخبار ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون وفي الاية دليل
على انه تعالى لم يرسل امراة ولا ملكا للدعوة العامة واما قوله جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا
الى الملائكة او الى الانبياء وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة الرجال ورد بما روي انه عم
راى جبرائيل على صورته التي هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة للعلماء فيما لا يعلم بالبينات
والزبر اي ارسلناهم بالبينات والزبر اي المعجزات والكتب كانه جواب قائل قال بم ارسلوا
ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا داخلا في الاستثناء مع رجالا اي ما ارسلنا الا رجالا بالبينات
او بيوحي على المفعولية او الحال من القائم مقام فاعله وهو اليهم على ان قوله فاسئلوا اعتراض
او بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام وانزلنا اليك الذكر اي القران وانما سمي
ذكرا لانه موعظة وتذكير وتنبيه لتبين للناس ما نزل اليهم في الذكر بتوسط انزاله اليك مما
امروا به ونهوا عنه او مما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد الى ما يدل
عليه كالقياس ودليل العقل ولعلهم يتفكرون وارادة ان يتاملوا فيه فيتنبهوا للحقايق
افامن الذين مكروا السيئات اي المكرات السيئات وهم الذين احتالوا في هلاك الانبياء
او الذين مكروا برسول الله عليه السلام وراموا صد اصحابه عن الايمان ان يخسف الله بهم الارض
كما خسف بقارون او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون بغتة من جانب السماء
كما فعل بقوم لوط او ياخذهم في تقلبهم اي متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين او ياخذهم
على تخوف على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فياتيهم العذاب وهم متخوفون او على ان ينقص شيئا
بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته روي ان عمر رضي الله عنه قال على المنبر
ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف
العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقته تخوف الرحل منها تامكا قردا
كما تخوف عود النبعة السفن فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر
الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم فان ربكم لرؤوف رحيم حيث لا يعاجلكم
بالعقوبة اولم يروا الى ما خلق الله من شيء استفهام انكار اي قد راوا امثال هذه الصنائع
فما لهم لم يتفكروا فيه ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها يتفيؤ
ظلاله اي اولم يروا الى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة وقرا حمزة والكسائي تروا بالتاء وابو عمرو
تتفيؤ بالتاء عن اليمين والشمائل عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها استعارة
من يمين الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل لاعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد

ان الاية يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لو انفقوا اي المهاجرين اي لو علموا ه

كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله سجدا لله وهم داخرون وهما حالان من الضمير في ظلاله
والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع او الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة
الحمل وسجد البعير اذا طاطا راسه ليركب او سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى
ترجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله من جانب
الى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد
والاجرام في انفسها ايضا داخرة اي صاغرة منقادة لافعال الله تعالى فيها وجمع داخرون بالواو
لان من جملتها من يعقل او لان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل
يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب تظهر منه آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله
وهو جانب الغربي المقابل له فان الظلال في اول النهار تبتدي من المشرق واقعة على الربع
الغربي من الارض وعند الزوال تبتدي من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الارض
ولله يسجد ما في السموات وما في الارض اي ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتاثيره
طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله
من دابة بيان لهما لان الدبيب هو الحركة الجسمانية سواء كان في ارض او سماء والملائكة عطف
على المبين به عطف جبرائيل على الملائكة للتعظيم او عطف المجردات على الجسمانيات وبه احتج
من قال ان الملائكة ارواح مجردة او بيان لما في الارض والملائكة تكرير لما في السموات وتعيين
له اجلالا وتعظيما او المراد به ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم
كان استعماله حيث اجتمع القبيلان اولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون
عن عبادته يخافون ربهم من فوقهم يخافون ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم
بالقهر لقوله وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير
لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة والتدبير وفيه دليل
على ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين
ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهي اليه وايماء بان الاثنينية تنافي
الالوهية كما ذكر الواحد في قوله انما هو اله واحد للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية
دون الالهية فاياي فارهبون نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود
كانه قال فانا ذلك الاله الواحد فاياي فارهبون لا غير وله ما في السموات والارض خلقا وملكا
وله الدين اي الطاعة واصبا لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل
واصبا من الوصب اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء دائما لا ينقطع
ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال وما بكم
من نعمة فمن الله اي واي شيء اتصل بكم من نعمة فهو من الله وما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط
باعتبار الاخبار بانها من الله لا الحصول لها منه ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون فما تتضرعون
الا اليه والجؤار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم

او للتنبيه على ان الوحدة من لوازم الالهية ه

دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار ه

بربهم يشركون وهم كفاركم ليكفروا بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان خاصا
بالمشركين كان من للبيان كانه قال فاذا فريق وهم انتم ويجوز ان يكون من للتبعيض على ان يعتبر
بعضهم بقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم قصدوا بشركهم
كفران النعمة او انكار كونها من الله فتمتعوا امر تهديد فسوف تعلمون اغلظ وعيده وقرئ
فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز ان يكون اللام لام الامر للتهديد والفاء
للجواب ويجعلون لما لا يعلمون اي لآلهتهم لا علم لها لانها جماد فيكون الضمير لما او التي
لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد
الى محذوف او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به نصيبا مما رزقناهم
من الزرع والانعام تالله لتسألن عما كنتم تفترون من انها آلهة بالتقرب اليها وهو وعيد
لهم عليه ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة يقولون ان الملائكة بنات الله
سبحانه تنزيه له من قولهم او تعجب منه ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع
بالابتداء والنصب بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو وان افضى الى ان
يكون ضمير الفاعل والمفعول لشيء واحد لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف واذا بشر احدهم بالانثى
اخبر بولادتها ظل وجهه صار او دام النهار كله مسودا من الكآبة والحياء من الناس واسوداد
الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير وهو كظيم مملو غيظا من المرأة يتوارى من القوم يستخفي منهم
من سوء ما بشر به من سوء المبشر به عرفا ايمسكه محدثا نفسه متفكرا في ان يتركه على هون ذل
ام يدسه في التراب ام يخفيه فيه وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتانيث فيهما الا ساء ما يحكمون
حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا عندهم محله للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء
صفة السوء وهي الحاجة الى الولد المنادية للموت واستبقاء الذكور استظهارا بهم وكراهة
الاناث ووأدهن خشية الاملاق ولله المثل الاعلى وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق
والجود الفائق والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو العزيز الحكيم المنفرد بكمال القدرة والحكمة
ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض وانما اضمرها
من غير ذكر لدلالة الناس والدابة عليها من دابة قط بشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود رض كاد الجعل يهلك
في جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم تكن الابناء ولكن
يؤخرهم الى اجل مسمى سماه لاعمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون بل هلكوا او عذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس
واضافة الظلم اليهم ان يكونوا كلهم ظالمين حتى الانبياء عليهم السلام لجواز ان يضاف اليهم
ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم ويجعلون لله ما يكرهون اي ما يكرهونه لانفسهم من البنات
والشركاء في الرياسة والاستخفاف بالرسل واراذل الاموال وتصف السنتهم الكذب
مع ذلك وهو ان لهم الحسنى اي عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى
وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة لا جرم ان لهم النار رد لكلامهم واثبات

واثبات لضده وانهم مفرطون مقدمون الى النار من افرطته في طلب الماء اذا قدمته
وقرأ نافع بكسر الراء من الافراط في المعاصي وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته في طلب الماء
من التفريط في الطاعات تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان
اعمالهم فاصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين فهو وليهم اليوم اي في الدنيا وعبر باليوم
عن زمانها او فهو وليهم حين كان يزين لهم او يوم القيمة على انه حكاية حال ماضية او آتية
ويجوز ان يكون الضمير لقريش اي زين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم وهو ولي
هؤلاء اليوم يغرهم ويغويهم وان يقدر مضاف اي فهو ولي امثالهم والولي القرين او الناصر
فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ولهم عذاب اليم في القيمة وما انزلنا عليك
الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام
الافعال وهدى ورحمة لقوم يؤمنون معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف
التبيين والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها انبت فيها انواع النبات
بعد يبسها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون سماع تدبر وانصاف وان لكم في
الانعام لعبرة دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم نسقيكم مما في بطونه استيناف لبيان العبرة
وانما ذكر الضمير ووحده ههنا للفظ وانثه في سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع
ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على افعال كاخلاق واكياش ومن قال
انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها او لواحده او له على المعنى
فان المراد به الجنس وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح من بين فرث
ودم لبنا فانه يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث وهو الاشياء
المأكولة المنهضمة بعض الانهضام في الكرش وعن ابن عباس رض ان البهيمة اذا اعتلفت
وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد
ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذي البدن لانهما لا يتكونان
في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث
ثم يمسكها ريثما يهضمها ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك
المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقي
على الاعضاء بحسبها فيجري الى كل حقه على ما يليق به بتقدير العليم الحكيم ثم ان كان الحيوان
انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد
اولا الى الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض لمجاورة
لحومها الغددية البيض لبنا ومن تدبر صنع الله في احداث الاخلاط والالبان واعداد
مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به
اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما
في بطونها والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل

الذي يتبدى منه الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع
العبرة خالصا صافيا لا يستصحبه لون الدم ولا رائحة الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة
بتضييق مخرجه سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف
ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بمحذوف اي ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من
من عصيرها وقوله تتخذون منه سكرا استيناف لبيان الاسقاء او بتتخذون ومنه تكرير للظرف
تاكيدا او خبر لمحذوف صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه
وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف الذي هو العصير او لان الثمرات بمعنى الثمر
والسكر مصدر سمي به الخمر ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والدبس والخل والآية ان كانت سابقة
على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم
قال جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون الرزق
ما يحصل من اثمانه ان في ذلك لآية لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالنظر والتامل في الآيات
واوحى ربك الى النحل الهمها وقذف في قلوبها وقرئ الى النحل بفتحتين ان اتخذي بان اتخذي
ويجوز ان تكون مفسرة لان في الايحاء معنى القول وتانيث الضمير على المعنى فان النحل مذكر من الجبال
بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ذكر بحرف التبعيض لانها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم
او سقف ولا في كل مكان منها وانما سمي ما تبنيه لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن
الصنعة وصحة القسمة التي لا يقوى عليها حذاق المهندسين الا بآلات وانظار دقيقة ولعل
ذكره للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء وقرأ ابن عامر وابو بكر يعرشون بكسر الراء ثم كلي من كل الثمرات
من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها فاسلكي ما اكلت سبل ربك في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور
المر عسلا من اجوافك او فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة الى بيوتك
سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل اي مذللة ذللها الله
وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت به يخرج من بطونها
عدل عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل
والهامه لاجلهم شراب يعني العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل تاكل الازهار والاوراق
العطرة فتستحيل في بطنها عسلا ثم تقي ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اطلية حلوة
صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها في بيوتها شيئا كثيرا منها كان العسل فسر البطون
بالافواه مختلف الوانه ابيض واصفر واحمر واسود بسبب اختلاف سن النحل والفصل فيه شفاء
للناس اما بنفسه كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في سائر الامراض اذ قل ما يكون معجون
الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم وعن قتادة
رضي الله ان رجلا جاء الى رسول الله عم فقال اخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب
ثم رجع فقال قد سقيته فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك
فسقاه فشفاه الله فبرئ فكانما انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن او لما بين الله من احوال

احوال النحل ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم
الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لا بد له من خالق قادر حكيم يلهمها ويحملها عليها
والله خلقكم ثم يتوفيكم باجال مختلفة ومنكم من يرد الى ارذل العمر اخسه يعني الهرم الذي يشابه
الطفولية في نقصان القوة والعقل وقيل هو خمس وتسعون سنة وقيل خمسون وسبعون
لكي لا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان وسوء الفهم ان الله عليم
بمقادير اعمارهم قدير يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت آجال
الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك
مقتضى الطبائع لم يبلغ التفاوت الى هذا المبلغ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فمنكم
غني ومنكم فقير ومنكم موال يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك
فما الذين فضلوا برادي رزقهم بمعطي رزقهم على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم فان ما يردون
عليهم رزقهم الذي جعله الله في ايديهم فهم فيه سواء فالموالي والمماليك سواء في ان الله رزقهم
فالجملة لازمة للجملة المنفية او مقررة لها ويجوز ان تكون واقعة موقع الجواب كانه قيل فما الذين
فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فيستووا في الرزق على انه رد وانكار للمشركين
على المشركين فانهم يشركون بالله بعض مخلوقاته في الالوهية ولا يرضون ان يشاركهم
عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساووهم فيه افبنعمة الله يجحدون حيث يتخذون له شركاء
فانه يقتضي ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله عليهم ويجحدوا انه من عند الله او حيث انكروا
امثال هذه الحجج بعد ما انعم الله عليهم بايضاحها والباء لتضمن الجحود معنى الكفر وقرأ ابو بكر تجحدون
بالتاء لقوله خلقكم وفضل بعضكم والله جعل لكم من انفسكم ازواجا اي من جنسكم لتأنسوا
بها وليكون اولادكم مثلكم وقيل هو خلق حواء من آدم وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة واولاد
اولاد او بنات فان الحافد هو المسرع في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت اتم خدمة
وقيل هم الاختان على البنات وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم والعطف
لتغاير الوصفين ورزقكم من الطيبات من اللذائذ او من الحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق
في الدنيا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو ان الاصنام تنفعهم او ان من الطيبات
ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب وبنعمة الله هم يكفرون حيث اضافوا على الفواضل ويعبدون
من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا من مطر ونبات ورزقا
ان جعلته مصدرا فشيئا منصوب به والا فبدل منه ولا يستطيعون ان يتملكوه اذ لا استطاعة
لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده في لا يملك لان ما مفرد في معنى الآلهة ويجوز ان يعود الى
الكفار اي ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون شيئا من ذلك فكيف بالجماد فلا تضربوا
لله الامثال فلا تجعلوا له مثلا تشركون به او تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال
ان الله يعلم فساد ما تعولون عليه من القياس على ان عبادة عبيد الملك ادخل في التعظيم
من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون وانتم لا تعلمون ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو تعليل

للنهي او انه يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله
الامثال فانه يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فضرب
مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه
منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز
عن التصرف رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق
منه كيف يشاء واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية
على امتناع التسوية بين الاصنام التي هي اعجز المخلوقات وبين الله الغني القادر على الاطلاق
وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك المتصرف للتمييز من الحر فانه
ايضا عبد الله وبسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والمأذون وجعله قسيما للمالك
المتصرف يدل على ان المملوك لا يملك والاظهر ان من موصوفة ليطابق عبدا وجمع
الضمير في يستوون لانه للجنسين فان المعنى هل يستوي الاحرار والعبيد الحمد لله كل الحمد له
لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها بل اكثرهم لا يعلمون فيضيفون نعمه الى
غيره ويعبدونه لاجلها وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم
لا يقدر على شيء من الصنائع والتدابير لنقصان عقله وهو كل على مولاه عيال وثقل على
من يلي امره اينما يوجهه حيثما يرسله مولاه في امر وقرئ يوجه على البناء للمفعول ويوجه
بمعنى يتوجه كقوله اينما اوجه الق سعدا وتوجه بلفظ الماضي لا يأت بخير بنجح وكفاية مهم هل يستوي
هو ومن يأمر بالعدل ومن هو منطيق فهم ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل
لمجامع الفضائل وهو على صراط مستقيم وهو في نفسه على طريق مستقيم لا يتوجه الى مطلب الا
ويبلغه باقرب سعي وانما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لانهما كمال ما يقابلها
وهذا تمثيل ثان ضربه الله لنفسه وللاصنام لابطال المشاركة بينه وبينها او للمؤمن والكافر
ولله غيب السموات والارض يختص به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد
بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيمة فان علمه غائب عن اهل السموات
والارض وما امر الساعة في سرعته وسهولته الا كلمح البصر الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة
الى اسفلها او هو اقرب او امرها اقرب منه بان يكون في زمان نصف تلك الحركة
بل في الآن الذي تبتدأ فيه فانه تعالى يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان في آن واو للتخيير
او بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشيء الذي تقولون فيه
هو كلمح البصر او هو اقرب مبالغة في استقرابه ان الله على كل شيء قدير فيقدر ان يحيي الخلائق
دفعة كما قدر ان احياهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم
وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على انه لغة او اتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها
في اهراق لا تعلمون شيئا جاهلين مستصحبين جهل الجمادية وجعل لكم السمع والابصار والافئدة اداة
تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات

لمشاركات ومباينات بينها بتكرار الاحساس حتى يتحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا
من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها لعلكم تشكرون كي تعرفوا ما انعم عليكم طورا بعد طور فتشكروه
الم يروا الى الطير قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على انه خطاب العامة مسخرات
مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية له في جو السماء في الهواء
المتباعد من الارض ما يمسكهن فيه الا الله فان ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها
ولا دعامة تحتها تمسكها ان في ذلك لآيات تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معه الطيران
وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها في الهواء على خلاف طبعها لآيات لقوم
يؤمنون لانهم هم المنتفعون بها والله جعل لكم من بيوتكم سكنا موضعا تسكنون فيه وقت
اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا
هي القباب المتخذة من الادم ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها من
حيث انها نابتة على جلودها يصدق انها من جلودها تستخفونها تجدونها خفيفة يخف
عليكم حملها ونقلها يوم ظعنكم وقت ترحالكم ووضعها او ضربها ويوم اقامتكم وقت الحضر
والنزول وقرأ الحجازيان والبصري يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة ومن اصوافها واوبارها و
اشعارها الصوف للضأن والوبر للابل والشعر للمعز ما يتجر به الى حين الى مدة من الزمان
فانها لصلابتها تبقى مدة مديدة او الى حين مماتكم او الى ان تقضوا منه اوطاركم والله جعل لكم
مما خلق من الشجر والجبل والابنية وغيرها ظلالا تتقون به حر الشمس وجعل لكم من الجبال اكنانا
مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن وجعل لكم سرابيل ثيابا من
الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين او لان وقايته
الحر كانت اهم عندهم وسرابيل تقيكم بأسكم يعني الدروع والجواشن والسربال يعم كل ما يلبس
كذلك كاتمام هذه النعم التي تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي تنظرون في نعمه
فتؤمنون به او تنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب
او تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا
اعرضوا ولم يقبلوا منك فانما عليك البلاغ المبين فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد
بلغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبب يعرفون نعمة الله اي يعرف المشركون
نعمة الله التي عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير
المنعم بها وقولهم انها بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا او باعراضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله
نبوة محمد عليه السلام عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة
واكثرهم الكافرون الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل
او التفريط في النظر او لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام الكل كما
في قوله بل اكثرهم لا يعلمون ويوم نبعث من كل امة شهيدا وهو نبيها يشهد لهم وعليهم
بالايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع الى الدنيا

وثم زيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلي على ما يمنون به من
شهادة الانبياء عليهم ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون من العتبى وهي الرضا وانتصاب
يوم بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم او يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله واذا رأى الذين ظلموا العذاب
عذاب جهنم فلا يخفف عنهم اي العذاب ولا هم ينظرون يمهلون واذا رأى الذين
اشركوا شركاءهم اوثانهم التي دعوها شركاء او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل
عليه قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف
بانهم كانوا مخطئين في ذلك او التماس بان يشطر عذابهم فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون
اي اجابوهم بالتكذيب في انهم شركاء الله او انهم عبدوهم حقيقة وانما عبدوا اهواءهم كقوله
كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله الاصنام به حينئذ او في انهم حملوهم على الكفر والزموهم
اياه كقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي والقوا والقى الذين ظلموا الى الله
يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا وضل عنهم وبطل ما كانوا يفترون من ان آلهتهم
ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بالمنع
عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا لصدهم فوق العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون
بكونهم مفسدين بصدهم ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم فان نبي
كل امة بعث منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك ونزلنا عليك الكتاب
استئناف او حال باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكل شيء من امور الدين على التفصيل او الاجمال
بالاحالة الى السنة او القياس وهدى ورحمة للجميع وانما حرمان المحروم من تفريطه وبشرى
للمسلمين خاصة ان الله يامر بالعدل بالتوسط في الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط
بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد
باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير
والاحسان احسان الطاعات وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية
كما قال عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى
واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن الافراط
في متابعة القوة الشهوية كالزنا فانه اقبح احوال الانسان واشنعها والمنكر ما ينكر على متعاطيه
في اثارة القوة الغضبية والبغي والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة
التي هي مقتضى الوهمية ولا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر بتوسط
احدى هذه القوى الثلث ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي اجمع اية في القرآن
للخير والشر وصار سبب اسلام عثمان بن مظعون رضي الله عنه ولو لم يكن في القرآن غير هذه
الاية لصدق عليه انه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايراده عقيب قوله
ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه يعظكم بالامر والنهي والتمييز بين الخير والشر لعلكم تذكرون
تتعظون واوفوا بعهد الله يعني البيعة لرسول الله على الاسلام لقوله تعالى ان الذين يبايعونك

يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله اذا عاهدتم وقيل
النذور وقيل الايمان بالله ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة او مطلق الايمان بعد توكيدها
بعد توثيقها بذكر الله ومنه أكد بقلب الواو همزة وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا بتلك
البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون في نقض
الايمان والعهود ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة
متعلق بنقضت اي نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام انكاثا طاقات نكث فتلها
جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثاني لنقضت فانه بمعنى صيرت
والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شأنه وقيل هي ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت
خرقاء تفعل ذلك تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا او في الجار والمجرور
الواقع موقع الخبر اي ولا تكونوا متشبهين بامرأة هذا شأنها متخذي ايمانكم مفسدة ودخلا
بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون امة هي اربى من امة بان تكون جماعة ازيد
عددا واوفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش
فانهم كانوا اذا رأوا شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم الله به
الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر اي يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله
وبيعة رسول الله ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للاربى
وقيل للامر بالوفاء وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب
ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشاء بالخذلان ويهدي من يشاء
بالتوفيق ولتسئلن عما كنتم تعملون سؤال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه
بعد التضمين تاكيدا ومبالغة في قبح المنهي فتزل قدم اي عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها والمراد
اقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة على ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء
اي العذاب في الدنيا بما صددتم عن سبيل الله بصدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من
نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في الآخرة ولا تشتروا بعهد الله
ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون
لضعفاء المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد انما عند الله من النصر والتغنيم في الدنيا والثواب
في الآخرة هو خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم والتمييز ما عندكم من اعراض
الدنيا ينفد ينقضي ويفنى وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وهو تعليل الحكم السابق
ودليل على ان نعيم اهل الجنة باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم على الفاقة واذى الكفار او على مشاق
التكاليف باحسن ما كانوا يعملون بما يرجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بجزاء
احسن من اعمالهم من عمل صالحا من ذكر او انثى بينه بالنوعين دفعا للتخصيص وهو مؤمن اذ
لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العقاب فلنحيينه
حياة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا كان

يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الاجر العظيم في الآخرة بخلاف الكافر فانه ان كان
معسرا فظاهر وان كان موسرا لم يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنأ بعيشه وقيل في الآخرة
ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من الطاعة فاذا قرأت القرآن اذا اردت قراءته كقوله تعالى
اذا قمتم الى الصلوة فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فسل الله ان يعيذك من وساوسه لئلا
يوسوسك في القراءة والجمهور على انه للاستحباب وفيه دليل ان المصلي يستعيذ في كل ركعة
لان الحكم المرتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه ايذان
بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن مسعود رضي الله عنه قرأت على رسول الله
عليه السلام فقلت اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم هكذا اقرأنيه جبرائيل عليه السلام عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان على الذين
آمنوا وعلى ربهم يتوكلون على اولياء الله المؤمنين والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون اوامره
ولا يقبلون وساوسه الا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة فذكر
السلطنة بعد الامر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه ان له سلطانا انما سلطانه على الذين يتولونه
يحبونه ويطيعونه والذين هم به بالله او بسبب الشيطان مشركون واذا بدلنا آية مكان آية
بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما والله اعلم بما ينزل من المصالح فلعل
ما يكون مصلحة في وقت يصير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يصير مصلحة الآن فيثبته
مكانه وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل بما ينزل وهو اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد
سندهم ويجوز ان يكون حالا بل اكثرهم لا يعلمون حكمة الاحكام ولا يميزون الخطأ من الصواب
قل نزله روح القدس يعني جبرائيل واضافة الروح الى القدس وقرأ ابن كثير بالتخفيف وفي ينزل
ونزله تنبيه على ان انزاله مدرجا على حسب المصالح مما يقتضي التبديل من ربك بالحق ملتبسا
بالحكمة ليثبت الذين آمنوا على الايمان بانه كلامه وانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية
الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين
لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول
اضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر يعنون
جبر الرومي غلام عامر الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التورية
والانجيل كان الرسول يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عايش غلام حويطب بن عبد العزى
قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي لسان الذي يلحدون اليه اعجمي لغة الرجل
الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه مأخوذ من لحد القبر وقرأ حمزة والكسائي يلحدون بفتح الياء
والحاء يقال لسان اعجمي اي غير بين وهذا وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة
والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم وتقريره يحتمل وجهين احدهما ان ما سمعه منه كلام اعجمي
لا يفهمه هو ولا انتم والقرآن عربي تفهمونه بادنى تأمل فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما
انه تعلم منه المعنى كاستماع كلامه لكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذاك اعجمي وهذا عربي والقرآن كما

كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز باعتبار اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التي في القرآن لا يمكن تعلمها
الا بملازمة معلم فائق في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك من غلام سوقي
سمع منه بعض اوقات مروره عليه كلمات اعجمية لعلهما لم يعرفا معناها وطعنهم في القرآن
بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم ان الذين لا يؤمنون بآيات الله
لا يصدقون انها من عند الله لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة ولهم عذاب
اليم في الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعد ما اماط شبههم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم
فقال انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله لانهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه
واولئك اشارة الى الذين كفروا او الى قريش هم الكاذبون اي الكاذبون على الحقيقة
او الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله تعالى والطعن فيها بهذه الخرافات
اعظم الكذب او الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروءة او الكاذبون
في قولهم انما انت مفتر انما يعلمه بشر من كفر بالله من بعد ايمانه بدل من الذين لا يؤمنون
وما بينهما اعتراض او من اولئك او من الكاذبون او مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله
فعليهم غضب ويجوز ان ينتصب بالذم وان يكون من شرطية محذوفة الجواب الا من اكره
على الافتراء او كلمة الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان وقلبه
مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب
ولكن من شرح بالكفر صدرا اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب
عظيم اذ لا اعظم من جرمه روي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا
سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت
وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا مكرها فقيل يا رسول الله
ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى
عمار رسول الله عليه السلام وهو يبكي فجعل رسول الله يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك
فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل ان يتجنب
عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول
في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول
الله عليه السلام فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له
ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان والوعيد بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة بسبب انهم
آثروها عليها وان الله لا يهدي القوم الكافرين اي الكافرين في علمه الى ما يوجب ثبات
الايمان ولا يعصمهم من الزيغ اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم فابت
عن ادراك الحق والتأمل فيه واولئك هم الغافلون اي الكاملون في الغفلة اذ اغفلتهم
الحالة الراهنة عن تدبر العواقب لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم
وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا اي

عذبوا كعمار بالولاية والنصر وثم لتباعد حال هؤلاء عن حال اولئك وقرأ ابن عامر فتنوا
بالفتح اى بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمى اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ثم جاهدوا وصبروا
على الجهاد وما اصابهم من المشاق ان ربك من بعدها من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا
قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد يوم تأتى كل نفس منصوب برحيم او باذكر تجادل
عن نفسها تجادل عن ذاتها وتسعى فى خلاصها لا يهمها شأن غيرها فتقول نفسى نفسى وتوفى كل نفس
ما عملت جزاء ما عملت وهم لا يظلمون لا ينقصون اجورهم وضرب الله مثلا قرية اى جعلها
مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله بهم نقمته او لمكة كانت آمنة
مطمئنة لا يزعج اهلها خوف يأتيها رزقها رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت
بانعم الله بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس فاذاقها
الله لباس الجوع والخوف استعار الذوق لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل
عليهم من الجوع والخوف واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير غمر الرداء اذا تبسم
ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال فانه استعار الرداء للمعروف فانه يصون عرض صاحبه
صون الرداء لما يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذى هو وصف المعروف والنوال وقد ينظر الى المستعار
كقوله ينازعنى ردائى عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر لى الشطر الذى ملكت يمينى ودونك
فاعتجر منه بشطر استعار الرداء لسيفه ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار بما كانوا يصنعون
بصنيعهم ولقد جاءهم رسول منهم يعنى محمدا والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم فكذبوه
فاخذهم العذاب وهم ظالمون اى حال التباسهم بالظلم والعذاب ما اصابهم من الجدب الشديد
او وقعة بدر فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله امرهم باكل ما احل الله لهم وشكر ما
انعم عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذى حل بهم صدا لهم
عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة ان كنتم اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم
انكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله
به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لما امرهم بتناول ما احل لهم عدد عليهم محرماته
ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهى عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال ولا تقولوا
لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة
لذكورنا الآية ومساق الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات فى الاجناس الاربعة الا ما ضم اليه
دليل كالسباع والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل
منه او مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية اى ولا تقولوا هذا حلال
وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اى لا تحرموا ولا تحللوا لمجرد قول تنطق به السنتكم من غير
دليل ووصف السنتهم الكذب مبالغة فى وصف كلامهم بالكذب كان حقيقة الكذب كانت
مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح الكلام كقولهم وجهها
تصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب او كذاب بالرفع

بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب لتفتروا على الله الكذب تعليل
لا يتضمن الغرض ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لما كان المفترى يفترى لتحصيل
مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله متاع قليل اى ما يفترون لاجله او ما هم فيه منفعة
قليلة تنقطع عن قريب ولهم عذاب اليم فى الآخرة وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك
من قبل اى فى سورة الانعام فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر متعلق بقصصنا او بحرمنا
وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على
الفرق بينهم وبين غيرهم فى التحريم وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة ثم ان ربك للذين
عملوا السوء بجهالة بسببها او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر فى العواقب
لغلبة الشهوة والسوء ليعم الافتراء على الله وغيره ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك
من بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على الانابة ان ابراهيم كان امة
لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد الا مفرقة فى اشخاص كثيرة كقوله ليس من الله بمستنكر
ان يجمع العالم فى واحد وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين جادل فرق المشركين وابطل
مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك
والطعن فى النبوة وتحريم ما احله او لانه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل
هى فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده واقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه
للاستفادة ويقتدون بسيرته لقوله انى جاعلك للناس اماما قانتا لله مطيعا له قائما
باوامره حنيفا مائلا عن الباطل ولم يك من المشركين كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون
انهم على ملة ابراهيم شاكرا لانعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف
بالكثيرة اجتباه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم فى الدعوة الى الله وآتيناه فى الدنيا حسنة
بان حببه الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا
فى السعة والطاعة وانه فى الآخرة لمن الصالحين لمن اهل الجنة كما سأله بقوله والحقنى بالصالحين
ثم اوحينا اليك يا محمد وثم اما لتعظيمه والتنبيه على ان اجل ما اوتى ابراهيم اتباع الرسول
عليه السلام ملته او لتراخى ايامه ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا فى التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد
الدلائل مرة بعد اخرى والمجادلة مع كل احد بحسب فهمه وما كان من المشركين بل كان قدوة
الموحدين انما جعل السبت تعظيم السبت والتخلى فيه للعبادة على الذين اختلفوا فيه اى
على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا وقالوا نريد يوم السبت
لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض فالزمهم الله السبت وشدد الامر عليهم
وقيل معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه تارة
وحرموه اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم هنا لتهديد المشركين كذكر القرية التى كفرت
بانعم الله وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بالمجازاة على الاختلاف
بمجازاة كل فريق بما يستحقه ادع من بعثت اليهم الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة

الحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة الخطابات المقنعة والعبر النافعة
فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم وجادلهم وجادل معانديهم
بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر
والمقدمات التي هي اشهر فان ذلك انفع في تسكين لهبهم وتبيين شغبهم ان ربك هو اعلم
بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي انما عليك البلاغ والدعوة واما حصول الهداية
والضلال والمجازاة عليهما فلا اليك بل الله اعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازي لهم وان
عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لما امر بالدعوة وبين طرقها اشار اليه والى من يتابعه بترك
المخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم فان الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها تتضمن
رفض العادات وترك الشهوات والقدح في دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال
وقيل انه لما راى حمزة وقد مثل به فقال والله لئن اظفرني الله بهم بسبعين مكانك فنزلت
فكفر عن يمينه وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل الجاني وليس له ان يجاوزه وحث على العفو
تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الآكد بقوله ولئن صبرتم لهو اي الصبر خير للصابرين
من الانتقام للمنتقمين ثم صرح بالامر به لرسوله لانه اولى الناس به لزيادة علمه بالله ووثوقه
عليه فقال واصبر وما صبرك الا بالله الا بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن عليهم اي على الكافرين او على
المؤمنين وما فعل بهم ولا تك في ضيق مما يمكرون في ضيق صدر من مكرهم وقرأ ابن كثير
في ضيق وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق تخفيف ضيق ان الله
مع الذين اتقوا المعاصي والذين هم محسنون في اعمالهم بالولاية والفضل او مع الذين اتقوا
الله بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه عن النبي عليه السلام من قرأ سورة
النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له
من الاجر كالذي مات واحسن الوصية **سورة بني اسرائيل وهي مائة واحدى عشرة آية**
مكية غير ثمان آيات نزلت في ثعيب قوله تعالى وان كادوا ليفتنونك الى قوله وقل
جاء الحق وحروفها ستة آلاف واربعمائة وستون وكلامها الف وخمسمائة وثلث وثلثون
بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده ليلا سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه
وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال قد قلت لما جاءني فخره سبحان من
علقمة الفاخر وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكره
بعد واسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل
مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل اي بعضه كقوله ومن الليل فتهجد به من المسجد الحرام
بعينه لما روي انه قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني
جبرائيل بالبراق او من الحرم وسماه المسجد الحرام لانه كله مسجد او لانه محيط به ليطابق المبدأ المنتهى
لما روي انه كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلاة العشاء فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة
عليها وقال مثل لي النبيون وصليت بهم ثم خرج الى المسجد واخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة

استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال لقد صدق قالوا
اتصدقه قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته طائفة سافروا الى بيت
المقدس فجلي له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا
عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا
يشتدون الى الثنية فصادفوا العير كما اخبر ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل
الهجرة بسنة واختلف في انه كان في المنام او في اليقظة بروحه او بجسده والاكثر على انه اسرى
بجسده الى بيت المقدس ثم عرج الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب
قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف
ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى في اقل
من ثانية وقد برهن في الكلام ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض وان الله تعالى قادر
على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي عليه السلام او فيما
يحمله والتعجب من لوازم المعجزات الى المسجد الاقصى بيت المقدس سمي به لانه لم يكن حينئذ وراءه
مسجد الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء من لدن
موسى ومحفوف بالانهار والاشجار لنريه من آياتنا كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدة
بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم
لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع لاقوال محمد البصير بافعاله
فيكرمه ويقربه على حسب ذلك وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا
تتخذوا على ان لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل وقرأ ابو عمرو بالياء على لئلا يتخذوا
من دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم غيري ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص
او النداء ان قرئ لا تتخذوا بالتاء او على انه احد مفعولي لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا
فيكون كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف
او بدل من واو يتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله عليهم في انجاء آبائهم من الغرق
بحملهم مع نوح في السفينة انه ان نوحا كان عبدا شكورا يحمد الله على مجامع حالاته وفيه ايماء
بان انجاءه ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى وقضينا
الى بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا في الكتاب في التوراة لتفسدن في الارض
جواب قسم محذوف او قضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم مرتين افسادتين
اولاهما مخالفة احكام التوراة وقتل شعيا وقيل ارميا وثانيتهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليه السلام
ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله ولتظلمن الناس فاذا جاء وعد اولاهما وعد
عقاب اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا بختنصر عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل
جالوت الجزري وقيل سنحاريب من اهل نينوى اولي بأس شديد ذوي قوة وبطش في الحرب
شديد فجاسوا ترددوا لطلبكم وقرئ بالحاء وهما اخوان خلال الديار وسطها للقتل والغارة

قتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التوراة وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر
على ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع وكان وعدا مفعولا وكان وعد عقابهم لا بد ان يفعل
ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله في قلب
بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف بن لهراسف شفقة عليهم فرد
اسراهم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر
او بان سلط داود على جالوت فقتله وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم
والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو ان احسنتم
احسنتم لانفسكم لان ثوابه لها وان اسأتم فلها فان وبالها عليها وانما ذكرها باللام ازدواجا
فاذا جاء وعد الآخرة وعد عقوبة المرة الآخرة ليسوءوا وجوهكم اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها
بادية آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره اولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء
على التوحيد والضمير فيه للوعد او البعث او لله ويعضده قراءة الكسائي بالنون والياء والنون
المخففة والمثقلة ولنسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه جواب اذا واللام في قوله
وليدخلوا المسجد متعلق بمحذوف هو بعثناهم كما دخلوه اول مرة وليتبروا وليهلكوا ما علوا
ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة
اخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل خردوس قيل دخل صاحب
الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال
ما صدقوني فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا
فقالوا انه دم يحيى فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك
من اجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدأ عسى ربكم ان يرحمكم
بعد المرة الاخرى وان عدتم نوبة اخرى عدنا مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب
محمد وقصد قتله فعاد الله بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بني النضير وضرب الجزية
على الباقين هذا لهم في الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون على الخروج
منها ابد الآباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم للحالة
او الطريقة التي هي اقوم الحالات او الطرق ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات
ان لهم اجرا كبيرا وقرأ حمزة والكسائي ويبشر بالتخفيف وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا
لهم عذابا اليما عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه بشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم
وعقاب اعدائهم او على يبشر باضمار يخبر ويدع الانسان بالشر ويدعو الله عند غضبه
بالشر على نفسه واهله وماله او يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر دعاءه بالخير مثل دعائه بالخير
وكان الانسان عجولا يسارع الى كل ما يخطر بباله لا ينظر في عاقبته وقيل المراد آدم فانه
لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط روي انه عليه السلام دفع اسيرا الى سودة
بنت زمعة فرحمته لانينه فارخت كتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال اللهم

وقرئ ليسوءن بالنون

اللهم انما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائي رحمة له فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان
الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فاجيب له فضرب عنقه يوم بدر صبرا وجعلنا
الليل والنهار آيتين تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد فمحونا آية الليل اي الآية
التي هي الليل بالاشراق والاضافة فيهما للتبيين كاضافة العدد الى المعدود وجعلنا آية النهار
مبصرة مضيئة او مبصرة للناس من ابصره فبصر او مبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله
جبناء وقيل الآيتان القمر والشمس وتقدير الكلام وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين او جعلنا
الليل والنهار ذوي آيتين ومحونا آية الليل التي هي القمر جعلناها مظلمة في نفسها مطموسة النور او نقص
نورها شيئا فشيئا الى المحاق وجعلنا آية النهار التي هي الشمس مبصرة جعلناها ذات شعاع
تبصر الاشياء بضوئها لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا في بياض النهار اسباب معاشكم
وتتوسلوا به الى استبانة اعمالكم ولتعلموا باختلافهما او حركتهما عدد السنين والحساب
وجنس الحساب وكل شيء تفتقرون اليه في امر الدين والدنيا فصلناه تفصيلا بيناه
بيانا غير ملتبس وكل انسان الزمناه طائره عمله وما قدر له كانه طير اليه من عش الغيب
ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب
الخير والشر من قدر الله وعمل العبد في عنقه لزوم الطوق في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا هي
صحيفة عمله او نفسه المنتقشة بآثار اعماله فان الافعال الاختيارية تحدث في النفس احوالا
ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات ونصبه بانه مفعول او حال من مفعول محذوف وهو ضمير
الطائر ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج وقرئ يخرج اي الله كتابا يلقاه منشورا لكشف
الغطاء وهما صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرأ ابن عامر يلقاه
على البناء للمفعول من لقيته كذا اقرأ كتابك على ارادة القول كفى بنفسك اليوم عليك
حسيبا كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه اما بمعنى الكافي فوضع موضع
الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال او على
تأويل النفس بالشخص من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها لا ينجي اهتداؤه
غيره ولا يردي ضلاله سواه ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس
اخرى بل انما تحمل وزرها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يبين الحجج ويمهد الشرائع
فيلزمهم الحجة وفيه دليل على ان لا وجوب قبل الشرع واذا اردنا ان نهلك قرية واذا
تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق او دنا وقته المقدر كقولهم
اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة امرنا مترفيها متنعميها بالطاعة على لسان
رسول بعثناه اليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة
والتمرد في العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرنا كثرنا لقوله ففسقوا فيها
كقولك امرته فقرأ فانه لا يفهم منه الا الامر بالقراءة على ان الامر مجاز من الحمل عليه او التسبب له

فامطر علينا حجارة من السماء

بالمكان غيره

الحاسب كالعقيب بمعنى العاقب وضريب القداح بمعنى ضاربها

بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق ويحتمل ان لايكون له مفعول منوي كقوله
امرته فعصاني وقيل معناه كثرنا يقال امرت الشيء وآمرته فامر اذا كثرته وفي الحديث خير المال
سكة مابورة ومهرة مامورة اي كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قراءة يعقوب
آمرنا ورواية أمّرنا عن ابي عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من أمُر بالضم امارة اي جعلناهم
أمراء وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر الى الفجور فحق عليها القول
يعني كلمة العذاب السابق بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم في المعاصي فدمرناها تدميرا اهلكنا
باهلاك اهلها وتخريب ديارها وكم اهلكنا وكثيرا اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له من بعد
نوح كعاد وثمود وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يدرك ظواهرها وبواطنها فيعاقب
عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من كان يريد العاجلة مقصورا عليها همه عجلنا له فيها ما نشاء
لمن نريد قيد المعجل والمعجل له بالمشية والارادة لانه لايجد كل متمن ما يتمناه ولا كل واحد جميع
ما يهواه وليعلم ان الامر بالمشية والهم فضول ولمن نريد بدل من له بدل البعض وقرئ يشاء والضمير فيه
لله حتى يطابق المشهور وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد به ذلك وقيل الاية في المنافقين كانوا يراؤن
المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ثم جعلنا له جهنم يصليها
مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو الاتيان
بما امروا والانتهاء عما نهي لا التقرب بما يخترعون بارائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص
وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة فاولئك الجامعون للشرائط الثلاثة
كان سعيهم مشكورا من الله اي مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة
كلا كل واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه نمد بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل آنفه
مددا السالفة هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا من عطاء ربك من معطاه متعلق بنمد وما كان
عطاء ربك محظورا ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا انظر كيف فضلنا
بعضهم على بعض في الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال وللاخرة اكبر درجات واكبر
تفضيلا اي التفاوت في الاخرة اكثر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها
لا تجعل مع الله الها اخر الخطاب للرسول عليه السلام والمراد به امته او لكل احد فتقعد فتصير
من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او فتعجز من قولهم قعد عن الشيء اذا عجز عنه مذموما مخذولا
جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى ومفهومه ان الموحد يكون
ممدوحا منصورا وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به ان لا تعبدوا بان لا تعبدوا الا اياه لان
غاية التعظيم لا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعي الاخرة ويجوز ان تكون
ان مفسرة ولا ناهية وبالوالدين احسانا وبان تحسنوا او واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما
السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز ان يتعلق الباء بالاحسان لان صلته لا تتقدم عليه
اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما اما هي ان الشرطية زيدت ما عليها تاكيدا ولذلك
صح لحوقها النون المؤكدة للفعل واحدهما فاعل يبلغن ويدل على قراءة حمزة والكسائي من الف

من الف يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز
ان يكون تاكيدا للالف ومعنى عندك ان في كنفك وكفالتك فلا تقل لهما اف فلا تضجر مما
يستقذر منهما وتستثقل من مؤنهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل اسم الفعل الذي
هو اتضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير وقرا ابن
ابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهي
عن ذلك يدل على المنع من سائر انواع الايذاء قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك
فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله عليه السلام ابن عمر من قتل ابيه وهو في صف
المشركين نهي عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان بهما ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما لا يعجبك
باغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التافيف والنهي قولا كريما جميلا
لا شراسة فيه واخفض لهما جناح الذل تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد
في قوله وغداة ريح قد كشفت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها جعل للشمال يدا وللقرة
زماما وامره بخفضها مبالغة او اراد جناحه كقوله واخفض جناحك للمؤمنين واضافته
الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل
وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول من الرحمة من فرط رحمتك عليهما
لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله اليهما وقل رب ارحمهما وادع الله ان يرحمهما برحمته
الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما كما
ربياني صغيرا رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما وارشادهما لي في صغري وفاء بوعدك للراحمين
روي ان رجلا قال لرسول الله عليه السلام ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في
الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك
وانت تريد موتهما ربكم اعلم بما في نفوسكم من قصد البر اليهما واعتقاد الخير لهما من التوقير وكانه
تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا ان تكونوا صالحين قاصدين للصلاح فانه كان
للاوابين للتوابين غفورا ما فرط منه عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم
ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه التائب من جنايته لوروده
على اثره وآت ذا القربى حقه من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال ابو حنيفة
حقهم اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل المراد بذي القربى اقارب الرسول والمسكين
وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا بصرف المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف واصل
التبذير التفريق وعن النبي عليه السلام انه قال لسعد وهو يتوضأ ما هذا السرف قال
افي الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين
امثالهم في الشرارة فان التضييع والاتلاف شر او اصدقاءهم واتباعهم لانهم يطيعونهم في
الاسراف والصرف في المعاصي روي انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون
اموالهم في السمعة فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بالانفاق في القربات وكان الشيطان لربه كفورا

مبالغة في الكفر به فينبغي ان لا يطاع وإما تعرضن عنهم وان اعرضت عن ذوي القربى والمسكين
وابن السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكناية ابتغاء
رحمة من ربك ترجوها لانتظار رزق من الله ترجوه ان يأتيك فتعطيه او منتظرين له وقيل
معناه لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه
ويجوز ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله فقل لهم قولا ميسورا اي فقل لهم قولا لينا
ابتغاء رحمة ربك برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس
وقيل القول الميسور الدعاء لهم وهو اليسر مثل اغناكم الله رزقنا الله واياكم ولا تجعل يدك
مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر نهي عنهما
امرا بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف
وسوء التدبير محسورا نادما او منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وعن جابر
بينا رسول الله عليه السلام جالس اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة
فعد الينا فذهب الى امه فقالت له قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره
ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروه للصلوة فلم يخرج فانزل الله ذلك
ثم سلاه بقوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه بمشيته التابعة
للحكمة فليس ما يرهقك من الاضاقة الا لمصلحتك انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم سرهم
وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يريد ان البسط والقبض من امر الله العالم
بالسرائر والظواهر فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا او انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى
فاستنوا بسنته ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وان يكون تمهيدا لقوله ولا
تقتلوا اولادكم خشية املاق مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم وادهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم
عنه وضمن لهم ارزاقهم فقال نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه
من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطأ الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وقرأ ابن عامر
خطأ وهو اسم من اخطأ يضاد الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وقرأ ابن كثير خطاء بالمد
والكسر وهو اما لغة او مصدر خاطأ وهو وان لم يسمع لكنه جاء تخاطأ في قوله تخاطأه القناص
حتى وجدته وخرطومه من منقع الماء راسب وهو مبني عليه وقرئ خطاء بالفتح والمد وخطا
بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا ولا تقربوا الزنى بالقصد والاتيان بالمقدمات فضلا ان
تباشروه انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح زائدة وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه
وهو الغصب على الابضاع المؤدي الى قطع الانساب وهيج الفتن ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل
مؤمن معصوم عمدا ومن قتل مظلوما غير مستوجب للقتل فقد جعلنا لوليه للذي يلي امره بعد
وفاته وهو الوارث سلطانا تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه او بالقصاص
على القاتل فان قوله مظلوما يدل على ان القتل عمد عدوان فان الخطاء لا يسمى ظلما فلا يسرف

فلا يسرف اي القاتل في القتل بان يقتل من لا يحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك
او الولي بالمثلة او قتل غير القاتل ويؤيده الاول قراءة ابي فلا تسرفوا وقرأ حمزة والكسائي فلا تسرف
على خطاب احدهما انه كان منصورا علة النهي على الاستيناف والضمير اما للمقتول فانه منصور
في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الآخرة بالثواب واما لوليه فان الله نصره حيث اوجب
القصاص له وامر الولاة بمعونته واما للذي يقتله الولي اسرافا بايجاب القصاص او التعزير
والوزر على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم فضلا ان تتصرفوا فيه الا بالتي هي احسن الا بالطريقة
التي هي احسن حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف الذي دل عليه الاستثناء واوفوا بالعهد
بما عاهدكم الله من تكاليفه او ما عاهدتموه وغيره ان العهد كان مسئولا مطلوبا يطلب من المعاهد ان
لا يضيعه ويفي به او مسئولا عنه يسئل الناكث ويعاتب عليه او يسئل العهد لم نكثت تبكيتا
للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز ان يراد صاحب العهد
كان مسئولا واوفوا الكيل اذا كلتم ولا تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي
وهو رومي عرب ولا يقدح ذلك في عربية القران لان العجمي اذا استعملته العرب واجرته مجرى
كلامهم في الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف هنا وفي الشعراء
ذلك خير واحسن تأويلا واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف
من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة ما ليس لك به علم ما لم يتعلق به علمك تقليدا او رجما
بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد
من سند سواء كان قطعا او ظنا واستعماله بهذا المعنى شائع وقيل انه مخصوص بالعقائد
وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه السلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة
الخبال حتى ياتي بالمخرج وقول الكميت ولا ارمي البريء بغير ذنب ولا اقفوا الحواصن ان قفينا
ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اي كل هذه الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء لما كانت
مسئولة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا وان اولاء غلب في العقلاء لكنه من حيث
انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين جاء لغيرهم كقوله ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش
بعد اولئك الايام كان عنه مسئولا في ثلثتها ضمير كل اي كان كل واحد منها مسئولا عن نفسه
يعني عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في عنه لمصدر لا تقف او لصاحب السمع والبصر
وقيل مسئولا مسند الى عنه كقوله غير المغضوب عليهم والمعنى يسأل صاحبه عنه وهو خطأ لان الفاعل
وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفواد
بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح ولا تمش في الارض مرحا اي ذا مرح وهو
الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر آكد من صريح النعت
انك لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بشدة وطأتك ولن تبلغ الجبال طولا
بتطاول وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهي بان الاختيال حماقة مجردة لا يعود بجدوى
ليس في التذلل كل ذلك اشارة الى الخصال الخمسة والعشرين المذكورة من قوله

ولا تجعل مع الله الها آخر وعن ابن عباس رضي الله عنه انها المكتوبة في الواح موسى
كان سيئه يعني المنهي عنه فان المذكورة مامورات ومناه وقرأ الحجازيان والبصريان سيئة
على انها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهي عنه خاصة وعلى هذا قوله عند
ربك مكروها بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز
ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن في كان او في الظرف على انه صفة سيئة والمراد به
المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته
تعالى ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة التي هي معرفة الحق
لذاته والخير للعمل به ولا تجعل مع الله الها آخر كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه
فان من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله او تركه غيره ضاع سعيه وانه رأس الحكمة وملاكها
ورتب عليه اولا ما هو عائدة الشرك في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى فقال فتلقى
في جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا مبعدا من رحمة الله افأصفاكم ربكم بالبنين خطاب
لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى افخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم البنون
واتخذ من الملائكة اناثا بنات لنفسه هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم انكم لتقولون قولا
عظيما باضافة الاولاد اليه وهي خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم
عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم من اشرف خلق الله ادونهم
ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير في هذا القرآن في مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا
القرآن ابطال اضافة البنات اليه بتقدير ولقد صرفنا القول في هذا المعنى واوقعنا
التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ليذكروا ليتذكروا وقرأ حمزة والكسائي ليذكروا
من الذكر الذي هو بمعنى التذكر وما يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة طمأنينة قل لو كان معه آلهة
كما تقولون ايها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما بعده على ان الكلام
مع الرسول ووافقهما نافع وابن عامر وابو عمرو وابو بكر ويعقوب في الثانية على ان الاولى مما
امر الرسول ان يخاطب المشركين والثانية تنزيه منه تعالى عن مقالتهم اذا لابتغوا الى ذي العرش
سبيلا جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا بالمعازة
كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب اليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله
اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة سبحانه ينزه تنزيها وتعالى عما يقولون علوا
كبيرا متعاليا اقصى غاية البعد عما يقولون فانه في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود
والبقاء لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه تسبح له السموات السبع
والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ينزهه عما هو من لوازم الامكان وتوابع
الحدوث بلسان الحال حيث تدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته
ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز ان يحمل
التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى ما يتصور منه اللفظ والى ما لا يتصور منه

منه وعليهما عند من جوز اطلاق اللفظ على معنييه وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر
يسبح بالياء انه كان حليما حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم غفورا لمن
تاب منكم واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا
يحجبهم عن فهم ما تقرأه عليهم مستورا ذا ستر كقوله وعدا مأتيا وقولهم سيل مفعم او مستورا عن الحس
او بحجاب آخر لا يفهمون ولا يفهمون انهم لا يفهمون نفى عنهم ان يفهموا ما انزل عليهم من الآيات
بعد ما نفى عنهم التفقه للدلالات المنصوبة في الانفس والآفاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين
على الضلالة كما صرح به بقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة تكنها وتحول دونها عن ادراك الحق
وقبوله ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على
قلوبهم اكنة اي منعناهم ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنعهم عن استماعه ولما كان القرآن
معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت للمكذبين ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ واذا ذكرت
ربك في القرآن وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله يحد وحده
بمعنى واحدا وحده ولوا على ادبارهم نفورا هربا من استماع التوحيد ونفرة او تولية ويجوز ان يكون
جمع نافر كقاعد وقعود نحن اعلم بما يستمعون به بسببه ولاجله من الهزء بك وبالقرآن اذ يستمعون
اليك ظرف لاعلم وكذا واذ هم نجوى اي نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون اليك
مضمرون له وحين هم ذوو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجي اذ يقول
الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا مقدر باذكر او بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمين
موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا والمسحور الذي سحر به فزال عقله وقيل الذي له سحر
وهو الرئة اي الا رجلا يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك
بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون
سبيلا الى طعن موجه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع او الى الرشاد
وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا حطاما ائنا لمبعوثون خلقا جديدا على الانكار والاستبعاد
لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل في اذا ما دل عليه
مبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وخلقا مصدر او حال قل كونوا
حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم اي مما يكبر عندكم عن قبول الحياة لكونه ابعد شيء
منها فان قدرته تعالى لا تقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم
عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحياة قبل والشيء اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد فسيقولون
من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة وكنتم ترابا وما هو ابعد منه من الحياة فسينغضون اليك
رؤوسهم فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا فان كل ما هو
آت قريب وانتصابه على الخبر او الظرف اي يكون في زمان قريب وان يكون اسم عسى
او خبره والاسم مضمر يوم يدعوكم فتستجيبون اي يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء
والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر امرهما وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء

بحمده حال منهم اي حامدين لله على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم و
ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين لبعثه انقياد الحامدين عليه وتظنون ان
لبثتم الا قليلا وتستقصرون مدة لبثكم في القبور كالذي مر على قرية او مدة حياتكم لما ترون من
الهول وقل لعبادي يعني المؤمنين يقولوا التي هي احسن الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوا
المشركين ان الشيطان ينزغ بينهم يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم تفضي
الى العناد وازدياد الفساد ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة
ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض
اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه يهيجهم على الشر مع ان ختام
امرهم غيب لا يعلمه الا الله وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم على الايمان وانما ارسلناك
مبشرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالاحتمال منهم وروي ان المشركين افرطوا في ايذائهم
فشكوا الى رسول الله عليه السلام فنزلت وقيل شتم عمر رجل فهم به فامره الله بالعفو وربك
اعلم بمن في السموات والارض وباحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهو رد لاستبعاد
قريش ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه ولقد فضلنا بعض
النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتبري عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال و
والاتباع حتى داود فان شرفه بما اوحي اليه من الكتاب لا بما اوتي من الملك وقيل هو اشارة
الى تفضيل رسول الله عليه السلام واتينا داود زبورا تنبيه على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء
وامته خير الامم المدلول عليه بما كتب في الزبور لانه في الاصل فعول للمفعول كالحلوب
او المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم وهو كالعباس والفضل او لان المراد واتينا
داود بعض الزبور او بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول عليه السلم قل ادعوا الذين زعمتم انها
الهة من دونه كالملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر عنكم كالمرض
والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم
الوسيلة هؤلاء الالهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة ايهم اقرب بدل من واو يبتغون
اي يبتغي من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب ويرجون رحمته ويخافون
عذابه كسائر العباد فكيف تزعمون انهم الهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان
يحذره كل احد حتى الرسول والملائكة وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة بالموت
والاستيصال او معذبوها عذابا شديدا بالقتل وانواع البلية كان ذلك في الكتاب
مسطورا في اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالايات وما صرفنا عن ارسال
الايات التي اقترحها قريش الا ان كذب بها الاولون الا تكذيب الاولين الذين هم
امثالهم في الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك واستوجبوا
الاستيصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا ان لا نستاصلهم لان فيهم من يؤمن او يلد
من يؤمن ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الايات المقترحة فقال واتينا ثمود الناقة

تفسير لهم ه

من ان الارض يرثها عبادي الصالحون وتنكيره ههنا وتعريفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور ص

الناقة بسؤالهم مبصرة بينة ذات ابصار او بصائر او جاعلتهم ذوي بصائر وقرئ بالفتح
فظلموا بها فكفروا بها او فظلموا انفسهم بسبب عقرها وما نرسل بالايات اي الايات
المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب المستاصل فان لم تخافوا نزل او بغير المقترحة كالمعجزات
وايات القران الا تخويفا بعذاب الاخرة فان امر من بعثت اليهم مؤخر الى يوم القيمة
والباء مزيدة او في موقع الحال والمفعول محذوف واذ قلنا لك واذكر اذ اوحينا اليك
ان ربك احاط بالناس فهم في قبضة قدرته او احاط بقريش بمعنى اهلكهم من احاط بهم
العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه وما جعلنا الرؤيا التي اريناك
ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان في المنام ومن قال انه كان في اليقظة فسر الرؤيا
بالرؤية او عام الحديبية حين راى انه دخل مكة وفيه ان الاية مكية الا ان يقال رآها بمكة
وحكاها حينئذ ولعله رؤيا راها في وقعة بدر لقوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا
ولما روي انه لما ورد ماءه قال والله لكاني انظر مصارع القوم هذا مصرع فلان هذا
مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل راى قوما من بني امية يرقون
منبره وينزون عليه نزو القردة فقال هذا حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا
كان المراد بقوله الا فتنة للناس ما حدث في ايامهم والشجرة الملعونة في القران عطف
على الرؤيا وهي شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة
ثم يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا ان من قدر ان يحمي وبر السمندر من ان تاكله النار
واحشاء النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التي تبتلعها قادر ان يخلق في النار
شجرة لا تحرقها ولعنها في القران لعن طاعميها وصفت به على المجاز للمبالغة او وصفها
بانها في اصل الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة او بانها مكروهة مؤذية من قولهم طعام ملعون
لما كان ضارا وقد اولت بالشياطين وابو جهل والحكم بن ابي العاص وقرئت بالرفع
على الابتداء وخبره محذوف اي والشجرة الملعونة في القران كذلك ونخوفهم بانواع
التخويف فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا الا عتوا متجاوز الحد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم
فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض
ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو طين او منه اي اسجد له واصله
طين وفيه على الوجوه ايماء بعلة الانكار قال ارايتك هذا الذي كرمت علي الكاف
لتاكيد الخطاب لا محل لها من الاعراب وهذا مفعول والذي صفته والمفعول الثاني محذوف
لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بامري بالسجود له لم كرمته علي لئن
اخرتن الى يوم القيمة كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه لاحتنكن ذريته الا قليلا
اي لاستاصلنهم بالاغواء الا قليلا لا اقدر ان اقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الارض
اذا جرد ما عليها اكلا ماخوذ من الحنك وانما علم ان ذلك يتسهل له اما استنباطا
من قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير او تفرسا من خلقه ذا وهم وشهوة

وغضب قال اذهب امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه
فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب
ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات جزاء موفورا مكملا من قولهم فر لصاحبك
عرضه وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله او بما في جزاؤكم من معنى تجازون او حال موطئة
لقوله موفورا واستفزز واستخفف من استطعت منهم ان تستفزه والفز الخفيف بصوتك
بدعائك الى الفساد واجلب عليهم وصح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك
باعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله عليه السلام يا خيل الله اركبي والرجل
اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار
صوت على قوم فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى استأصلهم وقرأ حفص
ورجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كندس وندس ومعناه وجمعك الرجل ورجالك
وشاركهم في الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي والاولاد
بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسميته عبد العزى والتضليل
عن الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة
والاتكال على كرامة الآباء وتاخير التوبة لطول الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض
لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطاء بما يوهم انه صواب ان عبادي يعني المخلصين
وتعظيم الاضافة والتقييد في قوله الا عبادك منهم المخلصين ليس لك عليهم سلطان اي على
اغوائهم قدرة وكفى بربك وكيلا يتوكلون به في الاستعاذة منك على الحقيقة ربكم الذي
يزجي لكم الفلك هو الذي يجري لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله الربح وانواع الامتعة التي لا تكون
عندكم انه كان بكم رحيما حيث هيأ لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما تعسر من اسبابه واذا
مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون ذهب عن خواطركم كل من تدعونه في حوادثكم
الا اياه وحده فانكم حينئذ لا يخطر ببالكم ولا تدعون لكشفه الا اياه او ضل كل من تعبدونه
عن اغاثتكم الا الله فلما نجاكم من الغرق الى البر اعرضتم عن التوحيد وقيل اتسعتم في كفران
النعمة كقول ذي الرمة عطاء فتى تمكن في المعالي فاعرض في المكارم واستطالا وكان الانسان
كفورا كالتعليل للاعراض افامنتم الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره
انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من قدر ان يهلككم في البحر بالغرق قدر ان يهلككم
بالخسف وغيره ان يخسف بكم جانب البر ان يقلبه الله وانتم عليه او يقلبه بسببكم فبكم حال او صلة
وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفي الاربعة التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على انهم لما
وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب والجهات في قدرته سواء لا معقل يؤمن
فيه من اسباب الهلاك او يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب اي ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا
لكم وكيلا يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر تارة اخرى بخلق دواعي
تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشيء الا قصفته اي كسرته

كسرته فيغرقكم وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب اشراككم
وكفرانكم نعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف ولقد
كرمنا بني آدم بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتمييز بالعقل والافهام
بالنطق والاشارة والخط والتهدي الى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما
في الارض والتمكن من الصناعات وانسياق الاسباب والمسببات العلوية والسفلية
الى ما يعود اليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس
رض وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وحملناهم
في البر والبحر على الدواب والسفن من حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم فيهما حتى لم تخسف
بهم الارض ولم يغرقهم الماء ورزقناهم من الطيبات المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم
وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالغلبة والاستيلاء او بالشرف والكرامة والمستثنى
جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسئلة
موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف يوم ندعوا نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا
يظلمون وقرئ يدعو ويدعى ويدعوا على قلب الالف واوا في لغة من يقول افعوا او على ان الواو علامة
الجمع كما في قوله تع واسروا النجوى الذين ظلموا او ضمير وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة
بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر كما في يدعى كل اناس بامامهم بمن ائتموا به من نبي
او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا صاحب كتاب
كذا اي ينقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم
وقيل بامهاتهم جمع ام كخف وخفاف والحكمة في ذلك اجلال عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن
والحسين رض وان لا تفتضح اولاد الزنا فمن اوتي من المدعوين كتابه بيمينه اي كتاب عمله
فاولئك يقرؤون كتابهم ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من اجورهم
ادنى شيء وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتي في معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب
باليمين يدل على ان من اوتي كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس السنتهم عن القراءة
ولذلك لم يذكرهم مع ان قوله ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى ايضا مشعر بذلك فان الاعمى
لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان في هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان في الآخرة اعمى لا يرى
طريق النجاة واضل سبيلا منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة وقيل ان الاهتداء
بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثاني للتفضيل من عمي بقلبه كالاجهل والابله
ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم المتوسط كما في اعمالكم
بخلاف النعت فان الفه واقعة في الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء
في التثنية وقد امالهما حمزة والكسائي وابو بكر وقرأ ورش بين بين فيهما وان كادوا ليفتنونك
نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر
ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة

وان يحرم واديا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني وقيل
في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وان هي المخففة واللام الفارقة
والمعنى ان الشان قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك في الفتنة بالاستنزال عن الذي اوحينا اليك
من الاحكام لتفتري علينا غيره غير ما اوحينا اليك واذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت
مرادهم لاتخذوك بافتتانك وليا لهم بريا من ولايتي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك
لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت
على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب
من الركون فضلا من ان تركن اليه وهو صريح في انه عليه السلام ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها
ودليل على ان العصمة بتوفيق الله تعالى وحفظه اذا لاذقناك اي لو قاربت لاذقناك
ضعف الحيوة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الاخرة ضعف ما نعذب به
في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير اخطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة
وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت
كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب
الاخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع العذاب عنك وان
كادوا اي وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بمعاداتهم من الارض ارض مكة
ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك الا قليلا
الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته وقيل الاية نزلت في اليهود
حسدوا مقام النبي عليه السلام بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق
بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة
واجلي بنو النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذن على انه معطوف على جملة قوله وان
كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فان اذن لا يعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها
وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه قال عفت
الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا سنة من قد ارسلنا قبلك
من رسلنا نصب على المصدر اي سن الله ذلك سنة وهو ان يهلك كل امة اخرجوا
رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله واضافتها الى الرسل لانها من اجلهم ويدل عليه ولا تجد لسنتنا
تحويلا اي تغييرا اقم الصلوة لدلوك الشمس لزوالها ويدل عليه قوله عليه السلام اتاني جبرئيل
لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها واصل التركيب للانتقال ومنه
الدالك فان الدالك لا تستقر يده وكذا ما تركب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع
ودلف ودله وقيل الدلوك من الدلك لان الناظر اليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها
واللام للتأقيت مثلها في لثلث خلون الى غسق الليل الى ظلمته وهو وقت صلوة العشاء
وقرآن الفجر وصلوة الصبح سميت قرآنا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على

على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة
في صلوة الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفي غيرها قياسا ان قرآن الفجر كان
مشهودا تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء
والنوم الذي هو اخ الموت بالانتباه او كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير
والاية جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلوات الليل وحدها
ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق
الليل بيان لمبتداء الوقت ومنتهاه واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب الشفق
ومن الليل فتهجد به وبعض الليل فاترك الهجود للصلوة والضمير للقرآن نافلة لك
فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك عسى
ان يبعثك ربك مقاما محمودا مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل
مقام يتضمن كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة رض انه قال عليه السلام
قال هو المقام الذي اشفع فيه لامتي ولاشعاره ان الناس يحمدونه لقيامه فيه وما
ذاك الا مقام الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار فعله اي فيقيمك مقاما او بتضمين
يبعثك معناه او الحال بمعنى ان يبعثك ذا مقام وقل رب ادخلني في القبر مدخل
صدق ادخالا مرضيا واخرجني اي منه عند البعث مخرج صدق اي اخراجا ملقى بالكرامة
وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا
من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة
واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرئ
مدخل ومخرج بفتح الميم على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا واجعل
لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا ينصر الاسلام
على الكفر فاستجاب له بقوله تعالى فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين
كله ليستخلفنهم في الارض وقل جاء الحق الاسلام وزهق الباطل وذهب وهلك
الشرك من زهق روحه اذا خرج ان الباطل كان زهوقا مضمحلا غير ثابت عن ابن
مسعود رض انه عليه السلام دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكت
بمخصرته في عين واحد منها ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميع
وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسر وننزل
من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم
كالدواء الشافي للمرضى ومن للبيان فان كله كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى ان منه
ما يشفي من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف ولا
يزيد الظالمين الا خسارا لتكذيبهم وكفرهم به واذا انعمنا على الانسان بالصحة
والسعة اعرض عن ذكر الله ونأى بجانبه لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كانه مستغن مستبد

بامره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرأ ابن عامر برواية
ابن ذكوان هنا وفصلت وناء على القلب او على انه بمعنى نهض وامال الكسائي وخلف فتحة
النون والهمزة في السورتين واما خلف فتحة الهمزة فيهما فقط وامال ابو بكر فتحة الهمزة هنا
واخلص هناك وورش على اصله في ذوات الياء واذا مسه الشر من مرض او فقر كان
يؤسا شديد اليأس من روح الله قل كل يعمل على شاكلته قل كل احد يعمل على طريقته التي
تشاكل حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم اعلم بمن
هو اهدى سبيلا اسد طريقا وابين منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة و
الدين ويسألونك عن الروح الذي يحيى به بدن الانسان ويدبره قل الروح من امر
ربي من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد من اصل كاعضاء جسده او وجد
بامره وحدث بتكوينه على ان السؤال من قدمه وحدوثه وقيل استأثره الله تعالى بعلمه لما روي
ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان
اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين
لهم القصتين وابهم الروح وهو مبهم في التورية وقيل الروح جبرائيل وقيل خلق اعظم من الملك
وقيل القرآن ومن امر ربي معناه من وحيه وما اوتيتم من العلم الا قليلا تستفيدونه بتوسط
حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف النظرية انما هو من الضروريات المستفادة من احساس
الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا
من احواله المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه
عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى في جواب وما رب العالمين
بذكر بعض صفاته روي انه عليه السلام لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب فقال
بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول
هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان تعلم
من الخير والحق ما تسعه القوة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات
الله التي لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير ولئن شئنا لنذهبن
بالذي اوحينا اليك اللام موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط
والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن المصاحف والصدور ثم لا تجد لك به علينا
وكيلا من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا الا رحمة من ربك فانها ان نالتك
فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك
تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة في تنزيله ان فضله كان عليك
كبيرا كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه في حفظه قل لئن اجتمعت الانس والجن
على ان يأتوا بمثل هذا القرآن في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى لا يأتون بمثله وفيهم العرب
العرباء وارباب البيان واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة

الموطئة ولولا هي لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير وان اتاه
خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا
على الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزا ولانهم وسائط
في اتيانه ويجوز ان يكون الآية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ولقد صرفنا كررنا
بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان للناس في هذا القرآن من كل مثل من كل معنى هو
كالمثل في غرابته ووقوعه موقعا في الانفس فابى اكثر الناس الا كفورا الا جحودا وانما جاز
ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متأول بالنفي وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض
ينبوعا تعنتا واقتراحا بعد ما لزمتهم الحجة ببيان اعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات
اليه وقرأ الكوفيون تفجر بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها
يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر او تكون لك جنة من نخيل وعنب
فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او يكون لك بستان يشتمل على ذلك او تسقط السماء كما
زعمت علينا كسفا من السماء يعنون قوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع
لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع القرآن
الا في الروم وابن عامر الا في هذه السورة وابو بكر ونافع في غيرهما وحفص فيما عدا الطور
وهو اما مخفف من المفتوح كسدر وسدر او فعل بمعنى مفعول كالطحن او تأتي بالله والملائكة
قبيلا كفيلا بما تدعيه اي شاهدا على صحته ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو
حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر في قوله ومن يك امسى بالمدينة
رحله فاني وقيار بها لغريب او جماعة فيكون حالا من الملائكة او يكون لك بيت
من زخرف من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة او ترقى في السماء في معارجها ولن نؤمن
لرقيك وحده حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وكان فيه تصديقك قل سبحان ربي
تعجبا من اقتراحاتهم او تنزيها لله من ان يأتي او يتحكم عليه او يشاركه احد في القدرة
هل كنت الا بشرا كسائر الناس رسولا كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم الا
بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله
حتى يتخيروها على هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر في آيات اخر كقوله تعالى
ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا وما منع الناس ان يؤمنوا
اذ جاءهم الهدى اي وما منعهم الايمان بعد نزول الوحي في ظهور الحق ابعث الله
بشرا رسولا الا قولهم هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد والقرآن الا
انكارهم ان يرسل الله بشرا قل جوابا لشبهتهم لو كان في الارض ملائكة يمشون
كما يمشي بنو آدم مطمئنين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا لتمكنهم من الاجتماع
به والتلقي منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط
بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به

وكذلك لبشرا او الاول او فوق قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على اني رسول اليكم
باظهار المعجزات على وفق دعواي او على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم
وشهيدا نصب على الحال او التمييز انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم احوالهم الباطنة منها
والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول وتهديد للكفار ومن يهد الله فهو
المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه يهدونه ونحشرهم يوم القيمة
على وجوههم يسحبون عليها او يمشون بها روي انه قيل لرسول الله عليه السلام كيف
يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا
وبكما وصما لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل
منهم لانهم في دنياهم لم يستبصروا بالايات والعبر وتصاموا عن استماع الحق وابوا ان
ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار موفي القوى والحواس
مأويهم جهنم كلما خبت سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم زدناهم سعيرا توقدا بان
نبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة بهم كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم
الله بان لا يزالوا على الاعادة والافناء واليه اشار بقوله ذلك جزاؤهم بانهم كفروا
باياتنا وقالوا ءاذا كنا عظاما ورفاتا ءانا لمبعوثون خلقا جديدا لان الاشارة الى ما تقدمه
من عذابهم اولم يروا اولم يعلموا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق
مثلهم فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة اصعب عليه من الابداء وجعل لهم
اجلا لا ريب فيه هو الموت او القيمة فابى الظالمون مع وضوح الحق الا كفورا الا جحودا
قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي خزائن رزقه وسائر نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره ما
بعده كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة والدلالة على الاختصاص
اذا لامسكتم خشية الانفاق لبخلتم مخافة فهو اذن بخيل بالاضافة الى جود الله تع وكرمه
هذا وان البخلاء اغلب فيهم وكان الانسان قتورا بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة
بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذل ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات هي
العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور
على بني اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص من الثمرات مكان الثلثة الاخيرة
وعن صفوان ان يهوديا سأل النبي عم فقال ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا
ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربوا ولا تمشوا
ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم
خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي يده ورجله فعلى هذا المراد بالايات
الاحكام العامة للملل الثابتة في كل الشرائع سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى
متعلقها في الاخرة من السعادة والشقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود ان لا
تعدوا حكم مستأنف زائد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام فسئل بني اسرائيل

بني اسرائيل اذ جاءهم فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك او سلهم من حال دينهم ويؤيده
قراءة رسول الله عليه السلام فسال على لفظ الماضي بغير همز وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا او
سال على هذه القراءة او فسئل يا محمد بني اسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون اذ جاءهم او
عن الايات ليظهر للمشركين صدقك او لتتسلى نفسك او لتعلم انه تعالى لو اتى بما اقترحوا
لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة يوجب
قوة اليقين وطمأنينة القلب وعلى هذا كان اذ نصب باتينا او باضمار يخبروك على انه جواب
الامر او باضمار اذكر على الاستيناف فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا
سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت يا فرعون وقرأ الكسائي بالضم على اخباره عن نفسه
ما انزل هؤلاء يعني الايات الا رب السموات والارض بصائر بينات تبصرك
صدقي ولكنك تعاند وانتصابه على الحال واني لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير
مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما صرفك او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان
ما بين الظنين فان ظن فرعون كذب بحت وظن موسى يحوم حول اليقين من تظاهر
اماراته وقرئ وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام هي الفارقة فاراد فرعون
ان يستفزهم ان يستخف موسى وقومه وينفيهم من الارض ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل
او الاستيصال فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق
وقلنا من بعده من بعد فرعون واغراقه لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم
منها فاذا جاء وعد الاخرة الكرة او الحيوة او الساعة او الدار الاخرة يعني قيام القيمة جئنا
بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف
الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل اي وما انزلنا القران الا ملتبسا
بالحق المقتضي لانزاله وما انزل الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه وقيل وما انزلناه من السماء
الا محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين
ولعله اراد به نفي اعتراء البطلان له اول الامر واخره وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع
بالثواب ونذيرا للعاصي من العقاب فلا عليك الا التبشير والانذار وقرانا فرقناه
نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما في قوله ويوم شهدناه وقرئ
بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل في تضاعيف عشرين سنة لتقرأه على الناس على مكث على مهل
وتؤدة فانه ايسر للحفظ واعون في الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا على حسب
الحوادث قل امنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم بالقران لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه
نقصانا وقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل له اي ان لم تؤمنوا به فقد امن به
من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرأوا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وامارات
النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل او رأوا نعتك وصفة ما انزل اليك في تلك
الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان العلماء

عن ايمان الجهلة ولا اكترث بايمانهم واعراضهم اذا يتلى عليهم القرآن يخرون للاذقان سجدا
يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله او شكرا لانجازه وعده في تلك الكتب ببعثة محمد
عليه السلام على فترة من الرسل وانزال القرآن عليه ويقولون سبحان ربنا عن خلف الموعد
ان كان وعد ربنا لمفعولا انه كان وعده كائنا لا محالة ويخرون للاذقان يبكون كرره
لاختلاف الحال والسبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم
من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض
من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به ويزيدهم سماع القرآن خشوعا كما يزيدهم
علما ويقينا بالله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزلت حين سمع المشركون رسول الله
يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر وقالت اليهود
انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله في التورية والمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين
بانهما يطلقان على ذات واحدة وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات
الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو
اجوب لقوله ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى والدعاء في الآية بمعنى التسمية وهو يتعدى
الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين في ايا عوض عن المضاف اليه
وما صلة لتاكيد ما في اي من الابهام والضمير في له للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام
ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه
وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام ولا تجهر بصلاتك بقراءة صلاتك
حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها حتى لا تسمع
من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك سبيلا بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد
في جميع الامور محبوب روي ان ابا بكر كان يخفت ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر
كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله عليه السلام
ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت
بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ
ولدا ولم يكن له شريك في الملك في الالوهية ولم يكن له ولي من الذل ولي يواليه من اجل
مذلة به ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا
واضطرارا او ما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد
لانه الكامل الذات المنفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم
عليه ولذلك عطف عليه وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد
واجتهد في العبادة والتحميد ينبغي ان يعترف بالقصور عن حقه في ذلك روي انه عليه السلام
كان اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية وعنه عليه السلام من قرأ سورة بني اسرائيل
فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية سورة

سورة الكهف وهي مائة وعشر آيات مكية غير آية قوله تعالى واصبر نفسك الآية حروفها ستة آلاف وثلث مائة وستون وكلامها الف وخمسمائة وسبع وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب يعني القرآن
رتب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه
كمال العباد والداعي الى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد ولم يجعل له عوجا شيئا من العوج
باختلال في اللفظ وتناف في المعنى او انحراف من الدعوة الى جناب الحق وهو في المعاني
كالعوج في الاعيان قيما مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد فيكون
وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر
تقديره جعله قيما او على الحال من المضمر في له او من الكتاب على ان الواو في ولم يجعل للحال دون
العطف اذ لو كان للعطف لكان المعطوف فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك
قيل فيه تقديم وتاخير وقرئ قيما لينذر باسا شديدا اي لينذر الذين كفروا عذابا شديدا
فحذف المفعول الاول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه من لدنه
صادرا من عنده وقرأ ابو بكر باسكان الدال اسكان الباء من سبع مع الاشمام ليدل على
اصله وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات
ان لهم اجرا حسنا هو الجنة ماكثين فيه في الاجر ابدا بلا انقطاع وينذر الذين قالوا اتخذ الله
ولدا خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء
بتقدم ذكره ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه او بالقول والمعنى انهم يقولون عن جهل مفرط
وتوهم كاذب او تقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذي ارادوا به فانهم كانوا
يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر او بابائهم اذ لو علموه لما جوزوا نسبته الاتخاذ
اليه ولا لابائهم الذين تقولوه بمعنى التبني كبرت كلمة تخرج من افواههم عظمت مقالتهم
في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه الى غير
ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية والاول ابلغ وادل على المقصود
تخرج من افواههم صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من افواههم والخارج بالذات
هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبر ههنا بمعنى بئس وقرئ
كبرت بالسكون مع الاشمام ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك قاتلها
على آثارهم اذا ولوا عن الايمان شبهه لما تداخله من الوجد على توليهم برجل فارقته احبته
فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك على الاضافة ان لم يؤمنوا
بهذا الحديث بهذا القرآن اسفا للتاسف عليهم او متاسفا عليهم والاسف فرط
الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح على لان فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال
ماضية انا جعلنا ما على الارض من الحيوان والنبات والمعادن زينة لها ولاهلها لنبلوهم
ايهم احسن عملا في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجي به ايامه وصرفه

على ما ينبغي وفيه تسكين لرسول الله عليه السلام وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً تزهيد فيه
والجرز الأرض التي قطع نباتها من الجرز وهو القطع والمعنى إنا لنعيد ما عليها من الزينة تراباً
مستوياً بالأرض ونجعله كصعيد أملس لا نبات فيه أم حسبت بل أحسبت أن أصحاب
الكهف والرقيم في إبقاء حياتهم مدة مديدة كانوا من آياتنا عجباً وقصتهم بالإضافة إلى خلق
ما على الأرض من الأجناس والأنواع الفائتة للحصر على طبائع متباعدة وهيئات متخالفة
تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردها إليها ليست بعجيب مع أنه من آيات الله كالنزر الحقير
والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم الجبل أو الوادي الذي فيه كهفهم أو اسم قريتهم
أو كلبهم قال أمية بن أبي الصلت وليس بها إلا الرقيم مجاوراً وصيدهم والقوم في الكهف
همد أو لوح رصاصي أو حجري رقمت فيه أسماؤهم وجعلت على باب الكهف وقيل أصحاب الرقيم
قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لأهلهم فأخذهم السماء فأووا إلى الكهف فانحطت
صخرة وسدت بابه فقال أحدهم اذكروا أيكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال واحد استعملت أجراء
ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم فأعطيته مثل أجرهم فغضب أحدهم وترك
أجره فوضعته في جانب البيت ثم مر بي بقرة فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله فرجع
إلي بعد حين شيخاً ضعيفاً لا أعرفه وقال إن لي عندك حقاً وذكره حتى عرفته فدفعتها إليه جميعاً
اللهم إن كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى رأوا الضوء
وقال آخر كان في فضل فأصابت الناس شدة فجاءتني امرأة فطلبت مني معروفاً
فقلت والله ما هو دون نفسك فأبت وعادت ثم رجعت ثلاثاً ثم ذكرت لزوجها
فقال أجيبي له وأغيثي عيالك فأتت وسلمت إلي نفسها فلما كشفتها وهممت بها
ارتعدت فقلت ما لك فقالت أخاف الله فقلت لها خفتيه في الشدة ولم أخفه
في الرخاء فتركتها وأعطيتها ملتمسها اللهم إن كان فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى
تعارفوا وقال الثالث كان لي أبوان همان وكانت لي غنم وكنت أطعمهما وأسقيهما
ثم أرجع إلى غنمي فحبسني ذات يوم غيث حتى أمسيت وأتيت أهلي وأخذت محلبي فحلبت
فيه ومضيت إليهما فوجدتهما نائمين فشق علي أن أوقظهما فتوقفت جالساً ومحلبي على يدي
حتى أيقظهما الصبح فسقيتهما اللهم إن فعلته لوجهك فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع
ذلك نعمان بن بشير إذ أوى الفتية إلى الكهف يعني فتية من أشراف الروم أرادهم دقيانوس
على الشرك فأبوا وهربوا إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة توجب لنا المغفرة
والرزق والأمن من العدو وهيئ لنا من أمرنا من الأمر الذي نحن عليه من مفارقة الكفار
رشداً نصير به راشدين مهتدين أو اجعل أمرنا كله رشداً كقولك رأيت منك أسداً وأصل
التهيئة إحداث هيئة الشيء فضربنا على آذانهم أي ضربنا عليهم حجاباً يمنع السماع أنمناهم
إنامة لا تنبههم فيها الأصوات فحذف المفعول كما حذف في قولهم بنى على امرأته في الكهف سنين
ظرف لضربنا عدداً أي ذوات عدد ووصف السنين به يحتمل التكثير والتقليل فإن مدة

مدة لبثهم كبعض يوم عنده ثم بعثناهم أيقظناهم لنعلم ليتعلق علمنا تعلقاً حالياً مطابقاً
لتعلقه أولاً تعلقاً استقبالياً أي الحزبين المختلفين منهم أو من غيرهم في مدة لبثهم أحصى
لما لبثوا أمداً ضبط أمداً لزمان لبثهم وما في أي من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدأ وأحصى
خبره وهو فعل ماض وأمداً مفعوله ولما لبثوا حال منه أو مفعول له وقيل إنه المفعول واللام مزيدة
وما موصولة وأمداً تمييز وقيل أحصى اسم تفضيل من الإحصاء بحذف الزوائد كقولهم هو أحصى للمال
وأفلس من ابن المذلق وأمداً نصب بفعل دل عليه أحصى كقوله وأضرب منا بالسيوف القوانسا
نحن نقص عليك نبأهم بالحق بالصدق إنهم فتية شبان جمع فتى كصبي وصبية آمنوا
بربهم وزدناهم هدى بالتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الوطن والأهل
والمال والجرأة على إظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار إذ قاموا بين يديه فقالوا ربنا
رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذاً شططاً والله لقد قلنا
قولاً ذا شطط أي ذا بعد عن الحق مفرط في الظلم هؤلاء مبتدأ وقومنا عطف بيان اتخذوا من
دونه آلهة خبره وهو إخبار في معنى الإنكار لولا يأتون هلا يأتون عليهم على عبادتهم بسلطان
بين ببرهان ظاهر فإن الدين لا يؤخذ إلا به وفيه دليل على أن ما لا دليل عليه من الديانات
مردود وأن التقليد فيه غير جائز فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً بنسبة الشريك إليه
وإذ اعتزلتموهم خطاب بعضهم لبعض وما يعبدون إلا الله عطف على الضمير المنصوب أي
وإذ اعتزلتم القوم ومعبوديهم إلا الله فإنهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الأصنام
كسائر المشركين ويجوز أن يكون ما مصدرية على تقدير وإذ اعتزلتموهم وعبادتهم إلا
عبادة الله وأن تكون نافية على أنه إخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين
إذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم يبسط لكم الرزق ويوسع عليكم
من رحمته في الدارين ويهيئ لكم من أمركم مرفقاً ما ترتفقون به أي تنتفعون به وجزمهم بذلك
لخلوص يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله وقرأ نافع وابن عامر مرفقاً بفتح الميم وكسر الفاء وهو
مصدر جاء شاذاً كالمرجع والمحيض فإن قياسه بالفتح وترى الشمس لو رأيتهم والخطاب
لرسول الله أو لكل أحد إذا طلعت تزاور عن كهفهم تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم
لأن الكهف كان جنوبياً أو لأن الله زورها عنهم وأصله تتزاور فأدغمت التاء في الزاي
وقرأ الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر وقرئ تزوار كتحمار وكلها من الزور
بمعنى الميل ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين وإذا غربت
تقرضهم تقطعهم وتصرم عنهم ذات الشمال يعني يمين الكهف وشماله لقوله وهم في فجوة
منه أي وهم في متسع من الكهف يعني في وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب
الغار ولا حر الشمس وذلك لأن باب الكهف في مقابلة بنات النعش وأقرب المشارق
والمغارب إلى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس إذا كان مدارها مداره تطلع
مائلة عنه مقابلة لجانبه الأيمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الأيسر فيقع

شعاعها على جنبيه ويحلل عفونته ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي اجسادهم ويبلي ثيابهم
ذلك من آيات الله اي شأنهم وايواؤهم الى كهف كذلك واخبارك قصتهم او ازورار
الشمس وقرضها طالعة وغاربة من آياته من يهد الله بالتوفيق فهو المهتد الذي اصاب الفلاح
والمراد به اما الثناء عليهم او التنبيه على ان امثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها من
وفقه الله للتأمل فيها والاستبصار بها ومن يضلل ومن يخذله فلن تجد له وليا مرشدا من يليه
ويرشده وتحسبهم ايقاظا لانفتاح عيونهم او لكثرة تقلبهم وهم رقود نيام ونقلبهم في رقدتهم
ذات اليمين وذات الشمال كيلا تأكل الارض ما يليها من ابدانهم على طول الزمان وقرئ
ويقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم اي وترى
تقلبهم وكلبهم هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه فانطقه الله تعالى فقال انا احب احباء الله
فناموا وانا احرسكم او كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قراءة من قرأ وكالبهم
اي وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل بالوصيد
بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة لو اطلعت عليهم فنظرت اليهم وقرئ
لو اطلعت بضم الواو لوليت منهم فرارا لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية
والعلة والحال ولملئت منهم رعبا خوفا يملأ صدرك لما البسهم الله تعالى من الهيبة
او لعظم اجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف
فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رض ليس لك ذلك
قد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع وبعث
ناسا فلما دخلوا جاءت ريح فاحرقتهم وقرأ الحجازيان لملّئت بالتشديد للمبالغة وابن
عامر والكسائي ويعقوب رعبا بالتثقيل وكذلك بعثناهم وكما انمناهم آية بعثناهم
آية على كمال قدرتنا بعثناهم ليتساءلوا بينهم ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم
فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله ويستبصروا به امر البعث ويشكروا ما انعم به عليهم قال قائل
منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم بناء على غالب ظنهم لان النائم لا يحصي مدة نومه
ولذلك احالوا العلم الى الله تعالى قالوا ربكم اعلم بما لبثتم ويجوز ان يكون ذلك قول بعضهم وهذا
انكار الآخرين عليهم وقيل انهم دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة وظنوا انهم في يومهم او اليوم
الذي بعده قالوا ذلك فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا ان الامر
ملتبس لا طريق لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم وقالوا فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة الورق
الفضة مضروبة كانت او غيرها وقرأ ابو عمرو وحمزة وابو بكر وروح عن يعقوب بالتخفيف
وقرئ بالتثقيل وادغام القاف في الكاف وبالتخفيف مكسور الواو ومدغما وغير مدغم ورد
المدغم لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم له دليل على ان التزود رأي المتوكلين والمدينة
طرسوس فلينظر ايها اي اهلها ازكى طعاما احل واطيب او اكثر وارخص فليأتكم برزق منه
وليتلطف وليتكلف اللطف في المعاملة حتى لا يغبن او في التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن

ولا يشعرن بكم احدا ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور انهم ان يظهروا عليكم اي يطلعوا
عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر في ايها يرجموكم يقتلوكم بالرجم او يعيدوكم
في ملتهم او يصيروكم اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اولا على دينهم فآمنوا ولن تفلحوا
اذا ابدا ان دخلتم في ملتهم وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم
اطلعنا عليهم ليعلموا ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله بالبعث والموعود
الذي هو البعث حق لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة
لا ريب فيها وان القيامة لا ريب في امكانها فان من توفى نفوسهم وامسكها ثلثمائة سنين
حافظا ابدانها عن التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها قدر ان يتوفى نفوس جميع الناس
ممسكا اياها الى ان يحشر ابدانهم فيردها اليها اذ يتنازعون ظرف لاعثرنا اي اعثرنا عليهم
حين يتنازعون بينهم امرهم امر دينهم وكان بعضهم يقول تبعث الارواح مجردة وبعضهم
يقول يبعثان معا ليرتفع الخلاف ويتبين انهما يبعثان معا او امر الفتية حين اماتهم
الله ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون ناموا نومهم اول مرة او قالت طائفة
يبنى عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال آخرون لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه
كما قال الله تعالى فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن
عليهم مسجدا او قوله ربهم اعلم بهم اعتراض اما من الله ردا على الخائضين في امرهم من اولئك
المتنازعين او من المتنازعين فيهم على عهد الرسول او من المتنازعين للرد الى الله تعالى بعد
ما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك حكي ان المبعوث
لما دخل السوق واخرج الدراهم وكان عليها اسم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به
الى ملك المدينة وكان نصرانيا موحدا فقص عليه القصص فقال بعضهم ان آباءنا اخبرونا
ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مؤمن
وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من
شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك في الكهف وبنى عليهم مسجدا
وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم
المدخل فبنوا ثمة مسجدا سيقولون اي الخائضون في قصتهم في عهد رسول الله عليه السلام من
اهل الكتاب والمؤمنين ثلثة رابعهم كلبهم اي هم ثلثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم
قيل هو قول اليهود وقيل هو قول السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا ويقولون
خمسة سادسهم كلبهم قاله النصارى او العاقب منهم وكان نسطوريا رجما بالغيب
يرمون رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه واتيانا به او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن
اذا ظن وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم
انما قاله المسلمون باخبار الرسول لهم عن جبرائيل وايماء الله اليه بان اتبعه قوله قل ربي
اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل واتبع الاولين قوله رجما بالغيب وبان اثبت العلم

بهم لطائفة بعدما حصر اقوال الطوائف في الثلثة المذكورة فان عدم ايراد رابع في نحو هذا
المحل دليل العدم مع ان الاصل ينفيه ثم رد الاولين بان اتبعهما قوله بالغيب ليتعين
الثالث وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا
عن المعرفة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت وعن
علي رضي الله عنه هم سبعة وثامنهم كلبهم اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا هؤلاء اصحاب يمين
الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره وكان يستشيرهم والسابع
الراعي الذي وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس وقيل الاقوال الثلثة لاهل الكتاب
والقليل منهم فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا فلا تجادل في شأن الفتية الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو
ان تقص عليهم ما في القران من غير تجهيل لهم والرد عليهم ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تسأل
احدا منهم عن قصتهم سؤال مسترشد فان فيما اوحي اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم لهم
بها ولا سؤال متعنت يريد تفضيح المسؤول عنه وتزييف ما عنده فانه يخل بمكارم الاخلاق
ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله نهي تأديب لما [illegible] حين قالت
اليهود لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا
اخبركم فلم يستثن فابطأ عليه الوحي بضعة عشر يوما حتى شق عليه وكذبته قريش والاستثناء
عن النهي اي ولا تقولن لاجل شيء تعزم عليه اني فاعله فيما يستقبل الا بان يشاء الله اي
الا ملتبسا بمشيئته قائلا ان شاء الله او الا وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى الا ان يأذن لك فيه
ولا يجوز تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران المشيئة بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها
دونه لا يناسب النهي واذكر ربك مشيئة ربك وقل ان شاء الله كما روي انه لما نزل قال
عليه السلام ان شاء الله اذا نسيت اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن
ابن عباس رض ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تأخير الاستثناء عنه وعامة الفقهاء
على خلافه لانه لو صح ذلك لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس
في الاية والخبر ان الاستثناء المتدارك به من القول السابق بل هو من مقدر مدلول به عليه
ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث
عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك على التدارك او اذكر اذا
اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقل عسى ان يهدين ربي يدلني لاقرب من هذا رشدا
لاقرب رشدا واظهر دلالة على اني نبي من نبأ اصحاب الكهف وقد هداه لاعظم من ذلك
كقصص الانبياء المتباعدة عنه اياتهم والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة في الاعصار
المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي ولبثوا في كهفهم ثلث مائة
سنين وازدادوا تسعا يعني لبثهم فيه احياء مضروبا على اذانهم وهو بيان لما اجمل قبل وقيل انه حكاية
كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم ثلثمائة
وقال بعضهم ثلثمائة وتسع سنين وقرأ حمزة والكسائي ثلثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع

موضع الواحد ويحسنه هنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وان الاصل في العدد
اضافته الى الجمع ومن لم يضف ابدل السنين من ثلث قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات
والارض له ما غاب فيهما وخفي من احوال اهلها فلا خلق يخفى عليه علما ابصر به واسمع ذكر بصيغة
التعجب للدلالة على ان امره في الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين
اذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي والهاء تعود الى
الله تعالى ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر
ثم نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما
في قوله تعالى وكفى بالله والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل احد
والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ما لهم من دونه الضمير
لاهل السموات والارض من ولي من يتولى امورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم ولا يجعل
له فيه مدخلا وقرأ ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على نهي كل احد عن الاشراك
ثم لما دل اشتمال القران على قصة اصحاب الكهف من حيث انها من المغيبات بالاضافة
الى الرسول صلى الله عليه وسلم على انه وحي معجز امره بان يداوم درسه ويلازم اصحابه فقال واتل ما اوحي
اليك من كتاب ربك من القران ولا تسمع لقولهم ائت بقران غير هذا او بدله لا مبدل
لكلماته لا احد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجأ تعدل اليه
ان هممت به واصبر نفسك واحبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
في مجامع اوقاتهم او في طرفي النهار وقرأ ابن عامر بالغدوة وفيه ان غدوة علم في الاكثر
فيكون اللام على تأويل التنكير يريدون وجهه رضاء الله وطاعته ولا تعد عيناك عنهم اي
ولا يجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمنه معنى نبا وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد
من اعداه وعداه والمراد نهي الرسول ان يزدري بفقراء المؤمنين وتعلو عينه عن رثاثة زيهم
طموحا الى طراوة زي الاغنياء تريد زينة الحيوة الدنيا حال من الكاف في المشهور ومن المستكن
في الفعل في غيره ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا واتبع هواه كامية
بن خلف في دعائك الى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه على ان الداعي له الى
هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه عن المحسوسات حتى خفي عليه ان الشرف
بحلية النفس لا بزينة الجسد وانه لو اطاعه كان مثله في الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسناد
الاغفال الى الله تعالى قالوا انه مثل اجبنته اذا وجدته كذلك او نسبته اليه او من اغفل ابله اذا
تركها بغير سمة اي لم نسمه بذكرنا كقلوب الذين كتبنا في قلوبهم الايمان واحتجوا على ان المراد ليس ظاهر
ما ذكر اولا بقوله واتبع هواه وجوابه ما مر غير مرة وقرئ اغفلنا باسناد الفعل الى القلب
على معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة وكان امره فرطا اي تقدما على الحق ونبذا له
وراء ظهره يقال فرس فرط اي متقدم للخيل ومنه الفرط وقل الحق من ربكم الحق ما يكون من جهة
الله تعالى لا ما يقتضيه الهوى ويجوز ان يكون الحق خبر محذوف ومن ربكم حالا فمن شاء فليؤمن

ومن شاء فليكفر لا ابالي بايمان من امن وكفر من كفر وهو لا يقتضي استقلال العبد بفعله
فانه وان كان بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئته انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها
فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها
دخانها وقيل حائط من النار وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالجسد المذاب
وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب
من فرط حرارته وهو صفة ثانية لماء او حال من المهل او الضمير في الكاف بئس الشراب المهل
وساءت النار مرتفقا متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة
قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
انا لا نضيع اجر من احسن عملا خبر ان الاولى هي الثانية بما في حيزها والراجع محذوف تقديره
من احسن عملا منهم او مستغنى عنه بعموم من احسن عملا كما هو مستغنى عنه في قولك نعم الرجل زيد
او وقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا لا يحسن على الحقيقة اطلاقه الا على الذين امنوا وعملوا
الصالحات او اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار وما بينهما اعتراض وعلى
الاول استئناف لبيان الاجر او خبر ثان يحلون فيها من اساور من ذهب من الاولى
للابتداء والثانية للبيان صفة لاساور وتنكيرها لتعظيم حسنها من الاحاطة به وهو جمع اسورة
او اسوار في جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا لان الخضرة احسن الالوان واكثرها طراوة من
سندس واستبرق مما رق من الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها
ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك على السرر كما هو هيئة المتنعمين نعم
الثواب نعم الجنة ونعيمها وحسنت الارائك مرتفقا متكأ واضرب لهم للكافر والمؤمن
مثلا رجلين حال رجلين مقدرين او موجودين قيل هما اخوان من بني اسرائيل كافر اسمه قطروس
ومؤمن اسمه يهوذا ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطرا فاشترى الكافر بها ضياعا و
عقارا وصرفها المؤمن في وجوه الخير وال امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل الممثل بهما اخوان
من بني مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الله الاشد ومؤمن وهو ابو سلمة عبد الله زوج
ام سلمة قبل رسول الله عليه السلام جعلنا لاحدهما جنتين بستانين من اعناب من الكروم
والجملة بتمامها بيان للتمثيل او صفة للرجلين وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بها
كرومهما يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله فتزيده الباء مفعولا
ثانيا كقولك غشيته به وجعلنا بينهما زرعا وسطهما ليكون كل منهما جامعا للاقوات
والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين اتت اكلها
ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا وقرئ كل الجنتين اتى اكله ولم تظلم منه ولم تنقص من اكلها شيئا يعهد
في سائر البساتين فان الثمار تتم في عام وتنقص في عام غالبا وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم
شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف وكان له ثمر انواع من المال
سوى الجنتين من ثمر ماله اذا كثره وقرأ عاصم بفتح الثاء والميم وابو عمرو بضم الثاء واسكان الميم

واسكان الميم والباقون بضمهما وكذلك في قوله واحيط بثمره فقال لصاحبه وهو يحاوره
يراجعه في الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا حشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا
لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها وافراد
الجنة لان المراد ما هو جنته وما متع به من الدنيا تنبيها على انه لا جنة له غيرها ولا حظ له في الجنة التي
وعد المتقون او لاتصال كل واحدة من جنتيه بالاخرى او لان الدخول يكون في واحدة واحدة
وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره وتمادي غفلته واغتراره بمهلته قال ما اظن ان تبيد هذه
ان تفنى هذه الجنة ابدا لطول امله وما اظن الساعة قائمة كائنة ولئن رددت الى ربي
بالبعث كما زعمت لاجدن خيرا منها وقرأ الحجازيان والشامي منهما اي من الجنتين منقلبا
مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانما اقسم على ذلك لاعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه
لاستئهاله واستحقاقه اياه لذاته وهو معه اينما يلقاه قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت
بالذي خلقك من تراب لانه اصل مادتك او مادة اصلك ثم من نطفة فانها مادتك القريبة
ثم سواك رجلا ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا
بالله لان منشأه الشك في كمال قدرة الله ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من التراب
فان من قدر على بدء خلقه منه قدر ان يعيده منه لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا اصله
لكن انا فحذفت الهمزة بنقل الحركة او دونه فتلاقت النونان فكان الادغام وقرأ ابن عامر
ويعقوب في رواية بالالف في الوصل لتعويضها من الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف
وقد قرئ لكن انا على الاصل وهو ضمير الشان وهو بالجملة الواقعة خبرا له خبر انا او ضمير الله والله
بدله وربي خبره والجملة خبر انا والاستدراك من اكفرت كانه قال انت كافر بالله لكني
مؤمن به وقرئ لكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا هو ربي ولولا اذ دخلت جنتك قلت
وهلا قلت عند دخولها ما شاء الله الامر ما شاء الله او ما شاء الله كائن على ان ما موصولة
او اي شيء شاء الله كان على انها شرطية والجواب محذوف اقرارا بانها وما فيها بمشيئة
الله ان شاء ابقاها وان شاء ابادها لا قوة الا بالله وقلت لا قوة الا بالله اعترافا
بالعجز على نفسك والقدرة لله وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها فبمعونته
واقداره وعن النبي عليه السلام من رأى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره
ان ترن انا اقل منك مالا وولدا يحتمل ان يكون انا فصلا وان يكون تاكيدا للمفعول
الاول وقرئ اقل بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعول ثان لترن وفي قوله وولدا دليل
لمن فسر النفر بالاولاد فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء
مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير بتخريبها
او عذاب حساب الاعمال السيئة فتصبح صعيدا زلقا ارضا ملساء يزلق عليها باستئصال
نباتها واشجارها او يصبح ماؤها غورا غائرا في الارض مصدر وصف به كالزلق فلن تستطيع
له طلبا للماء الغائر ترددا في رده واحيط بثمره واهلك امواله حسبما توقعه صاحبه

وانذره منه وهو مأخوذ من احاط به العدو فانه اذا احاط به غلبه فاذا غلبه اهلكه ونظيره اتى عليه
اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن تلهفا
وتحسرا على ما انفق فيها في عمارتها وهو متعلق بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم فكانه
قيل فاصبح يندم او حال اي متحسرا على ما انفق فيها وهي خاوية اي ساقطة على عروشها بان سقطت
عروشها على الارض وسقطت الكروم فوقها ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره
يا ليتني لم اشرك بربي احدا كانه تذكر مواعظ اخيه وعلم انه اتي من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا
فلم يهلك الله بستانه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه ولم تكن له
فئة وقرأ حمزة والكسائي بالياء لتقدمه ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او رد المهلك
او الاتيان بمثله من دون الله فانه القادر على ذلك وحده وما كان منتصرا وما كان
ممتنعا بقوته عن انتقام الله منه هنالك في ذلك المقام وتلك الحال الولاية لله الحق
النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره تقرير لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه او ينصر فيها اولياءه
المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا
اي لاوليائه وقرأ حمزة والكسائي بالكسر ومعناه السلطان والملك اي هنالك السلطان
له لا يغلب ولا يمنع منه او لا يعبد غيره كقوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين
فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك عن اضطرار وجزع عما دهاه وقيل هنالك اشارة
الى الاخرة وقرأ ابو عمرو والكسائي الحق بالرفع صفة للولاية وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد
وقرأ عاصم وحمزة عقبا بالسكون وقرئ عقبى وكلها بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة
الدنيا واذكر لهم ما يشبه الحيوة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة كماء هو
كماء ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير انزلناه من السماء فاختلط به
نبات الارض فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع في النبات
حتى روي ورف وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين
موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته فاصبح هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح
تفرقه وقرئ تذريه من اذرى والمشبه به ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهي
حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كان لم يكن
وكان الله على كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا قادرا المال والبنون زينة الحيوة
الدنيا يتزين بها الانسان في دنياه وتفنى عنه عما قريب والباقيات الصالحات
واعمال الخيرات التي تبقى له ثمراتها ابد الاباد ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوات
الخمس واعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
والكلم الطيب خير عند ربك من المال والبنين ثوابا عائدة وخير املا لان صاحبها ينال بها
في الاخرة ما كان يأمل بها في الدنيا ويوم نسير الجبال يوم نقلعها ونسيرها في الجو ونذهب
بها فنجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على عند ربك اي الباقيات الصالحات خير

خير عند الله ويوم القيمة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تسير بالتاء والبناء للمفعول
وقرئ تسير من سارت وترى الارض بارزة بادية برزت من تحت الجبال ليس
عليها ما يسترها وقرئ ترى على بناء المفعول وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف ومجيئه
ماضيا بعد نسير وترى لتحقق الحشر او للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير ليعاينوا ويشاهدوا
ما وعد لهم وعلى هذا تكون الواو للحال باضمار قد فلم نغادر فلم نترك منهم احدا يقال غادره واغدره
اذا تركه ومنه الغدر لترك الوفاء والغدير لما غادره السيل وقرئ بالياء وعرضوا على ربك
تشبيه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم بل ليأمر فيهم صفا مصطفين
لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا على اضمار القول على وجه يكون حالا او عاملا في يوم نسير كما خلقناكم
اول مرة عراة لا شيء معكم من المال والولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى او احياء كخلقتكم الاولى
لقوله بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز الوعد بالبعث والنشور وان الانبياء
كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى اخرى ووضع الكتاب صحائف الاعمال في الايمان والشمائل
او في الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب فترى المجرمين مشفقين خائفين مما فيه
من الذنوب ويقولون يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات
ما لهذا الكتاب تعجبا من شأنه لا يغادر صغيرة هنة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الا عدها
واحاط بها ووجدوا ما عملوا حاضرا مكتوبا في الصحف ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه
ما لم يفعل او يزيد في عقابه الملائم لعمله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس
كرر في مواضع لكونه مقدمة للامور المقصود بيانها في تلك المحال وههنا لما شنع على المفتخرين
واستقبح صنيعهم قرر ذلك بانه من سنن ابليس او لما بين حال المغرور بالدنيا
والمعرض عنها وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات وتسويل الشيطان
زهدهم اولا في زخارف الدنيا بانها عرضة الزوال والاعمال الصالحة خير وابقى من انفسها
واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا مذهب كل تكرير
في القران كان من الجن حال باضمار قد او استئناف للتعليل كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان
من الجن ففسق عن امر ربه فخرج عن امره بترك السجود والفاء للتسبيب وفيه دليل على ان
الملك لا يعصي البتة وانما عصى ابليس لانه كان جنيا في اصله والكلام المستقصى فيه في سورة البقرة
افتتخذونه اعقيب ما وجد منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجب وذريته اولاده او اتباعه وسماهم
ذرية مجازا اولياء من دوني وتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي وهم لكم عدو بئس
للظالمين بدلا من الله ابليس وذريته ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق
انفسهم نفي احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعض
ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح به بقوله وما كنت متخذ المضلين عضدا اي
اعوانا ردا لاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء له في العبادة فان استحقاق العبادة
من توابع الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير

ذمًا لهم واستبعادًا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك
وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو آمنوا اتبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت
الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين لديني ويعضده
قراءة من قرأ وما كنتَ على خطاب الرسول وقرئ متخذًا المضلين على الاصل وعضدا
بالتخفيف وعُضُدًا بالاتباع وعَضَدًا كخدم جمع عاضد من عضده اذا قوّاه ويوم يقول اي الله
للكفار وقرأ حمزة بالنون نادوا شركائي الذين زعمتم انهم شركائي او شفعاؤكم ليمنعوكم
من عذابي واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه وقيل ابليس وذريته
فدعوهم فنادوهم للاغاثة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم وجعلنا بينهم بين الكفار والهتهم
موبقا مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة وهي في شدتها هلاكة كقول عمر رضه لا يكن
حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان او مصدر من وبق يوبق وبقا اذا هلك وقيل
البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيمة ورأى المجرمون النار فظنوا
فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او مكانا ينصرفون
اليه ولقد صرفنا في هذا القران من كل مثل من كل جنس يحتاجون اليه وكان الانسان
اكثر شيء يتأتى منه الجدل جدلا خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز وما منع الناس ان يؤمنوا
من الايمان اذ جاءهم الهدى وهو الرسول الداعي والقران المبين ويستغفروا ربهم ومن
الاستغفار عن الذنوب الا ان تاتيهم سنة الاولين الا طلب او انتظار او تقدير ان
تاتيهم سنة الاولين وهو الاستيصال فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او ياتيهم
العذاب عذاب الاخرة قبلا عيانا وقرأ الكوفيون قبلا بضمتين وهو لغة فيه او جمع قبيل
بمعنى انواع وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وانتصابه على الحال
من الضمير او العذاب وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين للكافرين والمؤمنين
ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الايات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة
اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به ليزيلوا بالجدال الحق عن مقره ويبطلوه من ادحاض
القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة
ونحو ذلك واتخذوا اياتي يعني القران وما انذروا وانذارهم او والذي انذروا به من العقاب
هزوا استهزاء وقرئ هزءا بالسكون وهو ما يستهزأ به ومن اظلم ممن ذكر بايات
ربه بالقران فاعرض عنها فلم يتدبرها ولم يتذكر بها ونسي ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي
ولم يتفكر في عاقبتها انا جعلنا على قلوبهم اكنة تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على
قلوبهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وتذكير الضمير وافراده للمعنى وفي اذانهم وقرا يمنعهم
ان يستمعوه حق استماعه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا تحقيقا ولا تقليدا
لانهم لا يفقهون ولا يسمعون واذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول على تقدير قوله
ما لي لا ادعوهم فان حرصهم على اسلامهم يدل عليه وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة

ذو الرحمة الموصوف بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب استشهاد على ذلك
بامهال قريش مع افراطهم في عداوة الرسول عليه السلام بل لهم موعد وهو يوم بدر او
يوم القيمة لن يجدوا من دونه موئلا منجا يقال وال اذا نجا ووال اليه اذا التجأ اليه وتلك
القرى يعني قرى عاد وثمود واضرابهم وتلك مبتدأ خبره اهلكناهم او مفعول مضمر مفسر
به والقرى صفته ولا بد من تقدير مضاف في احدهما ليكون مرجع الضمائر لما ظلموا كقريش
بالتكذيب والمراء وانواع المعاصي وجعلنا لمهلكهم موعدا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستأخرون
عنه ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتاخير العذاب عنهم وقرأ ابو بكر
لمهلكهم بفتح الميم واللام اي لهلاكهم وحفص بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع
والمحيض واذ قال موسى لفتاه مقدر باذكر يعني يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف عليه السلام
فانه كان يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه وقيل لعبده لا ابرح اي لا ازال اسير فحذف
الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله حتى ابلغ مجمع البحرين من حيث انها تستدعي ذا غاية
عليه ويجوز ان يكون اصله لا يبرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول عما انا عليه
من السير والطلب ولا افارقه فلا يستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحري فارس والروم مما يلي
المشرق وعد لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى عم وخضر عم فان موسى كان بحر
علم الظاهر وخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق
والمطلع او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ او مضي الحقب او حتى ابلغ
الا ان امضي زمانا اتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون
روي ان موسى عم خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة فاعجب بها فقيل له
هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله تعالى اليه بل عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر
في ايام افريدون وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل سأل
موسى ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى
قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس
الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدل على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك اعلم
مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال
كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت
فاخبرني فذهبا يمشيان فلما بلغا مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه على
الاتساع او بمعنى الوصل نسيا حوتهما نسي موسى ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ان
يذكر له ما راى من حيوته ووقوعه في البحر روي ان موسى عم رقد فاضطرب الحوت المشوي
ووثب في البحر معجزة لموسى او الخضر وقيل توضأ يوشع من عين الحيوة فانتضح الماء عليه فعاش
ووثب في الماء وقيل نسيا تفقد امره وما يكون منه امارة على الظفر بالمطلوب فاتخذ سبيله

في البحر سربا فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل امسك الله جرية
الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثاني وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز
تعلقه باتخذ فلما جاوزا مجمع البحرين قال لفتاه آتنا غداءنا ما نتغدى به لقد لقينا من سفرنا هذا
نصبا قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة والغد الى الظهر القي عليه
الجوع والنصب وقيل لم يعي موسى في سفر غيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة قال ارايت
ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة يعني الصخرة التي رقد عندها موسى وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت
فاني نسيت الحوت فقدته او نسيت ذكره بما رايت منه وما انسانيه الا الشيطان
ان اذكره اي وما انساني ذكره الا الشيطان فان ان اذكره بدل من الضمير وقرئ ان اذكركه
وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه والحال وان كانت عجيبة لا
يكسب مثلها لكنه لما جرى بمشاهدة امثالها عند موسى والفها قل اهتمامه بها ولعله نسي ذلك
لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب شراشره الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة
الايات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه او لان عدم احتمال القوة
للجانبين واشتغالها باحدهما عن الاخر يعد من نقصان واتخذ سبيله في البحر عجبا
سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب او اتخاذا عجبا والمفعول الثاني وهو الظرف وقيل هو
مصدر فعله المضمر اي قال في اخر كلامه او موسى في جوابه عجبا تعجبا من تلك الحالة وقيل
الفعل لموسى اي اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجبا قال ذلك اي امر الحوت ما كنا
نبغ نطلب لانه امارة المطلوب فارتدا على اثارهما فرجعا في الذي جاءا فيه قصصا يقصان
قصصا اي يتبعان اثارهما اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا
الجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس آتيناه رحمة من عندنا
هي الوحي والنبوة وعلمناه من لدنا علما مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب
قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن على شرط ان تعلمني وهو في موضع الحال من الكاف
مما علمت رشدا علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرا البصريان بفتحتين وهما لغتان
كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمن ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولا
من علم الذي له مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي
نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا في ابواب الدين فان الرسول
ينبغي ان يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد
راعى في ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستاذن ان يكون تابعا له وسال منه
ان يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه قال انك لن تستطيع معي صبرا نفى عنه
استطاعة الصبر معه على وجوه من التاكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر
عنه بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اي كيف تصبر وانت نبي على ما اتولى من امور
ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك وخبرا تمييز او مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره

لم تخبره قال ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير منكر عليك ولا اعصي لك امرا
عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او على ستجدني وتعليق الوعد بالمشيئة اما
للتيمن وخلقه ناسيا لا يقدح في عصمته او لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد والصبر
على خلاف المعتاد شديد فلا خلف فيه وفيه دليل ان افعال العباد واقعة بمشية الله تعالى
قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء فلا تفاتحني بالسؤال عن شيء انكرته مني ولم تعلم وجه صحته حتى احدث
لك منه ذكرا حتى ابتدئك ببيانه وقرا نافع وابن عامر فلا تسالني بالنون الثقيلة فانطلقا
على الساحل يطلبان السفينة حتى اذا ركبا في السفينة خرقها اخذ الخضر فاسا فخرق السفينة
بان قلع لوحين من الواحها قال اخرقتها لتغرق اهلها فان خرقها سبب لدخول الماء
فيها المفضي الى غرق اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد للتكثير وقرا حمزة والكسائي ليغرق اهلها
على اسناده الى الاهل لقد جئت شيئا امرا اتيت امرا عظيما من امر الامر اذا عظم قال الم اقل
لك انك لن تستطيع معي صبرا تذكير لما ذكره قبل قال لا تؤاخذني بما نسيت بالذي نسيته
او بشيء نسيته يعني وصيته بان لا يعترض عليه او بنسياني اياها وهو اعتذار بالنسيان
اخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني
بما تركت من وصيتك اول مرة وقيل انه من معاريض الكلام فالمراد شيء اخر نسيه
ولا ترهقني من امري عسرا ولا تغشني عسرا من امري بالمضايقة والمؤاخذة على المنسي
فان ذلك يعسر علي متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال رهقه اذا غشيه
وارهقه اياه وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا اي بعدما خرجا من السفينة حتى اذا لقيا غلاما فقتله
قيل فتل عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة على انه لما لقيه
قتله من غير تروٍ واستكشاف حال ولذلك قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس اي
طاهرة من الذنوب وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية و
والاول ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التي لم تذنب قط والزكية التي اذنبت ثم غفرت
ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم او انه لم يرها قد اذنبت
ذنبا يقتضي قتلها او قتلت نفسا فتقاد بها نبه به على ان القتل انما يباح حدا او قصاصا
وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء واعتراض مستانفا وفي
الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل
وكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله لقد جئت شيئا نكرا
اي منكرا وقرا نافع في رواية قالون وورش وابن عامر ويعقوب وابو بكر بضمتين
قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا زاد فيه لك مكافحة بالعتاب على رفض
الوصية ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو
بالتذكر اول مرة حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة قال ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني
وان سالت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبني اي فلا تجعلني صاحبك قد بلغت

من لدني عذرا قد وجدت عذرا من قبلي لما خالفتك ثلث مرات وعن رسول الله
رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجب وقرا نافع
لدني بتحريك النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة كقوله قدني من نصر الخبيبين قدي
وابو بكر لدني بتحريك النون واسكان الدال اسكان عضد عن عضد فانطلقا حتى اذا اتيا
اهل قرية انطاكية وقيل ابلة بصرة وقيل باجروان ارمينية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما
وقرئ يضيفوهما من اضافه يقال ضافه اذا نزل به ضيفا واضافه وضيفه انزله واصل
التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض اذا مال فوجدا فيها جدارا
يريد ان ينقض يداني ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعير لها
الهم والعزم قال يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء بني عقيل وقال ان
دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وانقض انفعل من قضضته اذا كسرته
ومنه انقضاض الطير والكواكب لهويه او افعل من النقض وقرئ ان ينقض
وان ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت السن اذا انشقت طولا فاقامه
بعمارته او بعمود عمده به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه قال لو شئت لاتخذت
عليه اجرا تحريضا على اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه فضول لما في لو من النفي
كانه لما رای الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه واتخذ
افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرا ابن كثير والبصريان
لتخذت اي لاخذت واظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وادغمه الباقون
قال هذا فراق بيني وبينك الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني
او الى الاعتراض الثالث او الوقت اي هذا الاعتراض سبب فراقنا او هذا
الوقت وقته واضافة فراق الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع
وقد قرئ على الاصل سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا بالخبر الباطن
بما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر اما السفينة فكانت لمساكين
يعملون في البحر لمحاويج وهو دليل على ان المسكين يطلق على من يملك شيئا اذا لم يكفه وقيل
سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك او لزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى
وخمسة يعملون في البحر فاردت ان اعيبها اجعلها ذات عيب وكان وراءهم
ملك امامهم او خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندي بن كركر وقيل منوله بن جلندي
الازدي ياخذ كل سفينة غصبا من اصحابها وكان حق النظم ان يتاخر فاردت
ان اعيبها عن قوله وكان وراءهم ملك لان ارادة التعييب مسبب عن خوف
الغصب وانما قدم للعناية او لان السبب لما كان مجموع الامرين خوف الغصب
ومسكنة الملاك رتبه على اقوى الجزئين وادعاهما وعقبه الاخر على سبيل التقييد
والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا

فخشينا ان يرهقهما الاية ان يغشيهما طغيانا الاية وكفرا لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا
او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بعلته
فيرتدا باضلاله او بممالاته على طغيانه وكفره حبا له وانما خشي ذلك لان الله اعلمه وعن ابن
عباس رض ان نجدة الحروري كتب اليه كيف قتله وقد نهى عليه السلام عن قتل الولدان
فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل وقرئ فخاف
ربك اي فكره كراهة من خاف سوء عاقبته ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قول الله
فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه الاية يرزقهما بدله ولدا خيرا منه زكوة طهارة من الذنوب
والاخلاق الردية واقرب رحما رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبي
فولدت نبيا هدى الله به امة من الامم وقرا نافع وابو عمرو يبدلهما بالتشديد وابن
عامر ويعقوب رحما بالتثقيل وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكوة
واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول
جيسون وكان تحته كنز لهما من ذهب وفضة روي ذلك مرفوعا والذم على كنزهما
في قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكوتهما وما تعلق بهما من الحقوق
وقيل من كتب العلم وقيل كان لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف
يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح
وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف
يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وكان ابوهما صالحا تنبيه على ان سعيه في
ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة اباء وكان سياحا
واسمه كاشح فاراد ربك ان يبلغا اشدهما اي الحلم وكمال الراي ويستخرجا كنزهما رحمة
من ربك مرحومين من ربك ويجوز ان يكون علة او مصدرا لاراد فان ارادة
الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك ولعل اسناد
الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا الى الله والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد
الله بدله وثالثا الى الله وحده لانه لا مدخل له في بلوغ الغلامين او لان الاول في نفسه شر
والثالث خير والثاني ممتزج او لاختلاف حال العارف في الالتفات الى الوسائط
وما فعلته وما فعلت ما رايته عن امري عن رايي وانما فعلته بامر الله عز وجل ومبنى ذلك
على انه متى تعارض ضرران يجب تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل ممهد غير ان الشرائع
في تفاصيله مختلفة ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا اي ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا
ومن فوائد هذه القصة ان لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر الى انكار ما لم يستحسنه فلعل فيه سرا
لا يعرفه وان يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعي الادب في المقال وان ينبه المجرم
على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره ثم يهاجر عنه ويسئلونك عن ذي القرنين
يعني اسكندر الرومي ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين

اولانه طاف قرنى الدنيا شرقها وغربها وقيل انه انقرض فى ايامه قرنان من الناس
وقيل كان له قرنان اى ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك
لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع كانه ينطح اقرانه واختلف فى نبوته مع الاتفاق على ايمانه
وصلاحه والسائلون هم اليهود وسألوه امتحانا او مشركوا مكة قل سأتلوا عليكم منه
ذكرا خطاب للسائلين والهاء لذى القرنين وقيل لله انا مكنا له فى الارض اى
مكنا له امره من التصرف فيها كيف شاء فحذف المفعول وآتيناه من كل شئ اراده
وتوجه اليه سببا وصلة توصله اليه من العلم والقدرة والآلة فاتبع سببا اى فاراد
بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الالف
مخففة التاء حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ذات حمأة من حمئت
البئر اذا صارت ذات حمأة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر حامية اى حارة
ولا تنافى بينهما لجواز ان يكون العين جامعة للوصفين او حمية على ان ياءها مقلوبة
عن الهمزة لكسر ما قبلها ولعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك اذ لم يكن فى مطمح بصره غير الماء
ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل ان ابن عباس رضه
سمع معاوية يقرأ حامية فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس
تغرب قال فى ماء وطين كذلك نجده فى التورية ووجد عندها عند تلك العين قوما
كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان
يعذبهم او يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب اى بالقتل
على كفرهم واما ان تتخذ فيهم حسنا بالارشاد وتعليم الشرائع وقيل خيره بين القتل
والاسر وسماه احسانا فى مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله قال اما من ظلم فسوف
نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا اى فاختار الدعوة وقال اما من دعوته فظلم
نفسه بالاصرار على كفره او استمر على ظلمه الذى هو الشرك فنعذبه انا ومن معى فى الدنيا بالقتل
ثم يعذبه الله فى الآخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله واما من آمن وعمل صالحا وهو ما يقتضيه الايمان
فله فى الدارين جزاء الحسنى فعلته الحسنى وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وحفص جزاء
منونا منصوبا على الحال اى فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او على المصدر لفعله المقدر حالا
اى يجزى بها جزاء او التمييز وقرئ منصوبا غير منون على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين
ومنونا مرفوعا على انه المبتدأ والحسنى بدله ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير
اى ليكون شأنك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن اصر على الكفر والثانى
لمن تاب عنه ونداء الله اياه ان كان نبيا فبوحى وان كان غيره فبالهام او على لسان
نبى وسنقول له من امرنا مما نأمره به يسرا سهلا ميسرا غير شاق وتقديره ذا يسر
وقرئ بضمتين ثم اتبع سببا ثم اتبع طريقا يوصله الى المشرق حتى اذا بلغ مطلع الشمس
يعنى الموضع الذى تطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار

على اضمار مضاف اى مكان مطلع الشمس فانه مصدر وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم
من دونها سترا من اللباس او البناء فان ارضهم لا تمسك الابنية او انهم اتخذوا
الاسراب بدل الابنية كذلك اى امر ذى القرنين كما وصفناه فى رفعة المكان وبسطة
الملك او امره فيهم كامره فى اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة
مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اى على قوم مثل ذلك القبيل الذين تغرب
عليهم الشمس فى الكفر والحكم وقد احطنا بما لديه من الجنود والآلات والعدد والاسباب
خبرا علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به
الا علم اللطيف الخبير ثم اتبع سببا يعنى طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب
آخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين المبنى بينهما
سده وهما جبلا ارمينية وآذربيجان وقيل جبلان فى اواخر الشمال فى منقطع ارض
الترك منيفان من ورائهما يأجوج ومأجوج وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى
وابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه الله تعالى
والمفتوح لما عمله الناس لانه فى الاصل مصدر سمى به حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس
وبين هاهنا مفعول به وهو من الظروف المتصرفة وجد من دونهما قوما لا يكادون
يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرأ حمزة والكسائى لا يفقهون اى لا يفهمون
السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه قالوا يا ذا القرنين اى قال مترجمهم وفى مصحف
ابن مسعود قال الذين من دونهم ان يأجوج ومأجوج قبيلتان من ولد يافث
بن نوح وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل وهما اسمان اعجميان بدليل منع
الصرف وقيل عربيان من اج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمزة كما قرأ عاصم ومنع صرفهما
للتعريف والتأنيث مفسدون فى الارض اى فى ارضنا بالقتل والتخريب
واتلاف الزروع قيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا
الا احتملوه وقيل كانوا يأكلون الناس فهل نجعل لك خرجا جعلا نخرجه من اموالنا
وقرأ حمزة والكسائى خراجا وكلاهما واحد كالنول وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج
المصدر على ان تجعل بيننا وبينهم سدا يحجز دون خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السدين
غير حمزة والكسائى قال ما مكنى فيه ربى خير ما جعلنى فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون
لى من الخراج ولا حاجة لى اليه وقرأ ابن كثير مكننى على الاصل فاعينونى بقوة فعلة او بما
اتقوى به من الآلات اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا حصينا وهو اكبر من السد من
قولهم ثوب مردم اذا كان رقاعا فوق رقاع آتونى زبر الحديد قطعه والزبرة القطعة
الكبيرة وهو لا ينافى رد الخراج والاقتصار على المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه
قراءة ابى بكر ردما ائتونى بكسر التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئونى بزبر الحديد والباء
محذوفة حذفها فى امرتك الخير لان اعطاء الآلة من الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل

حتى اذا ساوى بين الصدفين بين جانب الجبلين بتنضيدها وقرا ابن كثير وابن عامر
والبصريان بضمتين وابو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرى بفتح الصاد وصدف
وضم الدال وكلها لغات من الصدف وهو الميل لان كلا منهما منعزل عن الاخر ومنه التصادف
للتقابل قال انفخوا اي قال للعملة انفخوا في الاكوار والحديد حتى اذا جعله جعل المنفوخ فيه نارا
كالنار بالاحماء قال اتوني افرغ عليه قطرا اي اتوني قطرا اي نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا
فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وبه تمسك البصريون على اعمال الثاني من العاملين
المتوجهين نحو معمول واحد اولى اذ لو كان قطرا مفعول اتوني لاضمر مفعول افرغ حذرا
من الالباس وقرا حمزة وابو بكر قال ايتوني موصولة الالف فما اسطاعوا بحذف التاء
حذرا من تلاقي متقاربين وقرا حمزة بالادغام جامعا بين ساكنين على غير حدهما وقرى
بقلب السين صادا ان يظهروه ان يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه وما استطاعوا
له نقبا لثخنه وصلابته قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر والنحاس المذاب
والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى ساوى اعلى الجبلين ثم وضع المنافخ حتى
صارت كالنار فصب النحاس المذاب عليها فاختلط والتصق بعضه ببعض بكلاب
من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها قال هذا هذا السد والاقدار على تسويته رحمة
من ربي على عباده فاذا جاء وعد ربي وقت وعده بخروج ياجوج وماجوج او بقيام الساعة
بان شارف يوم القيمة جعله دكاء مدكوكا مبسوطا بالارض مصدر بمعنى مفعول
ومنه جمل ادك المنبسط السنام وقرا الكوفيون دكاء بالمد اي ارضا مستوية وكان
وعد ربي حقا كائنا لا محالة وهو اخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا بعضهم يومئذ يموج
في بعض وجعلنا بعض ياجوج وماجوج حين يخرجون مما وراء السد يموجون في بعض مزدحمين
في مزدحمين في البلاد او يموج بعض الخلق في بعض فيضطربون ويختلطون انسهم وجنهم
حيارى ويؤيده ونفخ في الصور لقيام الساعة فجمعناهم للحساب والجزاء وعرضنا جهنم يومئذ
للكافرين وابرزناها واظهرناها لهم عرضا الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري عن اياتي
التي ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم وكانوا لا يستطيعون سمعا استماعا لذكري وكلا
من الافراط صممهم عن الحق فان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كانهم اصمت
مسامعهم بالكلية افحسب الذين كفروا افظنوا والاستفهام للانكار ان يتخذوا عبادي
اتخاذهم الملائكة والمسيح من دوني اولياء معبودين نافعهم او لا اعذبهم به فحذف المفعول
الثاني كما يحذف الخبر للقرينة او سد ان يتخذوا مسد مفعوليه وقرى افحسب الذين
كفروا اي افكافيهم في النجاة وان بما في حيزه مرتفع بانه فاعل حسب فان النعت اذا
اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل او خبر له انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا ما يقام للنزيل
وفيه تهكم وتنبيه على ان لهم وراءها من العذاب ما يستحقر دونه قل هل ننبئكم بالاخسرين
اعمالا نصب على التمييز وجمع لانه من اسماء الفاعلين او لتنوع اعمالهم الذين ضل سعيهم

في الحيوة الدنيا ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهبانية فانهم واخوتهم ومحله الرفع على الخبر
المحذوف فانه جواب السؤال او الجر على البدل او النصب على الذم وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا بعجبهم واعتقادهم انهم على الحق اولئك الذين كفروا بايات
ربهم بالقران او بالدلائل المنصوبة على التوحيد والنبوة ولقائه بالبعث على ما هو عليه
او لقاء عذابه فحبطت اعمالهم بكفرهم فلا يثابون عليها فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا
فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا او فلا نضع لهم ميزانا يوزن به اعمالهم
لانحباطها ذلك الامر ذلك وقوله جزاؤهم جهنم جملة مبينة له ويجوز ان يكون ذلك
مبتدا والجملة خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا واتخذوا اياتي ورسلي هزوا
اي بسبب ذلك ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس
نزلا فيما سبق من حكم الله ووعده والفردوس اعلى درجات الجنة واصله البستان
الذي يجمع الكرم والنخل خالدين فيها حال مقدرة لا يبغون عنها حولا تحولا اذ لا يجدون
اطيب منها حتى تنازعهم اليه انفسهم ويجوز ان يراد به تاكيد الخلود قل لو كان البحر
مدادا ما يكتب به وهو اسم ما يمد به الشيء كالحبر للدواة والسليط للسراج لكلمات
ربي لكلمات علمه وحكمته لنفد البحر لنفد جنس البحر باسره لان كل جسم متناه قبل
ان تنفد كلمات ربي فانها غير متناهية لا تنفد كعلمه وقرا حمزة والكسائي بالياء
ولو جئنا بمثله بمثل البحر الموجود مددا زيادة ومعونة لان مجموع المتناهيين متناه
بل مجموع ما يدخل في الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا للدلائل القاطعة على تناهي
الابعاد والمتناهي ينفد قبل غير المتناهي لا محالة وقرى ينفد بالياء ومددا بكسر الميم جمع
مدة وهي ما يستمده الكاتب وسبب نزولها ان اليهود قالوا في كتابكم ومن يؤت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا قل انما انا بشر مثلكم
لا ادعي الاحاطة على كلماته يوحى الي انما الهكم اله واحد وانما تميزت عنكم بذلك فمن
كان يرجوا لقاء ربه يامل حسن لقاء ربه او يخاف سوء لقائه فليعمل عملا صالحا يرتضيه
الله ولا يشرك بعبادة ربه احدا بان يرائيه او يطلب منه اجرا روي ان جندب
بن زهير قال لرسول الله عليه السلام اني لاعمل العمل لله فاذا اطلع عليه احد سرني فقال
ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر
قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء والاية جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما التوحيد
والاخلاص في الطاعة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قراها عند مضجعه كان له نورا في مضجعه
يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم فان كان مضجعه بمكة
كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى بيت المقدس حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى
يستيقظ وعنه ومن قرا سورة الكهف من اخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه
ومن قراها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء تمت الربع الثاني من البيضاوي رحمه الله

تم تم

سورة مريم مكية وهي ثمانون او تسع وتسعون اية وحروفها ثلثة الاف وثمانمائة وكلماتها سبعمائة واثنتان وستون

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص امال ابو عمرو الهاء وابن عامر وحمزة الياء والكسائي وابو بكر كليهما ونافع بين بين وابن كثير وعاصم يظهرون دال الهجاء عند الذال والباقون يدغمون ذكر رحمة ربك خبر ما قبله ان اول بالسورة او القران فانه مشتمل عليه او خبر محذوف اي هذا المتلو ذكر رحمة ربك او مبتدا حذف خبره اي فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة ربك على الماضي وذكر على الامر عبده مفعول الرحمة او الذكر على ان الرحمة فاعله على الاتساع كقولك ذكرني جود زيد زكريا بدل منه او عطف بيان اذ نادى ربه نداء خفيا لان الاخفاء والجهر عند الله سيان والاخفاء اشد اخباتا واكثر اخلاصا او لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبر او لئلا يطلع عليه مواليه الذين خافهم او لان ضعف الهرم اخفى صوته واختلف في سنه حينئذ فقيل ستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون قال رب اني وهن العظم مني تفسير للنداء والوهن الضعف وتخصيص العظم لانه عادة البدن واصل بنائه ولانه اصلب ما فيه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن وتوحيده لان المراد به الجنس وقرئ وهن بالضم والكسر ونظيره كمل في الحركات الثلث واشتعل الراس شيبا شبه الشيب في بياضه وانارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه في الشعر باشتعالها ثم اخرج مخرج الاستعارة واسند الاشتعال الى الراس الذي هو محل الشيب مبالغة وجعله مميزا ايضاحا للمقصود واكتفى باللام عن الاضافة للدلالة على ان علم المخاطب بتعين المراد يغني عن التقييد ولم اكن بدعائك رب شقيا بل كلما دعوتك استجبت لي وهو توسل بما سلف معه من الاستجابة وتنبيه على ان المدعو له وان لم يكن معتادا فاجابته معتادة وانه تعالى عوده بالاجابة واطمعه فيها ومن حق الكريم ان لا يخيب من اطمعه واني خفت الموالي يعني بني عمه وكانوا اشرار بني اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته على امته ويبدلوا عليهم دينهم من ورائي بعد موتي وعن ابن كثير بالمد والقصر بفتح الياء وهو متعلق بمحذوف او بمعنى الولاية في الموالي اي خفت فعل الموالي من ورائي او الذين يلون الامر من ورائي وقرئ خفت الموالي من ورائي اي قلوا وعجزوا عن اقامة الدين بعدي او خفوا ودرجوا قدامي وعلى هذا كان الظرف متعلقا بخفت وكانت امراتي عاقرا لا تلد فهب لي من لدنك فان مثله لا يرجى الا من فضلك وكمال قدرتك فاني وامراتي لا نصلح للولادة وليا من صلبي يرثني ويرث من ال يعقوب صفتان له وجزمهما ابو عمرو والكسائي على انه جواب الدعاء والمراد وراثة الشرع والعلم فان الانبياء لا يورثون المال وقيل يرثني الحبورة فانه كان حبرا ويرث من ال يعقوب الملك وهو يعقوب بن اسحاق عم وقيل يعقوب كان اخا زكريا او عمران بن ماثان من نسل سليمان عم وقرئ يرثني وارث من ال يعقوب على الحال من احد الضميرين واو يرث بالتصغير لصغره ووارث من ال يعقوب على انه فاعل يرثني وهذا يسمى التجريد في علم البيان لانه جرد عن المذكور اولا مع انه المراد واجعله رب رضيا ترضاه قولا وعملا يا زكريا

انا نبشرك بغلام اسمه يحيى جواب لندائه ووعد باجابة دعائه وانما تولى تسميته تشريفا له لم نجعل له من قبل سميا لم يسم احد بيحيى قبله وهو شاهد بان التسمية بالاسامي الغريبة تنويه للمسمى وقيل سميا شبيها كقوله هل تعلم له سميا لان المتماثلين يتشاركان في الاسم والاظهر انه اعجمي وان كان عربيا فمنقول عن فعل كيعيش ويعمر وقيل سمي به لانه حيي به رحم امه او لان دين الله حيي بدعوته قال رب انى يكون لي غلام وكانت امراتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا جساوة وقحولا في المفاصل واصله عتو كقعود فاستثقلوا توالي الضمتين والواوين فكسروا التاء فانقلبت الواو الاولى ياء ثم قلبت الثانية وادغمت وقرا حمزة والكسائي وحفص عتيا وانما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا بان المؤثر فيه كمال قدرته وان الوسائط عند التحقيق ملغاة ولذلك قال اي الله او الملك المبلغ للبشارة تصديقا له كذلك الامر كذلك ويجوز ان يكون الكاف منصوبة بقال في قال ربك وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو علي هين ويؤيد الاول قراءة من قرا وهو علي هين اي الامر كما قلت او كما وعدت وهو علي هين لا احتاج فيما اريد ان افعله الى الاسباب ومفعول قال الثاني محذوف وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا بل كنت معدوما صرفا وفيه دليل على ان المعدوم ليس بشيء وقرا حمزة والكسائي وقد خلقناك قال رب اجعل لي اية علامة اعلم بها وقوع ما بشرتني به قال ايتك الا تكلم الناس ثلث ليال سويا سوي الخلق ما بك من خرس وبكم وانما ذكر الليالي هنا والايام في ال عمران للدلالة على انه استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد للذكر والشكر ثلثة ايام ولياليهن فخرج على قومه من المحراب من المصلى او من الغرفة فاوحى اليهم فاومى اليهم لقوله الا رمزا وقيل كتب لهم على الارض ان سبحوا صلوا او نزهوا ربكم بكرة وعشيا طرفي النهار ولعله كان مامورا بان يسبح ويامر قومه بان يوافقوه وان يحتمل ان تكون مصدرية وان تكون مفسرة يا يحيى على تقدير القول خذ الكتاب التورية بقوة بجد واستظهار بالتوفيق عليه واتيناه الحكم صبيا يعني الحكمة وفهم التورية وقيل النبوة احكم الله عقله في صباه واستنباه وحنانا من لدنا ورحمة منا عليه او رحمة وتعطفا في قلبه على ابويه وغيرهما عطف على الحكم وزكوة وطهارة من الذنوب او صدقة اي تصدق الله به على ابويه او مكنه ووفقه للتصدق على الناس وكان تقيا مطيعا متجنبا عن المعاصي وبرا بوالديه وبارا بهما ولم يكن جبارا عصيا عاقا او عاصي ربه وسلام عليه من الله يوم ولد من ان يناله الشيطان بما ينال به بني ادم ويوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من عذاب النار واهوال القيمة واذكر في الكتاب في القران مريم يعني قصتها اذ انتبذت اعتزلت بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها او بدل الكل لان المراد بمريم قصتها وبالظرف الامر الواقع فيه وهما واحد او ظرف لمضاف مقدر وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كقولك اكرمتك اذ لم تكرمني فتكون بدلا لا محالة من اهلها مكانا شرقيا في شرقي بيت المقدس

أو شرقية دارها ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة ومكانا ظرف أو مفعول لان انتبذت
متضمنة بمعنى اتت فاتخذت من دونهم حجابا سترا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا
قيل قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض محتجبة بشيء يسترها وكانت تتحول من المسجد الى بيت خالتها
اذا حاضت وتعود اليه اذا طهرت فبينا هي في مغتسلها اتاها جبرئيل عليه السلام متمثلا بصورة شاب
امرد سوي الخلق لتستأنس بكلامه ولعله ليهيج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها قالت اني
اعوذ بالرحمن منك من غاية عفافها ان كنت تقيا تتقي الله وتحتفل بالاستعاذة وجواب الشرط
محذوف دل عليه ما قبله فاني عائذة منك او فتتعظ بتعويذي او فلا تتعرض لي ويجوز ان يكون
للمبالغة اي ان كنت تقيا متورعا فاني اعوذ منك فكيف اذا لم تكن كذلك قال انما انا رسول
ربك الذي استعذت به لاهب لك غلاما لاكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز
ان يكون حكاية لقول الله تعالى ويؤيده قراءة ابي عمرو والاكثر عن نافع ويعقوب بالياء زكيا
طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير اي مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح قالت
انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم يباشرني رجل بالحلال فان هذه الكنايات انما يطلق فيه
اما الزنا فانما يقال فيه خبث بها وفجر ونحو ذلك ويعضده عطف قوله ولم اك بغيا عليه
وهو فعول من البغي قلبت واوه ياء وادغمت ثم كسرت الغين اتباعا ولذلك لم تلحقه التاء
او فعيل بمعنى فاعل ولم تلحقه التاء لانه للمبالغة او للنسب كطالق قال كذلك قال ربك
هو علي هين ولنجعله اي ونفعل ذلك لنجعله او لنبين به قدرتنا ولنجعله وقيل عطف على لنهب
على طريقة الالتفات آية للناس علامة لهم وبرهانا على كمال قدرتنا ورحمة منا على العباد
يهتدون بارشاده وكان امرا مقضيا تعلق به قضاء الله في الازل او قدر وسطر في اللوح
او كان امرا حقيقيا بان يقضى لكونه آية ورحمة فحملته بان نفخ في درعها فدخلت النفخة في جوفها
وكانت مدة حملها سبعة اشهر وقيل ستة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية غيره
وقيل ساعة كما حملته نبذته وسنها ثلث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت
حيضتين فانتبذت به فاعتزلت وهو في بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا
والجار والمجرور في موضع الحال مكانا قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار فاجاءها المخاض
فالجأها المخاض وهو في الاصل منقول من جاء لكنه خص به في الاستعمال كآتى في اعطى وقرئ المخاض بالكسر
وهما مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد في بطنها للخروج الى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه
عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكانت وقت
شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثمة غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعل الله تعالى
الهمها ذلك ليريها من آياتها ما يسكن روعتها وليطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء
الموافقة لها قالت يا ليتني مت قبل هذا استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرأ ابن كثير وابو بكر
وابو عمرو مت من مات يموت وكنت نسيا ما من شأنه ان ينسى ولا يطلب ونظيره
الذبح لما يذبح وقرأ حمزة وحفص بالفتح وهو لغة فيه او مصدر سمي به وقرئ به وبالهمزة وهو الحليب

الحليب المخلوط بالماء ينسأه اهله لقلته منسيا منسي الذكر بحيث لا يخطر ببالهم وقرئ
بكسر الميم على الاتباع فناداها من تحتها عيسى وقيل جبرئيل كان يقبل الولد وقيل تحتها اسفل
من مكانها وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص وروح من تحتها بالكسر والجر على ان في
نادى ضمير احدهما وقيل الضمير في تحتها للنخلة الا تحزني اي لا تحزني او بان لا تحزني قد
جعل ربك تحتك سريا جدولا هكذا روي مرفوعا وقيل سيدا من السرو وهو عيسى عليه السلام
وهزي اليك بجذع النخلة واميليه اليك والباء مزيدة للتأكيد او افعلي الهز والامالة
به او هزي الثمرة بهزه والهز تحريك بجذب ودفع تساقط عليك تتساقط فادغمت التاء
الثانية في السين وحذفها حمزة وقرأ يعقوب بالياء وحفص تساقط من ساقطت بمعنى
اسقطت وقرئ تتساقط ويسقط فالتاء للنخلة والياء للجذع رطبا جنيا تمييز او مفعول
روي انها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمرة وكانت الوقت شتاء فهزتها فجعل الله
تعالى له رأسا وخوصا ورطبا وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على براءة ساحتها
فان مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش والمنبهة لمن رآها على ان من قدر ان يثمر النخلة
اليابسة في الشتاء قدر ان يحبلها من غير فحل وانه ليس ببديع من شأنها مع ما فيه من الشراب
والطعام ولذلك رتب عليه امرين فقال فكلي واشربي اي من الرطب وماء السري
او من الرطب وعصيره وقري عينا وطيبي نفسك وارفضي عنها ما احزنك وقرئ
وقري بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت ما يسر النفس
سكنت اليه من النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن
حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنتها للمحبوب والمكروه فاما ترين من البشر
احدا فان ترى آدميا وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لتآخ بين الهمزة
واللين فقولي اني نذرت للرحمن صوما صمتا وقد قرئ به او صياما وكانوا لا يتكلمون
في صيامهم فلن اكلم اليوم انسيا بعد ان اخبرتكم بنذري وانما اكلم الملائكة واناجي ربي
وقيل اخبرتهم بنذرها بالاشارة وامرها بذلك لكراهة المجادلة والاكتفاء بكلام عيسى فانه
قاطع في قطع الطاعن فأتت به قومها مع ولدها راجعة اليهم بعدما طهرت عن النفاس
تحمله حاملة اياه قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا بديعا منكرا من فري الجلد يا اخت هرون
يعنون هرون النبي عليه السلام وكانت من اعقاب من كان معه في طبقة الاخوة وقيل كانت
من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح كان في زمانهم شبهوها به
تهكما او لما رأوا قبل من صلاحها او شتموها به ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك
بغيا تقرير لان ما جاءت به فري وتنبيه على ان الفواحش من اولاد الصالحين افحش فاشارت
اليه الى عيسى اي كلموه ليجيبكم قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ولم نعهد صبيا في المهد كلمه
عاقل وكان زائدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه او تامة او دائمة كقوله
وكان الله عليما حكيما او بمعنى صار قال اني عبد الله انطقه الله به اولا لانه اول المقامات

ولئلا يدعى من يزعم ربوبيته آتاني الكتاب الانجيل وجعلني نبيا وجعلني مباركا نفاعا معلما
للخير والتعبير بلفظ الماضي اما باعتبار ما سبق في قضائه او بجعل المحقق وقوعه كالواقع وقيل اكمل
الله عقله واستنبأه طفلا اينما كنت حيثما كنت واوصاني وامرني بالصلوة والزكوة زكوة
المال ان ملكته او تطهير النفس عن الرذائل ما دمت حيا وبرا بوالدتي وبارا بها عطف على مباركا
وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف به او منصوب بفعل دل عليه اوصاني اي وكلفني برا
ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلوة ولم يجعلني جبارا شقيا عند الله من فرط تكبره
والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا كما هو على يحيى والتعريف للعهد
والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فانه لما جعل جنس السلام على نفسه عرض بان ضده عليهم
كقوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى ذلك عيسى
ابن مريم اي الذي تقدم نعته هو عيسى ابن مريم لا ما يصفه النصارى وهو تكذيب بهم فيما يصفونه
على الوجه الابلغ والطريق البرهاني حيث جعله موصوفا باضداد ما يصفونه ثم عكس
الحكم قول الحق خبر محذوف اي هو قول الحق الذي لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام
السابق او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرأ عاصم وابن
عامر ويعقوب بالنصب على انه مصدر مؤكد وقرئ قال الحق وهو بمعنى القول الذي فيه يمترون
في امره يشكون او يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ
بالتاء على الخطاب ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه لله تعالى
عما بهتوه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون تبكيت لهم بان من اذا اراد شيئا اوجده
بكن كان منزها من شبه الخلق والحاجة في اتخاذ الولد باحبال الاناث وقرأ ابن عامر فيكون
بالنصب على الجواب وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم سبق تفسيره
في سورة آل عمران وقرأ الحجازيان والبصريان ان بالفتح على ولان وقيل انه معطوف على الصلوة
فاختلف الاحزاب من بينهم اليهود والنصارى او فرق النصارى نسطورية قالوا انه ابن
الله ويعقوبية قالوا هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وملكانية قالوا هو عبد الله
ونبيه فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزاؤه وهو يوم
القيمة او من وقت الشهود او من مكانه او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان يشهد
عليهم الملائكة والانبياء والسنتهم وايديهم بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة او من
مكانها وقيل هو ما شهدوا به في عيسى وامه اسمع بهم وابصر تعجب معناه ان اسماعهم
وابصارهم يوم يأتوننا اي يوم القيمة جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما وعميا في الدنيا
او التهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد
ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الاول في موضع الرفع وعلى الثاني في موضع النصب
لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين اوقع الظالمين موقع الضمير اشعارا بانهم ظلموا انفسهم
حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجل على اغفالهم بانه ضلال بين وانذرهم

وانذرهم يوم الحسرة يوم يتحسر الناس المسيء على اساءته والمحسن على قلة احسانه اذ قضي
الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار واذ بدل من اليوم او ظرف للحسرة
وهم في غفلة وهم لا يؤمنون حال متعلقة بقوله في ضلال مبين وما بينهما اعتراض او بانذرهم
اي انذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة للتعليل انا نحن نرث الارض ومن عليها
لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك او نتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك
توفي الوارث لارثه والينا يرجعون يردون للجزاء واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان
صديقا ملازما للصدق كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله واياته وكتبه ورسله نبيا
استنبأه الله اذ قال بدل من ابراهيم وما بينهما اعتراض او متعلق بكان او بصديقا نبيا لابيه يا ابت
التاء معوضة من ياء الاضافة ولذلك لا يقال يا ابتي ويقال يا ابتا وانما تذكر للاستعطاف
ولذلك كررها لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى خضوعك
ولا يغني عنك شيئا في جلب نفع ودفع ضر دعاه الى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه ابلغ احتجاج
وارفقه برفق وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعوه الى عبادة ما
يستخف به العقل الصريح ويأبى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم ولا تحق الا لمن له
الاستغناء التام والانعام العام وهو الخالق الرازق المحيي المميت ونبه على ان العاقل ينبغي
ان يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر
ولكن ممكنا لاستنكف العقل القويم عن عبادته وان كان اشرف الخلق كالملائكة والنبيين
لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه
الى ان يتبعه ليهديه الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر
السوي فقال يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك صراطا سويا ولم يسم اباه بالجهل المفرط
ولا نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون اعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه
مع خلوه عن النفع مستلزم للضر فانه في الحقيقة عبادة الشيطان من حيث انه الآمر به فقال
يا ابت لا تعبد الشيطان واستبعد ذلك وبين وجه الضرر فيه بان الشيطان مستعص على ربك
المولي للنعم كلها بقوله ان الشيطان كان للرحمن عصيا ومعلوم ان المطاوع للعاصي عاص
وكل عاص حقيق بان تسترد منه النعم وينتقم منه ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجره اليه
فقال يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قرينا
في اللعن او العذاب تليه ويليك وثانيا في موالاته فانه اكبر من العذاب كما ان رضوان
الله اكبر من الثواب وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب اما للمجاملة او لخفاء العاقبة
ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من جناياته لارتقاء همته في الربانية او لانه ملاكها
او لانه من حيث انه نتيجة معاداته لآدم وذريته فنبه عليها قال اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم
قابل استعطافه ولطفه في الارشاد بالفظاظة وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل

يا ابت بيا بني واضره وقدم الخبر على المبتدا وصدره بالهمزة لانكار نفس الرغبة على ضرب
من التعجب كانها مما لا يرغب عنها عاقل ثم حذره فقال لئن لم تنته عن مقالك فيها والرغبة عنها
لارجمنك بلساني يعني الشتم والذم او بالحجارة حتى تموت او تبعد مني واهجرني عطف على ما
دل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني مليا زمانا طويلا من الملاوة او مليا بالذهاب عني
قال سلام عليك توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة اي لا اصيبك بمكروه ولا
اقول لك بعد ما يوذيك ولكن ساستغفر لك ربي لعله يوفقك للتوبة والايمان
فان حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته وقد تقرر في سورة
التوبة انه كان بي حفيا بليغا في البر والالطاف واعتزلكم وما تدعون من دون الله بالمهاجرة
بديني وادعو ربي واعبده وحده عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا خائبا ضائع السعي مثلكم
في دعاء الهتكم وفي تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم النفس والتنبيه على ان الاجابة والاثابة
تفضل غير واجب وان ملاك الامر خاتمته وهو غيب فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون
الله بالهجرة الى الشام وهبنا له اسحق ويعقوب بدل من فارقهم من الكفرة قيل انه لما قصد
الشام اتى اولا حران وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما
بالذكر لانهما شجرتا الانبياء او لانه اراد ان يذكر اسمعيل بفضله على الانفراد وكلا جعلنا نبيا وكلا
منهما او منهم ووهبنا لهم من رحمتنا النبوة والاموال والاولاد وجعلنا لهم لسان صدق عليا
يفتخر به الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته واجعل لي لسان صدق في الاخرين والمراد
باللسان ما يوجد به ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة
على انهم احقاء بما يثنون عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتحول الدول وتبدل
الملل واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا موحدا اخلص عبادته عن الشرك والرياء
او اسلم وجهه لله واخلص نفسه عما سواه وقرا الكوفيون بالفتح على ان الله اخلصه وكان
رسولا نبيا ارسله الله الى الخلق فانباهم عنه ولذلك قدم رسولا مع انه اخص واعلى وناديناه
من جانب الطور الايمن من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى او من جانبه الميمونة
من اليمن بان تمثل له الكلام من تلك الجهة وقربناه تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاته
نجيا مناجيا حال من احد الضميرين وقيل مرتفعا من النجو وهو الارتفاع لما روي انه رفع فوق
السموات حتى سمع صرير القلم ووهبنا له من رحمتنا من اجل رحمتنا او بعض رحمتنا اخاه معاضدة
اخاه وموازرته اجابة لدعوته واجعل لي وزيرا من اهلي فانه كان اسن من موسى وهو مفعول
او بدل هرون عطف بيان له نبيا حال منه واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد
ذكر بذلك لانه المشهور به والموصوف باشياء في هذا الباب لم تعهد من غيره وناهيك انه وعد الغير
على الصبر على الذبح فقال ستجدني ان شاء الله صابرا فوفى وكان رسولا نبيا يدل على ان الرسول
لا يلزم ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابرهيم كانوا على شريعته وكان يامر اهله بالصلوة

بالصلوة والزكوة اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل على نفسه ومن هو اقرب الناس
اليه بالتكميل قال الله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك بالصلوة قوا انفسكم
واهليكم نارا وقيل اهله امته فان الانبياء اباء الامم وكان عند ربه مرضيا لاستقامة اقواله
وافعاله واذكر في الكتاب ادريس وهو سبط شيث وجد ابي نوح واسمه اخنوخ واشتقاق
ادريس من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك
فلقب به لكثرة درسه اذ روي انه تعالى انزل عليه ثلثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر في
علم النجوم والحساب انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا يعني شرف النبوة والزلفى عند الله
وقيل الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة اولئك اشارة الى المذكورين في السورة من زكريا
الى ادريس الذين انعم الله عليهم بانواع النعم الدينية والدنيوية من النبيين بيان للموصول من ذرية
آدم بدل منه باعادة الجار ويجوز ان يكون من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية
وممن حملنا مع نوح اي ومن ذرية من حملنا خصوصا وهم من عدا ادريس فان ابرهيم كان من ذرية
سام بن نوح ومن ذرية ابرهيم الباقون واسرائيل عطف على ابرهيم اي ومن ذرية اسرائيل وكان منهم
موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية وممن هدينا ومن جملة من
هديناه الى الحق واجتبينا للنبوة والكرامة اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا خبر لاولئك
ان جعلت الموصول صفته واستيناف ان جعلته خبره لبيان خشيتهم من الله واخباتهم له مع
ما لهم من علو الطبقة من شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله عز وجل وعن النبي عليه السلام اتلوا القران
وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود في جمع ساجد وقرئ يتلى بالياء لان التانيث
غير حقيقي وقرا حمزة والكسائي بكيا بكسر الباء فخلف من بعدهم خلف فعقبهم وجاء بعدهم
عقب سوء يقال خلف صدق بالفتح وخلف سوء بالسكون اضاعوا الصلوة تركوها او اخروها
عن وقتها واتبعوا الشهوات كشرب الخمر واستحلال نكاح الاخت والانهماك في المعاصي
وعن علي كرم الله وجهه واتبعوا الشهوات من بني الشديد وركب المنظور ولبس المشهور فسوف
يلقون غيا شرا كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما او جزاء
غي كقوله يلق اثاما اي مجازاة اثام او غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد في جهنم يستعيذ منه
اوديتها الا من تاب وامن وعمل صالحا يدل على ان الاية في الكفرة فاولئك يدخلون الجنة وقرا
ابن كثير وابو عمرو وابو بكر ويعقوب على البناء للمفعول من ادخل ولا يظلمون شيئا ولا ينقصون
شيئا من جزاء اعمالهم ويجوز ان ينتصب شيئا على المصدر وفيه تنبيه بان كفرهم السابق لا
يضرهم ولا ينقص اجورهم جنات عدن بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها او منصوب
على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف وعدن علم لان المضاف اليه في العلم او علم للعدن بمعنى
الاقامة كبرة ولذلك صح وصف ما اضيف اليه بقوله التي وعد الرحمن عباده بالغيب اي وعدها
اياهم وهي غائبة عنهم او هم غائبون عنها او وعدهم بايمانهم بالغيب انه كان وعده الذي هو
الجنة مأتيا يأتيها اهلها الموعود لا محالة وقيل هو من اتى اليه احسانا اي مفعولا منجزا لا يسمعون

فيها لغوا فضول كلام الا سلاما ولكن يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة
او الا تسليم الملائكة عليهم او تسليم بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع او على معنى ان التسليم
ان كان لغوا فلا يسمعون لغوا سواه كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من
قراع الكتائب او على ان معناه الدعاء بالسلامة واهلها اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما
فائدته الاكرام ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا على عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة والرغابة
وقيل المراد دوام الرزق ودروره تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا نبقيها عليهم من ثمرة
تقويهم كما يبقى على الوارث مال مورثه والوراثة اقوى لفظ يستعمل في التمليك والاستحقاق
من حيث انها لا يعقبها فسخ ولا استرجاع ولا يبطل برد واسقاط وقيل يورث المتقون
من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا زيادة في كرامتهم وعن يعقوب نورث
بالتشديد وما نتنزل الا بامر ربك حكاية قول جبرئيل استبطاه رسول الله عليه السلام عن قصة
اصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فابطا عليه خمسة
عشر يوما وقيل اربعين حتى قال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك والتنزل
النزول على مهل لانه مطاوع نزل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا كما تطلق نزل بمعنى انزل
والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت الا بامر الله على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير
للوحي له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وهو ما نحن فيه من الاماكن والاحايين لا
ننتقل من مكان الى مكان او لا ننزل في زمان دون زمان الا بامره ومشيته وما كان ربك
نسيا تاركا لك اي ما كان عدم النزول الا لعدم الامر به ولم يكن ذلك عن ترك الله
لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وانما كان لحكمة رآها فيه وقيل اول الآية حكاية قول المتقين
حين يدخلون الجنة وما ننزل الجنة الا بامر الله ولطفه وهو مالك الامور كلها السالفة والمترقبة
والحاضرة فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله وما كان ربك نسيا تقرير لقولهم اي
وما كان ناسيا لاعمال العاملين وما وعدهم من الثواب عليها وقوله رب السموات
والارض وما بينهما بيان لامتناع النسيان عليه وهو خبر محذوف او بدل من ربك
فاعبده واصطبر لعبادته خطاب للرسول عليه السلام مرتب عليه اي لما عرفت ربك
بانه لا ينبغي له ان ينساك او اعمال العمال فاقبل على عبادته واصطبر عليها ولا تتشوش بابطاء
الوحي وهزء الكفرة وانما عدي باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه من
الشدائد والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك هل تعلم له سميا مثلا يستحق
ان يسمى الها واحدا يسمى الله فان المشركين وان سموا الصنم الها لم يسموه الله قط
وذلك لظهور احديته وتعالي ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير
للامر اي اذا صح ان لا احد مثله ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال
بعبادته والاصطبار على مشاقها ويقول الانسان المراد به الجنس باسره فان القول
مقول فيما بينهم وان لم يقل كلهم كقولك بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم او بعضهم

المعهود وهم الكفرة او ابي بن خلف فانه اخذ عظاما بالية وفتتها وقال يزعم محمد
انا نبعث بعد ما نموت ءاذا ما مت لسوف اخرج حيا من الارض او من حال الموت
وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة وانتصابه
بفعل دل عليه اخرج لا به فان ما بعد اللام لا تعمل فيما قبلها وهي هنا مخلصة للتوكيد مجردة
عن الحال كما خلصت الهمزة واللام في يا الله للتعويض فساغ اقترانها بحرف الاستقبال
وروي عن ابن ذكوان اذا ما مت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر او لا يذكر الانسان
عطف على يقول وتوسيط همزة الانكار بينه وبين العاطف مع ان الاصل ان تتقدمها
للدلالة على ان المنكر بالذات هو المعطوف وان المعطوف عليه انما نشا منه فانه لو
تذكر وتامل انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا بل كان عدما صرفا لم يقل ذلك فانه اعجب
من جمع المواد بعد التفريق وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض وقرا نافع وابن عامر وعاصم
وقالون عن يعقوب ويذكر من الذكر الذي يراد به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل فوربك لنحشرنهم
اقسامه باسمه تعالى مضافا الى نبيه عليه السلام تحقيق للامر وتفخيم لشان الرسول عليه السلام والشياطين
عطف او مفعول معه لما روي ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم
كل مع شيطانه في سلسلة وهذا وان كان مخصوصا بهم ساغ نسبته الى الجنس باسره فانهم اذا حشروا
وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا جميعا معهم ثم لنحضرنهم حول جهنم ليرى السعداء
ما نجاهم الله منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا
غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم عليهم جثيا على ركبهم لما يدهمهم من هول
المطلع او لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب واهل
الموقف جاثون على ركبهم لقوله تعالى وترى كل امة جاثية على المعتاد في مواقف التقاول
وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف الى شاطئ جهنم اهانة
بهم او لعجزهم عن القيام لما عراهم من الشدة وان فسر الانسان بالعموم فالمعنى انهم يتجاثون
عند موافاة شاطئ جهنم على ان جثيا حال مقدرة وقرا حمزة والكسائي وحفص جثيا بكسر الجيم
ثم لننزعن من كل شيعة من كل امة شاعت دينا ايهم اشد على الرحمن عتيا من كان اعصى
واعتى منهم فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو كثيرا من اهل العصيان ولو خص
ذلك بالكفرة فالمراد به تمييز طوائفهم اعتاهم فاعتاهم وطرحهم في النار على الترتيب او ادخال
كل طبقة منها التي تليق بهم وايهم مبني على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات
لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة واذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى
حقه ومنصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره اما بالابتداء على انه
استفهامي وخبره اشد والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعن من كل شيعة الذين يقال
فيهم ايهم اشد او معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم او مستانفة والفعل
واقع على من كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة وانما مشيعة لانها بمعنى

بشيع وعلى للبيان او متعلق بافعل وكذا الباء في قوله ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا
اي لنحن اعلم بالذين هم اولى بالصلي او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم
عتيا رؤس الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم وقرا حمزة والكسائي وحفص
صليا بكسر الصاد وان منكم وما منكم التفات الى الانسان ويؤيده انه قرئ وان منهم الا واردها
الا واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر رضي الله عنه انه سئل عنه
فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال
لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وقيل ورودها الجواز
على الصراط فانه ممدود عليها كان على ربك حتما مقضيا كان ورودهم واجبا اوجبه الله على نفسه
وقضى بان وعد به وعدا لا يمكن خلفه وقيل اقسم عليه ثم ننجي الذين اتقوا فيساقون الى الجنة وقرا
الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف وقرئ ثم بفتح الثاء اي هناك ونذر الظالمين فيها جثيا
منهارة بهم كما كانوا وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الفجرة
الى الجنة بعد تجاثيهم ويبقى الفجرة فيها منهارة على هيئاتهم واذا تتلى عليهم اياتنا بينات مرتلات
الالفاظ مبينات المعاني في نفسها او ببيان الرسول او واضحات الاعجاز قال الذين
كفروا للذين امنوا لاجلهم او معهم اي الفريقين اي المؤمنين والكافرين خير مقاما موضع قيام
او مكانا وقرا ابن كثير بالضم اي موضع اقامة ومنزل واحسن نديا مجلسا ومجتمعا والمعنى انهم لما
سمعوا الايات الواضحات وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها اخذوا في الافتخار بما لهم من
حظوظ الدنيا والاستدلال بزيادة حظهم فيها على فضلهم وحسن حالهم عند الله لقصور نظرهم
على الحال وعلمهم بظاهر من الحيوة الدنيا فرد عليهم ذلك ايضا مع التهديد نقضا بقوله وكم
اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا وكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيانه وانما سمي اهل
كل عصر قرنا لانه يتقدم من بعدهم وهم احسن صفة لكم واثاثا تمييز عن النسبة وهو متاع البيت
وقيل ما جد منه والخرثي ما رث والرئي المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن والخبز وقرا قالون
وابن ذكوان ريا على قلب الهمزة وادغامها او على انه من الري هو النعمة وابو بكر ريئا على القلب
وريا بحذف الهمزة وزيا من الزي وهو الجمع فانه محاسن مجموعة ثم بين ان تمتعهم استدراج
وليس باكرام وانما العيار على الفضل والنقص ما يكون في الاخرة بقوله قل من كان في الضلالة
فليمدد له الرحمن مدا فيمده ويمهله بطول العمر والتمتع به وانما اخرجه على لفظ الامر ايذانا بان امهاله
مما ينبغي ان يفعله استدراجا وقطعا لمعاذيره كقوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما
وكقوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر حتى اذا راوا ما يوعدون غاية المد وقيل غاية قول الذين
كفروا للذين امنوا اي الفريقين خير حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة
تفصيل للموعود فانه اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم
قتلا واسرا واما يوم القيمة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال فسيعلمون من هو شر مكانا
من الفريقين بان عاينوا الامر على عكس ما قدروه وعاد ما متعوا به خذلانا ووبالا عليهم وهو

وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى واضعف جندا اي فئة وانصارا قابل به
احسن نديا من حيث ان حسن النادي باجتماع وجوه القوم واعيانهم وظهور شوكتهم
واستظهارهم ويزيد الله الذين اهتدوا هدى عطف على الشرطية المحكية بعد القول كانه
لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحيوة الدنيا ليس لفضله اراد ان يبين ان قصور حظ المؤمنين
منها ليس لنقصه بل لان الله تعالى اراد به ما هو خير له وعوضه منه وقيل عطف على فليمدد لانه في
معنى الخبر كانه قيل من كان في الضلالة يزيد الله في ضلاله ويزيد المقابل له هداية والباقيات
الصالحات الطاعات التي تبقى عائدتها ابد الاباد ويدخل فيها ما قيل من الصلوات
الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير عند ربك ثوابا عائدة مما متع به
الكفرة من النعمة المخدجة الفانية التي يفتخرون بها سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة
والعذاب الدائم كما اشار اليه وخير مردا والخير اما لمجرد الزيادة او على طريقة قولهم الصيف
احر من الشتاء اي ابلغ في حره منه في برده افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا
نزلت في العاص بن وائل كان لخباب عليه مال فتقاضاه فقال له لا حتى تكفر بمحمد قال لا والله
لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فاذا بعثت جئتني فيكون لي ثم مال وولد فاعطيك
ولما كانت الرؤية اقوى سند الاخبار استعمل ارايت بمعنى الاخبار والفاء على اصلها والمعنى
اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك وقرا حمزة والكسائي ولدا وهو جمع ولد
كاسد في اسد او لغة فيه كالعرب والعرب اطلع الغيب اقد بلغ من عظمة شانه الى
ان ارتقى الى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار حتى ادعى ان يؤتى في الاخرة مالا وولدا
وتالى عليه ام اتخذ عند الرحمن عهدا او اتخذ من عالم الغيوب عهدا بذلك فانه لا يتوصل
الى العلم به الا باحد هذين الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فان وعد الله
بالثواب عليهما كالعهد عليه كلا ردع وتنبيه على انه مخطئ فيما يصوره لنفسه سنكتب ما يقول
سنظهر له انا كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين اني لم تلدني لئيمة
او سننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا تتاخر
عن القول كقوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ونمد له من العذاب مدا ونطول له
من العذاب ما يستاهله او نزيد عذابه ونضاعفه لكفره وافترائه واستهزائه على الله ولذلك
اكده بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه ونرثه بموته ما يقول يعني المال والولد ويأتينا
يوم القيمة فردا لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا ان يؤتى ثم زائدا وقيل فردا رافضا
لهذا القول منفردا عنه واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا ليتعززوا بهم حيث
يكونون لهم وصلة الى الله تعالى وشفعاء عنده كلا ردع وانكار لتعززهم بها سيكفرون
بعبادتهم ستجحد الالهة عبادتهم ويقولون ما عبدتمونا لقوله اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين
او سيكفر الكفرة لسوء العاقبة انهم عبدوها لقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا
ما كنا مشركين ويكونون عليهم ضدا يؤيد الاول اذا فسر الضد بضد العز اي ويكونون عليهم

ولا او بضدهم على معنى انها يكون معونة في عذابهم بان يوقد بها نيرانهم او جعل الواو للكفرة اي ويكونون كافرين بهم بعد ان كانوا يعبدونها وتوحيده لوحدة المعنى الذي به مضادتهم فانهم بذلك كالشي الواحد ونظيره قوله عليه السلام وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا في الوقف قلب الف الاطلاق في قوله اقلي اللوم عاذل والعتابن او على معنى كل هذا الراي كلا وكلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين بان سلطناهم عليهم او قيضنا لهم قرناء تؤزهم ازا تهزهم وتغريهم على المعاصي بالتسويلات وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله عليه السلام من اقاويل الكفرة وتماديهم في الغي وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على ما نطقت به الايات المتقدمة فلا تعجل عليهم بان يهلكوا حتى تستريح انت والمؤمنون من شرورهم ويطهر الارض من فسادهم انما نعد لهم ايام اجالهم عدا او المعنى لا تعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة يوم نحشر المتقين نجمعهم الى الرحمن الى ربهم الذي غمرهم برحمته ولاختيار هذا الاسم في هذه السورة شان ولعله لان مساق الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها وفدا وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك المنتظرين لاكرامهم وانعامهم ونسوق المجرمين كما يساق البهائم الى جهنم وردا عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش او كالدواب التي ترد الماء لا يملكون الشفاعة الضمير فيه للعباد المدلول عليها بذكر القسمين وهو الناصب لليوم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا الا من تحلى بما يستعد به ويستاهل ان يشفع للعصاة من الايمان والعمل الصالح على ما وعد الله او الا من اتخذ من الرحمن اذنا فيها لقوله لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به ومحله الرفع على البدل من الضمير او النصب على تقدير المضاف اي الا شفاعة من اتخذ او على الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يستعد به ان يشفع له بالاسلام وقالوا اتخذ الرحمن ولدا والضمير يحتمل الوجهين لان هذا لما كان مقولا فيما بين الناس جاز ان ينسب اليهم لقد جئتم شيئا ادا على الالتفات للمبالغة في الذم والتسجيل عليهم بالجرأة على الله والاد بالفتح والكسر العظيم المنكر والادة الشدة وادني الامر واضني اثقلني وعظم علي تكاد السموات وقرأ نافع والكسائي بالياء يتفطرن منه يتشققن مرة بعد اخرى وقرأ ابو عمرو وابن عامر وابو بكر ويعقوب ينفطرن والاول ابلغ لان التفعل مطاوع فعل والانفعال مطاوع فعل ولان اصل التفعل للتكلف وتنشق الارض وتخر الجبال هدا تهد هدا او مهدودة او لانها تهد اي تكسر وهو تقرير لكونه ادا والمعنى ان هول هذه الكلمة عظيم وعظمها بحيث لو تصور بصورة محسوسة لم تحملها هذه الاجرام العظام وتفتتت من شدتها او ان فظاعتها مجلبة لغضب الله تعالى بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبددت قوائمه غضبا على من تكلم بها ان دعوا للرحمن ولدا يحتمل النصب على العلة لتكاد او لهدا على حذف اللام وافضاء الفعل اليه والجر باضمار اللام او بالابدال من الهاء في منه والرفع على انه خبر محذوف تقديره الموجب ولذلك ان دعوا او فاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن وهو من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين وانما اقتصر على المفعول الثاني ليحيط بكل ما دعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى الى فلان اذا انتسب اليه وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ولا يليق به اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل ولعل ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ما عداه نعمة ومنعم عليه فلا يجانس من هو مبدا النعم كلها ومولي اصولها وفروعها فكيف يمكن ان يتخذ ولدا ثم صرح به في قوله ان كل من في السموات والارض اي وما منهم الا اتي الرحمن عبدا الا هو مملوك له ياوي اليه بالعبودية والانقياد وقرئ ات الرحمن على الاصل لقد احصيهم حصرهم واحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوزة علمه وقبضة قدرته وعدهم عدا عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم فان كل شي عنده بمقدار وكلهم اتيه يوم القيمة فردا منفردين عن الاتباع والانصار فلا يجانسه شي من ذلك ليتخذه ولدا ولا يناسبه ليشرك به ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها وعن النبي عليه السلام اذا احب الله عبدا يقول لجبرائيل احببت فلانا فاحبه فيحبه جبرائيل ثم ينادي في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له المحبة في الارض والسين لان السورة مكية وكانوا ممقوتين ح بين الكفرة فوعد ذلك اذا جاء الاسلام او لان الموعود في القيمة حين تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل فانما يسرناه بلسانك بان انزلناه اي انزلناه بلغتك والباء بمعنى على او على اصله لتضمن يسرناه بمعنى انزلناه اي انزلناه بلغتك لتبشر به المتقين الصائرين الى التقوى وتنذر به قوما لدا اشداء الخصومة اخذين في كل لديد اي شق من المراد لفرط لجاجهم فبشر به وانذر وكم اهلكنا قبلهم من قرن تخويف للكفرة وتجسير للرسول على انذارهم هل تحس منهم من احد هل تشعر باحد منهم وتراه او تسمع لهم ركزا وقرئ تسمع من اسمعت والركز الصوت الخفي واصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون عن رسول الله عليه السلام من قرا سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وساير الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله في الدنيا ومن يدع الله تعالى

سورة طه وهي مائة واربع وثلثون اية مكية حروفها خمسة الاف ومائتان واثنان واربعون وكلماتها الف وثلثمائة واحدى واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم طه فخمها قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل وفخم الطاء وحده ابو عمرو وورش لاستعلائه واما لهما الباقون وهما من اسماء الحروف وقيل معناه يا رجل على لغة عك فان صح فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار والاستشهاد بقوله ان السفاهة طاها في خلائقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين ضعيف لجواز ان يكون قسما كقوله حم لا ينصرون وقرئ طه على انه امر للرسول عليه السلام بان يطا الارض بقدميه فانه كان يقوم في تهجده على احدى رجليه وان اصله طا لكن قلبت

بهمزتها او قلبت في يطأ الفا كقوله لا هناك المرتع ثم بني عليه الامر وضم اليه هاء السكت وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل طه طأها والالف مبدلة من الهمزة والهاء كناية الارض لكن يرد ذلك كتبتهما على صورة الحروف وكذا التفسير بيا رجل او اكتفى بشطري الكلمتين وعبر عنهما باسمهما ما انزلنا عليك القران لتشقى خبر طه ان جعلته مبتدا على انه مؤول بالسورة او القران فيه واقع موقع العائد وجواب ان جعلته مقسما به ومنادى ان جعلته نداء واستيناف ان كانت جملة فعلية او اسمية باضمار مبتدا او طائفة من الحروف محكية والمعنى ما انزلنا عليك القران لتتعب لفرط تاسفك على كفر قريش اذ ما عليك الا ان تبلغ او بكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق والشقاء شايع بمعنى التعب ومنه اشقى من رايض المهر وسيد القوم اشقاهم ولعله عدل اليه للاشعار بانه انزل عليه ليسعد وقيل رد وتكذيب للكفرة فانهم لما راوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى بترك ديننا وان القران انزل عليك لتشقى به الا تذكرة لكن تذكيرا وانتصابها على الاستثناء المنقطع ولا يجوز ان يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين ولا مفعولا له لانزلنا فان الفعل الواحد لا يتعدى الى علتين وقيل هي مصدر في موقع الحال من الكاف او القران او مفعول له على ان لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة القران اي ما انزلنا عليك القران المنزل لتتعب بتبليغه اي باحتمال متاعب تبليغه ومقاولة العتاة من اعداء الاسلام ومقاتلتهم وغير ذلك لمن يخشى لمن في قلبه خشية ورقة يتاثر بالانذار او لمن علم الله منه ان يخشى بالتخويف منه فانه المنتفع به تنزيلا نصب باضمار فعله او بيخشى او على المدح او البدل من تذكرة ان جعل حالا لا ان جعل مفعولا له لفظا او معنى فان الشيء لا يعلل بنفسه ولا بنوعه ممن خلق الارض والسموات العلى مع ما بعده الى قوله له الاسماء الحسنى تفخيم لشان المنزل بعرض تعظيم المنزل بذكر افعاله وصفاته على الترتيب الذي هو عند العقل فبدا بخلق الارض والسموات التي هي اصول العالم وقدم الارض لانها اقرب الى الحس واظهر عنده من السموات العلى وهي جمع العليا تانيث الاعلى ثم اشار الى وجه احداث الكائنات وتدبير امرها بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام والتقدير وانزل منه الاسباب على ترتيب ومقادير حسب ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيته فقال الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته ولما كانت القدرة تابعة للارادة وهي لا تنفك عن العلم عقب ذلك باحاطة علمه تعالى بجليات الامور وخفياتها على سواء فقال وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى اي وان تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم انه غني عن جهرك فانه يعلم السر واخفى منه وهو ضمير النفس وفيه تنبيه على ان شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس لاعلام الله بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع والجؤار ثم لما ظهر بذلك انه المستجمع لصفات الالوهية تبين انه المتفرد بها والمتوحد بمقتضاها فقال الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى

الحسنى ومن في ممن خلق صلة لتنزيلا او صفة له والانتقال من التكلم الى الغيبة للتفنن في الكلام وتفخيم المنزل من وجهين اسناد انزاله الى ضمير الواحد العظيم الشان ونسبته الى المختص بصفات الجلال والاكرام والتنبيه على انه وجب الايمان به لحكاية كلام جبرائيل والملائكة النازلين معه وقرئ الرحمن بالجر صفة لمن خلق فيكون على العرش استوى خبر محذوف وكذا ان رفع الرحمن على المدح دون الابتداء ويجوز ان يكون خبرا ثانيا والثرى الطبقة الترابية من الارض وهي اخر طبقتها والحسنى تانيث الاحسن وفضل اسماء الله تعالى على سائر الاسماء في الحسن لدلالتها على معان هي اشرف المعاني وافضلها وهل اتيك حديث موسى قفى تمهيد نبوته بقصة موسى ليأتم به في تحمل اعباء النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاسات الشدايد فان هذه السورة من اوائل ما نزل اذ راى نارا ظرف للحديث لانه حدث او مفعول لاذكر وقيل استاذن شعيب عليهما السلم في الخروج الى امه وخرج باهله فلما وافى وادي طوى وفيه الطور ولد له ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد اضل الطريق وتفرقت ماشيته اذ راى من جانب الطور نارا فقال لاهله امكثوا اقيموا مكانكم وقرا حمزة لاهله امكثوا هنا وفي القصص بضم الهاء في الوصل والباقون بكسرها فيه اني انست نارا ابصرتها ابصارا لا شبهة فيه وقيل الايناس ابصار ما يونس به لعلي اتيكم منها بقبس بشعلة من النار وقيل جمرة او اجد على النار هدى هاديا يدلني على الطريق او يهديني ابواب الدين فان افكار الابرار مائلة اليها في كل ما يعن لهم ولما كان حصولهما مترقبا بنى الامر فيهما على الرجاء بخلاف الايناس فانه كان محققا ولذلك حققه لهم بان ليوطنوا انفسهم عليه ومعنى الاستعلاء على النار ان اهلها مشرفون عليها او مستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب منه فلما اتيها اتى النار وجد نارا بيضاء تتقد في شجرة خضراء نودي يا موسى اني انا ربك فتحها ابن كثير وابو عمرو اي باني وكسر الباقون باضمار القول او اجراء النداء مجراه وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق قيل انه لما نودي قال من المتكلم قال اني انا الله فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله فاني اسمعه من جميع الجهات وبجميع الاعضاء وهي اشارة الى انه عليه السلام تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس المشترك فانتقش من غير اختصاص بعضو وجهة فاخلع نعليك امر بذلك لان الحفوة تواضع وادب ولذلك طاف السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه فانهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والمال انك بالواد المقدس تعليل للامر باحترام البقعة والمقدس يحتمل المعنيين طوى عطف بيان للوادي ونونه ابن عامر والكوفيون بتاويل المكان وقيل هو كثنى من الطي مصدر لنودي او المقدس اي نودي نداءين او قدس مرتين وانا اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرا حمزة وانا اخترناك فاستمع لما يوحى الذي يوحى اليك او للوحي واللام يحتمل التعلق بكل من الفعلين انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني بدل مما يوحى دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم والامر بالعبادة التي هي كمال

كمال العقل واقم الصلوة لذكري خصها بالذكر وافردها بالامر للعلة التي اناط بها اقامتها وهو تذكر
المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لذكري لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها اولان
اذكر بالثناء او لذكري خاصة لا ترائي بها ولا تشوبها بذكر غيري وقيل لاوقات ذكري وهي
مواقيت الصلوة او لان اذكر صلوتي لما روي انه عليه السلام قال من نام عن صلوة او نسيها فليقضها
اذا ذكرها ان الله تعالى يقول واقم الصلوة لذكري ان الساعة اتية كاينة لا محالة اكاد اخفيها
اريد اخفاء وقتها او اقرب ان اخفيها فلا اقول انها اتية ولولا ما في الاخبار باتيانها من اللطف
وقطع الاعذار لما اخبرت به او اكاد اظهرها من اخفاه اذا سلب خفاه ويؤيده القراءة
بالفتح من خفاه اذا اظهره لتجزى كل نفس بما تسعى متعلق باتية او باخفيها على المعنى الاخير فلا يصدنك
عنها عن تصديق الساعة او عن الصلوة من لا يؤمن بها نهي الكافر ان يصد موسى عنها والمراد نهيه
ان ينصد عنها كقوله لا ارينك ههنا تنبيها على ان فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها
ولم يعرض عنها وانه ينبغي ان يكون راسخا في دينه فان صد الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه واتبع
هواه ميل نفسه الى اللذات المحسوسة المخدجة فقصر نظره عن غيرها فتردى فتهلك بالانصداد
بصده وما تلك استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه فيها من العجائب بيمينك حال من معنى
الاشارة وقيل صلة لتلك يا موسى تكرير لزيادة الاستيناس والتنبيه قال هي عصاي وقرئ
عصي على لغة هذيل اتوكأ عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على راس القطيع واهش بها
على غنمي واخبط الورق بها على رؤس غنمي وقرئ اهس وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته
وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم اي انحي عليها زاجرا لها ولي فيها مارب اخرى حاجات اخرى
مثل ان كان اذا سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها
الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها
وكانه عليه السلام فهم ان المقصود من السؤال ان يتذكر حقيقتها وما يرى من منافعها حتى اذا
رآها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصايص اخرى خارقة للعادة
مثل ان تشتعل شعبتاه بالليل كالشمع وتصيران دلوا عند الاستقاء وتطول بطول البئر
وتحارب عنه اذا ظهر عدو وينبع الماء بركزها وينضب بنزعها وتورق وتثمر اذا اشتهى
ثمرة فركزها علم ان ذلك ايات باهرة ومعجزات قاهرة احدثها الله فيها لاجله وليست
من خواصها فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلا ومجملا على معنى انها من جنس العصا تنفع منافع
امثالها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه قال القها يا موسى فالقيها فاذا هي حية تسعى قيل لما
القيها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها جانا تارة
نظرا الى المبدأ وثعبانا مرة باعتبار المنتهى وحية اخرى بالاسم الذي يعم الحالين وقيل
كانت في ضخامة الثعبان وجلادة الجان ولذلك قال كانها جان قال خذها ولا تخف
فانه لما رآها حية تسرع وتبتلع الحجر والشجر خاف وهرب منها سنعيدها سيرتها الاولى
هيئتها وحالتها المتقدمة وهي فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع

على نزع الخافض او على ان اعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه او على الظرف اي
سنعيدها في طريقتها او على تقدير فعلها اي ستعيد العصا بعد ذهابها سيرتها
الاولى فتنتفع بها ما كنت تنتفع قبل قيل لما قال له ربه ذلك اطمأنت نفسه حتى
ادخل يده في فمها واخذ بلحييها واضمم يدك الى جناحك الى جنبك تحت العضد يقال
لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر استعارة من جناحي الطاير سميا بذلك لانه يجنحهما
عند الطيران تخرج بيضاء كانها مشعة من غير سوء من غير عاهة وقبح كنى به عن البرص
كما كنى بالسوأة عن العورة لان الطباع تعافه وتنفر عنه اية اخرى معجزة ثانية وهي
حال من ضمير تخرج كبيضاء او من ضميرها او مفعول باضمار خذ او دونك لنريك من اياتنا
الكبرى متعلق بهذا المضمر او بما دل عليه اية او القصة اي دللنا بها او فعلنا ذلك لنريك
والكبرى صفة اياتنا او مفعول نريك ومن اياتنا حال منها اذهب الى فرعون بهاتين
الايتين وادعه الى العبادة انه طغى عصى وتكبر قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري
لما امره الله تعالى بخطب عظيم وامر جسيم ساله ان يشرح صدره ويفسح قلبه ليحمل اعبائه
والصبر على مشاقه والتلقي لما ينزل عليه ويسهل الامر له باحداث الاسباب ورفع الموانع
وفائدة لي ابهام المشروح والميسر اولا ثم رفعه بذكر الصدر والامر تاكيدا ومبالغة واحلل
عقدة من لساني يفقهوا قولي فانما يحسن التبليغ من البليغ وكان في لسانه رتة من جمرة
ادخلها فاه وذلك ان فرعون حمله يوما فاخذ لحيته ونتفها فغضب وامر بقتله فقالت
اسية انه صبي لا يفرق بين الجمرة والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة ووضعها في فيه
ولعل تبيض يده كان لذلك وقيل احترقت يده واجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ثم
لما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنه واختلف في
زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله قد اوتيت سؤلك ومن لم يقل به احتج
بقوله هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين واجاب عن الاول بانه لم يسأل
حل عقدة لسانه مطلقا بل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها وجعل يفقهوا جواب
الامر ومن لساني يحتمل ان يكون صفة عقدة وان يكون صلة احلل واجعل لي وزيرا
من اهلي هرون اخي يعينني على ما كلفتني به واشتقاق الوزير اما من الوزر لانه
يحمل الثقل عن اميره او من الوزر وهو الملجأ لان الامير يعتصم برايه ويلجأ اليه في
اموره ومنه الموازرة وقيل اصله ازير من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل
كالعشير والجليس قلبت همزته واوا كقلبها في موازر ومفعولا اجعل وزيرا
وهرون قدم ثانيهما للعناية به ولي صلة او حال او لي وزيرا وهرون عطف
بيان للوزير او وزيرا من اهلي ولي تبيين كقوله تعالى ولم يكن له كفوا احد واخي
على الوجوه بدل من هرون او مبتدأ خبره اشدد به ازري واشركه في امري
على لفظ الامر وقراهما ابن عامر بلفظ الخبر على انهما جواب الامر كي نسبحك كثيرا ونذكرك

وتذكرك كثيرا فان التعاون يهيج الرغبات ويؤدي الى تكاثر الخير وتزايده انك
كنت بنا بصيرا عالما باحوالنا وان التعاون مما يصلحنا وان هارون نعم المعين لي
فيما امرتني به قال قد اوتيت سؤلك يا موسى اي مسؤولك فعل بمعنى مفعول كالخبز
والاكل بمعنى المخبوز والماكول ولقد مننا عليك مرة اخرى انعمنا عليك في وقت
اخر اذ اوحينا الى امك بالهام او في منام او على لسان نبي في وقتها او ملك لا على
وجه النبوة كما اوحي الى مريم ما يوحى ما لا يعلم الا بالوحي او مما ينبغي ان يوحى ولا يخل به
لعظم شانه وفرط الاهتمام به ان اقذفيه في التابوت بان اقذفيه او اي اقذفيه
لان الوحي بمعنى القول فاقذفيه في اليم والقذف يقال للالقاء وللوضع كقوله تعالى
وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي كقوله غلام رماه الله بالحسن يافعا فليلقه
اليم بالساحل لما كان القاء البحر اياه الى الساحل امرا واجب الحصول لتعلق الارادة
به جعل البحر كانه ذو تمييز مطيع امر بذلك واخرج الجواب مخرج الامر والاولى ان يجعل
الضمائر كلها لموسى مراعاة للنظم والمقذوف في البحر والملقى الى الساحل وان كان
التابوت بالذات فموسى بالعرض يأخذه عدو لي وعدو له جواب فليلقه وتكرير
عدو للمبالغة او لان الاول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع قيل
انها جعلت في التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته والقته في اليم وكان
يشرع منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاداه الى بركة في البستان
وكان فرعون جالسا على رأسها مع امرأته آسية بنت مزاحم فامر به فاخرج ففتح
فاذا هو صبي اصبح الناس وجها فاحبه حبا شديدا كما قال والقيت عليك محبة مني
محبة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك فلذلك
احبك فرعون ويجوز ان يتعلق مني بالقيت اي احببتك ومن احبه الله
احبته القلوب وظاهر اللفظ ان اليم القاه بساحله وهو شاطئه لان الماء يسحله
فالتقط منه لكن لا يبعد ان يؤول الساحل بجنب فوهة نهره ولتصنع على عيني
ولتربى ويحسن اليك وانا راعيك وراقبك والعطف على علة مضمرة مثل
ليتعطف عليك اي على الجملة السابقة باضمار فعل معلل مثل فعلت ذلك وقرئ
ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على انه امر ولتصنع بالنصب وفتح التاء اي وليكون
عملك على عين مني لئلا تخالف به عن امري اذ تمشي اختك ظرف لالقيت
او لتصنع او بدل من اذ اوحينا على ان المراد بها وقت متسع فتقول هل ادلكم على من
يكفله وذلك انه كان لا يقبل ثدي المراضع فجاءت اخته مريم متفحصة خبره فصادفتهم
فهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فقالت هل ادلكم فجاءت بامه فقبل ثديها
فرجعناك الى امك وفاء بقولنا انا رادوه اليك كي تقر عينها بلقائك ولا
تحزن هي بفراقك او انت بفراقها وفقد اشفاقها وقتلت نفسا نفس القبطي الذي

الذي استغاثه عليه الاسرائيلي فنجيناك من الغم غم قتله خوفا من عقاب الله او
اقتصاص فرعون بالمغفرة والامن منه بالهجرة الى مدين وفتناك فتونا وابتليناك
ابتلاء او انواعا من الابتلاء على انه جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز
وبدور في جمع حجزة وبدرة فخلصناك مرة بعد اخرى وهو اجمال لما ناله في سفره
من الهجرة عن الوطن ومفارقة الالاف والمشي راجلا على حذر وفقد الزاد واجر
نفسه الى غير ذلك اوله لما سبق ذكره فلبثت سنين في اهل مدين لبثت فيهم عشر
سنين قضاء لاوفى الاجلين ومدين على ثماني مراحل من مصر ثم جئت على قدر
قدرته لان اكلمك واستنبئك غير مستقدم وقته المعين ولا مستاخر او على مقدار
من السن يوحى فيه الى الانبياء يا موسى كرره عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه
على ذلك واصطنعتك لنفسي واصطفيتك لمحبتي مثله فيما خوله من الكرامة بمن قربه
الملك واستخلصه لنفسه اذهب انت واخوك باياتي بمعجزاتي ولا تنيا ولا تفترا
ولا تقصرا وقرئ تنيا بكسر التاء في ذكري لا تنسياني حيثما تقلبتما وقيل في تبليغ
ذكري والدعاء الي اذهبا الى فرعون انه طغى امر به اولا موسى وحده وههنا اياه واخاه
فلا تكرير قيل اوحي الى هرون ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله فاستقبله فقولا له
قولا لينا مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فانه دعوة في صورة
عرض ومشورة حذرا ان تحمله الحماقة على ان يسطو عليكما او احتراما لما له من حق التربية
عليك وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة وقيل عداه
شبابا لا يهرم بعده وملكا لا يزول الا بالموت لعله يتذكر او يخشى متعلق باذهبا
او قولا اي باشرا الامر على رجائكما وطمعكما انه يثمر ولا يخيب سعيكما فان الراجي مجتهد
والآيس متكلف والفائدة في ارسالهما والمبالغة عليهما في الاجتهاد مع علمه بانه لا يؤمن
الزام الحجة وقطع المعذرة واظهار ما حدث في تضاعيف ذلك من الايات
والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم ولذلك قدم الاول اي ان لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر
فلا اقل من ان يتوهمه فيخشى قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا ان يعجل علينا
بالعقوبة ولا يصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط
وفرس فارط يسبق الخيل وقرئ يفرط من افرطه اذا حمله على العجلة اي نخاف ان
يحمله حامل من استكبار او خوف على الملك او شيطان انسي او جني على المعاجلة
بالعقاب ويفرط من الافراط في الاذية او ان يطغى ان يزداد طغيانا فيتخطى
الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لجراءته وقساوته واطلاقه من حسن الادب قال
لا تخافا انني معكما بالحفظ والنصرة اسمع وارى ما يجري بينكما وبينه من قول
وفعل فاحدث في كل حال ما يصرف شره عنكما ويوجب نصرتي لكما ويجوز ان لا يقدر
شيء على معنى انني حافظكما سامعا مبصرا والحافظ اذا كان قادرا سميعا بصيرا

ثم الحفظ فاتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بنى اسرائيل اطلقهم ولا تعذبهم
بالتكاليف الصعبة وقتل الولدان فانهم كانوا فى ايدى القبط يستخدمونهم ويتعبونهم
فى العمل ويقتلون ذكورهم اولادهم فى عام دون عام وتعقيب الاتيان بذلك
دليل على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان ويجوز ان يكون
للتدريج فى الدعوة قد جئناك باية من ربك جملة مقررة لما تضمنه الكلام السابق
من دعوى الرسالة وانما وحد الاية وكان معه ايتان لان المراد اثبات الدعوى
ببرهانها لا الاشارة الى وحدة الحجة وتعددها وكذلك قد جئتكم ببينة فات باية
اولو جئتك بشىء مبين والسلام على من اتبع الهدى وسلام الملائكة وخزنة
الجنة على المهتدين او السلامة فى الدارين لهم انا قد اوحى الينا ان العذاب على
من كذب وتولى اى عذاب المهلكين على المكذبين للرسل ولعل تغيير النظم والتصريح
بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد فى اول الامر اهم وانجع وبالواقع اليق قال
فمن ربكما يا موسى اى بعد ما اتياه وقالا له ما امرا به ولعله حذف لدلالة الحال
فان المطيع اذا امر بشىء فعله لا محالة وانما خاطب الاثنين وخص موسى بالنداء
لانه الاصل وهرون وزيره وتابعه او لانه عرف ان له رتة ولاخيه فصاحة
فاراد ان يفحمه ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين قال
ربنا الذى اعطى كل شىء من الانواع خلقه صورته وشكله الذى يطابق كماله
الممكن له او اعطى خليقته كل شىء يحتاجون اليه ويرتفقون به فقدم المفعول الثانى
لانه المقصود بيانه وقيل اعطى كل حيوان نظيره فى الخلق والصورة زوجا وقرئ
خلقه صفة للمضاف اليه او المضاف على شذوذ فيكون المفعول الثانى محذوفا اى
اعطى كل مخلوق ما يصلحه ثم هدى ثم عرفه كيف يرتفق بما اعطى وكيف يتوصل به
الى بقائه وكماله اختيارا او طبعا وهو جواب فى غاية البلاغة لاختصاره واعرابه
عن الموجودات باسرها على مراتبها ودلالته على ان الغنى القادر بالذات المنعم على
الاطلاق هو الله تعالى وان جميع ما عداه مفتقر اليه منعم عليه فى حد ذاته وصفاته
وافعاله ولذلك بهت الذى كفر وافحم عن الدخل عليه فلم ير الا صرف الكلام عنه
قال فما بال القرون الاولى فما حالهم بعد موتهم من السعادة والشقاوة قال
علمها عند ربى اى انه غيب لا يعلمه الا الله وانما انا عبد مثلك لا اعلم منه
الا ما اخبرنى به فى كتاب مثبت فى اللوح المحفوظ ويجوز ان يكون تمثيلا لتمكنه فى
علمه بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة ويؤيده لا يضل ربى ولا ينسى والضلال
ان تخطئ الشىء فى مكانه فلم تهتد اليه والنسيان ان تذهب عنه بحيث لا يخطر
ببالك وهما محالان على العالم بالذات ويجوز ان يكون سؤاله دخلا على احاطة
قدرة الله بالاشياء كلها وتخصيصه ابعاضها بالصور والخواص المختلفة بان ذلك

بان ذلك يستدعى علمه بتفاصيل الاشياء وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرتهم
وتمادى مدتهم وتباعد اطرافهم كيف احاط علمه بهم وباجزائهم واحوالهم فيكون
معنى الجواب ان علمه تعالى محيط بذلك وانه مثبت عنده لا يضل ولا ينسى
الذى جعل لكم الارض مهدا مرفوع صفة لربى او خبر لمحذوف او منصوب على المدح
وقرا الكوفيون ههنا وفى الزخرف مهدا اى كالمهد تتمهدونها وهو مصدر سمى به
والباقون مهادا وهو اسم ما يمهد كالفراش او جمع مهد ولم يختلفوا فى الذى
فى النبا وسلك لكم فيها سبلا وحصل لكم فيها سبلا بين الجبال والاودية و
والبرارى تسلكونها من ارض الى ارض لتبلغوا منافعها وانزل من السماء ماء مطرا
فاخرجنا به عدل به عن لفظ الغيبة الى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله تعالى
تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وايذانا بانه تنقاد
الاشياء المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظائره كقوله الم تر ان الله انزل من السماء
ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها امن خلق السموات والارض وانزل لكم
من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ازواجا اصنافا سميت بذلك
لازدواجها واقتران بعضها ببعض من نبات بيان وصفة لازواجا وكذلك
شتى ويحتمل ان يكون صفة للنبات فانه من حيث انه مصدر فى الاصل يستوى
فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمريض ومرضى اى متفرقات فى الصور والاعراض
والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم فلذلك كلوا وارعوا انعامكم
وهو حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اى اخرجنا اصناف النبات قائلين
كلوا وارعوا والمعنى معديها لانتفاعكم بالاكل والعلف اذنين فيه ان فى ذلك
لايات لاولى النهى لذوى العقول الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح
جمع نهية منها خلقناكم فان التراب اصل خلقة اول ابائكم واول مواد ابدانكم
وفيها نعيدكم بالموت وتفكيك الاجزاء ومنها نخرجكم تارة اخرى بتاليف
اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصورة السابقة ورد الارواح اليها ولقد
اريناه اياتنا بصرناه اياها او عرفناه صحتها كلها تاكيد لشمول الانواع او لشمول
الافراد على ان المراد باياتنا ايات معهودة وهى الايات التسع المختصة بموسى
او انه اراه اياته وعدد عليه ما اوتى غيره من المعجزات فكذب موسى من فرط
عناده وابى الايمان والطاعة لعتوه قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا ارض مصر
بسحرك يا موسى هذا تعلل وتحير ودليل على انه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه
فان الساحر لا يقدر ان يخرج ملكا مثله فلنأتينك بسحر مثله مثل سحرك
فاجعل بيننا وبينك موعدا وعدا لقوله لا نخلفه نحن ولا انت فان الاخلاف
لا يلائم الزمان والمكان وانتصاب مكانا سوى بفعل دل عليه المصدر لا به فانه

موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه وعلى هذا يكون
طباق الجواب في قوله قال موعدكم يوم الزينة من حيث المعنى فان يوم الزينة
يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم او باضمار مثل مكان
موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ
يوم بالنصب وهو ظاهر في ان المراد بهما المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوي
مسافته الينا واليك وهو في النعت كقولهم قوم عدا في الشذوذ وقرا ابن
عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم وقيل في يوم الزينة يوم عاشورا او يوم
النيروز او يوم عيد كان لهم في كل عام وانما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على
روس الاشهاد ويشيع ذلك في الاقطار وان يحشر الناس ضحى عطف على اليوم
او الزينة وقرئ على بناء الفاعل بالتاء على خطاب فرعون والياء على ان فيه
ضمير اليوم او ضمير فرعون على كون الخطاب لقومه فتولى فرعون فجمع كيده ما يكاد
به يعني السحرة والاتهم ثم اتى بالموعد قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا
بان تدعوا اياته سحرا فيسحتكم بعذاب فيهلككم ويستاصلكم به وقرا حمزة
والكسائي وحفص ويعقوب برواية رويس بالضم من الاسحات وهو لغة نجد وتميم
والسحت لغة الحجاز وقد خاب من افترى كما خاب فرعون فانه افترى واحتال
ليبقى الملك عليه فلم ينفعه فتنازعوا امرهم بينهم اي تنازعت السحرة في امر
موسى حين سمعوا كلامه فقال بعضهم ليس هذا من كلام السحرة واسروا النجوى بان
موسى ان غلبنا اتبعناه او تنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا
في السر وقيل الضمير لفرعون وقومه وقوله قالوا ان هذان لساحران تفسير لاسروا
النجوى كانهم تشاوروا في تلفيقه حذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم ان
على لغة بلحارث بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية واعربوا المثنى تقديرا وقيل
اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها مبتدا
وخبر وفيهما ان اللام لا يدخل خبر المبتدا وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف
الضمير وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرا ابو عمرو ان هذين وهو ظاهر وابن
كثير وحفص ان هذان على ان هي المخففة واللام هي الفارقة او النافية واللام بمعنى
الا وشدد ابن كثير نون هذان يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بالاستيلاء عليها
بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب باظهار مذهبه
واعلاء دينه كقوله اني اخاف ان يبدل دينكم وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم
من حيث انهم قدوة واراد واهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل فانهم كانوا ارباب
علم فيما بينهم لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل وقيل لغيرهم فاجمعوا كيدكم فازمعوه
واجعلوه مجمعا عليه لا يتخلف عنه واحد منكم وقرا ابو عمرو فاجمعوا ويعضده قوله

قوله فجمع كيده والضمير في قالوا ان كان للسحرة فهو قول بعضهم لبعض ثم ائتوا صفا
مصطفين لانه اهيب في صدور الرائين قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم
حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة وقد افلح اليوم من استعلى فاز
بالمطلوب من غلب وهو اعتراض قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول
من القى اي بعد ما اتوا مراعاة للادب وان بما بعدها منصوب بفعل مضمر
او مرفوع بخبرية مبتدا محذوف اي اختر القاءك اولا او القاءنا او الامر
القاؤك او القاؤنا قال بل القوا مقابلة ادب بادب وعدم مبالاة
بسحرهم واسعافا الى ما اوهموا من الميل الى البدء بذكر الاول في شقهم وتغيير النظم
الى وجه ابلغ ولان يبرزوا ما معهم ويستنفدوا اقصى وسعهم ثم يظهر الله
سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه
من سحرهم انها تسعى اي فالقوا فاذا حبالهم وهي للمفاجاة والتحقيق انها
ظرف تستدعي متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصت بان
يكون المتعلق فعل المفاجاة والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجا موسى
تخيله وقت تخيل سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك بانهم لطخوها بالزيبق
فلما ضربت عليه الشمس اضطربت فخيل اليه انها تتحرك وقرا ابن عامر برواية
ابن ذكوان وروح تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال
انها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ يخيل على اسناده الى الله وتخيل بمعنى
تتخيل فاوجس في نفسه خيفة موسى فاضمر فيها خوفا من مفاجاته على ما هو
مقتضى الجبلة البشرية او من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه قلنا لا تخف
ما توهمت انك انت الاعلى تعليل للنهي وتقرير لغلبته مؤكدا بالاستيناف
وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة
وصيغة التفضيل والق ما في يمينك ابهمه ولم يقل عصاك تحقيرا لها اي
لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويدة التي في يدك او تعظيما لها اي
لا تحتفل بكثرة هذه الاجرام وعظمها فان في يمينك ما هو اعظم منها اثرا فالقه
تلقف ما صنعوا تبتلعه بقدرة الله تعالى واصله تتلقف فحذفت احدى
التائين وتاء المضارعة تحتمل التانيث والخطاب على اسناد الفعل الى المسبب
وقرا ابن عامر برواية ذكوان بالرفع على الحال والاستيناف وحفص بالجزم
والتخفيف على انه من لقفته بمعنى تلقفته انما صنعوا ان الذي زوروا وافتعلوا
كيد ساحر وقرئ بالنصب على ان ما كافة وهو مفعول صنعوا وقرا حمزة والكسائي
سحر بمعنى ذي سحر او بتسمية الساحر سحرا على المبالغة او باضافة الكيد الى السحر للبيان
كقولهم علم فقه وانما وحد الساحر لان المراد به الجنس المطلق ولذلك قال ولا يفلح

ولا يفلح الساحر اى هذا الجنس وتنكير الاول لتنكير المضاف كقول العجاج يوم ترى النفوس
ما اعدت في سعي دنيا طالما قد مدت كانه قيل انما صنعوا كيد سحري حيث اتى
حيث كان واين اقبل فالقي السحرة سجدا اى فالقى فتلقفت فتحقق عند السحرة
انه ليس بسحر وانما هو من ايات الله ومعجزاته فالقاهم ذلك على وجوههم سجدا لله
توبة عما صنعوا وعتابا وغيا وتعظيما لما راوا قالوا امنا برب هرون وموسى
قدم هرون لكبر سنه او لروى الاية او لان فرعون ربى موسى في صغره فلو اقتصر
على موسى او قدم ذكره فربما توهم ان المراد فرعون وذكر هرون على سبيل الاتباع
روى انهم راوا في سجودهم الجنة ومنازلهم فيها قال امنتم له اى لموسى واللام
لتضمين الفعل معنى الاتباع وقرا قنبل وحفص امنتم له على الخبر والباقون على الاستفهام
قبل ان اذن لكم في الايمان له انه لكبيركم لعظيمكم في فنكم واعلمكم به او لاستاذكم
الذي علمكم السحر وانتم تواطاتم على ما فعلتم فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف
اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كان القطع ابتدا من مخالفة العضو وهي
مع المجرور في حيز النصب على الحال اى لاقطعنها مختلفات وقرى لاقطعن ولاصلبن
بالتخفيف ولاصلبنكم في جذوع النخل شبه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف
بالظرف وهو اول من صلب ولتعلمن اينا يريد نفسه وموسى لقوله امنتم له
واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله اراد به توضيع موسى والهزء به فانه لم يكن
من التعذيب في شيء وقيل رب موسى الذي امنوا به اشد عذابا وابقى وادوم
عذابا وعقابا قالوا لن نؤثرك لن نختارك على ما جاءنا موسى به ويجوز ان يكون
الضمير فيه لما من البينات المعجزات الواضحات والذي فطرنا عطف على ما جاءنا
او قسم فاقض ما انت قاض ما انت قاضيه اى صانعه او حاكم به انما تقضي هذه
الحيوة الدنيا انما تصنع ما تهواه او تحكم بما تراه في هذه الدنيا والاخرة خير وابقى
فهو كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده وقرى تقضي هذه الحيوة الدنيا كقولك صيم
يوم الجمعة انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا من الكفر والمعاصي وما اكرهتنا عليه
من السحر في معارضة المعجزة روى انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما فوجدوه
تحرسه العصا فقالوا ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه
والله خير وابقى جزاء او خير ثوابا وابقى عقابا انه ان الامر من يات ربه مجرما
بان يموت على كفره وعصيانه فان له نار جهنم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى
حيوة مهناة ومن ياته مؤمنا قد عمل الصالحات في الدنيا فاولئك لهم الدرجات
العلى المنازل الرفيعة جنات عدن بدل من الدرجات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها حال والعامل فيها معنى الاشارة او الاستقرار وذلك جزاء من تزكى
تطهر من ادناس الكفر والمعاصي والايات الثلث تحتمل ان يكون من كلام السحرة

السحرة وان يكون ابتداء كلام من الله تعالى ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي
اى من مصر فاضرب لهم طريقا في البحر فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما
او فاتخذ من ضرب اللبن اذا عمله يبسا يابسا مصدر وصف به يقال يبس
يبسا ويبسا كسقم سقما وسقما ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاتنا يبس
للتي جف لبنها وقرى يبسا وهو اما مخفف منه او وصف على فعل كصعب
او جمع يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة كقوله كان قتود رحلي حين
ضمت حوالب غرزا ومعا جياعا او لتعدده معنى فانه جعل لكل سبط منهم
طريقا لا تخاف دركا حال من المامور اى امنا من ان يدرككم العدو او صفة
ثانية والعائد محذوف وقرا حمزة لا تخف على انه جواب الامر ولا تخشى
استيناف اى وانت لا تخشى او عطف عليه والالف فيه للاطلاق كقوله وتظنون
بالله الظنونا او حال بالواو والمعنى ولا تخشى الغرق فاتبعهم فرعون بجنوده وذلك
ان موسى خرج بهم اول الليل فاخبر فرعون بذلك فقص اثرهم فالمعنى فاتبعهم فرعون
نفسه ومعه جنوده فحذف المفعول الثاني وقيل فاتبعهم بمعنى فاتبعهم ويؤيده
القراءة به والباء للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى فاتبعهم جنوده وذادهم خلفهم
فغشيهم من اليم ما غشيهم الضمير لجنوده او له ولهم وفيه مبالغة ووجازة اى
غشيهم ما سمعت قصته ولا يعرف كنهه الا الله وقرى فغشاهم ما غشاهم اى غطاهم
ما غطاهم والفاعل هو الله تعالى او ما غشاهم او فرعون لانه الذي ورطهم للهلاك
واضل فرعون قومه وما هدى اى اضلهم في الدين وما هداهم وهو تهكم به في
قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد او اضلهم في البحر وما نجى يا بني اسرائيل خطاب
لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك فرعون على اضمار قلنا او للذين منهم في عهد النبي
بما فعل باباءهم قد انجيناكم من عدوكم فرعون وقومه وواعدناكم جانب الطور
الايمن لمناجاة موسى وانزال التورية عليه وانما عدى المواعدة اليهم وهي لموسى
او له وللسبعين المختارين للملاقاة ونزلنا عليكم المن والسلوى يعني في التيه
كلوا من طيبات ما رزقناكم لذائذه او حلالاته وقرا حمزة والكسائي انجيتكم واو
وواعدتكم ما رزقتكم على التاء وقرى ووعدتكم ووعدناكم والايمن بالجر على الجوار
مثل جحر ضب خرب ولا تطغوا فيه فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدي لما حد
الله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق فيحل عليكم غضبي فيلزمكم عذابي ويجب
لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى فقد تردى
وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرا الكسائي يحل ويحلل بالضم من حل يحل اذا نزل
واني لغفار لمن تاب عن الشرك وامن بما يجب الايمان به وعمل صالحا ثم اهتدى
ثم استقام على الهدى المذكور وما اعجلك عن قومك يا موسى سؤال عن سبب العجلة

يتضمن انكارها من حيث انها نقيصة في نفسها انضم اليها اغفال القوم وابهام
التعظيم عليهم فلذلك اجاب موسى عن الامرين وقدم جواب الانكار لانه اهم
قال هم اولاء على اثري ما تقدمتهم الا بخطى يسيرة لا يعتد بها عادة وليس بيني
وبينهم الا مسافة قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم بعضا وعجلت اليك رب
لترضى فان المسارعة الى امتثال امرك والوفاء بعهدك توجب مرضاتك
قال فانا قد فتنا قومك من بعدك ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك
من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف وما نجا من عبادة
العجل منهم الا اثنا عشر الفا واضلهم السامري باتخاذ العجل والدعاء الى عبادته
وقرئ واضلهم اي اشدهم ضلالة لانه كان ضالا مضلا وان صح انهم اقاموا على
الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها باياما اربعين وقالوا قد اكملنا
العدة ثم كان امر العجل فان هذا الخطاب كان له عند مقدمه اذ ليس في الاية
ما يدل عليه كان ذلك اخبارا من الله تعالى له عن المترقب بلفظ الواقع على عادته
فان اصل وقوع الشيء ان يكون في علمه ومقتضى مشيئته والسامري منسوب الى
قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل
باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا فرجع موسى الى قومه بعدما استوفى
الاربعين واخذ التورية غضبان عليهم اسفا حزينا بما فعلوا قال يا قوم الم
يعدكم ربكم وعدا حسنا بان يعطيكم التورية فيها هدى ونور افطال عليكم العهد
اي الزمان يعني زمان مفارقته لهم ام اردتم ان يحل عليكم يجب عليكم غضب
من ربكم بعبادة ما هو مثل في الغباوة فاخلفتم موعدي وعدكم اياي بالثبات
على الايمان بالله والقيام على ما امرتكم به وقيل هو من اخلفت وعده اذا وجدت
الخلف فيه اي فوجدتم الخلف في وعدي لكم بالعود بعد الاربعين وهو
لا يناسب الترتيب على الترديد ولا على الشق الذي يليه ولا جوابهم له قالوا ما
اخلفنا موعدك بملكنا بان ملكنا امرنا اذ لو خلينا وامرنا ولم يسول لنا
السامري لما اخلفناه وقرا نافع وعاصم بملكنا بالفتح وحمزة والكسائي
بالضم وثلثتها لغات في الاصل في مصدر ملكت الشيء ولكنا حملنا اوزارا من
زينة القوم احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر
باسم العرس وقيل استعاروا للعيد كان لهم ثم لم يردوا عند الخروج مخافة ان يعلموا به
وقيل هي ما القاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوه ولعلهم سموها اوزارا لانها
اثام فان الغنائم لم تكن تحل بعد او لانهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن ان
ياخذ مال الحربي فقذفناها في النار فكذلك القى السامري اي ما كان معه منها
روي انهم لما حسبوا ان العدة قد كملت قال لهم السامري انما اخلف موسى ميعادكم

ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم فالرأي ان نحفر حفيرة ونسجر
فيها نارا ونقذف كل ما معنا فيها ففعلوا وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي
وابو بكر وروح حملنا بالفتح والتخفيف فاخرج لهم عجلا جسدا من تلك الحلي
المذابة له خوار صوت العجل فقالوا يعني السامري ومن افتتن به اول ما راه
هذا الهكم واله موسى فنسي اي فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطور او فنسي
السامري اي ترك ما عليه من اظهار الايمان افلا يرون افلا يعلمون الا يرجع اليهم
قولا انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف
لان ان الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولا يقدر
على انفاعهم واضرارهم ولقد قال لهم هرون من قبل من قبل رجوع موسى او قول
السامري كانه اول ما وقع عليه بصره حين طلع من الحفرة توهم ذلك وبادر تحذيرهم
يا قوم انما فتنتم به بالعجل وان ربكم الرحمن لا غير فاتبعوني واطيعوا امري في
الثبات على الدين قالوا لن نبرح عليه على العجل وعبادته عاكفين مقيمين حتى
يرجع الينا موسى وهذا الجواب يؤيد الوجه الاول قال يا هرون اي قال له
موسى لما رجع ما منعك اذ رايتهم ضلوا بعبادة العجل الا تتبعن ان تتبعني في
الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به او ان تلحق بي ولا مزيدة كما في قوله
تعالى ما منعك ان لا تسجد افعصيت امري بالصلابة في الدين والمحاماة عليه
قال يا ابن ام خص الام استعطافا وترقيقا وقيل لانه كان اخاه من الام والجمهور على
انهما كانا من اب وام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اي بشعر راسي قبض عليهما يجره اليه
من شدة غيظه وفرط غضبه لله وكان عليه السلام حديدا خشنا متصلبا في كل شيء
فلم يتمالك حين راهم يعبدون العجل اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل
لو قاتلت او فارقت بعضهم ببعض ولم ترقب قولي حين قلت اخلفني في قومي
واصلح فان الاصلاح كان في حفظ الدهماء والمداراة بهم الى ان ترجع اليهم فتدارك
الامر برايك قال فما خطبك يا سامري اي ثم اقبل عليه وقال له منكرا ما خطبك
اي ما طلبك له وما الذي حملك عليه وهو مصدر خطب الشيء اذا طلبه قال بصرت
بما لم يبصروا به وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب اي علمت ما لم تعلموه
وفطنت لما لم تفطنوا له وهو ان الرسول الذي جاءك روحاني محض لا يمس اثره
شيئا الا احياه او رايت ما لم تروه وهو ان جبرائيل جاءك على فرس الحيوة
قيل انما عرفه لان امه القته حين ولدته خوفا من فرعون وكان جبرائيل يغذوه
حتى استقل فقبضت قبضة من اثر الرسول من تربة موطئه والقبضة
المرة من القبض واطلق على المقبوض كضرب الامير وقرئ بالصاد والاول للاخذ
بجميع الكف والثاني للاخذ باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم والرسول

جبرائيل ولعله لم يسمه لانه لم يعرف انه جبرئيل او اراد ان ينبه على الوقت وهو حين
ارسل اليه ليذهب به الى الطور فنبذتها في الحلي المذاب او في جوف العجل حتى حيي
وكذلك سولت لي نفسي زينته وحسنته الي قال فاذهب فان لك في الحيوة
عقوبة على ما فعلت ان تقول لا مساس خوفا من ان يمسك احد فتأخذك
الحمى ومن مسك فتحامى الناس ويتحاموك وتكون طريدا وحيدا كالوحشي النافر و
قرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة وان لك موعدا في الآخرة لن تخلفه لن يخلفك
الله ينجزه لك في الآخرة بعدما عاقبك في الدنيا وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر اللام
اي لن تخلف الواعد اياه وستأتيه لا محالة فحذف المفعول الاول لان المقصود
هو الموعد ويجوز ان يكون من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا وقرئ بالنون على
حكاية قول الله وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا ظللت على عبادته
مقيما فحذف اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء على نقل حركة اللام اليها لنحرقنه
اي بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه او بالمبرد على انه مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد
ويعضده قراءة لنحرقنه ثم لننسفنه لنذرينه رمادا او مبرودا وقرئ بضم
السين في اليم نسفا فلا يصادف منه شيء والمقصود من ذلك زيادة عقوبته
واظهار غباوة المفتتنين به لمن له ادنى نظر انما الهكم المستحق لعبادتكم الله الذي
لا اله الا هو اذ لا احد يماثله او يدانيه في كمال العلم والقدرة وسع كل شيء علما وسع
علمه كل ما يصح ان يعلم لا العجل الذي يصاغ ويحرق وان كان حيا في نفسه كان مثلا
في الغباوة وقرئ وسّع فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه وان انتصب
على التمييز في المشهورة لكنه فاعل في المعنى فلما عدي الفعل بالتضعيف الى المفعولين
فصار مفعولا كذلك مثل ذلك الاقتصاص يعني اقتصاص قصة موسى نقص
عليك من انباء ما قد سبق من اخبار الامور الماضية والامم الدارجة تبصرة
لك وزيادة في علمك وتكثيرا لمعجزاتك وتنبيها وتذكيرا وتبصيرا للمستبصرين
من امتك وقد آتيناك من لدنا ذكرا كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار
حقيقا بالتفكر والاعتبار والتنكير فيه للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين
الناس من اعرض عنه عن الذكر الذي هو القرآن الجامع لوجوه السعادة و
النجاة وقيل عن الله فانه يحمل يوم القيمة وزرا عقوبة ثقيلة فادحة على كفره
وذنوبه سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي
يفدح الحامل وينقض ظهره او اثما عظيما خالدين فيه في الوزر او في حمله والجمع
فيه والتوحيد في اعرض للحمل على المعنى واللفظ وساء لهم يوم القيمة حملا اي بئس
لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف اي ساء حملا وزرهم واللام
في لهم للبيان كما في هيت لك ولو جعلت ساء بمعنى احزن والضمير الذي فيه

فيه للوزر اشكل امر اللام ونصب حملا ولم يفد مزيد معنى يوم ينفخ في الصور وقرأ
ابو عمرو بالنون على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما له او للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة
على ان فيه ضمير الله او ضمير اسرافيل وان لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك وقرئ
في الصور وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك ونحشر المجرمين يومئذ وقرئ
ويحشر المجرمون زرقا زرق العيون وصفوا بذلك لان الزرقة اسوء الوان العيون
وابغضها الى العرب لان الروم كانوا اعدى اعدائهم وهم زرق ولذلك قالوا
في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين او عميا فان حدقة الاعمى
تزرق يتخافتون بينهم يخفضون اصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول
والخفت خفض الصوت واخفاؤه ان لبثتم الا عشرا اي في الدنيا يستقصرون
مدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة الآخرة او لتأسفهم عليها لما عاينوا
الشدائد وعلموا انهم استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار واتباع الشهوات
او في القبر لقوله ويوم تقوم الساعة الى آخر الآيات نحن اعلم بما يقولون وهو مدة
لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة اعدلهم رأيا او عملا ان لبثتم الا يوما استرجاح لقول
من يكون اشد تقالا منهم ويسألونك عن الجبال عن مآل امرها وقد سأل رجل
من ثقيف فقل ينسفها ربي نسفا يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها
فيذرها فيذر مقارها او الارض واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها كقوله
ما ترك على ظهرها من دابة قاعا خاليا صفصفا مستويا كان اجزاءها على صف
واحد لا ترى فيها عوجا ولا امتا اعوجاجا ولا نتوا ان تأملت فيها بالقياس
الهندسي وثلثتها احوال مترتبة فالاولان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار
المقياس ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو يخص المعاني والامت النتو اليسير وقيل
لا ترى استيناف مبين للحالين يومئذ اي يوم اذ نسفت على اضافة اليوم الى وقت
النسف ويجوز ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيمة يتبعون الداعي داعي الله الى المحشر
قيل هو اسرافيل يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل اوب
الى صوبه لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الاصوات للرحمن خضعت
لمهابته فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس
بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن الاستثناء
من الشفاعة اي الا شفاعة من اذن له او من اعم المفاعيل اي الا من اذن في ان يشفع له
فان الشفاعة تنفعه فمن على الاول مرفوع على البدلية وعلى الثاني منصوب على المفعولية
واذن يحتمل ان يكون من الاذن ومن الاذن ورضي له قولا اي ورضي لمكانه عند الله
قوله في الشفاعة او رضي لاجله قول الشافع في شأنه او قوله لاجله وفي شأنه يعلم ما بين
ايديهم ما تقدمهم من الاحوال وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه ولا يحيطون به علما

ولا يحيط علمهم بمعلوماته وقيل بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لم يعلموا
جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه وعنت الوجوه للحي القيوم ذلت وخضعت له
خضوع العناة وهم الاسارى في يد الملك القهار وظاهرها يقتضي العموم ويجوز ان يراد
بها وجوه المجرمين فيكون اللام بدل الاضافة ويؤيده وقد خاب من حمل ظلما وهو
يحتمل الحال والاستيناف لبيان ما لاجله ومن يعمل من الصالحات بعض الطاعات
وهو مؤمن اذ الايمان شرط في صحة الطاعات وقبول الخيرات فلا يخاف ظلما
منع ثواب مستحق بالوعد ولا هضما ولا كسرا منه بنقصان او جزاء ظلم وهضم
لانه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه وقرئ فلا يخف على النهي وكذلك عطف على كذلك
نقص اي مثل ذلك الانزال او مثل هذه الايات المتضمنة للوعيد انزلناه قرانا عربيا
كله على هذه الوتيرة وصرفنا فيه من الوعيد مكررين فيه ايات الوعيد لعلهم
يتقون المعاصي فيصير التقوى لهم ملكة او يحدث لهم ذكرا عظة واعتبارا حين يسمعونها
فيثبطهم عنها ولهذه النكتة اسند التقوى اليهم والاحداث الى القران فتعالى الله في ذاته
وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا يماثل ذاته ذاتهم الملك النافذ
امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده الحق في ملكوته يستحقه لذاته
او الثابت في ذاته وصفاته ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه نهي
عن الاستعجال في تلقي الوحي عن جبريل ومساوقته في القران حتى يتم وحيه بعد ذكر
الانزال على سبيل الاستطراد وقيل نهي عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان ياتي بيانه
وقل رب زدني علما اي سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فان ما اوحي اليك
تناله لا محالة ولقد عهدنا الى ادم ولقد امرناه يقال تقدم الملك اليه واوعز اليه
وعزم عليه وعهد اليه اذا امره واللام جواب قسم محذوف وانما عطف قصة ادم على
قوله وصرفنا للدلالة على ان اساس بني ادم على العصيان وعرقهم راسخ في النسيان
من قبل من قبل هذا الزمان فنسي العهد ولم يعن به حتى غفل عنه او ترك ما وصي
به من الاحتراز عن الشجرة ولم نجد له عزما تصميم رأي وثباتا على الامر اذ لو كان ذا عزيمة
وتصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره ولعل ذلك في بدء امره قبل
ان يجرب الامور ويذوق شريها واريها وعن النبي عليه السلام لو وزنت احلام بني
ادم بحلم ادم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب لانه
اخطأ ولم يتعمده ولم نجد ان كان من الوجود الذي بمعنى العلم فله عزما مفعولاه وان كان
من الوجود المناقض للعدم فله حال عزما او متعلق بنجد واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لادم مقدر باذكر اي اذكر حاله في ذلك الوقت ليتبين لك انه نسي ولم يكن من اولي
العزيمة والثبات فسجدوا الا ابليس قد سبق القول فيه ابى جملة مستانفة لبيان
ما منعه من السجود وهو الاستكبار وعلى هذا لا يقدر له مفعول مثل السجود المدلول عليه

عليه بقوله فسجدوا والان المعنى اظهر الاباء عن المطاوعة فقلنا يا ادم ان هذا
عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما فلا يكونن سببا لاخراجكما والمراد نهيهما
عن ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما من الجنة فتشقى افرده
باسناد الشقاء اليه بعد اشراكهما في الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها
من حيث انه قيم عليها ومحافظة على الفواصل او لان المراد بالشقاء التعب في
طلب المعاش وذلك وظيفة الرجال ويؤيده قوله ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى
وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فانه بيان وتذكير لما له في الجنة من اسباب الكفاية
واقطاب الكفاف التي هي الشبع والري والكسوة والكن مستغنيا عن اكتسابها
والسعي في تحصيل اعواض ما عسى ان ينقطع ويزول منها بذكر نقائضها ليطرق
سمعه باصناف الشقوة المحذر منها والعاطف وان ناب عن ان لكنه ناب من حيث انه
حرف عامل لا من حيث انه حرف تحقيق فلا يمتنع دخوله على ان امتناع دخول
ان عليه وقرأ نافع وابو بكر وانك لا تظمأ بكسر الهمزة والباقون بفتحها فوسوس اليه
الشيطان فانهى اليه وسوسته قال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد الشجرة التي
من اكل منها خلد ولم يمت اصلا فاضافها الى الخلد وهو الخلود لانه سببه بزعمه وملك
لا يبلى لا يزول ولا يضعف فاكلا منها فبدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما
من ورق الجنة اخذا يلزقان الورق على سواتهما للتستر وهو ورق التين
وعصى ادم ربه باكل الشجرة فغوى فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد
باكل الشجرة او عن المامور او عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوي من غوي
الفصيل اذا اتخم من اللبن وفي النعي عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم
للزلة وزجر بليغ لاولاده عنها ثم اجتباه ربه اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة
والتوفيق له من جبى الي كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها واصل
الكلمة الجمع فتاب عليه فقبل توبته لما تاب وهدى الى الثبات على التوبة والتشبث
باسباب العصمة قال اهبطا منها جميعا الخطاب لادم وحوا او له ولابليس ولما
كانا اصلي الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال بعضكم لبعض عدو لامر المعاش كما عليه
الناس من التجاذب والتحارب او لاختلال حال كل من النوعين بواسطة الاخر ويؤيد
الاول قوله فاما ياتينكم مني هدى كتاب ورسول فمن اتبع هداي فلا يضل
في الدنيا ولا يشقى في الاخرة ومن اعرض عن ذكري عن الهدى الذاكر لي والداعي
الى عبادتي فان له معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه
المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان مجامع همته ومطامح نظره يكون
الى اعراض الدنيا متهالكا على ازديادها خائفا على انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب
للاخرة مع انه تعالى قد يضيق بشؤم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال وضربت

عليهم الذلة والمسكنة ولو انهم اقاموا التورية والانجيل ولو ان اهل القرى امنوا الايات
وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر ونحشره وقرئ بسكون الهاء على لفظ
الوقف وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة لانه جواب الشرط يوم القيمة اعمى اعمى البصر
او القلب ويؤيده الاول قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا وقد امالهما حمزة
والكسائي لان الالف منقلبة من الياء وفرق ابو عمرو بان الاول راس الاية ومحل
الوقف فهو جدير بالتغيير قال كذلك اي مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال اتتك
اياتنا واضحة نيرة فنسيتها فعميت عنها وتركتها غير منظور اليها وكذلك ومثل تركك
اياها اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب وكذلك نجزي من اسرف بالانهماك في الشهوات
والاعراض عن الايات ولم يؤمن بايات ربه بل كذبها وخالفها ولعذاب الاخرة
وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار اي والنار بعد ذلك اشد وابقى من ضنك العيش
او منه ومن العمى ولعله اذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله او مما فعله من ترك
الايات والكفر بها افلم يهد لهم مسند الى الله او الرسول او ما دل عليه كم اهلكنا قبلهم
من القرون اي اهلاكنا اياهم او الجملة بمضمونها والفعل على الاولين معلق يجري مجرى
اعلم ويدل عليه القراءة بالنون يمشون في مساكنهم ويشاهدون اثار هلاكهم ان في
ذلك لايات لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن التغافل والتعامي ولولا كلمة
سبقت من ربك وهي العدة بتاخير عذاب هذه الامة الى الاخرة لكان لزاما
لكان مثل ما نزل بعاد وثمود لازما لهؤلاء الكفرة وهو مصدر وصف به او اسم آلة
سمي به اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم واجل مسمى عطف على كلمة اي لولا العدة
بتاخير واجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم وهو يوم القيمة لكان العذاب لزاما والفصل
للدلالة على استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ويجوز عطفه على المستكن في كان
اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك
وصل وانت حامد لربك على هدايته وتوفيقه او نزهه عن الشرك وسائر ما يضيفون
اليه من النقائص حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بانه المولى للنعم كلها قبل طلوع الشمس
يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لانهما في اخر النهار او العصر وحده ومن
اناء الليل ومن ساعاته جمع اني بالكسر والقصر او اناء بالفتح والمد فسبح يعني المغرب
والعشاء وانما قدم الزمان فيه لاختصاصه بمزيد الفضل فان القلب فيه اجمع والنفس
اميل الى الاستراحة وكانت العبادة فيه احمز ولذلك قال الله تعالى ان ناشئة
الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا واطراف النهار تكرير لصلوتي الصبح والمغرب
ارادة الاختصاص ومجيئه بلفظ الجمع لامن الالباس كقوله ظهراهما مثل ظهور
الترسين او امر بصلوة الظهر فانه نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف
الاخير وجمعه باعتبار النصفين او لان النهار جنس او بالتطوع في اجزاء النهار

النهار لعلك ترضى متعلق بسبح اي سبح في هذه الاوقات طمعا ان تنال عند الله
ما به ترضى نفسك وقرأ الكسائي وابو بكر بالبناء للمفعول اي يرضيك ربك
ولا تمدن عينيك اي نظر عينيك الى ما متعنا به استحسانا له وتمنيا ان يكون
لك مثله ازواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز ان يكون حالا من الضمير والمفعول منهم اي
الى الذي متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم زهرة الحيوة الدنيا منصوب
بمحذوف دل عليه متعنا او به على تضمينه معنى اعطينا او بالبدل من محل به او من ازواجا
بتقدير مضاف ودونه او بالذم وهي الزينة والبهجة وقرأ يعقوب بالفتح وهي
لغة كالجهرة في الجهر او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهروا الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم
بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد لنفتنهم فيه لنبلوهم ونختبرهم فيه او لنعذبهم
في الاخرة بسببه ورزق ربك وما ادخر لك في الاخرة او ما رزقك من الهدى
والنبوة خير مما منحهم في الدنيا وابقى فانه لا ينقطع وأمر اهلك بالصلوة امر له بان
يامر اهل بيته او التابعين له من امته بالصلوة بعد ما امره بها ليتعاونوا على الاستعانة
بها على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا الى ارباب الثروة واصطبر عليها
وداوم عليها لا نسألك رزقا ان ترزق نفسك ولا اهلك نحن نرزقك واياهم
ففرغ بالك لامر الاخرة والعاقبة المحمودة للتقوى لذوي التقوى روي انه عليه السلام
اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلوة وتلا هذه الاية وقالوا لولا ياتينا باية من ربه
باية تدل على صدقه في ادعاء النبوة او باية مقترحة انكارا لما جاء به من الايات او للاعتداد
به تعنتا وعنادا فالزمهم باتيانه بالقران الذي هو ام المعجزات واعظمها وابقيها لان
حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من العلم او العمل على وجه خارق للعادة ولا شك
ان العلم اصل العمل واعلى منه قدرا وابقى اثرا فكذا ما كان من هذا القبيل ونبههم ايضا على
وجه ابين من وجوه اعجازه المختصة بهذا الباب فقال اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى
من التورية والانجيل وسائر الكتب السماوية فان اشتمالها على زبدة ما فيها من العقائد
والاحكام الكلية مع ان الاتي بها امي لم يرها ولم يتعلم ممن علمها اعجاز بين وفيه اشعار بانه
كما يدل على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب من حيث انه معجز وتلك ليست كذلك بل هي
مفتقرة الى ما يشهد على صحتها وقرأ نافع وابو عمرو وحفص اولم تاتهم بالتاء والباقون بالياء
وقرئ الصحف بالتخفيف ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله من قبل محمد او البينة والتذكير
لانها في معنى البرهان او المراد بها القران لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع
اياتك من قبل ان نذل بالقتل والسبي في الدنيا ونخزى بدخول النار يوم القيمة وقد
قرئ بالبناء للمفعول قل كل اي كل واحد منا ومنكم متربص منتظر لما يؤول اليه امرنا
وامركم فتربصوا وقرئ فتمتعوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي المستقيم
وقرئ السواء اي الوسط الجيد والسوءى والسوء اي الشر والسوي وهو تصغيره ومن اهتدى

من الضلالة ومن في الموضعين للاستفهام ومحلهما الرفع بالابتداء ويجوز ان يكون
الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العايد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية
المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط على ان المراد به
النبي عليه السلام وعنه عم من قرا طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم بالاضافة الى ما مضى او عند الله لقوله انهم يرونه بعيداً
ونراه قريبا وقوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك
كالف سنة مما تعدون او لان كل ما هو آت قريب وانما البعيد ما انقرض ومضى
واللام صلة لاقترب او تاكيد الاضافة واصله اقترب حساب الناس ثم اقترب
للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم وخص الناس بالكفار لتقييدهم بقوله
وهم في غفلة معرضون اي في غفلة من الحساب معرضون عن التفكر فيه وهما خبران
للضمير ويجوز ان يكون الظرف حالا من المستكن في معرضون ما ياتيهم من ذكر ينبههم عن سنة
الغفلة والجهالة من ربهم صفة لذكر او صلة لياتيهم محدث تنزيله ليكرر على اسماعهم
التنبيه كي يتعظوا وقرئ بالرفع حملا على المحل الا استمعوه وهم يلعبون يستهزؤن به
ويستسخرون منه لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب
وهم يلعبون حال من الواو وكذلك لاهية قلوبهم اي استمعوه جامعين بين الاستهزاء
والتلهي والذهول عن التفكر فيه ويجوز ان يكون من واو يلعبون وقرئت بالرفع
على انه خبر آخر للضمير واسروا النجوى بالغوا في اخفائها او جعلوها بحيث خفي تناجيهم
بها الذين ظلموا بدل من واو واسروا للايماء بانهم ظالمون فيما اسروا به او فاعل له
والواو لعلامة الجمع او مبتدا والجملة المتقدمة خبره وصله وهؤلاء اسروا النجوى
فوضع الموصول موضعه تسجيلا على فعلهم بانه ظلم او منصوب على الذم هل هذا الا بشر مثلكم
افتاتون السحر وانتم تبصرون باسره في موضع النصب بدلا من النجوى او مفعولا لقول
مقدر كانهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه في ادعاء الرسالة لاعتقادهم ان الرسول
لا يكون الا ملكا واستلزموا منه ان ما جاء به من الخوارق كالقران سحر فانكروا حضوره
وانما اسروا به تشاورا في استنباط ما يهدم امره ويظهر فساده للناس عامة قل
ربي يعلم القول في السماء والارض جهرا كان او سرا فضلا عما اسروا به فهو آكد من قوله
قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض ولذلك اختير هنا وليطابق قوله
واسروا النجوى وقرا حمزة والكسائي وحفص قال بالاخبار عن الرسول وهو السميع
العليم فلا يخفى عليه ما يسرون ولا ما يضمرون بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه
بل هو شاعر اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط الاحلام ثم الى انه كلام
افتراه ثم الى انه قول شاعر والظاهر ان بل الاولى لتمام حكايته والابتداء باخرى

باخرى او للاضراب عن تحاورهم في شان الرسول وما ظهر عليه من الايات الى تقاولهم
في امر القران والثانية والثالثة لاضرابهم عن كونه اباطيل خيلت اليه وخلطت
عليه الى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه ثم الى انه كلام شعري يخيل الى السامع
معاني لا حقيقة لها ويرغبه فيها ويجوز ان يكون الكل من الله تنزيلا لاقوالهم في درج الفساد
لان كونه شعرا ابعد من كونه مفترى لانه مشحون بالحقايق والحكم وليس فيه
ما يناسب قول الشعراء وهو من كونه احلاما لانه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت
الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الاحلام ولانهم جربوا رسول الله نيفا
واربعين سنة وما سمعوا منه كذبا قط وهو من كونه سحرا لانه يجانسه من حيث انهما
من الخوارق فلياتنا باية كما ارسل الاولون اي كما ارسل به الاولون مثل اليد
البيضاء والعصا وابراء الاكمه واحياء الموتى وصحة التشبيه من حيث ان الارسال
يتضمن الاتيان بالاية ما آمنت قبلهم من قرية من اهل قرية اهلكناها باقتراح
الايات لما جاءتهم افهم يؤمنون لو جئتهم بها وهم اعتى منهم وفيه دليل على ان عدم
الاتيان بالمقترح للابقاء عليهم اذ لو اتى به لم يؤمنوا به واستوجبوا عذاب الاستيصال كمن
قبلهم وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم فامرهم ان يسئلوا اهل الكتاب عن حال الرسل
المتقدمة ليزول عنهم الشبهة والاحالة عليهم اما للالزام فان المشركين كانوا يشاورونهم
في امر النبي عم ويثقون بقولهم او لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم وان كانوا كفارا
وقرا حفص نوحي بالنون وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام وما كانوا خالدين
نفي لما اعتقدوه وانها من خواص الملك عن الرسل تحقيقا لانهم كانوا ابشارا مثلهم
وقيل جواب لقولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق وما كانوا
خالدين تاكيد وتقرير له فان التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدي الى الفناء
وتوحيد الجسد لارادة الجنس او لانه مصدر في الاصل او على حذف المضاف
او تاويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون ولذلك لا يطلق على الماء والهواء
ومنه الجسد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لان اصله لجمع الشيء واشتداده ثم
صدقناهم الوعد اي في الوعد فانجيناهم ومن نشاء يعني المؤمنين بهم ومن في
ابقائه حكمة كمن سيؤمن هو او احد من ذريته ولذلك حميت العرب عن عذاب
الاستيصال واهلكنا المسرفين في الكفر والمعاصي لقد انزلنا اليكم يا قريش كتابا
يعني القران فيه ذكركم صيتكم كقوله وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم
او ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق افلا تعقلون فتؤمنوا به وكم قصمنا
من قرية واردة عن غضب عظيم لان القصم كسر يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم
كانت ظالمة صفة لاهلها وصفت بها لما اقيمت مقامه وانشانا بعدها اهلاك

اهلها قوما آخرين مكانهم فلما احسوا بأسنا فلما ادركوا شدة عذابنا ادراك
المشاهد المحسوس والضمير للاهل المحذوف اذا هم منها يركضون يهربون مسرعين
راكضين دوابهم او مشبهين بهم من فرط اسراعهم لا تركضوا على ارادة القول
اي قيل لهم استهزاء لا تركضوا اما بلسان الحال والمقال والقائل ملك او من ثم
من المؤمنين وارجعوا الى ما اترفتم فيه من التلذذ والتنعم والاتراف ابطار
النعمة ومساكنكم التي كانت لكم لعلكم تسئلون غدا عن اعمالكم او تعذبون فان
السؤال من مقدمات العذاب او تقصدون للسؤال والتشاور في المهام والنوازل
قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين لما رأوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك
لم ينفعهم وقيل ان اهل حضور من قرى اليمن بعث اليهم نبي فقتلوه فسلط الله تعالى
بخت نصر فوضع السيف فيهم فنادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء فندموا
وقالوا ذلك فما زالت تلك دعواهم فما زالوا يرددون ذلك وانما سماهم
دعوى لان المولول كانه يدعو الويل فيقول يا ويل تعال فهذا اوانك وكل من
تلك ودعواهم يحتمل الاسمية والخبرية حتى جعلناهم حصيدا مثل الحصيد وهو
النبت المحصود ولذلك لم يجمع خامدين ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا
بمنزلة المفعول الثاني كقولك جعلته حلوا حامضا اذ المعنى وجعلناهم جامعين لمماثلة
الحصيد والخمود او صفة له او حال من ضميره وما خلقنا السماء والارض وما بينهما
لاعبين وانما خلقناها مشحونة بضروب البدايع تبصرة للنظار وتذكرة لذوي الاعتبار
وتسببا لما ينتظم به امور العباد في المعاش والمعاد فينبغي ان يتسلقوا بها الى
تحصيل الكمال ولا يغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال لو اردنا ان نتخذ لهوا ما يتلهى به
ويلعب لاتخذناه من لدنا من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لا
من الاجسام المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم في رفع السقوف وتزويقها وتسوية
الفرش وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى
ان كنا فاعلين ذلك ويدل على جوابه الجواب المتقدم وقيل ان نافية والجملة كالنتيجة
للشرطية بل نقذف بالحق على الباطل اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته من اللعب
اي بل من شأننا ان نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي من عداده اللهو
فيدمغه فيمحقه وانما استعار لذلك القذف وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة
الرمي والدمغ الذي هو كسر الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدي الى زهوق الروح
تصويرا لابطاله به ومبالغة فيه وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله • سأترك
منزلي لبني تميم والحق بالحجاز فاستريحا • ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف
على الحق فاذا هو زاهق هالك والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز ولكم
الويل مما تصفون مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وهو في موضع الحال وما مصدرية

وما مصدرية او موصولة او موصوفة وله من في السموات والارض خلقا وملكا
ومن عنده يعني الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك وهو
معطوف على من في السموات وافراده للتعظيم او لانه اعم منه وجها والمراد به نوع من الملائكة
متعال عن التبوء في السماء والارض او مبتدأ خبره لا يستكبرون عن عبادته
لا يتعظمون عنها ولا يستحسرون ولا يعيون منها وانما جيء بالاستحسار الذي هو ابلغ
من الحسور تنبيها على ان عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ولا يستحسرون
يسبحون الليل والنهار ينزهونه ويعظمونه دائما لا يفترون حال من الواو في يسبحون
او هو استئناف او حال من ضمير قبله ام اتخذوا آلهة بل اتخذوا والهمزة لانكار اتخاذهم
من الارض صفة لآلهة او متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون
التخصيص هم ينشرون الموتى وهم وان لم يصرحوا به لكن لزم من ادعائهم لها الالهية
فان من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد تجهيلهم به والتهكم بهم وللمبالغة
في ذلك الضمير الموهم لاختصاص الانشار بهم لو كان فيهما آلهة الا الله غير الله
وصف بالا لما تعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد
لكون الآلهة فيهما دونه والمراد ملازمته لكونها مطلقا او معه حملا لها على غير كما استثني
بغير حملا عليها ولا يجوز الرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون في
كلام غير موجب لفسدتا لبطلتا لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع فانها ان توافقت
في المراد تطاردت عليه القدر وان تخالفت فيه تعاوقت عنه فسبحان الله رب العرش
المحيط بجميع الاجسام الذي هو محل التدابير ومنشأ التقادير عما يصفون من اتخاذ
الشريك والصاحبة والولد لا يسئل عما يفعل لعظمته وقوة سلطانه وتفرده
بالالوهية والسلطنة الذاتية وهم يسئلون لانهم مملوكون مستعبدون والضمير
للآلهة او للعباد ام اتخذوا من دونه آلهة كرره استعظاما لكفرهم واستفظاعا
لامرهم وتبكيتا واظهارا لجهلهم او ضما لانكار ما يكون لهم سندا من النقل الى
انكار ما يكون لهم دليلا من العقل على معنى اوجدوا آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم
آلهة لما وجدوا فيهم من خواص الالوهية او وجدوا في الكتب الالهية الامر
باشراكهم فاتخذوهم متابعة للامر ويعضد ذلك انه رتب على الاول ما يدل
على فساده عقلا وعلى الثاني ما يدل على فساده نقلا قل هاتوا برهانكم على ذلك
اما من العقل او من النقل فانه لا يصح القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت
الحجج على بطلانه عقلا ونقلا هذا ذكر من معي وذكر من قبلي من الكتب السماوية
فانظروا هل تجدون فيها الا الامر بالتوحيد والنهي عن الاشراك والتوحيد
لما لم يتوقف على صحة بعثة الرسل وانزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل
ومن معي امته ومن قبلي الامم المتقدمة واضافة الذكر اليهم لانه عظتهم وقرئ

بالتنوين والاعمال وبه وبمن الجارة على ان مع اسم هو ظرف كقبل وبعد وبعدها
بل اكثرهم لا يعلمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل وقرئ الحق بالرفع على انه
خبر محذوف وسط للتاكيد بين السبب والمسبب فهم معرضون عن التوحيد واتباع
الرسل من اجل ذلك وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا
انا فاعبدون تعميم بعد تخصيص فان ذكر من قبلي من حيث انه خبر لاسم الاشارة مخصوص
بالموجودين بين اظهرهم وهو الكتب الثلثة وقرا حفص وحمزة والكسائي نوحي اليه
بالنون وكسر الحاء والباقون بالياء وفتح الحاء وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت
في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك بل عباد
بل هم عباد من حيث انهم مخلوقون وليسوا باولاد مكرمون مقربون وفيه تنبيه
على مدحض القوم وقرئ بالتشديد لا يسبقونه بالقول لا يقولون شيئا حتى
يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين واصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق اليه
واليهم وجعل القول محله واداته تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على
الله ما لم يقله وانيب اللام عن الاضافة اختصارا وتجافيا عن تكرار الضمير وقرئ
لا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته اسبقه وهم بامره يعملون لا يعملون
قط ما لم يامرهم به يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم لا يخفى عليه خافية مما قدموا واخروا
وهو كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده فانهم لاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم
ويراقبون احوالهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى ان يشفع له مهابة منه وهم من خشيته
عظمته ومهابته مشفقون مرتعدون واصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك
خص بها العلماء والاشفاق خوف مع اعتناء فان عدي بمن فمعنى الخوف فيه اظهر
وان عدي بعلى فبالعكس ومن يقل منهم من الملائكة او من الخلائق اني اله من
دونه فذلك نجزيه جهنم يريد به نفي النبوة ولو ادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد
المشركين بتهديد مدعي الربوبية كذلك نجزي الظالمين من ظلم بالاشراك
وادعاء الربوبية اولم ير الذين كفروا اولم يعلموا وقرا ابن كثير بغير واو
ان السموات والارض كانتا رتقا ذات رتق او مرتوقتين وهو الضم
والالتحام اي كانتا شيئا واحدا وحقيقة متحدة ففتقناهما بالتنويع والتمييز
او كانت السموات واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت
افلاكا وكانت الارضون واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها واحوالها
طبقات واقاليم وقيل كانتا بحيث لا فرجة بينهما ففرج وقيل كانتا رتقا
لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا
وجمعها باعتبار الافاق والسموات باسرها على ان لها مدخلا ما في الامطار
والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به نظرا فان الفتق عارض

عارض مفتقر الى مؤثر واجب ابتداء او بوسط او استفسارا من العلماء او مطالعة
للكتب وانما قال كانتا ولم يقل كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض وقرئ
رتقا بالفتح على تقدير شيئا رتقا اي مرتوقا كالرفض بمعنى المرفوض وجعلنا من الماء
كل شيء حي وخلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء وذلك
لانه من اعظم مواده او لفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه او صيرنا كل شيء
حي بسبب من الماء لا يحيى دونه وقرئ حيا على انه صفة كل او مفعول ثان والظرف
لغو والشيء مخصوص بالحيوان افلا يؤمنون مع ظهور الايات وجعلنا في الارض
رواسي ثابتات من رسى اذا ثبت ان تميد بهم كراهة ان تميد بهم وتضطرب
وقيل لان لا تميد فحذف لا لامن الالباس وجعلنا فيها في الارض او الرواسي
فجاجا سبلا مسالك واسعة وانما قدم فجاجا وهو وصف له ليصير حالا فيدل
على انه حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه خلقها
ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد لعلهم يهتدون الى مصالحهم وجعلنا
السماء سقفا محفوظا عن الوقوع بقدرته او الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم
بمشيته او استراق السمع بالشهب وهم عن اياتها احوالها الدالة على وجود الصانع
ووحدته وكمال قدرته وتناهي حكمته التي يحس ببعضها ويبحث عن بعضها في علمي
الطبيعة والهيئة معرضون غير متفكرين وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس
والقمر بيان لبعض تلك الايات كل في فلك اي كل واحد منهما فالتنوين بدل المضاف
اليه والمراد بالفلك الجنس كقولك كساهم الامير حلة يسبحون يسرعون على
سطح الفلك اسراع السابح على سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر
وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما وانما جمع باعتبار المطالع وجعل
واو العقلاء لان السباحة فعلهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت
فهم الخالدون نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون وفي معناه قوله
فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا والفاء لتعلق
الشرط بما قبله والهمزة لانكاره بعدما تقرر ذلك كل نفس ذائقة الموت ذائقة
مرارة مفارقتها جسدها وهو برهان على ما انكروه ونبلوكم ونعاملكم معاملة المختبر بالشر
والخير بالبلايا والنعم فتنة ابتلاء مصدر من غير لفظه والينا ترجعون فنجازيكم
حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وفيه ايماء بان المقصود من هذه الحيوة الابتلاء والتعريض
للثواب والعقاب تقريرا لما سبق واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك
ما يتخذونك الا هزوا الا مهزوا به ويقولون اهذا الذي يذكر الهتكم اي بسوء
وانما اطلقه لدلالة الحال فان ذكر العدو لا يكون الا بسوء وهم بذكر الرحمن بالتوحيد
او بارشاد الخلق ببعث الرسول وانزال الكتب رحمة عليهم او بالقران هم كافرون

منكرون فهم احق ان يهزا بهم وتكرير الضمير للتاكيد والتخصيص وحيلولة الصلة بينه
وبين الخبر خلق الانسان من عجل كانه خلق منه لفرط استعجاله وقلة ثباته كقولك
خلق زيد من الكرم جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه مبالغة في لزومه ولذلك
قيل انه على القلب ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجال الوعيد روي انها نزلت
في النضر بن الحارث حين استعجل ساريكم اياتي نقماتي في الدنيا كوقعة بدر و
في الاخرة عذاب النار فلا تستعجلون بالاتيان بها والنهي عما جبلت عليه
نفوسهم ليقعدوها عن مرادها ويقولون متى هذا الوعد وقت وعد العذاب
او القيمة ان كنتم صادقين يعنون النبي واصحابه لو يعلم الذين كفروا حين لا
يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون محذوف الجواب
وحين مفعول يعلم اي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون منه بقولهم متى هذا
الوعد وهو حين تحيط بهم النار من كل جانب بحيث لا يقدرون على دفعها ولا يجدون
ناصرا يمنعها لما استعجلوا ويجوز ان يترك مفعول يعلم ويضمر لحين فعل بمعنى
لو كان لهم علم لما استعجلوا يعلمون بطلان ما هم عليه حين لا يكفون وانما وضع
الظاهر فيه موضع المضمر للدلالة على ما اوجب لهم ذلك بل تاتيهم العدة او النار
او الساعة بغتة فجاة مصدر او حال وقرئ بفتح الغين فتبهتهم فتغلبهم او
تحيرهم وقرئ الفعلان بالياء والضمير للوعد او الحين وكذا في قوله فلا يستطيعون
ردها لان الوعد بمعنى النار او العدة والحين بمعنى الساعة ويجوز ان يكون للنار او
للبغتة ولا هم ينظرون يمهلون وفيه تذكير بامهالهم في الدنيا ولقد استهزئ
برسل من قبلك تسلية لرسول الله فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن
وعد له بان ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا يعني
جزاؤه قل يا محمد للمستهزئين من يكلؤكم يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن
من باسه ان اراد بكم وفي لفظ الرحمن تنبيه على ان لا كالئ غير رحمته العامة
وان اندفاعه بمهلته بل هم عن ذكر ربهم معرضون لا يخطرونه ببالهم فضلا
ان يخافوا باسه حتى اذا كلئوا منه عرفوا الكالئ وصلحوا للسؤال عنه ام لهم الهة
تمنعهم من دوننا بل الهم الهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا او من عذاب
يكون من عندنا والاضرابان عن الامر بالسؤال على الترتيب فانه عن المعرض الغافل
عن الشيء بعيد وعن المعتقد لنقيضه ابعد لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا
يصحبون استيناف بابطال ما اعتقدوه فان ما لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه
نصر من الله كيف ينصر غيره بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر اضراب
عما توهموا ببيان ما هو الداعي الى حفظهم وهو الاستدراج والتمتيع بما قدر لهم
من الاعمار او عن الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم

متعهم بالحيوة الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا كذلك
وانه بسبب ما هم عليه ولذلك عقبه بما يدل على انه امل كاذب افلا يرون انا
ناتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بتسليط المسلمين عليها وهو
تصوير لما يجريه الله تعالى على ايدي المسلمين افهم الغالبون رسول الله والمؤمنين
قل انما انذركم بالوحي بما اوحي الي ولا يسمع الصم الدعاء وقرا ابن عامر ولا تسمع
الصم على خطاب النبي وقرئ بالياء على ان فيه ضميره وانما سماهم الصم
ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون اذا
ما ينذرون منصوب بيسمع او بالدعاء والتقييد به لان الكلام في الانذار
او للمبالغة في تصامهم وتجاسرهم ولئن مستهم نفحة ادنى شيء وفيه مبالغات
ذكر المس وما في النفحة من معنى القلة فان اصل النفح هبوب رائحة الشيء والبناء
الدال على المرة من عذاب ربك من الذي ينذرون به ليقولن يا ويلنا
انا كنا ظالمين لدعوا على انفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم ونضع
الموازين القسط العدل توزن بها صحايف الاعمال وقيل وضع الموازين
تمثيل لارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال بالعدل وافراد
القسط لانه مصدر وصف به للمبالغة ليوم القيمة لجزاء يوم القيمة او لاهله
او فيه كقولك جئت لخمس خلون من الشهر فلا تظلم نفس شيئا من حقها او من
الظلم وان كان مثقال حبة من خردل اي وان كان العمل او الظلم مقدار حبة
ورفع نافع مثقال على كان التامة اتينا بها احضرناها وقرئ آتينا بمعنى
جازينا بها من الايتاء فانه قريب من اعطينا او من المواتاة فانهم اتوه بالاعمال
واتاهم بالجزاء واثبنا من الثواب وجئنا والضمير للمثقال وتانيثه لاضافته الى
الحبة وكفى بنا حاسبين اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ولقد اتينا موسى
وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين اي الكتاب الجامع لكونه فارقا
بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات الحيرة والجهالة و
ذكرا يتعظ به المتقون او ذكر ما يحتاجون اليه من الشرائع وقيل الفرقان
النصر وقيل فلق البحر وقرئ ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان
الذين يخشون ربهم صفة للمتقين او مدح لهم منصوب او مرفوع بالغيب
حال من الفاعل او المفعول وهم من الساعة مشفقون خائفون وفي
تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض وهذا ذكر يعني القرآن
مبارك كثير خيره انزلناه على محمد افانتم له منكرون استفهام توبيخ
ولقد اتينا ابراهيم رشده الاهتداء لوجوه الصلاح واضافته اليه ليدل
على انه رشد مثله وان له شانا وقرئ رشده وهو لغة من قبل

موسى وهرون او محمد وقيل من قبل استنبائه او بلوغه حيث قال اني
وجهت وكنا به عالمين علمنا انه اهل لما اتيناه او جامع لمحاسن الاوصاف
ومكارم الخصال وفيه اشارة الى ان فعله تعالى باختيار وحكمة وانه عالم
بالجزئيات اذ قال لابيه وقومه متعلق باتينا او برشده او بمحذوف اي
اذكر من اوقات رشده وقت قوله ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون
تحقير لها وتوبيخ على اجلالها فان التمثال صورة لا روح فيها لا يضر
ولا ينفع واللام للاختصاص لا للتعدية فان تعدية العكوف بعلى والمعنى انتم
فاعلون العكوف لها ويجوز ان يأول بعلى او يضمن العكوف معنى العبادة
قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين فقلدناهم وهو جواب عما لزم الاستفهام
من السؤال عما اقتضى عبادتها وحملهم عليها قال لقد كنتم انتم واباؤكم في
ضلال مبين منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على عاقل لعدم استناد
الفريقين الى دليل والتقليد ان جاز فانما يجوز لمن علم في الجملة انه على حق
قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين كانهم لاستبعادهم تضليل
اباءهم ظنوا ان ما قاله انما قاله على وجه الملاعبة فقالوا اجد تقوله ام
تلعب به قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن اضراب عن كونه
لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وهن للسموات والارض او للتماثيل وهو
ادخل في تضليلهم والزام الحجة عليهم وانا على ذلكم المذكور من التوحيد من
الشاهدين من المتحققين له والمبرهنين عليه فان الشاهد من تحقق الشيء وحققه
وتالله وقرئ بالباء وهي الاصل والتاء بدل من الواو والمبدلة منها وفيها
تعجب لاكيدن اصنامكم لاجتهدن في كسرها ولفظ الكيد وما في التاء
من التعجب لصعوبة الامر وتوقفه على نوع من الحيل بعد ان تولوا عنها مدبرين
الى عيدكم ولعله قال ذلك سرا فجعلهم جذاذا قطاعا فعال بمعنى مفعول
كالحطام من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائي بالكسر وهو لغة او جمع جذيذ
كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة الا
كبيرا لهم للاصنام كسر غيره واستبقاه وجعل الفاس على عنقه لعلهم اليه
يرجعون لانه غلب على ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لتفرده واشتهاره بعداوة
الهتهم فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم او لانهم يرجعون الى الكبير فيسألونه
عن كاسرها اذ من شان المعبود ان يرجع اليه في حل العقد فيبكتهم بذلك
او الى الله اي يرجعون الى توحيده عند تحققهم عجز الهتهم قالوا حين رجعوا
من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين بجراءته على الالهة الحقيقة بالاعظام
او بافراطه في حطمها او بتوريط نفسه للهلاك قالوا سمعنا فتى يذكرهم يعيبهم

يعيبهم فلعله فعله ويذكر ثاني مفعولي سمع او صفة لفتى مصححة لان يتعلق
به السمع وهو ابلغ في نسبة الذكر اليه يقال له ابراهيم هو ابراهيم ويجوز رفعه
بالفعل لان المراد به الاسم قالوا فاتوا به على اعين الناس بمرأى منهم
بحيث تتمكن صورته في اعينهم تمكن الراكب على المركوب لعلهم يشهدون
بفعله او قوله او يحضرون عقوبتنا له قالوا ءانت فعلت هذا بالهتنا
يا ابراهيم حين احضروه قال بل فعله وقرئ فعله كبيرهم هذا فاسألوهم
ان كانوا ينطقون اسند الفعل اليه تجوزا لان غيظه لما رأى من زيادة
تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه او تقريرا لنفسه مع الاستهزاء والتبكيت
على اسلوب تعريضي كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق
اانت كتبت فقلت بل كتبته او حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه وقيل انه
في المعنى متعلق بقوله ان كانوا ينطقون وما بينهما اعتراض او الى ضمير فتى او
ابراهيم وقوله كبيرهم هذا مبتدأ وخبر ولذلك وقف على فعله وما روي
انه عليه السلام قال لابراهيم ثلث كذبات تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت
صورتها صورته فرجعوا الى انفسهم وراجعوا عقولهم فقالوا فقال بعضهم لبعض
انكم انتم الظالمون بهذا السؤال او بعبادة ما لا ينطق ولا يضر ولا ينفع لا من
ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين ثم نكسوا على رءوسهم انقلبوا الى المجادلة
بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشيء
مستعليا على اعلاه وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا اي نكسوا انفسهم
لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تامرنا بسؤالها وهو على ارادة القول
قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم انكار لعبادتهم
لها بعد اعترافهم بانها جمادات لا تنفع ولا تضر فانه ينافي الالوهية اف
لكم ولما تعبدون من دون الله تضجر منه على اصرارهم بالباطل البين واف
صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف له افلا تعقلون
قبح صنيعكم قالوا اخذوا في المضارة لما عجزوا عن المحاجة حرقوه فان النار
اهول ما يعاقب به وانصروا الهتكم بالانتقام لها ان كنتم فاعلين ان كنتم
ناصرين لها نصرا مؤزرا والقائل فيهم رجل من اكراد فارس اسمه هيون
خسف به الارض وقيل نمروذ قلنا يا نار كوني بردا وسلاما ذات برد
وسلام اي ابردي بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته
مامورة مطيعة واقامة كوني ذات برد مقام ابردي ثم حذف المضاف
واقام المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اي سلمنا سلاما
عليه روي انهم بنوا حظيرة بكوثى وجمعوا فيها نارا عظيمة ثم وضعوه في المنجنيق

مغلولا فرموا به فيها فقال له جبرائيل هل لك حاجة فقال اما اليك فلا قال
فسل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فجعل الله ببركة قوله الحظيرة
روضة ولم يحترق منه الا وثاقه فاطلع عليه نمرود من الصرح فقال اني مقرب
الى الهتك فذبح اربعة الاف بقرة وكف عن ابراهيم وكان اذ ذاك ابن
ست عشرة سنة وانقلاب النار هواء طيبا ليس ببدع غير انه هكذا على
خلاف المعتاد فهو اذن من معجزاته وقيل كانت النار بحالها لكنه تعالى
دفع عنه اذاها كما ترى في السمندر ويشعر به قوله على ابراهيم واراد وا به كيدا
مكرا في اضراره فجعلناهم الاخسرين اخسر من كل خاسر لما عاد سعيهم برهانا
قاطعا على انهم على الباطل وابراهيم على الحق وموجبا لمزيد درجته واستحقاقهم اشد العذاب
ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين اي من العراق الى الشام وبركاتها
العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادي
الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب وروي
انه نزل بفلسطين ولوط بالموتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له
اسحاق ويعقوب نافلة عطية فهي حال منهما او ولد ولد او زيادة على ما سأل
وهو اسحق فتختص بيعقوب ولا باس به للقرينة وكلا يعني الاربعة جعلنا
صالحين بان وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه فصاروا كاملين وجعلناهم
ائمة يقتدى بهم يهدون الناس الى الحق بامرنا لهم بذلك وارسالنا اياهم
حتى صاروا مكملين واوحينا اليهم فعل الخيرات ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام
العمل الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك قوله واقام الصلوة
وهو عطف الخاص على العام للتفضيل وحذف تاء الاقامة المعوضة من احدى
الالفين لقيام المضاف اليه مقامها وايتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين موحدين
مخلصين في العبادة ولذلك قدم الصلة ولوطا اتيناه حكما حكمة او نبوة او
فصلا بين الخصوم وعلما بما ينبغي علمه للانبياء ونجيناه من القرية قرية سدوم
التي كانت تعمل الخبائث يعني اللواطة وصفها بصفة اهلها واسندها اليها على
حذف المضاف واقامتها مقامه ويدل عليه انهم كانوا قوم سوء فاسقين
كالتعليل له وادخلناه في رحمتنا في اهل رحمتنا او في جنتنا انه من الصالحين
الذين سبقت لهم منا الحسنى ونوحا اذ نادى اذ دعا الله على قومه
بالهلاك من قبل من قبل المذكورين فاستجبنا له دعاءه فنجيناه واهله
من الكرب العظيم من الطوفان او اذى قومه والكرب الغم الشديد ونصرناه
مطاوع انتصر اي جعلناه منتصرا من القوم الذين كذبوا باياتنا انهم
كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين لاجتماع الامرين تكذيب الحق والا

والانهماك في الشر ولعلهما لم يجتمعا في قوم الا واهلكهم الله وداود وسليمان
اذ يحكمان في الحرث في الزرع وقيل في كرم تدلت عناقيده اذ نفشت فيه
غنم القوم رعته ليلا وكنا لحكمهم شاهدين لحكم الحاكمين والمتحاكمين عالمين
ففهمناها سليمان الضمير للحكومة او الفتوى وقرئ فافهمناها روي ان داود
حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا
ارفق بهما فامر بدفع الغنم الى اهل الحرث فينتفعون بالبانها واولادها واصوافها
والحرث الى ارباب الغنم يقومون عليه حتى يعود الى ما كان عليه ثم يترادان ولعلهما
قالا اجتهادا والاول نظير قول ابي حنيفة في العبد الجاني والثاني مثل قول الشافعي
بغرم الحيلولة للعبد المغصوب اذا ابق وحكمه في شرعنا عند الشافعي وجوب
ضمان المتلف بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا وكذلك قضى النبي عليه السلام
لما دخلت ناقة البراء حائطا وافسدته فقال على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى
اهل الماشية حفظها بالليل وعند ابي حنيفة لا ضمان الا ان يكون معها حافظ
لقوله عليه السلام جرح العجماء جبار وكلا اتينا حكما وعلما دليل على ان خطاء
المجتهد لا يقدح فيه وقيل على ان كل مجتهد مصيب وهو يخالف مفهوم قوله
ففهمناها ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله ففهمناها لاظهار ما تفضل
عليه في صغره وسخرنا مع داود الجبال يسبحن يقدسن الله معه اما بلسان الحال
او بصوت يتمثل له او بخلق الله فيها الكلام وقيل يسرن معه من السباحة وهو
حال او استيناف لبيان وجه التسخير ومع متعلقة بيسبحن او بسخرنا والطير
عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء او العطف على
الضمير على ضعف وكنا فاعلين لامثاله فليس ببدع منا وان كان عجيبا عندكم
وعلمناه صنعة لبوس لكم عمل الدرع وهو في الاصل اللباس قال البس لكل حالة
لبوسها قيل كانت صفائح فحلقها وسردها ولكم متعلق بعلم او صفة للبوس
لتحصنكم من باسكم بدل منه بدل الاشتمال باعادة الجار والضمير لداود او للبوس
وفي قراءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة او للبوس على تأويل الدرع وفي قراءة
ابي بكر ورويس بالنون لله تعالى فهل انتم شاكرون ذلك امر اخرجه في صورة
الاستفهام للمبالغة او التقريع ولسليمان الريح وسخرنا له ولعل اللام فيه
دون الاول لان الخارق فيه عائد الى سليمان نافع له وفي الاول امر يظهر في
الجبال والطير مع داود وبالاضافة اليه عاصفة شديدة الهبوب من حيث انها
تبعد بكرسيه في مدة يسيرة كما قال غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء في
نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته تجري
بامره بمشيئته حال ثانية او بدل من الاولى او حال من ضميرها الى الارض التي

بارکنا فیها الی الشام رواحا بعد ما سارت به منه بکرة وکنا بکل شیء عالمین
فنجری به علی ما یقتضیه الحکمة ومن الشیاطین من یغوصون له فی البحار ویخرجون
نفایسها ومن عطف علی الریح او مبتدا خبره ما قبله وهو نکرة موصوفة ویعملون
عملا دون ذلک ویتجاوزون الی اعمال اخر کبناء المدن والقصور واختراع
الصنایع الغریبة کقوله تعالی یعملون له ما یشاء من محاریب وتماثیل
وکنا لهم حافظین ان یزیغوا عن امره او یفسدوا علی ما هو مقتضی جبلتهم و
وایوب اذ نادی ربه انی مسنی الضر بانی مسنی الضر وقری بالکسر علی اضمار
القول او تضمین النداء معناه والضر بالفتح شایع فی کل ضرر وبالضم خاص بما
فی النفس کمرض وهزال وانت ارحم الراحمین وصف ربه بغایة الرحمة بعد
ما ذکر نفسه بما یوجبها واکتفی بذلک عن عرض المطلوب لطفا فی السوال وکان
رومیا من اولاد عیص بن اسحاق استنباه الله تعالی وکثر اهله وماله فابتلاه
الله بهلاک اولاده بهدم بیت علیهم وذهاب امواله والمرض فی بدنه ثمانی عشرة
سنة او ثلث عشرة او سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات روی ان امراته ماخیر
بنت میشا بن یوسف او رحمة بنت افرایم بن یوسف قالت له یوما لو دعوت
الله فقال کم کانت مدة الرخاء فقالت ثمانین سنة فقال استحیی من الله ان ادعوه
وما بلغت مدة بلائی مدة رخائی فاستجبنا له فکشفنا ما به من ضر بالشفاء
من مرضه واتیناه اهله ومثلهم معهم بان ولد له ضعف ما کان او احیی ولده
وولد له منهم نوافل رحمة من عندنا وذکری للعابدین رحمة علی ایوب
وتذکرة لغیره من العابدین لیصبروا کما صبر فیثابوا کما اثیب او لرحمتنا العابدین
فانا نذکرهم بالاحسان ولا ننساهم واسماعیل وادریس وذا الکفل یعنی
الیاس وقیل یوشع وقیل زکریا والکفل یجیء بمعنی النصیب والکفالة والضعف
کل ای کل هولاء من الصابرین علی مشاق التکالیف وشداید النوب وا
دخلناهم فی رحمتنا یعنی النبوة او نعمة الاخرة انهم من الصالحین الکاملین
فی الصلاح وهم الانبیاء فان صلاحهم معصوم عن کدر الفساد وذا النون وصاحب
الحوت یونس بن متی اذ ذهب مغاضبا لقومه لما برم لطول دعوتهم وشدة
شکیمتهم مهاجرا عنهم قبل ان یومر وقیل وعدهم بالعذاب فلم یاتهم لمیعادهم
بتوبتهم ولم یعرف الحال فظن انه کذبهم وغضب من ذلک وهو من ابنیة المغالبة
للمبالغة او لانه اغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقری مغضبا
فظن ان لن نقدر علیه لن نضیق علیه او لن نقضی علیه بالعقوبة من القدر
ویعضده انه قری مثقلا او لن نعمل فیه قدرتنا وقیل هو تمثیل لحاله بحال
من ظن ان لن نقدر علیه فی مراغمته قومه من غیر انتظار لامرنا او خطرة

او خطرة شیطانیة سبقت الی وهمه فسمی ظنا للمبالغة وقری بالیاء وقرا یعقوب
علی البناء للمفعول وقری به مثقلا فنادی فی الظلمات فی الظلمة الشدیدة المتکاثفة
او ظلمات بطن الحوت والبحر واللیل ان لا اله الا انت بانه لا اله الا انت
سبحانک انی کنت من الظالمین لنفسی بالمبادرة الی المهاجرة
وعن النبی علیه السلام ما من مکروب یدعو بهذا الدعاء الا استجیب له فاستجبنا له
ونجیناه من الغم بان قذفه الحوت الی الساحل بعد اربع ساعات کان فی بطنه
وقیل ثلثة ایام والغم غم الالتقام وقیل غم الخطیئة وکذلک ننجی المومنین من
غموم دعوا الله فیها بالاخلاص وفی الامام نجی فلذلک اخفی الجماعة النون الثانیة
فانها تخفی مع حروف الفم وقرا ابن عامر وابو بکر بتشدید الجیم علی ان اصله
ننجی فحذفت النون الثانیة کما حذفت التاء فی تظاهرون وهی وان کانت
فاء فحذفها اوقع من حروف المضارعة التی لمعنی ولا یقدح فیه اختلاف حرکتی
النونین فان الداعی الی الحذف اجتماع المثلین مع تعذر الادغام وامتناع
الحذف فی تتجافی لخوف اللبس وقیل هو ماض مجهول اسند الی ضمیر المصدر
وسکن اخره تخفیفا ورد بانه لا یسند الی المصدر والمفعول مذکور والماضی
لا یسکن اخره وزکریا اذ نادی ربه رب لا تذرنی فردا وحیدا بلا ولد
یرثنی وانت خیر الوارثین فان لم ترزقنی من یرثنی فلا ابالی به فاستجبنا له
ووهبنا له یحیی واصلحنا له زوجه ای اصلحناها للولادة بعد عقرها او
لزکریا بتحسین خلقها وکانت حردة انهم یعنی المتوالدین او المذکورین
من الانبیاء کانوا یسارعون فی الخیرات یبادرون الی ابواب الخیرات
ویدعوننا رغبا ورهبا ذوی رغب او راغبین فی الثواب راجین للاجابة
او فی الطاعة خایفین العقاب او المعصیة وکانوا لنا خاشعین مخبتین
او دایمی الوجل والمعنی انهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال والتی احصنت
فرجها من الحلال والحرام یعنی مریم فنفخنا فیها ای فی عیسی فیها ای احییناه
فی جوفها وقیل فعلنا النفخ فیها من روحنا من الروح الذی هو بامرنا وحده
او من جهة روحنا جبریل وجعلناها وابنها ای قصتهما او حالهما ولذلک
وحد قوله آیة للعالمین فان من تامل حالهما تحقق کمال قدرة الصانع ان هذه
امتکم ان ملة التوحید او الاسلام ملتکم التی یجب علیکم ان تکونوا علیها فکونوا علیها
امة واحدة غیر مختلفة فیما بین الانبیاء اذ لا مشارکة لغیرها فی صحة الاتباع وقری
امتکم بالنصب علی البدل وامة بالرفع علی الخبر وقرئتا بالرفع علی انهما خبران و
انا ربکم لا اله لکم غیری فاعبدون لا غیر وتقطعوا امرهم بینهم صرفه الی الغیبة
التفاتا لینعی علی الذین تفرقوا فی الدین وجعلوا امره قطعا موزعة بقبیح

فعلهم الى غيرهم كل من الفرق المتحزبة الينا راجعون فنجازيهم فمن يعمل من الصالحات
وهو مؤمن بالله ورسوله فلا كفران فلا تضييع لسعيه استعير لمنع الثواب كما
استعير الشكر لاعطائه ونفي نفي الجنس للمبالغة وانا له لسعيه كاتبون مثبتون
في صحيفة عمله لا نضيع بوجه ما وحرام على قرية وممتنع على اهلها غير متصور منهم وقرا
حمزة وابو بكر والكسائي وحرم بكسر الحاء واسكان الراء وقرئ حرم اهلكناها
حكمنا باهلاكها او وجدناها هالكة انهم لا يرجعون رجوعهم الى التوبة او الحيوة
ولا صلة او عدم رجوعهم للجزاء وهو مبتدا خبره حرام او فاعل له ساد مسد خبره
او دليل عليه وتقديره توبتهم او حيوتهم او عدم بعثهم او لانهم لا يرجعون ولا ينيبون
وحرام خبر محذوف اي حرام عليها ذلك وهو المذكور في الاية المتقدمة ويؤيده
القراءة بالكسر وقيل حرام عزم وموجب عليهم انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت ياجوج
وماجوج متعلق بحرام او بمحذوف دل الكلام عليه او بلا يرجعون اي يستمر الامتناع
او الهلاك او عدم الرجوع الى قيام الساعة وظهور اماراتها وهو فتح سد ياجوج
وماجوج وحتى هي التي يحكى الكلام بعدها والمحكي هي الجملة الشرطية وقرا ابن عامر
ويعقوب فتحت وهم يعني ياجوج وماجوج او الناس كلهم من كل حدب نشز
من الارض وقرئ جدث وهو القبر ينسلون يسرعون من نسلان الذئب وقرئ
بضم السين واقترب الوعد الحق وهو القيامة فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا
جواب الشرط واذا للمفاجاة وتسد مسد الفاء الجزائية كقوله اذا هم يقنطون
فاذا جاءت الفاء معها تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط فيتاكد والضمير للقصة
او مبهم يفسره الابصار يا ويلنا مقدر بالقول واقع موقع الحال من الموصول قد كنا
في غفلة من هذا لم نعلم انه حق بل كنا ظالمين لانفسنا بالاخلال بالنظر وعدم الاعتداد
بالنذر انكم وما تعبدون من دون الله يحتمل الاوثان وابليس واعوانه لانهم
بطاعتهم لهم في حكم عبدتهم لما روي انه عليه السلام لما تلا الاية على المشركين قال له
ابن الزبعرى قد خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى
عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال عليه السلام بل هم عبدوا الشياطين التي
امرتهم بذلك فانزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية وعلى هذا يعم الخطاب
ويكون ما مأولا بمن او بما يعمه ويدل عليه ما روي ان ابن الزبعرى قال هذا شيء لالهتنا
خاصة او لكل من عبد من دون الله فقال عليه السلام بل لكل من عبد من دون الله
ويكون قوله ان الذين بيانا للتجوز او للتخصيص تاخر عن الخطاب حصب جهنم
ما يرمى به اليها وتهيج به من حصبه يحصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد
وصفا بالمصدر انتم لها واردون استيناف او بدل من حصب جهنم واللام
معوضة من على الاختصاص والدلالة على ان ورودهم لاجلها لو كان هؤلاء

هؤلاء آلهة ما وردوها لان المؤاخذ المعذب لا يكون الها وكل فيها خالدون
لا خلاص لهم عنها لهم فيها زفير انين وتنفس شديد وهو من اضافة فعل
البعض الى الكل للتغليب ان اريد بما تعبدون الاصنام وهم فيها لا يسمعون
من الهول وشدة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
الخصلة الحسنى وهي السعادة او التوفيق للطاعة او البشرى بالجنة اولئك عنها
مبعدون لانهم يرفعون الى اعلى عليين روي ان عليا رضي الله عنه خطب وقرا
هذه الاية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد
وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداءه
ويقول لا يسمعون حسيسها وهو بدل من مبعدون او حال من ضميره سيق للمبالغة
في ابعادهم عنها والحسيس صوت يحس به وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون
دائمون في غاية التنعم وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به لا يحزنهم الفزع
الاكبر النفخة الاخيرة لقوله تعالى ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض
او الانصراف الى النار او حين يطبق على النار او يذبح الموت وتتلقيهم الملائكة
تستقبلهم مهنئين هذا يومكم يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول الذي كنتم توعدون
في الدنيا يوم نطوي السماء مقدر باذكر او ظرف لا يحزنهم او تتلقيهم او حال مقدرة
من العائد المحذوف من توعدون والطي ضد النشر او المحو من قولك اطو عني
هذا الحديث وذلك لانها نشرت مظلة لبني آدم فاذا انتقلوا قوضت عنهم
وقرئ بالياء والتاء والبناء للمفعول كطي السجل للكتب طيا كطي الطومار لاجل
الكتابة او لما يكتب فيه او كتب فيه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص
على الجمع اي للمعاني الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل ملك يطوي كتب الاعمال
اذا رفعت اليه او كاتب كان لرسول الله وقرئ السجل كالدلو والسجل كالعتل وهما
لغتان فيه كما بدانا اول خلق نعيده اي نعيد ما خلقناه مبتداه اعادة مثل
بدئنا اياه في كونهما ايجادا عن العدم او جمعا من الاجزاء المتبددة والمقصود بيان
صحة الاعادة بالقياس على الابداء لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول
القدرة القديمة لهما على السواء وما كافة او مصدرية واول مفعول لبدانا او لفعل
يفسره نعيده او موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اي نعيد
مثل الذي بدأناه واول خلق ظرف لبدانا او حال من ضمير الموصول المحذوف
وعدا مقدر بفعله تاكيد لنعيده او منتصب به لانه عدة بالاعادة علينا
اي علينا انجازه انا كنا فاعلين ذلك لا محالة ولقد كتبنا في الزبور في كتاب
داود من بعد الذكر اي التورية وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة وبالذكر
اللوح المحفوظ ان الارض ارض الجنة او الارض المقدسة يرثها عبادي الصالحون

يعني عامة المؤمنين او الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها
او امة محمد عليه السلام ان في هذا اي فيما ذكر من الاخبار والمواعظ والمواعيد
لبلاغا لكفاية او لسبب بلوغ الى البغية لقوم عابدين همهم العبادة دون العادة
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين لان ما بعثت به سبب لاسعادهم وموجب
لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار امنهم به من الخسف والمسخ وعذاب
الاستيصال قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد اي ما يوحى الي الا انه لا اله لكم
الا اله واحد وذلك لان المقصود الاصلي من بعثته مقصور على التوحيد فالاولى
لقصر الحكم على الشيء والثانية على العكس فهل انتم مسلمون مخلصون العبادة لله
على ما هو الوحي مقتضى المصدق بالحجة وقد عرفت ان التوحيد مما يصح اثباته بالسمع
فان تولوا عن التوحيد فقل اذنتكم اعلمتكم ما امرت به او حربي لكم على سواء مستوين
في الاعلام به او مستوين انا وانتم في العلم بما اعلمتكم به او في المعاداة او ايذانا على سواء
وقيل اعلمتكم اني على سواء اي عدل واستقامة راي بالبرهان النير وان ادري اقريب
وما ادري ام بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين او الحشر لكنه كائن لا محالة انه
يعلم الجهر من القول ما تجاهرون به من الطعن في الاسلام ويعلم ما تكتمون من الاحن
والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه وان ادري لعله فتنة لكم وما ادري لعل
تاخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم او امتحان لينظر كيف تعملون و
ومتاع الى حين وتمتيع الى اجل مقدر تقتضيه مشيئته قل رب احكم بالحق اقض
بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضي لاستعجال العذاب والتشديد عليهم وقرا
حفص قال على حكاية قول رسول الله وقرئ رب بالضم وربي احكم على بناء التفضيل
واحكم من الاحكام وربنا الرحمن كثير الرحمة على خلقه المستعان المطلوب منه
المعونة على ما تصفون من الحال بان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق اياما
ثم تسكن وان الموعد به لو كان حقا لنزل بهم فاجاب الله دعوة رسوله فخيب امانيهم
ونصر رسوله عليهم وقرئ بالياء وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا اقترب حاسبه الله
حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القران

سورة الحج

مكية الا ست آيات من هذان خصمان الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة تحريكها
للاشياء على الاسناد المجازي او تحريك الاشياء فيها فاضيفت اليها اضافة
معنوية بتقدير في او اضافة المصدر الى الظرف على اجرائه مجرى المفعول به وقيل هي
زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها واضافتها الى الساعة لانها من اشراطها
شيء عظيم هائل علل امرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا
انه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا على انفسهم ويتقوها بملازمة

التقوى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت تصوير لهولها
والضمير للزلزلة ويوم منتصب بتذهل وقرئ تذهل وتذهل مجهولا ومعروفا
اي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر بدهشة والمقصود الدلالة
على ان هولها بحيث اذا دهشت التي القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه وذهلت
عنه وما موصولة او مصدرية وتضع كل ذات حمل حملها جنينها وترى الناس
سكارى كانهم سكارى وما هم بسكارى على الحقيقة ولكن عذاب الله شديد
فارهقهم هوله بحيث طير عقولهم واذهب تمييزهم وقرئ ترى بالضم من اريتك
قائما بنصب الناس ورفعه على انه نائب الفاعل وتانيثه على تاويل الجماعة
وافراده بعد جمعه لان الزلزلة يراها الجميع واثر السكر انما يراه كل احد على غيره
وقرا حمزة والكسائي سكرى كعطشى اجراء للسكر مجرى العلل ومن الناس من
يجادل في الله بغير علم نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة
بنات الله والقران اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهي تعمه واضرابه
ويتبع في المجادلة او في عامة احواله كل شيطان مريد متجرد للفساد واصله العرى
كتب عليه على الشيطان انه من تولاه تبعه والضمير للشان فانه يضله خبر لمن
او جواب له والمعنى كتب عليه اضلال من تولاه لانه جبل عليه على تقدير
فشانه ان يضله لا على العطف فانه يكون بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر في
الموضعين على حكاية المكتوب او اضمار القول او تضمين الكتب معناه ويهديه
الى عذاب السعير بالحمل على ما يؤدي اليه يا ايها الناس ان كنتم في ريب من
البعث من امكانه وكونه مقدورا وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب
فانا خلقناكم اي فانظروا في بدء خلقكم فانه يزيح ريبكم فانا خلقناكم
من تراب اذ خلق آدم منه او الاغذية التي يتكون منها المني ثم من نطفة
مني من النطف وهو الصب ثم من علقة قطعة من الدم جامدة ثم من
مضغة قطعة من اللحم وهي في الاصل قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة مسواة
لا نقص فيها ولا عيب وغير مسواة او تامة وساقطة او مصورة وغير مصورة
لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان ما قبل التغير والفساد والتكون
مرة قبلها اخرى وان من قدر على تغييره وتصويره اولا قدر على ذلك
ثانيا وحذف المفعول ايماء الى ان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وحكمته
ما لا يحيط به الذكر ونقر في الارحام ما نشاء ان نقره الى اجل مسمى وهو وقت
الوضع وادناه بعد ستة اشهر واقصاه اخر اربع سنين وقرئ ونقر بالنصب
وكذا قوله ثم نخرجكم طفلا عطفا على نبين كان خلقهم مدرجا لغرضين تبيين القدرة
وتقريرهم في الارحام حتى يولدوا وينشؤوا ويبلغوا حد التكليف وقرئ با

بالياء رفعا ونصبا ويقرأ بالياء ونقر بالنون من قررت الماء اذا صببته
وطفلا حال اجريت على تأويل كل واحد او الدلالة على الجنس او لانه في الاصل
مصدر ثم لتبلغوا اشدكم كمالكم في القوة والعقل جمع شدة كالانعم جمع
نعمة كانها شدة في الامور ومنكم من يتوفى عند بلوغ الاشد او
قبله وقرئ يتوفى اي يتوفاه الله ومنكم من يرد الى ارذل العمر الهرم و
الخرف وقرئ بسكون الميم لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ليعود كهيئته
الاولى في اوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر من
عرفه والاية استدلال ثان على امكان البعث بما يعتري الانسان في اسنانه
من الامور المختلفة والاحوال المتضادة فان من قدر على ذلك قدر على نظائره
وترى الارض هامدة ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا
فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت وانتفخت
وقرئ ربأت اي ارتفعت وانبتت من كل زوج من كل صنف بهيج
حسن رائق وهذه دلالة ثالثة كررها الله تعالى في كتابه لظهورها وكونها مشاهدة
ذلك اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان في اطوار مختلفة وتحويله على احوال
متضادة واحياء الارض بعد موتها وهو مبتدا وخبره بان الله هو الحق
اي بسبب انه الثابت في نفسه الذي به تتحقق الاشياء وانه يحيي الموتى
وانه يقدر على احيائها والا لما احيى النطفة والارض الميتة وانه على كل شيء قدير
لان قدرته لذاته الذي نسبته الى الكل على السواء فلما دلت المشاهدة على قدرته
على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها وان الساعة اتية لا ريب
فيها فان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه وان الله يبعث من في القبور
بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف ومن الناس من يجادل في الله بغير علم
تكرير للتاكيد ولما نيط به من الدلالة بقوله ولا هدى ولا كتاب منير على
انه لا سند له من استدلال او وحي او الاول في المقلدين وهذا في المقلدين
والمراد بالعلم العلم الفطري ليصح عطف الهدى والكتاب عليه ثاني عطفه
متكبرا وثني العطف كناية عن التكبر كلي الجيد او معرضا عن الحق استخفافا
به وقرئ بفتح العين اي مانع تعطفه ليضل عن سبيل الله علة للجدال وقرا
ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه
بالاقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى الى الضلالة وانه من حيث هو مؤداه
كالغرض له له في الدنيا خزي وهو ما اصابه يوم بدر ونذيقه يوم القيمة عذاب
الحريق المحرق وهو النار ذلك بما قدمت يداك على الالتفات او ارادة القول
اي يقال له يوم القيمة ذلك الخزي والتعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي

والمعاصي وان الله ليس بظلام للعبيد وانما هو مجاز لهم على اعمالهم والمبالغة
لكثرة العبيد ومن الناس من يعبد الله على حرف على طرف من الدين لا ثبات
له فيه كالذي يكون على طرف الجيش فان احس بظفر قر والا فر فان اصابه خير
اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه روي انها نزلت في اعاريب
قدموا الى المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت
امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا
الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن
ابي سعيد ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبي
فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت خسر الدنيا والاخرة بذهاب
عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال والرفع على
الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه او على انه خبر
محذوف ذلك هو الخسران المبين اذ لا خسران مثله يدعو من دون الله
ما لا يضره وما لا ينفعه يعبد جمادا لا يضر بنفسه ولا ينفع ذلك هو الضلال
البعيد عن المقصد مستعار من ضلال من ابعد في التيه ضلالا يدعو لمن ضره
اقرب بكونه معبودا لانه يوجب القتل في الدنيا والعذاب في الاخرة
من نفعه الذي يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها الى الله واللام
معلقة ليدعو من حيث انه بمعنى يزعم والزعم قول مع اعتقاد او داخلة على الجملة
الواقعة مقولا اجراء له مجرى يقول اي يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ
حين يرى استضراره به او مستانفة على ان يدعو تكرير للاول ومن مبتدا وخبره
لبئس المولى الناصر ولبئس العشير الصاحب ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من اثابة الموحد
الصالح وعقاب المشرك لا دافع له ولا مانع من كان يظن ان لن ينصره الله
في الدنيا والاخرة كلام فيه اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والاخرة
فمن كان يظن خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه وقيل المراد بالنصر الرزق
والضمير لمن فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فليستقص في ازالة غيظه
او جزعه بان يفعل كل ما يفعله الممتلئ غضبا او المبالغ جزعا حتى يمد حبلا الى سماء
بيته فيختنق من قطع اذا اختنق فان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه وقيل
فليمدد حبلا الى سماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانه فيجتهد في دفع
نصره او تحصيل رزقه وقرا ورش وابو عمرو وابن عامر ثم ليقطع بكسر اللام
فلينظر فليتصور في نفسه هل يذهبن كيده فعله ذلك وسماه على الاول
كيدا لانه منتهى ما يقدر عليه ما يغيظ غيظه او الذي يغيظه من نصر الله وقيل

نزلت في قوم مسلمين استبطؤا نصر الله لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين
وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلناه انزلنا القران كله ايات بينات
واضحات وان الله يهدي ولان الله يهدي به او يثبت على الهدى من يريد
هدايته او ثباته انزله كذلك مبينا ان الذين امنوا والذين هادوا
والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيمة
بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم عن المبطل او الجزاء فيجازي كلا ما يليق به ويدخله
المحل المعد له وانما دخلت ان على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد التاكيد ان الله
على كل شيء شهيد عالم به مراقب لاحواله الم تر ان الله يسجد له من في السموات
ومن في الارض يتسخر لقدرته ولا يتابى عن تدبيره او يدل بذلته على عظمة
مدبره ومن يجوز ان يعم اولي العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله والشمس
والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد
ذلك منها وقرئ والدواب بالتخفيف كراهة التضعيف او الجمع بين الساكنين
وكثير من الناس عطف عليها ان جوز اعمال اللفظ الواحد في كل واحد من مفهوميه
واسناده باعتبار احدهما الى امر وباعتبار الاخر الى اخر فان تخصيص الكثير يدل على
خصوص المعنى المسند اليهم او مبتدا خبره محذوف دل عليه خبر قسيمه نحو حق له
الثواب او فاعل فعل مضمر اي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وكثير حق عليه
العذاب بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان يجعل وكثير تكريرا للاول مبالغة في
تكثير المحقوقين بالعذاب وان يعطف به على الساجدين بالمعنى العام موصوفا
بما بعده وقرئ حق بالضم وحقا باضمار فعله ومن يهن الله بالشقاوة فما له
من مكرم يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام ان الله يفعل ما يشاء
من الاكرام والاهانة هذان خصمان اي فوجان مختصمان ولذلك قال
اختصموا حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد بهما المؤمنون والكافرون في ربهم
في دينه او في ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقال اليهود
نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن
احق بالله امنا بمحمد ونبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا
ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت فالذين كفروا فصل لخصومتهم وهو المعنى
بقوله ان الله يفصل بينهم يوم القيمة قطعت قدرت على مقادير جثثهم وقرئ
بالتخفيف لهم ثياب من نار نيران تحيط بهم احاطة الثياب يصب من فوق
رؤسهم الحميم حال من الضمير في لهم او خبر ثان والحميم الماء الحار يصهر به ما في بطونهم
والجلود اي يؤثر من فرط حرارته في باطنهم تاثيره في ظاهرهم فيذاب به احشاؤهم
كما يذاب به جلودهم والجملة حال من الحميم او من ضميرهم وقرئ بالتشديد للتكثير ولهم

ولهم مقامع من حديد سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به
اي يكف بعنف كلما ارادوا ان يخرجوا منها من النار من غم من غمومها بدل
من الهاء باعادة الجار اعيدوا فيها اي فخرجوا اعيدوا لان الاعادة لا تكون
الا بعد الخروج وقيل يضربهم لهيب النار فترفعهم الى اعلاها فيضربون بالمقامع
فيهوون فيها وذوقوا اي وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق النار البالغة
في الاحراق ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها
الانهار غير الاسلوب فيه واسند الادخال الى الله تعالى واكده بان احمادا
لحال المؤمنين وتعظيما لشانهم يحلون فيها من حليت المراة اذا البست الحلي
وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد من اساور صفة مفعول محذوف واساور
جمع اسورة وهي جمع سوار من ذهب بيان له ولؤلؤا عطف عليها
لا على ذهب لانه لم يعهد السوار منه الا ان يراد المرصعة به ونصبه نافع وعاصم
عطفا على محلها او اضمار الناصب مثل ويؤتون وترك ابو بكر والسوسي عن
ابي عمرو الهمزة الاولى وروى حفص بهمزتين وقرئ لؤلؤا بقلب الثانية
واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم قلب الثانية ياء ولوليا بقلبهما يائين ولول
كادل ولباسهم فيها حرير غير اسلوب الكلام فيه للدلالة على ان الحرير ثيابهم
المعتادة او للمحافظة على هيئة الفواصل وهدوا الى الطيب من القول وهو قولهم
الحمد لله الذي صدقنا وعده او كلمة التوحيد وهدوا الى صراط الحميد المحمود نفسه او عاقبته
وهو الجنة او الحق او المستحق لذاته الحمد وهو الله تعالى وصراطه الاسلام
ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله لا يريد به حالا ولا استقبالا وانما
يريد به استمرار الصد منه كقولهم فلان يعطي ويمنع ولذلك حسن عطفه على الماضي
وقيل هو حال من فاعل كفروا وخبر ان محذوف دل عليه اخر الاية اي معذبون
والمسجد الحرام عطف على سبيل الله واوله الحنفية بمكة واستشهدوا بقوله تعالى
الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد اي المقيم والطارئ على عدم
جواز بيع دورها واجارتها وهو مع ضعفه معارض بقوله تعالى الذين اخرجوا من
ديارهم وشرى عمر دار السجن فيها من غير نكير وسواء خبر مقدم والجملة مفعول ثان
لجعلناه ويكون للناس حالا من الهاء والا فحال من المستكن فيه ونصبه حفص على انه
المفعول او الحال والعاكف مرتفع به وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس
ومن يرد فيه مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح من الورود
بالحاد عدول عن القصد بظلم بغير حق وهما حالان مترادفان او الثاني بدل
من الاول باعادة الجار او صلة له اي ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الاثام
نذقه من عذاب اليم جواب لمن واذ بوانا لابراهيم مكان البيت اي واذكر

او عيناه وجعلناه له مباءة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف اي واذ انزلناه
فيه وقيل رفع البيت الى السماء وانطمس ايام الطوفان فاعلمه الله مكانه بريح
ارسلها فكنست ما حوله فبناه على اسه القديم ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي
للطائفين والقائمين والركع السجود ان مفسرة لبوأنا من حيث انه تضمن معنى
تعبدنا لان التبوئة من اجل العبادة او مصدرية موصولة بالنهي اي فعلنا
ذلك لئلا تشرك بعبادتي وتطهر بيتي من الاوثان والاقذار لمن يطوف به
ويصلي فيه ولعله عبر عن الصلوة باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل
باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء واذن في الناس
ناد فيهم وقرئ وآذن وقرأ نافع وحفص وهشام بيتي بالفتح بالحج بدعوة الحج
والامر به روي انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم
فاسمعه الله تعالى من في اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب
ممن سبق في علمه ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله امر بذلك في حجة الوداع
يأتوك رجالا مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ بضم الراء مخفف الجيم ومثقله
ورجالى كعجالى وعلى كل ضامر اي وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد السفر
فهزله يأتين صفة لضامر محمولة على معناه وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان
او استيناف فيكون الضمير للناس من كل فج طريق عميق بعيد وقرئ معيق
يقال بئر بعيدة العمق بمعنى ليشهدوا ليحضروا منافع لهم دينية ودنيوية وتنكيرها
لان المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة ويذكروا اسم الله عند اعداد
الهدايا والضحايا وذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين لا ينفك عنه
تنبيها على انه المقصود مما يتقرب به الى الله تعالى في ايام معلومات هي عشر
ذي الحجة وقيل ايام النحر على ما رزقهم من بهيمة الانعام علق الفعل بالمرزوق وبينه
بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على مقتضى الذكر فكلوا منها من لحومها امر
بذلك اباحة وازاحة لما عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او ندبا الى مواساة الفقراء
ومساواتهم وهذا في المتطوع به دون الواجب واطعموا البائس الذي اصابه بؤس
اي شدة الفقير المحتاج والامر فيه للوجوب وقد قيل به في الاول ثم ليقضوا تفثهم
ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال
وليوفوا نذورهم ما ينذرون من البر في حجهم وقيل مواجب الحج وقرأ ابو بكر بفتح الواو
وتشديد الفاء وليطوفوا طواف الركن الذي به تمام التحلل فانه قرينة قضاء التفث
وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق القديم لانه اول بيت وضع للناس او المعتق
من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله تعالى واما الحجاج فانما
قصد اخراج ابن الزبير منه دون التسلط عليه ذلك خبر محذوف اي الامر ذلك

ذلك وهو وامثاله يطلق للفصل بين الكلامين ومن يعظم حرمات الله احكامه
وساير ما لا يحل هتكه او الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام
والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم فهو خير له فالتعظيم خير له عند ربه ثوابا واحلت
لكم الانعام الا ما يتلى عليكم الا المتلو عليكم تحريمه وهو ما حرم منها لعارض كالميتة
وما اهل به لغير الله فلا تحرموا منها غير ما حرم الله كالبحيرة والسائبة فاجتنبوا الرجس
من الاوثان فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان كما تجتنب الانجاس وهو غاية
المبالغة في النهي عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها واجتنبوا قول الزور تعميم بعد
تخصيص فان عبادة الاوثان رأس الزور كأنه لما حث على تعظيم الحرمات اتبعه
ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب وتعظيم الاوثان
والافتراء على الله بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روي انه عليه السلام قال
عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثلثا وتلا هذه الاية والزور من الزور وهو
الانحراف كما ان الافك من الافك وهو الصرف فان الكذب منحرف مصروف
عن الواقع حنفاء لله مخلصين له غير مشركين به وهما حالان من الواو ومن يشرك
بالله فكأنما خر من السماء لانه سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر فتخطفه الطير
فان الاهواء المردية توزع افكاره او تهوي به الريح في مكان سحيق بعيد فان
الشيطان قد طوح به في الضلالة واو للتخيير كما في قوله او كصيب او للتنويع فان
من المشركين من لا خلاص له اصلا ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة ولكن على بعد
ويجوز ان يكون من التشبيهات المركبة فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد
هلكت نفسه هلاكا يشبه احد الهلاكين وقرأ نافع فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء
ذلك ومن يعظم شعائر الله دين الله او فرائض الحج ومواضع نسكه او الهدايا
لانها من معالم الحج وهو اوفق لظاهر ما بعده وتعظيمها ان يختارها حسانا سمانا
غالية الاثمان روي انه عليه السلام اهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة
من ذهب وان عمر اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فانها من تقوى القلوب
فان تعظيمها من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد
الى من وذكر القلوب لانها منشأ التقوى والفجور والآمرة بهما لكم فيها منافع الى
اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق اي لكم فيها منافع درها ونسلها وصوفها
وظهرها الى ان تنحر ثم وقت نحرها منتهية الى البيت اي ما يليه من الحرم وثم
يحتمل التراخي في الوقت والتراخي في الرتبة اي لكم فيها منافع دنيوية الى وقت
النحر وبعده منافع دينية اعظم منها وهو على الاولين اما متصل بحديث الانعام
والضمير فيها لها او المراد على الاول لكم فيها منافع دينية تنتفعون بها الى اجل مسمى
هو الموت ثم محلها منتهية الى البيت العتيق الذي ترفع اليه الاعمال او يكون

فيه ثوابها وهو البيت المعمور او الجنة وعلى الثاني لكم فيها منافع التجارات في
الاسواق الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية الى الكعبة بالاحلال بطواف
الزيارة ولكل امة ولكل اهل دين جعلنا منسكا متعبدا او قربانا يتقربون
به الى الله تعالى وقرا حمزة والكسائي بالكسر اي موضع نسك ليذكروا اسم الله
دون غيره ويجعلوا نسكهم لوجهه علل الجعل به تنبيها على ان المقصود من المناسك
تذكر المعبود على ما رزقهم من بهيمة الانعام عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان
يجب ان يكون نعما فالهكم اله واحد فله اسلموا اخلصوا التقرب او الذكر ولا
تشوبوه بالاشراك وبشر المخبتين المتواضعين او المخلصين فان الاخبات
صفتهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم هيبة منه لاشراق اشعة جلاله عليها
والصابرين على ما اصابهم من الكلف والمصائب والمقيمي الصلوة في اوقاتها و
قرئ والمقيمين الصلوة على الاصل ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير والبدن
جمع بدنة كخشب وخشبة واصله الضم وقد قرئ به وانما سميت بها الابل لعظم بدنها
مأخوذة من بدن بدانة ولا يلزم من مشاركة البقر لها في اجزائها عن سبعة بقوله
عليه السلام البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة تناول اسم البدنة لها شرعا بل الحديث
يمنع ذلك وانتصابه بفعل يفسره جعلناها لكم ومن رفعه جعله مبتدأ من شعائر
الله من اعلام دينه التي شرعها الله لكم فيها خير منافع دينية ودنيوية فاذكروا
اسم الله عليها بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم
منك واليك صواف قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفن
الفرس اذا قام على ثلث وعلى طرف سنبك الرابعة لان البدنة تعقل احدى
يديها فتقوم على ثلث وقرئ صوافنا بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف
وصوافي اي خوالص لوجه الله وصواف على لغة من يسكن الياء مطلقا كقولهم
اعط القوس باريها فاذا وجبت جنوبها سقطت على الارض وهو كناية عن
الموت فكلوا منها واطعموا القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسئلة ويؤيده
انه قرئ القنع او السائل من قنعت اليه قنوعا اذا خضعت له في السؤال والمعتر
والمعترض بالسؤال وقرئ والمعتري يقال عره وعراه واعتره كذلك مثل
ما وصفنا من نحرها قياما سخرناها لكم مع عظمها وقوتها حتى تأخذوها منقادة
فتعقلوها وتحبسوها صافة قوائمها ثم تطعنونها في لباتها لعلكم تشكرون
انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص لن ينال الله لن يصيب رضاه ولن
يقع منه موقع القبول لحومها المتصدق بها ولا دماؤها المهراقة بالنحر من حيث
انها لحوم ودماء ولكن يناله التقوى منكم ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم
التي تدعوكم الى تعظيم امر الله والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية

الجاهلية اذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربة الى الله فهم المسلمون
فنزلت كذلك سخرها لكم كرره تذكيرا للنعمة وتعليلا له بقوله لتكبروا الله
اي لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو
التكبير عند الاحلال والذبح على ما هديكم ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب
بها وما تحتمل المصدرية والخبرية وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر وبشر
المحسنين المخلصين فيما يأتونه ويذرونه ان الله يدفع عن الذين امنوا غائلة
المشركين وقرا نافع وابن عامر والكوفيون يدافع اي يبالغ في الدفع مبالغة
من يغالب فيه ان الله لا يحب كل خوان في امانة الله كفور لنعمته كمن يتقرب
الى الاصنام بذبيحته فلا يرتضي فعلهم ولا ينصرهم اذن رخص وقرا ابن كثير وابن
عامر وحمزة والكسائي على البناء للفاعل وهو الله للذين يقاتلون المشركين
والمأذون فيه محذوف لدلالة عليه وقرا نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء اي
للذين يقاتلهم المشركون بانهم ظلموا بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب رسول الله
كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه
فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجروا فانزلت وهي اول اية نزلت
في القتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين اية وان الله على نصرهم لقدير
وعد لهم بالنصر كما وعد بدفع اذى الكفار عنهم الذين اخرجوا من ديارهم يعني
مكة بغير حق بغير موجب استحقوا به الا ان يقولوا ربنا الله على طريقة قول
النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب وقيل
منقطع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين
لهدمت لخربت باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرئ دفاع وقرا نافع
وابن كثير لهدمت بالتخفيف صوامع صوامع الرهبانية وبيع وبيع النصارى
وصلوات وكنائس اليهود وسميت بها لانها يصلى فيها وقيل اصله صلوتا بالعبرية
فعربت ومساجد ومساجد المسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا صفة للاربع
او للمساجد خصت بها تفضيلا ولينصرن الله من ينصره من ينصر دينه وقد انجز
وعده بان سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم و
قياصرتهم واورثهم ارضهم وديارهم ان الله لقوي على نصرهم عزيز لا يمانعه شيء
الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف
ونهوا عن المنكر وصف للذين اخرجوا وهو ثناء قبل بلاء وفيه دليل على صحة
امر الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين وقيل بدل من
من ينصره ولله عاقبة الامور فان مرجعها الى حكمه وفيه تأكيد لما وعده وان
يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط

واصحاب مدين تسلية له بان قومه ان كذبوه فهو ليس باوحدى فى التكذيب
فان هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومه وكذب موسى غير فيه النظم وبنى
الفعل للمفعول لان قومه بنوا اسرائيل ولم يكذبوه وانما كذبه القبط ولان تكذيبه
كان اشنع واياته كانت اعظم واشيع فامليت للكافرين فامهلتهم حتى انصرمت
اجالهم المقدرة ثم اخذتهم فكيف كان نكير انكارى عليهم بتغيير النعمة محنة
والحيوة هلاكا والعمارة خرابا فكاين من قرية اهلكناها باهلاك اهلها وقرا البصريان
بغير لفظ التعظيم وهى ظالمة اى اهلها فهى خاوية على عروشها ساقطة حيطانها على
سقوفها بان تعطلت بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت
فوق السقوف او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون الجار متعلقا بخاوية
ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر اى وهى خاوية وهى على عروشها اى مطلة عليها بان سقطت
وبقيت الحيطان مائلة مشرفة عليها والجملة معطوفة على اهلكناها لا على وهى ظالمة
فانها حال والاهلاك ليس حال خوائها فلا محل لها ان نصبت كاين بمقدر يفسره اهلكناها
وان رفعته بالابتداء فمحلها الرفع وبئر معطلة عطف على قرية اى وكم بئر عامرة
فى البوادى تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله
وقصر مشيد مرفوع او مجصص اخليناه عن ساكنيه وذلك يقوى ان معنى خاوية
على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد ببئر بئر فى سفح جبل بحضرموت وبقصر
قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه
اهلكهم الله وعطلهما افلم يسيروا فى الارض حث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع
المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا لم يسافروا لذلك فتكون لهم
قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل من التوحيد بما حصل لهم من الاستبصار و
الاستدلال او اذان يسمعون بها ما يجب ان يسمع من الوحى والتذكير بحال من شاهد
اثارهم فانها لا تعمى الابصار الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار وفى تعمى راجع اليه
والظاهر اقيم مقامه ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور عن الاعتبار اى ليس
الخلل فى مشاعرهم وانما ايفت عقولهم باتباع الهوى والانهماك فى التقليد
وذكر الصدور للتاكيد ونفى التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقى ليس المتعارف
الذى يخص البصر قيل لما نزل ومن كان فى هذه اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله
انا فى الدنيا اعمى افاكون فى الاخرة اعمى فنزلت ويستعجلونك بالعذاب المتوعد به
ولن يخلف الله وعده لامتناع الخلف فى خبره فيصيبهم ما اوعدهم ولو بعد حين
لكنه صبور لا يعجل بالعقوبة وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون بيان
لتناهى صبره وتانيه حتى استقصر المدد الطوال او لتمادى عذابه وطول ايامه حقيقة
او من حيث ان ايام الشدائد مستطالة وقرا ابن كثير وحمزة والكسائى بالياء

بالياء وكاين من قرية وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
فى الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة فى التعميم والتهويل وانما عطف الاولى
بالفاء وهذه بالواو لان الاولى بدل من قوله فكيف كان نكير وهذه فى حكم ما تقدمها
من الجملتين لبيان ان المتوعد به يحيق بهم لا محالة وان تاخيره لعادته تعالى امليت لها
كما امهلتكم وهى ظالمة مثلكم ثم اخذتها بالعذاب والى المصير والى حكمى مرجع الجميع
قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين اوضح لكم ما انذركم به والاقتصار على الانذار
مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لان صدر الكلام ومساقه للمشركين وانما ذكر
المؤمنين وثوابهم زيادة فى غيظهم فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة
لما بدر منهم ورزق كريم هى الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله والذين سعوا
بالرد والابطال فى اياتنا معاجزين مسابقين مشاقين للساعين فيها
بالقبول والتحقيق من عاجزه فاعجزه وعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين
يطلب اعجاز الاخر عن اللحاق به وقرا ابن كثير وابو عمرو معجزين على انه حال مقدرة
اولئك اصحاب الجحيم النار الموقدة وقيل اسم دركة وما ارسلنا من قبلك
من رسول ولا نبى الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس اليها والنبى
يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كانبياء بنى اسرائيل الذين كانوا بين موسى
وعيسى عليهما السلام ولذلك شبه النبى عليه السلام علماء امته بهم فالنبى اعم من
الرسول ويدل عليه انه عليه السلام سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة
وعشرون الفا وقيل فكم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول
من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبى غير الرسول من لا كتاب له وقيل
الرسول من ياتيه الملك بالوحى والنبى يقال له ولمن يوحى اليه فى المنام الا اذا تمنى
اذا زور فى نفسه ما يهواه القى الشيطان فى امنيته فى تشهيه ما يوجب
اشتغاله بالدنيا كما قال عليه السلام وانه ليغان على قلبى فاستغفر الله فى اليوم
سبعين مرة فينسخ الله ما يلقى الشيطان فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون
اليه والارشاد الى ما يزيحه ثم يحكم الله اياته ثم يثبت اياته الداعية الى الاستغراق
فى امر الاخرة والله عليم باحوال الناس حكيم فيما يفعله بهم قيل حدث نفسه
بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه
واستمر به ذلك حتى كان فى ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم فاخذ يقراها فلما
بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى
ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه
فى السجود لما سجد فى اخرها بحيث لم يبق فى المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه
جبرائيل فاغتم به فعزاه الله بهذه الاية وهو مردود عند المحققين وان صح فابتلاء

يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى قرا كقوله تمنى كتاب الله
اول ليله تمنى داود الزبور على رسل امنيته قراته القا الشيطان فيها ان
تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من قراة النبي عليه السلام
وقد رد بانه ايضا يخل بالوثوق على القران ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان
ثم يحكم الله اياته لانه ايضا يحتمله والاية تدل على جواز السهو على الانبياء وتطرق الوسوسة
اليهم ليجعل ما يلقي الشيطان علة لتمكين الشيطان منه وذلك يدل على ان الملقى امر
ظاهر عرفه المحق والمبطل فتنة للذين في قلوبهم مرض شك ونفاق والقاسية
قلوبهم المشركين وان الظالمين يعني الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء
عليهم بالظلم لفي شقاق بعيد عن الحق او عن الرسول والمؤمنين وليعلم الذين اوتوا
العلم انه الحق من ربك ان القران هو الحق النازل من عند الله او تمكين الشيطان
من الالقا هو الحق الصادر من الله لانه مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن ادم
فيؤمنوا به بالقران او بالله فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية وان الله لهاد
الذين امنوا فيما اشكل الى صراط مستقيم هو نظر صحيح يوصلهم الى ما هو الحق فيه
ولا يزال الذين كفروا في مرية في شك منه من القران او الرسول او مما القى
الشيطان في امنيته يقولون ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنه حتى تاتيهم الساعة القيامة
او اشراطها او الموت بغتة فجاة او ياتيهم عذاب يوم عقيم يوم حرب
يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان اولاد النسا يقتلون فيه فيصيرون كالعقم او لان
المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما فوصف اليوم بوصفها اتساعا
او لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ مطرا او لم تلقح شجرا او لانه لا مثل له
لقتال الملائكة فيه او يوم القيمة على ان المراد بالساعة غيره او على وضعه موضع
ضميرها للتهويل الملك يومئذ لله التنوين فيه ينوب عن الجملة التي دلت عليه
الغاية اي يوم تزول مريتهم يحكم بينهم بالمجازاة والضمير يعم المؤمنين والكافرين لتفصيله
بقوله فالذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا
باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين وادخال الفا في خبر الثاني دون الاول تنبيه
على ان اثابة المؤمنين بالجنات تفضل من الله وان عقاب الكافرين مسبب عن
اعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم في عذاب والذين هاجروا في سبيل الله
ثم قتلوا في الجهاد او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا الجنة ونعيمها وانما سوى بين
من قتل في الجهاد ومن مات حتف انفه في الوعد لاستوائهما في القصد واصل العمل
روي ان بعض الصحابة قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله
من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا فنزلت وان الله لهو خير
الرازقين فانه يرزق بغير حساب ليدخلنهم مدخلا يرضونه هو الجنة فيها ما يحبونه

ما يحبونه وان الله لعليم باحوالهم واحوال معاديهم حليم لا يعاجل في العقوبة
ذلك الامر ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ولم يزد في الاقتصاص وانما سمي
الابتداء بالعقاب الذي هو الجزاء للازدواج او لانه سببه ثم بغي عليه بالمعاودة الى
العقوبة لينصرنه الله لا محالة ان الله لعفو غفور للمنتصر حيث اتبع هواه في الانتقام
واعرض عما ندب الله تعالى اليه بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور
وفيه تعريض بالحث على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته وتعالى
شانه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك اولى وتنبيه على انه قادر على العقوبة
اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك اي ذلك النصر بان الله يولج
الليل في النهار ويولج النهار في الليل بسبب ان الله قادر على تغليب بعض
الامور على بعض جار عادته على المداولة بين الاشيا المتعاندة ومن ذلك
ايلاج احد الملوين في الاخر بان يزيد فيه ما ينقص منه او بتحصيل ظلمة الليل في مكان
ضوء النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك باطلاعها وان الله سميع يسمع قول المعاقب
والمعاقب بصير يرى افعالهما فلا يهملهما ذلك الوصف بكمال القدرة والعلم
بان الله هو الحق الثابت في نفسه الواجب لذاته وحده فان وجوب وجوده
ووحدته يقتضيان ان يكون مبدأ لكل ما يوجد سواه عالما بذاته وبما عداه
او الثابت الالهية ولا يصلح لها الا من كان قادرا عالما وان ما يدعون من دونه
الها وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر بالتا على مخاطبة المشركين وقرئ
بالبنا للمفعول فتكون الواو لما فانه في معنى الالهة هو الباطل المعدوم في حد ذاته
او باطل الالوهية ان الله هو العلي على الاشيا الكبير عن ان يكون له شريك
لا شيء اعلى منه شانا واكبر سلطانا الم تر ان الله انزل من السماء ماء استفهام
وتقرير ولذلك رفع فتصبح الارض مخضرة عطفا على انزل اذ لو نصب جوابا
لدل على نفي الاخضرار كما في قولك الم تر اني جئتك فتكرمني والمقصود اثباته
وانما عدل به عن صيغة الماضي للدلالة على بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان ان الله
لطيف يصل علمه او لطفه الى كل ما جل ودق خبير بالتدابير الظاهرة والباطنة له ما في
السموات وما في الارض خلقا وملكا وان الله لهو الغني في ذاته عن كل شيء الحميد
المستوجب للحمد بصفاته وافعاله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض جعلها مذللة
لكم معدة لمنافعكم والفلك عطف على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على الابتدا
تجري في البحر بامره حال منها او خبر ويمسك السما ان تقع على الارض من ان تقع
او كراهة ان تقع بان خلقها على صورة متداعية الى الاستمساك الا باذنه الا بمشيته
وذلك يوم القيمة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية لسائر الاجسام
في الجسمية فتكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها ان الله بالناس لرؤف رحيم حيث

هيأ لهم اسباب الاستدلال وفتح عليهم ابواب المنافع ودفع عنهم انواع المضار
وهو الذي احياكم بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا ثم يميتكم اذا جاء اجلكم ثم
يحييكم في الآخرة ان الانسان لكفور لجحود للنعم مع ظهورها لكل امة اهل
دين جعلنا منسكا متعبدا او شريعة تعبدوا بها وقيل عيدا هم ناسكوه
ينسكونه فلا ينازعنك سائر ارباب الملل في الامر في امر الدين او النسائك
لانهم بين جهال واهل عناد او لان امر دينك اظهر من ان يقبل النزاع وقيل المراد
نهي الرسول عن الالتفات الى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية الى نزاعهم فانها
انما تنفع طالب الحق وهؤلاء اهل مراء او عن منازعتهم كقولك لا يضاربنك
زيد وهذا انما يجوز في افعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت في كفار خزاعة قالوا
للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله وقرئ فلا ينزعنك على
تهييج الرسول والمبالغة في تثبيته على دينه على انه من نازعته فنزعته اذا غلبته
وادع الى ربك الى توحيده وعبادته انك لعلى هدى مستقيم طريق الى الحق
سوي وان جادلوك وقد ظهر الحق ولزمت الحجة فقل الله اعلم بما تعملون
من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها وهو وعيد فيه رفق الله يحكم بينكم
يفصل بين المؤمنين والكافرين بالثواب والعقاب يوم القيمة كما فصل في
الدنيا بالحجج والآيات فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين الم تعلم ان الله
يعلم ما في السماء والارض فلا يخفى عليه شيء ان ذلك في كتاب هو اللوح كتبه فيه
قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له ان ذلك اي ان الاحاطة
به واثباته في اللوح او الحكم بينكم على الله يسير لان علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل
المعلومات على سواء ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا حجة تدل
على جواز عبادته وما ليس لهم به علم حصل لهم من ضرورة العقل او استدلاله وما
للظالمين وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من نصير يقرر مذهبهم او يدفع
العذاب عنهم واذا تتلى عليهم آياتنا من القرآن بينات واضحات الدلالة على
العقايد الحقة والاحكام الالهية تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر الانكار لفرط
نكيرهم للحق وغيظهم لاباطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة والاشعار بذلك
وضع الذين كفروا موضع الضمير او ما يقصدونه من الشر يكادون يسطون بالذين
يتلون عليهم آياتنا يثبون ويبطشون بهم قل افانبئكم بشر من ذلكم من غيظكم على
التالين وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوا عليكم النار اي هو النار
كأنه جواب سائل قال ما هو ويجوز ان يكون مبتدأ خبره وعدها الله الذين كفروا وقرئ
بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فيكون الجملة استئنافا كما اذا وقعت خبرا
او حالا منها وبئس المصير النار يا ايها الناس ضرب مثل بين لكم حال مستغربة او قصة

او قصة رائعة ولذلك سماها مثلا او جعل لله مثل اي مثل في استحقاق العبادة
فاستمعوا له للمثل او لشأنه استماع تدبر وتفكر ان الذين تدعون من دون الله
يعني الاصنام وقرأ يعقوب بالياء وقرئ به مبنيا للمفعول والراجع الى الموصول
محذوف على الاولين لن يخلقوا ذبابا لا يقدرون على خلقه مع صغره لان لن بما فيه
من تأكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي عنه والذباب من الذب لانه يذب
وجمعه اذبة وذبان ولو اجتمعوا له بجوابه المقدر في موضع حال جيء بها للمبالغة
اي لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف اذا كانوا منفردين
وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه جهلهم غاية التجهيل بان اشركوا الها
قدر على المقدورات كلها وتفرد بايجاد الموجودات باسرها تماثيل هي اعجز الاشياء
وبين ذلك بانها لا تقدر على خلق اقل الاحياء واذلها ولو اجتمعوا له بل لا تقوى على
مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه من عندها
قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من
الكوى فيأكله ضعف الطالب والمطلوب عابد الصنم ومعبوده او الذباب يطلب
ما يسلب عن الصنم من الطيب والصنم يطلب الذباب منه السلب او الصنم والذباب
كانه يطلبه ليستنقذ منه ما سلبه ولو حققت وجدت الصنم اضعف بدرجات ما قدروا
الله حق قدره ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء
عن مناسبته ان الله لقوي على خلق الممكنات باسرها عزيز لا يغلبه شيء والهتهم التي
يدعونها عجزة عن اقلها مقهورة من اذلها الله يصطفي من الملائكة رسلا يتوسطون
بينه وبين الانبياء بالوحي ومن الناس يدعون سائرهم الى الحق ويبلغون
اليهم ما نزل عليهم كانه لما قرر وحدانيته في الالوهية ونفى ان يشاركه غيره في
صفاتها بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى
عبادة الله سبحانه وهو اعلى المراتب ومنتهى الدرجات لمن عداه من الموجودات
تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والملائكة بنات
الله تعالى ونحو ذلك ان الله سميع بصير مدرك للاشياء كلها يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم عالم بواقعها ومترقبها والى الله ترجع الامور واليه مرجع الامور كلها
لانه مالكها بالذات لا يسأل عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسألون يا ايها
الذين آمنوا اركعوا واسجدوا في صلاتكم امرهم بها لانهم ما كانوا يفعلونها اول
الاسلام او صلوا وعبر عن الصلوة بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله وخروا له
سجدا واعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم به وافعلوا الخير وتحروا ما هو خير واصلح فيما
تأتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون
اي افعلوا هذه كلها وانتم راجون الفلاح غير متيقنين له واثقين على اعمالكم والآية

اية سجدة عندنا لظاهر ما فيها من الامر بالسجود لقوله عليه السلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقراها وجاهدوا في الله اي لله ومن اجله اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه السلام انه رجع عن غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر حق جهاده اي جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه مختص بالله من حيث انه مفعول لوجه الله ومن اجله هو اجتبيكم اختاركم لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضي للجهاد والداعي اليه وفي قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق بتكليف ما يشتد القيام به عليكم اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه او الى الرخصة في اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم لقوله عم اذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم في المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات في حقوقه والاروش والديات في حقوق العباد ملة ابيكم ابراهيم منتصبة على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف اي وسع دينكم توسعة ملة ابيكم ابراهيم او على الاغراء او الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحيوتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الاخرة او لان اكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم هو سميكم المسلمين من قبل من قبل القران في الكتب المتقدمة وفي هذا وفي القران والضمير لله ويدل عليه انه قرئ الله سماكم او لابراهيم وتسميتهم مسلمين في القران وان لم يكن منه كان بسبب تسميته من قبل في قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل وفي هذا تقديره وفي هذا بيان تسميته اياكم مسلمين ليكون الرسول يوم القيمة متعلق بسماكم شهيدا عليكم بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ الرسل اليهم فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة فتقربوا الى الله بانواع الطاعات لما خصكم بهذا الفضل والشرف واعتصموا بالله وثقوا به في مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصر الا منه هو موليكم ناصركم ومتولي اموركم فنعم المولى ونعم النصير هو اذ لا مثل له في الولاية والنصرة بل لا مولى ولا نصير سواه في الحقيقة عن النبي عليه السلام من قرا سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

سورة المؤمنين مكية وهي مائة وتسع عشرة اية عند البصريين وثماني عشرة عند الكوفيين

بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون قد فازوا بامانيهم وقد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه وتدل على ثباته اذا دخل على الماضي ولذلك تقربه من الحال ولما كان

المؤمنون متوقعين ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم وقرا ورش عن نافع قد فلح بالقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها وقرئ قد افلحوا على لغة اكلوني البراغيث او على الابهام والتفسير وقرئ افلح اجتزاء بالضمة عن الواو وافلح على البناء للمفعول الذين هم في صلوتهم خاشعون خائفون من الله متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم روي انه عم كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه عليه السلام راى رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه والذين هم عن اللغو عما لا يعنيهم من قول او فعل معرضون لما بهم من الجد ما يشغلهم عنه وهو ابلغ من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على بعدهم عنه راسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان يكون في عرض غير عرضه وكذلك قوله والذين هم للزكوة فاعلون وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلوة ليدل على انهم بلغوا الغاية في القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما توجب المروة اجتنابه والزكوة تقع على المعنى والعين والمراد الاول لان الفاعل فاعل الحدث لا المحل الذي هو موقعه او الثاني على تقدير مضاف والذين هم لفروجهم حافظون لا يبذلونها الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم زوجاتهم او سرياتهم وعلى صلة لحافظون من قولك احفظ على عنان فرسي او حال اي حفظوها في كافة الاحوال الا في التزوج او التسري او بفعل دل عليه غير ملومين وانما قال ما اجراء للمماليك مجرى غير العقلاء اذ الملك اصل شائع فيه وافراد ذلك بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون لان المباشرة اشهى الملاهي الى النفس واعظمها خطرا فانهم غير ملومين الضمير لحافظون او لمن دل عليه الاستثناء اي فان بذلوها لازواجهم وامائهم فانهم غير ملومين على ذلك فمن ابتغى وراء ذلك المستثنى فاولئك هم العادون الكاملون في العدوان والذين هم لاماناتهم وعهدهم لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق او الخلق راعون قائمون بحفظها واصلاحها وقرا ابن كثير هنا وفي المعارج لامانتهم على الافراد لامن الالباس او لانها في الاصل مصدر والذين هم على صلوتهم يحافظون يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما في الصلوة من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائي وليس ذلك تكريرا لما وصفهم به اولا فان الخشوع في الصلوة غير المحافظة عليها وفي تصدير الاوصاف وختمها بامر الصلوة تعظيم لشانها اولئك الجامعون لهذه الصفات هم الوارثون الاحقاء بان يسموا وراثا دون غيرهم الذين يرثون الفردوس بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها تفخيما لها وتاكيدا وهي مستعارة

لاستحقاقهم الفردوس من اعمالهم وان كان بمقتضى وعده مبالغة فيه وقيل
انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل
انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار هم فيها خالدون انث الضمير لانه اسم
للجنة او لطبقتها الاعلى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من خلاصة سلت
من بين الكدر من طين متعلق بمحذوف لانه صفة لسلالة او من بيانية او بمعنى
سلالة لانها في معنى مسلولة فيكون ابتدائية كالاولى والانسان آدم خلق من
صفوة سلت من الطين او الجنس فانهم خلقوا من سلالات جعلت نطفا بعد
ادوار وقيل المراد بالطين آدم لانه خلق منه والسلالة نطفته ثم جعلناه نسله
فحذف المضاف نطفة بان خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة نطفة وتذكير
الضمير على تاويل الجوهر او المسلول او الماء في قرار مكين مستقر حصين يعني الرحم
وهي في الاصل صفة للمستقر وصف به المحل للمبالغة كما عبر عنه بالقرار ثم خلقنا
النطفة علقة بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء فخلقنا العلقة مضغة
فصيرناها قطعة لحم فخلقنا المضغة عظاما بان صلبناها فكسونا العظام لحما
مما بقي من المضغة او مما انبتنا عليها مما يصل اليها واختلاف العواطف
لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها في الهيئة والصلابة وقرا ابن عامر
وابو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع وقرئ بافراد احدهما و
جمع الاخر ثم انشاناه خلقا اخر هو صورة البدن او الروح او القوى بنفخه
فيه او المجموع وثم لما بين الخلقين من التفاوت واحتج به ابو حنيفة على ان من
غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق اخر
فتبارك الله فتعالى شانه في قدرته وحكمته احسن الخالقين المقدرين تقديرا
فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه ثم انكم بعد ذلك لميتون لصائرون الى
الموت لا محالة ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت دون اسم الفاعل وقد
قرئ به ثم انكم يوم القيمة تبعثون للمحاسبة والمجازاة ولقد خلقنا فوقكم سبع
طرائق سبع سموات لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل وكل ما فوقه
مثله فهو طريقة او لانها طرق الملائكة او الكواكب فيها مسيرها وما كنا عن الخلق
عن ذلك المخلوق الذي هو السموات او عن جميع المخلوقات غافلين مهملين
امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها
من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة وانزلنا من السماء ماء بقدر
بتقدير يكثر نفعه ويقل ضرره او بمقدار ما علمنا من صلاحهم فاسكناه في الارض
فجعلناه ثابتا مستقرا وانا على ذهاب به على ازالته بالافساد او التصعيد
او التعميق بحيث يتعذر استنباطه لقادرون كما كنا قادرين على انزاله

ازاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به ولذلك جعل
ابلغ من قوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين فانشانا لكم به
بالماء جنات من نخيل واعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة تتفكهون بها
ومنها ومن الجنات ثمارها وزروعها تاكلون تغذيا او ترزقون وتحصلون
معايشكم من قولهم فلان ياكل من حرفته ويجوز ان يكون الضميران للنخيل والاعناب
اي لكم في ثمراتها انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس
وغير ذلك وطعام تاكلونه وشجرة عطف على جنات وقرئت بالرفع على الابتداء
اي ومما انشئ لكم به شجرة تخرج من طور سيناء جبل موسى بين وايلة وقيل بفلسطين
وقد يقال له طور سينين ولا يخلو من ان يكون الطور للجبل وسيناء اسم بقعة
اضيفت اليها او المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة
او التانيث على تاويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو
الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بالف
التانيث بخلاف سيناء على قراءة الكوفيين والشامي ويعقوب فانه فيعال ككيسان
او فعلاء كصحراء لا فعلال اذ ليس في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر تنبت بالدهن
اي تنبت ملتبسا بالدهن ومستصحبا له ويجوز ان يكون الباء صلة معدية لتنبت
كما في قولك ذهبت بزيد وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب في رواية تنبت
وهو اما من انبت بمعنى نبت كقول زهير رايت ذوي الحاجات عند بيوتهم قطينا
لهم حتى اذا انبت البقل او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على
البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتخرج الدهن وتنبت
بالدهان وصبغ للآكلين معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفي
الشيء على الاخر اي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه
اداما يصبغ فيه الخبز اي يغمس فيه للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ
وان لكم في الانعام لعبرة تعتبرون بحالها وتستدلون بها نسقيكم مما في بطونها
من الالبان او من العلف فان اللبن يتكون منه فمن للتبعيض او للابتداء ولكم فيها
منافع كثيرة في ظهورها واصوافها وشعورها ومنها تاكلون فتنتفعون باعيانها
وعليها وعلى الانعام فان منها ما يحمل عليه كالابل والبقر وقيل المراد الابل لانها هي
المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البر وقال ذو الرمة
سفينة بر تحت خدي زمامها فيكون الضمير فيه كالضمير في وبعولتهن احق بردهن
وعلى الفلك تحملون في البر والبحر ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا
الله الى اخر القصص مسوق لبيان كفران الناس ما عدد عليهم من النعم المتلاحقة
وما حاق بهم من زوالها ما لكم من اله غيره استئناف لتعليل الامر بالعبادة وقرا الكسائي

غيره بالجر على اللفظ افلا تتقون افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه فيهلكم ويعذبكم
برفضكم عبادته الى عبادة غيره وكفرانكم نعمه التي لا تحصونها فقال الملأ الاشراف
الذين كفروا من قومه لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ان يطلب
الفضل عليكم ويسودكم ولو شاء الله ان يرسل رسولا لانزل ملائكة رسلا
ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين يعنون نوحا اي ما سمعنا به انه نبي او ما كلمهم
من الحث على عبادة الله ونفي اله غيره او من دعوى النبوة وذلك اما من فرط
عنادهم او لانهم كانوا في فترة متطاولة ان هو الا رجل به جنة اي جنون
ولاجله يقول ذلك فتربصوا به فاحتملوه وانتظروا حتى حين لعله يفيق من جنونه
قال بعد ما ايس من ايمانهم رب انصرني باهلاكهم او بانجاز ما اوعدتهم من العذاب
بما كذبون بدل تكذيبهم اياي او بسببه فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا
بحفظنا نحفظه ان تخطئ فيه او يفسده عليك مفسد ووحينا وامرنا وتعليمنا
كيف تصنع فاذا جاء امرنا بالركوب او نزول العذاب وفار التنور روي
انه قيل لنوح اذا فار الماء من التنور اركب انت ومن معك فلما نبع الماء فيه
اخبرته امرأته فركب ومحله في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة
وقيل عين وردة من الشام وفيه وجوه اخر ذكرتها في هود فاسلك فيها
فادخل فيها يقال سلك فيه وسلك غيره قال تعالى ما سلككم في سقر من كل
زوجين اثنين من كل امتي الذكر والانثى واحدين مزدوجين وقرأ حفص من كل
بالتنوين اي من كل نوع زوجين واثنين تاكيد واهلك واهل بيتك او من
آمن معك الا من سبق عليه القول منهم اي القول من الله باهلاكه الكفرة وانما
جيء بعلى لان السابق ضار كما جيء باللام حيث كان نافعا في قوله ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى ولا تخاطبني في الذين ظلموا بالدعاء لهم بالانجاء انهم
مغرقون لا محالة لظلمهم بالاشراك والمعاصي ومن هذا شانه لا يشفع له ولا يشفع
فيه كيف وقد امره بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله فاذا استويت انت
ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين كقوله
فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل رب انزلني في
السفينة او في الارض منزلا مباركا يتسبب لمزيد الخير في الدارين وقرأ غير
ابو بكر منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال وانت خير المنزلين ثناء مطابق له حاله
امره بان يشفعه به مبالغة فيه وتوسلا به الى الاجابة وانما افرده بالامر والمعلق
به ان يستوي هو ومن معه اظهارا لفضله واشعارا بان في دعائه مندوحة عن
دعائهم فانه يحيط بهم ان في ذلك فيما فعل بنوح وقومه لآيات يستدل بها ويعتبر
اولو الابصار والاعتبار وان كنا لمبتلين لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم او

او ممتحنين عبادنا بهذه الآيات وان هي المخففة واللام هي الفارقة ثم انشأنا
من بعدهم قرنا آخرين هم عاد او ثمود فارسلنا فيهم رسولا منهم هو صالح او
هود وانما جعل القرن موقع الارسال ليدل على انه لم يأتهم من مكان غير مكانهم
وانما اوحي اليه وهو بين اظهرهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره تفسير لارسلنا
اي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله افلا تتقون عذاب الله وقال الملأ
من قومه الذين كفروا وكذبوا لعله ذكر بالواو لان كلامهم لم يتصل بكلام الرسول
بخلاف كلام قوم نوح وحيث استؤنف به فعلى تقدير سؤال بلقاء الآخرة بلقاء
ما فيها من الثواب والعقاب او بمعادهم الى الحياة الثانية بالبعث واترفناهم ونعمناهم
في الحياة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد ما هذا الا بشر مثلكم في الصفة والحال
يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثاني
منصوب محذوف او مجرور حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم
بشرا مثلكم فيما يأمركم انكم اذا لخاسرون حيث اذللتم انفسكم واذا جزاء للشرط
وجواب للذين قاولوهم من قومهم ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما
مجردة عن اللحوم والاعصاب انكم مخرجون من الاجداث او من العدم تارة اخرى
الى الوجود وانكم تكرير للاول اكد به لما طال الفصل بينه وبين خبره او انكم مخرجون
مبتدأ خبره الظرف المقدم او فاعل للفعل المقدر جوابا للشرط والجملة خبر
الاول اي انكم اخراجكم اذا متم او انكم اذا متم وقع اخراجكم ويجوز ان يكون
خبر الاول محذوفا لدلالة خبر الثاني عليه لا ان يكون الظرف لان اسمه جثة هيهات هيهات
بعد التصديق او الصحة لما توعدون او بعد ما توعدون واللام للبيان كما في
هيت لك كانهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فما له هذا الاستبعاد قالوا
لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ
بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل
وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وبابدال التاء هاء ان هي الا حياتنا
الدنيا اصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا فاقيم المضمر مقام الاولى لدلالة الثانية
عليها حذرا عن التكرير واشعارا بان تعينها مغن عن التصريح بها كقوله هي النفس
ما حملتها تتحمل ومعناه لا حياة الا هذه الحياة لان ان نافية دخلت على هي التي
في معنى الحياة الدالة على الجنس فكانت مثل لا التي تنفي ما بعدها نفي الجنس
نموت ونحيا يموت بعضنا ويولد بعضنا وما نحن بمبعوثين بعد الموت
ان هو الا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من ارساله له وفيما يعدنا
من البعث وما نحن له بمؤمنين بمصدقين قال رب انصرني عليهم وانتقم لي
منهم بما كذبون بسبب تكذيبهم اياي قال عما قليل عن زمان قليل وما صلة

لتوكيد معنى القلة او نكرة موصوفة ليصبحن نادمين على التكذيب اذا عاينوا
العذاب فاخذتهم الصيحة صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها
قلوبهم فماتوا واستدل به على ان القرن قوم صالح بالحق بالوجه الثابت الذي
لا دافع له او بالعدل من الله كقولك فلان يقضي بالحق او بالوعد الصدق
فجعلناهم غثاء شبههم في دمارهم بغثاء السيل وهو حميله كقول العرب سال به
الوادي لمن هلك فبعدا للقوم الظالمين يحتمل الاخبار والدعاء وبعدا مصدر
بعد اذا هلك وهو المصادر التي تنصب بافعال لا يستعمل اظهارها واللام لبيان
من دعي عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل ثم انشأنا من بعدهم
قرونا آخرين يعني قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ما تسبق من امة اجلها
الوقت الذي حد لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق وما يستأخرون الاجل
ثم ارسلنا رسلنا تترى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء
بدل من الواو كتولج ويتقور والالف للتأنيث لان الرسل جماعة وقرأ ابو بكر
وابو عمرو وابن كثير بالتنوين على انه مصدر بمعنى المتواترة وقع حالا كلما جاء
امة رسولها كذبوه اضاف الرسول مع الارسال الى المرسل ومع المجيء الى
المرسل اليهم لان الارسال الذي هو مبدأ الامر منه والمجيء الذي هو منتهاه اليهم
فاتبعنا بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم احاديث لم يبق منهم الا حكايات
يسمر بها وهو اسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهي ما يتحدث به تلهيا فبعدا لقوم
لا يؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هرون بآياتنا بالآيات التسع وسلطان
مبين وحجة واضحة ملزمة للخصم ويجوز ان تراد به العصا وافرادها لانها اولى المعجزات
وامها تعلقت بها معجزات شتى كانقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة و
انفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وحراستها ومصيرها شمعة وشجرة
خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وان يراد به المعجزات وبالآيات الحجج وان يراد
بهما المعجزات فانها آيات للنبوة وحجة بينة على ما يدعيه النبي الى فرعون
وملائه فاستكبروا عن الايمان والمتابعة وكانوا قوما عالين متكبرين
فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا ثنى البشر لانه يطلق للواحد كقوله بشرا سويا
كما يطلق للجمع كقوله فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل لانه في حكم المصدر
وهذه القصص كما ترى تشهد بان قصارى شبه المنكرين للنبوة قياس حال
الانبياء على احوالهم لما بينهم من المماثلة في الحقيقة وفساده يظهر للمستبصر بادنى
تأمل فان النفوس البشرية وان تشاركت في اصل القوى والادراك لكنها متباينة
الاقدام فيهما وكما ترى في جانب النقصان اغبياء لا يعود عليهم بفكرة التفكير
يمكن ان يكون في طرف الزيادة اغنياء عن التفكر والتعلم في اكثر الاشياء

الاشياء واغلب الاحوال فيدركون ما لا يدرك غيرهم ويعلمون ما لا ينتهي اليه علمهم واليه
اشار بقوله قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد وقومهما يعني بني
اسرائيل لنا عابدون خادمون منقادون كالعباد فكذبوهما فكانوا من
المهلكين بالغرق في بحر قلزم ولقد آتينا موسى الكتاب التورية لعلهم لعل
بني اسرائيل ولا يجوز عود الضمير الى فرعون وقومه لان التورية نزلت بعد
اغراقهم يهتدون الى المعارف والاحكام وجعلنا ابن مريم وامه آية بولادتها
اياه من غير مسيس فالآية امر واحد مضاف اليهما او جعلنا ابن مريم آية بان تكلم
في المهد وظهر منه معجزات اخر وامه آية بان ولدت من غير مسيس فحذفت
الاولى لدلالة الثانية عليها وآويناهما الى ربوة ارض بيت المقدس فانها مرتفعة
او دمشق او رملة فلسطين او مصر فان قراها على الربا وقرأ ابن عامر وعاصم
بفتح الراء وقرئ رباوة بالضم والكسر ذات قرار مستقر من ارض منبسطة
وقيل ذات ثمار وزروع فان ساكنيها يستقرون فيها لاجلها ومعين وماء معين
ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد في الشيء او من الماعون
وهو المنفعة لانه نفاع او مفعول من عانه اذا ادركه بعينه لانه لظهوره مدرك
بالعيون وصف ماءها بذلك لانه الجامع لاسباب التنزه وطيب المكان
يا ايها الرسل كلوا من الطيبات نداء وخطاب لجميع الانبياء لا على انهم خوطبوا
بذلك دفعة لانهم ارسلوا في ازمنة مختلفة بل على معنى ان كلا منهم خوطب به في
زمانه فيدخل تحته عيسى دخولا اوليا ويكون ابتداء كلام ذكر تنبيها على ان تهيئة
اسباب التنعم لم يكن له خاصة وان اباحة الطيبات للانبياء شرع قديم واحتجاجا
على الرهبانية في رفض الطيبات او حكاية لما ذكر لعيسى وامه عند ايوائهما الى
الربوة ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقا وقيل النداء له ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات
ما يستلذ به من المباحات وقيل الحلال الصافي القوام فالحلال ما لا يعصى الله فيه والصافي
ما لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل واعملوا صالحا فانه المقصود
والنافع عند ربكم اني بما تعملون عليم فاجازيكم عليه وان هذه اي ولان هذه والمعلل
فاتقون او واعلموا ان هذه وقيل انه معطوف على ما تعملون وقرأ ابن عامر
بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستئناف امتكم امة واحدة ملتكم ملة واحدة
اي متحدة في الاعتقاد واصول الشرائع او جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان
والتوحيد في العبادة ونصب امة على الحال وانا ربكم فاتقون في شق العصا و
مخالفة الكلمة فتقطعوا امرهم بينهم فتقطعوا امر دينهم وجعلوه اديانا مختلفة او
فتفرقوا وتحزبوا وامرهم منصوب بنزع الخافض او التمييز والضمير لما دل عليه الامة
زبرا قطعا جمع زبور الذي بمعنى الفرقة ويؤيده القراءة بفتح الباء

فانه جمع زبرة وهو حال من امرهم او من الواو ومفعول ثان لتقطعوا فانه يتضمن
معنى جعل وقيل كتبا من زبرت الكتاب فيكون مفعولا ثانيا او حالا من امرهم
على تقدير مثل كتب وقرئ بتخفيف الباء ككرسل في رسل كل حزب من المتحزبين
بما لديهم من الدين فرحون معجبون معتقدون انهم على الحق فذرهم في غمرتهم
في جهالتهم شبهها بالماء الذي يغمر القامة لانهم مغمورون فيها او لاعبون بها
وقرئ في غمراتهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا ايحسبون انما نمدهم به
انما نعطيهم ونجعله مددا لهم من مال وبنين بيان لما وليس خبرا له فانه غير معاب
عليه وانما المعاب عليه اعتقادهم ان ذلك خير لهم فخبره نسارع لهم في الخيرات
والراجع محذوف والمعنى ايحسبون ان الذي نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه
خيرهم واكرامهم بل لا يشعرون بل هم كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتاملوا
فيه فيعلموا ان ذلك الامداد استدراج لا مسارعة في الخير وقرئ يمدهم على
الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممد به ويسارع مبنيا
للمفعول ان الذين هم من خشية ربهم من خوف عذابه مشفقون حذرون و
الذين هم بآيات ربهم المنصوبة والمنزلة يؤمنون بتصديق مدلولها والذين هم
بربهم لا يشركون شركا جليا ولا خفيا والذين يؤتون ما آتوا يعطون ما اعطوه
من الصدقات وقرئ يأتون ما أتوا اي يفعلون ما فعلوا من الطاعات و
قلوبهم وجلة خائفة ان لا يقبل منهم وان لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذ به انهم الى
ربهم راجعون لان مرجعهم اليه او من ان مرجعهم اليه وهو يعلم ما يخفى عليهم
اولئك يسارعون في الخيرات يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيباد
رونها او يسارعون في نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الاعمال بالمبادرة
اليها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا فيكون اثباتا لهم ما نفي عن اضدادهم وهم لها
سابقون لاجلها فاعلون السبق او سابقون الناس الى الطاعة او الثواب
او الجنة او سابقونها اي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا كقوله
هم لها عاملون ولا نكلف نفسا الا وسعها قدر طاقتها يريد به التحريض على ما وصف
به الصالحون وتسهيله على النفوس ولدينا كتاب يعني اللوح او صحيفة الاعمال ينطق
بالحق بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف الواقع وهم لا يظلمون بزيادة عقاب او
نقصان ثواب بل قلوبهم قلوب الكفرة في غمرة في غفلة غامرة لها من هذا من الذي
وصف به هؤلاء او من كتاب الحفظة ولهم اعمال خبيثة من دون ذلك متجاوزة
لما وصفوا به او متخطية عما هم عليه من الشرك هم لها عاملون معتادون فعلها
حتى اذا اخذنا مترفيهم متنعميهم بالعذاب يعني القتل يوم بدر او الجوع حين
دعا عليهم الرسول فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني

كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحترقة اذا هم
يجأرون فاجأوا الصراخ بالاستغاثة وهو جواب الشرط والجملة مبتدأة بعد
حتى ويجوز ان يكون الجواب لا تجأروا اليوم فانه مقدر بالقول اي قيل لهم لا تجأروا
انكم منا لا تنصرون تعليل للنهي اي لا تجأروا فانه لا ينفعكم اذ لا تمنعون منا
او لا يلحقكم نصر ومعونة من جهتنا قد كانت آياتي تتلى عليكم يعني القرآن فكنتم
على اعقابكم تنكصون تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها
والنكوص الرجوع قهقرى مستكبرين به الضمير للبيت وشهرة استكبارهم
وافتخارهم بانهم قوامه اغنت عن سبق ذكره او لآياتي فانها بمعنى كتابي والباء
متعلقة بمستكبرين لانه بمعنى مكذبين او لان استكبارهم على المسلمين حدث
بسبب استماعه او بقوله سامرا اي تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه وهو في الاصل
مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعافية وقرئ سمرا جمع سامر تهجرون من الهجر
بالفتح اما بمعنى القطيعة او الهذيان اي تعرضون عن القرآن او تهذون في شأنه
او الهجر بالضم الفحش ويؤيد الثاني قراءة نافع تهجرون من اهجر وقرئ تهجرون
على المبالغة افلم يدبروا القول اي القرآن ليعلموا انه الحق من ربهم باعجاز لفظه
ووضوح مدلوله ام جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين من الرسول والكتاب
او من الامن من عذاب الله فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الاقدمون كاسمعيل
واعقابه فآمنوا بالله وكتبه ورسله واطاعوه ام لم يعرفوا رسولهم بالامانة والصدق
وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو صفة الانبياء فهم له منكرون
دعواه لاحد هذه الوجوه اذ لا وجه له غيرها فان انكار الشيء قطعا او ظنا انما يتجه
اذا ظهر امتناعه بحسب النوع او الشخص او بحث عما يدل عليه اقصى ما يمكن فلم يوجد
ام يقولون به جنة فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون انه ارجحهم عقلا واتقنهم
نظرا بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون لانه يخالف شهواتهم واهواءهم
فلذلك انكروه وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا من
توبيخ قومه او لقلة فطنته وعدم فكرته لا كراهة للحق ولو اتبع الحق اهواءهم بان
كان في الواقع آلهة شتى لفسدت السموات والارض ومن فيهن كما سبق
تقريره في قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لو اتبع الحق اهواءهم وانقلب
باطلا لذهب ما قام به العالم فلا يبقى او لو اتبع الحق الذي جاء به محمد اهواءهم وانقلب
شركا لجاء الله بالقيامة واهلك العالم من فرط غضبه او لو اتبع الله اهواءهم بان انزل
ما يشتهونه من الشرك والمعاصي لخرج عن الالوهية ولم يقدر ان يمسك السموات
والارض وهو على اصل المعتزلة بل اتيناهم بذكرهم بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم
او صيتهم او الذكر الذي تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين وقرئ بذكراهم

فهم عن ذكرهم معرضون لا يلتفتون اليه ام تسألهم قيل انه قسيم قوله ام به جنة
خرجا اجرا على اداء الرسالة فخراج ربك رزقه في الدنيا او ثوابه في العقبى خير
لسعته ودوامه ففيه منع وحث لك عن عطائهم والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما
تخرجه الى غيرك والخراج غالب في الضريبة على الارض ففيه اشعار بالكثرة واللزوم
فيكون ابلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله اياه وقرا ابن عامر خرجا فخرج وحمزة
والكسائي خراجا فخراج للمزاوجة وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه وانك
لتدعوهم الى صراط مستقيم تشهد العقول السليمة على استقامته لا عوج فيه يوجب
اتهامهم له واعلم انه سبحانه الزمهم الحجة وازاح العلل في الايات بان حصر اقسام ما يؤدي
الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهة الحق وقلة الفطنة وان الذين
لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط عن الصراط السوي لناكبون لعادلون عنه فان
خوف الاخرة اقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه ولو رحمناهم وكشفنا
ما بهم من ضر يعني القحط للجوا لثبتوا واللجاج التمادي في الشيء في طغيانهم افراطهم في الكفر
والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين يعمهون عن الهدى روي انهم قحطوا
حتى اكلوا العلهز فجاء ابو سفيان الى رسول الله فقال انشدك الله والرحم الست
تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقتلت الاباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت
ولقد اخذناهم بالعذاب يعني القتل يوم بدر فما استكانوا لربهم بل اقاموا على عتوهم
واستكبارهم والاستكانة استفعل من الكون لان المفتقر انتقل من كون الى كون او
افتعل من السكون اشبعت فتحته وما يتضرعون وليس من عادتهم التضرع وهو
استشهاد على ما قبله حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد يعني الجوع فانه اشد
من القتل والاسر اذا هم فيه مبلسون متحيرون ايسون من كل خير حتى جاءك اعتاهم
يستعطفك وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار لتحسوا بها ما نصب من الايات
والافئدة لتتفكروا فيها وتستدلوا بها الى غير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية
قليلا ما تشكرون تشكرونها شكرا قليلا لان العمدة في شكرها استعمالها فيما خلقت
لاجله والاذعان لمانحها من غير اشراك وما صلة للتاكيد وهو الذي ذراكم في الارض
خلقكم وبثكم فيها بالتناسل واليه تحشرون تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم وهو الذي يحيي
ويميت وله اختلاف الليل والنهار ومختص به تعاقبهما لا يقدر عليه غيره فيكون ردا
لنسبته الى الشمس حقيقة او مجازا او لامره وقضائه تعاقبهما او انتقاص احدهما و
ازدياد الاخر افلا تعقلون بالنظر والتامل ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات كلها
وان البعث من جملتها وقرئ بالياء على ان الخطاب السابق لتغليب المؤمنين بل قالوا
اي كفار مكة مثل ما قال الاولون اباؤهم ومن دان بدينهم قالوا ااذا متنا وكنا
ترابا وعظاما ءانا لمبعوثون استبعاد ولم يتاملوا انهم كانوا قبل ذلك ترابا

ترابا فخلقوا لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين
الا اكاذيبهم التي كتبوها جمع اسطورة لانه يستعمل فيما يتلهى به كالاعاجيب والاضاحيك
وقيل جمع اسطار جمع سطر قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ان كنتم
من اهل العلم او من العالمين بذلك فيكون استهانة بهم وتقريرا لفرط جهالتهم
حتى جهلوا مثل هذا الجلي الواضح والزاما بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم انكاره
ولذلك اخبر عن جوابهم قبل ان يجيبوا فقال سيقولون لله لان العقل الصريح قد
اضطرهم بادي نظر الى الاقرار بانه خالقها قل اي بعد ما قالوه افلا تذكرون
فتعلمون ان من فطر الارض ومن فيها ابتداء قدر على ايجادها ثانيا فان بدء الخلق
ليس اهون من اعادته وقرئ وقرئ تتذكرون على الاصل قل من رب السموات
السبع ورب العرش العظيم فانها اعظم من ذلك سيقولون لله قرا ابو عمرو ويعقوب
بغير لام فيه وفيما بعده على ما يقتضيه لفظ السؤال قل افلا تتقون عقابه فلا
تشركوا به بعض مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته قل من بيده
ملكوت كل شيء ملكه غاية ما يمكن وقيل خزائنه وهو يجير يغيث من يشاء ويحرسه
ولا يجار عليه ولا يغاث احد ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة ان
كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون فمن اين تخدعون فتصرفون
عن الرشد مع ظهور الامر وتظاهر الادلة بل اتيناهم بالحق من التوحيد والوعد
بالنشور وانهم لكاذبون حيث انكروا ذلك ما اتخذ الله من ولد لتقدسه عن
مماثلة احد وما كان معه من اله يساهمه في الالوهية اذا لذهب كل اله بما خلق
ولعلا بعضهم على بعض جواب محاجتهم وجزاء شرط حذف لدلالة ما قبله عليه
اي لو كان معه الهة كما يقولون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به
وامتاز ملكه عن ملك الاخرين ووقع بينهم التحارب والتغالب كما هو حال
ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء واللازم باطل بالاجماع والاستقراء
وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب واحد سبحان الله عما يصفون
من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساده عالم الغيب والشهادة خبر مبتدا
محذوف وقد جره ابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص على الصفة
وهو دليل اخر على نفي الشريك بناء على توافقهم في انه المتفرد بذلك ولهذا
رتب عليه فتعالى عما يشركون بالفاء قل رب اما تريني ان كان لا بد من ان تريني
لان ما والنون للتاكيد ما يوعدون من العذاب في الدنيا والاخرة رب
فلا تجعلني في القوم الظالمين قرينا لهم في العذاب وهو اما لهضم النفس او لان شؤم
الظلمة قد يحيق بمن وراءهم كقوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
عن الحسن انه تعالى اخبر نبيه ان له في امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا

الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل واحد من الشرط والجزاء به فضل تضرع وجؤار
وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون لكنا نؤخره علما بان بعضهم او بعض
اعقابهم يؤمنون او لانا لا نعذبهم وانت فيهم ولعله رد لانكارهم الموعود
واستعجالهم له استهزاء به وقيل قد اراه وهو قتل بدر او فتح مكة ادفع بالتي هي
احسن السيئة وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن بحيث لم يؤد الى وهن
في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف
والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل
نحن اعلم بما يصفون اى بما يصفونك به او بوصفهم اياك على خلاف حالك
واقدر على جزائهم فكل الينا امرهم وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين
وساوسهم واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم الناس على المعاصي
بهمز الراضة الدواب على المشي والجمع للمرات او لتنوع الوساوس او لتعدد
المضاف اليه واعوذ بك رب ان يحضرون ويحوموا حولي في شيء من الاحوال
وتخصيص حال الصلوة وقراءة القرآن وحلول الاجل لانها احرى الاحوال بان يخاف
عليه حتى اذا جاء احدهم الموت متعلق بيصفون وما بينهما اعتراض لتاكيد
الاغضاء بالاستعاذة بالله عن الشيطان ان يزله عن الحلم ويغريه على الانتقام
او بقوله انهم لكاذبون قال تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة لما اطلع
على الامر رب ارجعون ردوني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله
ارجعني كما قيل في قفا واطرقا لعلي اعمل صالحا فيما تركت في الايمان الذي تركته
اى لعلي آتي بالايمان واعمل فيه وقيل في المال او في الدنيا وعنه اذا عاين المؤمن الملائكة
قالوا انرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله تعالى
واما الكافر فيقول رب ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها انها
كلمة يعني قوله رب ارجعون الى اخره والكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها
مع بعض هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة عليه ومن ورائهم امامهم والضمير للجماعة
برزخ حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم يبعثون يوم القيمة وهو اقناط كلي عن الرجوع
الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حيوة تكون
في الاخرة فاذا نفخ في الصور لقيام الساعة والقراءة بفتح الواو وبه وبكسر الصاد
يؤيد ان الصور ايضا جمع الصورة فلا انساب بينهم تنفعهم لزوال التعاطف
والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه
وصاحبته وبنيه او يفتخرون بها يومئذ كما يفعلون اليوم ولا يتساءلون ولا يسأل
بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لا يناقض قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون
لانه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة او دخول اهل الجنة الجنة والنار النار فمن

ثقلت موازينه موزونات عقايده واعماله اى ومن كانت له عقايد واعمال
صالحة يكون لها وزن عند الله وقدر فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة و
الدرجات ومن خفت موازينه ومن لم يكن له ما يكون له وزن وهم الكفار لقوله فلا نقيم
لهم يوم القيمة وزنا فاولئك الذين خسروا انفسهم غبنوها حيث ضيعوا زمان
استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها في جهنم خالدون بدل من الصلة او خبر ثان
لاولئك تلفح وجوههم النار تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تاثيرا وهم فيها
كالحون من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون
الم تكن اياتي تتلى عليكم على اضمار القول اى يقال لهم الم تكن فكنتم بها تكذبون تانيب
وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب لاجله قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ملكتنا بحيث
صارت مجامع احوالنا مؤدية الى سوء العاقبة وقرأ حمزة والكسائي شقاوة وهما
بالفتح كالسعادة وقرئ بالكسر كالكتابة وكنا قوما ضالين عن الحق ربنا اخرجنا
منها من النار فان عدنا الى التكذيب فانا ظالمون لانفسنا قال اخسئوا فيها اسكتوا
سكوت هوان فانها ليست مقام سؤال من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ
ولا تكلمون في رفع العذاب او لا تكلمون راسا قيل ان اهل النار يقولون الف سنة
ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فيقولون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون
ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم فيقولون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون
انكم ماكثون فيقولون الفا ربنا اخرنا فيجابون اولم تكونوا اقسمتم من قبل فيقولون
الفا ربنا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فيقولون الفا رب ارجعون
فيجابون اخسئوا فيها ثم لا يكون لهم فيها الا زفير وشهيق وعواء انه ان الشان وقرئ
بالفتح اى لانه كان فريق من عبادي يعني المؤمنين وقيل الصحابة وقيل اهل الصفة
يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا
هزؤا وقرأ نافع وحمزة والكسائي هنا وفي ص بالضم وهما مصدر سخر زيدت
فيهما ياء النسب للمبالغة وعند الكوفيين المكسور بمعنى الهزء والمضموم بمعنى السخرة
بمعنى الانقياد والعبودية حتى انسوكم ذكري من فرط تشاغلكم بالاستهزاء بهم
فلم تخافوني في اوليائي وكنتم منهم تضحكون استهزاء بهم اني جزيتهم اليوم بما
صبروا على اذاكم انهم هم الفائزون فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وهو
ثاني مفعولي جزيتهم وقرأ حمزة وابن كثير والكسائي بالكسر استينافا قال اى الله
او الملك المامور بسؤالهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي على الامر للملك او لبعض
رؤساء اهل النار كم لبثتم في الارض احياء او امواتا في القبور عدد سنين تمييز لكم
قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصارا لمدة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم في النار
او لانها منقضية والمنقضي في حكم المعدوم فاسأل العادين الذين يتمكنون من عد

اياماً ان اردت تحقيقها فانا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها و
احصائها او الملائكة الذين يعدون اعمار الناس ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف
اى الظلمة فانهم يقولون ما نقول والعاديين اى القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون
قال و في قراءة حمزة والكسائى قل ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون تصديق لهم
فى مقالهم افحسبتم انما خلقناكم عبثا توبيخ على تغافلهم وعبثا حال بمعنى عابثين او
مفعول له اى لم نخلقكم تلهيا وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل
على البعث وانكم الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم او عبثا وقرأ حمزة والكسائى
ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم فتعالى الله الملك الحق الذى يحق له الملك مطلقا
فان من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه وفى حال دون
حال لا اله الا هو فان ما عداه عبيده رب العرش الكريم الذى يحيط بالاجرام و
ينزل منه محكمات الاقضية والاحكام ولذلك وصفه بالكرم او لنسبته الى اكرم
الاكرمين وقرئ بالرفع على انه صفة الرب ومن يدع مع الله الها آخر يعبده
افرادا او اشراكا لا برهان له به صفة اخرى لالٰه لازمة له فان الباطل لا برهان به
جئ بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا
عما دل الدليل على خلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء لذلك فانما حسابه عند ربه
فهو مجازله مقدار ما يستحقه انه لا يفلح الكافرون ان الشأن وقرئ بالفتح على التعليل
او الخبر اى حسابه عدم الفلاح بدأ السورة بتقرير فلاح المؤمنين وختمها بنفى الفلاح
عن الكافرين ثم امر رسوله بان يستغفره ويسترحمه فقال وقل رب اغفر وارحم
وانت خير الراحمين عن النبى عم من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح و
الريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وعنه انه قال لقد انزلت على
عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر وروى
ان اولها وآخرها من كنوز الجنة من عمل بثلث آيات من اولها واتعظ باربع من آخرها فقد نجا

سورة النور مدنية وهى ثلث او اربع وستون آية بسم الله الرحمن الرحيم

سورة اى هذه سورة او فيما اوحينا اليك سورة انزلناها صفتها ومن نصبها
جعله مفسرا لناصبها فلا يكون له محل الا اذا قدر اتل او دونك ونحوه وفرضناها
وفرضنا ما فيها من الاحكام وشدده ابن كثير وابو عمرو لكثرة فرائضها او المفروض
عليهم او للمبالغة فى ايجابها وانزلنا فيها آيات بينات واضحات الدليل لعلكم
تذكرون فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال الزانية والزانى اى فيما فرضنا
وانزلنا حكمهما وهو الجلد ويجوز ان يرفعا بالابتداء والخبر فاجلدوا كل واحد منهما
مائة جلدة والفاء لتضمنهما معنى الشرط اذ اللام بمعنى الذى وقرئا بالنصب على
اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من نصب سورة للامر والزان بلا ياء وانما قدم

الزانية لان الزنا فى الاغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولان
مفسدته تتحقق بالاضافة اليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص بمن ليس بمحصن لما دل
على ان حد المحصن هو الرجم وزاد الشافعى عليه تغريب الحر سنة لقوله عليه السلام
البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وليس فى الآية ما يدفعه لينسخ احدهما بالآخر نسخا
مقبولا او مردودا وله فى العبد ثلثة اقوال والاحصان بالحرية والبلوغ والعقل
والاصابة فى نكاح صحيح واعتبرت الحنفية الاسلام ايضا وهو مردود لرجمه عليه
السلام يهوديين ولا يعارضه من اشرك بالله فليس بمحصن اذ المراد المحصن الذى
يقتص له من المسلم ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله فى طاعته واقامة حده فتعطلوه
او تسامحوا فيه ولذلك قال عليه السلام لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت
يدها وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمد على فعالة ان كنتم تؤمنون بالله
واليوم الآخر فان الايمان يقتضى الجد فى طاعة الله والاجتهاد فى اقامة احكامه
وهو من باب التهييج وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين زيادة فى التنكيل فان
التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول
كل شئ من الطوف واقلها ثلثة وقيل واحد واثنان والمراد جمع يحصل به
التشهير الزانى لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك
اذ الغالب ان المائل الى الزنا لا يرغب فى نكاح الصوالح والمسافحة لا يرغب فيها
الصلحاء فان المشاكلة علة الالفة والتضام والمخالفة سبب النفرة والافتراق وكان
حق المقابلة ان يقال والزانية لا تنكح الا من زان او مشرك لكن المراد بيان احوال
الرجال فى الرغبة فيهن لان الآية نزلت فى ضعفة المهاجرين لما هموا ان يتزوجوا
بغايا يكرين انفسهن لينفقن عليهم من اكسابهن على عادة الجاهلية ولذلك قدم الزانى
وحرم ذلك على المؤمنين لانه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء
المقالة والطعن فى النسب وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم
مبالغة وقيل النفى بمعنى النهى وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها اى لا تحمل على التنزيه
بل على حقيقة الحرمة والحكم مخصوص بالسبب الذى ورد فيه او منسوخ بقوله
وانكحوا الايامى منكم فانه يتناول المسافحات ويؤيده انه عليه السلام سئل عن ذلك
فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطئ فيؤول
الى النهى الزانى عن الزنا الا بزانية والزانية ان يزنى بها الا زان وهو فاسد والذين
يرمون المحصنات يقذفونهن بالزنا لوصف المقذوفات بالاحصان وذكرهن
عقيب الزوانى واعتبار اربعة شهداء بقوله ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم
ثمانين جلدة والقذف بغيره مثل يا فاسق ويا شارب الخمر يوجب التعزير
كقذف غير المحصن والاحصان ههنا بالحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة

عن الزنا ولا فرق فيه بين الذكر والانثى وتخصيص المحصنات الواقعة او لان قذف
النساء اغلب واشنع ولا يشترط اجتماع الشهود عند الاداء ولا يعتبر شهادة زوج المقذوفة
خلافا لابي حنيفة وليكن ضربه اخف من ضرب الزنا لضعف سببه واحتماله ولذلك
نقص عدده ولا تقبلوا لهم شهادة اى شهادة كانت لانه مفتر وقيل شهادتهم
في القذف ولا يتوقف ذلك على استيفاء الجلد خلافا لابي حنيفة فان الامر بالجلد
والنهي عن القبول سيان في وقوعهما جوابا للشرط ولا ترتيب بينهما فيترتبان عليه دفعة
كيف وحاله قبل الجلد اسوأ مما بعده ابدا ما لم يتب وعند ابي حنيفة الى اخر عمره
واولئك هم الفاسقون المحكوم بفسقهم الا الذين تابوا عن القذف من بعد ذلك
واصلحوا اعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحد والاستحلال عن المقذوف و
الاستثناء راجع الى اصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذه الامور ولا يلزمه سقوط
الحد به كما قيل لان من تمام التوبة الاستسلام له او الاستحلال ومحل المستثنى النصب
على الاستثناء وقيل الى النهي ومحله الجر على البدل من هم في لهم وقيل الى الاخيرة ومحله
النصب لانه عن موجب وقيل منقطع متصل بما بعده فان الله غفور رحيم علة للاستثناء
والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم نزلت في هلال ابن امية
راى رجلا على فراشه وانفسهم بدل من شهداء او صفة لهم على ان الا بمعنى غير فشهادة
احدهم اربع شهادات فالواجب شهادة احدهم واربع نصب على المصدر وقد
رفعه حمزة والكسائي وحفص على انه خبر شهادة بالله متعلق بشهادات لانه اقرب
وقيل بشهادة لتقدمها انه لمن الصادقين اى فيما رماها به من الزنا واصله على
انه فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنه باللام تاكيدا والخامسة والشهادة
الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين في الرمي وقرا نافع ويعقوب
بالتخفيف في الموضعين هذا لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه وحصول الفرقة
بينهما بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله عم المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وبتفريق الحاكم
فرقة طلاق عند ابي حنيفة ونفي الولد ان تعرض له فيه وثبوت حد الزنا على المراة
لقوله ويدرؤا عنها العذاب اى الحد ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن
الكاذبين فيما رماني به والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين
في ذلك ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدها الخبر او بالعطف على ان تشهد ونصبها
حفص عطفا على اربع وقرا نافع ويعقوب ان لعنة الله وان غضب الله بتخفيف
النون فيهما ورفع التاء والباء وقرا نافع ايضا ان غضب بكسر الضاد وغضب
ورفع الهاء من اسم الله والباقون بتشديد النون ونصب التاء وفتح الضاد
وجر الهاء ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم متروك الجواب
للتعظيم اى لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة ان الذين جاؤا بالافك بابلغ ما يكون

ما يكون من الكذب من الافك وهو الصرف لانه قول مافوك عن وجهه والمراد
ما افك به على عائشة وذلك انه عليه السلام استصحبها في بعض الغزوات فاذن
ليلة في القفول بالرحيل فمشت لقضاء الحاجة ثم عادت الى الرحل فلمست صدرها
فاذا عقد من جزع ظفار قد انقطع فرجعت لتلتمسه فظن الذي كان يرحلها انها
دخلت الهودج فرحله على مطيتها وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد ثمة احدا
فجلست كي يرجع اليها منشد وكان صفوان بن المعطل السلمي قد عرس وراء الجيش
فادلج فاصبح عند منزلها فعرفها فاناخ راحلته فركبتها فقادها حتى اتيا الجيش
فاتهمت به عصبة منكم جماعة منكم وهي من العشرة الى الاربعين وكذلك
العصابة يريد عبد الله ابن ابي وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن
اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وهي خبر ان وقوله لا تحسبوه شرا لكم
مستانف والخطاب للرسول وابي بكر وعائشة وصفوان والهاء للافك
بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله بانزال ثماني عشرة
اية في براءتكم وتعظيم شانكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم
خيرا لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه
مختصا به والذي تولى كبره معظمه وقرا يعقوب بالضم وهو لغة فيه منهم من الخائضين
وهو ابن ابي فانه بدا به واذاعه عداوة لرسول الله او هو وحسان ومسطح
فانهم شايعوه بالتصريح به والذي بمعنى الذين له عذاب عظيم في الاخرة او في الدنيا
بان جلدوا وصار ابن ابي مطرودا مشهورا بالنفاق وحسان اعمى اشل اليدين
ومسطح مكفوف البصر لولا هلا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم
خيرا بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا انفسكم وانما عدل
فيه من الخطاب الى الغيبة مبالغة في التوبيخ واشعارا بان الايمان يقتضي ظن الخير
بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن انفسهم
وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف لانه منزل منزلته من حيث انه لا ينفك
عنه ولذلك يتسع فيه ما لا يتسع في غيره وذلك لان ذكر الظرف اهم فان التخصيص
على ان لا يخلو باوله وقالوا هذا افك مبين كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة
الحال لولا جاؤا عليه باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله
هم الكاذبون من جملة المقول تقريرا لكونه كذبا فان ما لا حجة عليه مكذب عند الله
اى في حكمه ولذلك رتب الحد عليه ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة
لولا هذه لامتناع الشيء لوجود غيره والمعنى لولا فضل الله عليكم في الدنيا بانواع
النعم التي من جملتها الامهال للتوبة ورحمته في الاخرة بالعفو والمغفرة المقدران لكم
لمسكم عاجلا فيما افضتم فيه خضتم فيه عذاب عظيم يستحقر دونه اللوم والجلد

ظرف لمسكم او افضتم اذ تلقونه بالسنتكم والمعنى باخذه بعضكم من بعض بالسوال
عنه يقال تلقى القول وتلقفه وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه
اذا لقفه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القائه بعضهم على بعض
وتلقونه وتألقونه من الولق والالق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته
فوجدته وتقفونه اي تتبعونه وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم اي وتقولون
كلاما مختصا بالافواه بلا مساعدة من القلوب لانه ليس تعبيرا عن علم به في
قلوبكم كقوله ويقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة
له وهو عند الله عظيم في الوزر واستجرار العذاب فهذه ثلثة اثام مرتبة علق بها
مس العذاب العظيم تلقي الافك بالسنتهم والتحدث به من غير تحقيق واستصغارهم
لذلك وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ما ينبغي وما
يصح لنا ان نتكلم بهذا يجوز ان يكون الاشارة الى القول المخصوص وان يكون
الى نوعه فان قذف آحاد الناس محرم شرعا فضلا عن تعرض الصديقة
ابنة الصديق حرمة رسول الله عم سبحانك تعجب ممن يقول ذلك
واصله ان يذكر عند كل متعجب تنزيها لله تعالى من ان يصعب عليه مثله ثم كثر
فاستعمل لكل متعجب منه او تنزيه لله تعالى عن ان يكون حرم نبيه فاجرة فان
فجورها ينفر عنه ويخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا
لقوله بهتان عظيم لعظمة المبهوت عليه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار
متعلقاتها يعظكم الله ان تعودوا لمثله كراهة ان تعودوا او في ان تعودوا
ابدا ما دمتم احياء مكلفين ان كنتم مؤمنين فان الايمان يمنع عنه وفيه
تهييج وتقريع ويبين الله لكم الآيات الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب
كي تتعظوا وتتأدبوا والله عليم بالاحوال كلها حكيم في تدابيره ولا يجوز الكشخنة
على نبيه ولا يقرره عليها ان الذين يحبون يريدون ان تشيع ان تنتشر الفاحشة
في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة بالحد والسعير الى غير ذلك
والله يعلم ما في الضمائر وانتم لا تعلمون فعاقبوا في الدنيا على ما دل عليه الظاهر
والله سبحانه يعاقب على ما في القلوب من حب الاشاعة ولولا فضل الله
عليكم ورحمته تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة
ولذا عطف قوله وان الله رؤوف رحيم على حصول فضله ورحمته عليهم و
حذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكره مرة يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا
خطوات الشيطان باشاعة الفاحشة وقرئ بفتح الطاء وقرأ نافع والبزي
وابو عمرو وابو بكر وحمزة بسكونها ومن يتبع خطوات الشيطان فانه
يأمر بالفحشاء والمنكر بيان لعلة النهي عن اتباعه والفحشاء ما افرط قبحه

قبحه والمنكر ما انكره الشرع ولولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيق التوبة الماحية
للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى ما طهر من دنسها منكم من احد ابدا
آخر الدهر ولكن الله يزكي من يشاء بحمله على التوبة وقبولها والله سميع لمقالهم
عليم بنياتهم ولا يأتل ولا يحلف افتعال من الالية او ولا يقصر من الالو ويؤيد
الاول انه قرئ ولا يتأل وانه نزل في ابي بكر وقد حلف ان لا ينفق على مسطح
وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين اولو الفضل منكم في الدين والسعة
في المال وفيه دليل على فضل ابي بكر وشرفه ان يؤتوا على ان لا يؤتوا او في ان يؤتوا
وقرئ بالتاء على الالتفات اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله
صفات لموصوف واحد اي ناسا جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك
او لموصوفات اقيمت مقامها فيكون ابلغ في تعليل المقصود وليعفوا ما فرط
منهم وليصفحوا بالاغماض عنه الا تحبون ان يغفر الله لكم على عفوكم وصفحكم واحسانكم
الى من اساء اليكم والله غفور رحيم مع كمال قدرته فتخلقوا باخلاقه روي انه
عليه السلام قرأها على ابي بكر فقال بلى احب ورجع الى مسطح نفقته ان الذين يرمون
المحصنات العفائف الغافلات عما قذفن به المؤمنات بالله وبرسوله
استباحة لعرضهن وطعنا في الرسول والمؤمنين كابن ابي لعنوا في الدنيا والآخرة
لما طعنوا فيهن ولهم عذاب عظيم لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم كل قاذف ما لم يتب وقيل
مخصوص لمن قذف ازواج النبي عليه السلام ولذلك قال ابن عباس لا توبة له ولو
فتشت وعيدات القرآن لم تجد اغلظ مما نزل في افك عائشة يوم تشهد عليهم
ظرف لما في لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لانه موصوف وقرأ حمزة والكسائي
بالياء للتقدم والفصل السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يعترفون بها
بانطاق الله تعالى اياها بغير اختيارهم او بظهور آثاره عليها وفي ذلك مزيد تهويل
للعذاب يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق جزاءهم المستحق ويعلمون لمعاينتهم
الامر ان الله هو الحق المبين الثابت بذاته الظاهر الوهيته لا يشاركه في ذلك
غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه او ذو الحق البين اي العادل الظاهر
عدله ومن كان هذا شانه ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة الخبيثات للخبيثين و
الخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اي الخبائث
يتزوجن الخباث وبالعكس وكذلك اهل الطيب فيكون كالدليل على قوله اولئك
يعني اهل بيت النبي او الرسول وعائشة وصفوان مبرؤون مما يقولون اذ لو صدق
لم تكن زوجته ولم يقرر عليه وقيل الخبيثات والطيبات من الاقوال والاشارة
الى الطيبين والضمير في يقولون للآفكين اي مبرؤون مما يقولون فيهم او للخبيثين
والخبيثات اي مبرؤون من ان يقولوا مثل قولهم مغفرة ورزق كريم يعني الجنة

ولقد برا الله اربعة باربعة برا يوسف عليه السلام بشاهد من اهلها وبرا موسى
عليه السلام من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها وعائشة
بهذه الايات مع هذه المبالغات وما ذلك الا لاظهار منصب الرسول واعلام
منزلته يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم التي تسكنونها فان الاجر
والمعير ايضا لا يدخلان الا باذن حتى تستانسوا تستاذنوا من الاستيناس
بمعنى الاستعلام من آنس الشيء اذا ابصره فان المستاذن مستعلم للحال
مستكشف انه هل يراد دخوله او يؤذن له او من الاستيناس الذي هو خلاف
الاستيحاش فان المستاذن مستوحش خائف ان لا يؤذن له فاذا اذن استانس
او تتعرفوا اهل ثمة انسان من الانس وتسلموا على اهلها بان تقولوا السلام عليكم
اادخل وعنه عليه السلام التسليم ان يقول السلام عليكم اادخل ثلث مرات فان اذن
له دخل والا رجع ذلكم خير لكم اي الاستيذان والتسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة
او من تحية اهل الجاهلية كان الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته قال حييتم صباحا وحييتم
مساء ثم دخل فربما اصاب الرجل مع امراته في لحاف روي ان رجلا قال للنبي
ءاستاذن على امي قال نعم قال لا خادم لها غيري ااستاذن عليها كلما دخلت
قال اتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستاذن لعلكم تذكرون متعلق بمحذوف
اي انزل عليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتعملوا بما هو اصلح لكم فان لم
تجدوا فيها احدا ياذن لكم فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم حتى ياتي من اذن لكم فان
المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما يخفيه الناس عادة مع
ان التصرف في ملك الغير بغير اذنه محظور واستثنى ما اذا عرض فيه حرق او
غرق او كان فيه منكر ونحوها وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا هو ازكى لكم
الرجوع اطهر لكم عما لا يخلو الالحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة وترك
المروءة او انفع لدينكم ودنياكم والله بما تعملون عليم فيعلم ما تاتون وما تذرون
مما خوطبتم به فيجازيكم عليه ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة كالربط
والخانات والحوانيت فيها متاع استمتاع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وا
يواء الامتعة والجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت
المسكونة وغيرها والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن دخل مدخلا لفساد
او تطلع على عورات قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم اي ما يكون نحو محرم ويحفظوا
فروجهم الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر
بخلاف الغض اطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج ههنا خاصة
سترها ذلك ازكى لهم انفع لهم واطهر لما فيه من البعد عن الريبة ان الله خبير بما
يصنعون لا يخفى عليه اجالة ابصارهم واستعمال سائر حواسهم وتحريك جوارحهم

جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون وقل
للمؤمنات يغضضن من ابصارهن فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه من الرجال
ويحفظن فروجهن بالتستر او التحفظ عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا
ولا يبدين زينتهن كالحلي والثياب والاصباغ فضلا عن مواضعها لمن لا
يحل ان تبدي له الا ما ظهر منها عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم فان
في سترها حرجا وقيل المراد بالزينة مواقعها على حذف المضاف او ما يعم المحاسن
الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة
والاظهر ان هذا في الصلوة لا في النظر فان كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير
الزوج والمحرم النظر الى شيء منها الا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة وليضربن
بخمرهن على جيوبهن سترا لاعناقهن وقرا نافع وعاصم وابو عمرو وهاشم بضم
الجيم ولا يبدين زينتهن كرره لبيان من يحل له الابداء ومن لا يحل له الا لبعو
لتهن فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الفرج
بكره او ابائهن او اباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن
او بني اخوانهن او بني اخواتهن لكثرة مداخلتهم عليهن واحتياجهن الى مداخلتهم
وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب ولهم
ان ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال لانهم
في معنى الاخوان او لان الاحوط ان يتسترن عنهم حذرا ان يصفوهن لابنائهم
او نسائهن يعني المؤمنات فان الكافرات لا يتحرجن عن وصفهن للرجال او
النساء كلهن وللعلماء في ذلك خلاف او ما ملكت ايمانهن يعم الاماء والعبيد
لما روي انه عليه السلام اتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به
راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ راسها فقال عم ليس عليك
باس انما هو ابوك وغلامك وقيل المراد بها الاماء وعبد المراة كالاجنبي
او التابعين غير اولي الاربة من الرجال اي اولي الحاجة الى النساء وهم الشيوخ
الهم والممسوحون وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس
لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من امور النساء وقرا ابن عامر وابو بكر غير بالنصب
على الحال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء لعدم تمييزهم من الظهور
بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع
موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن
ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال فان ذلك يورث ميلا في الرجال
وهو ابلغ من النهي عن اظهار الزينة وادل على المنع من رفع الصوت وتوبوا
الى الله جميعا ايها المؤمنون اذ لا يكاد يخلو احد منكم من تفريط سيما في الكف

عن الشهوات وقيل توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية فانه وان جب
بالاسلام لكن يجب الندم عليه والعزم على الكف عنه كلما يتذكر لعلكم تفلحون
بسعادة الدارين وقرا ابن عامر ايه المؤمنون وفي الزخرف يا ايه الساحر
وفي الرحمن ايه الثقلان بضم الهاء في الوصل في الثلثة والباقون بفتحها ووقف
ابو عمرو والكسائي عليهن ايها بالالف ووقف الباقون بغير الالف وانكحوا
الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم لما نهى عما عسى يفضي الى
السفاح المخل بالنسب المقتضي للالفة وحسن التربية ومزيد الشفقة المؤدية
الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة عقبه بامر النكاح الحافظ له والخطاب
للاولياء والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج المولية والمملوك وذلك
عند طلبها واشعار بان المراة والعبد لا يستبدان به اذ لو استبدا لما وجب على
الولي والمولى وايامى مقلوب ايايم كيتامى جمع ايم وهو العزب ذكرا كان او
انثى بكرا كان او ثيبا قال فان تنكحي انكح وان تتايمي وان كنت افتى منكم اتايم
وتخصيص الصالحين لان احصان دينهم والاهتمام بشانهم اهم وقيل المراد الصالحين
للنكاح والقيام بحقوقه ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله رد لما عسى
يمنع من النكاح والمعنى لا يمنعن فقر الخاطب والمخطوبة من المناكحة فان في
فضل الله غنية عن المال فانه غاد ورائح او وعد من الله تعالى بالاغناء لقوله
اطلبوا الغنى في هذه الاية لكن مشروطة بالمشية لقوله تعالى وان خفتم عيلة
فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء والله واسع ذو سعة لا ينفد نعمته
اذ لا انتهاء لقدرته عليم يبسط الرزق ويقدر على ما تقتضيه حكمته وليستعفف
وليجتهد في العفة وقمع الشهوة الذين لا يجدون نكاحا اسبابه ويجوز ان يراد
بالنكاح ما ينكح به او بالوجدان التمكن منه حتى يغنيهم الله من فضله فيجدوا ما يتزو
جون به والذين يبتغون الكتاب المكاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه
كاتبتك على كذا من الكتاب لان السيد كتب على نفسه عتقه اذا ادى المال
او لانه مما يكتب لتاجيله او من الكتب بمعنى الجمع لان العوض فيه يكون منجما
بنجوم يضم بعضها الى بعض مما ملكت ايمانكم عبدا كان او امة والموصول
بصلته مبتدا خبره فكاتبوهم او مفعول لمضمر هذا تفسيره والفاء لتضمن معنى
الشرط والامر فيه للندب عند اكثر العلماء لان الكتابة معاوضة تتضمن الارفاق
فلا تجب كغيرها واحتجاج الحنفية باطلاقه على جواز الكتابة الحالة ضعيف لان
المطلق لا يعم مع ان العجز عن الاداء في الحال يمنع صحتها كما في السلم فيما لا يوجد
عند المحل ان علمتم فيهم خيرا امانة وقدرة على اداء المال بالاحتراف وقد روي
مثله مرفوعا وقيل صلاحا في الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر لفظا ومعنى

ومعنى وهو شرط الامر فلا يلزم من عدمه عدم الجواز واتوهم من مال الله
الذي اتاكم امر للموالي كما قبله بان يبذلوا لهم شيئا من اموالهم وفي معناه حط شيء
من مال الكتابة وهو للوجوب عند الاكثر ويكفي اقل ما يتمول وعن علي رضي الله عنه
يحط الربع وعن ابن عباس الثلث وقيل ندب لهم الى الانفاق عليهم بعد ان
يؤدوا ويعتقوا وقيل امر لعامة المسلمين باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من
الزكوة ويحل للمولى وان كان غنيا لانه لا ياخذه صدقة كالداين والمشتري
ويدل عليه قوله عليه السلام في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية ولا
تكرهوا فتياتكم امائكم على البغاء على الزنا كانت لعبد الله بن ابي ست جوار
يكرههن على الزنا وضرب عليهن الضرائب فشكا بعضهن الى رسول الله
فنزلت ان اردن تحصنا تعففا شرط للاكراه فانه لا يوجد دونه وان جعل
شرطا للنهي لم يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهي بامتناع
المنهي عنه وايثار ان على اذا لان ارادة التحصن من الاماء كالشاذ النادر
لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور
رحيم اي لهن او له ان تاب والاول اوفق للظاهر ولما في مصحف ابن مسعود
من بعد اكراههن لهن غفور رحيم ولا يرد عليه ان المكرهة غير اثمة فلا حاجة
الى المغفرة لان الاكراه لا ينافي المؤاخذة بالذات ولذلك حرم على المكره
القتل واوجب عليه القصاص ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات يعني الايات
التي بينت في هذه السورة واوضحت فيها الاحكام والحدود وقرا ابن عامر وحفص
وحمزة والكسائي في الموضعين هنا وفي الطلاق بالكسر لانها واضحات تصدقها
الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة من بين بمعنى تبين او لانها بينت الاحكام
والحدود ومثلا من الذين خلوا من قبلكم ومثلا من امثال من قبلكم وقصة
عجيبة مثل قصصهم وهي قصة عائشة فانها كقصة يوسف ومريم وموعظة
للمتقين يعني ما وعظ به في تلك الايات وتخصيص المتقين لانهم المنتفعون بها
وقيل المراد بالايات القران والصفات المذكورة صفاته الله نور السموات
والارض النور في الاصل كيفية تدركها الباصرة اولا وبواسطتها سائر
المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما
وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى الا بتقدير مضاف كقولك زيد
كرم بمعنى ذو كرم او على تجوز اما بمعنى منور السموات والارض وقد قرئ به
فانه تعالى نورها بالكواكب وما يفيض عنها من الانوار او بالملائكة والانبياء
او مدبرها من قولهم للرئيس الفائق في التدبير نور القوم لانهم يهتدون به في
الامور او موجدها فان النور ظاهر بذاته مظهر لغيره واصل الظهور هو الوجود

كما ان اصل الخفاء هو العدم والله سبحانه وتعالى موجود بذاته موجد
لما عداه او الذي به تدرك او يدرك اهلها من حيث انه يطلق على الباصرة
لتعلقها به او لمشاركتها في توقف الادراك عليه ثم على البصيرة لانها اقوى
ادراكا فانها تدرك نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات الموجودات
والمعدومات وتغوص في بواطنها وتتصرف فيها بالتركيب والتحليل ثم ان
هذه الادراكات ليست لذاتها والا لما فارقتها فهي اذن من سبب يفيضها
عليها وهو الله سبحانه وتعالى ابتداء او بتوسط من الملائكة والانبياء ولذلك
سموا انوارا ويقرب منه قول ابن عباس معناه هادي من فيهما فهم بنوره
يهتدون واضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالهما على الانوار
الحسية والعقلية وقصور الادراكات البشرية عليها وعلى المتعلق بهما والمدلول
لهما مثل نوره صفة نوره العجيبة الشان واضافته الى ضميره سبحانه دليل على
ان اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره كمشكاة كصفة مشكاة وهي الكوة الغير النافذة
فيها مصباح سراج ضخم ثاقب وقيل المشكوة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح
الفتيلة المشتعلة المصباح في زجاجة في قنديل من الزجاجة الزجاجة كأنها
كوكب دري مضيء متلألئ كالزهرة في صفائه وزهرته منسوب الى الدر
او فعيل كمريق من الدرء فانه يدفع الظلام بضوئه او بعض ضوئه بعضا من لمعانه
الا انه قلب همزته ياء ويدل عليه قراءة حمزة وابي بكر على الاصل وقراءة ابي عمرو
والكسائي دريء كشريب وقد قرئ به مقلوبا يوقد من شجرة مباركة زيتونة
اي ابتداء ثقوب المصباح من شجرة الزيتونة المتكاثرة نفعه بان رويت ذبالته
بزيتها وفي ابهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة عنها تفخيم لشانها
وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول من اوقد وحمزة والكسائي
وابو بكر بالتاء كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرئ توقد
بمعنى تتوقد ويوقد بحذف التاء لاجتماع الزيادتين وهو غريب لا شرقية ولا غربية
يقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث يقع عليها طول النهار كالتي تكون
على قلة او صحراء واسعة فان ثمرتها تكون انضج وزيتها اصفى او لا نابتة في شرق
المعمورة وغربها بل في وسطها وهو الشام فان زيتونه اجود الزيتون او لا
في مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها او في مقناة تغيب عنها دائما فتتركها
نيا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا نبات في مقناة ولا خير فيهما في مضحى يكاد زيتها
يضيء ولو لم تمسسه نار اي يكاد يضيء بنفسه من غير نار لتلألؤه وفرط وبيصه
نور على نور نور متضاعف فان نور المصباح زاد في انارته صفاء الزيت وزهرة
القنديل وضبط المشكاة لاشعته وقد ذكر في معنى التمثيل وجوه الاول انه تمثيل

للهدى الذي دل عليه الآيات المبينات في جلاء مدلولها وظهور ما تضمنته
من الهدى بالمشكوة المنعوتة او تشبيه للهدى من حيث انه محفوف بظلمات اوهام
الناس وخيالاتهم بالمصباح وانما ولي الكاف المشكوة لاشتمالها عليه وتشبيهه به
اوفق من تشبيهه بالشمس او تمثيل لما نور الله به قلب المؤمن من المعارف والعلوم
بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها ويؤيده قراءة ابي مثل نور المؤمن او تمثيل
لما منح الله به عباده من القوى الدراكة الخمس المترتبة التي منوط بها المعاش والمعاد
وهي الحساسة التي تدرك المحسوسات والخيالية التي تحفظ صور تلك المحسوسات
لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت والعقلية التي تدرك الحقائق الكلية والمفكرة
وهي التي تؤلف المعقولات لتستنتج منها علم ما لم تعلم والقوة القدسية التي تتجلى
فيها لوائح الغيب واسرار الملكوت المختصة بالانبياء والاولياء المعنية بقوله
تعالى ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا بالاشياء الخمسة المذكورة
في الآية وهي المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت فان الحساسة كالمشكاة
لان محلها كالكوى ووجهها الى الظاهر لا يدرك ما وراءها واضاءتها بالمعقولات
لا بالذات والخيالية كالزجاجة في قبول صور المدركات من الجوانب وضبطها
للانوار العقلية وانارتها بما يشتمل عليها من المعقولات والعاقلة كالمصباح لاضاءتها
بالادراكات الكلية والمعارف الالهية والمفكرة كالشجرة المباركة لتأديتها
الى ثمرات لا نهاية لها والزيتونة المثمرة بالزيت الذي هو مادة المصابيح التي
لا تكون شرقية ولا غربية لتجردها عن اللواحق الجسمية او لوقوعها بين الصور
والمعاني متصرفة في القبيلين منتفعة من الجانبين والقوة القدسية
كالزيت فانها لصفائها وشدة ذكائها تكاد تضيء بالمعارف من غير
تفكر ولا تعليم او تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك فانها في بدء امرها
خالية عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكوة ثم تنتقش بالعلوم
الضرورية بتوسط احساس الجزئيات بحيث تتمكن من تحصيل النظريات
فتصير كالزجاجة متلألئة في نفسها قابلة للانوار وذلك التمكن ان
كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة وان كان بالحدس فكالزيت
وان كان بقوة قدسية فكالذي يكاد زيتها يضيء لانها تكاد تعلم وان لم
تتصل بملك الوحي والالهام الذي مثله النار من حيث ان العقول تشتعل
عنها ثم اذا حصلت لها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها متى شاءت
كان كالمصباح فاذا استحضرها كان نورا على نور يهدي الله لنوره لهذا النور
الثاقب من يشاء فان الاسباب دون مشيئته لاغية اذ بها تمامها ويضرب
الله الامثال للناس ادناء للمعقول من المحسوس توضيحا وبيانا والله بكل شيء

عليهم معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او خفيا وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها ولمن
لم يكترث بها في بيوت متعلق بما قبله اي كمشكاة في بعض بيوت او توقد في بيوت
فيكون تقييدا للممثل به بما يكون تحبيرا ومبالغة فيه فان قناديل المساجد تكون اعظم
او تمثيلا لصلوة المؤمنين او ابدانهم بالمساجد ولا ينافي جمع البيوت وحدة المشكوة
اذ المراد بها ماله هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة او بما بعده وهو يسبح وفيها
تكرير مؤكد لا يذكر لانه من صلة ان فلا يعمل فيما قبله او بمحذوف مثل سبحوا في بيوت
والمراد بها المساجد لان الصفة تلايمها وقيل المساجد الثلثة والتنكير للتعظيم اذن الله
ان ترفع بالبناء او التعظيم ويذكر فيها اسمه عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة في افعال
والمباحثة في احكامه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال ينزهونه او يصلون له
فيها بالغدوات والعشايا والغدو مصدر اطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه بالآصال
وهو جمع اصيل وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل وقرا ابن عامر وابو بكر يسبح بالفتح
على اسناده الى احد الظروف الثلثة ورفع رجال بما يدل عليه وقرئ بالتاء مكسورا
لتانيث الجمع ومفتوحا على اسناده الى اوقات الغدو والآصال لا تلهيهم تجارة
لا تشغلهم معاملة رابحة ولا بيع عن ذكر الله مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان اريد به مطلق
المعاوضة او بافراد ما هو اهم من قسمي التجارة فان الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشرى
وقيل المراد بالتجارة الشرى فانه اصلها ومبداها وقيل الجلب لانه الغالب فيها ومنه
يقال تجر في كذا اذا جلبه وفيه ايماء بانهم تجار واقام الصلوة عوض فيه الاضافة
من التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال كقوله واخلفوك عد الامر الذي
وعدوا وايتاء الزكوة ما يجب اخراجه من المال للمستحقين يخافون يوما مع ما هم
عليه من الذكر والطاعة تتقلب فيه القلوب والابصار تضطرب وتتغير من الهول
او تتقلب احوالها فتفقه القلوب ما لم تكن تفقه وتبصر الابصار ما لم تكن تبصر
او تتقلب القلوب من توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من اي ناحية
يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم ليجزيهم الله متعلق بيسبح او لا تلهيهم او يخافون احسن
ما عملوا احسن جزاء ما عملوا الموعود لهم من الجنة ويزيدهم من فضله
اشياء لم يعدهم على اعمالهم ولم يخطر ببالهم والله يرزق من يشاء بغير حساب
تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشية وسعة الاحسان والذين
كفروا اعمالهم كسراب بقيعة والذين كفروا احوالهم على ضد ذلك فان اعمالهم
التي يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة في العاقبة كالسراب
وهو ما يرى في الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب
اي يجري والقيعة بمعنى القاع وهو الارض المستوية وقيل جمعه كجار وجيرة وقرئ
بقيعات كديمات في ديمة يحسبه الظمآن ماء اي العطشان وتخصيصه لتشبيه

الكافر به في شدة الخيبة عند مسيس الحاجة حتى اذا جاءه جاء ما توهمه ماء
او موضعه لم يجده شيئا مما ظنه ووجد الله عنده عقابه او زبانيته او وجده
محاسبا اياه فوفيه حسابه استعراضا او مجازاة والله سريع الحساب لا يشغله
حساب عن حساب روي انها نزلت في عتبة بن امية تعبد في الجاهلية والتمس الدين
فلما جاء الاسلام كفر او كظلمات عطف على كسراب واو للتخيير فان اعمالهم لكونها
لاغية لا منفعة لها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لج
البحر والامواج والسحاب او للتنويع فان اعمالهم ان كانت حسنة فكالسراب و
ان كانت قبيحة فكالظلمات او للتقسيم باعتبار وقتين فانها كالظلمات في الدنيا
والسراب في الآخرة في بحر لجي عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء يغشاه موج
يغشى البحر من فوقه موج اي امواج مترادفة متراكمة من فوقه من فوق الموج
الثاني سحاب غطى النجوم وحجب انوارها والجملة صفة اخرى للبحر ظلمات اي
هذه ظلمات بعضها فوق بعض وقرا ابن كثير ظلمات بالجر على ابدالها من الاولى
او باضافة السحاب اليها في رواية البزي اذا اخرج يده وهي اقرب ما يرى اليه
لم يكد يراها لم يقرب ان يراها فضلا ان يراها كقوله اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس
الهوى من حب مية يبرح والضماير للواقع في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه
ومن لم يجعل الله له نورا ومن لم يقدر له نور الهداية ولم يوفقه لاسبابها فما له من نور
خلاف الموفق الذي له نور على نور الم تر الم تعلم علما يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة
بالوحي او الاستدلال ان الله يسبح له من في السموات والارض ينزه ذاته عن كل
نقص وآفة اهل السموات والارض ومن لتغليب العقلاء او الملائكة والثقلان
بما يدل عليه من مقال او دلالة حال والطير على الاول تخصيص لما فيها من الصنع
الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيدها بقوله صافات فان اعطاء الاجرام
الثقيلة ما به تقوى على الوقوف في الجو صافة باسطة اجنحتها بما فيها من القبض
والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره كل واحد مما ذكر
او من الطير قد علم صلوته وتسبيحه اي قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختيارا او طبعا
لقوله والله عليم بما يفعلون او علم كل على تشبيه حاله في الدلالة على الحق والميل
الى النفع على وجه يخصه بحال من علم ذلك مع انه لا يبعد ان يلهم الله تعالى الطير
دعاء وتسبيحا كما الهمها علوما دقيقة في اسباب تعيشها لا يكاد يهتدي اليها
العقلاء ولله ملك السموات والارض فانه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات
والصفات والافعال من حيث انها ممكنة واجبة الانتهاء الى الواجب والى الله المصير
مرجع الجميع الم تر ان الله يزجي سحابا يسوق ومنه البضاعة المزجاة فانها يزجيها
كل احد ثم يؤلف بينه بان يكون قزعا فيضم بعضها الى البعض وبهذا الاعتبار

صح بينه اذ المعنى بين اجزائه ثم يجعله ركاما متراكما بعضه فوق بعض فترى
الودق المطر يخرج من خلاله من فتوقه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله
وينزل من السماء من الغمام وكل ما علاك فهو سماء من جبال فيها من قطع
عظام تشبه الجبال في عظمها او جمودها من برد بيان للجبال والمفعول محذوف
اي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من برد بردا ويجوز ان يكون من الثانية
او الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال
من برد كما في الارض من جبال من حجر وليس في العقل قاطع يمنعه والمشهور ان
الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء
وقوي البرد هناك اجتمع وصار سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد
فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهوا
بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر او الثلج وكل ذلك لا بد
وان يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على انها الموجبة لاختصاص
الحوادث بحالها واوقاتها واليه اشار بقوله فيصيب به من يشاء ويصرفه
عمن يشاء الضمير للبرد يكاد سنا برقه ضوء برقه وقرئ بالمد بمعنى العلو وبادغام
الدال في السين وبرقه بضم الباء وفتح الراء وهو جمع برقة وهي المقدار من البرق
وبضمها للاتباع يذهب بالابصار بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة
وذلك اقوى دليل على كمال القدرة من حيث انه توليد الضد من الضد وقرئ
يذهب على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما
وزيادة الاخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور او بما يعم ذلك ان
في ذلك فيما تقدم ذكره لعبرة لدلالة على وجود الصانع وكمال قدرته واحاطة
علمه ونفاذ مشيته وتنزهه عن الحاجة وما يفضي اليها لاولي الابصار لمن يرجع الى
بصيرة والله خلق كل دابة حيوان يدب على الارض وقرا حمزة والكسائي خالق
كل دابة بالاضافة من ماء هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون
تنزيلا للغالب منزلة الكل اذ من الحيوانات ما يتولد لا من النطفة وقيل من ماء متعلق
بدابة وليس صلة لخلق فمنهم من يمشي على بطنه كالحية وانما سمي الزحف مشيا
على الاستعارة للمشاكلة ومنهم من يمشي على رجلين كالانس والطير ومنهم من يمشي على
اربع كالنعم والوحش ويندرج فيه ما له اكثر من اربع كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت
على اربع وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير بمن عن الاصناف ليوافق التفصيل الجملة
والترتيب لتقديم ما هو اعرف في القدرة يخلق الله ما يشاء مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا
ومركبا على اختلاف الصور والاعضاء والهيئات والحركات والطبايع والقوى
والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيته ان الله على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء

ما يشاء لقد انزلنا ايات مبينات للحقايق بانواع الدلايل والله يهدي من يشاء
بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها الى صراط مستقيم هو دين الاسلام الموصل
الى درك الحق والفوز بالجنة ويقولون امنا بالله وبالرسول نزلت في بشر المنافق
خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف وهو يدعوه الى النبي عليه السلام وقيل
في مغيرة وابن خاصم عليا في ارض فابى ان يحاكمه الى الرسول واطعنا اي واطعناهما
ثم يتولى فريق منهم بالامتناع عن قبول حكمه من بعد ذلك بعد قولهم هذا وما
اولئك بالمؤمنين اشارة الى القائلين باسرهم فيكون اعلاما من الله بان
جميعهم وان امنوا بالسنتهم لم يؤمنوا بقلوبهم او الى الفريق منهم وسلب الايمان
عنهم لتوليهم والتعريف فيه للدلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم
المخلصون في الايمان او الثابتون عليه واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اي
ليحكم النبي فانه الحاكم ظاهرا والمدعو اليه وذكر الله لتعظيمه والدلالة على ان حكمه في
الحقيقة حكم الله اذا فريق منهم معرضون فاجاء فريق منهم الاعراض اذا كان الحق
عليهم لعلمهم بانك لا تحكم لهم وهو شرح للتولي ومبالغة فيه وان يكن لهم الحق اي
الحكم لا عليهم ياتوا اليه مذعنين منقادين لعلمهم بانه يحكم لهم والى صلة ليأتوا او
لمذعنين وتقديمه للاختصاص افي قلوبهم مرض كفر او ميل الى الظلم ام ارتابوا
بان راوا منك تهمة فزال ثقتهم ويقينهم بك ام يخافون ان يحيف الله عليهم
ورسوله في الحكومة بل اولئك هم الظالمون اضراب عن القسمين الاخيرين لتحقيق
القسم الاول ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخلل فيهم او في الحاكم والثاني اما ان يكون
محققا عندهم او متوقعا وكلاهما باطل لان منصب نبوته وفرط امانته يمنعه فتعين
الاول فظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف والفصل لنفي ذلك عن غيرهم
سيما المدعو الى حكمه انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم
ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون على عادة الله في اتباع ذكر
المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغي بعد انكاره لما لا ينبغي وقرئ قول بالرفع وليحكم على البناء
للمفعول واسناده الى ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم ومن يطع الله ورسوله
فيما امر او في الفرايض والسنن ويخش الله على ما صدر عنه من الذنوب ويتقه
فيما بقي من عمره وقرا يعقوب وقالون عن نافع بلا ياء وابو بكر وابو عمرو وخلاد
بخلاف عنه ويتقه باسكان وقالون وهشام بخلاف عنه باختلاس كسرتها و
الباقون بصلتها وحفص باسكان القاف واختلاس كسرة الهاء فشبه تقه
بكتف وخفف والهاء في الوقف ساكنة بالاتفاق فاولئك هم الفائزون بالنعيم
المقيم واقسموا بالله جهد ايمانهم انكار للامتناع عن حكمه لئن امرتهم بالخروج عن
ديارهم واموالهم ليخرجن جواب لاقسموا على الحكاية قل لا تقسموا على الكذب طاعة

طاعة معروفة اى المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين الكاذبة للطاعة النفاقية
المنكرة او طاعة معروفة امثل من هذا او لتكن طاعة وقرئت بالنصب على اطيعوا طاعة
ان الله خبير بما تعملون فلا يخفى عليه سرائركم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول امر
بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية مبالغة فى تبكيتهم فان تولوا فانما عليه اى
على محمد ما حمل من التبليغ وعليكم ما حملتم من الامتثال وان تطيعوه فى حكمه تهتدوا
الى الحق وما على الرسول الا البلاغ المبين التبليغ الموضح لما كلفتم به وقد ادى وانما
بقى ما حملتم فان اديتم فلكم وان توليتم فعليكم وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا
الصالحات خطاب للرسول والامة او له ومعه ومن للبيان ليستخلفنهم فى الارض
ليجعلنهم خلفاء متصرفين فى الارض تصرف الملوك فى مماليكهم وهو جواب قسم مضمر
تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او الوعد فى تحققه منزلة منزلة القسم كما استخلف
الذين من قبلهم يعنى بنى اسرائيل استخلفهم فى مصر والشام بعد الجبابرة وقرا ابو بكر
بضم التاء وكسر اللام واذا ابتدا ضم الالف والباقون بفتحهما واذا ابتدؤا كسروا
الالف وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت
وليبدلنهم من بعد خوفهم من الاعداء وقرا ابن كثير وابو بكر بالتخفيف امنا منهم وكان
رسول الله واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا
يصبحون فى السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله وعده فاظهرهم على العرب كلهم
وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوة للاخبار عن الغيب على ما هو به
وخلافة الخلفاء الراشدين اذ لم يجتمع الموعود والموعود عليه لغيرهم بالاجماع
وقيل الخوف من العذاب والامن منه فى الاخرة يعبدوننى حال من الذين
لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد او استيناف ببيان المقتضى للاستخلاف
والامن لا يشركون بى شيئا حال من الواو اى يعبدوننى غير مشركين ومن كفر
ومن ارتد او كفر هذه النعمة بعد ذلك بعد الوعد او حصول الخلافة فاولئك
هم الفاسقون الكاملون فى فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الايات
او كفروا تلك النعمة العظيمة واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الرسول
فى ساير ما امركم به ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله فان الفاصل وعد على
المامور به فيكون تكرير الامر بطاعة الرسول للتاكيد وتعليق الرحمة بها او بالمندرجة
هى فيه بقوله لعلكم ترحمون كما علق به الهدى لا تحسبن الذين كفروا معجزين
فى الارض لا تحسبن يا محمد الكفار معجزين الله عن ادراكهم واهلاكهم وفى الارض
صلة معجزين وقرا ابن عامر وحمزة بالياء على ان الضمير فيه لمحمد والمعنى كما هو
فى القراءة بالتاء او الذين كفروا فاعل والمعنى ولا يحسبن الكفار فى الارض احدا
يعجز الله فيكون معجزين فى الارض مفعوليه او ولا يحسبونهم معجزين فحذف المفعول

الاول لان الفاعل والمفعولين لشىء واحد فاكتفى بذكر الاثنين عن الثالث
وماويهم النار عطف عليه من حيث المعنى كانه قيل الذين كفروا ليسوا معجزين
وماويهم النار لان المقصود من النهى عن الحسبان تحقيق نفى الاعجاز ولبئس المصير
الماوى الذين يصيرون اليه يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت
ايمانكم رجوع الى تتمة الاحكام السالفة بعد الفراغ عن الالهيات الدالة على وجوب
الطاعة فيما سلف من الاحكام وغيره والوعد عليها والوعيد على الاعراض عنها
والمراد به خطاب الرجال والنساء غلبت عليهن لما روى ان غلام اسماء بنت
ابى مرثد دخل عليها فى وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله مدلج
بن عمرو الانصارى وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر رضى الله عنه فدخل
وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله تعالى نهى اباءنا
وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا هذه الساعات علينا الا باذن ثم انطلق معه الى
النبى عليه السلام فوجده وقد انزلت عليه هذه الاية والذين لم يبلغوا الحلم منكم
والصبيان الذين لم يبلغوا من الاحرار فعبر عن البلوغ بالاحتلام لانه اقوى
دلائله ثلث مرات فى اليوم والليلة مرة من قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام
من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلث
مرات او الرفع خبر المحذوف اى هى من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم اى ثيابكم
اى ثيابكم لليقظة للقيلولة من الظهيرة بيان للحين ومن بعد صلوة العشاء لانه
وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف ثلث عورات لكم اى هى ثلث
اوقات يختل فيها تستركم ويجوز ان يكون مبتدا وخبره ما بعده واصل العورة الخلل ومنها
اعور المكان ورجل اعور وقرا حمزة والكسائى وابو بكر بالنصب بدلا من ثلث
مرات ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن بعد هذه الاوقات فى ترك الاستيذان
وليس فيه ما ينافى اية الاستيذان فينسخها لانه فى الصبيان ومماليك المدخول عليه
وتلك فى الاحرار البالغين طوافون عليكم اى هم طوافون استيناف ببيان العذر
المرخص فى ترك الاستيذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل
الاحكام وكذا فى الفرق بين الاوقات الثلث وغيرها بانها عورات بعضكم على بعض
بعضكم طائف على بعض او يطوف بعضكم على بعض كذلك مثل ذلك التبيين يبين
الله لكم الايات اى الاحكام والله عليم باحوالكم حكيم فيما شرع لكم واذا بلغ
الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم الذين بلغوا
من قبلهم فى الاوقات كلها واستدل به من اوجب استيذان العبد البالغ على
سيدته وجوابه ان المراد بهم المعهودون الذين جعلوا قسيما للمماليك فيندرجون
فيهم كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم كرره تاكيدا ومبالغة فى الامر

بالاستيذان والقواعد من النساء العجائز اللاتى قعدن عن الحيض والحمل اللاتى
لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه لكبرهن فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن
اى الثياب الظاهرة كالجلباب والفاء فيه لان اللام فى القواعد بمعنى اللاتى
او لوصفها بها غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة مما امر باخفائه فى قوله
ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف فى اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة
لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه
شئ الا انه خص بكشف المراة زينتها ومحاسنها للرجال وان يستعففن خير لهن
من الوضع لانه ابعد من التهمة والله سميع لمقالتهن للرجال عليم بمقصودهن ليس
على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج نفى لما كانوا يتحرجون من
مواكلة الاصحاء حذرا من استقذارهم او اكلهم من بيت من يدفع اليهم المفتاح
ويبيح لهم التبسط فيه اذا خرج الى الغزو وخلفهم على المنازل مخافة ان لا يكون ذلك
من طيبة قلب او من اجابة من يدعوهم الى بيوت ابائهم واولادهم واقاربهم فيطعمونهم
كراهة ان يكونوا كلا عليهم وهذا انما يكون اذا علم رضاء صاحب البيت باذن او
قرينة او كان فى اول الاسلام ثم نسخ بنحو قوله لا تدخلوا بيوت النبى الا ان
يؤذن لكم الى طعام وقيل نفى للحرج عنهم فى القعود عن الجهاد وهو لا يلائم ما قبله
وما بعده ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم من البيوت التى فيها ازواجكم وعيالكم
فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيت الولد كبيته لقوله عم انت ومالك لابيك
وقوله ان اطيب ما ياكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه او بيوت ابائكم او بيوت
امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم
او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه وهو ما يكون تحت
ايديكم وتصرفكم من ضيعة او ماشية وكالة او حفظا وقيل بيوت المماليك والمفاتح
جمع مفتح وهو ما يفتح به وقرئ مفتاحه او صديقكم او من بيوت صديقكم فانه
ارضى بالتبسط فى امواله واسر به وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط هذا كله
انما يكون اذا علم رضاء صاحب البيت باذن او قرينة ولذلك خصص هؤلاء
فانه يعتاد التبسط بينهم او كان فى اول الاسلام فنسخ فلا احتجاج للحنفية به على
ان لا قطع بسرقة مال المحرم ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا مجتمعين
او متفرقين نزلت فى بنى ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون ان ياكل
الرجل وحده او فى قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون الا معه او فى
قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس فى القزازة والنهمة
فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت فسلموا على انفسكم على اهلها الذين هم منكم
دينا وقرابة تحية من عند الله ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة

صلة للتحية فانه طلب الحيوة وهى عنده وانتصابها بالمصدر لانها بمعنى التسليم
مباركة لانها يرجى بها زيادة الخير والثواب طيبة تطيب بها نفس المستمع وعن
انس انه عم قال متى لقيت احدا من امتى فسلم عليه يطل عمرك فاذا دخلت بيتك
فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار الاوابين كذلك
يبين الله لكم الايات كررها ثالثا لمزيد التاكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل
الاولين بما هو المقتضى لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال لعلكم تعقلون اى الحق
والخير فى الامور انما المؤمنون اى الكاملون فى الايمان الذين امنوا بالله و
ورسوله من صميم قلوبهم واذا كانوا معه على امر جامع كالجمعة والاعياد والحروب
والمشورة فى الامور ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع لم يذهبوا حتى
يستاذنوه يستاذنوا رسول الله فياذن لهم واعتباره فى كمال الايمان لانه
كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه عن المنافق فان ديدنه التسلل والفرار ولتعظيم
الجرم فى الذهاب عن مجلس رسول الله بغير اذنه ولذلك اعاده مؤكدا على
اسلوب ابلغ فقال ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله
ورسوله فانه يفيد ان المستاذن مؤمن لا محالة وان الذاهب بغير اذنه ليس
كذلك فاذا استاذنوك لبعض شانهم ما يعرض لهم من المهام وفيه ايضا
مبالغة وتضييق للامر فاذن لمن شئت منهم تفويض للامر الى راى الرسول واستدل به
على ان بعض الاحكام مفوضة الى رايه ومن منع ذلك قيد المشية بان يكون تابعة
لعلمه بصدقه وكان المعنى فاذن لمن علمت ان له عذرا واستغفر لهم الله بعد
الاذن فان الاستيذان ولو لعذر قصور لانه تقديم لامر الدنيا على امر الدين
ان الله غفور لفرطات العباد رحيم بالتيسير عليهم لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا لا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا فى جواز
الاعراض والمساهلة فى الاجابة والرجوع بغير اذن فان المبادرة الى اجابته واجبة
والمراجعة بغير اذنه محرمة وقيل لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع
الصوت به والنداء وراء الحجرة ولكن بلقبه المعظم مثل يا نبى الله ويا رسول الله مع التوقير
والتواضع وخفض الصوت او لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلا تبالوا
بسخطه فان دعاءه موجب او لا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة
ويرده اخرى فان دعاءه مستجاب قد يعلم الله الذين يتسللون منكم ينسلون
قليلا من الجماعة ونظير تسلل تدرج وتدخل لواذا ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض
حتى يخرج او يلوذ بمن يؤذن فينطلق معه كانه تابعه وانتصابه على الحال وقرئ
بالفتح فليحذر الذين يخالفون عن امره يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون
سمتا خلاف سمته وعن لتضمنه معنى الاعراض او يصدون عن امره دون المؤمنين

من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لان المقصود بيان المخالف
والمخالف عنه والضمير لله تعالى فان الامر له في الحقيقة او للرسول فانه المقصود
بالذكر ان تصيبهم فتنة محنة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم في الاخرة واستدل
به على ان الامر للوجوب فانه يدل على ان ترك مقتضى الامر مقتض لاحد العذابين
فان الامر بالحذر عنه يدل على خشية المشروط بقيام المقتضي له وذلك يستلزم الوجوب
الا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ايها المكلفون من المخالفة و
الموافقة والنفاق والاخلاص وانما اكد علمه بقد لتاكيد الوعيد ويوم يرجعون اليه
يوم يرجع المنافقون اليه للجزاء ويجوز ان يكون الخطاب ايضا مخصوصا بهم
على طريق الالتفات فينبئهم بما عملوا من سوء الاعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه
والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية عن النبي عليه السلام من قرا سورة النور اعطي
من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان مكية وانها سبع وسبعون اية بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده تكاثر خيره من البركة وهي كثرة الخير او
تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله فان البركة تتضمن معنى الزيادة
وترتيبه على انزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير او لدلالته على تعاليه وقيل دام
من بروك الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لا يتصرف فيه ولا يستعمل
الا لله تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما سمي به القران لفصله
بين الحق والباطل بتقريره او المحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه عن بعض
في الانزال وقرئ على عباده وهم رسول الله وامته كقوله لقد انزلنا اليكم الانبيا
على ان الفرقان اسم جنس للكتب السماوية ليكون العبد او الفرقان للعالمين للجن
والانس نذيرا منذرا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار وهذه الجملة وان لم تكن معلومة
لكنها لقوة دليلها اجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة الذي له ملك السموات
والارض بدل من الاول او مدح مرفوع او منصوب ولم يتخذ ولدا كزعم النصارى
ولم يكن له شريك في الملك كقول الثنوية اثبت له الملك مطلقا ونفى ما يقوم
مقامه وما يقاومه فيه ثم نبه على ما يدل عليه فقال وخلق كل شيء احدثه احداثا مراعى
فيه التقدير حسب ارادته كخلقه الانسان من مواد مخصوصة وصور واشكال معينة
فقدره تقديرا فقدره وهيأه لما اراد منه من الخصائص والافعال كتهيئة الانسان
للادراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة
الى غير ذلك او فقدره للبقاء الى اجل مسمى وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد من غير نظر
الى وجه الاشتقاق فيكون المعنى واوجد كل شيء فقدره في ايجاده حتى لا يكون متفاوتا
واتخذوا من دونه الهة لما تضمن الكلام اثبات التوحيد والنبوة اخذ في الرد على

على المخالفين فيهما لا يخلقون شيئا وهم يخلقون لان عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم
ولا يملكون ولا يستطيعون لانفسهم ضرا دفع ضر ولا نفعا ولا جلب نفع ولا
يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا ولا يملكون اماتة احد ولا احياءه اولا وبعثه
ثانيا ومن كان كذلك فبمعزل عن الالوهية لعرائه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها
وفيه تنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على البعث والجزاء وقال الذين
كفروا ان هذا الا افك كذب مصروف عن وجهه افتراه اختلقه واعانه عليه
قوم آخرون اي اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم وهو يعبر عنه بعبارته وقيل
جبر ويسار وعداس وقد سبق في قوله انما يعلمه بشر فقد جاؤا ظلما بجعل
الكلام المعجز افكا مختلقا متلقفا من اليهود وزورا بنسبة ما هو بريء منه اليه واتى
وجاء يطلقان بمعنى فعل فيعديان تعديته وقالوا اساطير الاولين ما سطره المتقدمون
اكتتبها كتبها لنفسه او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه امي واصله اكتتبها
كاتب له فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل
وبني الفعل للضمير فاستتر فيه فهي تملى عليه بكرة واصيلا ليحفظها فانه امي لا يقدر
ان يكرر من الكتاب او ليكتب قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض لانه
اعجزكم عن آخركم بفصاحته وتضمنه اخبارا من مغيبات مستقبلة واشياء مكنونة
لا يعلمها الا عالم الاسرار فكيف تجعلونه اساطير الاولين انه كان غفورا رحيما
فلذلك لا يعجل في عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم ان يصب
عليكم العذاب صبا وقالوا ما لهذا الرسول ما لهذا الذي يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم
ياكل الطعام كما ناكل ويمشي في الاسواق لطلب المعاش كما نمشي والمعنى ان صح دعواه
فما باله لم يخالف حاله حالنا وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فان تميز الرسل
عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو باحوال نفسانية كما اشار بقوله انما انا بشر
مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا لنعلم صدقه
بتصديق الملك او يلقى اليه كنز فيستظهر به ويستغني عن تحصيل المعاش
او تكون له جنة ياكل منها هذا على سبيل التنزل اي ان لم يلق اليه كنز فلا اقل
ان يكون له بستان كما للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه وقرا حمزة والكسائي
بالنون وقال الظالمون وضع الظالمين موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوه
ان تتبعون ما تتبعون الا رجلا مسحورا سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهو
الرئة بشرا لا ملكا انظر كيف ضربوا لك الامثال اي قالوا فيك الاقوال الشاذة
واخترعوا لك الاحوال النادرة فضلوا عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبي
والمميز بينه وبين المتنبي فخبطوا خبط عشواء فلا يستطيعون سبيلا الى القدح
في نبوتك او الى الرشد والهدى تبارك الذي ان شاء جعل لك في الدنيا

خيرا من ذلك مما قالوا لكن اخره الى الآخرة لانه خير وابقى جنات تجري من تحتها
الانهار بدل من خيرا ويجعل لك قصورا عطف على محل الجزاء وقرا ابن كثير وابن
عامر وابو بكر بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في جوابه الجزم والرفع كقوله
وان اتاه خليل يوم مسئلة يقول لا غائب مالي ولا حرم ويجوز ان يكون استينافا
بوعد ما يكون له في الآخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو بل كذبوا بالساعة
فقصرت انظارهم على الحطام الدنيوية فظنوا ان الكرامة انما هي بالمال وطعنوا
فيك لفقرك او فلذلك كذبوك لا لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة او فكيف
يلتفتون الى هذا الجواب ويصدقونك بما وعد الله لك في الآخرة او فلا تعجب
من تكذيبهم اياك فانه اعجب منه واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا نارا
شديدة الاستعار وقيل اسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار المكان اذا رأتهم اذا كانت
بمرأى منهم كقوله عليه السلام لا تتراءى ناراهما اي لا تتقاربان بحيث تكون احديهما
بمرأى من الاخرى على المجاز والتأنيث لانه بمعنى النار او جهنم من مكان بعيد هو اقصى
ما يمكن ان يرى منه سمعوا لها تغيظا وزفيرا صوت تغيظ شبه صوت غليانها
بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحيوة لما لم تكن مشروطة
عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله فيها حيوة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك
لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف واذا القوا منها مكانا في مكان ومنها
بيان تقدم فصار حالا ضيقا لزيادة العذاب فان الكرب مع الضيق والروح مع السعة
ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها كعرض السموات والارض مقرنين قرنت
ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل دعوا هنالك في ذلك المكان ثبورا هلاكا اي يتمنون
الهلاك وينادونه فيقولون تعال يا ثبوراه فهذا حينك لا تدعوا اليوم
ثبورا واحدا اي يقال لهم ذلك وادعوا ثبورا كثيرا لان عذابكم انواع كثيرة
وكل نوع منها ثبور لشدته او لانه يتجدد لقوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم
جلودا غيرها او لانه لا ينقطع فهو في كل وقت ثبور قل اذلك
خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون الاشارة الى العذاب والاستفهام والتفضيل
والترديد للتقريع مع التهكم او الى الكنز او الجنة والراجع الى الموصول محذوف
واضافة الجنة الى الخلد للمدح او الدلالة على خلودها او التمييز عن جنات الدنيا
كانت لهم في علم الله او اللوح او لان ما وعده الله في تحققه كالواقع جزاء على اعمالهم
بالوعيد ومصيرا ينقلبون اليه ولا يمنع كونها جزاء لهم ان يتفضل بها على غيرهم
برضاهم مع جواز ان يراد بالمتقين من يتقي الكفر والتكذيب لانهم في مقابلتهم
لهم فيها ما يشاؤن ما يشاؤنه من النعيم ولعله تقصر همم كل طائفة على ما يليق
برتبته اذ الظاهر ان الناقص لا يدرك شأو الكامل بالتشهي وفيه تنبيه على ان

على ان كل المرادات لا تحصل الا في الجنة خالدين حال من احد ضمائرهم
كان على ربك وعدا مسؤلا الضمير في كان لما يشاؤن والوعد الموعود اي
كان ذلك موعودا حقيقا بان يسأل ويطلب او مسؤلا سأله الناس في
دعائهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك او الملائكة بقولهم ربنا وادخلهم
جنات عدن وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده ولا يلزم
منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب
للانجاز ويوم يحشرهم للجزاء وقرئ بكسر الشين وقرا ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء
وما يعبدون من دون الله يعم كل معبود سواه واستعمال ما اما لان وضعه اعم
ولذلك يطلق لكل شبح يرى ولا يعرف او لانه اريد به الوصف كانه قيل ومعبودهم
او لتغليب الاصنام تحقيرا او اعتبارا لغلبة عبادها او يخص الملائكة وعزيرا والمسيح
بقرينة السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله او تتكلم بلسان الحال كما قيل في كلام
الايدي والارجل فيقول للمعبودين وهو على تلوين الخطاب وقرا ابن عامر بالنون
ءانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم
عن المرشد النصيح وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة واصله اضللتم ام ضلوا
فغير النظم ليلي حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولي للفعل دونه لانه
لا شبهة فيه والا لما توجه العتاب وحذف صلة ضل للمبالغة قالوا سبحانك
تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة وانبياء معصومون او جمادات لا تقدر على شيء او اشعارا
بانهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم اضلال عبيده او تنزيها لله
عن الانداد ما كان ينبغي لنا ما يصح لنا ان نتخذ من دونك من اولياء للعصمة او لعدم
القدرة فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى احدا دونك وقرئ نتخذ على البناء
للمفعول من اتخذ الذي له مفعولان كقوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله
الثاني من اولياء ومن للتبعيض وعلى الاول مزيدة لتأكيد النفي ولكن متعتهم واباءهم
بانواع النعم فاستغرقوا في الشهوات حتى نسوا الذكر حتى غفلوا عن ذكرك او
التذكر لالائك والتدبر في اياتك وهو نسبة الضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واسناد
له الى ما فعل الله بهم فحملهم عليه وهو عين ما ذهبنا اليه فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة
وكانوا في قضائك قوما بورا هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه الواحد
والجمع او جمع بائر كعائذ وعوذ فقد كذبوكم التفات الى العبدة بالاحتجاج والالزام
على حذف القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون بما تقولون في قولكم انهم آلهة
او هؤلاء اضلونا والباء بمعنى في او مع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير بالياء اي
كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا فما يستطيعون اي المعبودون وقرا حفص
بالتاء على خطاب العابدين صرفا دفعا للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف

اي يحتالا ولا نصرا فيعينكم عليه ومن يظلم منكم ايها المكلفون نذقه عذابا كبيرا
هي النار والشرط وان عم كل من كفر او فسق لكنه في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم
وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا وما ارسلنا قبلك
من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق اي الا رسلا انهم فحذف
الموصوف لدلالة المرسلين عليه واقيمت الصفة مقامه كقوله تعالى وما منا الا له مقام
معلوم ويجوز ان يكون حالا اكتفي فيها بالضمير وهو جواب لقولهم مال هذا الرسول
ياكل الطعام ويمشي في الاسواق وقرئ يمشون اي يمشيهم حوائجهم او الناس وجعلنا
بعضكم ايها الناس لبعض فتنة ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالاغنياء والمرسلين
بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة وايذائهم لهم وفيه تسلية لرسول الله عم على ما قالوه
بعد نقضه وفيه دليل على القضاء والقدر اتصبرون علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم
لبعض فتنة لنعلم ايكم يصبر ونظيره قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا او حث على الصبر على
ما افتتنوا به وكان ربك بصيرا بمن يصبر او بالصواب فيما يبتلي به وغيره وقال الذين
لا يرجون لا يأملون لقاءنا بالخير لكفرهم بالبعث او لا يخافون لقاءنا بالشر على لغة
تهامة واصل اللقاء الوصول الى الشيء ومنه الرؤية فانه وصول الى المرئي والمراد به
الوصول الى جزائه ويمكن ان يراد به الرؤية على الاول لولا هلا انزل علينا الملائكة فيخبرونا
بصدق محمد وقيل فيكونون رسلا الينا او نرى ربنا فيامرنا بتصديقه واتباعه
لقد استكبروا في انفسهم في شانها حتى ارادوا لها ما يتفق للافراد من الانبياء الذين
هم اكمل خلق الله في اكمل اوقاتهم وما هو اعظم من ذلك وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم
عتوا كبيرا بالغا اقصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة فاعرضوا عنها واقترحوا
لانفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامح النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف
وفي الاستيناف بالجملة حسن واشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله وجارة
جساس ابأنا بنابها كليبا علت ناب كليب بواؤها يوم يرون الملائكة ملائكة
الموت او العذاب ويوم نصب باذكر او بما دل عليه لا بشرى يومئذ للمجرمين فانه
بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ تكرير او خبر وللمجرمين تبيين او خبر ثان او ظرف
لما يتعلق به اللام او لبشرى ان قدرت منونة غير مبنية مع لا فانها لا تعمل
وللمجرمين اما عام يتناول حكمه حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم من نفي البشرى لعامة
المجرمين حينئذ نفي البشرى بالعفو والشفاعة في وقت اخر واما خاص وضع موضع
ضميرهم تسجيلا على جرمهم واشعارا بما هو المانع للبشرى والموجب لما يقابلها
ويقولون حجرا محجورا عطف على المدلول اي ويقولون الكفرة حينئذ هذه الكلمة
استعاذة وطلبا [illegible] ان يمنع لقاءهم وهي مما كانوا يقولون عند لقاء عدو
او هجوم مكروه او يقولها الملائكة بمعنى حراما محرما عليكم الجنة او البشرى وقرئ

وقرئ حجرا بالضم واصله الفتح غير انه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك و
عمرك ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه ووصفه بمحجور للتاكيد كقولهم موت
مائت وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا اي وعمدنا الى ما عملوا
في كفرهم من المكارم كقرى الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف فاحبطناه لفقد ما هو
شرط واعتباره وهو تشبيه حالهم واعمالهم بحال قوم استعصوا سلطانهم فقدم
الى اشيائهم فمزقها وابطلها ولم يبق لها اثرا والهباء غبار يرى في شعاع
الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهو الغبار ومنثورا صفته شبه به عملهم المحبط
في حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه في انتشاره بحيث لا يمكن نظمه او تفرقه
نحو اغراضهم التي كانوا يتوجهون به نحوها او مفعول ثالث من حيث انه
كالخبر بعد الخبر كقوله كونوا قردة خاسئين اصحاب الجنة يومئذ خير
مستقرا مكانا يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس والتحادث واحسن مقيلا
مكانا يؤوى اليه للاسترواح بالازواج والتمتع بهن تجوزا له من مكان القيلولة
على التشبيه او لانه لا يخلو من ذلك اذ لا نوم في الجنة وفي احسن رمز الى ما
يتزين به مقيلهم من حسن الصور وغيره من التحاسين ويحتمل ان يراد باحدهما
المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل من الامكنة
والازمنة والتفضيل اما لارادة الزيادة مطلقا او بالاضافة الى ما للمترفين
في الدنيا روي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة
واهل النار في النار ويوم تشقق السماء اصله تتشقق فحذف التاء وادغمها ابن
كثير ونافع وابن عامر ويعقوب بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام
المذكور في قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ونزل
الملائكة تنزيلا في ذلك الغمام وهو الغمام بصحائف اعمال العباد وقرا ابن كثير
وننزل وقرئ وننزل وانزل ونزلت وانزلت ونزل ونزل الملائكة بحذف نون
الكلمة الملك يومئذ الحق للرحمن الثابت له لان كل ملك يبطل يومئذ ولا يبقى
الا ملكه فهو الخبر وللرحمن صلته او تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق لانه متاخر
او صفة والخبر يومئذ او للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا شديدا ويوم
يعض الظالم على يديه من فرط الحسرة وعض اليدين واكل البنان وحرق الاسنان
ونحوها كنايات من الغيظ والحسرة لانها من روادفها والمراد بالظالم الجنس وقيل
عقبة بن ابي معيط كان يكثر مجالسة النبي عليه السلام فدعاه الى ضيافته فابى ان ياكل
طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال
صبأت فقال لا ولكن ابى ان ياكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له
والشهادة ليست في نفسي فقال ارضى منك الا ان تاتيه وتطأ قفاه وتبزق في

في وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال عمر لا القاك خارجا من مكة
الا علوت راسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا فقتله وطعن ابيا باحد في المبارزة
فرجع الى مكة ومات يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا طريقا الى النجاة او الى الجنة
او طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم تتشعب بي طرق الضلالة يا ويلتا وقرئ بالياء
في الاصل ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يعني من اضله وفلان كناية عن الاعلام كما ان هنا
كناية عن الاجناس لقد اضلني عن الذكر عن ذكر الله او كتابه او موعظة الرسول او كلمة
الشهادة بعد اذ جاءني وتمكنت منه وكان الشيطان يعني الخليل المضل او ابليس لانه حمله
على مخالته ومخالفة الرسول او كل من تشيطن من جن وانس للانسان خذولا يواليه حتى
يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعول من الخذلان وقال الرسول محمد يومئذ
او في الدنيا بثا الى الله يا رب ان قومي قريشا اتخذوا هذا القران مهجورا بان تركوه
وصدوا عنه وعنه عليه السلام من تعلم القران وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه
جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه
او هجروا ولغوا فيه اذا سمعوه او زعموا انه هجر واساطير الاولين فيكون اصلها
مهجورا فيه فحذف الجار ويجوز ان يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف لقومه
لان الانبياء اذا شكوا الى الله قومهم عجل الله لهم العذاب وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا
من المجرمين كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا وفيه دليل على انه خالق الشر والعدو يحتمل
الواحد والجمع وكفى بربك هاديا الى طريق قهرهم ونصيرا لك عليهم وقال الذين كفروا
لولا نزل عليه القران اي انزل عليه كخبر بمعنى اخبر لئلا يناقض قوله جملة واحدة دفعة
واحدة كالكتب الثلثة وهو اعتراض لا طائل لان الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة او مفرقا
مع ان للتفريق فوائد منها ما اشار اليه بقوله كذلك لنثبت به فؤادك اي كذلك
انزلناه مفرقا لنقوي بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه لان حاله يخالف حال موسى وداود
وعيسى حيث كان اميا وكانوا يكتبون فلو القي عليه جملة تعنى بحفظه ولعله لم يستتب له
فان التلقف لا يتاتى الا شيئا فشيئا ولان نزوله بحسب الوقايع يوجب مزيد بصيرة
وغوص في المعنى ولانه اذا انزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك
قوة قلبه ولانه اذا نزل به جبرائيل حالا بعد حال يثبت به فؤاده ومنها معرفة الناسخ
والمنسوخ ومنها انضمام القراين الحالية الى الدلالات اللفظية فانه يعين على البلاغة
وكذلك صفة مصدر محذوف والاشارة الى انزاله مفرقا فانه مدلول عليه بقوله
لولا نزل عليه القران جملة ويحتمل ان يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون
حالا والاشارة الى الكتب السابقة واللام على الوجهين متعلق بمحذوف ورتلناه ترتيلا
وقراناه عليك شيئا بعد شيء على تؤدة وتمهل في عشرين سنة او ثلث وعشرين سنة
واصل الترتيل في الاسنان وهو تفليجها ولا ياتونك بمثل سؤال عجيب كانه مثل في البطلان

البطلان يريدون به القدح في نبوتك الا جئناك بالحق الدافع له في جوابه واحسن
تفسيرا وبما هو احسن بيانا او معنى من سؤالهم او لا ياتونك بحال عجيبة يقولون هلا
كانت هذه حاله الا اعطيناك من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا وما هو احسن كشفا
لما بعثت له الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اي مقلوبين او مسحوبين اليها او متعلقة
قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها وعنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيمة
على ثلثة اصناف صنف على الدواب وصنف على الاقدام وصنف على الوجوه
وهو ذم منصوب او مرفوع او مبتدا خبره اولئك شر مكانا واضل سبيلا
والمفضل عليه هو الرسول على طريقة قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله
من لعنه الله وغضب عليه كانه قيل ان حاملهم على هذه الاسولة تحقير مكانه وتضليل
سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا وقيل انه متصل بقوله
اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي
للمبالغة ولقد اتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا يوازره في
الدعوة واعلاء الكلمة ولا ينافي ذلك مشاركته في النبوة لان المتشاركين في الامر
متوازران عليه فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا يعني فرعون وقومه باياتنا
فدمرناهم تدميرا اي فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم فاختصر على حاشيتي القصة
اكتفاء بما هو المقصود منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم
والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع وقرئ فدمرتهم فدمراهم فدمرانهم على التاكيد بالنون
الثقيلة وقوم نوح لما كذبوا الرسل كذبوا نوحا ومن قبله او نوحا وحده ولكن تكذيب واحد
من الرسل كتكذيب الكل او بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة اغرقناهم بالطوفان وجعلناهم
وجعلنا اغراقهم او قصتهم للناس اية عبرة واعتدنا للظالمين عذابا اليما يحتمل التعميم
والتخصيص فيكون وضعا للظاهر موضع الضمير تظليما لهم وعادا وثمود عطف على هم
في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين وقرئ وثمود على تاويل القبيلة
واصحاب الرس قوم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبيناهم
حول الرس وهي البئر الغير المطوية فانهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية
بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث نبي فقتلوه فهلكوا وقيل الاخدود وقيل بئر
بانطاكية قتلوا فيها حبيب النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبي ابتلاهم
الله بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم
الذي يقال له فتخ او دمخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم اذا اعوزها الصيد ولذلك
سميت مغربا فدعا عليهم حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه فاهلكوا وقيل
قوم كذبوا نبيهم ورسوه اي دسوه في بئر وقرونا واهل اعصار قيل القرن اربعون سنة
وقيل سبعون سنة وقيل مائة وعشرون بين ذلك اشارة الى ما ذكر كثيرا لا يعلمها

الا الله وكلا ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين انذارا
واعذارا فلما اصروا اهلكوا كما قال وكلا تبرنا تتبيرا فتتناه تفتيتا ومنه التبر
لفتات الذهب والفضة وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا كانذرنا والثاني
بتبرنا لانه فارغ ولقد اتوا يعني قريشا مروا مرارا في متاجرهم الى الشام على القرية
التي امطرت مطر السوء يعني سدوم عظمى قرى قوم لوط امطرت عليهم الحجارة افلم يكونوا
يرونها في مرار مرورهم فيتعظون بما يرون فيها من آثار عذاب الله بل كانوا لا يرجون
نشورا بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا
فمروا بها كما مرت ركابهم او لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون طمعا في الثواب او لا
يخافون على اللغة التهامية واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك الا
موضع هزو او مهزوا به اهذا الذي بعث الله رسولا محكي بعد قول مضمر والاشارة
للاستحقار واخراج بعث الله رسولا في معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية
الانكار تهكم واستهزاء ولولاه لقالوا اهذا الذي زعم انه بعثه الله رسولا ان
انه كاد ليضلنا عن آلهتنا ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء
الى التوحيد وكثرة ما يورد مما يسبق الى الذهن انها حجج ومعجزات لولا ان
صبرنا عليها ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا في مثله تقييد للحكم من حيث
المعنى دون اللفظ وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا
كالجواب لقولهم ان كاد ليضلنا فانه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له
وفيه وعيد ودلالة على انه لا يهملهم وان امهلهم ارأيت من اتخذ الهه هواه بان
اطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا يتبصر دليلا وانما قدم المفعول الثاني للعناية
به افانت تكون عليه وكيلا حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصي وحاله هذا
فالاستفهام الاول للتقرير والتعجب والثاني للانكار ام تحسب بل اتحسب ان اكثرهم
يسمعون او يعقلون فتجدي لهم الآيات والحجج فتهتم بشأنهم وتطمع في ايمانهم وهو
اشد مذمة مما قبله حتى حق بالاضراب عنه اليه وتخصيص الاكثر لانه كان منهم من آمن
ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارا وخوفا على الرياسة ان هم الا كالانعام في عدم
انتفاعهم بقرع الآيات آذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات
بل هم اضل سبيلا من الانعام لانها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها
ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم
ولا يعرفون احسانه من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو
اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار ولانها لم تعتقد حقا
ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرا بخلاف هؤلاء ولان جهالتها
لا تضر باحد وجهالة هؤلاء تؤدي الى هيج الفتن وصد الناس عن الحق ولانها

ولانها غير متمكنة عن طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهؤلاء مقصرون و
مستحقون اعظم العقاب على تقصيرهم الم تر الى ربك الم تنظر الى صنعه كيف
مد الظل كيف بسطه او لم تنظر الى الظل كيف مده ربك فغير النظم اشعارا بان
المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرفه على الوجه النافع
باسباب ممكنة على ان ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئي المحسوس فكيف
بالمحسوس منه او الم ينته علمك الى ان ربك كيف مد الظل فيما بين طلوع الفجر
والشمس وهو اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع
الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود ولو
شاء لجعله ساكنا ثابتا من السكنى او غير متقلص من السكون بان يجعل الشمس مقيمة
على وضع واحد ثم جعلنا الشمس عليه دليلا فانه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوءها
على بعض الاجرام او لا يوجد ولا يتفاوت الا بسبب حركتها ثم قبضناه الينا
اي ازلناه بايقاع الشمس موقعه لما عبر عن احداثه بالمد بمعنى التسيير عبر عن ازالته
بالقبض الى نفسه الذي هو معنى الكف قبضا يسيرا قليلا قليلا حسبما ترتفع
الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق وثم في الموضعين
لتفاضل الامور او لتفاضل مبادي اوقات ظهورها وقيل مد الظل لما بنى السماء
بلا نير ودحى الارض تحتها فالقت عليها ظلها ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحالة
ثم خلق الشمس عليه دليلا اي مسلطا عليه مستتبعا اياه كما يستتبع الدليل المدلول
او دليلا لطريق من يهديه يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا شيئا فشيئا
الى ان ينتهي غاية نقصانه او قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه من الاجرام
المظلة والمظل عليها وهو الذي جعل لكم الليل لباسا شبه ظلامه باللباس في ستره
والنوم سباتا راحة للابدان بقطع المشاغل واصل السبت القطع او موتا كقوله
وهو الذي يتوفاكم بالليل لانه قطع الحيوة ومنه المسبوت للميت وجعل النهار نشورا
اذ النشور اي انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش او بعث من النوم بعث الاموات
ويكون اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمان يا بني
كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وهو الذي ارسل الرياح وقرأ ابن كثير
على التوحيد ارادة للجنس نشرا ناشرات للسحاب جمع نشور وقرأ ابن عامر بالسكون
على التخفيف وحمزة والكسائي به وبفتح النون على انه مصدر وصف به وعاصم بشرا
بتخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر بين يدي رحمته يعني قدام المطر وانزلنا من
السماء ماء طهورا مطهرا لقوله تعالى ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء و
والوقود لما يتوضأ ويوقد به قال عليه السلام التراب طهور المؤمن طهور اناء
احدكم اذا ولغ الكلب فيه ان يغسل سبعا احداهن بالتراب وقيل بليغا في الطهارة

وفعول وان غلب في المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كالصبوب وللمصدر كالقبول
وللاسم كالذنوب وتوصيف الماء به اشعار بالنعمة فيه وتتميم للمنة فيما بعده فان
الماء الطهور اهنأ وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيه على ان ظواهرهم
لما كانت مما ينبغي ان يطهروها فبواطنهم بذلك اولى لنحيي به بلدة ميتا بالنبات
وتذكير ميتا لان البلدة في معنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة
فاجري مجرى الجامد ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا يعني اهل البوادي
الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم لان اهل المدن
والقرى يقيمون بقرب الانهار والمنافع فبهم وبما حولهم من الانعام غنية عن سقيا السماء
وساير الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق
هذه الايات كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام قنية
الاناسي وعامة منافعهم وعلية معايشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيها
على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانها سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه
وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسي بحذف ياء اناسي جمع انسي
او انسان كظرابي في ظربان على ان اصله اناسين فقلبت النون ياء ولقد
صرفناه بينهم صرفنا هذا القول بين الناس في القران وسائر الكتب او المطر
بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة والصفات المتفاوتة من وابل
وطل وغيرهما وعن ابن عباس ما عام امطر من عام ولكن الله قسم بين عباده
ما شاء وتلا هذه الاية او في الانهار والمنافع ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا كمال
القدرة وحق النعمة في ذلك ويقوموا بشكره او ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم
فابى اكثر الناس الا كفورا الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها او جحودها بان
يقولوا امطرنا بنوء كذا ومن لا يرى الامطار الا من الانواء كان كافرا بخلاف من
يرى انها من خلق الله والانواء وسائط وامارات بجعله تعالى ولو شئنا لبعثنا
في كل قرية نذيرا نبيا ينذر اهلها فيخف عليك اعباء النبوة لكن قصرنا الامر عليك
اجلالا لك وتعظيما لشأنك وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات
والاجتهاد في الدعوة واظهار الحق فلا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وهو
تهييج له وللمؤمنين وجاهدهم به بالقران او بترك طاعتهم الذي يدل عليه فلا تطع
والمعنى انهم يجتهدون في ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد في مخالفتهم وازاحة باطلهم
جهادا كبيرا لان مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف او لان
مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم او لانه جهاد مع كل
الكفرة لانه مبعوث الى كافة القرى وهو الذي مرج البحرين خلاهما متجاورين
متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها هذا عذب فرات قامع

قامع للعطش من فرط عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل
ولعل اصله مالح فخفف كبرد في بارد وجعل بينهما برزخا حاجزا من قدرته وحجرا
محجورا وتنافرا بليغا كان كلا منهما يقول للاخر ما يقوله المتعوذ عنه وقيل حدا
محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل
المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما
من الارض ويكون القدرة في الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة اجزاء
كل عنصر ان تضامت وتلاصقت وتشابهت في الكيفية وهو الذي خلق من الماء
بشرا يعني الذي خمر به طينة ادم او جعله جزءا من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويقبل
الاشكال والهيئات بسهولة او النطفة فجعله نسبا وصهرا اي قسمه قسمين ذوي نسب
اي ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن كقوله وجعل منه الزوجين
الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث خلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة
وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توامين ذكرا و
انثى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم يعني الاصنام او كل ما عبد
من دون الله اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر وكان الكافر على ربه ظهيرا
يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل هينا
مهينا لا وقع له عنده من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله تعالى
ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا للمؤمنين والكافرين قل ما
اسئلكم عليه على تبليغ الرسالة الذي يدل عليه الا مبشرا ونذيرا من اجر الا من شاء
الا فعل من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا ان يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان
والطاعة فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود فعله واستثناه منه قلعا
لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة حيث اعتد بانفاعك نفسك بالتعرض للثواب
والتخلص عن العقاب اجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشعارا بان طاعتهم تعود
عليه بالثواب من حيث انها بدلالته وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن من شاء
ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحي الذي لا يموت في استكفاء شرورهم
والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين يموتون فانهم
اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وسبح بحمده ونزهه عن صفات النقصان مثنيا
عليه باوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابقه وكفى به بذنوب عباده
ما ظهر منها وما بطن خبيرا مطلعا فلا عليك ان امنوا او كفروا الذي خلق السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن قد سبق الكلام
فيه ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل
والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والتاني في الامر فانه تعالى مع كمال قدرته

وسرعة نفاذ امره في كل مراد خلق الاشياء على تؤدة وتدرج الرحمن خبر للذي ان
جعلته مبتدأ وللمحذوف ان جعلته صفة للحي او بدل من المستكن في استوى وقرئ
بالجر صفة للحي فاسئل به خبيرا فاسئل عما ذكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته
وهو الله تعالى او جبرائيل او من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه وقيل الضمير
للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله فاسئل عنه من يخبرك من اهل الكتاب
ليعرفوا مجي ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده
والسؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء
وقيل انه صلة خبيرا واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن لانهم
ما كانوا يطلقونه على الله او لانهم ظنوا انه اراد به غيره ولذلك قالوا
انسجد لما تأمرنا اي للذي تأمرنا يعني تأمرنا بسجوده او لامرك لنا من غير
عرفان وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وهو قراءة حمزة والكسائي وقرأ الباقون
يأمرنا بالياء على انه قول بعضهم وزادهم اي الامر بالسجود للرحمن نفورا عن
الايمان تبارك الذي جعل في السماء بروجا يعني البروج الاثني عشر سميت
وهي القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها واشتقاقه
من التبرج لظهوره وجعل فيها سراجا يعني الشمس كقوله وجعل الشمس سراجا وقرأ
حمزة والكسائي سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار وقمرا منيرا مضيئا بالليل
وقرئ وقمرا اي ذا قمر وهو جمع قمراء ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد
والعرب والعرب وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي ذوي خلفة يخلف
كل منهما الاخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه او بان يعتقبا كقوله تعالى
واختلاف الليل والنهار وهي للحالة من خلف كالركبة والجلسة لمن اراد ان يذكر
ان يتذكر الاء الله ويتفكر في صنعه فيعلم ان لا بد له من صانع حكيم واجب الذات
رحيم على العباد او اراد شكورا اي يشكر الله على ما فيه من النعم او ليكونا وقتين
للمتذكرين والشاكرين من فاته ورده في احدهما تداركه في الاخر وقرأ حمزة
ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائي فيه وعباد الرحمن
مبتدأ خبره اولئك يجزون الغرفة او الذين يمشون على الارض واضافتهم الى
الرحمن للتخصيص والتفضيل او لانهم الراسخون في عبادته على ان عباد جمع عابد كتاجر
وتجار هونا هينين او مشيا هينا مصدر وصف به والمعنى انهم يمشون بسكينة
وتواضع واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما تسلما منكم ومتاركة لكم لا خير
بيننا ولا شر او سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم ولا ينافيه
اية القتال لتنسخه فان المراد هو الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام
والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما في الصلوة وتخصيص البيتوتة لان العبادة

العبادة بالليل احمز وابعد من الرياء وتأخير القيام للروي وهو جمع قائم او مصدر
اجري مجراه والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان
غراما لازما ومنه الغريم لملازمته وهو ايذان بانهم مع حسن مخالطتهم مع الخلق
واجتهادهم في عبادة الخالق وجلون من العذاب مبتهلون الى الله في صرفه عنهم لعدم
اعتدادهم باعمالهم ووثوقهم على استمرار احوالهم انها ساءت مستقرا ومقاما
بئست مستقرا وفيها ضمير مبهم يفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير محذوف به ترتبط
الجملة باسم ان او احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز والجملة تعليل
للعلة الاولى او تعليل ثان وكلاهما يحتملان الحكاية والابتداء من الله والذين اذا انفقوا
لم يسرفوا لم يجاوزوا حد الكرم ولم يقتروا ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف
هو الانفاق في المحارم والتقتير منع الواجب وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء وكسر التاء
وقرأ الكوفيون ونافع وابن عامر بضم الياء ولم يقتروا من اقتر وقرئ بالتشديد
والكل واحد وكان بين ذلك قواما وسطا وعدلا سمي به لاستقامة الطرفين
كما سمي سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا
ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة ويجوز ان يكون الخبر وبين ذلك لغوا وقيل انه
اسم كان لكنه مبني لاضافته الى غير متمكن وهو ضعيف لانه بمعنى القوام فيكون
كالاخبار بالشيء عن نفسه والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون
النفس التي حرم الله اي حرمها بمعنى حرم قتلها الا بالحق متعلق بالقتل المحذوف
او بلا يقتلوا ولا يزنون نفي عن امهات المعاصي بعد ما اثبت لهم اصول الطاعات
اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضا
للكفرة باضداده ولذلك عقبه الوعيد تهديدا لهم فقال ومن يفعل ذلك يلق
اثاما جزاء اثم او اثما باضمار الجزاء وقرئ اياما اي شدائد يقال يوم ذو ايام
اي صعب يضاعف له العذاب يوم القيمة بدل من يلق لانه في معناه كقوله
متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وقرأ ابو بكر بالرفع على
الاستئناف او الحال وكذلك ويخلد فيه مهانا وابن كثير ويعقوب يضعف
بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد وحذف الالف في يضاعف وابو عمرو
ويخلد على بناء المفعول مخففا وقرئ مثقلا وتضعف له العذاب ومضاعفة
العذاب لانضمام المعصية الى الكفر ويدل عليه قوله الا من تاب وامن وعمل عملا
صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة
ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة وقيل
بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وكان
الله غفورا رحيما فلذلك يعفو عن السيئات ويثيب على الحسنات ومن تاب عن

المعاصي بتركها والندم عليها وعمل صالحا يتلافى به ما فرط او خرج عن المعاصي ودخل
في الطاعة فانه يتوب الى الله يرجع الى الله بذلك متابا مرضيا عند الله ماحيا
للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله الذي يحب التائبين ويصطنع بهم
او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص والذين لا يشهدون
الزور لا يقيمون الشهادة الباطلة او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل
شركة فيه واذا مروا باللغو ما يجب ان يلغى ويطرح مروا كراما معرضين عنه
مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش
والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به والذين اذا ذكروا بآيات
ربهم بالوعظ او القراءة لم يخروا عليها صما وعميانا لم يقيموا عليها غير واعين لها
ولا متبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بل اكبوا عليها سامعين باذان واعية
مبصرين بعيون راعية فالمراد من النفي نفي الحال دون الفعل كقولك لا يلقاني
زيد مسلما وقيل الهاء للمعاصي المدلول عليها باللغو والذين يقولون ربنا هب لنا
من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان
المؤمن اذا شاركه اهله في طاعة الله سر بهم قلبه وقرت بهم عينه لما يرى من مساعدتهم
في الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة ومن ابتدائية او بيانية كقولك رايت منك
اسدا وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر ذريتنا وتنكير الاعين لارادة
تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون
غيرهم واجعلنا للمتقين اماما يقتدون بنا في امر الدين باضافة العلم والتوفيق
للعمل وتوحيده للدلالة على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا او لانه مصدر
في اصله او لان المراد واجعل كل واحد منا او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم
واتفاق كلمتهم وقيل جمع آم كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم
اولئك يجزون الغرفة اعلى مواضع الجنة وهي اسم جنس اريد به الجمع لقوله
وهم في الغرفات آمنون والقراءة بها وقيل هي من اسماء الجنة بما صبروا
بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون
فيها تحية وسلاما دعاء بالتعمير والسلامة اي يحييهم الملائكة ويسلمون عليهم
او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليهم او تبقية دائمة وسلامة من كل آفة وقرا
حمزة والكسائي وابو بكر يلقون من لقي خالدين فيها لا يموتون فيها ولا يخرجون
حسنت مستقرا ومقاما مقابل ساءت مستقرا معنى ومثله اعرابا قل ما
يعبؤا بكم ربي ما يصنع بكم من عبأت الجيش اذا هيأته او لا يعتد بكم لولا دعاؤكم
لولا عبادتكم فان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة والا فهو وسائر
الحيوانات سواء وقيل معناه ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه الها وما ان جعلت

ان جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدر كانه قيل اي عبء يعبؤ بكم
فقد كذبتم بما اخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب
القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون منكم لان توجه الخطاب
الى الناس عامة بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب فسوف يكون لزاما
يكون جزاء التكذيب لازما يحيق بكم لا محالة او اثره لازما بكم حتى يكبكم في النار
وانما اضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه على انه مما لا يكتنهه الوصف وقيل المراد قتل
يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت
عن النبي عليه السلام من قرا سورة الفرقان لقي الله وهو مؤمن بان الساعة آتية
لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء
يتبعهم الغاوون وهي مائتان وست او سبع وعشرون آية
بسم الله الرحمن الرحيم طسم قرا حمزة والكسائي وابو بكر بالامالة ونافع بين
بين كراهة العود الى الياء المهروب منها واظهر نونه حمزة لانه في الاصل منفصل
عما بعده تلك آيات الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحته والاشارة الى السورة
او القرآن على ما مر في اول البقرة لعلك باخع نفسك قاتل نفسك واصل
البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ
باخع نفسك بالاضافة ولعل للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة
الا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا او خيفة ان لا يؤمنوا ان نشا ننزل عليهم من السماء
آية دلالة ملجئة الى الايمان او بلية قاسرة عليه فظلت اعناقهم لها خاضعين
منقادين واصله فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع
وترك الخبر على اصله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء اجريت
مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء او الجماعات من قولهم جاء عنق من الناس لفوج
منهم وقرئ خاضعة فظلت عطف على ننزل عطف واكن على فاصدق لانه لو قيل
انزلنا بدله لصح وما يأتيهم من ذكر موعظة او طائفة من القرآن من الرحمن بوحيه
الى نبيه محدث مجدد انزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير الا كانوا عنه معرضين
الا جددوا اعراضا عنه واصرارا على ما كانوا عليه فقد كذبوا اي بالذكر بعد اعراضهم
وامعنوا في تكذيبه بحيث ادى بهم الى الاستهزاء به المخبر به عنهم ضمنا في قوله فسيأتيهم
اي اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيمة انباء ما كانوا به يستهزءون من انه
كان حقا ام باطلا وكان حقيقا بان يصدق ويعظم قدره او يكذب فيستخف امره
اولم يروا الى الارض اولم ينظروا الى عجائبها كم انبتنا فيها من كل زوج صنف
كريم محمود كثير المنفعة وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى في بابه وههنا يحتمل ان تكون
مقيدة لما يتضمن الدلالة على القدرة وان تكون مبينة منبهة على انه ما من نبت

الاوله فايدة اما وحده او مع غيره وكل لاحاطة الازواج وكم لكثرتها ان في ذلك
ان في انبات تلك الاصناف او في كل واحد لاية على ان منبتها تام القدرة
والحكمة سابغ النعمة والرحمة وما كان اكثرهم مؤمنين في علم الله وقضائه فلذلك
لا ينفعهم امثال هذه الايات العظام وان ربك لهو العزيز الغالب القادر على
الانتقام من الكفرة الرحيم حيث امهلهم او العزيز في انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب
وامن واذ نادى ربك موسى مقدر باذكر او ظرف لما بعده ان ائت اي ائت
او بان ائت القوم الظالمين بالكفر واستعباد بني اسرائيل وذبح اولادهم قوم فرعون
بدل من الاول او عطف بيان له ولعل الاقتصار على القوم للعلم بان فرعون كان
اولى بذلك الا يتقون استيناف اتبعه ارساله اليهم للانذار تعجيبا له من افراطهم
في الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء على الالتفات اليهم زجرا لهم وغضبا عليهم
وان كانوا غيبا حينئذ اجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه
اليهم واسماعه مبدا اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتامل
مورده وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الاضافة ويحتمل ان يكون بمعنى الا يا ناس
اتقون كقوله الا يا اسجدوا قال رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري
ولا ينطلق لساني فارسل الى هارون رتب استدعاء ضم اخيه اليه واشراكه له
في الامر على الامور الثلثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالا عنه وازدياد الحبسة
في اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت
مست الحاجة الى معين يقوي قلبه وينوب منابه متى تعتريه حبسة حتى لا تختل
دعوته ولا تنبتر حجته وليس ذلك تعللا منه وتوقفا في تلقي الامر بل طلبا لما يكون
معونة على امتثاله وتمهيد عذره فيه وقرا يعقوب ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا
على يكذبون فيكونان من جملة ما خاف عنه ولهم علي ذنب اي تبعة ذنب فحذف
المضاف او سمي باسمه والمراد قتل القبطي وانما سماه ذنبا على زعمهم وهذا اختصار
قصته المبسوطة في مواضع فاخاف ان يقتلون به قبل اداء الرسالة وهو ايضا
ليس تعللا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة كما ان ذلك استمداد واستظهار
في امر الدعوة وقوله قال كلا فاذهبا باياتنا اجابة له الى الطلبتين بوعد الدفع
اللازم لردعه عن الخوف وضم اخيه اليه في الارسال والخطاب في فاذهبا على تغليب الحاضر
لانه معطوف على الفعل الذي يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن
فاذهب انت والذي طلبته انا معكم يعني موسى وهارون وفرعون مستمعون سامعون
لما يجري بينكما وبينه فاظهركما عليه مثل نفسه بمن حضر مجادلة قوم استماعا لما يجري
بينهم وترقبا لامداد اوليائه منهم مبالغة في الوعد بالاعانة ولذلك تجوز
بالاستماع الذي هو بمعنى الاصغاء للسمع الذي هو مطلق ادراك الحروف و

الحروف والاصوات وهو خبر ثان او الخبر وحده ومعكم لغو فاتيا فرعون
فقولا انا رسول رب العالمين افرد الرسول لانه مصدر وصف به فانه مشترك
بين المرسل والرسالة قال لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم
برسول ولذلك ثني تارة وافرد اخرى او لاتحادهما للاخوة او لوحدة المرسل
والمرسل به او لانه اراد ان كل واحد منا ان ارسل معنا بني اسرائيل اي ارسل
لتضمن الرسول معنى الارسال المتضمن معنى القول والمراد خلهم يذهبوا معنا
الى الشام قال اي فرعون لموسى بعد ما اتياه فقالا له ذلك الم نربك فينا في منازلنا
وليدا طفلا سمي به لقربه من الولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث فيهم
ثلثين سنة ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلثين ثم بقي
بعد الغرق خمسين وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي وبخه به معظما
اياه بعد ما عدد عليه نعمته وقرئ فعلتك بالكسر لانها كانت قتلة بالوكز
وانت من الكافرين بنعمتي حتى عمدت الى قتل خواصي او ممن تكفرهم الان فانه كان
عليه السلام يعايشهم بالتقية فهو حال من احدى التائين ويجوز ان يكون حكما مبتدا عليه
من الكافرين بالهيئة لما عاد عليه بالمخالفة او من الذين كانوا يكفرون في دينهم قال
فعلتها اذا وانا من الضالين من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل
اولي الجهل والسفه او من الخاطئين لانه لم يتعمد قتله او الذاهبين عما يؤول اليه
الوكز لانه اراد به التاديب او الناسين من قوله ان تضل احديهما ففررت منكم
لما خفتكم فوهب لي ربي حكما حكمة وجعلني من المرسلين ردا اولا بذلك ما وبخه
به قدحا في نبوته ثم كر على ما عدد عليه من النعمة ولم يصرح برده لانه كان صدقا غير قادح
في دعواه بل نبه على انه كان في الحقيقة نقمة لكونها مسببا عنها فقال وتلك نعمة تمنها
علي ان عبدت بني اسرائيل اي وتلك التربية نعمة تمنها علي ان عبدت بها ظاهرا او
في الحقيقة تعبيدك بني اسرائيل وقصدهم بذبح ابنائهم فانه السبب في وقوعي اليك
وحصولي في تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اي او تلك نعمة تمنها علي وهي ان
عبدت ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر محذوف او بدل نعمة او الجر باضمار الباء
او النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت عطف
بيان والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وانما وحد الخطاب في تمنها وجمع فيما
قبله لان المنة كانت منه وحده والخوف والفرار منه ومن ملائه قال فرعون وما
رب العالمين لما سمع جواب ما طعن به فيه وراى انه لم يرعو بذلك شرع في الاعتراض
على دعواه فبدا بالاستفسار عن حقيقة المرسل قال رب السموات والارض وما بينهما
عرفه باظهر خواصه واثاره لما امتنع تعريف الافراد الا بذكر الخواص والافعال واليه
واشار بقوله ان كنتم موقنين اي ان كنتم موقنين الاشياء محققين لها علمتم

ان هذه الاجرام المحسوسة ممكنة لتركبها وتعددها وتغير احوالها فلها مبدأ واجب
لذاته وذلك المبدأ لا بد وان يكون مبدأ لسائر الممكنات ما يمكن ان يحس بها
وما لا يمكن والا لزم تعدد الواجب واستغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما محال
ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما
هو داخل فيه لاستحالة التركيب في ذاته قال لمن حوله الا تستمعون جوابه سألته
عن حقيقته وهو يذكر افعاله او يزعم انه رب السموات وهي واجبة متحركة لذواتها
كما هو مذهب الدهرية او غير معلوم افتقارها الى مؤثر قال ربكم ورب آبائكم الاولين
عدولا الى ما لا يمكن ان يتوهم فيه مثله ويشك في افتقاره الى مصور حكيم ويكون اقرب
الى الناظر واوضح عند المتامل قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اسأله
عن شيء ويجيبني عن آخر وسماه رسولا على السخرية قال رب المشرق والمغرب وما
بينهما تشاهدون كل يوم انه يأتي بالشمس ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذي قبله
حتى يبلغها الى المغرب على وجه نافع ينتظم به امور الكائنات ان كنتم تعقلون
ان كان لكم عقل علمتم ان لا جواب لكم فوق ذلك لاينهم اولا ثم لما راى شدة
شكيمتهم وخشانتهم عارضهم بمثل مقالتهم قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك
من المسجونين عدولا الى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند
المحجوج واستدل به على ادعائه الالوهية وانكاره الصانع وان تعجبه بقوله
الا تستمعون من نسبة الربوبية الى غيره ولعله كان دهريا اعتقد ان من ملك قطرا او تولى
امره بقوة طالعه استحق العبادة من اهله واللام في من المسجونين للعهد اي ممن عرفت
حالهم في سجوني فانه كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل ابلغ من
لاسجننك قال اولو جئتك بشيء مبين اي تفعل ذلك ولو جئتك بشيء
يبين صدق دعواي يعني المعجزة فانها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته
والدلالة على صدق مدعي نبوته فالواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل قال فأت
به ان كنت من الصادقين في ان لك بينة او في دعواك فان مدعي النبوة لا بد له
من حجة فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر ثعبانيته واشتقاق الثعبان
من ثعبت الماء فانثعب اذا فجرته فانفجر ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين روي
ان فرعون لما راى الآية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده فقال ما فيها فادخل في
ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق قال للملأ حوله مستقرين
حوله فهو ظرف وقع موقع الحال ان هذا لساحر عليم فائق في علم السحر يريد ان يخرجكم
من ارضكم بسحره فماذا تأمرون بهره سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية
الى مؤامرة القوم وائتمارهم وتنفيرهم عن موسى واظهار الاستشعار عن ظهوره
واستيلائه على ملكه قالوا ارجه واخاه اخر امرهما وقيل احبسهما وابعث في المدائن

في المدائن حاشرين شرطا يحشرون السحرة يأتوك بكل سحار عليم يفضلون
عليك في هذا الفن وامالها ابن عامر وابو عمرو والكسائي وقرئ بكل ساحر فجمع
السحرة لميقات يوم معلوم لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت
الضحى من يوم الزينة وقيل للناس هل انتم مجتمعون فيه استبطاء لهم
في الاجتماع حثا على مبادرتهم اليه كقول تابط شرا هل انت باعث دينار لحاجتنا
او عبد رب اخا عون بن مخراق اي ابعث احدهما الينا سريعا لعلنا نتبع
السحرة ان كانوا هم الغالبين لعلنا نتبعهم في دينهم ان غلبوا والترجي لاعتبار
الغلبة المقتضية للاتباع ومقصودهم الاصلي ان لا يتبعوا موسى لا ان يتبعوا
السحرة فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى فلما
جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم
وانكم اذا لمن المقربين التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة عليه ان غلبوا
فاذن على ما يقتضيه من الجواب والجزاء وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان قال
لهم موسى القوا ما انتم ملقون اي بعد ما قالوا له اما ان تلقي واما ان نكون
نحن الملقين ولم يرد به امرهم بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه لا
محالة توسلا به الى اظهار الحق فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون
انا لنحن الغالبون اقسموا بعزته على ان الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في انفسهم
واتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف
تبتلع وقرا حفص تلقف بالتخفيف ما يافكون ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم
وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى او افكهم تسمية للمأفوك
به مبالغة فالقي السحرة ساجدين لعلمهم بان مثله لا يتاتى بالسحر وفيه دليل
على ان منتهى السحر تمويه وتزوير يخيل شيئا لا حقيقة له وان التبحر في كل فن نافع
وانما بدل الخرور بالالقاء ليشاكل ما قبله ويدل على انهم لما راوا ما راوا لم يتمالكوا
انفسهم وكانهم اخذوا فطرحوا على وجوههم وانه تعالى القاهم بما خولهم من التوفيق
قالوا آمنا برب العالمين بدل من القي بدل الاشتمال او حال باضمار قد رب
موسى وهارون ابدال للتوضيح ودفع التوهم والاشعار على ان الموجب لايمانهم
ما اجراه على ايديهما قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر
فعلمكم شيئا دون شيء ولذلك غلبكم او فواعدكم على ذلك وتواطأتم عليه
اراد به التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا انهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرا
حمزة والكسائي وابو بكر وروح آمنتم بهمزتين فلسوف تعلمون وبال
ما فعلتم وقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين
بيان له قالوا لا ضير لا ضرر علينا في ذلك انا الى ربنا منقلبون بما توعدنا به

فان الصبر محاء للذنوب موجب للثواب والقرب من الله او سبب من اسباب
الموت والقتل انفع انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا
لان كنا اول المؤمنين من اتباع فرعون او من اهل المشهد والجملة في المعنى تعليل
ثان لنفي الضير او تعليل للعلة المتقدمة وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم
الثقة بالخاتمة او على طريقة المدل بامره ان احسنت اليك فلا تنس حقي واوحينا
الى موسى ان اسر بعبادي وذلك بعد سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق
ويظهر لهم الايات فلم يزيدوا الا عتوا وفسادا وقرأ ابن كثير ونافع ان اسر
بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرئ ان سر من السير انكم متبعون يتبعكم
فرعون وجنوده وهو علة الامر بالاسراء اي اسر بهم حتى اذا اتبعوكم مصبحين كان
لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على اثركم حين
تلجون البحر فيدخلون مداخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم فارسل فرعون حين اخبر
بسراهم في المدائن حاشرين العساكر ليتبعوهم ان هؤلاء لشرذمة قليلون
على ارادة القول وانما استقلهم وكانوا ستمائة وسبعين الفا بالاضافة الى
جنوده اذ روي انه خرج وكانت مقدمته سبعمائة الف والشرذمة الطائفة
القليلة ومنها ثوب شراذم لما بلي وتقطع وقليلون باعتبار انهم اسباط
كل سبط منهم قليل وانهم لنا لغائظون لفاعلون ما يغيظنا وانا لجميع حذرون
وانا لجمع من عادتنا الحذر واستعمال الحزم في الامور اشار اولا الى عدم ما يمنع
اتباعهم من شوكتهم ثم الى تحقق ما يدعو اليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ
في شأنهم حثا عليه واعتذر بذلك الى اهل المدائن كيلا يظن به ما يكسر سلطانه
وقرأ ابن عامر والكوفيون حاذرون والاول للثبات والثاني للتجدد وقيل
الحاذر المؤدي في السلاح وهو ايضا من الحذر لان ذلك انما يفعل حذرا وقرئ
حادرون بالدال اي اقوياء قال احب الصبي السوء من اجل امه وابغضه من بغضها
وهو حادر او تامو السلاح فان ذلك يوجب حدارة في اجسامهم
فاخرجناهم بان خلقنا داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه من جنات
وعيون وكنوز ومقام كريم يعني المنازل الحسنة والمجالس البهية
كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجنا فهو مصدر او مثل ذلك المقام الذي
كان لهم على انه صفة مقام او الامر كذلك فيكون خبرا لمحذوف
واورثناها بني اسرائيل فاتبعوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين
في وقت شروق الشمس فلما تراءا الجمعان تقاربا بحيث رأى كل
منهما الاخر وقرئ تراءت الفئتان قال اصحاب موسى انا لمدركون
لملحقون وقرئ لمدركون من ادرك الشيء اذا تتابع ففني اي لمتتابعون

لمتتابعون في الهلاك على ايديهم قال كلا لن يدركوكم فان الله وعدكم الخلاص
منهم ان معي ربي بالحفظ والنصرة سيهدين طريق النجاة منهم روي ان مؤمن
آل فرعون كان بين يدي موسى فقال اين امرت فهذا البحر امامك وقد
غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولعلي اومر بما اصنع فاوحينا الى
موسى ان اضرب بعصاك البحر القلزم او النيل فانفلق اي فضرب فانفلق
وصار اثني عشر فرقا بينها مسالك فكان كل فرق كالطود العظيم كالجبل
المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب وازلفنا
وقربنا ثم الاخرين فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم وانجينا
موسى ومن معه اجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا ثم اغرقنا
الاخرين باطباقه عليهم ان في ذلك لاية واية اية وما كان اكثرهم مؤمنين
وما تنبه عليها اكثرهم اذ لم يؤمن بها احد ممن بقي في مصر من القبط وبنو اسرائيل
بعد ما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله
جهرة وان ربك لهو العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه واتل عليهم على
مشركي العرب نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون سألهم ليريهم ان ما
يعبدونه لا يستحق العبادة قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين فاطالوا جوابهم
بشرح حالهم معه تبجحا به وافتخارا ونظل ههنا بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها
بالنهار دون الليل قال هل يسمعونكم يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون
فحذف ذلك لدلالة اذ تدعون عليه وقرئ يسمعونكم اي يسمعونكم الجواب
عن دعائكم ومجيئه مضارعا مع اذ على حكاية الحال الماضية استحضارا لها او ينفعونكم
على عبادتكم لها او يضرون من اعرض عنها قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون
اضربوا عن ان يكون لهم سمع او يتوقع منهم ضر او نفع والتجأوا الى التقليد
قال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فان التقدم لا يدل على
الصحة ولا ينقلب به الباطل حقا فانهم عدو لي اي هذه الالهة التي تعبدونها اعاديهم
انا ولا اعبدهم عدو لي يريد انهم اعداء لعابديهم من حيث انهم يتضررون
من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه او ان المغري بعبادتهم اعدى
اعدائهم وهو الشيطان لكنه صور الامر في نفسه تعريضا لهم فانه انفع في
النصح من التصريح واشعارا بانها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون ادعى الى القبول
وافراد العدو لانه في الاصل مصدر او بمعنى النسب الا رب العالمين استثناء
منقطع او متصل على ان الضمير لكل معبود عبدوه وكان من ابائهم من عبد الله
الذي خلقني فهو يهدين لانه يهدي كل مخلوق لما خلق له من امور المعاش
والمعاد كما قال والذي قدر فهدى هداية مدرجة من مبدأ ايجاده الى منتهى اجله

يتمكن بها من جلب المنافع ودفع المضار مبدؤها بالنسبة الى الانسان هداية
الجنين الى امتصاص دم الطمث من الرحم ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم
بلذائذها والفاء للسببية ان جعل الموصول مبتدا وللعطف ان جعل صفة رب العالمين
فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية وقوله والذي هو يطعمني ويسقين
على الاول مبتدا محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه وكذا اللذان بعده وتكرير الموصول
على الوجهين للدلالة على ان كل واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم واذا
مرضت فهو يشفين عطف على يطعمني ويسقين لانه من روادفهما من حيث
ان الصحة والمرض في الاغلب يتبعان المأكول والمشروب وانما لم ينسب المرض اليه
لان المقصود تعديد النعم ولا ينتقض باسناد الاماتة اليه فان الموت من حيث انه
لا يحس به لا ضرر فيه وانما الضرر في مقدماته وهي المرض ثم انه لاهل الكمال وصلة الى نيل
المحاب التي يستحقر دونها الحيوة الدنيوية وخلاص من انواع المحن والبليات ولان
المرض في غالب الامر انما يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وبما
بين الاخلاط والاركان من التنافي والتنافر والصحة انما تحصل باستحفاظ اجتماعها
والاعتدال المخصوص عليها قهرا فلذلك بقدرة العزيز الحكيم والذي يميتني ثم يحيين
في الاخرة والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ذكر ذلك هضما لنفسه وتعليما
للامة ان يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب لان يغفر لهم ما يفرط منهم واستغفارا
لما عسى يندر منه من الصغائر وحمل الخطيئة على كلماته الثلث اني سقيم بل فعله كبيرهم
هي اختي ضعيف لانها معاريض وليس خطايا رب هب لي حكما كمالا في العلم والعمل
استعد به خلافة الحق ورياسة الخلق والحقني بالصالحين ووفقني للكمال في العمل لانتظم
به في عداد الكاملين في الصلاح الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره
واجعل لي لسان صدق في الاخرين جاها وحسن صيت في الدنيا يبقى اثره الى
يوم الدين ولذلك ما من امة الا وهم محبون له مثنون عليه او صادقا من ذريتي
يجدد اصل ديني ويدعو الناس الى ما كنت ادعوهم اليه وهو محمد صلوات الله
عليه وسلامه واجعلني من ورثة جنة النعيم في الاخرة وقد مر معنى الوراثة فيها
واغفر لابي بالهداية والتوفيق للايمان انه كان من الضالين طريق الحق وان كان
هذا الدعاء بعد موته فلعله كان لظنه انه كان يخفي الايمان تقية من نمرود ولذلك
وعده به او لانه لم يمنع بعد من الاستغفار للكفار ولا تخزني بمعاتبتي على ما فرطت
او بنقص رتبتي عن رتبة بعض الوراث او بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز
التعذيب عقلا او بتعذيب والدي او ببعثه في عداد الضالين وهو من الخزي
بمعنى الهوان او من الخزاية بمعنى الحياء يوم يبعثون الضمير للعباد لانهم معلومون
او للضالين يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم لا ينفعان احدا

احدا الا مخلصا سليم القلب عن الكفر وميل المعاصي وسائر آفاته او لا ينفعان الا
مال من هذا شانه وبنوه حيث انفق ماله في سبيل البر وارشد بنيه الى الحق وحثهم على البر
وقصد بهم ان يكونوا عبادا لله مطيعين شفعاء له يوم القيمة وقيل الاستثناء مما دل
عليه المال والبنون اي لا ينفع غنى الا غناه وقيل منقطع والمعنى ولكن سلامة من اتى الله
بقلب سليم تنفعه وازلفت الجنة للمتقين بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بانهم
المحشورون اليها وبرزت الجحيم للغاوين فيرونها مكشوفة ويتحسرون على انهم المسوقون
اليها وفي اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من
دون الله اين الهتكم الذين تزعمون انهم شفعاؤكم هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم
او ينتصرون بدفعه عن انفسهم لانهم والهتهم يدخلون النار كما قال فكبكبوا فيها هم
والغاوون اي الالهة وعبدتهم والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه كان من القي
في النار ينكب مرة بعد اخرى حتى يستقر في قعرها وجنود ابليس متبعوه من عصاة
الثقلين او شياطينه اجمعون تاكيد للجنود ان جعل مبتدا خبره ما بعده او للضمير
وما عطف عليه وكذا الضمير المنفصل وما يعود اليه في قوله قالوا وهم فيها يختصمون
تالله ان كنا لفي ضلال مبين على ان الله ينطق الاصنام فتخاصم العبدة ويؤيده
الخطاب في قوله اذ نسويكم برب العالمين اي في استحقاق العبادة ويجوز ان يكون
الضماير للعبدة كما في قالوا والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة والمعنى انهم مع
تخاصمهم في مبدا ضلالهم معترفون بانهماكهم في الضلالة متحسرون عليها وما
اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين كما للمؤمنين من الملائكة والانبياء
ولا صديق حميم اذ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من
شافعين ولا صديق ممن نعدهم شفعاء واصدقاء او وقعنا في مهلكة لا يخلصنا
منها شافع ولا صديق وجمع الشافع ووحدة الصديق لكثرة الشفعاء في العادة
وقلة الصديق ولان الصديق الواحد يسعى اكثر مما يسع الشفعاء او لاطلاق الصديق
على الجمع كالعدو لانه في الاصل مصدر كالحنين والصهيل فلو ان لنا كرة تمن
للرجعة واقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيهما في معنى التقدير او شرط حذف جوابه
فنكون من المؤمنين جواب التمني او عطف على كرة اي لو ان لنا ان نكر فنكون
ان في ذلك فيما ذكر من قصة ابراهيم لاية لحجة وعظة لمن اراد ان يستبصر بها
ويعتبر فانها جاءت على انتظم ترتيب واحسن تقرير يتفطن المتامل فيها لغزارة علمه
لما فيها من الاشارة الى اصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته
للقوم وحسن مخالقته معهم وكمال اشفاقه عليهم وتصوير الامر في نفسه واطلاق
الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون ادعى لهم الى الاستماع
والقبول وما كان اكثرهم مؤمنين به وان ربك لهو العزيز القادر على

على تعجيل الانتقام الرحيم بالامهال لكي يؤمنوا هم او احد من ذريتهم كذبت قوم
نوح المرسلين القوم مؤنثة ولذلك تصغر على قويمة وقد مر في تكذيبهم المرسلين
اذ قال لهم اخوهم نوح لانه كان منهم الا تتقون الله فتتركوا عبادة غيره انى لكم
رسول امين مشهور بالامانة فيكم فاتقوا الله واطيعون فيما امركم به من التوحيد
والطاعة لله وما اسالكم عليه على ما انا عليه من الدعاء والنصح من اجر ان اجرى الا
على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون فيما امركم كرره للتاكيد والتنبيه على دلالة
كل واحد من امانته وحسم طمعه على وجوب طاعته فيما يدعوهم اليه فكيف اذا اجتمعا
وقرا نافع وابن عامر وابو عمرو وحفص بفتح الياء في اجرى في الكلمات الخمس قالوا
انؤمن لك واتبعك الارذلون الاقلون جاها ومالا جمع الارذل على الصحة
وقرا يعقوب واتباعك وهو جمع تابع كشاهد واشهاد او تبع كبطل وابطال
وهذا من سخافة عقلهم وقصور رايهم على الحطام الدنيوية حتى جعلوا اتباع المقل
فيها مانعا عن اتباعهم وايمانهم بما يدعوهم اليه دليلا على بطلانه واشاروا
بذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك
قال وما علمي بما كانوا يعملون انهم عملوه اخلاصا او طمعا في طعمة وما علي الا اعتبار
الظاهر ان حسابهم الا على ربي ما حسابهم على بواطنهم الا على الله فانه المطلع عليها
لو تشعرون لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون وما انا بطارد
المؤمنين جواب لما اوهم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيف ايمانهم عليه حيث
جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله ان انا الا نذير مبين كالعلة له اى ما انا الا
رجل مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصي سواء كانوا اعزاء او اذلاء
فكيف يليق بي طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما علي الا انذاركم انذارا
بينا بالبرهان الواضح فلا علي ان اطردهم لاسترضائكم قالوا لئن لم تنته
يا نوح عما تقول لتكونن من المرجومين من المشتومين او المضروبين بالحجارة
قال رب ان قومي كذبون اظهار لما يدعوا عليهم لاجله وهو تكذيب الحق
لا لتخويفهم له واستخفافهم عليه فافتح بيني وبينهم فتحا فاحكم بيني وبينهم
من الفتاحة ونجني ومن معي من المؤمنين من قصدهم او شوم عملهم فانجيناه
ومن معه في الفلك المشحون المملوء ثم اغرقنا بعد بعد انجائه الباقين من قومه
ان في ذلك لاية شاعت وتواترت وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين انثه باعتبار القبيلة وهو في
الاصل اسم ابيهم اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون انى لكم رسول
امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجرى الا
على رب العالمين تصدير القصص بها دلالة على ان البعثة مقصورة

مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى ثوابه
ويبعده عن عقابه وكان الانبياء متفقين على ذلك وان اختلفوا
في بعض التفاريع مبرئين عن المطامع الدنية والاغراض الدنيوية
اتبنون بكل ريع بكل مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها اية
علما للمارة تعبثون ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم في اسفارهم فلا
يحتاجون اليها او بروج او بنيانا يجتمعون اليها للعبث بمن مر عليهم او
قصورا يفتخرون بها وتتخذون مصانع ماخذ الماء وقيل قصورا مشيدة
وحصونا لعلكم تخلدون فتحكمون بنيانها واذا بطشتم بسوط او سيف بطشتم
جبارين متسلطين غاشمين بلا رافة ولا قصد تاديب ونظر في العاقبة
فاتقوا الله بترك هذه الاشياء واطيعون فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم
واتقوا الذي امدكم بما تعلمون كرره مرتبا على امداد الله اياهم بما يعرفونه
من انواع النعم تعليلا وتنبيها على الوعد عليه بدوام الامداد والوعيد على تركه
بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها اجمالا
بالانكار في الا تتقون مبالغة في الايقاظ والحث على التقوى فقال امدكم
بانعام وبنين وجنات وعيون ثم اوعدهم فقال انى اخاف عليكم عذاب
يوم عظيم في الدنيا والاخرة فانه كما قدر على الانعام قدر على الانتقام قالوا
سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين فانا لا نرعوي عما نحن عليه وتغيير
شق النفي عما يقتضيه المقابلة للمبالغة في قلة اعتدادهم بوعظه ان هذا الا خلق
الاولين ما هذا الذي جئتنا به الا كذب الاولين او ما خلقنا هذا الا خلقهم نحيا ونموت
مثلهم ولا بعث ولا حساب وقرا نافع وابن عامر وعاصم وحمزة خلق بضمتين
اى ما هذا الذي جئت به الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله او ما هذا الذي نحن
عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن
عليه من الحيوة والموت الا عادة قديمة لم يزل الناس عليها وما نحن بمعذبين على ما
نحن عليه فكذبوه فاهلكناهم بسبب التكذيب بريح صرصر ان في ذلك لاية وما
كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال
لهم اخوهم صالح الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما
اسالكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اتتركون فيما ههنا امنين
انكار لان يتركوا كذلك او تذكير بالنعمة في تخلية الله اياهم في اسباب تنعمهم
امنين ثم فسره بقوله في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم لطيف
لين للطف الثمر او لان النخل انثى وطلع اناث النخل وهو الطف ما يطلع منها
كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو او متدل منكسر من كثرة الحمل وافراد النخل

لفضله على سائر اشجار الجنة او لان المراد بها غيرها من الاشجار وتنحتون من
الجبال بيوتا فارهين بطرين او حاذقين من الفراهة وهي النشاط فان الحاذق
يعمل بنشاط وطيب قلب وقرا نافع وابن كثير فرهين وهو ابلغ فاتقوا الله
واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين استعير الطاعة التي هي انقياد الامر لامتثال
الامر او نسب حكم الامر الى امره مجازا الذين يفسدون في الارض وصف موضح
لاسرافهم وكذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم
قالوا انما انت من المسحرين الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقلهم او من ذوي
السحر وهو الرئة اي من الاناسي فيكون ما انت الا بشر مثلنا تاكيدا له فات باية
ان كنت من الصادقين في دعواك قال هذه ناقة اي بعد ما اخرجها الله من الصخرة
بدعائه كما اقترحوها لها شرب نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت
وقرئ بالضم ولكم شرب يوم معلوم فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها في شربها
ولا تمسوها بسوء كضرب وعقر فياخذكم عذاب يوم عظيم عظم اليوم لعظم ما يحل
فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب فعقروها اسند العقر الى كلهم لان عاقرها انما عقر
برضاهم ولذلك اخذوا جميعا فاصبحوا نادمين على عقرها خوفا من حلول العذاب
لا توبة او عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم فاخذهم العذاب اي العذاب
الموعود ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
في نفي الايمان عن اكثرهم في هذا المعرض ايماء بانه لو امن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا
بالعذاب وان قريشا انما عصموا من مثله ببركة من امن منهم كذبت قوم لوط
المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله
واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتاتون
الذكران من العالمين اي اتاتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم
فيه غيركم او اتاتون الذكران من اولاد ادم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم
كانهن قد اعوزنكم فالمراد بالعالمين على الاول كل من ينكح وعلى الثاني الناس
وتذرون ما خلق لكم لاجل استمتاعكم ربكم من ازواجكم لبيان ما ان اريد
به جنس الاناث او للتبعيض ان اريد به العضو المباح منهن فيكون تعريضا
بانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم ايضا بل انتم قوم عادون
متجاوزون عن حد الشهوات حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات
او مفرطون في المعاصي وهذا من جملة ذلك او احقاء بان توصفوا بالعدوان
لارتكابكم هذه الجريمة قالوا لئن لم تنته يا لوط عما تدعيه او عن نهينا او تقبيح
امرنا لتكونن من المخرجين من المنفيين من بين اظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون
من اخرجوه على عنف وسوء حال قال اني لعملكم من القالين من المبغضين غاية

غاية البغض لا اقف عن الانكار بالايعاد وهو ابلغ من ان يقول اني لعملكم
قال لدلالته على انه معدود في زمرتهم مشهور بانه من جملتهم رب نجني واهلي مما
يعملون اي من شؤمه وعذابه فنجيناه واهله اجمعين اهل بيته والمتبعين له على دينه
باخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب بهم الا عجوزا هي امراة لوط في الغابرين
مقدرة في الباقين في العذاب اذ اصابها حجر في الطريق فاهلكها لانها كانت
مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقيل كانت فيمن بقيت في القرية فانها لم تخرج مع
لوط ثم دمرنا الاخرين اهلكناهم وامطرنا عليهم مطرا قيل امطر الله على شذاذ
القوم حجارة فاهلكهم فساء مطر المنذرين اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف
اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم ان في ذلك لاية
وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة
غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة فبعث الله
اليهم شعيبا كما بعث الى مدين وكان اجنبيا منهم فلذلك قال اذ قال لهم
شعيب الا تتقون ولم يقل اخوهم شعيب وقيل الايكة شجر ملتف وكان
شجرهم الدوم وهو المقل وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر بحذف الهمزة والقاء
حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على انها ليكة وهي اسم بلدهم
وانما كتبت ههنا وفي ص بغير الالف اتباعا للفظ اني لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين
اوفوا الكيل اتموه ولا تكونوا من المخسرين حقوق الناس بالتطفيف وزنوا
بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو ان كان عربيا فان كان من القسط
ففعلاس بتكرير العين والا ففعلال وقرا حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف
ولا تبخسوا الناس اشياءهم لا تنقصوا شيئا من حقوقهم ولا تعثوا في الارض
مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين
وذوي الجبلة الاولين يعني من تقدمهم من الخلائق قالوا انما انت من المسحرين
وما انت الا بشر مثلنا اتوا بالواو للدلالة على انه جامع بين وصفين منافيين
للرسالة مبالغة في تكذيبه وان نظنك لمن الكاذبين في دعواك فاسقط
علينا كسفا من السماء قطعة منها ولعله جواب لما اشعر به الامر بالتقوى من
التهديد وقرا حفص بفتح السين ان كنت من الصادقين في دعواك قال
ربي اعلم بما تعملون وبعذابه منزل عليكم ما اوجبه لكم في وقته المقدر له لا محالة
فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة على نحو ما اقترحوا بان سلط الله عليهم الحر
سبعة ايام حتى غلت انهارهم واظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فامطرت
عليهم نارا فاحترقوا انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم

مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم هذا اخر القصص السبع المذكورة على
الاختصار تسلية لرسول الله وتهديدا للمكذبين به واطراد نزول العذاب على
تكذيب الامم بعد الرسل به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة به يدفع ان يقال
كان بسبب اتصالات فلكية اوكان ابتلا لهم لا مواخذة على تكذيبهم وانه لتنزيل
رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك تقرير لحقية تلك القصص وتنبيه
على اعجاز القران ونبوة محمد عم فان الاخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون الا وحيا
من الله عز وجل والقلب ان اراد به الروح فذاك وان اراد به العضو فتخصيصه
لان المعاني الروحانية انما تنزل اولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من
التعلق ثم تتصعد منه الى الدماغ فتنتقش بها لوح المتخيلة والروح الامين جبرائيل
فانه امين الله على وحيه وقرا ابن عامر وحمزة وابو بكر والكسائي بتشديد الزاي
ونصب الروح الامين لتكون من المنذرين عما يؤدي الى عذاب من فعل او ترك
بلسان عربي مبين واضح المعنى لئلا يقولوا ما نصنع بما لا نفهمه فهو متعلق بنزل
ويجوز ان يتعلق بالمنذرين اي لتكون ممن انذروا بلغة العرب وهو هود وصالح
واسماعيل وشعيب ومحمد وانه لفي زبر الاولين وان ذكره او معناه لفي الكتب المتقدمة
اولم يكن لهم اية على صحة القران او نبوة محمد ان يعلمه علماء بني اسرائيل ان يعرفوه
بنعته المذكور في كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا وقرا ابن عامر تكن بالتاء واية بالرفع
على انها الاسم والخبر لهم وان يعلمه بدل او الفاعل وان يعلمه بدل ولهم حال او ان
الاسم ضمير القصة واية خبر ان يعلمه والجملة خبر تكن ولو نزلناه على بعض الاعجمين كما هو
زيادة في اعجازه او بلغة العجم فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين لفرط عنادهم و
استكبارهم او لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والاعجمين جمع اعجمي على التخفيف
ولذلك جمع جمع السلامة كذلك سلكناه ادخلناه في قلوب المجرمين والضمير للكفر
المدلول عليه بقوله ما كانوا به مؤمنين فيدل الاية على انه بخلق الله وقيل للقران اي
ادخلناه فيها فعرفوا معانيه واعجازه ثم لم يؤمنوا به عنادا لا يؤمنون به حتى يروا
العذاب الاليم الملجئ الى الايمان فياتيهم بغتة في الدنيا والاخرة وهم لا يشعرون
باتيانه فيقولوا هل نحن منظرون تحسرا وتاسفا افبعذابنا يستعجلون فيقولون
امطر علينا حجارة فاتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة افرايت
ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون لم يغن
عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون انذروا
اهلها الزاما للحجة ذكرى تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها في معنى الانذار
او الرفع على انها صفة منذرين باضمار ذوو او بجعلهم ذكرى لامعانهم في التذكرة
او خبر محذوف والجملة اعتراضية وما كنا ظالمين فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار

الانذار وما تنزلت به الشياطين كما زعمت المشركون انه من قبيل ما يلقي
الشياطين على الكهنة وما ينبغي لهم وما يصلح ان يتنزلوا به وما يستطيعون
وما يقدرون انهم عن السمع لكلام الملائكة لمعزولون لانه مشروط بمشاركة
في صفاء الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم
خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لا تقبل ذلك والقران مشتمل على حقائق ومغيبات
لا يمكن تلقيها الا من الملائكة فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين تهييج
لازدياد الاخلاص ولطف لسائر المكلفين وانذر عشيرتك الاقربين الاقرب منهم
فالاقرب فان الاهتمام بشانهم اهم روي انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم
فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا
نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين
لين جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه اذا اراد ان ينحط ومن للتبيين
لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين او غيره او للتبعيض على ان المراد من المؤمنين
المشارفون للايمان او المصدقون باللسان فان عصوك ولم يتبعوك
فقل اني بريء مما تعملون مما تعملونه او من اعمالكم وتوكل على العزيز الرحيم الذي
يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرا
نافع وابن عامر فتوكل على الابدال من جواب الشرط الذي يراك حين تقوم
الى التهجد وتقلبك في الساجدين وترددك في تصفح احوال المتهجدين كما
روي انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر
ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع لها من
دندنتهم بذكر الله والتلاوة او تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود
والقعود اذا اممتهم وانما وصفه الله تعالى بعلمه بحاله التي بها يستاهل و
لاية بعد وصفه بان من شانه قهر اعدائه ونصر اوليائه تحقيقا للتوكل
وتطمينا لقلبه عليه انه هو السميع لما تقوله العليم بما تنويه هل انبئكم على من
تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم لما بين ان القران لا يصح ان يكون
مما تنزلت به الشياطين اكد ذلك بان بين ان محمدا لا يصلح لان تتنزل
عليه من وجهين احدهما انه انما يكون على شرير كذاب كثير الاثم فان اتصال
الانسان بالغائبات لما بينهما من التناسب والتوادد وحال محمد على خلاف
ذلك وثانيهما قوله يلقون السمع واكثرهم كاذبون اي الافاكون يلقون السمع
الى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها
على حسب تخيلاتهم اشياء لا يطابق اكثرها الواقع كما جاء في الحديث الكلمة
يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد

فانه اخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد طابق كلها وقد فسر الاكثر بالكل لقوله كل
افاك والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى ان هؤلاء قل من يصدق منهم
فيما يحكي عن الجني وقيل الضمائر للشياطين اي يلقون السمع الى الملأ الاعلى قبل
ان رجموا فيختطفون منهم بعض المغيبات ويوحون به الى اوليائهم واكثرهم
كاذبون فيما يوحون به الى اوليائهم اذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلمت به الملائكة
لشرارتهم او لقصور فهمهم او ضبطهم او افهامهم والشعراء يتبعهم الغاوون
واتباع محمد ليس كذلك وهو استيناف ابطل كونه شاعرا وقرره بقوله
الم تر انهم في كل واد يهيمون لان اكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها واغلب
كلماتهم في النسيب بالحرم والغزل والابتهار وتمزيق الاعراض والقدح في الانساب
والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لا يستحقه والاطراء فيه واليه
اشار بقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون فكانه لما كان اعجاز القران من
جهة المعنى واللفظ وقد قدحوا في المعنى بانه مما تنزلت به الشياطين وفي اللفظ
بانه من جنس كلام الشعراء تكلم في القسمين وبين منافاة القران لهما ومضادة
حال الرسول لحال اربابهما وقرأ نافع يتبعهم بالتخفيف وقرئ بالتشديد وتسكين
العين تشبيها لبعه بعضد الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله
كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين
يكثرون ذكر الله ويكون اكثر اشعارهم في التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته
ولو قالوا هجوا ارادوا به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله
بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبين وكان عليه السلام يقول لحسان قل
وروح القدس معك وعن كعب بن مالك انه عليه السلام قال له اهجهم فوالذي
نفسي بيده لهو اشد من النبل وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون
تهديد شديد لما في سيعلم من الوعيد البليغ وفي الذين من الاطلاق والتعميم وفي
اي منقلب اي بعد الموت من الابهام والتهويل وقد تلا ابو بكر لعمر حين عهد اليه
وقرئ اي منفلت ينفلتون من الانفلات وهو النجاة والمعنى ان الظالمين
يطمعون ان ينفلتون من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه
الانفلات عن النبي من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد
من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب
بعيسى وصدق بمحمد عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم طس تلك ايات القران وكتاب مبين الاشارة
الى اي السورة والكتاب المبين اما اللوح وابانته انه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه
للناظرين فيه وتاخيره باعتبار تعلق علمنا به وتقديمه في الحجر باعتبار الوجود والقران

او القران وابانته لما اودع فيه من الحكم والاحكام او لصحته باعجازه وعطفه
على القران كعطف احدى الصفتين على الاخرى وتنكيره للتعظيم وقرئ وكتاب
بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه هدى وبشرى للمؤمنين
حالان من الايات والعامل فيهما معنى الاشارة او بدلان منها او خبران اخران
او خبران لمحذوف الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة الذين يعملون
الصالحات من الصلوة والزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون من تتمة الصلة والواو
للحال او للعطف وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته وانهم الاوحديون
فيه او جملة اعتراضية كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات
هم الموقنون بالاخرة فان تحمل المشاق انما يكون لخوف العاقبة والوثوق على
المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص ان الذين لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم زين
اعمالهم القبيحة بان جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس او الاعمال الحسنة التي
وجب عليهم ان يعملوها بترتيب المثوبات عليها فهم يعمهون عنها لا يدركون ما
يتبعها من ضر او نفع اولئك الذين لهم سوء العذاب كالقتل والاسر يوم بدر
وهم في الاخرة هم الاخسرون اشد الناس خسرانا لفوت المثوبة واستحقاق
العقوبة وانك لتلقى القران لتؤتاه من لدن حكيم عليم اي حكيم والجمع بينهما مع
ان العلم داخل في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان
علوم القران منها ما هي حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك
كالقصص والاخبار عن المغيبات ثم شرع في بيان بعض تلك العلوم
بقوله اذ قال موسى لاهله اني انست نارا اي اذكر قصته اذ قال ويجوز
ان يتعلق بعليم سآتيكم منها بخبر اي عن حال الطريق لانه قد ضله وجمع الضمير ان
صح انه لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها بالاهل والسين للدلالة على بعد
المسافة او الوعد بالاتيان وان ابطأ او اتيكم بشهاب قبس شعلة
نار مقبوسة واضافة الشهاب اليه لانه يكون قبسا وغير قبس ونونه
الكوفيون ويعقوب على ان القبس بدل منه او وصف له لانه بمعنى المقبوس
والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجي في طه والترديد
للدلالة على انه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بعادة
الله انه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده لعلكم تصطلون رجاء ان تستدفئوا
بها والصلاء النار العظيمة فلما جاءها نودي ان بورك اي بورك فان
النداء فيه معنى القول او بان بورك على انها مصدرية او مخففة من
الثقيلة والتخفيف وان اقتضى التعويض بلا او قد او السين او سوف لكنه
دعاء وهو يخالف غيره في احكام كثيرة من في النار ومن حولها من في مكان

النار وهو البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الواد
الايمن في البقعة المباركة ومن حولها مكانها والظاهر انه عام في كل من في تلك
الوادي وحواليها من ارض الشام الموسوم بالبركات لكونها مبعث الانبياء
وكفاتهم احياء وامواتا وخصوصا تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى وقيل
المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد
قضي له امر عظيم تنتشر بركته في اقطار الشام وسبحان الله رب العالمين من تمام
ما نودي به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها وللتعجب من عظمة ذلك الامر
او تعجب من موسى لما دهاه من عظمته يا موسى انه انا الله الشأن وانا الله
جملة مفسرة له او للمتكلم وانا خبره والله بيان له العزيز الحكيم صفتان لله
ممهدتان لما اراد ان يظهره يريد انا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام
كقلب العصا حية الفاعل كل ما افعله بحكمة وتدبير والق عصاك عطف على
بورك اي نودي ان بورك من في النار وان الق عصاك ويدل عليه قوله
وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني انا الله بتكرير ان فلما رآها
تهتز تتحرك باضطراب كأنها جان حية خفيفة سريعة وقرئ جأن
على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ولى مدبرا ولم يعقب ولم
يرجع من عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما رعب لظنه ان ذلك لامر
اريد به ويدل عليه قوله يا موسى لا تخف اي من غيري ثقة بي او مطلقا
لقوله اني لا يخاف لدي المرسلون حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق
فانهم اخوف الناس اي من الله او لا يكون لهم عندي سوء عاقبة فيخافون
منه الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم استثناء منقطع
استدرك به ما يختلج في الصدر من نفي الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت
منه صغيرة فانهم وان فعلوها اتبعوا فعلها ما يبطلها ويستحقون به من الله
مغفرة ورحمة فانه لا يخاف ايضا وقصد تعريض موسى بوكزه القبطي وقيل
متصل وثم بدل مستأنف معطوف على محذوف اي من ظلم ثم بدل ذنبه
بالتوبة وادخل يدك في جيبك لانه كان مدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب
القميص لانه يجاب اي يقطع تخرج بيضاء من غير سوء آفة كبرص في تسع آيات
في جملتها او معها على ان التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل و
الضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم و
لمن عد اليد والعصا من التسع ان يعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق لانه
لم يبعث به الى فرعون او اذهب في تسع آيات على انه استئناف بالارسال
فيتعلق به الى فرعون وقومه وعلى الاولين متعلق بنحو مبعوثا ومرسلا انهم

انهم كانوا قوما فاسقين تعليل للارسال فلما جاءتهم آياتنا بان جاءهم
بها موسى مبصرة بينة اسم فاعل اطلق للمفعول اشعارا بانها لفرط اجتلائها
للابصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر او ذات تبصر من حيث انها
تهدي والعمي لا تهتدي فضلا ان تهدي او مبصرة كل من نظر اليها وتأمل فيها و
قرئ مبصرة اي مكانا يكثر فيه التبصر قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته وجحدوا
بها وكذبوا بها واستيقنتها انفسهم وقد استيقنتها لان الواو للحال
ظلما لانفسهم وعلوا ترفعا عن الايمان وانتصابهما على العلة من جحدوا فانظر
كيف كان عاقبة المفسدين وهو الاغراق في الدنيا والاحراق في الاخرى ولقد
آتينا داود وسليمان علما طائفة من العلم وهو علم الحكم والشرائع او علما
اي علم وقالا الحمد لله عطفه بالواو اشعارا بان ما قالاه بعض ما آتيناه في مقابلة
هذه النعمة كأنه قال ففعلا شكرا له ما فعلاه وقالا الحمد لله الذي فضلنا على
كثير من عباده المؤمنين يعني من لم يؤت علما او مثل علمهما وفيه دليل على فضل
العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه
ما اوتيا من الملك الذي لم يؤت غيرهما وتحريض للعالم على ان يحمد الله على ما آتاه
من فضله وعلى ان يتواضع ويعتقد انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير
وورث سليمان داود النبوة او العلم او الملك بان قام مقامه في ذلك
دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير
واوتينا من كل شيء تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها ودعاء للناس الى التصديق
بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم ما اوتيه والنطق والمنطق
في المتعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا كان او مركبا وقد يطلق لكل
ما يصوت به على التشبيه او التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت
للحيوان والجماد فان الاصوات الحيوانية من حيث انها تابعة للتخيلات
منزلة منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الاغراض بحيث
يفهمها من جنسه ولعل سليمان مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية
التخيل الذي صوته والغرض الذي توخاه به ومن ذلك ما حكي انه مر ببلبل يصوت
ويرقص فقال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت
فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا فلعله كان صوت البلبل عن
شبع وفراغ بال وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتألم قلب والضمير في
علمنا واوتينا له ولابيه او له وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة
والمراد من كل شيء كثرة ما اوتي كقولك فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء
ان هذا لهو الفضل المبين الذي لا يخفى على احد وحشر وجمع لسليمان جنوده

من الجن والانس والطير فهم يوزعون يحبسون بحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا
حتى اذا اتوا على واد النمل واد بالشام كثير النمل وتعديه الفعل اليه بعلى اما
لان اتيانهم كان من علو او لان المراد قطعه من قولهم اتى على الشيء اذا انفده وبلغ آخره
كأنهم ارادوا ان ينزلوا اخريات الوادي قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا
مساكنكم كأنها لما رأتهم متوجهين الى الوادي فرت النملة عنهم مخافة حطمهم فتبعها
غيرها فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمال فتبعتها فشبه ذلك
بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك اجراهم مجراهم مع انه لا يمتنع خلق الله فيها
العقل والنطق لا يحطمنكم سليمان وجنوده نهي لهم عن الحطم والمراد نهيها
عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لا ارينك ههنا فهو استيناف او بدل
من الامر لا جواب له فان النون لا يدخله في السعة وهم لا يشعرون انهم يحطمونكم
اذ لو شعروا لم يفعلوا كأنها شعرت عصمة الانبياء من الظلم والايذاء وقيل
استيناف اي فهم سليمان والقوم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها تعجبا
من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها او سرورا بما خصه الله به من ادراك
همسها وفهم غرضها ولذلك سأله توفيق شكره وقال رب اوزعني ان اشكر
نعمتك اجعلني ازع شكر نعمتك عندي اي اكفه وارتبطه لا ينفلت عني
بحيث لا انفك عنه وقرأ البزي وورش بفتح ياء اوزعني التي انعمت
علي وعلى والدي ادرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة او تعميما لها فان النعمة عليهما نعمة
عليه والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية وان اعمل صالحا ترضاه تماما للشكر
واستدامة للنعمة وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين في عدادهم الجنة
وتفقد الطير وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان
من الغائبين ام منقطعة كأنه لما لم يره ظن انه حاضر ولا يراه لساتر او غيره
فقال ما لي لا اراه ثم احتاط فلاح له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول
اهو غائب كأنه يسأل عن صحة ما لاح له لاعذبنه عذابا شديدا كنتف ريشه
والقائه في الشمس او حيث النمل تأكله او جعله مع ضده في قفص او لاذبحنه
ليعتبر به ابناء جنسه او ليأتيني بسلطان مبين بحجة تبين عذره والحلف
في الحقيقة على احد الاولين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع
احد الامور الثلاثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما وقرأ ابن كثير او ليأتينني
بنونين الاولى مفتوحة مشددة فمكث غير بعيد زمانا غير مديد يريد به
الدلالة على سرعة رجوعه خوفا منه وقرأ عاصم بفتح الكاف فقال احطت
بما لم تحط به يعني حال سبأ وفي مخاطبته اياه بذلك تنبيه له على ان في ادنى
خلق الله من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر لديه علمه وقرئ

وقرئ بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق وجئتك من سبأ و
وقرأ ابن كثير برواية البزي وابو عمرو غير مصروف على تأويل القبيلة او البلدة
والقواس بهمزة ساكنة بنبأ يقين بخبر محقق روي انه عليه السلام لما اتم بناء
بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم واقام بها ما شاء ثم توجه اليمن فخرج
من مكة صباحا فوافى صنعاء ظهيرة فاعجبته نزاهة ارضها فنزل بها ثم لم يجد الماء وكان
الهدهد رائده لانه يحس طلب الماء فتفقده لذلك فلم يجده اذ حلق حين
نزل سليمان فرأى هدهدا واقعا فانحط اليه فتواصفا وطار معه لينظر ما وصف
له ثم رجع بعد العصر وحكى ما حكى ولعل في عجائب قدرة الله وما خص به من خاصته
عبادة اشياء اعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها اني
وجدت امرأة تملكهم يعني بلقيس بنت شراحيل بن مالك ريان والضمير
لسبأ او لاهلها واوتيت من كل شيء يحتاج اليها الملوك ولها عرش عظيم
عظيم بالنسبة اليها او الى عروش امثالها وقيل كان ثلاثين ذراعا في ثلاثين عرضا
وسمكا او ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر وجدتها وقومها
يسجدون للشمس من دون الله كأنهم كانوا يعبدونها وزين لهم الشيطان
اعمالهم عبادة الشمس وغيرها من مقابح افعالهم فصدهم عن السبيل سبيل الحق
والصواب فهم لا يهتدون اليه الا يسجدوا لله فصدهم لئلا يسجدوا او زين لهم
ان لا يسجدوا على انه بدل من اعمالهم او لا يهتدون الى ان يسجدوا بزيادة لا وقرأ الكسائي
ويعقوب الا بالتخفيف على انها للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف اي الا يا قوم
اسجدوا كقوله وقالت الا يا اسمع نعظك بخطة فقلت سميعا فانطق واصيبي
وعلى هذا صح ان يكون استينافا من الله او من سليمان والوقف على لا يهتدون
وكان امرا بالسجود وعلى الاول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجود في
الجملة لا عند قراءتها وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزة هاء والا تسجدون وهلا تسجدون
على الخطاب الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما يخفون وما يعلنون
وصف له بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم
حثا على سجوده وردا على من يسجد لغيره والخبء ما خفي في غيره واخراجه اظهاره
وهو يعم اشراق الكواكب وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء فانه
اخراج ما في الشيء بالقوة الى الفعل والابداع فانه اخراج ما في الامكان والعدم الى
الوجوب والوجود ومعلوم انه يختص بالواجب لذاته وقرأ حفص والكسائي ما تخفون
وما تعلنون بالتاء الله لا اله الا هو رب العرش العظيم الذي هو اول الاجرام
واعظمها والمحيط بجملتها فبين العظيمين بون بعيد قال سننظر سنتعرف من النظر
بمعنى التأمل اصدقت ام كنت من الكاذبين ام كذبت والتغيير للمبالغة و

ومحافظة الفواصل اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم ثم تنح عنهم الى مكان
قريب تتوارى فيه فانظر ماذا يرجعون ما يرجع بعضهم الى بعض من القول قالت
اى بعدما القى اليها يا ايها الملأ انى القى الى كتاب كريم لكرم مضمونه او مرسله
او لانه كان مختوما او لغرابة شانه اذ كانت مستلقية فى بيت مغلقة الابواب
فدخل الهدهد فى كوة والقاه على نحرها بحيث لم تشعر به انه من سليمان استئناف
كانه قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه اى الكتاب والعنوان من سليمان
وانه وان المكتوب والمضمون وقرئ بالفتح على الابدال من كتاب او التعليل لكرمه
بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا على ان مفسرة او مصدرية فيكون بصلته
خبر محذوف اى هو او المقصود ان لا تعلوا او بدل من كتاب واتونى مسلمين
مؤمنين او منقادين وهذا الكلام فى غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود
لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحا والتزاما والنهى عن الترفع
الذى هو ام الرذائل والامر بالاسلام الجامع لامهات الفضائل وليس الامر فيه
بالانقياد قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء للتقليد فان القاء
الكتاب اليها على تلك الحالة من اعظم الدلالة قالت يا ايها الملأ افتونى فى امرى
اجيبونى فى امرى الفتوى واذكروا ما تستصوبون فيه ما كنت قاطعة امرا ما ابت
امرا حتى تشهدون الا بمحضركم استعطفتهم بذلك ليمالئوها على الاجابة قالوا نحن
اولوا قوة بالاجساد والعدد واولوا بأس شديد نجدة وشجاعة والامر اليك
موكول فانظرى ماذا تأمرين من المقاتلة والصلح نطعك ونتبع رأيك قالت
ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها تزييف لما احست منهم من الميل الى المقاتلة
بادعائهم القوى الذاتية والعرضية واشعار بانها ترى الصلح مخافة ان يتخطى سليمان
خططهم فيسرع الى افساد ما يصادفه من اموالهم وعماراتهم ثم ان الحرب سجال
لا يدرى عاقبتها وجعلوا اعزة اهلها اذلة بنهب اموالهم وتخريب ديارهم الى غير
ذلك من الاهانة والاسر وكذلك يفعلون تاكيد لما وصفت من حالهم وتقرير
بان ذلك من عادتهم الثابتة المستمرة او تصديق لها من الله وانى مرسلة اليهم
بهدية بيان لما ترى تقديمه فى المصالحة والمعنى انى مرسلة رسلا بهدية ادفعه بها
عن ملكى فناظرة بم يرجع المرسلون من حاله حتى اعمل بحسب ذلك روى انها بعثت
منذر بن عمرو فى وفد وارسلت معهم غلمانا على زى الجوارى والجوارى على زى
الغلمان وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وقالت ان كان نبيا
ميز بين الغلمان والجوارى وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك فى الخرزة خيطا
فلما وصلوا الى معسكره ورأوا عظمة شانه تقاصرت اليهم نفوسهم فلما وقفوا بين
يديه وقد سبقهم جبرئيل بالحال فطلب الحق واخبر عما فيه فامر الارضة فاخذت شعرة

ونفذت فى الدرة وامر دودة فاخذت الخيط ونفذت فى الجزعة ودعا
بالماء وكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله فى الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام
كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية فلما جاء سليمان اى الرسول او ما
اهدت اليه وقرئ فلما جاؤا قال اتمدونن بمال خطاب للرسول ومن معه
او للرسول والمرسل على تغليب المخاطب وقرأ حمزة ويعقوب بالادغام
وقرئ بنون واحدة وبنونين وحذف الياء فما اتانى الله من النبوة والملك
الذى لا مزيد عليه خير مما اتاكم فلا حاجة الى هديتكم ولا وقع عندى بل انتم
بهديتكم تفرحون لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فتفرحون بما
يهدى اليكم حبا لزيادة اموالكم او بما تهدونه افتخارا على امثالكم والاضراب
عن انكار الامداد بالمال عليه وتعليله الى بيان ما حملهم عليه وهو قياس حاله
الى حالهم فى قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها ارجع ايها الرسول اليهم الى بلقيس
وقومها فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على
مقابلتها وقرئ ولنخرجنهم منها من سبأ اذلة بذهاب ما كانوا فيه من العز
وهم صاغرون اسراء مهانون قال يا ايها الملأ ايكم يأتينى بعرشها اراد بذلك
ان يريها بعض ما خصه الله به من العجائب الدالة على عظيم القدرة وصدقه فى
دعوى النبوة ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر اتعرفه ام تنكره قبل ان يأتونى
مسلمين فانها اذا اتت مسلمة لم يحل اخذه الا برضاها قال عفريت خبيث مارد
من الجن بيان له لانه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر اقرانه وكان اسمه ذكوان او صخرا
انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف
النهار وانى عليه على حمله لقوى امين لا اختزل منه شيئا ولا ابدله قال الذى عنده
علم من الكتاب آصف بن برخيا وزيره او الخضر او جبرائيل او ملك ايده الله به
او سليمان نفسه فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم وان هذه الكرامة
كانت بسببه والخطاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك للعفريت كانه
استبطأه فقال له ذلك او اراد اظهار معجزة فى نقله فتحداهم اولا ثم اراهم انه
يتأتى له ما لا يتهيأ لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم والمراد بالكتاب جنس الكتب
المنزلة او اللوح وآتيك فى الموضعين صالح للفعلية والاسمية والطرف تحريك
الاجفان للنظر فوضع موضعه ولما كان الناظر يوصف بارسال الطرف كما فى قوله
وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر وصف برد الطرف
والطرف بالارتداد والمعنى انك ترسل طرفك نحو شئ فقبل ان ترده احضر عرشها
بين يديك وهذا غاية فى الاسراع ومثل فيه فلما رآه راى العرش مستقرا عنده
حاصلا بين يديه قال تلقيا للنعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله هذا

هذا من فضل ربي تفضل به علي من غير استحقاق والاشارة الى التمكن من احضار العرش
في مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه او غيره والكلام في امكان مثله قد مر
في اية الاسراء ليبلوني أأشكر بان اراه فضلا من الله بلا حصول مني ولا قوة
واقوم بحقه ام اكفر بان اجد نفسي في البين او اقصر في اداء مواجبه ومحلها النصب
على البدل من الياء ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه به يستجلب لها دوام النعمة ومزيدها
ويحط به عنها عبء الواجب ويحفظها عن وصمة الكفران ومن كفر فان ربي غني
عن شكره كريم بالانعام عليه ثانيا قال نكروا لها عرشها بتغيير هيئته وشكله
ننظر جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستيناف اتهتدي ام تكون من الذين
لا يهتدون الى معرفته او الجواب الصواب وقيل الى الايمان بالله ورسوله
اذا رات تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحراس
فلما جاءت قيل اهكذا عرشك تشبيها عليها زيادة في امتحان عقلها اذ
ذكرت عنده بسخافة العقل قالت كانه هو ولم تقل هو هو لاحتمال ان يكون
مثله وذلك من كمال عقلها واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين من تتمة كلامها
كانها ظنت انه اراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت واوتينا
العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوتك قبل هذه الحالة او المعجزة بما تقدم من الايات
وقيل انه كان من كلام سليمان وقومه عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة
على ايمانها بالله ورسوله حيث جوزت ان يكون ذلك عرشها تجويزا غالبا و
احضاره ثمة من المعجزات التي لا يقدر عليها غير الله ولا يظهر الا على يد الانبياء اي
واوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ما جاء من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه لم
نزل على دينه ويكون غرضهم فيه التحدث بما انعم الله عليهم من التقدم في ذلك شكرا له
وصدها ما كانت تعبد من دون الله وصدها عبادتها الشمس عن التقدم الى الاسلام
او صدها الله عن عبادتها بالتوفيق للايمان انها كانت من قوم كافرين وقرئ
بالفتح على الابدال من فاعل صد على الاول اي صدها نشؤها بين اظهر الكفار او التعليل له
قيل لها ادخلي الصرح القصر وقيل عرصة الدار فلما راته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها
روي انه امر قبل قدومها فبني قصر صحنه من زجاج ابيض واجري من تحته الماء والقي
فيه حيوانات البحر ووضع سريره في صدره فجلس عليه فلما ابصرته ظنته ماء
راكدا فكشفت عن ساقيها وعن ابن كثير عن سأقيها بالهمزة حملا على جمعه سؤوق
واسؤق قال انه ان ما ظننته ماء صرح ممرد مملس من قوارير من الزجاج قالت
رب اني ظلمت نفسي بعبادتي الشمس وقيل بظني بسليمان فانها حسبت انه
يغرقها في اللجة واسلمت مع سليمان لله رب العالمين فيما امر به عباده
وقد اختلف في انه تزوجها او زوجها من ذي تبع ملك همدان ولقد ارسلنا

الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله بان اعبدوه وقرئ
بضم النون على اتباعها الباء فاذا هم فريقان يختصمون ففاجؤا التفرق
والاختصام فامن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين قال يا قوم
لم تستعجلون بالسيئة بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا قبل الحسنة
التوبة فتؤخرونها الى نزول العقاب فانهم كانوا يقولون ان صدق
ايعاده تبنا حينئذ لولا تستغفرون الله قبل نزوله لعلكم ترحمون بقبولها
لا تقبل حينئذ قالوا اطيرنا تشاءمنا بك وبمن معك اذ تتابعت
علينا الشدائد او وقع بيننا الافتراق مذ اخترعتم دينكم قال طائركم سببكم
الذي جاء منه شركم عند الله وهو قدره او عملكم المكتوب عنده بل انتم
قوم تفتنون تختبرون بتعاقب السراء والضراء والاضراب من بيان
طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعي اليه وكان في المدينة
تسعة رهط تسعة انفس وانما وقع تمييزا للتسعة باعتبار المعنى والفرق بينه
وبين النفر انه من الثلثة او السبعة الى العشرة والنفر من الثلثة الى التسعة
يفسدون في الارض ولا يصلحون اي شانهم الافساد الخالص عن شوب
الاصلاح قالوا اي قال بعضهم لبعض تقاسموا بالله امر مقول او خبر وقع
بدلا او حالا باضمار قد لنبيتنه واهله لنباغتن صالحا واهله ليلا وقرا حمزة
والكسائي بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على ان تقاسموا خبر
ثم لنقولن فيه القراءات الثلث لوليه لولي دمه ما شهدنا مهلك اهله
فضلا ان تولينا اهلاكهم وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا مهلك في قراءة
حفص فان مفعلا قد جاء مصدرا كمرجع وقرا ابو بكر بالفتح فيكون مصدرا و
انا لصادقون ونحلف انا لصادقون او والحال انا لصادقون فيما ذكرنا
لان الشاهد للشيء غير المباشر له عرفا او لانا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه
ومهلكهم كقولك ما رايت ثمة رجلا بل رجلين ومكروا مكرا بهذه المواضعة
ومكرنا مكرا بان جعلناها سببا لاهلاكهم وهم لا يشعرون بذلك روي انه
كان لصالح في الحجر مسجد في شعب يصلي فيه فقالوا زعم انه يفرغ منا الى ثلث
فنفرغ منه ومن اهله قبل الثلث فذهبوا الى الشعب ليقتلوه فوقع عليهم
صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمة وهلك الباقون في اماكنهم
بالصيحة كما اشار اليه قوله فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم
اجمعين وكان ان جعلت ناقصة فخبرها كيف وانا دمرناهم استيناف او خبر
محذوف لا خبر كان لعدم العائد وان جعلتها تامة فكيف حال وقرا الكوفيون
ويعقوب انا دمرناهم بالفتح على انه خبر محذوف او بدل من اسم كان او

او خبر له وكيف حال فتلك بيوتهم خاوية خالية من خوى البطن اذا خلا او
ساقطة منهدمة من خوى النجم اذا سقط وهي حال عمل فيها معنى الاشارة وقرئ
بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف بما ظلموا بسبب ظلمهم ان في ذلك لاية لقوم
يعلمون فيتعظون وانجينا الذين امنوا صالحا ومن معه وكانوا يتقون
الكفر والمعاصي فلذلك خصوا بالنجاة ولوطا واذكر لوطا او وارسلنا لوطا
لدلالة ولقد ارسلنا عليه اذ قال لقومه بدل على الاول ظرف على الثاني
اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون تعلمون فحشها من بصر القلب واقتراف
القبايح من العالم بقبحها اقبح او يبصرها بعضكم من بعض لانهم كانوا يعلنون بها
فيكون افحش ائنكم لتاتون الرجال شهوة بيان لاتيانهم الفاحشة وتعليله
بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه على ان الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضاء
الوطر من دون النساء اللاتي خلقن لذلك بل انتم قوم تجهلون تفعلون
فعل من يجهل قبحها او يكون سفيها لا يميز بين الحسن والقبيح او تجهلون العاقبة والتاء
فيه لكون الموصوف به في معنى المخاطب فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا
ال لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار
ويعدون فعلنا قذرا فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرين قدرنا
كونها من الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين مر مثله
قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى امر رسوله بعد ما قص عليه القصص الدالة
على كمال قدرته وعظم شانه وما خص به رسله من الايات الكبرى والانتصار من العدى
بتحميده والسلام على المصطفين من عباده شكرا على ما انعم عليهم وعلما ما جهل من احوالهم
وعرفانا لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم في الدين او لوطا بان يحمده على هلاك كفرة
قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك الله خير اما يشركون
الزام لهم وتهكم بهم وتسفيه لرايهم اذ من المعلوم ان لا خير فيما اشركوه راسا حتى يوازن
بينه وبين من هو مبدا كل خير وقرا ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء امن بل امن
خلق السموات والارض التي هي اصول الكائنات ومبادي المنافع وقرئ امن
بالتخفيف على انه بدل من الله وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات
بهجة عدل به عن الغيبة الى التكلم لتاكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على ان انبات الحدائق
البهية المختلفة الانواع المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره وكما اشار
اليه بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها شجر الحدائق وهي البساتين من الاحداق وهو
الاحاطة االه مع الله اغيره يقرن به ويجعل له شريكا وهو المتفرد بالخلق والتكوين
وقرئ االها باضمار فعل مثل اتدعون او تشركون وبتوسيط مدة بين الهمزتين
واخراج الثانية بين بين بل هم قوم يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد امن جعل

جعل الارض قرارا بدل من امن خلق السموات وجعلها قرارا بابداء بعضها
من الماء وتسويتها بحيث يتاتى استقرار الانسان والدواب عليها وجعل خلالها
اوساطها انهارا جارية وجعل لها رواسي جبالا تتكون فيها المعادن وتنبع
من حضيضها المنابع وجعل بين البحرين العذب والمالح او خليجي فارس والروم
حاجزا برزخا وقد مر بيانه في الفرقان االه مع الله بل اكثرهم لا يعلمون الحق
فيشركون به امن يجيب المضطر اذا دعاه المضطر الذي احوجه شدة ما به الى
اللجا الى الله من الاضطرار وهو افتعال من الضرورة واللام فيه للجنس لا للاستغراق
فلا يلزم منه اجابة كل مضطر ويكشف السوء ويدفع عن الانسان ما يسوءه و
ويجعلكم خلفاء الارض خلفاء فيها بان ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن
قبلكم االه مع الله الذي حفكم بهذه النعم العامة والخاصة قليلا ما تذكرون
اي تذكرون الاءه تذكرا قليلا وما مزيدة والمراد بالقلة العدم او الحقارة المزيحة
للفائدة وقرا ابو عمرو وروح بالياء وحمزة والكسائي وحفص بالتاء وتخفيف
الذال امن يهديكم في ظلمات البر والبحر بالنجوم وعلامات الارض والظلمات
ظلمات الليالي واضافتها الى البر والبحر للملابسة او مشتبهات الطرق يقال طريقة
ظلماء وعمياء للتي لا منار بها ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته يعني المطر
ولو صح ان السبب الاكثري في تكون الريح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة
الباردة لانكسار حرها وتموجها الهواء فلا شك ان الاسباب الفاعلية و
القابلية لذلك من خلق الله والفاعل للسبب فاعل للمسبب االه مع الله يقدر
على مثل ذلك تعالى الله عما يشركون تعالى القادر الخالق عن مشاركة العاجز
المخلوق امن يبدا الخلق ثم يعيده والكفرة وان انكروا الاعادة فهم محجوجون
بالحجج الدالة عليها ومن يرزقكم من السماء والارض اي باسباب سماوية وارضية
االه مع الله يفعل ذلك قل هاتوا برهانكم على ان غيره يقدر على شيء من ذلك
ان كنتم صادقين في اشراككم فان كمال القدرة من لوازم الالوهية قل لا يعلم
من في السموات والارض الغيب الا الله لما بين اختصاصه بالقدرة التامة الفائقة
العامة اتبعه ما هو كاللازم له وهو التفرد بعلم الغيب والاستثناء منقطع ورفع
المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على انه تعالى ان كان ممن في السموات والارض ففيهما
من يعلم الغيب مبالغة في نفيه عنهم او متصل على ان المراد ممن في السموات
والارض من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فانه يعم الله تعالى واولي
العلم من خلقه وهو موصول او موصوف وما يشعرون ايان يبعثون متى ينشرون
مركبة من اي وان وقرئت بكسر الهمزة والضمير لمن وقيل للكفرة بل ادارك علمهم
في الاخرة لما نفى عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفي شعورهم بما هو مآلهم لا محالة

بالغ فيه بان ان ما انتهى اضرب عنه وبين ان ما انتهى وتكامل فيه
اسباب علمهم من الحجج والايات وهو ان القيمة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغي
بل هم في شك منها كمن تحير في الامر لا يجد عليه دليلا بل هم منها عمون لا يدركون
دلائلها لاختلال بصيرتهم وهذا وان اختص بالمشركين ممن في السموات والارض
نسب الى جميعهم كما يسند فعل البعض الى الكل والاضرابات الثلث تنزيل
لاحوالهم وقيل الاول اضراب عن نفي الشعور بوقت القيمة عنهم ووصفهم
باستحكام علمهم في امر الاخرة تهكما بهم وقيل ادرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم
ادركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقرا نافع وابن عامر
وحمزة والكسائي وحفص بل ادارك بمعنى تتابع حتى استحكم او تتابع
حتى انقطع من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك وابو بكر ادرك
واصلهما تفاعل وافتعل وقرئ اادرك بهمزتين بالف بينهما وبل ادرك
وبل تدارك وبلى ادرك وبلى اادرك وام ادرك وام تدارك وما فيه
استفهام صريح او مضمن من ذلك فانكار وما فيه بلى فاثبات لشعورهم
وتفسير له بالادراك على التهكم وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في نفيه
ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون او رد
وانكار لشعورهم وقال الذين كفروا ائذا كنا ترابا واباؤنا ائنا لمخرجون
كالبيان لعمههم والعامل في اذا دل عليه ائنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون
لان كلا من الهمزة وان واللام مانعة من عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة للمبالغة
في الانكار والمراد بالاخراج الاخراج من الاجداث او من حال الفناء الى الحيوة
وقرا نافع اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرا ابن عامر والكسائي ائننا
لمخرجون بنونين على الخبر لقد وعدنا هذا نحن واباؤنا من قبل من قبل وعد
محمد وتقديم هذا على نحن لان المقصود بالذكر هو البعث وحيث اخر فالمقصود
به المبعوث ان هذا الا اساطير الاولين التي هي كالاسمار قل سيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين تهديد لهم على التكذيب وتخويف بان
ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفا للمؤمنين
في ترك الجرائم ولا تحزن عليهم على تكذيبهم واعراضهم ولا تكن في ضيق في حرج
صدر وقرا ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ ضيق اي امر ضيق مما
يمكرون من مكرهم فان الله تعالى يعصمك من الناس ويقولون متى هذا
الوعد العذاب الموعود ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم
تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتاكيد او الفعل مضمن معنى فعل يتعدى باللام
مثل دنا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه بعض الذي تستعجلون حلوله وهو عذاب يوم

يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقونه
اظهارا لوقارهم واشعارا بان الرمز منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعد الله ووعيده
وان ربك لذو فضل على الناس بتاخير عقوبتهم على المعاصي والفضل والفاضلة
الافضال وجمعها فضول وفواضل ولكن اكثرهم لا يشكرون لا يعرفون حق النعمة فيه
فلا يشكرون بل يستعجلون بجهلهم وقوعه وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم ما تخفيه
وقرئ بفتح التاء من كننت اي سترت وما يعلنون من عداوتك فيجازيهم
عليه وما من غائبة في السماء والارض خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء
فيهما للمبالغة كما في الراوية او اسمان لما يغيب ويخفى كالتاء في عاقبة وعاقبة الا في
كتاب مبين بين او مبين ما فيه لمن يطالعه والمراد اللوح او القضاء على الاستعارة
ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون كالتشبيه والتنزيه
واحوال الجنة والنار وعزير والمسيح عليهما السلام وانه لهدى ورحمة للمؤمنين فانهم
المنتفعون به ان ربك يقضي بينهم بين بني اسرائيل بحكمه بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويدل
عليه انه قرئ بحكمه وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم بحقيقة ما يقضيه فيه وحكمه
فتوكل على الله ولا تبال بمعاداتهم انك على الحق المبين وصاحب الحق حقيق بالوثوق
بحفظ الله ونصره انك لا تسمع الموتى تعليل اخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه
عن متابعتهم ومعاضدتهم راسا وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى
عليهم كما شبهوا بالصم في قوله ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين فان اسماعهم
في هذه الحالة ابعد وقرا ابن كثير ولا يسمع الصم وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم حيث الهداية
لا تحصل الا بالبصر وقرا حمزة وحده وما انت تهدي العمي ان تسمع اي ما يجدي اسماعك الا
من يؤمن باياتنا من هو في علم الله كذلك فهم مسلمون مخلصون من اسلم وجهه لله
واذا وقع القول عليهم اذا دنا وقوع معناه وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب
اخرجنا لهم دابة من الارض وهي الجساسة روي ان طولها ستون ذراعا ولها اربع
قوائم وزغب وريش وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب وروي انه
عليه السلام سئل من اين تخرج فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام
تكلمهم من الكلام وقيل من الكلم اذ قرئ تكلمهم وروي انها تخرج ومعها عصى موسى
وخاتم سليمان فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه وبالخاتم
في انف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه ان الناس كانوا باياتنا بخروجها وسائر
احوالها فانها من ايات الله تع وقيل القران وقرا الكوفيون ان الناس بالفتح
لا يوقنون لا يتيقنون وهو حكاية معنى قولها او حكايتها لقول الله او علة خروجها
او تكلمها على حذف الجار ويوم نحشر من كل امة فوجا يعني يوم القيمة ممن يكذب
باياتنا بيان للفوج اي فوجا مكذبين ومن الاولى للتبعيض لان امة كل نبي و

واهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين فهم يوزعون يحبس اولهم على اخرهم
ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد اطرافهم حتى اذا جاؤا الى المحشر
قال اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما الواو للحال اي اكذبتم بها بادي الراي غير ناظرين
فيها نظرا يحيط علمكم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او التكذيب او للعطف اي اجمعتم
بين التكذيب بها وعدم القاء الاذهان لتحققها اماذا كنتم تعملون ام اي شي
كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتبكيت اذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون
ان يقولوا فعلنا غير ذلك ووقع القول عليهم حل بهم العذاب الموعود وهو كبهم
في النار بعد ذلك بما ظلموا بسبب ظلمهم وهو التكذيب بايات الله فهم لا ينطقون
باعتذار لشغلهم بالعذاب الم يروا ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم الى تجويز الحشر
وبعثة الرسل لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين بذاته لا يكون
الا بقدرة قاهرة وان من قدر على ابدال الظلمة بالنور في مادة واحدة قدر على ابدال
الموت بالحيوة في مواد الابدان وان من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من اسباب
معاشهم لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم في معاشهم ومعادهم انا جعلنا
الليل ليسكنوا فيه بالنوم والقرار والنهار مبصرا فان اصله ليبصروا فيه فبولغ فيه
بجعل الابصار حالا من احواله المجعول عليها بحيث لا ينفك عنها ان في ذلك
لايات لقوم يؤمنون لدلالتها على الامور الثلثة ويوم ينفخ في الصور في الصور
او القرن وقيل انه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ في البوق ففزع
من في السموات ومن في الارض من الهول عبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه الا من
شاء الله ان لا يفزع بان يثبت قلبه قيل هم جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل
وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وقيل الشهداء وقيل موسى لانه صعق مرة
ولعل المراد ما يعم ذلك وكل اتوه حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية او راجعون
الى امره وقرا حمزة وحفص اتوه على الفعل وقرئ اتاه للتوحيد لفظ الكل داخرين
صاغرين وقرئ دخرين وترى الجبال تحسبها جامدة ثابتة في مكانها وهي تمر
مر السحاب في السرعة وذلك لان الاجرام الكبار اذا تحركت في سمت واحد
لا تكاد تتبين حركتها صنع الله مصدر مؤكد لنفسه وهو لمضمون الجملة المتقدمة
كقوله وعد الله الذي اتقن كل شي احكم خلقه وسواه على ما ينبغي انه خبير بما تفعلون
عالم بظواهر الافعال وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال من جاء بالحسنة فله
خير منها اذ ثبت له الشريف بالخسيس والباقي بالفاني وسبعمائة بواحدة
وقيل خير منها اي خير حاصل من جهتها وهو الجنة وقرا ابن كثير وابو عمرو وهشام
خبير بما يفعلون بالياء والباقون بالتاء وهم من فزع يومئذ امنون
يعني به خوف عذاب يوم القيمة وبالاول ما يلحق الانسان من التهيب لما يرى

لما يرى من الاهوال والعظائم ولذلك يعم الكافر والمؤمن وقرا الكوفيون بالتنوين لان المراد
فزع واحد من افزاع ذلك اليوم وامن يتعدى بالجار وبنفسه كقوله افامنوا مكر الله
وقرا الكوفيون ونافع يومئذ بفتح الميم والباقون بكسرها ومن جاء بالسيئة قيل بالشرك
فكبت وجوههم في النار فكبوا فيها على وجوههم ويجوز ان يراد بالوجوه انفسهم كما اريد
بالايدي في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم هل تجزون الا ما كنتم تعملون على الالتفات او باضمار
القول اي قيل لهم ذلك انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها امر الرسول
بان يقول لهم ذلك بعد ما بين المبدا والمعاد وشرح احوال القيمة اشعارا بانه قد اتم
الدعوة وقد كملت وما عليه بعد الا الاشتغال بشانه والاستغراق في عبادة ربه
وتخصيص مكة بهذه الاضافة تشريف لها وتعظيم لشانها وقرئ التي حرمها وله كل شي خلقا
وملكا وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين او الثابتين على ملة الاسلام وان اتلوا
القران وان اواظب على تلاوته لتنكشف لي حقائقه في تلاوته شيئا فشيئا او اتباعه وقرئ
واتل عليهم وان اتل فمن اهتدى باتباعه اياي في ذلك فانما يهتدي لنفسه فان منافعه
عائدة اليه ومن ضل بمخالفتي فقل انما انا من المنذرين فلا علي من وبال ضلاله شي اذ ما
على الرسول الا البلاغ وقد بلغت وقل الحمد لله على نعمة النبوة او على ما علمني ووفقني
للعمل به سيريكم اياته القاهرة في الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة الارض او في الاخرة
فتعرفونها فتعرفون انها ايات الله ولكن حين لا ينفعكم المعرفة وما ربك بغافل
عما تعملون فلا تحسبوا ان تاخير عذابكم لغفلته عن اعمالكم وقرئ في السبعة بالياء عن النبي
عليه السلام من قرا سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان
وكذب به وهودا وصالحا وابراهيم وشعيبا ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

سورة القصص مكية وقيل الا قوله الذين اتيناهم الكتاب الى قوله الجاهلين وهي ثمان وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك ايات الكتاب المبين نتلوا عليك نقرا بقراءة
جبرئيل ويجوز ان يكون بمعنى ننزله مجازا من نبا موسى وفرعون بعض نبائهما مفعول
نتلوا بالحق محقين لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون به ان فرعون علا في الارض استئناف
مبين لذلك البعض والارض ارض مصر وجعل اهلها شيعا فرقا يشيعونه فيما يريد
او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه استعمل كل صنف في عمل او
احزابا بان اغرى بينهم العداوة كيلا يتفقوا عليه يستضعف طائفة منهم وهم
بنوا اسرائيل والجملة حال من فاعل جعل او صفة لشيعا او استئناف وقوله يذبح
ابناءهم ويستحيي نساءهم بدل منها وكان ذلك لان كاهنا قال له يولد مولود
في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وذلك كان من غاية حمقه فانه لو صدق
لم يندفع بالقتل وان كذب فما وجهه انه كان من المفسدين فلذلك اجترا على قتل
خلق كثير من اولاد الانبياء لتخيل فاسد ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض

ان نتفضل عليهم بانقاذهم من بأسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على ان
فرعون علا من حيث انهما واقعان تفسير النبأ او حال من يستضعف ولا يلزم من مقارنة
الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له لجواز ان يكون تعلق الارادة به حينئذ تعلقا
استقباليا مع ان منة الله بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع منه جاز ان يجري مجرى
المقارن ونجعلهم ائمة مقدمين في امر الدارين ونجعلهم الوارثين لما كان في
ملك فرعون وقومه ونمكن لهم في الارض ارض مصر والشام واصل التمكين ان يجعل للشيء
مكانا يتمكن فيه ثم استعير للتسليط واطلاق الامر ونري فرعون وهامان وجنودهما
منهم من بني اسرائيل ما كانوا يحذرون من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود
منهم وقرأ حمزة والكسائي ويرى بالياء وفرعون وهامان وجنودهما بالرفع واوحينا
الى ام موسى بالهام او رؤيا ان ارضعيه ما امكنك اخفاؤه فاذا خفت عليه
بان يحس به فالقيه في اليم في البحر يريد النيل ولا تخافي عليه ضيعة ولا شدة ولا تحزني
لفراقه انا رادوه اليك عن قريب بحيث تأمنين عليه وجاعلوه من المرسلين
روي انها لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بني اسرائيل فعالجتها
فلما وقع موسى على الارض هالها نور بين عينيه وارتعشت مفاصلها ودخل حبه
قلبها بحيث منعها من السعاية فارضعته ثلثة اشهر ثم الح فرعون في طلب المواليد
واجتهد العيون في تفحصها فاخذت له تابوتا فقذفته في النيل فالتقطه آل فرعون
ليكون لهم عدوا وحزنا تعليل لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيها له
بالغرض الحامل عليه وقرأ حمزة والكسائي وحزنا وهما لغتان كالعدم والعدم ان فرعون
وهامان وجنودهما كانوا خاطئين في كل شيء فليس ببدع منهم ان قتلوا الوفا
لاجله ثم اخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون او مذنبين فعاقبهم الله
تعالى بان ربى عدوهم على ايديهم فالجملة اعتراض لتأكيد خطائهم او لبيان الموجب لما
ابتلوا به وقرئ خاطين تخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطأ وقالت
امرأة فرعون اي لفرعون حين اخرجته من التابوت قرة عين لي ولك هو قرة
عين لنا لانهما لما رأياه حين اخرج التابوت احباه او لانه كانت لها ابنة
برصاء وعالجها الاطباء بريق حيوان بحري يشبه الانسان فلطخت برصها بريقه
فبرئت وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله كما هداها لا
تقتلوه خطاب بلفظ الجمع للتعظيم عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلائل
النفع وذلك لما رأت من نور بين عينيه وارتضاعه ابهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه
او نتخذه ولدا او نتبناه فانه اهل له وهم لا يشعرون حال من الملتقطين او من القائلة
والمقول له اي وهم لا يشعرون انهم على الخطأ في التقاطه او في طمع النفع منه والتبني
او من احد ضميري نتخذه على ان الضمير للناس اي وهم لا يشعرون انه لغيرنا وقد تبنيناه

تبنيناه واصبح فؤاد ام موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة
حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله تعالى وافئدتهم هواء اي خلاء لا عقول
فيها ويؤيده انه قرئ فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اي هدر او من الهم لفرط
وثوقها بوعد الله او سماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدي به
انها كادت لتظهر بموسى اي بامره وقصته من فرط الضجرة او الفرح بتبنيه لولا ان ربطنا
على قلبها بالصبر والثبات لتكون من المؤمنين المصدقين بوعد الله او من
الواثقين بحفظه لا بتبني فرعون وعطفه وقرئ موسى اجراء للضمة في جار الواو
مجرى ضمتها في استدعاء همزها همز واو وجوه وهو علة للربط وجواب لولا محذوف
دل عليه ما قبله وقالت لاخته مريم قصيه اتبعي اثره وتتبعي خبره فبصرت به عن جنب
عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب وهو بمعناه وهم لا يشعرون انها تقص او انها
اخته وحرمنا عليه المراضع ومنعناه ان يرتضع من المرضعات جمع مرضع او مرضع
وهو الرضاع او موضعه يعني الثدي من قبل من قبل قصصها اثره فقالت هل ادلكم
على اهل بيت يكفلونه لكم لاجلكم وهم له ناصحون لا يقصرون في ارضاعه وتربيته
روي ان هامان لما سمعه قال انها لتعرفه واهله فخذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت
وهم للملك ناصحون فامرها فرعون بان تأتي بمن يكفله فاتت بامها وموسى على يد
فرعون يبكي وهو يعلله فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها من انت منه فقد
ابى كل ثدي الا ثديك فقالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني
فدفعه اليها واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وهو قوله فرددناه الى امه
كي تقر عينها بولدها ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق علم مشاهدة ولكن اكثرهم
لا يعلمون ان وعده حق فيرتابون فيه او ان الغرض الاصلي من الرد علمها بذلك وما سواه
تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون ولما بلغ اشده مبلغ
الذي لا يزيد عليه نشوه وذلك من ثلثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ
وروي انه لم يبعث نبي الا على رأس اربعين واستوى قده او عقله آتيناه حكما
نبوة وعلما بالدين او علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل
ما يستجهل فيه وهو اوفق لنظم القصة لان استنباءه بعد الهجرة في المراجعة وكذلك
ومثل ذلك الذي فعلنا بموسى وامه نجزي المحسنين على احسانهم ودخل المدينة ودخل
مصر آتيا من قصر فرعون وقيل منف او حابين او عين شمس من نواحيها على حين غفلة
من اهلها في وقت لا يعتاد دخولها او لا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل
بين العشائين فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه احدهما ممن
شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل والآخر من مخالفيه وهم القبط والاشارة واقعة على الحكاية
فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فسأله ان يغيثه بالاعانة ولذلك

عدى بعلى وقرئ استعانه فوكزه موسى فضرب القبطي بجمع كفه وقرئ فلكزه
اى فضرب به صدره فقضى عليه فقتله واصله انهى حياته من قوله وقضينا اليه ذلك
الامر قال هذا من عمل الشيطان لانه لم يؤمر بقتل الكفار او لانه كان مأمونا فيهم فلم
يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك فى عصمته لكونه خطأ وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما
واستغفر عنه على عادتهم فى استعظام محقرات فرطت منهم انه عدو مضل مبين
ظاهر العداوة قال رب انى ظلمت نفسى بقتله فاغفر لى ذنبى فغفر له لاستغفاره
انه هو الغفور لذنوب عباده الرحيم بهم قال رب بما انعمت على قسم محذوف الجواب
اى اقسم بانعامك على بالمغفرة وغيرها لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين او استعطاف
اى بحق انعامك على اعصمنى فلن اكون معينا لمن ادت معاونته الى جرم وعن ابن عباس
انه لم يستثن فابتلى به مرة اخرى وقيل معناه بما انعمت على من القوة اعين اولياءك
فلن استعملها فى مظاهرة اعدائك فاصبح فى المدينة خائفا يترقب يترصد الاستقادة
فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه يستغيثه مشتق من الصراخ قال له موسى انك
لغوى مبين بين الغواية لانك تسببت لقتل رجل وتقاتل اخر فلما ان اراد ان
يبطش بالذى هو عدو لهما لموسى والاسرائيلى لانه لم يكن على دينهما ولان القبط
كانوا اعداء بنى اسرائيل قال يا موسى اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس
قاله الاسرائيلى لانه لما سماه غويا ظن انه يبطش عليه او القبطى وكانه توهم من قوله
انه الذى قتل القبطى بالامس لهذا الاسرائيلى ان تريد ما تريد الا ان تكون
جبارا فى الارض تتطاول على الناس ولا تنظر العواقب وما تريد ان تكون من المصلحين
بين الناس فتدفع التخاصم بالتى هى احسن ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى الى
فرعون وملائه فهموا بقتله فخرج مؤمن من ال فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال وجاء
رجل من اقصى المدينة يسعى يسرع صفة لرجل او حال منه اذا جعل من اقصى صفة له لا صلة
لجاء لان تخصصه بها يلحقه بالمعارف قال يا موسى ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك
يتشاورون بسببك وانما سمى التشاور ائتمارا لان كلا من المتشاورين يأمر الاخر
ويأتمر فاخرج انى لك من الناصحين اللام للبيان وليس صلة للناصحين لان
معمول الصلة لا يتقدم الموصول فخرج منها من المدينة خائفا يترقب لحوق طالب
قال رب نجنى من القوم الظالمين خلصنى منهم واحفظنى من لحوقهم ولما توجه تلقاء
مدين قبالة مدين قرية شعيب سميت باسم مدين بن ابراهيم ولم يكن فى سلطان
فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمان قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل
توكلا على الله وحسن ظن به وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلث طرق فاخذ باوسطها
وجاء الطلاب عقيبه فاخذوا فى الاخرين ولما ورد ماء مدين وصل اليه وهو
بئر كانوا يسقون منها وجد عليه وجد فوق شفيرها امة من الناس جماعة كثيرة

كثيرة مختلفين يسقون مواشيهم ووجد من دونهم فى مكان اسفل من مكانهم
امرأتين تذودان تمنعان اغنامهما عن الماء كيلا تختلط باغنامهم قال ما خطبكما
ما شأنكما تذودان قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء تصرف الرعاة مواشيهم عن الماء
حذرا عن مزاحمة الرجال وحذف المفعول لان الغرض هو بيان ما يدل على عفتهما
ويدعوه الى السقى لهما ثم دونه وقرأ ابو عمرو وابن عامر يصدر اى ينصرف وقرئ الرعاء
بالضم وهو اسم جمع كالرخال وابونا شيخ كبير كبير السن لا يستطيع ان يخرج للسقى فيرسلنا
اضطرارا فسقى لهما مواشيهما رحمة عليهما قيل كانت الرعاة يضعون على رأس البئر
حجرا لا يقله الا سبعة رجال او اكثر فاقله وحده مع ما كان به من الوصب والجوع
وجراحة القدم وقيل كانت بئرا اخرى عليها صخرة فرفعها واستقى منها ثم تولى الى
الظل فقال رب انى لما انزلت الى لاى شىء انزلت من خير قليل او كثير وحملها الا
الاكثرون على الطعام فقير محتاج سائل ولذلك عدى باللام وقيل معناه انى لما
انزلت الى من خير الدين صرت فقيرا فى الدنيا لانه كان فى سعة عند فرعون والغرض
منه اظهار التبجح والشكر على ذلك فجاءته احداهما تمشى على استحياء اى مستحيية متخفرة
قيل كانت الصغرى منهما وقيل الكبرى واسمها صفورا او صفراء وهى التى تزوجها موسى
قالت ان ابى يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا جزاء سقيك لنا
ولعل موسى انما اجابها ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعا فى الاجر بل روى
انه لما جاءه قدم اليه طعاما فامتنع عنه وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا حتى قال
شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا هذا وان من فعل معروفا فاهدى بشىء لم يحرم
اخذه فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين يريد فرعون
وقومه قالت احداهما يعنى التى استدعته يا ابت استأجره لرعى الغنم ان خير من
استأجرت القوى الامين تعليل شائع يجرى مجرى الدليل على انه حقيق بالاستئجار
وللمبالغة فيه جعل خير اسما وذكر الفعل بلفظ الماضى للدلالة على انه امين مجرب معروف
روى ان شعيبا قال لها وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر وانه صوب
رأسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشى خلفه قال انى اريد ان انكحك احدى ابنتى هاتين
على ان تأجرنى ان تأجر نفسك منى او تكون لى اجيرا او تثيبنى من اجرك الله
ثمانى حجج ظرف على الاولين ومفعول به على الثالث باضمار مضاف اى رعية
ثمانى حجج فان اتممت عشرا عملت عشر حجج فمن عندك فاتمامه من عندك تفضلا
لا من عندى الزاما عليك وهذا استدعاء العقد لا نفسه فلعله جرى على معينة
ومهر اخر او برعية الاجل الاول ووعد له ان يوفى الاخر ان تيسر له قبل العقد وكانت
الاغنام للمزوجة مع انه يمكن اختلاف الشرائع فى ذلك وما اريد ان اشق عليك
بالزام اتمام العشر او المناقشة فى مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق

المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك في اطاقته
ورايك في مزاولته ستجدني ان شاء الله من الصالحين في حسن المعاملة ولين الجانب
والوفاء بالمعاهدة قال ذلك بيني وبينك اي ذلك الذي عاهدتني فيه قائم بيننا
لا نخرج عنه ايما الاجلين اطولهما او اقصرهما قضيت وفيتك اياه فلا عدوان
علي لا يعتدى علي بطلب الزيادة فكما لا اطالب بالزيادة على العشر لا اطالب بالزيادة
على الثماني او فلا اكون معتديا بترك الزيادة عليه كقولك لا اثم علي وهو ابلغ
في اثبات الخيرة وتساوي الاجلين في القضاء من ان يقال ان قضيت الاقصر
فلا عدوان علي وقرئ ايما كقوله تنظرت نصرا والسماكين ايهما علي من الغيث استهلت
مواطره واي الاجلين ما قضيت فيكون ما مزيدة لتاكيد الفعل اي اي الاجلين
جردت عزمي لقضائه وعدوان بالكسر والله على ما نقول من المشارطة وكيل
شاهد حفيظ فلما قضى موسى الاجل وسار باهله بامرأته روي انه قضى اقصى
الاجلين ومكث عنده بعد ذلك عشرا اخر ثم عزم على الرجوع آنس من جانب
الطور نارا ابصر من الجهة التي تلي الطور قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي
آتيكم منها بخبر بخبر الطريق او جذوة عود غليظ سواء كان في رأسه نار او لم يكن
قال كثير باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر وقال
والقى على قبس من النار جذوة شديدا عليه حرها والتهابها ولذلك بينه
بقوله من النار وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات لعلكم تصطلون
تستدفئون بها فلما اتاها نودي من شاطئ الواد الايمن اتاه النداء من
شاطئ الايمن لموسى في البقعة المباركة متصل بالشاطئ او صلة لنودي من الشجرة
بدل من شاطئ بدل الاشتمال لانها كانت نابتة على الشاطئ ان يا موسى اي يا موسى
اني انا الله رب العالمين هذا وان خالف ما في طه والنمل في اللفظ فهو طبقه في
المقصود وان الق عصاك فلما رآها تهتز اي فالقاها فصارت ثعبانا واهتزت
فلما رآها تهتز كانها جان في الهيئة والجثة او في السرعة ولى مدبرا منهزما من الخوف
ولم يعقب ولم يرجع يا موسى نودي يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين
عن المخوف فانه لا يخاف لدي المرسلون اسلك يدك في جيبك ادخلها تخرج
بيضاء من غير سوء عيب واضمم اليك جناحك يديك المبسوطتين تتقي بهما
الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى او بالعكس او بادخالهما في الجيب
فيكون تكرير الغرض آخر وهو ان يكون ذلك في وجه العدو اظهار جرأة ومبدأ
لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة
من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا امن واطمأن ضمهما اليه من
الرهب من اجل الرهب اي اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا او ضبطا

او ضبطا لنفسك وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر بضم الراء وسكون الهاء
وقرئ بضمهما وقرئ وحفص بالفتح والسكون والكل لغات فذانك اشارة الى العصا
واليد وشدده ابن كثير وابو عمرو ورويس برهانان حجتان وبرهان فعلان لقولهم
ابره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال برهاء وبرهرهة
للمرأة البيضاء وقيل فعلان لقولهم برهن من ربك مرسلا الى فرعون وملائه
انهم كانوا قوما فاسقين فكانوا احقاء بان يرسل اليهم قال رب اني قتلت منهم
نفسا فاخاف ان يقتلون بها واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا
معينا وهو في الاصل اسم ما يعان به كالدفء وقرأ نافع ردا بالتخفيف يصدقني
بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة اني اخاف ان يكذبون ولساني لا يطاوعني
عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد
الفعل الى السبب وقرأ عاصم وحمزة يصدقني بالرفع على انه صفة والجواب محذوف
قال سنشد عضدك باخيك سنقويك به فان قوة الشخص باخيك سنقويك
به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها
بشدة العضد ونجعل لكما سلطانا غلبة فلا يصلون اليكما باستيلاء او حجاج
باياتنا متعلق بمحذوف اي اذهبا باياتنا او بنجعل اي نسلطكما بها او بمعنى
لا يصلون اي تمتنعون منهم او قسم جوابه لا يصلون او بيان للغالبون في قوله
انتما ومن اتبعكما الغالبون بمعنى انه صلة لما تبينه او صلة له على ان اللام فيه
للتعريف لا بمعنى الذي فلما جاءهم موسى باياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى
سحر تختلقه لم يفعل قبل مثله او سحر تعلمه ثم تفتريه على الله او سحر موصوف بالافتراء
كسائر انواع السحر وما سمعنا بهذا يعنون السحر او ادعاء النبوة في ابائنا الاولين
كائنا في ايامهم وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده فيعلم اني محق وانتم
مبطلون وقرأ ابن كثير قال بغير واو لانه قال جوابا لمقالهم ووجه العطف ان المراد
حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد ومن تكون له عاقبة
الدار العاقبة المحمودة فان المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها
خلقت مجازا الى الاخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب والعقاب انما قصد
بالعرض وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء انه لا يفلح الظالمون لا يفوزون بالهدى
في الدنيا وحسن العاقبة في العقبى وقال فرعون يا ايها الملا ما علمت لكم من اله غيري
نفى علمه باله غيره دون وجوده اذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه ولذلك امر
ببناء الصرح ليصعد اليه ويتطلع على الحال بقوله فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي
صرحا لعلي اطلع الى اله موسى كانه توهم انه لو كان لكان جسما في السماء يمكن الترقي
اليه ثم قال واني لاظنه من الكاذبين او اراد ان يبني له رصدا يترصد منها اوضاع

الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة وقيل المراد نفي العلم
لنفي المعلوم كقوله تعالى اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض فان معناه
بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم
من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل اول من اتخذ الآجر
فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظم ولذلك
نادى هامان باسمه بيا في وسط الكلام واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق
بغير استحقاق وظنوا انهم الينا لا يرجعون بالنشور وقرا نافع وحمزة والكسائي
بفتح الياء وكسر الجيم فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم كما مر بيانه وفيه
فخامة وتعظيم لشان الاخذ واستحقار للماخوذين كانه اخذهم مع كثرتهم في
كف فطرحهم في اليم ونظيره وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم
القيمة والسموات مطويات بيمينه فانظر يا محمد كيف كان عاقبة الظالمين
وحذر قومك عن مثلها وجعلناهم ائمة قدوة للضلال بالحمل على الاضلال
وقيل بالتسمية كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا او بمنع الالطاف
الصارفة عنه يدعون الى النار الى موجباتها من الكفر والمعاصي ويوم القيمة
لا ينصرون بدفع العذاب عنهم واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة طردا عن الرحمة
او لعن اللاعنين يلعنهم الملائكة والمؤمنون ويوم القيامة هم من المقبوحين
من المطرودين او ممن قبح وجوههم ولقد اتينا موسى الكتاب التورية من بعد
ما اهلكنا القرون الاولى اقوام نوح وهود وصالح ولوط بصائر للناس انوارا
لقلوبهم يتبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل وهدى الى الشرائع التي هي
سبيل الله ورحمة لانهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله لعلهم يتذكرون ليكونوا على
حال يرجى منهم التذكر وقد فسر بالارادة وفيه ما عرفت وما كنت بجانب الغربي بجانب
الوادي او الطور فانه كان في شق الغرب من مقام موسى او الجانب الغربي منه
والخطاب لرسول الله اي ما كنت حاضرا اذ قضينا الى موسى الامر اذ اوحينا
اليه الامر الذي اردنا تعريفه وما كنت من الشاهدين للوحي اليه او على الوحي اليه
وهم السبعون المختارون للميقات والمراد الدلالة على ان اخباره عن ذلك
من قبيل الاخبار عن المغيبات التي لا تعرف الا بالوحي ولذلك استدرك
عنه بقوله ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر اي ولكنا اوحينا اليك
لانا انشانا قرونا مختلفة بعد موسى فتطاولت عليهم المدد فحرفت الاخبار
وتغيرت الشرائع واندرست العلوم فحذف المستدرك واقام سببه مقامه
وما كنت ثاويا مقيما في اهل مدين شعيب والمؤمنين به تتلوا عليهم تقرا
عليهم تعلما منهم اياتنا التي فيها قصتهم ولكنا كنا مرسلين اياك مخبرين لك

لك بها وما كنت بجانب الطور اذ نادينا لعل المراد به وقت ما اعطاه التورية
وبالاول حين ما استنبأه لانهما المذكوران في القصة ولكن علمناك رحمة وقرئت
بالرفع على هذه رحمة من ربك لتنذر قوما متعلق بالفعل المحذوف ما اتيهم
من نذير من قبلك لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون
سنة او بينك وبين اسمعيل على ان دعوة موسى وعيسى كانت مختصة
ببني اسرائيل وما حواليهم لعلهم يتذكرون يتعظون ولولا ان تصيبهم مصيبة
بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون
من المؤمنين لولا الاولى امتناعية والثانية تحضيضية واقعة في سياقها
لانها مما اجيبت بالفاء تشبيها لها بالامر مفعول فيقولوا المعطوف على تصيبهم
بالفاء المعطية معنى السببية المنبهة على ان القول هو المقصود بان يكون سببا
لانتفاء ما يجاب به وانه لا يصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة والجواب محذوف
والمعنى لولا قولهم اذا اصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا ارسلت
الينا رسولا يبلغنا اياتك فنتبعها ونكون من المصدقين لما ارسلناك اي
انما ارسلناك قطعا لعذرهم والزاما للحجة عليهم فنتبع اياتك يعني الرسول
المصدق بنوع من المعجزات ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق من عندنا يعني
الرسول المصدق بنوع من المعجزات قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى من
الكتاب جملة واليد والعصا وغيرهما اقتراحا وتعنتا اولم يكفروا بما اوتي
موسى من قبل يعني ابناء جنسهم في الرأي والمذهب وهم كفرة زمان موسى
وكان فرعون عربيا من اولاد عاد باظهار تلك الخوارق او بتوفيق الكتابين
قالوا ساحران يعنون موسى وهرون او موسى ومحمد تظاهرا تعاونا باظهار
تلك الخوارق او بتوافق الكتابين وقرا الكوفيون سحران بتقدير مضاف
او جعلهما سحرين مبالغة او اسناد تظاهرهما الى فعلهما دلالة على سبب
الاعجاز وقرئ اظاهرا على الادغام وقالوا انا بكل كافرون اي بكل منهما او
بكل الانبياء قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما نزل على موسى
وعلى واظهارهما لدلالة المعنى وهو يؤيد ان المراد بالساحرين موسى ومحمدا
اتبعه ان كنتم صادقين انا ساحران مختلقان وهذا من الشرط الذي يراد بها
الالزام والتبكيت ولعل مجيء حرف الشك للتهكم به فان لم يستجيبوا لك
دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فحذف المفعول للعلم به ولان فعل
الاستجابة يعدى بنفسه الى الدعاء وباللام الى الداعي فاذا عدي اليه حذف
الدعاء غالبا كقوله وداع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك
مجيب فاعلم انما يتبعون اهواءهم اذ لو اتبعوا الحجة لاتوا بها ومن اضل

فمن اتبع هواه استفهام بمعنى النفي بغير هدى من الله في موضع الحال للتوكيد
او التقييد فان هوى النفس قد يوافق الحق ان الله لا يهدي القوم الظالمين الذين
ظلموا انفسهم بالانهماك في اتباع الهوى ولقد وصلنا لهم القول اتبعنا بعضه
بعضا في الانزال ليتصل التذكير او في النظم ليتقرر الدعوة بالحجة والمواعيظ
بالمواعيد والنصائح بالعبر لعلهم يتذكرون فيؤمنون ويطيعون الذين
اتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون نزلت في مؤمني اهل الكتاب وقيل
في اربعين من اهل الانجيل اثنان وثلثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام
والضمير في من قبله للقران كالمستكن في واذا يتلى عليهم قالوا امنا به اي بانه
كلام الله انه الحق من ربنا استيناف لبيان ما اوجب ايمانهم به انا كنا من قبله
مسلمين استيناف اخر للدلالة على ان ايمانهم به ليس مما احدثوه حينئذ وانما
هو امر تقادم عهده لما راوا ذكره في الكتب المتقدمة وكونهم على دين الاسلام
قبل نزول القران او تلاوته عليهم باعتقادهم صحته في الجملة اولئك يؤتون
اجرهم مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقران بما صبروا
بصبرهم وثباتهم على الايمان او على الايمان بالقران قبل النزول وبعده او على
اذى المشركين ومن هاجرهم من اهل دينهم ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعون
بالطاعة المعصية كقوله عليه السلام اتبع الحسنة السيئة تمحها ومما رزقناهم
ينفقون في سبيل الخير واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه تكرما وقالوا للاغين
لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم متاركة لهم او توديعا ودعاء لهم بالسلامة
عما هم فيه لا نبتغي الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريدها انك لا تهدي
من احببت لا تقدر ان تدخله في الاسلام ولكن الله يهدي من يشاء
فيدخله في الاسلام وهو اعلم بالمهتدين بالمستعدين لذلك والجمهور على
انها نزلت في ابي طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله وقال يا عم قل لا اله
الا الله كلمة احاج بها لك عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق
ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف
من ارضنا نخرج منها نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف اتى
الى النبي عليه السلام فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك
وخالفنا العرب وانما نحن اكلة رأس ان يتخطفونا من ارضنا فرد الله
عليهم بقوله اولم نمكن لهم حرما امنا اولم نجعل مكانهم حرما ذا امن بحرمة
البيت الذي فيه يتناحر العرب حوله وهم امنون فيه يجبى اليه يحمل اليه
ويجمع فيه وقرأ نافع ويعقوب في رواية بالتاء ثمرات كل شيء من كل
اوب رزقا من لدنا فاذا كان هذا حالهم وهم عبدة الاصنام فكيف

فكيف نعرضهم للخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد ولكن
اكثرهم لا يعلمون جهلة لا يتفطنون ولا يتفكرون ليعلموا وقيل انه متعلق بقوله
من لدنا اي قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله اذ لو علموا
لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على المصدر من معنى يجبى او الحال من الثمرات
لتخصصها بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس فانهم احقاء بان يخافوا من باس الله
على ما هم عليه بقوله وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها اي وكم من اهل قرية كانت
حالهم كحالكم في الامن وخفض العيش حتى اشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم فتلك
مساكنهم خاوية لم تسكن من بعدهم من السكنى اذ لا يسكنها الا المارة يوما
او بعض يوم او لا يبقى من يسكنها الا قليلا من شؤم معاصيهم وكنا نحن الوارثين منهم
اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر متصرفاتهم وانتصاب معيشتها
بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او باضمار زمان مضاف اليه
او مفعولا على تضمين بطرت معنى كفرت وما كان ربك وما كان عادته مهلك القرى
حتى يبعث في امها في اصلها التي هي اعمالها لان اهلها يكون افطن وانبل رسولا
يتلو عليهم اياتنا لالزام الحجة وقطع المعذرة وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون
بتكذيب الرسل والعتو في الكفر وما اوتيتم من شيء من اسباب الدنيا فمتاع
الحيوة الدنيا وزينتها تتمتعون وتتزينون به مدة حيوتكم المنقضية وما عند الله
وهو ثوابه خير في نفسه من ذلك لانه لذة خالصة وبهجة كاملة وابقى لانه ابدي
افلا تعقلون فتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير وقرأ ابو عمرو بالياء وهو
ابلغ في الموعظة افمن وعدناه وعدا حسنا وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن
الموعود فهو لاقيه مدركه لا محالة لامتناع الخلف في وعده ولذلك عطف بالفاء
المعطية معنى السببية كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا الذي هو مشوب بالالام
مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع ثم هو يوم القيمة من المحضرين للحساب
او العذاب وثم للتراخي في الزمان او الرتبة وقرأ نافع في رواية والكسائي ثم هو بسكون
الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل وهذه الاية كالنتيجة للتي قبلها ولذلك رتبت عليها
بالفاء ويوم يناديهم عطف على يوم القيمة او منصوب باذكر فيقول اين شركاءي
الذين كنتم تزعمون اي الذين كنتم تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان لدلالة
الكلام عليهما قال الذين حق عليهم القول بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله
لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من ايات الوعيد ربنا هؤلاء الذين اغوينا
اي هؤلاء الذين اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول اغويناهم كما غوينا اي
اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا وهو استيناف للدلالة على انهم غووا باختيارهم
وانهم لم يفعلوا بهم الا وسوسة وتسويلا ويجوز ان يكون الذين صفة واغويناهم

الخير لاجل الفصل به فافاده زيادة على الصفة وهو وان كانت فضلة لكنه
صار من اللوازم تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر هوى منهم وهو تقرير
الجملة المتقدمة ولذلك خلت عن العاطف وكذا ما كانوا ايانا يعبدون
اي ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهوائهم وقيل ما مصدرية منفصلة
بتبرأنا اي تبرأنا عن عبادتهم ايانا وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم من فرط
الحيرة فلم يستجيبوا لهم لعجزهم عن الاجابة والنصرة ورأوا العذاب لازما بهم
لو انهم كانوا يهتدون لوجه من الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما رأوا
العذاب وقيل لو للتمني اي تمنوا انهم كانوا مهتدين ويوم يناديهم فيقول
ماذا اجبتم المرسلين عطف على الاول فانه تعالى يسأل اولا عن اشراكهم به
ثم عن تكذيبهم الانبياء فعميت عليهم الانباء يومئذ فصارت الانباء كالعمى
عليهم لا تهتدي اليهم واصله فعموا عن الانباء لكنه عكس مبالغة ودلالة على ان
ما يحضر الذهن انما يفيض ويرد عليه من خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى
استحضاره والمراد بالانباء ما اجابوا به الرسل او ما يعمها واذا كانت الرسل
يتتعتعون في الجواب في مثل ذلك من الهول ويفوضون الى علم الله تعالى فما
ظنك بالضلال من اممهم وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء فهم لا يتساءلون
لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بانه مثله فاما من تاب
من الشرك وآمن وعمل صالحا وجمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يكون من
المفلحين عند الله وعسى تحقيق على عادة الكرام او ترج من التائب بمعنى فليتوقع
ان يفلح وربك يخلق ما يشاء ويختار لا موجب عليه ولا مانع له ما كان لهم
الخيرة اي التخير كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفي الاختيار عنهم رأسا والامر كذلك
عند التحقيق فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله منوط بدواع لا اختيار لهم فيها وقيل
المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلى عن العاطف ويؤيده ما روي
انه نزل في قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقيل ما موصولة
مفعول ليختار والراجع اليه محذوف والمعنى يختار الذي كان لهم فيه الخيرة اي
الخير والصلاح سبحان الله تنزيها له ان ينازعه احد او يزاحم اختياره اختيار
وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او مشاركة ما يشركونه به وربك يعلم ما تكن
صدورهم كعداوة الرسول وحقده وما يعلنون كالطعن فيه وهو الله المستحق
للعبادة لا اله الا هو لا احد يستحقها الا هو له الحمد في الاولى والآخرة لانه المولي
للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا
بقولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده ابتهاجا
بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم القضاء النافذ في كل شيء واليه ترجعون

ترجعون بالنشور قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا دائما من السرد وهو
المتابعة والميم مزيدة كميم دلامص الى يوم القيمة باسكان الشمس تحت الارض
او تحريكها حول الافق الغائر من اله غير الله يأتيكم بضياء كان حقه هل اله فذكر بمن
على زعمهم ان غيره آلهة وعن ابن كثير بضئاء بهمزتين افلا تسمعون سماع تدبر واستبصار
قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة باسكانها في وسط السماء
او تحريكها على مدار فوق الافق من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه استراحة
من متاعب الاشغال ولعله لم يصف الضياء بما يقابله لان الضوء نعمة في ذاته
مقصود بنفسه ولا كذلك الليل ولان منافع الضوء اكثر مما يقابله ولذلك قرن
افلا تسمعون وبالليل افلا تبصرون لان استفادة العقل من السمع اكثر من استفادته
من البصر ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه في الليل ولتبتغوا من
فضله في النهار بانواع المكاسب ولعلكم تشكرون ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك
فتشكروه عليها ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون تقريع بعد
تقريع للاشعار بانه لا شيء اجلب لغضب الله من الاشراك به او الاول لتقرير
فساد رأيهم والثاني لبيان انه لم يكن عن سند وانما كان محض تشه وهوى ونزعنا
واخرجنا من كل امة شهيدا وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه فقلنا للامم هاتوا
برهانكم على صحة ما كنتم تدينون به فعلموا حينئذ ان الحق لله في الالهية لا يشاركه فيها
احد وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الضائع ما كانوا يفترون من الباطل ان قارون
كان من قوم موسى كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوي وكان ممن آمن به فبغى
عليهم فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره او تكبر عليهم او ظلمهم قيل وذلك حين
ملكه فرعون على بني اسرائيل او حسدهم لما روي انه قال لموسى لك الرسالة ولهرون
الحبورة وانا في غير شيء الى متى اصبر وآتيناه من الكنوز من الاموال المدخرة ما ان
مفاتحه مفاتيح صناديقه جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها
المفتح لتنوء بالعصبة اولي القوة خبر ان والجملة صلة ما وهو ثاني مفعولي آتى وناء به الحمل
اذا اثقله حتى اماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ
لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه اذ قال له قومه منصوب بتنوء
لا تفرح لا تبطر والفرح بالدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضا بها والذهول عن
ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح كما قال اشد الغم
عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا ولذلك قال الله تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم
وعلل النهي ههنا بكونه مانعا من محبة الله تعالى فقال ان الله لا يحب الفرحين اي بزخارف
الدنيا وابتغ فيما آتاك الله من الغنى الدار الآخرة بصرفه فيما يوجبها لك فان المقصود
منه ان يكون وصلة اليها ولا تنس ولا تترك ترك المنسي نصيبك من الدنيا وهو ان تحصل

بها اخرتك او تأخذ منها ما يكفيك واحسن الى عباد الله كما احسن الله اليك
فيما انعم عليك وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن الله اليك بالانعام ولا تبغ
الفساد في الارض بامر يكون علة للظلم والبغي ان الله لا يحب المفسدين لسوء افعالهم
قال انما اوتيته على علم فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه و
المال وعلى علم في موضع الحال وهو علم التورية وكان اعلمهم بها وقيل هو علم الكيمياء
وقيل علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم بكنوز يوسف عندي صفة له
او متعلق باوتيته كقولك جاز هذا عندي اي في ظني واعتقادي اولم يعلم ان الله
قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا تعجيب وتوبيخ على اغتراره
بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه قراه في التورية وسمعه من حفاظ التواريخ او رد
لادعائه العلم وتعظمه به بنفي هذا العلم منه اي اعنده مثل ذلك العلم الذي ادعى ولم يعلم
هذا حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام
لانه تعالى مطلع عليها او معاتبة فانهم يعذبون بها بغتة كانه لما هدد قارون بذكر
اهلاك من قبله ممن كان اقوى منه واغنى اكده ذلك بان بين انه لم يكن ما يخصهم بل
الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم معاقبهم عليها لا محالة فخرج على قومه في زينته
كما قيل انه خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف
على زيه قال الذين يريدون الحيوة الدنيا على ما هو عادة الناس من الرغبة فيها يا ليت
لنا مثل ما اوتي قارون تمنوا مثله لا عينه حذرا عن الحسد انه لذو حظ عظيم في الدنيا
وقال الذين اوتوا العلم باحوال الآخرة للمتمنين ويلكم دعاء بالهلاك استعمل
للزجر عما لا يرتضى ثواب الله في الآخرة خير لمن آمن وعمل صالحا مما اوتي قارون
بل من الدنيا وما فيها ولا يلقيها والضمير للكلمة التي تكلم بها العلماء او للثواب فانه بمعنى
المثوبة او الجنة او للايمان والعمل الصالح فانهما في معنى السيرة والطريقة الا الصابرون
على الطاعات وعن المعاصي فخسفنا به وبداره الارض روي انه كان يؤذي موسى
كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف على واحد فحسبه
فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى بين بني اسرائيل ليرفضوه فبرطل بغية لترميه
بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى
غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت قال ولو
كنت قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها
موسى بالله ان تصدق فقالت جعل لي قارون جعلا على ان ارميك بنفسي فخر
موسى شاكيا منه الى ربه فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فقال يا ارض خذيه
فاخذته الى ركبتيه ثم قال خذيه فاخذته الى وسطه ثم قال خذيه فاخذته الى عنقه ثم
قال خذيه فخسف به وكان قارون يتضرع اليه في هذه الاحوال فلم يرحمه فاوحى

الله اليه ما افظك استرحمك مرارا فلم ترحمه وعزتي وجلالي لو دعاني
مرة لاجبته ثم قال بنو اسرائيل انما فعله ليرثه فدعا الله حتى خسف بداره وامواله
فما كان له من فئة اعوان مشتقة من فأوت رأسه اذا ميلته ينصرونه من دون
الله فيدفعون عنه عذابه وما كان من المنتصرين الممتنعين منه لغرم من نصره
فانتصر اذا امتنعه فامتنع واصبح الذين تمنوا مكانه منزلته بالامس منذ زمان
قريب يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر يبسط
ويقدر بمقتضى مشيئته لا لكرامة تقتضي البسط ولا لهوان يوجب القبض وويكأن
عند البصريين مركب من وي للتعجب وكأن للتشبيه والمعنى ما اشبه الامر ان الله
يبسط الرزق وقيل من ويك بمعنى ويلك وان تقديره ويك اعلم ان الله لولا
ان من الله علينا فلم يعطنا ما تمنينا لخسف بنا لتوليده فينا ما ولده فيه
فخسف به لاجله ويكأنه لا يفلح الكافرون لنعمة الله او المكذبون برسله
وبما وعد لهم من ثواب الآخرة تلك الدار الآخرة اشارة تعظيم كانه قال
تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفته والخبر نجعلها للذين لا يريدون
علوا في الارض غلبة وقهرا ولا فسادا ظلما على الناس كما اراد فرعون وقارون
والعاقبة المحمودة للمتقين ما لا يرضاه الله من جاء بالحسنة فله خير منها ذاتا
وقدرا ووصفا ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات وضع فيه
الظاهر موضع الضمير تهجينا لحالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم الا ما كانوا يعملون
اي الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل واقام مقامه ما كانوا يعملون مبالغة
في المماثلة ان الذي فرض عليك القرآن اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل
بما فيه لرادك الى معاد اي معاد وهو المقام المحمود الذي وعدك ان يبعثك
فيه او مكة التي اعتدت بها على انه من العادة ردها اليها يوم الفتح كانه لما حكم بان
العاقبة للمتقين واكد ذلك بوعد المحسنين ووعيد المسيئين وعده بالعاقبة
الحسنى في الدارين روي انه لما بلغ جحفة في مهاجره اشتاق الى مولده و
مولد ابائه فنزلت قل ربي اعلم من جاء بالهدى وما يستحقه من الثواب والنصر
ومن منتصب بفعل يفسره اعلم ومن هو في ضلال مبين وما يستحقه من العذاب
والاذلال يعني به نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله وما كنت
ترجوا ان يلقى اليك الكتاب اي سيردك الى معادك كما القى اليك الكتاب
وما كنت ترجوه الا رحمة من ربك ولكن القاه رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء
محمولا على المعنى كانه قال وما القي الكتاب الا رحمة اي الا لاجل الترحم فلا تكونن ظهيرا
للكافرين بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم ولا يصدنك عن آيات الله
عن قراءتها والعمل بها بعد اذ نزلت اليك وقرئ يصدنك من اصده

وادع الى ربك الى عبادته وتوحيده ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم ولا تدع
مع الله الها آخر هذا وما قبله للتهييج وقطع اطماع المشركين عن مساعدته لهم لا اله الا
هو كل شيء هالك الا وجهه الا ذاته فان ما عداه ممكن هالك في حد ذاته معدوم
له الحكم القضاء النافذ في الخلق واليه ترجعون للجزاء بالحق عن النبي عليه السلام
من قرأ طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق بموسى وكذب ولم يبق ملك
في السموات والارض الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقا **سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية**
بسم الله الرحمن الرحيم الم سبق القول فيه ووقوع الاستفهام بعده دليل
استقلالها بنفسها او بما يضمر معها احسب الناس الحسبان مما يتعلق بمضامين الجمل
للدلالة على جهة ثبوتها ولذلك اقتضى مفعولين متلازمين او ما يسد مسدهما كقوله
ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون فان معناه احسبوا تركهم غير مفتونين
لقولهم آمنا فالترك اول مفعوليه وغير مفتونين من تمامه ولقولهم آمنا هو الثاني
كقولك حسبت ضربه للتأديب او انفسهم متروكين غير مفتونين لقولهم آمنا بل يمتحنهم
الله بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات
وانواع المصائب في الانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق والثابت في الدين
من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر عليها عوالي الدرجات فان مجرد الايمان وان كان
عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في العذاب روي انها نزلت في ناس من
الصحابة جزعوا من اذى المشركين وقيل في عمار قد عذب في الله وقيل في مهجع
مولى عمر بن الخطاب رماه عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه
وامرأته ولقد فتنا الذين من قبلهم متصل باحسب او بلا يفتنون والمعنى ان
ذلك سنة قديمة جارية في الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافها فليعلمن الله الذين
صدقوا وليعلمن الكاذبين فليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين
صدقوا في الايمان والذين كذبوا فيه وينوط به ثوابهم وعقابهم ولذلك قيل
المعنى وليميزن او ليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام اي وليعرفنهم الناس او
ليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيمة كبياض الوجوه وسوادها ام حسب الذين
يعملون السيئات الكفر والمعاصي فان العمل يعم افعال القلوب والجوارح ان
يسبقونا ان يفوتونا فلا نقدر ان نجازيهم على مساويهم وهو ساد مسد
مفعولي حسب وام منقطعة والاضراب فيها لان هذا الحسبان ابطل من الاول ولهذا
عقبه بقوله ساء ما يحكمون اي بئس الذي يحكمونه هذا او حكما يحكمونه حكمهم هذا
فحذف المخصوص بالذم من كان يرجو لقاء الله في الجنة وقيل المراد بلقاء
الله الوصول الى ثوابه او الى العاقبة من الموت والبعث والحساب والجزاء
على تمثيل حاله بحال عبد قدم على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع السيد على

على احواله فاما ان يلقاه ببشر لما رضي من افعاله او بسخط لما سخط منها فان
اجل الله فان الوقت المضروب للقائه لآت لجاء واذا كان وقت اللقاء
آتيا كان اللقاء كائنا لا محالة فليبادر ما يحقق امله ويصدق رجاءه او ما
يستوجب به القربة والرضاء وهو السميع لاقوال العباد العليم بعقائدهم وافعالهم
ومن جاهد نفسه بالصبر على مضض الطاعة والكف عن الشهوات فانما
يجاهد لنفسه لان منفعته لها ان الله لغني عن العالمين فلا حاجة به الى طاعتهم
وانما كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة لصلاحهم والذين آمنوا وعملوا
الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم الكفر بالايمان والمعاصي بما يتبعها من
الطاعات ولنجزينهم احسن الذين كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم ووصينا
الانسان بوالديه حسنا بايتائه فعلا ذا حسن او كانه في ذاته حسن لفرط حسنه
ووصى يجري مجرى امر معنى وتصرفا وقيل هو بمعنى قال اي وقلنا له احسن
بوالديك حسنا وقيل حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسر للتوصية
اي قلنا اولهما او افعل بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف
على بوالديه وقرئ حسنا واحسانا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم
بالهيته عبر عن نفيها بنفي العلم بها اشعارا بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم
يعلم بطلانه فلا تطعهما في ذلك فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا بد من اضمار
القول ان لم يضمر قبل الى مرجعكم مرجع من آمن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه
ومن عق فانبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه والآية نزلت في سعد بن ابي وقاص
وامه حمنة فانها لما سمعت باسلامه حلفت ان لا تنتقل من الضح ولا تطعم ولا تشرب
حتى يرتد ولبثت ثلثة ايام كذلك وكذا التي في لقمان والاحقاف والذين آمنوا
وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين في جملتهم والكمال في الصلاح منتهى
درجات المؤمنين ومتمنى انبياء الله المرسلين ومن الناس من يقول آمنا
بالله فاذا اوذي في الله بان عذبهم الكفرة على الايمان جعل فتنة الناس ما يصيبهم
من اذيتهم في الصرف عن الايمان كعذاب الله في الصرف عن الكفر ولئن جاء
نصر من ربك فتح وغنيمة ليقولن انا كنا معكم في الدين فاشركونا فيه والمراد
المنافقون او قوم ضعف ايمانهم فارتدوا من اذى المشركين ويؤيد الاول اوليس الله
باعلم بما في صدور العالمين من الاخلاص والنفاق وليعلمن الله الذين آمنوا
بقلوبهم وليعلمن المنافقين فيجازي الفريقين وقال الذين كفروا للذين
آمنوا اتبعوا سبيلنا الذي نسلكه في ديننا ولنحمل خطاياكم ان كان
ذلك خطيئة او ان كان بعث ومؤاخذة وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين
على امرهم بالاتباع مبالغة في تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم

ان كانت ثم التجيئ الهم عليه وبهذا الاعتبار رد عليهم وكذبهم بقوله وما هم
بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون من الاولى للتبيين والثانية مزيدة و
التقدير وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم وليحملن اثقالهم اثقال ما اقترفته انفسهم
واثقالا مع اثقالهم واثقالا اخر معها لما تسببوا له بالاضلال والحمل على المعاصي
من غير ان ينقص من اثقال من يتبعهم شيء وليسئلن يوم القيمة سؤال تقريع وتبكيت
عما كانوا يفترون من الاباطيل التي اضلوا بها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث
فيهم الف سنة الا خمسين عاما بعد المبعث اذ روي انه بعث على راس اربعين ودعا
قومه تسعمائة وخمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين ولعل اختيار هذه العبارة
للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر الالف
من تخييل طول المدة الى السامع فان المقصود من القصة تسلية رسول الله وتثبيته
على ما يكابده من الكفرة واختلاف المميزين لما في التكرير من البشاعة فاخذهم الطوفان
طوفان الماء وهو لما طاف بكثرة من سيل او ظلام او نحوهما وهم ظالمون بالكفر
فانجيناه اي نوحا واصحاب السفينة ومن ركب معه من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين
وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة نصفهم ذكور ونصفهم اناث وجعلناها اي السفينة
او الحادثة اية للعالمين يتعظون ويستدلون بها وابراهيم عطف على نوحا او
نصب باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا
الله ظرف لارسلنا اي ارسلناه حين كمل عقله وتم نظره بحيث عرف الحق وامر
الناس به او بدل منه بدل الاشتمال ان قدر باذكر واتقوه ذلكم خير لكم مما انتم عليه
ان كنتم تعلمون الخير والشر وتميزون ما هو خير مما هو شر او كنتم تنظرون في الامور بنظر
العلم دون نظر الجهل انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا وتكذبون
كذبا في تسميتها الهة وادعاء شفاعتها عند الله او تعملونها وتنحتونها للافك وهو
استدلال على شرارة ما هم عليه من حيث انه زور وباطل وقرئ تخلقون من خلق
للتكثير وتخلقون من تخلق للتكلف وافكا على انه مصدر كالكذب واللعب او نعت بمعنى خلقا
ذا افك ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا دليل ثان على شرارة
ذلك من حيث انه لا يجدي بطائل ورزقا يحتمل المصدر بمعنى لا يستطيعون ان يرزقوكم
وان يراد المرزوق وتنكيره للتعميم فابتغوا عند الله الرزق كله فانه المالك له
واعبدوه واشكروا له متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين لما حفكم من النعم
بشكره او مستعدين للقائه بهما اليه ترجعون وقرئ بفتح التاء وان تكذبوا
وان تكذبوني فقد كذب امم من قبلكم من قبلي من الرسل فلم يضرهم تكذيبهم وانما ضر
انفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبهم وما على الرسول الا البلاغ
المبين الذي زال معه الشك وما عليه ان يصدق ولا يكذب فالاية وما بعدها من جملة

من جملة قصة ابراهيم الى قوله فما كان جواب قومه ويحتمل ان تكون اعتراضا بذكر شان
النبي وقريش وهدم مذهبهم والوعيد على سوء صنيعهم توسط بين طرفي قصته من حيث
ان مساقها لتسلية الرسول والتنفيس عنه بان اباه خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به
من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال ابراهيم في قومه اولم يروا كيف يبدئ
الله الخلق من مادة ومن غيرها وقرا حمزة والكسائي وابو بكر بالتاء على تقدير القول
وقرئ يبدأ ثم يعيده اخبار بالاعادة بعد الموت معطوف على اولم يروا لا على
يبدئ فان الرؤية غير واقعة عليه ويجوز ان يؤول الاعادة بان ينشئ في كل سنة
مثل ما كان في السنة السابقة من النبات والثمار ونحوهما ويعطف على يبدئ
ان ذلك الاشارة الى الاعادة او الى ما ذكر من الامرين على الله يسير اذ لا يفتقر
في فعله الى شيء قل سيروا في الارض حكاية كلام الله لابراهيم او محمد عليهما السلام
فانظروا كيف بدا الخلق على اختلاف الاجناس والاحوال ثم الله ينشئ النشاة
الاخرة بعد النشاة الاولى التي هي الابداء فانه والاعادة نشاتان من حيث ان كلا
اختراع واخراج من العدم والافصاح باسم الله مع ايقاعه مبتدا بعد اضماره في بدا
والقياس الاقتصار عليه للدلالة على ان المقصود بيان الاعادة وان من عرف
بالقدرة على الابداء ينبغي ان يحكم له بالقدرة على الاعادة لانها اهون والكلام في
العطف ما مر وقرا ابن كثير وابو عمرو والنشاءة كالرافة ان الله على كل شيء قدير
لان قدرته لذاته ونسبة ذاته الى الممكنات على سواء فيقدر على النشاة الاخرى
كما قدر على النشاة الاولى يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء رحمته
واليه تقلبون تردون وما انتم بمعجزين ربكم عن ادراككم في الارض
ولا في السماء ان فررتم من قضائه بالتواري في الارض او الهبوط في مهاويها والتحصن
في السماء او القلاع الذاهبة فيها وقيل ولا من في السماء كقول حسان امن يهجو
رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير
يحرسكم من بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء او يدفعه عنكم والذين كفروا
بايات الله بدلائل وحدانيته او بكتبه ولقائه بالبعث اولئك يئسوا من رحمتي
اي ييأسون منها يوم القيمة فعبر عنه بالماضي للتحقيق والمبالغة او ايسوا في الدنيا
لانكار البعث والجزاء واولئك لهم عذاب اليم بكفرهم فما كان جواب قومه
قوم ابراهيم له وقرئ بالرفع على انه الاسم والخبر الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه
وكان ذلك قول بعضهم لكن لما قيل فيهم ورضي به الباقون اسند الى كلهم فانجاه
الله من النار اي فقذفوه في النار فانجاه الله منها بان جعلها عليه بردا وسلاما
ان في ذلك في انجائه منها لايات هي حفظه من اذى النار واخمادها مع عظمها
في زمان يسير وانشاء روض مكانها لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بالفحص

عنها والتأمل فيها وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة
الدنيا لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وثاني مفعولي اتخذتم محذوف
ويجوز ان يكون مودة المفعول الثاني بتقدير مضاف او بتاويلها بالمودة اي اتخذتم
اوثانا سبب المودة بينكم وقرأها نافع وابن عامر وابو بكر منونة ناصبة بينكم
والوجه ما سبق وابن كثير وابو عمرو والكسائي ورويس مرفوعة مضافة على انها
خبر مبتدا محذوف اي هي مودة او سبب مودة بينكم والجملة صفة اوثانا او
خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة والعائد محذوف وهو المفعول الاول
وقرئت مرفوعة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم وقرئ انما مودة بينكم
ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا اي يقوم التناكر والتلاعن
بينكم او بينكم وبين الاوثان على تغليب المخاطبين كقوله ويكونون عليهم ضدا وما
ويكم النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها فامن له لوط هو ابن اخته واول من
آمن به وقيل انه آمن به حين راى النار لم تحرقه وقال اني مهاجر من قومي الى ربي
الى حيث امرني ربي انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يامرني الا
بما فيه صلاحي روي انه هاجر من كوثى سواد الكوفة مع لوط وامراته سارة ابنة
عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم ووهبنا له اسحاق
ويعقوب ولدا ونافلة حين آيس عن الولادة من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر اسمعيل
وجعلنا في ذريته النبوة فكثر منهم الانبياء والكتاب يريد به الجنس ليتناول الكتب
الاربعة واتيناه اجره على هجرته الينا في الدنيا باعطاء الولد في غير اوانه والذرية
الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلوة عليه الى اخر الدهر
وانه في الاخرة لمن الصالحين لفي عداد الكاملين في الصلاح ولوطا عطف على ابرهيم
او على ما عطف عليه اذ قال لقومه انكم لتاتون الفاحشة الفعلة البالغة في القبح
وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على الاستفهام
واجمعوا على الاستفهام في الثاني ما سبقكم بها من احد من العالمين استيناف
مقرر لفاحشتها من حيث انها مما اشمازت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى
اقدموا عليها لخبث طينتهم ائنكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل وتتعرضون
للسابلة بالقتل واخذ المال او بالفاحشة حتى انقطعت الطرق او تقطعون سبيل النسل
بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وتاتون في ناديكم في مجالسكم الغاصة
ولا يقال النادي الا لما فيه اهله المنكر كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها من القبائح عدم
مبالاة بها وقيل الخذف والرمي بالبنادق فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا
بعذاب الله ان كنت من الصادقين في استقباح ذلك او في دعوى النبوة المفهومة
من التوبيخ قال رب انصرني بانزال العذاب على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة

الفاحشة وسنها فيمن بعدهم وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب واشعار
بانهم احقاء بان يعجل لهم العذاب ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى بالبشارة
بالولد والنافلة قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية قرية سدوم والاضافة لفظية
لان المعنى الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين تعليل لاهلاكهم باصرارهم وتماديهم في
ظلمهم الذي هو الكفر وانواع المعاصي قال ان فيها لوطا اعتراض عليهم بان فيها من لم يظلم
او معارضة للموجب بالمانع وهو كون النبي بين اظهرهم قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه
واهله تسليم لقوله مع ادعاء مزيد العلم به وانهم ما كانوا غافلين عنه وجواب عنه بتخصيص
الاهل بمن عداه واهله او تاقيت الاهلاك باخراجهم عنها وفيه تاخير البيان عن الخطاب
الا امراته كانت من الغابرين من الباقين في العذاب ولما ان جاءت رسلنا
لوطا سيء بهم جاءته المساءة والغم بسببهم مخافة ان يقصدهم قومه بسوء وان صلة
لتاكيد الفعلين واتصالهما وضاق بهم ذرعا وضاق بشانهم وتدبير امرهم ذرعه
اي طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا وذلك
لان طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع وقالوا لما راوا فيه اثر الضجرة لا تخف
ولا تحزن على تمكنهم منا انا منجوك واهلك الا امراتك كانت من الغابرين
وقرا حمزة وابن كثير والكسائي ويعقوب لننجينه ومنجوك بالتخفيف ووافقهم ابو بكر
في الثاني وموضع الكاف على المختار الجر ونصب اهلك باضمار فعل او بالعطف
على محلها باعتبار الاصل انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء عذابا منها
سمي بذلك لانه يقلق المعذب من قولهم ارتجز وارتجس اي اضطرب وقرا ابن
عامر منزلون بالتشديد بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم ولقد تركنا منها اية بينة
من حكايتها الشائعة او اثار الديار الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية
بعد وقيل بقية انهارها المسودة لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الاستبصار و
الاعتبار وهو متعلق بتركنا او اية والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله
وارجوا اليوم الاخر وافعلوا ما ترجون به ثوابه فاقيم المسبب مقام السبب وقيل
انه من الرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة الزلزلة
الشديدة وقيل صيحة جبرائيل لان القلوب ترجف لها فاصبحوا في دارهم في بلدهم
او دورهم ولم يجمع لامن اللبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمود
منصوبان باضمار اذكر او فعل دل عليه ما قبله مثل اهلكنا وقرا حمزة وحفص ويعقوب
وثمود غير مصروف على تاويل القبيلة وقد تبين لكم من مساكنهم اي تبين لكم بعض مساكنهم
او اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وزين لهم الشيطان اعمالهم
من الكفر والمعاصي فصدهم عن السبيل السوي الذي بين الرسل لهم وكانوا مستبصرين
متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا او متبينين ان العذاب لاحق بهم

باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون وفرعون وهامان معطوفات على
عادا وتقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الارض
وما كانوا سابقين فائتين بل ادركهم امر الله من سبق طالبه اذا فاته فكلا من المذكورين
اخذنا بذنبه عاقبنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ريحا عاصفا فيها حصباء او
ملكا رماهم بها كقوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض
كقارون ومنهم من اغرقنا كقوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم ليعاملهم
معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم اذ ليس ذلك من عادته ولكن كانوا انفسهم يظلمون
بالتعريض للعذاب مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا
كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فيما نسجته فى الوهن والخور بل ذلك اوهن فان لهذا
حقيقة وانتفاعا ما او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل بنى بيتا
من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمونث والتاء فيه كتاء
طاغوت ويجمع على عناكيب وعناكب وعكاب وعكبة واعكب وان اوهن البيوت
لبيت العنكبوت لا بيت اوهن واقل وقاية للحر والبرد منه لو كانوا يعلمون
يرجعون الى علم لعلموا ان هذا مثلهم او ان دينهم اوهن من ذلك ويجوز ان يكون
المراد ببيت العنكبوت دينهم سماه به تحقيقا للتمثيل فيكون المعنى وان اوهن ما يعتمد
به فى الدين دينهم ان الله يعلم ما تدعون من دونه من شىء على اضمار القول اى قل
للكفرة ان الله يعلم وقرا البصريان ويعقوب بالياء حملا على ما قبله وما استفهامية
منصوبة بتدعون ويعلم معلقة عنها ومن للتبيين او نافية ومن مزيدة وشىء مفعول
تدعون او مصدرية وشىء مصدر او موصولة مفعول ليعلم ومفعول تدعون
عائده المحذوف والكلام على الاولين تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى الاخرين وعيد لهم
وهو العزيز الحكيم تعليل على المعنيين فان من فرط الغباوة اشراك ما لا يعد شيئا
بمن هذا شانه وان الجماد بالاضافة الى القادر القاهر على كل شىء البالغ فى العلم
واتقان الفعل الغاية كالمعدوم وان من هذا صفته قادر على مجازاتهم وتلك الامثال
يعنى هذا المثل ونظائره نضربها للناس تقريبا لما بعد عن افهامهم وما يعقلها
ولا يعقل حسنها وفائدتها الا العالمون الذين يتدبرون الاشياء على ما ينبغى
وعنه عليه السلام تلا هذه الاية فقال العالم من عقل عن الله وعمل بطاعته واجتنب
سخطه خلق الله السموات والارض بالحق محقا غير قاصد به باطلا فان المقصود
بالذات من خلقهما افاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما اشار اليه بقوله
ان فى ذلك لاية للمومنين لانهم المنتفعون بها اتل ما اوحى اليك من الكتاب
تقربا الى الله بقراءته وتحفظا لالفاظه واستكشافا لمعانيه فان القارى
المتامل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له اول ما قرع سمعه واقم الصلوة

واقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر بان تكون سببا للانتهاء عن المعاصى
حال الاشتغال بها وغيرها من حيث انها تذكر الله وتورث النفس خشية منه
روى ان فتى من الانصار كان يصلى مع رسول الله الصلوات ولا يدع شيئا
من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان صلوته ستنهاه فلم يلبث ان تاب
ولذكر الله اكبر وللصلوة اكبر من سائر الطاعات وانما عبر عنها به للتعليل بان اشتمالها
على ذكره هى العمدة فى كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات او ولذكر الله
اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون منه ومن سائر
الطاعات فيجازيكم به احسن المجازاة ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى
احسن الا بالخصلة التى هى احسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم
والمشاغبة بالنصح وقيل هو منسوخ باية السيف اذ لا مجادلة اشد منه وجوابه
انه اخر الدواء كما قيل اخر الدواء الكى وقيل المراد به ذوو العهد منهم الا الذين
ظلموا منهم بالافراط فى الاعتداء والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله
مغلولة او بنبذ العهد ومنع الجزية وقولوا امنا بالذى انزل الينا وانزل
اليكم هو من المجادلة بالتى هى احسن وعن النبى عليه السلام لا تصدقوا اهل
الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وبكتبه ورسله فان قالوا باطلا
لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون
مطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب وحيا مصدقا لسائر
الكتب الالهية وهو تحقيق لقوله فالذين اتيناهم الكتاب يومنون به هم
عبد الله بن سلام واضرابه او من تقدم عهد الرسول من اهل الكتاب ومن هولاء
ومن العرب او اهل مكة او ممن فى عهد الرسول من الكتابيين من يومن به بالقران
وما يجحد باياتنا مع ظهورها وقيام الحجة عليها الا الكافرون الا المتوغلون فى
الكفر فان جزمهم به يمنعهم عن التامل فيما يفيد لهم صدقها لكونها معجزة بالاضافة
الى الرسول كما اشار اليه بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك فان ظهور هذا الكتاب الجامع لانواع العلوم الشريفة على امى لم يعرف
بالقراءة والتعلم خارق للعادة وذكر اليمين زيادة تصوير للمنفى ونفى للتجوز فى الاسناد
اذا لارتاب المبطلون اى لو كنت ممن يخط ويقرا لقالوا لعله تعلمه او التقطه
من كتب الاقدمين فانما سماهم مبطلين لكفرهم او لارتيابهم بانتفاء وجه واحد
من وجوه الاعجاز المتكاثرة وقيل لارتاب اهل الكتاب لوجدانهم نعتك على خلاف
ما فى كتبهم فيكون ابطالهم باعتبار الواقع دون المقدر بل هو بل القران ايات بينات
فى صدور الذين اوتوا العلم يحفظونه لا يقدر احد تحريفه وما يجحد باياتنا الا الظالمون

الا المتوغلون في الظلم بالمكابرة بعد وضوح دلايل اعجازها حتى لم يعتدوا بها و
وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه مثل ناقة صالح وعصى موسى ومائدة عيسى وقرا
نافع وابن عامر والبصريان وحفص ايات قل انما الايات عند الله ينزلها كما يشاء
لست املكها فاتيكم بما تقترحون وانما انا نذير مبين ليس من شاني الا الانذار وابانته
بما اعطيت من الايات اولم يكفهم اية مغنية عما اقترحوه انا انزلنا عليك الكتاب
يتلى عليهم تدوم تلاوته متحدين به فلا يزال معهم اية ثابتة لا تضمحل بخلاف سائر الايات
او يتلى عليهم يعني اليهود بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك ان في ذلك
في ذلك الكتاب الذي هو اية مستمرة وحجة مبينة لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى لقوم
يؤمنون وتذكرة لمن همه الايمان دون التعنت وقيل ان ناسا من المسلمين
اتوا رسول الله بكتف كتب فيها بعض ما يقول اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم ان
يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا
بصدقي وقد صدقني بالمعجزات او بتبليغ ما ارسلت به اليكم ونصحي ومقابلتكم
اياي بالتكذيب والتعنت يعلم ما في السموات والارض فلا يخفى عليه حالي وحالكم
والذين امنوا بالباطل وهو ما يعبد من دون الله وكفروا بالله منكم اولئك هم
الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان ويستعجلونك بالعذاب بقولهم امطر
علينا حجارة من السماء ولولا اجل مسمى لكل عذاب او قوم لجاءهم العذاب عاجلا
وليأتينهم بغتة فجاءة في الدنيا كوقعة بدر او الاخرة عند نزول الموت بهم وهم
لا يشعرون باتيانه يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين ستحيط
بهم يوم ياتيهم العذاب او هي كالمحيطة بهم الان لاحاطة الكفر والمعاصي التي
توجبها بهم واللام للعهد على وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب الاحاطة
او للجنس فيكون استدلالا بحكم الجنس على حكمهم يوم يغشيهم العذاب ظرف لمحيطة
او مقدر مثل كان كيت وكيت من فوقهم ومن تحت ارجلهم من جميع جوانبهم
ويقول الله او بعض ملائكته بامره وقرا ابن كثير وابن عامر والبصريين بالنون
ذوقوا ما كنتم تعملون اي جزاءه يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة
فاياي فاعبدون اي اذا لم يتسهل لكم العبادة في بلدة ولم يتيسر لكم اظهار دينكم
فهاجروا الى حيث يتمشى لكم ذلك وعنه عليه السلام من فر بدينه من ارض الى ارض ولو
كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما السلام والفاء جواب
شرط محذوف اذ المعنى ان ارضي واسعة فان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها
في غيرها كل نفس ذائقة الموت تناله لا محالة ثم الينا ترجعون للجزاء ومن هذا عاقبته
ينبغي ان يجتهد في الاستعداد له وقرا ابو بكر بالياء والذين امنوا وعملوا الصالحات
لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا علالي وقرا حمزة والكسائي لنثوينهم اى لنقيمنهم

لنقيمنهم من الثواء فيكون انتصاب غرفا لاجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض او
تشبيه الظرف الموقت بالمبهم تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين
وقرى فنعم والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ما قبله الذين صبروا على اذية
المشركين والهجرة للدين الى غير ذلك من المحن والمشاق وعلى ربهم يتوكلون ولا يتوكلون
الا على الله وكاين من دابة لا تحمل رزقها لا تطيق حمله لضعفها او لا تدخره وانما
تصبح ولا معيشة عندها الله يرزقها واياكم ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم
مع قوتكم واجتهادكم سواء في انه لا يرزقها واياكم الا الله لان رزق الكل باسباب
هو المسبب لها وحده فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم بلدة
ليس فيها لنا معيشة فنزلت وهو السميع لقولكم هذا العليم بضميركم ولئن سالتهم
من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر المسؤول عنهم اهل مكة ليقولن الله لما
تقرر في العقول وجوب انتهاء الممكنات الى واحد واجب الوجود فانى يؤفكون
يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
ويقدر له يحتمل ان يكون الموسع له والمضيق عليه واحدا على ان القبض والبسط على
التعاقب وان لا يكون على وضع الضمير موضع من يشاء وابهامه لان من يشاء مبهم
ان الله بكل شيء عليم يعلم مصالحهم ومفاسدهم ولئن سالتهم من نزل من السماء
ماء فاحيى به الارض من بعد موتها ليقولن الله معترفين بانه الموجد للممكنات
باسرها اصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته التي لا يقدر على شيء
من ذلك قل الحمد لله على ما عصمك من مثل هذه الضلالة او على تصديقك
واظهار حجتك بل اكثرهم لا يعقلون فيتناقضون حيث يقرون بانه المبدا للكل
ما عداه ثم انهم يشركون به الصنم وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالتهم
وما هذه الحيوة الدنيا اشارة تحقير وكيف لا وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة
الا لهو ولعب الا كما يلهى ويلعب به الصبيان يجتمعون ويبتهجون به ساعة
ثم يتفرقون متعبين وان الدار الاخرة لهي الحيوان لهي دار الحيوة الحقيقية
لامتناع طريان الموت عليها او جعلت في ذاتها حيوة للمبالغة والحيوان
مصدر حيي سمي به ذو الحيوة واصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا وهو
ابلغ من الحيوة لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحيوة ولذلك
اختير ههنا لو كانوا يعلمون لم يؤثروا عليها الدنيا التي اصلها عدم الحيوة
والحيوة فيها عارضة سريعة الزوال فاذا ركبوا في الفلك متصل بما دل عليه شرح
حالهم اي هم على ما وصفوا به من الشرك فاذا ركبوا البحر دعوا الله مخلصين له الدين
كائنين في صورة من خلص دينه من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون
سواه لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد الا هو فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون فاجؤا

المعاودة الى الشرك ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه لام كي اي يشركون ليكونوا
كافرين بشركهم نعمة النجاة وليتمتعوا باجتماعهم على عبادة الاصنام وتوادّهم
عليها او لام الامر على التهديد ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون عن
نافع وليتمتعوا بالسكون فسوف يعلمون عاقبة ذلك حين يعاقبون اولم يروا
يعني اهل مكة انا جعلنا حرما آمنا اي جعلنا بلدهم مصونا عن النهب والتعدي آمنا
اهله عن القتل والسبي ويتخطف الناس من حولهم يختلسون قتلا وسبيا اذ كانت
العرب حوله في تغاور وتناهب افبالباطل ابعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها مما
لا يقدر عليها الا الله بالصنم او الشيطان يؤمنون وبنعمة الله يكفرون حيث اشركوا
به غيره وتقديم الصلتين للاهتمام او الاختصاص على طريق المبالغة ومن اظلم ممن
افترى على الله كذبا بان زعم ان له شريكا او كذب بالحق لما جاءه يعني الرسول او
الكتاب وفي لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا ولم يتأملوا قط حين جاءهم بل سارعوا
الى التكذيب اول ما سمعوه اليس في جهنم مثوى للكافرين تقرير لثوائهم كقوله الستم
خير من ركب المطايا اي الا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على
وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب او لاجترائهم اي الم يعلموا ان في جهنم مثوى
للكافرين حتى اجترؤوا هذه الجراءة والذين جاهدوا فينا في حقنا فاطلاق المجاهدة
لتعم جهاد الاعادي الظاهرة والباطنة بانواعه لنهدينهم سبلنا سبل السير
الينا والوصول الى جنابنا او لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله
والذين اهتدوا زادهم هدى وفي الحديث من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم
وان الله لمع المحسنين بالنصر والاعانة قال عليه السلام من قرأ سورة العنكبوت
كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

سورة الروم
مكية الا قوله فسبحان الله وهي ستون او تسع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم في ادنى الارض ارض العرب منهم
لانها الارض المعهودة عندهم او في ادنى ارضهم من العرب واللام بدل من الاضافة
وهم من بعد غلبهم من اضافة المصدر الى المفعول وقرئ غلبهم وهو لغة كالجلب
والجلب سيغلبون في بضع سنين روي ان فارس غزوا الروم فوافوهم
باذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة وهو ادنى ارض الروم من الفرس فغلبوا عليهم
وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب
ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن عليكم فنزلت
فقال لهم ابو بكر لا يقرر الله اعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد سنين فقال
له ابي بن خلف كذبت اجعل اجلا اناحبك عليه فناحبه على عشر قلايص من كل واحد
منهما وجعلا الاجل ثلث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله فقال البضع ما بين الثلث

الى التسع فزايده في الخطر ومادّه في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين
ومات ابي من جرح رسول الله بعد قفوله من احد وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية
فاخذ ابو بكر الخطر من ورثة ابي وجاء به الى رسول الله فقال تصدق به واستدل به
الحنفية على جواز العقود الفاسدة في دار الحرب واجيب بانه كان قبل تحريم القمار
والآية من دلائل النبوة لانها اخبار عن الغيب وقرئ غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم
ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام والمسلمون سيغلبونهم وفي السنة التاسعة
من نزوله غزاهم المسلمون وفتحوا بعض بلادهم وعلى هذا يكون اضافة الغلب الى الفاعل
لله الامر من قبل ومن بعد من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد
كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين اي له الامر حين غلبوا وحين يغلبون
ليس شيء منها الا بقضائه وقرئ من قبل ومن بعد من غير تقدير مضاف اليه كانه قيل قبلا
وبعدا اي اولا وآخرا ويومئذ ويوم يغلب الروم يفرح المؤمنون بنصر الله من له
كتاب على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاؤل وظهور صدقهم فيما اخبروا
به المشركين وغلبتهم في رهانهم وازدياد يقينهم وثباتهم في دينهم وقيل بنصر الله
المؤمنين باظهار صدقهم او بان ولّى بعض اعدائهم بعضا حتى تفانوا ينصر من يشاء فينصر
هؤلاء تارة وهؤلاء اخرى وهو العزيز الرحيم ينتقم من عباده بالنصر عليهم
تارة ويتفضل عليهم بنصرهم اخرى وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله
في معنى الوعد لا يخلف الله وعده لامتناع الكذب عليه ولكن اكثر الناس لا يعلمون
وعده ولا صحته لجهلهم وعدم تفكرهم يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا
ما يشاهدونه منها والتمتع بزخارفها وهم عن الآخرة التي هي غايتها والمقصود
منها هم غافلون لا يخطر ببالهم وهم الثانية تكرير للاولى او مبتدأ وغافلون
خبره والجملة خبر الاولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة
المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة المبدلة من قوله لا يعلمون تقريرا لجهالتهم و
تشبيها بالحيوانات المقصور ادراكها من الدنيا ببعض زخارفها فان من
العلم بظاهرها معرفة حقائقها وصفاتها وخصائصها وافعالها واسبابها
وكيفية صدورها منها وكيفية التصرف فيها ولذلك قال ظاهرا واما باطنها فانها
مجاز الى الآخرة ووصلة الى نيلها وانموذج لاحوالها واشعارا بانه لا فرق
بين عدم العلم والعلم الذي يختص بظاهر الدنيا اولم يتفكروا في انفسهم
اولم يحدثوا التفكر فيها او اولم يتفكروا في امر انفسهم فانها اقرب اليهم
من غيرها ومرآة يجتلي فيها للمستبصر ما يجتلي له في الممكنات باسرها ليتحقق له
قدرة مبدعها على اعادتها من قدرته على ابدائها ما خلق الله السموات والارض
وما بينهما الا بالحق متعلق بقول او علم محذوف يدل عليه الكلام واجل مسمى

ينتهي عنده ولا يبقى بعده وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم بلقاء جزائه عند انقضاء
قيام الاجل المسمى او قيام الساعة لكافرون جاحدون يحسبون ان الدنيا ابدية
وان الاخرة لا تكون اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
تقرير لسيرهم في اقطار الارض ونظرهم الى اثار المدمرين من قبلهم كانوا اشد منهم
قوة كعاد وثمود واثاروا الارض وقلبوا وجهها لاستنباط المياه واستخراج المعادن
وزرع البذور وغيرها وعمروها وعمروا الارض اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة
اياها فانهم اهل واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيرها وفيه تهكم بهم من حيث انهم
مغترون بالدنيا مفتخرون بها وهم اضعف حالا فيها اذ مدار امرها على التبسط في
البلاد والتسلط على العباد والتصرف في اقطار الارض بانواع العمارة وهم ضعفاء
ملجؤون الى واد لا نفع بها وجاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الايات الواضحات
فما كان الله ليظلمهم ليفعل بهم ما يفعل الظلمة فيدمرهم من غير جرم ولا تذكير ولكن
كانوا انفسهم يظلمون حيث عملوا ما ادى الى تدميرهم ثم كان عاقبة الذين اساؤوا
السوأى ثم كان عاقبتهم العقوبة السوأى او الخصلة فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة
على ما اقتضى ان يكون تلك عاقبتهم وانهم جاؤوا بمثل افعالهم والسوأى تانيث الاسوء
كالحسنى او المصدر كالبشرى نعت بها ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزؤن
علة او بدل او عطف بيان للسوأى او خبر كان وعاقبة والسوأى مصدر اساؤوا او مفعوله
بمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة ان طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا الايات
واستهزؤا بها ويجوز ان يكون السوأى صفة الفعل وان كذبوا تابعها والخبر محذوف للابهام
والتهويل وان يكون ان مفسرة لان الاساءة اذا كانت مفسرة بالتكذيب
والاستهزاء كانت متضمنة معنى القول وقرا ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على
ان الاسم السوأى وان كذبوا على الوجوه المذكورة الله يبدؤا الخلق ينشئهم ثم يعيده
يبعثهم ثم اليه ترجعون للجزاء والعدول الى الخطاب للمبالغة في المقصود وقرا
ابو عمرو وابو بكر وروح بالياء على الاصل ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون
يسكتون متحيرين ايسين يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس من ان يحتج ومنه
الناقة المبلاس لا ترغو وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته ولم يكن لهم من
شركائهم ممن اشركوهم بالله شفعاء يجيرونهم من عذاب الله ومجيئه بلفظ الماضي لتحققه
وكانوا بشركائهم كافرين يكفرون بالهتهم حين يئسوا منهم وقيل كانوا في الدنيا كافرين
بسببهم وكتب في المصحف شفعؤا وعلمؤا بالواو والسوأى بالالف اثباتا للهمزة على صورة
الحرف الذي منه حركتها ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون اي المؤمنون والكافرون
لقوله فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة ارض ذات ازهار وانهار
يحبرون يسرون سرورا تهللت له وجوههم واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقاء

ولقاء الاخرة فاولئك في العذاب محضرون مدخلون لا يغيبون عنه فسبحان الله
حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون
اخبار في معنى الامر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه في هذه الاوقات التي تظهر فيها قدرته
وتتجدد فيها نعمته او دلالة على ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه واستحقاقه الحمد
ممن له تمييز من اهل السموات والارض وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لان اثار القدرة
والعظمة فيهما اظهر وتخصيص الحمد بالعشي الذي هو اخر النهار من عشى العين اذا نقص نورها
والظهيرة التي هي وسطه لان تجدد النعم فيهما اكثر ويجوز ان يكون عشيا معطوفا على حين
تمسون وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراضا وعن ابن عباس ان الاية جامعة
للصلوات الخمس تمسون صلاتا المغرب والعشاء وتصبحون صلاة الفجر وعشيا صلاة
العصر وتظهرون صلاة الظهر ولذلك زعم الحسن انها مدنية لانه كان يقول كان الواجب
بمكة ركعتين في اي وقت اتفقت وانما فرضت الخمس بالمدينة والاكثر على انها فرضت
بمكة وعنه عليه السلام من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون
الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في ليلته ومن قال حين يمسي ادرك ما فاته
في يومه وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون اي تمسون فيه وتصبحون فيه يخرج الحي من
الميت كالانسان من النطفة والطائر من البيضة ويخرج الميت من الحي النطفة والبيضة
او يعقب الحيوة الموت وبالعكس ويحيي الارض بالنبات بعد موتها يبسها وكذلك
ومثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم فانه ايضا تعقيب الحيوة الموت
وقرا حمزة والكسائي بفتح التاء ومن اياته ان خلقكم من تراب اي في اصل الانشاء
لانه خلق اصلهم منه ثم اذا انتم بشر تنتشرون ثم فاجاتم وقت كونكم بشرا تنتشرون
في الارض ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لان حوا خلقت من ضلع ادم
وسائر النساء خلقن من نطف الرجال او لانهن من جنسهم لا من جنس اخر لتسكنوا
اليها لتميلوا اليها وتالفوا بها فان الجنسية علة الضم والاختلاف سبب التنافر وجعل
بينكم اي بين الرجال والنساء او بين افراد الجنس مودة ورحمة بواسطة الزواج
حال الشبق وغيرها بخلاف سائر الحيوانات نظاما لامر المعاش او بان تعيش الانسان
متوقف على التعارف والتعاون المحوج الى التواد والتراحم وقيل المودة كناية
عن الجماع والرحمة عن الولد لقوله ورحمة منا ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون
فيعلمون ما في ذلك من الحكم ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم
لغاتكم بان علم كل صنف لغته او الهمه وضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله
فانك لا تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية والوانكم بياض الجلد وسواده او
تخطيطات الاعضاء وهيآتها والوانها وحلاها بحيث وقع التمايز والتعارف حتى
ان التوامين مع توافق موادهما واسبابهما والامور الملاقية لهما في التخليق يختلفان

فى شئ من ذلك لا محالة ان فى ذلك لايات للعالمين لا تكاد تخفى على عاقل من ملك
او انس او جن وقرا حفص بكسر اللام ويؤيده قوله وما يعقلها الا العالمون
ومن اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله منامكم فى الزمانين لاستراحة
القوى النفسانية وقوة القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما او منامكم بالليل وابتغاؤكم
بالنهار فلف وضم بين الزمانين والفعلين بعاطفين اشعارا بان كلا من الزمانين
وان اختص باحدهما صالح للاخر عند الحاجة ويؤيده سائر الايات الواردة فيه
ان فى ذلك لايات لقوم يسمعون سماع تفهم واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة
ومن اياته يريكم البرق مقدر بان كقوله الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى وان اشهد
اللذات هل انت مخلدى والفعل منزل فيه منزلة المصدر كقولهم تسمع بالمعيدى
خير من ان تراه او صفة لمحذوف تقديره اية يريكم بها البرق كقوله فما الدهر
الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغى العيش اكدح خوفا من الصاعقة او
للمسافر وطمعا فى الغيث او للمقيم ونصبهما على العلة لفعل يلزم المذكور فان
اراءتهم تستلزم رؤيتهم او له على تقدير المضاف نحو ارادة خوف وطمع
او تاويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع فعلته رغما للشيطان او على
الحال مثل كلمته شفاها وينزل من السماء ماء وقرئ وقرئ بالتشديد فيحيى به
الارض بالنبات بعد موتها يبسها ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون
يستعملون عقولهم فى استنباط اسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة
الصانع وحكمته ومن اياته ان تقوم السماء والارض بامره قيامهما باقامته
لهما وارادته لقيامهما فى حيزيهما المعينين من غير مقيم محسوس والتعبير بالامر للمبالغة
فى كمال القدرة والغنى عن الالة ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون
عطف على ان تقوم على تاويل مفرد كانه قيل ومن اياته قيام السموات والارض
بامره ثم خروجكم من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة فيقول ايها الموتى
اخرجوا والمراد تشبيه سرعة ترتب حصول ذلك على تعلق ارادته بلا توقف
واحتياج الى تجشم عمل بسرعة ترتب اجابة الداعى المطاع على دعائه وثم اما للتراخى
زمانه او لعظم ما فيه ومن متعلق بدعا كقوله دعوته من اسفل الوادى فطلع
الى لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبله واذا الثانية للمفاجاة ولذلك
ناب مناب الفاء فى جواب الاولى وله من السموات والارض كل له قانتون
منقادون لفعله فيهم لا يمتنعون عليه وهو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده بعد هلاكهم
وهو اهون عليه والاعادة اسهل عليه من الاصل بالاضافة الى قدركم والقياس
على اصولكم والا فهما عليه سواء ولذلك قيل الهاء للخلق وقيل اهون بمعنى هين
وتذكير هو لاهون او لان الاعادة بمعنى ان يعيد وله المثل الوصف العجيب الشان كالقدرة

كالقدرة العامة والحكمة التامة ومن فسره بقول لا اله الا الله اراد به الوصف
بالوحدانية الاعلى الذى ليس لغيره ما يساويه او يدانيه فى السموات والارض يصف
به ما فيهما دلالة ونطقا وهو العزيز القادر الذى لا يعجز عن ابداء ممكن واعادته
الحكيم الذى يجرى الافعال على مقتضى حكمته ضرب لكم مثلا من انفسكم منتزعا من
احوالها التى هى اقرب الامور اليكم هل لكم من ما ملكت ايمانكم من مماليككم
من شركاء فيما رزقناكم من الاموال وغيرها فانتم فيه سواء فتكونون انتم وهم
فيه شرعا يتصرفون فيه كتصرفكم مع انهم بشر مثلكم وانها معارة لكم ومن الاولى
للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام الجارى مجرى
النفى تخافونهم ان يستبدوا بتصرف فيه كخيفتكم انفسكم كما يخاف الاحرار بعضهم
من بعض كذلك مثل ذلك التفصيل نفصل الايات نبينها فان التمثيل مما يكشف
المعانى ويوضحها لقوم يعقلون يستعملون عقولهم فى تدبر الامثال بل اتبع الذين
ظلموا بالاشراك اهواءهم بغير علم جاهلين لا يكفهم شئ فان العالم اذا اتبع هواه
ربما ردعه علمه فمن يهدى من اضل الله فمن يقدر على هدايته وما لهم من ناصرين
يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم عن افاتها فاقم وجهك للدين حنيفا فقومه غير
ملتفت عنه وهو تمثيل للاقبال والاستقامة عليه والاهتمام فيه فطرة الله
خلقته نصب على الاغراء او المصدر لما دل عليه ما بعدها التى فطر الناس عليها خلقهم عليها
وهى قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه او ملة الاسلام فانهم لو خلوا وما خلقوا
عليه ادى بهم اليها وقيل العهد الماخوذ من ادم وذريته لا تبديل لخلق الله
لا يقدر احد ان يغيره او ما ينبغى ان يغير ذلك اشارة الى الدين المامور باقامة
الوجه له او الفطرة ان فسرت بالملة الدين القيم المستوى الذى لا عوج فيه
ولكن اكثر الناس لا يعلمون استقامته لعدم تدبرهم منيبين اليه راجعين
اليه من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى وقيل منقطعين اليه من الناب وهو حال
عن الضمير فى الناصب المقدر او الفطرة او فى اقم لان الاية خطاب للرسول
والامة لقوله واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين غير انها صدرت
بخطاب الرسول تعظيما له من الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين وتفريقهم
اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوائهم وقرا حمزة والكسائى فارقوا بمعنى
تركوا دينهم الذى امروا به وكانوا شيعا فرقا تشايع كل امامها الذى اضل
دينها كل حزب بما لديهم فرحون مسرورون ظنا بانه الحق ويجوز ان يجعل
فرحون صفة كل على ان الخبر من الذين فرقوا واذا مس الناس ضر شدة دعوا ربهم
منيبين اليه راجعين اليه من دعاء غيره ثم اذا اذاقهم منه رحمة خلاصا من تلك
الشدة اذا فريق منهم بربهم يشركون فاجاء فريق منهم الاشراك بربهم الذى

عما فاهم ليكفروا بما اتيناهم اللام فيه للعاقبة وقيل للامر بمعنى التهديد لقوله
فتمتعوا غير انه التفت فيه مبالغة وقرئ ليتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة تمتعكم
وقرئ بالياء على ان تمتعوا ماض ام انزلنا عليهم سلطانا حجة وقيل ذا سلطان
اى ملكا معه برهان فهو يتكلم تكلم دلالة كقوله كتابنا ينطق عليكم بالحق او نطق
بما كانوا به يشركون باشراكهم وصحته او بالامر الذى بسببه يشركون فى الوهيته واذا
اذقنا الناس رحمة نعمة من صحة وسعة فرحوا بها بطروا بسببها وان تصبهم سيئة
شدة بما قدمت ايديهم بشوم معاصيهم اذا هم يقنطون فاجؤا القنوط من رحمته
وقرا ابو عمرو والكسائى بكسر النون اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا فى السراء والضراء كالمؤمنين ان فى ذلك
لايات لقوم يؤمنون فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة فات ذا القربى
حقه كصلة الرحم واحتج به الحنيفة على وجوب النفقة للمحارم وهو غير مشعر به و
المسكين وابن السبيل ما وظف لهما من الزكوة والخطاب للنبى او لمن بسط له و
لذلك رتب على ما قبله بالفاء ذلك خير للذين يريدون وجه الله ذاته او جهته
اى يقصدون بمعروفهم اياه خالصا او جهة التقرب الى الله لا جهة اخرى واولئك
هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم وما اتيتم من ربوا زيادة محرمة
فى المعاملة او عطية يتوقع بها مزيد مكافاة وقرا ابن كثير بالقصر بمعنى ما جئتم به من
اعطاء ربوا ليربوا فى اموال الناس ليزيد ويزكو فى اموالهم فلا يربوا عند الله
فلا يزكو عنده ولا يبارك فيه وقرا نافع ويعقوب لتربوا اى لتزيدوا او لتصيروا
ذوى ربوا وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله تبتغون به وجهه خالصا فاولئك
هم المضعفون ذووا الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوى والموسر لذى
القوة واليسار او الذين ضعفوا ثوابهم واموالهم ببركة الزكوة وقرئ بفتح العين
وتغييره عن سنن المقابلة عبارة ونظما للمبالغة والالتفات فيه للتعظيم كانه خاطب
به الملائكة وخواص الخلق تعريفا لحالهم او للتعميم كانه قال فمن فعل ذلك فاولئك
هم المضعفون والراجع منه محذوف ان جعلت ما موصولة تقديره المضعفون به
او فمؤتوه اولئك هم المضعفون الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم
هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ اثبت له لوازم الالوهية ونفاها
راسا عما اتخذوه شركاء له من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على ما دل عليه البرهان
والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك تقدسه عن ان يكون له شركاء فقال
سبحانه وتعالى عما يشركون ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط
من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية تفيد ان شيوع الحكم فى جنس الشركاء
والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفى وكل منهما مستقلة بالتاكيد لتعجيز الشركاء

الشركاء وقرا حمزة والكسائى بالتاء ظهر الفساد فى البر والبحر كالجدب والموتان
وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار او الضلالة
والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرئ والبحور بما كسبت ايدى الناس
بشوم معاصيهم او بكسبهم اياه وقيل ظهر الفساد فى البر بقتل قابيل اخاه وفى
البحر بان جلندى كان ياخذ كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذى عملوا
بعض جزائه فان تمامه فى الاخرة واللام للعلة او للعاقبة وعن ابن كثير
ويعقوب لنذيقهم بالنون لعلهم يرجعون عما هم عليه قل سيروا فى الارض
فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل لتشاهدوا مصداق ذلك وتحققوا
صدقه كان اكثرهم مشركين استيناف للدلالة على ان سوء عاقبتهم كان لفشو
الشرك وغلبته فيهم او كان الشرك فى اكثرهم وما دونه من المعاصى فى قليل منهم
فاقم وجهك للدين القيم البليغ الاستقامة من قبل ان ياتى يوم لا مرد له
لا يقدر ان يرده احد وقوله من الله متعلق بياتى ويجوز ان يتعلق بمرد لانه
مصدر على معنى لا يرده الله لتعلق ارادته القديمة بمجيئه يومئذ يصدعون يتصدعون
اى يتفرقون فريق فى الجنة وفريق فى السعير من كفر فعليه كفره اى وباله وهو النار
المؤبدة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون يسوون منزلا فى الجنة وتقديم الظرف
فى الموضعين للدلالة على الاختصاص ليجزى الذين امنوا وعملوا الصالحات
من فضله علة ليمهدون او ليصدعون والاقتصار على جزاء المؤمنين للاشعار
بانه المقصود بالذات والاكتفاء على فحوى قوله انه لا يحب الكافرين فان فيه
اثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين وتاكيد اختصاص الصلاح المفهوم من ترك ضميرهم
الى التصريح بهم تعليل له وقوله من فضله دال على ان الاثابة تفضل محض وتاويله بالعطاء
او الزيادة على الثواب عدول عن الظاهر ومن اياته ان يرسل الرياح الشمال والصبا
والجنوب فانها رياح الرحمة فاما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه السلام اللهم اجعلها
رياحا ولا تجعلها ريحا وقرا ابن كثير وحمزة والكسائى الريح على ارادة الجنس مبشرات
بالمطر وليذيقكم من رحمته يعنى المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر
المسبب عنها او الروح الذى هو مع هبوبها والعطف على علة محذوفة دل عليها
مبشرات او عليها باعتبار المعنى او على يرسل باضمار فعل معلل دل عليه ولتجرى الفلك
بامره ولتبتغوا من فضله يعنى تجارة البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا نعمة الله
فيها ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من
الذين اجرموا بالتدمير وكان حقا علينا نصر المؤمنين اشعار بان الانتقام لهم
واظهار لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم وعنه عليه السلام ما من
امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم ثم

ثم تلا ذلك وقد يوقف على حقا على انه متعلق بالانتقام الله الذي يرسل الرياح
فتثير سحابا فيبسطه متصلا تارة في السماء في سمتها كيف يشاء سائرا وواقفا مطبقا
وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك ويجعله كسفا قطعا تارة اخرى وقرا
ابن عامر بالسكون على انه مخفف او جمع كسفة او مصدر وصف به فترى الودق
المطر يخرج من خلاله في التارتين فاذا اصاب به من يشاء من عباده يعني بلادهم
واراضيهم اذا هم يستبشرون بمجيء الخصب وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم المطر
من قبله تكرير للتاكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام ياسهم وقيل
الضمير للمطر او السحاب او الارسال لمبلسين لآيسين فانظر الى آثار رحمة الله اثر
الغيث من النبات والاشجار وانواع الثمار ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائي
وحفص كيف يحيي الارض بعد موتها وقرئ بالتاء على اسناده الى ضمير الرحمة ان ذلك
يعني الذي قدر على احياء الارض بعد موتها لمحيي الموتى لقادر على احيائهم فانه احداث
لمثل ما كان في مواد ابدانهم من القوى كما ان احياء الارض احداث لمثل ما كان
فيها من القوى النباتية هذا ومن المحتمل ان يكون من الكائنات الراهنة ما يكون من مواد
ما تفتتت وتبددت من جنسها في بعض الاعوام السالفة وهو على كل شيء قديرا
لان نسبة قدرته الى جميع الممكنات على سواء ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا
فراوا الاثر او الزرع فانه مدلول عليه بما تقدم وقيل السحاب لانه اذا كان مصفرا
لم يمطر واللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله لظلوا من بعده يكفرون
جواب سد مسد الجزاء ولذلك فسر بالاستقبال وهذه الآيات ناعية على الكفار بقلة
تثبتهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم وسوء رايهم فان النظر السوي
يقتضي ان يتوكلوا على الله ويلتجئوا اليه بالاستغفار اذا احتبس القطر عنهم و
لم ييأسوا من رحمته وان يبادروا الى الشكر والاستدامة بالطاعة اذا اصابهم
برحمته ولم يفرطوا بالاستبشار وان يصبروا على بلائه اذا ضرب زروعهم بالاصفرار
ولم يكفروا النعمة فانك لا تسمع الموتى وهم مثلهم لما سدوا عن الحق مشاعرهم
ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين قيد الحكم به ليكون اشد استحالة فان
الاصم المقبل وان لم يسمع الكلام يفطن منه بواسطة الحركات شيئا وقرا ابن كثير
بالياء مفتوحة ورفع الصم وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم سماهم عميا لفقدهم
المقصود الحقيقي من الابصار او لعمى قلوبهم وقرا حمزة وحده تهدي العمي ان تسمع الا
من يؤمن بآياتنا فان ايمانهم يدعوهم الى تلقي اللفظ وتدبر المعنى ويجوز ان يراد
بالمؤمن المشارف للايمان فهم مسلمون لما تامرهم به الله الذي خلقكم من ضعف
اي ابتداكم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم كقوله خلق الانسان ضعيفا
او خلقكم من اصل ضعيف هو النطفة ثم جعل من بعد ضعف قوة وذلك اذا بلغتم

بلغتم الحلم او تعلق بابدانكم الروح ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة اذا اخذ
منكم السن وفتح عاصم وحمزة الضاد في جميعها والضم اقوى لقول ابن عمر قرأتها
على رسول الله من ضعف فاقرأني من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير
مع التكرير لان المتأخر ليس عين المتقدم يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وشيبة
وهو العليم القدير فان الترديد في الاحوال المختلفة مع امكان غيره دليل العلم و
القدرة ويوم تقوم الساعة القيامة سميت بها لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات
الدنيا او لانها تقع بغتة وصارت علما لها بالغلبة كالكوكب للزهرة يقسم المجرمون
ما لبثوا في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم
وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل للساعات والايام
والاعوام غير ساعة استقلوا مدة لبثهم اضافة الى مدة عذابهم في الآخرة او
نسيانا كذلك مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق كانوا يؤفكون يصرفون
في الدنيا وقال الذين اوتوا العلم والايمان من الملائكة والانس لقد لبثتم في كتاب الله
في علمه او قضائه او ما كتبه لكم اي اوجبه او اللوح او القرآن وهو قوله ومن ورائهم
برزخ الى يوم البعث ردوا بذلك ما قالوه وحلفوا عليه فهذا يوم البعث الذي
انكرتموه ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم في النظر والفاء لجواب شرط
محذوف تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه اي فقد تبين بطلان انكاركم
فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم وقرا الكوفيون بالياء لان المعذرة بمعنى
العذر او لان تانيثها غير حقيقي وقد فصل بينهما ولا هم يستعتبون لا يدعون
الى ما يقتضي اعتابهم اي ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا
من قولهم استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته ولقد ضربنا للناس
في هذا القرآن من كل مثل ولقد وصفنا لهم بانواع الصفات التي هي في الغرابة
كالامثال مثل صفة المبعوثين يوم القيمة وما يقولون وما يقال لهم وما لا يكون
لهم من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب او بينا لهم من كل مثل ينبههم على التوحيد
والبعث وصدق الرسول ولئن جئتهم بآية من آيات القرآن ليقولن الذين
كفروا من فرط عنادهم وقساوة قلوبهم ان انتم يعنون الرسول والمؤمنين
الا مبطلون مزورون كذلك مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الذين
لا يعلمون لا يطلبون العلم ويصرون على خرافات اعتقدوها فان الجهل
المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر على اذاهم ان وعد الله
بنصرتك واظهار دينك على الدين كله حق لا بد من انجازه ولا يستخفنك
ولا يحملنك على الخفة والقلق الذين لا يوقنون بتكذيبهم وايذائهم فانهم شاكون
ضالون لا يستبدع منهم ذلك وعن يعقوب بتخفيف النون وقرئ لا

لايستخفنك اي لا يزعجنك فيكونوا احق بك من المؤمنين عن رسول الله
من قرا سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السما
والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته سورة لقمان مكية وقيل الا اية
وهي الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة فان وجوبهما بالمدينة وهو ضعيف
لانه لا ينافي شرعيتهما بمكة وقيل الا ثلثا من قوله ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام
وهي اربع وثلثون اية بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك ايات الكتاب الحكيم
سبق بيانه في يونس هدى ورحمة للمحسنين حالان عن الايات والعامل فيهما معنى
الاشارة ورفعهما حمزة على الخبر بعد الخبر او الخبر لمحذوف الذين يقيمون الصلوة
ويؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون بيان لاحسانهم او تخصيص لهذه الثلثة
من شعبه لفضل اعتداد بها وتكرير الضمير للتاكيد ولما حيل بينه وبين خبره اولئك
على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح ومن
الناس من يشتري لهو الحديث ما يلهي عما يعني كالاحاديث التي لا اصل لها و
الاساطير التي لا اعتبار فيها والمضاحك وفضول الكلام والاضافة بمعنى من وهي
تبيينية ان اراد بالحديث المنكر وتبعيضية ان اراد به الاعم منه وقيل نزلت
في النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان
محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة
وكان يشتري القيان ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه ليضل
عن سبيل الله او قراءة كتابه وقرا ابن كثير وابو عمرو بفتح اليا بمعنى ليثبت على ضلاله
ويزيد فيه بغير علم بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة القران و
يتخذها هزوا ويتخذ السبيل سخرية وقد نصبه حمزة والكسائي ويعقوب وحفص عطفا
على ليضل اولئك لهم عذاب مهين لاهانتهم الحق باستيثار الباطل عليه
واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا متكبرا لا يعبا بها كان لم يسمعها مشابها حاله
حال من لم يسمعها كان في اذنيه وقرا مشابها من في اذنه ثقل لا يقدر ان يسمع والاولى
حال من المستكن في ولى او مستكبرا والثانية بدل منها او حال من المستكن في لم يسمعها ويجوز
ان يكونا استينافين فبشره بعذاب اليم اعلمه بان العذاب يحيقه لا محالة وقرا نافع
في اذنيه وذكر البشارة على التهكم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم
اي لهم نعيم جنات فعكس للمبالغة خالدين فيها حال من الضمير في لهم او من جنات والعامل
ما تعلق به اللام وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثاني لغيره لان
قوله لهم جنات وعد وليس كل وعد حقا وهو العزيز الذي لا يغلبه شي فيمنعه عن
انجاز وعده ووعيده الحكيم الذي لا يفعل الا ما تستدعيه حكمته خلق السموات بغير عمد
ترونها استيناف وقد سبق في الرعد والقى في الارض رواسي جبالا شوامخ ان

ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم فان بساطة اجزائها
يقتضي تبدل احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته او لشي
من لوازمه بحيز ووضع معينين وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السما
ما فانبتنا فيها من كل زوج كريم من كل صنف كثير المنفعة وكانه استدل بذلك
على عزته التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم ومهد به قاعدة التوحيد
وقررها بقوله هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه هذا الذي ذكر
مخلوقه فماذا خلق الهتكم حتى استحقوا مشاركته وماذا نصب بخلق او ما مرتفع
بالابتدا وخبره ذا بصلته واروني معلق عنه بل الظالمون في ضلال مبين
اضراب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال الذي لا يخفى على ناظر ووضع الظاهر
موضع المضمر للدلالة على انهم ظالمون باشراكهم ولقد اتينا لقمان الحكمة يعني لقمان
بن باعورا من اولاد ازر ابن اخت ايوب او خالته وعاش الف سنة حتى
ادرك داود واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه والجمهور على انه كان حكيما
ولم يكن نبيا والحكمة في عرف العلما استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم
النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن
حكمته انه صحب داود شهورا وكان يسرد الدرع فلم يساله عنها فلما اتمها لبسها
وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله وان داود قال له
يوما كيف اصبحت فقال اصبحت في يدي غيري فتفكر داود فيه فصعق صعقة
وانه امره بان يذبح شاة ويأتي باطيب مضغتين منها فاتى باللسان والقلب
ثم بعد ايام امره بان يأتي باخبث مضغتين منها فاتى بهما ايضا فساله عن ذلك
فقال هما اطيب شي اذا طابا واخبث شي اذا خبثا ان اشكر لله لان اشكر
او اي اشكر فان ايتاء الحكمة في معنى القول ومن يشكر فانما يشكر لنفسه لان نفعه
عائد اليها وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها ومن كفر فان الله غني لا يحتاج
الى الشكر حميد حقيق بالحمد وان لم يحمد او محمود تنطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان
الحال واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه انعم او اشكم او ماثان يا بني تصغير اشفاق
وقرا ابن كثير يا بني لا تشرك بالله باسكان اليا وقنبل يا بني اقم الصلوة
باسكان اليا وحفص فيهما وفي يا بني انها ان تك بفتح اليا والبزي مثله
في الاخير والباقون في الثلثة بكسر اليا لا تشرك بالله قيل كان كافرا فلم
يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما ان الشرك لظلم عظيم
لانه تسوية بين من لا نعمة الا منه ومن لا نعمة منه ووصينا الانسان بوالديه
حملته امه وهنا ذات وهن او تهن وهنا على وهن اي تضعف ضعفا
فوق ضعف فانها لا تزال يتزايد ضعفها والجملة في موضع الحال وقرئ

بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا وفصاله في عامين
وفطامه في انقضاء عامين فكانت ترضعه في تلك المدة وقرئ وفصله وفيه
دليل على ان اقصى مدة الرضاع حولان ان اشكر لي ولوالديك تفسير لوصينا
او علة له او بدل من والديه بدل الاشتمال وذكر الحمل والفصال في البين اعتراض
مؤكد للتوصية في حقها خصوصا ومن ثمه قال عم لمن قال له من ابر امك ثم
امك ثم امك ثم قال بعد ذلك اباك الي المصير فاحاسبك على
شكرك وكفرك وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم باستحقاقه
الاشراك تقليدا لهما وقيل اراد بنفي العلم به نفيه فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما
وصاحبهما في الدنيا معروفا صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم واتبع
في الدين سبيل من اناب الي بالتوحيد والاخلاص في الطاعة ثم الي مرجعكم مرجعك
ومرجعهما فانبئكم بما كنتم تعملون بان اجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما
والآيتان معترضتان في تضاعيف وصية لقمان تاكيدا لما فيها من النهي عن الشرك
كانه قال وقد وصينا بمثل ما وصى به وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك فانهما
مع انهما تلو الباري في استحقاق التعظيم والطاعة لا يجوز ان يستحقا في الاشراك
فما ظنك بغيرهما ونزولهما في سعد بن ابي وقاص وامه مكثت لاسلامه ثلثا
لم تطعم فيها شيئا ولذلك قيل من اناب الي ابو بكر فانه اسلم بدعوته انها
ان تك مثقال حبة من خردل اي ان الخصلة من الاساءة او الاحسان
ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل ورفع نافع مثقال على ان الهاء ضمير القصة
وكان تامة وتانيثها لاضافة المثقال الى الحبة كقول الشاعر كما شرقت صدر القناة
من الدم او لان المراد به الحسنة والسيئة فتكن في صخرة او في السموات او في الارض
في اخفى مكان واحرزه كجوف صخرة او اعلاه كمحدب السموات او اسفله كمقعر
الارض وقرئ بكسر الكاف من وكن الطائر اذا استقر في وكنته يأت بها الله
يحضرها فيحاسب عليها ان الله لطيف يصل علمه الى كل خفي خبير عالم بكنهه يا بني اقم الصلوة
تكميلا لنفسك وامر بالمعروف وانه عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما اصابك
من الشدائد سيما في ذلك ان ذلك الاشارة الى الصبر او الى كل ما امر به من عزم
الامور مما عزمه الله اي قطعه قطع ايجاب مصدر اطلق للمفعول ويجوز ان يكون
بمعنى الفاعل من قوله تعالى فاذا عزم الامر اي جد ولا تصعر خدك للناس لا تمله
عنهم ولا تولهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون من الصعر وهو الصيد داء يعتري
البعير فيلوي عنقه وقرأ نافع وحمزة والكسائي ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر والكل
واحد مثل علاه واعلاه وعالاه ولا تمش في الارض مرحا اي فرحا مصدر وقع
موقع الحال او تمرح مرحا او لاجل المرح وهو البطر ان الله لا يحب كل مختال فخور علة

علة للنهي وتاخير الفخور وهو مقابل للمصعر خده والمختال للماشي مرحا لتوافق
رؤوس الآي واقصد في مشيك توسط فيه بين الدبيب والاسراع وعنه عليه
السلام سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة كان اذا مشى اسرع
فالمراد ما فوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامي اذا سدد سهمه
نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر ان انكر الاصوات اوحشها
لصوت الحمير والحمار مثل في الذم سيما نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال طويل الاذنين
وفي تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم اخراجه مخرج الاستعارة مبالغة شديدة وتوحيد
الصوت لان المراد تفضيل الجنس في النكير دون الآحاد او لانه مصدر في الاصل
الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات بان جعله اسبابا محصلة لمنافعكم وما
في الارض بان مكنكم من الانتفاع به بوسط او بغير وسط واسبغ عليكم نعمه ظاهرة
وباطنة محسوسة ومعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه وقد مر شرح النعمة وتفصيلها
في الفاتحة وقرئ واصبغ بالابدال وهو جار في كل سين اجتمع مع الغين او الخاء
او القاف كصلخ وصقر وقرأ نافع وابن عمرو وحفص نعمه بالجمع والاضافة
ومن الناس من يجادل في الله في توحيده وصفاته بغير علم مستفاد من دليل
ولا هدى راجع الى رسول ولا كتاب منير انزله الله تعالى بل بالتقليد كما قال
واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا وهو منع
صريح من التقليد في الاصول اولو كان الشيطان يدعوهم يحتمل ان يكون الضمير لهم
ولآبائهم الى عذاب السعير الى ما يؤول اليه من التقليد او الاشراك وجواب لو محذوف
مثل لاتبعوه والاستفهام للانكار والتعجيب ومن يسلم وجهه الى الله بان فوض
امره اليه واقبل بشراشره عليه من اسلمت المتاع الى الزبون ويؤيده القراءة
بالتشديد وحيث عدي باللام فلتضمن معنى الاخلاص وهو محسن في عمله فقد
استمسك بالعروة الوثقى تعلق باوثق ما يتعلق به وهو تمثيل للمتوكل المشتغل
بالطاعة بمن اراد ان يترقى شاهق جبل فتمسك باوثق عرى الحبل المتدلي منه
والى الله عاقبة الامور اذ الكل صائر اليه ومن كفر فلا يحزنك كفره فانه لا يضرك
في الدنيا والآخرة وقرئ ولا يحزنك من احزن وليس بمستفيض الينا مرجعهم في
الدارين فننبئهم بما عملوا بالاهلاك والتعذيب ان الله عليم بذات الصدور
فمجاز عليه فضلا عما في الظاهر نمتعهم قليلا تمتيعا او زمانا قليلا فان ما يزول بالنسبة
الى ما يدوم قليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ او نضمهم
الى الاحراق الضغط ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح
الدليل المانع من اسناد الخلق الى غيره بحيث اضطروا الى اذعانه قل الحمد لله
على الزامهم والجائهم الى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم بل اكثرهم لا يعلمون

ان ذلك يلزمهم لله ما في السموات والارض لا يستحق العبادة فيهما غيره ان الله
هو الغني عن حمد الحامدين الحميد المستحق للحمد وان لم يحمد ولو ان ما في الارض من
شجرة اقلام ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وتوحيد شجرة لان المراد تفصيل الآحاد
والبحر يمده من بعده سبعة ابحر والبحر المحيط بسعته مدادا ممدودا بسبعة ابحر فاغنى
عن ذكر المداد بمده لانه من مد الدواة وامدها ورفعه للعطف على محل ان ومعمولها
ويمده حال او الابتداء على انه مستانف او الواو للحال ونصبه البصريان بالعطف
على اسم ان او اضمار فعل يفسره يمده وقرئ تمده ويمده بالياء والتاء ما نفدت
كلمات الله بكتبها بتلك الاقلام بذلك المداد وايثار جمع القلة للاشعار بان
ذلك لا يفي بالقليل فكيف بالكثير ان الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج عن علمه
وحكمته امر والآية جواب لليهود سألوا رسول الله او امروا وفد قريش ان يسألوه
عن قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقد انزل التوراة وفيها علم كل شيء ما خلقكم
ولا بعثكم الا كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها اذ لا يشغله شأن عن شأن لانه
يكفي لوجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما قال انما امرنا
لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ان الله سميع يسمع كل مسموع بصير
يبصر كل مبصر لا يشغله ادراك بعضها عن بعض فكذلك الخلق الم تر
ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل
يجري كل من النيرين يجري في فلكه الى اجل مسمى الى منتهى معلوم الشمس الى
آخر السنة والقمر الى آخر الشهر وقيل الى يوم القيمة والفرق بينه وبين قوله
لاجل مسمى ان الاجل هنا منتهى الجري وثم غرضه حقيقة او مجازا وكلا
المعنيين حاصل في الغايات وان الله بما تعملون خبير عالم بكنهه ذلك
اشارة الى الذي ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص
الباري تعالى بها بان الله هو الحق بسبب انه الثابت في ذاته الواجب من
جميع جهاته او الثابت الهيته وان ما يدعون من دونه الباطل المعدوم في
حد ذاته لا يوجد ولا يتصرف ولا يتصور الا بجعله او الباطل الالهية وقرأ
البصريان والكوفيون غير ابي بكر بالياء وان الله هو العلي الكبير مترفع على
كل شيء ومتسلط عليه الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله باحسانه في تهيئة
اسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وكمال حكمته وشمول انعامه والباء
للصلة او الحال وقرئ الفلك بالتثقيل وبنعمات الله بسكون العين وقد جوز
في مثله الكسر والفتح والسكون ليريكم من آياته دلائله ان في ذلك لآيات لكل
صبار على المشاق فيتعب نفسه بالتفكر في الآفاق والانفس شكور يعرف النعم
ويتعرف مانحها او للمؤمنين فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف

ونصف شكر واذا غشيهم علاهم وغطاهم موج كالظلل كما يظل من جبل او
سحاب او غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال دعوا الله مخلصين
له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف والشدة
فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد مقيم على الطريق القصد الذي هو التوحيد او متوسط
في الكفر لانزجاره وما يجحد باياتنا الا كل ختار غدار فانه نقض للعهد الفطري
او لما كان في البحر والختر اشد الغدر كفور للنعم يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا
يوما لا يجزي والد عن ولده لا يقضي عنه وقرئ لا يجزئ من اجزأ اذا اغنى و
الراجع الى الموصوف محذوف اي لا يجزي فيه ولا مولود عطف على والد
او مبتدأ خبره هو جاز عن والده شيئا وتغيير النظم للدلالة على ان المولود
اولى بان لا يجزي وقطع طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع اباه الكافر في الآخرة
ان وعد الله بالثواب والعقاب حق لا يمكن خلفه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا
ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بان يرجيكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصي
ان الله عنده علم الساعة علم وقت قيامها لما روي ان الحارث بن عمرو
اتى رسول الله فقال متى قيام الساعة واني قد القيت حباتي في الارض فمتى
السماء تمطر وحمل امرأتي ذكر او انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه عليه السلام
مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية وينزل الغيث في ابانه المقدر له والمحل المعين له في
علمه وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد ويعلم ما في الارحام اذكر ام انثى اتام
او ناقص وما تدري نفس ماذا تكسب غدا من خير وشر وربما تعزم على شيء وتفعل
خلافه وما تدري نفس باي ارض تموت كما لا تدري في اي وقت تموت روي ان ملك
الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا
فقال ملك الموت فقال كأنه يريدني فمر الريح ان تحملني وتلقيني بالهند ففعل فقال الملك
الموت كان دوام نظري اليه تعجبا منه اذ امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك
وانما جعل العلم لله تعالى والدراية للعبد لان فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين
ويدل على انه ان اعمل حيلة وانفذ فيها وسعه لم يعرف ما هو الصق به من كسبه وعاقبته
فكيف بغيره مما لم ينصب له دليلا عليه وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تانيثها
بتانيث كل في كلتهن ان الله عليم يعلم الاشياء كلها خبير يعلم بواطنها كما يعلم
ظواهرها وعنه عليه السلام من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيمة واعطي
من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكية وهي ثلثون آية وقيل تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم الم ان جعل اسما للسورة او القرآن
فمبتدأ وخبره تنزيل الكتاب على ان التنزيل بمعنى المنزل وان جعل تعديدا للحروف
كان تنزيل خبر محذوف او مبتدأ خبره لا ريب فيه فيكون من رب العالمين حالا

من الضمير في فيه لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر ويجوز ان يكون خبرا ثانيا والاوجه
انه الخبر ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير في فيه لمضمون الجملة ويؤيده
قوله ام يقولون افتراه فانه انكار لكونه من رب العالمين وقوله بل هو الحق
من ربك فانه تقرير له ونظم الكلام على هذا انه اشار اولا الى اعجازه ثم رتب عليه
ان تنزيله من رب العالمين وقرر ذلك بنفي الريب عنه ثم اضرب عن ذلك الى
ما يقولون فيه على خلاف ذلك انكارا له وتعجيبا منه فان ام منقطعة ثم اضرب عنه
الى اثبات انه الحق المنزل من الله وبين المقصود من تنزيله فقال لتنذر قوما ما اتيهم
من نذير من قبلك اذ كانوا اهل الفترة لعلهم يهتدون بانذارك اياهم الله الذي
خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش مر بيانه في الاعراف
ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ما لكم اذا جاوزتم رضا الله احد ينصركم ويشفع لكم
او ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن نصركم
على ان الشفيع متجوز به للناصر فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا ناصر افلا تتذكرون بمواعظ
الله يدبر الامر من السماء الى الارض يدبر امر الدنيا باسباب سماوية كالملائكة وغيرها
نازلة اثارها الى الارض ثم يعرج اليه ثم يصعد اليه ويثبت في علمه موجودا في يوم
كان مقداره الف سنة مما تعدون في برهة من الزمان متطاولة يعني بذلك استطالة
ما بين التدبير والوقوع وقيل يدبر الامر باظهاره في اللوح فينزل به الملك ثم يعرج اليه في
زمان هو كالف سنة لان مسافة نزوله وعروجه مسيرة الف سنة فان ما بين السماء
والارض مسيرة خمسمائة سنة وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج
بعد الالف لالف اخر وقيل يدبر الامر الى قيام الساعة ثم يرجع اليه الامر كله
يوم القيمة وقيل يدبر المامور به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض بالوحي
ثم لا يرجع اليه خالصا كما يرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال
الخلص وقرئ يعرج ويعدون ذلك عالم الغيب والشهادة فيدبر امرها على وفق
الحكمة العزيز الغالب على امره الرحيم على العباد في تدبيره وفيه ايماء بانه يراعي
المصالح تفضلا واحسانا الذي احسن كل شيء خلقه موفرا عليه ما يستعده ويليق
به على وفق الحكمة والمصلحة وخلقه بدل من كل بدل الاشتمال وقيل علم كيف
يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسنه اي يحسن معرفته وخلقه مفعول ثان وقرا نافع
والكوفيون بفتح اللام على الوصف فالشيء على الاول مخصوص بمنفصل وعلى الثاني
بمتصل وبدا خلق الانسان يعني ادم من طين ثم جعل نسله ذريته سميت
به لانها تنسل منه اي تنفصل من سلالة من ماء مهين ممتهن ثم سويه قومه
بتصوير اعضائه على ما ينبغي ونفخ فيه من روحه اضافه الى نفسه تشريفا واشعارا
بانه خلق عجيب وان له شانا له مناسبة ما الى الحضرة الربوبية ولاجله من عرف

من عرف نفسه فقد عرف ربه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة
خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا قليلا ما تشكرون تشكرون شكرا قليلا
وقالوا ائذا ضللنا في الارض اي صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لا نتميز
منه او غبنا فيها وقرئ ضللنا بالكسر من ضل يضل وصللنا من صل اللحم
اذا انتن وقرا ابن عامر اذا على الخبر والعامل فيه ما دل عليه انا لفي
خلق جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا وقرا نافع والكسائي ويعقوب انا
على الخبر والقائل ابي بن خلف واسناده الى جميعهم لرضاهم به بل هم بلقاء
ربهم بالبعث او بتلقي ملك الموت وما بعده كافرون جاحدون قل يتوفيكم
يستوفي نفوسكم لا يترك منها شيئا او لا يبقي منكم احدا والتفعل والاستفعال
يلتقيان كثيرا كتقضيته واستقضيته وتعجلته واستعجلته ملك الموت الذي
وكل بكم بقبض ارواحكم واحصاء اجالكم ثم الى ربكم ترجعون للحساب والجزاء
ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم من الحياء والخزي ربنا
قائلين ربنا ابصرنا ما وعدتنا وسمعنا منك تصديق رسلك فارجعنا
الى الدنيا نعمل صالحا انا موقنون اذ لم يبق لنا شك بما شاهدنا وجواب لو
محذوف تقديره لرايت امرا فظيعا ويجوز ان يكون للتمني والمضي فيها وفي
اذ لان الثابت في علم الله بمنزلة الواقع ولا يقدر لترى مفعول لان المعنى لو يكون
منك رؤية في هذا الوقت او يقدر ما دل عليه صلة اذ والخطاب للرسول او لكل
واحد ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها ما تهتدي به الى الايمان والعمل الصالح
بالتوفيق له ولكن حق القول مني ثبت قضائي وسبق وعيدي وهو لاملان
جهنم من الجنة والناس اجمعين وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم المشية المسبب
عن سبق الحكم بانهم من اهل النار ولا يدفعه جعل ذوق العذاب مسببا عن نسيانهم
العاقبة وعدم تفكرهم فيها بقوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا فانه من
الوسائط والاسباب المقتضية له انا نسيناكم تركناكم من الرحمة او في العذاب
ترك المنسي وفي استينافه وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام وذوقوا
عذاب الخلد بما كنتم تعملون كرر الامر للتاكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله
وتعليله بافعالهم السيئة من التكذيب والمعاصي كما علله بتركهم تدبر امر العاقبة
والتفكر فيه دلالة على ان كلا منهما يقتضي ذلك انما يؤمن باياتنا الذين
اذا ذكروا بها وعظوا بها خروا سجدا خوفا من عذاب الله وسبحوا نزهوه
عما لا يليق به كالعجز عن البعث بحمد ربهم حامدين له شكرا على ما وفقهم
للاسلام واتاهم الهدى وهم لا يستكبرون عن الايمان والطاعة كما
يفعل من يصر مستكبرا تتجافى جنوبهم ترتفع وتتنحى عن المضاجع الفرش

ومواضع النوم يدعون ربهم داعين اياه خوفا من سخطه وطمعا في رحمته وعن
النبي عليه السلام في تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه عليه السلام اذا جمع الله
الاولين والاخرين جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلايق كلهم سيعلم اهل
الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع
فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء
فيقومون وهم قليل فيسرحون الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقيل كان اناس من الصحابة
يصلون المغرب الى العشاء فنزلت فيهم ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم لا ملك مقرب ولا نبي مرسل من قرة اعين مما تقر به
عيونهم وعنه عليه السلام يقول الله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقرا حمزة ويعقوب اخفي على انه مضارع اخفيت
وقرئ اخفى واخفي والفاعل للكل هو الله تعالى وقرات اعين لاختلاف انواعها
والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة او استفهامية معلق عنها الفعل جزاء بما كانوا
يعملون اي جزوا جزاء او اخفي للجزاء فان اخفاءه لعلو شانه وقيل هذا القوم
اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوابهم افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا خارجا عن الايمان
في الشرف والمثوبة لا يستوون تاكيد وتصريح والجمع للحمل على المعنى اما الذين امنوا
وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى فانها المأوى الحقيقي والدنيا منزل مرتحل
عنها لا محالة وقيل المأوى جنة من الجنان نزلا سبق في ال عمران بما كانوا يعملون
بسبب اعمالهم او على اعمالهم واما الذين فسقوا فمأويهم النار مكان جنة المأوى
للمؤمنين كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها عبارة عن خلودهم فيها وقيل لهم
ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون اهانة لهم وزيادة لغيظهم ولنذيقنهم
من العذاب الادنى عذاب الدنيا يريد ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل
والاسر دون العذاب الاكبر عذاب الاخرة لعلهم لعل من بقي منهم يرجعون يتوبون
عن الكفر روي ان الوليد بن عقبة فاخر عليا يوم بدر فنزلت هذه الايات ومن
اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها فلم يتفكر فيها وثم لاستبعاد الاعراض
عنها مع فرط وضوحها وارشادها الى اسباب السعادة بعد التذكير بها عقلا كما
في بيت الحماسة لا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها انا
من المجرمين منتقمون فكيف ممن كان اظلم من كل ظالم ولقد اتينا موسى الكتاب
كما اتيناك فلا تكن في مرية في شك من لقائه من لقائك الكتاب لقوله
وانك لتلقى القران فانا اتيناك من الكتاب مثل ما اتيناه منه فليس ذلك
ببدع لم يكن قط حتى ترتاب فيه او من لقاء موسى الكتاب او من لقائك موسى

موسى وعنه عليه السلام رايت ليلة اسري بي موسى عم رجلا ادم طوالا جعدا كانه
من رجال شنوءة وجعلناه اي المنزل على موسى هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم ائمة
يهدون الناس الى ما فيه من الحكم والاحكام بامرنا اياهم به او بتوفيقنا له لما صبروا
وقرا حمزة والكسائي ورويس لما صبروا اي لصبرهم على الطاعة او عن الدنيا
وكانوا باياتنا يوقنون لامعانهم فيها النظر ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة
يقضي فيميز الحق من الباطل بتمييز المحق من المبطل فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين
اولم يهد لهم الواو للعطف على منوي من جنس المعطوف والفاعل ضمير ما دل عليه
كم اهلكنا من قبلهم من القرون اي كثرة من اهلكناهم بالنون يمشون في مساكنهم يعني
اهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وقرئ يمشون بالتشديد ان في ذلك
لايات افلا يسمعون سماع تدبر واتعاظ اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض
الجرز نباتها اي قطع وازيل لا التي لا تنبت لقوله فنخرج به زرعا وقيل اسم موضع
باليمن تاكل منه من الزرع انعامهم كالتبن والورق وانفسهم كالحب والثمر
افلا يبصرون فيستدلون به على كمال قدرته وفضله ويقولون متى هذا الفتح
النصر او الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا ان كنتم صادقين في الوعد قل يوم
الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون وهو يوم القيمة فانه يوم نصر
المسلمين على الكفرة والفصل بينهم وقيل يوم بدر او يوم فتح مكة والمراد بالذين كفروا
المقتولون منهم فيه فانه لا ينفعهم ايمانهم حال القتل ولا يمهلون وانطباقه جوابا على
سؤالهم من حيث المعنى باعتبار ما عرف فانهم لما ارادوا به الاستعجال تكذيبا واستهزاء
اجيبوا بما يمنع الاستعجال فاعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم وقيل هو منسوخ باية
السيف وانتظر النصرة عليهم انهم منتظرون الغلبة عليك وقرئ بالفتح على
معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او ان الملائكة ينتظرونه عن النبي عم من قرا
الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيى ليلة القدر وعنه
عليه السلام من قرا الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان ثلثة ايام **سورة الاحزاب**
مدنية وهي ثلث وسبعون اية بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اتق الله
ناداه بالنبي وامره بالتقوى تعظيما له وتفخيما لشان التقوى والمراد به الامر بالثبات
عليه ليكون مانعا عما نهي عنه بقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين اي فيما يعود
بوهن في الدين روي ان ابا سفيان وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي
قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم ابن ابي ومعتب بن
قشير والجد بن قيس فقالوا له ارفض ذكر الهتنا وقل ان لها شفاعة وندعك
وربك فنزلت ان الله كان عليما بالمصالح والمفاسد حكيما لا يحكم الا بما يقتضيه
الحكمة واتبع ما يوحى اليك من ربك بالحق كالنهي عن طاعتهم ان الله كان

بما تعملون خبيرا فموح اليك ما تصلح به وتغني عن الاستماع الى الكفرة وقرا ابو عمرو
بالياء على ان الواو ضمير الكفرة والمنافقين اي ان الله خبير بمكايدهم فيدفعها عنك
وتوكل على الله وكل امرك الى تدبيره وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامور كلها ما جعل الله
لرجل من قلبين في جوفه اي ما جمع قلبين في جوف لان القلب معدن الروح الحيواني
المتعلق للنفس الانساني اولا ومنبع القوى باسرها وذلك يمنع التعدد وما جعل
ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم وما جعل جمع
الزوجية والامومة في امراة واحدة ولا الدعوة والبنوة في رجل والمراد بذلك
رد ما كانت العرب تزعم من ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابي
معمر او جميل بن اسد الفهري ذو القلبين والزوجة المظاهر عنها كالام ودعي
الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبي عتيق رسول الله ابن محمد
او المراد نفي الامومة والبنوة عن المظاهر عنها والمتبنى ونفي القلبين لتمهيد اصل
يحمل عليه المعنى كما لم يجعل الله قلبين في جوف لادائه الى التناقض وهو ان يكون كل
منهما اصلا لكل القوى وغير اصل لم يجعل الزوجة والدعي اللذين لا ولادة بينهما وبينه
امه وابنه اللذين بينهما وبينه ولادة وقرا ابو عمرو واللاي بالياء وحده على ان اصلها
اللائي بهمزة فخففت وعن الحجازيين مثله وعنهما وعن يعقوب بالهمزة وحده واصل
تظهرون تتظهرون فادغمت التاء الثانية في الظاء وقرا ابن عامر تظاهرون
بالادغام وحمزة والكسائي بالحذف وعاصم تظاهرون من ظاهر وقرئ تظهرون من
ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من الظهور ومعنى الظهار ان يقول للزوجة
انت علي كظهر امي ماخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك والتعدية بمن لتضمنه
معنى التجنب لانه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي الطلاق او الحرمة الى اداء
الكفارة كما عدي آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الذي هو
عموده فان ذكره يقارب ذكر الفرج او للتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان
المراة وظهرها الى السماء والادعياء جمع دعي على الشذوذ وكانه شبه بفعيل بمعنى
فاعل فجمع جمعه ذلكم اشارة الى كل ما ذكر او الى الاخير قولكم بافواهكم لا حقيقة له في
الاعيان كقول الهاذي والله يقول الحق ماله حقيقة عينية مطابقة له وهو يهدي
السبيل سبيل الحق ادعوهم لابائهم انسبوهم اليهم وهو افراد للمقصود من اقواله
الحقة وقوله هو اقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا واقسط افعل تفضيل
قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ في الصدق فان لم
تعلموا اباءهم فتنسبوهم اليهم فاخوانكم في الدين فهم اخوانكم في الدين ومواليكم
واولياؤكم فيه فقولوا هذا اخي ومولاي بهذا التاويل وليس عليكم جناح فيما اخطاتم
ولا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهي او بعده على النسيان او

او سبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم او ولكن
ما تعمدت فيه الجناح وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن المخطئ واعلم ان التبني لا عبرة به
عندنا وعند ابي حنيفة يوجب عتق مملوكه ويثبت النسب لمجهوله الذي يمكن الحاقه
به النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم في الامور كلها فانه لا يامرهم ولا يرضى منهم الا ما فيه
صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك اطلق فيجب عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم
وامره انفذ فيهم من امرها وشفقتهم عليه اتم من شفقتهم عليها روي انه عليه السلام
اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال اناس نستاذن اباءنا وامهاتنا فنزلت
وقرئ وهو اب لهم اي في الدين فان كل نبي اب لامته من حيث انه اصل فيما به
الحيوة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة وازواجه امهاتهم منزلات
منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك كالاجنبيات ولذلك قالت
عائشة لسنا امهات النساء واولوا الارحام وذوو القرابات بعضهم اولى ببعض
في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة
في الدين في كتاب الله في اللوح او فيما انزل وهو هذه الاية او اية المواريث او فيما
فرض الله من المؤمنين والمهاجرين بيان لاولي الارحام او صلة لاولى اي اولوا الارحام
بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين والمهاجرين بحق الهجرة الا
ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا استثناء من اعم ما يقدر الاولوية فيه من النفع
والمراد بفعل المعروف التوصية او منقطع كان ذلك في الكتاب مسطورا كان ما ذكر
في الايتين ثابتا في اللوح او القران وقيل في التورية واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
مقدر باذكر وميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم ومنك
ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم خصهم بالذكر لانهم مشاهير ارباب
الشرائع وقدم نبينا تعظيما له واخذنا منهم ميثاقا غليظا عظيم الشان او مؤكدا
باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف ليسأل الصادقين عن صدقهم اي فعلنا
ذلك ليسأل الله يوم القيمة الانبياء الذين صدقوا عهدهم عما قالوه لقومهم او تصديقهم
اياهم تبكيتا لهم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق او
المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم
حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم واعد للكافرين عذابا اليما عطف
على اخذنا من جهة ان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين او على ما دل
عليه ليسأل كانه قال فاثاب المؤمنين واعد للكافرين يا ايها الذين امنوا اذكروا
نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود يعني الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة
والنضير وكانوا زهاء اثني عشر الفا فارسلنا عليهم ريحا ريح الصبا وجنودا لم تروها
الملائكة روي انه لما سمع باقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم خرج اليهم في ثلثة الاف

والخندق بينه وبينهم ومضى على الفريقين قريب شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل
والحجارة حتى بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب
في وجوههم واطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها في بعض وكبرت
الملائكة في جوانب العسكر فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بدأكم بالسحر
فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال وكان الله بما يعملون من حفر الخندق وقرأ البصريان
بالياء اي بما يعمل المشركون من التحزب والمحاربة بصيرا رائيا اذ جاؤكم بدل من
اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم
من اسفل الوادي من قبل المغرب قريش واذ زاغت الابصار مالت عن
مستوى نظرها حيرة وشخوصا وبلغت القلوب الحناجر رعبا فان الرية تنتفخ
من شدة الروع فترتفع بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهي منتهى الحلقوم مدخل
الطعام والشراب وتظنون بالله الظنونا الانواع من الظن فظن المخلصون
الثبت القلوب ان الله منجز وعده في اعلاء دينه او ممتحنهم فخافوا الزلل
وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكي عنهم والالف
مزيدة في امثاله تشبيها للفواصل بالقوافي وقد اجرى نافع وابن عامر وابو بكر
فيها الوصل مجرى الوقف ولم يزدها ابو عمرو وحمزة ويعقوب مطلقا وهو
القياس هنالك ابتلي المؤمنون اختبروا فظهر المخلص من المنافق والثابت
من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا من شدة الفزع وقرئ زلزالا واذ يقول
المنافقون والذين في قلوبهم مرض ضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله
من الظفر واعلاء الدين الا غرورا وعدا باطلا قيل قائله معتب بن قشير قال
يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد
غرور واذ قالت طائفة منهم يعني اوس بن قيظي واتباعه يا اهل يثرب اهل
المدينة وقيل هو اسم ارض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لكم لا موضع
قيام لكم ههنا وقرأ حفص بالضم على انه مكان او مصدر من اقام فارجعوا الى منازلكم
هاربين وقيل المعنى لا مقام لكم على دين محمد فارجعوا الى الشرك واسلموه لتسلموا
او لا مقام لكم بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها ويستأذن فريق
منهم النبي للرجوع يقولون ان بيوتنا عورة غير حصينة واصلها الخلل ويجوز ان يكون
تخفيف العورة من عورت الدار اذا اختلت وقد قرئ بها وما هي بعورة
بل هي حصينة ان يريدون الا فرارا اي ما يريدون بذلك الا الفرار من القتال
ولو دخلت عليهم دخلت المدينة او بيوتهم من اقطارها من جوانبها وحذف
الفاعل للايماء بان دخول هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر
سيان في اقتضاء الحكم المرتب عليه ثم سئلوا الفتنة الردة ومقاتلة

المسلمين لآتوها لأعطوها وقرأ الحجازيان بالقصر بمعنى لجاؤها وفعلوها
وما تلبثوا بها بالفتنة او باعطائها الا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب وقيل ما
لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون
الادبار يعني بني حارثة عاهدوا رسول الله يوم احد حين فشلوا ثم تابوا ان لا يعودوا
لمثله وكان عهد الله مسؤلا مسؤلا عن الوفاء به مجازى عليه قل لن ينفعكم الفرار
ان فررتم من الموت او القتل فانه لا بد لكل شخص من حتف انف او قتل في وقت معين
سبق به القضاء وجرى عليه القلم واذا لا تمتعون الا قليلا اي وان نفعكم الفرار مثلا
فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع الا تمتيعا او زمانا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم
من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة اي او من يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة
فاختصر الكلام كما في قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول لما في العصمة
من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع الضر عنهم قد
يعلم الله المعوقين منكم المثبطين عن رسول الله وهم المنافقون والقائلين لاخوانهم
من ساكني المدينة هلم الينا قربوا انفسكم الينا وقد ذكر اصله في الانعام ولا يأتون
البأس الا قليلا الا اتيانا او زمانا او بأسا قليلا فانهم يعتذرون ويثبطون ما امكن
لهم او يخرجون مع المؤمنين ولكن لا يقاتلون الا قليلا كقوله وما قاتلوا الا قليلا
وقيل انه من تتمة كلامهم ومعناه ولا يأتي اصحاب محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم
الا قليلا اشحة عليكم بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة في سبيل الله او الظفر والغنيمة
جمع شحيح ونصبها على الحال من فاعل يأتون او المعوقين او على الذم فاذا جاء الخوف
رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم في احداقهم كالذي يغشى عليه كنظر المغشى عليه او
كدوران عينه او مشبهين به او مشبهة بعينه من الموت من معالجة سكرات الموت خوفا
ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم ضربوكم بالسنة حداد ذربة
يطلبون الغنيمة والسلق البسط بقهر باليد او اللسان اشحة على الخير نصب على الحال او الذم
ويؤيده قراءة الرفع وليس بتكرير لان كلا منهما مقيد من وجه اولئك لم يؤمنوا اخلاصا
فاحبط الله اعمالهم فاظهر بطلانها اذ لم تثبت لهم اعمال فتبطل او ابطل تصنعهم ونفاقهم
وكان ذلك الاحباط على الله يسيرا هينا لتعلق الارادة به وعدم ما يمنعه عنه يحسبون
الاحزاب لم يذهبوا اي هؤلاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا
ففروا الى داخل المدينة وان يأت الاحزاب كرة ثانية يودوا لو انهم بادون في
الاعراب تمنوا لو انهم خارجون الى البدو حاصلون بين الاعراب يسألون كل قادم من جانب
المدينة عن انبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان
قتال ما قاتلوا الا قليلا رياء وخوفا عن التعيير لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد او هو في نفسه قدوة

يحسن التأسي به كقولك في البيضة عشرون منًّا حديدًا أي هي في نفسها هذا القدر من الحديد
وقرأ عاصم بضم الهمزة وهو لغة فيه لمن كان يرجو الله واليوم الآخر أي ثواب الله أو لقاءه
ونعيم الآخرة أو أيام الله واليوم الآخر خصوصًا فإن اليوم الآخر داخل فيها وقيل هو كقولك
أرجو زيدًا وفضله والرجاء يحتمل الأمل والخوف ولمن كان صلة لحسنة أو صفة لها
وقيل بدل من لكم والأكثر على أن ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر الله كثيرًا وقرن
بالرجاء كثرة الذكر المؤدية إلى ملازمة الطاعة فإن المؤتسي بالرسول من كان كذلك
ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله لقوله تعالى أم حسبتم
أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآية وقوله عليه السلام سيشتد
الأمر باجتماع الأحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه السلام إنهم سائرون إليكم
بعد تسع أو عشر وقرأ حمزة وأبو بكر بكسر الراء وفتح الهمزة وصدق الله ورسوله وظهر
صدق خبر الله ورسوله أو صدقا في النصرة والثواب كما صدقا في البلاء وإظهار
الاسمين للتعظيم وما زادهم فيه ضمير لما رأوا أو الخطب أو البلاء إلا إيمانًا بالله ومواعيده
وتسليمًا لأوامره ومقاديره من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الثبات
مع الرسول والمقاتلة لأعداء الدين من صدقني إذا قال لك الصدق فإن المعاهد إذا وفى بعهده
فقد صدق فيه فمنهم من قضى نحبه نذره بأن قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير
وأنس بن النضر والنحب النذر استعير للموت لأنه كنذر لازم في رقبة كل حيوان و
ومنهم من ينتظر الشهادة كعثمان وطلحة وما بدلوا العهد وما غيروه تبديلا شيئًا
من التبديل روي أن طلحة ثبت مع رسول الله يوم أحد حتى أصيبت يده فقال عليه السلام
أوجب طلحة وفيه تعريض لأهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وقوله ليجزي الله
الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم تعليل للمنطوق
والمعرض به فكأن المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات
والوفاء العاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم والمراد به التوفيق للتوبة
إن الله كان غفورًا رحيمًا لمن تاب ورد الله الذين كفروا يعني الأحزاب بغيظهم
متغيظين لم ينالوا خيرًا غير ظافرين وهما حالان بتداخل أو تعاقب وكفى الله
المؤمنين القتال بالريح والملائكة وكان الله قويًا على إحداث ما يريده عزيزًا غالبًا
على كل شيء وأنزل الذين ظاهروهم ظاهروا الأحزاب من أهل الكتاب يعني قريظة
من صياصيهم من حصونهم جمع صيصية وهو ما يتحصن به وكذلك يقال لقرن الثور
والظبي وشوكة الديك وقذف في قلوبهم الرعب الخوف وقرئ بالضم فريقًا تقتلون
وتأسرون فريقًا وقرئ بالضم في السين روي أن جبرئيل عليه السلام أتى رسول الله
صبيحة الليلة التي انهزم فيها الأحزاب فقال أتنزع لأمتك والملائكة لم يضعوا
السلاح إن الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة وأنا عامد إليهم فأذن في الناس أن لا يصلوا

يصلوا العصر إلا ببني قريظة فحاصرهم إحدى وعشرين أو خمسًا وعشرين حتى
جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمي فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ
فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي فقال
حكمت بحكم الله فوق سبعة أرقعة فقتل منهم ستمائة أو أكثر وأسر سبعمائة وأو
أورثكم أرضهم وديارهم حصونهم وأموالهم نقودهم وأثاثهم روي أنه جعل
عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الأنصار فقال إنكم في منازلكم وقال عمر أما تخمس
كما خمست يوم بدر فقال لا إنما جعلت هذه لي طعمة وأرضًا لم تطؤوها كفارس
والروم وقيل خيبر وقيل كل أرض تفتح إلى يوم القيامة وكان الله على كل شيء قديرًا
فيقدر على ذلك يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحيوة الدنيا
السعة والتنعم فيها وزينتها وزخارفها فتعالين أمتعكن أعطكن المتعة وأسرحكن
سراحًا جميلًا طلاقًا من غير ضرار وبدعة روي أنهن سألنه ثياب الزينة وزيادة
النفقة فنزلت فبدأ بعائشة فخيرها فاختارت الله ورسوله ثم اختارت الباقيات
اختيارها فشكر لهن الله ذلك فأنزل لا يحل لك النساء من بعد وتعليق التسريح
بإرادتهن الدنيا وجعلها قسيمًا لإرادتهن الرسول يدل على أن المخيرة إذا اختارت
زوجها لم تطلق خلافًا لزيد والحسن وإحدى الروايتين عن علي ويؤيده قول
عائشة خيرنا رسول الله فاخترناه ولم يعده طلاقًا وتقديم التمتيع على التسريح
المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق وقيل لأن الفرقة كانت بإرادتهن كاختيار
المخيرة لنفسها فإنه طلقة رجعية عندنا وبائنة عند الحنفية واختلف في وجوبه
للمدخول بها وليس فيه ما يدل عليه وقرئ أمتعكن وأسرحكن بالرفع على الاستيناف
وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرًا
عظيمًا يستحقر دونه الدنيا وزينتها ومن للتبيين لأنهن كلهن كن محسنات
يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة بكبيرة مبينة ظاهر قبحها على قراءة ابن كثير
وأبي بكر والباقون بكسر الياء يضاعف لها العذاب ضعفين ضعفي عذاب غيرهن
أي مثليه لأن الذنب منهن أقبح فإن زيادة قبحه تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة
عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفي حد العبد وعوتب الأنبياء بما لا يعاتب به غيرهم
وقرأ البصريان يضعف وابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وبناء الفاعل ونصب
العذاب وكان ذلك على الله يسيرًا لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي وكيف وهو
سببه ومن يقنت منكن ومن يدم على الطاعة لله ورسوله ولعل ذكر الله للتعظيم
أو لقوله وتعمل صالحًا نؤتها أجرها مرتين مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضى
النبي بالقناعة وحسن المعاشرة وقرأ حمزة والكسائي ويعمل بالياء أيضًا حملًا على لفظ
من ونؤتها على أن فيه ضمير اسم الله وأعتدنا لها رزقًا كريمًا في الجنة زيادة على

اجرها يا نساء النبي لستن كاحد من النساء اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع في
النفي العام مستويا فيه المذكر والمونث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة من النساء
في الفضل ان اتقيتن مخالفة حكم الله ورضاء رسوله فلا تخضعن بالقول فلا تجبن بقولكن
خاضعا لينا مثل قول المريبات فيطمع الذي في قلبه مرض فجور وقرئ بالجزم عطفا على
محل النفي على انه نهي مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول وقلن
قولا معروفا حسنا بعيدا عن الريبة وقرن في بيوتكن من وقر يقر وقارا او من قر يقر
حذفت الاولى من راءي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف فاستغني به عن همزة
الوصل ويؤيده قراءة نافع وعاصم بالفتح من قررت اقر وهو لغة فيه ويحتمل ان يكون من قار
يقار اذا اجتمع ولا تبرجن ولا تبخترن في مشيتكن تبرج الجاهلية الاولى تبرجا مثل
تبرج النساء في ايام الجاهلية القديمة وقيل هي ما بين ادم ونوح وقيل الزمان الذي
ولد فيه ابراهيم كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض
نفسها على الرجال والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقيل الجاهلية الاولى
جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق في الاسلام ويعضده
قوله لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او اسلام قال عليه السلام جاهلية
كفر واقمن الصلوة واتين الزكوة واطعن الله ورسوله في سائر ما امركن به ونهاكن
عنه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن
ونهيهن على الاستيناف ولذلك عمم الحكم اهل البيت نصب على النداء او المدح
ويطهركم عن المعاصي تطهيرا واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير
عنها وتخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما رضي الله عنهم لما روي
انه عليه السلام خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة
فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما
يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم
حجة ضعيف لان التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الاية وما بعدها والحديث يقتضي
انهم اهل البيت لا انه ليس غيرهم واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة
من الكتاب الجامع بين الامرين وهو تذكير بما انعم عليهن من حيث جعلهن اهل بيت
النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الايمان والحرص
على الطاعة حثا على الانتهاء والائتمار فيما كلفن به ان الله كان لطيفا خبيرا يعلم
ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك خيركن ووعظكن او يعلم من يصلح للنبوة ومن
يصلح ان يكون من اهل بيته ان المسلمين والمسلمات الداخلين في السلم
المنقادين لحكم الله في القول والعمل والمؤمنين والمؤمنات المصدقين
بما يجب ان يصدق به والقانتين والقانتات المداومين على الطاعة و

والصادقين والصادقات في القول والعمل والصابرين والصابرات على الطاعات
وعن المعاصي والخاشعين والخاشعات المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم والمتصدقين
والمتصدقات بما وجب في مالهم والصائمين والصائمات الصوم المفروض والحافظين
فروجهم والحافظات عن الحرام والذاكرين الله كثيرا والذاكرات بقلوبهم والسنتهم
اعد الله لهم مغفرة لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات واجرا عظيما على طاعتهم
والاية وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال روي ان ازواج النبي
قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القران بخير فما فينا خير نذكر به فنزلت وقيل
لما نزل فيهن ما نزل قال نساء المؤمنين فما نزل فينا شيء فنزلت وعطف الاناث
على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري وعطف الزوجين لتغاير الوصفين فليس
بضروري ولذلك ترك في قوله مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على ان اعداد
المعد لهم للجمع بين هذه الصفات وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ما صح له اذا قضى الله
ورسوله امرا اي اذا قضى رسول الله وذكر الله لتعظيم امره والاشعار بان قضاءه
قضاء الله لانه نزلت في زينب بنت جحش بنت عمته رسول الله اميمة بنت
عبد المطلب خطبها رسول الله لزيد بن حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل
في ام كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبي فزوجها من زيد ان يكون لهم الخيرة
من امرهم ان يختاروا من امرهم شيئا بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار
الله ورسوله والخيرة ما يتخير وجمع الضمير الاول لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث انهما في
سياق النفي وجمع الثاني للتعظيم وقرأ الكوفيون وهشام يكون بالياء ومن يعص الله
ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا بين الانحراف عن الصواب واذ تقول للذي انعم
الله عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه وانعمت عليه بما وفقك
الله تعالى فيه وهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك زينب وذلك انه
عليه السلام ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب
وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد ففطن ذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى
النبي وقال اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شيء قال لا والله ما رايت
منها خيرا ولكنها لشرفها تتعظم علي فقال له امسك عليك زوجك واتق الله في امرها
فلا تطلقها ضرارا وتعللا بتكبرها وتخفي في نفسك ما الله مبديه وهو نكاحها ان طلقها
او ارادة طلاقها وتخشى الناس تعييرهم اياك به والله احق ان تخشاه ان كان فيه
ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده فانه حسن بل على الاخفاء مخافة
قالة الناس واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى في امثال ذلك ان يصمت
او يفوض الامر الى ربه فلما قضى زيد منها وطرا حاجة بحيث ملها ولم يبق له فيها
حاجة وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة

لي فيك وقرئ زوجتكها والمعنى انه امر بتزوجها منه او جعلها زوجته بلا واسطة
عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء النبي ان الله تولى انكاحي وانتن
زوجكن اولياؤكن وقيل كان السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين
على قوة ايمانه لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا
منهن وطرا علة للتزويج وهو دليل على ان حكمه وحكم الامة واحد الا ما خصه الدليل
وكان امر الله امره الذي يريده مفعولا مكونا لا محالة كما كان تزويج زينب
ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان
ومنه فروض العسكر لارزاقهم سنة الله سن ذلك سنة في الذين خلوا
من قبل من الانبياء وهو نفي الحرج عنهم فيما اباح لهم وكان امر الله قدرا مقدورا
قضاء مقضيا وحكما مبتوتا الذين يبلغون رسالات الله صفة للذين خلوا
او مدح لهم منصوب او مرفوع وقرئ رسالة الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله
تعريض بعد تصريح وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا فينبغي ان لا يخشى الا منه
ما كان محمد ابا احد من رجالكم على الحقيقة فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد والولد من
حرمة المصاهرة وغيرها فلا ينتقض عمومه بكونه ابا للطاهر والقاسم وابراهيم
لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم ولكن رسول الله
وكل رسول ابو امته لا مطلقا بل من حيث انه شفيق ناصح لهم واجب التوقير
والطاعة عليهم وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة وقرئ رسول الله بالرفع على انه
خبر محذوف ولكن بالتشديد على حذف الخبر اي ولكن رسول الله من عرفتم انه لم يعش له
ولد ذكر وخاتم النبيين واخرهم الذي ختمهم او ختموا به على قراءة عاصم بالفتح ولو
كان له ابن بالغ لاق منصبه ان يكون نبيا كما قال عليه السلام في ابراهيم حين توفي
لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لانه اذا نزل كان على دينه
مع ان المراد انه اخر من نبئ وكان الله بكل شيء عليما فيعلم من يليق بان يختم به
النبوة وكيف ينبغي شانه يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا يغلب
الاوقات ويعم الانواع ما هو اهله من التقديس والتحميد والتهليل والتمجيد وسبحوه بكرة
واصيلا اول النهار واخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر
الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من جملة الاذكار لانه العمدة فيها وقيل الفعلان
موجهان اليهما وقيل المراد بالتسبيح الصلوة هو الذي يصلي عليكم بالرحمة وملائكته
بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلوة المشترك وهو العناية
بصلاح امركم وظهور شرفكم مستعار من الصلوة وقيل الترحم والانعطاف المعنوي
ماخوذ من الصلوة المدخول بهن يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي
اتيت اجورهن مهورهن لان المهر اجر على البضع وتقييد الاحلال له

له باعطائها معجلة لا لتوقف الحل عليه بل لايثار الافضل له كتقييد احلال المملوكة
بكونها مسبية بقوله وما ملكت يمينك مما افاء الله فان المشتراة لا يتحقق بدء
امرها وما جرى عليها وتقييد القرائب بكونها مهاجرات معه في قوله وبنات
عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن
معك ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه خاصة ويعضده قول ام هاني بنت ابي
طالب خطبني رسول الله فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الاية فلم
احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي
نصب بفعل يفسره ما قبله او عطف على ما سبق ولا يدفعه التقييد بان التي للاستقبال فان
المعنى بالاحلال الاعلام بالحل اي اعلمناك حل امراة مؤمنة تهب لك نفسها
ولا تطلب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك والقائل به
ذكر اربعا ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة وام شريك بنت جابر
وخولة بنت حكيم وقرئ ان بالفتح اي لان وهبت كقولك اجلس ما دام زيد جالسا
ان اراد النبي ان يستنكحها شرط للشرط الاول في استيجاب الحل فان هبتها نفسها
منه لا يوجب له حلها الا بارادته نكاحها فانها جارية مجرى القبول والعدول عن
الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي مكررا ثم الرجوع اليه في قوله خالصة لك من دون المؤمنين
ايذان بانه مما خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاقه الكرامة لاجله واحتج به اصحابنا
على ان النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة لان اللفظ تابع للمعنى وقد خص عليه السلام بالمعنى
فيخص باللفظ والاستنكاح طلب النكاح والرغبة فيه وخالصة مؤكدة اي خلص احلالها
او احلال ما احللنا لك على القيود المذكورة خلوصا لك وحال من الضمير في وهبت
او صفة لمصدر محذوف اي هبة خالصة قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم
من شرائط العقد ووجوب القسم والمهر بالوطي حيث لم يسم وما ملكت ايمانهم
من توسيع الامر فيها انه كيف ينبغي ان نفرض عليهم والجملة اعتراض بين قوله
لكيلا يكون عليك حرج ومتعلقه وهو خالصة للدلالة على ان الفرق بينه وبين
المؤمنين في نحو ذلك لا لمجرد قصد التوسيع عليه بل لمعان تقتضي التوسيع عليه
والتضييق عليهم تارة وبالعكس اخرى وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما
بالتوسعة في مظان الحرج ترجي من تشاء منهن تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوي
اليك من تشاء وتضم اليك وتضاجعها او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء
وقرا حمزة والكسائي وحفص ترجي بالياء والمعنى واحد ومن ابتغيت طلبت ممن
عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح عليك في شيء من ذلك ذلك ادنى ان تقر
اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن ذلك التفويض الى مشيئتك اقرب
الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه سواء ثم ان

ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله
وتطمئن نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء واعينهن بالنصب وتقر على البناء للمفعول
وكلهن تاكيد نون يرضين وقرئ بالنصب تاكيدا لهن والله يعلم ما في قلوبكم فاجتهدوا
في احسنه وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان
يتقى لا يحل لك النساء لان تانيث الجمع غير حقيقي وقرا البصريان بالتاء من بعد من بعد
التسع وهو في حقه كالاربع في حقنا او من بعد اليوم حتى لو ماتت واحدة لم يحل له
نكاح اخرى ولا ان تبدل بهن من ازواج فتطلق واحدة وتنكح مكانها اخرى ومن
مزيدة لتاكيد الاستغراق ولو اعجبك حسنهن حسن الازواج المستبدلة وهو
حال من فاعل تبدل دون مفعوله وهو من ازواج لتوغله في التنكير وتقديره مفروضا
اعجابك بهن واختلف في ان الاية محكمة او منسوخة بقوله ترجي من تشاء منهن
وتؤوي اليك من تشاء على المعنى الثاني فانه وان تقدمها قراءة وهو مسبوق
بها نزولا وقيل المعنى لا يحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتي نص على
احلالهن لك ولا ان تبدل بهن ازواجا من اجناس اخر الا ما ملكت يمينك
استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع وكان الله على كل شيء
رقيبا فتحفظوا امركم ولا تتخطوا ما حد لكم يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت
النبي الا ان يؤذن لكم الا وقت ان يؤذن لكم او الا ماذونا لكم الى طعام متعلق
بيؤذن لانه متضمن معنى يدعى للاشعار بانه لا يحسن الدخول على الطعام من غير دعوة
وان اذن كما اشعر به قوله غير ناظرين اناه غير منتظرين وقته او ادراكه حال من فاعل
لا تدخلوا او المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هي له بلا
ابراز الضمير وهو غير جائز عند البصريين وقد امال حمزة والكسائي اناه لانه مصدر اني
الطعام اذا ادرك ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا تفرقوا
ولا تمكثوا والاية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله فيدخلون ويقعدون
منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته بالاذن لغير
الطعام ولا اللبث بعد الطعام لمهم ولا مستانسين لحديث لحديث بعضكم بعضا
او لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين او مقدر بفعل اي ولا تدخلوا او
لا تمكثوا مستانسين ان ذلكم اللبث كان يؤذي النبي لتضييق المنزل عليه وعلى
اهله واشتغاله فيما لا يعنيه فيستحيي منكم من اخراجكم لقوله والله لا يستحيي من الحق يعني
ان اخراجكم حق فينبغي ان لا يترك حياء كما لم يتركه الله ترك الحيي فامركم بالخروج
وقرئ لا يستحي بحذف الياء الاولى والقاء حركتها على الحاء واذا سالتموهن متاعا شيئا
ينتفع به فاسالوهن المتاع من وراء حجاب ستر روي ان عمر رضي الله عنه قال
يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المومنين بالحجاب فنزلت

فنزلت وقيل انه عليه السلام كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل يد عائشة
فكره النبي ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر الشيطانية وما كان لكم وما صح لكم
ان تؤذوا رسول الله ان تفعلوا ما يكرهه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا من
بعد وفاته او فراقه وخص التي لم يدخل بها لما روي ان اشعث بن قيس تزوج
في ايام عمر فهم برجمها فاخبر بانه عليه السلام فارقها قبل ان يمسها فترك من غير
نكير ان ذلكم يعني ايذاءه ونكاح نسائه كان عند الله عظيما ذنبا عظيما وفيه تعظيم
من الله لرسوله وايجاب لحرمته حيا وميتا ولذلك بالغ في الوعيد عليه فقال
ان تبدوا شيئا كنكاحهن على السنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله كان بكل شيء
عليما فيعلم ذلك فيجازيكم وفي التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة
في الوعيد لا جناح عليهن في ابائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن
استثناء لمن لا يجب الاحتجاب عنهم لما روي انه لما نزلت اية الحجاب قال الاباء
والابناء والاقارب يا رسول او نكلمهن من وراء حجاب فنزلت وانما لم يذكر العم
والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم ابا في قوله واله ابائك ابراهيم
واسماعيل واسحاق او لانه كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة ان يصفا لابنائهما ولا نسائهن
يعني نساء المومنات ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة
وقد مر في سورة النور واتقين الله فيما امرتن به ان الله كان على كل شيء شهيدا
لا يخفى عليه خافية ان الله وملائكته يصلون على النبي يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شانه
يا ايها الذين امنوا صلوا عليه اعتنوا انتم ايضا فانكم اولى بذلك وقولوا اللهم
صل على محمد وسلموا تسليما وقولوا السلام عليك ايها النبي وقيل وانقادوا لاوامره
والاية تدل على وجوب الصلوة والسلام عليه في الجملة وقيل تجب الصلوة كلما جرى ذكره
لقوله عم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله من ذكرت عنده فلم يصل علي
فدخل النار فابعده الله ويجوز الصلوة على غيره تبعا ويكره استقلالا لانه في العرف
صار شعارا لذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا
ان الذين يؤذون الله ورسوله يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي او يؤذون
رسول الله بكسر رباعيته وقولهم شاعر مجنون ونحو ذلك وذكر الله للتعظيم له ومن
جوز اطلاق اللفظ الواحد على معنيين باعتبار المعمولين لعنهم الله ابعدهم من رحمته
في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا يهينهم مع الايلام والذين يؤذون
المومنين والمومنات بغير ما اكتسبوا بغير جناية استحقوا بها فقد احتملوا بهتانا
واثما مبينا ظاهرا قيل انها نزلت في المنافقين يؤذون عليا رضي الله عنه وقيل
في اهل الافك وقيل في زناة يتبعون النساء وهن كارهات يا ايها النبي
قل لازواجك وبناتك ونساء المومنين يدنين عليهن من جلابيبهن

يغطين وجوههن وابدانهن بملاحفهن اذا برزن لحاجتهن ومن للتبعيض
فان المراة ترخي بعض جلبابها وتتلفع ببعض ذلك ادنى ان يعرفن يميزن
من الاماء والقينات فلا يؤذين فلا يؤذيهن اهل الريبة بالتعرض لهن وكان الله
غفورا لما سلف رحيما بعباده حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيات منها
لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم والذين في قلوبهم مرض ضعف ايمان
وقلة ثبات عليه او فجور عن تزلزلهم في الدين او فجورهم والمرجفون في المدينة
يرجفون اخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها من ارجافهم واصله التحريك من
الرجفة وهي الزلزلة سمي به الاخبار الكاذب لكونه متزلزلا غير ثابت لنغرينك
بهم لنامرنك بقتالهم واجلائهم او ما يضطرهم الى طلب الجلاء ثم لا يجاورونك
عطف على لنغرينك وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة جوار رسول الله
اعظم ما يصيبهم فيها في المدينة الا قليلا زمانا او جوارا قليلا ملعونين
نصب على الشتم او الحال والاستثناء شامل له ايضا اي لا يجاورونك
الا ملعونين ولا يجوز ان ينتصب عن قوله اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا
لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها سنة الله في الذين خلوا من قبل مصدر مؤكد
اي سن الله ذلك في الامم الماضية وهو ان يقتل الذين نافقوا الانبياء وسعوا في
وهنهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا لانه لا يبدلها
او لا يقدر احد ان يبدلها يسئلك الناس عن الساعة عن وقت قيامها استهزاء
وتعنتا او امتحانا قل انما علمها عند الله لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا وما يدريك
لعل الساعة تكون قريبا او تكون الساعة عن قريب وانتصابه على الظرف ويجوز
ان يكون التذكير لان الساعة في معنى اليوم وفيه تهديد للمستعجلين واسكات للمتعنتين
ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا نارا شديدة الاتقاد خالدين فيها ابدا
لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا يدفع العذاب عنهم يوم تقلب وجوههم في النار
تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى بالنار او من حال الى حال وقرئ تقلب بمعنى تتقلب
وتقلب متعلق الظرف يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فلن
نبتلى بهذا العذاب وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم
الذين لقنوهم الكفر وقرا ابن عامر ويعقوب ساداتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة
فاضلونا السبيلا بما زينوا لنا ربنا اتهم ضعفين من العذاب مثلي ما اتيتنا
منه لانهم ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كبيرا كثير العدد وقرا عاصم بالباء اي لعنا هو
اشد اللعن واعظمه يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبراه الله
مما قالوا فاظهر براءته من مقولهم يعني مؤداه ومضمونه وذلك ان قارون حرض
امراة على قذفه بنفسها فعصمه الله كما مر في القصص او اتهمه ناس بقتل هارون لما

خرج معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به حتى راوه غير مقتول
وقيل احياه الله فاخبرهم ببراءته او قذفوه بعيبه في بدنه من برص او ادرة لفرط تستره
حياء فاطلعهم الله على انه بريء منه وكان عند الله وجيها ذا قربة ووجاهة وقرئ
وكان عبد الله وجيها يا ايها الذين امنوا اتقوا الله في ارتكاب ما يكرهه فضلا
عما يؤذي رسول الله وقولوا قولا سديدا قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا
والمراد النهي عن ضده كحديث زينب من غير قصد يصلح لكم اعمالكم يوفقكم للاعمال
الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم
في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله في الاوامر والنواهي فقد فاز فوزا عظيما
يعش في الدنيا حميدا وفي الاخرة سعيدا انا عرضنا الامانة على السموات والارض
والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان تقرير للوعد السابق
بتعظيم الطاعة امانة من حيث انها واجبة الاداء والمعنى انها لعظمة شانها بحيث لو
عرضت على هذه الاجرام العظام وكانت ذات شعور وادراك لابين ان يحملنها
واشفقن منها وحملها الانسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لا جرم فان الراعي
لها والقائم بحقوقها بخير الدارين انه كان ظلوما حيث لم يف بها ولم يراع حقها
جهولا بكنه عاقبتها وهذا وصف للجنس باعتبار الاغلب وقيل المراد بالامانة
الطاعة التي تعم الطبيعية والاختيارية وبعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل
من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن ادائها ومنه
قولهم حامل الامانة ومحتملها لمن لا يؤديها فتبرا ذمته فيكون الاباء عنها اتيانا
بما يمكن ان يتاتى منه والظلم والجهالة للخيانة والتقصير وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام
خلق فيها فهما وقال لها اني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني فيها ونارا
لمن عصاني فقلن نحن مسخرات على ما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبتغي ثوابا ولا عقابا
ولما خلق ادم عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا
بوخامة عاقبته ولعل المراد بالامانة العقل والتكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة
الى استعدادهن وبابائهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل
الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية
والشهوية وعلى هذا يحسن ان يكون علة للحمل عليه فان من فوائد العقل ان يكون مهيمنا على
القوتين حافظا لهما عن التعدي ومجاوزة الحد ومعظم مقصود التكليف تعديلهما
وكسر سورتهما ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب
الله على المؤمنين والمؤمنات تعليل للحمل من حيث انه نتيجة كالتاديب للضرب في
ضربته تاديبا وذكر التوبة في الوعد اشعار بان كونهم ظلوما جهولا في جبلتهم لا يخليهم
عن فرطات وكان الله غفورا رحيما حيث تاب على فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعتهم

قال عليه السلام من قرا سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطى الامان من عذاب القبر
سورة سبا مكية وقيل الا وقال الذين اوتوا العلم الاية وايها خمس واربعون
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض خلقا ونعمة فله الحمد
في الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته وله الحمد في الاخرة لان ما في الاخرة ايضا كذلك
وليس هذا من عطف المقيد على المطلق فان الوصف بما يدل على انه المنعم بالنعم الدنيوية
قيد الحمد بها وتقديم الصلة للاختصاص فان النعم الدنيوية قد تكون بواسطة
من يستحق له الحمد لاجلها ولا كذلك نعم الاخرة وهو الحكيم الذي احكم امور الدارين الخبير
ببواطن الاشياء يعلم ما يلج في الارض كالغيث ينفذ في موضع وينبع في اخر وكالكنوز
والدفاين والاموات وما يخرج منها كالحيوان والنبات والفلزات وماء العيون
وما ينزل من السماء كالملائكة والكتب والمقادير والارزاق والانداء والصواعق
وما يعرج فيها كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة وهو الرحيم الغفور للمفرطين
في شكر نعمته مع كثرتها او في الاخرة مع ما له من سوابق هذه النعم الفائتة للحصر وقال
الذين كفروا لا تاتينا الساعة انكار لمجيئها او استبطاء استهزاء بالوعد به قل بلى
رد لكلامهم واثبات لما نفوه وربي لتاتينكم عالم الغيب تكرير لايجابه مؤكدا بالقسم
مقرر الوصف المقسم به بصفات تقرر امكانه وتنفي استبعاده على ما مر غير مرة
وقرا حمزة والكسائي علام الغيوب للمبالغة ونافع وابن عامر ورويس عالم
الغيب بالرفع على انه خبر محذوف او مبتدا خبره لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات
ولا في الارض وقرا الكسائي لا يعزب بالكسر ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في
كتاب مبين جملة مؤكدة لنفي العزوب ورفعهما بالابتداء ويؤيده القراءة بالفتح
على نفي الجنس ولا يجوز عطف المرفوع على مثقال والمفتوح على ذرة بانه فتح في
موضع الجر لامتناع الصرف لان الاستثناء يمنعه اللهم الا اذا جعل الضمير في عنه للغيب
وجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لظهوره على المطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل
عن الغيب شيء الا مسطورا في اللوح ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات علة لقوله
لتاتينكم وبيان لما يقتضي اتيانها اولئك لهم مغفرة ورزق كريم لا تعب فيه ولا من
عليه والذين سعوا في اياتنا بالابطال وتزهيد الناس فيها معاجزين مسابقين
كي يفوتونا وقرا ابن كثير وابو عمرو معجزين اي مثبطين عن الايمان من اراده
اولئك لهم عذاب من رجز من سيء العذاب اليم مولم ورفعه ابن كثير ويعقوب
وحفص ويرى الذين اوتوا العلم ويعلم اولوا العلم من الصحابة ومن شايعهم من الامة
او مسلمي اهل الكتاب الذي انزل اليك من ربك القران هو الحق ومن رفع الحق
جعل هو مبتدا والحق خبره والجملة ثاني مفعولي يرى وهو مرفوع مستانف
للاستشهاد باولي العلم على الجهلة الساعين في الايات وقيل منصوب معطوف على

على ليجزي اي وليعلم اولوا العلم عند مجيء الساعة انه الحق عيانا كما علموه الان برهانا
ويهدي الى صراط العزيز الحميد الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقال الذين
كفروا يعني منكري البعث قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا عليه السلام
ينبئكم يحدثكم باعجب الاعاجيب اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد انكم تنشاون
خلقا جديدا بعد ان تمزق اجسادكم كل تمزيق وتفريق بحيث تصيرون ترابا وتقديم
الظرف للدلالة على البعد والمبالغة فيه وعامله محذوف دل عليه ما بعده فان
ما قبله لم يقاربه وما بعده مضاف اليه او محجوب بينه وبينه بان وممزق يحتمل
ان يكون مكانا بمعنى اذا مزقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب وطرحتكم كل
مطرح جديد بمعنى فاعل من جد فهو جديد كحد فهو حديد وقيل بمعنى مفعول من جد النساج
الثوب اذا قطعه افترى على الله كذبا ام به جنة جنون يوهمه ذلك ويلقيه
على لسانه واستدل بجعلهم اياه قسيم الافتراء غير معتقدين صدقه على ان بين
الصدق والكذب واسطة وهو كل خبر لا يكون عن بصيرة بالمخبر عنه وضعفه بين
لان الافتراء اخص من الكذب بل الذين لا يؤمنون بالاخرة في العذاب والضلال
البعيد رد من الله عليهم ترديدهم واثبات لهم ما هو افظع من القسمين وهو الضلال
البعيد عن الصواب بحيث لا يرجى الخلاص منه وما هو مؤداه من العذاب وجعله
رسيلا له في الوقوع ومقدما عليه في اللفظ للمبالغة في استحقاقهم له والبعد في الاصل
صفة الضال ووصف الضلال به على الاسناد المجازي افلم يروا الى ما بين
ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط
عليهم كسفا من السماء تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرة الله وما يحتمل فيه
ازاحة لاستحالتهم الاحياء حتى جعلوه افتراء وهزوا وتهديدا عليها والمعنى
اعموا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا اهم اشد
خلقا ام هي وانا ان نشا نخسف بهم او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالايات
بعد ظهور البينات وقرا حمزة والكسائي يشا ويخسف ويسقط بالياء لقوله
افترى على الله وحفص كسفا بالتحريك ان في ذلك النظر والفكر فيهما وما يدلان
عليه لاية لدلالة لكل عبد منيب راجع الى ربه فانه كثير التامل في امره ولقد
اتينا داود منا فضلا اي على سائر الانبياء وهو ما ذكر بعد او على سائر الناس
فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن يا جبال اوبي معه رجعي معه
التسبيح او النوحة على الذنب وذلك اما بخلق صوت مثل صوته فيها او بحملها اياه
على التسبيح اذا تامل فيها او سيري معه حيث سار وقرئ اوبي من الاوب اي ارجعي
في التسبيح كلما رجع فيه وهو بدل من فضلا او من اتينا باضمار قولنا او قلنا والطير عطف
على محل الجبال ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة

بحركة الاعراب او على فضلا او مفعول معه لاوبي وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بالعطف
على ضميره وكان الاصل ولقد اتينا داود منا فضلا تاويب الجبال والطير فبدل بهذا
النظم لما فيه من الفخامة والدلالة على عظمة شانه وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال
والطيور كالعقلاء المنقادين لامره في نفاذ مشيته فيها والنا له الحديد وجعلناه
في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير احماء وطرق باله او بقوته ان اعمل امرناه
ان اعمل وان مفسرة او مصدرية سابغات دروعا واسعات وقرئ صابغات
وهو اول من اتخذها وقدر في السرد وقدر في نسجها بحيث يتناسب حلقها او قدر
مساميرها فلا تجعلها دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتخرق ورد بان دروعه لم تكن مسمرة
ويؤيده قوله والنا له الحديد واعملوا صالحا الضمير فيه لداود واهله اني بما تعملون
بصير فاجازيكم عليه ولسليمان الريح اي وسخرنا له الريح وقرا ابو بكر الريح والرياح
بالرفع اي ولسليمان الريح مسخرة غدوها شهر ورواحها شهر جريها بالغداة مسيرة
شهر وبالعشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها واسلنا له عين القطر النحاس المذاب
اساله من معدنه فنبع منه نبوع الما من الينبوع ولذلك سماه عينا وكان ذلك باليمن
ومن الجن من يعمل بين يديه عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة او جملة من مبتدا
وخبر باذن ربه بامره ومن يزغ منهم ومن يعدل منهم عن امرنا عما امرناه من طاعة
سليمان وقرئ يزغ من ازاغه نذقه من عذاب السعير عذاب الاخرة يعملون له ما
يشاء من محاريب قصورا حصينة ومساكن شريفة سميت بها لانها يذب عنها و
يحارب عليها وتماثيل وصورا وتماثيل للملائكة والانبياء على ما اعتادوا من العبادات
ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم وحرمة التصاوير شرع مجدد وروي انهم عملوا له اسدين
في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا
قعد اظله النسران باجنحتهما وجفان وصحاف كالجواب كالحياض الكبار جمع جابية
من الجباية وهي من الصفات الغالبة كالدابة وقدور راسيات ثابتات على الاثافي
لا تنزل عنها لعظمها اعملوا ال داود شكرا حكاية عما قيل لهم وشكرا نصب على العلة
اي اعملوا له واعبدوه شكرا او المصدر لان العمل له شكر او الوصف له او الحال او المفعول
به وقليل من عبادي الشكور المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته
ومع ذلك لا يوفي حقه لان شكر نعمة يستدعي شكرا اخر لا الى نهاية قيل الشكور من يرى عجزه
عن الشكر فلما قضينا عليه الموت اي على سليمان ما دلهم على موته ما دل الجن وقيل آله
الا دابة الارض اي الارضة اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الرا وهو تاثر الخشبة من فعلها
يقال ارضت الارضة الخشبة ارضا فارضت ارضا مثل اكلت القوادح الاسنان
اكلا فاكلت اكلا تاكل منساته عصاه من نسات البعير اذا طردته لانه يطرد بها
وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا على غير قياس اذ القياس اخراجها

اخراجها بين بين ومناته على مفعالة كميضاة في ميضاة ومن سأته اي طرف
عصاه مشتقا من سأت القوس وفيه لغتان كما في قحة وقحة وقرا نافع وابو عمرو
منساته بالف ساكنة بدلا من الهمزة وابن ذكوان بهمزة ساكنة وحمزة اذا وقف
جعلها بين بين فلما خر تبينت الجن علمت الجن بعد التباس الامر عليهم ان لو كانوا
يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون
لعلموا موته حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره الى ان خر او ظهرت الجن وان بما في خبره
بدل منه اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب وذلك ان
داود اسس بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات عليه السلام
قبل تمامه فوصى به الى سليمان فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد اذ دنا اجله واعلم به فاراد
ان يعمي عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي
متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ فبقي كذلك حتى اكلتها الارضة فخر ثم
فتحوا عنه وارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت
يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره ثلثا
وخمسين سنة وابتدا عمارة بيت المقدس لاربع مضين من ملكه لقد كان
لسبا لاولاد سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنع الصرف عنه ابن
كثير وابو عمرو لانه صار اسم القبيلة وعن ابن كثير قلب همزته الفا ولعله اخرجه
بين بين فلم يؤده الراوي كما وجب في مسكنهم في مواضع سكناهم وهي باليمن
يقال لها مارب بينها وبين صنعا مسيرة ثلث وقرا حمزة وحفص بالافراد
والفتح والكسائي بالكسر حملا على ما شذ من القياس كالمسجد والمطلع اية علامة
دالة على وجود الصانع المختار وانه قادر على ما يشاء من الامور العجيبة مجازي المحسن
والمسيء معاضدة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان جنتان بدل من
اية او خبر محذوف تقديره الاية جنتان وقرئ بالنصب على المدح فالمراد جماعتان
من البساتين عن يمين وشمال جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة
منهما في تقاربها وتضامها كانها جنة واحدة او بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه
وعن شماله كلوا من رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قال لهم نبيهم او لسان
الحال او دلالة بانهم كانوا احقاء بان يقال لهم ذلك بلدة طيبة ورب غفور
استيناف للدلالة على موجب الشكر اي هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم
الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور فرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على
المدح وقيل كانت اخصب البلاد واطيبها لم يكن فيها عاهة ولا هامة فاعرضوا
عن الشكر فارسلنا عليهم سيل العرم سيل الامر العرم اي الصعب من عرم الرجل فهو
عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد او الجرذ اضاف اليه السيل

لانه نقب عليهم سكرا ضربت لهم بلقيس فحقنت به ماء الشجر وتركت فيه ثقبا على
مقدار ما يحتاجون اليه او المسناة التي عقدت سكرا على انه جمع عرمة وهي الحجارة المركومة
وقيل اسم واد جاء السيل من قبله وكان ذلك بين عيسى ومحمد عليهما السلام
وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط مر بشع فان الخمط كل نبت اخذ طعما
من مرارة وقيل الاراك او كل شجر لا شوك له والتقدير اكل اكل خمط فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في كونه بدلا او عطف بيان واثل وشيء من سدر قليل
معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء ولا ثمر له وقرئتا بالنصب عطفا
على جنتين ووصف السدر بالقلة فان جناه وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك
يغرس في البساتين وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم وقرا ابو عمرو ذواتي
اكل بغير تنوين اللام وقرا الحرميان بتخفيف اكل ذلك جزيناهم بما كفروا بكفرانهم
النعمة او بكفرهم بالرسل اذ روي انه بعث اليهم ثلثة عشر نبيا فكذبوهم وتقديم
المفعول للتعظيم لا للتخصيص وهل نجازي الا الكفور وهل يجازى بمثل ما فعلنا بهم الا
البليغ في الكفر وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وحفص نجازي بالنون والكفور
بالنصب وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها بالتوسعة على اهلها وهي قرى
الشام قرى ظاهرة متواصلة يظهر بعضها لبعض او راكبة متن الطريق ظاهرة
لابناء السبيل وقدرنا فيها السير بحيث يقيل الغادي في قرية ويبيت الرايح
في قرية الى ان يبلغ الشام سيروا فيها على ارادة القول بلسان المقال او الحال ليالي
واياما متى شئتم من ليل ونهار امنين لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات
او سيروا امنين وان طالت مدة سفركم او سيروا فيها ليالي اعماركم واياما لا تلقون
فيها الا الامن فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا اشروا النعمة وملوا العافية
كبني اسرائيل فسالوا الله ان يجعل بينهم وبين الشام مفاوز ليتطاولوا فيها على الفقراء
بركوب الرواحل وتزود الازواد فاجابهم الله تعالى بتخريب القرى المتوسطة
وقرا ابن كثير وابو عمرو وهشام بعد ويعقوب ربنا باعد بلفظ الخبر على انه شكوى
منهم لبعد سفرهم افراطا في الترفه وعدم الاعتداد بما انعم الله عليهم فيه ومثله قراءة
من قرا ربنا بعد او بعد على النداء واسناد الفعل الى بين وظلموا انفسهم حيث بطروا
النعمة او لم يعتدوا بها فجعلناهم احاديث يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب مثل
فيقولون تفرقوا ايدي سبا ومزقناهم كل ممزق وفرقناهم غاية التفريق حتى لحق
غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان ان في ذلك فيما ذكر
لايات لكل صبار عن المعاصي شكور على النعم ولقد صدق عليهم ابليس ظنه اي صدق
في ظنه او صدق يظن ظنه مثل فعلته جهدك ويجوز ان يعدى الفعل اليه بنفسه كما صدق
وعده لانه نوع من القول وشدده الكوفيون بمعنى حقق ظنه او وجده صادقا وقرئ بنصب

ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا والتخفيف بمعنى قال
ظنه الصدق حين خيله اغواهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبا
حين راى انهماكهم في الشهوات او بني ادم حين راى اباهم النبي ضعيف العزم او
ما ركب فيهم من الشهوة والغضب او سمع من الملائكة اتجعل فيها الاية فقال لاضلنهم
ولاغوينهم فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه وتقليلهم
بالاضافة الى الكفار والا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون
وما كان له عليهم من سلطان تسلط واستيلاء بوسوسة واستغواء الا لنعلم من
يؤمن بالاخرة ممن هو منها في شك الا ليتعلق علمنا بذلك تعلقا يترتب عليه الجزاء
او ليتميز المؤمن من الشاك وليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من
حصول العلم متعلقه مبالغة وفي نظم الصلتين نكتة وربك على كل شيء حفيظ والزنتان
متاخيتان قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم اي زعمتموهم الهة وهما مفعولا زعم
حذف الاول لطول الموصول بصلته والثاني لقيام صفته وهي من دون الله مقامه
ولا يجوز ان يكون هو مفعوله الثاني لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما ولا لا يملكون لانهم لا يزعمونه
والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم
اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون بانفسهم
واختيارهم مثقال ذرة من خير او شر في السموات ولا في الارض في امر ما وذكرهما
للعموم العرفي او لان الهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية
كالاصنام او لان الاسباب القريبة للشر والخير سماوية وارضية والجملة استيناف
لبيان حالهم وما لهم فيهما من شرك لا خلقا ولا ملكا وما له منهم من ظهير يعينه على تدبير
امرهما ولا تنفع الشفاعة عنده ولا تنفعهم شفاعتهم ايضا كما يزعمون اذ لا تنفع الشفاعة
عند الله الا لمن اذن له اذن له ان يشفع له لعلو شانه ولم يثبت ذلك واللام
على الاول كاللام في قولك الكرم لزيد وعلى الثاني كاللام في جئتك لزيد وقرا ابو عمرو
وحمزة والكسائي بضم الهمزة حتى اذا فزع عن قلوبهم غاية لمفهوم الكلام من ان ثم
توقفا وانتظارا للاذن اي يتربصون فزعين حتى اذا كشف الفزع عن قلوب
الشافعين والمشفوع لهم بالاذن وقيل الضمير للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا وقرا
ابن عامر ويعقوب فزع على البناء للفاعل وقرئ فرغ اي نفى الوجل من فرغ الزاد
اذا فني قالوا قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم في الشفاعة قالوا الحق قالوا
قال القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون وقرئ بالرفع
اي مقوله الحق وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك
اليوم الا باذنه قل من يرزقكم من السموات والارض يريد به تقرير قوله لا يملكون
قل الله اذ لا جواب سواه وفيه اشعار بانهم ان سكتوا او تلعثموا في الجواب مخافة

الالزام فهم مقرون به بقلوبهم وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين اى وان
احد الفريقين من الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة والمشركين به
الجماد النازل فى ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين من الهدى والضلال الواضح
بعد ما تقدم من التقرير البليغ الدال على من هو على الهدى ومن هو فى الضلال ابلغ من
التصريح لانه فى صورة الانصاف المسكت للخصم المشاغب ونظيره قول حسان اتهجوه
ولست له بكفو فشركما لخيركما الفداء وقيل انه على اللف وفيه نظر واختلاف الحرفين
لان الهادى كمن صعد منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها او ركب جوادا يركضه
حيث يشاء والضال كانه منغمس فى ظلام مرتبك لا يرى شيئا او محبوس فى مطمورة
لا يستطيع ان يتفصى منها قل لا تسئلون عما اجرمنا ولا نسئل عما تعملون هذا ادخل
فى الانصاف وابلغ فى الاخبات حيث اسند الاجرام الى انفسهم والعمل الى المخاطبين
قل يجمع بيننا ربنا يوم القيمة ثم يفتح بيننا بالحق يحكم ويفصل بان يدخل المحقين
الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح الحاكم الفيصل فى القضايا المنغلقة العليم
بما ينبغى ان يقضى به قل اروني الذين الحقتم به شركاء لارى باى صفة الحقتموهم
بالله فى استحقاق العبادة وهو استفسار عن شبهتهم بعد الزام الحجة عليهم زيادة
فى تبكيتهم كلا ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم
الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة وهؤلاء الملحقون متسمون بالذلة
متابية عن قبول العلم والقدرة رأسا والضمير لله او للشان وما ارسلناك الا
كافة للناس الا ارسالة عامة لهم من الكف فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج
منها احد منهم او الا جامعا لهم فى الابلاغ فهى حال من الكاف والتاء للمبالغة
ولا يجوز جعلها حالا من الناس على المختار بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون
فيحملهم جهلهم على مخالفتك ويقولون من فرط جهلهم متى هذا الوعد يعنون
المبشر به والمنذر عنه او الموعود بقوله يجمع بيننا ربنا ان كنتم صادقين يخاطبون
به رسول الله والمؤمنين قل لكم ميعاد يوم وعد يوم او زمان وعد واضافته
الى اليوم للتبيين ويؤيده انه قرئ يوم على البدل وقرئ يوما باضمار اعنى لا تستأخرون
عنه ساعة ولا تستقدمون اذا فاجاكم وهو جواب تهديد جاء مطابقا
لما قصدوه بسؤالهم من التعنت والانكار وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن
ولا بالذى بين يديه ولا بما تقدمه من الكتب الدالة على البعث قيل ان كفار
مكة سألوا اهل الكتاب عن الرسول فاخبروهم انهم يجدون نعته فى كتبهم فغضبوا
وقالوا ذلك وقيل الذى بين يديه يوم القيمة ولو ترى اذ الظالمون موقوفون
عند ربهم اى فى موضع المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض القول يتحاورون ويتراجعون
القول يقول الذين استضعفوا يقول الاتباع للذين استكبروا للرؤساء لولا

لولا انتم لولا اضلالكم ايانا عن الايمان لكنا مؤمنين باتباع الرسول قال الذين
استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين
انكروا انهم كانوا صادين لهم عن الايمان واثبتوا انهم هم الذين صدوا انفسهم
حيث اعرضوا عن الهدى واثروا التقليد عليه ولذلك بنوا الانكار على الاسم وقال
الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اضراب عن اضرابهم
اى لم يكن اجرامنا الصاد بل مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا حتى اغرتم علينا رأينا
اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا والعاطف يعطفه على كلامهم الاول
واضافة المكر الى الظرف على الاتساع وقرئ مكر الليل بالنصب على المصدر ومكر الليل
بالتنوين ونصب الظرف ومكر الليل من المكرور واسروا الندامة لما رأوا العذاب
واضمر الفريقان الندامة على الضلال والاضلال واخفاها كل عن صاحبه مخافة التعيير
او اظهروها فانه من الاضداد اذ الهمزة تصلح للاثبات والسلب كما فى اشكيته
وجعلنا الاغلال فى اعناق الذين كفروا اى فى اعناقهم فجاء بالظاهر تنويها
بذمهم واشعارا بموجب اغلالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون اى لا يفعل بهم ما يفعل
الا جزاء على اعمالهم وتعدية يجزى اما لتضمين معنى يقضى او لنزع الخافض وما ارسلنا
فى قرية من نذير الا قال مترفوها تسلية لرسول الله مما منى به من قومه وتخصيص المتنعمين
بالتكذيب لان الداعى المعظم اليه التكبر والمفاخرة بزخارف الدنيا والانهماك
فى الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها ولذلك ضموا التهكم والتفاخر الى التكذيب
فقالوا انا بما ارسلتم به كافرون على مقابلة الجمع بالجمع وقالوا نحن اكثر اموالا و
اولادا فنحن اولى بما تدعونه ان امكن وما نحن بمعذبين اما لان العذاب لا يكون او
لانه اكرمنا بذلك فلا يهيننا بالعذاب قل ردا لحسبانهم ان ربى يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر ولذلك يختلف الاشخاص المتماثلة فى الخصائص والصفات ولو كان
ذلك لكرامة وهوان يوجبانه لم يكن بمشيئته ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيظنون
ان كثرة الاموال والاولاد للشرف والكرامة وكثيرا ما يكون للاستدراج كما قال وما
اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى قربة والتى اما لان المراد وما جماعة اموالكم
واولادكم او لانها صفة محذوف كالتقوى والخصلة وقرئ بالذى اى بالشئ الذى
يقربكم الا من امن وعمل صالحا استثناء من مفعول يقربكم اى الاموال والاولاد لا
تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذى ينفق ماله فى سبيل الله ويعلم ولده الخير ويربيه
على الصلاح او من اموالكم واولادكم على حذف المضاف فاولئك لهم جزاء الضعف
اى يجازوا الضعف الى عشر فما فوقه والاضافة اضافة المصدر الى المفعول وقرئ بالاعمال
على الاصل وعن يعقوب رفعهما على ابدال الضعف ونصب الجزاء على التمييز او المصدر
لفعله الذى دل عليه لهم بما عملوا وهم فى الغرفات امنون من المكاره وقرئ بفتح الراء

وسكونها وقرأ حمزة في الغرفة على ارادة الجنس والذين يسعون في اياتنا بالرد والطعن
فيها معاجزين سابقين لانبيائنا او ظانين انهم يفوتوننا اولئك في العذاب
محضرون قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يوسع عليه تارة
ويضيق عليه اخرى وهذا في شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق في شخصين فلا تكرير
وما انفقتم من شيء فهو يخلفه عوضا اما عاجلا واما اجلا وهو خير الرازقين فان غيره
وسط في ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته ويوم يحشرهم جميعا المستكبرين والمستضعفين
ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم واقناطا
لهم عما يتوقعون من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم والصالحون
للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك واصله وقرأ حفص بالياء فيهما قالوا سبحانك
انت ولينا من دونهم انت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كأنهم بينوا
بذلك براءتهم عن الرضا بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم على
الحقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون الجن اي الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله
وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون اليهم انهم الملائكة فيعبدونهم اكثرهم بهم مؤمنون
الضمير الاول للانس او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثاني للجن فاليوم لا يملك بعضكم
لبعض نفعا ولا ضرا اذ الامر كله له لان الدار دار الاخرة جزاء وهو المجازي وحده
ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون عطف على لا يملك
مبين للمقصود من تمهيده واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قالوا ما هذا يعنون محمدا
عليه السلام الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه
وقالوا ما هذا يعنون القران الا افك لعدم مطابقة ما فيه الواقع مفترى باضافته
الى الله سبحانه وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم لامر النبوة او للاسلام او للقران
والاول باعتبار معناه وهذا باعتبار لفظه واعجازه ان هذا الا سحر مبين ظاهر
سحريته وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين من الاشارة الى
القائلين والمقول فيه وما في لما من المبادهة الى البت تمهيد للقول انكار عظيم
وتعجيب بليغ منه وما اتيناهم من كتب يدرسونها فيها دليل على صحة الاشراك
وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم اليه وينذرهم على تركه وقد بان من
قبل ان لا وجه له فمن اين وقع لهم هذه الشبهة وهذا في غاية التجهيل لهم والتسفيه
لرأيهم ثم هددهم فقال وكذب الذين من قبلهم كما كذبوا وما بلغوا معشار
ما اتيناهم وما بلغ هؤلاء عشر ما اتينا اولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال
او ما بلغ اولئك عشر ما اتينا هؤلاء من البينات والهدى فكذبوا رسلي فكيف
كان نكير فحين كذبوا رسلي جاءهم انكاري بالتدمير فكيف كان نكيري لهم فليحذر
هؤلاء من مثله ولا تكرير في كذب لان الاول للتكثير والثاني للتكذيب والاول مطلق

مطلق والثاني مقيد ولذلك عطف عليه بالفاء قل انما اعظكم بواحدة ارشدكم
وانصح لكم بخصلة واحدة هي ما دل عليه ان تقوموا لله وهو القيام من مجلس
رسول الله او الانتصاب في الامر خالصا لوجه الله معرضا عن المراء والتقليد مثنى
وفرادى متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الخاطر
ويخلط القول ثم تتفكروا في امر محمد عليه السلام وما جاء به لتعلموا حقيقته ومحله
الجر على البدل او البيان او الرفع او النصب باضمار هو او اعني ما بصاحبكم من جنة
فتعلموا ما به جنون يحمله على ذلك او استيناف منبه لهم على ان ما عرفوا من رجاحة
عقله كاف في ترجح صدقه فانه لا يدعه ان يتصدى لادعاء امر خطير وخطب عظيم
من غير تحقق ووثوق ببرهان فيفتضح على رؤوس الاشهاد ويسلم ويلقي نفسه الى
الهلاك فكيف وقد انضم اليه معجزات كثيرة وقيل ما استفهامية والمعنى
ثم تتفكروا اي شيء به من اثار الجنون ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد
قدامه لانه مبعوث في نسم الساعة قل ما سألتكم من اجر اي شيء سألتكم من اجر
على الرسالة فهو لكم والمراد نفي السؤال فانه جعل التنبؤ مستلزما لاحد الامرين اما
الجنون واما توقع نفع ونبوي عليه لانه اما ان يكون لغرض او غيره وايا ما كان يلزم
احدهما ثم نفى كلا منهما وقيل ما موصولة مراد بها ما سألهم بقوله ما اسألكم عليه
من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وقوله لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى
واتخاذ السبيل ينفعهم وقرباه قرباهم ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد
مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي باسكان الياء قل ان ربي
يقذف بالحق يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمي به الباطل فيدمغه او يرمي به الى
اقطار الافاق فيكون وعدا باظهار الاسلام وافشائه علام الغيوب صفة محمولة
على محل ان واسمها او بدل من المستكن في يقذف او خبر ثان او خبر محذوف وقرئ بالنصب
صفة لربي او مقدرا باعني وقرأ حمزة وابو بكر الغيوب بالكسر كالبيوت والباقون بالضم
كالعشور وقرئ بالفتح كالصبور على انه مبالغة غائب قل جاء الحق اي الاسلام وما يبدئ
الباطل وما يعيد وزهق الباطل اي الشرك بحيث لم يبق له اثر ماخوذ من هلاك الحي فانه
اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة قال اقفر من اهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد
وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيده او لا يبدئ خيرا لاهله ولا يعيده
وقيل ما استفهامية منتصبة بما بعده قل ان ضللت عن الحق فانما اضل على نفسي اي وبال
ضلالي عليها فانه بسببها اذ هي الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرطية
بقوله وان اهتديت فبما يوحي الي ربي فان الاهتداء بهدايته وتوفيقه وقرأ نافع وابو عمرو
بفتح الياء انه سميع قريب يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله وان اخفاه ولو ترى
اذ فزعوا عند الموت او البعث او يوم بدر وجواب لو محذوف مثل لرأيت امرا فظيعا

فلا فوت فلا يفوتون الله بهرب او تحصن واخذوا من مكان قريب من ظهر الارض
الى بطنها او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى القليب والعطف على فزعوا او لا فوت
ويؤيده انه قرئ واخذ عطفا على محله اي فلا فوت هناك وهناك اخذ وقالوا آمنا به
بمحمد وقد مر ذكره في ما بصاحبكم وانى لهم التناوش ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان
تناولا سهلا من مكان بعيد فانه في حيز التكليف وقد بعد عنهم وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص
بالايمان بعد ما فات عنهم وبعد عنهم او انه بحال من يريد ان يتناول الشيء من غلوة
تناوله من ذراع في الاستحالة وقرأ ابو عمرو والكوفيون غير حفص بالهمز على قلب الواو
لضمتها او انه من ناشت الشيء اذا طلبته قال رؤبة اقحمني جار ابي الخاموش اليك
ناش الفقر النوش او من ناشت اذا تأخرت ومنه قوله تمنى نئيشا ان يكون
اطاعني وقد حدثت بعد الامور امور فيكون بمعنى التناول من بعد وقد كفروا به
بمحمد او بالعذاب من قبل من قبل ذلك اوان التكليف ويقذفون بالغيب ويرجمون
بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في الرسول من المطاعن او في العذاب من البت
على نفيه من مكان بعيد من جانب بعيد من امره وهو الشبهة التي تمحلوها في امر الرسول
او حال الآخرة كما حكاه من قبل ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئا لا يراه
من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه وقرئ ويقذفون على ان الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم
ذلك والعطف على وقد كفروا على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا
لحالهم بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من الايمان في الدنيا وحيل بينهم وبين ما
يشتهون من نفع الايمان والنجاة به من النار وقرأ ابن عامر والكسائي باشمام الضم
للحاء كما فعل باشياعهم من قبل باشباههم من كفرة الامم الدارجة انهم كانوا في
شك مريب موقع في الريبة او ذي ريبة منقول من المشكك او الشاك نعت به
الشك للمبالغة عن رسول الله من قرأ سورة سبا لم يبق رسول ولا نبي الا كان له
يوم القيمة رفيقا ومصافحا

سورة الملائكة وهي خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السموات والارض مبدعهما من الفطر
بمعنى الشق كانه شق العدم باخراجهما منه والاضافة محضة لانه بمعنى الماضي جاعل الملائكة
رسلا وسائط بين الله وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم
رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا الصادقة او بينه وبين خلقه يوصلون اليهم
آثار صنعه اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع ذوي اجنحة متعددة متفاوتة
ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها نحو ما كلفهم الله عليه
فيتصرفون فيه على ما امرهم به ولعله لم يرد خصوصية الاعداد ونفي ما زاد عليها
لما روي انه عليه السلام رأى جبرائيل ليلة المعراج وله ستمائة جناح يزيد في الخلق
ما يشاء استئناف للدلالة على ان تفاوتهم في ذلك مقتضى مشيئته ومؤدى

ومؤدى حكمته لا امر يستدعيه ذواتهم لان اختلاف الاصناف والانواع بالخواص
والفصول ان كان لذواتهم المشتركة لزم تنافي لوازم الامور المتفقة وهو محال والآية
متناولة زيادات الصور والمعاني كملاحة الوجه وحسن الصوت وحصافة العقل وسماحة
النفس ان الله على كل شيء قدير وتخصيص بعض الاشياء بالتحصيل دون بعض
انما هو من جهة الارادة ما يفتح الله للناس ما يطلق لهم ويرسل وهو من تجوز السبب
للمسبب من رحمة كنعمة وامن وصحة وعلم ونبوة فلا ممسك لها يحبسها وما يمسك
فلا مرسل له يطلقه واختلاف الضميرين لان الموصول الاول مفسر بالرحمة والثاني مطلق
يتناولها والغضب وفي ذلك اشعار بان رحمته سبقت غضبه من بعده من
بعد امساكه وهو العزيز الغالب على ما يشاء ليس لاحد ان ينازعه فيه الحكيم لا يفعل
الا بعلم واتقان ثم لما بين انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيها على الاطلاق امر الناس
بشكر انعامه فقال يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف
بها وطاعة موليها ثم انكر ان يكون لغيره في ذلك مدخل فيستحق ان يشرك به بقوله
هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون فمن اي وجه
تصرفون عن التوحيد الى الكفر باشراك غيره ورفع غير للحمل على محل من خالق بانه وصف او
بدل فان الاستفهام بمعنى النفي او لانه فاعل خالق وجره حمزة والكسائي حملا على لفظه
وقد نصب على الاستثناء ويرزقكم صفة لخالق او استئناف مفسر له او كلام مبتدأ و
على الاخير يكون اطلاق هل من خالق مانعا من اطلاقه على غير الله وان يكذبوك فقد كذبت
رسل من قبلك اي فتأس بهم في الصبر على تكذيبهم فوضع فقد كذبت موضعه استغناء
بالسبب عن المسبب وتنكير رسل للتعظيم المقتضي زيادة التسلية والحث على المصابرة والى الله
ترجع الامور فيجازيك واياهم على الصبر والتكذيب يا ايها الناس ان وعد الله بالحشر
والجزاء حق لا خلف فيه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعي لها
ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية فانها وان
امكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة وقرئ بالضم وهو
مصدر او جمع كقعود ان الشيطان لكم عدو عداوة عامة قديمة فاتخذوه عدوا في
عقائدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه في مجامع احوالكم انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب
السعير تقرير لعداوته وبيان لغرضه في دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى الدنيا
الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير
وعيد لمن اجاب دعاءه ووعد لمن خالفه وقطع للاماني الفارغة وبناء للامر على الايمان
والعمل الصالح وقوله افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا تقرير له اي افمن زين له سوء عمله
بان غلب وهمه وهواه على عقله حتى انتكس رأيه فرأى الباطل حقا والقبيح حسنا كمن لم يزين له
بل وفق حتى عرف الحق واستحسن الاعمال واستقبحها على ما هي عليه فحذف الجزاء لدلالة

فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقيل تقديره افمن زين له سوء عمله ذهبت
نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليهم حسرات عليه ومعناه
فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيهم واصرارهم على التكذيب والفاءات الثلث
للسببية غير ان الاوليين دخلتا على السبب والثالثة دخلت على المسبب وجمع الحسرات
للدلالة على تضاعف اغتمامه على احوالهم او كثرة افعالهم المقتضية للتأسف وعليهم ليس صلة
لها لان صلة المصدر لا تتقدمه بل صلة تذهب او بيان للمتحسر عليه ان الله عليم بما يصنعون
فيجازيهم عليه والله الذي ارسل الرياح وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح فتثير
سحابا على حكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال الحكمة
ولان المراد بيان احداثها بهذه الخاصية ولذلك اسنده اليها ويجوز ان يكون اختلاف
الافعال للدلالة على استمرار الامر فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بالمطر النازل
منه وذكر السحاب كذكره او بالسحاب فانه سبب السبب او الصائر مطرا بعد موتها بعد يبسها
والعدول فيهما من الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص لما فيهما من مزيد الصنع كذلك النشور
اي مثل احياء الموات نشور الاموات في صحة المقدورية اذ ليس بينهما الا احتمال اختلاف
المادة في المقيس عليه وذلك لا مدخل لها وقيل في كيفية الاحياء بانه تعالى يرسل ماء من
تحت العرش تنبت منه اجساد الخلق من كان يريد العزة الشرف والمنعة فلله العزة جميعا
اي فليطلبها من عنده فان كلها له فاستغنى بالدليل عن المدلول اليه يصعد الكلم الطيب
والعمل الصالح يرفعه بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه
مجاز عن قبوله اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما والمستكن في يرفعه للكلم فان العمل لا يقبل
الا بالتوحيد ويؤيده انه نصب العمل او للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه او لله وتخصيص
العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة وقرئ يصعد على البناءين والمصعد هو الله
تعالى او المتكلم به او الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء وقراءة القرآن وعنه
عليه السلام هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قال العبد عرج
بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل والذين يمكرون
السيئات المكرات السيئات يعني مكرات قريش للنبي عليه السلام في دار الندوة
وتداورهم الرأي في احدى ثلث حبسه وقتله واجلائه لهم عذاب شديد لا يؤبه
دونه بما يمكرون به ومكر اولئك هو يبور يفسد ولا ينفذ لان الامور مقدرة لا تتغير
كما دل عليه بقوله والله خلقكم من تراب بخلق آدم منه ثم من نطفة بخلق ذريته منها
ثم جعلكم ازواجا ذكرانا واناثا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه الا معلومة له وما
يعمر من معمر وما يمد في عمر من مصيره الى الكبر ولا ينقص من عمره من عمر المعمر لغيره بان يعطى له
عمر ناقص من عمره او لا ينقص من عمر المنقوص عمره بجعله ناقصا والضمير له وان لم يذكر لدلالة
مقابله عليه او للمعمر على التسامح فيه ثقة بفهم السامع كقولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه

الا بحق وقيل الزيادة والنقصان في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت
في اللوح مثل ان يكون فيه ان حج عمرو فعمره ستون سنة والا فاربعون سنة وقيل
المراد بالنقصان ما يمر من عمره وينقص فانه يكتب في صحيفة عمره يوما فيوما وعن يعقوب
ولا ينقص على البناء للفاعل الا في كتاب هو علم الله او اللوح او الصحيفة ان ذلك
على الله يسير اشارة الى الحفظ والزيادة والنقص وما يستوي البحران هذا عذب
فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب مثل للمؤمن والكافر والفرات الذي يكسر
العطش والسائغ الذي يسهل انحداره والاجاج الذي يحرق بملوحته وقرئ سيغ بالتشديد
والتخفيف وملح على فعل ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها استطراد
في صفة البحرين وما فيهما من النعم او تمام التمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا في بعض الفوائد
لا يتساويان من حيث انهما لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات من الماء فانه خالط احدهما
ما افسده وغيره عن كمال فطرته لا يتساوى المؤمن والكافر وان اتفق اشتراكهما
في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصية العظمى وبقاء احدهما
على الفطرة الاصلية دون الآخر او تفضيل للاجاج على الكافر بما يشارك العذب من
المنافع والمراد بالحلية اللآلي واليواقيت وترى الفلك فيه في كل مواخر تشق الماء
بجريها لتبتغوا من فضله من فضل الله بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر ويجوز ان يتعلق
بما دل عليه الافعال المذكورة ولعلكم تشكرون على ذلك وحرف الترجي باعتبار ما يقتضيه
ظاهر الحال يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل
مسمى هي مدة دوره او منتهاه او يوم القيمة ذلكم الله ربكم له الملك الاشارة
الى الفاعل لهذه الاشياء وفيها اشعار بان فاعليته لها موجبة لثبات الاخبار
المترادفة ويحتمل ان يكون له الملك كلاما مبتدأ في قران والذين تدعون من دونه ما يملكون
من قطمير للدلالة على تفرده بالالوهية والربوبية والقطمير لفافة النواة ان تدعوهم
لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض ما استجابوا لكم لعدم قدرتهم
على الانفاع او لتبريهم منكم مما تدعون لهم ويوم القيمة يكفرون بشرككم باشراككم لهم
يعترفون ببطلانه او يقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك
بالامر مخبر مثل خبير به اخبرك وهو الله سبحانه فانه الخبير به على الحقيقة دون سائر
المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به من حال آلهتهم ونفي ما تدعون لهم يا ايها الناس انتم
الفقراء الى الله في انفسكم وما يعن لكم وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كانهم لشدة
افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء وان افتقار سائر الخلائق بالاضافة الى فقرهم
غير معتد به ولذلك قال وخلق الانسان ضعيفا والله هو الغني الحميد المستغني
على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات حتى استحق عليهم الحمد ان يشأ يذهبكم ويأت
بخلق جديد بقوم آخرين اطوع منكم او بعالم آخر غير ما تعرفونه وما ذلك على الله بعزيز

يستعد زرا ومستعسر ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس اثم نفس اخرى واما قوله
وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ففي الضالين المضلين فانهم يحملون اثقال
اضلالهم مع اثقال ضلالهم وكل ذلك اوزارهم ليس فيها شيء من اوزار غيرهم وان
تدع مثقلة نفس اثقلتها الاوزار الى حملها يحمل بعض اوزارها لا يحمل منه شيء لم يجب
بحمل شيء منه نفى ان يحمل عنها ذنبها كما نفى ان يحمل عليها ذنب غيرها ولو كان ذا قربى
ولو كان المدعو ذا قرابتها فاضمر المدعو لدلالة ان تدع عليه وقرئ ذو قربى على حذف
الخبر وهو اولى من جعل كان التامة فانها لا يلائم نظم الكلام انما تنذر الذين يخشون
ربهم بالغيب غائبين عن عذابه او عن الناس في خلواتهم او غائبا عنهم عذابه واقاموا
الصلوة فانهم المنتفعون بالانذار لا غير واختلاف الفعلين لما مر ومن تزكى ومن تطهر
عن دنس المعاصي فانما يتزكى لنفسه اذ نفعه لها وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو
اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانها من جملة التزكي والى الله المصير فيجازيهم
على تزكيتهم وما يستوي الاعمى والبصير الكافر والمؤمن وقيل هما مثلان للصنم ولله
عز وجل ولا الظلمات ولا النور ولا الباطل ولا الحق ولا الظل ولا الحرور ولا الثواب
ولا العقاب ولا لتأكيد نفي الاستواء وتكريرها على الشقين لمزيد التأكيد والحرور
فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما يهب نهارا والحرور ما يهب ليلا
وما يستوي الاحياء ولا الاموات تمثيل اخر للمؤمنين والكافرين ابلغ من الاول
ولذلك كرر الفعل وقيل للعلماء والجهلاء ان الله يسمع من يشاء هدايته فيوفقه لفهم
اياته والاتعاظ بعظاته وما انت بمسمع من في القبور ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر
بالاموات ومبالغة في اقناطه عنهم ان انت الا نذير فما عليك الا الانذار
واما الاسماع فلا اليك ولا حيلة لك اليه في المطبوع على قلوبهم انا ارسلناك بالحق
محقين او محقا او ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز ان يكون صلة لقوله بشيرا ونذيرا اي
بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق وان من امة اهل عصر الا خلا مضى فيها نذير
من نبي او عالم ينذر عنه والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة قرينة البشارة سيما
وقد قرن به من قبل او لان الانذار هو المقصود الاهم من البعثة وان يكذبوك فقد
كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم وبالزبر
كصحف ابراهيم وبالكتاب المنير كالتورية والانجيل على ارادة التفصيل دون الجمع
ويجوز ان يراد بهما واحد والعطف لتغاير الوصفين ثم اخذت الذين كفروا فكيف
كان نكير اي انكاري بالعقوبة الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا
الوانها اجناسها او اصنافها على ان كلا منها ذو اصناف مختلفة او هيئاتها من الصفرة
والخضرة ونحوهما ومن الجبال جدد اي ذو جدد اي خطط وطرائق ويقال جدة الحمار
للخطة السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو

وهو الطريق الواضح بيض وحمر مختلف الوانها بالشدة والضعف وغرابيب سود
عطف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال ذو جدد مختلف اللون ومنها غرابيب
متحدة اللون وهو تاكيد مضمر يفسره فان الغربيب تاكيد للاسود ومن حق التاكيد
ان يتبع المؤكد ونظير ذلك في الصفة قول النابغة والمؤمن العائذات الطير وفي مثله مزيد
تاكيد لما فيه من التكرير باعتبار الاضمار والاظهار ومن الناس والدواب والانعام
مختلف الوانه كذلك كاختلاف الثمار والجبال انما يخشى الله من عباده العلماء
اذ شرط الخشية معرفة المخشي والعلم بصفاته وافعاله فمن كان اعلم به كان اخشى منه
ولذلك قال عليه السلام اني اخشاكم بالله واتقاكم له ولهذا اتبعه بذكر افعاله الدالة
على كمال قدرته وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو اخر انعكس الامر وقرئ
برفع الله ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا ان الله
عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب للمصر على طغيانه غفور
للتائب عن عصيانه ان الذين يتلون كتاب الله يداومون قراءته او متابعة
ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله القران او جنس كتب الله
فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين واقاموا الصلوة
وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية كيف اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر
في المسنونة والعلانية في المفروضة يرجون تجارة تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر
ان لن تبور لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفة للتجارة وقوله ليوفيهم
اجورهم علة لمدلوله اي ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها
اجور اعمالهم او لمدلول ما عد من امتثالهم نحو فعلوا ذلك ليوفيهم او عاقبة ليرجون
ويزيدهم من فضله على ما يقابل اعمالهم انه غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم اي
يجازيهم عليها وهو علة للتوفية والزيادة او خبر ان ويرجون حال من واو وانفقوا
والذي اوحينا اليك من الكتاب يعني القران ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض
هو الحق مصدقا لما بين يديه احقه مصدقا لما بين يديه احقه مصدقا لما تقدمه من
الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياه في العقائد واصول
الاحكام ان الله بعباده لخبير بصير عالم بالبواطن والظواهر فلو كان في احوالك ما ينافي
النبوة لم يوح اليك مثل هذا الكتاب الذي هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبير
للدلالة على ان العمدة في ذلك الامور الروحانية ثم اورثنا الكتاب حكمنا بتوريثه
منك او نورثه فعبر عنه بالماضي لتحققه او اورثناه من الامم السالفة والعطف على ان الذين
يتلون والذي اوحينا اليك اعتراض لبيان كيفية التوريث الذين اصطفينا من
عبادنا يعني علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم او الامة باسرهم فان الله اصطفاهم
على سائر الامم فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير في العمل به ومنهم مقتصد يعمل به في اغلب

الاوقات ومنهم سابق بالخيرات باذن الله بضم التعليم والارشاد الى العمل وقيل
الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط
الصالح بالسيء والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى
قوله عليه السلام اما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب
واما الذين اقتصدوا فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك
يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته وقيل الظالم الكافر على ان الضمير للعباد
وتقديمه لكثرة الظالمين ولان الظلم بمعنى الجهل والركون الى الهوى مقتضى الجبلة
والاقتصاد والسبق عارضان ذلك هو الفضل الكبير اشارة الى التوريث او الاصطفاء
او السبق جنات عدن يدخلونها مبتدا وخبر لفسيره الظاهر وقرا ابو عمرو يدخلونها
على بنا المفعول يحلون فيها خبر ثان او حال مقدرة وقرى يحلون من حليت المراة
فهي حالية من اساور من ذهب من الاولى للتبعيض والثانية للتبيين ولؤلؤا عطف
على ذهب اي من ذهب مرصع باللؤلؤ او من ذهب في صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع
وعاصم عطفا على محل من اساور ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي اذهب
عنا الحزن همهم من خوف العاقبة او همهم من اجل المعاش وآفاته او من وسوسة
ابليس وغيرها وقرى الحزن ان ربنا لغفور للمذنبين شكور للمطيعين الذي احلنا
دار المقامة دار الاقامة من فضله من انعامه وتفضله اذ لا واجب عليه لا يمسنا
فيها نصب تعب ولا يمسنا فيها لغوب كلال اذ لا تكليف فيها ولا كد اتبع نفي النصب
نفي ما يتبعه مبالغة والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم لا يحكم بموت ثان
فيموتوا فيستريحوا ونصبه باضمار ان وقرى فيموتون عطفا على يقضى كقوله
ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها بل كلما خبت زيد اسعارها
كذلك مثل ذلك الجزاء نجزي كل كفور مبالغ في الكفر او الكفران وقرا ابو عمرو
يجزى على بنا المفعول واسناده الى كل وقرى يجازى وهم يصطرخون فيها
يستغيثون يفتعلون من الصراخ استعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته
ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل باضمار القول وتقييد العمل الصالح
بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار
بان استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبون انه صالح والآن تحقق لهم خلافه
اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير جواب من الله وتوبيخ لهم
وما يتذكر فيه متناول كل عمر تمكن المكلف فيه من التفكر والتذكر وقيل ما بين العشرين
الى الستين وعنه عم العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة والعطف
على المعنى اولم نعمركم فانه للتقرير كانه قيل عمرناكم وجاءكم النذير وهو النبي او الكتاب
وقيل العقل او الشيب او موت الاقارب فذوقوا فما للظالمين من نصير يدفع

بدفع العذاب عنهم ان الله عالم غيب السموات والارض لا يخفى عليه خافية فلا يخفى
عليه احوالهم انه عليم بذات الصدور تعليل له لانه اذا علم مضمرات الصدور وهي اخفى
ما يكون كان اعلم بغيره هو الذي جعلكم خلائف في الارض يلقي اليكم مقاليد التصرف
فيها وقيل خلفا بعد خلف جمع خليفة والخلفاء جمع خليف فمن كفر فعليه كفره
جزاء كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم
الا خسارا بيان له والتكرير للدلالة على ان اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين مستقل
باقتضاء قبحه ووجوب التجنب عنه والمراد بالمقت وهو اشد البغض مقت الله و
بالخسار خسار الآخرة قل ارأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله يعني
آلهتهم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء الله او لانفسهم فيما يملكونه اروني
ماذا خلقوا من الارض بدل من ارأيتم بدل الاشتمال لانه بمعنى اخبروني كانه قال
اخبروني عن هؤلاء الشركاء اروني اي جزء من الارض استبدوا بخلقه ام لهم
شرك في السموات ام لهم شركة مع الله في خلق السموات فاستحقوا بذلك شركة في
الالوهية ذاتية ام آتيناهم كتابا ينطق على انا اتخذناهم شركاء فهم على بينة منه على حجة
من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون هم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم
سلطانا وقرا نافع وابن عامر ويعقوب وابو بكر والكسائي على بينات فيكون ايماء
الى ان الشرك خطير لا بد فيه من تعاضد الدلائل بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا
لما نفى انواع الحجج في ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو الاسلاف الاخلاف
او الرؤساء الاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليه ان الله يمسك
السموات والارض ان تزولا كراهة ان تزولا فان الممكن حال بقائه لا بد له من
من حافظ او يمنعهما ان تزولا لان الامساك منع ولئن زالتا ان امسكهما من احد ما
امسكهما من بعده من بعد الله او من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولى
زائدة والثانية للابتداء انه كان حليما غفورا حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان
تهدا هدا كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا واقسموا
بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم وذلك ان قريشا لما
بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى لو اتانا رسول
لنكونن اهدى من احدى الامم اي من واحدة من الامم اليهود والنصارى وغيرهم او من الامم
التي يقال فيها هي احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة فلما جاءهم
نذير يعني محمدا عليه السلام ما زادهم اي النذير او مجيئه الا نفورا تباعدا عن الحق
استكبارا في الارض بدل من نفورا او مفعول له ومكر السيء واصله وان مكروا المكر السيء فحذف
الموصوف استغناء بوصفه ثم بدل ان مع الفعل بالمصدر ثم اضيف وقرا حمزة وحده بسكون
الهمزة في الوصل ولا يحيق لا يحيط المكر السيء الا باهله وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر وقرى

و لا يحيق المكر اى لا يحيق الا به فهل ينظرون ينتظرون الا سنة الاولين سنة الله
فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا اذ لا يبدلها
بجعل غير التعذيب تعذيبا ولا يحولها بان ينقله من المكذبين الى غيرهم وقوله اولم
يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد عليه بما
يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين وكانوا اشد
منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء ليسبقه ويفوته في السموات ولا في الارض
انه كان عليما بالاشياء كلها قديرا عليها ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا
من المعاصي ما ترك على ظهرها على ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها بشوم
معاصيهم وقيل المراد بالدابة الانس وحده لقوله ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى
هو يوم القيمة فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم على اعمالهم
عن النبي عليه السلام من قرا سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت

سورة يس مكية وعنه عليه السلام يس تدعى المعمة تعم صاحبها خير الدارين والدافعة
والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضي له كل حاجة وآياتها ثلاث وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

يس كالم في المعنى والاعراب وقيل معناه يا انسان بلغة طي على ان اصله
يا انيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به كما قيل من الله في ايمن الله وقرئ
بالكسر كجير وبالفتح على البناء كاين او الاعراب على اتل يس او باضمار حرف القسم
والفتحة لمنع الصرف وبالضم بناء كحيث او اعرابا على هذه يس واما لها حمزة
والكسائي وابو بكر وروح وادغم النون في واو والقرآن الحكيم ابن عامر
والكسائي وورش ويعقوب وهي واو القسم او العطف ان جعل يس مقسما به
انك لمن المرسلين لمن الذين ارسلوا على صراط مستقيم وهو التوحيد والاستقامة
في الامور ويجوز ان يكون على صراط خبرا ثانيا او حالا من المستكن في الجار والمجرور
وفائدته وصف الشرع بالاستقامة صريحا وان دل عليه لمن المرسلين التزاما تنزيل
العزيز الرحيم خبر محذوف والمصدر بمعنى المفعول وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي
وحفص بالنصب على اضمار اعني او فعله على انه على اصله وقرئ بالجر على البدل
من القرآن لتنذر قوما متعلق بتنزيل او بمعنى لمن المرسلين ما انذر اباؤهم
قوما غير منذر اباؤهم يعني اباؤهم الاقربين لتطاول مدة الفترة فيكون
صفة مبينة لشدة حاجتهم الى ارساله او الذي انذر به او شيئا انذر به اباؤهم
الابعدون فيكون مفعولا ثانيا لتنذر او انذارا اباؤهم على المصدر فهم غافلون متعلق
بالنفي على الاول اي لم ينذروا فبقوا غافلين او بقوله انك لمن المرسلين على الوجوه
الاخر اي ارسلناك اليهم لتنذرهم فانهم غافلون لقد حق القول على اكثرهم يعني قوله
لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين فهم لا يؤمنون لانهم ممن علم انهم لا يؤمنون

لا يؤمنون انا جعلنا في اعناقهم اغلالا تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم
بحيث لا تغني عنهم الآيات والنذر بتمثيلهم بالذين غلت اعناقهم فهي الى الاذقان فالاغلال
واصلة الى اذقانهم فلا تخليهم يطأطئون رؤسهم فهم مقمحون رافعون رؤسهم غاضون
ابصارهم في انهم لا يلتفتون لفت الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطأطئون
رؤسهم له وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون
وبمن احاط بهم سدان فغطى ابصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم في انهم
محبوسون في مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر في الآيات والدلائل وقرا حمزة
والكسائي وحفص سدا بالفتح وهو لغة فيه وقيل ما كان بفعل الناس فبالفتح وما كان
بخلق الله فبالضم وقرئ فاعشيناهم من العشا وقيل الآيتان في بني مخزوم حلف
ابو جهل ان يرضخ راس النبي عم فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده
انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال
مخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعماه الله وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم
تنذرهم لا يؤمنون سبق في البقرة تفسيره انما تنذر انذارا يترتب عليه البغية
المرومة من اتبع الذكر اي القرآن بالتامل فيه والعمل به وخشي الرحمن بالغيب وخاف
عقابه قبل حلوله ومعاينة اهواله او في سريرته ولا يغتر برحمته فانه كما هو رحمن منتقم قهار
فبشره بمغفرة واجر كريم انا نحن نحيي الموتى الاموات بالبعث او الجهال بالهداية و
نكتب ما قدموا ما اسلفوا من الاعمال الصالحة والطالحة وآثارهم الحسنة كعلم علموه
وحبيس وقفوه والسيئة كاشاعة باطل وتاسيس ظلم وكل شيء احصيناه في امام مبين
يعني اللوح المحفوظ واضرب لهم ومثل لهم من قولهم هذه الاشياء على ضرب واحد اي مثال
واحد وهو يتعدى الى مفعولين لتضمنه معنى الجعل وهما مثلا اصحاب القرية على حذف
مضاف اي جعل لهم مثل اصحاب القرية مثلا ويجوز ان يقتصر على واحد ويجعل المقدر
بدلا من الملفوظ او بيانا له والقرية انطاكية اذ جاءها بدل من اصحاب القرية المرسلون
رسل عيسى عم الى اهلها واضافته الى نفسه في قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين لانه فعل رسوله
وخليفته وهما يحيى ويونس عليهما السلام وقيل غيرهما فكذبوهما فعززنا فقوينا وقرا ابو بكر
مخففا من عزه اذا غلبه وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصود ذكر المعزز به
بثالث هو شمعون فقالوا انا اليكم مرسلون وذلك انهم كانوا عبدة اصنام فارسل
اليهم عيسى اثنين فلما قربا من المدينة رايا حبيبا النجار يرعى غنما فسالهما فاخبراه
فقال امعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض
فمسحاه فبرأ فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي على ايديهما خلق وبلغ حديثهما الى الملك
وقال لهما الكما اله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك والهتك فقال حتى انظر في امركما
فحبسهما ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر اصحاب الملك حتى استانسوا به

واوصلوه الى الملك فانس به فقال له يوما سمعت انك جئت رجلين فقال هل سمعت
ما يقولانه قال لا فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء فليس له
شريك فقال لهما صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما ايتكما قالا ما
يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له البصر واخذا بندقتين
فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون ارايت لو سالت الهك
حتى يصنع مثل هذا حتى يكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر الهنا لا يبصر ولا
يسمع ولا يضر ولا ينفع ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت امنا به فاتوا بغلام مات
منذ سبعة ايام فدعوا فقام وقال اني ادخلت سبعة اودية من النار وانا احذركم
ما انتم فيه فامنوا وقال فتحت ابواب السماء فرايت شابا حسنا يشفع لهؤلاء الثلثة
قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فلما راى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فامن
في جمع ومن لم يؤمن فصاح عليهم جبرائيل فهلكوا قالوا ما انتم الا بشر مثلنا لا مزية لكم
علينا تقتضي اختصاصكم بما تدعون ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي اعمال ما بالا
وما انزل الرحمن من شيء وحي ورسالة ان انتم الا تكذبون في دعوى رسالته
قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون استشهدوا بعلم الله تعالى وهو يجري مجرى القسم
وزادوا اللام المؤكدة لانه جواب عن انكارهم وما علينا الا البلاغ المبين الظاهر
البين بالايات الشاهدة بصحته وهو المحسن للاستشهاد فانه لا يحسن الا بتبينه قالوا
انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك لاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم له وتنفرهم عنه
لئن لم تنتهوا عن مقالتكم هذه لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم
سبب شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم واعمالكم وقرئ طيركم ائن ذكرتم وعظتم به
وجواب الشرط محذوف مثل تطيرتم او توعدتم بالرجم والتعذيب وقد قرئ بالف
بين الهمزتين وبفتح ان بمعنى اتطيرتم لان ذكرتم وان وان بغير استفهام واين ذكرتم
بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ بل انتم قوم مسرفون قوم عادتكم
الاسراف في العصيان فمن ثم جاءكم الشؤم او في الضلال ولذلك توعدتم وتشاءمتم
بمن يجب ان يكرم ويتبرك به وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى هو حبيب النجار وكان
ينحت اصنامهم وهو ممن امن بمحمد عليه السلام وبينهما ستمائة سنة وقيل كان في
غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل خرج واظهر دينه قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا
من لا يسالكم اجرا على النصح وتبليغ الرسالة وهم مهتدون الى خير الدارين وما لي
لا اعبد الذي فطرني على قراءة غير حمزة فانه يسكن الياء في الوصل تلطف في الارشاد
بايراده في معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراد لهم ما اراد لها والمراد
تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم الى عبادة غيره ولذلك قال واليه ترجعون مبالغة
في التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال ااتخذ من دونه الهة ان يردن الرحمن بضر

بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا لا تنفعني شفاعتهم ولا ينقذون بالنصر والمظاهرة
اني اذا لفي ضلال مبين فان ايثار ما لا ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر
على النفع والضر واشراكه به ضلال بين لا يخفى على عاقل وقرا نافع وابو عمرو ويعقوب بفتح
الياء اني امنت بربكم الذي خلقكم وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو بفتح الياء فاسمعون
فاسمعوا ايماني وقيل الخطاب للرسل فانه لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحوهم
قبل ان يقتلوه قيل ادخل الجنة قيل له ذلك لما قتلوه بشرى بانه من اهل الجنة
او اكراما واذنا في دخولها كسائر الشهداء او لما هموا بقتله رفعه الله الى الجنة على ما قاله
الحسن وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول دون المقول له فانه معلوم والكلام استيناف
في حيز الجواب عن السؤال عن حاله عند لقاء ربه بعد تصلبه في نصر دينه ولذلك قال
يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين فانه جواب عن السؤال عن قوله
عند ذلك القول له وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم على اكتساب مثلها بالتوبة عن الكفر
والدخول في الايمان والطاعة على دأب الاولياء في كظم الغيظ والترحم على الاعداء او
ليعلموا انهم كانوا على خطأ عظيم في امره وانه كان على حق وقرئ المكرمين وما خبرية
او مصدرية والباء صلة يعلمون او استفهامية جاءت على الاصل والباء صلة غفر اي
باي شيء غفر لي يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة على اذيتهم وما انزلنا على قومه
من بعده من بعد اهلاكه او رفعه من جند من السماء لاهلاكهم كما ارسلنا يوم بدر و
الخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لاهلاكهم وايماء بتعظيم الرسول
وما كنا منزلين وما صح في حكمتنا ان ننزل جندا لاهلاك قومه اذ قدرنا لكل شيء
سببا وجعلنا ذلك سببا لانتصارك من قومك وقيل ما موصولة معطوفة
على جند اي ومما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة ان كانت
ما كانت الاخذة او العقوبة الا صيحة واحدة صاح بها جبرائيل وقرئت بالرفع
على كان التامة فاذا هم خامدون ميتون شبهوا بالنار رمزا الى ان الحي كالنار
الساطعة والميت كرمادها كما قال لبيد وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا
بعد اذ هو ساطع يا حسرة على العباد تعالي فهذه من الاحوال التي من حقها ان تحضري فيها
وهي ما دل عليها ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون فان المستهزئين بالناصحين
المخلصين المنوط بنصحهم خير الدارين احقاء بان يتحسروا ويتحسر عليهم وقد تلهف على
احوالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين ويجوز ان يكون تحسرا من الله عليهم على سبيل الاستعارة
لتعظيم ما جنوه على انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا ونصبها لطولها بالجار المتعلق بها
وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل
او المفعول ويا حسرة على العباد باجراء الوصل مجرى الوقف الم يروا الم يعلموا وهو معلق
عن قوله كم اهلكنا قبلهم من القرون لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كان خبرية لان

اصلها الاستفهام انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم على المعنى اي الم يروا كثرة
اهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستئناف وان كل
لما جميع لدينا محضرون يوم القيمة للجزاء وان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة
وما مزيدة للتأكيد وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى الا فيكون نافية
وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او لمحضرون واية لهم الارض الميتة وقرأ نافع
بالتشديد احييناها خبر للارض والجملة خبر اية او صفة لها اذ لم يرد بها معينة وهي
الخبر او المبتدأ والاية خبرها او استئناف لبيان كونها اية واخرجنا منها حبا
جنس الحب فمنه يأكلون قدم الصلة للدلالة على ان الحب معظم ما يؤكل ويعاش به
وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب من انواع النخل والعنب ولذلك جمعهما دون
الحب لان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع وذكر
النخيل دون التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع
وفجرنا فيها وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى من العيون
اي شيئا من العيون فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة
عند الاخفش ليأكلوا من ثمره ثمر ما ذكر وهو الجنات وقيل الضمير لله على طريق الالتفات
والاضافة اليه لان الثمر بخلقه وقرأ حمزة والكسائي بضمتين وهو لغة فيه او جمع ثمار وقرئ
بضمة وسكون وما عملته ايديهم عطف على الثمر والمراد ما يتخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما
وقيل ما نافية والمراد ان الثمر بخلق الله لا بفعلهم ويؤيد الاول قراءة الكوفيين غير حفص
بلا هاء فان حذفه من الصلة احسن من غيرها افلا يشكرون امر بالشكر من حيث انه انكار
لتركه سبحان الذي خلق الازواج كلها الانواع والاصناف مما تنبت الارض من
النبات والشجر ومن انفسهم الذكر والانثى ومما لا يعلمون وازواجا مما لم يطلعهم الله
عليه ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته واية لهم الليل نسلخ منه النهار نزيله ونكشف
النهار عن مكانه مستعار من سلخ الجلد والكلام في اعرابه ما سبق فاذا هم مظلمون
داخلون في الظلام والشمس تجري لمستقر لها لحد معين ينتهي اليه دورها فشبه بمستقر
المسافر اذا قطع مسيره او لكبد السماء فان حركتها فيه توجد ابطأ بحيث يظن ان لها
هناك وقفة قال والشمس حيرى لها بالجو تدويم او لاستقرار لها على نهج مخصوص او لمنتهى
مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها في دورها ثلثمائة وستين مشرقا ومغربا
تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما الى العام القابل او لمنقطع
جريها عند خراب العالم وقرئ لا مستقر لها اي لا سكون لها فانها متحركة دائما ولا مستقر
على ان لا بمعنى ليس ذلك الجري على هذا التقدير المتضمن للحكم التي تكل الفطن عن احصائها
تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور العليم المحيط علمه بكل معلوم والقمر قدرناه
مسيره منازل او سيره في منازل وهي ثمانية وعشرون الشرطان البطين الثريا الدبران

الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة
العواء السماك الغفر الزبانى الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح
سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا
وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه فاذا كان
في آخر منازله وهو الذي يكون فيه قبيل الاجتماع دق واستقوس وقرأ الكوفيون
وابن عامر القمر بنصب الراء حتى عاد كالعرجون كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج
وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون القديم العتيق و
قيل ما مر عليه حول فصاعدا لا الشمس ينبغي لها يصح لها ويتسهل ان تدرك القمر في سرعة
سيره فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان او في آثاره ومنافعه او مكانه
بالنزول الى محله او سلطانه فتطمس نوره وايلاء حرف النفي الشمس للدلالة على انها مسخرة
لا يتيسر لها الا ما اريد بها ولا الليل سابق النهار يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد
بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا للاول
وتبديل الادراك بالسبق لانه الملائم لسرعة سيره وكل وكلهم والتنوين عوض عن المضاف
اليه والضمير للشموس والاقمار فان اختلاف الاحوال يوجب تعددا ما في الذات او للكواكب
فان ذكرهما مشعر بها في فلك يسبحون يسيرون فيه بانبساط واية لهم انا حملنا
ذريتهم اولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم
فان الذرية تقع عليهن لانهن مزارعها وتخصيصهم لان استقرارهم في السفن اشق
وتماسكهم فيها اعجب وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم في الفلك المشحون المملوء وقيل المراد
فلك نوح وحمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها آباءهم الاقدمين وفي اصلابهم هم وذرياتهم
وتخصيص الذرية لانه ابلغ في الامتنان وادخل في التعجب مع الايجاز وخلقنا لهم من مثله
من مثل الفلك ما يركبون من الابل فانها سفائن البر او من السفن والزوارق وان
نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم فلا مغيث لهم يحرسهم عن الغرق او فلا اغاثة كقولهم اتاهم الصريخ
ولا هم ينقذون ينجون من الموت به الا رحمة منا ومتاعا الا لرحمة ولتمتيع بالحيوة
الى حين زمان قدر لآجالهم واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم الوقائع التي
خلت والعذاب المعد في الآخرة او عكسه او نوازل السماء ونوائب الارض او لم
يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض او عذاب الدنيا وعذاب الآخرة
او عكسه او ما تقدم من الذنوب وما تأخر لعلكم ترحمون لتكونوا راجين رحمة الله و
جواب محذوف دل عليه قوله وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين
كانه قال واذا قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا لانهم اعتادوه وتمرنوا عليه واذا قيل لهم
انفقوا مما رزقكم الله على محاويجكم قال الذين كفروا بالصانع يعني معطلة كانوا بمكة
للذين آمنوا تهكما بهم من اقرارهم به وتعليقهم الامور بمشيئة الله انطعم من لو يشاء الله

اطعمه على زعمكم وقيل قاله مشركوا قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين ايهاما بان الله
لما كان قادرا ان يطعمهم ولم يطعمهم فنحن احق بذلك وهذا من فرط جهالتهم فان الله
يطعم باسباب منها حث الاغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم له ان انتم الا في ضلال
مبين حيث امرتمونا بما يخالف مشية الله ويجوز ان يكون جوابا من الله لهم او حكاية
لجواب المؤمنين لهم ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين يعنون وعد البعث
ما ينظرون ما ينتظرون الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى تاخذهم وهم يخصمون
يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم امرها كقوله او تاتيهم الساعة وهم
لا يشعرون واصله يختصمون فسكنت التاء وادغمت ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين
وروى ابو بكر بكسر الياء للاتباع وقرا ابن كثير وورش وهشام بفتح الخاء على القاء حركة
التاء اليه وابو عمرو به مع اختلاس وعن نافع الفتح فيه والاسكان والتشديد وكانه جوز
الجمع بين الساكنين اذا كان الثاني مدغما وقرا حمزة يخصمون من خصمه اذا جادله
فلا يستطيعون توصية في شيء من امورهم ولا الى اهلهم يرجعون فيروا حالهم بل يموتون
حيث تبغتهم الصيحة ونفخ في الصور اي مرة ثانية وقد سبق فاذا هم من الاجداث
من القبور جمع جدث وقرئ بالفاء الى ربهم ينسلون يسرعون وقرئ بالضم قالوا
يا ويلنا وقرئ يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا وقرئ من اهبنا من هب من نومه
اذا انتبه ومن هبنا بمعنى اهبنا وفيه ترشيح ورمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم
يظنون انهم كانوا نياما ومن بعثنا ومن هبنا على الجارة والمصدر هذا ما وعد
الرحمن وصدق المرسلون مبتدا وخبر وما مصدرية او موصولة محذوفة الراجع او هذا
صفة لمرقدنا وما وعد خبر محذوف او مبتدا خبره محذوف اي ما وعد الرحمن
وصدق المرسلون حق وهو من كلامهم وقيل جواب للملائكة او المؤمنين عن سؤالهم
معدول عن سننه تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها بان الذي يهمهم هو السؤال
عن البعث كانهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وارسل اليكم الرسل فصدقوكم
وليس الامر كما تظنون فانه ليس ببعث النائم فيهمكم السؤال عن الباعث وانما
هو البعث الاكبر ذو الاهوال ان كانت ما كانت الفعلة الا صيحة واحدة هي النفخة
الاخيرة وقرئت بالرفع على كان التامة فاذا هم جميع لدينا محضرون بمجرد تلك الصيحة
وفي كل ذلك تهوين امر البعث والحشر واستغناؤهما عن الاسباب التي ينوطان
بها فيما يشاهدونه فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون حكاية
لما يقال لهم حينئذ تصويرا للموعود وتمكينا له في النفوس وكذا قوله ان اصحاب
الجنة اليوم في شغل فاكهون متلذذون في النعمة من الفكاهة وفي تنكير شغل وابهامه
تعظيم لما هم فيه من البهجة والتلذذ وتنبيه على انه اعلى ما يحيط به الافهام ويعرب عن كنهه
الكلام وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو في شغل بالسكون ويعقوب في رواية فكهون للمبالغة

للمبالغة وهما خبران لان ويجوز ان يكون في شغل صلة لفاكهون وقرئ فكهون بالضم
كنطس ونطس وفاكهين وفكهين على الحال من المستكن في الظرف وشغل بفتحتين
وفتحة وسكون والكل لغات هم وازواجهم في ظلال جمع ظل كشعاب او ظلة
كقباب ويؤيده قراءة حمزة والكسائي في ظلل على الارائك على السرر المزينة
متكئون وهم مبتدا خبره في ظلال وعلى الارائك جملة مستانفة او خبر ثان او متكئون
والجاران صلتان له او تاكيد للضمير في شغل او فاكهون وعلى الارائك متكئون
خبر اخر لان وازواجهم عطف على هم للمشاركة في الاحكام الثلثة وفي ظلال حال
من المعطوف والمعطوف عليه لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون ما يدعون به لانفسهم
يفتعلون من الدعاء كالاشتواء والاجتماء اذا اشتوى وحمل لنفسه او ما يتداعونه كقوله
ارتموه بمعنى تراموه او يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي او ما يدعونه
في الدنيا من الجنة ودرجاتها وما موصولة او موصوفة مرتفعة بالابتداء ولهم خبرها
وقوله سلام بدل منها او صفة اخرى ويجوز ان يكون خبرها او خبر محذوف او مبتدا
محذوف الخبر اي ولهم سلام وقرئ بالنصب على المصدر او الحال اي لهم مرادهم خالصا
قولا من رب رحيم اي يقول الله او يقال لهم قولا كائنا من جهته والمعنى ان الله
يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة تعظيما لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم
ويحتمل نصبه على الاختصاص وامتازوا اليوم ايها المجرمون وانفردوا عن المؤمنين
وذلك حين يسار بهم الى الجنة كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وقيل
اعتزلوا من كل خير او تفرقوا في النار فان لكل كافر بيتا ينفرد به لا يرى ولا يرى الم
اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال لهم تقريعا والزاما
للحجة وعهده اليهم ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الامرة بعبادته الزاجرة عن
عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان لانه الامر بها والمزين لها وقرئ اعهد بكسر
حرف المضارعة واحهد واحد على لغة بني تميم انه لكم عدو مبين تعليل للمنع عن عبادته
بالطاعة فيما يحملهم عليه وان اعبدوني عطف على ان لا تعبدوا هذا صراط مستقيم
اشارة الى ما عهد اليهم او الى عبادته فالجملة استئناف لبيان المقتضي للعهد بشقيه او بالشق
الاخر والتنكير للمبالغة والتعظيم او للتبعيض فان التوحيد سلوك بعض الطريق المستقيم
ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون رجوع الى بيان معاداة الشيطان مع
ظهور عداوته ووضوح اضلاله لمن له ادنى عقل وراي والجبل الخلق وقرا يعقوب
بضمتين وابن كثير وحمزة والكسائي بهما مع تخفيف اللام وابن عامر وابو عمرو بضمة
وسكون مع التخفيف والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كخلقة وخلق وجبلا واحد الاجبال
هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ذوقوا حرها اليوم بكفركم
في الدنيا اليوم نختم على افواههم تمنعها من الكلام وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم

بما كانوا يكسبون بظهور آثار المعاصي عليها ودلالتها على أفعالها أو بإنطاق الله إياها
وفي الحديث أنهم يجحدون ويخاصمون فيختم على أفواههم وتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم
ولو نشاء لطمسنا على أعينهم حتى تصير ممسوحة فاستبقوا الصراط فاستبقوا إلى
الطريق الذي اعتادوا سلوكه وانتصابه بنزع الخافض أو بتضمين الاستباق معنى الابتدار
أو جعل المسبوق إليه مسبوقا على الاتساع أو بالظرف فأنى يبصرون الطريق وجهة
السلوك فضلا عن غيره ولو نشاء لمسخناهم بتغيير صورهم وإبطال قواهم على مكانتهم مكانهم
بحيث يجمدون فيه وقرأ أبو بكر مكاناتهم فما استطاعوا مضيا ذهابا ولا يرجعون
ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه للفواصل وقيل ولا يرجعون عن تكذيبهم وقرئ مضيا بإتباع
الميم الضاد المكسورة لقلب الواو ياء كالعتي والعتي ومضيا كصبي والمعنى أنهم بكفرهم
ونقضهم ما عهد إليهم أحقاء بأن يفعل بهم ذلك لكنا لم نفعل لشمول الرحمة لهم واقتضاء
الحكمة إمهالهم ومن نعمره ومن نطل عمره ننكسه في الخلق نقلبه فيه فلا يزال يتزايد
ضعفه وانتقاص بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدء أمره وقرأ عاصم وحمزة ننكسه من التنكيس
وهو أبلغ والنكس أشهر أفلا يعقلون أن من قدر على ذلك قدر على الطمس والمسخ
فإنه مشتمل عليهما وزيادة غير أنه على تدرج وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء
لجري الخطاب قبله وما علمناه الشعر رد لقولهم إن محمدا شاعر أي ما علمناه الشعر
بتعليم القرآن فإنه غير مقفى ولا موزون وليس معناه ما يتوخاه الشعراء من التخيلات
المرغبة والمنفرة ونحوها وما ينبغي له وما يصح له الشعر ولا يتأتى له إن أراد قرضه على
ما اختبرتم طبعه نحوا من أربعين سنة وقوله أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب
وقوله هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت اتفاقي من غير
تكلف وقصد منه إلى ذلك وقد يقع مثله كثيرا في تضاعيف المنثورات على أن
الخليل ما عد المشطور من الرجز شعرا هذا وقد روي أنه حرك الباءين وكسر التاء
الأولى بلا إشباع وسكن الثانية وقيل الضمير للقرآن أي وما يصح للقرآن أن يكون
شعرا إن هو إلا ذكر عظة وإرشاد من الله وقرآن مبين وكتاب سماوي يتلى
في المعابد ظاهر أنه ليس من كلام البشر لما فيه من الإعجاز لينذر القرآن أو الرسول ويؤيده
قراءة نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء من كان حيا عاقلا فهما فإن الغافل كالميت
أو مؤمنا في علم الله فإن الحياة الأبدية بالإيمان وتخصيص الإنذار به لأنه المنتفع به
ويحق القول وتجب كلمة العذاب على الكافرين المصرين على الكفر وجعلهم في مقابلة
من كان حيا إشعار بأنهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تأملهم أموات في الحقيقة
أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا مما تولينا إحداثه ولم يقدر على إحداثه غيرنا
وذكر الأيدي وإسناد العمل إليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد بالإحداث
أنعاما خصها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة وكثرة المنافع فهم لها مالكون متملكون لها

بتمليكنا إياهم أو متمكنون من ضبطها والتصرف فيها بتسخيرنا إياها لهم قال
أصبحت لا أحمل السلاح ولا أملك رأس البعير إن نفرا وذللناها لهم وصيرناها منقادة
لهم فمنها ركوبهم مركوبهم وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل جمعه
وركوبهم أي ذو ركوبهم أو فمن منافعها ركوبهم ومنها يأكلون أي ما يأكلون
لحمه ولهم فيها منافع من الجلود والأصواف والأوبار ومشارب من اللبن جمع
مشرب بمعنى الموضع أو المصدر أفلا يشكرون نعم الله في ذلك إذ لولا خلقه لها
وتذليله إياها كيف أمكن التوسل إلى تحصيل هذه المنافع المهمة واتخذوا من دون
الله آلهة أشركوها به في العبادة بعد ما رأوا منه تلك القدرة الباهرة والنعم المتظاهرة
وعلموا أنه المتفرد بها لعلهم ينصرون رجاء أن ينصروهم فيما حزبهم من الأمور والأمر
بالعكس لأنه لا يستطيعون نصرهم وهم لهم لآلهتهم جند محضرون معدون لحفظهم
والذب عنهم أو محضرون أثرهم في النار فلا يحزنك فلا يهمنك وقرئ بضم الياء
من أحزن قولهم في الله بالإلحاد والشرك أو فيك بالتكذيب والتهجين إنا نعلم
ما يسرون وما يعلنون فنجازيهم عليه وكفى ذلك أن تتسلى به وهو تعليل للنهي على
الاستئناف ولذلك لو قرئ أنا بالفتح على حذف لام التعليل جاز أولم ير الإنسان أنا
خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه بالنسبة إلى
إنكارهم الحشر وفيه تقبيح بليغ لإنكاره حيث عجب منه وجعله إفراطا في الخصومة
بينا ومنافاة لجحود القدرة على ما هو أهون مما عمله في بدء خلقه ومقابلة النعمة التي
لا مزيد عليها وهي خلقه من أخس شيء وأمهنه شريفا مكرما بالعقوق والتكذيب روي
أن أبي بن خلف أتى النبي عليه السلام بعظم بال يفتته بيده وقال أترى الله يحيي هذا
بعد ما رم فقال عليه السلام نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت وقيل معنى فإذا
هو خصيم مبين فإذا هو بعد ما كان ماء مهينا مميز منطيق قادر على الخصام معرب عما
في نفسه وضرب لنا مثلا أمرا عجيبا وهو نفي القدرة على إحياء الموتى أو تشبيهه بخلقه
بوصفه بالعجز عما عجزوا عنه ونسي خلقه خلقنا إياه قال من يحيي العظام وهي رميم
منكرا إياه مستبعدا له والرميم ما بلي من العظام ولعله فعيل بمعنى فاعل من رم الشيء
ثم صار اسما بالغلبة ولذلك لم يؤنث أو بمعنى مفعول من رممته وفيه دليل على أن العظم
ذو حياة فيؤثر فيه الموت كسائر الأعضاء قل يحييها الذي أنشأها أول مرة فإن
قدرته كما كانت لامتناع التغير فيه والمادة على حالها في القابلية اللازمة لذاتها وهو
بكل خلق عليم يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها فيعلم أجزاء الأشخاص المتفتتة
المتبددة أصولها وفصولها ومواقعها وطريق تمييزها وضم بعضها إلى البعض على النمط
السابق وإعادة الأرواح والقوى التي كانت فيها أو إحداث مثلها الذي جعل لكم
من الشجر الأخضر كالمرخ والعفار نارا بأن يسحق المرخ على العفار وهما خضراوان يقطر

منها الماء فيقدح النار فاذا انتم منه توقدون لا تشكون في انها نار خرجت منه
فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان اقدر
على اعادة الغضاضة فيما كان غضا فيبس وبلي وقرئ من الشجر الخضراء على المعنى كقوله
فمالئون منها البطون اوليس الذي خلق السموات والارض مع كبر جرمهما وعظم شانهما
بقادر على ان يخلق مثلهم في الصغر والحقارة بالاضافة اليهما او مثلهم في اصول الذات
وصفاتها وهو المعاد وعن يعقوب يقدر بلى جواب من الله لتقرير ما بعد النفي مشعر
بانه لا جواب سواه وهو الخلاق العليم كثير المخلوقات والمعلومات انما امره
انما شانه اذا اراد شيئا ان يقول له كن اي تكون فيكون فهو يكون اي يحدث وهو
تمثيل لتاثير قدرته في مراده بامر المطاع للمطيع في حصول المامور به من غير امتناع وتوقف
وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعا لمادة الشبهة وهو قياس قدرة الخلق ونصبه
ابن عامر والكسائي عطفا على يقول فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء تنزيه له عما
ضربوا له وتعجيب عما قالوا فيه معللا بكونه مالكا للملك كله قادرا على كل شيء واليه ترجعون
وعد ووعيد للمقرين والمنكرين وقرا يعقوب بفتح التاء وعن ابن عباس كنت لا
اعلم ما روي في فضل يس كيف خصت به فاذا انه لهذه الآية وعنه عليه السلام
ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس من قراها يريد بها وجه الله غفر الله له واعطي
من الاجر كانما قرا القرآن اثنتين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به
ملك الموت يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون
عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون
دفنه وايما مسلم قرا يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى
يجيئه رضوان بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو ريان
ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان

سورة والصافات مكية وآيها مائة واحدى او اثنتان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات
ذكرا اقسم بالملائكة الصافين في مقام العبودية على مراتب باعتبارها تفيض عليهم
الانوار الالهية منتظرين لامر الله الزاجرين الاجرام العلوية والسفلية بالتدبير المامور
فيها او الناس عن المعاصي بالهام الخير او الشياطين عن التعرض لهم التالين آيات الله
وجلايا قدسه على انبيائه واوليائه او بطوائف الاجرام المترتبة كالصفوف المرصوصة
والارواح المدبرة لها والجواهر القدسية المستغرقة في بحار القدس يسبحون الليل والنهار
لا يفترون او بنفوس العلماء الصافين في العبادات الزاجرين عن الكفر والفسوق بالحجج
والنصائح التالين آيات الله وشرائعه او بنفوس الغزاة الصافين في الجهاد الزاجرين الخيل
او العدو والتالين ذكر الله لا يشغلهم عنه مبارزة العدو والعطف لاختلاف الذوات

الذوات او الصفات والفاء لترتب الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح
فالغانم فالآيب فان الصف كمال والزجر تكميل بالمنع عن الشر او الاساقة الى قبول
الخير والتلاوة افاضته او الرتبة كقوله عليه السلام رحم الله المحلقين فالمقصرين غير
انه لفضل المتقدم على المتاخر وهذا بالعكس وادغم ابو عمرو وحمزة التاءات فيما يليها
لتقاربها فانها من طرف اللسان واصول الثنايا ان الهكم لواحد جواب القسم
والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتاكيد المقسم عليه على ما هو المالوف من كلامهم واما تحقيقه
فبقوله رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق فان وجودهما وانتظامهما
على الوجه الاكمل مع امكان غيره دليل وجود الصانع الحكيم ووحدته على ما مر غير مرة
ورب بدل من واحد او خبر ثان او خبر محذوف وما بينهما يتناول افعال العباد
فيدل على انها من خلقه والمشارق مشارق الكواكب او مشارق الشمس في السنة وهي
ثلثمائة وستون تشرق كل يوم في واحد وبحسبها تختلف المغارب ولذلك اكتفى
بذكرها مع ان الشروق ادل على القدرة وابلغ في النعمة وما قيل انها مائة وثمانون انما
يصح لو لم تختلف اوقات الانتقال انا زينا السماء الدنيا القربى منكم بزينة الكواكب
والاضافة للبيان ويعضده قراءة حمزة ويعقوب وحفص بتنوين زينة وجر الكواكب
على ابدالها منها او بزينة هي لها كاضوائها واوضاعها او بان زينا الكواكب فيها على
اضافة المصدر الى المفعول فانها كما جاءت اسما كالليقة جاءت مصدرا كالنسبة
ويؤيده قراءة ابي بكر بالنصب والتنوين على الاصل او بان زينتها الكواكب على اضافته
الى الفاعل وركوز الثوابت في الكرة الثامنة وما عدا القمر من السيارات في الست المتوسطة
بينها وبين سماء الدنيا ان تحقق لم يقدح في ذلك فان اهل الارض يرونها باسرها
كجواهر مشرقة متلالئة على سطحها الازرق باشكال مختلفة وحفظا منصوب باضمار فعله
او العطف على زينة باعتبار المعنى كانه قال انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من كل
شيطان مارد خارج عن الطاعة برمي الشهب لا يسمعون الى الملأ الاعلى كلام مبتدا
لبيان حالهم بعد ما حفظ السماء عنهم ولا يجوز جعله صفة لكل شيطان فانه يقتضي ان يكون
الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا علة للحفظ على حذف اللام كما في جئتك ان تكرمني ثم حذف
ان واهدارها كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى فان اجتماع ذلك منكر والضمير لكل
باعتبار المعنى وتعدية السماع بالى لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه
ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص بالتشديد من التسمع وهو تطلب السماع والملأ الاعلى
الملائكة او اشرافهم ويقذفون ويرمون من كل جانب من جوانب السماء اذا قصدوا
صعوده دحورا علة اي للدحور وهو الطرد او مصدر لانه والقذف متقاربان او حال
بمعنى مدحورين او منزوع عنه الباء جمع دحر وهو ما يطرد به ويقويه القراءة بالفتح وهو يحتمل
ايضا ان يكون مصدرا كالقبول او صفة له اي قذفا دحورا ولهم عذاب اي عذاب

رجز واصب دائم او شديد وهو عذاب الآخرة الا من خطف الخطفة استثناء
من واو يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة
ولذلك عرّف الخطفة وقرئ خطّف بالتشديد مفتوح الخاء ومكسورها ومكسور الطاء
واصلهما اختطف فاتبعه شهاب اتبع بمعنى تبع والشهاب ما يرى كان كوكبا انقض
وما قيل انه بخار يصعد الى الاثير فيشتعل فتخمين ان صح لم يناف ذلك اذ ليس فيه
ما يدل على انه ينقض من الفلك ولا في قوله انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها
رجوما للشياطين فان كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لاهل الارض وزينة للسماء
من حيث انه يرى كانه على سطحه ولا يبعد ان يصير الحادث كما ذكر في بعض الاوقات رجما
لشيطان يتصعد الى قرب الفلك للتسمع وما روي ان ذلك حدث بميلاد النبي عليه
السلام ان صح فلعل المراد كثرته او وقوعه او مصيره دحورا واختلف في ان المرجوم يتأذى به
فيرجع او يحترق به لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد لا يصيب كالموج لراكب السفينة و
لذلك لا يرتدعون عنه راسا ولا يقال ان الشيطان من النار فلا يحترق لانه ليس
من الصرف كما ان الانسان ليس من التراب الخالص مع ان النار القوية اذا استولت
على الضعيفة استهلكتها ثاقب مضيء كانه يثقب بضوئه فاستفتهم فاستخبرهم و
الضمير لمشركي مكة او لبني آدم اهم اشد خلقا ام من خلقنا يعني ما ذكر من الملائكة والسماء
والارض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء ويدل
عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك وقراءة من قرأ ام من عددنا وقوله انا خلقناهم من طين
لازب فان الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم كعاد وثمود ولان المراد اثبات
المعاد ورد استحالتهم والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وتقريره ان
استحالة ذلك اما لعدم قابلية المادة ومادتهم الاصلية هي الطين اللازب الحاصل
من ضم الجزء المائي الى الجزء الارضي وهما باقيان قابلان للانضمام بعد وقد علموا ان
الانسان الاول انما تولد منه اما لاعترافهم بحدوث العالم او بقصة آدم وشاهدوا تولد
كثير من الحيوانات منه بلا توسط مواقعة فلزمهم ان يجوزوا اعادتهم كذلك واما لعدم
قدرة الفاعل فان من قدر على خلق هذه الاشياء قدر على ما لا يعتد به بالاضافة اليها سيما
ومن ذلك بدأهم اولا وقدرته ذاتية لا تتغير بل عجبت من قدرة الله وانكارهم
للبعث ويسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث وقرأ حمزة والكسائي بضم التاء
اي بلغ كمال قدرتي وكثرة خلائقي الى تعجبت منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها او
عجبت من ان ينكر البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يجوزه والتعجب
من الله اما على الفرض والتخييل او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري
الانسان عند استعظامه الشيء وقيل انه مقدر بالقول اي قل يا محمد بل عجبت واذا
ذكروا لا يذكرون واذا وعظوا بالشيء لا يتعظون به واذا ذكر لهم ما يدل على صحة الحشر

الحشر لا ينتفعون به لبلادتهم وقلة فكرهم واذا رأوا آية معجزة تدل على صدق
القائل به يستسخرون يبالغون في السخرية ويقولون انه سحر او يستدعي بعضهم
من بعض ان يسخر منها وقالوا ان هذا يعنون ما يرونه الا سحر مبين ظاهر سحريته
ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون اصله انبعث اذا متنا فبدلوا
الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا الهمزة مبالغة في الانكار واشعارا
بان البعث مستنكر في نفسه وفي هذه الحالة اشد استنكارا فهو ابلغ من قراءة
ابن عامر بطرح الهمزة الاولى وقراءة نافع والكسائي ويعقوب بطرح الثانية اوآباؤنا
الاولون عطف على محل ان واسمها او على الضمير في مبعوثون فانه مفصول عنه
بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم وسكن نافع وابن عامر الواو
على الترديد قل نعم وانتم داخرون صاغرون واكتفى به في الجواب لسبق ما يدل
على جوازه وقيام المعجز على صدق المخبر عن وقوعه وقرئ قال اي الله او الرسول
وقرأ الكسائي وحده نعم بالكسر وهو لغة فيه فانما هي زجرة واحدة جواب شرط مقدر
اي اذا كان ذلك فانما البعثة زجرة اي صيحة واحدة هي النفخة الثانية من زجر الراعي
غنمه اذا صاح عليها وامرها في الاعادة كامر كن في الابداء ولذلك رتب عليها
فاذا هم ينظرون فاذا هم قيام من مراقدهم احياء يبصرون او ينتظرون ما يفعل
بهم وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين اليوم الذي نجازى باعمالنا وقد تم به كلامهم وقوله
هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون جواب الملائكة وقيل هو ايضا من كلام بعضهم
لبعض والفصل القضاء او الفرق بين المحسن والمسيء احشروا الذين ظلموا امر الله
للملائكة او امر بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل منه الى الجحيم
وازواجهم واشباههم عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكوكب مع عبدته
كقوله وكنتم ازواجا ثلاثة او نساءهم اللاتي على دينهم او قرناءهم من الشياطين
وما كانوا يعبدون من دون الله من الاصنام وغيرها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم وهو
عام مخصوص بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وفيه دليل على
ان الذين ظلموا المشركون فاهدوهم الى صراط الجحيم فعرفوهم طريقها ليسلكوها
وقفوهم احبسوهم في الموقف انهم مسؤلون عن عقائدهم واعمالهم والواو
لا توجب الترتيب مع جواز ان يكون موقفهم بعد الهدى والتعريف للسؤال
ما لكم لا تناصرون لا ينصر بعضكم بعضا بالتخليص وهو توبيخ وتعريض وتقريع
بل هم اليوم مستسلمون منقادون لعجزهم وانسداد الحيل عليهم واصل الاستسلام
طلب السلامة او متسالمون كانه يسلم بعضهم بعضا ويخذله واقبل بعضهم على بعض
يعني الرؤساء والاتباع او الكفرة والقرناء يتساءلون يسأل بعضهم بعضا للتوبيخ
ولذلك فسر بيتخاصمون قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين عن اقوى الوجوه

وايمنها او عن الدين او الخير كانكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم وهلكنا مستعار
من يمين الانسان الذي هو اقوى الجانبين واشرفه وانفعه ولذلك سمي يمينا
وتيمن بالسانح او عن القوة والقهر فتقسروننا على الضلالة او عن الحلف فانهم كانوا
يحلفون لهم انهم على الحق قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من
سلطان بل كنتم قوما طاغين اجابهم الرؤساء اولا بمنع اضلالهم بانهم كانوا
ضالين في انفسهم وثانيا بانهم ما اجبروهم على الكفر اذ لم يكن لهم عليهم تسلط
وانما جنحوا اليه لانهم كانوا قوما مختارين الطغيان فحق علينا قول ربنا انا
لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين ثم بينوا ان ضلال الفريقين ووقوعهم في
العذاب كان امرا مقضيا لا محيص لهم عنه وان غاية ما فعلوا بهم انهم دعوهم الى الغي
لانهم كانوا على الغي فاحبوا ان يكونوا مثلهم وفيه ايماء بان غوايتهم في الحقيقة ليست
من قبلهم اذ لو كان كل غواية لاغواء غاو فمن اغواهم فانهم فان الاتباع والمتبوعين
يومئذ في العذاب مشتركون كما كانوا مشتركين في الغواية انا كذلك مثل ذلك
الفعل نفعل بالمجرمين بالمشركين لقوله انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون
اي عن كلمة التوحيد او على من يدعوهم اليه ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون
يعنون محمدا عليه السلام بل جاء بالحق وصدق المرسلين رد عليهم بان ما جاء من التوحيد
حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون انكم لذائقوا العذاب الاليم بالاشراك
وتكذيب الرسول وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا
قليلا وهو ضعيف في غير المحلى باللام وعلى الاصل وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا
مثل ما عملتم الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع الا ان يكون الضمير في تجزون
لجميع المكلفين فيكون استثناؤهم عنه باعتبار المماثلة فان ثوابهم مضاعف
والمنقطع بهذا الاعتبار اولئك لهم رزق معلوم خصائصه من الدوام او تمحض اللذة
ولذلك فسره بقوله فواكه فان الفاكهة ما يقصد للتلذذ دون التغذي والقوت
بالعكس واهل الجنة لما اعيدوا على خلقة محكمة محفوظة عن التحلل كانت ارزاقهم فواكه
خالصة وهم مكرمون في نيله يصل اليهم من غير تعب وسؤال كما عليه رزق الدنيا
في جنات النعيم في جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف او حال من المستكن في مكرمون
او خبر ثان لاولئك على سرر يحتمل الحال والخبر فيكون متقابلين حالا من المستكن فيه
او في مكرمون وان يتعلق بمتقابلين فيكون حالا من ضمير مكرمين يطاف عليهم بكاس
باناء فيه خمر او خمر كقوله وكاس شربت على لذة من معين من شراب معين او نهر
معين اي ظاهر للعيون او خارج من العيون وهو صفة للماء من عان الماء اذا نبع وصف
به خمر الجنة لانها تجري كالماء او للاشعار بان تكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما
يطلب من انواع الاشربة لكمال اللذة وكذلك قوله بيضاء لذة للشاربين وهما

وهما ايضا صفتان لكاس ووصفها بلذة اما للمبالغة او لانها تانيث لذ بمعنى
لذيذ كطب ووزنه فعل قال ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض العدى من خشية
الحدثان لا فيها غول غائلة كما في خمر الدنيا كالخمار من غاله يغوله اذا افسده ومنه
الغول ولا هم عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف
اذا ذهب عقله افرده بالنفي وعطف على ما يعمه لانه من عظم فساده كانه
جنس برأسه وقرأ حمزة والكسائي بكسر الزاي وتابعهما عاصم في الواقعة من انزف
الشارب اذا انفد عقله او شرابه واصله للنفاد ويقال نزف المطعون اذا خرج دمه
كله فنزحت الركية حتى نزفتها وعندهم قاصرات الطرف قصرت ابصارهن على ازواجهن
عين نجل العيون جمع عيناء كانهن بيض مكنون شبههن ببيض النعام المصون من الغبار
ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بادنى صفرة فانه احسن الوان الابدان فاقبل
بعضهم على بعض يتساءلون معطوف على يطاف عليهم اي يشربون فيتحادثون على
الشراب قال وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام والتعبير عنه بالماضي
للتاكيد فيه فانه الذ تلك اللذات الى العقل وتساؤلهم عن المعارف والفضائل
وما جرى لهم وعليهم في الدنيا قال قائل منهم في مكالمتهم اني كان لي قرين جليس في الدنيا
يقول أئنك لمن المصدقين يوبخني على التصديق بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق
ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء قال اي ذلك
القائل هل انتم مطلعون الى اهل النار لاريكم ذلك القرين وقيل القائل هو الله
او بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار لاريكم ذلك القرين فتعلموا
اين منزلتكم من منزلتهم وعن ابي عمرو مطلعون فاطلع بالتخفيف وكسر النون وضم
الالف على انه جعل اطلاعهم سبب اطلاعه من حيث ان ادب المجالسة يمنع الاستبداد
به او خاطب الملائكة على وضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير و
الامرونه او شبه اسم الفاعل بالمضارع فاطلع عليهم فرآه اي قرينه في سواء الجحيم
وسطه قال تالله ان كدت لتردين لتهلكني بالاغواء وقرئ لتغوين وان هي
المخففة واللام هي الفارقة ولولا نعمة ربي بالهداية والعصمة لكنت من المحضرين معك
فيها افما نحن بميتين عطف على محذوف اي انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين
اي بمن شانه الموت وقرئ بمائتين الا موتتنا الاولى التي كانت في الدنيا وهي متناولة
لما في القبر بعد الاحياء للسؤال ونصبها على المصدر من اسم الفاعل وقيل على الاستثناء المنقطع
وما نحن بمعذبين كالكفار وذلك تمام كلامه لقرينه تقريعا له او معاودة اي مكالمة
جلسائه تحدثا بنعمة الله وتبجحا بها وتعجبا منها وتعريضا للقرين بالتوبيخ ان هذا لهو
الفوز العظيم يحتمل ان يكون من كلامهم وان يكون من كلام الله لتقرير قوله والاشارة الى ما هم
عليه من النعمة والخلود والامن من العذاب لمثل هذا فليعمل العاملون اي لنيل مثل

نه يحب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية بالالام الشرعية الانصرام وهو ايضا
يحتمل الامرين اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم شجرة ثمرها نزل اهل النار وانتصاب
نزلا على التمييز او الحال وفي ذكره دلالة على ان ما ذكر من النعيم لاهل الجنة بمنزلة ما يقام
للنازل ولهم ما وراء ذلك ما يقصر عنه الافهام وكذلك الزقوم لاهل النار وهو اسم
شجرة صغيرة الورق دفرة مرة تكون بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة انا جعلناها
فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الاخرة او ابتلاء في الدنيا فانهم لما سمعوا انها
في النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجرة ولم يعلموا ان من قدر على خلق حيوان
يعيش في النار ويلتذ بها فهو اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق انها شجرة
تخرج في اصل الجحيم منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها طلعها حملها
مستعار من طلع التمر لمشاركته اياه في الشكل او الطلوع من الشجر كانه رؤس الشياطين
في تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك وقيل الشياطين
حيات هائلة قبيحة المنظر لها اعراف ولعلها سميت بها لذلك فانهم لاكلون منها
من الشجرة او من طلعها فمالئون منها البطون من غلبة الجوع او الجبر على اكلها ثم ان لهم عليها
اي بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش فطال استسقاؤهم ويجوز ان يكون ثم لما في شرابهم
من مزيد الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا من غساق او صديد مشوبا بماء حميم
يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول مصدر سمي به ثم ان مرجعهم
مصيرهم لالى الجحيم الى دركاتها او الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها
وقيل الحميم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها
وبين حميم ان يوردون اليه كما يورد الابل الى الماء ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ
ثم ان منقلبهم انهم القوا اباءهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون تعليل لاستحقاقهم
تلك الشدائد بتقليد الاباء في الضلال والاهراع الاسراع الشديد كانهم يزعجون
على الاسراع على اثارهم وفيه اشعار بانهم بادروا الى ذلك من غير توقف على
نظر وبحث ولقد ضل قبلهم قبل قومك اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين
انبياء انذروهم من العواقب فانظر كيف كان عاقبة المنذرين من الشدة والفظاعة
الا عباد الله المخلصين الا الذين تنبهوا بانذارهم فاخلصوا دينهم لله وقرئ بالفتح
اي الذين اخلصهم الله لدينهم والخطاب مع الرسول والمقصود خطاب قومه فانهم
ايضا سمعوا اخبارهم وراوا اثارهم ولقد نادانا نوح شروع في تفصيل القصص بعد اجمالها
اي ولقد دعانا حين ايس من قومه فلنعم المجيبون اي فاجبناه احسن الاجابة فوالله
لنعم المجيبون نحن فحذف منها ما حذف لقيام ما يدل عليه ونجيناه واهله من الكرب
العظيم من الغرق او اذى قومه وجعلنا ذريتهم الباقين اذ هلك من عداهم وبقوا
متناسلين الى يوم القيمة اذ روي انه مات كل من كان معه في السفينة غير بنيه وازواجهم

وازواجهم وتركنا عليه في الاخرين من الامم سلام على نوح هذا الكلام جيء به على الحكاية
والمعنى يسلمون عليه تسليما وقيل هو سلام من الله عليه ومفعول تركنا محذوف مثل
الثناء في العالمين متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية في الملائكة
والثقلين جميعا انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لما فعل بنوح من التكرمة بانه مجازاة له
على احسانه انه من عبادنا المؤمنين تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره
واصالة امره ثم اغرقنا الاخرين يعني كفار قومه وان من شيعته ممن شايعه
في الايمان واصول الشريعة لابراهيم ولا يبعد اتفاق شرعهما في الفروع او غالبا
وكان بينهما الفان وستمائة واربعون سنة وكان بينهما هود وصالح اذ جاء ربه
متعلق بما في الشيعة من معنى المشايعة او بمحذوف هو اذكر بقلب سليم من افات
القلوب او من العلائق خالص لله او مخلص له وقيل حزين من السليم بمعنى اللديغ
ومعنى المجيء به ربه اخلاصه له كانه جاء به متحفا اياه اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون
بدل من الاول او ظرف لجاء او سليم ائفكا الهة دون الله تريدون اي اتريدون
الهة دون الله افكا فقدم المفعول للعناية ثم المفعول له لان الاهم ان يقرر انهم على
الباطل ومبنى امرهم على الافك ويجوز ان يكون افكا مفعولا به والهة بدل منه
على انها افك في انفسها للمبالغة او المراد بها عبادتها بحذف المضاف او حالا
بمعنى افكين فما ظنكم برب العالمين بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى
تركتم عبادته او اشركتم به غيره او امنتم من عذابه والمعنى انكار ما يوجب ظنا فضلا عن قطع
يصد عن عبادته او يجوز الاشراك به او يقتضي الامن من عقابه على طريقة الالزام
وهو كالحجة على ما قبله فنظر نظرة في النجوم فراى مواقعها واتصالاتها او في علمها او
كتابها ولا منع منه مع ان قصده ايهامهم وذلك حين سالوه ان يعيد معهم فقال
اني سقيم اراهم انه استدل بها لانهم كانوا منجمين على انه مشارف للسقم لئلا
يخرجوه الى معبدهم فانه كان اغلب اسقامهم الطاعون وكانوا يخافون العدوى او
اراد اني سقيم القلب لكفركم او خارج المزاج عن الاعتدال خروجا قل من يخلو منه
او بصدد الموت ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد فدعوت ربي بالسلامة
جاهدا ليصحني فاذا السلامة داء فتولوا عنه مدبرين هاربين مخافة العدوى
فراغ الى الهتهم فذهب اليها في خفية من روغة الثعلب واصله الميل بحيلة
فقال اي للاصنام استهزاء الا تاكلون يعني الطعام الذي عندهم ما لكم لا تنطقون
بجوابي فراغ عليهم فمال عليهم مستخفيا والتعدية بعلى للاستعلاء وان الميل لمكروه
ضربا باليمين مصدر لراغ عليهم لانه في معنى ضربهم او لمضمر تقديره فراغ عليهم يضربهم
وتقييده باليمين للدلالة على قوته فان قوة الالة تستدعي قوة الفعل وقيل باليمين
بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه الى ابراهيم بعد ما

رجعوا فرأوا اصنامهم مكسرة وبحثوا عن كاسرها وظنوا انه هو كما شرحه
في قوله من فعل هذا بآلهتنا يزفون مسرعين من زفيف النعام وقرأ حمزة
على بناء المفعول من ازفه اي يحملون على الزفيف وقرئ ويزفون اي يزف
بعضهم بعضا ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا
حداه كأن بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه قال اتعبدون ما تنحتون من الاصنام
والله خلقكم وما تعملون اي وما تعملونه فان جوهرها بخلقه وشكلها وان كان
بفعلهم ولذلك جعل من اعمالهم باقداره اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم
من الدواعي والعدد او عملكم بمعنى معمولكم ليطابق ما تنحتون او انه بمعنى الحدث
فان فعلهم اذا كان بخلق الله فيهم كان مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك
وبهذا المعنى تمسك به اصحابنا على خلق الاعمال ولهم ان يرجحوه على الاولين لما
فيهما من حذف او مجاز قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم في النار الشديدة
من الجحمة وهي شدة التأجج واللام بدل الاضافة اي جحيم ذلك البنيان فارادوا
به كيدا فانه لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم
فجعلناهم الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شأنه حيث جعل
النار عليه بردا وسلاما وقال اني ذاهب الى ربي الى حيث امرني ربي وهو الشام
او حيث اتجرد فيه لعبادته سيهدين الى ما فيه صلاح ديني او الى مقصدي وانما بت
القول لسبق وعده او لفرط توكله او البناء على عادته معه ولم يكن كذلك حال
موسى عم حين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل فلذلك ذكر بصيغة التوقع
رب هب لي من الصالحين بعض الصالحين يعينني على الدعوة ويؤنسني في الغربة
يعني الولد لان لفظ الهبة غالب فيه ولقوله فبشرناه بغلام حليم بشره بالولد
وبانه ذكر يبلغ اوان الحلم فان الصبي لا يوصف بالحلم ويكون حليما واي حلم مثل
حين عرض عليه ابوه الذبح وهو مراهق فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين
وقيل ما نعت الله نبيا بالحلم لعزة وجوده غير ابراهيم وابنه وحالهما المذكورة بعد
تشهد عليه فلما بلغ معه السعي فلما وجد وبلغ ان يسعى معه في اعماله ومعه متعلق
بمحذوف دل عليه السعي لا به لان صلة المصدر لا يتقدمه ولا ببلغ فان بلوغهما
لم يكن معا كانه قال فلما بلغ السعي فقيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل
في الرفق والاستصلاح له فلا يستسعيه قبل اوانه ولانه استوهبه لذلك وكان له
يومئذ ثلث عشرة سنة قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك يحتمل انه رأى ذلك
وانه رأى ما هو تعبيره وقيل انه رأى ليلة التروية ان قائلا يقول له ان الله يأمرك
بذبح ابنك فلما اصبح روى انه من الله او من الشيطان فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف
انه من الله ثم رأى في الليلة الثالثة فهم بنحره وقال له ذلك ولهذا سميت الايام الثلثة

الثلثة بالتروية وعرفة والنحر والاظهر ان المخاطب اسمعيل لانه الذي وهب له
اثر الهجرة ولان البشارة باسحاق بعد معطوفة على البشارة بهذا الغلام ولقوله عم انا
ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والآخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر ان
يذبح ولدا ان سهل الله له حفر زمزم او بلغ بنوه عشرا فلما سهل خرج السهم على عبد الله
ففداه بمائة من الابل ولذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان
قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا معها في ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمة
ولان البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبها الامر بذبحه
مراهقا وما روى انه سئل اي النسب اشرف فقال يوسف صديق الله ابن يعقوب
اسرائيل الله ابن اسحاق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله فالصحيح انه قال يوسف
بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم والزوائد من الراوي وما روي ان يعقوب كتب الى
يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بفتح الياء فيهما فانظر ماذا ترى
من الرأي وانما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله فيثبت قدمه
ان جزع ويأمن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة بالانقياد له
قبل نزوله وقرأ حمزة والكسائي ماذا ترى بضم التاء وكسر الراء خالصة والباقون بفتحهما
وابو عمرو يميل فتحة الراء وورش بين بين والباقون باخلاص فتحها قال يا ابت وقرأ
ابن عامر بفتح التاء افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذفا دفعة او على الترتيب كما عرفت
او امرك على ارادة المأمور به والاضافة الى المأمور ولعله فهم من كلامه انه رأى
انه يذبحه مأمورا به او علم ان رؤيا الانبياء حق وان مثل ذلك لا يقدمون عليه
الا بامر ولعل الامر به في المنام دون اليقظة ليكون مبادرتهما الى الامتثال ادل
على كمال الانقياد والاخلاص وانما ذكر بلفظ المضارع لتكرر الرؤيا ستجدني
ان شاء الله من الصابرين على قضاء الله او على الذبح وقرأ نافع بفتح الياء
فلما اسلما استسلما لامر الله او سلما الذبح نفسه وابراهيم ابنه وقد قرئ بهما
واصلها سلم هذا لفلان اذا خلص له فانه سلم من ان ينازع فيه وتله للجبين
صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض وهو احد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه
باشارته لئلا يرى فيه تغيرا يرق له فلا يذبحه وكان ذلك عند الصخرة بمنى
او في موضع المشرف على مسجده او المنحر الذي ينحر فيه اليوم وناديناه ان يا ابراهيم
قد صدقت الرؤيا بالعزم والاتيان بالمقدمات وقد روي انه امر السكين بقوته
على حلقه مرارا فلم تقطع وجواب لما محذوف تقديره كان ما كان مما تنطق به الحال
ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما لله على ما انعم عليهما من دفع البلاء
بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق غيرهما لمثله واظهار فضلهما به على العالمين مع احراز
الثواب العظيم الى غير ذلك انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لافراج تلك الشدة

عنهما باجابتهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوعه فانه عليه السلام كان مأمورا بالذبح
لقوله افعل ما تؤمر ولم يحصل ان هذا لهو البلاء المبين الابتلاء البين الذي يتميز فيه
المخلص من غيره او المحنة البينة الصعوبة فانه لا اصعب منها وفديناه بذبح بما يذبح
بدله فيتم به الفعل عظيم عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لانه يفدى به الله نبيا
ابن نبي واي نبي من نسله سيد المرسلين قيل كان كبشا من الجنة وقيل وعلا اهبط
عليه من ثبير وروي انه هرب منه عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فصارت
سنة والفادي على الحقيقة ابرهيم وانما قال وفديناه لانه المعطي له والآمر به على
التجوز في الفداء او الاسناد واستدل به الحنفية على من نذر ذبح ولده لزمه شاة
وليس فيه ما يدل عليه وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابرهيم سبق بيانه في قصة
نوح كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين لعله طرح عنه انا اكتفاء
بذكره مرة في هذه القصة وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين مقضيا نبوته مقدرا
كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة وجود المبشر به وقت البشارة
فان وجود ذي الحال غير شرط بل الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار المعنى بالحال
فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحاق اي بان يوجد
اسحق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين
مقدرون خلودهم وقت الدخول واسحاق لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حينما
يوجد ومن فسر الذبيح باسحاق جعل المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح
بعد النبوة تعظيم لشأنه وايماء بانه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل
على الاطلاق وباركنا عليه على ابرهيم في اولاده وعلى اسحاق بان اخرجنا من صلبه
انبياء بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب او افضنا عليهما بركات الدين والدنيا
وقرئ وبركنا ومن ذريتهما محسن في عمله او على نفسه بالايمان والطاعة
وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي مبين ظاهر ظلمه وفي ذلك تنبيه على ان النسب لا اثر له
في الهدى والضلال وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة وعيب ولقد مننا
على موسى وهرون انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية ونجيناهما
من الكرب العظيم من تعذيب فرعون او الغرق ونصرناهم الضمير لهما مع القوم فكانوا هم
الغالبين على فرعون وقومه وآتيناهما الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التورية
وهديناهما الصراط المستقيم الطريق الموصل الى الحق والصواب وتركنا عليهما في الآخرين
سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين سبق
مثل ذلك وان الياس لمن المرسلين هو الياس بن ياسين سبط هرون اخي موسى
بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ ادريس وادراس مكانه وفي حرف ابي وان ابليس
وقرأ ابن ذكوان مع خلاف عنه بحذف همزة الياس اذ قال لقومه الا تتقون عذاب

عذاب الله اتدعون بعلا اتعبدون او تطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل
بك من الشام وهو البلد الذي يقال له الآن بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن والمعنى
اتدعون بعض البعول وتذرون احسن الخالقين وتتركون عبادته وقد اشار فيه الى
المقتضي للانكار المعني بالهمزة ثم صرح بقوله الله ربكم ورب آبائكم الاولين وقرأ حمزة
والكسائي ويعقوب وحفص بالنصب على البدل فكذبوه فانهم لمحضرون اي في العذاب
وانما اطلقه اكتفاء منه بالقرينة او لان الاحضار المطلق مخصوص بالشر الا عباد الله
المخلصين مستثنى من الواو لا من المحضرين لفساد المعنى وتركنا عليه في الآخرين سلام
على الياسين لغة في الياس كسيناء وسينين وقيل جمع له مراد به هو واتباعه كالمهلبين
لكن فيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه باللام او للمنسوب اليه بحذف ياء النسب كالاعجمين
وهو قليل ملبس وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب على اضافة ال الى ياسين لانهما في المصحف
مفصولان فيكون ياسين ابا الياس وقيل محمد عليه السلام او القرآن او غيره من كتب الله
والكل لا يناسب نظم سائر القصص ولا قوله انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا
المؤمنين اذ الظاهر ان الضمير لالياس وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين
الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين سبق بيانه وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم على متاجركم
الى الشام فان سدوم في طريقه مصبحين داخلين في الصباح وبالليل اي ومساء او نهارا
ولعلها وقعت قريب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد لها مساء افلا تعقلون افليس
فيكم عقل تعتبرون به وان يونس لمن المرسلين وقرئ بكسر النون اذ ابق هرب واصله
الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه الى الفلك
المشحون المملوء فساهم فقارع اهله فكان من المدحضين فصار من المغلوبين
بالقرعة واصله المزلق عن مقام الظفر روي انه لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم
قبل ان يأمره الله به فركب السفينة فوقفت فقالوا هاهنا عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة
عليه فقال انا الآبق ورمى بنفسه في الماء فالتقمه الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم
داخل في الملامة او آت بما يلام عليه او مليم نفسه وقرئ بالفتح مبنيا من ليم كمشيب
في مشوب فلولا انه كان من المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او في بطن
الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين
للبث في بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم لشأنه
ومن اقبل عليه في السراء اخذ بيده عند الضراء فنبذناه بان حملنا الحوت على لفظه
بالعراء بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر او نبت روي ان الحوت سار مع السفينة
رافعا رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح حتى انتهوا الى البر فلفظه واختلف في مدة لبثه
فقيل بعض يوم وقيل ثلثة ايام وقيل عشرون وقيل اربعون وهو سقيم مما ناله قيل
صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وانبتنا عليه فوقه مظلة عليه شجرة من يقطين

من شجر ينبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساقه يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به
والاكثر على انها كانت الدباء غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه ويدل عليه انه قيل
لرسول الله انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل التين وقيل الموز تغطى
بورقه واستظل باغصانه وافطر على ثماره وارسلناه الى مائة الف هم قومه الذين
هرب عنهم وهم اهل نينوى والمراد به ما سبق من ارساله او ارسال ثان اليهم او الى
غيرهم او يزيدون في مرأى الناظر اي اذا نظر اليهم قال هم مائة الف او اكثر والمراد
الوصف بالكثرة وقرئ بالواو فامنوا فصدقوه او فجددوا الايمان بحضره فمتعناهم
الى حين الى اجلهم المسمى ولعله انما لم يختم قصته وقصة لوط بما ختم به سائر القصص
تفرقة بينهما وبين ارباب الشرائع الكبر واولي العزم من الرسل او اكتفاء بالتسليم الشامل
لكل الرسل المذكورين في اخر السورة فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون معطوف
على مثله في اول السورة امر رسوله اولا باستفتاء قريش عن وجه انكارهم البعث وساق
الكلام في تقريره جارا لما يلايمه من القصص موصولا بعضها ببعض ثم امر باستفتائهم عن وجه
القسمة حيث جعلوا لله البنات ولانفسهم البنين في قولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء
زادوا على الشرك ضلالات اخر التجسيم وتجويز البنات على الله تعالى فان الولادة
مخصوصة بالاجسام الكائنة الفاسدة وتفضيل انفسهم عليه حيث جعلوا اوضع
الجنسين له وارفعهما لهم واستهانتهم بالملائكة حيث انثوهم ولذلك كرر الله تعالى
انكار ذلك وابطاله في كتابه مرارا وجعله مما تكاد السموات يتفطرن منه و
تنشق الارض وتخر الجبال هدا والانكار ههنا مقصور على الاخيرين لاختصاص
هذه الطائفة بهما ولان فسادهما مما يدركه العامة بمقتضى طباعهم حيث جعل المعادل
للاستفهام عن التقسيم ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون وانما خص علم
المشاهدة لان امثال ذلك لا تعلم الا به فان الانوثة ليست من لوازم ذاتهم
ليمكن معرفته بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء والاشعار بانهم لفرط جهلهم
يبتون به كانهم قد شاهدوا خلقهم الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله لعدم ما
يقتضيه وقيام ما ينفيه وانهم لكاذبون فيما يتدينون به وقرئ ولد الله اي الملائكة
ولده فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث اصطفى البنات
على البنين استفهام انكار واستبعاد والاصطفاء اخذ صفوة الشيء وعن نافع
كسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام لدلالة ام بعدها عليها او على الاثبات
باضمار القول اي لكاذبون في قولهم اصطفى او ابداله من ولد الله ما لكم كيف تحكمون
بما لا يرتضيه عقل افلا تذكرون انه منزه عن ذلك ام لكم سلطان مبين حجة
واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بناته فاتوا بكتابكم الذي انزل عليكم ان كنتم
صادقين في دعويكم وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا يعني الملائكة ذكرهم باسم

باسم جنسهم وضعا منهم ان يبلغوا هذه المرتبة وقيل قالوا ان الله صاهر الجن فخرجت
الملائكة وقيل قالوا الله والشيطان اخوان ولقد علمت الجنة انهم ان الكفرة او الانس
او الجن ان فسرت بغير الملائكة لمحضرون في العذاب سبحان الله عما يصفون من الولد
والنسب الا عباد الله المخلصين استثناء من المحضرين منقطع او متصل ان فسر الضمير
بما يعمهم وما بينهما اعتراض او من يصفون فانكم وما تعبدون عود الى خطابهم ما انتم عليه
على الله بفاتنين مفسدين الناس بالاغواء الا من هو صال الجحيم الا من سبق في
علمه انه من اهل النار ويصلاها لا محالة وانتم ضمير لهم ولالهتهم غلب فيه المخاطب على
الغائب ويجوز ان يكون وما تعبدون لما فيه من معنى المقارنة سادا مسد الخبر انكم
والهتكم قرناء لا تزالون تعبدونها ما انتم على ما تعبدونه بفاتنين بباعثين على طريق
الفتنة الا ضالا مستوجبا للنار مثلكم وقرئ صال بالضم على انه جمع محمول على معنى من
ساقط واوه لالتقاء الساكنين او تخفيف صائل على القلب كشاك في شائك والمحذوف
منه كالمنسي كما في قولهم ما باليت بالة فان اصلها بالية كعافية وما منا الا له مقام معلوم
حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية للرد على عبدتهم والمعنى وما منا احد الا له مقام معلوم
في المعرفة والعبادة والانتهاء الى امر الله في تدبير العالم ويحتمل ان يكون هذا وما قبله وقوله
سبحان الله من كلامهم ليتصل بقوله ولقد علمت الجنة كانه قال ولقد علم الملائكة ان المشركين
معذبون بذلك وقالوا سبحان الله تنزيها له عنه ثم استثنوا المخلصين تبرئة لهم منه ثم
خاطبوا الكفرة بان الافتتان بذلك للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية و
تفاوت مراتبهم فيه لا يتجاوزونها فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وانا
لنحن الصافون في اداء الطاعة ومنازل الخدمة وانا لنحن المسبحون المنزهون الله
عما لا يليق به ولعل الاول اشارة الى درجاتهم في الطاعة وهذا في المعارف وما في ان
واللام وتوسيط الفصل من التاكيد والاختصاص لانهم المواظبون على ذلك دائما
من غير فترة دون غيرهم وقيل هو من كلام النبي والمؤمنين والمعنى وما منا الا له
مقام معلوم في الجنة او بين يدي الله في القيامة وانا لنحن الصافون له في
الصلوة والمنزهون له عن السوء وان كانوا ليقولون اي مشركوا قريش لو ان
عندنا ذكرا من الاولين كتابا من الكتب التي نزلت عليهم لكنا عباد الله المخلصين
لاخلصنا العبادة له ولم نخالف مثلهم فكفروا به اي لما جاءهم الذكر الذي هو
اشرف الاذكار والمهيمن عليها فسوف يعلمون عاقبة كفرهم ولقد
سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين اي وعدنا لهم بالنصر والغلبة وهو قوله انهم
لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وهو باعتبار الغالب والمقضي بالذات
وانما سماه كلمة وهي كلمات لانتظامها في معنى واحد فتول عنهم فاعرض عنهم حتى حين
هو الموعد لنصرك عليهم وهو يوم بدر وقيل يوم الفتح وابصرهم على ما ينالهم حينئذ

والمراد بالامر الدلالة على ان ذلك كائن من قريب كانه قدامه فسوف يبصرون
ما قضينا لك من التأييد والنصرة والثواب في الاخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد
أفبعذابنا يستعجلون روي انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل
فاذا نزل بساحتهم فاذا نزل العذاب بفنائهم شبهه بجيش هجمهم فاناخ بفنائهم
بغتة وقيل الرسول وقرئ نزل على اسناده الى الجار والمجرور ونزل اي العذاب
فساء صباح المنذرين فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار
من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثر منهم الهجوم والغارة في الصباح
سموا الغارة صباحا وان وقعت وقتا اخر وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف
يبصرون تأكيد الى التأكيد واطلاق بعد تقييد للاشعار بانه يبصر وانهم يبصرون ما لا يحيط به
الذكر من اصناف المسرة وانواع المساءة او الاول لعذاب الدنيا والثاني لعذاب الاخرة
سبحان ربك رب العزة عما يصفون عما قاله المشركون فيه على ما حكي في السورة
واضافة الرب الى العزة لاختصاصها به اذ لا عزة الا له او لمن اعزه وقد ادرج فيه
جملة صفاته السلبية والثبوتية مع الاشعار بالتوحيد وسلام على المرسلين تعميم
للرسل بعد تخصيص بعضهم والحمد لله رب العالمين على ما افاض عليهم وعلى
من اتبعهم من النعم وحسن العاقبة ولذلك اخره عن التسليم والمراد تعليم المؤمنين
كيف يحمدونه ويسلمون على رسله وعن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال
بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن اخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك
الى اخر السورة وعن النبي عم من قرأ والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات
بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك
وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان مؤمنا بالمرسلين

سورة ص مكية وآيها ست او ثمان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

ص وقرئ
بالكسر لالتقاء الساكنين وقيل انه امر من المصاداة بمعنى المعارضة ومنه الصدى
فانه يعارض الصوت الاول اي عارض القران بعملك وبالفتح لذلك او لحذف حرف
القسم وايصال فعله اليه او اضماره والفتح في موضع الجر فانها غير مصروفة لانها علم
السورة وبالجر على تأويل الكتاب والقران ذي الذكر الواو للقسم ان جعل ص اسما
للحرف او مذكورا للتحدي او للرمز بكلام مثل صدق محمد او للسورة خبر المحذوف
او لفظ الامر او للعطف ان جعل مقسما به والجواب محذوف دل عليه ما في ص من الدلالة
على التحدي او الامر بالمعادلة اي انه لمعجز او لواجب العمل به او ان محمدا لصادق او
قوله بل الذين كفروا اي ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا به في عزة اي
استكبار عن الحق وشقاق خلاف لله ولرسوله ولذلك كفروا به وعلى الاولين الاضراب
ايضا من الجواب المقدر ولكن من حيث اشعاره بذلك والمراد بالذكر العظة او الشرف

او الشرف او الشهرة او ذكر ما يحتاج اليه في الدين من العقائد والشرائع والمواعيد والتنكير في
عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وقرئ في غرة اي في غفلة عما يجب عليهم من النظر فيه
كم اهلكنا من قبلهم من قرن وعيد لهم على كفرهم به استكبارا وشقاقا فنادوا استغاثة
او توبة واستغفارا ولات حين مناص اي ليس الحين حين مناص ولا هي المشبهة
بليس زيدت عليها تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بلزوم
الاحيان وحذف احد المعمولين وقيل هي النافية للجنس اي ولا حين مناص لهم وقيل للفعل
والنصب باضماره اي ولا ارى حين مناص وقرئ بالرفع على انه اسم لا او مبتدأ محذوف
الخبر اي ليس حين مناص حاصلا لهم او لا حين مناص كائن لهم وبالكسر كقوله طلبوا صلحنا
ولات اوان فاجبنا ان لات حين بقاء اما لان لات تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضمائر
في نحو قوله لولاك هذا العام لم احجج او لان اوان شبه باذ لانه مقطوع عن الاضافة
اذ اصله اوان صلح ثم حمل عليه مناص تنزيلا لما اضيف اليه الظرف منزلته لما بينهما من الاتحاد
اذ اصله حين مناصهم ثم بني الحين لاضافته الى غير متمكن ولات بالكسر كجير وتقف الكوفية
عليها بالهاء كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال وقيل ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به في الامام
ولا يرد عليه ان خط المصحف خارج عن القياس اذ مثله لم يعهد فيه والاصل اعتباره الا
فيما خصه الدليل لقوله العاطفون تحين لا من عاطف والمطعمون زمان ما من مطعم ومناص
المنجا من ناصه ينوصه اذا فاته وعجبوا ان جاءهم منذر منهم بشر مثلهم او امي من عدادهم
وقال الكافرون وضع الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وذما لهم واشعارا بان كفرهم جسرهم
على هذا القول هذا ساحر فيما يظهره معجزة كذاب فيما يقول على الله اجعل الالهة الها واحدا
بان جعل الالوهية التي كانت لهم لواحد ان هذا لشيء عجاب بليغ في العجب لانه خلاف ما اطبق
عليه اباؤنا وما نشاهده من ان الواحد لا يفي علمه وقدرته بالاشياء الكثيرة وقرئ
مشددا وهو ابلغ ككرام وكرام روي انه لما اسلم عمر شق ذلك على قريش فاتوا ابا طالب
وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانا جئناك لتقضي بيننا
وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله وقال هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل
عليهم فقال عليه السلام ماذا يسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك والهك
فقال ارأيتم ان اعطيتكم ما سألتم امعطي انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم
بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك وانطلق الملأ
منهم وانطلق اشراف قريش من مجلس ابي طالب بعدما بكتهم رسول الله ان امشوا
قائلين بعضهم لبعض واصبروا واثبتوا على الهتكم على عبادتها فلا ينفعكم مكالمته وان هي
المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التقاول يشعر بالقول وقيل المراد بالانطلاق
الاندفاع في القول وامشوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية اي
اجتمعوا وقرئ بغير ان وقرئ يمشون ان اصبروا ان هذا لشيء يراد ان هذا الامر لشيء

من ريب الزمان يزاد بنا فلا مرد له او ان هذا الذي يدعيه من التوحيد او يقصده من الرياسة
والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى او يريده كل احد او ان دينكم يطلب ليؤخذ منكم
ما سمعنا بهذا بالذي يقوله في الملة الآخرة في الملة التي ادركنا عليها اباءنا او ملة عيسى
التي هي آخر الملل فان النصارى يثلثون ويجوز ان يكون حالا من هذا اي ما سمعنا من اهل
الكتاب ولا الكهان بالتوحيد كائنا في الملة المترقبة ان هذا الا اختلاق كذب اختلقه
أأنزل عليه الذكر من بيننا انكار لاختصاصه بالوحي وهو مثلهم او ادون منهم في الشرف
والرياسة كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وامثال ذلك دليل على
ان مبدأ تكذيبهم لم يكن الا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوي بل هم في شك من
ذكري من القرآن او الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن الدليل وليس في عقيدتهم
ما يبتون به من قولهم هذا ساحر كذاب ان هذا الا اختلاق بل لما يذوقوا عذاب بل لم
يذوقوا عذابي بعد فاذا ذاقوه زال شكهم والمعنى انهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب
فيلجئهم الى تصديقه ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب بل اعندهم
خزائن رحمته وفي تصرفهم حتى يصيبوا بها من شاءوا ويصرفوها عمن شاءوا فيتخيروا
للنبوة بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من
عباده ولا مانع له فانه العزيز اي الغالب الذي لا يغلب الوهاب الذي له ان يهب
كل ما يشاء لمن يشاء ثم رشح ذلك فقال ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما
كانه لما انكر عليهم التصرف في نبوته بان ليس عندهم خزائن رحمته التي لا نهاية لها اردف
ذلك بانه ليس لهم مدخل في امر هذا العالم الجسماني الذي هو جزء يسير من خزائنه
فمن اين لهم ان يتصرفوا فيها فليرتقوا في الاسباب جواب شرط محذوف اي
ان كان لهم ذلك فليصعدوا في المعارج التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه
ويدبروا امر العالم فينزلوا الوحي الى من يستصوبون وهو غاية التهكم بهم والسبب في
الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث
السفلية جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب اي هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل
مهزوم مكسور عما قريب فمن اين لهم التدابير الالهية والتصرف في الامور الربانية فلا تكترث
بما يقولون وما مزيدة للتقليل كقولك اكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزء وهو لا يلائم
ما بعده وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل هذا القول
كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد ذو الملك الثابت بالاوتاد كقوله
ولقد غنوا فيها بانعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد مأخوذ من ثبات البيت المطنب
باوتاده او ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد البناء وقيل
نصب اربع سوار وكان يمد يدي المعذب ورجليه اليها ويضرب عليها اوتادا ويتركه
حتى يموت وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة واصحاب الغيضة وهم قوم شعيب اولئك

اولئك الاحزاب يعني المتحزبين على الرسل الذي جعل الجند المهزوم منهم ان كل الا كذب
الرسل بيان لما اسند اليهم من التكذيب على الابهام مشتمل على انواع من التاكيد ليكون
تسجيلا على استحقاقهم العذاب ولذلك رتب عليه فحق عقاب وهو اما مقابلة
الجمع بالجمع او جعل تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم وما ينظر هؤلاء وما ينتظر قومك
او الاحزاب فانهم كالحضور لاستحضارهم بالذكر او حضورهم في علم الله الا صيحة واحدة
هي النفخة ما لها من فواق من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين او رجوع وترداد فانه
فيه يرجع اللبن الى الضرع وقرأ حمزة والكسائي بالضم وهما لغتان وقالوا ربنا عجل لنا قطنا
قسطنا من العذاب الذي توعدنا به او الجنة التي تعد للمؤمنين وهو من قطه اذا قطعه
ويقال للصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها اي عجل لنا صحيفة اعمالنا
ننظر فيها قبل يوم الحساب استعجلوا ذلك استهزاء اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا
داود واذكر لهم قصته تعظيما للمعصية في اعينهم فانه مع علو شانه واختصاصه بعظائم
النعم والمكرمات لما اتى صغيرة نزل عن منزلته ووبخه الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى
تفطن فاستغفر ربه واناب فما الظن بالكفرة واهل الطغيان او تذكر قصته وصن
نفسك ان تزل فيلقاك ما لقيه من المعاتبة على اهمال عنان نفسه ادنى اهمال
ذا الايد ذا القوة يقال فلان ايد وذو ايد وآد وايادٍ بمعنى انه اواب رجاع
الى مرضات الله وهو تعليل للايد دليل على ان المراد به القوة في الدين وكان يصوم
يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل انا سخرنا الجبال معه يسبحن قد مر تفسيره و
يسبحن حال وضع موضع مسبحات لاستحضار الحال الماضية والدلالة على تجدد
التسبيح حالا بعد حال بالعشي والاشراق ووقت الاشراق وهو حين تشرق
الشمس اي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت
الشمس ولما تشرق وعن ام هانئ انه عليه السلام صلى صلوة الضحى وقال هذه صلوة
الاشراق وعن ابن عباس ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه الاية والطير
محشورة اليه من كل جانب وانما لم يراع المطابقة بين الحالين لان الحشر جملة ادل
على القدرة منه مدرجا وقرئ والطير محشورة بالابتداء والخبر كل له اواب كل
واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح والفرق بينه وبين ما قبله انه يدل
على الموافقة في التسبيح وهذا على المداومة عليها او كل منهما ومن داود مرجع لله التسبيح
وشددنا ملكه وقويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة قيل
ادعى رجل بقرة على اخر وعجز عن البيان فاوحي اليه ان اقتل المدعى عليه فاعلمه فقال
صدقت اني قتلت اباه غيلة واخذت البقرة فعظمت بذلك هيبته وآتيناه
الحكمة النبوة او كمال العلم واتقان العمل وفصل الخطاب تمييز الحق عن الباطل او
الكلام الملخص الذي ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس يراعى فيه مظان الفصل

والوصل والعطف والاستيناف والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ونحوها وانما
سمي به اما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق مقدمة له من الحمد والصلوة وقيل هو الخطاب
القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل كما جاء في وصف كلام الرسول عليه السلام
فصل لا نزر ولا هذر وهل اتيك نبؤ الخصم استفهام معناه التعجيب والتشويق الى استماعه
والخصم في الاصل مصدر ولذلك اطلق للجمع اذ تسوروا المحراب اذ تصعدوا سور الغرفة
تفعل من السور كتسنم من السنام واذ متعلق بمحذوف اي نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا وبالنبأ
على ان المراد به الواقع في عهد داود وان اسناد اتى اليه على حذف مضاف اي قصة نبأ الخصم
او بالخصم لما فيه من معنى الفعل لا باتى لان اتيانه الرسول لم يكن حينئذ اذ دخلوا على داود بدل من
الاولى او ظرف لتسوروا ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق في يوم الاحتجاب والحرس على الباب
لا يتركون من يدخل عليه فانه كان عليه السلام جزا زمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للوعظ
ويوما للاشتغال بخاصته فتسور عليه ملائكة على صورة الانسان في يوم الخلوة قالوا لا تخف
خصمان نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما بغى بعضنا على بعض وهو على
الفرض وقصد التعريض ان كانوا ملائكة وهو المشهور فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط لا تجر في
الحكومة وقرئ ولا تشطط اي ولا تبعد عن الحق ولا تشطط ولا تشاطط والكل بمعنى
الشطط وهو مجاوزة الحد واهدنا الى سواء الصراط الى وسطه وهو العدل ان هذا اخي بالدين
او الصحبة له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة هي الانثى من الضان وقد يكنى بها عن المراة
والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض ابلغ في المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة
بكسر النون وقرا حفص بفتح يا ولي نعجة فقال اكفلنيها ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل
ما تحت يدي وقيل اجعلها كفلي اي نصيبي وعزني في الخطاب وغلبني في مخاطبته اياي محاجة
بان جاء بحجاج لم اقدر رده او في مغالبته اياي في الخطبة يقال خطبت المراة وخطبها هو
فخاطبني خطابا حيث زوجها دوني وقرئ وعازني اي غالبني وعزني على تخفيف غريب
قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه جواب قسم محذوف قصد به المبالغة في انكار
فعل خليطه وتهجين طمعه ولعله قال ذلك بعد اعترافه او على تقدير صدق المدعي والسؤال
مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول اخر بالى لتضمنه معنى الاضافة وان كثيرا
من الخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم جمع خليط ليبغي ليتعدى بعضهم على بعض وقرئ
بفتح الياء على تقدير نون الخفيفة وحذفه كقوله اضرب عنك الهموم طارقها وبحذف الياء
اكتفاء بالكسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم اي وهم قليل وما مزيدة
للابهام والتعجيب من قلتهم وظن داود انما فتناه ابتليناه بالذنب وامتحناه بتلك
الحكومة هل تنبه بها فاستغفر ربه لذنبه وخر راكعا على تسمية السجود ركوعا لانه مبداه
او خر للركوع ساجدا اي مصليا كانه احرم بركعتي الاستغفار واناب ورجع الى الله
بالتوبة واقصى ما في هذه القصة الاشعار بانه م ود ان يكون له ما لغيره وكان له امثاله

امثاله فنبهه الله بهذه القضية فاستغفر واناب عنه وما روي ان بصره وقع على امراة
اوريا فعشقها وسعى حتى تزوجها وولد منها سليمان ان صح فلعله خطب مخطوبته او استنزله
عن زوجته وكان ذلك معتادا فيما بينهم وقد واسى الانصار المهاجرين بهذا المعنى
وما قيل انه ارسل اوريا الى الجهاد مرارا وامر ان يتقدم حتى قتل فتزوجها هراء ولذلك
قال علي من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وقيل ان قوما
قصدوا ان يقتلوه فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا
التحاكم فعلم غرضهم وقصد ان ينتقم منهم وظن ان ذلك ابتلاء من الله له فاستغفر ربه لما
هم به واناب فغفرنا له ذلك اي ما استغفر عنه وان له عندنا لزلفى وحسن مآب
لقربة بعد المغفرة وحسن مآب مرجع في الجنة يا داود انا جعلناك خليفة في الارض
استخلفناك على الملك فيها وجعلناك خليفة ممن قبلك من الانبياء القائمين بالحق فاحكم
بين الناس بالحق بحكم الله ولا تتبع الهوى ما تهوى النفس وهو يؤيد ما قيل ان ذنبه
المبادرة الى تصديق المدعي وتظليم الاخر قبل مسئلته فيضلك عن سبيل الله دلائله التي
نصبها على الحق ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم
الحساب بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضي ملازمة الحق
ومخالفة الهوى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا خلقا باطلا لا حكمة فيه
او ذوي باطل بمعنى مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
لاعبين او للباطل الذي هو متابعة الهوى بل للحق الذي هو مقتضى الدليل من التوحيد
والتدرع بالشرع كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون على وضعه موضع المصدر
مثل هنيئا ذلك ظن الذين كفروا الاشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون
فويل للذين كفروا من النار بسبب هذا الظن ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين في الارض ام منقطعة والاستفهام فيها لانكار التسوية بين الحزبين
التي هي لوازم خلقها باطلا ليدل على نفيه وكذا التي في قوله ام نجعل المتقين كالفجار
كانه انكر التسوية اولا بين المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين
منهم ويجوز ان يكون تكريرا للانكار الاول باعتبار وصفين اخرين يمنعان التسوية
من الحكيم الرحيم والاية تدل على صحة القول بالحشر فان التفاضل بينهما ان يكون في الدنيا
والغالب فيها عكس ما يقتضي الحكمة فيه او في غيرها وذلك يستدعي ان يكون لهم حال
اخرى يجازون فيها كتاب انزلناه اليك مبارك نفاع وقرئ بالنصب على الحال
ليدبروا اياته ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التاويلات الصحيحة والمعاني
المستنبطة وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا اي انت وعلماء امتك وليتذكر
اولوا الالباب وليتعظ به ذووا العقول السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز
في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية بيان

لما لا يعرف الا من الشرع وارشاد الى ما لا يستقل به العقل ولعل التدبر للاول والتذكر
للثاني ووهبنا لداود سليمان نعم العبد سليمان اذ ما بعده تعليل للمدح وهو من حاله انه
اواب رجاع الى الله بالتوبة او الى التسبيح مرجع له اذ عرض عليه ظرف لاواب او نعم
والضمير لسليمان عند الجمهور بالعشي بعد الظهر الصافنات الصافن من الخيل الذي يقوم على
طرف سنبك يد او رجل وهو من الصفات المحمودة في الخيل لا يكاد يكون الا في العراب
الخلص الجياد جمع جواد او جود وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود بالركض وقيل
جمع جيد روي انه عم غزا دمشق ونصيبين واصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه
من العمالقة فورثها منه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او
عن ورد كان له فاغتم لما فاته واستردها فعقرها تقربا لله فقال اني احببت حب الخير
عن ذكر ربي اصل احببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى آثرت لكن لما انيب مناب انبت
عدي تعديته وقيل هو بمعنى تقاعدت من قوله مثل بعير السوء اذ احبا اي برك وحب الخير
مفعول له والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها
قال عليه السلام الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيمة وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو
بفتح الياء حتى توارت بالحجاب اي غربت الشمس شبه غروبها بتواري المخباة بحجابها
واضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليه ردوها علي الضمير للصافنات فطفق مسحا
فاخذ يمسح السيف مسحا بالسوق والاعناق اي بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح
علاوته اذا ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها حبا لها وعن ابن كثير بالسؤق على
همز الواو لضمة ما قبلها كمؤقن وعن ابي عمرو بالسؤوق وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد
عن الجمع لامن الالباس ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب واظهر ما
قيل فيه ما روي مرفوعا انه قال لاطوفن الليلة على سبعين امراة تاتي كل واحدة منهن
بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة جاءت
بشق رجل فوالذي نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا وقيل ولد له
ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك وكان يغدوه في السحاب فما شعر به الا
ان القي على كرسيه ميتا فتنبه على خطائه بان لم يتوكل على الله وقيل انه غزا صيدون من
الجزاير فقتل ملكها واصاب ابنته جرادة فاحبها وكان لا يرقا دمعها جزعا على ابيها فامر
الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولايدها يسجدن لها كعادتهن
في ملكه فاخبره آصف فكسر الصورة وضرب المراة وخرج الى الفلاة باكيا متضرعا وكانت له
ام ولد اسمها امينة اذا دخل للطهارة اعطاها خاتمه وكان ملكه فيها فاعطاها يوما فتمثل لها
بصورته شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق
ونفذ حكمه في كل شيء الا فيه وفي نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتاها لطلب الخاتم فطردته
فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف حتى مضى اربعون يوما

عدد ما عبدت الصورة في بيته فطار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته
سمكة فوقعت في يده فبقر بطنها فوجد الخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه الملك فعلى هذا
الجسد صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه كان متمثلا بما لم يكن كذلك والخطيئة
تغافله عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل كان جائزا حينئذ وسجود الصورة بغير علمه
لا يضره قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لا يتسهل له ولا يكون
ليكون معجزة لي مناسبة لحالي او لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني بعد هذه السلبة او لا يصح
لاحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف
الملك بالعظمة لا ان يعطى احد مثله فيكون منافسة وتقديم الاستغفار على الاستيهاب
لمزيد اهتمامه بامر الدين ووجوب تقديم ما يجعل الدعاء بصدد الاجابة وقرا نافع و
ابو عمرو بفتح الياء انك انت الوهاب المعطي ما تشاء لمن تشاء فسخرنا له الريح
فذللناها لطاعته اجابة لدعوته وقرئ الرياح تجري بامره رخاء لينة من الرخاوة
لا تزعزع او لا تخالف ارادته كالمامور المنقاد حيث اصاب اراد من قولهم اصاب
الصواب فاخطا الجواب والشياطين عطف على الريح كل بناء وغواص بدل منه
وآخرين مقرنين في الاصفاد عطف على كل كانه فصل الشياطين الى عملة استعملهم في
الاعمال الشاقة كالبناء والغوص ومردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل ليكفوا
عن الشر ولعل اجسامهم شفافة صلبة فلا ترى ويمكن تقييدها هذا والاقرب ان المراد
تمثيل كفهم عن الشرور والاقران في الصفد وهو القيد وسمي به العطاء لانه يرتبط بالمنعم
عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا اصفده قيده واصفده اعطاه عكس وعد واوعد في
ذلك نكتة هذا عطاؤنا اي هذا الذي اعطيناك من الملك والبسطة والتسلط على ما لم يسلط به
غيرك عطاؤنا فامنن او امسك فاعط من شئت وامنع من شئت بغير حساب حال
من المستكن في الامر اي غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك او من
العطاء او صلة له وما بينهما اعتراض والمعنى انه عطاء جم لا يكاد يمكن حصره وقيل الاشارة
الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك اطلاقهم وابقاؤهم في القيد وان له عندنا
لزلفى في الآخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا وحسن مآب هو الجنة واذكر عبدنا
ايوب هو ابن عيص بن اسحاق وامراته ليا بنت يعقوب اذ نادى ربه بدل من عبدنا
وايوب عطف بيان له اني مسني باني مسني وقرا حمزة باسكان الياء واسقاطها
في الوصل الشيطان بنصب بتعب وعذاب الم وهو حكاية لكلامه الذي ناداه به ولولاه
لقال انه مسه والاسناد الى الشيطان اما لان الله مسه بذلك لما فعل بوسوسته
كما قيل انه اعجب بكثرة ماله او استغاثه مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية
ملك كافر فداهنه ولم يغزه او لسؤاله امتحانا لصبره فيكون اعترافا بالذنب او مراعاة
للادب او لانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه فاخرجوه من ديارهم او لان المراد

من النصب والعذاب ما كان يوسوس إليه في مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة
ويغريه على الجزع وقرأ يعقوب بفتح النون على المصدر وقرئ بفتحتين وهو لغة كالرشد
والرشد وبضمتين للتثقيل اركض برجلك حكاية لما أجيب به أي اضرب برجلك الأرض
هذا مغتسل بارد وشراب أي فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل أي ماء تغتسل به
وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وقيل نبعت عينان حارة وباردة فاغتسل
من الحارة وشرب من الأخرى ووهبنا له أهله بأن جمعناهم عليه بعد تفرقهم أو أحييناهم
بعد موتهم وقيل وهبنا له مثلهم ومثلهم معهم حتى كان له ضعف ما كان رحمة منا لرحمتنا
عليه وذكرى لأولي الألباب وتذكيرا لهم لينتظروا الفرج بالصبر واللجإ إلى الله فيما يحيق
بهم وخذ بيدك ضغثا عطف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه
فاضرب به ولا تحنث روي أن زوجته ليا بنت يعقوب وقيل رحمة بنت افرائيم
بن يوسف ذهبت لحاجة فأبطأت فحلف إن برئ ضربها مائة ضربة فحلل الله
يمينه بذلك وهي رخصة باقية في الحدود إنا وجدناه صابرا فيما أصابه في النفس
والأهل والمال ولا يخل به شكواه إلى الله من الشيطان فإنه لا يسمى جزعا كتمني العافية
وطلب الشفاء مع أنه قال ذلك خيفة أن يفتنه أو قومه في الدين نعم العبد
أيوب إنه أواب مقبل بشراشره على الله واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق
ويعقوب وقرأ ابن كثير عبدنا على وضع الجنس موضع الجمع أو أن إبراهيم وحده لمزيد
شرفه عطف بيان له وإسحاق ويعقوب عطف عليه أولي الأيدي والأبصار أولي
القوة في الطاعة والبصيرة في الدين أو أولي الأعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالأيدي
عن الأعمال لأن أكثرها بمباشرتها وبالأبصار عن المعارف لأنها أقوى مباديها
وفيه تعريض بالبطلة الجهال أنهم كالزمنى والعماة إنا أخلصناهم بخالصة جعلناهم خالصين
لنا بخصلة خالصة لا شوب فيها وهي ذكرى الدار تذكرهم للآخرة دائما فإن خلوصهم في
الطاعة بسببها وذلك لأن مطمح نظرهم فيما يأتون ويذرون جوار الله والفوز
بلقائه وذلك في الآخرة وإطلاق الدار للإشعار بأنها الدار الحقيقية والدنيا معبر
وأضاف نافع بخالصة إلى ذكرى للبيان أو لأنه مصدر بمعنى الخلوص فأضيف إلى فاعله
وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار لمن المختارين من أمثالهم المصطفين عليهم
في الخير جمع خير كشر وأشرار وقيل جمع خير أو خير على تخفيفه كأموات في جمع ميت
أو ميت واذكر إسماعيل واليسع هو ابن أخطوب استخلفه إلياس على بني إسرائيل
ثم استنبئ واللام فيه كما في قوله رأيت الوليد بن اليزيد مباركا وقرأ حمزة والكسائي
والليسع بالمنقول من ليسع من اللسع وذا الكفل ابن عم يسع أو بشر بن أيوب واختلف
في نبوته ولقبه وقيل فر إليه مائة نبي من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل
صالح يصلي كل يوم مائة صلاة وكل أي وكلهم من الأخيار هذا إشارة إلى ما

إلى ما تقدم من أمورهم ذكر شرف لهم أو نوع من الذكر وهو القرآن ثم شرع
في بيان ما أعد لهم ولأمثالهم فقال وإن للمتقين لحسن مآب مرجع جنات عدن
عطف بيان لحسن مآب وهو من الأعلام الغالبة لقوله جنات عدن التي وعد
الرحمن عباده وانتصب عنها مفتحة لهم الأبواب على الحال والعامل فيها ما في للمتقين من
معنى الفعل وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر أو أنهما خبران لمحذوف متكئين فيها
يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب حالان متعاقبان أو متداخلان من الضمير في لهم
لا من المتقين للفصل والأظهر أن يدعون استئناف لبيان حالهم فيها ومتكئين
حال من ضميره والاقتصار على الفاكهة للإشعار بأن مطاعمهم لمحض اللذة فإن التغذي
للتحلل ولا تحلل ثمة وعندهم قاصرات الطرف لا ينظرن إلى غير أزواجهن أتراب لدات
لهم فإن التحاب بين الأقران أثبت أو بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه
من التراب فإنه يمسهم في وقت واحد هذا ما توعدون ليوم الحساب لأجله فإن الحساب
علة الوصول إلى الجزاء وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء ليوافق ما قبله إن هذا لرزقنا ما له من نفاد
انقطاع هذا أي الأمر هذا أو هذا كما ذكر أو خذ هذا وإن للطاغين لشر مآب جهنم إعرابه
ما سبق يصلونها من جهنم فبئس المهاد المهد المفترش مستعار من فراش النائم والمخصوص
بالذم محذوف وهو جهنم لقوله لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه أي ليذوقوا هذا فليذوقوه
أو العذاب هذا فليذوقوه ويجوز أن يكون مبتدأ خبره حميم وغساق وهو على الأولين
خبر محذوف أي هو حميم والغساق ما يغسق من صديد أهل النار من غسقت العين إذا سال
دمعها وقرأ حفص وحمزة والكسائي غساق بتشديد السين وآخر مذوق وعذاب آخر وقرأ
البصريان أخر أي مذوقات أو أنواع عذاب أخر من شكله من مثل هذا المذوق أو
العذاب في الشدة وتوحيد الضمير على أنه لما ذكر أو للشراب الشامل للحميم والغساق أو للغساق
وقرئ بالكسر وهي لغة أزواج أجناس خبر لآخر أو صفة له أو للثلاثة أو مرتفع بالجار والخبر
محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم حكاية ما يقال للرؤساء الطاغين إذا دخلوا النار
واقتحمها معهم فوج تبعهم في الضلال والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها لا مرحبا بهم
دعاء من المتبوعين على أتباعهم أو صفة لفوج أو حال أو مقول فيهم لا مرحبا أي ما أتوا بهم
رحبا وسعة إنهم صالوا النار داخلون النار بأعمالهم مثلنا قالوا أي الأتباع للرؤساء
بل أنتم لا مرحبا بكم بل أنتم أحق بما قلتم أو قيل لنا لضلالكم وإضلالكم كما قالوا أنتم قدمتموه لنا
قدمتم العذاب أو الصلي لنا بإغوائنا وإغرائنا على ما قدمتم من العقائد الزائغة و
الأعمال القبيحة فبئس القرار فبئس المقر جهنم قالوا أي الأتباع ربنا من قدم لنا هذا
فزده عذابا ضعفا في النار مضاعفا أي ذا ضعف وذلك أن يزيد على عذابه مثله
فيزيد فيصير ضعفين كقولهم ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقالوا أي الطاغون ما لنا
لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار يعنون فقراء المسلمين الذين يسترذلونهم

ويسخرون بهم اتخذناهم سخريا صفة اخرى لرجالا وقرا الحجازيان وابن عامر وعاصم
بهمزة الاستفهام على انفسهم وتانيب لها في الاستسخار منهم وقرا حمزة والكسائي
سخريا بالضم وقد سبق مثله في المؤمنين ام زاغت مالت عنهم الابصار فلا نراهم وام
معادلة لما لنا لا نرى على ان المراد نفي رؤيتهم لغيبتهم كانهم قالوا اليسوا ههنا ام زاغت
عنهم ابصارنا او لاتخذناهم على القراءة الثانية بمعنى اي الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم
ام تحقيرهم فان زيغ الابصار كناية عنه على معنى انكارهما على انفسهم او منقطعة والمراد
الدلالة على ان استرذالهم والاستسخار منهم كان لزيغ ابصارهم وقصور انظارهم على رثاثة
حالهم ان ذلك الذي حكيناه عنهم لحق لا بد ان يتكلموا به ثم بين ما هو فقال تخاصم اهل النار
وهو بدل من حق او خبر محذوف وقرئ بالنصب على البدل من ذلك قل يا محمد للمشركين انما
انا منذر انذركم عذاب الله وما من اله الا الله الواحد الذي لا يقبل الشركة والكثرة في ذاته
القهار لكل شيء رب السموات والارض وما بينهما منه خلقها واليه امرها العزيز الذي لا يغلب
اذا عاقب الغفار الذي يغفر ما يشاء من الذنوب لمن يشاء وفي هذه الاوصاف تقرير
للتوحيد ووعد ووعيد للموحدين والمشركين وتثنية ما يشعر بالوعيد وتقديمه لان المدعو به
هو الانذار قل هو اي ما انبأتكم به من اني نذير من عقوبة من هذه صفته وانه واحد في الوهيته
وقيل ما بعده من نبأ آدم نبأ عظيم انتم عنه معرضون لتمادي غفلتكم فان العاقل لا
يعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة اما على التوحيد فما مر واما على النبوة
فقوله ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون فان اخباره عن تقاول الملائكة وما
جرى بينهم على ما ورد في الكتب المتقدمة من غير سماع ومطالعة كتاب لا يتصور الا
بالوحي واذ متعلق بعلم او بمحذوف اذ التقدير من علم بكلام الملا الاعلى ان يوحى الي الا انما
انا نذير مبين اي لانما كانه لما جوز ان الوحي ياتيه بين بذلك ما هو المقصود به تحقيقا
لقوله انما انا منذر ويجوز ان يرتفع باسناد يوحى اليه وقرئ انما بالكسر على الحكاية اذ قال
ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين بدل من اذ يختصمون مبين له فان القصة التي دخلت
اذ عليها مشتملة على تقاول الملائكة وابليس في خلق آدم واستحقاقه الخلافة والسجود على ما مر
في البقرة غير انها اختصرت اكتفاء بذلك واقتصارا على ما هو المقصود منها وهو انذار المشركين
على استكبارهم على النبي عم بمثل ما حاق بابليس على استكباره على آدم هذا ومن الجائز
ان يكون مقاولة الله اياهم بواسطة ملك وان يفسر الملا الاعلى بما يعم الله والملائكة
فاذا سويته عدلت خلقته ونفخت فيه من روحي واحييته بنفخ الروح فيه واضافته
الى نفسه لشرفه وطهارته فقعوا له فخروا له ساجدين تكرمة وتبجيلا له وقد مر الكلام فيه في
البقرة فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر تعظم وكان وصار من الكافرين
باستكباره عن المطاوعة او كان منهم في علم الله قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت
بيدي خلقته بنفسي من غير توسط كاب وام والتثنية لما في خلقه من مزيد القدرة واختلاف

واختلاف الفعل وقرئ على التوحيد وترتيب الانكار عليه للاشعار بانه المستدعي للتعظيم
او بانه الذي تشبث به في تركه وهو لا يصلح للمانعية اذ للسيد ان يستخدم بعض عبيده لبعض
سيما وله مزيد اختصاص استكبرت ام كنت من العالين تكبرت من غير استحقاق
او كنت ممن علا واستحق التفوق وقيل استكبرت الآن ام لم تزل كنت من المستكبرين
وقرئ استكبرت بحذف الهمزة لدلالة ام عليها او بمعنى الاخبار قال انا خير منه ابداء
للمانع وقوله خلقتني من نار وخلقته من طين دليل عليه وقد سبق الكلام فيه قال فاخرج منها
من الجنة او السماء او من الصورة الملكية فانك رجيم مطرود من الرحمة ومحل الكرامة وان
عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى
يوم الوقت المعلوم مر بيانه في الحجر قال فبعزتك فبسلطانك وقهرك لاغوينهم
اجمعين الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الضلالة او اخلصوا
قلوبهم لله على اختلاف القراءتين قال فالحق والحق اقول اي فانا الحق واقوله وقيل الحق
الاول اسم الله تعالى ونصبه بحذف حرف القسم كقوله ان عليك الله ان تبايعا وجوابه
لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وما بينهما اعتراض وهو على الاول جواب
محذوف والجملة تفسير للحق المقول وقرا عاصم وحمزة برفع الاول على الابتداء اي الحق يميني
او قسمي او الخبر اي انا الحق وقرئا مرفوعين على حذف الضمير من اقول كقوله كله لم اصنع و
مجرورين على اضمار حرف القسم في الاول وحكاية لفظ المقسم به في الثاني للتوكيد وهو سائغ
فيه اذا شارك الاول وبرفع الاول وجره ونصب الثاني وتخريجه على ما ذكرنا والضمير في منهم
للناس اذ الكلام فيهم والمراد منك من جنسك ليتناول الشياطين وقيل للثقلين
واجمعين تاكيد له او للضميرين قل ما اسئلكم عليه من اجر اي على القرآن او تبليغ الوحي
وما انا من المتكلفين المتصنعين بما لست من اهله على ما عرفتم من حالي فانتحل النبوة والتقول
القرآن ان هو الا ذكر عظة للعالمين للثقلين ولتعلمن نباه وما فيه من الوعد
والوعيد او صدقه باتيان ذلك بعد حين بعد الموت او يوم القيمة او عند ظهور
الاسلام وفيه تهديد وعن النبي عليه السلام من قرا سورة ص كان له بوزن كل جبل
سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير او كبير

تنزيل الكتاب خبر محذوف مثل هذا او مبتدا خبره من الله العزيز الحكيم وهو على
الاول صلة التنزيل وخبر ثان او حال عمل فيها معنى الاشارة او التنزيل والظاهر ان
الكتاب على الاول السورة وعلى الثاني القرآن وقرئ تنزيل بالنصب على اضمار فعل
نحو اقرا او الزم انا انزلنا اليك الكتاب ملتبسا بالحق او بسبب اثبات
الحق واظهاره وتفصيله فاعبد الله مخلصا له الدين ممحضا له الدين من الشرك
والريا وقرئ برفع الدين على الاستيناف لتعليل الامر وتقديم الخبر لتاكيد الاختصاص

المستفاد من اللام كما صرح به مؤكدا او اجراه مجرى المعلوم المقرر لكثرة حججه وظهور
براهينه فقال الا لله الدين الخالص اي الا هو الذي وجب اختصاصه بان تخلص له
الطاعة فانه المتفرد بصفات الالوهية والاطلاع على الاسرار والضمائر والذين
اتخذوا من دونه اولياء يحتمل المتخذين من الكفرة والمتخذين من الملائكة وعيسى
والاصنام على حذف الراجع واضمار المشركين من غير ذكر لدلالة المساق عليهم وهو
مبتدا خبره على الاول ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى باضمار القول او ان الله
يحكم بينهم وهو متعين على الثاني وعلى هذا يكون القول المضمر بما في حيزه حالا او بدلا
من الصلة وزلفى مصدر او حال وقرئ قالوا ما نعبدهم وما نعبدكم الا ليقربونا حكاية
لما خاطبوا به الهتهم ونعبدهم بضم النون اتباعا فيما هم فيه يختلفون من الدين بادخال
المحق الجنة والمبطل النار والضمير للكفرة ومقابليهم وقيل لهم ولمعبوديهم فانهم
يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم ان الله لا يهدي لا يوفق للاهتداء الى الحق
من هو كاذب كفار فانهما فاقدا البصيرة لو اراد الله ان يتخذ ولدا كما زعموا لا
اصطفى مما يخلق ما يشاء اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع
وجود واجبين ووجوب استناد ما عدا الواجب اليه ومن البين ان المخلوق لا يماثل
الخالق فيقوم مقام الولد له ثم قرر ذلك سبحانه هو الله الواحد القهار فان الالوهية
الحقيقية تتبع الوجوب المستلزم للوحدة الذاتية وهي تنافي المماثلة فضلا عن التوالد لان
كل واحد من المثلين مركب من الحقيقة المشتركة والتعين المخصوص والقهارية المطلقة
تنافي قبول الزوال المحوج الى الولد ثم استدل على ذلك بقوله خلق السموات والارض
بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل يغشي كل واحد منهما الاخر كانه يلف
عليه لف اللباس باللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة او يجعله
كارا عليه كرورا متتابعا تتابع اكوار العمامة وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل
مسمى هو منتهى دوره او منقطع حركته الا هو العزيز القادر على كل ممكن الغالب
على كل شيء الغفار حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنائع من الرحمة
وعموم المنفعة خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها نوع استدلال اخر بما اوجده
في العالم السفلي مبتدا به من خلق الانسان لانه اقرب واكثر دلالة واعجب وفيه
على ما ذكره ثلث دلالات خلق ادم اولا من غير اب وام ثم خلق حواء من قصيراه
ثم تشعيب الخلق الفائت للحصر منهما وثم للعطف على محذوف هو صفة نفس مثل
خلقها او على معنى واحدة اي من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها بها او على
خلقكم لتفاوت ما بين الايتين فان الاولى عادة مستمرة دون الثانية وقيل اخرج
من ظهره ذريته كالذر ثم خلق منها حواء وانزل لكم وقضى او قسم لكم فان قضاياه وقسمه
توصف بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح او احدث لكم باسباب نازلة كاشعة

كاشعة الكواكب والامطار من الانعام ثمانية ازواج ذكرا وانثى من الابل
والبقر والضان والمعز يخلقكم في بطون امهاتكم بيان لكيفية خلق ما ذكر من الاناسي
والانعام اظهارا لما فيها من عجائب القدرة غير انه غلب اولي العقل او خصهم بالخطاب
لانهم المقصودون خلقا من بعد خلق حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد
عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف في ظلمات ثلث ظلمة البطن والرحم
والمشيمة او الصلب والرحم والبطن ذلكم الذي هذه افعاله الله ربكم هو المستحق لعبادتكم
والمالك له الملك لا اله الا هو اذ لا يشاركه في الخلق غيره فانى تصرفون يعدل بكم
عن عبادته الى الاشراك ان تكفروا فان الله غني عنكم عن ايمانكم ولا يرضى لعباده
الكفر لاستضرارهم به رحمة عليهم وان تشكروا يرضه لكم لانه سبب فلاحكم وقرا ابن
كثير ونافع في رواية وابو عمرو والكسائي باشباع ضمة الهاء لانها صارت بحذف
الالف موصولة بمتحرك وعن ابي عمرو ويعقوب اسكانها وهو لغة فيها ولا تزر
وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون بالمحاسبة والمجازاة
انه عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه خافية من اعمالكم واذا مس الانسان ضر دعا ربه
منيبا اليه لزوال ما ينازع العقل في الدلالة على ان مبدا الكل منه ثم اذا خوله اعطاه
من الخول وهو التعهد او الخول وهو الافتخار نعمة منه من الله نسي ما كان يدعو اليه
نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه او ربه الذي كان يتضرع اليه وما مثله الذي في قوله وما خلق
الذكر والانثى من قبل من قبل النعمة وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله وقرا
ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء والضلال والاضلال لما كان نتيجة جعله صح
تعليله بهما وان لم يكونا غرضين قل تمتع بكفرك قليلا امر تهديد فيه اشعار
بان الكفر نوع تشهي لا سند له واقناط للكافرين من التمتع في الاخرة ولذلك علله
بقوله انك من اصحاب النار على سبيل الاستيناف للمبالغة امن هو قانت
قائم بوظائف الطاعات اناء الليل ساعاته وام متصلة بمحذوف تقديره الكافر
خير ام من هو قانت او منقطعة والمعنى بل امن هو قانت كمن بضده وقرا الحجازيان
وحمزة بتخفيف الميم بمعنى امن هو قانت لله كمن جعل له اندادا ساجدا وقائما حالان
من ضمير قانت وقرئا بالرفع على الخبر بعد الخبر والواو للجمع بين الصفتين يحذر الاخرة
ويرجوا رحمة ربه في موضع الحال او الاستيناف للتعليل قل هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون نفي لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيه باعتبار
القوة العملية على وجه ابلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير للاول على سبيل التشبيه اي كما لا يستوي
العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون انما يتذكر اولوا الالباب
بامثال هذه البيانات وقرئ يذكر بالادغام قل يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم
بلزوم طاعته للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة اي للذين احسنوا بالطاعات

في الدنيا مثوبة حسنة في الآخرة وقيل معناه للذين احسنوا حسنة في الدنيا هي
الصحة والعافية وفي هذه بيان لمكان حسنة وارض الله واسعة فمن تعسر
عليه التوفر على الاحسان في وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن منه انما يوفى الصابرون
على مشاق الطاعة من احتمال البلاء ومهاجرة الاوطان لها اجرهم بغير حساب
اجرا لا يهتدي اليه حساب الحساب وفي الحديث انه ينصب الموازين يوم القيمة
لاهل الصلوة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا ينصب لاهل البلاء بل يصب
عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض
مما يذهب به اهل البلاء من الفضل قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين
موحدا له وامرت لان اكون اول المسلمين وامرت بذلك لاجل ان اكون
مقدمهم في الدنيا والآخرة لان قصب السبق في الدين بالاخلاص او لان اكون اول
من اسلم وجهه لله من قريش ومن دان بدينهم والعطف لمغايرة الثاني الاول
بتقييده بالعلة والاشعار بان العبادة المقرونة بالاخلاص وان اقتضت لذاتها
ان يؤمر بها فهي ايضا تقتضيه لما يلزمه من السبق في الدين ويجوز ان تجعل اللام
مزيدة كما في اردت لان افعل فيكون امرا بالتقدم في الاخلاص والبدء بنفسه
في الدعاء اليه بعد الامر به قل اني اخاف ان عصيت ربي بترك الاخلاص
والميل الى ما انتم عليه من الشرك والرياء عذاب يوم عظيم لعظمة ما فيه قل الله اعبد
مخلصا له ديني امر بالاخبار عن اخلاصه بعد الامر بالاخبار عن كونه مامورا بالعبادة
والاخلاص خائفا على المخالفة من العقاب قطعا لاطماعهم ولذلك رتب عليه قوله
فاعبدوا ما شئتم من دونه تهديدا وخذلانا لهم قل ان الخاسرين الكاملين في الخسران
الذين خسروا انفسهم بالضلال واهليهم بالاضلال يوم القيمة حين يدخلون النار
بدل الجنة لانهم جمعوا وجوه الخسران وقيل وخسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار
فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع
بعده الا ذلك هو الخسران المبين مبالغة في خسرانهم لما فيه من الاستيناف
والتصدير بالا وتوسيط الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين لهم من فوقهم
ظلل من النار شرح لخسرانهم ومن تحتهم ظلل اطباق من النار هي ظلل للآخرين
ذلك يخوف الله به عباده ذلك العذاب هو الذي يخوفهم به ليجتنبوا ما يوقعهم
فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي والذين اجتنبوا الطاغوت
البالغ غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بني للمبالغة في المصدر
كالرحموت ثم وصف به للمبالغة في النعت ولذلك اختص بالشيطان ان
يعبدوها بدل اشتمال منه وانابوا الى الله واقبلوا اليه بشراشرهم عما سواه لهم
البشرى بالثواب على السنة الرسل او الملائكة عند حضور الموت فبشر عباد الذين

الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وضع فيه الظاهر موضع ضمير الذين اجتنبوا
للدلالة على مبدأ اجتنابهم وانهم نقاد في الدين يميزون بين الحق والباطل ويؤثرون
الافضل فالافضل اولئك الذين هداهم الله لدينه واولئك هم اولوا الالباب
العقول السليمة عن منازعة الوهم والعادة وفي ذلك دلالة على ان الهداية تحصل
بفعل الله وقبول النفس لها افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار
جملة شرطية معطوفة على محذوف دل عليه الكلام تقديره اانت مالك امرهم فمن
حق عليه العذاب فانت تنقذه فكررت الهمزة في الجزاء لتاكيد الانكار والاستبعاد
ووضع من في النار موضع الضمير لذلك وللدلالة على ان من حكم بالعذاب كالواقع فيه
لامتناع الخلف ان اجتهاد الرسول في دعائهم الى الايمان سعي في انقاذهم من
النار ويجوز ان افانت تنقذ جملة مستانفة للدلالة على ذلك والاشعار بالجزاء
المحذوف لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف علالي بعضها فوق
بعض مبنية بنيت بناء المنازل على الارض تجري من تحتها الانهار اي من تحت
تلك الغرف وعد الله مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف في معنى الوعد لا يخلف
الله الميعاد لان الخلف نقص وهو على الله محال الم تر ان الله انزل من السماء ماء
هو المطر فسلكه فادخله ينابيع في الارض هي عيون ومجاري كائنة فيها او مياه
نابعات اذ الينبوع جاء للنبع وللنابع فنصبها على المصدر او الحال ثم يخرج به زرعا
مختلفا الوانه اصنافه من بر وشعير وغيرهما او كيفياته من خضرة وحمرة وغيرهما
ثم يهيج يتم جفافه لانه اذا تم جفافه حان له ان يثور عن منبته فتراه مصفرا
من يبسه ثم يجعله حطاما فتاتا ان في ذلك لذكرى لتذكيرا بانه لا بد من صانع حكيم
دبره وسواه او بانه مثل الحيوة الدنيا فلا تغتر بها لاولي الالباب اذ لا يتذكر به
غيرهم افمن شرح الله صدره للاسلام حتى تمكن فيه بيسر عبر به عمن خلق نفسه
شديدة الاستعداد لقبوله غير متابية عنه من حيث ان الصدر محل القلب المنبع
للروح المتعلق بالنفس القابل للاسلام فهو على نور من ربه يعني المعرفة و
الالهية الى الحق وعنه عليه السلام اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما
علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتاهب للموت
قبل نزوله وخبر من محذوف دل عليه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله
من اجل ذكره وهو ابلغ من ان يكون عن مكان من لان القاسي من اجل الشيء اشد
تابيا من قبوله من القاسي عنه بسبب آخر وللمبالغة في وصف اولئك بالقبول
وهؤلاء بالامتناع ذكر شرح الصدر واسنده الى الله وقابله بقساوة القلب
واسنده اليه اولئك في ضلال مبين يظهر للناظر بادي نظر والآية نزلت
في حمزة وعلي وابي لهب وولده الله نزل احسن الحديث يعني القرآن روي ان

ان اصحاب رسول الله ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وفي الابتداء باسم الله
وبناء نزل عليه تأكيد للاسناد اليه وتفخيم للمنزل واستشهاد على حسنه كتابا متشابها
بدل من احسن او حال منه وتشابهه تشابه ابعاضه في الاعجاز وتجاوب النظم وصحة
المعنى والدلالة على المنافع العامة مثاني جمع مثنى او مثنى على ما مر في الحجر وصف
به كتابا باعتبار تفاصيله كقولك القران سور وايات والانسان عظام وعروق
واعصاب وجعل تمييزا من متشابها كقولك رايت رجلا حسنا شمائل
تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل في شدة
الخوف واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس بزيادة
الراء ليصير رباعيا كتركيب اقمطر من القمط وهو الشد ثم تلين جلودهم وقلوبهم
الى ذكر الله بالرحمة وعموم المغفرة والاطلاق للاشعار بان اصل امره الرحمة فان
رحمته سبقت غضبه والتعدية بالى لتضمين معنى السكون والاطمئنان وذكر
القلوب لتقدم الخشية التي هي من عوارضها ذلك اي الكتاب او الكائن من
الخشية والرجاء هدى الله يهدي به من يشاء هدايته ومن يضلل الله ومن
يخذله فما له من هاد يخرجه من الضلال افمن يتقي بوجهه يجعله درقة يتقي به
لانه يكون مغلولة يداه الى عنقه فلا يقدر ان يتقي الا بوجهه سوء العذاب
يوم القيمة كمن هو امن منه فحذف الخبر كما حذف في نظائره وقيل للظالمين
اي لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بالموجب لما يقال
لهم وهو ذوقوا ما كنتم تكسبون اي وباله والواو للحال وقد مقدرة كذب
الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يخطر
ببالهم ان الشر ياتيهم منها فاذاقهم الله الخزي الذل في الحيوة الدنيا
كالمسخ والخسف والقتل والسبي والاجلاء ولعذاب الاخرة المعد لهم اكبر
لشدته لو كانوا يعلمون لو كانوا من اهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا
به ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل يحتاج اليه الناظر في امر دينه
لعلهم يتذكرون يتعظون به قرانا عربيا حال من هذا والاعتماد فيها على الصفة
كقولك جاءني زيد رجلا صالحا او مدح له غير ذي عوج لا اختلال فيه بوجه ما
وهو ابلغ من المستقيم واختص بالمعاني وقيل المراد بالعوج الشك استشهادا
بقوله وقد اتاك يقين غير ذي عوج من الاله وقول غير مكذوب وهو تخصيص
له ببعض مدلوله لعلهم يتقون علة اخرى مرتبة على الاولى ضرب الله مثلا
للمشرك والموحد رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل مثل
المشرك على ما يقتضيه مذهبه من ان يدعي كل واحد من معبوديه عبوديته
ويتنازعون فيه بعبد يتشارك فيه جمع يتجاذبونه ويتعاورونه في

في مهماتهم المختلفة في تحيره وتوزع قلبه والموحد بمن خلص لواحد ليس لغيره عليه
سبيل ورجلا بدل من مثلا وفيه صلة شركاء والتشاكس والتشاخس الاختلاف
وقرا نافع وابن عامر والكوفيون سلما بفتحتين وقرئ بفتح السين وكسرها مع
سكون العين وثلثتها مصادر سلم نعت بها او حذف منها ذا ورجل سالم
اي وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه للضر والنفع هل يستويان مثلا
صفة او حالا ونصبه على التمييز ولذلك وحده وقرئ مثلين للاشعار باختلاف
النوع او لان المراد هل يستويان في الوصفين على ان الضمير للمثلين لان التقدير مثل
رجل ومثل رجل الحمد لله كل الحمد لله لا يشاركه فيه على الحقيقة سواه لانه المنعم
بالذات والمالك على الاطلاق بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره من فرط
جهلهم انك ميت وانهم ميتون فان الكل بصدد الموت وفي عداد الموتى وقرئ
مائت ومائتون لانه مما سيحدث ثم انكم على تغليب المخاطب على الغيب يوم
القيمة عند ربكم تختصمون فتحتج عليهم بانك كنت على الحق في التوحيد وكانوا على
الباطل في التشريك واجتهدت في الارشاد والتبليغ ولجوا في التكذيب والفساد
ويعتذرون بالاباطيل مثل اطعنا سادتنا ووجدنا اباءنا وقيل المراد به الاختصام
العام يخاصم الناس بعضهم بعضا فيما دار بينهم في الدنيا فمن اظلم ممن كذب على
الله باضافة الولد والشريك اليه وكذب بالصدق وهو ما جاء به محمد عليه السلام
اذ جاءه من غير توقف وتفكر في امره اليس في جهنم مثوى للكافرين وذلك
يكفيهم مجازاة لاعمالهم واللام يحتمل العهد والجنس واستدل به على تكفير المبتدعة
فانهم مكذبون بما علم صدقه وهو ضعيف لانه مخصوص بمن فاجاء ما علم مجيء الرسول
به بالتكذيب والذي جاء بالصدق وصدق به للجنس ليتناول الرسل والمؤمنين
لقوله اولئك هم المتقون وقيل هو النبي والمراد هو ومن تبعه كما في قوله ولقد اتينا
موسى الكتاب لعلهم يهتدون وقيل الجائي هو الرسول والمصدق ابو بكر وذلك
يقتضي اضمار الذي وهو غير جائز وقرئ وصدق به بالتخفيف اي صدق به الناس
فاداه اليهم كما نزل او صار صادقا بسببه لانه معجز يدل على صدقه وصدق به على البناء
للمفعول لهم ما يشاءون عند ربهم في الجنة ذلك جزاء المحسنين على احسانهم
ليكفر الله عنهم اسوء الذي عملوا خص الاسوء للمبالغة فانه اذا كفر كان غيره اولى
بذلك او الاشعار بانهم لاستعظامهم الذنوب يحسبون انهم مقصرون مذنبون
وان ما يفرط منهم من الصغائر اسوء ذنوبهم ويجوز ان يكون بمعنى السيء كقولهم الناقص
والاشج اعدلا بني مروان وقرئ اسواء جمع سوء ويجزيهم اجرهم ويعطيهم
ثوابهم باحسن الذي كانوا يعملون فيعد لهم محاسن اعمالهم باحسنها في زيادة
الاجر وعظمه لفرط اخلاصهم فيها اليس الله بكاف عبده استفهام انكار للنفي

مبالغة في الاثبات والعبد رسول الله ويحتمل الجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائي
عباده وفسر بالانبياء ويخوفونك بالذين من دونه يعني قريشا فانهم قالوا له
انا نخاف ان تخبلك الهتنا لعيبك اياها وقيل انه بعث خالدا ليكسر العزى
فقال له سادنها احذركها ان لها شدة فعمد اليها خالد فهشم انفها فنزل تخويف
خالد تخويفه لانه الامر له بما خوف عليه ومن يضلل الله حتى غفل عن كفاية الله له
وخوفه بما لا ينفع ولا يضر فما له من هاد يهديه الى الرشاد ومن يهد الله فما له
من مضل اذ لا راد لفعله كما قال اليس الله بعزيز غالب منيع ذي انتقام
ينتقم من اعدائه ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح
البرهان على تفرده بالخالقية قل افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني
الله بضر هل هن كاشفات ضره اي ارأيتم بعد ما تحققتم ان خالق العالم هو الله
ان الهتكم ان اراد الله ان يصيبني بضر هل يكشفنه او ارادني برحمة بنفع هل هن
ممسكات رحمته فيمسكها عني وقرأ ابو عمرو كاشفات ضره وممسكات رحمته
بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته قل حسبي الله كافيا في اصابة الخير ودفع الضر
اذ تقرر بهذا التقرير انه القادر الذي لا مانع لما يريده من خير او شر روي ان النبي
سألهم فسكتوا فنزل ذلك وانما قال كاشفات وممسكات على ما يصفونها به
من الانوثة تنبيها على كمال ضعفها عليه يتوكل المتوكلون لعلمهم بان الكل منه
قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالكم اسم للمكان استعير للحال كما استعير هنا
وحيث من المكان للزمان وقرئ مكاناتكم اني عامل اي على مكانتي فحذف للاختصار
والمبالغة في الوعيد والاشعار بان حاله لا تقف فانه تزيد على مر الايام قوة ونصرة
ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين فقال فسوف تعلمون
من يأتيه عذاب يخزيه فان خزي اعدائه دليل غلبته وقد اخزاهم الله يوم بدر
ويحل عليه عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار انا انزلنا عليك الكتاب
للناس لاجلهم فانه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم بالحق ملتبسا به
فمن اهتدى فلنفسه اذ نفع به نفسه ومن ضل فانما يضل عليها فان وباله
لا يتخطاها وما انت عليهم بوكيل وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى وانما امرت
بالبلاغ وقد بلغت الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها
اي يقبضها عن الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها اما ظاهرا او باطنا وذلك
عند الموت او ظاهرا لا باطنا وهو في النوم فيمسك التي قضى عليها الموت ولا يردها
الى البدن وقرأ حمزة والكسائي قضي بضم القاف وكسر الضاد والموت بالرفع
ويرسل الاخرى اي النائمة الى بدنها عند اليقظة الى اجل مسمى هو الوقت
المضروب لموته وهو غاية جنس الارسال وما روي عن ابن عباس ان في ابن ادم

بني آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل
والتمييز والروح التي بها النفس والحيوة فيتوفيان عند الموت ويتوفى النفس
وحدها عند النوم قريب مما ذكرناه ان في ذلك من التوفي والامساك
والارسال لايات على كمال قدرته وحكمته وشمول رحمته لقوم يتفكرون
في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها بالكلية حين الموت وامساكها باقية
لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة والحكمة في توفيها عن ظواهرها
وارسالها حينا بعد حين الى توفي آجالها ام اتخذوا بل اتخذ قريش من دون
الله شفعاء تشفع لهم عند الله قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون
ايشفعون ولو كانوا على هذه الصفة كما تشاهدونهم جمادات لا تقدر ولا تعلم
قل لله الشفاعة جميعا لعله رد لما عسى يجيبون به وهو ان الشفعاء اشخاص
مقربون هي تماثيلهم والمعنى انه مالك الشفاعة كلها لا يستطيع احد شفاعة
الا باذنه ولا يستقل بها ثم قرر ذلك فقال له ملك السموات والارض فانه
مالك الملك كله لا يملك احد ان يتكلم في امره دون اذنه ورضاه ثم اليه ترجعون
يوم القيمة فيكون الملك له ايضا حينئذ واذا ذكر الله وحده دون آلهتهم
اشمأزت انقبضت ونفرت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر
الذين من دونه يعني الاوثان اذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم بها ونسيانهم
حق الله ولقد بالغ في الامرين حتى بلغ الغاية فيهما فان الاستبشار ان يمتلئ قلبه
سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز ان يمتلئ غضبا وغما حتى ينقبض اديم
وجهه والعامل في اذا المفاجاة قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب
والشهادة التجئ الى الله بالدعاء لما تحيرت في امرهم وعجزت في عنادهم وشدة
شكيمتهم فانه القادر على الاشياء والعالم بالاحوال كلها انت تحكم بين عبادك
فيما كانوا فيه يختلفون فانت وحدك تقدر ان تحكم بيني وبينهم ولو ان للذين
ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة
وعيد شديد واقناط كلي لهم من الخلاص وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
زيادة مبالغة فيه وهو نظير قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم في الوعد وبدا لهم سيئات
ما كسبوا سيئات اعمالهم او كسبهم حين تعرض صحائفهم وحاق بهم ما كانوا به
يستهزؤن واحاط بهم جزاؤه فاذا مس الانسان ضر دعانا اخبار عن الجنس
بما يغلب فيه والعطف على قوله واذا ذكر الله وحده بالفاء لبيان مناقضتهم
وتعكيسهم في التسبيب بمعنى انهم يشمئزون عن ذكر الله وحده ويستبشرون بذكر
الآلهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا من ذكره دون من استبشروا بذكره وما
بينهما اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم ثم اذا خولناه نعمة منا اعطيناه اياها

تفضلا فان التخويل مختص به قال انما اوتيته على علم مني بوجوه كسبه او باني
سأعطاه بمالي من استحقاقه او من الله بي واستحقاقي والهاء لما ان جعلت
موصولة والا فللنعمة والتذكير لان المراد شيء منها بل هي فتنة امتحان بها
ايشكر ام يكفر وهو رد لما قاله وتانيث الضمير باعتبار الخبر او لفظ النعمة وقرئ
بالتذكير ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك وهو دليل على ان الانسان للجنس
قد قالها الذين من قبلهم الهاء لقوله انما اوتيته على علم لانها كلمة او جملة وقرئ
بالتذكير والذين من قبلهم قارون وقومه فانه قاله ورضي به قومه فما اغنى عنهم
ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا فاصابهم سيئات ما كسبوا جزاء سيئات
اعمالهم وسماه سيئة لانه في مقابلة اعمالهم السيئة رمزا الى ان جميع اعمالهم
كذلك والذين ظلموا بالعتو من هؤلاء المشركين ومن للبيان او التبعيض
سيصيبهم سيئات ما كسبوا كما اصاب اولئك وقد اصابهم فانهم قحطوا
سبع سنين وقتل ببدر صناديدهم وما هم بمعجزين فائتين اولم يعلموا
ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسط
لهم سبعا ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون بان الحوادث كلها من الله بوسط
او غيره قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم افرطوا في الجناية عليها بالاسراف
في المعاصي فاضافة العباد وتخصيصه بالمؤمنين كما هو عرف القرآن لا تقنطوا
من رحمة الله لا تيأسوا من مغفرته اولا وتفضله ثانيا ان الله يغفر الذنوب جميعا
عفوا ولو بعد بعد وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر ويدل على اطلاقه فيما عدا الشرك
قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به الآية والتعليل بقوله انه هو الغفور الرحيم على
المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة
مما في عبادي من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر
الاسراف بانفسهم والنهي عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها
وتعليله بان الله يغفر الذنوب ووضع اسم الله موضع الضمير لدلالته على انه
المستغني والمنعم على الاطلاق والتاكيد بالجميع وما روي انه عليه السلام قال ما احب
ان يكون لي الدنيا وما فيها بها فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت
ساعة ثم قال الا ومن اشرك ثلث مرات وما روي ان اهل مكة قالوا يزعم
محمد ان من عبد الاوثان وقتل النفس بغير حق لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا
الاوثان وقتلنا النفس فنزلت وقيل في عياش والوليد بن الوليد في جماعة
فتنوا وعذبوا فافتتنوا او في الوحشي لا ينفي عمومها وكذا قوله وانيبوا الى ربكم
واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون فانها لا تدل على حصول
المغفرة لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن التوبة والاخلاص في العمل

العمل وتنافي الوعيد بالتعذيب واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم القرآن
او المامور به دون المنهي عنه او العزائم دون الرخص او الناسخ دون المنسوخ ولعله
هو المنجي واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة
وانتم لا تشعرون بمجيئه فتتداركوا ان تقول نفس كراهة ان تقول وتنكير نفس
لان القائل بعض الانفس او للتكثير كقول الاعشى ورب بقيع لو هتفت بجوه
اتاني كريم ينفض الراس مغضبا يا حسرتا وقرئ بالياء على الاصل على ما فرطت
بما قصرت في جنب الله في جانبه اي حقه وهو طاعته قال سابق البربري اما
تتقين في جنب وامق له كبد حرى عليك تقطع وهو كناية فيها مبالغة كقوله
ان السماحة والمروة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج وقيل في ذاته على تقدير
مضاف كالطاعة وقيل في قربه من قوله والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله
وان كنت لمن الساخرين المستهزئين باهله ومحل ان كنت نصب على
الحال كانه قال فرطت وانا ساخر او تقول لو ان الله هداني بالارشاد الى
الحق لكنت من المتقين من الشرك والمعاصي او تقول حين ترى العذاب
لو ان لي كرة فاكون من المحسنين في العقيدة والعمل او للدلالة على انه لا
تخلو من هذه الاقوال تحيرا وتعللا بما لا طائل تحته بلى قد جاءتك آياتي فكذبت
بها واستكبرت وكنت من الكافرين رد من الله عليه لما تضمنه قوله لو ان
الله هداني من معنى النفي وفصله عنه لان تقديمه يفرق القرائن وتاخير المردود
يخل بالنظم المطابق للوجود لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى
الرجعة وهو لا يمنع تاثير قدرة الله في فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه
كما عرفت وتذكير الخطاب على المعنى وقرئ بالتانيث للنفس ويوم القيمة
ترى الذين كذبوا على الله بان وصفوه بما لا يجوز كاتخاذ الولد وجوههم مسودة
بما ينالهم من الشدة او بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال اذ الظاهر ان ترى
من رؤية البصر واكتفي فيها بالضمير عن الواو اليس في جهنم مثوى مقام للمتكبرين
عن الايمان والطاعة وهو تقرير لانهم يرون كذلك وينجي الله الذين اتقوا
وقرئ ينجي الله بمفازتهم بفلاحهم مفعلة من الفوز وتفسيرها بالنجاة تخصيصها
باهم اقسامه وبالسعادة والعمل الصالح اطلاق لها على السبب وقرأ الكوفيون
غير حفص بالجمع تطبيقا له بالمضاف اليه والباء فيها للسببية صلة لينجي او لقوله
لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون وهو حال او استيناف لبيان المفازة
الله خالق كل شيء من خير وشر وايمان وكفر وهو على كل شيء وكيل يتولى التصرف
فيه له مقاليد السموات والارض لا يملك امرها ولا يتمكن من التصرف فيها
غيره وهو كناية عن قدرته وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاختصاص لان

الخزاين لا يملكها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد او مقلاد
من قلدته اذا الزمته وقيل جمع اقليد معرب اكليد على الشذوذ وكمذاكير وعن عثمان
انه سال النبي عن المقاليد فقال تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله و
بحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر والباطن
بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا ان الله هذه الكلمات
يوحد بها ويمجد وهو مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها اصابه والذين
كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا
وما بينهما اعتراض للدلالة على انه مهيمن على العباد مطلع على افعالهم مجاز عليها
وتغيير النظم للاشعار بان العمدة في فلاح المؤمنين فضل الله وفي هلاك الكافرين
بان خسروا انفسهم وللتصريح بالوعد والتعريض بالوعيد قضية الكرم او بما يليه والمراد
بايات الله دلائل قدرته واستبداده بامر السموات والارض وكلمات توحيده
وتمجيده وتخصيص الخسار بهم لان غيرهم له حظ من الرحمة والثواب قل افغير
الله تامروني اعبد ايها الجاهلون اي افغير الله اعبد بعد هذه الدلائل والمواعيد
وتامروني اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض
الهتنا ونؤمن الهك لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب غير بما دل عليه تامروني
اعبد لانه بمعنى تعبدونني على ان اصله تامرونني ان اعبد فحذف ان ورفع كقوله
احضر الوغى ويؤيده قراءة اعبد بالنصب وقرا ابن عامر تامرونني باظهار النونين على
الاصل ونافع بحذف الثانية فانها تحذف كثيرا ولقد اوحي اليك والى الذين
من قبلك اي من الرسل لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين
كلام على سبيل الفرض والمراد به تهييج الرسل واقناط الكفرة والاشعار على حكم الامة
وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب
واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون من خصايصهم لان شركهم اقبح ويكون على
التقييد بالموت كما صرح به في قوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر
فاولئك حبطت اعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب
بل الله فاعبد رد لما امروه به ولولا دلالة التقديم على الاختصاص لم يكن كذلك
وكن من الشاكرين انعامه عليك وفيه اشارة الى موجب الاختصاص
وما قدروا الله حق قدره ما قدروا عظمته في انفسهم حق تعظيمه حيث جعلوا له
شريكا ووصفوه بما لا يليق به وقرئ بالتشديد والارض جميعا قبضته يوم القيمة
والسموات مطويات بيمينه تنبيه على عظمته وحقارة الافعال العظام التي
يتحير فيها الاوهام بالاضافة الى قدرته ودلالة على ان تخريب العالم اهون شيء
عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا

ولا مجاز كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض اطلقت بمعنى القبضة
وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر او بتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب
على الظرف تشبيها للموقت بالمبهم وتاكيد الارض بالجميع لان المراد بها الارضون
السبع او جميع ابعاضها البادية والغايرة وقرئ مطويات على انها حال والسموات
معطوفة على الارض منظومة في حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد واعلى
من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم او ما يضاف اليه من الشركاء ونفخ في الصور
يعني المرة الاولى فصعق من في السموات ومن في الارض خروا ميتا او مغشيا
عليه الا من شاء الله قيل جبرائيل وميكائيل واسرافيل فانهم لا يموتون بعد وقيل
حملة العرش ثم نفخ فيه اخرى نفخة اخرى وهي تدل على ان المراد بالاول ونفخ
في الصور نفخة واحدة كما صرح في مواضع اخرى يحتمل النصب والرفع فاذا هم قيام
قائمون من قبورهم او متوقفون وقرئ بالنصب على ان الخبر ينظرون وهو حال
من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم في الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون ما يفعل بهم
واشرقت الارض بنور ربها بما اقام فيها من العدل سماه نورا لانه يزين البقاع
ويظهر الحقوق كما سمي الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيمة ولذلك اضاف
اسمه الى الارض او بنور خلق فيها بلا توسط اجسام مضيئة ولذلك اضافه الى نفسه ووضع
الكتاب الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه او صحايف
الاعمال في ايدي العمال واكتفى باسم الجنس من الجميع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحايف
وجيء بالنبيين والشهداء للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون
وقضي بينهم بين العباد بالحق وهم لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة عقاب على
ما جرى به الوعد ووفيت كل نفس ما عملت جزاءه وهو اعلم بما يفعلون فلا
يفوته شيء من افعالهم ثم فصل التوفية وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا افواجا متفرقة
بعضها في اثر بعض على تفاوت اقدامهم في الضلالة والشرارة جمع زمرة وهو الجمع القليل
واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه او من قولهم شاة زمرة قليلة
الشعر ورجل زمر قليل المروة حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها ليدخلوها وحتى هي التي
تحكى بعدها الجملة وقرا الكوفيون فتحت بتخفيف التاء وقال لهم خزنتها تقريعا
وتوبيخا الم ياتكم رسل منكم من جنسكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم
لقاء يومكم هذا وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على انه لا تكليف
قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب قالوا بلى ولكن
حقت كلمة العذاب على الكافرين كلمة الله بالعذاب علينا وهو الحكم عليهم
بالشقاوة وانهم من اهل النار ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على اختصاص
ذلك بالكفرة وقيل هو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين قيل ادخلوا

ابواب جهنم خالدين فيها ابهم القايل لتهويل ما يقال لهم فبئس مثوى المتكبرين
اللام فيه للجنس والمخصوص بالزم سبق ذكره ولا ينافي اشعاره بان مثويهم في النار
لتكبرهم عن الحق ان يكون دخولهم فيها لان كلمة العذاب حقت عليهم فان تكبرهم وساير
مقابحهم مسببة عنه كما قال عليه السلام ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل
الجنة حتى يموت على عمل من افعال اهل الجنة فيدخل به الجنة واذا خلقه للنار استعمله
على عمل من اعمال اهل النار فيدخله به النار وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة
اسراعا بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين زمرا
على تفاوت مراتبهم في الشرف وعلو الطبقة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها حذف
جواب اذا للدلالة على ان لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف
وان ابواب الجنة يفتح لهم قبل مجيئها غير منتظرين وقرا الكوفيون فتحت بالتخفيف
وقال لهم خزنتها سلام عليكم لا يعتريكم بعد مكروه طبتم طهرتم من دنس المعاصي
فادخلوها خالدين مقدرين الخلود والفاء للدلالة على ان طيبهم سبب لدخولهم
وخلودهم وهو لا يمنع دخول العاصي بعفوه لانه يطهره وقالوا الحمد لله الذي
صدقنا وعده بالبعث والثواب واورثنا الارض يريدون المكان
الذي استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من اعمالهم
او تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه نتبوأ من الجنة حيث نشاء
اي يتبوأ كل منا في اي مقام اراده من الجنة الواسعة مع ان في الجنة مقامات
معنوية لا يتمانع واردوها فنعم اجر العاملين الجنة وترى الملائكة حافين
محدقين من حول العرش اي حوله ومن مزيدة او للابتداء والحفوف يسبحون
بحمد ربهم ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين لوصفي
جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار بان منتهى درجات العليين واعلى لذائذهم
هو الاستغراق في صفات الحق وقضي بينهم بالحق اي بين الخلق بادخال
بعضهم النار وبعضهم الجنة او بين الملائكة باقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم
وقيل الحمد لله رب العالمين اي على ما قضى بيننا بالحق والقائلون هم المؤمنون
من المقضي بينهم او الملائكة وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم عن النبي عم من قرا سورة
الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيمة واعطاه الله ثواب الخايفين وعنه
عليه السلام كان يقرا كل ليلة بني اسرائيل والزمر
بسم الله الرحمن الرحيم حم امالة ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر صريحا ونافع برواية
ورش وابو عمرو بين بين وقرئ بفتح الميم على التحريك لالتقاء الساكنين او النصب
باضمار اقرا ومنع صرفه للتعريف والتانيث او لانها على زنة اعجمي كقابيل وهابيل
تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم لعل تخصيص الوصفين لما في القران من

من الاعجاز والحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة البالغة غافر الذنب وقابل
التوب شديد العقاب ذي الطول صفات اخر لتحقيق ما فيه من الترغيب
والترهيب والحث على ما هو المقصود منه والاضافة حقيقية على انه لم يرد بها
زمان مخصوص واريد بشديد العقاب شديده او الشديد عقابه فحذف اللام للازد
للازدواج وامن الالتباس او ابدال وجعله وحده بدلا مشوش للنظم وتوسيط
الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين
اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر فيكون
لذنب باق وذلك لمن لم يتب فان التايب من الذنب كمن لا ذنب له و
التوب مصدر كالتوبة وقيل جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق
وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها لا اله الا هو
فيجب الاقبال الكلي على عبادته اليه المصير فيجازي المطيع والعاصي ما يجادل
في ايات الله الا الذين كفروا لما حقق امر التنزيل سجل بالكفر على المجادلين
فيه بالطعن وادحاض الحق لقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال
فيه لحل عقده واستنباط حقايقه وقطع تشبث اهل الزيغ به وقطع مطاعنهم
فيه فمن اعظم الطاعات ولذلك قال عم ان جدالا في القران كفر بالتنكير مع انه
ليس جدالا فيه على الحقيقة فلا يغررك تقلبهم في البلاد فلا يغررك امهالهم
واقبالهم في دنياهم وتقلبهم في بلاد الشام واليمن بالتجارات المربحة فانهم ماخوذون
عما قريب بكفرهم اخذ من قبلهم كما قال كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم
والذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح كعاد وثمود وهمت كل امة
من هؤلاء برسولهم وقرئ برسولها لياخذوه ليتمكنوا من اصابته بما ارادوا
من تعذيب وقتل من الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا بالباطل بما لا حقيقة له ليدحضوا
به الحق ليزيلوه به فاخذتهم بالاهلاك جزاء لهم فكيف كان عقاب فانكم
تمرون على ديارهم وترون اثره وهو تقرير فيه تعجيب وكذلك حقت كلمة
ربك وعيده او قضاؤه بالعذاب على الذين كفروا لكفرهم انهم اصحاب النار
بدل من كلمة ربك بدل الكل او الاشتمال على ارادة اللفظ او المعنى الذين
يحملون العرش ومن حوله الكروبيون اعلى طبقات الملائكة واولهم وجودا
وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له او كناية عن قربهم من
ذي العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم في نفاذ امره يسبحون بحمد ربهم
يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والاكرام وجعل التسبيح اصلا
والحمد حالا لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح ويؤمنون به اخبر عنهم بالايمان
اظهارا لفضله وتعظيما لاهله ومساق الاية لذلك كما صرح به بقوله ويستغفرون

للذين آمنوا واشعاراً بان حملة العرش وسكان العرش في معرفته سواء ردا
على المجسمة واستغفارهم شفاعتهم وحملهم على التوبة والهامهم ما يوجب المغفرة
وفيه تنبيه على ان المشاركة في الايمان توجب النصح والشفقة وان تخالفت
الاجناس لانها اقوى المناسبات كما قال انما المؤمنون اخوة ربنا اي يقولون
ربنا وهو بيان ليستغفرون او حال وسعت كل شيء رحمة وعلما اي وسعت
رحمتك وعلمك فازيل عن اصله للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة
في عمومها وتقديم الرحمة لانها المقصود بالذات ههنا فاغفر للذين تابوا واتبعوا
سبيلك للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق وقهم عذاب الجحيم
واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار للتاكيد والدلالة على شدة العذاب ربنا وادخلهم
جنات عدن التي وعدتهم وعدتهم اياها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم
عطف على هم الاول اي ادخلهم معهم ليتم سرورهم او الثاني لبيان عموم الوعد
وقرئ جنة عدن وصلح بالضم وذريتهم بالتوحيد انك انت العزيز الذي
لا يمتنع عليه مقدور الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه حكمته ومن ذلك الوفاء بالوعد
وقهم السيئات العقوبات او جزاء السيئات وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص
بمن صلح او المعاصي في الدنيا لقوله ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته
اي ومن تقها في الدنيا فقد رحمته في الآخرة كانهم طلبوا السبب بعد ما طلبوا
المسبب وذلك هو الفوز العظيم يعني الرحمة او الوقاية او مجموعهما ان الذين كفروا
ينادون يوم القيمة فيقال لهم لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اي لمقت الله
اياكم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة اذ تدعون الى الايمان فتكفرون ظرف لفعل
دل عليه المقت الاول لا له لانه اخبر عنه ولا الثاني لان مقتهم انفسهم يوم القيمة
حين عاينوا جزاء اعمالها الخبيثة الا ان يأول بنحو الصيف ضيعت اللبن او
تعليل للحكم وزمان المقتين واحد قالوا ربنا امتنا اثنتين اماتتين بان خلقتنا
امواتا اولا ثم صيرتنا امواتا عند انقضاء آجالنا فان الاماتة جعل الشيء عادم
الحيوة ابتداء او بتصيير كالتصغير والتكبير ولذلك قيل سبحان من صغر البعوض
وكبر الفيل وان خص بالتصيير فاختيار الفاعل احد مفعوليه تصيير وصرف له عن الآخر
واحييتنا اثنتين الاحياءة البعث وقيل الاماتة الاولى عند انخرام الاجل
والثانية في القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياءان ما في القبر والبعث اذ المقصود
اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا عنه ولم يكترثوا به لذلك تسبب لقوله فاعترفنا
بذنوبنا فان اقترافهم لها من اغترارهم بالدنيا وانكارهم بالبعث فهل
الى خروج نوع خروج من النار من سبيل طريق فنسلكه وذلك انما يقوله
من فرط قنوطهم تعللا وتحيرا ولذلك اجيبوا بقوله ذلكم اي الذي انتم فيه بانه

بانه بسبب انه اذا دعي الله وحده متحدا او توحد وحده فحذف الفعل واقيم
مقامه في الحالية كفرتم بالتوحيد وان يشرك به تؤمنوا بالاشراك فالحكم لله المستحق
للعبادة حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد العلي من ان يشرك به ويسوى بغيره
الكبير حيث حكم على من اشرك وسوى به بعض مخلوقاته في استحقاق العبادة هو
الذي يريكم اياته الدالة على التوحيد وساير ما يجب ان يعلم تكميلا لنفوسكم وينزل
لكم من السماء رزقا اسباب رزق كالمطر مراعاة لمعاشكم وما يتذكر بالايات التي
هي كالمركوزة في العقول لظهورها المغفول عنها للانهماك في التقليد واتباع الهوى
الا من ينيب يرجع عن الانكار بالاقبال عليها والتفكر فيها فان الجازم بشيء لا ينظر فيما
ينافيه فادعوا الله مخلصين له الدين من الشرك ولو كره الكافرون
اخلاصكم وشق عليهم رفيع الدرجات ذو العرش خبران اخران للدلالة على
علو صمديته من حيث المعقول والمحسوس الدال على تفرده في الالوهية فان من ارتفعت
درجات كماله بحيث لا يظهر دونها كمال وكان العرش الذي هو اصل العالم الجسماني
في قبضة قدرته لا يصح ان يشرك به وقيل الدرجات مراتب المخلوقات او مصاعد
الملائكة الى العرش او السموات او درجات الثواب وقرئ رفيع بالنصب على المدح
يلقي الروح من امره خبر رابع للدلالة على ان الروحانيات ايضا مسخرات لامره
باظهار اثارها وهو الوحي وتمهيد للنبوة بعد تقرير التوحيد والروح الوحي ومن امره بيانه
لانه امر بالخير او مبداه والامر هو الملك المبلغ على من يشاء من عباده يختاره
للنبوة وفيه دليل على انها عطائية لينذر غاية الالقاء والمستكن فيه لله او لمن
او للروح واللام مع القرب يؤيد الثاني يوم التلاق يوم القيمة فان فيه تتلاقى الارواح
والاجساد او اهل السماء والارض والمعبودون او الاعمال والعمال يوم هم بارزون
خارجون من قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شيء او ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشي
الابدان او اعمالهم وسرائرهم لا يخفى على الله منهم شيء من اعيانهم واعمالهم واحوالهم
وهو تقرير لقوله هم بارزون وازاحة لنحو ما يتوهم في الدنيا لمن الملك اليوم لله
الواحد القهار حكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به ولما دل عليه
ظاهر الحال فيه من زوال الاسباب وارتفاع الوسائل واما حقيقة الحال فناطقة بذلك
دائما اليوم تجزى كل نفس بما كسبت كانه نتيجة لما سبق وتحقيقه ان النفوس
تكتسب بالعقائد والاعمال هيئات توجب لذتها والمها لكنها لا تشعر بها في الدنيا
لعوائق تشغلها فاذا قامت قيامتها زالت العوائق وادركت لذتها والمها
لا ظلم اليوم بنقص الثواب وزيادة العقاب ان الله سريع الحساب اذ لا يشغله
شان عن شان فيصل اليهم ما يستحقونه سريعا وانذرهم يوم الازفة اي القيمة
سميت بها لازوفها اي قربها او الخطة الازفة وهي مشارفتهم النار وقيل الموت

اذ القلوب لدى الحناجر فانها ترتفع عن اماكنها فتلتصق بحناجرهم فلا تعود
فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا كاظمين على الغم حال من اصحاب القلوب على المعنى لانه
على الاضافة او منها او من ضميرها في لدى وجمعه كذلك لان الكظم من افعال العقلاء
كقوله فظلت اعناقهم لها خاضعين او من مفعول انذرهم على انه حال مقدرة ما
للظالمين من حميم قريب مشفق ولا شفيع يطاع ولا شفيع مشفع والضماير
ان كانت للكفار وهو الظاهر كان وضع الظالمين موضع ضميرهم للدلالة على
اختصاص ذلك بهم وانه لظلمهم يعلم خائنة الاعين النظرة الخائنة كالنظرة
الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه او خيانة الاعين وما تخفي الصدور
من الضماير والجملة خبر خامس للدلالة على انه ما من خفي الا وهو متعلق العلم والجزاء
والله يقضي بالحق لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضي بشيء الا وهو حقه
والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء تهكم بهم لان الجماد لا يقال فيه
انه يقضي او لا يقضي وقرا نافع وهشام بالتاء على الالتفات او اضمار قل
ان الله هو السميع البصير تقرير لعلمه بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد
لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه اولم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم مآل حال الذين كذبوا
الرسل قبلهم كعاد وثمود كانوا هم اشد منهم قوة قدرة وتمكنا وانما
جيء بالفصل وحقه ان يقع بين معرفتين لمضارعة افعل من للمعرفة في امتناع
دخول اللام عليه وقرا ابن عامر اشد منكم بالكاف وآثارا في الارض مثل
القلاع والمدائن الحصينة وقيل المعنى واكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا
فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق يمنع العذاب عنهم ذلك
الاخذ بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات والاحكام الواضحة
فكفروا فاخذهم الله انه قوي متمكن مما يريده غاية التمكن شديد العقاب
لا يؤبه بعقاب دون عقابه ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني المعجزات
وسلطان مبين وحجة قاهرة ظاهرة والعطف لتغاير الوصفين او لافراد
بعض المعجزات كالعصا تفخيما لشانه الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر
كذاب يعنون موسى وفيه تسلية لرسول الله صلعم وبيان لعاقبة من هو اشد
الذين كانوا من قبلهم بطشا واقربهم زمانا فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا
ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم اي اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون
بهم اولا كي يصدوا عن مظاهرة موسى وما كيد الكافرين الا في ضلال في ضياع
ووضع الظاهر فيه موضع الضمير لتعميم الحكم والدلالة على العلة وقال فرعون
ذروني اقتل موسى كانوا يكفونه عن قتله ويقولون انه ليس الذي تخافه بل هو

بل هو ساحر ولو قتلته ظن انك عجزت عن معارضته بالحجة وتعلله بذلك
مع كونه سفاكا في اهون شيء وقيل كان يخاف انه نبي فيخاف من قتله او ظن
انه لو حاوله لم يتيسر له ويؤيده قوله وليدع ربه فانه تجلد وعدم مبالاة بدعائه
اني اخاف ان لم اقتله ان يبدل دينكم ان يغير ما انتم عليه من عبادته وعبادة
الاصنام لقوله ويذرك والهتك او ان يظهر في الارض الفساد ما يفسد دنياكم
بالتحارب والتهارج ان لم يقدر ان يبطل دينكم بالكلية وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو
وابن عامر بالواو على معنى الجمع وابن عامر والكوفيون حفص بفتح الياء والهاء ورفع
الفساد وقال موسى اي لقومه لما سمع بكلامه اني عذت بربي وربكم من
كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب صدر الكلام بان تاكيدا واشعارا على ان السبب
المؤكد في دفع الشر هو العياذ بالله وخص اسم الرب لان المطلوب هو الحفظ و
التربية واضافه اليه واليهم حثا لهم على موافقته لما في تظاهر الارواح من استجلاب
الاجابة ولم يسم فرعون وذكر وصفا يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية
الحق والدلالة على الحامل له على القول وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي عذت فيه
وفي الدخان عت بالادغام وعن نافع مثله وقال رجل مؤمن من آل فرعون
من اقاربه وقيل من متعلق بقوله يكتم ايمانه والرجل اسرائيلي او غريب موحد كان
ينافقهم اتقتلون رجلا اتقصدون قتله ان يقول لان يقول او وقت ان
يقول من غير روية وتامل في امره ربي الله وحده وهو في الدلالة على الحصر مثل صديقي زيد
وقد جاءكم بالبينات المتكثرة على صدقه من المعجزات والاستدلالات من ربكم
اضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا لهم الى الاعتراف به ثم
اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال وان يك كاذبا فعليه كذبه لا يتخطاه
وبال كذبه فيحتاج في دفعه الى قتله وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم فلا
اقل من ان يصيبكم بعضه وفيه مبالغة في التحذير واظهار للانصاف وعدم التعصب
ولذلك قدم كونه كاذبا او يصبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كانه
خوفهم بما هو اظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل كقول لبيد تراك امكنة اذا لم
ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها مردود لانه اراد بالبعض نفسه ان الله لا يهدي
من هو مسرف كذاب احتجاج ثالث ذو وجهين احدهما انه لو كان مسرفا
كذابا لما هداه الله الى البينات ولما عضده بتلك المعجزات وثانيهما ان من خذله الله
واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله اراد به المعنى الاول وتخيل لهم الثاني لتلين شكيمتهم
وعرض به لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب وسبيل النجاة
يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين غالبين عالين في الارض ارض مصر فمن ينصرنا
من باس الله ان جاءنا اي فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لباس الله بقتله فانه ان

ان جاءنا لم يمنعنا منه احد فانما ادرج نفسه في الضمير لانه كان منهم في القرابة
وليريهم انه معهم ومساهمهم فيما ينصح لهم قال فرعون ما اريكم الا ما ارى ما اشير اليكم
الا ما ارى واستصوبه من قتله او ما اعلمكم الا ما علمت من الصواب وقلبي
ولساني متواطئان عليه وما اهديكم الا سبيل الرشاد طريق الصواب وقرئ
بالتشديد على انه فعال للمبالغة من رشد كعلام او من رشد كعباد لا من ارشد
كجبار لانه مقصور على السماع او النسبة الى الرشد كعواج وبتات وقال الذى
امن يا قوم اني اخاف عليكم في تكذيبه والتعرض له مثل يوم الاحزاب مثل
ايام الامم الماضية يعني وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم
مثل داب قوم نوح وعاد وثمود مثل جزاء ما كانوا عليه دائبين من الكفر وايذاء الرسل
والذين من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد ظلما للعباد فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا
يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد من حيث ان المنفي
فيه نفي حدوث تعلق ارادته بالظلم ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم القيمة ينادي
فيه بعضهم بعضا للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور او ينادي اصحاب الجنة اصحاب
النار كما حكي في الاعراف وقرئ بالتشديد وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء
من اخيه يوم تولون عن الموقف مدبرين منصرفين عنه الى النار وقيل فارين
عنها ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم
يوسف يوسف بن يعقوب على ان فرعونه فرعون موسى او على نسبة احوال الاباء
الى الاولاد او سبطه يوسف بن ابراهيم بن يوسف من قبل من قبل موسى
بالبينات بالمعجزات فما زلتم في شك مما جاءكم به من الدين حتى اذا هلك
مات قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة
من بعده او جزما بان لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرئ الن يبعث الله
على ان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث كذلك مثل ذلك الاضلال يضل الله
في العصيان من هو مسرف مرتاب شاك فيما يشهد به البينات لغلبة الوهم
والانهماك في التقليد الذين يجادلون في ايات الله بدل من الموصول الاول لانه بمعنى
الجمع بغير سلطان اتيهم بغير حجة اما بتقليد او شبهة داحضة كبر مقتا عند الله
وعند الذين امنوا فيه ضمير من وافراده للفظ ويجوز ان يكون الذين مبتدا وخبره كبر على
حذف مضاف اي جدال الذين يجادلون كبر مقتا او بغير سلطان وفاعل كبر
كذلك اي كبر مقتا مثل ذلك الجدال فيكون قوله يطبع الله على كل قلب متكبر جبار
استينافا للدلالة على الموجب لجدالهم وقرا ابو عمرو وابن ذكوان قلب بالتنوين
على وصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كقولهم رات عيني وسمعت اذني او على حذف مضاف
اي على كل ذي قلب متكبر وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا بناء مكشوفا عاليا

من صرح الشيء اذا ظهر لعلي ابلغ الاسباب الطرق اسباب السموات
بيان لها وفي ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشانها وتشويق للسامع الى معرفتها فاطلع
الى اله موسى عطف على ابلغ وقرا حفص بالنصب على جواب الترجي ولعله
اراد ان يبني له رصدا في موضع عال يرصد منه احوال الكواكب التي هي اسباب
سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى فيها هل ما يدل على ارسال الله تعالى
اياه او ان يرى فساد قول موسى بان اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه ووصوله
اليه وذلك لا يتاتى الا بالصعود الى السماء وذلك مما لا يقوى عليه الانسان
وذلك لجهله بالله وكيفية استنبائه واني لاظنه كاذبا في دعوى الرسالة
وكذلك ومثل ذلك التزيين زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل
سبيل الرشاد والفاعل على الحقيقة هو الله ويدل عليه انه قرئ وزين بالفتح وبالتوسط
الشيطان وقرا الحجازيان والشامي وابو عمرو وصد على ان فرعون صد الناس
عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده وما كيد فرعون الا في تباب
اي خسار وقال الذي امن يعني مؤمن ال فرعون وقيل موسى يا قوم اتبعون
اهدكم بالدلالة سبيل الرشاد سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان ما عليه
فرعون وقومه سبيل الغي يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع تمتع يسير لسرعة زوالها
وان الاخرة هي دار القرار لخلودها من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها عدلا
من الله وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بمثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى
وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب بغير تقدير
وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا منه ورحمة ولعل تقسيم العمال
وجعل الجزاء اسمية مصدرة باسم الاشارة وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة وجعل
العمل عمدة والايمان حالا للدلالة على انه شرط في اعتبار العمل وان ثوابه على ذلك
ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجوة وتدعونني الى النار كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة
الغفلة واهتماما بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه وعطفه
على النداء الداخل على ما هو بيان لما قبله ولذلك لم يعطف على الاول فان ما بعده
ايضا تفسير لما اجمل فيه تصريحا او تعريضا او على الاول تدعونني لاكفر بالله بدل
او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية في التعدية بالى واللام واشرك به ما ليس لي به
بربوبيته علم والمراد نفي المعلوم والاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان واعتقادها
لا يصح الا عن ايقان وانا ادعوكم الى العزيز الغفار المستجمع لصفات الالوهية
من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة
والقدرة على التعذيب والغفران لا جرم لا رد لما دعاه اليه وجرم فعل بمعنى حق وفاعله
انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة اي حق عدم دعوة الهتكم الى عبادتها

اصلا لانها جمادات ليس لها ما يقتضي الوهيتها او عدم دعوة مستجابة او عدم
استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اي كسب ذلك الدعاء
اليه ان لا دعوة له بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته وقيل فعل من الجرم
بمعنى القطع كما ان بدا من لا بد فعل من التبديد وهو التفريق والمعنى لا قطع لبطلان
الوهية الاصنام اي لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم
انه يفعل لغة فيه كالرشد والرشد وان مردنا الى الله بالموت وان المسرفين
في الضلالة والطغيان كالاشراك وسفك الدماء هم اصحاب النار
ملازموها فستذكرون فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب ما اقول لكم
من النصيحة وافوض امري الى الله ليعصمني من كل سوء ان الله بصير بالعباد فيحرسهم
وكانه جواب توعدهم المفهوم من قوله فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم
وقيل الضمير لموسى وحاق بآل فرعون بفرعون وقومه فاستغنى بذكرهم عن ذكره
للعلم منه بانه اولى بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه فانه فر الى جبل فاتبعه طائفة
فوجدوه يصلي والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سوء العذاب
الغرق والقتل او النار النار يعرضون عليها غدوا وعشيا جملة مستانفة
او النار خبر محذوف ويعرضون استيناف للبيان او بدل ويعرضون حال منها
او من الآل وقرئت منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون
فان عرضهم على النار احراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا
به وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود ان ارواحهم في اجواف طير سود تعرض
على النار بكرة وعشيا الى يوم القيمة وذكر الوقتين يحتمل التخصيص والتابيد وفيه
دليل على بقاء النفس وعذاب القبر ويوم تقوم الساعة اي هذا ما دامت
الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم ادخلوا آل فرعون يا آل فرعون اشد العذاب
عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم وقرأ نافع وحمزة والكسائي
ويعقوب وحفص ادخلوا على امر الملائكة بادخالهم النار واذ يتحاجون في النار
واذكر وقت تخاصمهم فيها ويحتمل العطف على غدوا فيقول الضعفاء للذين
استكبروا تفصيل له انا كنا لكم تبعا تباعا كخدم في جمع خادم او ذوي تبع
بمعنى اتباع على الاضمار او التجوز فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار بالدفع
او الحمل ونصيبا مفعول لما دل عليه مغنون او له بالتضمين او مصدر كشيئا
في قوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا فيكون من صلة
لمغنون قال الذين استكبروا انا كل فيها نحن وانتم فكيف نغني عنكم
ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التاكيد لانه بمعنى كلنا وتنوينه
عوض عن المضاف اليه ولا يجوز جعله حالا من المستكن في الظرف فانه لا يعمل

لا يعمل في الحال المتقدمة عليه كما يعمل في الظرف المقدم كقولك كل يوم لك ثوب
ان الله قد حكم بين العباد بان ادخل اهل الجنة الجنة والنار النار ولا معقب
لحكمه وقال الذين في النار لخزنة جهنم اي لخزنتها ووضع جهنم موضع الضمير
للتهويل او لبيان محلهم فيها ويحتمل ان يكون جهنم ابعد دركاتها من قولهم بئر
جهنام بعيدة القعر ادعوا ربكم يخفف عنا يوما قدر يوم من العذاب
شيئا من العذاب ويجوز ان يكون المفعول يوما بحذف المضاف ومن العذاب
بيانه قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات ارادوا به الزامهم للحجة وتوبيخهم
على اضاعتهم اوقات الدعاء وتعطيلهم اسباب الاجابة قالوا بلى قالوا فادعوا
فانا لا نجترئ فيه اذ لم يؤذن لنا في الدعاء لامثالكم وما دعاء الكافرين الا في ضلال
في ضياع لا يجاب وفيه اقناط لهم عن الاجابة انا لننصر رسلنا والذين امنوا
بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اي
في الدارين ولا ينتقض ذلك بما كان لهم من الغلبة امتحانا اذ العبرة بالعواقب
والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب والمراد بهم من يقوم يوم القيمة للشهادة
على الناس من الملائكة والانبياء والمؤمنين يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل
من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة او لانه لا يؤذن لهم فيعتذرون
ولهم اللعنة البعد من الرحمة ولهم سوء الدار جهنم ولقد اتينا موسى الهدى
ما يهتدى به في الدين من المعجزات والصحف والشرائع واورثنا بني اسرائيل
الكتاب وتركنا عليهم بعده التورية هدى وذكرى هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا
لاولي الالباب لذوي العقول السليمة فاصبر على اذى المشركين ان وعد الله
بالنصر حق لا يخلفه واستشهد بحال موسى وفرعون واستغفر لذنبك واقبل
على امر دينك وتدارك فرطاتك كترك الاولى والاهتمام بامر العدى بالاستغفار
فانه تعالى كافيك في النصر واظهار الامر وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار
ودم على التسبيح والتحميد لربك وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة
ركعتان بكرة وركعتان عشيا ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان
اتاهم عام في كل مجادل وان نزلت في مشركي مكة او اليهود حين قالوا لست
صاحبنا بل هو المسيح بن داود يبلغ البر والبحر سلطانه وتسير معه الانهار ان في
صدورهم الا كبر الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم او ارادة الرياسة او ان
النبوة والملك لا يكونان الا لهم ما هم ببالغيه ببالغي دفع الآيات او المراد
فاستعذ بالله فالتجئ اليه انه هو السميع البصير لاقوالكم وافعالكم لخلق السموات
والارض اكبر من خلق الناس فمن قدر على خلقها مع عظمها اولا من غير اصل قدر على
خلق الانسان ثانيا من اصل وهو بيان لاشكل ما يجادلون فيه امر التوحيد ولكن

اكثر الناس لا يعلمون لانهم لا ينظرون ولا يتاملون لفرط غفلتهم واتباعهم اهواهم
وما يستوى الاعمى والبصير الغافل والمستبصر فينبغى ان يكون لهم حال يظهر فيها
التفاوت وهى فيما بعد البعث والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسئ
والمحسن والمسئ وزيادة لا فى المسئ لان المقصود نفى مساواته للمحسن فيما له من الفضل
والكرامة والعطف الثانى عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير
لتغاير الوصفين فى المقصود او الدلالة بالصراحة والتمثيل قليلا ما يتذكرون
اى تذكرا ما قليلا يتذكرون والضمير للناس او الكفار وقرا الكوفيون بالتاء على
تغليب المخاطب او الالتفات او امر الرسول بالمخاطبة ان الساعة لاتية
لا ريب فيها فى مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها واجماع الرسل على الوعد لوقوعها
ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون بها لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون
به وقال ربكم ادعونى اعبدونى استجب لكم اثبكم لقوله ان الذين يستكبرون
عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين صاغرين وان فسر الدعاء بالسؤال
كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته للمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء
فانه من ابوابها وقرا ابن كثير سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء الله الذى جعل
لكم الليل لتسكنوا فيه لتستريحوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدى الى ضعف المحركات
وهدو الحواس والنهار مبصرا يبصر فيه او به واسناد الابصار اليه مجاز فيه مبالغة
ولذلك عدل به عن التعليل الى الحال ان الله لذو فضل لا يوازيه فضل وللاشعار
به لم يقل لمفضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون لجهلهم بالمنعم واغفالهم
مواقع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ذلكم المخصوص بالافعال المقتضية
للالوهية والربوبية الله ربكم خالق كل شئ لا اله الا هو اخبار مترادفة تخصص
اللاحقة السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا
هو استينافا بما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة فانى تؤفكون فكيف
ومن اى وجه تصرفون من عبادته الى عبادة غيره كذلك يؤفك الذين كانوا
بايات الله يجحدون اى كما افكوا افك الذين بايات الله عن الحق كل من
جحد بايات الله ولم يتاملها الله ولم يتاملها الله الذى جعل لكم الارض قرارا
والسماء بناء استدلال ثان بافعال اخر مخصوصة وصوركم فاحسن صوركم
بان خلقكم منتصب القامة بادى البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات
متهيا لمزاولة الصنايع واكتساب الكمالات ورزقكم من الطيبات
اللذايذ ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين فان كل ما سواه مربوب
مفتقر بالذات معرض للزوال هو الحى المتفرد بالحيوة الذاتية لا اله الا هو
اذ لا موجود يساويه او يدانيه فى ذاته وصفاته فادعوه فاعبدوه مخلصين

مخلصين له الدين اى الطاعة من الشرك والرياء الحمد لله رب العالمين
قائلين له قل انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات
من ربى من الحجج والايات فانها مقوية لادلة العقل منبهة عليها وامرت ان
اسلم لرب العالمين ان انقاد له واخلص له دينى هو الذى خلقكم من تراب
ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اطفالا والتوحيد لارادة الجنس او على
تاويل كل واحد منكم ثم لتبلغوا اشدكم اللام فيه متصلة بمحذوف تقديره ثم
يبقيكم لتبلغوا وكذا فى قوله ثم لتكونوا شيوخا ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرا
نافع وابو عمرو وحفص وهشام شيوخا بضم الشين وقرئ شيوخا بالكسر وشيخا
لقوله طفلا ومنكم من يتوفى من قبل من قبل الشيخوخة او بلوغ الاشد ولتبلغوا
ويفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت او يوم القيمة ولعلكم تعقلون
ما فى ذلك من الحجج والعبر هو الذى يحيى ويميت فاذا قضى امرا فاذا اراده فانما
يقول له كن فيكون فلا يحتاج فى تكوينه الى عدة وتجشم كلفة فالفاء الاولى للدلالة على ان
ذلك نتيجة ما سبق من حيث انه يقتضى قدرة ذاتية غير متوقفة على العدد والمواد
الم تر الى الذين يجادلون فى ايات الله انى يصرفون عن التصديق به وتكرير ذم المجادلة
لتعدد المجادل او المجادل فيه او للتوكيد الذين كذبوا بالكتاب بالقران او بجنس الكتب
السماوية وبما ارسلنا به رسلنا من ساير الكتب والوحى والشرايع فسوف
يعلمون جزاء تكذيبهم اذ الاغلال فى اعناقهم ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال
والتعبير بلفظ الماضى لتيقنه والسلاسل عطف على الاغلال او مبتداء خبره
يسحبون فى الحميم والعائد محذوف اى يسحبون بها وهو على الاول حال وقرئ
والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية
والسلاسل بالجر حملا على المعنى اذ الاغلال فى اعناقهم فى الاغلال او اضمار للباء ويدل
عليه القراءة به ثم فى النار يسجرون يحرقون من سجر التنور اذا ملاه بالوقود ومنه
السجير الصديق كانه سجر بالحب اى ملئ والمراد تعذيبهم بانواع من العذاب وينقلون
من بعضها الى البعض ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا غابوا
عنا وذلك قبل ان يقرن بهم الهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد منهم ما كنا نتوقع منهم
بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا اى بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم فانهم
ليسوا شيئا يعتد به كقولك حسبته شيئا فلم يكن كذلك مثل هذا الضلال يضل الله
الكافرين حتى لا يهتدوا الى شئ ينفعهم فى الاخرة او يضلهم عن الهتهم حتى لو تطالبوا لم
يتصادفوا ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون فى الارض تبطرون وتتكبرون بغير الحق
وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون فى الفرح والعدول الى الخطاب
للمبالغة فى التوبيخ ادخلوا ابواب جهنم الابواب السبعة المقسومة لكم خالدين فيها

مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق جهنم وكان مقتضى النظم فبئس
مدخل المتكبرين لكن لما كان الدخول المقيد بالخلود سبب الثواء عبر بالمثوى
فاصبر ان وعد الله بهلاك الكفار حق كائن لا محالة فاما نرينك فان نرك
وما مزيدة لتاكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل فلا تلحق مع ان وحدها
بعض الذي نعدهم وهو القتل والاسر او نتوفينك قبل ان تراه فالينا يرجعون
يوم القيمة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف
مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في حيوتك او لم نعذبهم فانا
نعذبهم في الاخرة اشد العذاب ويدل على شدته الاقتصار بذكر الرجوع في هذا المعرض
ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص
عليك اذ قيل عدد الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا والمذكور قصتهم
اشخاص معدودة وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله فان المعجزات عطايا
قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته كسائر القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها والاستبداد
باتيان المقترح بها فاذا جاء امر الله بالعذاب في الدنيا والاخرة قضي بالحق بانجاء
محق وتعذيب المبطل وخسر هنالك المبطلون المعاندون باقتراح الايات
بعد ظهور ما يغنيهم عنها الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون
فان من جنسها ما يؤكل كالغنم ومنها ما يؤكل ويركب وهو الابل والبقر ولكم فيها منافع
كالالبان والجلود والاوبار ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم بالمسافرة عليها وعليها
في البر وعلى الفلك في البحر تحملون وانما قال على الفلك ولم يقل في الفلك للمزاوجة
وتغيير النظم في الاكل لانه في حيز الضرورة اذ يقصد به التعيش والتلذذ والركوب
والمسافرة عليها قد يكون لاغراض دينية واجبة او مندوبة او للفرق العين والمنفعة
ويريكم اياته دلائله الدالة على كمال قدرته وفرط رحمته فاي ايات الله اي
اي اية من تلك الايات تنكرون فانها لظهورها لا تقبل الانكار وهو ناصب
اي اذ لو قدرته متعلقا بضميره كان الاولى رفعه والتفرقة بالتاء في اي اغرب منها
في الاسماء غير الصفات لابهامه افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا في الارض ما بقي منهم
من القصور والمصانع ونحوهما وقيل اثار اقدامهم في الارض لعظم اجرامهم فما
اغنى عنهم ما كانوا يكسبون الاولى نافية او استفهامية منصوبة باغنى
والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة به فلما جاءتهم رسلهم بالبينات
المعجزات والايات الواضحات فرحوا بما عندهم من العلم واستحقروا علم
الرسل والمراد بالعلم عقائدهم الزائغة وشبههم الداحضة كقوله بل ادارك
علمهم في الاخرة وهو قولهم لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة ونحوها

ونحوها وسماها علما على زعمهم تهكما بهم او علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك
او علم الانبياء وفرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده وحاق بهم ما كانوا
به يستهزؤن وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما راوا تمادي جهل الكفار وسوء
عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم
واستهزائهم فلما راوا باسنا شدة عذابنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا
بما كنا به مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا
لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قال لم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى
لان قوله فما اغنى كالنتيجة لقوله كانوا اكثر منهم والثانية لان قوله فلما جاءتهم رسلهم
كالتفسير لقوله فما اغنى عنهم والباقيتان لان رؤية الباس مسببة عن مجيء الرسل
وامتناع نفع الايمان مسبب عن الرؤية سنة الله التي قد خلت في عباده اي سن
الله ذلك سنة ماضية في العباد وهي من المصادر المؤكدة وخسر هنالك الكافرون
اي وقت رؤيتهم الباس اسم مكان استعير للزمان عن النبي من قرا سورة المؤمن
لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

بسم الله الرحمن الرحيم حم

ان جعلته مبتدا فخبره تنزيل من الرحمن الرحيم وان جعلته تعديدا للحروف فتنزيل
خبر محذوف او مبتدا لتخصصه بالصفة وخبره كتاب وهو على الاولين بدل منه او خبر
اخر او خبر محذوف ولعل افتتاح هذه السور السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة
ببيان الكتاب متشاكلة في النظم والمعنى واضافة التنزيل الى الرحمن الرحيم للدلالة على
انه مناط المصالح الدينية والدنيوية فصلت اياته ميزت باعتبار اللفظ و
المعنى وقرئ فصلت اي فصل بعضها من بعض باختلاف الفواصل والمعاني او فصلت
بين الحق والباطل قرانا عربيا نصب على المدح او الحال من فصلت وفيه امتنان
لسهولة قراءته وفهمه لقوم يعلمون العربية او لاهل العلم والنظر وهو صفة اخرى
لقرانا او صلة لتنزيل او لفصلت والاول اولى لوقوعه بين الصفات بشيرا ونذيرا
للعاملين به والمخالفين له وقرئا بالرفع على الصفة لكتاب او الخبر المحذوف فاعرض
اكثرهم عن تدبره وقبوله فهم لا يسمعون سماع تامل وطاعة وقالوا قلوبنا في اكنة
مما تدعونا اليه اغطية جمع كنان وفي اذاننا وقر صمم واصله الثقل وقرئ بالكسر
ومن بيننا وبينك حجاب يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدئ
منهم ومنه بحيث استوعب المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم
عن ادراك ما يدعوهم اليه واعتقادهم ومج اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم
للرسول فاعمل على دينك او في ابطال امرنا اننا عاملون على ديننا او في ابطال
امرك قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لست ملكا ولا جنيا

لا يمكنكم التلقي منه ولا ادعوكم الى ما تنبو العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد
والاستقامة في العمل وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل فاستقيموا اليه
فاستقيموا في افعالكم متوجهين اليه او فاستووا اليه بالتوحيد والاخلاص في العمل
واستغفروه مما انتم عليه من سوء العقيدة والعمل ثم هددهم على ذلك وويل للمشركين
من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله الذين لا يؤتون الزكوة لبخلهم وعدم اشفاقهم
على الخلق وذلك من اعظم الرذائل وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع وقيل معناه
لا يفعلون ما يزكي انفسهم وهو الايمان والطاعة وهم بالاخرة هم كافرون حال مشعرة
بان امتناعهم عن الزكوة لاستغراقهم في طلب الدنيا وانكارهم للاخرة ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون لا يمن به عليهم من المن واصله الثقل او القطع
من منت الحبل اذا قطعته وقيل نزلت في المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم
الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين في مقدار
يومين او بنوبتين وخلق في كل نوبة ما خلق في اسرع ما يكون ولعل المراد من الارض
ما في جهة السفل من الاجرام البسيطة ومن خلقها في يومين انه خلق لها اصلا مشتركا
ثم خلق لها صورا بها صارت انواعا وكفرهم به الحادهم في ذاته وصفاته وتجعلون
له اندادا ولا يصح ان يكون له ند ذلك الذي خلق الارض في يومين رب العالمين
خالق جميع ما وجد من الممكنات ومربيها وجعل فيها رواسي استئناف غير معطوف
على خلق للفصل بما هو خارج من الصلة من فوقها مرتفعة عليها ليظهر للناظر ما فيها
من وجوه الاستبصار ويكون منافعها معرضة للطلاب وبارك فيها واكثر
خيرها بان خلق فيها انواع النبات والحيوان وقدر فيها اقواتها اقوات اهلها بان
عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به او اقواتا تنشأ منها بان خص حدوث كل قوت
بقطر من اقطارها وقرئ وقسم فيها اقواتها في اربعة ايام في تتمة اربعة ايام كقولك
سرت من البصرة الى بغداد في عشرة والى الكوفة في خمسة عشر ولعله قال ذلك ولم
يقل في يومين للاشعار باتصالهما لليومين الاولين والتصريح على الفذلكة سواء
اي استوت سواء بمعنى استواء والجملة صفة ايام ويدل عليه قراءة يعقوب بالجر
وقيل حال من الضمير في اقواتها او في فيها وقرئ بالرفع على هو سواء للسائلين
متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها او بقدر
اي قدر فيها الاقوات للطالبين لها ثم استوى الى السماء قصد نحوها من
قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوي الى غيره والظاهر
ان ثم لتفاوت ما بين الخلقتين لا للتراخي في المدة لقوله والارض بعد ذلك
دحيها ودحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها وهي دخان امر ظلماني ولعله
اراد به مادتها او الاجزاء المتصغرة التي ركبت منها فقال لها وللارض

وللارض ائتيا بما خلقت فيكما من التاثير والتاثر وابرزا ما اودعتكما من
الاوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة او ائتيا في الوجود على ان الخلق السابق بمعنى
التقدير او الترتيب للرتبة او الاخبار او اتيان السماء حدوثها واتيان الارض
ان تصير مدحوة وقد عرفت ما فيه او ليات كل منكما الاخرى في حدوث ما اريد توليده
منكما ويؤيده قراءة اتيا واتينا من المواتاة اي لتوافق كل واحدة اختها فيما اردت
منكما طوعا او كرها شئتما ذلك او ابيتما والمراد اظهار كمال قدرته ووجوب
وقوع مراده لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال قالتا
اتينا طائعين منقادين بالذات والاظهر ان المراد تصوير تاثير قدرته فيهما وتاثرهما
بالذات عنها وتمثيلهما بامر المطاع واجابة المطيع الطائع كقوله كن فيكون وما قيل
انه تعالى خاطبهما واقدرهما على الجواب انما يتصور على الوجه الاول والاخير وانما قال
طائعين على المعنى باعتبار كونها مخاطبات كقوله ساجدين فقضيهن سبع سموات
فخلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن والضمير للسماء على المعنى او مبهم وسبع سموات
حال على الاول وتمييز على الثاني في يومين قيل خلق السموات يوم الخميس والشمس
والقمر والنجوم يوم الجمعة واوحى في كل سماء امرها شانها وما يتاتى منها بان حملها
عليه اختيارا او طبعا وقيل اوحى الى اهلها باوامره وزينا السماء الدنيا بمصابيح
فان الكواكب كلها ترى كانها تتلالأ عليها وحفظا اي وحفظناها من الافات او
من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كانه قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح
زينة وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم البالغ في القدرة والعلم فان اعرضوا عن
الايمان بعد هذا البيان فقل انذرتكم صاعقة فحذرهم ان يصيبهم عذاب شديد
الوقع كانه صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وهي
المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا اذ جاءتهم
الرسل حال من صاعقة عاد ولا يجوز جعله صفة لصاعقة او ظرفا لانذرتكم لفساد المعنى
من بين ايديهم ومن خلفهم من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة او من جهة
الزمن الماضي بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما اعد لهم
في الاخرة وكل من اللفظين يحتملها او من قبلهم ومن بعدهم اذ قد بلغهم خبر المتقدمين
واخبرهم هود وصالح عن المتاخرين داعين الى الايمان بهم اجمعين ويحتمل ان يكون
عبارة عن الكثرة كقوله تعالى ياتيها رزقها رغدا من كل مكان الا تعبدوا الا
الله بان لا تعبدوا او اي لا تعبدوا قالوا لو شاء ربنا ارسال الرسل لانزل
ملائكة برسالته فانا بما ارسلتم به على زعمكم كافرون اذ انتم بشر مثلنا لا فضل
لكم علينا فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق فتعظموا فيها على اهلها بغير استحقاق
وقالوا من اشد منا قوة اغترارا بقوتهم وشوكتهم قيل كان من قوتهم ان الرجل منهم

ينزع الصخرة فيقلعها بيده اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة
قدرة فانه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى وقوي على ما لا يقدر عليه غيره
وكانوا باياتنا يجحدون يعرفونها انها حق وينكرونها وهو عطف على فاستكبروا
فارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردة تهلك بشدة بردها من الصر وهو البرد الذي
يصر اي يجمع ويقبض او شديدة الصوت في هبوبها من الصرير في ايام نحسات
جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرا الحجازيان والبصريان بالسكون
على التخفيف او النعت او الوصف بالمصدر قيل كن اخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء
وما عذب قوم الا في يوم الاربعاء لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا اضاف
العذاب الى الخزي وهو الذل على قصد وصفه به لقوله ولعذاب الاخرة اخزى
وهو في الاصل صفة المعذب وانما وصف به العذاب على الاسناد المجازي للمبالغة
وهم لا ينصرون بدفع العذاب عنهم واما ثمود فهديناهم فدللناهم على الحق بنصب
الحجج وارسال الرسل وقرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده ومنونا
في الحالين وبضم الثاء فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الضلالة على الهدى
فاخذتهم صاعقة العذاب الهون صاعقة من السماء فاهلكتهم واضافتها الى العذاب
ووصفه بالهون للمبالغة بما كانوا يكسبون من اختيار الضلالة ونجينا الذين
امنوا وكانوا يتقون من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله الى النار وقرئ
يحشر على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وقرا نافع نحشر بالنون وضم الشين ونصب اعداء
فهم يوزعون يحبس اولهم على اخرهم لئلا يتفرقوا وهي عبارة عن كثرة اهل النار حتى
اذا ما جاؤها اذا حضروها وما مزيدة لتاكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد عليهم سمعهم
وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون بان ينطقها الله او يظهر عليها اثارا تدل
على ما اقترف بها فتنطق بلسان الحال وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا سؤال
توبيخ او تعجب ولعل المراد به نفس التعجب قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء
اي ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذي انطق كل شيء او ليس نطقنا بعجب
من قدرة الله الذي انطق كل حي ولو اول الجواب والنطق بدلالة الحال لبقي الشيء
عاما في الموجودات الممكنة وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون يحتمل ان يكون
تمام كلام الجلود وان يكون استينافا وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم
ولا ابصاركم ولا جلودكم اي كنتم تستترون الناس عند ارتكاب الفواحش
مخافة الفضاحة وما ظننتم ان اعضاءكم تشهد عليكم فيما استترتم عنها وفيه تنبيه
على ان المؤمن ينبغي ان يتحقق انه لا يمر عليه حال الا وعليه رقيب ولكن ظننتم ان
الله لا يعلم كثيرا مما تعملون فلذلك اجترأتم على ما فعلتم وذلكم اشارة الى ظنهم
هذا وهو مبتدا وقوله ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم خبران له ويجوز ان يكون

ان يكون ظنكم بدلا وارديكم خبرا فاصبحتم من الخاسرين اذ صار ما منحوا للاستسعاد
به في الدارين سببا لشقاء المنزلين فان يصبروا فالنار مثوى لهم لا خلاص لهم عنها
وان يستعتبوا يسئلوا العتبى وهو الرجوع الى ما يحبون فما هم من المعتبين المجابين
اليها ونظيره قوله تعالى حكاية اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا
فما هم من المعتبين اي ان يسئلوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة وقيضنا
وقدرنا لهم للكفرة قرناء اخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض
على البيض وهو القشر وقيل اصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة فزينوا لهم ما بين
ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امر الاخرة وانكاره وحق عليهم القول
اي كلمة العذاب في امم اي في جملة امم كقوله ان تك عن احسن الصنيعة مافوكا ففي
اخرين قد افكوا وهو حال من الضمير المجرور قد خلت من قبلهم من الجن والانس
وقد عملوا مثل اعمالهم انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير
لهم وللامم وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه وعارضوه
بالخرافات وارفعوا اصواتكم لتشوشوا على القاري وقرئ بضم الغين والمعنى
واحد يقال لغي يلغى ولغا يلغو اذا هذى لعلكم تغلبون اي تغلبونه على قراءته
فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا المراد بهم هؤلاء القائلون او عامة
الكفار ولنجزينهم اسوأ سيئات اعمالهم وقد سبق مثله الذي كانوا
يعملون ذلك اشارة الى الاسوأ جزاء اعداء الله خبره النار عطف بيان
للجزاء او خبر محذوف لهم فيها في النار دار الخلد فانها دار اقامتهم وهو
كقولك في هذه الدار دار سرور وتعني بالدار عينها على ان المقصود هو الصفة
جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون ينكرون الحق او يلغون وذكر الجحود الذي هو سبب
اللغو وقال الذين كفروا ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس
يعني شيطاني النوعين الحاملين على الضلالة والعصيان وقيل هما ابليس وقابيل
فانهما سنا الكفر والقتل وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب وابو بكر والسوسي
ارنا بالتخفيف كفخذ وفخذ وقرا الدوري باختلاس كسرة الراء نجعلهما تحت
اقدامنا ندوسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما في الدرك الاسفل ليكونا من
الاسفلين مكانا او ذلا ان الذين قالوا ربنا الله اعترافا بربوبيته
واقرارا بوحدانيته ثم استقاموا في العمل وثم لتراخيه عن الاقرار في الرتبة
من حيث انه مبدا الاستقامة او لانها عسر قلما تتبع الاقرار وما روي من
الخلفاء الراشدين في معنى الاستقامة من الثبات على الايمان واخلاص العمل
واداء الفرائض فجزئياتها تتنزل عليهم الملائكة فيما يعن لهم بما يشرح صدورهم
ويدفع عنهم الخوف والحزن او عند الموت او الخروج من القبر الا تخافوا

ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم وان مصدرية او مخففة مقدرة بالباء
او مفسرة وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون في الدنيا على لسان الرسل
نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل ما كان الشياطين
تفعل بالكفرة وفي الاخرة بالشفاعة والكرامة حيثما يتعادى الكفرة وقرناؤهم
ولكم فيها في الاخرة ما تشتهي انفسكم من اللذائذ ولكم فيها ما تدعون ما تتمنون
من الدعاء بمعنى الطلب وهو اعم من الاول نزلا من غفور رحيم حال مما تدعون
للاشعار بان ما يتمنون بالنسبة الى ما يعطون مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف
ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الى عبادته وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه
وقال انني من المسلمين تفاخرا به او اتخاذا للاسلام دينا ومذهبا من قولهم
هذا قول فلان لمذهبه والاية عامة لمن استجمع تلك الصفات وقيل نزلت في
النبي وقيل في المؤذنين ولا تستوي الحسنة ولا السيئة في الجزاء وحسن العاقبة
ولا الثانية مزيدة لتاكيد النفي ادفع بالتي هي احسن ادفع السيئة حيث اعترضتك
بالتي هي احسن منها وهي الحسنة على ان المراد بالاحسن الزائد مطلقا او باحسن ما يمكن
دفعها به من الحسنات وانما اخرجه مخرج الاستيناف على انه جواب من قال كيف اصنع
للمبالغة ولذلك وضع الاحسن موضع الحسنة فاذا الذي بينك وبينه عداوة
كانه ولي حميم اي اذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق
وما يلقيها وما يلقى هذه السجية وهي مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا
فانها تحبس النفس عن الانتقام وما يلقيها الا ذو حظ عظيم من الخير وكمال اليقين
وقيل الحظ العظيم الجنة واما ينزغنك من الشيطان نزغ نخس شبه به وسوسته
لانها تبعث على ما لا ينبغي كالدفع بما هو اسوء وجعل النزغ نازغا على طريقة جد جده
او اريد به نازغ وصفا للشيطان بالمصدر فاستعذ بالله من شره ولا تطعه
انه هو السميع لاستعاذتك العليم بنيتك او بصلاحك ومن اياته الليل
والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لانهما مخلوقان مامووران مثلكم
واسجدوا لله الذي خلقهن الضمير للاربعة المذكورة والمقصود تعلق الفعل بهما
اشعارا بانهما من عداد ما لا يعلم ولا يختار ان كنتم اياه تعبدون فان السجود
بعض العبادات وهو موضع السجود عندنا لاقتران الامر به وعند ابي حنيفة اخر
الاية الاخرى لانها تمام المعنى فان استكبروا عن الامتثال فالذين عند ربك
من الملائكة يسبحون له بالليل والنهار اي دائما لقوله وهم لا يسأمون
اي لا يملون ومن اياته انك ترى الارض خاشعة يابسة متطامنة مستعار
من الخشوع بمعنى التذلل فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت تزخرفت
وانتفخت بالنبات وقرئ ربأت اي زادت ان الذي احياها بعد موتها

موتها لمحي الموتى انه على كل شيء قدير من الاحياء والاماتة ان الذين يلحدون
يميلون عن الاستقامة في اياتنا بالطعن والتحريف والتاويل الباطل والالغاء فيها
لا يخفون علينا فنجازيهم افمن يلقى في النار خير امن ياتي امنا يوم القيمة قابل
الالقاء في النار بالاتيان امنا مبالغة في احماد حال المؤمنين اعملوا ما شئتم
تهديد شديد انه بما تعملون بصير وعيد بالمجازاة ان الذين كفروا بالذكر
لما جاءهم بدل من قوله ان الذين يلحدون في اياتنا او مستانف وخبر ان محذوف
مثل معاندون او هالكون او اولئك ينادون او الذكر القران وانه لكتاب عزيز
كثير النفع عديم النظير او منيع لا يتاتى ابطاله وتحريفه لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات او مما فيه من الاخبار الماضية
والامور الاتية تنزيل من حكيم اي حكيم حميد يحمده كل خلق بما ظهر عليه من نعمه
ما يقال لك اي ما يقول لك كفار قومك الا ما قد قيل للرسل من قبلك
الا ما قال لهم كفار قومهم او ما يقول الله لك الا مثل ما قال لهم ان ربك لذو مغفرة
لمن امن لانبيائه وذو عقاب اليم لاعدائهم وهو على الثاني يحتمل ان يكون
المقول بمعنى ان حاصل ما اوحي اليك واليهم وعد المؤمن بالمغفرة والكافر
بالعقوبة ولو جعلناه قرانا اعجميا جواب لقولهم هلا نزل القران بلغة العجم والضمير
للذكر لقالوا لولا فصلت اياته بينت بلسان نفقهه ءاعجمي وعربي
الكلام اعجمي ومخاطب عربي انكار مقرر للتخصيص والاعجمي يقال للذي لا يفهم كلامه
وقرئ اعجمي وهو منسوب الى العجم وقرا هشام اعجمي على الاخبار وعلى هذا يجوز ان يكون
المراد هلا فصلت اياته فجعل بعضها اعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب
والمقصود ابطال مقترحهم باستلزامه المحذور او لانه على انهم لا ينفكون عن التعنت
في الايات كيف جاءت قل هو للذين امنوا هدى الى الحق وشفاء لما في الصدور
من الشك والشبه والذين لا يؤمنون مبتدا خبره في اذانهم وقر على تقدير
هو في اذانهم وقر لقوله وهو عليهم عمى وذلك لتصامهم عن سماعه وتعاميهم
عما يريهم من الايات ومن جوز العطف على عاملين عطف ذلك على الذين امنوا هدى
اولئك ينادون من مكان بعيد هو تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم بمن يصيح
به من مسافة بعيدة ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه بالتصديق والتكذيب
كما اختلف في القران ولولا كلمة سبقت من ربك وهو العدة بالقيمة وفصل
الخصومة حينئذ او تقدير الاجال لقضي بينهم باستيصال المكذبين وانهم وان
اليهود والذين لا يؤمنون لفي شك منه من التورية او القران مريب
موجب للاضطراب من عمل صالحا فلنفسه نفعه ومن اساء فعليها
ضره وما ربك بظلام للعبيد فيفعل بهم ما ليس له ان يفعله اليه يرد علم

علم الساعة اي اذا سئل عنها اذ لا يعلمها الا هو وما تخرج من ثمرة من اكمامها
من اوعيتها جمع كم بالكسر وقرا نافع وابن عامر وحفص من ثمرات بالجمع لاختلاف
الانواع وقرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق ويحتمل ان تكون
موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بخلاف قوله وما تحمل من انثى ولا تضع
الا بعلمه الا مقرونا بعلمه واقعا حسب تعلقه به ويوم يناديهم اين
شركائي بزعمكم قالوا اذناك اعلمناك ما منا من شهيد من احد يشهد
لهم بالشركة اذ تبرأنا عنهم لما عاينا الحال فيكون السؤال عنهم للتوبيخ او من احد يشاهد
هم لانهم ضلوا عنا وقيل هو قول الشركاء اي ما منا من يشهد لهم بانهم كانوا محقين
وضل عنهم ما كانوا يدعون يعبدون من قبل لا ينفعهم او لا يرونه وظنوا وايقنوا
ما لهم من محيص مهرب والظن معلق عنه بحرف النفي لا يسأم الانسان لا يمل
من دعاء الخير من طلب السعة في النعمة وقرئ من دعاء بالخير وان مسه الشر
الضيقة فيؤس قنوط من فضل الله ورحمته وهذا صفة الكافر لقوله لا ييأس من
روح الله الا القوم الكافرون وقد بولغ في يأسه من جهة البنية والتكرير وما في
القنوط من ظهور اثر اليأس ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته بتفريجها
عنه ليقولن هذا لي حقي استحقه بما لي من الفضل والعمل او لي دائما لا يزول وما
اظن الساعة قائمة تقوم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ولئن قامت
على التوهم كان لي عند الله الحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه
من نعم الدنيا فلاستحقاق لا ينفك عنه فلننبئن الذين كفروا فلنخبرنهم بما عملوا
بحقيقة اعمالهم ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها ولنذيقنهم من عذاب غليظ
لا يمكنهم التفصي عنه واذا انعمنا على الانسان اعرض عن الشكر ونأى بجانبه
وانحرف عنه او ذهب بنفسه وتباعد عنه بكليته تكبرا والجانب مجاز عن النفس
كالجنب في قوله في جنب الله واذا مسه الشر فذو دعاء عريض كثير مستعار
مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو ابلغ من الطويل اذ الطول اطول
الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله قل ارأيتم اخبروني
ان كان القرآن من عند الله ثم كفرتم به من غير نظر واتباع دليل من اضل
ممن هو في شقاق بعيد اي من اضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا
لمزيد ضلالهم سنريهم آياتنا في الآفاق يعني ما اخبرهم النبي من الحوادث
الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور على
ممالك الشرق والغرب على وجه خارق للعادة وفي انفسهم ما ظهر فيما بين
اهل مكة وما حل بهم او ما في بدن الانسان من عجائب الصنع الدالة على كمال القدرة
حتى يتبين لهم انه الحق الضمير للقرآن او الرسول او التوحيد او الله اولم يكف

اولم يكف بربك اي اولم يكف ربك والباء مزيدة للتأكيد كأنه قيل اولم تحصل
الكفاية به ولا تكاد تزاد في الفاعل الا مع كفى انه على كل شيء شهيد بدل منه
والمعنى اولم يكفك انه تعالى على كل شيء شهيد محقق له فيحقق اظهار الآيات
الموعودة كما حقق سائر الاشياء الموعودة او مطلع فيعلم حالك وحالهم او
لم يكف الانسان رادعا عن المعاصي انه تعالى مطلع على كل شيء لا يخفى عليه
خافية الا انهم في مرية شك وقرئ بالضم وهو لغة كخفية وخفية من لقاء
ربهم بالبعث والجزاء الا انه بكل شيء محيط عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها
مقتدر عليها لا يفوته شيء منها عن النبي من قرأ سورة السجدة اعطاه الله كل حرف
عشر حسنات

بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق لعله اسمان للسورة ولذلك فصل
بينهما وعدا آيتين وان كان اسما واحدا فالفصل ليطابق سائر الحواميم وقرئ
حم سق كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم
اي مثل ما في هذه السورة من المعاني او ايحاء مثل ايحائها اوحى الله اليك
والى الرسل قبلك وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية للدلالة
على استمرار الوحي وان ايحاء مثله عادته وقرأ ابن كثير يوحى بالفتح على ان كذلك
مبتدأ ويوحى خبره المسند الى ضميره او مصدر ويوحى مسند الى اليك والله
مرتفع بما دل عليه يوحى والعزيز الحكيم صفتان له مقررتان لعلو شأن الموحى به
كما مر في السورة السابقة او بالابتداء كما في قراءة نوحي بالنون والعزيز وما بعده
اخبار او العزيز الحكيم صفتان وقوله له ما في السموات وما في الارض وهو العلي
العظيم خبر له وعلى الوجوه الاخر استئناف مقرر لعزته وحكمته تكاد السموات
وقرأ نافع والكسائي بالياء يتفطرن يتشققن من عظمة الله وقيل من دعاء
الولد له وقرأ البصريان وابو بكر ينفطرن والاول ابلغ لانه مطاوع فطر وهذا
مطاوع وقرئ تتفطرن بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر من فوقهن اي
يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول لان اعظم الآيات
وادلها على علو شأنه من تلك الجهة وعلى الثاني ليدل على الانفطار من تحتهن
بالطريق الاولى وقيل الضمير للارض فان المراد بها الجنس والملائكة يسبحون بحمد
ربهم ويستغفرون لمن في الارض بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة
والالهام واعداد الاسباب المقربة الى الطاعة وذلك في الجملة يعم المؤمن والكافر
بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث
خص المؤمنين فالمراد به الشفاعة الا ان الله هو الغفور الرحيم اذ ما من مخلوق
الا وهو ذو حظ من رحمته والآية على الاول زيادة تقرير لعظمته وعلى الثاني دلالة

على تقدسه عما نسب اليه وان عدم معاجلتهم العقاب على تلك الكلمة للاشعار
باستغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته والذين اتخذوا من دونه اولياء
شركاء وانداداً الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها
وما انت يا محمد عليهم بوكيل بموكل بهم او بموكول اليه امرهم وكذلك اوحينا
اليك قرآنا عربيا الاشارة الى مصدر يوحي او الى معنى الاية المتقدمة فانه مكرر
في القرآن في مواضع جمة فيكون الكاف مفعولا به وقرآنا عربيا حالا منه لتنذر
ام القرى اهل ام القرى وهي مكة ومن حولها من العرب وتنذر يوم الجمع يوم القيمة
يجمع الخلائق فيه او الارواح والاشباح او العمال والاعمال وحذف ثاني مفعولي
الاول واول مفعولي الثاني للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن
لا ريب فيه اعتراض لا محل له فريق في الجنة وفريق في السعير اي بعد جمعهم
في الموقف اولا ثم يفرقون والتقدير منهم فريق والضمير للمجموع لدلالة الجمع وقرئا
منصوبين على الحال منهم اي وتنذر يوم جمعهم متفرقين بمعنى مشارفين للتفرق او متفرقين
في داري الثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة مهتدين او ضالين
ولكن يدخل من يشاء في رحمته بالهداية والحمل على الطاعة والظالمون ما لهم من
ولي ولا نصير اي ويدعهم بغير ولي ولا نصير في عذابه ولعله غير المقابلة للمبالغة في الوعيد
اذ الكلام في الانذار ام اتخذوا بل اتخذوا من دونه اولياء كالاصنام فالله
هو الولي جواب شرط محذوف مثل ان ارادوا اولياء بحق فالله هو الولي بالحق
وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير كالتقرير لكونه حقيقا بالولاية وما اختلفتم
انتم والكفار فيه من شيء من امر من امور الدين والدنيا فحكمه الى الله مفوض
اليه يميز المحق من المبطل بالنصر او بالاثابة والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه من تاويل
متشابه فارجعوا فيه الى المحكم من كتاب الله ذلكم الله ربي عليه توكلت في
مجامع الامور واليه انيب ارجع في المعضلات فاطر السموات والارض
خبر آخر لذلكم او مبتدأ خبره جعل لكم وقرئ بالجر على البدل من الضمير او الوصف
لالى الله من انفسكم من جنسكم ازواجا نساء ومن الانعام ازواجا وخلق
للانعام من جنسها ازواجا او خلق لكم من الانعام اصنافا او ذكورا واناثا يذرؤكم
يكثركم من الذرء وهو البث وفي معناه الذرو والذر فيه في هذا التدبير وهو
جعل الناس والانعام ازواجا حتى يكون بينهم توالد فانه كالمنبع للبث والتكثير
ليس كمثله شيء اي ليس مثله شيء يزاوجه ويناسبه والمراد من مثله ذاته كما في
قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه فانه اذا نفي عمن يناسبه ويسد مسده
كان نفيه عنه اولى ونظيره قول رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب الا وفيهم
الطيب الطاهر لذاته ومن قال الكاف فيه زائدة لعله عنى انه يعطي معنى ليس مثله

مثله غير انه آكد لما ذكرناه وقيل مثل صفته اي ليس كصفته صفة وهو السميع البصير
لكل ما يسمع ويبصر له مقاليد السموات والارض خزائنها يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيق على وفق مشيئته انه بكل شيء عليم فيفعله على ما ينبغي
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم
وموسى وعيسى اي شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من ارباب الشرائع
وهو الاصل المشترك فيما بينهم المفسر بقوله ان اقيموا الدين وهو الايمان بما يجب
تصديقه والطاعة في احكام الله ومحله النصب على البدل من مفعول شرع او الرفع
على الاستئناف كانه جواب وما ذلك المشروع او الجر على البدل من هاء به ولا تتفرقوا
فيه ولا تختلفوا في هذا الاصل اما فروع الشرائع فمختلفة كما قال لكل جعلنا منكم
شرعة ومنهاجا كبر على المشركين عظم عليهم ما تدعوهم من التوحيد اليه الله يجتبي
اليه من يشاء يجتلب اليه والضمير لما تدعوهم او للدين ويهدي اليه بالارشاد
والتوفيق من ينيب يقبل اليه وما تفرقوا يعني الامم السالفة وقيل اهل الكتاب
لقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم العلم بان
التفرق ضلال متوعد عليه او العلم بمبعث الرسول او اسباب العلم من الرسل
والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا اليها بغيا بينهم عداوة او طلبا للدنيا ولولا كلمة
سبقت من ربك بالامهال الى اجل مسمى هو يوم القيمة او آخر اعمارهم
المقدرة لقضي بينهم باستيصال المبطلين حين افترقوا لعظم ما اقترفوا وان
الذين اورثوا الكتاب من بعدهم يعني اهل الكتاب الذين كانوا في عهد الرسول
او المشركين الذين اوتوا القرآن من بعد اهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا
لفي شك منه من كتابهم لا يعلمونه كما هو او لا يؤمنون به حق الايمان او من القرآن
مريب مقلق او مدخل في الريبة فلذلك فلاجل ذلك التفرق او الكتاب او العلم
الذي اوتيته فادع الى الاتفاق على الملة الحنيفية او الاتباع لما اوتيت او على
هذا يجوز ان يكون اللام في موضع الى لافادة الصلة والتعليل واستقم كما امرت
استقم على الدعوة كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم الباطلة وقل آمنت
بما انزل الله من كتاب جميع الكتب المنزلة لا كالكفار الذين آمنوا ببعض وكفروا
ببعض وامرت لاعدل بينكم في تبليغ الشرائع والحكومة والاول اشارة
الى كمال القوة النظرية وهذا اشارة الى كمال القوة العملية الله ربنا وربكم
خالق الكل ومتولي امره لنا اعمالنا ولكم اعمالكم فكل مجازى بعمله لا حجة بيننا
وبينكم لا حجاج بمعنى لا خصومة اذ الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة مجال ولا للخلاف
مبدأ سوى العناد الله يجمع بيننا يوم القيمة واليه المصير مرجع الكل لفصل
القضاء وليس في الاية ما يدل على متاركة الكفار رأسا حتى يكون منسوخة باية

القتال والذين يحاجون في الله في دينه من بعد ما استجيب له من بعد
ما استجاب له الناس ودخلوا فيه او من بعد ما استجاب الله لرسوله فاظهر
دينه بنصره يوم بدر او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب بان اقروا بنبوته
واستفتحوا به حجتهم داحضة عند ربهم زايلة باطلة وعليهم غضب
بمعاندتهم ولهم عذاب شديد على كفرهم الله الذي انزل الكتاب جنس الكتاب
بالحق ملتبسا به بعيدا من الباطل او بما يحق انزاله من العقايد والاحكام والميزان
والشرع الذي يوازن به الحقوق ويسوى بين الناس او العدل بان انزل
الامر به او اله الوزن واوحى باعدادها وما يدريك لعل الساعة قريب
اتيانها فاتبع الكتاب واعمل بالشرع وواظب على العدل قبل ان يفاجئك اليوم
الذي يوزن فيه اعمالك ويوفى جزاؤك وقيل تذكير القريب لانه بمعنى ذات
قرب او لان الساعة بمعنى البعث يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها استهزا
والذين امنوا مشفقون منها خايفون منها مع اعتنايهم بها لتوقع الثواب
ويعلمون انها الحق الكاين لا محالة الا ان الذين يمارون في الساعة يجادلون
فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا من
المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة لفي ضلال بعيد عن الحق
فان البعث اشبه الغايبات الى المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزها فهو ابعد
عن الاهتداء الى ما وراءه الله لطيف بعباده بربهم بصنوف من البر
لا يبلغها الافهام يرزق من يشاء ان يرزقه كما يشاء فيخص كلا من عباده
بنوع من البر على ما اقتضته حكمته وهو القوي الباهر القدرة العزيز المنيع
الذي لا يغلب من كان يريد حرث الاخرة ثوابها شبهه بالزرع من حيث
انه فايدة تحصل بعمل الدنيا ولذلك قيل الدنيا مزرعة الاخرة والحرث في الاصل
القاء البذر ويقال للزرع الحاصل منه نزد له في حرثه فنعطيه بالواحد عشرا
الى سبعماية فما فوقها ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها شيا منها على
ما قسمنا له وما له في الاخرة من نصيب اذ الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى
ام لهم شركاء بل الهم شركاء والهمزة للتقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم
شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله كالشرك وانكار البعث
والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم متخذوها شركاء
واسناد الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم بما تدينوا به او صور من
سنه لهم ولولا كلمة الفصل اي القضاء السابق بتاجيل الجزاء او العدة
بان الفصل يكون يوم القيمة لقضي بينهم بين الكافرين والمؤمنين او المشركين
وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرئ ان بالفتح عطفا على كلمة

كلمة الفصل اي ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين في الاخرة لقضي بينهم
في الدنيا فان العذاب الاليم غالب في عذاب الاخرة ترى الظالمين يوم القيمة
مشفقين خايفين مما كسبوا من السيات وهو واقع بهم اي وباله لاحق بهم اشفقوا
او لم يشفقوا والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات اطيب
بقاعها وانزهها لهم ما يشاؤن عند ربهم اي ما يشتهونه ثابت عند ربهم ذلك
اشارة الى ما للمؤمنين هو الفضل الكبير الذي يصغر دونه ما لغيرهم في الدنيا ذلك
الذي يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات ذلك الثواب الذي يبشرهم
الله به فحذف الجار ثم العايد او ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده وقرا ابن
كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي يبشر من بشره وقرئ يبشر من ابشره قل لا اسالكم
عليه على ما اتعاطاه من التبليغ والبشارة اجرا نفعا منكم الا المودة
في القربى ان تودوني لقرابتي منكم او تودوا قرابتي وقيل الاستثناء منقطع
والمعنى لا اسالكم اجرا قط ولكن اسالكم المودة وفي القربى حال منها اي الا المودة
ثابتة في ذوي القربى متمكنة في اهلها او في حق القرابة ومن اجلها كما جاء في الحديث
الحب في الله والبغض في الله روي انها نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك
هؤلاء قال علي وفاطمة وابناهما وقيل القربى التقرب الى الله اي الا ان تودوا
الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة في القربى
ومن يقترف حسنة ومن يكتسب طاعة سيما حب ال الرسول وقيل نزلت
في ابي بكر ومودته لهم نزد له فيها في الحسنة حسنا بمضاعفة الثواب وقرئ
يزد اي يزد الله وحسنى ان الله غفور لمن اذنب شكور لمن اطاع بتوفية
الثواب والتفضل عليه بالزيادة ام يقولون بل ايقولون افترى على الله
كذبا افترى محمد بدعوى النبوة او القران فان يشا الله يختم على قلبك
استبعاد للافتراء عن مثله بالاشعار على انه انما يجترى عليه من كان مختوما على قلبه
جاهلا بربه فاما من كان ذا بصيرة ومعرفة فلا وكانه قال ان يشا الله خذلانك
يختم على قلبك لتجترئ بالافتراء عليه وقيل يختم على قلبك يمسك القران والوحي
عنه او يربط عليه بالصبر فلا يشق عليك اذاهم ويمح الله الباطل ويحق الحق
بكلماته انه عليم بذات الصدور استيناف لنفي الافتراء عما يقوله بانه لو كان
مفتري لمحقه اذ من عادته محو الباطل واثبات الحق بوحيه او بقضائه او لوعده بمحو
باطلهم واثبات حقه بالقران او بقضائه الذي لا مرد له وسقوط الواو من يمح في
بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله ويدع الانسان وهو الذي يقبل التوبة
عن عباده بالتجاوز عما تابوا عنه والقبول يعدى الى مفعول ثان بمن وعن لتضمنه
معنى الاخذ والابانة وقد عرفت حقيقة التوبة وعن علي رضي الله عنه هي اسم يقع

على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد
المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقتها مرارة الطاعة
كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات
صغيرها وكبيرها لمن يشاء ويعلم ما تفعلون فيجازي ويتجاوز عن اتقان وحكمة
وقرا بالياء الكوفيون غير ابي بكر ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات اي
يستجيب الله لهم فحذف اللام كما حذف في واذا كالوهم والمراد اجابة الدعاء
او الاثابة على الطاعة فانها كدعاء وطلب لما ترتب عليه ومنه قوله عليه السلام
افضل الدعاء الحمد لله او يستجيبون لله بالطاعة اذا دعاهم اليها ويزيدهم
من فضله على ما سالوا واستحقوا واستوجبوا له بالاستجابة والكافرون لهم
عذاب شديد بدل ما للمؤمنين من الثواب والتفضل ولو بسط الله الرزق
لعباده لبغوا في الارض لتكبروا وافسدوا فيها بطرا او لبغى بعضهم على بعض
استيلاء واستعلاء وهذا على الغالب واصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما
يتحرى كميته او كيفيته ولكن ينزل بقدر بتقدير ما يشاء ما اقتضته مشيئته
انه بعباده خبير بصير خفايا امرهم وجلايا حالهم فيقدر لهم ما يناسب شانهم روي ان
اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل في العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا
اجدبوا انتجعوا وهو الذي ينزل الغيث المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك
خص بالنافع وقرا نافع وابن عامر وعاصم ينزل بالتشديد من بعد ما قنطوا
ايسوا منه وقرئ بكسر النون وينشر رحمته في كل شيء من السهل والجبال و
النبات والحيوان وهو الولي الذي يتولى عباده باحسانه ونشر رحمته
الحميد المستحق للحمد على ذلك ومن اياته خلق السموات والارض فانها
بذاتها وصفاتها تدل على وجود صانع قادر حكيم وما بث فيهما عطف على السموات
او الخلق من دابة من حي على اطلاق اسم المسبب للسبب او مما يدب على
الارض وما يكون في احد الشيئين يصدق انه فيهما في الجملة وهو على جمعهم
اذا يشاء في اي وقت يشاء قدير متمكن منه واذا كما يدخل الماضي المضارع
وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم فبسبب معاصيكم والفاء لان ما شرطية
او متضمنة معناه ولم يذكرها نافع وابن عامر استغناء بما في الباء من معنى السببية
ويعفو عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها والاية مخصوصة بالمجرمين
فان ما اصاب غيرهم فلاسباب اخر منها تعريضه للاجر العظيم بالصبر عليه
وما انتم بمعجزين في الارض فائتين ما قضي عليكم من المصائب وما لكم من دون
الله من ولي يحرسكم عنها ولا نصير يدفعها عنكم ومن اياته الجوار السفن
الجارية في البحر كالاعلام كالجبال قالت الخنساء وان صخرا لتأتم الهداة به

الهداة به كانه علم في راسه نار ان يشاء يسكن الريح وقرئ الرياح فيظللن
رواكد على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر ان في ذلك لايات لكل صبار شكور
لكل من وكل همته وحبس نفسه على النظر في ايات الله والتفكر في الائه او لكل مؤمن
كامل فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر او يوبقهن او يهلكهن
بارسال الريح العاصفة المغرقة والمراد اهلاك اهلها بما كسبوا واصله او يرسلها
فيوبقهن لانه قسيم يسكن فاقتصر فيه على المقصود كما في قوله ويعف عن كثير
اذ المعنى او يرسلها عاصفة فيوبق ناسا بذنوبهم وينج ناسا على العفو منهم وقرئ
ويعفو على الاستيناف ويعلم الذين يجادلون في اياتنا عطف على علة مقدرة
مثل لينتقم منهم ويعلم او على الجزاء ونصب نصب الواقع جوابا للاشياء الستة
لانه ايضا غير واجب وقرا نافع وابن عامر بالرفع على الاستيناف وقرئ بالجزم
عطفا على يعف فيكون المعنى او يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير اخرين
ما لهم من محيص محيد من العذاب والجملة معلق عنها الفعل فما اوتيتم من شيء
فمتاع الحيوة الدنيا تتمتعون به مدة حيوتكم وما عند الله من ثواب الاخرة
خير وابقى لخلوص نفعه ودوامه وما الاولى موصولة تضمنت معنى الشرط من
حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها في الحيوة الدنيا فجاءت الفاء في جوابها
بخلاف الثانية وعن علي رضي الله عنه تصدق ابو بكر رضي الله عنه بماله كله فلامه
جمع فنزلت للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الاثم
والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون والذين بما بعده عطف على للذين امنوا
او مدح منصوب او مرفوع وبناء يغفرون على ضميرهم خبر للدلالة على انهم الاخصاء
بالمغفرة حال الغضب وقرا حمزة والكسائي كبير الاثم والذين استجابوا لربهم نزلت
في الانصار دعاهم رسول الله الى الايمان فاستجابوا له واقاموا الصلوة وامرهم شورى
بينهم ذو شورى لا ينفردون براي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وذلك من فرط
تدبرهم وتيقظهم في الامور وهو مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومما رزقناهم
ينفقون في سبيل الخير والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون على ما جعله الله
لهم كراهة التذلل وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر امهات الفضائل وهو
لا يخالف وصفهم بالغفران فانه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار عن مقاومة الخصم
والحلم عن العاجز محمود وعن المتغلب مذموم لانه اجراء واغراء على البغي ثم عقبه
وصفهم بالانتصار للمنع عن التعدي فقال وجزاء سيئة سيئة مثلها وسمي الثانية
سيئة للازدواج او لانها تسوء من تنزل به فمن عفا واصلح بينه وبين عدوه
فاجره على الله عدة مبهمة تدل على عظم الموعود انه لا يحب الظالمين المبتدئين
بالسيئة والمتجاوزين في الانتقام ولمن انتصر بعد ظلمه بعد ما ظلم وقد قرئ

به فاولئك ما عليهم من سبيل بالمعاتبة والمعاقبة انما السبيل على الذين يظلمون
الناس يبتدؤنهم بالاضرار او يطلبون ما لا يستحقونه تجبرا عليهم ويبغون في
الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم على ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على الاذى
وغفر ولم ينتصر ان ذلك لمن عزم الامور اي ان ذلك منه فحذف كما حذف
في قولهم السمن منوان بدرهم للعلم به ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده من ناصر
يتولاه من بعد خذلان الله اياه وترى الظالمين لما راوا العذاب حين يرونه
فذكر بلفظ الماضي تحقيقا يقولون هل الى مرد من سبيل اي الى رجعة الى الدنيا
وتريهم يعرضون عليها على النار ويدل عليه العذاب خاشعين متذللين متقاصرين
مما يلحقهم من الذل ينظرون من طرف خفي اي يبتدي نظرهم الى النار من تحريك
لاجفانهم ضعيف كالمقتول ينظر الى السيف وقال الذين امنوا ان الخاسرين
الذين خسروا انفسهم واهليهم بالتعريض للعذاب المخلد يوم القيمة ظرف لخسروا
والقول في الدنيا او لقال اي يقولون اذا راوهم على تلك الحال الا ان الظالمين
في عذاب مقيم تمام كلامهم او تصديق من الله لهم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم
من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل الى الهدى والنجاة استجيبوا
لربكم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله لا يرده الله بعد ما حكم به ومن صلة
لمرد وقيل صلة ياتي اي من قبل ان ياتي يوم من الله لا يمكن رده ما لكم من ملجا
يومئذ مفر وما لكم من نكير انكار لما اقترفتموه لانه مدون في صحائف اعمالكم تشهد
عليه السنتكم وجوارحكم فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا رقيبا او محاسبا
ان عليك الا البلاغ وقد بلغت وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها
اراد بالانسان الجنس لقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان
كفور بليغ الكفران ينسى النعمة راسا ويذكر البلية ويعظمها ولم يتامل سببها
وهذا وان اختص بالمجرمين جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم واندراجهم فيه وتصدير
الشرطية الاولى باذا والثانية بان لان اذاقة النعمة محققة من حيث انها عادة
مقتضية بالذات بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزاء مقامه ووضع الظاهر
موضع المضمر في الثانية للدلالة على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعمة لله ملك
السموات والارض فله ان يقسم النعمة والبلية كيف يشاء يخلق ما يشاء
من غير لزوم ومجال اعتراض يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور
او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما بدل من يخلق بدل البعض والمعنى
يجعل احوال العباد في الاولاد مختلفة على مقتضى المشية فيهب لبعض اما صنفا واحدا
من ذكر او انثى او الصنفين جميعا ويعقم اخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير
النسل او لان مساق الاية للدلالة على ان الواقع ما يتعلق به مشية الله لا مشية

الانسان والاناث كذلك او لان الكلام في البلاء والعرب تعدهن بلاء
او لتطييب قلوب ابائهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور او لجبر
التاخير وتغيير العاطف في الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين ولم يحتج اليه
الرابع لافصاحه بانه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة انه عليم قدير فيفعل
ما يفعل بحكمة واختيار وما كان لبشر وما صح له ان يكلمه الله الا وحيا
كلاما خفيا يدرك بسرعة لانه تمثيل ليس في ذاته مركبا من حروف مقطعة تتوقف
على تموجات متعاقبة وهو ما يعم المشافهة كما روي في حديث المعراج وما وعد به في
حديث الرؤية والمهتف به كما اتفق لموسى عليه السلام في طوى والطور لكن
عطف قوله او من وراء حجاب عليه يخصه بالاول فالاية دليل على جواز الرؤية
لا على امتناعها وقيل المراد به الالهام والالقاء في الروع او الوحي المنزل به الملك
الى الرسل فيكون المراد بقوله او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء او يرسل
اليه نبيا فيبلغ وحيه كما امره وعلى الاول المراد بالرسول الملك الموحي الى الرسول
ووحيا بما عطف عليه منتصب بالمصدر لان من وراء حجاب صفة كلام محذوف
والارسال نوع من الكلام ويجوز ان يكون وحيا ويرسل مصدرين ومن وراء
حجاب ظرفا وقعت احوالا وقرا نافع او يرسل برفع اللام انه علي عن صفات
المخلوقين حكيم يفعل ما يقتضيه حكمته فيكلم تارة بوسط وتارة بغير وسط اما
عيانا واما من وراء الحجاب وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا يعني ما اوحي
اليه وسماه روحا لان القلوب تحيى به وقيل جبرئيل والمعنى ارسلناه اليك بالوحي
ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي قبل الوحي وهو دليل على انه لم يكن متعبدا
قبل النبوة بشرع وقيل المراد هو الايمان بما لا طريق اليه الا السمع ولكن جعلناه نورا
اي الروح او الكتاب او الايمان نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى
صراط مستقيم هو الاسلام وقرئ لتهدي اي ليهديك الله صراط الله بدل من
الاول الذي له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا الا الى الله تصير الامور
بارتفاع الوسائط والتعلقات وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين عن
النبي عليه السلام من قرا حم عسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون ويترحمون له

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين انا جعلناه قرانا عربيا اقسم بالقران
على انه جعله قرانا عربيا وهو من البدائع لتناسب القسم والمقسم عليه كقول ابي تمام
وثناياك انها اغريض ولعل اقسام الله بالاشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم
عليه والقران من حيث انه معجز مبين طرق الهدى وما يحتاج اليه في الديانة او بين للعرب
يدل على انه تعالى صيره كذلك لعلكم تعقلون لكي تفهموا معانيه وانه عطف على انا

وقرا حمزة والكسائي بالكسر على الاستيناف في ام الكتاب في اللوح المحفوظ فانه
اصل الكتب السماوية وقرئ ام الكتاب بالكسر لدينا محفوظا عندنا عن التغيير
لعلي رفيع الشان في الكتب لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة او محكم
لا ينسخه غيره وهما خبران لان وفي ام الكتاب متعلق بعلي واللام لا يمنعه او حال
منه ولدينا بدل منه او حال من ام الكتاب افنضرب عنكم الذكر صفحا افنذوده
ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرايب عن الحوض قال طرفة اضرب عنك
الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والفاء للعطف على محذوف اي انهملكم
فنضرب عنكم الذكر وصفحا مصدر من غير لفظه فان تنحية الذكر عنهم اعراض او
مفعول له او حال بمعنى صافحين واصله ان تولي الشيء صفحة عنقك وقيل انه
بمعنى الجانب فيكون ظرفا ويؤيده انه قرئ صفحا بالضم وحينئذ يحتمل ان يكون
تخفيف صفح جمع صفوح بمعنى صافحين والمراد انكار ان يكون الامر على خلاف ما ذكر
من انزال الكتاب على لغتهم ليفهموه ان كنتم قوما مسرفين اي لان كنتم وهو
في الحقيقة علة مقتضية لترك الاعراض وقرا نافع وحمزة والكسائي ان بالكسر على
ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم وما قبلها دليل الجزاء
وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن
تسلية لرسول الله عن استهزاء قومه فاهلكنا اشد منهم بطشا اي من القوم
المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى الرسول مخبرا عنهم ومضى مثل الاولين
وسلف في القران قصتهم العجيبة وفيه وعد للرسول ووعيد لهم بمثل ما جرى على
الاولين ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم
لعله لازم مقولهم او ما دل عليه اجمالا اقيم مقامه تقريرا لالزام الحجة عليهم فكانهم
قالوا الله كما حكي عنهم في مواضع اخر وهو الذي من صفته ما سرد من الصفات ويجوز
ان يكون مقولهم وما بعده استيناف الذي جعل لكم الارض مهدا فتستقرون فيها
وقرا غير الكوفيين مهادا بالالف وجعل لكم فيها سبلا تسلكونها لعلكم تهتدون
لكي تهتدوا الى مقاصدكم او الى حكمة الصانع بالنظر في ذلك والذي نزل من السماء
ماء بقدر بمقدار ينفع ولا يضر فانشرنا به بلدة ميتا زال عنه الماء وتذكيره لان
البلدة بمعنى البلد والمكان كذلك مثل ذلك الانشار تخرجون تنشرون
من قبوركم وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي تخرجون بفتح التاء وضم الراء والذي
خلق الازواج كلها اصناف المخلوقات وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون
ما تركبونه على تغليب المتعدي بنفسه على المتعدي بغيره اذ يقال ركبت الدابة
وركبت في السفينة او المخلوق للركوب على المصنوع له او الغالب على النادر ولذلك
قال لتستووا على ظهوره اي ظهور ما تركبون وجمعه للمعنى ثم تذكروا نعمة

ربكم اذا استويتم عليه تذكروها بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها وتقولوا
سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين مطيقين من اقرن الشيء اذا اطاقه
واصله وجده قرينته اذ الصعب لا يكون قرينة الضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى
واحد وعنه عليه السلام انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى
على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله وانا الى ربنا
لمنقلبون اي راجعون واتصاله بذلك لان الركوب للتنقل والنقلة العظمى
هو الانقلاب الى الله او لانه مخطر فينبغي للراكب ان لا يغفل عنه ويستعد
للقاء الله وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله ولئن سالتهم اي وقد جعلوا له
بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا فقالوا الملائكة بنات الله ولعله سماه جزءا
كما سمي بعضا لانه بضعة من الوالد دلالة على استحالته على الواحد الحق في ذاته وقرئ
جزؤا بضمتين ان الانسان لكفور مبين ظاهر الكفران ومن ذلك نسبة الولد
الى الله لانها من فرط الجهل به والتحقير لشانه ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم
بالبنين معنى الهمزة في ام الانكار والتعجب من شانهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له
من مخلوقاته اجزاء اخس مما اختير لهم وابغض الاشياء اليهم بحيث اذا بشر احدهم
بها اشتد غمهم به كما قال واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس
الذي جعله له مثلا اذ الولد لا بد وان يماثل الوالد ظل وجهه مسودا صار وجهه
اسود في الغاية لما يعتريه من الكآبة وهو كظيم مملوء قلبه من الكرب وفي ذلك
دلالات على فساد ما قالوه وتعريف البنين لما مر في الذكور وقرئ مسود ومسواد
على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا او من ينشأ في الحلية
اي او جعلوا له او اتخذ من يتربى في الزينة يعني البنات وهو في الخصام في
المجادلة غير مبين مقرر لما يدعيه من نقصان العقل وضعف الراي ويجوز
ان يكون من مبتدا محذوف الخبر اي او من هذا حاله ولده وفي الخصام متعلق
بمبين واضافة غير اليه لا تمنعه كما عرفت وقرا حمزة والكسائي وحفص ينشأ
اي يربى وقرئ ينشأ ويناشأ بمعناه ونظير ذلك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى
وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا كفر اخر تضمنه مقالهم شنع به
عليهم وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله انقصهم رايا واخسهم صنفا وقرئ
عبيد وقرا ابن عامر ويعقوب والحجازيان والبصريان عند على تمثيل زلفاهم وقرئ
انثا وهو جمع الجمع اشهدوا خلقهم احضروا خلق الله اياهم فشاهدوهم اناثا فان
ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم بهم وقرا نافع ااشهدوا بهمزة الاستفهام
وهمزة مضمومة بين بين وآشهدوا بمدة ستكتب شهادتهم التي شهدوا بها
على الملائكة ويسألون اي عنها يوم القيمة وهو وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء

والتون وشهادتهم وهي ان لله جزءاً وان له بنات وهن الملائكة ويسألون
من المساءلة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم اي لو شاء عدم عبادة الملائكة
ما عبدناهم فاستدلوا بنفي مشيئة عدم العبادة على امتناع النهي عنها او على
حسنها وذلك باطل لان المشيئة ترجيح بعض الممكنات على بعض مأموراً كان او
منهياً حسناً كان او غيره ولذلك جهلهم فقال ما لهم بذلك من علم ان هم الا
يخرصون يتمحلون تمحلاً باطلاً ويجوز ان يكون الاشارة الى اصل الدعوى كانه
لما ابدى وجوه فسادها وحكى شبهتهم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من طريق
العقل ثم اضرب عنه الى انكار ان يكون لهم سند من جهة النقل فقال ام آتيناهم
كتاباً من قبله من قبل القرآن او ادعائهم ينطق على صحة ما قالوه فهم به مستمسكون
بذلك الكتاب متمسكون بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم
مهتدون اي لا حجة لهم على ذلك عقلية ولا نقلية وانما جنحوا فيه الى تقليد
آبائهم الجهلة والامة الطريقة التي تؤم كالرحلة للمرحول اليه وقرئت بالكسر وهي
الحالة التي تكون عليها الآم اي القاصد ومنها الدين وكذلك ما ارسلنا
من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على
آثارهم مقتدون تسلية لرسول الله ودلالة على ان التقليد في نحو ذلك ضلال
قديم وان مقدميهم ايضاً لم يكن لهم سند منظور اليه وتخصيص المترفين اشعار بان
التنعم وحب البطالة صرفهم عن النظر الى التقليد قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم
عليه آباءكم اتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين آبائكم وهو حكاية
امر ماض اوحي الى النذير او خطاب للرسول ويؤيد الاول انه قرأ ابن عامر وحفص
قال قوله قالوا انا بما ارسلتم به كافرون اي وان كان اهدى اقناطاً للنذير
من ان ينظروا او يتفكروا فيه فانتقمنا منهم بالاستئصال فانظر كيف كان
عاقبة المكذبين ولا تكترث بتكذيبهم واذ قال ابراهيم واذكر وقت قوله هذا
ليروا كيف تبرأ عن التقليد وتمسك بالدليل او ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من
التقليد فانه اشرف آبائهم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون بريء من عبادتكم
او معبودكم مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر
والمؤنث وقرئ بريء وبراء ككريم وكرام الا الذي فطرني استثناء منقطع
او متصل على ان ما يعم اولي العلم وغيرهم فانهم كانوا يعبدون الله والاوثان او صفة
على ان ما موصوفة اي انني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فانه سيهدين
سيثبتني على الهداية او سيهدين الى ما وراء ما هداني وجعلها وجعل ابراهيم عليه
السلام او الله تعالى كلمة التوحيد كلمة باقية في عقبه في ذريته فيكون فيهم ابداً
من يوحد الله ويدعو الى توحيده وقرئ كلمة وفي عقبه على التخفيف وفي عاقبة اي

اي فيمن عقبه لعلهم يرجعون يرجع من اشرك منهم بدعاء من وحده بل متعت
هؤلاء المعاصرين للرسول من قريش وآباءهم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا
بذلك وانهمكوا في الشهوات وقرئ متعت بالفتح على انه تعالى اعترض به على ذاته
في قوله وجعلها كلمة باقية مبالغة في تعييرهم حتى جاءهم الحق دعوة التوحيد والقرآن
ورسول مبين ظاهر الرسالة بما له من المعجزات او مبين للتوحيد بالحجج والآيات ولما
جاءهم الحق لينبههم عن غفلتهم قالوا هذا سحر وانا به كافرون زادوا شرارة
فضموا الى شركهم معاندة الحق والاستخفاف به فسموا القرآن سحراً وكفروا به واستحقروا
الرسول وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين من احدى القريتين مكة
والطائف عظيم بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي فان
الرسالة منصب عظيم لا يليق الا بعظيم ولم يعلموا انها رتبة روحانية تستدعي عظيم النفس
بالتحلي بالفضائل والكمالات القدسية لا التزخرف بالزخارف الدنيوية اهم
يقسمون رحمة ربك انكار فيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن
قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا وهم عاجزون عن تدبيرها وهي خويصة امرهم
في دنياهم فمن اين لهم ان يتدبروا امر النبوة التي هي اعلى المراتب الانسية واطلاق
المعيشة يقتضي ان يكون حلالها وحرامها من الله تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض
درجات واوقعنا بينهم التفاوت في الرزق وغيره ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ليستعمل
بعضهم بعضاً في حوائجهم فيحصل بينهم تآلف وتضام ينتظم بذلك نظام العالم لا لكمال
في الموسع ولا لنقص في المقتر ثم انه لا اعتراض لهم علينا في ذلك ولا تصرف فكيف
يكون فيما هو اعلى منه ورحمة ربك هذه يعني النبوة وما يتبعها خير مما يجمعون من حطام
الدنيا والعظيم من رزق منها لا منه ولولا ان يكون الناس امة واحدة لولا ان
يرغبوا في الكفر اذا رأوا الكفار في سعة وتنعم لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه لجعلنا لمن يكفر
بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج جمع معرج وقرئ معاريج جمع معراج عليها
يظهرون يعلون السطوح لحقارة الدنيا ولبيوتهم بدل من لمن بدل الاشتمال او علة
له كقولك وهبت له ثوباً لقميصه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وسقفاً اكتفاء بجمع
البيوت وقرئ سقفاً بالتخفيف وسقوفاً وسقفاً وهو لغة في سقف ولبيوتهم
ابواباً وسرراً عليها يتكئون اي ابواباً وسرراً من فضة وزخرفاً وزينة
عطف على سقفاً او ذهباً عطف على محل من فضة وان كل ذلك لما متاع
الحياة الدنيا ان هي المخففة واللام هي الفارقة وقرأ عاصم وحمزة وهشام بخلاف
عنه لما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ به مع ان وما والآخرة عند ربك للمتقين
عن الكفر والمعاصي وفيه دلالة على ان العظيم في الآخرة لا في الدنيا واشعار بما لاجله
لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الايمان وهو انه تمتع قليل بالاضافة الى

مالهم في الآخرة مخل به في الأغلب لما فيه من الآفات قل من يتخلص عنها كما أشار
بقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن يتعام ويعرض عنه لفرط اشتغاله بالمحسوسات
وانهماكه في الشهوات وقرئ يعش بالفتح أي يعم يقال عشي إذا كان في بصره آفة وعشي
إذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على أن من موصولة نقيض له شيطانا
يوسوسه ويغويه دائما وقرأ يعقوب بالياء على إسناده إلى ضمير الرحمن ومن رفع
يعشو ينبغي أن يرفعه فهو له قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل عن الطريق الذي
من حقه أن يسبل وجمع الضميرين للمعنى إذ المراد جنس العاشي والشيطان المقيض له
ويحسبون أنهم مهتدون الضمائر الثلاثة الأول له والباقيان للشيطان حتى
إذا جاءنا أي العاشي وقرأ الحجازيان وابن عامر وأبو بكر جاءانا أي العاشي
والشيطان قال أي العاشي للشيطان يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين
بعد المشرق والمغرب فغلب المشرق وثني وأضيف البعد إليهما فبئس القرين
أنت ولن ينفعكم اليوم أي ما أنتم عليه من التمني إذ ظلمتم إذ صح أنكم ظلمتم
أنفسكم في الدنيا بدل من اليوم أنكم في العذاب مشتركون لأن حقكم أن تشتركوا
أنتم وشياطينكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه ويجوز أن يسند الفعل إليه
بمعنى ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في أمر صعب معاونتهم
في تحمل أعبائه وتقسمهم لمكابدة عنائه إذ لكل منكم ما لا يسعه طاقته وقرئ إنكم بالكسر
وهو يقوي الأول أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي إنكار تعجيب من أن يكون
هو الذي يقدر على هدايتهم بعد تمرنهم على الكفر واستغراقهم في الضلال بحيث صار
عشاهم عمى مقرونا بالصمم كان رسول الله يتعب نفسه في دعاء قومه وهم لا يزيدون
إلا غيا فنزلت ومن كان في ضلال مبين عطف على العمي باعتبار تغاير الوصفين
وفيه إشعار بأن الموجب لذلك تمكنهم في ضلال لا يخفى فإما نذهبن بك أي فإن
قبضناك قبل أن نبصرك عذابهم وما مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم في استجلاب
النون المؤكدة فإنا منهم منتقمون بعدك في الدنيا والآخرة أو نرينك الذي
وعدناهم أو إن أردنا أن نريك ما وعدناهم من العذاب وقرأ يعقوب برواية
رويس أو نرينك بإسكان النون وكذا نذهبن فإنا عليهم مقتدرون لا يفوتوننا
فاستمسك بالذي أوحي إليك من الآيات والشرائع وقرئ أوحى على البناء للفاعل
وهو الله تعالى إنك على صراط مستقيم لا عوج له وإنه لذكر لك لشرف لك
ولقومك وسوف تسألون أي عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه واسأل من
أرسلنا من قبلك من رسلنا أي واسأل أممهم وعلماء دينهم أجعلنا من دون
الرحمن آلهة يعبدون هل حكمنا بعبادة الأوثان وهل جاءت في ملة من مللهم والمراد
به الاستشهاد بإجماع الأنبياء على التوحيد والدلالة على أنه ليس ببدع ابتدعه فيكذب

فيكذب ويعادى له فإنه كان أقوى ما حملهم على التكذيب والمخالفة ولقد
أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملائه فقال إني رسول رب العالمين
يريد باقتصاصه تسلية الرسول ومناقضة قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من
القريتين عظيم والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام إلى التوحيد فلما جاءهم
بآياتنا إذا هم منها يضحكون فاجأوا وقت ضحكهم منها أي استهزؤوا بها أول
ما رأوها ولم يتأملوا فيها وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها إلا وهي بالغة
أقصى درجات الإعجاز بحيث يحسب الناظر فيها أكبر مما يقاس إليها من الآيات
والمراد وصف الكل بالكبر كقولك رأيت رجالا بعضهم أفضل من بعض وكقوله
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري أو إلا وهي
مختصة بنوع من الإعجاز مفضلة على غيرها بذلك الاعتبار وأخذناهم بالعذاب
كالسنين والطوفان والجراد لعلهم يرجعون على وجه يرجى رجوعهم وقالوا
يا أيها الساحر نادوه بذلك في تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم أو لأنهم
كانوا يسمون العالم الباهر ساحرا وقرأ ابن عامر بضم الهاء ادع لنا ربك بما
عهد عندك بعهده عندك النبوة أو من أن يستجيب دعوتك أو أن يكشف
العذاب عمن أي تدعو لنا فيكشف عنا العذاب اهتدى أو بما عهد عندك
فوفيت به وهو الإيمان والطاعة إننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب
إذا هم ينكثون فاجأوا نكث عهدهم بالاهتداء ونادى فرعون بنفسه أو
بمناديه في قومه في مجمعهم أو فيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم مخافة أن يؤمن
بعضهم قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار أنهار النيل ومعظمها أربعة
نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس تجري من تحتي تحت قصري
أو أمري أو بين يدي في جناني والواو إما عاطفة لهذه الأنهار على ملك وتجري
حال منها أو واو حال وهذه مبتدأ والأنهار صفتها وتجري خبرها أفلا تبصرون
ذلك أم أنا خير مع هذه المملكة والبسطة من هذا الذي هو مهين ضعيف
حقير لا يستعد للرياسة من المهانة وهي القلة ولا يكاد يبين الكلام لما به من الرتة
فكيف يصلح للرسالة وأم إما منقطعة والهمزة فيها للتقرير إذ قدم من أسباب
فضله أو متصلة على إقامة المسبب مقام السبب والمعنى أفلا تبصرون أم تبصرون
فتعلمون أني خير منه فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أي فهلا ألقي
عليه مقاليد الملك إن كان صادقا إذ كانوا إذا سودوا رجلا سوروه
وطوقوه من ذهب وأساور جمع أسوار بمعنى السوار وأساورة على
تعويض التاء من ياء أساوير وقد قرئ به وقرأ يعقوب وحفص أسورة
وهي جمع سوار وقرئ أساور جمع أسورة وألقي عليه أسورة وأساور

على البناء للفاعل وهو الله تعالى او جاء معه الملائكة مقترنين مقرونين يعينونه
او يصدقونه من قرنته فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن فاستخف
احلامهم قومه فطلب منهم الخفة في مطاوعته او فاستخف احلامهم فاطاعوه
فيما امرهم به انهم كانوا قوما فاسقين فلذلك اطاعوا ذلك الفاسق
فلما آسفونا اغضبونا بالافراط في العناد والعصيان منقول من اسف اذا
اشتد غضبه انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين في اليم فجعلناهم سلفا
قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم مصدر نعت
به او جمع سالف كخدم وخادم وقرأ حمزة والكسائي بضم السين واللام جمع سليف
كرغف او سالف كصبر او سلف كخشب وقرئ سلفا بابدال ضم اللام فتحة
او على انه جمع سلفة اي ثلة سلفت ومثلا للآخرين وعظة لهم او قصة
عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون ولما ضرب ابن
مريم مثلا اي ضربه ابن الزبعرى لما جادل رسول الله في قوله تعالى انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم او غيره بان قال النصارى اهل كتاب وهم يعبدون
عيسى ويزعمون انه ابن الله والملائكة اولى بذلك وعلى قوله واسئل من ارسلنا
قبلك من رسلنا او ان محمدا يريد ان نعبده كما عبد المسيح اذا قومك
قريش منه من هذا المثل يصدون يضجون فرحا لظنهم ان الرسول
صار ملزما به وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بالضم من الصدود اي يصدون
عن الحق ويعرضون عنه وقيل هما لغتان نحو يعكف ويعكف وقالوا
آلهتنا خير ام هو اي آلهتنا خير عندك ام عيسى فان كان في النار فليكن آلهتنا
معه او آلهتنا الملائكة خير ام عيسى فاذا جاز ان يعبد ويكون ابن الله كانت
آلهتنا اولى بذلك او آلهتنا خير ام محمد فنعبده وندع آلهتنا وقرأ الكوفيون أآلهتنا
بتحقيق الهمزتين والف ما بعدهما ويعقوب برواية روح ما ضربوه لك
الا جدلا ما ضربوا هذا المثل الا لاجل الجدل والخصومة لا لتمييز الحق من الباطل
بل هم قوم خصمون شداد الخصومة حراص على اللجاج ان هو الا عبد انعمنا عليه
بالنبوة وجعلناه مثلا لبني اسرائيل امرا عجيبا كالمثل السائر لبني اسرائيل
وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة ولو نشاء لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال
كما ولدنا عيسى من غير اب او لجعلنا بدلكم ملائكة في الارض يخلفون يخلفونكم
في الارض والمعنى ان حال عيسى وان كانت عجيبة فالله تعالى قادر على ما هو اعجب
من ذلك وان الملائكة مثلكم من حيث انها ذوات ممكنة يحتمل خلقها توليدا كما جاز
ابداعا فمن اين لهم استحقاق الالوهية والانتساب الى الله سبحانه وانه وان عيسى
لعلم للساعة لان حدوثه او نزوله من اشراط الساعة يعلم بها دنوها او لان

او لان احياءه الموتى يدل على قدرة الله وقرئ لعلم اي علامة ولذكر على تسمية
ما يذكر به ذكرا وفي الحديث ينزل عيسى على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق
وبيده حربة بها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلوة الصبح
فيتأخر الامام فيقدمه ويصلي خلفه على شريعة محمد عم ثم يقتل الخنازير ويكسر
الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به وقيل
الضمير للقرآن فان فيه الاعلام بالساعة والدلالة عليها فلا تمترن بها فلا تشكن
فيها واتبعون واتبعوا هداي او شرعي او رسولي وقيل هو قول الرسول امر ان
يقوله هذا الذي ادعوكم اليه صراط مستقيم لا يضل سالكه ولا يصدنكم
الشيطان عن المتابعة انه لكم عدو مبين ثابت عداوته بان اخرجكم عن الجنة
وعرضكم للبلية ولما جاء عيسى بالبينات بالمعجزات او بآيات الانجيل
او بالشرائع الواضحات قال قد جئتكم بالحكمة بالانجيل او الشريعة ولابين لكم
بعض الذي تختلفون فيه وهو ما يكون من امر الدين لا ما يتعلق بامر الدنيا فان
الانبياء لم يبعث لبيانه ولذلك قال عليه السلام انتم اعلم بامر دنياكم
فاتقوا الله واطيعون فيما ابلغه عنه ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه
بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع هذا
صراط مستقيم الاشارة الى مجموع الامرين هو تتمة كلام عيسى او استئناف
من الله تعالى يدل على ما هو المقتضي للطاعة في ذلك فاختلف الاحزاب
الفرق المتحزبة من بينهم من بين النصارى او اليهود والنصارى من بين قومه
المبعوث اليهم فويل للذين ظلموا من المتحزبين من عذاب يوم اليم هو
القيمة هل ينظرون الا الساعة الضمير لقريش او للذين ظلموا ان تأتيهم
بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة بغتة فجاءة وهم لا يشعرون
غافلون عنها لاشتغالهم بامور الدنيا وانكارهم لها الاخلاء والاحباء
يومئذ بعضهم لبعض عدو اي يتعادون يومئذ لانقطاع العلق لظهور ما كانوا
يتخالون له سببا للعذاب الا المتقين فان خلتهم لما كانت في الله تبقى
نافعة ابد الآباد يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حكاية لما
ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي
وحفص بغير الياء الذين آمنوا بآياتنا صفة للمنادى وكانوا مسلمين
حال من الواو اي الذين آمنوا مخلصين غير ان هذه العبارة آكد ادخلوا الجنة
انتم وازواجكم نساؤكم المؤمنات تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره
اي اثره على وجوهكم او تزينون من الحبر وهو حسن الوجه والهيئة او تكرمون
اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم بصحاف

من ذهب واكواب والصحاف جمع صحيفة الاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له وفيها وفي الجنة ما تشتهي الانفس وقرا نافع وابن عامر وحفص ما تشتهيه على الاصل وتلذ الاعين بمشاهدته وذلك تعميم بعد تخصيص ما يعد من الزوائد في التنعم والتلذذ وانتم فيها خالدون فان كل نعيم زائل موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال مستعقب للتحسر في ثاني الحال وتلك الجنة التي اورثتموها وقرئ ورثتموها شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلف عليه العامل وتلك اشارة الى الجنة المذكورة وقعت مبتدا والجنة خبرها والتي اورثتموها صفتها او تلك مبتدا والجنة صفة تلك والتي خبرها او صفتها والخبر بما كنتم تعملون وعليه تتعلق الباء بمحذوف لا باورثتموها لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون بعضها تاكلون لكثرتها ودوام نوعها ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره في القران وهو حقير بالاضافة الى ساير نعايم الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة ان المجرمين الكاملين في الاجرام وهم الكفار لانه جعل قسيم المؤمنين بالايات وحكى عنهم ما يخص بالكفار في عذاب جهنم خالدون خبر ان او خالدون خبر والظرف متعلق به لا يفتر عنهم لا يخفف عنهم من فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف وهم فيه في العذاب مبلسون ايسون من النجاة وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين مر مثله غير مرة وهم فصل ونادوا يا مالك وقرئ يا مال على الترخيم مكسورا ومضموما ولعله اشعار بانهم لضعفهم لا يستطيعون تادية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا فاقتصروا ليقض علينا ربك والمعنى سل ربنا ان يقضي علينا من قضى عليه اذا اماته وهو لا ينافي ابلاسهم فانه جؤار وتمن للموت من فرط الشدة قال انكم ماكثون لا خلاص لكم بموت ولا غيره لقد جئناكم بالحق بالارسال والانزال وهو تتمة الجواب ان كان في قال ضمير الله والا فجواب منه وكانه تعالى تولى جوابهم بعد جواب المالك ولكن اكثركم للحق كارهون لما في اتباعه من اتعاب النفس وادآب الجوارح ام ابرموا امرا في تكذيب الحق ورده ولم يقتصروا على كراهته فانا مبرمون امرا في مجازاتهم والعدول عن الخطاب للاشعار بان ذلك اسوء من كراهتهم او احكم المشركون امرا من كيدهم بالرسول فانا مبرمون كيدنا بهم ويؤيده قوله ام يحسبون انا لا نسمع سرهم حديث انفسهم بذلك ونجواهم وتناجيهم بلى نسمعها ورسلنا والحفظة مع ذلك لديهم ملازمون لهم يكتبون ذلك قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين منكم فان النبي يكون اعلم بالله وبما يصح له وما لا يصح واولى بتعظيم ما يوجب تعظيمه ومن تعظيم ولده ولا يلزم من ذلك صحة كينونة الولد وعبادته له اذ المحال قد يستلزم المحال بل المراد نفيهما

نفيهما على ابلغ الوجوه كقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا غير ان لو ثمة مشعرة بانتفاء الطرفين وان هنا لا يشعر به ولا بنقيضه فانها لمجرد الشرطية بل الانتفاء معلول لانتفاء اللازم الدال على انتفاء ملزومه والدلالة على ان انكاره للولد ليس لعناد ومراء بل لو كان لكان اولى الناس بالاعتراف به وقيل معناه ان كان له ولد في زعمكم فانا اول العابدين لله الموحدين له او الانفين منه او من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه او ما كان له ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة وقرا حمزة والكسائي ولد بالضم وسكون اللام سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون عن كونه ذا ولد فان هذه الاجسام لكونها اصولا ذات استمرار تبرأت عما يتصف به ساير الاجسام من توليد المثل فما ظنك بمبدعها وخالقها فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون اي القيمة وهو دلالة على ان قولهم هذا جهل واتباع هوى فانهم مطبوع على قلوبهم معذبون في الاخرة وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله مستحق لان يعبد فيهما والظرف متعلق به لانه بمعنى المعبود او متضمن معناه كقولك هو حاتم في البلد وكذا فيمن قرا الله والراجع مبتدا محذوف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا يجوز جعله خبر اله لانه لا يبقى عايد لكن لو جعل صلة وقدر لانه مبتدا محذوف يكون به جملة مبينة للصلة دالة على ان كونه في السماء بمعنى الالوهية دون الاستقرار وفيه نفي الالهة السماوية والارضية واختصاص باستحقاق الالهية وهو الحكيم العليم كالدليل عليه وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما كالهواء وعنده علم الساعة العلم بالساعة التي تقوم القيمة فيها واليه ترجعون للجزاء وقرا نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم وروح بالياء على الالتفات للتهديد ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله الا من شهد بالحق وهم يعلمون بالتوحيد والاستثناء متصل ان اريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح فيه ومنفصل ان خص بالاصنام ولئن سالتهم من خلقهم سالت العابدين والمعبودين ليقولن الله لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره فانى يؤفكون يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره وقيله وقول الرسول ونصبه للعطف على سرهم او على محل الساعة او لاضمار فعله اي وقال قيله وجره عاصم وحمزة عطفا على الساعة وقرئ بالرفع على انه مبتدا خبره يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون او معطوف على علم الساعة بتقدير مضاف وقيل هو قسم منصوب بحذف الجار او مجرور باضماره او مرفوع بتقديره وقيل يا رب قسمي وان هؤلاء جوابه فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم ايسا عن ايمانهم وقل سلام تسلم منهم ومتاركة فسوف يعلمون

تسلية للرسول وتهديد لهم وقرا نافع وابن عامر بالتا على انه من المامور بقوله عن النبي عليه
السلام من قرا سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم
ولا انتم تحزنون

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين القرآن والواو للعطف ان كان حم مقسما بها
والا فللقسم والجواب قوله انا انزلناه في ليلة مباركة في ليلة القدر او البراة
ابتدئ فيها انزاله او انزل فيها جملة الى السماء الدنيا من اللوح ثم انزل على الرسول
نجوما وبركتها لذلك فان نزول القرآن سبب للمنافع الدينية والدنيوية
او لما فيها من نزول الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية
انا كنا منذرين استيناف يبين به المقتضي للانزال وكذلك قوله
فيها يفرق كل امر حكيم فان كونها مفرق الامور المحكمة او الملتبسة بالحكمة يستدعي
ان ينزل فيها القرآن الذي هو من عظائمها ويجوز ان يكون صفة ليلة مباركة وما
بينهما اعتراض وهو يدل على ان الليلة ليلة القدر لانه صفتها لقوله تعالى تنزل
الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق كل اي يفرقه
الله ونفرق بالنون امرا من عندنا اي اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا
على مقتضى حكمتنا وهو مزيد تفخيم للامر ويجوز ان يكون حالا من كل او امر او ضميره المستكن
في حكيم لانه موصوف وان يكون المراد به مقابل النهي وقع مصدرا ليفرق او لفعله
مضمر من حيث ان الفرق به او حالا من احد ضميري انزلناه بمعنى امرين او مامورا
انا كنا مرسلين رحمة من ربك بدل من انا كنا منذرين اي انا انزلنا القرآن
لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل الرحمة عليهم ووضع الرب
موضع الضمير للاشعار بان الربوبية اقتضت ذلك فانه اعظم انواع التربية
او علة ليفرق او امر او رحمة مفعول به اي يفصل فيها كل امر او تصدر الاوامر
من عندنا لان من شاننا ان نرسل رحمتنا فان فصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها
وصدور الاوامر الالهية من باب الرحمة وقرئ رحمة على تلك رحمة انه هو السميع
العليم يسمع اقوال العباد ويعلم احوالهم وهو وما بعده تحقيق لربوبيته وانها لا تحق
الا لمن هذه صفاته رب السموات والارض وما بينهما خبر اخر او استيناف وقرا
الكوفيون بالجر بدلا من ربك ان كنتم موقنين اي ان كنتم من اهل الايقان في العلوم
او ان كنتم موقنين في اقراركم اذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا
او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا اله الا هو اذ لا خالق سواه يحيي ويميت
كما تشاهدون ربكم ورب آبائكم الاولين وقرئ بالجر بدلا بل هم في شك يلعبون
رد لكونهم موقنين فارتقب فانتظر لهم يوم تاتي السماء بدخان مبين يوم
شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان من ضعف بصره او

او لان الهواء يظلم عام القحط لقلة الامطار وكثرة الغبار او لان العرب تسمي الشر الغالب
دخانا وقد قحطوا حتى اكلوا جيف الكلاب وعظامها واسناد الاتيان الى السماء لان
ذلك يكفه عن الامطار او يوم ظهور الدخان المعدود في اشراط الساعة لما روي
انه عليه السلام لما قال اول الايات الدخان ونزول عيسى ونار تخرج من قعر عدن
ابين تسوق الناس الى المحشر قيل وما الدخان فتلا رسول الله الاية وقال يملأ ما بين
المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المومن فيصيبه كهيئة الزكام واما
الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره او يوم القيمة والدخان يحتمل المعنيين
يغشى الناس يحيط بهم صفة للدخان وقوله هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب
انا مومنون مقدر بقول وقع حالا وانا مومنون وعد بالايمان ان كشف العذاب
منهم انى لهم الذكرى من اين لهم وكيف يتذكرون بهذه الحال وقد جاءهم
رسول مبين بين لهم ما هو اعظم منها في ايجاب الادكار من الايات والمعجزات ثم
تولوا عنه وقالوا معلم مجنون قال بعضهم يعلمه غلام اعجمي لبعض ثقيف وقال
اخرون انه مجنون انا كاشفوا العذاب بدعاء النبي عليه السلام فانه دعا
فرفع القحط قليلا كشفا قليلا او زمانا قليلا وهو ما بقي من اعمارهم انكم
عائدون الى الكفر غب الكشف ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان
غوث الكفار بالدعاء فيكشف الله عنهم بعد الاربعين فريثما يكشفه عنهم يرتدون
ومن فسره بما في القيمة اوله بالشرط والتقدير يوم نبطش البطشة الكبرى يوم
القيمة او يوم بدر ظرف لفعل دل عليه انا منتقمون لا لمنتقمون فان ان تحجزه
عنه او بدل من يوم تاتي وقرئ نبطش اي نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم او نجعل
الملائكة على بطشهم وهو التناول بصولة ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون امتحناهم
بارسال موسى اليهم او اوقعناهم في الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم
وقرئ بالتشديد للتاكيد او لكثرة القوم وجاءهم رسول كريم على الله او على
المومنين او في نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه ان ادوا الي عباد الله بان
ادوهم الي وارسلوهم معي او بان ادوا الي حق الله من الايمان وقبول الدعوة يا عباد الله
ويجوز ان يكون ان مخففة ومفسرة لان مجيء الرسول يكون برسالة ودعوة
اني لكم رسول امين غير متهم لدلالة المعجزات على صدقه او لايتمان الله اياه على وحيه
وهو علة الامر وان لا تعلوا على الله ولا تتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله
وان كالاولى في وجوهها اني اتيكم بسلطان مبين علة للنهي ولذكر الامين
مع الاداء والسلطان مع العلاء شان لا يخفى اني عذت بربي وربكم التجات
اليه وتوكلت عليه ان ترجمون ان تؤذوني ضربا وشتما او ان تقتلوني وقرئ
عت بالادغام وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون فكونوا بمعزل مني لا علي ولا لي

ولا تتعرضوا الى بسوء فانه ليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم فدعا ربه
بعد ما كذبوه ان هؤلاء بان هؤلاء قوم مجرمون وهو تعريض بالدعاء عليهم
بذكر ما استوجبوه به ولذلك سماه دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول فاسر
بعبادي ليلا اي فقال اسر او قال ان كان الامر كذلك فاسر وقرا ابو عمرو
بوصل الهمزة من سرى انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده اذا علموا بخروجكم و
واترك البحر رهوا مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا على هيئته بعد ما جاوزته
ولا تضربه بعصاك ولا تغير منه شيئا ليدخله القبط انهم جند مغرقون وقرئ
بالفتح بمعنى لانهم كم تركوا كثيرا تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم
محافل مزينة ومنازل حسنة ونعمة وتنعم كانوا فيها فاكهين متنعمين وقرئ فكهين
كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها او الامر كذلك واورثناها
عطف على الفعل المقدر او على تركوا قوما آخرين ليسوا منهم في شيء وهم بنوا
اسرائيل وقيل غيرهم لانهم لم يعودوا الى مصر فما بكت عليهم السماء والارض
مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم كقولهم بكت عليهم السماء
وكسفت لمهلكهم الشمس في نقيض ذلك ومنه ما روي في الاخبار ان المؤمن
ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه وقيل تقديره
فما بكت عليهم اهل السماء والارض وما كانوا منظرين ممهلين الى وقت آخر
ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من استعباد فرعون وقتله
ابناءهم من فرعون بدل من العذاب على حذف المضاف او جعله عذابا
لافراطه في التعذيب او حال من المهين بمعنى واقعا من جهته وقرئ من فرعون على
الاستفهام تنكيرا له لنكر ما كان عليه من الشيطنة انه كان عاليا متكبرا من المسرفين
في العتو والشرارة وهو خبر ثان اي كان متكبرا مسرفا او حال من الضمير في عاليا اي كان
رفيع الطبقة من بينهم ولقد اخترناهم اخترنا بني اسرائيل على علم عالمين بانهم
احقاء بذلك او مع علم منا بانهم يزيغون في بعض الاحوال على العالمين لكثرة الانبياء
فيهم او على عالمي زمانهم وآتيناهم من الآيات كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال
المن والسلوى ما فيه بلاء مبين نعمة جلية او اختبار ظاهر ان هؤلاء كفار
قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على انهم مثلهم في الاصرار
على الضلالة والانذار عن مثل ما حل بهم ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى ما العاقبة
ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحيوة الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات ثانية كما في
قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها حيوة
كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ان هي الا موتتنا الاولى اي ما الموتة التي من شانها
ذلك الا الموتة الاولى وما نحن بمنشرين بمبعوثين فأتوا بآبائنا خطاب لمن وعدهم

وعدهم بالنشور من الرسول والمؤمنين ان كنتم صادقين في وعدكم
ليدل عليه اهم خير والمنعة ام قوم تبع تبع الحميري الذي سار بالجيوش
وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك
ذمهم دونه وعنه عليه السلام ما ادري اكان تبع نبيا او غير نبي وقيل لملوك
اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون والذين من قبلهم
كعاد وثمود اهلكناهم استيناف بما ال قوم تبع والذين من قبلهم هدد به
كفار قريش او حال باضمار قد او خبر من الموصول ان استؤنف به انهم
كانوا مجرمين بيان للجامع المقتضي للاهلاك وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما وما بين الجنسين وقرئ وما بينهن لاعبين لاهين
وهو دليل على صحة الحشر كما مر في الانبياء وغيرها ما خلقناهما الا بالحق الا بسبب
الحق الذي اقتضاه الدليل من الايمان والطاعة او البعث والجزاء ولكن
اكثرهم لا يعلمون لقلة نظرهم ان يوم الفصل فصل الحق عن الباطل والمحق
عن المبطل بالجزاء او فصل الرجل عن اقاربه واحبائه ميقاتهم وقت موعدهم
اجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه الاسم اي ان ميعاد جزائهم في
يوم الفصل يوم لا يغني بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل
عليه الفصل لا له للفصل مولى من قرابة او غيرها عن مولى اي مولى كان
شيئا من الاغناء ولا هم ينصرون الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام الا
من رحم الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة ومحله الرفع على البدل من الواو والنصب على
الاستثناء انه هو العزيز لا ينصر منه من اراد تعذيبه الرحيم لمن اراد ان يرحمه
ان شجرة الزقوم وقرئ بكسر الشين ومعنى الزقوم قد سبق في الصافات طعام الاثيم
الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه كالمهل وهو ما يمهل في النار
حتى يذوب وقيل دردي الزيت يغلي في البطون وقرا ابن كثير ورويس بالياء على ان
الضمير للطعام او الزقوم لا للمهل اذ الاظهر ان الجملة حال من احدهما كغلي الحميم غليانا
مثل غليه خذوه على ارادة القول والمقول له الزبانية فاعتلوه فجروه والعتل
الاخذ بمجامع الشيء وجره بقهر وقرا الحجازيان وابن عامر ويعقوب بالضم وهما لغتان
الى سواء الجحيم وسطه ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم كان اصله يصب
من فوق رؤسهم الحميم وقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف
العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع ذق
انك انت العزيز الكريم اي وقولوا له ذلك استهزاء به او تقريعا على ما كان
يزعمه وقرا الكسائي انك بالفتح اي ذق لانك او عذاب انك ان هذا ان هذا
العذاب ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون فيه ان المتقين في مقام في موضع

اقامته وقرا نافع وابن عامر بضم الميم امين يامن صاحبه عن الآفة والانتقال
في جنات وعيون بدل من مقام جي به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به
من المآكل والمشارب يلبسون من سندس واستبرق خبر ثان او حال
من الضمير في الجار او استيناف والسندس ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه
معربا ومشتق من البراقة متقابلين في مجالسهم ليستانس بعضهم ببعض كذلك
الامر كذلك او اثبناهم مثل ذلك وزوجناهم بحور عين قرناهم بهن ولذلك
عدي بالباء والحوراء البيضاء والعيناء عظيمة العين واختلف في انهن نساء الدنيا
او غيرها يدعون فيها بكل فاكهة يطلبون ويامرون باحضار ما يشتهون من الفواكه
ولا تخصص شي منها بمكان ولا زمان آمنين من الضرر لا يذوقون فيها الموت
الا الموتة الاولى بل يحيون فيها دائما والاستثناء منقطع او متصل والضمير للآخرة
والموت اول احوالها او الجنة والمؤمن يشارفها بالموت ويشاهد ما عنده فكانه
او الاستثناء للمبالغة في تعميم النفي وامتناع الموت فكانه قال لا يذوقون فيها الموت
الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى في المستقبل ووقيهم عذاب الجحيم وقرئ ووقيهم
على المبالغة فضلا من ربك اي اعطوا كل ذلك عطاء وتفضلا منه وقرئ بالرفع
اي ذلك فضل ذلك هو الفوز العظيم لانه خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب
فانما يسرناه بلسانك سهلناه حيث انزلناه بلغتك وهو فذلكة للسورة
لعلهم يتذكرون لعلهم يفهمونه فيتذكرون به ولما لم يتذكروا فارتقب فانتظر ما
يحل بهم انهم مرتقبون منتظرون ما يحل بك عن النبي عليه السلام من قرا حم
الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب ان جعلت حم مبتدا خبره تنزيل الكتاب
احتجت الى اضمار مثل تنزيل حم وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل مبتدا خبره
من الله العزيز الحكيم وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم ان في
السموات والارض لآيات للمؤمنين وهو يحتمل ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى
ان في خلق السموات والارض لقوله وفي خلقكم وما يبث من دابة لا يحسن عطف
ما على الضمير المجرور بل عطفه على المضاف اليه باحد الاحتمالين فان بثه وتنوعه واستجماعه لما يتم
به معاشه الى غير ذلك دلائل على وجود الصانع المختار آيات لقوم يوقنون محمول
على محل ان واسمها وقرا حمزة والكسائي ويعقوب بالنصب حملا على الاسم واختلاف الليل
والنهار وما انزل الله من السماء من رزق من مطر وسماه رزقا لانه سببه فاحيا به
الارض بعد موتها يبسها وتصريف الرياح باختلاف جهاتها واحوالها وقرا حمزة
والكسائي وتصريف الريح آيات لقوم يعقلون فيه القراءتان ويلزمهما العطف
على عاملين في والابتداء او ان الا ان يضمر في او ينصب آيات على الاختصاص او ترفع

او ترفع باضمار هي ولعل اختلاف الفواصل الثلث لاختلاف الآيات في الدقة
والظهور تلك آيات الله اي تلك الآيات دلائله نتلوها عليك حال
عاملها معنى الاشارة بالحق ملتبسين به او ملتبسة به فباي حديث بعد الله
وآياته يؤمنون اي بعد آيات الله وتقديم اسم الله للمبالغة والتعظيم كما في قولك
اعجبني زيد وكرمه او بعد حديث الله وهو القرآن كقوله تعالى الله نزل احسن الحديث
وآياته دلائله المتلوة او القرآن والعطف لتغاير الوصفين وقرا الحجازيان وحفص
وابو عمرو وروح يؤمنون بالياء ليوافق ما قبله ويل لكل افاك كذاب اثيم
كثير الآثام يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر يقيم على كفره مستكبرا عن الايمان
بالآيات وثم لاستبعاد الاصرار بعد سماع الآيات لقوله يرى غمرات الموت ثم يزورها
كان لم يسمعها اي كانه فخففت وحذف ضمير الشان والجملة في موقع الحال اي يصر مثل
غير السامع فبشره بعذاب اليم على اصراره والبشارة على الاصل او التهكم واذا
علم من آياتنا شيئا واذا بلغه شي وعلم انه منها اتخذها هزوا لذلك من غير ان يرى
فيها ما يناسب الهزؤ والضمير لآياتنا وفائدته الاشعار بانه اذا سمع كلاما وعلم انه
من الآيات بادر الى الاستهزاء بالآيات كلها ولم يقتصر على ما سمعه او لشي لانه بمعنى الآية اولئك
لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم من قدامهم لانهم متوجهون اليها او من خلفهم لانه
بعد آجالهم ولا يغني عنهم ولا يدفع ما كسبوا من الاموال والاولاد شيئا من عذاب الله
ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء اي الاصنام ولهم عذاب عظيم لا يتحملونه هذا
هدى الاشارة الى القرآن ويدل عليه قوله والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب
من رجز اليم وقرا ابن كثير ويعقوب وحفص برفع اليم والرجز اشد العذاب الله
الذي سخر لكم البحر بان جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص فيه
لتجري الفلك فيه بامره بتسخيره وانتم راكبوها ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص
والصيد وغيرها ولعلكم تشكرون هذه النعم وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا
بان خلقها نافعة لكم منه حال من ما اي سخر هذه الاشياء كائنة منه او خبر لمحذوف
اي هي جميعا منه او لما في السموات وسخر لكم تكرير للتاكيد او لما في الارض وقرئ منة على
المفعول له ومنه على انه فاعل سخر على الاسناد المجازي او خبر محذوف ان في ذلك
لآيات لقوم يتفكرون في صنائعه قل للذين آمنوا يغفروا حذف المقول لدلالة
الجواب عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا اي يعفوا ويصفحوا للذين لا يرجون ايام الله
لا يتوقعون وقائعه باعدائه من قولهم ايام العرب لوقائعهم او لا يأملون الاوقات التي وقتها
الله لنصر المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها والآية نزلت في عمر شتمه غفاري فهم ان يبطش
به وقيل انها منسوخة بآية القتال ليجزي قوما بما كانوا يكسبون علة للامر والقوم
هم المؤمنون او الكافرون او كلاهما فيكون التنكير للتعظيم او التحقير او الشيوع والكسب المغفرة

او الاساءة او ما يعمها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي لنجزي بالنون وقرئ ليجزى قوم
وليجزى قوما اي ليجزي الخير او الشر او الجزاء اعني ما يجزى به لا المصدر فان الاسناد اليه
شيما مع المفعول به ضعيف من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها اذ لها
ثواب العمل وعليها عقابه ثم الى ربكم ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ولقد اتينا
بني اسرائيل الكتاب التورية والحكم والحكمة النظرية او فصل الخصومات والنبوة
اذ كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر في غيرهم ورزقناهم من الطيبات مما احل الله من اللذائذ
وفضلناهم على العالمين حيث اتيناهم ما لم نؤت غيرهم واتيناهم بينات من
الامر ادلة في امر الدين ويندرج فيها المعجزات وقيل ايات من امر النبي عم مبينة
لصدقه فما اختلفوا في ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقة الحال بغيا
بينهم عداوة وحسدا ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون
بالمؤاخذة والمجازاة ثم جعلناك على شريعة طريقة من الامر امر الدين فاتبعها
فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون اراء الجهال التابعة
للشهوات وهم رؤساء قريش قالوا له ارجع الى دين ابائك انهم لن يغنوا
عنك من الله شيئا مما اراد بك وان الظالمين بعضهم اولياء بعض اذ
الجنسية علة الانضمام فلا توالهم باتباع اهوائهم والله ولي المتقين فواله بالتقى
واتباع الشريعة هذا اي القران او اتباع الشريعة بصائر للناس بينات
تبصرهم وجه الفلاح وهدى من الضلال ورحمة ونعمة من الله لقوم يوقنون
يطلبون اليقين ام حسب الذين اجترحوا السيئات ام منقطعة ومعنى الهمزة
فيها انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجارحة ان نجعلهم ان نصيرهم
كالذين امنوا وعملوا الصالحات اي مثلهم وهو ثاني مفعولي نجعل وقوله سواء محياهم
ومماتهم بدل منه ان كان الضمير للموصول الاول لان المماثلة فيه اذ المعنى انكار ان يكون حيوتهم
ومماتهم سيان في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي
وحفص سواء بالنصب على البدل او الحال من الضمير في الكاف او المفعولية والكاف حال
وان كان للثاني فحال منه او استيناف يبين المقتضي للانكار وان كان لهما فبدل
او حال من الثاني وضمير الاول والمعنى انكار ان يستووا بعد الممات في الكرامة او ترك
المؤاخذة كما استووا في الرزق والصحة في الحيوة او استيناف مقرر لتساوي محيا كل
صنف ومماته في الهدى والضلال وقرئ ومماتهم بالنصب على ان محياهم ومماتهم ظرفان
كمقدم الحاج ساء ما يحكمون ساء حكمهم هذا او بئس شيئا حكموا به ذلك وخلق
الله السموات والارض بالحق كانه دليل على الحكم السابق من حيث ان خلق ذلك بالحق
المقتضي للعدل يستدعي انتصار المظلوم من الظالم والتفاوت بين المسيء والمحسن واذا
لم يكن في المحيا كان بعد الممات ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على بالحق لانه في معنى

في معنى العلة او على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل ولتجزى وهم لا يظلمون
بنقص ثواب وتضعيف عذاب وتسميته ذلك ظلما ولو فعله الله لم يكن منه ظلما
لانه لو فعله غيره لكان ظلما كالابتداء والاختبار افرأيت من اتخذ الهه هواه
ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكأنه يعبده وقرئ الهة هواه لانه كان احدهم
يستحسن حجرا فيعبده فاذا رأى احسن منه رفضه اليه واضله الله وخذله
على علم عالما بضلاله وفساد جوهر روحه وختم على سمعه وقلبه فلا يبالي بالمواعظ
ولا يتفكر في الايات وجعل على بصره غشاوة فلا ينظر بعين الاستبصار
والاعتبار وقرأ حمزة والكسائي غشوة فمن يهديه من بعد الله من بعد اضلاله
افلا تذكرون وقرئ تتذكرون وقالوا ما هي ما الحيوة او الحال الا حيوتنا
الدنيا التي نحن فيها نموت اي نكون امواتا نطفا وما قبلها ونحيا بعد ذلك
او نموت بانفسنا ونحيى ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ويحيى بعضنا او يصيبنا الموت
والحيوة فيها وليس وراء ذلك حيوة ويحتمل انهم ارادوا به التناسخ فانه عقيدة
اكثر عبدة الاوثان وما يهلكنا الا الدهر الا مرور الزمان وهو في الاصل مدة
بقاء العالم من دهره اذا غلبه وما لهم بذلك من علم يعني نسبة الحوادث الى
حركات الافلاك وما يتعلق بها على الاستقلال او انكار البعث او كليهما
ان هم الا يظنون اذ لا دليل لهم عليه وانما قالوه بناء على التقليد والانكار لما لم
يحسوا به واذا تتلى عليهم اياتنا بينات واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم
او مبينات له ما كان حجتهم ما كان لهم متشبث يعارضونها به الا ان قالوا ائتوا
باباءنا ان كنتم صادقين وانما سماه حجة على حسبانهم ومساقهم او على اسلوب
قولهم تحية بينهم ضرب وجيع فانه لا يلزم من عدم حصول الشيء حالا امتناعه قل الله
يحييكم ثم يميتكم على ما دل عليه الايات والحجج ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه
فان من قدر على الابتداء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للمجازاة على ما قرر
مرارا والوعد المصدق بالايات دل على وقوعها وان كان كذلك امكن الاتيان بابائهم
لكن الحكمة اقتضت ان يعادوا يوم الجمع للجزاء ولكن اكثر الناس لا يعلمون لقلة
تفكرهم وقصور نظرهم على ما يحسونه ولله ملك السموات والارض تعميم للقدرة
بعد تخصيصها ويوم تقوم الساعة يخسر المبطلون اي ويخسر يوم تقوم ويومئذ بدل
منه وترى كل امة جاثية مجتمعة من الجثوة وهي الجماعة او باركة مستوفزة على
الركب وقرئ جاذية اي جالسة على اطراف الاصابع لاستيفازهم كل امة
تدعى الى كتابها صحيفة اعمالها وقرأ يعقوب كل على انه بدل الاول وتدعى صفة او مفعول
ثان اليوم تجزون ما كنتم تعملون محمول على القول هذا كتابنا اضاف صحائف اعمالهم
الى نفسه لانه امر الكتبة ان يكتبوا فيها اعمالهم ينطق عليكم بالحق يشهد عليكم باعمالكم

بلا زيادة إنا كنا نستنسخ نستكتب الملائكة ما كنتم تعملون أعمالكم فأما الذين آمنوا
وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته التي من جملتها الجنة ذلك هو الفوز
المبين الظاهر لخلوصه عن الشوائب وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم أي
فيقال لهم ألم يأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف القول والمعطوف عليه
اكتفاء بالمقصود واستغناء بالقرينة فاستكبرتم عن الإيمان بها وكنتم
قوماً مجرمين قوماً عادتهم الإجرام وإذا قيل إن وعد الله يحتمل الموعود والمصدر
حق كائن هو أو متعلقه لا محالة والساعة لا ريب فيها إفراد للمقصود وقرأ
حمزة بالنصب عطفاً على اسم إن قلتم ما ندري ما الساعة أي شيء الساعة استغراباً
لها إن نظن إلا ظناً أصله نظن ظناً فأدخل حرف النفي والاستثناء لإثبات
الظن ونفي ما عداه كأنه قال ما نظن إلا ظناً أو لنفي ظنهم فيما سوى ذلك مبالغة ثم
أكده بقوله وما نحن بمستيقنين أي لإمكانه ولعل ذلك قول بعضهم تحيروا بين
ما سمعوا من آبائهم وما تليت عليهم من الآيات في أمر الساعة وبدا لهم ظهر لهم
سيئات ما عملوا على ما كانت عليه بأن عرفوا قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها أو جزاءها
وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وهو الجزاء وقيل اليوم ننساكم نترككم في العذاب
ترك المنسي كما نسيتم لقاء يومكم هذا كما تركتم عدته ولم تبالوا به وإضافة اللقاء إلى
اليوم إضافة المصدر إلى ظرفه ومأواكم النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها ذلكم بأنكم
اتخذتم آيات الله هزواً استهزأتم بها ولم تتفكروا فيها وغرتكم الحيوة الدنيا فحسبتم
أن لا حيوة سواها فاليوم لا يخرجون منها وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء
ولا هم يستعتبون لا يطلب منهم أن يعتبوا ربهم أي يرضوه لفوات أوانه فلله الحمد
رب العالمين إذ الكل نعمة منه دال على كمال قدرته وله الكبرياء في السموات
والأرض إذ ظهر فيها آثارها وهو العزيز الذي لا يغلب الحكيم فيما قدر وقضى
فاحمدوه وكبروه وأطيعوا له عن النبي عليه السلام من قرأ سورة حم الجاثية
ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب
من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق إلا خلقاً
ملتبساً بالحق وهو ما تقتضيه الحكمة والمعدلة وفيه دلالة على وجود الصانع الحكيم والبعث
للمجازاة على ما قررناه مراراً وأجل مسمى وبتقدير أجل مسمى ينتهي إليه الكل وهو
يوم القيمة أو كل واحد وهو آخر مدة بقائه المقدر له والذين كفروا عما أنذروا من
هول ذلك الوقت ويجوز أن يكون ما مصدرية معرضون لا يتفكرون فيه
ولا يستعدون لحلوله قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا
من الأرض أم لهم شرك في السموات أي أخبروا عن حال آلهتكم بعد تأمل فيها هل

هل يعقل أن يكون لها في أنفسها مدخل في خلق شيء من أجزاء العالم فيستحق به العبادة
وتخصيص الشرك بالسموات احتراز عما يتوهم أن للوسائط شركة في إيجاد الحوادث
السفلية ائتوني بكتاب من قبل هذا من قبل هذا الكتاب يعني القرآن فإنه ناطق
بالتوحيد أو أثارة من علم أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين هل فيها ما يدل
على استحقاقهم للعبادة أو الأمر به إن كنتم صادقين في دعواكم وهو إلزام بعدم
ما يدل على ألوهيتهم بوجه ما نقلاً بعد إلزامهم بعدم ما يقتضيها عقلاً وقرئ إثارة
بالكسر أي مناظرة فإن المناظرة تثير المعاني وأثرة أي شيء أوثرتم به وأثرة بالحركات
الثلث في الهمزة وسكون الثاء فالمفتوحة للمرة من مصدر أثر الحديث إذا رواه
والمكسورة بمعنى الأثرة والمضمومة اسم ما يؤثر ومن أضل ممن يدعوا من دون الله
من لا يستجيب له إنكار أن يكون أحد أضل من المشركين حيث تركوا عبادة السميع
المجيب القادر الخبير إلى عبادة من لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم فضلاً أن يعلم سرائرهم
ويراعي مصالحهم إلى يوم القيمة ما دامت الدنيا وهم عن دعائهم غافلون لأنهم إما
جمادات وإما عباد مسخرون مشغولون بأحوالهم وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء
يضرونهم ولا ينفعونهم وكانوا بعبادتهم كافرين مكذبين بلسان الحال والمقال وقيل
الضمير للعابدين وهو كقوله والله ربنا ما كنا مشركين وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات
واضحات أو مبينات قال الذين كفروا للحق لأجله وفي شأنه والمراد به الآيات ووضعه
موضع ضميرها ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق وعليهم بالكفر
والانهماك في الضلالة لما جاءهم حين جاءهم من غير نظر وتأمل هذا سحر مبين
ظاهر بطلانه أم يقولون افتراه إضراب عن ذكر تسميتهم إياه سحراً إلى ذكر ما
هو أشنع منه وإنكار له وتعجيب قل إن افتريته على الفرض فلا تملكون لي
من الله شيئاً أي إن عاجلني الله بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شيء منها فكيف
أجترئ عليه وأعرض نفسي للعقاب من غير توقع نفع ولا دفع ضر من قبلكم هو
أعلم بما تفيضون فيه تندفعون فيه من القدح في آياته كفى به شهيداً بيني وبينكم
يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والإنكار وهو وعيد بجزاء إفاضتهم
وهو الغفور الرحيم وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن وإشعار بحلم الله
عنهم مع عظم جرمهم قل ما كنت بدعاً من الرسل بديعاً منهم أدعوكم إلى ما لا يدعون
إليه أو أقدر على ما لم يقدروا عليه وهو الإتيان بالمقترحات كلها ونظيره الخف بمعنى الخفيف
وقرئ بفتح الدال على أنه كقيم أو مقدر بمضاف أي ذا بدع وما أدري ما يفعل بي
ولا بكم في الدارين على التفصيل إذ لا علم لي بالغيب ولا لتأكيد النفي المشتمل على ما يفعل بي
وما إما موصولة منصوبة أو استفهامية مرفوعة وقرئ يفعل أي يفعل الله
إن أتبع إلا ما يوحى إلي لا أتجاوزه وهو جواب عن اقتراحهم الإخبار عما لم يوح إليه

في الغيوب او استعجال المسلمين ان يتخلصوا عن اذى المشركين وما انا الا نذير
عن عقاب الله مبين بين الانذار بالشواهد المبينة والمعجزات المصدقة قل
ارايتم ان كان من عند الله اي القران وكفرتم به وقد كفرتم به ويجوز ان يكون الواو
عاطفة على الشرط وكذا الواو في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل الا انها تعطفه
بما عطف عليه على جملة ما قبله والشاهد هو عبد الله بن سلام وقيل موسى عليه السلام
وشهادته ما في التورية من نعت الرسول عليه السلام على مثله مثل القران وهو ما في
التورية من المعاني المصدقة للقران المطابقة له او مثل ذلك وهو كونه من عند الله
فامن اي بالقران لما راه من جنس الوحي مطابقا للحق واستكبرتم عن الايمان
ان الله لا يهدي القوم الظالمين استيناف مشعر بان كفرهم لضلالهم المسبب عن
ظلمهم ودليل على الجواب المحذوف مثل الستم ظالمين وقال الذين كفروا للذين امنوا
لاجلهم لو كان الايمان او ما اتى به محمد عم خيرا ما سبقونا اليه وهم سقاط اذ عامتهم
فقراء وموال ورعاة وانما قاله قريش وقيل بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم
جهينة ومزينة واسلم وغفار او اليهود حين اسلم ابن سلام واصحابه واذ لم يهتدوا به
ظرف لمحذوف مثل ظهر عنادهم وقوله فسيقولون هذا افك قديم مسبب عنه
وهو كقولهم اساطير الاولين ومن قبله ومن قبل القران وهو خبر لقوله كتاب موسى
ناصب لقوله اماما ورحمة على الحال وهذا كتاب مصدق لكتاب موسى او لما بين
يديه وقد قرئ به لسانا عربيا حال من ضمير كتاب في مصدقا او منه لتخصصه بالصفة
وعاملها معنى الاشارة وفائدتها الاشعار بالدلالة على ان كونه مصدقا للتورية
كما دل على انه وحي وتوفيق من الله سبحانه وقيل مفعول مصدق اي يصدق ذا لسان
عربي باعجازه لينذر الذين ظلموا علة مصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول
ويؤيد الاخير قراءة نافع وابن عامر والبزي ويعقوب بالتاء وبشرى للمحسنين
عطف على محله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا جمعوا بين التوحيد الذي
هو خلاصة العلم والاستقامة في الامور التي هي منتهى العمل وثم للدلالة على تاخر رتبة
العمل وتوقف اعتباره على التوحيد فلا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون
على فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط اولئك اصحاب الجنة خالدين
فيها جزاء بما كانوا يعملون من اكتساب الفضائل العلمية والعملية وخالدين حال
من المستكن في اصحاب وجزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام اي جوزوا جزاء ووصينا
الانسان بوالديه حسنا وقرا الكوفيون احسانا وقرئ حسنا اي ايصاء حسنا
حملته امه كرها ووضعته كرها ذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة وقرا الحجازيان
وابو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح
مصدر وحمله وفصاله ومدة حمله وفصاله والفصال الفطام ويدل عليه قراءة يعقوب

وفصله او وقته والمراد به الرضاع التام المنتهي به ولذلك عبر به
كما يعبر بالامد عن المدة قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى امده ثلثون
شهرا كل ذلك بيان لما تكابده في تربية الولد مبالغة في التوصية بها وفيه دليل
على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه اذا حط عنه للفصال حولان لقوله تعالى
حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقي ذلك وبه قال الاطباء ولعل تخصيص
اقل الحمل واكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما
حتى اذا بلغ اشده اذا اكتهل واستحكم قوته وعقله وبلغ اربعين سنة
قيل لم يبعث نبي الا بعد اربعين قال رب اوزعني الهمني واصله اولعني من اوزعته
بكذا ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي يعني نعمة الدين او ما يعمها وغيرها
وذلك يؤيد ما روي انها نزلت في ابي بكر لانه لم يكن احد اسلم هو وابوه من المهاجرين
والانصار سواه وان اعمل صالحا ترضاه نكره للتعظيم او لانه اراد نوعا من الجنس
يستجلب رضا الله واصلح لي في ذريتي واجعل لي الصلاح ساريا في ذريتي راسخا
فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي اني تبت اليك عما لا ترضيه او يشغل عنك
واني من المسلمين المخلصين لك اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا يعني
طاعاتهم فان المباح حسن ولا يثاب عليه ونتجاوز عن سيئاتهم لتوبتهم وقرأ
حمزة والكسائي وحفص بالنون فيهما في اصحاب الجنة كائنين في عدادهم او
مثابين او معدودين فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد لنفسه لان نتقبل
ونتجاوز وعد الذي كانوا يوعدون اي في الدنيا والذي قال لوالديه اف
لكما مبتدا خبره اولئك والمراد به الجنس وان صح نزوله في عبد الرحمن بن ابي بكر
قبل اسلامه فان خصوص السبب لا يوجب التخصيص وفي اف قراءات ذكرت
في سورة بني اسرائيل اتعدانني ان اخرج ابعث وقرا هشام اتعداني بنون
واحدة مشددة وقد خلت القرون من قبلي فلم يرجع احد منهم وهما يستغيثان
الله يقولان الغياث منك بالله او يسئلانه ان يغيثه بالتوفيق للايمان ويلك
امن اي يقولان له ويلك وهو الدعاء بالثبور بالحث على ما يخاف على تركه
ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين اباطيلهم التي كتبوها اولئك
الذين حق عليهم القول بانهم اهل النار وهو يرد النزول في عبد الرحمن لانه يدل على انه
من اهلها لذلك وقد جب عنه ان كان لا اسلامه في امم قد خلت من قبلهم كقوله
في اصحاب الجنة من الجن والانس بيان للامم انهم كانوا خاسرين تعليل للحكم
على الاستيناف ولكل من الفريقين درجات مما عملوا مراتب من جزاء ما عملوا
من الخير والشر او من اجل ما عملوا والدرجات غالبة في المثوبة وههنا جاءت على
التغليب وليوفيهم اعمالهم جزاءها وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وابن

ذكوان بالنون وهم لا يظلمون بنقص ثواب وزيادة عقاب ويوم يعرض الذين
كفروا على النار يعذبون بها وقيل يعرض النار عليهم فقلب مبالغة لقولهم عرضت
الناقة على الحوض اذهبتم اي يقال لهم اذهبتم وهو ناصب اليوم وقرا ابن كثير
وابن عامر ويعقوب بالاستفهام غير ان ابن كثير يقرأه بهمزة ممدودة وهما يقرآن
بها وبهمزتين محققتين طيباتكم لذائذكم في حياتكم الدنيا باستيفائها واستمتعتم
بها فما بقي لكم منها شيء فاليوم تجزون عذاب الهون الهوان وقد قرئ به بما
كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون بسبب الاستكبار الباطل
والفسوق عن طاعة الله وقرئ تفسقون بالكسر واذكر اخا عاد يعني هودا
اذ انذر قومه بالاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه
انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة على
البحر بالشحر من اليمن وقد خلت النذر الرسل من بين يديه ومن خلفه قبل
هود وبعده والجملة حال او اعتراض ان لا تعبدوا الا الله اي لا تعبدوا
او بان لا تعبدوا فان النهي عن الشيء انذار عن مضرته اني اخاف عليكم عذاب
يوم عظيم هائل بسبب شرككم قالوا اجئتنا لتأفكنا لتصرفنا عن آلهتنا
عن عبادتها فأتنا بما تعدنا من العذاب على الشرك ان كنت من الصادقين
في وعيدك قال انما العلم عند الله لا علم لي بوقت عذابكم ولا مدخل لي فيه
فاستعجل به وانما علمه عند الله فيأتيكم في وقته المقدر له وابلغكم ما ارسلت به
وما على الرسول الا البلاغ ولكني اراكم قوما تجهلون لا تعلمون ان الرسل بعثوا
مبلغين منذرين لا معذبين مقترحين فلما راوه عارضا سحابا عرض في افق
من السماء مستقبل اوديتهم متوجه اوديتهم والاضافة فيه لفظية وكذا في قوله
قالوا هذا عارض ممطرنا اي يأتينا بالمطر بل هو اي قال هود بل هو ما استعجلتم
به من العذاب وقرئ قل بل ريح ويجوز ان يكون بدلا من ما فيها عذاب اليم
صفتها وكذا قوله تدمر تهلك كل شيء من نفوسهم واموالهم بامر ربها وقرئ
يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك فيكون العائد محذوفا او الهاء في ربها
ويحتمل ان يكون استئنافا للدلالة على ان لكل ممكن فناء مقضيا لا يتقدم
ولا يتأخر ويكون الهاء لكل شيء فانه بمعنى الاشياء او لا يوجد نابضة حركة
ولا قابضة سكون الا بمشيئته وفي ذكر الامر والرب واضافته به الى الريح
فوائد سبق ذكرها مرارا وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك فيكون العائد
محذوفا او الهاء في ربها ويحتمل ان يكون استئنافا للدلالة على ان لكل ممكن
فناء مقضيا لا يتقدم ولا يتأخر فيكون الهاء لكل شيء فانه بمعنى الاشياء فاصبحوا
لا ترى الا مساكنهم اي فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لو حضرت بلادهم

بلادهم لا ترى الا مساكنهم وقرا عاصم وحمزة والكسائي لا يرى الا مساكنهم بالياء
المضمومة ورفع المساكن كذلك نجزي القوم المجرمين روي ان هودا لما احس
بالريح اعتزل بالمؤمنين في الحظيرة وجاءت الريح وامالت الاحقاف على الكفرة وكانوا
تحتها سبع ليال وثمانية ايام ثم كشفت عنهم واحتملتهم وقذفتهم في البحر ولقد مكناهم
فيما ان مكناكم فيه ان نافية وهي احسن من ما ههنا لانه يوجب التكرير لفظا
ولذلك قلبت الفها هاء في مها او شرطية محذوفة الجواب والتقدير ولقد مكناهم
في الذي او في شيء ان مكناكم فيه كان بغيكم اكثر او صلة كما في قوله يرجي المرء ما ان
لا يراه ويعرض دون ادناه الخطوب والاول اظهر واوفق كقوله هم احسن اثاثا
كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة ليعرفوا
تلك النعم ويستدلوا بها على مانحها ويواظبوا على شكرها فما اغنى عنهم سمعهم ولا
ابصارهم ولا افئدتهم من شيء من الاغناء وهو القليل اذ كانوا يجحدون بآيات
الله صلة لما اغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما
اضيف اليه وكذلك حيث وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون من العذاب
ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى كحجر ثمود وقرى قوم لوط وصرفنا الآيات
بتكريرها لعلهم يرجعون عن كفرهم فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون
الله قربانا آلهة فهلا منعهم من الهلاك آلهتهم الذين يتقربون بهم الى الله حيث
قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واول مفعولي اتخذوا الراجع الى الموصول محذوف
وثانيهما قربانا وآلهة بدل او عطف بيان او آلهة وقربانا حال او مفعول له على انه
بمعنى التقرب وقرئ قربانا بضم الراء بل ضلوا عنهم غابوا عن نصرهم وامتنع ان
يستمدوا بهم امتناع الاستمداد بالضال وذلك افكهم وذلك الاتخاذ
الذي هذا اثره صرفهم عن الحق وقرئ افكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم اي جعلهم
آفكين وافكهم اي قولهم الافك اي ذو الافك وما كانوا يفترون
واذ صرفنا اليك نفرا من الجن املناهم اليك والنفر دون العشرة
وجمعه انفار يستمعون القرآن حال محمولة على المعنى فلما حضروه اي القرآن
او الرسول قالوا انصتوا قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمعه فلما قضي اتم
وفرغ من قراءته وقرئ على بناء الفاعل وهو ضمير الرسول عم ولوا الى قومهم منذرين
اياهم بما سمعوا روي انهم وافوا رسول الله بوادي النخلة عند منصرفه من الطائف
يقرأ في تهجده قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى قيل انما قالوا
ذلك لانهم كانوا يهودا او ما سمعوا بامر عيسى عم مصدقا لما بين يديه يهدي
الى الحق من العقائد والى طريق مستقيم من الشرائع يا قومنا اجيبوا داعي الله
وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما يكون في خالص حق الله فان المظالم

لا يغفر بالايمان ويجركم من عذاب اليم هو معد للكفار واحتج ابو حنيفة باقتصارهم
على المغفرة والاجارة على ان لا ثواب لهم والاظهر انهم في توابع التكليف كبني ادم
ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض اذ لا ينجي منه مهرب وليس له من دونه
اولياء يمنعونه منه اولئك في ضلال مبين حيث اعرضوا عن اجابة من هذا
شانه اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن ولم يتعب
ولم يعجز والمعنى ان قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالايجاد ابد الاباد بقادر على
ان يحيي الموتى اي قادر ويدل عليه قراءة يعقوب يقدر والباء مزيدة لتاكيد النفي
فانه مشتمل على ان وما في حيزها ولذلك اجاب عنه بقوله بلى انه على كل شيء قدير
تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود كانه لما صدر السورة بتحقيق
المبدا اراد ختمها باثبات المعاد ويوم يعرض الذين كفروا على النار منصوب بقول
مضمر مقوله اليس هذا بالحق والاشارة الى العذاب قالوا بلى وربنا قال فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون بكفركم في الدنيا ومعنى الامر هو الاهانة بهم والتوبيخ لهم
فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل اولوا الثبات والجد منهم فانك من جملتهم
ومن للتبيين وقيل للتبعيض واولوا العزم اصحاب الشرائع اجتهدوا في تاسيسها
وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابراهيم
وموسى وعيسى وقيل الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على اذى قومه كانوا يضربونه
حتى يغشى عليه وابراهيم على النار وذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على
فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له
قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين
سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة ولا تستعجل لهم لكفار قريش بالعذاب فانه
نازل بهم في وقته لا محالة كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار
استقصروا من هوله مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة بلاغ هذا الذي
وعظتم به او هذه السورة بلاغ اي كفاية او تبليغ من الرسول ويؤيده انه قرئ
بلغ وقيل مبتدا خبره لهم وما بينهما اعتراض اي لهم وقت يبلغون اليه كانهم
اذا بلغوه وراوا ما فيه استقصروا مدة عمرهم وقرئ بالنصب اي بلغوا بلاغا
فهل يهلك الا القوم الفاسقون الخارجون عن الاتعاظ والطاعة وقرئ
بفتح اللام وكسرها من هلك وهلك ونهلك بالنون ونصب القوم عن النبي
عليه السلام من قرا سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله امتنعوا عن الدخول
في الاسلام وسلوك طريقه او منعوا الناس عنه كالمطعمين يوم بدر او شياطين

شياطين قريش او المصرين من اهل الكتاب او عام في جميع من كفر اضل اعمالهم
جعل مكارمهم كصلة الرحم وفك الاسارى وحفظ الجوار ضالة اي ضائعة محبطة بالكفر
او مغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء في اللبن او ضلالا حيث لم يقصدوا به وجه الله
او ابطل ما عملوه من الكيد لرسوله والصد عن سبيله بنصر رسوله واظهار دينه
على الدين كله والذين امنوا وعملوا الصالحات يعم المهاجرين والانصار
والذين امنوا من اهل الكتاب وغيرهم وامنوا بما نزل على محمد تخصيص للمنزل
عليه مما يجب الايمان به تعظيما له واشعارا بان الايمان لا يتم دونه وانه الاصل فيه
ولذلك اكده بقوله وهو الحق من ربهم اعتراضا على طريقة وحقيته بكونه ناسخا
لا ينسخ وقرئ نزل على البناء للفاعل وانزل على البنائين ونزل بالتخفيف
كفر عنهم سيئاتهم سترها بالايمان وعملهم الصالح واصلح بالهم حالهم في الدين
والدنيا بالتوفيق والتاييد ذلك اشارة الى ما مر من الاضلال والتكفير والاصلاح
وهو مبتدا خبره بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا
الحق من ربهم بسبب اتباع هؤلاء الباطل واتباع هؤلاء الحق وهذا تصريح بما
اشعر به ما قبلها ولذلك يسمى تفسيرا كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله
للناس يبين لهم امثالهم احوال الفريقين او احوال الناس او يضرب امثالهم
بان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار والاضلال مثلا لخيبتهم واتباع الحق مثلا
للمؤمنين لعمل المؤمنين وتكفير السيئات مثلا لفوزهم فاذا لقيتم الذين كفروا
في المحاربة فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر
وانيب منابه مضافا الى المفعول ضما الى التاكيد والاختصار والتعبير به عن القتل
اشعار بانه ينبغي ان يكون بضرب الرقبة حيث امكن وتصوير له باشنع صورة حتى
اذا اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الثخين وهو الغليظ فشدوا الوثاق
فاسروهم واحفظوهم والوثاق بالكسر والفتح ما يوثق به فاما منا بعد واما
فداء اي فاما تمنون منا واما تفدون فداء والمراد التخيير بعد الاسر بين المن
والاطلاق وبين اخذ الفداء وهو ثابت عندنا فان الذكر الحر المكلف اذا
اسر تخيير الامام بين القتل والمن والفداء والاسترقاق منسوخ عند الحنفية
او مخصوص بحرب بدر فانهم قالوا يتعين القتل او الاسترقاق وقرئ فدا كعصا
حتى تضع الحرب اوزارها الاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع اي
تنقضي الحرب ولم يبق الا مسلم او مسالم وقيل اثامها والمعنى حتى يضع اهل الحرب
شركهم ومعاصيهم وهو غاية للضرب او الشد او للمن والفداء او للمجموع بمعنى ان هذه
الاحكام جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم وقيل بنزول عيسى
ذلك اي الامر ذلك او افعلوا بهم ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم

باستيصال ولكن ليبلو بعضكم ببعض ولكن امركم بالقتال ليبلو المؤمنين
بالكافرين بان يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بان
يعاجلهم على ايديهم ببعض عذابهم كي يرتدع بعض عن الكفر والذين قاتلوا في
سبيل الله اي جاهدوا وقرأ البصريان وحفص قتلوا اي استشهدوا فلن يضل
اعمالهم فلن يضيعها وقرئ يضل من ضل ويضل على البناء للمفعول سيهديهم الى
الثواب اي سيثبت هدايتهم ويصلح بالهم اي يرضي خصماءهم ويدخلهم الجنة
عرفها لهم وقد عرفها لهم في الدنيا حتى اشتاقوا اليها فعملوا ما استحقوها به او بينها
لهم بحيث يعلم كل احد منزله ويهتدي اليه كانه كان ساكنه مذ خلق او طيبها لهم من
العرف وهو طيب الرائحة او حددها لهم بحيث يكون لكل جنة مفرزة يا ايها
الذين امنوا ان تنصروا الله ان تنصروا دينه ورسوله ينصركم على عدوكم ويثبت
اقدامكم في القيام بحقوق الاسلام والمجاهدة مع الكفار والذين كفروا فتعسا لهم فعثورا و
انحطاطا ونقيضه لعا قال الاعشى فالتعس اولى من ان اقول لها لعا وانتصابه بفعله
الواجب اضماره سماعا والجملة خبر الذين كفروا او مفسرة لناصبه واضل اعمالهم
عطف عليه ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله القران لما فيه من التوحيد والتكاليف
المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم وهو تخصيص وتصريح بسببية الكفر بالقران والاضلال
فاحبط الله اعمالهم كرره اشعارا بانه يلزم الكفر بالقران ولا ينفك عنه بحال افلم
يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم استاصل
عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم وللكافرين من وضع الظاهر موضع المضمر
امثالها امثال تلك العاقبة او العقوبة او الهلكة لان التدمير يدل عليها او السنة
لقوله تعالى سنة الله التي قد خلت ذلك بان الله مولى الذين امنوا ناصرهم على
اعدائهم وان الكافرين لا مولى لهم فيدفع العذاب عنهم وهو لا يخالف قوله وردوا
الى الله مولاهم الحق فان المولى فيه بمعنى المالك ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ينتفعون بمتاع
الدنيا وياكلون كما تاكل الانعام حريصين غافلين عن العاقبة والنار مثوى لهم
منزل ومقام وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك على حذف
المضاف واجراء احكامه على المضاف اليه والاخراج باعتبار التسبب اهلكناهم بانواع
العذاب فلا ناصر لهم يدفع عنهم وهو كالحال المحكية افمن كان على بينة من ربه
حجة من عنده وهو القران او ما يعمه والحجج العقلية كالنبي والمؤمنين كمن زين له
سوء عمله كالشرك والمعاصي واتبعوا اهواءهم في ذلك لا شبهة لهم عليه فضلا عن حجة
مثل الجنة التي وعد المتقون اي فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل مبتدا خبره
كمن هو خالد في النار وتقدير الكلام امثل اهل الجنة كمثل من هو خالد او امثل اهل الجنة

الجنة كمثل جزاء من هو خالد فعري عن حرف الانكار وحذف ما حذف استغناء
بجري مثله تصويرا لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع للهوى بمكابرة
من يسوي بين الجنة والنار وهو على الاول خبر محذوف تقديره افمن هو خالد في هذه
الجنة كمن هو خالد في النار او بدل من قوله كمن زين وما بينهما اعتراض لبيان ما يمتاز
به من على بينة في الاخرة تقريرا لانكار المساواة فيها انهار من ماء غير اسن
استيناف لشرح المثل او حال من العائد المحذوف او خبر لمثل واسن من اسن الماء بالفتح
اذا تغير طعمه وريحه او بالكسر على معنى الحدوث وقرأ ابن كثير اسن وانهار من لبن
لم يتغير طعمه لم يصر قارصا ولا حازرا وانهار من خمر لذة للشاربين لذيذة لا يكون
فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر وخمار تانيث لذ او مصدر نعت به باضمار
او تجوز وقرئ بالرفع على صفة الانهار والنصب على العلة وانهار من عسل مصفى
لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي ذلك تمثيل لما يقوم مقام الاشربة في
الجنة بانواع ما يستلذ منها في الدنيا بالتجريد عما ينقصها وينغصها والتوصيف
بما يوجب غزارتها واستمرارها ولهم فيها من كل الثمرات صنف على هيئة القياس
ومغفرة من ربهم عطف على الصنف المحذوف او مبتدا خبره محذوف اي لهم
مغفرة كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما مكان تلك الاشربة فقطع
امعاءهم من فرط الحرارة ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك
يعني المنافقين كانوا يحضرون مجلس الرسول ويسمعون كلامه فاذا خرجوا قالوا
للذين اوتوا العلم اي لعلماء الصحابة ماذا قال انفا ما الذي قال الساعة استهزاء
او استعلاما اذ لم يلقوا له اذانهم تهاونا به وانفا من قولهم انف الشيء لما تقدم
منه مستعار من الجارحة ومنه استانف وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا
مؤتنفا او حال من الضمير في قال وقرئ انفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم
واتبعوا اهواءهم فلذلك استهزءوا وتهاونوا بكلامه والذين اهتدوا
زادهم هدى اي زادهم الله بالتوفيق والالهام او قول الرسول واتاهم تقواهم
بين لهم ما يتقون به او اعانهم على تقواهم او اعطاهم جزاءها فهل ينظرون
الا الساعة فهل ينتظرون غيرها ان تاتيهم بغتة بدل اشتمال من الساعة
وقوله فقد جاء اشراطها كالعلة له وقرئ ان تاتهم على انه شرط مستانف
جزاؤه فانى لهم اذا جاءتهم والمعنى ان تاتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر اماراتها
كمبعث النبي وانشقاق القمر فكيف لهم ذكراهم اي تذكرهم اذا جاءتهم الساعة
وحينئذ لا يفرغ له ولا ينفع فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك اي
اذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ما انت عليه من العلم
بالوحدانية وتكميل النفس باصلاح احوالها وافعالها وهضمها بالاستغفار لذنبك

وللمؤمنين والمؤمنات ولذنوبهم بالدعاء لهم والتحريض على ما يستدعي غفرانهم
وفي اعادة الجار وحذف المضاف اشعار بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم فانها
جنس آخر فان الذنب ما له تبعة ما بترك الاولى والله يعلم متقلبكم في الدنيا
فانها مراحل لا بد من قطعها ومثواكم في العقبى فانها دار اقامتكم فاتقوا الله
واستغفروه واعدوا للمعاد ويقول الذين امنوا لولا نزلت سورة اي هلا
انزلت سورة في امر الجهاد فاذا انزلت سورة محكمة مبينة لا تشابه فيها
وذكر فيها القتال اي الامر به رايت الذين في قلوبهم مرض ضعف في الدين وقيل
نفاق ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت جبنا ومخافة فاولى لهم
فويل لهم افعل من الولي وهو القرب او فعلى من آل ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه
او يؤول اليه امرهم طاعة وقول معروف استيناف اي امرهم طاعة او طاعة
وقول معروف خير لهم او حكاية قولهم لقراءة ابي يقولون طاعة فاذا عزم الامر
اي جد وهو لاصحاب الامر واسناده اليه مجاز وعامل الظرف محذوف وقيل
فلو صدقوا الله اي فيما زعموا من الحرص على الجهاد او الايمان لكان الصدق خيرا لهم
فهل عسيتم فهل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتأمرتم عليهم او اعرضتم وتوليتم
عن الاسلام ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الولاية وتجاذ
بالها او رجوعا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من التغاور ومقاتلة الاقارب والمعنى انهم
لضعفهم في الدين وحرصهم على الدنيا احقاء بان يتوقع ذلك منهم من عرف حالهم
ويقول لهم هل عسيتم وهذا على لغة الحجاز فان بني تميم لا يلحقون الضمير به وخبره
ان تفسدوا وان توليتم اعتراض وعن يعقوب توليتم اي ان تولاكم ظلمة خرجتم معهم
وساعدتموهم في الافساد وقطيعة الرحم وتقطعوا من القطع وقرئ تقطعوا من التقطع
اولئك اشارة الى المذكورين الذين لعنهم الله لافسادهم وقطعهم الارحام فاصمهم
عن استماع الحق واعمى ابصارهم فلا يهتدون سبيله افلا يتدبرون القرآن
يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصي ام على قلوب اقفالها
لا يصل اليها ذكر ولا ينكشف لها امر وقيل ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وتنكير
القلوب لان المراد قلوب بعض منهم او للاشعار بانها لابهام امرها في القساوة
او لفرط جهالتها ونكرها كانها مبهمة منكورة واضافة الاقفال اليها للدلالة على اقفال
مناسبة لها مختصة بها لا تجانس الاقفال المعهودة وقرئ اقفالها على المصدر
ان الذين ارتدوا على ادبارهم الى ما كانوا عليه من الكفر من بعد ما تبين لهم الهدى
بالدلائل الواضحة والمعجزات الظاهرة الشيطان سول لهم سهل لهم اقتراف الكبائر
من السول وهو الاسترخاء وقيل حملهم على الشهوات من السول وهو التمني وفيه ان
السول مهموز قلب همزته واوا لضم ما قبلها ولا كذلك التسويل ويمكن رده بقولهم

بقولهم هما يتساولان وقرئ سُوّل على تقدير مضاف اي كيد الشيطان
سول لهم واملى لهم ومد لهم في الآمال والاماني او امهلهم الله ولم يعاجلهم بالعقوبة
لقراءة يعقوب واملي لهم اي وانا املي لهم فيكون الواو للحال او الاستيناف وقرا
ابو عمرو واملي على البناء للمفعول وهو ضمير الشيطان او لهم ذلك بانهم قالوا للذين
كرهوا ما نزل الله اي قال اليهود الذين كفروا بالنبي بعد ما تبين لهم نعته للمنافقين
او المنافقون لهم او احد الفريقين للمشركين سنطيعكم في بعض الامر في بعض
اموركم او في بعض ما تامرون به كالقعود عن الجهاد والموافقة في الخروج معهم ان اخرجوا
والتظافر على الرسول والله يعلم اسرارهم ومنها قولهم هذا الذي افشاه الله
عليهم وقرا حمزة والكسائي وحفص اسرارهم على المصدر فكيف اذا توفتهم الملائكة
فكيف يعملون ويحتالون حينئذ وقرئ توفاهم وهو يحتمل الماضي والمضارع المحذوف
احدى تائيه يضربون وجوههم وادبارهم تصوير لتوفيهم بما يخافون منه ويجتنبون
عن القتال له ذلك اي التوفي الموصوف بانهم اتبعوا ما اسخط الله من الكفر وكتمان
نعت الرسول وعصيان الامر وكرهوا رضوانه ما يرضاه من الايمان والجهاد وغيره
من الطاعات فاحبط اعمالهم لذلك ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله
ان لن يبرز الله لرسوله وللمؤمنين اضغانهم احقادهم ولو نشاء لاريناكهم
لعرفناكهم بدلائل بل نعرفهم باعيانهم فلعرفتهم بسيماهم بعلاماتهم التي نسمهم بها واللام
لام الجواب كررت في المعطوف ولتعرفنهم في لحن القول جواب قسم محذوف
ولحن القول اسلوبه او امالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن
لانه يعدل بالكلام عن الصواب والله يعلم اعمالكم فيجازيكم على حسب قصدكم
اذ الاعمال بالنيات ولنبلونكم بالامر بالجهاد وسائر التكاليف الشاقة
حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على مشاقها ونبلوا اخباركم ما يخبر به عن
اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها او اخبارهم عن ايمانهم وموالاتهم المؤمنين في صدقها
وكذبها وقرا ابو بكر الافعال الثلاثة بالياء ليوافق ما قبلها وعن يعقوب ونبلو
بسكون الواو على تقدير ونحن نبلو ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى هم قريظة والنضير او المطعمون يوم بدر
لن يضروا الله شيئا بكفرهم وصدهم او لن يضروا رسول الله بمشاقته وحذف المضاف
لتعظيمه وتفظيع مشاقته وسيحبط اعمالهم ثواب حسنات اعمالهم بذلك او مكايدهم
التي نصبوها في مشاقته فلا يصلون الى مقاصدهم ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم
يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم بما ابطل به هؤلاء
كالكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات
بالكبائر ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم

عام فی کل من مات علی کفره وان صح نزوله فی اصحاب القلیب ویدل بمفهومه علی انه قد یغفر
لمن لم یمت علی کفره سایر ذنوبه فلا تهنوا فلا تضعفوا وتدعوا الی السلم ولا تدعوا الی
الی الصلح خورا وتذللا ویجوز نصبه باضمار ان وقری ولا تدعوا من ادعی بمعنی دعا وقرأ ابو بکر
وحمزة بکسر السین وانتم الاعلون الاغلبون والله معکم ناصرکم ولن یترکم اعمالکم
ولن یضیع اعمالکم من وترت الرجل اذا قتلت متعلقا له من قریب او حمیم فافردته عنه من الوتر شبه
تعطیل ثواب العمل وافراده منه انما الحیوة الدنیا لعب ولهو لا ثبات لها وان تؤمنوا
وتتقوا یؤتکم اجورکم ثواب ایمانکم وتقویکم ولا یسئلکم اموالکم جمیع اموالکم بل یقتصر
علی جزء یسیر کربع العشر وعشره ان یسئلکموها فیحفکم فیجهدکم بطلب الکل والاحفاء
والالحاف المبالغة وبلوغ الغایة یقال احفی شاربه اذا استاصله تبخلوا فلا تعطوا
ویخرج اضغانکم ویضغنکم علی رسول الله والضمیر فی یخرج لله تعالی ویؤیده القراءة بالنون
او البخل لانه سبب الاضغان وقری تخرج بالتاء والیاء ورفع اضغانکم ها انتم هؤلاء
ای انتم یا مخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تدعون لتنفقوا فی سبیل الله استیناف
مقرر لذلک او صلة لهؤلاء علی انه بمعنی الذین وهو یعم نفقة الغزو والزکوة وغیرهما
فمنکم من یبخل ناس یبخلون وهو کالدلیل علی الایة المتقدمة ومن یبخل فانما یبخل عن
نفسه فان نفع الانفاق وضر البخل عایدان الیه والبخل یعدی بعن وعلی لتضمنه معنی
الامساک والتعدی فانه امساک عن مستحق والله الغنی وانتم الفقراء فما یامرکم به
فهو لاحتیاجکم فان امتثلتم فلکم وان تولیتم فعلیکم وان تتولوا عطف علی وان تؤمنوا
یستبدل قوما غیرکم یقم مقامکم قوما اخرین ثم لا یکونوا امثالکم فی التولی والزهد
فی الایمان وهم الفرس لانه سئل علیه السلام عنه وکان سلمان الی جنبه فضرب فخذه وقال هذا
وقومه او الانصار او الیمن او الملائکة عن النبی من قرأ سورة محمد کان حقا علی الله ان یسقیه من انهار الجنة

بسم الله الرحمن الرحیم انا فتحنا لک فتحا مبینا وعد بفتح مکة والتعبیر عنه بالماضی لتحققه او بما
اتفق له فی تلک السنة کفتح خیبر وفدک او اخبار عن صلح الحدیبیة وانما سماه فتحا لانه کان
بعد ظهوره علی المشرکین حتی سألوا الصلح وتسبب لفتح مکة وفرغ به رسول الله لسایر
العرب فغزاهم وفتح مواضع وادخل فی الاسلام خلقا عظیما وظهر له فی الحدیبیة ایة عظیمة
وهی انه نزح ماؤها بالکلیة فتمضمض ثم مجه فیها فدرت بالماء حتی شرب جمیع من کان معه
او فتح الروم فانهم غلبوا علی الفرس فی تلک السنة وقد عرف کونه فتحا للرسول فی سورة
الروم وقیل الفتح بمعنی القضاء ای قضینا لک ان تدخل مکة من قابل لیغفر لک الله
علة للفتح من حیث انه مسبب عن جهاد الکفار والسعی فی اعلاء الدین وازاحة الشرک
وتکمیل النفوس الناقصة قهرا لیصیر ذلک بالتدریج اختیارا وتخلیص الضعفة عن ایدی الظلمة
ما تقدم من ذنبک وما تاخر جمیع ما فرط منک مما یصح ان یعاقب علیه ویتم نعمته

ویتم نعمته علیک باعلاء الدین وضم الملک الی النبوة ویهدیک صراطا مستقیما
فی تبلیغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة وینصرک الله نصرا عزیزا نصرا فیه عز ومنعة
ویجوز ان یکون وصف بوصف المنصور مبالغة هو الذی انزل السکینة الثبات والطمانینة
فی قلوب المؤمنین حتی یثبتوا حیث تقلق النفوس وتدحض الاقدام لیزدادوا
ایمانا مع ایمانهم یقینا مع یقینهم برسوخ العقیدة واطمئنان النفس علیها او انزل فیها
السکون الی ما جاء به الرسول لیزدادوا ایمانا بالشرایع مع ایمانهم بالله والیوم الاخر
ولله جنود السموات والارض امرها فیسلط بعضها علی بعض تارة ویوقع فیما بینهم
السلم اخری کما یقتضیه حکمته وکان الله علیما بالمصالح حکیما فیما یقدر ویدبر لیدخل
المؤمنین والمؤمنات جنات تجری من تحتها الانهار خالدین فیها علة لما بعده والما دل
علیه قوله ولله جنود السموات والارض من معنی التدبیر ای دبر ما دبر من تسلیط المؤمنین
لیعرفوا نعمة الله فیه ویشکروها فیدخلوا الجنة ویعذب الکفار والمنافقین لما غاظهم من ذلک
او فتحنا او انزل او جمیع ما ذکر او لیزدادوا وقیل انه بدل منه بدل الاشتمال ویکفر
عنهم سیأتهم یغطیها ولا یظهرها وکان ذلک ای الادخال والتکفیر عند الله فوزا عظیما
لانه منتهی ما یطلب من جلب نفع او دفع ضر وعند حال من الفوز ویعذب المنافقین والمنافقات
والمشرکین والمشرکات عطف علی لیدخل الا اذا جعلته بدلا فیکون عطفا علی المبدل
منه الظانین بالله ظن السوء ظن الامر السوء وهو ان لا ینصر رسوله والمؤمنین علیهم
دائرة السوء دائرة ما یظنونه ویتربصونه بالمؤمنین لا یتخطاهم وقرأ ابن کثیر وابو عمرو
دائرة السوء بالضم وهما لغتان غیر ان المفتوح غلب فی ان یضاف الیه ما یراد ذمه و
المضموم جری مجری الشر وکلاهما فی الاصل مصدر وغضب الله علیهم ولعنهم واعد لهم جهنم
عطف لما استحقوه فی الاخرة علی ما استوجبوه فی الدنیا والواو فی الاخرین والموضع
موضع الفاء اذ اللعن سبب للاعداد والغضب سبب له لاستقلال الکل فی الوعید بلا
اعتبار السببیة وساءت مصیرا جهنم ولله جنود السموات والارض وکان الله
عزیزا حکیما انا ارسلناک شاهدا علی امتک ومبشرا ونذیرا علی الطاعة والمعصیة
لیؤمنوا بالله ورسوله الخطاب للنبی والامة او لهم علی ان خطابه منزل منزلة خطابهم
وتعزروه وتقووه بتقویة دینه ورسوله وتوقروه وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه
او تصلوا له بکرة واصیلا غدوة وعشیا او دائما وقرأ ابن کثیر وابو عمرو الافعال الاربعة
بالیاء وقری تعزروه بسکون العین وتعزروه بفتح التاء وضم الزای وکسرها وتعززوه
وتوقروه من اوقره بمعنی وقره ان الذین یبایعونک انما یبایعون الله لانه المقصود
ببیعته ید الله فوق ایدیهم حال او استیناف مؤکد له علی سبیل التخییل فمن نکث
نقض العهد فانما ینکث علی نفسه فلا یعود ضرر نکثه الا علیه ومن اوفی بما عاهد علیه الله
وفی فی مبایعته فسیؤتیه اجرا عظیما هو الجنة وقری عهد وقرأ حفص علیه بضم الهاء

وابن كثير ونافع وابن عامر وروح فسنؤتيه بالنون والآية نزلت في بيعة الرضوان
سيقول لك المخلفون من الاعراب هم اسلم وجهينة ومزينة وغفار استنفرهم رسول
الله عام الحديبية فتخلفوا واعتلوا بالشغل باموالهم واهليهم وانما خلفهم الخذلان وضعف
العقيدة والخوف عن مقاتلة قريش ان صدوهم شغلتنا اموالنا واهلونا اذ لم
يكن لنا من يقوم باشغالهم وقرئ بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا من الله على التخلف
يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم في الاعتذار والاستغفار قل
فمن يملك لكم من الله شيئا فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه ان اراد بكم ضرا ما يضركم
كقتل وهزيمة وخلل في المال والاهل وعقوبة على التخلف وقرأ حمزة والكسائي بالضم
او اراد بكم نفعا ما يضاد ذلك وهو تعريض بالرد بل كان الله بما تعملون خبيرا
فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا
لظنهم ان المشركين يستأصلونهم واهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات
على ان اصله اهلة واما اهال فاسم جمع كليال وزين ذلك في قلوبكم فتمكن فيها
وقرئ على البناء للفاعل وهو الله او الشيطان وظننتم ظن السوء الظن المذكور
والمراد التسجيل عليه بالسوء او هو وسائر ما يظنون بالله ورسوله من الامور الزائغة
وكنتم قوما بورا هالكين عند الله لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم ومن لم يؤمن بالله
ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا وضع الكافرين موضع الضمير ايذانا بان من
لم يجمع بين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا
للتهويل او لانها نار مخصوصة ولله ملك السموات والارض يدبره كيف يشاء يغفر
لمن يشاء ويعذب من يشاء اذ لا وجوب عليه وكان الله غفورا رحيما فان الغفران
والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض ولذلك جاء في الحديث الا
لاهي سبقت رحمتي غضبي سيقول المخلفون يعني المذكورين اذا انطلقتم الى مغانم
لتأخذوها يعني مغانم خيبر فانه عليه السلام رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست
واقام بالمدينة بقيتها واوائل المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة
فخصها بهم ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله ان يغيروه وهو وعده لاهل
الحديبية ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر وقيل قوله لن تخرجوا معي ابدا والظاهر
انه في تبوك والكلام اسم للتكليم غلب في الجملة المفيدة وقرأ حمزة والكسائي كلم الله وهو
جمع كلمة قل لن تتبعونا نفي في معنى النهي كذلكم قال الله من قبل تهيؤهم
للخروج الى خيبر فسيقولون بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنائم وقرئ بالكسر
بل كانوا لا يفقهون لا يفهمون الا قليلا الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا ومعنى
الاضراب الاول رد منهم ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني رد
من الله لذلك واثبات لجهلهم بامور الدين قل للمخلفين من الاعراب كرر ذكرهم بهذا

بهذا الاسم مبالغة في الذم واشعارا بشناعة التخلف ستدعون الى قوم اولي باس شديد
بني حنيفة او غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله او المشركين فانه قال تقاتلونهم او يسلمون
اي يكون احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام لا غير كما دل عليه قراءة او يسلموا ومن عداهم يقاتل
حتى يسلم او يعطي الجزية وهو يدل على امامة ابي بكر اذ لم يتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم
ثقيف وهوازن فان ذلك كان في عهد النبوة وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون
ينقادون ليتناول تقبلهم الجزية فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة في الدنيا
والجنة في الآخرة وان تتولوا كما توليتم من قبل عن الحديبية يعذبكم عذابا اليما
لتضاعف جرمكم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج لما اوعد
على التخلف نفى الحرج عن هؤلاء المعذورين استثناء لهم عن الوعيد ومن يطع الله
ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار فصل الوعد واجمل الوعيد مبالغة في
الوعد لسبق رحمته ثم جبر ذلك بالتكرير على سبيل التعميم فقال ومن يتول يعذبه
عذابا اليما اذ الترهيب ههنا انفع من الترغيب وقرأ نافع وابن عامر ندخله ونعذبه
بالنون لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة روي انه عليه السلام
لما نزل الحديبية بعث جواس بن امية الخزاعي الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع
فبعث عثمان بن عفان فحبسوه فارجف بقتله فدعا رسول الله عم اصحابه وكانوا
الفا وثلثمائة او اربعمائة او خمسمائة وبايعهم على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا عنهم وكان
جالسا تحت سمرة او سدرة فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص فانزل السكينة عليهم
الطمأنينة وسكون النفس بالتشجيع او الصلح واثابهم فتحا قريبا فتح خيبر غب انصرافهم وقيل
مكة او هجر ومغانم كثيرة يأخذونها يعني مغانم خيبر وكان الله عزيزا حكيما غالبا مراعيا مقتضى
الحكمة وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها وهي ما يفي على المؤمنين الى يوم القيمة فعجل لكم هذه
يعني مغانم خيبر وكف ايدي الناس عنكم يعني ايدي اهل خيبر وحلفائهم من بني اسد
وغطفان او ايدي قريش بالصلح ولتكون هذه الكفة او الغنيمة آية للمؤمنين امارة
يعرفون بها انهم من الله بمكان او صدق الرسول في وعدهم فتح خيبر في حين رجوعه
عن الحديبية او وعد المغانم او عنوانا لفتح مكة والعطف على محذوف هو علة لكف
او عجل مثل لتسلموا او لتأخذوا او علة لمحذوف مثل فعل ذلك ويهديكم صراطا مستقيما
هو الثقة بفضل الله والتوكل عليه واخرى ومغانم اخرى معطوفة على هذه او منصوبة
بفعل يفسره قد احاط الله بها مثل قضى ويحتمل رفعها بالابتداء لانها موصوفة وجرها باضمار
رب لم تقدروا عليها بعد لما كان فيها من الجولة قد احاط الله بها استولى فاظفركم
بها وهي مغانم هوازن او فارس وكان الله على كل شيء قديرا لان قدرته ذاتية
لا تختص بشيء دون شيء ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة ولم يصالحوا لولوا الادبار
لانهزموا ثم لا يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التي قد خلت من قبل

اى سن غلبة انبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم كما قال لاغلبن انا ورسلى ولن
تجد لسنة الله تبديلا تغييرا وهو الذى كف ايديهم عنكم ايدى كفار مكة وايديكم عنهم ببطن
مكة فى داخل مكة من بعد ان اظفركم عليهم اظهركم عليهم وذلك ان عكرمة بن ابى جهل
خرج فى خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى ادخلهم
حيطان مكة ثم عاد وقيل كان ذلك يوم الفتح واستشهد به على ان مكة فتحت عنوة وهو
ضعيف اذ السورة نزلت قبله وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم اولا طاعة لرسوله
وكفهم ثانيا لتعظيم بيته وقرا ابو عمرو بالياء بصيرا فيجازيهم عليه هم الذين كفروا وصدوكم
عن المسجد الحرام والهدى معكوفا ان يبلغ محله يدل على ان ذلك كان عام الحديبية والهدى ما يهدى
الى مكة وقرئ الهدى وهو فعيل بمعنى مفعول ومحله مكانه الذى يحل فيه نحره والمراد
مكانه المعهود وهو منى لا مكانه الذى لا يجوز ان ينحر فى غيره والا لما نحره الرسول عم
حيث احصر فلا ينتهض حجة للحنفية على ان مذبح هدى المحصر هو الحرم ولولا رجال
مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم بالمشركين
ان تطؤهم ان توقعوا بهم وتبيدوهم قال و وطئتنا وطأ على حنق وطء المقيد نابت
الهرم وقال عم ان اخر وطأة وطئها الله بوج وهو واد بطائف كان اخر وقعة
النبي بها وهو بدل اشتمال من رجال ونساء او من ضميرهم فى تعلموهم فتصيبكم منهم
من جهتهم معرة مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار
بذلك والاثم بالتقصير فى البحث عنهم مفعلة من عره اذا عراه ما يكرهه بغير علم متعلق
بان تطؤهم اى تطؤهم غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى
لولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين اظهر الكافرين جاهلين بهم فيصيبكم باهلاكهم
مكروه لما كف ايديكم عنهم ليدخل الله فى رحمته علة لما دل عليه كف الايدى عن اهل
مكة صونا لمن فيها من المؤمنين اى كان ذلك ليدخل الله فى رحمته اى فى توفيقه
لزيادة الخير او للاسلام من يشاء من مؤمنيهم او مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز
بعضهم من بعض وقرئ تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما بالقتل والسبى
اذ جعل الذين كفروا مقدر باذكر او ظرف لعذبنا او صدوكم فى قلوبهم الحمية الانفة
حمية الجاهلية التى تمنع اذعان الحق فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين
فانزل عليهم الوقار والثبات وذلك ما روى انه عم لما هم بقتالهم بعثوا سهيل بن
عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص ليسالوه ان يرجع من عامه على ان يخلى
له قريش مكة من القابل ثلثة ايام فاجابهم وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلى
اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب
هذا ما صالح عليه رسول الله اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك
عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال عليه السلام

السلام اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يأبوا ذلك ويبطشوا عليهم فانزل
الله السكينة عليهم فتوقروا وتحلموا والزمهم كلمة التقوى كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم
ومحمد رسول الله اختارها لهم او الثبات والوفاء بالعهد واضافة الكلمة الى التقوى
لانها سببها او كلمة اهلها وكانوا احق بها من غيرهم واهلها والمستاهل لها وكان
الله بكل شئ عليما فيعلم اهل كل شئ وييسره له لقد صدق الله رسوله الرؤيا راى
عليه السلام انه واصحابه دخلوا مكة امنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه
ففرحوا وحسبوا ان ذلك يكون فى عامهم فلما تأخر قال بعضهم والله ما حلقنا ولا قصرنا
ولا راينا البيت فنزلت والمعنى صدقه فى رؤياه بالحق ملتبسا به فان ما راه الله
كائن لا محالة فى وقته المقدر له وهو العام القابل ويجوز ان يكون بالحق صفة مصدر محذوف
اى صدقا ملتبسا بالحق وهو القصد الى التمييز بين الثابت على الايمان والمتزلزل فيه
وان يكون قسما اما باسم الله تعالى او بنقيض الباطل وقوله لتدخلن المسجد الحرام
جوابه وعلى الاولين جواب قسم محذوف ان شاء الله تعليق للعدة بالمشية
تعليما للعباد واشعارا بان بعضهم لا يدخل لموت او غيبة او حكاية لما قاله ملك الرؤيا
او النبي لاصحابه امنين حال من الواو والشرط معترض محلقين رؤسكم ومقصرين
اى محلقا بعضكم ومقصرا اخرون لا تخافون حال مؤكدة او استيناف اى لا تخافون
بعد ذلك فعلم ما لم تعلموا من الحكمة فى تأخير ذلك فجعل من دون ذلك من دون
دخولكم المسجد او فتح مكة فتحا قريبا هو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر
الموعود هو الذى ارسل رسوله بالهدى ملتبسا به او بسببه ولاجله ودين الحق
وبدين الاسلام ليظهره على الدين كله ليغلبه على جنس الدين كله بنسخ ما كان حقا واظهار
فساد ما كان باطلا او بتسليط المسلمين على اهله اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون
وفيه تأكيد لما وعده من الفتح وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن او على نبوته
باظهار المعجزات محمد رسول الله جملة مبينة للمشهود به ويجوز ان يكون رسول الله
صفة ومحمد خبر محذوف او مبتدا والذين معه معطوف وخبرهما اشداء على الكفار
رحماء بينهم واشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يغلظون على من خالف
دينهم ويتراحمون فيما بينهم كقوله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين تريهم ركعا
سجدا لانهم مشتغلون بالصلوة فى اكثر اوقاتهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا
الثواب والرضا سيماهم فى وجوههم من اثر السجود يريد السمة التى تحدث فى جباههم من
كثرة السجود فعلى من سامه اذا اعلمه وقد قرئت ممدودة ومن اثر السجود بيانها او
حال من المستكن فى الجار ذلك اشارة الى الوصف المذكور او اشارة مبهمة يفسرها
كزرع مثلهم فى التورية صفتهم العجيبة الشان المذكورة فيها ومثلهم فى الانجيل
عطف عليه اى ذلك مثلهم فى الكتابين وقوله كزرع تمثيل مستانف او تفسير او

ومثلهم في الانجيل مبتدا او كزرع خبره اخرج شطأه فراخه يقال اشطأ الزرع اذا
فرخ وقرأ ابن كثير وابن عامر برواية ابن ذكوان شطأه بفتحات وهو لغة فيه وقرئ
شطاءه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بنقل حركة الهمزة وحذفها وشطوه بقلبها
واوا فآزره فقواه من الموازرة بمعنى المعاونة او من الايزار وهي الاعانة وقرأ ابن عامر
برواية ابن ذكوان فأزره كأجر في آجر فاستغلظ فصار من الدقة الى الغلظة فاستوى
على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق وعن ابن كثير سؤقه بالهمزة يعجب الزراع
بكثافته وقوته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله للصحابة قلوا في بدء الاسلام
ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم بحيث اعجب الناس ليغيظ بهم الكفار علة لتشبيههم
بالزرع في زكائه واستحكامه او لقوله وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة
واجرا عظيما فان الكفار لما سمعوه غاظهم ذلك ومنهم للبيان عن النبي عليه السلام
من قرأ سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع رسول الله فتح مكة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا لا تقدموا اي لا تقدموا امرا فحذف المفعول ليذهب الوهم الى
كل ما يمكن او ترك لان المقصود نفي التقديم راسا او لا تتقدموا ومنه مقدمة الجيش
لمتقدمهم ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم بين يدي
الله ورسوله مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدي الانسان تهجينا لما نهوا
عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدي رسول الله وذكر الله
تعظيم له واشعار بانه من الله بمكان يوجب اجلاله واتقوا الله في التقديم او مخالفة الحكم
ان الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت
النبي اي اذا كلمتموه فلا تجاوزوا اصواتكم عن صوته ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم
لبعض ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته محاماة على الترحيب
ومراعاة للادب وقيل معناه ولا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضا وخاطبوه
بالنبي والرسول وتكرير النداء لاستدعاء مزيد الاستبصار والمبالغة في الاتعاظ والدلالة
على استقلال المنادى له وزيادة الاهتمام به ان تحبط اعمالكم كراهة ان تحبط فيكون علة
للنهي او لان تحبط على ان النهي عن الفعل المعلل باعتبار التادية لان في الجهر والرفع استخفافا
قد يؤدي الى الكفر المحبط وذلك اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة وقد روي ان ثابت
بن قيس كان في اذنه وقر وكان جهوريا فلما نزلت تخلف عن رسول الله فتفقده
ودعاه فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الاية واني رجل جهير الصوت
فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال عم لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من
اهل الجنة وانتم لا تشعرون انها محبطة ان الذين يغضون اصواتهم يخفضونها عند
رسول الله مراعاة للادب او مخافة عن مخالفة النهي قيل كان ابو بكر وعمر بعد ذلك

ذلك كاتب سره حتى يستفهمها اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى
جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب
المعرفة واللام صلة محذوف او للفعل باعتبار الاصل او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن
والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها للتقوى
من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه لهم مغفرة لذنوبهم واجر عظيم
لغضهم وسائر طاعاتهم والتنكير للتعظيم والجملة خبر ثان لان او استئناف لبيان
ما هو جزاء الغاضين احمادا لحالهم كما اخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين والمبتدأ اسم
الاشارة المتضمن لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول بصلة ولنفي على بلوغهم اقصى الكمال
مبالغة في الاعتداد بغضهم والارتضاء له وتعريضا لشناعة الرفع والجهر وان حال
المرتكب لهما على خلاف ذلك ان الذين ينادونك من وراء الحجرات من خارجها
خلفها او قدامها ومن ابتدائية فان المناداة نشأت من جهة الوراء وفائدتها الدلالة
على ان المنادي داخل الحجرة اذ لابد وان يختلف المبدأ والمنتهى بالجهة وقرئ الحجرات
بفتح الجيم وسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهي القطعة من الارض المحجورة بحائط ولذلك
يقال لحظيرة الابل حجرة وهي فعلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد حجرات نساء النبي
وكناية عن خلوته بالنساء ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه من
ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له فاسند فعل الابعاض الى الكل وقيل
ان الذي ناداه عيينة بن حصين والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله في سبعين
رجلا من بني تميم وقت الظهر وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا وانما اسند الى جميعهم
لانهم رضوا بذلك او امروا به او لانه وجد فيما بينهم اكثرهم لا يعقلون اذ العقل يقتضي
حسن الادب ومراعاة الحشمة سيما لمن كان بهذا المنصب ولو انهم صبروا حتى تخرج
اليهم اي ولو ثبت صبرهم وانتظارهم حتى تخرج اليهم فان ان وان دلت بما في حيزها
على المصدر دلت بنفسها على الثبوت ولذلك وجب اضمار الفعل وحتى تفيد ان
الصبر ينبغي ان يكون مغيا بخروجه فان حتى مختصة بغاية الشيء في نفسه ولذلك تقول
اكلت السمكة حتى راسها ولا تقول حتى نصفها بخلاف الى فانها عامة وفي اليهم اشعار
بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم لكان خيرا لهم
لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء
والثواب والاسعاف بالسؤال اذ روي انهم وفدوا شافعين في اسارى بني العنبر
فاطلق النصف وفادى النصف والله غفور رحيم حيث اقتصر على النصح والتقريع لهؤلاء
المسيئين الادب التاركين تعظيم الرسول يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ
فتبينوا فتعرفوا وتفحصوا روي انه عليه السلام بعث وليد بن عقبة مصدقا الى بني المصطلق
وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله

فقد ارتدوا ومنعوا الزكوة فهم بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد
فوجدهم منادين بالصلوة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وتنكير الفاسق والنبأ
للتعميم وفي تعليق الامر بالتبين على فسق المخبر يقتضي جواز قبول خبر العدل من حيث ان
المعلق على شئ بكلمة ان عدم عند عدمه وان خبر الواحد لو وجب تبينه من حيث هو
كذلك لما رتبه على الفسق اذ الترتيب يفيد التعليل وما بالذات لا يعلل بالغير وقرأ
حمزة والكسائي فتثبتوا اي فتوقفوا الى ان يتبين لكم الحال ان تصيبوا كراهة ان تصيبوا
قوما بجهالة جاهلين بحالهم فتصبحوا فتصيروا على ما فعلتم نادمين مغتمين غما لازما
متمنين انه لم يقع وتركيب هذه الاحرف الثلثة دائرة مع الدوام واعلموا ان فيكم
رسول الله ان بما في حيزه ساد مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما قيد به من الحال وهو قوله
لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم فانه حال من احد ضميري فيكم ولو جعل استينافا لم
يظهر للامر فائدة والمعنى ان فيكم رسول الله على حال يجب تغييرها وهي انكم تريدون ان
يتبع رايكم في الحوادث ولو فعل ذلك لعنتم اي لوقعتم في الجهد من العنت وفيه اشعار
بان بعضهم اشار اليه بالايقاع ببني المصطلق وقوله ولكن الله حبب اليكم الايمان
وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان استدراك ببيان عذرهم
وهو انهم من فرط حبهم الايمان وكراهتهم الكفر حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد
او بصفة من لم يفعل ذلك منهم احمادا لفعلهم وتعريضا بذم من فعل ويؤيده قوله اولئك
هم الراشدون اي اولئك المستثنون هم الذين اصابوا الطريق السوي وكره
يتعدى بنفسه الى مفعول واحد فاذا شدد زاد له اخر لكنه لما تضمن معنى التبغيض
نزل اليكم منزلة مفعول اخر والكفر تغطية نعم الله بالجحود والفسوق الخروج عن
القصد والعصيان الامتناع عن الانقياد فضلا من الله ونعمة تعليل لكره او
حبب وما بينهما اعتراض لا للراشدون فان الفضل فعل الله والرشد وان كان
مسببا من فعله مسند الى ضميرهم او مصدر لغير فعله فان التحبيب والرشد فضل
من الله وانعامه والله عليم باحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل حكيم حين
يفضل وينعم بالتوفيق عليهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا تقاتلوا والجمع
باعتبار المعنى فان كل طائفة جمع فاصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله فان
بغت احديهما على الاخرى تعدت عليها فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله ترجع
الى حكمه وما امر به وانما اطلق الفيء على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس والغنيمة لرجوعها
من الكفار الى المسلمين فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما على ما حكم
الله وتقييد الاصلاح بالعدل ههنا لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد المقاتلة
واقسطوا واعدلوا في كل الامور ان الله يحب المقسطين يحمد فعلهم بحسن الجزاء والاية
نزلت في قتال حدث بين الاوس والخزرج في عهده عليه السلام بالسعف والنعال

والنعال وهي تدل على ان الباغي مؤمن وانه اذا قبض عن الحرب ترك كما جاء
في الحديث لانه فيء الى امر الله وانه يجب معاونة من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي
في المصالحة انما المؤمنون اخوة من حيث انهم منتسبون الى اصل واحد هو الايمان
الموجب للحيوة الابدية وهو تعليل وتقرير للامر بالاصلاح ولذلك كرره مرتبا عليه
بالفاء فقال فاصلحوا بين اخويكم ووضع الظاهر موضع الضمير مضافا الى المامورين
للمبالغة في التقرير والتحضيض وخص الاثنين بالذكر لانهما اقل من يقع بينهم الشقاق
وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم واتقوا الله
في مخالفة حكمه والاهمال فيه لعلكم ترحمون على تقواكم يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم
من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن
اي لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض اذ قد يكون المسخور منه خيرا عند الله
من الساخر والقوم مختص بالرجال لانه اما مصدر نعت به فشاع في الجملة او جمع لقائم
كزائر وزور والقيام بالامور وظيفة الرجال كما قال الله تعالى الرجال قوامون على
النساء وحيث فسر بالقبيلتين كقوم عاد وفرعون فاما على التغليب او الاكتفاء
بذكر الرجال عن ذكرهن لانهن توابع واختيار الجمع لان السخرية تغلب في المجامع وعسى
باسمها استيناف بالعلة الموجبة للنهي ولا خبر لها لاغناء الاسم عنه وقرئ عسوا ان يكونوا
وعسين ان يكن فهي على هذا ذات خبر ولا تلمزوا انفسكم اي ولا يعب بعضكم بعضا
فان المؤمنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما استحق به اللمز
فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرأ يعقوب بالضم ولا تنابزوا بالالقاب
ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز مختص بلقب السوء بئس الاسم
الفسوق بعد الايمان اي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسق بعد دخولهم الايمان واشتهارهم به
والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسوق الى المؤمنين خصوصا اذ روي ان الاية نزلت في صفية
بنت حيي اتت رسول الله فقالت ان النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال
لها هلا قلت ان ابي هرون وعمي موسى وزوجي محمد او الدلالة على ان التنابز فسق والجمع
بينه وبين الايمان مستقبح ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك هم الظالمون بوضع
العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا
من الظن كونوا على جانب منه وابهام الكثير ليحتاط في كل ظن ويتامل حتى يعلم انه من
اي القبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن
الظن بالله وما يحرم كالظن في الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء
بالمؤمنين وما يباح كالظن في الامور المعاشية ان بعض الظن اثم تعليل مستانف للامر
والاثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليها والهمزة فيه من الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها
ولا تجسسوا ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار ما فيه من معنى

الطلب كالتلمس وقرئ بالحاء من الحس الذي هو اثر الجس وغايته ولذلك قيل للحواس
وفي الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه
ولو في جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل عنه عليه السلام
عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد
بهته ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على
افحش وجه مع مبالغات الاستفهام المقرر واسناد الفعل الى احد للتعميم وتعليق المحبة
بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل الماكول اخا وميتا
وتعقيب ذلك بقوله فكرهتموه تقريرا وتحقيقا لذلك والمعنى ان صح ذلك او عرض
عليكم هذا فقد كرهتموه ولا يمكنكم انكار كراهته وانتصاب ميتا على الحال من اللحم او الاخ
شدده نافع واتقوا الله ان الله تواب رحيم لمن اتقى ما نهى عنه وتاب مما فرط
منه والمبالغة في التواب لانه بليغ في قبول التوبة اذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب او
لكثرة المتوب عليهم او لكثرة ذنوبهم روي ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول
الله يبتغي لهما اداما وكان اسامة على طعامه فقال ما عندي شيء فاخبرهما سلمان
فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله قال لهما مالي ارى خضرة
اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا
خلقناكم من ذكر وانثى من آدم وحواء او خلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل سواء
في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون تقريرا للاخوة المانعة للاغتياب
وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل
والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع
الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ وعباس
فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم
بعضا لا للتفاخر بالآباء والقبائل وقرئ لتعارفوا بالادغام ولتتعارفوا ولتعرفوا
ان اكرمكم عند الله اتقاكم فان التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل الاشخاص فمن
اراد شرفا فليلتمس منها قال عليه السلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله
وقال يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين
على الله ان الله عليم بكم خبير ببواطنكم قالت الاعراب آمنا نزلت في نفر من
بني اسد قدموا المدينة في سنة جدبة فاظهروا الشهادتين وكانوا يقولون
لرسول الله اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان
يريدون الصدقة ويمنون قل لم تؤمنوا اذ الايمان تصديق مع ثقة وطمانينة
قلب ولم يحصل لكم والا لما مننتم على الرسول بالاسلام وترك المقاتلة كما دل عليه
آخر السورة ولكن قولوا اسلمنا فان الاسلام انقياد ودخول في السلم واظهار

واظهار الشهادة وترك المحاربة يشعر به فكان نظم الكلام ان يقول لا تقولوا آمنا
ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم فعدل منه الى هذا النظم احترازا عن
النهي عن القول بالايمان والجزم باسلامهم وقد فقد شرط اعتباره شرعا ولما يدخل
الايمان في قلوبكم توقيت لقولوا فانه حال من ضميره اي ولكن قولوا اسلمنا
ولم يواطئ قلوبكم السنتكم بعد وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص وترك
النفاق لا يلتكم من اعمالكم لا ينقصكم من اجورها شيئا من لات ليتا اذا نقص
وقرا البصريان لا يالتكم من الالت وهو لغة غطفان ان الله غفور لما فرط من
المطيعين رحيم بالتفضل عليهم انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم
يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة وفيه اشارة
الى ما اوجب نفي الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب في اعتبار
الايمان ليس حال الايمان فقط بل وفيما يستقبل فهي كما في قوله ثم استقاموا
وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله في طاعته والمجاهدة بالاموال والانفس
تصلح للعبادات المالية والبدنية باسرها اولئك هم الصادقون الذين صدقوا
في ادعاء الايمان قل اتعلمون الله بدينكم اتخبرونه به بقولكم آمنا والله يعلم ما في
السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ
روي انه لما نزلت الاية المتقدمة جاؤوا وحلفوا انهم المؤمنون معتقدون فنزلت هذه
يمنون عليك ان اسلموا يعدون اسلامهم عليك منة وهي النعمة التي لا يستثيب
موليها ممن يبذلها اليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة
من المن قل لا تمنوا علي اسلامكم اي باسلامكم فنصب بنزع الخافض او تضمين الفعل
معنى الاعتداد بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان على ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم
الاهتداء وقرئ ان هداكم بالكسر واذ هداكم ان كنتم صادقين في ادعاء الايمان
وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اي فلله المنة عليكم وفي سياق الاية لطف وهو
انهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفى انه ايمان وسماه اسلاما بان قال يمنون
عليك بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير ان يمن عليك بل لو صح ادعاؤهم للايمان
فلله المنة عليهم بالهداية له لا لهم ان الله يعلم غيب السموات والارض ما غاب فيهما
والله بصير بما تعملون في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى ما في ضمائركم وقرا ابن كثير بالياء لما
في الاية من الغيبة عن النبي عليه السلام من قرا سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه

بسم الله الرحمن الرحيم ق والقرآن

المجيد الكلام فيه كما مر في ص والقرآن ذي الذكر والمجيد ذو المجد والشرف على سائر الكتب
او لانه كلام المجيد او لان من علم معانيه وامتثل احكامه مجد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم
انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم احد من جنسهم او من ابناء جلدتهم فقال

فقال الكافرون هذا شيء عجيب حكاية لتعجبهم وهذا اشارة الى اختيار الله محمدا للرسالة
واضمار ذكرهم ثم اظهاره للاشعار بتعنتهم بهذا المقال ثم التسجيل على كفرهم بذلك او
عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة والمبالغة فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم وحكاية
تعجبهم مبهما ان كانت الاشارة الى مبهم يفسره ما بعده او مجملا ان كانت الاشارة الى محذوف
دل عليه منذر ثم تفسيره او تفصيله لانه ادخل في الانكار اذ الاول استبعاد لان
يفضل عليهم مثلهم والثاني استقصار لقدرة الله عما هو اهون مما يشاهدون من صنعه
ائذا متنا وكنا ترابا اي انرجع اذا متنا وصرنا ترابا ويدل على المحذوف قوله ذلك
رجع بعيد اي بعيد عن الوهم او العادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع
قد علمنا ما تنقص الارض منهم ما تاكل من اجسادهم بعد موتهم وهو رد لاستبعادهم بازاحة
ما هو الاصل فيه وقيل انه جواب القسم واللام محذوف لطول الكلام وعندنا كتاب
حفيظ حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ عن التغير والمراد اما تمثيل علمه بتفاصيل
الاشياء بعلم من عنده كتاب محفوظ يطالعه او تاكيد لعلمه بها بثبوتها في اللوح المحفوظ
عنده بل كذبوا بالحق يعني النبوة الثابتة بالمعجزات او النبي او القران لما جاءهم وقرئ
لما بالكسر فهم في امر مريج مضطرب من مرج الخاتم في اصبعه اذا خرج وذلك قولهم
تارة شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه كاهن افلم ينظروا حين كفروا بالبعث
الى السماء فوقهم الى اثار قدرة الله في خلق العالم كيف بنيناها رفعناها بلا عمد وزيناها
بالكواكب وما لها من فروج فتوق بان خلقها ملسا متلاصقة الطباق والارض
مددناها بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل
زوج من كل صنف بهيج حسن تبصرة وذكرى لكل عبد منيب راجع الى ربه متفكر
في بدائع صنعه وهما علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبتا عن الفعل الاخير
ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير المنافع فانبتنا به جنات اشجارا وثمارا وحب
الحصيد وحب الزرع الذي من شانه ان يحصد كالبر والشعير والنخل باسقات
طوالا او حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت فيكون افعل فهو فاعل وافرادها بالذكر
لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها وقرئ باصقات لاجل القاف لها طلع نضيد
منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه من الثمر رزقا للعباد علة
لانبتنا او مصدر فان الانبات رزق واحيينا به بذلك الماء بلدة ميتا
ارضا جدبة لا نماء فيها كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة يكون خروجكم
احياء بعد موتكم كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون اراد
بفرعون اياه وقومه ليلائم ما قبله وما بعده واخوان لوط اخوانه لانهم كانوا اصهاره
واصحاب الايكة وقوم تبع سبق في الحجر والدخان كل كذب الرسل اي كل واحد
منهم او جميعهم وافراد الضمير لافراد لفظه فحق وعيد فوجب وحل وعيدي وفيه

وفيه تسلية للرسول وتهديد لهم افعيينا بالخلق الاول افعجزنا عن الابداء حتى نعجز
عن الاعادة من عيي بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للانكار بل هم في لبس
من خلق جديد اي هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول بل هم في خلط وشبهة في خلق
مستانف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير الخلق الجديد لتعظيم شانه والاشعار بانه
على وجه غير متعارف ولا معتاد ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه
ما تحدث به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي والضمير
لما ان جعلت موصولة والباء مثلها في صوت بكذا وللانسان ان جعلت مصدرية
والباء للتعدية ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اي ونحن اعلم بحاله ممن كان
اقرب اليه من حبل الوريد تجوز بقرب الذات لقرب العلم لانه موجبه وحبل الوريد مثل
في القرب قال والموت ادنى لي من الوريد والحبل العرق واضافته للبيان والوريدان
عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس اليه
وقيل سمي وريدا لان الروح يرده اذ يتلقى المتلقيان مقدر باذكر ومتعلق
باقرب اي هو اعلم بحاله من كل قريب حين يتلقى اي يتلقن الحفيظان ما يتلفظه وفيه
ايذان بانه غني عن استحفاظ الملكين فانه اعلم منهما ومطلع على ما يخفى عليهما لكنه
لحكمة اقتضته وهي ما فيه من تشديد يثبط العبد عن المعصية وتاكيد في اعتبار الاعمال
وضبطها للجزاء والزام للحجة يوم يقوم الاشهاد عن اليمين وعن الشمال قعيد اي عن
اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اي مقاعد كالجليس فحذف الاول لدلالة الثاني عليه
كقوله واني وقيار بها لغريب وقيل يطلق الفعيل للواحد والمتعدد كقوله والملائكة بعد ذلك
ظهير ما يلفظ من قول ما يرمي به من فيه الا لديه رقيب ملك يرقب عمله
عتيد معد حاضر ولعله يكتب عليه ما فيه ثواب او عقاب وفي الحديث كاتب الحسنات
امير على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب
اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وجاءت سكرة
الموت بالحق لما ذكر استبعادهم البعث للجزاء وازاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه اعلمهم
بانهم يلاقون ذلك عن قريب عند الموت وقيام الساعة ونبه على اقترابه بان عبر
عنه بلفظ الماضي وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء للتعدية كما في قولك
جاء زيد بعمرو والمعنى واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر او الموعود الحق او الحق الذي ينبغي
ان يكون من الموت او الجزاء فان الانسان خلق له او مثل الباء في تنبت بالدهن وقرئ
سكرة الحق بالموت على انها لشدتها اقتضت الزهوق او الاستعقاب بحاله كانها جاءت به
او على ان الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله واضافتها اليه للتهويل وقرئ سكرات
الموت ذلك اي الموت ما كنت منه تحيد تميل وتنفر عنه والخطاب للانسان ونفخ
في الصور يعني نفخة البعث ذلك يوم الوعيد اي وقت ذلك يوم تحقق الوعيد والجازه

والاشارة الى مصدر نفخ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ملكان احدهما يسوقه
والاخر يشهد بعمله او ملك جامع للوصفين وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب
الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه او اعماله ومحل معها النصب على
الحال من كل لاضافته الى ما هو في حكم المعرفة لقد كنت في غفلة من هذا على اضمار القول والخطاب
لكل نفس اذ ما من احد الا وله اشتغال ما عن الاخرة او للكافر فكشفنا عنك غطاءك
الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والالف بها وقصور
النظر عليها فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع عن الابصار وقيل الخطاب للنبي
والمعنى كنت في غفلة من امر الديانة فكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحي وتعليم القران
فبصرك اليوم حديد ترى ما لا يرون وتعلم ما لا يعلمون ويؤيد الاول قراءة من كسر التاء
والكافات على خطاب النفس وقال قرينه قال الملك الموكل عليه هذا ما لدي عتيد
هذا ما هو مكتوب عندي حاضر لدي او الشيطان الذي قيض له هذا ما عندي وفي ملكتي
عتيد لجهنم هيأته لها باغوائي له واضلالي وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان
جعلت موصولة فبدلها او خبر بعد خبر او خبر محذوف القيا في جهنم كل كفار خطاب من الله
للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار او لواحد وتثنية الفاعل منزل منزلة تثنية
الفعل وتكريره كقوله فان تزجراني يا ابن عفان انزجر وان تدعاني احم عرضا ممنعا
او الالف بدل من نون التاكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده انه قرئ القين
بالنون الخفيفة عنيد معاند للحق مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد
بالخير الاسلام فان الاية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني اخيه عنه معتد متعدي
مريب شاك في الله وفي دينه الذي جعل مع الله الها اخر مبتدأ متضمن معنى
الشرط وخبره فالقياه في العذاب الشديد او بدل من كل كفار فيكون فالقياه
تكريرا للتوكيد او مفعول لمضمر يفسره فالقياه قال قرينه اي الشيطان المقيض له
وانما استؤنفت كما استؤنف الجمل الواقعة في حكاية التقاول فانه جواب لمحذوف
دل عليه ربنا ما اطغيته كان الكافر قال هو اطغاني فقال قرينه ربنا ما اطغيته
بخلاف الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميهما في
الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ولكن كان في ضلال بعيد
فاعنته عليه فان اغواء الشيطان انما يؤثر فيمن كان مختل الرأي مائلا الى الفجور
كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي قال اي الله
لا تختصموا لدي اي في موقف الحساب فانه لا فائدة فيه وهو استئناف مثل الاول
وقد قدمت اليكم بالوعيد على الطغيان في كتبي وعلى السنة رسلي فلم يبق لكم
حجة وهو حال فيه تعليل للنهي اي لا تختصموا عالمين اني اوعدتكم والباء مزيدة
او معدية على ان قدم بمعنى تقدم ويجوز ان يكون بالوعيد حالا والفعل واقعا

واقعا على قوله ما يبدل القول لدي اي بوقوع الخلف فيه فلا تطمعوا ان ابدل
وعيدي وعفو بعض المذنبين لبعض الاسباب ليس من التبديل فان دلائل العفو
تدل على تخصيص الوعيد وما انا بظلام للعبيد فاعذب من ليس لي تعذيبه يوم
نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد سؤال وجواب جيء بهما للتخييل والتصوير
والمعنى انها مع اتساعها يطرح فيها الجنة والناس فوجا فوجا حتى تمتلئ لقوله
لاملأن او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ او انها من شدة زفيرها
وحدتها وتشبثها بالعصاة كالمستكثر لهم والطالب لزيادتهم وقرأ
نافع وابو بكر يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمحيد او مفعول كالمبيع ويوم مقدر باذكر
او ظرف لنفخ فيكون ذلك اشارة اليه فلا يفتقر الى تقدير مضاف وازلفت
الجنة للمتقين قربت لهم غير بعيد مكانا غير بعيد ويجوز ان يكون حالا وتذكيره
لانه صفة محذوف اي شيئا غير بعيد او على زنة المصدر او لان الجنة بمعنى البستان
هذا ما توعدون على اضمار القول والاشارة الى الثواب او مصدر ازلفت وقرأ
ابن كثير بالياء لكل اواب رجاع الى الله بدل من المتقين باعادة الجار حفيظ حافظ
لحدوده من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب بدل بعد بدل او بدل من
موصوف اواب ولا يجوز ان يكون في حكمه لان من لا يوصف به او مبتدأ خبره
ادخلوها على تأويل يقال لهم ادخلوها فان من بمعنى الجمع وبالغيب حال من الفاعل
او المفعول او صفة لمصدر اي خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب
او العقاب بعد غيب او هو غائب عن الاعين لا يراه احد وتخصيص الرحمن للاشعار
بانهم يرجون رحمته ويخافون عذابه او بانهم يخشون خشية مع علمهم بسعة رحمته ووصف
القلب بالانابة اذ الاعتبار برجوعه الى الله بسلام سالمين من العذاب وزوال
النعم او مسلما عليكم من الله وملائكته ذلك يوم الخلود يوم تقدير الخلود كقوله
فادخلوها خالدين لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد وهو ما لا يخطر ببالهم مما لا عين
رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وكم اهلكنا قبلهم قبل قومك من قرن
هم اشد منهم بطشا قوة كعاد وفرعون فنقبوا في البلاد فخرقوا في البلاد وتصرفوا
فيها او جالوا في الارض كل مجال حذر الموت فالفاء على الاول للتسبب وعلى الثاني
لمجرد التعقيب واصل التنقيب التنقير عن الشيء والبحث عنه هل من محيص اي هل
لهم من الله او من الموت وقيل الضمير في نقبوا لاهل مكة اي ساروا في اسفارهم في
بلاد القرون فهل رأوا محيصا حتى يتوقعوا مثله لانفسهم ويؤيده انه قرئ فنقبوا
على الامر وقرئ فنقبوا بالكسر من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اي اكثروا السير
حتى نقبت اقدامهم او اخفاف مراكبهم ان في ذلك فيما ذكر في هذه السورة لذكرى
لتذكرة لمن كان له قلب اي قلب واع يتفكر في حقائقه او القى السمع اي اصغى

لاستماعه وهو شهيد حاضر بذهنه ليفهم معانيه او شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر بزواجره وفي تنكير القلب وابهامه تفخيم واشعار بان كل قلب لا يتفكر ولا يتدبر ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام مر تفسيره مرارا وما مسنا من لغوب من تعب واعياء وهو رد لما زعمت اليهود من انه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش فاصبر على ما يقولون ما يقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم بلا اعياء قدر على بعثهم والانتقام منهم او ما يقول اليهود من الكفر والتشبيه وسبح بحمد ربك ونزهه عن العجز عما يمكن والوصف بما يوجب التشبيه حامدا له على ما انعم عليك من اصابة الحق وغيرها قبل طلوع الشمس وقبل الغروب يعني الفجر والعصر وقد عرفت فضيلة الوقتين ومن الليل فسبحه وسبحه بعض الليل وادبار السجود واعقاب الصلوة جمع دبر من ادبرت الصلوة اذا انقضت وقرأ الحجازيان وحمزة وخلف بالكسر وقيل المراد بالتسبيح الصلوة فالصلوة قبل الطلوع الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاءان والتهجد وادبار السجود النوافل بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد العشاء واستمع لما اخبرك به من احوال القيمة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به يوم ينادي المنادي اسرافيل او جبرائيل فيقول ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء من مكان قريب بحيث يصل نداؤه الى الكل على سواء ولعله في الاعادة نظير كن في الابداء ويوم نصب بما دل عليه يوم الخروج يوم يسمعون الصيحة بدل منه والصيحة النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث للجزاء ذلك يوم الخروج من القبور وهو من اسماء يوم القيمة وقد يقال للعيد انا نحن نحيي ونميت في الدنيا والينا المصير للجزاء في الاخرة يوم تشقق تتشقق وقرئ تنشق وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف وابو عمرو بتخفيف الشين الارض عنهم سراعا مسرعين ذلك حشر بعث وجمع علينا يسير هين وتقديم الظرف للاختصاص فان ذلك لا يتيسر الا على العالم القادر لذاته الذي لا يشغله شأن عن شأن كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة نحن اعلم بما يقولون تسلية لرسول الله وتهديد لهم وما انت عليهم بجبار بمتسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت داع فذكر بالقران من يخاف وعيد فانه لا ينتفع به غيره عن النبي عليه السلام من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات

ذروا يعني الرياح تذروا التراب او غيره او النساء الولود فانهن يذرين الاولاد او الاسباب التي تذري الخلائق من الملائكة وغيرهم وقرأ ابو عمرو وحمزة بادغام التاء

بادغام التاء في الذال فالحاملات وقرا فالسحب الحاملة للامطار او الرياح الحاملة للسحاب او النساء الحوامل او اسباب ذلك وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر فالجاريات يسرا فالسفن الجارية في البحر سهلا او الرياح الجارية في مهابها او الكواكب التي تجري في منازلها ويسرا صفة مصدر محذوف اي جريا ذا يسر فالمقسمات امرا الملائكة التي تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او ما يعمهم وغيرهم من اسباب القسمة او الرياح يقسمن الامطار بتصريف السحاب فان حملت على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام بها باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة والا فالفاء لترتيب الافعال اذ الريح مثلا تنشر الابخرة الى الجو حتى تنعقد سحابا فتحمله فتجري باسطة له الى حيث امرت به فتقسم المطر انما توعدون لصادق وان الدين لواقع جواب للقسم كانه استدل باقتداره على هذه الاشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث الموعود وما موصولة او مصدرية والدين الجزاء والواقع الحاصل والسماء ذات الحبك ذات الطرق والمراد اما الطرق المحسوسة التي هي مسير الكواكب او المعقولة التي تسلكها النظار وتتوصل بها الى المعارف او النجوم فان لها طرائق او انها تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشي جمع حبيكة كطريقة وطرائق او حباك كمثال ومثل وقرئ الحبك بالسكون والحبك كالابل والحبك كالسلك والحبك كالجبل والحبك كالنعم والحبك كالبرق انكم لفي قول مختلف في الرسول وهو قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه مجنون او في القران او القيمة او امر الديانة ولعل النكتة في هذا القسم تشبيه اقوالهم في اختلافها او تنافيها اغراضها بالطرائق للسموات في تباعدها واختلاف غاياتها يؤفك عنه من افك يصرف عنه والضمير للرسول او القران او الايمان من صرف اذ لا صرف اشد منه فكانه لا صرف بالنسبة اليه او يصرف من صرف في علم الله وقضائه ويجوز ان يكون الضمير للقول على معنى يصدر افك من افك عن القول المختلف وبسببه كقوله ينهون عن اكل وعن شرب اي يصدر تناهيهم عنهما وبسببهما وقرئ افك بالفتح اي من افك الناس وهم قريش كانوا يصدون الناس عن الايمان قتل الخراصون الكذابون من اصحاب القول المختلف واصله الدعاء بالقتل اجري مجرى اللعن الذين هم في غمرة في جهل يغمرهم ساهون غافلون عما امروا به يسألون ايان يوم الدين فيقولون متى يوم الجزاء اي وقوعه وقرئ ايان بالكسر يوم هم على النار يفتنون يحرقون جواب للسؤال اي يقع يومهم على النار يفتنون او هو يوم هم على النار يفتنون وفتح يوم لاضافته الى غير متمكن ويدل عليه انه قرئ بالرفع ذوقوا فتنتكم اي مقولا لهم هذا القول هذا الذي كنتم به تستعجلون هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم والذي صفته ان المتقين في جنات وعيون اخذين ما اتيهم ربهم قابلين لما

اعطاهم راضين به ومعناه ان كل ما اتيهم حسن مرضي متلقي بالقبول انهم كانوا قبل
ذلك محسنين قد احسنوا اعمالهم وهو تعليل لاستحقاقهم ذلك كانوا قليلا من الليل
ما يهجعون تفسير لاحسانهم وما مزيدة اي يهجعون في طائفة من الليل او يهجعون
هجوعا قليلا او مصدرية او موصولة اي في قليل من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه
فلا يجوز ان يكون نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وفيه مبالغات لتقليل نومهم و
استراحتهم ذكر القليل والليل الذي هو وقت السبات والهجوع الذي هو الغرار من
القوم وزيادة ما وبالاسحار هم يستغفرون اي انهم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم
اذا اسحروا اخذوا في الاستغفار كانهم اسلفوا في ليلهم الجرائم وفي بناء الفعل على الضمير
اشعار بانهم احقاء بذلك لوفور علمهم بالله وخشيتهم منه وفي اموالهم حق نصيب
يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله واشفاقا على الناس للسائل والمحروم للمستجدي
والمتعفف الذي يظن غنيا فيحرم الصدقة وفي الارض ايات للموقنين اي فيها دلائل
من انواع المعادن والحيوان او وجوه دلالات من الدحو والسكون وارتفاع بعضها عن
الماء واختلاف اجزائها في الكيفيات والخواص والمنافع تدل على وجود الصانع وعلمه
وقدرته ووحدته وفرط رحمته وفي انفسكم اي في انفسكم ايات اذ ما في العالم شيء
الا وفي الانسان له نظير يدل دلالته مع ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر
البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال الغريبة واستنباط الصنائع المختلفة
واستجماع الكمالات المتنوعة افلا تبصرون تنظرون نظر من يعتبر وفي السماء رزقكم
اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب
الاقوات وما توعدون من الثواب لان الجنة فوق السماء السابعة او لان الاعمال
وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء وقيل انه مستانف فورب السماء والارض انه لحق
وعلى هذا فالضمير لما وعلى الاول يحتمل ان يكون له ولما ذكر من امر الايات والرزق والوعد
مثل ما انكم تنطقون اي مثل نطقكم كما انه لا شك لكم في انكم تنطقون ينبغي ان لا
تشكوا في تحقق ذلك ونصبه على الحال من المستكن في لحق او الوصف لمصدر محذوف
اي انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت
بمعنى شيء وان بما في حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على انه صفة لحق ويؤيده
قراءة حمزة والكسائي وابو بكر بالرفع هل اتيك حديث ضيف ابرهيم فيه تفخيم
لشان الحديث وتنبيه على انه اوحي اليه والضيف في الاصل مصدر ولذلك يطلق
على الواحد والمتعدد وقيل كانوا اثني عشر ملكا وقيل ثلثة جبرائيل وميكائيل واسرافيل
وسماهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف المكرمين اي مكرمين عند الله او عند ابرهيم
اذ خدمهم بنفسه وزوجته اذ دخلوا عليه ظرف للحديث او الضيف او المكرمين
فقالوا سلاما اي نسلم عليكم سلاما قال سلام عدل به الى الرفع بالابتداء لقصد الثبات

الثبات حتى يكون تحيته احسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرا حمزة والكسائي قال
سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد قوم منكرون اي انتم قوم منكرون وانما انكرهم لانه
ظن انهم بنو آدم ولم يعرفهم او لان السلام لم يكن تحيتهم فانه علم الاسلام وهو كالتعرف
عنهم فراغ الى اهله فذهب اليهم في خفية من ضيفه فان من ادب المضيف ان يبادره
بالقرى حذرا من ان يكفه الضيف او يصير منتظرا فجاء بعجل سمين لانه كان عامة ماله
البقر فقربه اليهم بان وضعه بين ايديهم فقال الا تاكلون اي منه وهو مشعر بكونه حنيذا و
الهمزة للعرض والحث على الاكل على طريق الادب ان قاله اول ما وضعه وللانكار ان قاله
حينما راى اعراضهم فاوجس منهم خيفة فاضمر منهم خوفا لما راى اعراضهم عن طعامه لظنه
جاؤوه لشر وقيل وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب قالوا لا تخف انا رسل الله قيل
مسح جبرائيل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وامن وبشروه بغلام هو اسحق
عليم يكمل علمه اذا بلغ فاقبلت امراته سارة الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم في
في صرة في صيحة من الصرير ومحله النصب على الحال او المفعول ان اول اقبلت باخذت
فصكت وجهها فلطمت باطراف الاصابع جبهتها فعل المتعجب وقيل وجدت حرارة
دم الحيض فلطمت وجهها من الحياء وقالت عجوز عقيم اي انا عجوز عاقر فكيف الد قالوا
كذلك مثل ذلك الذي بشرنا به قال ربك وانما نخبرك به عنه انه هو الحكيم العليم
فيكون قوله حقا وفعله محكما قال فما خطبكم ايها المرسلون لما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون
مجتمعين الا لامر عظيم سال عنه قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعنون قوم لوط
لنرسل عليهم حجارة من طين يريد السجيل فانه طين متحجر مسومة عند ربك مرسلة
من اسمت الماشية او معلمة من السومة وهي العلامة للمسرفين المجاوزين الحد
في الفجور فاخرجنا من كان فيها في قرى قوم لوط واضمارها ولم يجر ذكرها لكونها
معلومة من المؤمنين ممن امن بلوط فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين غير اهل
بيت من المسلمين واستدل به على اتحاد الايمان والاسلام وهو ضعيف لان ذلك
لا يقتضي الا صدق المؤمن والمسلم على من اتبعه وذلك لا يقتضي اتحاد مفهوميهما لجواز
صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة وتركنا فيها آية اي علامة للذين يخافون
العذاب الاليم فانهم المعتبرون بها وهي تلك الاحجار او صخر منضود فيها او ماء اسود
منتن وفي موسى عطف على وفي الارض او وتركنا فيها على معنى وجعلنا في موسى كقوله
علفتها تبنا وماء باردا اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين هو معجزاته كاليد
والعصا فتولى بركنه فاعرض عن الايمان به كقوله ونا بجانبه او فتولى بما كان يتقوى
به من جنوده وهو اسم لما يركن اليه الشيء ويتقوى به وقرئ بضم الكاف وقال ساحر
اي هو ساحر او مجنون كانه جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا الى الجن وتردد في انه
حصل ذلك باختياره وسعيه او بغيرهما فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فاغرقناهم

في البحر وهو مليم آت بما يلام عليه من الكفر والعناد والجملة حال من الضمير في فاخذناه وفي
عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم سماها عقيما لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانها
لم تتضمن منفعة وهي الدبور او الجنوب او النكباء ما تذر من شيء اتت عليه مرت عليه
الا جعلته كالرميم كالرماد من الرم وهو البلى والتفتت وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين
تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلثة ايام فعتوا عن امر ربهم فاستكبروا عن امتثاله فاخذتهم
الصاعقة اي العذاب بعد الثلث وقرا الكسائي الصعقة وهي المرة من الصعق وهم ينظرون
اليها فانها جاءتهم معاينة بالنهار فما استطاعوا من قيام كقوله فاصبحوا في دارهم جاثمين
وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه وما كانوا منتصرين ممتنعين منه وقوم نوح
اي واهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه او اذكر ويجوز ان يكون عطفا على محل في عاد ويؤيده
قراءة ابي عمرو وحمزة والكسائي بالجر من قبل هؤلاء المذكورين انهم كانوا قوما فاسقين
خارجين عن الاستقامة بالكفر والعصيان والسماء بنيناها بايد بقوة وانا لموسعون
لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق او لموسعون السماء او ما بينها
وبين الارض او الرزق والارض فرشناها مهدناها ليستقروا عليها فنعم الماهدون
اي نحن ومن كل شيء من الاجناس خلقنا زوجين نوعين لعلكم تذكرون فتعلمون ان
التعدد من خواص الممكنات وان الواجب بالذات لا يقبل التعدد والانقسام ففروا
الى الله من عقابه بالايمان والتوحيد وملازمة الطاعة اني لكم منه من عذابه المعد لمن اشرك
او عصى نذير مبين بين كونه منذرا من الله بالمعجزات او مبين ما يجب ان يحذر عنه
ولا تجعلوا مع الله الها اخر افراد لاعظم ما يجب ان يفر منه اني لكم منه نذير مبين
تكرير للتاكيد او الاول مرتب على ترك الايمان والطاعة والثاني على الاشراك كذلك اي
الامر مثل ذلك والاشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميتهم اياه ساحرا او مجنونا وقوله ما اتى
الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون كالتفسير له ولا يجوز نصبه باتى او بما
يفسره لان ما بعد ما النافية لا يعمل فيما قبلها اتواصوا به اي كان الاولين والاخرين منهم
اوصى بعضهم بعضا بهذا القول حتى قالوه جميعا بل هم قوم طاغون اضراب عن ان التواصي
جامعهم لتباعد ايامهم الى ان الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم في الطغيان الحامل عليه
فتول عنهم فاعرض عن مجادلتهم بعد ما كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاصرار والعناد
فما انت بملوم على الاعراض بعد ما بذلت جهدك في البلاغ وذكر ولا تدع التذكير و
الموعظة فان الذكرى تنفع المؤمنين من قدر الله ايمانه او من امن فانه يزداد بها بصيرة
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة مغلبة
لها جعل خلقهم مغيا بها مبالغة في ذلك ولو حمل على ظاهره مع ان الدليل يمنعه لناقض ظاهر
قوله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل معناه الا لامرهم بالعبادة او ليكونوا
عبادا لي ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ما اريد ان اصرفهم في تحصيل رزقي

رزقي فاشتغلوا بما انتم كالمخلوقين له والمامورين به والمراد ان يبين ان شانه
مع عباده ليس شان السادة مع عبيدهم فانهم انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل
معايشهم ويحتمل ان يقدر بقل فيكون بمعنى قوله قل لا اسالكم عليه اجرا ان الله هو الرزاق
الذي يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه ايماء باستغنائه عنه وقرئ اني انا الرزاق
ذو القوة المتين شديد القوة وقرئ المتين بالجر صفة للقوة فان للذين ظلموا ذنوبا
اي للذين ظلموا رسول الله بالتكذيب نصيبا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم
مثل نصيب نظرائهم من الامم السالفة وهو ماخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلاء
فان الذنوب هو الدلو العظيم المملو فلا يستعجلون جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم
صادقين فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون من يوم القيمة او يوم بدر عن
النبي عليه السلام من قرا والذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

بسم الله الرحمن الرحيم والطور يريد

به طور سينين وهو جبل بمدين سمع موسى كلام الله والطور الجبل بالسريانية او ما طار من اوج
الايجاد الى حضيض المواد او من عالم الغيب الى عالم الشهادة وكتاب مسطور مكتوب
والسطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القران او ما كتبه الله في اللوح المحفوظ او الواح موسى
او في قلوب اوليائه من المعارف والحكم او ما يكتبه الحفظة في رق منشور الرق الجلد الذي
يكتب فيه استعير لما يكتب فيه الكتاب وتنكيرهما للتعظيم والاشعار بانهما ليسا من المتعارف
فيما بين الناس والبيت المعمور يعني الكعبة وعمارتها بالحجاج والمجاورين او الضراح وهو
في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة او قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص
والسقف المرفوع يعني السماء والبحر المسجور اي المملو وهو المحيط او الموقد من قوله واذا البحار
سجرت روي ان الله تعالى يجعل يوم القيمة البحار نارا يسجر بها نار جهنم او المختلط من السجير وهو
الخليط ان عذاب ربك لواقع لنازل ما له من دافع يدفعه ووجه دلالة هذه الامور
المقسم بها على ذلك انها امور تدل على كمال قدرة الله وحكمته وصدق اخباره وضبط
اعمال العباد للمجازاة يوم تمور السماء تضطرب مورا اضطرابا والمور تردد في المجيء و
الذهاب وقيل تحرك في تموج ويوم ظرف والتسير هباء فويل يومئذ للمكذبين اي اذا
وقع ذلك فويل لهم الذين هم في خوض يلعبون اي في الخوض في الباطل يوم يدعون
الى نار جهنم دعا يدفعون اليها بعنف وذلك بان يغل ايديهم الى اعناقهم ويجمع نواصيهم
الى اقدامهم فيدفعون الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين
ويوم بدل من يوم تمور او ظرف لقول مقدر محكيه هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي فيقال
لهم ذلك افسحر هذا اي كنتم تقولون للوحي هذا سحر فهذا المصداق ايضا سحر وتقديم
الخبر لانه المقصود بالانكار والتوبيخ ام انتم لا تبصرون هذا ايضا كما كنتم لا تبصرون في الدنيا
ما يدل عليه وهو تقريع وتهكم ام سدت ابصاركم كما سدت في الدنيا على زعمكم حين قلتم انما

سكرت ابصارنا اصلوها فاصبروا او لا تصبروا اي ادخلوها على اي وجه شئتم من الصبر
وعدمه فانه لا محيص لكم عنها سواء عليكم اي الامران الصبر وعدمه انما تجزون ما كنتم
تعملون تعليل للاستواء فانه لما كان الجزاء واجب الوقوع كان الصبر وعدمه سيان في عدم
النفع ان المتقين في جنات ونعيم في اية جنات واي نعيم اي في جنات ونعيم مخصوصة بهم
فاكهين ناعمين متلذذين بما آتيهم ربهم وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف
لغو ووقيهم ربهم عذاب الجحيم عطف على آتيهم ان جعل ما مصدرية او في جنات او حال باضمار
قد من المستكن في الظرف او الحال او من فاعل آتي او مفعوله او منهما كلوا واشربوا هنيئا اي
اي اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه بما كنتم تعملون بسببه او بدله
وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا والمعنى هناكم ما كنتم تعملون اي جزاؤه متكئين على سرر
مصفوفة مصطفة وزوجناهم بحور عين الباء لما في التزويج من معنى الوصل والالصاق او السببية
اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن او لما في التزويج من معنى الالصاق والقرن والذين آمنوا عطف
على حور اي قرناهم بازواج حور ورفقاء مؤمنين وقيل انه مبتدأ خبره الحقنا بهم وقوله واتبعتهم
ذريتهم بايمان اعتراض للتعليل وقرأ ابن عامر ويعقوب ذرياتهم بالجمع وضم التاء للمبالغة
في كثرتهم والتصريح بان الذرية تقع على الواحد والكثير وقرأ ابو عمرو واتبعناهم ذرياتهم
اي جعلناهم تابعين لهم في الايمان وقيل بايمان حال من الضمير او الذرية او منهما وتنكيره للتعظيم
او الاشعار بانه يكفي للالحاق المتابعة في اصل الايمان الحقنا بهم ذريتهم في دخول الجنة
او الدرجة لما روي مرفوعا انه عليه السلام قال ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته
وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الاية وقرأ نافع وابن عامر والبصريان ذرياتهم
وما التناهم وما نقصناهم من عملهم من شيء بهذا الالحاق فانه كما يحتمل ان يكون
بنقص مرتبة الاباء باعطاء الابناء بعض مثوباتهم يحتمل ان يكون بالتفضل عليهم وهو
اللائق بكمال لطفه وقرأ ابن كثير بكسر اللام من الت يالت وعنه لتناهم من لات يليت
وآلتناهم من آلت يولت وولتناهم من ولت يلت ومعنى الكل واحد كل امرئ
بما كسب رهين بعمله مرهون عند الله تعالى فان عمل صالحا فكها والا اهلكها وامددناهم
بفاكهة ولحم مما يشتهون اي وزدناهم وقتا بعد وقت ما يشتهون من انواع النعم
يتنازعون فيها يتعاطون وجلساؤهم يتجاذبون كأسا خمرا سماها باسم محلها ولذلك
انث الضمير في قوله لا لغو فيها ولا تأثيم اي لا يتكلمون بلغو الحديث في اثناء شربها
ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله كما هو عادة الشاربين في الدنيا وذلك مثل قوله لا فيها
غول وقرأهما ابن كثير والبصريان بالفتح ويطوف عليهم اي بالكأس غلمان لهم
اي مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم كأنهم لؤلؤ مكنون
مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم وعنه عليه السلام والذي نفسي بيده ان فضل
المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب واقبل بعضهم على بعض يتساءلون

يتساءلون يسأل بعضهم بعضا عن احواله واعماله قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين
خائفين من عصيان الله معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة
او التوفيق ووقانا عذاب السموم عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم وقرئ
ووقانا بالتشديد انا كنا من قبل من قبل ذلك في الدنيا ندعوه نعبده او نسأله
الوقاية انه هو البر المحسن وقرأ نافع والكسائي بفتح همزة انه الرحيم الكثير الرحمة
فذكر اي فاثبت على التذكير ولا تكترث بقولهم فما انت بنعمة ربك بحمد الله وانعامه
بكاهن ولا مجنون كما يقولون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ما يقلق
النفوس من حوادث الدهر وقيل المنون الموت فعول من منه اذا قطعه قل تربصوا
فاني معكم من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي ام تأمرهم احلامهم
عقولهم بهذا بهذا التناقض في القول فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر والمجنون
مغطى عقله والشاعر يكون ذا كلام موزون متسق مخيل ولا يتأتى ذلك من المجنون
وامر الاحلام به مجاز عن ادائها اليه ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد في العناد
وقرئ بل هم ام يقولون تقوله اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فيرمون
بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم فليأتوا بحديث مثله مثل القرآن ان كانوا صادقين
في زعمهم اذ فيهم كثير ممن تحدوا فهو رد للاقوال المذكورة بالتحدي ويجوز ان يكون ردا
للتقول فان سائر الاقسام ظاهر الفساد ام خلقوا من غير شيء ام احدثوا وقدروا
من غير محدث ومقدر فلذلك لا يعبدونه او من اجل لا شيء من عبادة ومجازاة
ام هم الخالقون يؤيد الاول فان معناه ام خلقوا انفسهم ولذلك عقبه بقوله
ام خلقوا السموات والارض وام في هذه الآيات منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار
بل لا يوقنون اذا سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والارض قالوا الله اذ لو ايقنوا
ذلك لما اعرضوا عن عبادته ام عندهم خزائن ربك خزائن رزقه حتى يرزقوا النبوة
من شاؤوا او خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختارته الحكمة ام هم المسيطرون الغالبون
على الاشياء يدبرونها كيف شاؤوا ام لهم سلم مرتقى الى السماء يستمعون فيه
صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن فليأت
مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماعه ام له البنات ولكم البنون فيه
تسفيه لهم واشعار بان من هذا رأيه لا يعد من العقلاء فضلا ان يترقى بروحه الى عالم
الملكوت فيتطلع على الغيوب ام تسألهم اجرا على تبليغ الرسالة فهم من مغرم من التزام
غرم مثقلون محملون الثقل فلذلك زهدوا في اتباعك ام عندهم الغيب اللوح المحفوظ
المثبت فيه المغيبات فهم يكتبون منه ام يريدون كيدا وهو كيدهم في دار الندوة
برسول الله فالذين كفروا يحتمل العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل على
كفرهم والدلالة على انه الموجب للحكم المذكور هم المكيدون هم الذين يحيق بهم الكيد او يعود

عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر او المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته ام لهم اله
غير الله يعينهم ويحرسهم من عذابه سبحان الله عما يشركون عن اشراكهم او شركة ما يشركونه
وان يروا كسفا قطعة من السماء ساقطا يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم سحاب
مركوم هذا سحاب تراكم بعضها على بعض وهو جواب قولهم فاسقط علينا كسفا من السماء
فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون وهو عند النفخة الاولى وقرئ يلقوا وقرا
ابن عامر وعاصم يصعقون على البناء للمفعول من صعقه او اصعقه يوم لا يغني عنهم كيدهم
شيئا من الاغناء في رد العذاب ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله وان للذين
ظلموا يحتمل العموم والخصوص عذابا دون ذلك اي دون عذاب الاخرة وهو عذاب
القبر او المواخذة في الدنيا كقتلهم ببدر والقحط سبع سنين ولكن اكثرهم لا يعلمون
ذلك واصبر لحكم ربك بامهالهم وابقائك في عنائهم فانك باعيننا في حفظنا بحيث
نراك ونكلاك وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة بكثرة اسباب الحفظ وسبح بحمد ربك
حين تقوم من اي مكان قمت او منامك او الى الصلوة ومن الليل فسبحه فان العبادة
فيه اشق على النفس وابعد من الرياء ولذلك افرده بالذكر وقدمه على الفعل وادبار النجوم
واذا ادبرت النجوم من اخر الليل وقرئ بالفتح اي في اعقابها اذا غربت او خفيت وعنه
عليه السلام من قرا سورة الطور كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته

بسم الله الرحمن الرحيم

والنجم اذا هوى اقسم بجنس النجوم او الثريا فانه غلب فيه اذا غرب او انتثر يوم القيمة
او انقض او طلع فانه يقال هوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب وهويا بالضم اذا علا
وصعد او بالنجم من نجوم القران اذا نزل او النبات اذا سقط على الارض او اذا نمى
وارتفع على قواه ما ضل صاحبكم ما عدل محمد عن الطريق المستقيم وما غوى وما اعتقد
باطلا والخطاب لقريش والمراد نفي ما ينسبون اليه وما ينطق عن الهوى وما يصدر بالقران
بالقران عن الهوى ان هو ما القران او الذي ينطق به الا وحي يوحى اي الا وحي يوحيه
الله اليه واحتج به من لم ير الاجتهاد له واجيب عنه بانه اذا اوحي اليه بان يجتهد كان
اجتهاده وما يستند اليه وحيا وفيه نظر لان ذلك حينئذ يكون بالوحي لا الوحي
علمه شديد القوى ملك شديد قواه وهو جبرائيل فانه الواسطة في ابداء الخوارق
روي انه قلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين
ذو مرة حصافة في عقله ورايه فاستوى فاستقام على صورته الحقيقية التي خلقه الله تعالى
عليها قيل ما راه احد من الانبياء في صورته غير محمد عليه السلام مرتين مرة في السماء ومرة في الارض
وقيل استولى بقوته على ما جعل له من الامر وهو بالافق الاعلى افق الشمس والضمير لجبرائيل
ثم دنى من النبي فتدلى فتعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول وقيل ثم تدلى من الافق
الاعلى فدنا من الرسول فيكون اشعارا بانه عرج غير منفصل عن محله وتقرير لشدة قوته فان

فان التدلي استرسال مع تعلق كتدلي الثمرة ويقال دلى رجله من السرير وادلى دلوه
والدلو والي التمر المعلق فكان جبرائيل كقولك هو مني معقد الازار والمسافة بينهما
قاب قوسين مقدارهما او ادنى على تقديركم كقوله او يزيدون والمقصود تمثيل ملكة
الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحي اليه بنفي البعد الملبس فاوحى جبرائيل الى عبده عبد الله
واضماره قبل الذكر لكونه معلوما كقوله على ظهرها ما اوحى جبرائيل وفيه تفخيم للموحى به او الله
اليه وقيل الضماير كلها لله تعالى وهو المعنى بشديد القوى كما في قوله هو الرزاق ذو القوة
المتين ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره الى جناب القدس ما كذب
الفؤاد ما راى ببصره من صورة جبرائيل او الله تعالى او ما كذب بصره بما حكاه له فان
الامور القدسية تدرك اولا بالقلب ثم تنتقل منه الى البصر او ما قال فؤاده لما راه
لم اعرفك ولو قال ذلك كان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما راه ببصره او ما راه بقلبه
والمعنى انه لم يكن تخيلا كاذبا ويدل عليه انه عليه السلام سئل هل رايت ربك فقال رايته
بفؤادي وقرا هشام ما كذب اي صدقه ولم يشك فيه افتمارونه على ما يرى
افتجادلونه عليه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مرى الناقة فان كلا من المتجادلين
يمري ما عند صاحبه وقرا حمزة والكسائي ويعقوب افتمرونه اي افتغلبونه في المراء
من ماريته فمريته او افتجحدونه من مراه حقه اذا جحده وعلى لتضمين الفعل معنى الغلبة
فان المماري والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم ولقد راه نزلة اخرى مرة اخرى
فعلة من النزول اقيمت مقام المرة ونصبت نصبها اشعارا بان الرؤية في هذه المرة كانت
ايضا بنزول ودنو والكلام في المرئي والدنو ما سبق وقيل تقديره ولقد راه نازلا
نزلة اخرى ونصبها على المصدر والمراد به نفي الريبة عن المرة الاخيرة عند سدرة المنتهى
التي ينتهي اليها علم الخلايق واعمالهم او ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها ولعلها شبهت
بالسدرة وهي شجرة النبق لانهم يجتمعون في ظلها وروي مرفوعا انها في السماء السابعة
عندها جنة الماوى الجنة التي ياوي اليها المتقون او ارواح الشهداء اذ يغشى السدرة
ما يغشى تعظيم وتكثير لما يغشيها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عد وقيل يغشيها الجم
الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها ما زاغ البصر ما مال بصر رسول الله عما راه وما طغى
وما تجاوزه بل اثبته اثباتا صحيحا مستيقنا او ما عدل عن رؤية العجايب التي امر برؤيتها
وما جاوزها لقد راى من ايات ربه الكبرى اي والله لقد راى الكبرى من اياته وعجائبه
الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقد قيل انها المعنية بما راى ويجوز ان يكون الكبرى صفة للايات
على ان المفعول محذوف اي شيئا من ايات ربه او من مزيدة افرايتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى هي اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطايف
او لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها اي يطوفون وقرا
هبة الله عن البزي ورويس عن يعقوب اللات بالتشديد على انه سمي به لانه صورة

رجل كان يلت السويق بالسمن ويطعم الحاج والعزى سمرة لغطفان كانوا يعبدونها
فبعث اليها رسول الله خالد بن الوليد فقطعها واصلها تانيث الاعز ومناة
صخرة كانت لهذيل وخزاعة والثقيف وهي فعلة من مناه اذا قطعه فانهم كانوا
يذبحون عندها القرابين ومنه منى وقرئ مناءة وهي مفعلة من النوء كانهم يستمطرون
الانواء عندها تبركا بها وقوله الثالثة الاخرى صفتان للتاكيد كقوله يطير بجناحيه
او الاخرى من التاخر في الرتبة الكم الذكر وله الانثى انكار لقولهم الملائكة بنات الله
وهذه الاصنام استوطنها جنيات هن بناته او هياكل الملائكة وهو المفعول الثاني
لقوله افرايتم تلك اذا قسمة ضيزى جائرة حيث جعلتم له ما تستنكفون منه وهي
فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم يات
وصفا وقرا ابن كثير بالهمزة من ضازه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به ان هي الا اسماء
الضمير للاصنام اي ما هي باعتبار الالوهية الا اسماء تطلقونها عليها لانهم يقولون
انها الهة وليس فيها شيء من معنى الالوهية او للصفة التي تصفونها بها من كونها الهة
وبناتا وشفعاء او للاسماء المذكورة فانهم كانوا يطلقون اللات عليها باعتبار
استحقاقها للعكوف على عبادتها والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم انها يستحق
ان يتقرب اليها بالقرابين سميتموها انتم واباؤكم سميتم بها بهواكم ما انزل الله
بها من سلطان برهان يتعلقون به ان يتبعون وقرئ بالتاء الا الظن الا توهم
ان ما عليهم حق تقليدا وتوهما باطلا وما تهوى الانفس وما تشتهيه انفسهم ولقد جاءهم
من ربهم الهدى الرسول والكتاب فتركوه ام للانسان ما تمنى ام منقطعة
ومعنى الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس له كل ما يتمناه والمراد نفي طمعهم في شفاعة الالهة
وقولهم لئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقولهم لولا نزل هذا القران على رجل
من القريتين عظيم ونحوها فلله الاخرة والاولى يعطي منهما ما يشاء لمن يريد وليس
لاحد ان يتحكم عليه في شيء منهما وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا
وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم شيئا ولا تنفع الا من بعد ان ياذن الله في الشفاعة
لمن يشاء من الملائكة ان يشفع او من الناس ان يشفع له ويرضى ويراه اهلا لذلك
فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم ان الذين لا يؤمنون بالاخرة ليسمون الملائكة اي كل
واحد منهم تسمية الانثى بان سموه بنتا وما لهم به من علم اي بما يقولون وقرئ بها
اي بالملائكة او التسمية ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا فان
الحق الذي هو حقيقة الشيء لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتبار له في المعارف الحقيقية
وانما العبرة به في العمليات وما يكون وصلة اليها فاعرض عن من تولى عن ذكرنا
ولم يرد الا الحيوة الدنيا فاعرض عن دعوته والاهتمام بشانه فان من غفل عن الله
واعرض عن ذكره وانهمك في الدنيا بحيث كانت همته ومبلغ علمه لا تزيده الدعوة

الدعوة الا عنادا واصرارا على الباطل ذلك اي امر الدنيا او كونها شهية
مبلغهم من العلم لا يتجاوزه علمهم والجملة اعتراض مقرر لقصور هممهم بالدنيا وقوله
ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى تعليل للامر بالاعراض
اي انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب فلا تتعب نفسك في دعوتهم اذ ما عليك الا
البلاغ ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا ليجزي الذين اساءوا بما عملوا
بعقاب ما عملوا من السوء او بمثله او بسبب ما عملوا من السوء وهو علة لما دل عليه
ما قبله اي خلق العالم وسواه للجزاء او ميز الضال عن المهتدي وحفظ احوالهم لذلك
ويجزي الذين احسنوا بالحسنى بالمثوبة الحسنى وهي الجنة او باحسن من اعمالهم او بسبب
الاعمال الحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب
الوعيد عليه بخصوصه وقيل ما اوجب الحد وقرا حمزة والكسائي كبير الاثم على ارادة
الجنس او الشرك والفواحش ما فحش من الكبائر خصوصا الا اللمم الا ما قل وصغر
فانه مغفور من مجتنبي الكبائر والاستثناء منقطع ومحل الذين النصب على الصفة او
المدح او الرفع على انه خبر مبتدا محذوف ان ربك واسع المغفرة حيث يغفر الصغائر
باجتناب الكبائر او له ان يغفر ما يشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعله عقب به
وعيد المسيئين ووعد المحسنين كيلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب
العقاب على الله هو اعلم بكم اعلم باحوالكم منكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة
في بطون امهاتكم علم احوالكم ومصارف اموركم حين ابتدا خلقكم من التراب
بخلق ادم وحينما صوركم في الارحام فلا تزكوا انفسكم فلا تثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة
الخير او بالطهارة عن المعاصي والرذائل هو اعلم بمن اتقى فانه يعلم التقي وغيره قبل ان
يخرجكم من صلب ادم افرايت الذي تولى عن اتباع الحق والثبات عليه واعطى
قليلا واكدى وقطع العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية وهي الصخرة الصلبة
فترك الحفر والاكثر على انها نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله فعيره
بعض المشركين وقال تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال خشيت عذاب الله فضمن
ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطى بعض المشروط ثم بخل بالباقي
اعنده علم الغيب فهو يرى يعلم ان صاحبه يتحمل عنه ام لم ينبا بما في صحف موسى وابرهيم
الذي وفى وفر واتم ما التزمه او امر به او بالغ في الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك
لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى اتاه جبرائيل حين يلقى في النار فقال الك
حاجة فقال اما اليك فلا وذبح الولد وانه كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه
اكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى لان صحفه وهي التورية كانت اشهر واكثر عندهم
الا تزر وازرة وزر اخرى ان هي المخففة من الثقيلة وهي بما بعدها في محل الجر بدلا مما في
صحف موسى او الرفع على هو ان لا تزر كانه قيل ما في صحفهما فاجاب به والمعنى انه لا يؤاخذ احد

بذنب غيره ولا يخالف ذلك قوله تعالى كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس
او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا وقوله عليه السلام من سن سنة سيئة فله
وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة فان ذلك للدلالة والتسبب الذي هو وزره
وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى الا سعيه اي كما لا يؤاخذ احد بذنب
الغير لا يثاب بفعله وما جاء في الاخبار من ان الصدقة والحج ينفعان الميت فلكون الناوي
له كالنائب عنه ثم يجزيه الجزاء الاوفى اي يجزى العبد بالجزاء الاوفر فنصب
بنزع الخافض ويجوز ان يكون مصدرا وان يكون الها للجزاء المدلول عليه بيجزى
والجزاء بدله وان الى ربك المنتهى انتهاء الخلايق ورجوعهم وقرئ بالكسر على انه منقطع
عما في الصحف وكذلك ما بعده وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيى لا يقدر
على الاماتة والاحياء غيره فان القاتل ينقض البنية والموت يحصل عنده بفعل الله على
سبيل العادة وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى تدفق في الرحم
او يخلق او يقدر منها الولد من منى اذا قدر وان عليه النشاة الاخرى الاحياء بعد الموت
وفاء بوعده وقرا ابن كثير وابو عمرو والنشاءة وهو ايضا مصدر نشاه وانه هو
اغنى واقنى واعطى القنية وهي ما يتاثل من الاموال وافرادها لانها اشرف الاموال
او ارضى وتحقيقه جعل الرضا له قنية وانه هو رب الشعرى يعني العبور وهي اشد ضياء
من الغميصاء عبدها ابو كبشة احد اجداد الرسول وخالف قريشا في عبادة الاوثان ولذلك
يسمون الرسول ابن ابي كبشة ولعل تخصيصها للاشعار بانه عم كما وافق ابا كبشة
في مخالفتهم خالفهم ايضا في عبادتها وانه اهلك عادا الاولى القدماء لانهم اولى الامم
هلاكا بعد قوم نوح وقيل عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم وقرئ عادا لولى بحذف
الهمزة ونقل ضمتها الى لام التعريف وعاد لولى بادغام التنوين في اللام وثمود عطف
على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه وقرا عاصم وحمزة بغير تنوين ويقفان بغير الالف والباقون
بالتنوين ويقفون بالالف فما ابقى الفريقين وقوم نوح ايضا عطف عليه من قبل
من قبل عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين لانهم كانوا يؤذونه وينفرون
عنه ويضربونه حتى لا يكون به حراك والمؤتفكة والقرى التي ائتفكت باهلها اي انقلبت
وهي قرى قوم لوط اهوى بعد ان رفعها فقلبها فغشيها ما غشى فيه تهويل وتعميم
لما اصابهم فباي الاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب للرسول او لكل احد
والمعدودات وان كانت نعما ونقما لكن سماها الاء من قبل ما في نقمة من العبر والمواعظ
للمعتبرين والانتقام للانبياء والمؤمنين هذا نذير من النذر الاولى اي هذا القران
انذار من جنس الانذارات المتقدمة او هذا الرسول نذير من جنس المنذرين الاولين
ازفت الازفة دنت الساعة الموصوفة بالدنو في نحو قوله اقتربت الساعة ليس لها
من دون الله كاشفة ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله لكنه لا يكشفها

لا يكشفها او الان بتاخيرها الا الله او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله اذ لا يطلع
عليه سواه او ليس لها من غير الله كشف على انها مصدر كالعافية افمن هذا
الحديث يعني القران تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء ولا تبكون تحزنا على
ما فرطتم وانتم سامدون لاهون او مستكبرون من سمد البعير في مسيره اذا رفع
راسه او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود وهو الغناء فاسجدوا لله
واعبدوا اي واعبدوه دون الالهة عن النبي عليه السلام من قرا والنجم اعطاه
الله عشر حسنات بعدد من صدق وجحد به بمكة

بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة وانشق القمر روي ان الكفار سالوا
رسول الله اية فانشق القمر وقيل معناه سينشق يوم القيمة ويؤيد الاول انه قرئ
وقد انشق القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل من ايات اقترابها انشقاق القمر وقوله
وان يروا اية يعرضوا عن تاملها والايمان بها ويقولوا سحر مستمر مطرد وهو يدل
على انهم راوا قبله ايات اخرى مترادفة ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك
او محكم من المرة يقال امررته فاستمر اذا احكمته فاستحكم او مستبشع من استمر
اذا اشتدت مرارته او مار ذاهب لا يبقى وكذبوا واتبعوا اهواءهم وهو
ما زين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره وذكرهما بلفظ الماضي للاشعار بانهما
من عادتهم القديمة وكل امر مستقر منته الى غاية من خذلان او نصر في الدنيا
وشقاوة او سعادة في الاخرة فان الشيء اذا انتهى الى غايته ثبت واستقر
وقرئ بالفتح اي ذو مستقر بمعنى استقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل معطوف
على الساعة ولقد جاءهم في القران من الانباء انباء القرون الخالية او انباء
الاخرة ما فيه مزدجر ازدجار من تعذيب او وعيد وتاء الافتعال تقلب دالا
مع الذال والزاي للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زايا وادغامها حكمة بالغة غايتها
لا خلل فيها وهي بدل من ما او خبر محذوف وقرئ بالنصب حالا منها فانها موصولة او
مخصوصة بالصفة فيجوز نصب الحال عنها فما تغني النذر نفي او استفهام انكار اي
فاي غناء تغني النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر او المنذر منه او مصدر بمعنى الانذار
فتول عنهم لعلمك بان الانذار لا يغني فيهم يوم يدع الداع اسرافيل ويجوز ان يكون الدعاء
فيه كالامر في قوله كن فيكون واسقاط الياء اكتفاء بالكسرة للتخفيف وانتصاب يوم
بيخرجون او باضمار اذكر الى شيء نكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد بمثله وهو
هول القيمة وقرا ابن كثير نكر بالتخفيف وقرئ نكر بمعنى انكر خاشعا ابصارهم يخرجون
من الاجداث اي يخرجون من قبورهم خاشعا ذليلا ابصارهم من الهول وافراده و
تذكيره لان فاعله ظاهر غير حقيقي التانيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرا ابن كثير ونافع
وابن عامر وعاصم خشعا وانما حسن ذلك ولا يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم لانه

لبس على صيغة تشبه الفعل وقرئ خشّع ابصارهم على الابتدا والخبر فيكون الجملة حالا كانهم
جراد منتشر في الكثرة والتموّج والانتشار في الامكنة مهطعين الى الداع مسرعين مادّي
اعناقهم اليه او ناظرين اليه يقول الكافرون هذا يوم عسر صعب كذّبت قبلهم قوم نوح
قبل قومك فكذّبوا عبدنا نوحا وهو تفصيل بعد اجمال وقيل معناه كذّبوه تكذيبا على عقب
تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذّب تبعه قرن مكذّب او كذّبوه بعد ما كذّبوا الرسل وقالوا
مجنون هو مجنون وازدجر وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل انه من جملة قيلهم
اى هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبّطته فدعا ربه انّى وقرئ بالكسر على ارادة
القول مغلوب غلبني قومي فانتصر فانتقم لى منهم وذلك بعد يأسه منهم فقد روى
ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخرّ مغشيا عليه فيفيق ويقول اللهم اغفر لقومي
فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر منصبّ وهو مبالغة وتمثيل لكثرة
الامطار وشدة انصبابها وقرا ابن عامر ويعقوب ففتّحنا بالتشديد لكثرة الابواب
وفجّرنا الارض عيونا وجعلنا الارض كلها كانها عيون متفجّرة واصله وفجّرنا عيون
الارض فغيّر للمبالغة فالتقى الماء ماء السماء وماء الارض وقرئ الماءان لاختلاف النوعين
والماوان بقلب الهمزة واوا على امر قد قدر على حال قدّرها الله في الازل من غير تفاوت
او على حال قدّرت وسوّيت وهو ان قدر ما انزل على قدر ما اخرج او على امر قدّره
الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه على ذات الواح ذات اخشاب عريضة
ودسر ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع الشديد وهي صفة للسفينة اقيمت
مقامها من حيث انها كالشرح لها تؤدّي مؤدّاها تجري باعيننا بمرأى منّا اى
محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفر اى فعلنا ذلك جزاء لنوح لانه نعمة كفروها فان
كل نبي نعمة من الله ورحمة على امته ويجوز ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى
الضمير وقرئ لمن كفر اى للكافرين ولقد تركناها اى السفينة او الفعلة آية
يعتبر بها اذ شاع واشتهر فهل من مدّكر معتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذّكر بقلب
التاء ذالا والادغام فكيف كان عذابي ونذر استفهام تعظيم ووعيد والنذر
يحتمل المصدر والجمع ولقد يسّرنا القرآن سهّلناه او هيّأناه من يسّر ناقته للسفر
اذا رحلها للذكر للادّكار والاتعاظ بان صرّفنا فيه انواع المواعظ والعبر او للحفظ
بالاختصار وعذوبة اللفظ فهل من مدّكر متّعظ كذّبت عاد فكيف كان عذابي
ونذر وانذاري لهم بالعذاب قبل نزوله او لمن بعدهم في تعذيبهم انا ارسلنا
عليهم ريحا صرصرا باردة او شديدة الصوت في يوم نحس شؤم مستمر استمر شؤمه
او استمر عليهم حتى اهلكهم او على جميعهم كبيرهم وصغيرهم فلم يبق منهم احدا واشتدّ
مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر تنزع الناس تقلعهم روى انهم دخلوا في
الشعاب والحفر وتمسّك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح عنها وصرعتهم موتى كانهم اعجاز

اعجاز نخل منقعر اصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط على الارض وقيل شبّهوا
بالاعجاز لان الريح طيّرت رؤسهم وطرحت اجسادهم وتذكير منقعر للحمل على اللفظ
والتأنيث في قوله اعجاز نخل خاوية للمعنى فكيف كان عذابي ونذر كرّره للتهويل
وقيل الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الآخرة كما قال ايضا في قصتهم
لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة ولعذاب الآخرة اخزى ولقد يسّرنا القرآن
للذكر فهل من مدّكر كذّبت ثمود بالنذر بالانذارات او المواعظ او الرسل فقالوا
ابشرا منّا من جنسنا او من جملتنا لا فضل له علينا وانتصابه بفعل يفسّره ما بعده
وقرئ بالرفع على الابتداء والاول اوجه للاستفهام واحدا منفردا لا تبع له او من
آحادهم دون اشرافهم نتّبعه انا اذا لفي ضلال وسعر جمع سعير كانهم عكسوا عليه
فرتّبوا على اتباعهم اياه ما رتّبه على ترك اتباعهم له وقيل السعر الجنون ومنه ناقة مسعورة
ءالقي الذكر الكتاب والوحي عليه من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذّاب
اشر حمله بطره على الترفّع علينا بادّعائه سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم
او يوم القيمة من الكذّاب الاشر الذي حمله اشره على الاستكبار على الحق وطلب
الباطل اصالح ام من كذّبه وقرا ابن عامر وحمزة ورويس ستعلمون على الالتفات
او حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ الاشر كقولهم حذر والاشرّ اى الابلغ في الشرارة وهو اصل
مرفوض كالاخير انا مرسلوا الناقة مخرجوها وباعثوها فتنة لهم امتحانا لهم فارتقبهم
فانتظرهم وتبصّر ما يصنعون واصطبر على اذاهم ونبّئهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم
لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء كل شرب محتضر يحضره صاحبه في نوبته
او يحضر عنه غيره فنادوا صاحبهم قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى فعقر
فاجترا على تعاطي قتلها او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطي تناول الشيء بتكلّف
فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة صيحة جبرائيل فكانوا كهشيم
المحتظر كالشجر اليابس المنكسر الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس
المنكسر الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة
لماشيته في الشتاء وقرئ بفتح الظاء اى كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها ولقد
يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر كذّبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا
ريحا تحصبهم بالحجارة اى ترميهم الا آل لوط نجّيناهم بسحر في سحر وهو آخر الليل او مسحرين
نعمة من عندنا انعاما منه وهو علة لنجّينا كذلك نجزي من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة
ولقد انذرهم لوط بطشتنا اخذتنا بالعذاب فتماروا بالنذر فكذّبوا بالنذر
متشاكّين ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا اعينهم فمسحناها
وسوّيناها كسائر الوجه روى انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبرائيل صفقة فاعماهم
فذوقوا عذابي ونذر فقلنا لهم ذوقوا على السنة الملائكة او ظاهر الحال ولقد صبّحهم بكرة

وقرئ بكرة غير مصروف على انها العلم او اول نهار معين عذاب مستقر يستقر بهم حتى
يسلمهم الى النار فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كرر ذلك
في كل قصة اشعارا بان تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب واستماع كل قصة
مستدع للادكار والاتعاظ واستينافا للتنبيه والايقاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة
وهكذا تكرير قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين ونحوهما ولقد جاء آل
فرعون النذر اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك كذبوا باياتنا كلها
يعني الآيات التسع فاخذناهم اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء اكفاركم يا معشر
العرب خير من اولئكم الكفار المعدودين قوة وعدة او مكانة ودينا عند الله
ام لكم براءة في الزبر ام نزل لكم في الكتب السماوية ان من كفر منكم فهو في امان من
العذاب ام يقولون نحن جميع جماعة امرنا مجتمع منتصر ممتنع لا نرام او منتصر من الاعداء
لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا بعضا والتوحيد على لفظ الجميع سيهزم الجمع ويولون الدبر
اي الادبار وافراده لارادة الجنس او لان كل واحد يولي دبره وقد وقع ذلك
يوم بدر وهو من دلائل النبوة وعن عمر رضي الله عنه انه لما نزلت قال لم اعلم ما هو
فلما كان يوم بدر رايت رسول الله يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلمته بل الساعة
موعدهم موعد عذابهم الاصلي وما يحيق بهم في الدنيا فمن طلايعه والساعة ادهى
والداهية امر فظيع لا يهتدى لدوائه وامر مذاقا من عذاب الدنيا ان المجرمين في ضلال
عن الحق في الدنيا وسعر ونيران في الآخرة يوم يسحبون في النار على وجوههم يجرون
عليها ذوقوا مس سقر اي يقال لهم ذوقوا حر النار وألمها فان مسها سبب للتألم بها
وسقر علم لجهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته انا كل شيء
خلقناه بقدر اي انا خلقنا كل شيء مقدرا مرتبا على مقتضى الحكمة او مقدرا مكتوبا في
اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء
وعلى هذا فالاولى ان يجعل خلقناه خبرا لا نعتا ليطابق المشهورة في الدلالة على ان كل شيء
مخلوق بقدر ولعل اختيار النصب ههنا مع الاضمار لما فيه من النصوصية على المقصود
وما امرنا الا واحدة الا فعلة واحدة وهو الايجاد بلا معالجة ومعاناة او الا كلمة واحدة
وهو قوله كن كلمح بالبصر في اليسر والسرعة وقيل معناه معنى قوله وما امر الساعة
الا كلمح البصر ولقد اهلكنا اشياعكم اشباهكم في الكفر ممن قبلكم فهل من مدكر
متعظ وكل شيء فعلوه في الزبر مكتوب في كتب الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال
مستطر مسطور في اللوح ان المتقين في جنات ونهر انهار واكتفى باسم الجنس او
سعة او ضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء وبضم النون والهاء وبضم النون وسكون
الهاء جمع نهر كاسد واسد في مقعد صدق في مكان مرضي وقرئ مقاعد صدق
عند مليك مقتدر مقربين عند من تعالى امره في الملك والاقتدار بحيث ابهمه ذووا

ذوو الافهام عن النبي من قرا سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر

بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن لما كانت السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية
والاخروية صدرها بالرحمن وقدم ما هو اصل النعم الدينية واجلها وهو انعامه بالقرآن
وتنزيله وتعليمه فانه اساس الدين ومنشأ الشرع واعظم الوحي واعز الكتب اذ هو
باعجازه واشتماله على خلاصتها مصدق لنفسه ومصداق لها اتبعه قوله خلق الانسان
علمه البيان ايماء بان خلق البشر وما تميز به عن سائر الحيوان من البيان وهو التعبير عما في الضمير
وافهام الغير لما ادركه لتلقي الوحي وتعرف الحق وتعلم الشرع واخلاء الجمل الثلث التي هي
اخبار مترادفة للرحمن عن العاطف لمجيئها على نهج التعديد الشمس والقمر بحسبان
يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما ويتسق بذلك امور الكائنات
السفلية ويختلف الفصول والاوقات ويعلم السنون والحساب والنجم والنبات
الذي ينجم اي يطلع من الارض ولا ساق له والشجر والذي له ساق يسجدان ينقادان
لله فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا وكان حق النظم في الجملتين
ان يقال واجرى الشمس والقمر واسجد النجم والشجر او الشمس والقمر بحسبانه والنجم
والشجر يسجدان له ليطابقا ما قبلهما وما بعدهما في اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا عما
يدل على الاتصال اشعارا بان وضوحه يغنيه عن البيان وادخال العاطف بينهما
لاشتراكهما في الدلالة على ان ما يحس به من تغيرات احوال الاجرام العلوية والسفلية
بتقديره وتدبيره والسماء رفعها خلقها مرفوعة محلا ومرتبة فانها منشأ اقضيته
ومتنزل احكامه ومحل ملائكته وقرئ بالرفع على الابتداء ووضع الميزان العدل بان
وفر على كل مستعد مستحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم امر العالم واستقام
كما قال عليه السلام بالعدل قامت السموات والارض او ما يعرف به مقادير الاشياء
من ميزان ومكيال ونحوهما كانه لما وصف السماء بالرفعة التي هي من حيث انها مصدر
القضايا والاقدار اراد وصف الارض بما فيها مما يظهر به التفاوت ويعرف المقدار
ويسوى به الحقوق والمواجب الا تطغوا في الميزان لان لا تطغوا فيه اي لا تعتدوا
ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ لا تطغوا على ارادة القول واقيموا الوزن بالقسط
ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه فان من حقه ان يسوى لانه المقصود من وضعه
وتكريره مبالغة في التوصية وزيادة حث على استعماله وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء
وضم السين وكسرها وفتحها على ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل
الفعل والارض وضعها خفضها مدحوة للانام للخلق وقيل الانام كل ذي روح فيها
فاكهة ضروب مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام اوعية التمر جمع كم او كل ما يكم اي يغطي
من ليف وسعف وكفرى فانه ينتفع به كالمكموم كالجذع والحب والثمرة والحب

ذو العصف كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذى به والعصف ورق النبات اليابس كالتبن
والريحان يعني المشموم او الرزق من قولهم خرجت اطلب ريحان الله وقرأ ابن عامر والحب
ذا العصف والريحان اى وخلق الحب والريحان او اخص ويجوز ان يراد وذا الريحان فحذف
المضاف وقرأ حمزة والكسائي والريحان بالخفض والباقون بالرفع وهو فيعلان من الروح فقلبت
الواو ياء وادغم ثم خفف وقيل روحان فقلب واوه ياء للتخفيف فبأي آلاء ربكما
تكذبان الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله للانام وقوله ايها الثقلان خلق الانسان
من صلصال كالفخار الصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة والفخار الخزف وقد
خلق الله آدم من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا يخالف ذلك قوله
خلقه من تراب ونحوه وخلق الجان اى الجن او ابا الجن من مارج من صاف الدخان
من نار بيان لمارج فانه في الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب فبأي آلاء ربكما
تكذبان مما افاض عليكما في اطوار خلقتكما حتى صيركما افضل المركبات وخلاصة
الكائنات رب المشرقين ورب المغربين مشرقي الشتاء والصيف ومغربيهما
فبأي آلاء ربكما تكذبان مما في ذلك من الفوائد التي لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف
الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك مرج البحرين ارسلهما
من مرجت الدابة اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب يلتقيان يتجاوران
ويتماس سطوحهما او بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان يتشعبان
منه بينهما برزخ حاجز من قدرة الله او من الارض لا يبغيان لا يبغي احدهما على الآخر
بالممازجة وابطال الخاصية او لا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما فبأي آلاء ربكما
تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان كبار الدر وصغاره وقيل المرجان الخرز الاحمر
وان صح ان الدر يخرج من الملح فعلى الاول انما قال منهما لانه يخرج من مجتمع الملح
والعذب او لانهما لما اجتمعا صارا كالشيء الواحد وكان المخرج من احدهما كالمخرج
منهما وقرأ نافع وابو عمرو ويعقوب يخرج وقرئ نخرج ويخرج بنصب اللؤلؤ والمرجان
فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار السفن جمع جارية وقرئ بحذف الياء ورفع
الراء كقوله لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان المنشآت المرفوعات
الشرع او المصنوعات وقرأ حمزة وابو بكر بكسر الشين اى الرافعات الشرع او اللاتي
ينشئن الامواج او السير في البحر كالاعلام كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل
فبأي آلاء ربكما تكذبان من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها
واجرائها في البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها غيره كل من عليها فان على الارض
من الحيوانات او المركبات ومن للتغليب او من الثقلين فان ويبقى وجه ربك
ذاته ولو استقريت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها باسرها فانية
في حد ذاتها الا وجه الله اى الوجه الذي يلي جهته ذو الجلال والاكرام ذو الاستغناء

ذو الاستغناء المطلق والفضل العام فبأي آلاء ربكما تكذبان اى مما ذكرنا قبل من الفناء
ما لا يحصى مما هو على صدد الفناء رحمة وفضلا او مما رتب على افناء الكل من الاعادة و
الحيوة الدائمة والنعيم المقيم يسأله من في السموات والارض فانهم مفتقرون اليه
في ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يهمهم ويعن لهم والمراد بالسؤال ما يدل على الحاجة
الى تحصيل الشيء نطقا كان او غيره كل يوم هو في شان كل وقت يحدث اشخاصا
ويجدد احوالا على ما سبق به قضاؤه وفي الحديث من شانه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا
ويرفع قوما ويضع آخرين وهو رد لقول اليهود ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا
فبأي آلاء ربكما تكذبان اى مما يسعف به سؤالكما وما يخرج لكما من مكمن العدم حينا
فحينا سنفرغ لكم ايها الثقلان سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيمة
فانه تعالى لا يفعل فيه غيره وقيل تهديد مستعار من قولك لمن تهدده سافرغ لك
فان المتجرد للشيء كان اقوى عليه واجد فيه وقرأ حمزة والكسائي بالياء وقرئ سنفرغ
اليكم اى سنقصد اليكم والثقلان الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض او
لرزانة رأيهم وقدرهم او لانهما مثقلان بالتكليف فبأي آلاء ربكما تكذبان
يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض
ان قدرتم ان تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين من الله فارين من قضائه
فانفذوا فاخرجوا لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان الا بقوة وقهر
واني لكم ذلك او ان قدرتم ان تنفذوا لتعلموا ما في السموات والارض فانفذوا لتعلموا
لكن لا تنفذون ولا تعلمون الا ببينة نصبها الله فتعرجون عليها بافكاركم فبأي آلاء
ربكما تكذبان اى من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة او
مما نصب من المصاعد العقلية والمعارج النقلية فتنفذون بها الى ما فوق السموات العلى
يرسل عليكما شواظ لهب من نار ونحاس ودخان قال

[NOTE: the line above ends "قال يصف كضوء سراج السليط"; full line follows]
يرسل عليكما شواظ لهب من نار ونحاس دخان قال يضيء كضوء سراج السليط
لم يجعل الله فيه نحاسا او صفر مذاب يصب على رؤسهم وقرأ ابن كثير شواظ بالكسر وهو لغة
ونحاس بالجر عطفا على نار ووافقه فيه ابو عمرو ويعقوب في رواية وقرئ ونحس وهو
جمع كلحف فلا تنتصران فلا تمتنعان فبأي آلاء ربكما تكذبان فان التهديد لطف والتمييز
بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الآلاء فاذا انشقت السماء
فكانت وردة اى حمراء كالوردة وقرئت بالرفع على كان التامة فيكون من باب
التجريد كقوله ولئن بقيت لارحلن بغزوة تحوي الغنائم او يموت كريم كالدهان مذابة
كالدهن وهو اسم لما يدهن به كالحزام او جمع دهن وقيل هو الاديم الاحمر فبأي
آلاء ربكما تكذبان اى مما يكون بعد ذلك فيومئذ اى فيوم تنشق السماء لا يسأل
عن ذنبه انس ولا جان لانهم يعرفون بسيماهم وذلك حين ما يخرجون من قبورهم
ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما قوله فوربك لنسألنهم

ونحوه فحينئذ يحاسبون في المجمع والهاء للانس باعتبار اللفظ فانه وان تأخر لفظاً تقدم رتبة فبأي آلاء ربكما تكذبان اي مما انعم على عباده المؤمنين في هذا اليوم يعرف المجرمون بسيماهم وهو ما يعلوهم من الكآبة والحزن فيؤخذ بالنواصي والاقدام مجموعاً بينهما وقيل يؤخذون بالنواصي تارة وبالاقدام اخرى فبأي آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها بين النار يحرقون بها وبين حميم ماء حار آن بلغ النهاية في الحرارة يصب عليهم او يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم فبأي آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب او قيامه على احوالهم من قام عليه اذا راقبه او مقام الخائف عند ربه باحد المعنيين فاضاف الى الرب تفخيما وتهويلا او ربه ومقام مقحم للمبالغة لقوله ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين جنتان جنة للخائف الانسي والاخرى للخائف الجني فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما او لكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل الطاعات واخرى لترك المعاصي او جنة يثاب بها واخرى يتفضل بها عليه او روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعده فبأي آلاء ربكما تكذبان ذواتا افنان انواع من الاشجار والثمار جمع فن او اغصان جمع فنن وهي الغصنة التي تتشعب من فرع الشجرة وتخصيصها بالذكر لانها التي تورق وتثمر وتمد الظل فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان حيث شاؤا في الاعالي والاسافل قيل احديهما التسنيم والاخرى السلسبيل فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان غريب ومعروف او رطب ويابس فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق من ديباج ثخين واذا كانت كذلك فما ظنك بالظهائر متكئين مدح للخائف او حال منهم لان من خاف في معنى الجمع وجنا الجنتين دان قريب يناله القاعد والمضطجع وجنى اسم بمعنى مجني وقرئ بكسر الجيم فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن في الجنان فان جنتان تدل على جنان هي للخائفين او فيما فيهما من الاماكن والقصور او في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش قاصرات الطرف نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان لم يمس الانسيات انس والجنيات جن وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرأ الكسائي بضم الميم فبأي آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان في حمرة الوجه وبياض البشرة وصفائهما فبأي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان خضراوان يضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاوليين الاشجار والفواكه دلالة

ودلالة على ما بينهما من التفاوت فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فوارتان بالماء وهو ايضا اقل مما وصف به الاوليين وكذا ما بعده فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان عطفهما على الفاكهة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء وثمرة الرمان فاكهة ودواء واحتج به ابو حنيفة على ان من حلف لا يأكل فاكهة فاكل رطبا او رمانا لم يحنث فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات اي خيرات فخففت لان خيرا الذي بمعنى اخير لا يجمع وقد قرئ على الاصل حسان حسان الخلق والخلق فبأي آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات قصرت في خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة اي مخدرة او مقصورات الطرف على ازواجهن في الخيام فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان كحور الاوليين وهم لاصحاب الجنتين فانهما يدلان عليهم فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف وسائد او نمارق جمع رفرفة وقيل الرفرف ضرب من البسط او ذيل الخيمة وقد يقال لكل ثوب عريض خضر وعبقري حسان فبأي آلاء ربكما تكذبان العبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان حملا على المعنى تبارك اسم ربك تعالى اسمه من حيث انه مطلق على ذاته فما ظنك بذاته وقيل الاسم بمعنى الصفة او مقحم كما في قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما ذي الجلال والاكرام وقرأ ابن عامر بالرفع صفة للاسم عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه

بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة اذا حدثت القيمة سماها واقعة لتحقق وقوعها وانتصاب اذا بمحذوف مثل اذكر او كان كيت وكيت ليس لوقعتها كاذبة اي لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله او تكذب في نفيها كما تكذب الآن واللام مثلها في قوله تعالى قدمت لحياتي او ليس لاجل وقعتها كاذبة فان من اخبر عنها صدق او ليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها باطاقة شدتها واحتمالها وتغريه عليها من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته عليه وسولت له انه يطيقه خافضة رافعة تخفض قوما وترفع اخرين وهو تقرير لعظمتها فان الوقائع العظام كذلك او بيان لما تكون حينئذ من خفض اعداء الله ورفع اوليائه او ازالة الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب وتسيير الجبال في الجو وقرئتا بالنصب على الحال اذا رجت الارض رجا حركت تحريكا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل والظرف متعلق بخافضة رافعة او بدل من اذا وقعت وبست الجبال بسا فتتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق اذا لته او سيقت وسيرت من بس الغنم اذا ساقها فكانت هباء غبارا منبثا منتشرا وكنتم ازواجا اصنافا ثلثة وكل صنف يكون او يذكر مع صنف اخر زوج فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة فاصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية من تيمنهم بالميامن وتشأمهم بالشمائل او اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة الذين يؤتون

صحائفهم بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم او اصحاب اليمن والشوم فان السعداء
ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم والجملتان الاستفهاميتان
خبران لما قبلهما باقامة الظاهر مقام الضمير ومعناهما التعجيب من حال الفريقين والسابقون
السابقون والذين سبقوا الى الايمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم وتوان
او سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات او الانبياء فانهم مقدموا اهل الاديان هم
الذين عرفت حالهم وعرفت مآلهم كقول ابي النجم وشعري شعري او الذين سبقوا
الى الجنة اولئك المقربون في جنات النعيم الذين قربت درجاتهم في الجنة واعليت
مراتبهم ثلة من الاولين اي هم كثير من الاولين يعني الامم السالفة من لدن آدم الى محمد عم
وقليل من الآخرين يعني امة محمد عم ولا يخالف ذلك قوله عليه السلام ان امتي يكثرون
سائر الامم لجواز ان يكون سابقوا سائر الامم اكثر من سابقي هذه الامة وتابعوا هذه
اكثر من تابعيهم ولا يرده قوله في اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان
كثرة الفريقين لا ينافي اكثرية احدهما وروي مرفوعا انهما من هذه الامة واشتقاقها
من الثل وهو القطع على سرر موضونة خبر آخر للضمير المحذوف والموضونة المنسوجة
بالذهب مشبكة بالدر والياقوت او المتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع متكئين
عليها متقابلين حالان من الضمير في على يطوف عليهم للخدمة ولدان مخلدون مبقون
ابدا على هيئة الولدان وطراوتهم باكواب واباريق حال الشرب وغيره والكوب اناء
بلا عروة ولا خرطوم والابريق اناء له ذلك وكأس من معين من خمر لا يصدعون
عنها بخمار ولا ينزفون ولا ينزفون عقولهم او لا ينفد شرابهم وقرأ الكوفيون بكسر الزاي
وقرئ لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون اي لا يتفرقون وفاكهة مما يتخيرون اي يختارون
ولحم طير مما يشتهون يتمنون وحور عين عطف على ولدان او مبتدأ محذوف
الخبر اي وفيها او ولهم حور وقرأ حمزة والكسائي بالجر عطفا على جنات بتقدير مضاف
اي هم في جنات ومصاحبة حور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون
باكواب ينعمون باكواب وقرئتا بالنصب على ويؤتون حورا كامثال اللؤلؤ المكنون
المصون عما يضر به في الصفاء والنقاء جزاء بما كانوا يعملون اي يفعل ذلك بهم جزاء
لاعمالهم لا يسمعون فيها لغوا باطلا ولا تاثيما ولا نسبة الى الاثم اي لا يقال لهم اثمتم
الا قيلا الا قولا سلاما سلاما بدل من قيلا كقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما او صفته
او مفعوله بمعنى الا ان يقولوا سلاما او مصدر والتكرير للدلالة على فشو السلام بينهم وقرئ
سلام سلام على الحكاية واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود لا شوك له
من خضد الشوك اذا قطعه او مثني اغصانه من كثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو
رطب وطلح وشجر موز او ام غيلان وله انوار كثيرة طيبة الرائحة وقرئ بالعين منضود
نضد حمله من اسفله الى اعلاه وظل ممدود منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت وماء مسكوب

مسكوب يسكب لهم اين شاؤوا وكيف شاؤوا بلا تعب او مصبوب سائل كانه لما شبه
حال السابقين في التنعم باعلى ما يتصور لاهل المدن شبه حال اصحاب اليمين باكمل ما
يتمناه اهل البوادي اشعارا بالتفاوت بين الحالين وفاكهة كثيرة كثيرة الاجناس
لا مقطوعة لا تنقطع في وقت ولا ممنوعة لا تمنع عن متناولها بوجه وفرش مرفوعة
رفيعة القدر او منضدة مرتفعة وقيل الفرش النساء وارتفاعها انها على الارائك ويدل
عليه قوله انا انشأناهن انشاء اي ابتدأناهن ابتداء جديدا من غير ولادة ابدا
او اعادة وفي الحديث هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله
بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فجعلناهن ابكارا
عربا متحببات الى ازواجهن جمع عروب وسكن راءه حمزة وروي عن نافع وعاصم
مثله اترابا فان كلهن بنات ثلث وثلثين وكذا ازواجهن لاصحاب اليمين متعلق
بانشأنا او جعلنا او صفة لابكارا او خبر لمحذوف مثل هن او لقوله ثلة من الاولين
وثلة من الآخرين وهي على الوجه الاول خبر محذوف واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال
في سموم في حر نار ينفذ في المسام وحميم وماء متناه في الحرارة وظل من يحموم من دخان
اسود يفعول من الحممة لا بارد كسائر الظل ولا كريم ولا نافع نفي بذلك ما اوهم
الظل من الاسترواح انهم كانوا قبل ذلك مترفين منهمكين في الشهوات وكانوا
يصرون على الحنث العظيم الذنب العظيم يعني الشرك ومنه بلغ الغلام الحنث اي الحلم
ووقت المؤاخذة بالذنب وحنث في يمينه خلاف بر فيها وتحنث اذا تأثم وكانوا يقولون
أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون كررت الهمزة للدلالة على انكار البعث
مطلقا وخصوصا في هذا الوقت كما دخلت العاطفة في او آباؤنا الاولون للدلالة على ان
ذلك اشد انكارا في حقهم لتقادم زمانهم وللفصل بها حسن العطف على المستكن في لمبعوثون
وقرأ نافع وابن عامر او بالسكون مثله والعامل في الظرف ما دل عليه مبعوثون لا هو
للفصل بان والهمزة قل ان الاولين والآخرين لمجموعون وقرئ لمجمعون الى ميقات
يوم معلوم الى ما وقتت به الدنيا وحدت من يوم معين عند الله معلوم له ثم انكم
ايها الضالون المكذبون اي بالبعث والخطاب لاهل مكة واضرابهم لآكلون من شجر
من زقوم من الاولى للابتداء والثانية للبيان فمالئون منها البطون من شدة الجوع
فشاربون عليه من الحميم لغلبة العطش وتأنيث الضمير في منها وتذكيره في عليه حملا على المعنى
واللفظ وقرئ من شجرة فيكون التذكير للزقوم فانه تفسيرها فشاربون شرب الهيم
الابل التي بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع اهيم وهيماء قال ذو الرمة فاصبحت
كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها وقيل الهيم الرمال على انه جمع هيام بالفتح
وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على هيم كسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض وكل من
المعطوف والمعطوف عليه اخص من الآخر من وجه فلا اتحاد وقرأ نافع وحمزة وعاصم شرب

بضم الشين هذا نزلهم يوم الدين يوم الجزاء فما ظنك بما يكون لهم بعد ما استقروا في
الجحيم وفيه تهكم كما في قوله وبشرهم بعذاب اليم لان النزل ما يعد للنازل تكرمة له وقرئ
نزلهم بالتخفيف نحن خلقناكم فلولا تصدقون بالخلق متيقنين محققين للتصديق
بالاعمال الدالة عليه او البعث فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة افرايتم ما تمنون اي ما تقذفونه
بالارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من مني النطفة بمعنى امناها أانتم تخلقونه تجعلونه
بشرا سويا ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت قسمناه عليكم ووقتنا موت
كل بوقت معين وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال وما نحن بمسبوقين لا يسبقنا احد فيهرب
من الموت او يغير وقته او لا يغلبنا احد من سبقته على كذا اذا غلبته عليه على ان نبدل
امثالكم على الاول حال او علة لقدرنا وعلى معنى اللام وما نحن بمسبوقين اعتراض
وعلى الثاني صلة والمعنى على ان نبدل منكم اشباهكم فنخلق بدلكم او نبدل صفاتكم على ان
امثالكم جمع مثل وننشئكم فيما لا تعلمون في خلق او صفات لا تعلمونها ولقد علمتم
النشاة الاولى فلولا تذكرون ان من قدر عليها قدر على النشاة الاخرى فانها اقل
صنعا لحصول المواد وتخصص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس افرايتم
ما تحرثون تبذرون حبه أانتم تزرعونه تنبتونه ام نحن الزارعون المنبتون لو نشاء
لجعلناه حطاما هشيما فظلتم تفكهون تعجبون او تندمون على اجتهادكم فيه او على ما
اصبتم لاجله من المعاصي فتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير
للتنقل بالحديث وقرئ فظلتم بالكسر وظللتم على الاصل انا لمغرمون لملزمون غرامة ما
انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وقرأ ابو بكر أئنا لمغرمون على الاستفهام
بل نحن قوم محرومون حرمنا رزقنا او محدودون لا مجدودون افرايتم الماء الذي
تشربون اي العذب الصالح للشرب أانتم انزلتموه من المزن من السحاب واحده مزنة
وقيل المزن السحاب الابيض وماؤه اعذب ام نحن المنزلون بقدرتنا والرؤية ان كانت
بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام لو نشاء جعلناه اجاجا ملحا او من الاجيج فانه يحرق الفم
حذف اللام الفاصلة بين جواب ما يتمحض للشرط وما يتضمن معناه لعلم السامع بمكانه
او الاكتفاء بسبق ذكرها او تخصيص ما يقصد لذاته ويكون اهم وفقده اصعب لمزيد
التاكيد فلولا تشكرون امثال هذه النعم الضرورية افرايتم النار التي تورون تقدحون
أانتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون يعني الشجرة التي منها الزناد نحن جعلناها جعلنا نار
الزناد تذكرة تبصرة في امر البعث كما مر في سورة يس او في الظلام او تذكيرا وانموذجا
لنار جهنم ومتاعا ومنفعة للمقوين للذين ينزلون القواء وهي القفر او للذين
خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام من اقوت الدار اذا خلت من ساكنيها فسبح باسم
ربك العظيم فاحدث التسبيح بذكر اسمه او بذكره فان اطلاق الاسم للشيء ذكره والعظيم
صفة للاسم او الرب وتعقيب الامر بالتسبيح لما عدد من بدائع صنعه وانعامه اما لتنزيهه تعالى

تعالى عما يقول الجاحدون لوحدانيته الكافرون لنعمه او للتعجب من امرهم في غمط
نعمه او للشكر على ما عددها من النعم فلا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم
او فاقسم ولا مزيدة للتاكيد كما في لئلا يعلم او فلانا اقسم فحذف المبتدا واشبع
لام الابتداء ويدل عليه انه قرئ فلاقسم او فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه بمواقع
النجوم بمساقطها وتخصيص المغارب لما في غروبها من زوال اثرها والدلالة على
وجود مؤثر لا يزول تاثيره او بمنازلها ومجاريها وقيل النجوم نجوم القران ومواقعها
اوقات نزولها وقرأ حمزة والكسائي بموقع وانه لقسم لو تعلمون عظيم لما في المقسم
من الدلالة على عظيم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته ان لا يترك
عباده سدى وهو اعتراض بين القسم والمقسم عليه ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف
والصفة انه لقران كريم كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة في اصلاح المعاش
والمعاد او حسن مرضي في جنسه في كتاب مكنون مصون وهو اللوح لا يمسه الا المطهرون
لا يطلع على اللوح الا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة او لا يمس القران
الا المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى النهي او لا يطلبه الا المطهرون من الكفر
وقرئ المتطهرون والمطهرون والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون اي انفسهم
او غيرهم بالاستغفار لهم والالهام تنزيل من رب العالمين صفة ثالثة او رابعة
للقران وهو مصدر نعت به وقرئ بالنصب اي نزل تنزيلا افبهذا الحديث يعني القران
انتم مدهنون متهاونون به كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا
به وتجعلون رزقكم اي شكر رزقكم انكم تكذبون بمانحه حيث تنسبونه الى الانواء وقرئ
شكركم اي وتجعلون شكركم لنعمة القران انكم تكذبون به وتكذبون اي بقولكم في القران
انه سحر وشعر او في المطر انه من الانواء فلولا اذا بلغت الحلقوم اي النفس وانتم حينئذ
تنظرون حالكم والخطاب لمن حول المحتضر والواو للحال ونحن اقرب ونحن اعلم اليه
الى المحتضر منكم عبر عن العلم بالقرب الذي هو اقوى سبب الاطلاع ولكن لا تبصرون
لا تدركون كنه ما يجري عليه فلولا ان كنتم غير مدينين مجزيين يوم القيامة او مملوكين
مقهورين من دانه اذا اذله واستعبده واصل التركيب للذل والانقياد ترجعونها
ترجعون النفس الى مقرها وهو عامل الظرف والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية تكرير
للتوكيد وهي بما في حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم مملوكين مجزيين كما دل عليه
جحدكم افعال الله وتكذيبكم باياته ان كنتم صادقين في اباطيلكم فلولا ترجعون الارواح
الى الابدان بعد بلوغها الحلقوم فاما ان كان من المقربين اي ان كان المتوفى من السابقين
فروح فله استراحة وقرئ فروح بالضم وفسر بالرحمة لانها كالسبب لحيوة المرحوم وبالحيوة
الدائمة وريحان ورزق طيب وجنة نعيم ذات تنعم واما ان كان من اصحاب اليمين
فسلام لك يا صاحب اليمين من اصحاب اليمين اي من اخوانك يسلمون عليك واما ان كان

من المكذبين الضالين يعني اصحاب الشمال وانما وصفهم بافعالهم زجرا عنها واشعارا
بما اوجب لهم ما اوعدهم به فنزل من حميم وتصلية جحيم وذلك ما يجد في القبر من سموم
النار ودخانها ان هذا اي الذي في السورة او في شان الفرق لهو حق اليقين اي حق
الخبر اليقين فسبح باسم ربك العظيم فنزهه بذكر اسمه عما لا يليق بعظمة شانه عن النبي
عليه السلام من قرا سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله

ما في السموات والارض ذكر ههنا وفي الحشر والصف بلفظ الماضي وفي الجمعة والتغابن
بلفظ المضارع اشعارا بان من شانه ما اسند اليه ان يسبحه في جميع اوقاته لانه دلالة
جبلية لا تختلف باختلاف الحالات ومجي المصدر مطلقا في بني اسرائيل ابلغ من حيث
انه يشعر باطلاقه على استحقاق التسبيح من كل شي وفي كل حال وانما عدي باللام وهو
معدي بنفسه مثل نصحت له ونصحته اشعارا بان ايقاع الفعل لاجل الله وخالصا لوجهه
وهو العزيز الحكيم حال تشعر بما هو المبدا للتسبيح له ملك السموات والارض فانه الموجد
لها والمتصرف فيها يحيي ويميت استينافا وخبر لمحذوف او حال من المجرور في له وهو
على كل شي من الاحياء والاماتة وغيرهما قدير تام القدرة هو الاول السابق على سائر
الموجودات من حيث انه موجدها ومحدثها والاخر الباقي بعد فنائها ولو بالنظر الى ذاتها
مع قطع النظر عن غيرها او هو الاول الذي يبتدا منه الاسباب والاخر الذي ينتهي اليه
المسببات او الاول خارجا والاخر ذهنا والظاهر والباطن الظاهر وجوده لكثرة دلائله
والباطن حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول والغالب على كل شي والعالم بباطنه والواو
الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين والمتوسط للجمع بين المجموعين وهو بكل شي عليم
يستوي عنده الظاهر والخفي هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى
على العرش يعلم ما يلج في الارض كالبذور وما يخرج منها كالزروع وما ينزل من السماء
كالامطار وما يعرج فيها كالابخرة وهو معكم اينما كنتم لا ينفك علمه وقدرته عنكم بحال
والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه ولعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه له ملك
السموات والارض ذكره مع الاعادة كما ذكره مع الابداء لانه كالمقدمة لهما والى الله
ترجع الامور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور بمكنوناتها
امنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه من الاموال التي جعلكم الله خلفاء
في التصرف فيها فهي في الحقيقة له لا لكم او التي استخلفكم عمن قبلكم في تملكها والتصرف فيها
وفيه حث على الانفاق وتهوين له على النفس فالذين امنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير
وعد فيه مبالغات جعل الجملة اسمية واعادة ذكر الايمان والانفاق وبناء الحكم على الضمير
وتنكير الاجر ووصفه بالكبير وما لكم لا تؤمنون بالله اي وما تصنعون غير مؤمنين به
كقولك ما لك قائما والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم حال من ضمير تؤمنون والمعنى اي

اي عذر لكم في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه بالحجج والايات وقد اخذ ميثاقكم اي وقد
اخذ الله ميثاقكم بالايمان قبل وذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر والواو للحال من
مفعول يدعوكم وقرا ابو عمرو على البناء للمفعول ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا
موجب لا مزيد عليه هو الذي ينزل على عبده ايات بينات ليخرجكم اي الله او العبد
من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر الى نور الايمان وان الله بكم لرءوف رحيم
حيث نبهكم بالرسل والايات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية وما لكم الا تنفقوا
واي شي لكم في ان لا تنفقوا في سبيل الله فيما يكون قربة اليه ولله ميراث السموات
والارض يرث كل شي فيهما ولا يبقى لاحد مال واذا كان كذلك فانفاقه بحيث يستخلف
عوضا يبقى وهو الثواب كان اولى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك
اعظم درجة بيان لتفاوت المنفقين باختلاف احوالهم من السبق وقوة اليقين وتحري
الحاجات حثا على تحري الافضل منها بعد الحث على الانفاق وذكر القتال للاستطراد وقسيم
من انفق محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه والفتح فتح مكة اذ عز الاسلام به
وكثر اهله وقلت الحاجة الى المقاتلة والانفاق من الذين انفقوا اي من بعد الفتح
وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى اي وعد الله كلا من المنفقين المثوبة الحسنى وقرا
ابن عامر وكل بالرفع على الابتداء اي وكل وعده ليطابق ما عطف عليه والله بما تعملون
خبير عالم بظاهره وباطنه فيجازيكم على حسبه والاية نزلت في ابي بكر فانه اول من امن وانفق
في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك من ذا الذي يقرض
الله قرضا حسنا من ذا الذي ينفق ماله في سبيله رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه
وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحري اكرم المال وافضل الجهات له فيضاعفه له اي يعطي
اجره اضعافا وله اجر كريم اي وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه ينبغي
ان يتوخى وان لم يضاعف فكيف وقد يضاعف اضعافا وقرا عاصم فيضاعفه بالنصب
على جواب الاستفهام باعتبار المعنى وكانه قال ايقرض الله احد فيضاعفه له وقرا ابن
كثير فيضعفه مرفوعا وقرا ابن عامر ويعقوب فيضعفه منصوبا يوم ترى المؤمنين والمؤمنات
ظرف لقوله وله او فيضاعفه او مقدر باذكر يسعى نورهم ما يوجب نجاتهم وهدايتهم الى
الجنة بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحايف اعمالهم من هاتين الجهتين
بشريكم اليوم جنات اي يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة بشراكم اي المبشر به جنات او
بشراكم دخول جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم الاشارة
الى ما تقدم من النور والبشرى بالجنات المخلدة يوم يقول المنافقون والمنافقات بدل
من يوم ترى للذين امنوا انظرونا انتظرونا فانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف
او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنور بين ايديهم
وقرا حمزة انظرونا على ان اتئادهم ليلحقوا بهم امهال لهم نقتبس من نوركم نصب منه

قيل ارجعوا وراءكم الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل المعارف الالهية والاخلاق
الفاضلة فانه يتولد منها او الى الموقف فانه من ثمه يقتبس او الى حيث شئتم فاطلبوا
نورا اخر فانه لا سبيل لكم الى هذا وهو تهكم بهم وتخييب من المؤمنين او الملائكة
فضرب بينهم بين المؤمنين والمنافقين بسور بحائط له باب يدخل فيه المؤمنون
باطنه باطن السور او الباب فيه الرحمة لانه يلي الجنة وظاهره من قبله العذاب
من جهته لانه يلي النار ينادونهم الم نكن معكم يريدون موافقتهم في الظاهر قالوا بلى ولكنكم
فتنتم انفسكم بالنفاق وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وارتبتم وشككتم في الدين و
غرتكم الاماني كامتداد العمر حتى جاء امر الله وهو الموت وغركم بالله الغرور الشيطان
او الدنيا فاليوم لا يؤخذ منكم فدية فداء وقرا ابن عامر ويعقوب بالتاء ولا من الذين كفروا
ظاهرا وباطنا ماويكم النار هي مولاكم هي اولى بكم كقول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه
مولى المخافة خلفها وامامها وحقيقته محراكم اي مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كقولك
هو مئنة الكرم اي مكان قول القائل انه لكريم او مكانكم عما قريب من الولي وهو القرب
او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع او متوليكم كما توليتم موجباتها في الدنيا وبئس
المصير النار الم يأن للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الم يأت وقته يقال انى الامر
يأني انيا واناء وانا اذا جاء اناه وقرئ الم يئن بكسر الهمزة وسكون النون من آن يئين
بمعنى انى والم يان روي ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق
والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وما نزل من الحق اي القران وهو عطف على الذكر عطف
احد الوصفين على الاخر ويجوز ان يراد بالذكر ان يذكر الله وقرا نافع وحفص ويعقوب
نزل بالتخفيف وقرئ انزل ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل عطف على تخشع
وقرا رويس بالتاء والمراد النهي عن مماثلة اهل الكتاب فيما حكى عنهم بقوله فطال عليهم الامد
فقست قلوبهم اي فطال عليهم الاجل لطول اعمارهم وامالهم او ما بينهم وبين انبيائهم وقرئ
الامد وهو الوقت الاطول وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون لما في
كتابهم من فرط القسوة اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها تمثيل لاحياء القلوب القاسية
بالذكر والتلاوة او لاحياء الاموات ترغيبا في الخشوع وزجرا عن القساوة قد بينا لكم الايات
لعلكم تعقلون كي يكمل عقلكم ان المصدقين والمصدقات ان المتصدقين والمتصدقات
وقد قرئ بهما وقرا ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد اي الذين صدقوا الله ورسوله
واقرضوا الله قرضا حسنا عطف على معنى الفعل في المحلى باللام لان معناه الذين
اصدقوا او صدقوا وهو على الاول للدلالة على ان المعتبر هو التصدق المقرون بالاخلاص
يضاعف لهم ولهم اجر كريم معناه والقراءة في يضاعف ما مر غير انه لم يجزم لانه خبر
ان وهو مسند الى لهم او الى ضمير المصدر والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون
والشهداء عند ربهم اي اولئك عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء او هم المبالغون

المبالغون في الصدق فانهم امنوا وصدقوا جميع اخبار الله ورسله والقائمون
بالشهادة لله ولهم او على الامم يوم القيمة وقيل والشهداء عند ربهم مبتدا وخبر والمراد
به الانبياء من قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد والذين استشهدوا في سبيل الله
لهم اجرهم ونورهم مثل اجر الصديقين والشهداء ونورهم ولكن من غير تضعيف
ليحصل التفاوت او الاجر والنور الموعودان لهم والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك
اصحاب الجحيم فيه دليل على ان الخلود في النار مخصوص بالكفار من حيث ان التركيب
يشعر بالاختصاص والصحبة تدل على الملازمة عرفا اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو
وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد لما ذكر حال الفريقين في الاخرة
حقر امور الدنيا اعني ما لا يتوصل به الى الفوز الاجل بان بين انها امور خيالية قليلة
النفع سريعة الزوال لانها لعب يتعب الناس فيه انفسهم جدا اتعاب الصبيان في
الملاعب من غير فائدة ولهو يلهون به انفسهم عما يهمهم وزينة كالملابس الحسنة والمراكب
البهية والمنازل الرفيعة وتفاخر بالانساب وتكاثر بالعدد والعدد ثم قرر ذلك بقوله
كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وهو تمثيل لها
في سرعة تقضيها وقلة جدواها بحال نبات انبته الغيث فاستوى واعجب به الحراث
او الكافرون بالله لانهم اشد اعجابا بزينة الدنيا ولان المؤمن اذا راى معجبا انتقل
فكره الى قدرة صانعه فاعجب بها والكافر لا يتخطى فكره عما احس به فيستغرق فيه
اعجابا ثم هاج اي يبس بعاهة فاصفر ثم صار حطاما ثم عظم امور الاخرة بقوله وفي
الاخرة عذاب شديد تنفيرا عن الانهماك في الدنيا وحثا على ما يوجب كرامة العقبى
ثم اكد ذلك بقوله ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور
اي لمن اقبل عليها ولم يطلب الاخرة بها سابقوا سارعوا مسارعة السابقين
في المضمار الى مغفرة من ربكم الى موجباتها وجنة عرضها كعرض السماء والارض اي عرضها
كعرضهما واذا كان العرض كذلك فما ظنك بالطول وقيل المراد به البسطة كقوله فذو
دعاء عريض اعدت للذين امنوا بالله ورسله فيه دليل على ان الجنة مخلوقة وان
الايمان وحده كاف في استحقاقه ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ذلك الموعود يتفضل
به على من يشاء من غير ايجاب والله ذو الفضل العظيم فلا يبعد منه التفضل بذلك
وان عظم قدره ما اصاب من مصيبة في الارض كجدب وعاهة ولا في انفسكم كمرض
وافة الا في كتاب الا مكتوبة في اللوح مثبتة في علم الله من قبل ان نبراها نخلقها والضمير
للمصيبة او الارض او الانفس ان ذلك ان اثباته في كتاب على الله يسير لاستغنائه
فيه عن العدة والمدة لكيلا تاسوا اي اثبت وكتب كيلا تحزنوا على ما فاتكم من نعم
الدنيا ولا تفرحوا بما اتيكم بما اعطاكم منها فان من علم ان الكل مقدر هان عليه الامر وقرا
ابو عمرو بما اتاكم من الاتيان ليعادل ما فاتكم وعلى الاول فيه اشعار بان فواتها يلحقها اذا

جبلت وطباعها واما حصولها وبقاؤها فلا بد لها من سبب يوجدها ويبقيها والمراد
به نفي الاسى المانع عن التسليم لامر الله والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقبه
بقوله والله لا يحب كل مختال فخور اذ قل من يثبت نفسه حالتي الضراء والسراء الذين
يبخلون ويامرون الناس بالبخل بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا او مبتدا
خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد لان معناه ومن
يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه وعن انفاقه محمود في ذاته لا يضره الاعراض عن شكره
ولا ينفعه التقرب اليه بشكر نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق
وقرا نافع وابن عامر فان الله الغني لقد ارسلنا رسلنا اي الملائكة الى الانبياء او الانبياء
الى الامم بالبينات بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب ليبين الحق ويميز صواب
العمل والميزان ليسوى به الحقوق ويقام به العدل كما قال ليقوم الناس بالقسط
وانزاله انزال اسبابه والامر باعداده وقيل انزل الميزان الى نوح ويجوز ان يراد به
العدل ليقام به السياسة ويدفع به الاعداء كما قال وانزلنا الحديد فيه باس شديد
فان آلات الحروب متخذة منه ومنافع للناس اذ ما من صنعة الا والحديد آلتها
وليعلم الله من ينصره ورسله باستعمال الاسلحة في مجاهدة الكفار والعطف على محذوف
دل عليه ما قبله فانه حال يتضمن تعليلا او اللام صلة لمحذوف اي انزله ليعلم الله
بالغيب حال من المستكن في ينصره ان الله قوي على اهلاك من اراد اهلاكه عزيز
لا يفتقر الى النصرة وانما امرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه
ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب بان استنبأناهم
واوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط فمنهم فمن الذرية او من المرسل اليهم
وقد دل عليهم ارسلنا مهتد وكثير منهم فاسقون خارجون عن الطريق المستقيم
والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والدلالة على ان الغلبة للضلال ثم قفينا
على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم اي ارسلنا رسولا بعد رسول حتى
انتهى الى عيسى والضمير لنوح وابراهيم ومن ارسلا اليهم او من عاصرهما من الرسل لا للذرية
فان الرسل المقفى بهم من الذرية وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة وامره اهون من
امر البرطيل لانه اعجمي وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة وقرئ رآفة على فعالة
ورحمة ورهبانية ابتدعوها اي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها او رهبانية مبتدعة على
انها من المجعولات وهي المبالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس منسوبة
الى الرهبان وهو المبالغ في الخوف من رهب كالخشيان من خشي وقرئت بالضمة
فانها منسوبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان ما كتبناها عليهم ما
فرضناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع اي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء
رضوان الله وقيل متصل فان ما كتبناها عليهم بمعنى ما تعبدناهم بها وهو كما ينفي الايجاب

الايجاب المقصود منه دفع العقاب ينفي الندب المقصود منه مجرد حصول مرضاة الله
وهو يخالف قوله ابتدعوها الا ان يقال ابتدعوها ثم ندبوا اليها او ابتدعوها
بمعنى استحدثوها واتوا بها او لانهم اخترعوها من تلقاء انفسهم فما رعوها
اي فما رعوا جميعا حق رعايتها بضم التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة والكفر
بمحمد عم ونحوها اليها فآتينا الذين آمنوا اتوا بالايمان الصحيح ومن ذلك الايمان
بمحمد عم وحافظوا حقوقها منهم من المتسمين باتباعه اجرهم وكثير منهم فاسقون
خارجون عن حال الاتباع يا ايها الذين آمنوا بالرسل المتقدمة اتقوا الله فيما نهاكم
عنه وآمنوا برسوله محمد عم يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد وايمانكم
بمن قبله ولا يبعد ان يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل
الخطاب للنصارى الذين كانوا في عصره ويجعل لكم نورا تمشون به يريد المذكور في
قوله يسعى نورهم او الهدى الذي يسلك به الى جناب القدس ويغفر لكم والله غفور رحيم
لئلا يعلم اهل الكتاب اي ليعلموا ولا مزيدة ويؤيده انه قرئ ليعلم ولكي يعلم ولان يعلم
بادغام النون في الياء الا يقدرون على شيء من فضل الله ان هي المخففة والمعنى انه
لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط
بالايمان به او لا يقدرون على شيء من فضله فضلا ان يتصرفوا في اعظمه وهو النبوة
فيخصونها بمن ارادوا ويؤيده قوله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل
العظيم وقيل لا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبي والمؤمنون
به شيء من فضل الله ولا ينالون فيكون ان الفضل عطفا على ان لا يعلم وقرئ ليلا
ووجهه ان الهمزة حذفت وادغمت النون في اللام ثم ابدلت ياء وقرئ ليلا على ان
الاصل في الحروف المفردة الفتح عن النبي عم من قرا سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسوله

بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله
روي ان خولة بنت ثعلبة ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت فاستفتت رسول
الله فقال حرمت عليه فقالت ما طلقني فقال حرمت عليه فاغتمت لصغر اولادها
وشكت الى الله فنزلت هذه الآيات الاربع وقد تشعر بان الرسول والمجادلة يتوقع
ان الله يسمع مجادلتها وشكواها ويفرج عنها كربها وادغم حمزة والكسائي وابو عمرو
وهشام دالها في السين والله يسمع تحاوركما تراجعكما الكلام وهو على تغليب
الخطاب ان الله سميع بصير للاقوال والاحوال الذين يظاهرون منكم من نسائهم
الظهار ان يقول الرجل لامراته انت علي كظهر امي مشتق من الظهر والحق به الفقهاء
تشبيهها بجزء محرم اخر ومنكم تهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان اهل الجاهلية
واصل يظهرون يتظهرون وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي يظاهرون من اظاهر

وعاصم يظاهرون من ظاهر ما هن امهاتهم اى على الحقيقة ان امهاتهم الا اللائى
ولدنهم فلا تشبه بهن فى الحرمة الا من الحقهن الله بهن كالمرضعات وازواج الرسول
وعن عاصم امهاتهم بالرفع على لغة تميم وقرئ بامهاتهم وهو ايضا على لغة من ينصب
وانهم ليقولون منكرا من القول اذ الشرع انكره وزورا منحرفا عن الحق فان الزوجة
لا تشبه الام وان الله لعفو غفور لما سلف منه مطلقا او اذا تيب عنه والذين
يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا اى الى قولهم بالتدارك ومنه المثل
عاد الغيث على ما افسد وهو بنقض ما يقتضيه وذلك عند الشافعى بامساك المظاهر عنها
فى النكاح زمانا يمكنه مفارقتها فيه اذ التشبيه يتناول حرمته لصحة استثنائها عنه وهو اقل
ما ينتقض به وعند ابى حنيفة باستباحة استمتاعها ولو بنظرة بشهوة وعند مالك بالعزم
على الجماع وعند الحسن بالجماع او بالظهار فى الاسلام على ان قوله يظاهرون بمعنى يعتادون
الظهار اذ كانوا يظاهرون فى الجاهلية وهو قول الثورى او بتكراره لفظا وهو
قول الظاهرية او معنى بان يحلف على ما قال وهو قول ابى مسلم او الى المقول فيها بامساكها
او استباحة استمتاعها او وطئها فتحرير رقبة اى فعليهم او فالواجب اعتاق
رقبة والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار والرقبة
مقيدة بالايمان عندنا قياسا على كفارة القتل من قبل ان يتماسا ان يستمتع
كل من المظاهر والمظاهر عنها بالاخر لعموم اللفظ ومقتضى التشبيه او ان يجامعها وفيه
دليل على حرمة ذلك قبل التكفير ذلكم اى ذلكم الحكم بالكفارة توعظون به لانه يدل
على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة ويردع عنه والله بما تعملون خبير لا يخفى عليه خافية
فمن لم يجد اى الرقبة والذى غاب ماله واجد فصيام شهرين متتابعين من قبل
ان يتماسا فان افطر لغير عذر لزمه الاستيناف وان افطر لعذر ففيه خلاف
وان جامع المظاهر عنها ليلا لم ينقطع التتابع عندنا خلافا لابى حنيفة ومالك
فمن لم يستطع اى الصوم لهرم او مرض مزمن او شبق مفرط فانه عليه السلام
رخص للاعرابى المفطر ان يتغدى لاجله فاطعام ستين مسكينا ستين مدا بمد
رسول الله وهو رطل وثلث لانه اقل ما قيل من المخرج فى الفطرة وقال ابو حنيفة
يعطى كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وانما لم يذكر التماس مع الطعام
اكتفاء بذكره مع الاخرين او لجوازه فى خلال الاطعام كما قال ابو حنيفة ذلك
اى ذلك البيان والتعليم للاحكام ومحله النصب بفعل معلل بقوله لتؤمنوا
بالله ورسوله اى فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله فى قبول الشرائع ورفض
ما كنتم عليه فى جاهليتكم وتلك حدود الله لا يجوز تعديها وللكافرين الذين لا
يقبلونها عذاب اليم وهو نظير قوله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين ان
الذين يحادون الله ورسوله يعادونهما فان كلا من المتعاديين فى حد غير حد الآخر

الآخر او يضعون او يختارون حدودا غير حدودهما كبتوا اخزوا او اهلكوا واصل
الكبت الكب كما كبت الذين من قبلهم يعنى كفار الامم الماضية وقد انزلنا آيات بينات
تدل على صدق الرسول وما جاء به وللكافرين عذاب مهين يذهب عزهم وتكبرهم يوم
يبعثهم الله منصوب بمهين او باضمار اذكر جميعا كلهم لا يدع احدا غير مبعوث
او مجتمعين فينبئهم بما عملوا اى على رؤوس الاشهاد تشهيرا لحالهم وتقريرا لعذابهم
احصيه الله احاط به عددا لم يغب منه شئ ونسوه لكثرته او تهاونهم به والله على كل
شئ شهيد لا يغيب عنه شئ الم تر ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض كليا
وجزئيا ما يكون من نجوى ثلثة من تناجى ثلثة ويجوز ان يقدر مضاف او يأول نجوى
بمتناجين ويجعل ثلثة صفة لها واشتقاقها من النجوة وهى ما ارتفع من الارض فان
السر امر مرفوع الى الذهن لا يتيسر لكل احد ان يطلع عليه الا هو رابعهم الا الله يجعلهم
اربعة من حيث انه يشاركهم فى الاطلاع عليها والاستثناء من اعم الاحوال ولا خمسة
ولا خمسة الا هو سادسهم وتخصيص العددين اما لخصوص الواقعة فان الآية
نزلت فى تناجى المنافقين او لان الله تعالى وتر يحب الوتر والثلثة اول الاوتار
او لان التشاور لا بد له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط بينهما
وقرئ ثلثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون او تأويل نجوى بمتناجين
ولا ادنى من ذلك ولا اكثر مما ذكر كالواحد والاثنين والاكثر كالستة وما فوقها
الا هو معهم يعلم ما يجرى بينهم وقرأ يعقوب ولا اكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى
او محل ولا ادنى بان جعلت لا لنفى الجنس اينما كانوا فان علمه بالاشياء ليس لقرب
مكانى حتى يتفاوت باختلاف الامكنة ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة تفضيحا لهم وتقريرا
لما يستحقونه من الجزاء ان الله بكل شئ عليم لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل
على سواء الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه نزلت فى اليهود
والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا رأوا المؤمنين فنهاهم
رسول الله ثم عادوا لمثل فعلهم ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول
اى بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول وقرأ حمزة والكسائى وينتجون
وهو يفتعلون من النجوى وروى عن يعقوب واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله
فيقولون السام عليك او انعم صباحا والله سبحانه يقول وسلام على عباده الذين
اصطفى ويقولون فى انفسهم فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما نقول هلا يعذبنا الله بذلك
لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم عذابا يصلونها يدخلونها فبئس المصير جهنم يا ايها
الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول كما يفعله
المنافقون وعن يعقوب فلا تنتجوا وتناجوا بالبر والتقوى بما يتضمن خير المؤمنين
والاتقاء عن معصية الرسول واتقوا الله الذى اليه تحشرون فيما تأتون وتذرون

فانه يجازيكم عليه انما النجوى بالاثم والعدوان واللام للعهد من الشيطان فانه
المزين لها والحامل عليها ليحزن الذين امنوا بتوهمهم لانها فى نكبة اصابتهم وليس
الشيطان او التناجي بضارهم بضار المؤمنين شيئا الا باذن الله الا بمشيئته
وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالون بنجواهم يا ايها الذين امنوا اذا قيل
لكم تفسحوا فى المجالس توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عنى اى
تنح وقرئ تفاسحوا والمراد بالمجلس الجنس ويدل عليه قراءة عاصم بالجمع او مجلس
رسول الله فانهم كانوا يتضامون به تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع
كلامه فافسحوا يفسح الله لكم فيما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر وغيرها
واذا قيل انشزوا انهضوا للتوسعة او لما امرتم به كصلوة او جهاد او ارتفعوا عن
المجلس فانشزوا وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما يرفع الله الذين امنوا
منكم بالنصر وحسن الذكر فى الدنيا وايوائهم غرف الجنات فى الاخرة والذين اوتوا
العلم درجات ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل فان العلم مع علو
درجته يقتضى العمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك يقتدى بالعالم فى افعاله ولا يقتدى
بغيره وفى الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على الكواكب والله بما تعملون
خبير تهديد لمن لم يمتثل الامر او استكرهه يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا
بين يدى نجويكم صدقة فتصدقوا قدامها مستعار ممن له يدان وفى هذا الامر تعظيم الرسول
وانفاع الفقراء والنهى عن الافراط فى السؤال والميز بين المخلص والمنافق ومحب الدنيا
واختلف فى انه للندب او للوجوب لكنه منسوخ بقوله ءاشفقتم وهو وان اتصل به
تلاوة لم يتصل به نزولا وعن على ان فى كتاب الله اية ما عمل بها احد غيرى كان لى دينار
فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب لا يقدح فى غيره فلعله
لم يتفق للاغنياء مناجاة فى مدة بقائه اذ روى انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة
ذلك اى التصدق خير لكم واطهر اى لانفسكم من الريبة وحب المال وهو يشعر بالندبية
لكن قوله فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم اى لمن لم يجد حيث رخص له فى المناجاة
بلا تصدق ادل على الوجوب ءاشفقتم ان تقدموا بين يدى نجويكم صدقات اخفتم
الفقر من تقديم الصدقة او اخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات
لجمع المخاطبين او لكثرة التناجي فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم بان رخص لكم ان لا تفعلوه
وفيه اشعار بان اشفاقكم ذنب تجاوز الله عنه لما راى منكم ما قام مقام توبتكم او
اذ على بابها وقيل بمعنى اذا او ان فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة فلا تفرطوا فى ادائهما
واطيعوا الله ورسوله فى ساير الاوامر فان القيام بها كالجابر للتفريط فى ذلك
والله خبير بما تعملون ظاهرا وباطنا الم تر الى الذين تولوا والوا من الموالاة قوما
غضب الله عليهم يعنى اليهود ما هم منكم ولا منهم لانهم منافقون مذبذبون ذلك

ذلك ويحلفون على الكذب وهو ادعاء الاسلام وهم يعلمون ان المحلوف كذب
كمن يحلف بالغموس وفى هذا التقييد دليل على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته
وما لا يعلم وروى انه عليه السلام كان فى حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الان رجل
قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان
ازرق فقال عليه السلام له علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل ثم جاء
باصحابه فحلفوا فنزلت اعد الله لهم عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما
انهم ساء ما كانوا يعملون فتمرنوا على سوء العمل واصروا عليه اتخذوا ايمانهم اى
التى حلفوا بها وقرئ بالكسر اى ايمانهم الذى اظهروه جنة وقاية دون دمائهم واموالهم
فصدوا عن سبيل الله فصدوا الناس فى خلال امنهم عن دين الله بالتحريش والتثبيط
فلهم عذاب مهين وعيد ثان بوصف اخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا
عذاب الاخرة لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم
فيها خالدون قد سبق مثله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له اى لله على انهم مسلمون
ويقولون كما يحلفون لكم فى الدنيا انهم منكم ويحسبون انهم على شىء لان تمكن النفاق
فى نفوسهم بحيث يخيل اليهم فى الاخرة ان الايمان الكاذبة تروج الكذب على الله كما
تروجه عليكم فى الدنيا الا انهم هم الكاذبون البالغون الغاية فى الكذب حيث يكذبون
مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون عليه استحوذ عليهم الشيطان استولى عليهم من حذت
الابل وحذتها اذا استوليت عليها وجمعتها وهو مما جاء على الاصل فانساهم ذكر الله
لا يذكرونه بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك حزب الشيطان جنوده واتباعه الا ان
حزب الشيطان هم الخاسرون لانهم فوتوا على انفسهم النعيم المؤبد وعرضوها للعذاب المخلد
ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك فى الاذلين فى جملة من هو اذل خلق الله
كتب الله فى اللوح لاغلبن انا ورسلى اى بالحجة وقرأ نافع وابن عامر ورسلى بفتح الياء
ان الله قوى على نصر انبيائه عزيز لا يغلب عليه فى مراده لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم
الاخر يوادون من حاد الله ورسوله اى لا ينبغى ان تجدهم وادين اعداء الله والمراد
لا ينبغى ان يوادوهم ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم ولو كانوا
المحادون اقرب الناس اليهم اولئك اى الذين لم يوادوهم كتب فى قلوبهم الايمان
اثبت فيها وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت فى القلب يكون
ثابتا فيه واعمال الجوارح لا تثبت فيه وايدهم بروح منه اى من عند الله وهو نور
القلب او القران او النصر على العدو وقيل الضمير للايمان فانه سبب لحيوة القلب
ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم بطاعتهم ورضوا عنه
بقضائه او بما وعدهم من الثواب اولئك حزب الله جنده وانصار دينه الا ان
حزب الله هم المفلحون الفائزون بخير الدارين عن النبى عليه السلام من قرأ سورة المجادلة

كتب من حزب الله يوم القيمة

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم روى
انه عليه السلام لما قدم المدينة صالح بني النضير على ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر
يوم بدر قالوا انه النبي المنعوت في التورية بالنصرة فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا
ونكثوا وخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة وحالفوا ابا سفيان
فامر رسول الله اخا كعب من الرضاعة فقتله غيلة ثم صبحهم بالكتايب وحاصرهم حتى
صالحوه على الجلاء فجلا اكثرهم الى الشام ثم لحقت طائفة بخيبر والحيرة فانزل الله سبح لله
الى قوله والله على كل شئ قدير هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم
لاول الحشر اي في اول حشرهم من جزيرة العرب اذ لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك او في
اول حشرهم للقتال او الجلاء الى الشام واخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر اليها او في
اول حشر الناس الى الشام واخر حشرهم اليه فانهم يحشرون اليه عند قيام الساعة
فيدركهم هناك او ان نارا تخرج من المشرق فتحشرهم الى المغرب والحشر اخراج جمع من
مكان الى اخر ما ظننتم ان يخرجوا لشدة بأسهم ومنعتهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم
من الله اي ان حصونهم تمنعهم من بأس الله وتغيير النظم وتقديم الخبر واسناد الجملة
الى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة
بسببها ويجوز ان يكون حصونهم فاعلا لمانعتهم فاتاهم الله اي عذابه وهو الرعب
والاضطرار الى الجلاء وقيل الضمير للمؤمنين اي فاتاهم نصر الله وقرئ فاتاهم اي العذاب
او النصر من حيث لم يحتسبوا لقوة وثوقهم وقذف في قلوبهم الرعب واثبت
فيها الخوف الذي يرعبها اي يملاها يخربون بيوتهم بايديهم ضنا بها على المسلمين واخراجا
لما استحسنوا من الاتها وايدي المؤمنين فانهم ايضا كانوا يخربون ظواهرها نكاية
وتوسيعا لمجال القتال وعطفها على ايديهم من حيث ان تخريب المؤمنين مسبب عن
بغضهم فكانهم استعملوهم فيه والجملة حال او تفسير للرعب وقرأ ابو عمرو ويخربون بالتشديد
وهو ابلغ لما فيه من التكثير وقيل الاخراب التعطيل او ترك الشئ خرابا والتخريب الهدم
فاعتبروا يا اولي الابصار فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا ولا تعتمدوا على شئ غير الله و
استدل به على ان القياس حجة من حيث انه امر بالمجاوزة من حال الى حال وحملها عليها
في حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له على ما قررناه في الكتب الاصولية ولولا ان كتب
الله عليهم الجلاء الخروج من اوطانهم لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة
ولهم في الاخرة عذاب النار استيناف معناه انهم ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا
من عذاب الاخرة ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله
شديد العقاب الاشارة الى ما ذكر مما حاق بهم وما كانوا بصدده وما هو معد لهم او
الى الاخير ما قطعتم من لينة اي شئ من نخلة فعلة من اللون ويجمع على الوان وقيل

وقيل من اللين ومعناه النخلة الكريمة وجمعها اليان او تركتموها الضمير لما وتانيثه
لانه مفسر باللينة قائمة على اصولها وقرئ اصلها اكتفاء بالضمة عن الواو وعلى انه
كرهن فباذن الله فبامره وليخزي الفاسقين علة لمحذوف اي وفعلتم او وأذن
لكم في القطع ليخزيهم على فسقهم بما غاظهم منه روي انه عم لما امر بقطع نخيلهم قالوا قد
كنت تنهى عن الفساد في الارض فما بال قطع النخيل وتحريقها فنزلت واستدل به على جواز
هدم ديار الكفار وقطع اشجارهم زيادة لغيظهم وما افاء الله على رسوله وما اعاده
عليه بمعنى صيره له ورده عليه فانه كان حقيقا بان يكون له لانه تعالى خلق الناس
لعبادته وخلق ما خلق لهم ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين منهم
من بني النضير او من الكفرة فما اوجفتم عليه فما اجريتم على تحصيله من الوجيف وهو سرعة السير
من خيل ولا ركاب ما يركب من الابل غلب فيه كما غلب الراكب على راكبه وذلك
ان كان المراد فيء بني النضير فلان قراهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا اليها رجالا
لا غير رسول الله فانه ركب جملا او حمارا ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم يعط الانصار منه
شيئا الا ثلثة كانت بهم حاجة ولكن الله يسلط رسله على من يشاء بقذف الرعب
في قلوبهم والله على كل شئ قدير فيفعل ما يريد تارة بالوسايط الظاهرة وتارة بغيرها
ما افاء الله على رسوله من اهل القرى بيان للاول ولذلك لم يعطف عليه فلله وللرسول
ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل اختلف في قسم الفيء فقيل يسدس
لظاهر الاية ويصرف سهم الله في عمارة الكعبة وساير المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله
تعالى للتعظيم ويصرف الان سهم الرسول الى الامام على قول والى العساكر والثغور
على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه عليه السلام كان
يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والان على الخلاف المذكور
كيلا يكون اي الفيء الذي حقه ان يكون للفقراء وقرأ هشام في رواية بالتاء دولة بين
الاغنياء منكم الدولة ما يتداول الاغنياء ويدور بينهم كما كان في الجاهلية وقرئ دولة
بمعنى كيلا يكون الفيء ذا تداول بينهم او اخذه غلبة يكون بينهم وقرأ هشام دولة بالرفع
على كان التامة اي كيلا يقع دولة جاهلية وما اتيكم الرسول وما اعطاكم من الفيء
او من الامر فخذوه لانه حلال لكم او فتمسكوا به لانه واجب الطاعة وما نهيكم عنه
عن اخذه منه او عن اتيانه فانتهوا عنه او عن اتيانه واتقوا الله في مخالفة رسوله
ان الله شديد العقاب لمن خالف للفقراء المهاجرين بدل من لذي القربى وما عطف
عليه فان الرسول لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوي القربى خصص الابدال بما بعده
او الفيء بفيء بني النضير الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم فان كفار مكة اخرجوهم
واخذوا اموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا حال مقيدة لاخراجهم بما يوجب
تفخيم شانهم وينصرون الله ورسوله بانفسهم واموالهم اولئك هم الصادقون الذين

صدقهم في ايمانهم والذين تبوؤا الدار والايمان عطف على المهاجرين والمراد بهم الانصار
فانهم لزموا المدينة والايمان وتمكنوا فيهما وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة ودار الايمان
فحذف المضاف من الثاني والمضاف اليه من الاول وعوض عنه اللام او تبوؤا الدار
واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا وقيل سمى المدينة بالايمان لانه مظهره
ومصيره من قبلهم من قبل هجرة المهاجرين وقيل تقدير الكلام والذين تبوؤا الدار
من قبلهم والايمان يحبون من هاجر اليهم ولا يثقل عليهم ولا يجدون في صدورهم
في انفسهم حاجة ما تحمل عليه الحاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ مما اوتوا
مما اعطى المهاجرين من الفيء وغيره ويؤثرون على انفسهم ويقدمون المهاجرين على
انفسهم حتى ان من كان عنده امرأتان نزل عن واحدة وزوجها من احدهم ولو كان
بهم خصاصة حاجة من خصاص البناء وهي فرجه ومن يوق شح نفسه حتى يخالفها
فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق فاولئك هم المفلحون الفائزون
بالثناء العاجل والثواب الاجل والذين جاؤا من بعدهم هم الذين هاجروا بعد حين
قوي الاسلام او التابعون باحسان وهم المؤمنين بعد الفريقين الى يوم القيمة ولذلك
قيل ان الاية قد استوعبت جميع المؤمنين يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين
سبقونا بالايمان اي لاخواننا في الدين ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا حقدا لهم
ربنا انك رؤف رحيم فحقيق بان تجيب دعاءنا الم تر الى الذين نافقوا يقولون
لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب يريد الذين بينهم وبينهم اخوة الكفر او الصداقة
والموالاة لئن اخرجتم من دياركم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا اي في قتالكم
او خذلانكم من رسول الله والمسلمين وان قوتلتم لننصرنكم لنعاوننكم والله يشهد انهم
لكاذبون لعلمه بانهم لا يفعلون ذلك كما قال لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا
لا ينصرونهم وكان كذلك فان ابن ابي واصحابه راسلوا بني النضير بذلك ثم اخلفوهم
وفيه دليل على صحة النبوة واعجاز القران ولئن نصروهم على الفرض والتقدير ليولن الادبار
انهزاما ثم لا ينصرون بعد بل يخذلهم ولا ينفعهم نصرة المنافقين او نفاقهم اذ ضمير الفعلين
يحتمل ان يكون لليهود وان يكون للمنافقين لانتم اشد رهبة اي اشد مرهوبية
مصدر للفعل المبني للمفعول في صدورهم فانهم كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين
من الله على ما يظهرونه نفاقا فان استبطان رهبتكم سبب لاظهار رهبته
ذلك بانهم قوم لا يفقهون لا يعلمون عظمته حتى يخشونه حق خشيته ويعلمون انه الحقيق
بان يخشى لا يقاتلونكم اليهود والمنافقون جميعا مجتمعين متفقين الا في قرى محصنة
بالدروب والخنادق او من وراء جدر لفرط رهبتهم باسهم بينهم شديد اي وليس
ذلك لضعفهم وجبنهم فانه يشتد باسهم اذا حارب بعضهم بعضا بل لقذف الله الرعب
في قلوبهم ولان الشجاع يجبن والعزيز يذل اذا حارب الله ورسوله تحسبهم جميعا مجتمعين

مجتمعين وقلوبهم شتى متفرقة لافتراق عقايدهم واختلاف مقاصدهم ذلك بانهم
قوم لا يعقلون ما فيه صلاحهم وان تشتت القلوب يوهن قواهم كمثل الذين من قبلهم
اي مثل اليهود كمثل اهل بدر او بني قينقاع ان صح انهم اخرجوا قبل بمثل اذ التقدير
كوجود مثل ذاقوا وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ولهم عذاب اليم في الاخرة
كمثل اي مثل المنافقين في اغراء اليهود على القتال كمثل الشيطان اذ قال للانسان
اكفر اغراه على الكفر اغراء الامر المامور فلما كفر قال اني بريء منك تبرأ عنه مخافة
ان يشاركه في العذاب ولم ينفعه ذلك كما قال اني اخاف الله رب العالمين فكان
عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين والمراد بالانسان الجنس وقيل
ابو جهل قال له ابليس لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الاية وقيل راهب حمله
على الفجور والارتداد وقرئ عاقبتهما على انها الخبر لكان وخالدان على انها الخبر لان
وفي النار لغو يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ليوم القيمة
سماه به لدنوه او لان الدنيا كيوم والاخرة كغده وتنكيره للتعظيم واما تنكير النفس
فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن للاخرة كانه قال ولتنظر نفس واحدة في ذلك
واتقوا الله تكرير للتاكيد او الاول في اداء الواجبات لانه مقرون بالعمل والثاني
في ترك المحارم لاقترانه بقوله ان الله خبير بما تعملون وهو كالوعيد على المعاصي ولا تكونوا
كالذين نسوا الله نسوا حقه فانساهم انفسهم فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها
ولم يفعلوا ما يخلصها او اراهم يوم القيمة من الهول ما انساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون
الكاملون في الفسوق لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة الذين استكملوا نفوسهم
فاستاهلوا الجنة والذين استمهنوها فاستحقوا النار واحتج به اصحابنا على ان المسلم
لا يقتل بالكافر اصحاب الجنة هم الفائزون بالنعيم المقيم لو انزلنا هذا القران على جبل
لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله تمثيل وتخييل كما مر في قوله انا عرضنا الامانة ولذلك
عقبه بقوله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون فان الاشارة اليه والى امثاله
والمراد توبيخ الانسان على عدم تخشعه عند تلاوة القران لقساوة قلبه وقلة تدبره
والتصدع التشقق وقرئ مصدعا على الادغام هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة
هو الرحمن الرحيم ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام
واعراضها وتقدم الغيب لتقدمه في الوجود وتعلق العلم القديم به او المعدوم والموجود
او السر والعلانية هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس البالغ في النزاهة عما يوجب
نقصانا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه السلام ذو السلامة من كل نقص وافة مصدر وصف
به للمبالغة المؤمن واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار المهيمن
الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل من الامن قلبت همزته هاء العزيز الجبار الذي
جبر خلقه على ما اراده او جبر حالهم بمعنى اصلحها المتكبر الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة او

او نقصانا سبحان الله عما يشركون اذ لا يشاركه في شيء من ذلك هو الله الخالق المقدر
للاشياء على مقتضى حكمته البارئ الموجد لها بريئا من التفاوت المصور الموجد لصورها
وكيفياتها كما اراد ومن اراد الاطناب في شرح هذه الاسماء واخواتها فعليه بكتابي
المسمى بمنتهى المنى له الاسماء الحسنى لانها دالة على محاسن المعاني يسبح له ما في السموات
والارض لتنزهه عن النقائص كلها وهو العزيز الحكيم الجامع للكمالات باسرها فانها راجعة
الى الكمال في القدرة عن النبي عليه السلام من قرا سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين

امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء نزلت في حاطب بن ابي بلتعة فانه لما علم ان رسول
الله يغزوا اهل مكة كتب اليهم ان رسول الله يريدكم فخذوا حذركم وارسل مع سارة
مولاة بني المطلب فنزل جبرائيل فبعث رسول الله عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد
وابا مرثد وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل
مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها ثمة فجحدت فسل علي السيف
فاخرجته من عقيصتها فاستحضر رسول الله حاطبا وقال ما حملك عليه فقال ما كفرت
منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرا ملصقا في قريش وليس لي
فيهم من يحمي اهلي فاردت ان اخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا
فصدقه رسول الله وعذره تلقون اليهم بالمودة تفضون اليهم المودة بالمكاتبة والباء
مزيدة او اخبار رسول الله بسبب المودة والجملة حال من فاعل لا تتخذوا او صفة
لاولياء جرت على غير من هي له فلا حاجة فيها الى ابراز الضمير لانه مشروط في الاسم دون
الفعل وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال من فاعل احد الفعلين يخرجون الرسول واياكم
اي من مكة وهو حال من كفروا او استيناف لبيانه ان تؤمنوا بالله ربكم بان تؤمنوا
به وفيه تغليب المخاطب والالتفات من التكلم الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان
ان كنتم خرجتم عن اوطانكم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي علة للخروج وعمدة للتعليق
وجواب الشرط محذوف دل عليه لا تتخذوا تسرون اليهم بالمودة بدل من تلقون
او استيناف معناه اي طائل لكم في اسرار المودة او الاخبار بسبب المودة وانا اعلم
بما اخفيتم وما اعلنتم اي منكم وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة او مصدرية ومن
يفعله منكم او مصدرية اي يفعل الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل اخطاه ان يثقفوكم
يظفروا بكم يكونوا لكم اعداء ولا ينفعكم القاء المودة اليهم ويبسطوا اليكم ايديهم
والسنتهم بالسوء بما يسوءكم كالقتل والشتم وودوا لو تكفرون وتمنوا ارتدادكم
ومجيئه وحده بلفظ الماضي للاشعار بانهم ودوا ذلك قبل كل شيء وان ودادهم
حاصلة وان لم يثقفوكم لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون
المشركين لاجلهم يوم القيمة يفصل بينكم يفرق بينكم بما عراكم من الهول فيفر بعضكم

بعضكم من بعض فما لكم ترفضون اليوم حق الله لمن يفر منكم غدا وقرا حمزة والكسائي
بكسر الصاد والتشديد وفتح الفاء وعاصم يفصل وقرا ابن عامر يفصل على البناء للمفعول
مع التشديد وهو بينكم والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه قد كانت لكم اسوة
حسنة قدوة اسم لما يؤتسى به في ابراهيم والذين معه صفة ثانية او خبر كان ولكم
لغو او حال من المستكن في حسنة او صلة لها لا لاسوة لانها وصفت اذ قالوا لقومهم
ظرف لخبر كان انا برآء منكم جمع بريء كظريف وظرفاء ومما تعبدون من دون الله
كفرنا بكم اي بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد بشانكم وبالهتكم وبدا بيننا
وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده فتنقلب العداوة والبغضاء
الفة ومحبة الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك استثناء من قوله اسوة حسنة فان
استغفاره لابيه الكافر ليس مما ينبغي ان تاتسوا به فانه كان قبل النهي او لموعدة وعدها
اياه وما املك لك من الله من شيء من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع
استثناء جميع اجزائه ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير متصل بما قبل
الاستثناء او امر من الله للمؤمنين بان يقولوه تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم
وبين الكفار ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب
لا نحتمله واغفر لنا ما فرط ربنا انك انت العزيز الحكيم ومن كان كذلك حقيقا بان
يجير المتوكل ويجيب الداعي لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة تكرير لمزيد الحث على التاسي
بابراهيم ولذلك صدر بالقسم وابدل قوله لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر من لكم فانه يدل
على انه لا ينبغي لمؤمن ان يترك التاسي بهم وان تركه مؤذن بسوء العقيدة ولذلك
عقبه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فانه جدير بان يوعد به الكفرة
عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة لما نزل لا تتخذوا عادى المؤمنون
اقاربهم المشركين وتبرؤا عنهم فوعدهم الله بذلك وانجز اذ اسلم اكثرهم وصاروا اولياء
والله قدير على ذلك والله غفور رحيم لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل
الرحم لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم اي لا ينهاكم
عن مبرة هؤلاء لان قوله ان تبروهم بدل من الذين وتقسطوا اليهم وتفضوا اليهم
بالقسط اي بالعدل ان الله يحب المقسطين العادلين روي ان قتيلة بنت عبد العزى
قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت ابي بكر بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول فنزلت
انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم
كمشركي مكة فان بعضهم سعوا في اخراج المؤمنين وبعضهم اعانوا المخرجين ان تولوهم بدل
من الذين بدل الاشتمال ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون لوضعهم الولاية في غير
موضعها يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن فاختبروهن
بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن لسانهن بالايمان الله اعلم بايمانهن فانه المطلع على

ما في قلوبهن فان علمتموهن مؤمنات العلم الذي يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف
وظهور الامارات وانما سماه علما ايذانا بانه كالعلم في وجوب العمل به فلا ترجعوهن
الى الكفار اي الى ازواجهن الكفرة لقوله لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن والتكرير
للمطابقة والمبالغة او الاولى لحصول الفرقة والثانية للمنع عن الاستيناف
واتوهم ما انفقوا ما دفعوا اليهن من المهور وذلك لان صلح الحديبية جرى على ان
من جاءنا منكم رددناه فلما تعذر عليه ردهن لورود النهي عنه لزم رد مهورهن
اذ روي انه عليه السلام كان بعد بالحديبية اذ جاءته سبيعة بنت الحارث الاسلمية
مسلمة فاقبل زوجها مسافر المخزومي طالبا لها فنزلت فاستحلفها رسول الله عليه
السلام فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر ولا جناح عليكم ان تنكحوهن فان
الاسلام حال بينهن وبين ازواجهن الكفار اذا اتيتموهن اجورهن شرط ايتاء المهر
ولا تمسكوا بعصم الكوافر بما تعتصم به الكافرات من عقد وسبب جمع عصمة والمراد به
نهي المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات وقرأ البصريان ولا تمسّكوا بالتشديد واسئلوا
ما انفقتم من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار وليسئلوا ما انفقوا من مهور ازواجهم
المهاجرات ذلكم حكم الله يعني جميع ما ذكر في الآية يحكم بينكم استيناف او حال
من الحكم على حذف الضمير او جعل الحكم حاكما على المبالغة والله عليم حكيم يشرع ما تقتضيه
حكمته وان فاتكم وان سبقكم وانفلت منكم شيء من ازواجكم احد من ازواجكم
وقد قرئ به وايقاع شيء موقعه للتحقير والمبالغة في التعميم او شيء من مهورهن الى الكفار
فعاقبتم فجاءت عقبتكم اي نوبتكم من اداء المهر شبه الحكم باداء هؤلاء مهور نساء
اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بتعاقبون فيه كما يتعاقب
في الركوب وغيره فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من مهر المهاجرة
ولا تؤتوه زوجها الكافر روي انه لما نزلت الآية المتقدمة ابى المشركون ان يؤدوا
مهر الكوافر فنزلت وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة فاتوا
بدل الفائت من الغنيمة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون فان الايمان به مما
يقتضي التقوى منه يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن
بالله شيئا نزلت يوم الفتح فانه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال اخذ في بيعة
النساء ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن يريد وأد البنات ولا يأتين
ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف في حسنة
تامرهن بها والتقييد بالمعروف مع ان الرسول لا يامر الا به تنبيه على انه لا يجوز طاعة
مخلوق في معصية الخالق فبايعهن اذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه
الاشياء واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما
غضب الله عليهم يعني عامة الكفار او اليهود اذ روي انها نزلت في بعض فقراء المسلمين

المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم قد يئسوا من الآخرة
لكفرهم بها او لعلمهم بانه لا حظ لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التورية المؤيد
بالآيات كما يئس الكفار من اصحاب القبور ان يبعثوا او يثابوا او ينالهم خير منهم
وعلى الاول وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر آيسهم عن النبي عليه
السلام من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيمة

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم سبق تفسيره يا ايها
الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون روي ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال
الى الله لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فانزل ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله
فولوا يوم احد فنزلت ولم مركبة من لام الجر وما الاستفهامية والاكثر على حذف
الفها مع حرف الجر لكثرة استعمالهما معا واعتناقهما في الدلالة على المستفهم عنه كبر مقتا
عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون المقت اشد البغض ونصبه على التمييز للدلالة على
ان قولهم هذا مقت خالص كبير عند من يحقر دونه كل عظيم مبالغة في المنع عنه ان الله
يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا مصطفين مصدر وصف به كانهم بنيان مرصوص
في تراصهم من غير فرجة حال من المستكن في الحال الاولى والرص اتصال بعض البناء
بالبعض واستحكامه واذ قال موسى لقومه مقدر باذكر او كان كذا يا قوم لم
تؤذونني بالعصيان والرمي بالادرة وقد تعلمون اني رسول الله اليكم بما جئتكم
معجزات والجملة حال مقررة للانكار فان العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع ايذاءه
وقد لتحقيق العلم فلما زاغوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم صرفها عن قبول الحق والميل
الى الصواب والله لا يهدي القوم الفاسقين هداية موصلة الى معرفة الحق او الى
الجنة واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل لعله لم يقل يا قوم كما قال موسى
لانه لا نسب له فيهم اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية ومبشرا
في حال تصديقي لما تقدمني من التورية وتبشيري برسول يأتي من بعدي والعامل في
الحالين ما في الرسول من معنى الارسال لا الجار لانه لغو اذ هو صلة للرسول فلا يعمل
اسمه احمد يعني محمدا عليه السلام والمعنى ان ديني التصديق بكتب الله وانبيائه فذكر اول
الكتب المشهورة الذي حكم به النبيون والنبي الذي هو خاتم النبيين فلما جاءهم بالبينات
قالوا هذا سحر مبين الاشارة الى ما جاء به او اليه وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة حمزة
والكسائي هذا ساحر على ان الاشارة الى عيسى عليه السلام ومن اظلم ممن افترى على الله
الكذب وهو يدعى الى الاسلام اي لا احد اظلم ممن يدعى الى الاسلام الظاهر حقيته
المقتضي له خير الدارين فيضع موضع اجابته الافتراء على الله بتكذيب رسوله وتسمية
آياته سحرا فانه يعم اثبات المنفي ونفي الثابت وقرئ يدّعي يقال دعاه وادعاه

كلمته والتمسته والله لا يهدي القوم الظالمين لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم يريدون
ليطفئوا اي يريدون ان يطفئوا واللام مزيدة فيها من معنى الارادة تاكيدًا لها كما
زيدت لما فيها من معنى الاضافة تاكيدًا لها كما في لا ابا لك او يريدون الافتراء ليطفئوا
نور الله يعني دينه او كتابه او حجته بافواههم بطعنهم فيه والله متم نوره مبلغ غايته
بنشره واعلائه وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بالاضافة ولو كره الكافرون
ارغامًا لهم هو الذي ارسل رسوله بالهدى بالقران او المعجزة ودين الحق والملة
الحنيفية ليظهره على الدين كله ليغلبه على جميع الاديان كلها ولو كره المشركون لما فيه
من محض التوحيد وابطال الشرك يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم
وقرا ابن عامر تنجيكم بالتشديد من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون
في سبيل الله باموالكم وانفسكم استيناف مبين للتجارة وهو الجمع بين الايمان و
الجهاد المؤدي الى كمال عزهم والمراد به الامر وانما جيء بلفظ الخبر ايذانا بان ذلك مما
لا يترك ذلكم خير لكم يعني ما ذكر من الايمان والجهاد ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم
اذ الجاهل لا يعتد بفعله يغفر لكم ذنوبكم جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرط
او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم
يغفر لكم وبعيد جعله جوابا لهل ادلكم لان مجرد دلالته لا يوجب المغفرة ويدخلكم جنات
تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم الاشارة
الى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنة واخرى تحبونها ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة اخرى
عاجلة محبوبة وفي تحبونها تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الاجل وقيل اخرى منصوبة باضمار
يعطكم او تحبون او مبتدا خبره نصر من الله وهو على الاول بدل او بيان وعلى قول النصب
خبر مبتدا محذوف وقد قرئ بما عطف عليه بالنصب على البدل او الاختصاص او المصدر
وفتح قريب عاجل وبشر المؤمنين عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين امنوا وبشر
او على تؤمنون فانه في معنى الامر كانه قال امنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم
يا رسول الله بما وعدتهم عليه اجلا وعاجلا يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله
وقرا الحجازيان وابو عمرو بالتنوين واللام لان المعنى كونوا بعض انصار الله كما قال
عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله اي من جندي متوجها الى نصرة الله
ليطابق قوله قال الحواريون نحن انصار الله والاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين
الى الاخرى لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار
المعنى اذ المراد قل لهم كما قال عيسى او كونوا انصارا كما كان الحواريون حين قال لهم عيسى
من انصاري الى الله والحواريون اصفياؤه وهم اول من امن به من الحور وهو البياض
وكانوا اثني عشر رجلا فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة اي بعيسى
فايدنا الذين امنوا على عدوهم بالحجة او بالحرب وذلك بعد رفع عيسى فاصبحوا

فاصبحوا ظاهرين فصاروا غالبين عن النبي عليه السلام من قرا سورة الصف كان عيسى
مصليا عليه ومستغفرا له في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في
الارض الملك القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ الصفات الاربع بالرفع على المدح هو الذي
بعث في الاميين اي في العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤن رسولا منهم من جملتهم
اميا مثلهم يتلوا عليهم اياته مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم ويزكيهم
من خبائث العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة القران والشريعة او معالم
الدين من المنقول والمعقول ولو لم يكن له سواه معجزة لكفاه وان كانوا من قبل لفي ضلال
مبين من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة احتياجهم الى نبي يرشدهم وازاحة
لما يتوهم ان الرسول تعلم ذلك من معلم وان هي المخففة واللام تدل عليها واخرين منهم عطف
على الاميين او المنصوب في يعلمهم وهم الذين جاؤا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته
وتعليمه تعم الجميع لما يلحقوا بهم لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون وهو العزيز في تمكينه من مثل هذا
الامر الخارق للعادة الحكيم في اختياره وتعليمه ذلك فضل الله ذلك الفضل الذي
امتاز به عن اقرانه فضله يؤتيه من يشاء تفضلا وعطية والله ذو الفضل العظيم الذي
يستحقر دونه نعيم الدنيا والاخرة او نعيمها مثل الذين حملوا التورية علموها وكلفوا
العمل بها ثم لم يحملوها لم يعملوا ولم ينتفعوا بها كمثل الحمار يحمل اسفارا كتبا من العلم
يتعب في حملها ولا ينتفع بها ويحمل حال والعامل فيه معنى المثل او صفة اذ ليس المراد من
الحمار معينا بئس مثل القوم الذين كذبوا بايات الله اي مثل الذين كذبوا وهم
المكذبون بايات الله الدالة على نبوة محمد ويجوز ان يكون الذين صفة للقوم و
المخصوص بالذم محذوفا والله لا يهدي القوم الظالمين قل يا ايها الذين هادوا
تهودوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس اذ كانوا يقولون نحن
اولياء الله واحباؤه فتمنوا الموت فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية
الى محل الكرامة ان كنتم صادقين في زعمكم ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم بسبب ما قدموا
من الكفر والمعاصي والله عليم بالظالمين فيجازيهم على اعمالهم قل ان الموت الذي
تفرون منه تخافون ان تتمنوه بلسانكم مخافة ان يصيبكم فتؤخذوا باعمالكم فانه ملاقيكم
لا تفوتونه لاحق بكم والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وكان فرارهم
يسرع لحوقه بهم وقد قرئ بغير فاء ويجوز ان يكون الموصول خبرا والفاء عاطفة ثم
تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون بان يجازيكم عليه
يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلوة اي اذن لها من يوم الجمعة بيان لاذا
وانما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلوة وكانت العرب تسميه العروبة وقيل سماه
كعب بن لوي لاجتماع الناس فيه اليه واول جمعة جمعها رسول الله انه لما قدم المدينة

نزل قباء واقام بها الى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة في دار لبني سالم بن عوف
فاسعوا الى ذكر الله فامضوا اليه مسرعين قصدا فان السعي دون العدو والذكر
الخطبة وقيل الصلوة والامر بالسعي اليها يدل على وجوبها وذروا البيع واتركوا المعاملة
ذلكم خير لكم اي السعي الى ذكر الله خير لكم من المعاملة فان نفع الاخرة خير وابقى ان كنتم تعلمون
الخير والشر الحقيقيين او ان كنتم من اهل العلم فاذا قضيت الصلوة اديت وفرغ منها
فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله اطلاق لما حظر عليهم واحتج به من جعل الامر
بعد الحظر للاباحة وفي الحديث وابتغوا من فضل الله ليس لطلب الدنيا وانما هو
عيادة وحضور جنازة وزيارة اخ في الله واذكروا الله كثيرا واذكروه في مجامع
احوالكم ولا تخصوا ذكره بالصلوة لعلكم تفلحون بخير الدارين واذا راوا تجارة او لهوا
انفضوا اليها روي انه عليه السلام كان يخطب للجمعة فمرت عير تحمل الطعام فخرج الناس
اليهم الا اثني عشر رجلا فنزلت وافراد التجارة برد الكناية لانها المقصود فان المراد
من اللهو الطبل الذي كانوا يستقبلون به العير والترديد للدلالة على ان منهم من انفض
لمجرد سماع الطبل ورؤيته او للدلالة على ان الانفضاض الى التجارة مع الحاجة اليها
والانتفاع بها اذا كان مذموما كان الانفضاض الى اللهو اولى بذلك وقيل تقديره
واذا راوا تجارة انفضوا اليها واذا راوا لهوا انفضوا اليه وتركوك قائما
اي على المنبر قل ما عند الله من الثواب خير من اللهو ومن التجارة فان ذلك محقق
مخلد بخلاف ما يتوهمونه من نفعهما والله خير الرازقين فتوكلوا عليه واطلبوا
الرزق منه عن النبي عليه السلام من قرا سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد
من اتى الجمعة ومن لم يأتها في امصار المسلمين سورة المنافقين مدنية وآيها احدى عشر
بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله
الشهادة اخبار عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع ولذلك صدق المشهود به وكذبهم
في الشهادة بقوله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون
لانهم لم يعتقدوا ذلك اتخذوا ايمانهم حلفهم الكاذب او شهادتهم هذه فانها
تجري مجرى الحلف في التوكيد وقرئ ايمانهم جنة وقاية عن القتل والسبي فصدوا
عن سبيل الله صدا او صدودا انهم ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم
ذلك اشارة الى الكلام المتقدم اي ذلك القول الشاهد على سوء اعمالهم او الى الحال
المذكورة من النفاق والكذب والاستجنان بالايمان بانهم امنوا بسبب انهم
امنوا ظاهرا ثم كفروا سرا او امنوا اذا راوا الاية ثم كفروا حينما سمعوا من شياطينهم
شبهة فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر واستحكموا فيه فهم لا يفقهون حقيقة
الايمان ولا يعرفون صحته واذا رايتهم تعجبك اجسامهم لضخامتها وصباحتها وان
يقولوا تسمع لقولهم لذلاقتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابي جسيما فصيحا يحضر مجلس

مجلس رسول الله في جمع مثله فيعجب بهياكلهم ويصغي الى كلامهم كانهم خشب مسندة
حال من الضمير المجرور في لقولهم اي تسمع لما يقولونه مشبهين باخشاب منصوبة مسندة
الى الحائط في كونهم اشباحا خالية عن العلم والنظر وقيل الخشب جمع خشباء وهي
الخشبة التي نخر جوفها شبهوا بها في حسن المنظر وقبح المخبر وقرا ابو عمرو والكسائي
وروي عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف او على انه كبدن في جمع بدنة
يحسبون كل صيحة عليهم اي واقعة عليهم لجبنهم واتهامهم فعليهم ثاني مفعولي يحسبون
ويجوز ان يكون صلته والمفعول هم العدو وعلى هذا يكون الضمير للكل وجمعه بالنظر
الى الخبر لكن ترتب قوله فاحذرهم عليه يدل على ان الضمير للمنافقين قاتلهم الله
دعاء عليهم وهو طلب من ذاته ان يلعنهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك
انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله
لووا رؤسهم عطفوها اعراضا واستكبارا عن ذلك ورايتهم يصدون يعرضون
عن الاستغفار وهم مستكبرون عن الاعتذار سواء عليهم استغفرت لهم ام لم
تستغفر لهم لن يغفر الله لهم لرسوخهم في الكفر ان الله لا يهدي القوم الفاسقين
الخارجين عن مظنة الاصلاح لانهماكهم في الكفر والنفاق هم الذين يقولون اي للانصار
لا تنفقوا على من عند رسول الله يعنون فقراء المهاجرين حتى ينفضوا ولله خزائن
السموات والارض بيده الارزاق والقسم ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك
لجهلهم بالله يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روي ان اعرابيا
نازع انصاريا في بعض الغزوات على ماء فضرب الاعرابي راسه بخشبة فشكا الى ابن ابي
فقال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا واذا رجعنا الى المدينة فليخرج الاعز
الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله وقرئ ليخرجن بفتح الياء وليخرجن على
بناء المفعول ولنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل على هذه القراءات مصدرا او حال
على تقدير مضاف كخروج او اخراج او مثل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولله الغلبة
والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون من فرط جهلهم وغرورهم
يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام
بها عن ذكره كالصلوة وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن اللهو بها
وتوجيه النهي اليها للمبالغة ولذلك قال ومن يفعل ذلك اي اللهو بها وهو الشغل فاولئك
هم الخاسرون لانهم باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وانفقوا مما رزقناكم بعض اموالكم
ادخارا للاخرة من قبل ان ياتي احدكم الموت ان يرى دلائله فيقول رب لولا
اخرتني امهلتني الى اجل قريب امد غير بعيد فاصدق فاتصدق واكن من
الصالحين بالتدارك وجزم اكن للعطف على موضع الفاء وما بعده حملا على المعنى
والمعنى ان اخرتني اكن وقرا ابو عمرو واكون منصوبا عطفا على فاصدق وقرئ

بالرفع على وانا اكون فيكون عدة بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا ولن يمهلها اذا جاء
اجلها اخر عمرها والله خبير بما تعملون فمجاز عليه وقرا ابو بكر باليا ليوافق ما قبله في
الغيبة عن النبي عليه السلام من قرا سورة المنافقين برئ من النفاق

سورة التغابن مختلف فيها وايها ثمان عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله
ما في السموات وما في الارض بدلالتها على كماله واستغنائه له الملك وله الحمد قدم الظرفين
للدلالة على اختصاص الامرين به من حيث الحقيقة وهو على كل شئ قدير لان نسبة ذاته
المقتضية للقدرة الى الكل على سوا ثم شرع فيما ادعاه فقال هو الذي خلقكم فمنكم كافر
مقدر كفره موجه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه والله بما تعملون
بصير فيعاملكم بما يناسب اعمالكم خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة وصوركم
فاحسن صوركم فصوركم من جملة ما خلق فيهما باحسن صورة حيث زينكم بصفوة اوصاف
الكاينات وخصكم بخلاصة خصايص المبدعات وجعلكم انموذج جميع المخلوقات واليه المصير
فاحسنوا سرايركم حتى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم يعلم ما في السموات والارض ويعلم
ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه ما يصح ان يعلم كليا كان او جزئيا
لان نسبة المقتضي لعلمه الى الكل واحدة وتقديم تقرير القدرة على العلم لان دلالة المخلوقات
على قدرته اولا وبالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء الم
ياتكم ايها الكافرون نبأ الذين كفروا من قبل كقوم نوح وهود وصالح فذاقوا
وبال امرهم ضرر كفرهم في الدنيا واصله الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل
للمطر الثقيل القطار ولهم عذاب اليم في الاخرة ذلك اي المذكور من الوبال والعذاب
بانه بسبب ان الشان كانت تاتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فقالوا ابشر
يهدوننا انكروا وتعجبوا ان يكون الرسل بشرا والبشر يطلق للواحد والجمع فكفروا
بالرسل وتولوا عن التدبر في البينات واستغنى الله عن كل شئ فضلا عن طاعتهم
والله غني عن عبادتهم وغيرها حميد يدل على حمده كل مخلوق زعم الذين كفروا ان لن
يبعثوا الزعم ادعاء العلم ولذلك يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما ان مع ما في
حيزه قل بلى اي بلى تبعثون وربي لتبعثن قسم اكده به الجواب ثم لتنبؤن بما عملتم
بالمحاسبة والمجازاة وذلك على الله يسير لقبول المادة وحصول القدرة التامة فامنوا
بالله ورسوله محمد والنور الذي انزلنا يعني القران فانه باعجازه ظاهر بنفسه مظهر
لغيره مما فيه شرحه وبيانه والله بما تعملون خبير فمجاز عليه يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن
او مقدر باذكر وقرا يعقوب نجمعكم ليوم الجمع لاجل ما فيه من الحساب والجزاء
والجمع جمع الملائكة والثقلين ذلك يوم التغابن يغبن فيه بعضهم بعضا
لنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس مستعار من تغابن
التجار واللام فيه للدلالة على ان التغابن الحقيقي هو التغابن في امور الاخرة

الاخرة لعظمها ودوامها ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا اي عملا صالحا يكفر عنه
سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرا نافع وابن عامر
بالنون فيهما ذلك الفوز العظيم اشارة الى مجموع الامرين ولذلك جعله الفوز العظيم
لانه جامع للمصالح من دفع المضار وجلب المنافع والذين كفروا وكذبوا باياتنا
اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير كانها والاية المتقدمة بيان
للتغابن وتفصيل له ما اصاب من مصيبة الا باذن الله الا بتقديره وارادته
ومن يؤمن بالله يهد قلبه للثبات والاسترجاع عند حلولها وقرئ يهد قلبه بالرفع
على اقامته مقام الفاعل وبالنصب على طريقة سفه نفسه ويهدأ بالهمزة اي يسكن
والله بكل شئ عليم حتى القلوب واحوالها واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان
توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين اي فان توليتم فلا باس عليه اذ وظيفته التبليغ
وقد بلغ الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان ايمانهم بان الكل منه يقتضي
ذلك يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم يشغلكم عن طاعة الله
او يخاصمكم في امر الدين والدنيا فاحذروهم فلا تامنوا غوائلهم وان تعفوا عن
ذنوبهم بترك المعاقبة وتصفحوا بالاعراض وترك التثريب عليها وتغفروا باخفائها
وتمهيد معذرتهم فيها فان الله غفور رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم
انما اموالكم واولادكم فتنة اختبار لكم والله عنده اجر عظيم لمن آثر محبة الله
وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعي لهم فاتقوا الله ما استطعتم اي ابذلوا
في تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه واطيعوا اوامره وانفقوا في وجوه
الخير خالصا لوجهه خيرا لانفسكم اي افعلوا ما هو خير لها وهو تاكيد للحث على امتثال
هذه الاوامر ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف تقديره انفاقا خيرا او خبرا لكان
مقدرا جوابا للامر ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون سبق تفسيره ان
تقرضوا الله بصرف المال فيما امره به قرضا حسنا مقرونا باخلاص وطيب قلب يضاعفه لكم
يجعل لكم بالواحد عشرا الى سبعمائة واكثر وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفه لكم
ويغفر لكم ببركة الانفاق والله شكور يعطي الجزيل بالقليل حليم لا يعاجل بالعقوبة
عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شئ العزيز الحكيم تام القدرة والعلم عن النبي
عليه السلام من قرا سورة التغابن دفع عنه موت الفجاءة

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اذا طلقتم النساء
خص النداء وعم الخطاب بالحكم لانه امام امته فنداؤه كندائهم او لان الكلام
معه والحكم يعمهم والمعنى اذا اردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه
فطلقوهن لعدتهن اي وقتها وهو الطهر فان اللام في الازمان وما يشبهها للتاقيت
ومن عد العدة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات وظاهره يدل على

ان العدة بالاطهار وان طلاق المعتدة بالاقراء ينبغي ان يكون في الطهر وانه يحرم
في الحيض من حيث ان الامر بالشيء يستلزم النهي عن ضده ولا يدل على عدم وقوعه اذ النهي
لا يستلزم الفساد كيف وقد صح ان ابن عمر لما طلق امراته حائضا امره عليه السلام
بالرجعة وهو سبب نزوله واحصوا العدة واضبطوها واكملوها ثلثة اقراء واتقوا الله
ربكم في تطويل العدة والاضرار بهن لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن وقت الفراق
حتى تنقضي عدتهن ولا يخرجن باستبدادهن اما لو اتفقا على الانتقال جاز اذ الحق لا يعدوهما
وفي الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى ولزومها ملازمة مسكن الفراق وقوله
الا ان يأتين بفاحشة مبينة مستثنى من الاول والمعنى الا ان تبذو على الزوج فانه
كالنشوز في اسقاط حقها او الا ان تزني فتخرج لاقامة الحد عليها او من الثاني للمبالغة
في النهي والدلالة على ان خروجها فاحشة وتلك حدود الله الاشارة الى الاحكام
المذكورة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه بان عرضها للعقاب لا تدري اي النفس
او انت ايها النبي او المطلق لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وهو الرغبة في المطلقة
برجعة او استيناف فاذا بلغن اجلهن شارفن اخر عدتهن فامسكوهن فراجعوهن
بمعروف بحسن عشرة وانفاق مناسب او فارقوهن بمعروف بايفاء الحق واتقاء
الضرار مثل ان يراجعها ثم يطلقها تطويلا لعدتها واشهدوا ذوي عدل منكم
على الرجعة والفرقة تبريا عن الريبة وقطعا للتنازع وهو ندب كقوله واشهدوا اذا
تبايعتم وعن الشافعي وجوبه في الرجعة واقيموا الشهادة ايها الشهود عند الحاجة لله خالصا
لوجهه ذلكم يوعظ به يريد الحث على الاشهاد والاقامة او على جميع ما في الاية من كان
يؤمن بالله واليوم الاخر فانه المنتفع به والمقصود تذكيره ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على الاتقاء عما نهي عنه صريحا
او ضمنا من الطلاق في الحيض والاضرار بالمعتدة واخراجها من المسكن وتعدي حدود الله
وكتمان الشهادة وتوقع جعل على اقامتها بان يجعل الله له مخرجا مما في شان الازواج من
المضايق والغموم ويرزقه فرجا وخلفا من وجه لم يخطر بباله او بالوعد لعامة المتقين
بالخلاص عن مضار الدارين والفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون او كلام جيء به للاستطراد
عند ذكر المؤمنين وعنه عليه السلام اني لاعلم اية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله
فما زال يقرؤها ويعيدها وروي ان سالم بن عوف بن الاشجعي اسره العدو فشكا ابوه
الى رسول الله فقال اتق الله واكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل فبينا هو في
بيته اذ قرع ابنه ومعه مائة من الابل تغفل عنها العدو فاستاقها فنزلت وفي رواية
رجع ومعه غنيمات ومتاع ومن يتوكل على الله فهو حسبه كافيه ان الله بالغ امره يبلغ
ما يريده ولا يفوته مراد وقرا حفص بالاضافة وقرئ بالغ امره اي نافذ وبالغا على انه
حال والخبر قد جعل الله لكل شيء قدرا تقديرا او مقدارا او اجلا لا يتاتى تغييره وهو

وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم من تاقيت الطلاق بزمان العدة
والامر باحصائها وتمهيد لما سياتي من مقاديرها واللائي يئسن من المحيض من نسائكم
لكبرهن ان ارتبتم شككتم في عدتهن اي جهلتم فعدتهن ثلثة اشهر روي انه
لما نزل والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء قيل فما عدة اللائي لم يحضن فنزلت
واللائي لم يحضن اي واللائي لم يحضن بعد كذلك واولات الاحمال اجلهن منتهى عدتهن
ان يضعن حملهن وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهن ازواجهن والمحافظة على عمومه اولى
من محافظة عموم قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا لان عموم اولات الاحمال
بالذات وعموم ازواجا بالعرض والحكم معلل هنا بخلاف ثمة ولانه صح ان سبيعة بنت
الحارث وضعت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله فقال قد حللت
فتزوجي ولانه متاخر النزول فتقديمه تخصيص وتقديم الاخر بناء للعام على الخاص والاول
راجح للوفاق عليه ومن يتق الله في احكامه فيراعي حقوقها يجعل له من امره يسرا يسهل عليه
امره ويوفقه للخير ذلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام امر الله انزله اليكم ومن يتق الله
في احكامه فيراعي حقوقها يكفر عنه سيئاته فان الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له اجرا
بالمضاعفة اسكنوهن من حيث سكنتم اي مكانا من مكانكم من وجدكم من وسعكم
اي مما تطيقونه وهو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم ولا تضاروهن في السكنى
لتضيقوا عليهن فتلجئوهن الى الخروج فان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن
حملهن فيخرجن من العدة وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات
والاحاديث تؤيده فان ارضعن لكم بعد انقطاع علقة النكاح فاتوهن اجورهن
على الارضاع واتمروا بينكم بمعروف وليامر بعضكم بعضا بجميل في الارضاع والاجر
وان تعاسرتم تضايقتم فسترضع له اخرى امراة اخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة
لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله اي فلينفق كل
من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها فانه تعالى لا يكلف
نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك وعد له باليسر فقال سيجعل الله
بعد عسر يسرا اي عاجلا او اجلا وكاين من قرية اهل قرية عتت عن امر ربها ورسله
اعرضت عنه اعراض العاتي المعاند فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة
وعذبناها عذابا نكرا منكرا والمراد حساب الاخرة وعذابها والتعبير بلفظ الماضي للتحقيق
فذاقت وبال امرها عقوبة كفرها ومعاصيها وكان عاقبة امرها خسرا لا ربح فيه
اصلا اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المامور به
في قوله فاتقوا الله يا اولي الالباب ويجوز ان يكون المراد بالحساب استقصاء
ذنوبهم واثباتها في صحايف الحفظة وبالعذاب ما اصيبوا به عاجلا الذين امنوا قد
انزل الله اليكم ذكرا رسولا يعني بالذكر جبرائيل لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر وهو القران

او لانه مذكور في السموات او ذو ذكر اي شرف او محمدا عليه السلام لمواظبته على
تلاوة القران او تبليغه وعبر عن ارساله بالانزال ترشيحا او لانه مسبب عن انزال الوحي
اليه وابدل عنه رسولا للبيان او اراد به القران ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل
او ذكر ورسولا مفعوله او بدل على انه بمعنى الرسالة يتلوا عليكم ايات الله مبينات
حال من اسم الله او صفة رسولا والمراد بالذين في قوله تعالى ليخرج الذين امنوا
وعملوا الصالحات الذين امنوا بعد انزاله اي ليحصل لهم ما هم عليه الان من الايمان
والعمل الصالح او ليخرج من علم او قدر انه يؤمن من الظلمات الى النور من الضلالة الى
الهدى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا وقرا نافع وابن عامر ندخله بالنون قد احسن الله له رزقا فيه تعجب وتعظيم لما رزقوا
من الثواب الله الذي خلق سبع سموات مبتدا وخبر ومن الارض مثلهن اي وخلق في
العدد من الارض وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر يتنزل الامر بينهن اي يجري امر الله وقضاؤه
بينهن وينفذ حكمه فيهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما
علة لخلق او يتنزل او مضمر يعمهما فان كلا منهما يدل على كمال قدرته وعلمه عن النبي عليه السلام
من قرا سورة الطلاق مات على سنة رسول الله عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روي انه عليه السلام خلا بمارية
في يوم عايشة او حفصة فاطلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرم مارية فنزلت وقيل
شرب عسلا عند حفصة فواطات عايشة وسودة وصفية فقلن له انا نشم منك ريح
المغافير فحرم العسل فنزلت تبتغي مرضات ازواجك تفسير لتحرم او حال من فاعله
او استيناف لبيان الداعي اليه والله غفور لك هذه الزلة فانه لا يجوز تحريم ما احله الله
رحيم رحمك حيث لم يؤاخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك قد فرض الله
لكم تحلة ايمانكم قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة او الاستثناء فيها
بالمشية حتى لا تحنث من قولهم حلل في يمينه اذا استثنى فيها واحتج به من راى التحريم
مطلقا او تحريم المراة يمينا وهو ضعيف اذ لا يلزم من وجوب كفارة اليمين فيه كونه
يمينا مع احتمال انه عليه السلام اتى بلفظ اليمين كما قيل والله موليكم متولي امركم
وهو العليم بما يصلحكم الحكيم المتقن في افعاله واحكامه واذ اسر النبي الى بعض ازواجه
يعني حفصة حديثا تحريم مارية او العسل او ان الخلافة بعده لابي بكر وعمر فلما نبات
به اي فلما اخبرت حفصة عايشة بالحديث واظهره الله عليه واطلع النبي على الحديث
اي على افشائه عرف بعضه عرف الرسول حفصة بعض ما فعلت واعرض عن
بعض عن اعلام بعض تكرما او جازاها على بعض بتطليقه اياها وتجاوز عن بعض
ويؤيده قراءة الكسائي بالتخفيف فانه لا يحتمل هاهنا غيره لكن المشدد من باب
اطلاق اسم المسبب على السبب والمخفف بالعكس ويؤيد الاول قوله فلما نباها به

قالت من انباك هذا قال نباني العليم الخبير فانه اوفق للاعلام ان تتوبا
الى الله خطاب لحفصة وعايشة على الالتفات للمبالغة في المعاتبة فقد صغت قلوبكما
فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب من مخالصة الرسول
بحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وان تظاهرا عليه وان تتظاهرا عليه بما يسوءه وقرا
الكوفيون بالتخفيف فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين فلن يعدم من يظاهره
من الله والملائكة وصلحاء المؤمنين فان الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه
ومن صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه والملائكة بعد ذلك ظهير متظاهرون و
تخصيص جبريل لتعظيمه والمراد بالصالح الجنس ولذلك عم بالاضافة وبقوله بعد
ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة ما ينصره الله به عسى ربه ان طلقكن ان يبدله
ازواجا خيرا منكن على التغليب او تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على انه لم يطلق
حفصة وان في النساء خيرا منهن لان تعليق طلاق الكل لا ينافي تطليق واحدة والمعلق
بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرا نافع وابو عمرو يبدله بالتخفيف مسلمات مؤمنات
مقرات مخلصات او منقادات مصدقات قانتات مصليات او مواظبات
على الطاعة تائبات عن الذنوب عابدات متعبدات او متذللات لامر الرسول
سائحات صائمات سمي الصائم سائحا لانه يسيح بالنهار بلا زاد او مهاجرات
ثيبات وابكارا وسط العاطف بينهما لتنافيهما ولانهما في حكم صفة واحدة اذ
المعنى مشتملات على الثيبات والابكار يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم بترك المعاصي
وفعل الطاعات واهليكم بالنصح والتاديب وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا فيكون
انفسكم انفس القبيلين على تغليب المخاطبين نارا وقودها الناس والحجارة تتقد بهما
اتقاد غيرها بالحطب عليها ملائكة تلي امرها وهم الزبانية غلاظ شداد غلاظ الاقوال
شداد الافعال او غلاظ الخلق شداد الخلق اقوياء على الافعال الشديدة لا يعصون
الله ما امرهم فيما مضى ويفعلون ما يؤمرون فيما يستقبل او لا يمتنعون عن قبول
الاوامر والتزامها ويؤدون ما يؤمرون به يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا
اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار والنهي عن
الاعتذار لانه لا عذر لهم او العذر لا ينفعهم يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا
بالغة في النصح وهو صفة التائب فانه ينصح نفسه بالتوبة وصفت به على الاسناد
المجازي مبالغة او في النصاحة وهي الخياطة كانها تنصح ما خرق الذنب وقرا ابو بكر
بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر والشكور او النصاحة كالثبات والثبوت
تقديره ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا نصوحا لانفسكم وسئل علي رضي الله عنه
عن التوبة فقال يجمعها ستة اشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة
ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تربي نفسك في طاعة

الله كما ربيتها في المعصية عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري
من تحتها الانهار ذكر بصيغة الاطماع جريا على عادة الملوك واشعارا بانه تفضل
والتوبة غير موجبة وان العبد ينبغي ان يكون بين الخوف والرجاء يوم لا يخزي الله النبي
ظرف ليدخلكم والذين امنوا معه عطف على النبي احمادا لهم وتعريضا لمن ناواهم
وقيل مبتدأ وخبره نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم اي على الصراط يقولون اذا
طفئ نور المنافقين ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير وقيل
يتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا يا ايها النبي جاهد الكفار
بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم اذا بلغ
الرفق مداه ومأويهم جهنم وبئس المصير جهنم او مأواهم ضرب الله مثلا للذين
كفروا امرأة نوح وامرأة لوط مثل الله حالهم في انهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون بما بينهم
وبين النبي والمؤمنين من النسبة بحالهما كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين يريد به
تعظيم نوح ولوط فخانتاهما بالنفاق فلم يغنيا عنهما من الله شيئا فلم يغن النبيان
عنهما بحق الزواج اغناء ما وقيل ادخلا اي لهما عند موتهما او يوم القيمة النار مع
الداخلين مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء وضرب الله
مثلا للذين امنوا امرأة فرعون شبه حالهم في ان وصلة الكافرين لا تضرهم بحال
آسية ومنزلتها عند الله مع انها كانت تحت اعدى اعداء الله اذ قالت ظرف
للمثل المحذوف رب ابن لي عندك بيتا في الجنة قريبا من رحمتك او في اعلى درجات
المقربين ونجني من فرعون وعمله من نفسه الخبيثة وعمله السيء ونجني من القوم الظالمين
من القبط التابعين له في الظلم ومريم ابنة عمران التي عطف على امرأة فرعون
تسلية للارامل التي احصنت فرجها من الرجال فنفخنا فيه في فرجها وقرئ فيها
اي في مريم او في الحبلة من روحنا من روح خلقناه بلا توسط اصل وصدقت بكلمات
ربها بصحفه المنزلة او بما اوحى الى انبيائه وكتبه وما كتب في اللوح او جنس الكتب
المنزلة ويدل عليه قراءة البصريتين وحفص بالجمع وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى
والانجيل وكانت من القانتين من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب
والاشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم او من
نسلهم فيكون من ابتدائية عن النبي عليه السلام كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء
الا اربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت
خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام
وعنه عليه السلام من قرأ سورة التحريم اتاه الله توبة نصوحا

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي بيده الملك بقبضة قدرته التصرف في

في الامور كلها وهو على كل شيء قدير على كل ما يشاء قدير الذي خلق الموت والحيوة
قدرهما او اوجد الحيوة وازال الحياة حسب ما قدره وقدم الموت لقوله وكنتم امواتا
فاحياكم ولانه ادعى الى حسن العمل ليبلوكم ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف ايها
المكلفون ايكم احسن عملا اصوبه واخلصه وجاء مرفوعا احسن عقلا واورع من
محارم الله واسرع في طاعته جملة واقعة موقع المفعول الثاني للفعل المبلوي المتضمن
معنى العلم وليس هذا من باب التعليق لانه يخل بها وقوع الجملة خبرا فلا يعلق الفعل عنها
بخلاف ما اذا وقعت موقع المفعولين وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه من اساء
العمل الغفور لمن تاب منهم الذي خلق سبع سموات طباقا مطابقة بعضها فوق
بعض مصدر طابقت النعل اذا خصفتها طبقا على طبق وصف به او طوبقت طباقا
او ذات طباق جمع طبق كجبل وجبال وطبقة كرحبة ورحاب ما ترى في خلق الرحمن
من تفاوت وقرأ حمزة والكسائي من تفوت ومعناهما واحد كالتعاهد والتعهد
وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت كان كلا من المتفاوتين فات عنه
بعض ما في الاخر والجملة صفة ثانية للسبع وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم
والاشعار بانه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلا وان في ابداعها
نعما جليلة لا تحصى والخطاب فيها للرسول او لكل مخاطب وقوله فارجع البصر هل
ترى من فطور متعلق به على التسبيب اي قد نظرت اليها مرارا فانظر اليها مرة
اخرى متأملا فيها لتعاين ما اخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ما ينبغي
لها والفطور الشقوق والمراد الخلل من فطره اذا شقه ثم ارجع البصر كرتين اي رجعتين
اخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك
ولذلك اجاب الامر بقوله ينقلب اليك البصر خاسئا بعيدا عن اصابة المطلوب
كانه طرد عنه طردا بالصغار وهو حسير كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة
ولقد زينا السماء الدنيا اقرب السموات الى الارض بمصابيح بكواكب مضيئة
بالليل اضاءة السرج فيها ولا يمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزة في سموات فوقها
اذ التزيين باظهارها عليها والتنكير للتعظيم وجعلناها رجوما للشياطين وجعلنا
لها فائدة اخرى وهي رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المسببة عنها وقيل معناه
وجعلناها رجوما وظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون والرجوم جمع رجم بالفتح
وهو مصدر سمي به ما يرجم به واعتدنا لهم عذاب السعير في الاخرة بعد الاحراق
بالشهب في الدنيا وللذين كفروا بربهم من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وقرئ
بالنصب على ان للذين عطف على لهم وعذاب على عذاب السعير وبئس المصير اذا
القوا فيها سمعوا لها شهيقا صوتا كصوت الحمير وهي تفور تغلي بهم غليان المرجل
بما فيه تكاد تميز من الغيظ تتفرق غضبا عليهم وهي تمثيل لشدة اشتعالها بهم ويجوز

ان يراد غيظ الزبانية كلما القى فيها فوج جماعة من الكفرة سألهم خزنتها الم
يأتكم نذير يخوفكم هذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا
وقلنا ما نزل الله من شئ ان انتم الا في ضلال كبير اى فكذبنا الرسل وافرطنا
في التكذيب حتى نفينا الانزال والارسال راسا وبالغنا في نسبتهم الى الضلال
فالنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف اى اهل انذار او منعوت
به للمبالغة او الواحد والخطاب له ولامثاله على التغليب او اقامة تكذيب الواحد
مقام تكذيب الكل او على ان المعنى قالت الافواج قد جاء الى كل فوج منا رسول
فكذبناهم وضللناهم ويجوز ان يكون الخطاب من كلام الزبانية للكفار على ارادة
القول فيكون الضلال ما كانوا عليه في الدنيا او عقابه الذى يكونون فيه وقالوا لو كنا
نسمع كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم
بالمعجزات او نعقل فنتفكر في حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين ما كنا في اصحاب السعير
في عدادهم ومن جملتهم فاعترفوا بذنبهم حين لا ينفعهم والاعتراف اقرار عن معرفة
والذنب لم يجمع لانه في الاصل مصدر او المراد به الكفر فسحقا لاصحاب السعير فاسحقهم
الله سحقا اى ابعدهم الله من رحمته والتغليب للايجاز والمبالغة والتعليل وقرأ
الكسائي بالتثقيل ان الذين يخشون ربهم بالغيب يخافون عذابه غائبا عنهم لم يعاينوه
بعد او غائبين عنه او عن اعين الناس او بالمخفي عنهم وهو قلوبهم لهم مغفرة لذنوبهم
واجر كبير يصغر دونه لذائذ الدنيا واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور
بالضماير قبل ان يعبر عنها سرا او جهرا الا يعلم من خلق الا يعلم السر والجهر من اوجد
الاشياء حسب ما قدرته حكمته وهو اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما
بطن او الا يعلم الله من خلقه وهو بهذه المثابة والتقييد بهذه الحال يستدعى ان يكون
ليعلم مفعول به ليفيد روى ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء فيخبر الله
رسوله فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فنبه الله على جهلهم هو الذى جعل لكم
الارض ذلولا لينة يسهل لكم السلوك فيها فامشوا في مناكبها في جوانبها او جبالها
وهو مثل لفرط التذلل فان منكب البعير ينبو عن ان يطأه الراكب ولا يتذلل له فاذا
جعل الارض في الذل بحيث يمشى في مناكبها لم يبق شئ لم يتذلل وكلوا من رزقه
والتمسوا من نعم الله واليه النشور المرجع فيسألكم عن شكر ما انعم عليكم اامنتم من في السماء
يعنى الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم او الله تعالى على تاويل من في السماء امره وقضاؤه
او على زعم العرب فانهم زعموا انه تعالى في السماء وقرأ ابن كثير وامنتم بقلب الهمزة
الاولى واوا لانضمام ما قبلها وامنتم بقلب الهمزة الثانية الفا وهو قراءة نافع
وابو عمرو ورويس ان يخسف بكم الارض فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل
من من بدل الاشتمال فاذا هى تمور تضطرب والمور التردد في المجيء والذهاب ام امنتم

ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا اى يمطر عليكم حصباء فستعلمون
كيف نذير كيف انذارى اذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ
ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير انكارى عليهم بانزال العذاب وهو
تسلية للرسول وتهديد لقومه او لم يروا الى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن
في الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضن ويضممنها
اذا ضربن بها جنوبهن وقتا بعد وقت للاستظهار به على التحرك ولذلك عدل
به الى صيغة الفعل وللفرق بين الاصيل في الطيران والطارئ عليه ما يمسكهن في الجو
على خلاف الطبع الا الرحمن الشامل رحمته كل شئ بان خلقهن على اشكال وخصائص
هيأتهن للجرى في الهواء انه بكل شئ بصير يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب
امن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن عديل لقوله او لم يروا على معنى
او لم ينظروا في امثال هذه الصنائع فلم يعلموا قدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف وارسال
حاصب ام لكم جند ينصركم من دون الله ان ارسل عليكم عذابه فهو كقوله ام لهم الهة تمنعهم
من دوننا الا انه اخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم اعتقدوا
هذا القسم ومن مبتدأ وهذا خبره والذى بصلته صفته وينصركم وصف لجند محمول على
لفظه ان الكافرون الا في غرور لا معتمد لهم امن هذا الذى يرزقكم ان امسك
رزقه بامساك المطر وساير الاسباب المحصلة والموصلة له اليكم بل لجوا تمادوا
في عتو عناد ونفور وشراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه افمن يمشى مكبا على وجهه
اهدى يقال كببته فاكب وهو من الغرائب كقشع الله السحاب فاقشع والتحقيق انهما من
باب انفض بمعنى صار ذا كب وذا قشع وليسا مطاوعى كب وقشع بل المطاوع
لهما انكب وانقشع ومعنى مكبا انه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة طريقه
واختلاف اجزائه ولذلك قابله بقوله امن يمشى سويا قائما سالما من العثار
على صراط مستقيم مستوى الاجزاء والجهة والمراد تمثيل المشرك والموحد بالسالكين
والدينين بالمسلكين ولعل الاكتفاء بما في الكب من الدلالة على حال المسلك للاشعار
بان ما عليه المشرك لا يستاهل ان يسمى طريقا كمشى المتعسف في مكان متعاد
غير مستو وقيل المراد بالمكب الاعمى فانه يعتسف فينكب وبالسوى البصير وقيل
من يمشى مكبا هو الذى يحشر على وجهه الى النار ومن يمشى سويا الذى يحشر على قدميه
الى الجنة قل هو الذى انشاكم وجعل لكم السمع لتسمعوا المواعظ والابصار لتنظروا
صنايعه والافئدة لتتفكروا وتعتبروا قليلا ما تشكرون باستعمالها فيما خلقت
لاجلها قل هو الذى ذرأكم في الارض واليه تحشرون للجزاء ويقولون متى هذا الوعد
اى الحشر او ما وعدوا قل انما العلم اى علم وقته عند الله لا يطلع عليه غيره وانما
انا نذير مبين والانذار يكفى له العلم بل الظن بوقوع المحذر منه فلما رأوه اى الوعد

فانه بمعنى الموعود زلفة ذا زلفة اى قرب منهم سيئت وجوه الذين كفروا
بان عليها الكآبة وساءتها رؤية العذاب وقيل هذا الذى كنتم به تدعون تطلبون
وتستعجلون تفتعلون من الدعاء او تدعون ان لا بعث فهو من الدعوى قل ارايتم
ان اهلكنى الله اماتنى ومن معى من المؤمنين او رحمنا باخير اجالنا فمن يجير
الكافرين من عذاب اليم اى لا ينجيهم احد من العذاب متنا او بقينا وهو جواب لقولهم
نتربص به ريب المنون قل هو الرحمن الذى ادعوكم اليه مولى النعم كلها امنا به
للعلم بذلك وعليه توكلنا للوثوق عليه والعلم بان غيره بالذات لا يضر ولا ينفع
وتقديم الصلة للتخصيص والاشعار به فستعلمون من هو فى ضلال مبين منكم
ومنا وقرا الكسائى بالياء قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا غايرا فى الارض بحيث لا تناله
الدلاء مصدر وصف به فمن ياتيكم بماء معين جار او ظاهر سهل الماخذ عن
عن النبى عليه السلام من قرا سورة الملك فكانما احيى ليلة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم ن

من اسماء الحروف وقيل اسم الحوت والمراد به الجنس او البهموت وهو الذى عليه
الارض او الدواة فان بعض الحيتان يستخرج منه شئ اشد سوادا من النقس يكتب به
ويؤيده الاول سكونه وكتبته بصورة الحرف والقلم هو الذى خط اللوح او الذى
يخط به اقسم به لكثرة فوايده واخفى ابن عامر والكسائى ويعقوب النون اجراء
للواو المنفصل مجرى المتصل فان النون الساكنة تخفى مع حروف الفم اذا اتصلت بها وقد
روى ذلك عن نافع وعاصم وقرئت بالفتح والكسر كصاد وما يسطرون وما يكتبون
والضمير للقلم بالمعنى الاول على التعظيم او بالمعنى الثانى على ارادة الجنس واسناد الفعل
الى الالة واجراؤه مجرى اولى العلم لاقامته مقامهم او لاصحابه او للحفظة وما مصدرية
او موصولة ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب للقسم والمعنى ما انت بمجنون
منعما عليك بالنبوة وحصافة الراى والعامل فى الحال معنى النفى وقيل بمجنون والباء
لا تمنع عمله فيما قبله لانها مزيدة وفيه نظر من حيث المعنى وان لك لاجرا على الاحتمال
والابلاغ غير ممنون مقطوع او ممنون به عليك من الناس فانه تعالى يعطيك
بلا توسط وانك لعلى خلق عظيم اذ تحتمل من قومك ما لا يحتمله امثالك وسئلت
عايشة عن خلقه فقالت كان خلقه القران الست تقرا القران قد افلح المؤمنون
فستبصر ويبصرون بايكم المفتون ايكم الذى فتن بالجنون والباء مزيدة او بايكم
الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود او باى الفريقين منكم الجنون
ابفريق المؤمنين ام الكافرين اى فى ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم ان ربك هو
اعلم بمن ضل عن سبيله وهم المجانين على الحقيقة وهو اعلم بالمهتدين الفايزين بكمال
العقل فلا تطع المكذبين تهييج للتصميم على معاصاتهم ودوا لو تدهن بان تلاينهم

تلاينهم بان تدع نهيهم عنه او توافقهم فيه احيانا فيدهنون فيلاينونك بترك
الطعن والموافقة والفاء للعطف اى ودوا التداهن وتمنوه لكنهم اخروا ادهانهم
حتى تدهن او للسببية اى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك
فهم الان يدهنون طمعا فيه وفى بعض المصاحف فيدهنوا على انه جواب التمنى
ولا تطع كل حلاف كثير الحلف فى الحق والباطل مهين حقير الراى من المهانة وهى
الحقارة هماز عياب مشاء بنميم نقال للحديث على وجه السعاية مناع للخير
يمنع الناس عن الخير من الايمان والانفاق والعمل الصالح معتد متجاوز فى الظلم
اثيم كثير الاثام عتل جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك
بعد ما عد من مثالبه زنيم دعى ماخوذ من زنمتى الشاة وهما المتدليتان
من اذنها وحلقها قيل هو الوليد بن المغيرة ادعاه ابوه بعد ثمانى عشرة من مولده
وقيل الاخنس بن شريق اصله من ثقيف وعداده فى زهرة ان كان ذا مال
وبنين اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين اى قال ذلك حينئذ لان
كان متمولا مستظهرا بالبنين من فرط غروره لكن العامل مدلول قال لا نفسه
لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ويجوز ان يكون علة للا تطع اى لا تطع من هذه
مثالبه لان كان ذا مال وقرا ابن عامر وحمزة ويعقوب وابو بكر اان كان على
الاستفهام غير ان ابن عامر جعل الهمزة الثانية بين بين اى الان كان ذا مال
كذب او اتطيعه لان كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر على ان شرط الغنى
فى النهى عن الطاعة كالتعليل بالفقر فى النهى عن قتل الاولاد او ان شرطه للمخاطب
اى لا تطع شارطا يساره لانه اذا اطاع للغنى فكانه شرطه فى الطاعة سنسمه
بالكى على الخرطوم على الانف وقد اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبقى اثره
وقيل هو عبارة عن ان يذله غاية الاذلال كقولهم جدع انفه ورغم انفه لان السمة
على الوجه سيما على الانف شين ظاهر او نسود يوم القيمة انا بلوناهم بلونا اهل
مكة بالقحط كما بلونا اصحاب الجنة يريد بستانا كان دون صنعاء بفرسخين وكان
لرجل صالح وكان ينادى الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطاه المنجل او
القته الريح او بعد من البساط الذى يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شئ كثير فلما
مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعله ابونا ضاق علينا الامر فحلفوا ليصرمنها
وقت الصباح خفية عن المساكين كما قال اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ليقطعنها
داخلين الصباح ولا يستثنون ولا يقولون ان شاء الله وانما سماه استثناء
لما فيه من الاخراج غير ان المخرج به خلاف المذكور والمخرج بالاستثناء عينه او لان
معنى لا اخرج ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد ولا يستثنون حصة
المساكين كما كان يخرج ابوهم فطاف عليها على الجنة طايف بلاء طائف

من ربك مبتدا منه وهم نائمون فاصبحت كالصريم كالبستان الذي صرم
ثماره بحيث لم يبق فيه شئ فعيل بمعنى مفعول او كالليل باحتراقها واسودادها او
كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس سميا بالصريم لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه او كالرمال
فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم اى اخرجوا او بان اخرجوا اليه غدوة وتعدية
الفعل بعلى لما يتضمنه معنى الاقبال او لتشبيه الغدو للصرام بغدو الغدو المتضمن لمعنى
الاستيلاء ان كنتم صارمين قاطعين له فانطلقوا وهم يتخافتون يتشاورون
فيما بينهم وخفى وخفت وخفد بمعنى الكتم ومنه الخفد وللخفاش ان لا يدخلنها اليوم
عليكم مسكين وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد كقوله لا ارينك ههنا وغدوا
على حرد قادرين وغدوا قادرين على نكد لا غير من حاردت السنة اذا لم يكن فيها
مطر وحاردت الابل اذا منعت دررها والمعنى انهم عزموا على ان ينكدوا على المساكين
فتنكد عليهم بحيث لا يقدرون فيها الا على النكد او وغدوا حاصلين على النكد والحرمان
مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به اى لم يقدروا
الا على حنق بعضهم لبعض كقوله يتلاومون وقيل القصد والسرعة قال اقبل سيل جاء
من امر الله يحرد حرد الجنة المغلة اى غدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين
عند انفسهم على صرامها وقيل علم للجنة فلما راوها اول ما راوها قالوا انا لضالون
طريق جنتنا وما هى بها بل نحن اى بعد ما تاملوا وعرفوا انها هى محرومون
حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم رايا او سنا الم اقل لكم لولا
تسبحون لولا تذكرونه وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد قاله حينما عزموا
على ذلك ويدل على هذا المعنى قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين او لولا تستثنون
فسمى الاستثناء تسبيحا لتشاركهما فى التعظيم او لانه تنزيه عن ان يجرى فى ملكه
ما لا يريده فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون يلوم بعضهم بعضا فان منهم من
اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا ومنهم من انكره
قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين متجاوزين حد و والله عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها
ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة وقد روى انهم ابدلوا خيرا منها وقرئ يبدلنا
بالتخفيف انا الى ربنا راغبون راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة
او لتضمنها معنى الرجوع كذلك العذاب مثل ذلك الذى بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة
العذاب فى الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر اعظم منه لو كانوا يعلمون لاحترزوا
عما يؤديهم الى العذاب ان للمتقين عند ربهم اى فى الاخرة او فى جوار القدس جنات
النعيم جنات ليس فيها الا التنعم الخالص افنجعل المسلمين كالمجرمين انكار لقول
الكفرة فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا
بل نكون احسن حالا منهم كما نحن عليه فى الدنيا ما لكم كيف تحكمون التفات فيه

فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له واشعار بانه صادر من اختلال فكر واعوجاج راى
ام لكم كتاب من السماء فيه تدرسون تقرؤن ان لكم فيه لما تخيرون ان لكم ما تختارونه
وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه المدروس فلما جئت باللام كسرت ويجوز ان يكون
حكاية للمدروس او استينافا وتخير الشئ واختاره اخذ خيره ام لكم ايمان علينا
عهود مؤكدة بالايمان بالغة متناهية فى التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل
فيها احد الظرفين الى يوم القيمة متعلق بالمقدر فى لكم اى ثابتة لكم علينا الى يوم القيمة
لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم فى ذلك اليوم او ببالغة اى ايمان تبلغ ذلك اليوم ان
لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم سلهم ايهم بذلك
زعيم بذلك الحكم يدعيه ويصححه ام لهم شركاء يشاركونهم فى هذا القول فليأتوا
بشركائهم ان كانوا صادقين فى دعواهم اذ لا اقل من التقليد وقد نبه سبحانه فى هذه
الايات على نفى جميع ما يمكن ان يتشبثوا به من عقل او نقل يدل عليه لاستحقاق او وعد
ومحض تقليد على الترتيب تنبيها على مراتب النظر وتزييفا لما لا سند له وقيل المعنى
ام لهم شركاء يجعلونهم مثل المؤمنين فى الاخرة كانه لما نفى ان يكون التسوية من الله
نفى بهذا ان يكون مما يشركون الله به يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الامر ويصعب
الخطب وكشف الساق مثل فى ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن فى الهرب قال
حاتم اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا او يوم
يكشف عن اصل الامر وحقيقته بحيث يصير عيانا مستعار من ساق الشجر وساق
الانسان وتنكيره للتهويل او للتعظيم وقرئ تكشف بالتاء على بناء الفاعل او المفعول
والفعل للساعة او الحال ويدعون الى السجود توبيخا على تركهم السجود ان كان اليوم يوم
القيمة او يدعون الى الصلوة لاوقاتها ان كان وقت النزع فلا يستطيعون
لذهاب وقته او زوال القدرة عليه خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة تلحقهم ذل
وقد كانوا يدعون الى السجود فى الدنيا او فى زمان الصحة وهم سالمون متمكنون
مزاحوا العلل فيه فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث كله الى فانى اكفيكه سنستدرجهم
سندنيهم من العذاب درجة درجة بالامهال وادامة الصحة وازدياد النعمة من حيث
لا يعلمون انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم حسبوه تفضيلا لهم على المؤمنين
واملى لهم وامهلهم ان كيدى متين لا يدفع بشئ وانما سمى انعامه استدراجا
بالكيد لانه فى صورته ام تسألهم اجرا على الارشاد فهم من مغرم من غرامة مثقلون
بحملها فيعرضون عنك ام عندهم الغيب اللوح او المغيبات فهم يكتبون منه ما يحكمون
ويستغنون به عن علمك فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتاخير نصرتك عليهم
ولا تكن كصاحب الحوت يونس اذ نادى فى بطن حوت وهو مكظوم مملوء غيظا فى الضجرة
فتبتلى ببلائه لولا ان تداركه نعمة من ربه يعنى التوفيق للتوبة وقبولها وحسن تذكير

الفعل للفصل وقرئ تداركته وتداركه اي تتداركه على حكاية الماضية بمعنى لولا ان كان
يقال فيه تتداركه لنبذ بالعراء بالارض الخالية عن الاشجار وهو مذموم مليم مطرود
عن الرحمة والكرامة وهو حال يعتمد عليها الجواب لانها المنفية دون النبذ فاجتباه ربه
بان رد الوحي اليه او استنباه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة فجعله من
الصالحين من الكاملين في الصلاح بان عصمه من ان يفعل ما تركه اولى وفيه دليل
على خلق الافعال والاية نزلت حين هم رسول الله ان يدعو على ثقيف وقيل
باحد حين حل به ما حل فاراد ان يدعو على المنهزمين وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك
بابصارهم ان هي المخففة واللام دليلها والمعنى انهم لشدة عداوتهم ينظرون اليك
شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك او يهلكونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد
يصرعني اي لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ
روي انه كان في بني اسد عيانون فاراد بعضهم على ان يعين رسول الله فنزلت
وفي الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله يكون من خصايص بعض
النفوس وقرا نافع ليزلقونك من زلقته فزلق كحزنته فحزن وقرئ ليزهقونك
اي ليهلكونك لما سمعوا الذكر اي القران اي ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم
ويقولون انه لمجنون حيرة في امره وتنفيرا عنه وما هو الا ذكر للعالمين لما جننوه
لاجل القران بين انه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان اكمل الناس
عقلا وامتنهم رايا عن النبي عليه السلام من قرا سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة

الساعة او الحالة التي يحق وقوعها او التي تحق فيها الامور اي تعرف حقيقتها او تقع فيها
حواق الامور من الحساب والجزاء على الاسناد المجازي وهو مبتدا خبره ما الحاقة
واصله ما هي اي اي شيء هي على التعظيم لشانها والتهويل لها فوضع الظاهر موضع
الضمير لانه اهول لها وما ادريك ما الحاقة واي شيء اعلمك ما هي اي انك لا تعلم
كنهها فانها اعظم من ان يبلغها دراية احد وما مبتدا وادريك خبره كذبت
ثمود وعاد بالقارعة بالحالة التي تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتثار
وانما وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة في وصف شدتها فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية
بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة وهي الصيحة او الرجفة لتكذيبهم بالقارعة او بسبب طغيانهم
بالتكذيب وغيره على انها مصدر كالعاقبة وهو لا يطابق قوله واما عاد فاهلكوا
بريح صرصر اي شديدة الصوت او البرد من الصر او الصر عاتية شديدة العصف
كانها عتت على خزانها فلم يستطيعوا ضبطها او على عاد فلم يقدروا ردها سخرها
عليهم سلطها عليهم بقدرته وهو استيناف او صفة جيء به لنفي ما يتوهم من انها كانت
من اتصالات فلكية اذ لو كانت لكان هو المقدر لها والمسبب سبع ليال وثمانية

وثمانية ايام حسوما متتابعات جمع حاسم من حسمت الداية اذا تابعت بين
كيها او نحسات حسمت كل خير واستاصلته او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز
ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او المصدر لفعله المقدر حالا اي تحسمهم
حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهي كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء الى غروب الاربعاء
الاخر وانما سميت عجوزا لانها عجز الشتاء او لان عجوزا من عاد توارت في سرب
فانتزعتها الريح في الثامن فاهلكتها فترى القوم ان كنت حاضرهم فيها في مهابها او
في الليالي والايام صرعى موتى جمع صريع كانهم اعجاز نخل اصول نخل خاوية متآكلة
الاجواف فهل ترى لهم من باقية من بقية او نفس باقية او بقاء وجاء فرعون و
من قبله ومن تقدمه وقرا البصريان والكسائي ومن قبله اي ومن عنده ومن اتباعه
ويدل عليه انه قرئ ومن معه والمؤتفكات قرى قوم لوط والمراد اهلها بالخاطئة
بالخطاء او بالفعلة او الافعال ذات الخطاء فعصوا رسول ربهم اي فعصى كل امة
رسولها فاخذهم اخذة رابية زائدة في الشدة زيادة اعمالهم في القبح انا لما طغى الماء
جاوز حده المعتاد او طغى على خزانه وذلك في الطوفان وهو يؤيد من قبله حملناكم
اي اباءكم وانتم في اصلابهم في الجارية في سفينة نوح لنجعلها لكم لنجعل الفعلة
وهي انجاء المؤمنين واغراق الكافرين تذكرة عبرة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته
وكمال قهره ورحمته وتعيها وتحفظها وعن ابن كثير وتعيها بسكون العين تشبيها
بكتف والوعي ان تحفظ الشيء في نفسك والايعاء ان تحفظه في غيرك اذن واعية
من شانها ان تحفظ ما يجب حفظه بتذكره واشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه
والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شانه مع قلته تسبب لانجاء الجم الغفير وادامة
نسلهم وقرا نافع اذن بالتخفيف فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة لما بالغ في تهويل
القيمة وذكر مال المكذبين بها تفخيما لشانها وتنبيها على امكانها عاد الى شرحها وانما
حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقيده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة بالنصب
على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التي عندها خراب العالم
وحملت الارض والجبال رفعت من اماكنها بمجرد القدرة الكاملة او بتوسط زلزلة
او ريح عاصفة فدكتا دكة واحدة فضربت الجملتان بعضها ببعض ضربة واحدة
فيصير الكل هباء او فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا لا عوج فيها ولا امتا
لان الدك سبب للتسوية ولذلك قيل ناقة دكاء للتي لا سنام لها وارض
دكاء للمتسعة المستوية فيومئذ فحينئذ وقعت الواقعة قامت القيامة وانشقت
السماء لنزول الملائكة فهي يومئذ واهية ضعيفة مسترخية والملك والجنس
المتعارف بالملك على ارجائها جوانبها جمع رجا بالقصر ولعله تمثيل لخراب السماء
بخراب البنيان وانضواء اهلها الى اطرافها وحواليها وان كان على ظاهره

فلعل هلاك الملائكة اثر ذلك ويحمل عرش ربك فوقهم فوق الملائكة الذين هم على
الارجاء او فوق الثمانية لانها فى نية التقديم يومئذ ثمانية املاك لما روى مرفوعا
انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة ايدهم الله باربعة اخرى وقيل ثمانية صفوف
من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله ولعله ايضا تمثيل لعظمته بما يشاهد من احوال السلاطين
يوم خروجهم على الناس للقضاء العام وعلى هذا قال يومئذ تعرضون تشبيها للمحاسبة
بعرض السلطان العسكر ليعرف احوالهم وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان
اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال
اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم خافية سريرة على الله حتى
يكون العرض للاطلاع عليها وانما المراد منه افشاء الحال والمبالغة فى العدل وعلى الناس
كما قال يوم تبلى السرائر وقرأ حمزة والكسائى بالياء للفصل فاما من اوتى كتابه بيمينه
تفصيل للعرض فيقول تبجحا هاؤم اقرؤا كتابيه هاء اسم لخذ وفيه لغات اجودها
ها يا رجل وها يا امرأة وهاء يا رجلان او امرأتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة
ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه اقرب العاملين فانه لو كان مفعول
هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء فيه وفى حسابيه وماليه
وسلطانيه للسكت تثبت فى الوقف وتسقط فى الدرج واستحب الوقف لثباتها فى
الامام ولذلك قرئ باثباتها فى الوصل انى ظننت انى ملاق حسابيه اى علمت ولعله
عبر عنه بالظن اشعارا بانه لا يقدح فى الاعتقاد ما يهجس فى النفس من الخطرات التى
لا تنفك عنها العلوم النظرية غالبا فهو فى عيشة راضية ذات رضى على النسبة
بالصيغة او جعل الفعل لها مجازا وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة
بالتعظيم فى جنة عالية مرتفعة المكان لانها فى السماء او الدرجات او الابنية قطوفها
جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح المصدر دانية يتناولها القاعد
كلوا واشربوا باضمار القول وجمع الضمير للمعنى هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا
بما اسلفتم بما قدمتم من الاعمال الصالحة فى الايام الخالية الماضية من ايام الدنيا
واما من اوتى كتابه بشماله فيقول لما يرى من قبح العمل وسوء العاقبة يا ليتنى لم
اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه يا ليتها يا ليت الموتة التى متها كانت القاضية
القاطعة لامرى فلم ابعث بعدها او يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضيت على
كانه صادفها امر من الموت فتمناه عندها او ليت حيوة الدنيا كانت الموتة ولم اخلق
حيا ما اغنى عنى ماليه مالى من المال والتبع وما نفى والمفعول به محذوف او استفهام انكار
مفعول لاغنى هلك عنى سلطانيه ملكى وتسلطى على الناس او حجتى التى كنت احتج بها فى
الدنيا خذوه يقول الله لخزنة النار العظمى لانه كان يتعظم على الناس ثم فى سلسلة
ذرعها سبعون ذراعا اى طويلة فاسلكوه فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده

على جسده وهو فيما بينها مرهق لا يقدر على حركة وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم
للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر انواع ما يعذبون به وثم لتفاوت ما بينها
فى الشدة انه كان لا يؤمن بالله العظيم تعليل على طريقة الاستئناف للمبالغة وذكر العظيم
للاشعار بانه هو المستحق للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك ولا يحض على طعام
المسكين اى ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه فضلا ان يبذل من ماله ويجوز
ان يكون ذكر الحض للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل
وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع ولعل تخصيص الامرين بالذكر لان اقبح العقائد
الكفر بالله واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب فليس له اليوم ههنا حميم قريب
يحميه ولا طعام الا من غسلين غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل
لا يأكله الا الخاطئون اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب من الخطاء المضاد
للصواب وقرئ الخاطيون بقلب الهمزة ياء والخاطون بطرحها فلا اقسم لظهور الامر
واستغنائه عن التحقيق بالقسم او فاقسم ولا مزيدة او فلا رد لانكارهم البعث واقسم
مستانف بما تبصرون وما لا تبصرون بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول
الخالق والمخلوقات باسرها انه ان القران لقول رسول يبلغه عن الله فان الرسول
لا يقول عن نفسه كريم على الله وهو محمد او جبرئيل وما هو بقول شاعر كما تزعمون
تارة قليلا ما تؤمنون تصدقون لما ظهر لكم صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادكم
ولا بقول كاهن كما تزعمون اخرى قليلا ما تذكرون تذكرا قليلا ولذلك
يلتبس الامر عليكم وذكر الايمان مع نفى الشاعرية والتذكر مع نفى الكاهنية لان عدم
مشابهة القران للشعر امر بين لا ينكرها الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها
تتوقف على تذكر احوال الرسول ومعانى القران المنافية لطريقة الكهنة ومعانى
اقوالهم وقرأ ابن كثير ويعقوب بالياء فيهما تنزيل هو تنزيل من رب العالمين
نزله على لسان جبرئيل ولو تقول علينا بعض الاقاويل سمى الافتراء تقولا لانه
قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها كانها جمع افعولة من القول
كالاضاحيك لاخذنا منه باليمين بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين اى نياط قلبه
بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو
ان يأخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب جيده وقيل اليمين بمعنى القوة فما منكم
من احد عنه عن القتل او المقتول حاجزين دافعين وصف لاحد فانه عام والخطاب
للناس وانه وان القران لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم
مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة على الكافرين اذا راوا ثواب المؤمنين
وانه لحق اليقين لليقين الذى لا ريب فيه فسبح باسم ربك العظيم فسبح الله بذكر
اسمه العظيم تنزيها له عن الرضا بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى اليك عن النبى عليه السلام

من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

بسم الله الرحمن الرحيم سأل سائل بعذاب واقع اي دعا داع به بمعنى استدعاه ولذلك عدي الفعل بالباء والسائل نضر بن الحارث فانه قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة او ابو جهل فانه قال فاسقط علينا كسفا من السماء سأله استهزاء او الرسول عليه السلام استعجل بعذابهم وقرأ نافع وابن عامر سال الف السؤال على لغة قريش قال سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سالت ولم تصب او من السيلان ويؤيده انه قرئ سال سيل على ان السيل مصدر بمعنى السائل كالغور والمعنى سال واد بعذاب ومضي الفعل لتحقق وقوعه اما في الدنيا وهو قتل بدر او في الاخرة وهو عذاب النار للكافرين صفة اخرى لعذاب او صلة لواقع وان صح السؤال كان عمن يقع به العذاب كان جوابا والباء على هذا لتضمن سأل معنى اهتم ليس له دافع من الله من جهة لتعلق ارادته به ذي المعارج ذي المصاعد وهي الدرجات التي تصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح او يترقى فيها المؤمنون في سلوكهم او في دار ثوابهم او مراتب الملائكة او السموات فان الملائكة يعرجون فيها تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة استيناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل والمعنى انها بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان في زمان يقدر بخمسين الف سنة من سني الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة من حيث انهم يقطعون فيه ما يقطعه الانسان فيها لو فرض لا ان ما بين اسفل العالم واعلى شرفات العرش مسيرة خمسين الف سنة لان ما بين مركز الارض ومقعر السماء الدنيا على ما قيل مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحد من السموات السبع والكرسي والعرش كذلك وحيث قال في يوم كان مقداره الف سنة يريد به زمان عروجهم من الارض الى محدب السماء الدنيا وقيل في يوم متعلق بواقع او سال اذا جعل من السيلان والمراد به يوم القيمة واستطالته اما لشدته على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات او لانه على الحقيقة كذلك والروح جبرئيل وافراده لفضله او خلق اعظم من الملائكة فاصبر صبرا جميلا لا يشوبه استعجال واضطراب قلب وهو متعلق بسال لان السؤال كان عن استهزاء او تعنت وذلك مما يضجره او عن تضجر واستبطاء للنصر او بسال سائل او سال سيل لان المعنى قرب وقوع العذاب فاصبر فقد شارفت الانتقام انهم يرونه الضمير للعذاب او ليوم القيمة بعيدا من الامكان ونريه قريبا منه او من الوقوع يوم تكون السماء كالمهل ظرف لقريبا اي يمكن يوم تكون او لمضمر دل عليه واقع او بدل من في يوم ان علق به والمهل المذاب في مهل كالفلزات او دردي الزيت وتكون الجبال كالعهن

كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال مختلفة الالوان فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسأل حميم حميما ولا يسأل قريب قريبا عن حاله وعن ابن كثير ولا يسأل على بناء المفعول اي لا يطلب من حميم حميمه او لا يسأل منه حاله يبصرونهم استيناف او حال يدل على ان المانع عن السؤال هو التشاغل دون الخفاء او ما يغني عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده وجمع الضميرين لعموم الحميم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه حال من احد الضميرين او استيناف يدل على ان اشتغال كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى ان يفتدي باقرب الناس واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسال عنها وقرئ بتنوين عذاب ونصب يومئذ به لانه بمعنى تعذيب وفصيلته وعشيرته الذين فصل عنهم التي تؤويه تضمه في النسب او عند الشدائد ومن في الارض جميعا من الثقلين او الخلائق ثم ينجيه عطف على يفتدي اي ثم لو ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد كلا ردع للمجرم عن الودادة ودلالة على ان الافتداء لا ينجيه انها الضمير للنار او مبهم يفسره لظى وهو خبر او بدل او للقصة ولظى مبتدأ خبره نزاعة للشوى وهو اللهب الخالص وقيل علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب وقرأ حفص عن عاصم نزاعة بالنصب على الاختصاص او الحال المؤكدة او المنتقلة على ان لظى بمعنى متلظية والشوى الاطراف او جمع شواة وهي جلدة الرأس تدعو تجذب وتحضر كقول ذي الرمة تدعو انفه الريب مجاز عن جذبها واحضارها لمن فر عنها وقيل تدعو زبانيتها وقيل تدعو تهلك من قولهم دعاه الله اذا اهلكه من ادبر عن الحق وتولى عن الطاعة وجمع فاوعى وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه حرصا وتأميلا ان الانسان خلق هلوعا شديد الحرص قليل الصبر اذا مسه الشر جزوعا يكثر الجزع واذا مسه الخير منوعا يبالغ في الامساك والاوصاف الثلثة احوال مقدرة او محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها واذا الاولى ظرف لجزوعا والاخرى لمنوعا الا المصلين استثناء للموصوفين بالصفات المذكورة بعد من المطبوعين على الاحوال المذكورة قبل لمضادة تلك الصفات لها من حيث انها دالة على الاستغراق في طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل وتلك ناشية من الانهماك في حب العاجل وقصور النظر عليها الذين هم على صلوتهم دائمون لا يشغلهم عنها شاغل والذين في اموالهم حق معلوم كالزكوة والصدقات الموظفة للسائل للذي يسأل والمحروم والذي لا يسأل فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين تصديقا باعمالهم وهو ان يتعب نفسه ويصرف ماله طمعا في المثوبة الاخروية ولذلك ذكر الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون على انفسهم ان عذاب ربهم غير مأمون اعتراض يدل على انه لا ينبغي لاحد

ان يأمن من عذاب الله وان بالغ في طاعته والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم
او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون
سبق تفسيره في سورة المؤمنين والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون حافظون
وقرا ابن كثير لامانتهم يعني لا يخفون ولا ينكرون ولا يخفون ما علموه من حقوق الله
وحقوق العباد والذين هم بشهادتهم قائمون وقرا يعقوب وحفص بشهاداتهم
لاختلاف الانواع والذين هم على صلاتهم يحافظون فيراعون شرائطها ويكملون فرائضها
وسننها وتكرير ذكر الصلوة ووصفهم بها اولا واخرا باعتبارين للدلالة على فضلها
وانافتها على غيرها وفي نظم هذه الصلات مبالغات لا تخفى اولئك في جنات
مكرمون بثواب الله فيها فمال الذين كفروا قبلك مهطعين مسرعين عن
اليمين وعن الشمال عزين فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة من العزو وكان كل
فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى كان المشركون يحتفون حول رسول الله
حلقا حلقا ويستهزؤن بكلامه ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان
وهو انكار لقولهم لو صح ما يقوله لنكونن فيها افضل حظا منهم كما في الدنيا كلا
ردع لهم عن هذا الطمع انا خلقناهم مما يعلمون تعليل له والمعنى انكم مخلوقون
من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس فمن لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم
يتخلق بالاخلاق الملكية لم يستعد دخولها او انكم مخلوقون من اجل ما تعلمون وهو تكميل
النفس بالعلم والعمل فمن لم يستكملها لم يتبوأ في منازل الكاملين او الاستدلال بالنشاة
الاولى على امكان النشاة الثانية التي بنوا الطمع على فرضها فرضا مستحيلا عندهم
بعد ردعهم عنه فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل
خيرا منهم اي نهلكهم ونأتي بخلق امثل منهم او نعطي محمدا بدلكم من هو خير منكم وهم
الانصار وما نحن بمسبوقين بمغلوبين ان اردنا ان نهلكهم فذرهم يخوضوا
ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون مر في اخر الطور يوم يخرجون من الاجداث
سراعا مسرعين جمع سريع كانهم الى نصب منصوب للعبادة او علم يوفضون
يسرعون وقرا ابن عامر وحفص نصب بضم النون والصاد والباقون بفتح النون
وسكون الصاد وقرئ نصب بالضم على انه تخفيف نصب او جمع خاشعة ابصارهم
ترهقهم ذلة مر تفسيره ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون في الدنيا عن النبي
عليه السلام من قرا سورة سأل سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

بسم الله الرحمن الرحيم

انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر بان انذر اي بالانذار او بان قلنا له انذر
ويجوز ان تكون ان مفسرة لتضمن الارسال معنى القول وقرئ بغيرها على ارادة
القول قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم عذاب الاخرة او الطوفان قال

يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون مر في الشعراء
نظيره وفي ان يحتمل الوجهان يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما سبق فان
الاسلام يجبه فلا يؤاخذكم به في الاخرة ويؤخركم الى اجل مسمى هو اقصى ما قدر لكم
بشرط الايمان والطاعة ان اجل الله ان الاجل الذي قدره اذا جاء على الوجه
المقدر به اجلا وقيل اذا جاء الاجل الاطول لا يؤخر فبادروا في اوقات
الامهال والتاخير لو كنتم تعلمون لو كنتم من اهل العلم والنظر لعلمتم ذلك وفيه
انهم لانهماكهم في حب الحيوة كانهم شاكون في الموت قال رب اني دعوت قومي
ليلا ونهارا اي دائما فلم يزدهم دعائي الا فرارا عن الايمان والطاعة واسناد
الزيادة الى الدعاء على السببية كقوله فزادتهم ايمانا واني كلما دعوتهم للايمان
لتغفر لهم بسببه جعلوا اصابعهم في اذانهم سدوا مسامعهم عن استماع
الدعوة واستغشوا ثيابهم تغطوا بها لئلا يروني كراهة النظر الي من فرط كراهة
دعوتي او لئلا اعرفهم فادعوهم والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة واصروا اكبوا
على الكفر والمعاصي من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها واستكبروا
عن اتباعي استكبارا عظيما ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت
لهم اسرارا اي دعوتهم مرة بعد اخرى وكرة بعد اولى على اي وجه امكنني
وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد
او لتراخي بعضها عن بعض وجهارا نصب على المصدر لانه احد نوعي الدعاء او صفة
مصدر محذوف بمعنى دعاء جهارا اي مجاهرا به او الحال فيكون بمعنى مجاهرا
فقلت استغفروا ربكم بالتوبة عن الكفر انه كان غفارا للتائبين وكانهم لما امرهم
بالعبادة قالوا ان كنا على حق فلا نتركه وان كنا على باطل فكيف يقبلنا ويلطف
بنا من عصيناه فامرهم بما يجب معاصيهم ويجلب اليهم المنح ولذلك وعدهم
عليه ما هو اوقع في قلوبهم وقيل لما طالت دعوتهم وتمادى اصرارهم حبس الله
عنهم القطر اربعين سنة واعقم ارحام نسائهم فوعدهم بذلك على الاستغفار
عما كانوا عليه بقوله يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم
جنات ويجعل لكم انهارا ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء والسماء تحتمل
المظلة والسحاب والمدرار كثير الدرور ويستوي في هذا البناء المذكر والمؤنث والمراد
بالجنات البساتين ما لكم لا ترجون لله وقارا لا تأملون له توقيرا اي تعظيما
لمن عبده واطاعه فتكونوا على حال تأملون فيها تعظيمه اياكم ولله بيان للموقر ولو
تاخر لكان صلة للوقار او لا تعتقدون له عظمة فتخافون عصيانه وانما عبر عن الاعتقاد
بالرجاء التابع لادنى الظن مبالغة وقد خلقكم اطوارا حال مقررة للانكار من حيث
انها موجبة للرجاء فانه خلقهم اطوارا اي تارات اذ خلقهم اولا عناصر ثم مركبات

تغذي الانسان ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشاكم
خلقا اخر فانه يدل على انه يمكن ان يعيدهم تارة اخرى فيعظمهم بالثواب وعلى انه
تعالى عظيم القدرة تام الحكمة ثم اتبع ذلك ما يؤيده من ايات الافاق فقال الم تروا
كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا اى في السموات وهو
في السماء الدنيا وانما نسب اليهن لما بينهن من الملابسة وجعل الشمس سراجا مثلها
به لانها تزيل ظلمة الليل عن وجه الارض كما تزيلها السراج عما حوله والله انبتكم من
الارض نباتا انشاكم منها فاستعير الانبات للانشاء لانه ادل على الحدوث والتكون
من الارض واصله انبتكم انباتا فنبتم نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية
ثم يعيدكم فيها مقبورين ويخرجكم اخراجا بالحشر واكده بالمصدر كما اكد به الاول
دلالة على ان الاعادة محققة كالابداء وانها تكون لا محالة والله جعل لكم الارض بساطا
تتقلبون عليها لتسلكوا منها سبلا فجاجا واسعة جمع فج ومن لتضمن الفعل معنى
الاتخاذ قال نوح رب انهم عصوني فيما امرتهم به واتبعوا من لم يزده ماله وولده
الا خسارا واتبعوا رؤساءهم البطرين باموالهم المغترين باولادهم بحيث صار
ذلك سببا لزيادة خسارهم في الاخرة وفيه انهم انما اتبعوهم لوجاهة حصلت
لهم بالاموال والاولاد وادت بهم الى الخسار وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي والبصريان
وولده بالضم والسكون على انه لغة كالحزن او جمع كالاسد ومكروا عطف على لم يزده
والضمير لمن وجمعه للمعنى مكرا كبارا كبيرا في الغاية فانه ابلغ من كبار وهو من كبير وذلك
احتيالهم في الدين وتحريش الناس على اذى نوح وقالوا لا تذرن الهتكم اى عبادتهم
ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ولا تذرن هؤلاء خصوصا
قيل هي اسماء رجال صالحين كانوا بين ادم ونوح فلما ماتوا صوروا تبركا بهم فلما
طال الزمان عبدوا وقد انتقلت الى العرب وكان ود لكلب وسواع لهمدان
ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرا نافع ودا بالضم وقرئ يغوثا
ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعلمية والعجمة وقد اضلوا كثيرا الضمير للرؤساء
او للاصنام كقوله انهن اضللن كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا عطف على
رب انهم عصوني ولعل المطلوب هو الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا في
امر دينهم او الضياع والهلاك كقوله ان المجرمين في ضلال وسعر مما خطيئاتهم
من اجل خطيئاتهم وما مزيدة للتاكيد والتفخيم وقرا ابو عمرو مما خطاياهم اغرقوا بالطوفان
فادخلوا نارا المراد عذاب القبر او عذاب الاخرة والتعقيب لعدم الاعتداد بما
بين الاغراق والادخال او لان المسبب كالمتعقب للسبب وان تراخى عنه لفقد
شرط او وجود مانع وتنكير النار للتعظيم او لان المراد نوع من النيران فلم يجدوا لهم
من دون الله انصارا تعريض لهم باتخاذ الهة من دون الله لا تقدر على نصرهم

على نصرهم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا اى احدا
وهو مما يستعمل في النفي العام فيعال من الدار او الدور واصله ديوار ففعل به
ما فعل باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك
ولا يلدوا الا فاجرا كفارا قال ذلك لما جربهم واستقرا احوالهم الف سنة
الا خمسين عاما فعرف شيمهم وطباعهم رب اغفر لي ولوالدي لمك بن متوشلخ
وشمخا بنت انوش وكانا مؤمنين ولمن دخل بيتي منزلي او مسجدي او سفينتي
مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات الى يوم القيمة ولا تزد الظالمين الا تبارا هلاكا
عن النبي عليه السلام من قرا سورة نوح عم كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح
بسم الله الرحمن الرحيم قل اوحي الي وقرئ
احي واصله وحي من وحى اليه فقلبت الواو همزة لضمتها ووحي على الاصل
وفاعله انه استمع نفر من الجن والنفر ما بين الثلثة والعشرة والجن اجسام عاقلة
خفية تغلب عليهم النارية او الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل نفوس
بشرية مفارقة عن ابدانها وفيه دلالة على انه عم ما راهم ولم يقرا عليهم وانما اتفق
حضورهم في بعض اوقات قراءته عم فسمعوها فاخبر الله به رسوله فقالوا انا
سمعنا قرانا كتابا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن نظمه ودقة
معناه وهو مصدر وصف به للمبالغة يهدي الى الرشد الى الحق والصواب
فامنا به بالقران ولن نشرك بربنا احدا على ما نطق به الدلائل القاطعة على
التوحيد وانه تعالى جد ربنا قراءة ابن كثير والبصريان بالكسر على انه من جملة
المحكي بعد القول وكذا ما بعده الا قوله وان لو استقاموا وان المساجد وانه
لما قام فانها من جملة الموحى به ووافقهم نافع وابو بكر الا في قوله وانه لما قام
على انه استيناف او مقول وفتح الباقون الكل الا ما تصدر بالفاء على ان ما كان
من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور في به كانه قال صدقناه انه تعالى جد ربنا
اى عظمته من جد فلان في عيني اذا عظم او سلطانه او غناه مستعار من الجد الذي
هو البخت والمعنى وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه او لغناه
وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقرئ جدا على التمييز وجد بالكسر اى
صدق ربوبيته كانهم سمعوا من القران ما نبههم على خطا ما اعتقدوه من الشرك
واتخاذ الصاحبة والولد وانه كان يقول سفيهنا ابليس او مردة الجن على الله
شططا قولا ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحد او هو شطط لفرط ما اشتط فيه
وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن
على الله كذبا اعتذار من اتباعهم للسفيه في ذلك بظنهم ان احدا لا يكذب على الله
وكذبا نصب على المصدر لانه نوع من القول او الوصف لمحذوف اى قولا مكذوبا

فيه ومن قرأ لن تقول كيعقوب جعله مصدراً لان التقول لا يكون الا كذباً وانه
كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فان الرجل اذا امسى بقفر قال
اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فزادوهم فزادوا الجن باستعاذتهم
بهم رهقاً كبراً وعتواً او فزاد الجن الانس غياً بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم
والرهق في الاصل غشيان الشيء وانهم وان الانس ظنوا كما ظننتم ايها الجن او
بالعكس والآيتان من كلام الجن بعضهم لبعض او استيناف كلام من الله ومن فتح
ان فيهما جعلهما من الموحى به ان لن يبعث الله احداً ساد مسد مفعولي ظنوا
وانا لمسنا السماء طلبنا بلوغ السماء وخبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس
يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه فوجدناها ملئت حرساً حراساً
اسم جمع كالخدم شديداً قوياً وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها وشهباً جمع شهاب
وهو المضيء المتولد من النار وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع مقاعد خالية من الحرس
والشهب او صالحة للترصد والاستماع وللسمع صلة لنقعد او صفة لمقاعد فمن
يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً اي شهاباً راصداً له ولاجله يمنعه عن الاستماع
بالرجم او ذوي شهاب راصدين على انه اسم جمع للراصد وقد مر بيان ذلك في
الصافات وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض بحراسة السماء ام اراد بهم
ربهم رشداً خيراً وانا منا الصالحون المؤمنون الابرار ومنا دون ذلك اي
قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون كنا طرائق ذوي طرائق
اي مذاهب او مثل طرائق في اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا طرائق قدداً
متفرقة مختلفة جمع قدة من قد اذا قطع وانا ظننا علمنا ان لن نعجز الله في الارض
كائنين في الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه هرباً هاربين منها الى السماء او لن نعجزه
في الارض ان اراد بنا امراً ولن نعجزه هرباً ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدى
اي القرآن آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف فهو لا يخاف وقرئ فلا يخف و
الاول ادل على تحقيق نجاة المؤمنين واختصاصها بهم بخساً ولا رهقاً نقصاً
في الجزاء ولا ان يرهقه ذلة او جزاء بخس لانه لم يبخس حقاً ولم يرهق ظلماً لان من حق
المؤمنين بالقرآن ان يجتنب ذلك وانا منا المسلمون ومنا القاسطون
الجائرون عن طريق الحق وهو الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك تحروا رشداً
توخوا رشداً عظيماً يبلغهم الى دار الثواب واما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً
توقد بهم كما توقد بكفار الانس وان لو استقاموا اي ان الشأن لو استقام
الجن او الانس او كلاهما على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقاً على الطريقة المثلى
لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش
والسعة ولعزة وجوده بين العرب لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل

وقيل معناه ان لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن
لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم في كفرانه
ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او موعظته او وحيه يسلكه يدخله عذاباً
صعداً شاقاً يعلو المعذب ويغلبه مصدر وصف به وان المساجد لله
مختصة به فلا تدعوا مع الله احداً فلا تعبدوا فيها غيره ومن جعل ان مقدرة
باللام علة للنهي الغى فائدة الفاء وقيل المراد بالمساجد الارض كلها لانها جعلت
للنبي مسجداً وقيل المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومواضع السجود وعلى ان المراد النهي
عن السجود لغير الله وآرابه السبعة والسجدات على انه جمع مسجد وانه لما
قام عبد الله اي النبي وانما ذكر بلفظ العبد للتواضع فانه واقع موقع كلامه عن
نفسه والاشعار بما هو المقتضي لقيامه يدعوه يعبده كادوا كاد الجن يكونون
عليه لبداً متراكمين من ازدحامهم عليه تعجباً مما رأوا من عبادته وسمعوا من قراءته
او كاد الانس والجن يكونون عليه مجتمعين لابطال امره وهو جمع لبدة وهي
ما تلبد بعضه على بعض كلبدة الاسد وعن ابن عامر لبداً بضم اللام جمع لبدة وهي
لغة وهي لبداً كسجد جمع لابد ولبداً كصبر جمع لبود قال انما ادعوا ربي ولا اشرك
به احداً فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم او اطباقكم على مقتي وقرأ عاصم
وحمزة قل على الامر للنبي ليوافق ما بعده قل اني لا املك لكم ضراً ولا رشداً ولا نفعاً
او غياً ولا رشداً عبر عن احدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه او مسببه اشعاراً
بالمعنيين قل اني لن يجيرني من الله احد ان ارادني بسوء ولن اجد من دونه ملتحداً
منحرفاً وملتجأ الا بلاغاً من الله استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد
وانفاع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة او من ملتحداً او معناه ان لا ابلغ
بلاغاً وما قبله دليل الجواب ورسالاته عطف على بلاغاً ومن الله صفته كان صلته
عن كقوله بلغوا عني ولو آية ومن يعص الله ورسوله في الامر بالتوحيد اذ الكلام
فيه فان له نار جهنم وقرئ فان على فجزاؤه ان خالدين فيها ابداً جمعه للمعنى حتى اذا
رأوا ما يوعدون في الدنيا كوقعة بدر او في الآخرة والغاية لقوله يكونون عليه لبداً
بالمعنى الثاني او المحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار له وعصيانهم به
فسيعلمون من اضعف ناصراً واقل عدداً هو ام هم قل ان ادري ما ادري
اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امداً غاية تطول مدتها كانه لما سمع المشركون
حتى اذا رأوا ما يوعدون قالوا متى يكون انكاراً فقيل قل انه كائن لا محالة
ولكن لا ادري وقته عالم الغيب هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع على غيبه احداً
اي على الغيب المخصوص به علمه الا من ارتضى لعلم بعضه حتى يكون له معجزة من
رسول بيان لمن واستدل به على ابطال الكرامات وجوابه تخصيص الرسول بالملك

والاظهار ربما يكون بغير وسط وكرامات الاوليا على المغيبات انما يكون تلقيا
من الملائكة كاطلاعنا على احوال الاخرة بتوسط الانبيا فانه يسلك من بين يديه
من بين يدي المرتضى ومن خلفه رصدا حرسا من الملائكة يحرسونه من اختطاف
الشياطين وتخاليطهم ليعلم ان قد ابلغوا اي ليعلم النبي الموحى اليه ان قد ابلغ جبرائيل
والملائكة النازلون بالوحي او ليعلم الله ان ابلغ الانبيا بمعنى ليتعلق علمه به موجودا
رسالات ربهم كما هي محروسة من التغيير واحاط بما لديهم بما عند الرسل
واحصى كل شيء عددا حتى القطر والرمل عن النبي عليه السلام من قرا سورة الجن
كان له بعدد كل جني صدق محمدا او كذب به عتق رقبة

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل اصله المتزمل
من تزمل ثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء في الزاي وقد قرئ به وبالمزمل مفتوحة
الميم ومكسورتها اي الذي زمله غيره او زمل نفسه سمي به النبي عليه السلام تهجينا
لما كان عليه لانه كان نائما او مرتعدا مما دهشه بدا الوحي متزملا في قطيفة او تحسينا
له اذ روي انه كان يصلي متلففا بمرط مفروش على عايشة فنزل او تشبيها له
في تثاقله بالمزمل لانه لم يتمرن بعد في قيام الليل او من تزمل الزمل اذا تحمل الحمل اي
الذي تحمل اعباء النبوة قم الليل اي قم الى الصلوة او داوم عليها وقرئ بضم الميم
وفتحها للاتباع والتخفيف الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه الاستثناء
من الليل ونصفه بدل من قليلا وقلته بالنسبة الى الكل والتخيير بين قيام النصف والزائد
عليه كالثلثين والناقص منه كالثلث او نصفه بدل من الليل والاستثناء منه والضمير
في منه وعليه للاقل من النصف كالثلث فيكون التخيير بينه وبين الاقل كالربع والاكثر
منه كالنصف او للنصف والتخيير بين ان يقوم اقل منه على البت وان يختار احد الامرين
من الاقل والاكثر او الاستثناء من اعداد الليل فانه عام والتخيير بين قيام النصف
والناقص منه والزائد عليه ورتل القران ترتيلا اقراه على تؤدة وتبيين حروف
بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا انا سنلقي
عليك قولا ثقيلا يعني القران فانه لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل على
المكلفين سيما على الرسول اذ كان عليه ان يتحملها ويحملها امته والجملة اعتراض
ليسهل التكليف عليه بالتهجد ويدل على انه مشق مضاد للطبع مخالف للنفس
او رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتامل فيه لافتقاره الى
مزيد تصفية للسر وتجريد النظر او ثقيل في الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل
تلقيه لقول عايشة رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان
جبينه ليرفض عرقا وعلى هذا يجوز ان يكون صفة للمصدر والجملة على هذه الاوجه
للتعليل مستانف فان التهجد يعد للنفس ما به تعالج ثقله ان ناشئة الليل ان

ان النفس التي تنشأ من مضجعها الى العبادة من نشأ من مكانه اذا نهض قال نشأنا
الى حوض يرى بينها السري والصبق منها مشرفات القماحد او قيام الليل على ان الناشئة له
او العبادة التي تنشأ بالليل اي تحدث او ساعات الليل لانها تحدث واحدة بعد
اخرى او ساعاتها الاول من نشأت اذا ابتدأت هي اشد وطا اي كلفة او
ثبات قدم وقرا ابو عمرو وابن عامر وطاء اي مواطاة القلب اللسان لها او فيها
او موافقة لما يراد من الخضوع والاخلاص واقوم قيلا واشد مقالا او اثبت
قراءة لحضور القلب وهدو الاصوات ان لك في النهار سبحا طويلا تقلبا
في مهماتك واشتغالا بها فعليك بالتهجد فان مناجاة الحق تستدعي فراغا
وقرئ سبخا اي تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه
ونشر اجزائه واذكر اسم ربك ودم على ذكره ليلا ونهارا وذكر الله يتناول
كل ما يذكر من تسبيح وتهليل وتحميد وصلوة وقراءة قران ودراسة علم وتبتل
اليه تبتيلا وانقطع اليه بالعبادة وجرد نفسك عما سواه ولهذه الرمزة ومراعاة
الفواصل وضعه موضع تبتلا رب المشرق والمغرب خبر محذوف او مبتدا خبره
لا اله الا هو وقرا ابن عامر والكوفيون غير حفص ويعقوب بالجر على البدل من ربك
وقيل باضمار حرف القسم وجوابه لا اله الا هو فاتخذه وكيلا مسبب من التهليل
فان توحده بالالوهية يقتضي ان توكل اليه الامور واصبر على ما يقولون من الخرافات
واهجرهم هجرا جميلا بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافيهم وتكل امرهم الى الله كما
قال وذرني والمكذبين دعني واياهم وكل الي امرهم فان لي غنية عنك في مجازاتهم
اولي النعمة ارباب التنعم يريد صناديد قريش ومهلهم قليلا زمانا وامهالا
ان لدينا انكالا تعليلا للامر والنكل القيد الثقيل وجحيما وطعاما ذا غصة
طعاما ينشب في الحلق كالضريع والزقوم وعذابا اليما ونوعا اخر من العذاب مولما
لا يعرف كنهه الا الله ولما كانت العقوبات الاربع مما تشترك فيها الاشباح
والارواح فان النفوس العاصية المنهمكة في الشهوات تبقى مقيدة بحبها والتعلق
بها عن التخلص الى عالم المجردات متحرقة بحرقة الفرقة متجرعة غصة الهجران معذبة بالحرمان
عن تجلي انوار القدس فسر العذاب بالحرمان عن لقاء الله يوم ترجف الارض والجبال
تضطرب وتتزلزل ظرف لما في لدينا انكالا من معنى الفعل وكانت الجبال كثيبا
رملا مجتمعا كانه فعيل بمعنى مفعول من كثبت الشيء اذا جمعته مهيلا منثورا من هيل
هيلا اذا نثر انا ارسلنا اليكم رسولا يا اهل مكة شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم
القيامة بالاجابة والامتناع كما ارسلنا الى فرعون رسولا يعني موسى ولم يعينه
لان المقصود لم يتعلق به فعصى فرعون الرسول عرفه لسبق ذكره فاخذناه اخذا وبيلا
ثقيلا من قولهم طعام وبيل لا يستمرأ لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم فكيف تتقون

انفسكم ان كفرتم بقيتم على الكفر يوماً عذاب يوم يجعل الولدان شيباً من شدة
هوله وهذا على الفرض والتمثيل واصله ان الهموم تضعف القوى وتسرع بالشيب
ويجوز ان يكون وصفاً اليوم بالطول السماء منفطر منشق والتذكير على تاويل
السقف او اضمار شيء به بشدة ذلك اليوم على عظمها واحكامها فضلا من غير
هذا والباء للالة كان وعده مفعولا الضمير لله عز وجل او لليوم على اضافة المصدر
الى المفعول ان هذه الايات الموعدة تذكرة عظة فمن شاء اتخذ الى ربه
سبيلا اي يتقرب اليه بسلوك التقوى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل
ونصفه وثلثه استعار الادنى للاقل لان الاقرب الى الشيء اقل بعداً منه وقرا ابن
كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى وطائفة من الذين معك
وتقوم ذلك جماعة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار لا يعلم مقادير ساعاتهما
كما هي الا الله تعالى فان تقديم اسمه مبتدأ مبنياً عليه يقدر يشعر بالاختصاص و
يؤيده قوله علم ان لن تحصوه ان لن تحصوا تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط
الساعات فتاب عليكم بالترخيص في ترك القيام ورفع التبعة فيه رفعه عن التائب
فاقرؤا ما تيسر من القران فصلوا ما تيسر عليكم من صلوة الليل عبر عن الصلوة بالقراءة
كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجباً على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام
فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوة الخمس او فاقرؤا القران بعينه كيف ما تيسر عليكم علم
ان سيكون منكم مرضى استيناف يبين حكمة اخرى مقتضية للترخيص والتخفيف
ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه وقال واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله
والضرب في الارض ابتغاء للفضل المسافرة للتجارة وتحصيل العلم واخرون يقاتلون
في سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه واقيموا الصلوة المفروضة واتوا الزكوة الواجبة
واقرضوا الله قرضا حسنا يريد به الامر بسائر الانفاقات في سبيل الخير او باداء
الزكوة على احسن وجه والترغيب بوعد العوض كما صرح به في قوله وما تقدموا لانفسكم
من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا من الذي تؤخرونه الى الوصية عند الموت
او من متاع الدنيا وخيراً ثاني مفعولي تجدوه وهو تاكيد او فصل لان افعل من
كالمعرفة ولذلك يمنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر واستغفروا
الله في مجامع احوالكم فان الانسان لا يخلوا من تفريط ان الله غفور رحيم
عن النبي عليه السلام من قرا سورة المزمل دفع الله عنه العسر في الدنيا والاخرة

سورة المدثر مكية وايها ست وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها
المدثر اي المتدثر وهو لابس الدثار روي انه عليه السلام قال كنت بحراء
فنوديت فنظرت عن يميني وشمالي فلم ار شيئاً فنظرت فوقي فاذا هو على
عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى

الى خديجة فقلت دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر ولذلك قيل هي
اول سورة نزلت وقيل تاذى من قريش فتغطى بثوبه مفكراً او كان نائماً متدثراً
فنزلت وقيل المراد بالمدثر المتدثر بالنبوة والكمالات النفسانية او المختفي فانه
كان بحراء كالمختفي فيه على سبيل الاستعارة وقرئ المدثر اي الذي دثر هذا الامر
وعصب به قم من مضجعك او قم قيام عزم وجد فانذر مطلق للتعميم او مقدر
بمفعول دل عليه قوله وانذر عشيرتك الاقربين او قوله وما ارسلناك الا كافة
للناس بشيراً ونذيرا وربك فكبر وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء
عقدا وقولا روي انه لما نزل كبر رسول الله وايقن انه الوحي وذلك لان الشيطان
لا يامر بذلك والفاء فيه وفيما بعده لافادة معنى الشرط وكانه قال وما يكن من
شيء فكبر ربك او الدلالة على ان المقصود الاول من الامر بالقيام ان يكبر ربه
عن الشرك فان اول ما يجب معرفة الصانع واول ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه
والقوم كانوا مقربين به وثيابك فطهر من النجاسات فان التطهير واجب في
الصلوة محبوب في غيرها وذلك بغسلها او بحفظها من النجاسة بتقصيرها مخافة
جر الذيول فيها وهو اول ما امر به من رفض العادات المذمومة او طهر نفسك
من الاخلاق الذميمة والافعال الدنية فيكون امرا باستكمال القوة العملية
بعد امره باستكمال القوة النظرية والدعاء اليه او فطهر دثار النبوة عما يدنسه
من الحقد والضجر وقلة الصبر والرجز فاهجر واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي
اليه من الشرك وغيره من القبائح وقرا يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو لغة
كالذكر ولا تمنن تستكثر لا تعط مستكثرا نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا طامعا
في عوض اكثر نهي تنزيه او نهيا خاصا به عم لقوله عليه السلام المستغزر يثاب
من هبته والموجب له ما فيه من الحرص والضنة او لا تمنن على الله بعبادتك مستكثرا
اياها او على الناس بالتبليغ مستكثرا به الاجر منهم او مستكثرا اياه وقرئ تستكثر
بالسكون للوقف والابدال من يمنن على انه من من بكذا او تستكثر بمعنى تجده كثيرا
وبالنصب على اضمار ان وقد قرئ بها وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بحذفها وابطال
عملها كما روي احضر الوغى بالرفع ولربك ولوجهه او امره فاصبر فاستعمل
الصبر او فاصبر على مشاق التكاليف واذى المشركين فاذا نقر في الناقور
في الصور فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذي هو سبب الصوت
والفاء للسببية كانه قال اصبر على زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك واعداؤك
عاقبة ضرهم واذا ظرف لما دل عليه قوله فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين
لان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدأ خبره
يوم عسير ويومئذ بدل له او ظرف لخبره اذ التقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير

غير يسير تأكيد يمنع ان يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه ويشعر بيسره على المؤمنين
ذرني ومن خلقت وحيدا نزلت في الوليد بن المغيرة ووحيدا حال من الياء اي ذرني و
حدي معه فاني اكفيكه او من التاء اي ومن خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد
او من العائد المحذوف اي من خلقته فريدا لا مال له ولا ولد او ذم فانه كان ملقبا به
فسماه الله تهكما او ارادة انه وحيد ولكن في الشرارة او عن ابيه لانه كان زنيما
وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة
وبنين شهودا حضورا معه بمكة يتمتع بلقائهم لا يحتاجون الى سفر لطلب المعاش استغناء
بنعمته ولا يحتاج الى ان يرسلهم في مصالحه لكثرة خدمه او في المحافل والاندية لوجاهتهم
واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين او اكثر كلهم رجال فاسلم منهم ثلثة خالد وعمارة
وهشام ومهدت له تمهيدا وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة
قريش والوحيد اي باستحقاق الرياسة والتقدم ثم يطمع ان ازيد على ما اتيته وهو
استبعاد لطمعه لانه اما لا مزيد على ما اوتي او لانه لا يناسب ما هو عليه من كفران
النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال كلا انه كان لاياتنا عنيدا فانه ردع له عن
الطمع وتعليل للردع على سبيل الاستيناف بمعاندة ايات المنعم المناسبة لازالة
النعم المانعة عن الزيادة قيل ما زال بعد نزول الاية في نقصان ماله حتى هلك
سارهقه صعودا ساغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من الشدائد وعنه
عليه السلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا
انه فكر وقدر تعليل للوعيد او بيان للعناد والمعنى فكر فيما يخيل طعنا في القران
وقدر في نفسه ما يقول فيه فقتل كيف قدر تعجيب من تقديره استهزاء به او لانه
اصاب اقصى ما يمكن ان يقال عليه من قولهم قتله الله ما اشجعه اي بلغ في الشجاعة
مبلغا يحق بان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك روي انه مر بالنبي عليه السلام وهو
يقرا حم السجدة فاتى قومه وقال لقد سمعت من محمد انفا كلاما ما هو من كلام الانس
والجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق فانه
ليعلو ولا يعلى فقال قريش صبا الوليد فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه
فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقام فناداهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون
فهل رايتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رايتموه يتكهن وتزعمون انه
شاعر فهل رايتموه انه يتعاطى شعرا فقالوا لا فقال ما هو الا ساحر اما رايتموه
يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه ففرحوا بقوله وتفرقوا متعجبين منه
ثم قتل كيف قدر تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما
بعد على اصلها ثم نظر اي في امر القران مرة بعد اخرى ثم عبس وقطب وجهه
لما لم يجد فيه طعنا ولم يدر ما يقول او نظر الى رسول الله وقطب في وجهه وبسر

وبسر اتباع لعبس ثم ادبر عن الحق او الرسول واستكبر عن اتباعه
فقال ان هذا الا سحر يؤثر يروى ويتعلم والفاء للدلالة على انه لما خطرت هذه الكلمة
بباله تفوه بها من غير تلبث وتفكر ان هذا الا قول البشر كالتاكيد للجملة الاولى ولذلك
لم يعطف عليها ساصليه سقر بدل من سارهقه صعودا وما ادريك ما سقر
تفخيم لشانها وقوله لا تبقي ولا تذر بيان لذلك او حال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم
والمعنى لا تبقي على شيء يلقى فيها ولا تدعه حتى تهلكه لواحة للبشر مسودة لاعالي الجلد او لائحة
للناس وقرئت بالنصب على الاختصاص عليها تسعة عشر ملكا او صنفا من الملائكة يلون
امرها والمخصص لهذا العدد ان اختلال النفوس البشرية في النظر بسبب القوى
الحيوانية الاثنى عشرة والطبيعية السبع او ان لجهنم دركات سبع ست منها لاصناف
الكفار وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا من العذاب تناسبها
وعلى كل نوع ملك او صنف يتولاه وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل
نوعا يناسبه ويتولاه ملك او صنف او ان الساعات اربعة وعشرون خمسة
منها مصروفة في الصلوة فيبقى تسعة عشر قد تصرف فيما يؤاخذ به بانواع من العذاب
تتولاه الزبانية وقرئ تسعة عشر بسكون العين كراهة توالي الحركات فيما هو
كاسم واحد وتسعة اعشر جمع عشير كيمين وايمن اي تسعة كل عشير جمع يعني نقيبهم
او جمع عشر فيكون تسعين وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة ليخالفوا جنس المعذبين
فلا يرقوا لهم ولا يستروحوا اليهم ولانهم اقوى الخلق باسا واشدهم غضبا روي
ان ابا جهل لما سمع عليها تسعة عشر قال لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا
برجل منهم فنزلت وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عددهم الا
العدد الذي اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على انه
لا ينفك منه وافتتانهم استقلالهم واستهزاؤهم به واستبعادهم ان يتولى
هذا العدد القليل تعذيب اكثر الثقلين ولعل المراد الجعل بالقول ليحسن تعليله
بقوله ليستيقن الذين اوتوا الكتاب اي ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد وصدق
القران لما راوا ذلك موافقا لما في كتابهم ويزداد الذين امنوا ايمانا بالايمان
به او بتصديق اهل الكتاب له ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون
اي في ذلك وهو تاكيد للاستيقان وزيادة الايمان ونفي لما يعرض المتيقن حيثما
عراه شبهة وليقول الذين في قلوبهم مرض شك او نفاق فيكون اخبارا بمكة
عما سيكون في المدينة بعد الهجرة والكافرون الجازمون في التكذيب ماذا اراد الله
بهذا مثلا اي شيء اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه
حسبوا انه مثل مضروب كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء مثل ذلك
المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنين وما يعلم جنود ربك

جموع خلقه على ما هم عليه الا هو اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والاطلاع على
حقايقها وصفاتها وما يوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم وكيف واعتبار
ونسبة وما هي وما سقر او عدة الخزنة او السورة الا ذكرى للبشر الا تذكرة لهم
كلا ردع لمن انكرها او انكار لان يتذكروا بها والقمر والليل اذ ادبر اي ادبر
اي دبر كقبل بمعنى اقبل وقرا نافع وحمزة ويعقوب وحفص اذ ادبر على المضي
والصبح اذا اسفر اضاء انها لاحدى الكبر اي لاحدى البلايا الكبر اي البلايا
الكبر كثيرة وسقر واحدة منها وانما جمع كبرى على كبر الحاقا لها بفعلة تنزيلا للالف
منزلة التاء كما الحقت قاصعاء بقاصعة فجمعت على قواصع والجملة جواب القسم
او تعليل لكلا والقسم معترض للتاكيد نذيرا للبشر تمييز لاحدى الكبر اي لاحدى الكبر
انذارا او حال عما دلت عليه الجملة اي كبرت منذرة وقرئ بالرفع خبرا ثانيا او خبر
المحذوف لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر بدل من البشر اي نذيرا للمتمكنين
من السبق الى الخير والتخلف عنه او لمن شاء خبر لان يتقدم فيكون في معنى قوله
فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر كل نفس بما كسبت رهينة مرهونة عند
الله مصدر كالشتيمة اطلق للمفعول كالرهن ولو كانت صفة لقيل رهين
الا اصحاب اليمين فانهم فكوا رقابهم بما احسنوا من اعمالهم وقيل هم الملائكة او
الاطفال في جنات لا يكتنه وصفها وهي حال من اصحاب اليمين او ضميرهم في قوله
يتساءلون عن المجرمين اي يسال بعضهم بعضا او يسالون غيرهم عن حالهم كقولك
تداعيناه اي دعوناه وقوله ما سلككم في سقر بجوابه حكاية لما جرى بين المسؤلين
والمجرمين اجابوا بها قالوا لم نك من المصلين الصلوة الواجبة ولم نك نطعم
المسكين ما يجب اعطاؤهم وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع وكنا
نخوض مع الخائضين نشرع في الباطل مع الشارعين فيه وكنا نكذب بيوم الدين
اخره لتعظيمه اي وكنا بعد ذلك كله مكذبين بالقيمة حتى اتانا اليقين الموت
ومقدماته فما تنفعهم شفاعة الشافعين لو شفعوا لهم جميعا فما لهم عن التذكرة
معرضين اي معرضين عن التذكير يعني القران او ما يعمه ومعرضين حال كانهم حمر
مستنفرة شبههم في اعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة فرت من قسورة
اي اسد فعولة من القسر وهو القهر بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة
قراطيس تنشر وتقرا وذلك انهم قالوا للنبي لن نتبعك حتى تاتي كلا منا بكتاب
من السماء فيه من الله الى فلان اتبع محمدا كلا ردع عن اقتراحهم الايات بل لا يخافون
الاخرة فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف كلا انه ردع
عن اعراضهم تذكرة واي تذكرة فمن شاء ذكره فمن شاء ان يذكره ذكره وما
يذكرون الا ان يشاء الله ذكرهم او مشيتهم كقوله وما تشاؤن الا ان يشاء

ان يشاء الله وهو تصريح بان فعل العبد بمشية الله وقرا نافع تذكرون بالتاء
وقرئ بهما مشددا هو اهل التقوى حقيق بان يتقى عقابه واهل المغفرة حقيق بان
يغفر عباده سيما المتقين منهم عن النبي م من قرا سورة المدثر اعطاه الله عشر
حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب بمكة **سورة القيمة مكية وايها تسع وثلثون**
بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم القيمة ادخال لا النافية على فعل القسم
للتاكيد شايع في كلامهم قال امرؤ القيس لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني
افر وقد مر الكلام فيه في قوله فلا اقسم بمواقع النجوم ولا اقسم بالنفس اللوامة
بالنفس المتقية التي تلوم النفس المقصرة في التقوى يوم القيمة على تقصيرهن او التي
تلوم نفسها ابدا وان اجتهدت في الطاعة او النفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة
او بالجنس لما روي انه قال ليس من نفس برة وفاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيمة
ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت ليتني كنت قصرت
او نفس ادم فانها لم تزل تلوم على ما خرجت به من الجنة وضمها الى يوم القيمة
لان المقصود من اقامتها مجازاتها ايحسب الانسان يعني الجنس واسناد الفعل
اليه لان فيهم من يحسب او الذي نزل فيه وهو عدي بن ابي ربيعة سال رسول
الله عن امر القيمة فاخبره به فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه
العظام ان لن نجمع عظامه بعد تفرقها وقرئ ان لن يجمع على البناء للمفعول بلى
نجمعها قادرين على ان نسوي بنانه نجمع سلامياته ونضم بعضها الى بعض كما كانت
مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام او على ان نسوي بنانه الذي هو اطرافه
فكيف بغيرها وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى وقرئ بالرفع اي نحن قادرون
بل يريد الانسان عطف على ايحسب فيجوز ان يكون استفهاما وان يكون ايجابا
بالجواز ان يكون الاضراب عن المستفهم وعن الاستفهام ليفجر امامه ليدوم
على فجوره فيما يستقبله من زمان يسئل ايان يوم القيمة متى يكون استبعادا
او استهزاء فاذا برق البصر تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش
بصره وقرا نافع بالفتح وهو لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق
من بلق الباب اي انفتح وخسف القمر وذهب ضوءه وقرئ على بناء المفعول
وجمع الشمس والقمر في ذهاب الضوء او الطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف
فانه مستعار للمحاق ولمن حمل ذلك على امارات الموت ان يفسر الخسوف بذهاب
ضوء البصر والجمع باستتباع الروح الحاسة في الذهاب او بوصوله الى من كان
يقتبس منه نور العقل من سكان القدس وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف
يقول الانسان يومئذ اين المفر الفرار يقوله قول الآيس من وجدانه المتمني
وقرئ بالكسر وهو المكان كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجا مستعار

من الجبل واشتقاقه من الوزر وهو الثقل الى ربك يومئذ المستقر اليه وحده
استقرار العباد او الى حكمه استقرار امرهم او الى مشيئته موضع قرارهم يدخل
من يشاء الجنة ومن يشاء النار ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر بما قدم من
عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله او بما قدم من عمل عمله وبما اخر من سنة حسنة
او سيئة عمل بها بعده او بما قدم من مال تصدق به وبما اخر فخلفه او باول عمله
واخره بل الانسان على نفسه بصيرة حجة بينة على اعمالها لانه شاهد بها وصفها
بالبصارة على المجاز او عين بصيرة بها فلا يحتاج الى الانباء ولو القى معاذيره ولو جاء
بكل ما يمكن ان يعتذر به جمع معذار وهو العذر او جمع معذرة على غير قياس
كالمناكير في المنكر فان قياسه معاذر وذلك اولى وفيه نظر لا تحرك به يا محمد
به بالقران لسانك قبل ان يتم وحيه لتعجل به لتاخذه على عجلة مخافة ان يتفلت
منك ان علينا جمعه في صدرك وقرانه واثبات قرائته في لسانك وهو تعليل
للنهي فاذا قراناه بلسان جبرائيل عليك فاتبع قرانه قرائته وتكرر فيه حتى يرسخ
في ذهنك ثم ان علينا بيانه بيان ما اشكل عليك من معانيه وهو دليل على
جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة لان
العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو اهم الامور واصل الدين فكيف بها في غيره او بذكر ما
اتفق في اثناء نزول هذه الايات وقيل الخطاب مع الانسان المذكور والمعنى انه
يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قرائته خوفا فيقال له لا تحرك به لسانك
لتعجل به فان علينا بمقتضى الوعد جمع ما فيه من اعمالك وقرائته فاذا قراناه فاتبع
قرانه بالاقرار او التامل فيه ثم ان علينا بيانه امره بالجزاء عليه كلا ردع للرسول
عن عادة العجلة او للانسان عن الاغترار بالعاجل بل تحبون العاجلة وتذرون
الاخرة تعميم للخطاب اشعارا بان بني ادم مطبوعون على الاستعجال وان كان
الخطاب للانسان والمراد به الجنس فجمع الضمير للمعنى ويؤيده قراءة ابن كثير وابن
عامر والبصريين بالياء فيهما وجوه يومئذ ناضرة بهية متهللة الى ربها ناظرة تراه
مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول وليس هذا
في كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لا يسند
الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يعدى بالى وقول
الشاعر واذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما بمعنى السؤال
فان الانتظار لا يستعقب العطاء ووجوه يومئذ باسرة شديدة العبوس والباسل
ابلغ من الباسر لكنه غلب في الشجاع اذا اشتد كلوحه تظن تتوقع اربابها ان يفعل
بها فاقرة داهية تكسر الفقار كلا ردع عن ايثار الدنيا على الاخرة اذا بلغت
التراقي اذا بلغت النفس اعالي الصدر واضمارها من غير ذكر لها لدلالة الكلام عليها

عليها وقيل من راق وقال حاضروا صاحبها من يرقيه مما به من الرقية او قال ملائكة
الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب من الرقي وظن انه الفراق وظن
المحتضر ان الذي نزل به فراق الدنيا المحبوبة والتفت الساق بالساق والتوت
ساقه بساقه فلا يقدر تحريكها او شدة فراق الدنيا بشدة خوف الاخرة الى ربك
يومئذ المساق سوقه الى الله وحكمه فلا صدق ما يجب تصديقه او فلا صدق ماله اي
فلا زكاه ولا صلى ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور في ايحسب الانسان ولكن
كذب وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك من المط فان
المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه اولى لك
فاولى ويل لك من الولي واصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف
لكم او اولى لك الهلاك وقيل افعل من الويل بعد القلب كادنى من دون او فعلى من آل
يؤول بمعنى عقباك النار ثم اولى لك فاولى اي يتكرر ذلك عليه مرة اخرى
ايحسب الانسان ان يترك سدى مهملا لا يكلف ولا يجازى وهو يتضمن
تكرير انكاره للحشر والدلالة عليه من حيث ان الحكمة تقتضي الامر بالمحاسن والنهي
عن القبائح والتكليف لا يتحقق الا بمجازاة وهي قد لا تكون في الدنيا فتكون
في الاخرة الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فقدره
فعدله فجعل منه الزوجين الصنفين الذكر والانثى وهو استدلال اخر بالابداء
على الاعادة على ما قرر تقريره مرارا ولذلك رتب عليه قوله اليس ذلك
بقادر على ان يحيي الموتى وعن النبي عليه السلام انه كان اذا قراها قال سبحانك
بلى وعنه عليه السلام من قرا سورة القيمة شهدت له انا وجبرئيل يوم القيمة انه كان مؤمنا به

سورة الانسان مكية وايها احدى وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتى على الانسان استفهام تقرير وتقريب ولذلك فسر بقد واصله
اهل كقوله اهل راونا بسفح القاع ذي الاكم حين من الدهر طائفة محدودة من
الزمان الممتد الغير المحدود لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا منسيا غير مذكور
بالانسانية كالعنصر والنطفة والجملة حال من الانسان او وصف لحين بحذف
الراجع والمراد بالانسان الجنس لقوله انا خلقنا الانسان من نطفة او ادم
بين اولا خلقه ثم ذكر خلق بنيه امشاج اخلاط جمع مشج او مشيج من مشجت الشيء
اذا خلطته ووصف النطفة به لان المراد بها مجموع مني الرجل والمراة وكل منهما مختلفة
الاجزاء في الرقة والقوام والخواص ولذلك يصير كل جزء منهما مادة عضو وقيل
مفرد كاعشار واكياش وقيل الوان فان ماء الرجل ابيض وماء المراة اصفر
فاذا اختلطا اخضرا او اطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة
نبتليه في موضع الحال اي مبتلين له بمعنى مريدين اختباره او ناقلين له من حال

اى حال فاستعار له الابتلاء فجعلناه سميعا بصيرا ليتمكن من مشاهدة الدلايل
واستماع الآيات فهو كالمسبب من الابتلاء ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به
ورتب عليه قوله انا هديناه السبيل اى بنصب الدلايل وانزال الآيات اما شاكرا
واما كفورا حالان من الهاء واما للتفصيل او التقسيم اى هديناه فى حالتيه جميعا او
مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه او من
السبيل ووصفه بالشكر والكفر مجاز وقرى اما بالفتح على حذف الجواب ولعله
لم يقل كافرا ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل واشعارا بان الانسان لا يخلو عن
كفران غالبا وانما الماخوذ به التوغل فيه انا اعتدنا للكافرين سلاسل بها يقادون
واغلالا بها يقيدون وسعيرا بها يحرقون وتقديم وعيدهم وقد تاخر ذكرهم
لان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن وقرا نافع
والكسائى وابو بكر سلاسلا للمناسبة ان الابرار جمع بر كارباب او بار كاشهاد
يشربون من كاس من خمر وهى فى الاصل القدح يكون فيه كان مزاجها ما يمزج بها
كافورا لبرده وعذوبته وطيب عرفه وقيل اسم ماء فى الجنة يشبه الكافور فى
رائحته وبياضه وقيل يخلق فيها كيفيات الكافور فيكون كالممزوجة عينا
بدل من كافورا ان جعل اسم ماء ومن محل كاس على تقدير مضاف اى ماء عين
او خمرها او نصب على الاختصاص او بفعل يفسره ما بعده يشرب بها عباد الله
اى ملتذا او ممزوجا بها وقيل الباء مزيدة او بمعنى من لان الشرب مبتدا منها
كما هو يفجرونها تفجيرا يجرونها حيث شاؤا اجراء سهلا يوفون بالنذر استيناف
ببيان ما رزقوه لاجله كانه سئل عنه واجيب بذلك وهو ابلغ فى وصفهم بالتوفر
على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه على نفسه لله كان اوفى بما اوجبه الله عليه
ويخافون يوما كان شره شديده مستطيرا فاشيا منتشرا غاية الانتشار
من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار وفيه اشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم
من المعاصى ويطعمون الطعام على حبه حب الله او الطعام والاطعام مسكينا
ويتيما واسيرا يعنى اسارى الكفار فانه كان عليه السلام يوتى بالاسير فيدفعه
الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه او اسير المؤمنين ويدخل فيه المملوك والمسجون
وفى الحديث غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله على ارادة
القول بلسان الحال والمقال ازاحة لتوهم المن وتوقع المكافاة المقتضية للاجر
وعن عايشة انها تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسال المبعوث ما قالوا فان
ذكروا دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله لا نريد منكم
جزاء ولا شكورا اى شكرا انا نخاف من ربنا فلذلك نحسن اليكم او لا نطلب
المكافاة منكم يوما هو عذاب يوم عبوسا تعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد العبوس

العبوس فى ضراوته قمطريرا شديد العبوس كالذى يجمع ما بين عينيه
من اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها فالقطر والميم مزيدة
فوقيهم الله شر ذلك اليوم بسبب خوفهم وتحفظهم عنه ولقيهم نضرة وسرورا
بدل عبوس الفجار وحزنهم وجزيهم بما صبروا بصبرهم على اداء الواجبات
واجتناب المحرمات وايثار الاموال جنة بستانا ياكلون منه وحريرا
يلبسونه وعن ابن عباس ان الحسن والحسين رضى الله عنهم مرضا فعادهما رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى ناس فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر
على وفاطمة رضى الله عنهما وفضة جارية لهما صوم ثلث ان برئا فشفيا وما معهم شئ
فاستقرض على من شمعون الخيبرى ثلثة اصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت
خمسة اقراص فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم مسكين فآثروه وباتوا
لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام فوقف عليهم يتيم
فآثروه ثم وقف عليهم فى الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فنزل جبريل بهذه
السورة فقال خذها يا محمد هناك الله فى اهل بيتك متكئين فيها على الارائك
حال من هم فى جزيهم او صفة لجنة لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا يحتملهما وان
يكون حالا من المستكن فى متكئين والمعنى انه يمر عليهم فيها هواء معتدل لا حار محم
ولا بارد موذ وقيل الزمهرير القمر فى لغة طى قال وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير
ما زهر والمعنى ان هواءها مضئ بذاته لا يحتاج الى شمس وقمر ودانية عليهم ظلالها
حال او صفة اخرى معطوفة على ما قبلها او عطف على جنة اى وجنة اخرى دانية
على انهم وعدوا جنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئت بالرفع على انها
خبر ظلالها والجملة حال او صفة وذللت قطوفها تذليلا معطوف
على ما قبله او حال من دانية وتذليل القطوف ان تجعل سهل التناول لا يمتنع على قطافها
كيف شاؤا ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب واباريق بلا عرى كانت
قواريرا قواريرا من فضة اى تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض
الفضة ولينها وقد نون قواريرا من نون سلاسلا وابن كثير الاولى لانها رأس الآية
وقرئ قوارير من فضة على هى قوارير قدروها تقديرا اى قدروها فى انفسهم
فجاءت مقاديرها واشكالها كما تمنوه او قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها
او قدر الطائفون بها المدلول عليهم بقوله يطاف شرابها على قدر اشتهائهم
وقرئ قدروها اى جعلوا قادرين لها كما شاؤا من قدر منقولا من قدرت الشئ
وقدرنيه فلان اذا جعلك قادرا له ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا
ما يشبه الزنجبيل فى الطعم وكانت العرب يستلذون الشراب الممزوج به عينا فيها
تسمى سلسبيلا لسلاسة انحدارها فى الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل

وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد ان ينفي عنها لذع الزنجبيل
ويصفها بنقيضه وقيل اصله سل سبيلا فسميت به كتأبط شرا لانه لا يشرب منها الا من
سال اليها سبيلا بالعمل الصالح ويطوف عليهم ولدان مخلدون دائمون اذا رأيتهم
حسبتهم لؤلؤا منثورا من صفاء الوانهم وانبثاثهم في مجالسهم وانعكاس شعاع
بعضهم الى بعض اذا رأيت ثم ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر لانه عام معناه ان
بصرك اينما وقع رأيت نعيما وملكا كبيرا واسعا وفي الحديث ادنى اهل الجنة
منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه هذا وللعارف اكثر
من ذلك وهو ان تنتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت فيستضيء بانوار
قدس الجبروت عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق يعلوهم ثياب الحرير
الخضر ما رق منها وما غلظ ونصبه على الحال من هم في عاليهم او حسبتهم او ملكا على تقدير
مضاف اي واهل ملك كبير عاليهم وقرأ نافع وحمزة بالرفع على انه خبر ثياب وقرأ
ابن كثير وابو بكر خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى فانه اسم جنس واستبرق بالرفع
عطفا على ثياب وقرأه ابو عمرو وابن عامر بالعكس وقرأهما بالرفع وحفص بالرفع
وحمزة والكسائي بالجر واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق
جعل علما لهذا النوع من الثياب وحلوا اساور من فضة عطف على ويطوف
عليهم ولا يخالفه قوله اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان
على اهل الجنة تختلف باختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بايديهم
حليا وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال من الضمير في عاليهم باضمار
قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذاك للمخدومين وسقاهم ربهم شرابا طهورا
يريد به نوعا آخر يفوق على النوعين المتقدمين ولذلك اسند سقيه الى الله تعالى
ووصفه بالطهور فانه يطهر شاربه عن الميل الى اللذات الحسية والركون الى ما سوى
الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهي منتهى درجات الصديقين
ولذلك ختم به ثواب الابرار ان هذا كان لكم جزاء على اضمار القول والاشارة
الى ما عد من ثوابهم وكان سعيكم مشكورا مجازى عليه غير مضيع انا نحن نزلنا
عليك القرآن تنزيلا مفرقا منجما لحكمة اقتضته وتكرير الضمير مع ان مزيد لاختصاص
التنزيل به فاصبر لحكم ربك بتأخير نصرك على كفار مكة وغيرهم ولا تطع منهم
آثما او كفورا اي كل واحد من مرتكب الاثم الداعي لك اليه ومن الغالي في الكفر الداعي
اليه واو للدلالة على انهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم
باعتبار ما تدعونه اليه فان ترتب النهي على الوصفين مشعر بانه لهما وذلك يستدعي
ان لا يكون المطاوعة في الاثم والكفر فان مطاوعتهما فيما ليس باثم ولا كفر غير محظور
واذكر اسم ربك بكرة واصيلا وداوم على ذكره او داوم على صلوة الفجر

والظهر والعصر فان الاصيل يتناولهما ومن الليل فاسجد له وبعض
الليل فصل له ولعل المراد به صلوة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلوة الليل
من مزيد الكلفة والخلوص وسبحه ليلا طويلا وتهجد له طائفة طويلة من الليل ان هؤلاء
يحبون العاجلة ويذرون وراءهم امامهم او خلف ظهورهم يوما ثقيلا شديدا
مستعار من الثقل الباهظ للحامل وهو كالتعليل لما امر به ونهى عنه نحن خلقناهم و
شددنا اسرهم واحكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب واذا شئنا بدلنا امثالهم
تبديلا واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا امثالهم في الخلقة وشدة الاسر يعني النشأة
الثانية ولذلك جيء باذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع واذا لتحقق القدرة وقوة الداعية
ان هذه تذكرة الاشارة الى السورة او الآيات القريبة فمن شاء اتخذ الى ربه
سبيلا تقرب اليه بالطاعة وما تشاؤن الا ان يشاء الله وما تشاؤن ذلك
الا وقت ان يشاء الله مشيئتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تشاؤن بالتاء
ان الله كان عليما بما يستأهل كل احد حكيما لا يشاء الا ما يقتضيه حكمته يدخل
من يشاء في رحمته بالهداية والتوفيق للطاعة والظالمين اعد لهم عذابا اليما
نصب الظالمين بفعل يفسره اعد لهم مثل اوعد او كافأ ليطابق الجملة المعطوف
عليها وقرئ بالرفع على الابتداء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه

سورة والمرسلات مكية وآيها خمسون بسم الله الرحمن الرحيم

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات
ذكرا اقسم بطوائف من الملائكة ارسلهن الله باوامره متتابعة فعصفن عصف
الرياح في الامتثال ونشرن الشرائع في الارض ونشرن النفوس الموتى بالجهل بما
اوحين من العلم ففرقن بين الحق والباطل فالقين الى الانبياء ذكرا عذرا للمحقين
ونذرا للمبطلين او بآيات القرآن المرسلة بكل عرف الى محمد عليه السلام فعصفن
سائر الكتب والاديان بالنسخ ونشرن آثار الهدى والحكم في الشرق والغرب
وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق بين العالمين او بالنفوس الكاملة المرسلة
الى الابدان لاستكمالها فعصفن ما سوى الحق ونشرن اثر ذلك في جميع الاعضاء
ففرقن بين الحق بذاته والباطل في نفسه فيرون كل شيء هالك الا وجهه فالقين ذكرا
بحيث لا يكون في القلوب والالسنة الا ذكر الله تعالى او برياح عذاب ارسلن
فعصفن ورياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن فالقين ذكرا اي تسببن له فان العاقل
اذا شاهد هبوبها وآثارها ذكر الله تعالى وذكر كمال قدرته وعرفا اما نقيض النكر وانتصابه
على العلة اي ارسلن للاحسان والمعروف وبمعنى المتتابعة من عرف الفرس وانتصابه
على الحال عذرا او نذرا مصدران لعذر اذا محى الاساءة وانذر اذا خوف او جمعان
لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر ونصبهما على الاولين بالعلية اي

عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين او البدلية من ذكرا على ان المراد به الوحي او ما يعم التوحيد
والشرك والايمان والكفر وعلى الثالث بالحالية وقرأهما ابو عمرو وحمزة والكسائي
وحفص بالتخفيف انما توعدون لواقع جواب القسم ومعناه ان الذي توعدونه
من مجيء القيامة كائن لا محالة فاذا النجوم طمست محقت او اذهب نورها
واذا السماء فرجت صدعت واذا الجبال نسفت كالحب ينسف بالمنسف
واذا الرسل اقتت عين لها وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على الامم
لحصوله فانه لا يتعين لهم قبله او بلغت ميقاتها التي كانت منتظرة وقرأ ابو عمرو
وقتت على الاصل لاي يوم اجلت اي يقال لاي يوم اخرت وضرب الاجل
للجمع وهو تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ويجوز ان يكون ثاني مفعولي اقتت على انه بمعنى
اعلمت اي يقال ليوم الفصل بيان ليوم التاجيل وما ادريك ما يوم الفصل
ومن اين تعلم كنهه ولم تر مثله ويل يومئذ للمكذبين اي بذلك وويل في الاصل
مصدر منصوب باضمار فعله عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلك للمدعو عليه
ويومئذ ظرفه او صفته الم نهلك الاولين كقوم نوح وعاد وثمود وقرئ نهلك
من هلكه بمعنى اهلكه ثم نتبعهم الاخرين اي ثم نحن نتبعهم نظراءهم ككفار مكة وقرئ بالجزم
عطفا على نهلك فيكون الاخرين المتاخرين من المهلكين كقوم لوط وشعيب وموسى
عليهم السلام كذلك مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بكل من اجرم ويل يومئذ
للمكذبين بآيات الله وانبيائه فليس تكرارا وكذا ان اطلق التكذيب او علق في
الموضعين بواحد لان الويل الاول لعذاب الاخرة وهذا للاهلاك في الدنيا مع ان
التكرير للتوكيد حسن شائع في كلام العرب الم نخلقكم من ماء مهين نطفة قذرة ذليلة
فجعلناه في قرار مكين هو الرحم الى قدر معلوم الى مقدار معلوم من الوقت قدره
الله للولادة فقدرنا على ذلك او فقدرناه ويدل عليه قراءة نافع والكسائي
بالتشديد فنعم القادرون نحن ويل يومئذ للمكذبين بقدرتنا على ذلك او على
الاعادة الم نجعل الارض كفاتا كافتة اسم لما يكفت اي يضم ويجمع كالضمام
والجماع لما يضم ويجمع او مصدر نعت به او جمع كافت كصائم وصيام او كفت وهو
الوعاء اجري على الارض باعتبار اقطارها احياء وامواتا منتصبان على المفعولية
وتنكيرهما للتفخيم او لان احياء الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات او الحالية
من مفعوله المحذوف للعلم به وهو الانس او بجعل على المفعولية وكفاتا حال
او الحال فيكون المعنى بالاحياء ما ينبت وبالاموات ما لا ينبت وجعلنا فيها
رواسي شامخات جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم او الاشعار بان فيها
ما لم يعرف ولم ير واسقيناكم ماء فراتا بخلق الانهار والمنابع فيها ويل يومئذ
للمكذبين بامثال هذه النعم انطلقوا اي يقال لهم انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون

تكذبون من العذاب انطلقوا خصوصا وعن يعقوب انطلقوا على الاخبار من امتثالهم
للامر اضطرارا الى ظل يعني ظل دخان جهنم لقوله وظل من يحموم ذي ثلاث شعب
يتشعب لعظمه كما يرى الدخان العظيم يتفرق ذوائب وخصوصية الثلاث اما لان
حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم او لان المؤدي الى هذا العذاب
هو القوة الواهمة الحالة في الدماغ والغضبية التي في يمين القلب والشهوية التي في يساره
ولذلك قيل شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره لا ظليل
تهكم بهم ورد لما اوهم لفظ الظل ولا يغني من اللهب وغير مغن عنهم من حر اللهب
شيئا انها ترمي بشرر كالقصر اي كل شررة كالقصر في عظمها ويؤيده انه قرئ بشرار
وقيل جمع قصرة وهي الشجرة الغليظة وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن كالقصر
جمع قصرة كحاجة وحوج وكالقصر وهي اصل العنق والهاء للشرر كانه جمالة جمع
جمال او جمالة جمع جمل صفر فان الشرار لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود
فان سواد الابل تضرب الى الصفرة والاول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة
والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة وقرأ حمزة والكسائي وحفص جمالة وعن يعقوب
ورويس جمالات بالضم جمع جمالة وقد قرئ بها وهي الحبل الغليظ من حبال السفينة
شبهه بها في امتداده والتفافه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون
اي بما يستحق فان النطق بما لا ينفع كلا نطق او بشيء من فرط الدهشة والحيرة وهذا
في بعض المواقف وقرئ بنصب اليوم اي هذا الذي ذكر واقع يومئذ ولا يؤذن
لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين عطف فيعتذرون على يؤذن ليدل
على نفي الاذن والاعتذار عقيبه مطلقا ولو جعله جوابا لدل على ان عدم اعتذارهم
لعدم الاذن فاوهم ذلك ان لهم عذرا لكن لم يؤذن لهم فيه هذا يوم الفصل
بين المحق والمبطل جمعناكم والاولين تقرير وبيان للفصل فان كان لكم كيد فكيدون
تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا واظهار لعجزهم ويل يومئذ للمكذبين اذ لا حيلة
لهم في التخلص من العذاب ان المتقين من الشرك لانهم في مقابلة المكذبين في
ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون مستقرون في انواع الترفه كلوا واشربوا
هنيئا بما كنتم تعملون اي مقولا لهم ذلك انا كذلك نجزي المحسنين في العقيدة
ويل يومئذ للمكذبين يمحض لهم العذاب المخلد ولخصومهم الثواب المؤبد كلوا وتمتعوا
قليلا انكم مجرمون حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم ذلك
تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم المقيم
ويل يومئذ للمكذبين حيث عرضوا انفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل واذا
قيل لهم اركعوا اطيعوا واخضعوا او صلوا او اركعوا في الصلاة اذ روي انه نزل
حين امر رسول الله ثقيفا بالصلاة فقالوا لا نجبي فانها مسبة وقيل هو يوم القيمة حين

يدعون الى السجود فلا يستطيعون لا يركعون لا يمتثلون واستدل به على ان الامر
للوجوب وان الكفار مخاطبون بالفروع ويل يومئذ للمكذبين فباي حديث بعده
بعد القران يؤمنون اذ لم يؤمنوا به وهو معجز في ذاته مشتمل على الحجج الواضحة والمعاني
الشريفة قال عم من قرأ سورة والمرسلات كتب له انه ليس من المشركين سورة النبأ مكية واياتها اربعون
بسم الله الرحمن الرحيم عم يتساءلون اصله عما فحذف الالف لما مر ومعنى
هذا الاستفهام تفخيم شان ما يتساءلون عنه كانه لفخامته خفي جنسه فيسأل عنه
والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم او يسألون الرسول والمؤمنين
عنه استهزاء كقولهم يتداعونهم ويتراءونهم اي يدعونهم ويرونهم او للناس عن النبأ
العظيم بيان للشان المفخم او صلة يتساءلون وعم متعلق بمضمر مفسر به ويدل
عليه قراءة يعقوب عمه الذي هم فيه مختلفون بجزم النفي والشك او بالاقرار
والانكار كلا سيعلمون ردع عن التساؤل ووعيد عليه ثم كلا سيعلمون تكرير
للمبالغة وثم للاشعار بان الوعيد الثاني اشد وقيل الاول عند النزع والثاني في القيامة
او الاول للبعث والثاني للجزاء وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء على تقدير قل لهم
ستعلمون الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا تذكير ببعض ما عاينوا من عجائب
صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا بذلك على صحة البعث كما مر تقريره مرارا وقرئ
مهدا اي انها لهم كالمهد للصبي مصدر سمي به ما يمهد لينوم عليه وخلقناكم ازواجا
ذكرا وانثى وجعلنا نومكم سباتا قطعا عن الاحساس والحركة استراحة للقوى
الحيوانية وازاحة لكلالها او موتا لانه احد التوفيين ومنه المسبوت للميت واصله
القطع ايضا وجعلنا الليل لباسا غطاء يستر بظلمته من اراد الاختفاء وجعلنا
النهار معاشا وقت معاش يتقلبون فيه لتحصيل ما يعيشون به او حيوة تنبعثون
فيه عن نومكم وبنينا فوقكم سبعا شدادا سبع سموات اقوياء محكمات لا يؤثر
فيها مر الدهور وجعلنا سراجا وهاجا متلالئا وقادا من وهجت النار
اذا اضاءت او بالغا في الحرارة من الوهج وهو الحر والمراد الشمس وانزلنا من
المعصرات السحائب اذا اعصرت اي شارفت ان يعصرها الرياح فتمطر كقولك احصد
الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او من الرياح
التي حان لها ان تعصر السحاب او الرياح ذوات الاعاصير وانما جعلت مبدأ للانزال
لانها تنشئ السحاب وتدر اخلافه ويؤيده انه قرئ بالمعصرات ماء ثجاجا منصبا
بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية
وصب دماء الهدي وقرئ ثجاجا ومثاجج الماء مصابه لنخرج به حبا ونباتا ما يقتات
به وما يعتلف من التبن والحشيش وجنات الفافا ملتفة بعضها ببعض جمع لف
كجذع قال جنة لف وعيش مغدق ولفيف كشريف او لف جمع لفاء كخضراء وخضر

وخضر او ملتفة بحذف الزوائد ان يوم الفصل كان في علم الله او في حكمه
ميقاتا حدا يؤقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه يوم ينفخ
في الصور بدل او بيان ليوم الفصل فتاتون افواجا جماعات من القبور الى المحشر
روي انه عليه السلام سئل عنه فقال يحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة
القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكوسون يسحبون على وجوههم وبعضهم
عمي وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون السنتهم مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم
يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار
وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جبابا سابغة من القطران لازقة بجلودهم
ثم فسرهم بالقتات واهل السحت واكلة الربا والجائرين في الحكم والمعجبين باعمالهم والعلماء
الذين خالف قولهم عملهم والموذين جيرانهم والساعين بالناس الى السلطان والتابعين
للشهوات المانعين حق الله والمتكبرين الخيلاء وفتحت السماء وشقت وقرا الكوفيون
بالتخفيف فكانت ابوابا فصارت من كثرة الشقوق كان الكل ابواب او فصارت ذات
ابواب وسيرت الجبال في الهواء كالهباء فكانت سرابا مثل سراب اذ ترى
على صورة الجبال ولم يبق على حقيقتها لتفتت اجزائها وانبثاثها ان جهنم كانت مرصادا
موضع رصد يرصد فيه خزنة النار او خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها في
مجازهم عليها كالمضمار فانه الموضع الذي يضمر فيه الخيل او مجدة في ترصد الكفرة لئلا يشذ منها
واحد كالمطعان وقرئ ان بالفتح على التعليل لقيام الساعة للطاغين مابا مرجعا ومأوى
لابثين فيها وقرا حمزة وروح لبثين وهو ابلغ احقابا دهورا متتابعة وليس فيه
ما يدل على خروجهم منها اذ لو صح ان الحقب ثمانون سنة او سبعون الف سنة
فليس فيه ما يقتضي تناهي تلك الاحقاب لجواز ان يكون المراد احقابا مترادفة
كلما مضى حقب تبعها حقب اخر فمن قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود
الكفار ولو جعل قوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا حالا من المستكن في لابثين
او نصب احقابا بلا يذوقون احتمل ان يلبثوا فيها احقابا غير ذائقين الا حميما وغساقا
ثم يبدلون جنسا اخر من العذاب ويجوز ان يكون جمع حقب من حقب الرجل اذا اخطاه
الرزق وحقب العام اذا قل مطره فيكون حالا بمعنى لابثين فيها حقبين وقوله
لا يذوقون تفسير له والمراد بالبرد ما يروحهم وينفس عنهم حر النار او النوم وبالغساق
ما يغسق اي يسيل من صديدهم وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد الا انه اخر ليتوافق
رؤوس الاي وقرا حمزة والكسائي وحفص بالتشديد جزاء وفاقا اي جوزوا
بذلك جزاء ذا وفاق لاعمالهم او موافقا لها او وافقها وفاقا وقرئ وفاقا
فعال من وفقه كذا انهم كانوا لا يرجون حسابا بيان لما وافقه هذا الجزاء وكذبوا
باياتنا كذابا تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل مطرد شائع في كلام الفصحاء وقرئ

بالتخفيف وهو بمعنى الكذب كقوله فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وانما اقيم مقام
التكذيب للدلالة على انهم كذبوا في تكذيبهم او المكاذبة فانهم كانوا عند المسلمين
كاذبين وكان المسلمين كاذبين عندهم فكان بينهم مكاذبة او كانوا مبالغين
في الكذب مبالغة المبالغين فيه وعلى المعنيين يجوز ان يكون حالا بمعنى كاذبين او
مكاذبين ويؤيده انه قرئ كذابا وهو جمع كاذب ويجوز ان يكون للمبالغة فيكون
صفة للمصدر اي تكذيبا مفرطا كذبه وكل شيء احصيناه وقرئ بالرفع على الابتداء
كتابا مصدر لاحصيناه فان الاحصاء والكتبة يتشاركان في معنى الضبط او لفعله
المقدر او حال بمعنى مكتوبا في اللوح او صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله فذوقوا
فلن نزيدكم الا عذابا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات ومجيئه
على الالتفات للمبالغة وفي الحديث هذه الآية اشد ما في القرآن على اهل النار
ان للمتقين مفازا فوزا او موضع فوز حدائق واعنابا بساتين فيها انواع
الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال او البعض وكواعب نساء فلكت
ثديهن اترابا لدات وكأسا دهاقا ملآنا وادهق الحوض ملأه لا يسمعون
فيها لغوا ولا كذابا وقرئ الكسائي بالتخفيف اي كذبا او مكاذبة اذ لا يكذب
بعضهم بعضا جزاء من ربك بمقتضى وعده عطاء تفضلا منه اذ لا يجب عليه
شيء وهو بدل من جزاء وقيل منتصب به نصب المفعول به حسابا كافيا من احسبه
الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي او على حسب اعمالهم وقرئ حسابا اي محسبا كالدراك
بمعنى المدرك رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك وقد رفعه الحجازيان
وابو عمرو على الابتداء الرحمن صفة له وكذا في قراءة ابن عمرو وعاصم ويعقوب ووافقهم
حمزة والكسائي في جر رب ورفعا الرحمن على انه خبر محذوف او مبتدأ خبره
لا يملكون منه خطابا والواو لاهل السموات والارض اي لا يملكون خطابه ولا اعتراض
عليه في ثواب او عقاب لانهم مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضا
وذلك لا ينافي الشفاعة باذنه يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من
اذن له الرحمن وقال صوابا تقرير وتوكيد لقوله لا يملكون فان هؤلاء الذين هم
افضل الخلائق واقربهم من الله اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما يكون صوابا كالشفاعة
لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم ويوم ظرف للا يملكون او لا يتكلمون والروح
ملك موكل على الارواح او جنسها او جبرئيل او خلق اعظم من الملائكة ذلك اليوم
الحق الكائن لا محالة فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا الى ثوابه مآبا بالايمان والطاعة
انا انذرناكم عذابا قريبا يعني عذاب الآخرة وقربه لتحققه فان كل ما هو آت
قريب ولان مبدأه الموت يوم ينظر المرء ما قدمت يداه يرى ما قدمه من خير
او شر والمرء عام وقيل هو الكافر لقوله انا انذرناكم فيكون الكافر ظاهرا وضع

او وضع موضع الضمير لزيادة الذم وما موصولة منصوبة بينظر او استفهامية
منصوبة بقدمت اي ينظر اي شيء قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا
في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر سائر الحيوانات
للاقتصاص ثم ترد ترابا فيود الكافر حالها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم
سقاه الله برد الشراب يوم القيمة

بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات
سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا هذه صفات ملائكة الموت فانهم
ينزعون ارواح الكفار من ابدانهم غرقا اي اغراقا في النزع فانهم ينزعونها
من اقاصي الابدان او نفوسا غرقة في الاجساد وينشطون اي يخرجون
ارواح المؤمنين برفق من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها ويسبحون في اخراجها
سبح الغواص الذي يخرج الشيء من اعماق البحر فيسبقون بارواح الكفار الى النار
وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها وثوابها بان يهيؤها
لادراك ما اعد لها من الآلام واللذات او الاوليان لهم والباقيات لطوائف
من الملائكة يسبحون في مضيها اي يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به فيدبرون
امره او صفات النجوم فانها تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بان تقطع
الفلك حتى تنحط في اقصى المغرب وتنشط من برج الى برج اي تخرج من نشط الثور
اذا خرج من بلد الى بلد ويسبحون في الفلك فيسبق بعضها في السير لكونه اسرع حركة
فتدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وظهور مواقيت العبادات
ولما كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة
سمى الاولى نزعا والثانية نشطا او صفات النفوس الفاضلة حال المفارقة
فانها تنزع عن الابدان غرقا اي نزعا شديدا من اغراق النازع في القوس فتنشط
الى عالم الملكوت وتسبح فيه فتسبق الى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات
او حال سلوكها فانها تنزع عن الشهوات وتنشط الى عالم القدس فتسبح في مراتب
الارتقاء فتسبق الى الكمالات حتى تصير من المكملات او صفات انفس الغزاة
او ايديهم تنزع القسي باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون في البر
والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها او صفات خيلهم فانها تنزع
في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها وتخرج من دار الاسلام الى دار الكفر
وتسبح في جريها فتسبق الى العدو فتدبر امر الظفر اقسم الله بها على قيام الساعة
وانما حذف لدلالة ما بعده عليه يوم ترجف الراجفة وهو منصوب به والمراد بالراجفة
الاجرام الساكنة التي تشتد حركتها حينئذ كالارض والجبال لقوله يوم ترجف الارض
او الواقعة التي ترجف الاجرام عندها وهي النفخة الاولى تتبعها الرادفة التابعة وهي الثانية

والكواكب تنشق وتنتثر او النفخة الثانية والجملة في موضع الحال قلوب يومئذ
واجفة شديدة الاضطراب من الوجيف وهي صفة القلوب والخبر ابصارها خاشعة
اي ابصار اصحابها ذليلة من الخوف ولذلك اضافها الى القلوب يقولون ائنا
لمردودون في الحافرة في الحالة الاولى يعنون الحيوة بعد الموت من قولهم
رجع فلان في حافرته اي طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه على النسبة
كقوله عيشة راضية او تشبيه القابل بالفاعل وقرئ في الحفرة بمعنى المحفورة يقال
حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهي حفرة ائذا كنا وقرا نافع وابن عامر والكسائي
اذا كنا على الخبر عظاما ناخرة بالية وقرا الحجازيان وابو عمرو والشامي وحفص
ورح نخرة وهي ابلغ قالوا تلك اذا كرة خاسرة ذات خسران او خاسر اصحابها
والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهو استهزاء منهم فانما
هي زجرة واحدة متعلق بمحذوف اي لا تستصعبوها فما هي الا صيحة واحدة يعني
النفخة الثانية فاذا هم بالساهرة فاذا هم احياء على وجه الارض بعدما كانوا امواتا
في بطنها والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري
فيها من قولهم عين ساهرة للتي يجري ماؤها وفي ضدها نائمة او لان سالكها يسهر خوفا
وقيل اسم لجهنم هل اتاك حديث موسى اليس قد اتاك حديثه فيسليك
على تكذيب قومك وتهددهم عليه بان يصيبهم مثل ما اصاب من هو اعظم منهم
اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى قد مر بيانه في سورة طه اذهب
الى فرعون انه طغى على ارادة القول وقرئ ان اذهب لما في النداء من
معنى القول فقل هل لك الى ان تزكى هل لك ميل الى ان تتطهر من الكفر
والطغيان وقرا الحجازيان ويعقوب تزكى بالتشديد واهديك الى
ربك وارشدك الى معرفته فتخشى باداء الواجبات وترك المحرمات
اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة وهذا كالتفصيل لقوله فقولا له قولا لينا
فاراه الاية الكبرى اي فذهب وبلغ فاراه المعجزة الكبرى وهي قلب العصا حية
فانه كان المقدم والاصل او مجموع معجزاته فانها باعتبار دلالتها كالاية
الواحدة فكذب وعصى فكذب موسى وعصى الله بعد ظهور الاية وتحقق الامر
ثم ادبر عن الطاعة يسعى ساعيا في ابطال امره او ادبر بعدما راى الثعبان
مرعوبا مسرعا في مشيه فحشر فجمع السحرة او جنوده فنادى في المجمع بنفسه او بمناد
فقال انا ربكم الاعلى اعلى كل من يلي امركم فاخذه الله نكال الاخرة والاولى اخذا منكلا
لمن راه او سمعه في الاخرة بالاحراق وفي الدنيا بالاغراق او على كلمته الاخرة وهي هذه
وكلمته الاولى وهي قوله ما علمت لكم من اله غيري او للتنكيل فيهما او لهما ويجوز ان يكون
مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله ان في ذلك لعبرة لمن يخشى لمن كان من شانه الخشية

الخشية ءانتم اشد خلقا اصعب خلقا ام السماء ثم بين كيف بناها فقال
بناها ثم بين البناء فقال رفع سمكها اي جعل مقدار ارتفاعها من الارض او ثخنها
الذاهب في العلو رفيعا فسواها فعدلها او فجعلها مستوية او فتممها بما يتم به
كمالها من الكواكب والتداوير وغيرها من قولهم سوى فلان امره اذا اصلحه واغطش
ليلها اظلمه منقول من غطش الليل اذا اظلم وانما اضاف اليها لانه يحدث بحركتها
واخرج ضحيها وابرز ضوء شمسها كقوله تعالى والشمس وضحيها يريد النهار والارض
بعد ذلك دحيها بسطها ومهدها للسكنى اخرج منها ماءها بتفجير العيون ومرعيها
ورعيها وهو في الاصل لموضع الرعي وتجريد الجملة عن العاطف لانها باضمار قد او بيان
لدحو والجبال ارسيها اثبتها وقرئ والارض والجبال بالرفع على الابتداء وهو مرجوح
لان العطف فعلية متاعا لكم ولانعامكم تمتيعا لكم ولمواشيكم فاذا جاءت الطامة
الداهية التي تطم اي تعلو على سائر الدواهي الكبرى التي هي اكبر الطامات وهي القيمة
او النفخة الثانية او الساعة التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار
يوم يتذكر الانسان ما سعى بان يراه مدونا في صحيفته وكان قد نسيها من فرط
الغفلة او طول المدة وهو بدل من اذا جاءت وما موصولة او مصدرية و
برزت الجحيم واظهرت لمن يرى لكل راء بحيث لا تخفى على احد وقرئ وبرزت
ولمن ترى على ان فيه ضمير الجحيم كقوله اذا راتهم من مكان بعيد وانه خطاب
للرسول عليه الصلوة والسلام اي لمن تراه من الكفار وجواب فاذا جاءت
محذوف دل عليه يوم يتذكر او ما بعده من التفصيل فاما من طغى حتى كفر واثر
الحيوة الدنيا فانهمك فيها ولم يستعد للاخرة بالعبادة وتهذيب النفس فان
الجحيم هي الماوى هي ماواه واللام فيه سادة مسد الاضافة للعلم بان صاحب الماوى
هو الطاغي وهي فصل او مبتدا واما من خاف مقام ربه مقامه بين يدي
ربه لعلمه بالمبدا والمعاد ونهى النفس عن الهوى لعلمه بانه مرد فان الجنة
هي الماوى ليس له سواها ماوى يسئلونك عن الساعة ايان مرسيها متى
ارساؤها اي اقامتها واثباتها او منتهاها ومستقرها من مرسى السفينة وهي حيث
تنتهي اليه وتستقر فيه فيم انت من ذكريها في اي شيء انت من ان تذكر وقتها
لهم اي ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء فان ذكرها لا يزيدهم الا غيا ووقتها
مما استاثره الله بعلمه وقيل فيم انكار لسؤالهم وانت من ذكريها مستانف
معناه انت ذكر من ذكريها اي علامة من اشراطها فان ارساله خاتما للانبياء
امارة من اماراتها وقيل انه متصل بسؤالهم والجواب الى ربك منتهيها اي منتهى علمها
انما انت منذر من يخشيها انما بعثت لانذار من يخاف هولها وهو لا يناسب تعيين
الوقت وتخصيص من يخشى لانه المنتفع به وعن ابي عمرو منذر بالتنوين والاعمال على الاصل

لانه بمعنى الحال كانهم يوم يرونها لم يلبثوا في الدنيا او في القبور الا عشية او ضحاها
اي عشية يوم او ضحاه كقوله الا ساعة من نهار ولذلك اضاف الضحى الى العشية
لانهما من يوم واحد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والنازعات كان
ممن حبسه الله في القيمة حتى يدخل الجنة قدر صلوة المكتوبة

بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى ان جاءه الاعمى روي ان ابن ام مكتوم اتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام فقال يا رسول الله
علمني مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه
وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ
عبّس بالتشديد للمبالغة وان جاءه علة لتولى او عبس على اختلاف المذهبين وقرئ
أان بهمزتين وبالف بينهما الان جاءه الاعمى للاشعار بعذره في الاقدام على قطع
كلام الرسول بالقوم والدلالة على انه احق بالرافة والرفق او لزيادة الانكار كانه
قال تولى لكونه اعمى كالالتفات في قوله وما يدريك لعله يزكى اي واي شيء
يجعلك داريا بحاله لعله يتطهر من الاثام بما يتلقف منك وفيه ايماء بان اعراضه
كان لتزكية غيره او يذكر فتنفعه الذكرى او يتعظ فتنفعه موعظتك وقيل الضمير
في لعله للكافر اي انك طمعت في تزكيته بالاسلام وتذكره بالموعظة ولذلك
اعرضت عن غيره فما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرأ عاصم بالنصب جوابا
للعل اما من استغنى فانت له تصدى تتعرض بالاقبال عليه واصله تتصدى وقرأ
ابن كثير ونافع تصّدى بالادغام وقرئ تُصدى اي تعرض وتدعى الى التصدى وما
عليك ان لا يزكى وليس عليك بأس في ان لا يتزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص
على اسلامه الى الاعراض عمن اسلم ان عليك الا البلاغ واما من جاءك يسعى يسرع طالبا
للخير وهو يخشى الله او اذية الكفار في اتيانك او كبوة الطريق لانه اعمى لا قائد له
فانت عنه تلهى تتشاغل يقال لهي عنه والتهى وتلهى ولعل ذكر التصدى و
والتلهي للاشعار بان العتاب على اهتمام قلبه بالغني وتلهيه عن الفقير ومثله
لا ينبغي له ذلك كلا ردع عن المعاتب عليه وعن معاودة مثله انها تذكرة
فمن شاء ذكره حفظه او اتعظ به والضميران للقرآن والعتاب المذكور و
وتأنيث الاول لتأنيث خبره في صحف مثبتة فيها صفة لتذكرة او خبر ثان
او خبر محذوف مكرمة عند الله مرفوعة القدر مطهرة منزهة عن ايدي
الشياطين بايدي سفرة كتبة من الملائكة او الانبياء ينسخون الكتب من اللوح
او الوحي او سفراء يسفرون بالوحي بين الله ورسله او الامة جمع سافر من السفر
او السفارة والتركيب للكشف يقال سفرت المرأة اذا كشفت وجهها

وجهها كرام اعزاء على الله او متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم
بررة اتقياء قتل الانسان ما اكفره دعاء عليه باشنع الدعوات وتعجب
من افراطه في الكفران وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ من اي شيء
خلقه بيان لما انعم عليه خصوصا من مبدأ حدوثه والاستفهام للتحقير ولذلك
اجاب عنه بقوله من نطفة خلقه فقدره فهيأه لما يصلح له من الاعضاء والاشكال
او فقدره اطوارا الى ان تم خلقه ثم السبيل يسره ثم سهل مخرجه من بطن
امه بان فتح فوهة الرحم والهمه ان يتنكس او ذلل له سبيل الخير والشر ونصب
السبيل بفعل يفسره الظاهر للمبالغة في التيسير وتعريفه باللام دون الاضافة
للاشعار بانه سبيل عام وفيه على المعنى الاخير ايماء بان الدنيا طريق والمقصد
غيرها ولذلك عقبه بقوله ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره وعد الاماتة
والاقبار في النعم لان الاماتة وصلة في الجملة الى الحيوة الابدية واللذات الخالصة
والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع وفي اذا شاء اشعار بان وقت النشور
غير متعين في نفسه وانما هو موكول الى مشيته كلا ردع للانسان عما هو عليه
لما يقض ما امره لم يقض بعد من لدن آدم الى هذه الغاية ما امره الله بأسره اذ لا
يخلو احد من تقصير ما فلينظر الانسان الى طعامه اتباع للنعم الذاتية بالنعم
الخارجية انا صببنا الماء صبا استيناف مبين لكيفية احداث الطعام
وقرأ الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال ثم شققنا الارض شقا
اي بالنبات او بالكراب واسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب
فانبتنا فيها حبا كالحنطة والشعير وعنبا وقضبا يعني الرطبة سميت بمصدر قضبه
اذا قطعه لانها تقضب مرة بعد اخرى وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا عظاما
وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار غلاظ مستعار
من وصف الرقاب به وفاكهة وابا ومرعى من اب اذا ام لانه يؤم وينتجع او
من اب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيئ للرعي او فاكهة يابسة تؤب للشتاء متاعا
متاعا لكم ولانعامكم فان الانواع المذكورة بعضها طعام وبعضها علف فاذا
جاءت الصاخة اي النفخة وصفت بها مجازا لان الناس يصخون لهم يوم
يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لاشتغاله بشأنه وعلمه بانهم لا ينفعونه
او للحذر من مطالبتهم بما قصر في حقهم وتأخير الاحب فالاحب للمبالغة كانه قيل يفر
من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه
يكفيه في الاهتمام به وقرئ يعنيه اي يهمه وجوه يومئذ مسفرة مضيئة من اسفار
الصبح ضاحكة مستبشرة بما ترى من النعيم ووجوه يومئذ عليها غبرة غبار
وكدورة ترهقها قترة يغشاها سواد وظلمة اولئك هم الكفرة الفجرة

الذين جمعوا الى الكفر الفجور فلذلك يجمع الى سواد وجوههم الغبرة قال عليه
الصلوة والسلام من قرا سورة عبس جاء يوم القيمة ووجهه ضاحك مستبشر

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا الشمس كورت لفت من كورت العمامة اذا لففتها بمعنى رفعت لان الثوب
اذا اريد رفعه لف او لف ضوءها فذهب انبساطه في الآفاق وزال اثره
او القيت عن فلكها من طعنه فكوره اذا القاه مجتمعا والتركيب للادارة والجمع
وارتفاع الشمس بفعل يفسره ما بعدها اولى لان اذا الشرطية تطلب الفعل
واذا النجوم انكدرت انقضت قال ابصر خربان فضاء فانكدر او اظلمت
من كدرت الماء فانكدر واذا الجبال سيرت عن وجه الارض او في الجو واذا
العشار السوق اللاتي اتى على حملهن عشرة اشهر جمع عشراء عطلت تركت
مهملة او السحائب عطلت عن المطر وقرئ بالتخفيف واذا الوحوش حشرت
جمعت من كل جانب او بعثت للقصاص ثم ردت تراب او اميتت من قولهم
اذا اجحفت السنة بالناس حشرتهم وقرئ بالتشديد واذا البحار سجرت احميت
او ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملاءه بالحطب
ليحميه وقرا ابن كثير وابو عمرو وروح بالتخفيف واذا النفوس زوجت قرنت
بالابدان او كل منها بشكلها او بكتابها وعملها او نفوس المؤمنين بالحور
ونفوس الكافرين بالشياطين واذا الموؤدة المدفونة حية وكانت العرب
تئد البنات مخافة الاملاق او لحوق العار بهم من اجلهن سئلت باي ذنب
قتلت تبكيتا لوائدها كتبكيت النصارى بقوله تعالى لعيسى ءانت قلت
للناس وقرئ سالت اي خاصمت عن نفسها وانما قيل قتلت على الاخبار
عنها وقرئ قتلت واذا الصحف نشرت يعني صحف الاعمال فانها تطوى
عند الموت وتنشر وقت الحساب وقيل نشرت فرقت بين اصحابها وقرا
ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي بالتشديد للمبالغة في النشر او لكثرة
الصحف او شدة التطاير واذا السماء كشطت قلعت وازيلت كما
يكشط الاهاب عن الذبيحة وقرئ قشطت واعتقاب القاف والكاف
كثير واذا الجحيم سعرت اوقدت ايقادا شديدا وقرا نافع وابن عامر برواية
ابن ذكوان وحفص ورويس بالتشديد واذا الجنة ازلفت قربت
من المؤمنين علمت نفس ما احضرت جواب اذا وانما صح والمذكور
في سياقها ثنتا عشرة خصلة ست في مبادي قيام الساعة قبل فناء الدنيا
وست بعده لان المراد زمان متسع شامل لها ولمجازاة النفوس على
اعمالها ونفس في معنى العموم كقولهم تمرة خير من جرادة فلا اقسم بالخنس

بالخنس بالكواكب الرواجع من خنس اذا تاخر وهي ما سوى النيرين من
السيارات ولذلك وصفها بقوله الجوار الكنس اي السيارات
التي تختفي تحت ضوء الشمس من كنس الوحشي اذا دخل كناسه وهو بيته
المتخذ من اغصان الشجر والليل اذا عسعس اقبل ظلامه او ادبر وهو من
الاضداد ويقال عسعس الليل وسعسع اذا ادبر والصبح اذا تنفس اذا اضاء
غبرته عند اقبال روح ونسيم انه ان القران لقول رسول كريم يعني جبرئيل
فانه قاله عن الله ذي قوة كقوله شديد القوى عند ذي العرش مكين
عند الله ذي مكانة مطاع في ملائكته ثم امين على الوحي وثم تحتمل اتصاله
بما قبله وما بعده وقرئ ثم تعظيما للامانة وتفضيلا لها على ساير الصفات
وما صاحبكم بمجنون كما تبهته الكفرة واستدل بذلك على فضل جبرئيل
على محمد عليهما الصلوة والسلام حيث عد فضائل واقتصر على نفي الجنون
عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف اذ المقصود منه نفي قولهم انما
يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما
ولقد راه ولقد راى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبرئيل عليه السلام
بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى وما هو وما محمد على الغيب على ما يخبره
من الوحي اليه وغيره من الغيوب بظنين بمتهم من الظنة وهي التهمة
وقرا نافع وعاصم وحمزة وابن عامر بضنين من الضن وهو البخل اي لا يبخل
بالتبليغ والتعليم والضاد من اصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان
او يساره والظاء من طرف اللسان واصول الثنايا العليا وما هو بقول
شيطان رجيم بقول بعض المسترقة للسمع وهو نفي قولهم انه لكهانة وسحر
فاين تذهبون استضلال لهم فيما يسلكونه في امر الرسول والقران كقولك
لتارك الجادة اين تذهب ان هو الا ذكر للعالمين تذكير لمن يعلم لمن شاء
منكم ان يستقيم بتحري الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون
بالتذكير وما تشاءون الاستقامة يا من يشاؤها الا ان يشاء الله الا
وقت ان يشاء الله مشيتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم رب العالمين
مالك الخلق كله قال عليه الصلوة والسلام من قرا سورة التكوير اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته

سورة الانفطار مكية وايها تسع عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انفطرت انشقت واذا الكواكب انتثرت تساقطت متفرقة
واذا البحار فجرت فتح بعضها الى بعض فصار الكل بحرا واحدا واذا القبور بعثرت
قلب ترابها واخرج موتاها وقيل انه مركب من بعث وراء الاثارة كبسمل ونظيره
بحثر لفظا ومعنى علمت نفس ما قدمت من عمل او صدقة واخرت من سيئة

او تركه وبجوزان يراد بالتأخير التضييع وهو جواب اذا يا ايها الانسان ما غرك
بربك الكريم اى شى خدعك وجراك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة
فى المنع عن الاغترار فان محض الكرم لا يقتضى اهمال الظالم وتسوية الموالى و
المعادى والمطيع والعاصى فكيف اذا انضم اليه صفة القهر والانتقام والاشعار
بما به يغره الشيطان فانه يقول له افعل ما شئت فانه كريم لا يعذب احدا
ولا يعاجل بالعقوبة والدلالة على ان كثرة كرمه يستدعى الجد فى طاعته لا الانهماك
فى عصيانه اغترارا بكرمه الذى خلقك فسويك فعدلك صفة ثانية
مقررة للربوبية مبنية لكرم منبهة على ان من قدر على ذلك اولا قدر عليه
ثانيا والتسوية جعل الاعضاء سليمة مسواة معدة لمنافعها والتعديل جعل
بنيته معتدلة متناسبة الاعضاء او معدلة بما يستعدها من القوى وقرا
الكوفيون فعدلك بالتخفيف اى عدل بعض اعضايك ببعض حتى اعتدلت
او فصرفك عن خلقة غيرك وميزك بخلقة فارقت خلقة ساير الحيوانات فى
فى اى صورة ما شاء ركبك اى ركبك فى اى صورة شاءها وما مزيدة وقيل
شرطيته وركبك جوابها والظرف صلة عدلك وانما لم يعطف الجملة على
ما قبلها لانها بيان لعدلك كلا ردع عن الاغترار بكرم الله وقوله بل تكذبون
بالدين اضراب الى بيان ما هو السبب الاصلى فى اغترارهم والمراد بالدين الجزاء
او الاسلام وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون تحقيق
لما يكذبون به ورد لما يتوقعون من التسامح والاهمال وتعظيم الكتبة بكونهم
كراما عند الله لتعظيم الجزاء ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم بيان لما
يكتبون لاجله يصلونها يقاسون حرها يوم الدين وما هم عنها بغائبين
لخلودهم فيها وقيل معناه وما يغيبون عنها قبل ذلك اذ كانوا يجدون
سمومها فى القبور وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم
الدين تعجيب وتفخيم لشان اليوم اى كنه امره بحيث لا تدركه دراية
دار يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله تقرير لشدة
هوله وفخامة امره اجمالا ورفع ابن كثير والبصريان يوم على البدل من يوم
الدين او الخبر لمحذوف قال النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

سورة المطففين مختلف فيها وايها ست وثلاثون بسم الله الرحمن الرحيم

ويل للمطففين التطفيف البخس فى الكيل والوزن لان ما يبخس طفيف
اى حقير روى ان اهل المدينة كانوا اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوه
وفى الحديث خمس بخمس ما نقض العهد قوم الا سلط الله عليهم عدوهم وما

وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا
فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا
منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون
اى اذا اكتالوا من الناس حقوقهم يأخذونها وافية وانما ابدل على بمن
للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس او اكتيال يتحامل فيه عليهم واذا
كالوهم او وزنوهم اى اذا كالوا للناس او وزنوا لهم يخسرون فحذف
الجار واوصل الفعل كقوله ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا بمعنى جنيت لك
او كالوا مكيلهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ولا يحسن جعل
المنفصل تاكيد المتصل فانه يخرج الكلام عن مقابلة ما قبله اذ المقصود بيان
اختلاف حالهم فى الاخذ والدفع لا فى المباشرة وعدمها ويستدعى اثبات
الالف بعد الواو كما هو خط المصحف فى نظايره الا يظن اولئك انهم
مبعوثون فان من ظن ذلك لم يتجاسر على امثال هذه القبايح فكيف
بمن تيقنه وفيه انكار وتعجيب من حالهم ليوم عظيم عظمه لعظم ما يكون فيه
يوم يقوم الناس نصب بمبعوثون او بدل من الجار والمجرور ويؤيده القراءة
بالجر لرب العالمين لحكمه وفى هذا الانكار والتعجيب وذكر الظن ووصف
اليوم بالعظيم وقيام الناس فيه لله تعالى والتعبير عنه برب العالمين مبالغات
فى المنع عن التطفيف وتعظيم اثمه كلا ردع عن التطفيف والغفلة عن البعث
والحساب ان كتاب الفجار ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم لفى سجين
كتاب جامع لاعمال الفجرة من الثقلين كما قال وما ادراك ما سجين كتاب
مرقوم اى مسطور بين الكتابة لانه سبب الحبس او لانه مطروح كما قيل
تحت الارضين فى مكان وحش وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب
السجين او محل كتاب مرقوم فحذف المضاف ويل يومئذ للمكذبين بالحق
او بذلك الذين يكذبون بيوم الدين صفة مخصصة او موضحة او ذامة
وما يكذب به الا كل معتد متجاوز عن النظر غال فى التقليد حتى استقصر
قدرة الله وعلمه فاستحال منه الاعادة اثيم منهمك فى الشهوات المخدجة
بحيث اشغلته عما وراءها وحملته على الانكار لما عداها اذا تتلى عليه اياتنا
قال اساطير الاولين من فرط جهله واعراضه عن الحق فلا ينفعه شواهد
النقل كما لا تنفعه دلايل العقل كلا ردع عن هذا القول بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون رد لما قالوه وبيان لما ادى بهم الى هذا القول بان
غلب عليهم حب المعاصى بالانهماك فيه حتى صار ذلك صدأ على قلوبهم فعمى
عليهم معرفة الحق والباطل فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات كما قال

عليه الصلوة والسلام ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة
سوداء حتى يسود قلبه والرين الصدا وقرأ حفص بل ران باظهار
اللام مع سكتة لطيفة كلا ردع عن الكسب الراين انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون فلا يرونه بخلاف المؤمنين ومن انكر الرؤية جعله تمثيلا لاهانتهم
باهانة من يمنع عن الدخول على الملوك او قدر مضافا مثل رحمة ربهم او
قرب ربهم ثم انهم لصالوا الجحيم ليدخلون النار ويصلون بها ثم
يقال لهم هذا الذي كنتم به تكذبون يقوله لهم الزبانية كلا تكرير للاول
ليعقب بوعد الابرار كما عقب بوعيد الفجار اشعارا بان التطفيف فجور
والايفاء بر او ردع عن التكذيب ان كتاب الابرار لفي عليين وما
ادراك ما عليون كتاب مرقوم الكلام فيه ما مر في نظيره يشهده المقربون
يحضرونه فيحفظونه او يشهدون على ما فيه يوم القيمة ان الابرار لفي
نعيم على الارائك على الاسرة في الحجال ينظرون الى ما يسرهم من النعيم
والمتفرجات تعرف في وجوههم نضرة النعيم بهجة التنعيم وبريقه وقرأ
يعقوب تعرف على بناء المفعول ونضرة بالرفع يسقون من رحيق شراب
خالص مختوم ختامه مسك اي مختوم اوانيه بالمسك مكان الطين ولعله
تمثيل لنفاسته او الذي له ختام اي مقطع وهو رائحة المسك وقرأ الكسائي
خاتمه بفتح التاء اي ما يختم به ويقطع وفي ذلك يعني الرحيق او النعيم فليتنافس
المتنافسون فليرتغب المرتغبون ومزاجه من تسنيم علم لعين بعينها سميت
تسنيما لارتفاع مكانها او رفعة شرابها عينا يشرب بها المقربون فانهم يشربونها
صرفا لانهم لم يشتغلوا بغير الله وتمزج لسائر اهل الجنة وانتصاب
عينا على المدح او الحال من تسنيم والكلام في الباء كما في يشرب بها عباد الله
ان الذين اجرموا يعني رؤساء قريش كانوا من الذين امنوا يضحكون
كانوا يستهزئون بفقراء المؤمنين واذا مروا بهم يتغامزون يغمز بعضهم بعضا
ويشيرون باعينهم واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين ملتذين بالسخرية
منهم وقرأ حفص فكهين واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون واذا رأوا
المؤمنين نسبوهم الى الضلال وما ارسلوا عليهم على المؤمنين حافظين
يحفظون عليهم اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم فاليوم الذين امنوا
من الكفار يضحكون حين يرونهم اذلاء مغلولين في النار وقيل يفتح لهم الى
الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم
على الارائك ينظرون حال من يضحكون هل ثوب الكفار هل اثيبوا
ما كانوا يفعلون وقرأ حمزة والكسائي بادغام اللام في الثاء قال عليه الصلوة

الصلوة والسلام من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيمة

سورة الانشقاق مكية وايها خمس وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انشقت بالغمام كقوله تعالى يوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضه
تنشق من المجرة واذنت لربها واستمعت له اي انقادت لتاثير قدرته حين اراد
انشقاقها انقياد المطواع الذي يأذن للآمر ويذعن له وحقت وجعلت حقيقة
بالاستماع والانقياد يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق واذا الارض مدت بسطت
بان تزال جبالها واكامها والقت ما فيها ما في جوفها من الكنوز والاموات
وتخلت وتكلفت في الخلو اقصى جهدها حتى لم يبق شيء في بطنها واذنت لربها
في الالقاء والتخلية وحقت للاذن وتكرير اذا لاستقلال كل من الجملتين بنوع
من القدرة وجوابه محذوف للتهويل بالابهام او الاكتفاء بما مر في سورة التكوير
والانفطار او بدلالة يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه عليه
وتقديره لاقى الانسان كدحه اي جهدا يؤثر فيه من كدحه اذا خدشه او فملاقيه
ويا ايها الانسان انك كادح الى ربك اعتراض والكدح اليه السعي الى لقائه
فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا سهلا لا يناقش فيه
وينقلب الى اهله مسرورا الى عشيرته المؤمنين او فريق المؤمنين واهله في الجنة
من الحور واما من اوتي كتابه وراء ظهره اي يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل
تغل يمناه الى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا يتمنى الثبور ويقول
يا ثبوراه وهو الهلاك ويصلى سعيرا وقرأ الحجازيان والشامي والكسائي
ويصلى كقوله وتصلية جحيم وقرئ ويصلى كقوله ونصليه جهنم انه كان في اهله في الدنيا
مسرورا بطرا بالمال والجاه فارغا عن الآخرة انه ظن ان لن يحور لن يرجع الى الله
بلى ايجاب لما بعد لن ان ربه كان به بصيرا عالما باعماله فلا يهمله بل يرجعه ويجازيه
فلا اقسم بالشفق الحمرة التي ترى في افق المغرب بعد الغروب وعن ابي حنيفة رحمه الله
انه البياض الذي يليها سمي به لرقته من الشفقة والليل وما وسق وما جمعه وستره
من الدواب وغيرها يقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات لو يجدن
سائقا او طرده الى اماكنه من الوسيقة والقمر اذا اتسق اجتمع وتم بدرا لتركبن
طبقا عن طبق حالا بعد حال مطابقة لاختها في الشدة وهو لما طابق غيره فقيل
للحال المطابق او مراتب من الشدة بعد المراتب هي الموت ومواطن القيمة
واهوالها او هي وما قبلها من الدواهي على انه جمع طبقة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي
لتركبن بالفتح على خطاب الانسان باعتبار اللفظ او الرسول على معنى لتركبن
حالا شريفة ومرتبة عالية بعد حال ومرتبة او طبقا من اطباق السماء بعد طبق ليلة
المعراج وبالكسر على خطاب النفس وبالياء على الغيبة وعن طبق صفة لطبقا او حال

من الضمير بمعنى مجاوزا لطبق او مجاوزين له فما لهم لا يؤمنون بيوم القيمة واذا
قرئ عليهم القران لا يسجدون لا يخضعون او لا يسجدون لتلاوته لما روي انه
عليه الصلوة والسلام قرأ واسجد واقترب فسجد بمن معه من المؤمنين وقريش تصفق
فوق رؤسهم فنزلت واحتج به ابو حنيفة رحمه الله على وجوب السجود فانه ذم
لمن سمعه ولم يسجد وعن ابي هريرة رض الله انه سجد فيها وقال والله ما سجدت
فيها الا بعد ان رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها بل الذين
كفروا يكذبون اي بالقران والله اعلم بما يوعون بما يضمرون في
صدورهم من الكفر والعداوة فبشرهم بعذاب اليم استهزاء بهم الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات استثناء منقطع او متصل والمراد من تاب وامن
منهم لهم اجر غير ممنون مقطوع او ممنون به عليهم عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة انشقت اعاذه الله ان يعطيه كتابه وراء ظهره

سورة البروج مكية وآيها اثنتان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات
البروج يعني البروج الاثني عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات وتكون
فيها الثوابت او منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب
السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور واليوم الموعود يوم
القيمة وشاهد ومشهود ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما احضر فيه
من العجائب وتنكيرهما للابهام في الوصف اي وشاهد ومشهود لا يكتنه
وصفهما او المبالغة في الكثرة كانه قيل ما افرطت كثرته من شاهد ومشهود
او النبي وامته او امته وساير الامم او كل نبي وامته او الخالق والخلق او عكسه
فان الخالق مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده او الملك الحفيظ و
المكلف او يوم النحر او عرفة والحجيج او يوم الجمعة والمجمع فانه يشهد له او
كل يوم واهله قتل اصحاب الاخدود قيل انه جواب القسم على تقدير لقد
قتل والاظهر انه دليل جواب محذوف كانه قيل انهم ملعونون يعني كفار مكة
كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على اذاهم
وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم والاخدود الخد وهو الشق في الارض ونحوهما بناء
ومعنى الخق والاخقوق روي مرفوعا ان ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما
ليعلمه وكان في طريقه راهب فمال قلبه اليه فراى في طريقه ذات يوم حية قد
حبست الناس فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر
فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعد يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء
وعمي جليس الملك فابراه فساله الملك عمن ابراه فقال ربي فغضب فعذبه
فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فقده بالمنشار وارسل الغلام الى

الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف فهلكوا ونجا واجلسه في سفينة ليغرق
فدعا فانكفات السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع
الناس وتصلبني وتاخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به
فرماه فوقع في صدغه فمات فآمن الناس فامر باخاديد واوقدت فيها النيران
فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي
يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وعن علي رض ان بعض ملوك المجوس خطب
بالناس وقال ان الله تعالى احل نكاح الاخوات فلم يقبلوه فامر باخاديد
النار وطرح فيها من ابى وقيل لما تنصر نجران غزاهم ذو نواس اليهودي من حمير
فاحرق بالاخاديد من لم يرتد النار بدل من الاخدود بدل الاشتمال ذات الوقود
صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها واللام في الوقود للجنس اذ هم عليها على
حافة النار قعود قاعدون وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود يشهد بعضهم
لبعض عند الملك بانه لم يقصر فيما امره به او يشهدون على ما يفعلون يوم القيمة
حين تشهد عليهم السنتهم وايديهم وما نقموا منهم وما انكروا الا ان يؤمنوا
بالله العزيز الحميد استثناء على طريقة قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب ووصفه بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا منعما
يرجى ثوابه وقرر ذلك بقوله الذي له ملك السموات والارض والله على كل
شيء شهيد للاشعار بما يستحق ان يؤمن به ويعبد ان الذين فتنوا المؤمنين
والمؤمنات بلوهم بالاذى ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم بكفرهم ولعذاب
ولهم عذاب الحريق العذاب الزائد في الاحراق بفتنتهم وقيل المراد بالذين فتنوا
اصحاب الاخدود وبعذاب الحريق ما روي ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم
في الدنيا ان الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ذلك
الفوز الكبير اذ الدنيا وما فيها تصغر دونه ان بطش ربك لشديد مضاعف
عنفه فان البطش اخذ بعنف انه هو يبدئ ويعيد اي يبدئ الخلق ويعيده
او يبدئ البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الاخرة وهو الغفور لمن تاب الودود
المحب لمن اطاع ذو العرش خالقه وقيل المراد بالعرش الملك وقرئ ذي
العرش صفة لربك المجيد العظيم في ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام
القدرة والحكمة وجره حمزة والكسائي صفة لربك او للعرش ومجده علوه وعظمه
فعال لما يريد لا يمتنع عليه مراد من افعاله وافعال غيره هل اتيك حديث
الجنود فرعون وثمود ابدلهما من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمعنى
قد عرفت تكذيبهم للرسل وما حاق بهم فتسل واصبر على تكذيب قومك وحذرهم
مثل ما اصابهم بل الذين كفروا في تكذيب لا يرعوون عنه ومعنى الاضراب

ان حالهم اعجب من هؤلاء فانهم سمعوا قصتهم وراوا اثار هلاكهم وكذبوا
اشد من تكذيبهم والله من ورائهم محيط لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط
بل هو قران مجيد بل هو الذي كذبوا به كتاب شريف وحيد في النظم والمعنى
وقرئ قران مجيد بالاضافة اي قران رب مجيد في لوح محفوظ من التحريف
وقرا نافع محفوظ بالرفع صفة للقران وقرئ في لوح وهو الهواء يعني ما فوق
السماء السابعة الذي في اللوح عن رسول الله عم من قرا سورة البروج
اعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا عشر حسنات **سورة
الطارق وهي مكية وآيها سبع عشرة آية** بسم الله الرحمن الرحيم والسماء
والطارق والكوكب البادي بالليل وهو في الاصل لسالك الطريق
واختص عرفا بالآتي ليلا ثم استعمل للبادي ليلا وما ادريك ما الطارق النجم
الثاقب المضيء كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه او الافلاك والمراد
الجنس او معهود بالثقب وهو زحل عبر عنه اولا بوصف عام ثم فسره بما يخصه
تفخيما لشأنه ان كل نفس لما عليها حافظ اي ان الشان كل نفس لعليها حافظ
اي رقيب فان هي المخففة واللام الفاصلة وما مزيدة وقرا ابن عامر وعاصم
وحمزة لما على انها بمعنى الا وان نافية والجملة على الوجهين جواب القسم
فلينظر الانسان مم خلق لما ذكر ان كل نفس عليها حافظ اتبعه بوصية
الانسان بالنظر في مبدئه ليعلم صحة اعادته فلا يملي على حافظه الا ما يسره
في عاقبته خلق من ماء دافق جواب الاستفهام وماء دافق بمعنى ذي
دفق وهو صب فيه دفع والمراد الممتزج من الماءين في الرحم لقوله يخرج
من بين الصلب والترائب بين صلب الرجل وترائب المراة وهي
عظام صدرها ولو صح ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل
عن جميع الاعضاء حتى تستعد لان يتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها
عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فلا شك ان الدماغ اعظم
الاعضاء معونة في توليدها ولذلك تشبهه ويسرع الافراط في الجماع بالضعف
فيه وله خليفة وهي النخاع وهو في الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب
وهما اقرب الى اوعية المني ولذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين
والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة وهي صالب انه على رجعه لقادر
والضمير للخالق ويدل عليه خلق يوم تبلى السرائر تتعرف وتميز بين ما طاب
من الضمائر وما خفي من الاعمال وما خبث منها وهو ظرف لرجعه فما له للانسان
من قوة من منعة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر يمنعه والسماء ذات الرجع
يرجع في كل دورة الى الموضع الذي تحرك عنه وقيل الرجع المطر الذي تسميه

يسمى به كما سمي اوبا لان الله يرجعه وقتا فوقتا او لما قيل من ان السحاب
يحمل الماء من البحار ثم يرجعه الى الارض وعلى هذا يجوز ان يراد بالسماء السحاب
والارض ذات الصدع ما يتصدع عنه الارض من النبات او الشق بالنبات
والعيون انه ان القران لقول فصل فاصل بين الحق والباطل وما هو
بالهزل فانه جد كله انهم يعني اهل مكة يكيدون كيدا في ابطاله واطفاء
نوره واكيد كيدا واقابلهم بكيدي في استدراجي لهم وانتقامي منهم بحيث
لا يحتسبون فمهل الكافرين فلا تشتغل بالانتقام منهم او لا تستعجل باهلاكهم
امهلهم رويدا امهالا يسيرا والتكرير وتغيير البنية لزيادة التسكين على النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الطارق اعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات
سورة الاعلى مكية وآيها تسع عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك
الاعلى نزه اسمه عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة واطلاقه على غيره زاعما
انهما فيه سواء وذكره لا على وجه التعظيم وقرئ سبحان ربي الاعلى وفي الحديث
لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه الصلوة والسلام اجعلوها في ركوعكم
فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع
اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت الذي خلق فسوى خلق كل
شيء فسوى خلقه بان جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه والذي قدر اي قدر
اجناس الاشياء وانواعها واشخاصها ومقاديرها وصفاتها وافعالها واجالها
وقرا الكسائي قدر بالتخفيف فهدى فوجهه الى افعاله طبعا او اختيارا بخلق
الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الايات والذي اخرج المرعى
انبت ما ترعاه الدواب فجعله بعد خضرته غثاء احوى يابسا اسود وقيل
احوى حال من المرعى اي اخرجه احوى من شدة خضرته سنقرئك على لسان جبريل
او سنجعلك قارئا بالهام القراءة فلا تنسى اصلا من قوة الحفظ مع انك امي
ليكون ذلك آية اخرى لك مع ان الاخبار به عما يستقبل ووقوعه كذلك ايضا
من الايات وقيل نهي والالف للفاصلة كقوله السبيلا الا ما شاء الله نسيانه
بان نسخ تلاوته وقيل المراد به القلة والندرة لما روي انه عم اسقط اية في قراءته
في الصلوة فحسب ابي انها نسخت فساله فقال نسيتها او نفي النسيان راسا فان
القلة تستعمل للنفي انه يعلم الجهر وما يخفى ما ظهر من احوالكم وما بطن او جهرك بالقراءة
مع جبريل وما دعاك اليه من مخافة النسيان فيعلم ما فيه صلاحكم من ابقاء وانساء
ونيسرك لليسرى ونعدك للطريقة اليسرى في حفظ الوحي او التدين ونوفقك
لها ولهذه النكتة قال نيسرك لا نيسر لك عطف على سنقرئك وانه يعلم
اعتراض فذكر بعد ما استتب لك الامر ان نفعت الذكرى لعل هذه الشرطية

انما جاءت بعد تكرير التذكير وحصول اليأس عن البعض لئلا يتعب نفسه
ويتلهف عليهم كقوله وما انت عليهم بجبار الآية او لذم المذكرين واستبعاد
وتاثير الذكرى فيهم او للاشعار بان التذكير انما يجب اذا ظن نفعه ولذلك
امر بالاعراض عمن تولى سيذكر من يخشى سيتعظ وينتفع بها من يخشى الله
فانه يتفكر فيها فيعلم حقيتها وهو يتناول العارف والمتردد ويتجنبها
ويتجنب الذكرى الاشقى الكافر فانه اشقى من الفاسق او الاشقى من الكفرة
لتوغله في الكفر الذي يصلى النار الكبرى نار جهنم فانه عم قال ناركم هذه جزء
من سبعين جزءا من نار جهنم او ما في الدرك الاسفل منها ثم لا يموت فيها
فيستريح ولا يحيى حيوة تنفعه قد افلح من تزكى تطهر من الكفر والمعصية
او تكثر من التقوى من الزكاء او تطهر للصلوة او ادى الزكوة وذكر اسم ربه
بقلبه ولسانه فصلى لقوله اقم الصلوة لذكري ويجوز ان يراد بالذكر تكبير التحريم
وقيل تزكى تصدق للفطر وذكر اسم ربه كبره يوم العيد فصلى صلوته بل
تؤثرون الحيوة الدنيا فلا تفعلون ما يسعدكم في الاخرة والخطاب للاشقين
على الالتفات او على اضمار قل او للكل فان السعي للدنيا اكثر في الجملة وقرا ابو عمرو
بالياء والاخرة خير وابقى فان نعيمها ملذ بالذات خالص عن الغوائل لا انقطاع
له ان هذا لفي الصحف الاولى الاشارة الى ما قد سبق من قد افلح فانه جامع
امر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة صحف ابراهيم وموسى بدل من الصحف
الاولى قال عم من قرا سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابرهيم وموسى

سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتاك حديث الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها يعني يوم القيمة
او النار من قوله وتغشى وجوههم النار وجوه يومئذ خاشعة ذليلة عاملة ناصبة
تعمل ما تتعب فيه كجر السلاسل وخوضها في النار خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط
في تلالها ووهادها او عملت ونصبت في اعمال لا تنفعها يومئذ تصلى نارا حامية
وقرا ابو عمرو ويعقوب وابو بكر تصلى من اصلاه الله وقرئ تصلى بالتشديد للمبالغة
حامية متناهية في الحر تسقى من عين آنية بلغت اناها في الحر ليس لهم طعام
الا من ضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا وقيل شجرة نارية تشبه
الضريع ولعله طعام هؤلاء والزقوم والغسلين طعام غيرهم او المراد طعامهم
مما تتحاماه الابل وتتعافاه للضر وعدم نفعه كما قال لا يسمن ولا يغني من جوع
والمقصود من الطعام احد الامرين وجوه يومئذ ناعمة ذات بهجة او متنعمة
لسعيها راضية رضيت بعملها لما رات ثوابه في جنة عالية علية المحل او القدر
لا تسمع يا مخاطب او الوجوه وقرا على بناء المفعول بالياء ابن كثير وابو عمرو ورويس

ورويس والتاء نافع فيها لاغية لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو فان
كلام اهل الجنة الذكر والحكم فيها عين جارية يجري ماؤها ولا ينقطع والتنكير
للتعظيم فيها سرر مرفوعة رفيعة السمك او القدر واكواب جمع كوب وهو
اناء لا عروة له موضوعة بين ايديهم ونمارق وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم
مصفوفة بعضها الى بعض وزرابي وبسط فاخرة جمع زربية مبثوثة
مبسوطة افلا ينظرون نظر اعتبار الى الابل كيف خلقت خلقا دالا على
كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها لجر الاثقال الى البلاد النائية فجعلها
عظيمة باركة للحمل ناهضة بالحمل منقادة لمن اقتادها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار
وترعى كل نابت وتحتمل العطش الى عشر فصاعدا ليتاتى لها قطع البراري والمفاوز
مع ما لها من منافع اخر ولذلك خصت بالذكر لبيان الآيات المنبثة في الحيوانات
التي هي اشرف المركبات واكثرها صنعا ولانها اعجب ما عند العرب من هذا النوع
وقيل المراد بها السحاب على الاستعارة والى السماء كيف رفعت بلا عمد والى
الجبال كيف نصبت فهي راسخة لا تميل والى الارض كيف سطحت بسطت حتى
صارت مهادا وقرئ الافعال الاربعة على بناء الفاعل للمتكلم وحذف الراجع
المنصوب والمعنى افلا ينظرون الى انواع المخلوقات من البسائط والمركبات
ليتحققوا كمال قدرة الخالق فلا ينكروا اقتداره على البعث ولذلك
عقب به امر المعاد ورتب عليه الامر بالتذكير فقال فذكر انما انت مذكر فلا
عليك ان لم ينظروا ولم يذكروا اذ ما عليك الا البلاغ لست عليهم بمصيطر
بمتسلط وعن الكسائي بالسين على الاصل وحمزة بالاشمام الا من تولى وكفر
لكن من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر يعني عذاب الاخرة وقيل متصل
فان جهاد الكفار وقتلهم تسلط وكانه اوعدهم بالجهاد في الدنيا وعذاب النار
في الاخرة وقيل هو استثناء من قوله فذكر الا من تولى واصر فاستحق العذاب
الاكبر وما بينهما اعتراض ويؤيد الاول انه قرئ الا على التنبيه ان الينا ايابهم رجوعهم
وقرئ بالتشديد على انه فيعال من الاياب او فعال من الاوب قلبت الواو الاولى قلبها
في ديوان ثم الثانية للادغام ثم ان علينا حسابهم في المحشر وتقديم الخبر للتخصيص
والمبالغة في الوعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة الفجر مكية وهي تسع وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

والفجر اقسم بالصبح او فلقه كقوله والصبح اذا تنفس او بصلوته وليال عشر
عشر ذي الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة او النحر او عشر رمضان الاخير وتنكيرها
للتعظيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام والشفع والوتر
والاشياء كلها شفعها ووترها او الخلق لقوله ومن كل شيء خلقنا زوجين والخالق لانه

فرد ومن فسرهما بالعناصر والافلاك او البروج والسيارات او شفع
الصلوات ووترها او بيومي النحر وعرفة وقد روي مرفوعا او بغيرها فلعله
افرد بالذكر من انواع المدلول ما رآه اظهر دلالة على التوحيد او مدخلا في الدين
او مناسبة لما قبلها او اكثر منفعة موجبة للشكر وقرئ الوتر بفتح الواو
وهما لغتان كالحبر والحبر والليل اذا يسر اذا يمضي كقوله والليل اذ ادبر
والتقييد بذلك لما في التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة
او يسرى فيه من قولهم صلى المقام وحذف الياء للاكتفاء بالكسر تخفيفا وقد خصه
نافع وابو عمرو بالوقف لمراعاة الفواصل ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب اصلا
وقرئ يسر بالتنوين المبدل من حرف الاطلاق هل في ذلك القسم او المقسم به
قسم حلف او محلوف به لذي حجر يعتبره ويؤكد به ما يريد تحقيقه والحجر العقل
سمي به لانه يحجر عما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية وحصاة من الاحصاء وهو
الضبط والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه الم تر كيف فعل ربك
بعاد يعني اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح قوم هود سموا باسم
ابيهم كما سمي بنو هاشم باسمه ارم عطف بيان لعاد على تقدير مضاف اي
سبط ارم ان صح انه اسم بلدتهم وقيل سمي اوائلهم وهم عاد الاولى باسم
جدهم ومنع صرفه للعلمية والتانيث ذات العماد ذات البناء الرفيع او القدود
الطوال او الرفعة والثبات وقيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا
وقهرا ثم مات شديد فخلص الامر لشداد وملك المعمورة ودانت له ملوكها
فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها في بعض صحاري عدن جنة وسماها ارم فلما
تم سار اليها باهله فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة
من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها التي لم
يخلق مثلها في البلاد صفة اخرى لارم والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة
او البلدة وثمود الذين جابوا الصخر قطعوه واتخذوه منازل كقوله وتنحتون
من الجبال بيوتا بالواد وادي القرى وفرعون ذي الاوتاد لكثرة جنوده و
مضاربهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا او لتعذيبه بالاوتاد الذين طغوا
في البلاد صفة للمذكورين عاد وثمود وفرعون او ذم منصوب او مرفوع
فاكثروا فيها الفساد بالكفر والظلم فصب عليهم ربك سوط عذاب ما خلط
لهم من انواع العذاب واصله الخلط وانما سمي به الجلد المضفور الذي يضرب به
لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض وقيل شبه بالسوط ما احل بهم في الدنيا
اشعارا بانه بالقياس الى ما اعد لهم في الاخرة من العذاب كالسوط اذا قيس
الى السيف ان ربك لبالمرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من

من رصده كالميقات من وقته وهو تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب
فاما الانسان متصل بقوله ان ربك لبالمرصاد من الاخرة فلا يريد الا السعي
لها فاما الانسان فلا يهمه الا الدنيا ولذاتها اذا ما ابتلاه ربه اختبره بالغنى
واليسر فاكرمه ونعمه بالجاه والمال فيقول ربي اكرمن فضلني بما اعطاني
وهو خبر المبتدا الذي هو الانسان والفاء لما في اما من معنى الشرط والظرف
المتوسط في تقدير التاخير كانه قيل فاما الانسان فقائل ربي اكرمني وقت
ابتلائه بالانعام وكذا قوله واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه اذ التقدير
واما الانسان اذا ما ابتلاه اي بالفقر والتقتير ليوازن قسيمه فيقول ربي
اهانن لقصور نظره وسوء فكره فان التقتير قد يؤدي الى كرامة الدارين اذ
التوسعة قد تفضي الى قصد الاعداء والانهماك في حب الدنيا ولذلك ذمه
على قوليه وردعه بقوله كلا مع ان قوله الاول مطابق لاكرمه ولم يقل فاهانه
وقدر عليه كما قال فاكرمه ونعمه لان التوسعة تفضل والاخلال به لا يكون اهانة
وقرا ابن عامر والكوفيون اكرمن واهانن بغير ياء في الوصل والوقف وعن
ابي عمرو مثله ووافقهم نافع وقرا ابن عامر فقدر بالتشديد بل لا تكرمون
اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين بل فعلهم اسوا من قولهم وادل على تهالكهم
بالمال وهو انهم لا يكرمون اليتيم بالتفقد والمبرة ولا يحثون اهلهم على طعام
المسكين فضلا عن غيرهم وقرا الكوفيون تحاضون وتاكلون التراث الميراث
واصله وراث اكلا لما ذا لم اي جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون
النساء والصبيان وياكلون انصباءهم او ياكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين
بذلك وتحبون المال حبا جما كثيرا مع حرص وشره وقرا ابو عمرو وسهل ويعقوب
لا يكرمون الى ويحبون بالياء والباقون بالتاء كلا ردع لهم عن ذلك وانكار لما
بعده وعيد عليه اذا دكت الارض دكا دكا دكا بعد دك حتى صارت منخفضة
الجبال والتلال او هباء منبثا وجاء ربك اي ظهر آيات قدرته وآثار قهره مثل
ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته والملك صفا صفا
بحسب منازلهم ومراتبهم وجيء يومئذ بجهنم كقوله وبرزت الجحيم وفي الحديث
يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك
يجرونها يومئذ بدل من اذا دكت والعامل فيهما يتذكر الانسان اي يتذكر
معاصيه او يتعظ لانه يعلم قبحها فيندم عليها وانى له الذكرى اي منفعة الذكرى لئلا
يناقض ما قبله واستدل به على عدم وجوب قبول التوبة فان هذه التذكرة توبة
غير مقبولة يقول يا ليتني قدمت لحياتي اي لحياتي هذه او وقت حياتي في الدنيا
اعمالا صالحة وليس في هذا التمني دلالة على استقلال العبد بفعله فان المحجور

عن الشيء يتمنى ان كان ممكنا منه فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق
وثاقه احد الهاء لله اى لا يتولى عذاب الله ووثاقه يوم القيمة سواه اذ الامر
كله له او للانسان اى لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقراهما
الكسائي ويعقوب على بناء الفاعل يا ايتها النفس المطمئنة على ارادة القول
وهى التى اطمأنت بذكر الله فان النفس تترقى فى سلسلة الاسباب
والمسببات الى الواجب لذاته وتستقر دون معرفته وتستغنى به عن غيره
او الى الحق بحيث لا يريبها شك او الامنة التى لا يستفزها خوف ولا حزن
وقد قرئ بها ارجعى الى ربك الى امره او موعده بالموت ويشعر ذلك
بقول من قال كانت النفوس قبل الابدان موجودة فى عالم القدس او بالبعث
راضية بما اوتيت مرضية عند الله فادخلى فى عبادى فى جملة عبادى
الصالحين وادخلى جنتى معهم او فى زمرة المقربين فتستضئ بنورهم فان
الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة او ادخلى فى اجساد عبادى التى فارقت
عنها وادخلى دار ثوابى التى اعددت لك عن النبى عم من قرا سورة
الفجر فى الليالى العشر غفر له ومن قراها فى ساير الايام كانت له نورا يوم القيمة

سورة البلد مكية وآيها عشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم
بهذا البلد وانت حل بهذا البلد اقسم سبحانه بالبلد الحرام وقيده بحلول
الرسول فيه اظهارا لمزيد فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف اهله
وقيل حل مستحل تعرضك فيه كما يستحل تعرض الصيد فى غيره او حلال لك ان
تفعل فيه ما تريد ساعة من النهار فهو وعد بما احل له عام الفتح ووالد عطف
على هذا البلد والوالد آدم او ابراهيم وما ولد ذريته او محمد عم والتنكير
للتعظيم وايثار ما على من لمعنى التعجب كما فى قوله تعالى والله اعلم بما وضعت لقد
خلقنا الانسان فى كبد تعب ومشقة من كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده
ومنه المكابدة والانسان لا يزال فى شدائد مبدؤها ظلمة الرحم ومضيقه و
منتهاها الموت وما بعده وهو تسلية للرسول عم مما كان يكابده من قريش والضمير
فى ايحسب لبعضهم الذى كان يكابد منه اكثر او يغتر بقوته كابى الاشد بن كلدة
فانه كان يبسط تحت قدمه اديم عكاظى ويجذبه عشرة فينقطع ولا تزل قدماه
او لكل احد منهم او للانسان ان لن يقدر عليه احد فينتقم منه يقول اى
فى ذلك الوقت اهلكت مالا لبدا كثيرا من تلبد الشيء اذا اجتمع والمراد ما انفقه
سمعة ومفاخرة او معاداة للرسول ايحسب ان لم يره احد حين كان ينفق
او بعد ذلك فيسأله عنه يعنى ان الله يراه فيجازيه او يجده فيحاسبه عليه ثم قرر
ذلك بقوله تعالى الم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يترجم به عن ضمايره وشفتين

وشفتين يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها وهديناه
النجدين طريقى الخير والشر او الثديين واصله المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة اى
فلم يشكر تلك الايادى باقتحام العقبة وهو الدخول فى امر شديد والعقبة الطريق
فى الجبل استعارها لما فسرها به من الفك والاطعام فى قوله تعالى وما ادراك ما العقبة
فك رقبة او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة لما فيهما
من مجاهدة النفس ولتعدد المراد بها حسن وقوع لا موقع لم فانها لا تكاد تقع
الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم يتيما او مسكينا والمسغبة والمقربة
والمتربة مفعولات من سغب اذا جاع وقرب فى النسب وترب اذا
افتقر وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائى فك رقبة واطعم على الابدال
من اقتحم وقوله وما ادراك ما العقبة اعتراض معناه انك لم تدر كنه صعوبتها
وثوابها ثم كان من الذين آمنوا عطف على اقتحم او فك بثم لتباعد الايمان
عن العتق والاطعام فى الرتبة لاستقلاله واشتراط ساير الطاعات به و
وتواصوا بالصبر واوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وتواصوا بالمرحمة
على عباده او بموجبات رحمة الله اولئك اصحاب الميمنة اليمين او اليمن
والذين كفروا بآياتنا بما نصبناه دليلا على حق من كتاب وحجة او بالقرآن
هم اصحاب المشأمة الشمال او الشوم ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الاشارة
والكفار بالضمير شان لا يخفى عليهم نار مؤصدة مطبقة من اوصدت الباب
اذا اطبقته واغلقته وقرا ابو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة من آصدته عن النبى
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله الامان من غضبه يوم القيمة

سورة الشمس وهى مكية وآيها خمس عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم
والشمس وضحاها وضوئها اذا اشرقت وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى
فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف والقمر
اذا تلاها تلا طلوعه طلوع الشمس اول الشهر او غروبها ليلة البدر او فى الاستدارة
وكمال النور والنهار اذا جلاها جلى الشمس فانها تتجلى اذا انبسط النهار او الظلمة
او الدنيا او الارض وان لم يجر ذكرها للعلم بها والليل اذا يغشاها يغشى
الشمس فيغطى ضوءها او الآفاق او الارض ولما كانت واوات العطف
نوايب للواو الاولى القسمية الجارة بنفسها النائبة مناب فعل القسم
من حيث استلزمت طرحه معها ربطن المجرورات والظروف بالمجرور والظرف
المتقدمين ربط الواو لما بعدها فى قولك ضرب زيد عمروا وبكر خالدا على الفاعل
والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين والسماء وما بناها ومن بناها
وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والشيء القادر الذى

بناها ودل على وجوده وكمال قدرته بناؤها ولذلك افرد ذكره وكذا الكلام
في قوله والارض وما طحاها ونفس وما سواها وجعل الماءات مصدرية يجرد
الفعل عن الفاعل ويخل بنظم قوله فالهمها فجورها وتقويها بقوله تعالى وما سويها
الا ان يضمر فيها اسم الله تعالى للعلم به وتنكير نفس للتكثير كما في قوله تعالى
علمت نفس او للتعظيم والمراد نفس ادم والهام الفجور والتقوى افهامهما وتعريف
حالهما والتمكين من الاتيان بهما وكانه لما اراد به الحث على تكميل النفس والمبالغة
قد افلح من زكاها انماها بالعلم والعمل جواب القسم وحذف اللام للطول
وكانه لما اراد به الحث على تكميل النفس والمبالغة فيه اقسم عليه بما يدلهم على
العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته الذي هو اقصى درجات
القوة النظرية ويذكرهم عظائم الآية ليحملهم على الاستغراق لشكر نعمائه الذي
هو منتهى كمالات القوة العملية وقيل استطراد بذكر بعض احوال النفس
والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة لتكذيبهم رسوله
كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا وقد خاب من دسيها نقصها واخفاها بالجهالة
والفسوق واصل دسى دسس كتقضي وتقضض كذبت ثمود بطغويها بطغيانها
او بما اوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله فاهلكوا بالطاغية واصله طغياها
وانما قلبت ياؤه واوا تفرقة بين الاسم والصفة وقرئ بالضمة كالرجعى اذ انبعث
حين قام ظرف لكذبت او طغوى اشقيها اشقى ثمود وهو قدار بن سالف
او هو ومن مالاه على قتل الناقة فان افعل التفضيل اذا اضيف صلح للواحد والجمع
وفضل شقاوتهم لتوليهم العقر فقال لهم رسول الله ناقة الله اي ذروا ناقة الله
واحذروا عقرها وسقيها فلا تذودوها عنها فكذبوه فيما حذرهم منه من حلول
العذاب ان فعلوا فعقروها فدمدم عليهم ربهم فاطبق عليهم العذاب
وهو من تكرير قولهم ناقة مدمدمة اذا البسها الشحم بذنبهم بسببه فسويها فسوى
الدمدمة بينهم او عليهم فلم يفلت منها صغير ولا كبير او ثمود بالاهلاك ولا يخاف
عقبيها اي عاقبة الدمدمة اي عاقبة هلاك ثمود وتبعتها فيبقي بعض الابقاء
والواو للحال وقرأ نافع وابن عامر فلا على العطف عن النبي عم من قرأ سورة
والشمس فكانما تصدق بكل شي طلعت عليه الشمس والقمر سورة الليل وهي مكية وآيها
احدى وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم والليل اذا يغشى اي يغشى
الشمس او النهار او كل ما يواريه بظلامه والنهار اذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل
او تبين بطلوع الشمس وما خلق الذكر والانثى والقادر الذي خلق صنفي الذكر والانثى
من كل نوع له توالد او ادم وحواء وقيل ما مصدرية ان سعيكم لشتى ان
مساعيكم لاشتات مختلفة جمع شتيت فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى

بالحسنى بتفصيل مبين لتشتت المساعي والمعنى من اعطى الطاعة واتقى المعصية
وصدق بالكلمة الحسنى وهي ما دلت على حق ككلمة التوحيد فسنيسره لليسرى فسنهيئه
للخلة التي تؤدي الى يسر وراحة كدخول الجنة من يسر الفرس اذا هياه للركوب
بالسرج واللجام واما من بخل بما امر به واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم
العقبى وكذب بالحسنى بانكار مدلولها فسنيسره للعسرى للخلة المؤدية
الى العسر والشدة كدخول النار وما يغني عنه ماله نفي او استفهام انكار
اذا تردى هلك تفعل من الردى او تردى في حفرة القبر او قعر جهنم ان
علينا للهدى للارشاد الى الحق بموجب قضائنا او بمقتضى حكمتنا او ان علينا
طريقة الهدى كقوله تعالى وعلى الله قصد السبيل وان لنا للآخرة والاولى
فنعطي في الدارين ما نشاء لمن نشاء او ثواب الهداية للمهتدين او فلا
يضرنا ترككم الاهتداء فانذرتكم نارا تلظى تتلهب لا يصليها لا يلزمها
مقاسيا شدتها الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق وان دخلها
لم يلزمها ولذلك سماه اشقى ووصفه بقوله تعالى الذي كذب وتولى
اي كذب الحق واعرض عن الطاعة وسيجنبها الاتقى الذي اتقى الشرك
والمعاصي فانه لا يدخلها فضلا ان يدخلها ويصلاها ومفهوم ذلك ان
من اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها ولا يلزم ذلك صليها فلا يخالف
الحصر السابق الذي يؤتي ماله يصرفه في مصارف الخير لقوله يتزكى فانه بدل
من يؤتي او حال من فاعله وما لاحد عنده من نعمة تجزى فيقصد بايتائه
مجازاتها الا ابتغاء وجه ربه الاعلى استثناء منقطع او متصل عن محذوف
مثل لا يؤتي الا ابتغاء وجه ربه الاعلى لا لمكافاة نعمة ولسوف يرضى وعد
بالثواب الذي يرضيه والايات نزلت في ابي بكر رض حين اشترى بلالا في
جماعة يؤذيهم المشركون فاعتقهم ولذلك قيل المراد بالاشقى ابو جهل او امية
بن خلف عن النبي عم من قرأ سورة الليل اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر واليسر

سورة الضحى وهي مكية وآيها احدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى ووقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لان النهار يقوى فيه او لانها الساعة
التي فيها كلم موسى ربه والقي السحرة سجدا او النهار ويؤيده قوله تعالى ان يأتيهم
بأسنا ضحى في مقابلة بياتا والليل اذا سجى سكن اهله او ركد ظلامه من سجا
البحر سجوا اذا سكنت امواجه وتقديم الليل في السورة المتقدمة باعتبار
الاصل وتقديم النهار ههنا باعتبار الشرف ما ودعك ربك ما قطعك
قطع المودع وقرئ بالتخفيف بمعنى ما تركك وهو جواب القسم وما قلى وما
ابغضك وحذف المفعول استغناء بذكره من قبل ومراعاة للفواصل

روي ان الوحي تأخر عنه اياما لتركه الاستثناء كما مر في سورة الكهف او
لزجره سائلا ملحا او لان جروا ميتا كان تحت سريره او لغيره فقال المشركون
ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم وللآخرة خير لك من الاولى فانها
باقية خالصة عن الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضار كأنه لما بين انه تعالى لا يزال
يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا وعده ما هو اعلى واجل من ذلك في الآخرة
او ولنهاية امرك خير من بدايته فانه لا يزال يتصاعد في الرفعة والكمال ولسوف
يعطيك ربك فترضى وعد شامل لما اعطاه من كمال النفس وظهور الامر واعلاء
الدين ولما ادخره مما لا يعرف كنهه سواه واللام للابتداء دخل الخبر بعد حذف
المبتدأ والتقدير ولانت سوف يعطيك لا للقسم فانها لا تدخل على المضارع
الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان العطاء كائن لا محالة
وان تأخر لحكمة الم يجدك يتيما فآوى تعديد لما انعم عليه تنبيها على انه كما احسن
اليه فيما مضى يحسن اليه في ما يستقبل وان تأخر ويجدك من الوجود بمعنى العلم
ويتيما مفعوله الثاني او المصادفة ويتيما حال ووجدك ضالا عن علم الحكم
والاحكام فهدى فعلمك بالوحي والالهام والتوفيق للنظر وقيل وجدك ضالا
في الطريق حين خرج به ابو طالب الى الشام او حين فطمتك حليمة وجاءت
بك لتردك على جدك فازال ضلالك عن عمك او جدك ووجدك عائلا فقيرا
ذا عيال فاغنى بما حصل لك من ربح التجارة فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه على ماله لضعفه
وقرئ فلا تكهر اي فلا تعبس في وجهه واما السائل فلا تنهر فلا تزجر واما بنعمة ربك
فحدث فان التحدث بها شكرها وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها
عن النبي عم من قرأ سورة والضحى جعله الله تعالى فيمن يرضى لمحمد عم ان يشفع له
وعشر حسنات يكتبها الله تعالى بعدد كل يتيم وسائل **سورة الانشراح مكية وآيها ثمان**
بسم الله الرحمن الرحيم الم نشرح لك صدرك الم نفسحه حتى وسع مناجاة
الحق ودعوة الخلق فكان غائبا حاضرا او الم نفسحه بما اودعنا فيه من الحكم وازلنا
عنه ضيق الجهل او بما يسرنا لك تلقي الوحي بعدما كان يشق عليك وقيل انه
اشارة الى ما روي ان جبريل عم اتى رسول الله عم في صباه او يوم الميثاق
فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه ايمانا وعلما ولعله اشارة الى نحو ما سبق ومعنى
الاستفهام انكار نفي الانشراح مبالغة في اثباته ولذلك عطف عليه ووضعنا
عنك وزرك عبأك الثقيل الذي انقض ظهرك الذي حمله على النقيض
وهو صوت الرحل عند الانتقاض من ثقل الحمل وهو ما ثقل عليه من فرطاته
قبل البعثة او جهله بالحكم والاحكام او حيرته او تلقي الوحي او ما كان يرى من ضلال
قومه مع العجز عن ارشادهم او من اصرارهم وتعديهم في ايذائه حين دعاهم

ودعاهم الى الايمان ورفعنا لك ذكرك بالنبوة وغيرها اي رفع مثل ان قرن
اسمه باسمه في كلمتي الشهادة وجعل طاعته طاعته وصلى عليه في ملائكته وامر المؤمنين
بالصلوة وخاطبه بالالقاب وانما زاد لك ليكون ابهاما قبل ايضاح فيفيد
مبالغة فان مع العسر كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر وضلال القوم وايذائهم
يسرا كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة فلا تيأس من روح الله
اذا عراك ما يغمك وتنكيره للتعظيم والمعنى بما في ان مع المصاحبة المبالغة
في معاقبة اليسر للعسر واتصاله به اتصال المتقاربين ان مع العسر يسرا
تكرير للتأكيد او استئناف وعده بان العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الآخرة
كقولك ان للصائم فرحتين اي فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله
عليه الصلوة والسلام لن يغلب عسر يسرين فان العسر معرف فلا يتعدد سواء كان
للعهد او الجنس واليسر منكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد يغاير ما اريد بالاول
فاذا فرغت من التبليغ فانصب فاتعب في العبادة شكرا لما عددنا عليك
من النعم السالفة ووعدنا بالنعم الآتية وقيل فاذا فرغت من الغزو فانصب
في العبادة او فاذا فرغت من الصلوة فانصب بالدعاء والى ربك فارغب
بالسؤال ولا تسأل غيره فانه القادر وحده على اسعافه وقرئ فرغب اي رغب
الناس الى طلب ثوابه عن النبي عم من قرأ الم نشرح فكانما جاءني وانا مغتم ففرج عني
سورة والتين مكية وآيها ثمان بسم الله الرحمن الرحيم
والتين والزيتون خصهما من الثمار بالقسم لان التين فاكهة طيبة لا فضل له
وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع فانه يلين الطبع ويحلل البلغم و
يطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة ويفتح سدد الكبد والطحال ويسمن البدن
وفي الحديث انه يقطع البواسير وينفع من النقرس والزيتون فاكهة وادام
ودواء وله دهن لطيف كثير المنافع انه قد ينبت حيث لا دهنية فيه كالجبال وقيل
المراد بهما جبلان في الارض المقدسة او مسجدا دمشق وبيت المقدس او البلدان
وطور سينين يعني الجبل الذي ناجى عليه موسى ربه وسينين وسيناء اسمان
للموضع الذي هو فيه وهذا البلد الامين اي الآمن من امن الرجل امانة فهو
امين او المأمون فيه يأمن فيه من دخله والمراد به مكة لقد خلقنا الانسان
يريد به الجنس في احسن تقويم تعديل بان خص بانتصاب القامة وحسن الصورة
واستجماع خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات ثم رددناه اسفل سافلين
بان جعلناه من اهل النار او الى اسفل السافلين وهو النار وقيل هو ارذل
العمر فيكون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات منقطعا فلهم اجر غير ممنون
لا ينقطع او لا يمن به عليهم وهو على الاول حكم مرتب على الاستثناء مقرر له فما يكذبك

فاى شى يكذبك يا محمد دلالة او نطقا بعد بالدين بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل
وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على الالتفات والمعنى فما الذى يحملك
على هذا الكذب اليس الله باحكم الحاكمين تحقيق لما سبق والمعنى اليس الذى فعل
ذلك من الخلق والرد باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا ومن كان كذلك كان قادرا
على الاعادة والجزاء على ما مر مرارا عن النبى عم من قرا سورة والتين اعطاه الله
العافية واليقين ما دام حيا فاذا مات اعطاه من الاجر بعدد من قرا هذه السورة

سورة العلق مكية وآيها تسع عشرة بسم الله الرحمن الرحيم اقرا باسم
ربك اى اقرا القران مفتتحا باسمه او مستعينا به الذى خلق اى الذى
له الخلق او الذى خلق كل شى ثم افرد ما هو اشرف واظهر صنعا وتدبيرا او ادل
على وجوب العبادة المقصودة من القران فقال خلق الانسان او الذى خلق
الانسان فابهم اولا ثم فسر تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته من علق
جمعه لان الانسان فى معنى الجمع ولما كان اول الواجبات معرفة الله تعالى
نزل اولا ما يدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته اقرا تكرير للمبالغة
او الاول مطلق والثانى للتبليغ او فى الصلوة ولعله لما قيل له اقرا باسم
ربك فقال ما انا بقارى فقيل له اقرا وربك الاكرم الزائد فى الكرم
على كل كريم فانه ينعم بلا عوض ويحلم من غير تخوف بل هو الكريم وحده على الحقيقة
الذى علم بالقلم اى الخط بالقلم وقد قرئ به لتقيد به العلوم ويعلم به التبعيد
علم الانسان ما لم يعلم بخلق القوى ونصب الدلائل وانزال الآيات فيعلمك
القراءة وان لم تكن قاريا وقد عدد سبحانه مبدا امر الانسان ومنتهاه اظهارا
لما انعم عليه من ان نقله من اخس المراتب الى اعلاها تقريرا لربوبيته وتحقيقا
لاكرميته واشار اولا الى ما يدل على معرفته عقلا ثم نبه على ما يدل كلا
ردع لمن كفر بنعمة الله لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ان الانسان
ليطغى ان راه استغنى اى راى نفسه واستغنى مفعوله الثانى لانه بمعنى علم
ولذلك جاز ان يكون فاعله ومفعوله ضميرين لواحد وقرا قنبل بقصر الهمزة
ان الى ربك الرجعى الخطاب للانسان على الالتفات تهديدا وتحذيرا
من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى ارايت الذى ينهى عبدا
اذا صلى نزلت فى ابى جهل قال لو رايت محمدا ساجدا لوطئت عنقه فجاءه
ثم نكص على عقبيه فقيل له ما لك فقال ان بينى وبينه لخندقا من نار وهولا
واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة فى تقبيح النهى والدلالة على
كمال عبودية المنهى ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارايت
تكرير للاول وكذا الذى فى قوله ارايت ان كذب وتولى الم يعلم بان الله

بان الله يرى والشرطية مفعوله الثانى وجواب الشرط محذوف دل عليه
جواب الشرط الثانى الواقع موقع القسم له والمعنى اخبرنى عمن ينهى بعض
عباد الله عن صلاته ان كان ذلك الناهى على هدى فيما ينهى عنه او آمرا
بالتقوى فيما يامر به من عبادة الاوثان كما يعتقده او ان كان على التكذيب
للحق والتولى عن الصواب كما تقول الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله
من هداه وضلاله وقيل المعنى ارايت الذى ينهى عبدا يصلى والمنهى على الهدى
آمر بالتقوى والناهى مكذب متول فما اعجب من ذا وقيل الخطاب فى الثانية
مع الكافر فانه تعالى كالحاكم الذى حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر اخرى
وكانه قال يا كافر اخبرنى ان كان صلوته هدى ودعاؤه الى الله امرا بالتقوى اتنهاه
ولعله ذكر الامر بالتقوى فى التعجب والتوبيخ ولم يتعرض له فى النهى لان النهى كان
عن الصلوة والامر بالتقوى فاقتصر على ذكر الصلوة لانه دعوة بالفعل او لان نهى
العبد اذا صلى يحتمل ان يكون لها ولغيرها وعامة احوالها محصورة فى تكميل نفسه
بالعبادة وغيره بالدعوة كلا ردع للناهى لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعا
بالناصية لناخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشى
وجذبه بشدة وقرئ لنسفعن بنون مشددة ولاسفعن وكتبته فى المصحف
بالالف على حكم الوقف والاكتفاء باللام عن الاضافة للعلم بان المراد ناصية
المذكور ناصية كاذبة خاطئة بدل من الناصية وانما جاز لوصفها وقرئت
بالرفع على هى ناصية والنصب على الذم ووصفها بالكذب والخطاء وهما
لصاحبها على الاسناد المجازى للمبالغة فليدع ناديه اى اهل ناديه ليعينوه
وهو المجلس الذى ينتدى فيه القوم وروى ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يصلى فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اتهددنى وانا اكثر الوادى ناديا فنزلت سندع الزبانية
ليجروه الى النار وهو فى الاصل الشرط واحدها زبنية كعفرية من الزبن
وهو الدفع او زبنى على النسب واصله زبانى والتاء معوضة عن الياء
كلا ردع ايضا للناهى لا تطعه واثبت على طاعتك واسجد ودم على
سجودك واقترب وتقرب الى ربك وفى الحديث اقرب ما يكون العبد
الى ربه اذا سجد عن رسول الله عم من قرا سورة العلق اعطى من الاجر كانما قرا المفصل كله

سورة القدر مكية وآيها خمس بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه فى ليلة
القدر الضمير للقران فخمه باضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية
عن التصريح كما عظمه بان اسند انزاله اليه وعظم الوقت الذى انزل فيه
بقوله وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر وانزاله فيها

بان ابتداء بانزاله فيها او انزاله القرآن جملة من اللوح الى السماء الدنيا على السفرة
ثم كان جبرائيل ينزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلث
وعشرين سنة وقيل المعنى انزلناه في فضلها وهي في اوتار العشر الاخير من رمضان
ولعلها السابعة منها والداعي الى اخفائها ان يحيى من يريدها ليالي كثيرة وتسميتها
بذلك لشرفها او لتقدير الامور فيها لقوله تعالى يفرق كل امر حكيم وذكر الالف
اما للتكثير او لما روي انه عم ذكر اسرائيليا لبس السلاح في سبيل الله الف شهر
فعجب المؤمنين وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك
الغازي تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم بيان لماله فضلت على الف
شهر وتنزلهم الى الارض او السماء الدنيا او تقربهم الى المؤمنين من كل امر
من اجل كل امر قدر في تلك السنة وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان سلام هي
ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله تعالى فيها الا السلامة ويقضي في غيرها السلامة
والبلاء او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين حتى مطلع الفجر
اي وقت مطلعه اي طلوعه وقرأ الكسائي بالكسر على انه كالمرجع او اسم زمان
على غير قياس كالمشرق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر اعطى
من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر **سورة البينة وهي مدنية وآيها ثمان**
بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب اليهود والنصارى
فانهم كفروا بالالحاد في صفات الله ومن للتبيين والمشركين وعبدة الاصنام
منفكين عما كانوا عليه من دينهم او الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول حتى
تأتيهم البينة الرسول والقرآن فانه مبين للحق او معجزة الرسول باخلاقه والقرآن
بافحامه من تحدى به رسول من الله بدل من البينة بنفسه او بتقدير مضاف
او مبتدأ يتلو صحفا مطهرة صفته او خبره والرسول وان كان اميا لكنه
لما تلا مثل ما في الصحف كان كالتالي لها وقيل المراد جبرئيل وكون الصحف
مطهرة ان الباطل لا يأتي ما فيها وانها لا يمسها الا المطهرون فيها كتب قيمة
مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق وما تفرق الذين اوتوا الكتاب عما كانوا عليه
بان آمن بعضهم او تردد في دينه او عن وعدهم بالاصرار على الكفر الا من
بعد ما جاءتهم البينة فيكون كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا
فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وافراد اهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين
للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك
اولى وما امروا اي في كتبهم بما فيها الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
لا يشركون به حنفاء مائلين عن العقائد الزائغة ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة
ولكنهم حرفوا وعصوا وذلك دين القيمة دين الملة القيمة ان الذين كفروا

كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اي يوم القيمة او
في الحال لملابستهم ما يوجب ذلك واشتراك الفريقين في جنس العذاب لا يوجب
اشتراكهما في نوعه فلعله يختلف لتفاوت كفرهما اولئك هم شر البرية اي
الخليقة وقرأ نافع وابن ذكوان البريئة بالهمزة على الاصل ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها ابدا فيه مبالغات تقديم المدح وذكر الجزاء المؤذن
بان ما منحوا في مقابلة ما وصفوا به والحكم عليه بانه من عند ربهم وجمع جنات
وتقييدها اضافة ووصفا بما يزداد لها نعيما وتأكيد الخلود بالتأبيد رضي الله
عنهم استيناف بما يكون لهم زيادة على جزائهم ورضوا عنه لانه بلغهم اقصى
امانيهم ذلك اي المذكور من الجزاء والرضوان لمن خشي ربه فان الخشية ملاك
الامر والباعث على كل خير عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لم يكن
كان يوم القيمة مع خير البرية مساء ومقيلا **سورة الزلزال مكية وآيها تسع**
بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض زلزالها اضطرابها المقدر
لها عند النفخة الاولى او الثانية او الممكن لها او اللائق بها في الحكمة وقرئ بالفتح وهو
اسم الحركة وليس الا في المضاعف واخرجت الارض اثقالها ما في جوفها من
الدفائن او الاموات جمع ثقل وهو متاع البيت وقال الانسان ما لها لما يبهرهم
من الامر الفظيع وقيل المراد بالانسان الكافر فان المؤمن يعلم ما لها يومئذ تحدث
تحدث الخلق بلسان الحال اخبارها ما لاجله زلزالها واخراجها وقيل ينطقها
الله فتخبر بما عمل عليها ويومئذ بدل من اذا وناصبها تحدث او اصل واذا منتصب
بمضمر بان ربك اوحى لها اي تحدث بسبب ايحاء ربك لها بان احدث فيها
ما دلت على الاخبار او انطقها بها ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها اذ يقال
حدثته كذا وبكذا واللام بمعنى الى او على اصلها اذ لها في ذلك تشفي من العصاة
يومئذ يصدر الناس من مخارجهم من القبور الى الموقف اشتاتا متفرقين بحسب
مراتبهم ليروا اعمالهم جزاء اعمالهم وقرئ بفتح الياء فمن يعمل مثقال ذرة خيرا
يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره تفصيل ليروا ولذلك قرئ يره بالضم
وقرئ هشام باسكان الهاء ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران
في نقص الثواب والعقاب وقيل الآية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة او من الاولى
مخصوصة بالسعداء والثانية بالاشقياء لقوله اشتاتا والذرة النملة الصغيرة او الهباء
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله
سورة العاديات مكية وآيها احدى عشرة بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات
ضبحا اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند العدو ونصبه

بفعله المحذوف او بالعاديات فانها تدل بالالتزام على الضابحات او ضبحا حال بمعنى ضابحة فالموريات قدحا فالتي تورى النار والايراء اخراج النار يقال قدح الزند فاورى به فالمغيرات يغير اهلها على العدو صبحا اى فى وقته فأثرن به فهيجن بذلك الوقت نقعا غبارا او صياحا فوسطن به فتوسطن بذلك الوقت او بالعدو او بالنقع اى ملتبسات به جمعا من جموع الاعداء روى انه عم بعث خيلا فمضت شهرا لم يأته منهم خبر فنزلت ويحتمل ان يكون القسم بالنفوس العادية اثر كمالهن الموريات بافكارهن انوار المعارف والمغيرات على الهوى والعادات اذا ظهر لهن مبدا انوار القدس فأثرن به شوقا فوسطن به جمعا من جموع العليين ان الانسان لربه لكنود لكفور من كند النعمة كنودا او لعاص بلغة كندة او لبخيل بلغة بنى مالك وهو جواب القسم وانه على ذلك ان الانسان على كنوده لشهيد يشهد على نفسه لظهور اثره عليه او ان الله تعالى على كنوده لشهيد فيكون وعيدا وانه لحب الخير المال من قوله تعالى ان ترك خيرا لشديد لبخيل او لقوى مبالغ فيه افلا يعلم اذا بعثر بعث ما فى القبور من الموتى وقرئ بحثر وبحث وحصل ما فى الصدور جمع محصلا فى الصحف او ميز من خير او شر وتخصيصه لانه الاصل ان ربهم بهم يومئذ وهو يوم القيمة لخبير عالم بما اعلنوا وما اسروا فيجازيهم وانما قال ثم قال بهم لاختلاف شانهم فى الحالين وقرئ ان وخبير بلا لام عن النبى عم من قرا والعاديات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة مكية وآيها عشر بسم الله الرحمن الرحيم القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة سبق بيانه فى الحاقة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث فى كثرتهم وذلتهم وانتشارهم واضطرابهم وانتصاب يوم بمضمر دلت عليه القارعة وتكون الجبال كالعهن كالصوف ذى الالوان المنفوش المندوف لتفرق اجزائها وتطايرها فى الجو فاما من ثقلت موازينه ترجحت مقادير انواع حسناته فهو فى عيشة راضية ذات رضى او مرضية واما من خفت موازينه بان لم تكن له حسنة يعبا بها او ترجحت سيئاته على حسناته فامه هاوية فماواه النار والهاوية من اسمائها ولذلك قال وما ادراك ما هيه نار حامية ذات حمى عن النبى عم من قرا القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيمة

سورة التكاثر مكية وآيها ثمان بسم الله الرحمن الرحيم الهاكم شغلكم واصله الصرف الى اللهو منقول من لها اذا غفل التكاثر التباهى بالكثرة حتى زرتم المقابر اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن انتقالهم الى ذكر الموتى بزيارة المقابر روى ان بنى عبد مناف وبنى سهم تفاخروا بالكثرة فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم ان البغى اهلكنا فى الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرتهم بنو سهم وانما حذف

حذف الملهى عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين للتعظيم والمبالغة وقيل معناه الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم فى طلب الدنيا عما هو اهم لكم وهو السعى لاخراكم فيكون زيارة القبور عبارة عن الموت كلا ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغى له ان لا يكون جميع همه ومعظم سعيه للدنيا فان عاقبة ذلك وبال وحسرة سوف تعلمون خطأ رأيكم اذا عاينتم ما وراءكم وهو انذار ليخافوا وينتبهوا من غفلتهم ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتاكيد وثم للدلالة على ان الثانى ابلغ من الاول او الاول عند الموت او فى القبر والثانى عند النشور كلا لو تعلمون علم اليقين اى لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اى كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره او لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتفخيم ولا يجوز ان يكون قوله لترون الجحيم جوابا لانه محقق الوقوع بل هو جواب قسم محذوف اكد به الوعيد واوضح به ما انذرهم منه بعد ابهامه تفخيما وقرا ابن عامر والكسائى بضم التاء ثم لترونها تكرير للتاكيد او الاولى اذا رأتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية الابصار عين اليقين اى الرؤية التى هى نفس اليقين فان علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين ثم لتسألن يومئذ عن النعيم الذى الهاكم والخطاب مخصوص بكل من الهاه دنياه عن دينه والنعيم مخصوص بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله من حرم زينة الله كلوا من الطيبات وقيل يعم اذ كل يسأل عن شكره وقيل الاية مخصوصة بالكفار عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الهاكم لم يحاسبه الله بالنعيم الذى انعم به عليه فى دار الدنيا واعطى من الاجر كانما قرا الف اية

سورة العصر مكية وآيها ثلاث بسم الله الرحمن الرحيم والعصر اقسم بصلوة العصر لفضلها او بعصر النبوة او بالدهر لاشتماله على الاعاجيب والتعريض بنفى ما يضاف اليه من الخسران ان الانسان لفى خسر ان الناس لفى خسران فى مساعيهم وصرف اعمارهم فى مطالبهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم اشتروا الاخرة بالدنيا ففازوا بالحيوة الابدية والسعادة السرمدية وتواصوا بالحق بالامر الثابت الذى لا يصح انكاره من اعتقاد او عمل وتواصوا بالصبر عن المعاصى او على الحق او ما يبلو الله به عباده وهذا عطف الخاص على العام للمبالغة الا ان يخص العمل بما يكون مقصورا على كماله ولعله سبحانه انما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود واشعارا بان ما عدا ما عد يؤدى الى خسر ونقص حظ او تكرما فان الابهام فى جانب الخسر كرم عن النبى عم من قرا سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة مكية وآيها تسع بسم الله الرحمن الرحيم ويل لكل همزة لمزة الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز فشاعا فى الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة الا للمكثر المتعود

وقرئ همزة ولمزة بالسكون على بناء المفعول وهو المسخرة الذي يأتي بالاضاحيك فيضحك
منه ويشتم ونزولها في الاخنس بن شريق فانه كان مغتابا او في الوليد بن المغيرة
واغتيابه رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جمع مالا بدل من كل او ذم منصوب
او مرفوع وقراه ابن عامر وحمزة والكسائي بالتشديد للتكثير وعدده وجعله عدة للنوازل
او عده مرة بعد اخرى ويؤيده انه قرئ وعدده على فك الادغام يحسب ان ماله اخلده
تركه خالدا في الدنيا فاحبه كما يحب الخلود او حب المال اغفله عن الموت او طول امله حتى
حسب انه مخلد فعمل عمل من لا يظن الموت وفيه تعريض بان المخلد هو السعي للآخرة كلا
ردع له عن حسبانه لينبذن ليطرحن في الحطمة في النار التي من شانها ان تحطم كل ما يطرح
فيها وما ادراك ما الحطمة ما النار التي لها هذه الخاصية نار الله تفسير لها الموقدة
التي اوقدها الله وما اوقده لا يقدر احد ان يطفئه غيره التي تطلع على الافئدة تعلوا
اوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر لان الفؤاد الطف ما في البدن واشده
تألما او لانه محل العقائد الزائغة ومنشأ الاعمال القبيحة انها عليهم مؤصدة مطبقة من اطبقت
الباب اذا اصدته قال تحن الى اجبال مكة ناقتي ومن دونها ابواب صنعاء مؤصدة
في عمد ممددة اي موثقين في اعمدة ممدة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص وقرأ
الكوفيون غير حفص بضمتين عن النبي عم من قرأ سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد عم واصحابه

سورة الفيل مكية وآيها خمس بسم الله الرحمن الرحيم الم تر كيف فعل ربك
باصحاب الفيل الخطاب للرسول عم وهو وان لم يشهد تلك الوقعة لكن شاهد آثارها
وسمع بالتواتر اخبارها فكانه رآها وانما قال كيف ولم يقل ما لان المراد تذكير ما فيها
من وجوه الدلالة على كمال علم الله تعالى وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله فانها
من الارهاصات اذ روي انها وقعت في السنة التي ولد فيها الرسول عم وقصتها
ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء
وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا
فاغضبه ذلك فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوي اسمه محمود وفيلة
اخرى فلما تهيأ للدخول وعبى جيشه وقدم الفيل وكان كلما وجهوه الى الحرم برك
ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى جهة اخرى هرول فارسل الله طيرا كل في منقاره
حجر وفي رجليه حجران اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فترميهم فيقع الحجر في رأس
الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا وقرئ الم تر جدا في اظهار اثر الجازم وكيف
نصب بفعل لا بتر لما فيه من معنى الاستفهام الم يجعل كيدهم في تعطيل الكعبة وتخريبها
في تضليل في تضييع وابطال بان دمرهم وعظم شانها وارسل عليهم طيرا ابابيل
جماعات جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعات من الطير في تضامها وقيل
لا واحد لها كعباديد وشماطيط ترميهم بحجارة وقرئ بالياء على تذكير الطير لانه اسم

لانه اسم جمع او اسناده الى ضمير ربك من سجيل من طين متحجر معرب سنككل وقيل
من السجل وهو الدلو الكبير او من الاسجال وهو الارسال او من السجل ومعناه من جملة
العذاب المكتوب المدون فجعلهم كعصف مأكول كورق زرع وقع فيه الاكال
وهو ان يأكله الدود او اكل حبه فبقي صفرا منه او كتبن اكلته الدواب وراثته عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفيل اعفاه الله ايام من الخسف والمسخ

سورة قريش مكية وآيها اربع بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش
متعلق بقوله فليعبدوا رب هذا البيت والفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى
ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لاجل ايلافهم رحلة
الشتاء والصيف اي الرحلة في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون
ويتجرون او بمحذوف مثل اعجبوا او بما قبله كالتضمين في الشعر اي جعلهم كعصف مأكول
لايلاف قريش ويؤيده انهما في مصحف ابي سورة واحدة وقرئ لتألف قريش
الفهم رحلة الشتاء وقريش ولد النضر بن كنانة منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة
في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار شبهوا بها لانها تأكل ولا تؤكل وتعلو
ولا تعلى وصغر الاسم للتعظيم واطلاق الايلاف ثم ابدال المقيد عنه للتفخيم وقرأ
ابن عامر لالاف بغير ياء بعد الهمزة فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع
اي برحلتين والتنكير للتعظيم وقيل المراد به شدة اكلوا فيها الجيف والعظام وآمنهم
من خوف خوف اصحاب الفيل او التخطف في بلدهم ومسايرهم او الجذام فلا يصيبهم
ببلدهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لايلاف قريش اعطاه الله
عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة الماعون مكية وآيها سبع
بسم الله الرحمن الرحيم ارأيت استفهام معناه التعجب وقرئ اريت
بلا همزة الحاقا بالمضارع ولعل تصديرها بحرف الاستفهام سهل امرها وارأيتك
بزيادة الكاف الذي يكذب بالدين بالجزاء او الاسلام والذي يحتمل الجنس
والعهد ويؤيد الثاني قوله فذلك الذي يدع اليتيم يدفعه دفعا عنيفا وهو
ابو جهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا فسأله من مال نفسه فدفعه او ابو سفيان
نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه او الوليد بن المغيرة او منافق بخيل وقرئ
يدع اي يترك ولا يحض اهله وغيرهم على طعام المسكين لعدم اعتقاده بالجزاء
ولذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم
ساهون غافلون غير مبالين بها الذين هم يراءون يرون الناس اعمالهم
ليروهم الثناء عليها ويمنعون الماعون الزكوة او ما يتعاور في العادة والفاء
جزائية والمعنى اذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين والموجب للذم
والتوبيخ فالسهو عن الصلوة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من

الكفر ومنع الزكوة التي هي قنطرة الاسلام احق بذلك ولذلك رتب عليها الويل
او للسببية على معنى فويل لهم وانما وضع المصلين موضع الضمير للدلالة على معاملتهم
مع الخالق والخلق عن النبي عم من قرا سورة ارايت غفر له ان كان للزكوة مؤديا
سورة الكوثر مكية وآيها ثلاث بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك وقرئ
انطيناك الكوثر الخير المفرط الكثرة من العلم والعمل وشرف الدارين وروي
عنه صلى الله عليه وسلم انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير احلى من العسل وابيض
وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة لا يظما من شرب
همه وقيل حوض فيها وقيل اولاده واتباعه او علماء امته او القران فصل لربك
فدم على الصلوة خالصا لوجه الله خلاف الساهي عنها المرائي فيها شكرا لانعامه
فان الصلوة جامعة لاقسام الشكر وانحر البدن التي هي خيار اموال العرب وتصدق
على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة
وقد فسرت الصلوة بصلوة العيد والنحر بالتضحية ان شانئك ان من ابغضك لبغضه لك
هو الابتر الذي لا عقب له اذ لا يبقى عنه نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك
وحسن صيتك واثار فضلك الى يوم القيمة ولك في الاخرة ما لا يدخل تحت الوصف
عن النبي عم من قرا سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر له في الجنة ويكتب له عشر حسنات
بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر سورة الكافرون مكية آيها ست بسم الله الرحمن الرحيم
قل يا ايها الكافرون يعني كفرة مخصوصين قد علم الله تعالى منهم انهم لا يؤمنون روي
ان رهطا من قريش قالوا يا محمد تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فنزلت لا اعبد
ما تعبدون اي فيما يستقبل فان لا لا يدخل الا على مضارع بمعنى الاستقبال كما ان ما لا يدخل
الا على مضارع بمعنى الحال ولا انتم عابدون ما اعبد اي فيما يستقبل لانه في قران
لا اعبد ولا انا عابد ما عبدتم اي في الحال او فيما سلف ولا انتم عابدون ما اعبد
اي وما عبدتم في وقت ما ما انا عابده ويجوز ان يكونا تاكيدين على طريقة ابلغ وانما
لم يقل ما عبدت ليطابق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل المبعث بعبادة
الاصنام وهو لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله وانما قال ما دون من لان المراد
الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق وللمطابقة وقيل انها مصدرية
وقيل الاوليان بمعنى الذي والاخريان مصدريتان لكم دينكم الذي انتم عليه لا تتركونه
ولي دين الذي انا عليه لا ارفضه فليس فيه اذن في الكفر ولا منع عن الجهاد ليكون
منسوخا باية القتال اللهم الا اذا فسر بالمتاركة وتقرير كل من الفريقين الاخر على دينه
وقد فسر الدين بالحساب والجزاء والدعاء والعبادة عن النبي عم من قرا سورة الكافرون
فكانما قرا ربع القران وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك
سورة النصر مدنية وآيها ثلاث بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله اظهاره

اظهاره اياك على اعدائك والفتح وفتح مكة وقيل المراد جنس نصر الله للمؤمنين
وفتح مكة وساير البلاد عليهم وانما عبر عن الحصول بالمجي تجوزا للاشعار بان المقدرات
متوجهة من الازل الى اوقاتها المعينة لها فتقرب منها شيا فشيا وقد قرب النصر من
وقته فكن مترقبا لوروده مستعدا لشكره ورايت الناس يدخلون في دين الله
افواجا جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وساير قبائل العرب
ويدخلون حال على ان رايت بمعنى ابصرت او مفعول ثان على انه بمعنى علمت فسبح
بحمد ربك فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال احد حامدا له عليه او فصل له حامدا على نعمه
روي انه لما دخل مكة بدا بالمسجد فدخل الكعبة وصلى ثمان ركعات او فنزهه عما كانت
الظلمة يقولون حامدا له على ان صدق وعده او فاثن على الله بصفات الجلال حامدا
له على صفات الاكرام واستغفره هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا
لما فرط منك بالالتفات الى غيره وعنه عليه الصلوة والسلام اني استغفر الله في
اليوم والليلة مائة مرة وقيل استغفره لامتك وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار
على طريقة النزول من الخالق الى الخلق كما قيل ما رايت شيا الا ورايت الله قبله
انه كان توابا لمن استغفر مذ خلق المكلفين والاكثر على ان السورة نزلت قبل فتح مكة
وانه نعي لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لما قراها بكى العباس رض فقال عليه
الصلوة والسلام ما يبكيك قال نعيت اليك نفسك قال انها لكما تقول ولعل ذلك
لدلالتها على تمام الدعوة وكمال امر الدين فهي كقوله اكملت لكم دينكم او لان الامر
بالاستغفار تنبيه على دنو الاجل ولهذا سميت سورة التوديع وعنه عليه الصلوة والسلام
من قرا سورة اذا جاء اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة سورة الحطب
مكية وآيها خمس بسم الله الرحمن الرحيم تبت هلكت او خسرت والتباب خسران
يؤدي الى الهلاك يدا ابي لهب نفسه كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقيل انما
خصتا لانه عليه الصلوة والسلام لما نزل عليه وانذر عشيرتك الاقربين جمع اقاربه
فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه به فنزلت وقيل
المراد بهما دنياه واخرته وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته ولان اسمه
عبد العزى فاستكره ذكره ولانه لما كان من اصحاب النار كانت الكنية اوفق
لحاله وليجانس قوله ذات لهب وقرئ ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب وقرا ابن
كثير باسكان الهاء اللهب وتب اخبار بعد دعاء والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه كقوله
جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ويدل عليه انه قرئ وقد
تب او الاول اخبار عما كسبت يداه والثاني عن عمل نفسه ما اغنى عنه ماله نفي
لاغناء المال حين نزل به التباب او استفهام انكار له ومحلها النصب وما كسب
وكسبه او مكسوبه بماله من النتائج والارباح والوجاهة والاتباع او عمله الذي

ظن انه ينفعه او ولده عتبة وقد افترسه اسد في طريق الشام وقد احدق به العير
ومات ابو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بايام معدودة وترك ثلاثا حتى انتن
ثم استأجروا بعض السودان حتى دفنوه فهو اخبار عن الغيب طابقه وقوعه
سيصلى نارا ذات لهب اشتعال يريد نار جهنم وليس فيه ما يدل على انه
لا يؤمن لجواز ان يكون صليها للفسق وقرئ سيصلى بالضم مخففا ومشددا
وامرأته عطف على المستكن في سيصلى او مبتدأ وفي جيدها الخبر وهي ام
جميل اخت ابي سفيان حمالة الحطب يعني حطب جهنم فانها كانت
تحمل الاوزار بمعاداة الرسول عليه الصلوة والسلام وتحمل زوجها على ايذائه
او النميمة فانها توقد نار الخصومة او حزمة الشوك والحسك كانت تحملها
فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عاصم بالنصب
على الشتم في جيدها حبل من مسد اي مما مسد اي فتل ومنه رجل ممسود الخلق
اي مجدوله وهو ترشيح للمجاز او تصوير لها بصورة الحطابة التي تحمل الحزمة
وتربطها في جيدها تخسيسا لشأنها او بيانا لحالها في نار جهنم حيث يكون على ظهرها
حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وفي جيدها سلسلة من النار والظرف
في موضع الحال او الخبر وحبل مرتفع به عن النبي عم من قرأ سورة تبت رجوت
ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة **سورة الاخلاص مكية واياتها اربع**
بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد الضمير للشان كقولك هو زيد منطلق
وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة ولا حاجة الى العائد لانها هي هو او لما سئل
عنه اي الذي سألتم عنه هو الله اذ روي ان قريشا قالوا يا محمد صف لنا ربك الذي
تدعونا اليه فنزلت واحد بدل او خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال
كما دل الله على جميع صفات الاكرام اذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات
عن انحاء التركيب والتعدد وما يستلزم احدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في
الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية
للالوهية وقرئ هو الله بلا قل مع الاتفاق على انه لا بد منه في قل يا ايها الكافرون
ولا يجوز في تبت ولعل ذلك لان سورة الكافرون مشاقة الرسول او موادعة
لهم وتبت معاتبة عمه فلا يناسب ان يكون منه واما هذا فتوحيد يقول به تارة
ويؤمر بان يدعو اليه اخرى الله الصمد السيد المصمود اليه في الحوائج من صمد اذا
قصد وهو الموصوف به على الاطلاق فانه مستغن عن غيره مطلقا وكل ما عداه
محتاج اليه في جميع جهاته وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير لفظ الله
للاشعار بان من لم يتصف به لم يستحق الالوهية واخلاء الجملة عن العاطف
لانها كالنتيجة للاولى او الدليل عليها لم يلد لانه لم يجانس ولم يفتقر الى ما يعينه

ما يغنيه او يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضي لوروده
ردا على من قال الملائكة بنات الله والمسيح ابن الله او ليطابق قوله ولم يولد وذلك لانه
لا يفتقر الى شيء ولا يسبقه عدم ولم يكن له كفوا احد اي ولم يكن احد يكافئه او يماثله
من صاحبة وغيرها وكان اصله ان يؤخر الظرف لانه صلة لكن لما كان المقصود نفي
المكافأة عن ذاته تعالى قدم تقديما للاهم ويجوز ان يكون حالا من المستكن في كفوا
او خبرا ويكون كفوا حالا من احد ولعل ربط الجمل الثلاث بالعطف لان المراد منها
نفي اقسام الامثال فهي كجملة واحدة منبه عليها بالجمل وقرأ حمزة ويعقوب كفوا
بالتخفيف وحفص كفوا بالحركة وقلب الهمزة واوا ولاشتمال هذه السورة مع قصرها
على جميع المعارف الالهية والرد على من الحد فيها جاء في الحديث انها تعدل ثلث القرآن
فان مقاصده محصورة في بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر
المقصود بالذات من ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يقرؤها فقال وجبت
قيل يا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة **سورة الفلق واياتها خمس**
بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الفلق ما يفلق عنه اي يفرق عنه كالفرق فعل
بمعنى مفعول وهو يعم جميع الممكنات فانه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الايجاد عنها سيما ما يخرج
من اصل كالعيون والامطار والنبات والاولاد ويختص عرفا بالصبح ولذلك فسر به وتخصيصه
لما فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النور ومحاكاة فاتحة يوم القيمة والاشعار
بان من قدر ان يزيل به ظلمة الليل عن هذا العالم قدر ان يزيل عن العائذ ما يخافه ولفظ الرب
ههنا اوقع من سائر اسمائه تعالى لان الاعاذة من المضار تربية من شر ما خلق خص عالم
الخلق بالاستعاذة عنه لانحصار الشر فيه فان عالم الامر خير كله وشره اختياري
لازم ومتعد كالكفر والظلم وطبيعي كاحراق النار واهلاك السموم ومن شر غاسق
ليل عظيم ظلامه من قوله الى غسق الليل واصله الامتلاء يقال غسقت العين
اذا امتلأت دمعا وقيل السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق
العين سيلان دمعه اذا وقب دخل ظلامه في كل شيء وتخصيصه لان المضار
تكثر فيه ويعسر الدفع ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل المراد به القمر فانه يكسف فيغسق
ووقوبه دخوله في الكسوف ومن شر النفاثات في العقد ومن شر النفوس
او النساء السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع
ريق وتخصيصه لما روي ان يهوديا سحر النبي عم في احدى عشرة عقدة في وتر دسه
في بئر فمرض عم ونزلت المعوذتان واخبره جبريل بموضع السحر فارسل عليا رض فجاء به
فقرأهما عليه فكان كلما قرأ اية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة ولا يوجب ذلك
صدق الكفرة في انه مسحور لانهم ارادوا به انه مجنون بواسطة السحر وقيل المراد
بالنفث في العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث

التريق ليسهل حلها وافرادها بالتعريف لان كل نفاثة شرير بخلاف كل غاسق
وحاسد ومن شر حاسد اذا حسد اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه فانه لا يعود
ضرر منه قبل ذلك الى المحسود بل يخص به لاغتمامه بسروره وتخصيصه لانه العمدة
في اضرار الانسان بل الحيوان غيره ويجوز ان يراد بالغاسق ما يخلو عن النور
وما يضاهيه كالقوى وبالنفاثات النباتات فان قواها النباتية من حيث انها
تزيد في طولها وعرضها وعمقها كانها تنفث في العقد الثلاثة وبالحاسد الحيوان فانه
انما يقصد غيره غالبا طمعا فيما عنده ولعل افرادها من عالم الخلق لانها الاسباب
القريبة للمضرة عن النبي عم لقد انزلت علي سورتان ما انزل مثلهما وانك لن تقرا سورتين
احب ولا ارضى عند الله منهما يعني المعوذتين **سورة الناس وهي مكية واياتها ست**

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ قرا في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام برب الناس
لما كانت الاستعاذة في السورة المتقدمة من المضار البدنية وهي تعم الانسان وغيره
والاستعاذة في هذه السورة من الاضرار التي تعرض للنفوس البشرية وتخصها عمم الاضافة
ثمت وخصصها بالناس ههنا فكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي
يملك امورهم ويستحق عبادتهم ملك الناس اله الناس عطفا بيان له فان الرب
قد لا يكون ملكا والملك قد لا يكون الها وفي هذا النظم دلالة على انه حقيق بالاعاذة
قادر عليها غير ممنوع عنها واشعار على مراتب الناظر في المعارف فانه يعلم اولا
بما يرى عليه من النعم الظاهرة والباطنة ان له ربا ثم يتغلغل في النظر حتى يتحقق انه غني
عن الكل وذات كل شيء له ومصارف امره منه فهو الملك الحق ثم يستدل به على
انه المستحق للعبادة لا غير ويدرج في وجوه الاستعاذة المعتادة تنزيل الاختلاف
الصفات منزلة اختلاف الذات اشعارا بعظم الافة المستعاذ منها وتكرير الناس
لما في الاظهار من مزيد البيان والاشعار بشرف الانسان من شر الوسواس اي
الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به الموسوس
وسمي بفعله مبالغة الخناس الذي عادته ان يخنس اي يتاخر اذا ذكر الانسان ربه
الذي يوسوس في صدور الناس اذا غفلوا عن ذكر ربهم وذلك كالقوة الوهمية
فانها تساعد العقل في المقدمات فاذا ال الامر الى النتيجة خنست واخذت توسوسه
وتشككه ومحل الذي الجر على الصفة او النصب او الرفع على الذم من الجنة والناس
بيان للوسواس او للذي او متعلق بيوسوس اي يوسوس في صدورهم من
جهة الجنة والناس وقيل بيان للناس على ان المراد به ما يعم الثقلين وفيه
تعسف الا ان يراد به الناسي كقوله تعالى يوم يدع الداعي فان نسيان
حق الله تعالى يعم الثقلين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا المعوذتين
فكانما قرا الكتب التي انزلها الله تعالى **قال** المولف الامام عليه الرحمة

عليه الرحمة والسلام وقد اتفق تمام تعليق سواد هذا الكتاب المنطوي
على فرائد فوائد ذوي الالباب المشتمل على خلاصة اقوال اكابر الائمة
وصفوة اراء اعلام الامة في تفسير القران وتحقيق معانيه والكشف
عن عويصات الفاظه ومعجزات مبانيه مع الايجاز الخالي عن الاخلال والتلخيص
العاري عن الاضلال الموسوم بانوار التنزيل واسرار التاويل واسال
الله تعالى ان يعم نفعه للطلاب ولا يخلي سعي من تعب فيه من الاجر والثواب
ويختم كل خاتمة امري بتمحيص عن الاثام وتبليغي على منازل دار السلام
في جوار العليين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن
اولئك رفيقا وهو سبحانه حقيق بان يحقق رجاء الراجين تحقيقا والحمد لله وحده
وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

واما بيان احتياج الانسان الى النبي على طريقة حكماء الاسلام فبيانه يقول ان الله تعالى خلق الانسان بحيث لا يستقل وحده
بامر معاشه لانه يحتاج الى غذاء ولباس ومسكن وسلاح فلها صناعة ليس كساير الحيوانات التي تكون ما يحتاج
اليه من الغذاء واللباس والمسكن والسلاح طبيعيا والشخص الواحد لا يمكنه القيام باصلاح تلك الامور
وترتيبها الا في مدة لا يمكن عادة ان يعيش تلك المدة فان امكن فهو عسر فانتظام امر معاشه لا يتم بل لا يتيسر
الا بمشاركة اخر من ابناء جنسه ومعاوضة ومعارضة يجريان بينهما فيما يعنيهما مما يتوقف عليه صلاح الشخص
او النوع بحيث يزرع هذا لذاك ويخبز ذاك لهذا ويخيط واحد لاخر والاخر يتخذ الابرة له وعلى هذا قياس
ساير الامور فيتم امر معاشه من بني نوعه باجتماع ومعاوضة ومعارضة فاذا الانسان يحتاج بطبعه في معيشته
الى اجتماع يتيسر بسببه المعاوضة والمعارضة والمعاضدة ولذلك قيل الانسان مدني بطبعه فان التمدن عندهم
عبارة عن هذا الاجتماع واجتماع الناس على المعاوضة والمعارضة والمعاضدة لا يتم ولا ينتظم الا اذا كان
بينهم معاملة وعدل لان كل احد يشتهي ما هو يحتاج اليه ويغضب على من يزاحمه وجميع الخيرات والسعادات يحتاج
لنفسه فان الخير مطلوب لذاته وحصول جميع المقاصد الجسمانية والمطالب الحسية لواحد يستدعي فواتها
عن غيره فلهذا يؤدي الى المزاحمة والانسان اذا ازدحم على مشتهيه غضبه على المزاحم فيدعوا الشهوة
والغضب الى الجور والظلم على الغير ليستبد بذلك المشتهى فيقع من ذلك الهرج والتنازع ويختل امر
الاجتماع وهذا الاختلال لا يندفع الا اذا اجتمعوا على معاملة وعدل فاحتاج الى العدل والمعاملة
والعدل والمعاملة غير متناول للجزئيات التي لا تنحصر فلا بد من قانون كلي هو الشرع يحفظ والشرع
لا بد له من شارع يفرض ذلك الشرع على الوجه الذي ينبغي فاذا لا بد من شارع ثم انهم لما تنا
زعوا في وضع الشرع وقع الهرج والمرج فينبغي ان يمتاز الشارع منهم باستحقاق الطاعة لينقاد
الباقون له في قبول الشرع وذلك الاستحقاق انما يتحقق بان يختص بآيات ظاهرة تدل على انه
ومعجزات باهرة تدل على انه من عند ربهم وتحث على اجابته وتصديقه في مقابلة شرح الطوالع
للاصفهاني